دير القديس أنبا مقار

الإنجيل

بحسب القديس متى

دراسة وتفسير وشرح

الأب متى المسكين

اهداءات ٢٠٠٢

القمص/ متى المسكين

دير القديس أنبا مقار

الإنجيل

بحسب القديس متى

دراسة وتفسير وشرح

الأب متى المسكين

كتاب: الإنجيل بحسب القديس متى
دراسة وتفسير وشرح
المؤلف: **الأب متى المسكين**
الطبعة الأُولى: ١٩٩٩
مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون.
صندوق بريد ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٩/١٣١١٧
رقم الإيداع الدولي: 977-240-060-X

اعتراف بالفضل لذويه

لقد طُبع هذا الكتاب في مطبعة دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون، وقام بالإشراف على مراحل طبع الكتاب بداية من النسخة الخطِّية وإعادة تنقيحها وإصلاح الأخطاء فيها، ومراجعة القواعد العربية ونحو الكلام، ومراجعة الآيات بالعربية، ثم اليونانية، وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله؛ ثم إخراجه على آلة الكمبيوتر ثم الطابعة بالليزر، بالإضافة إلى عمليات التصوير للوحات الواردة بالكتاب من تصوير وتحميض وتكبير وتصغير، ثم الحفر على اللوحات الحسَّاسة للطباعة، ثم دخوله للطبع على آلة الطباعة الأُوفست، ثم تطبيق أفرخ الورق المطبوع كملازم، ثم تخييط الملازم معاً ثم التجليد؛ كل هذا قام به الآباء الرهبان الأعزاء الأجلاء، بما استلزم من جهد وصبر ودقة وفن بلغ على أيديهم أقصى إتقانه.

ونحن إذ نذكر أسماءهم وهم في غِنَى عن الذكر والذكرى، فسيرتهم مكتوبة في السموات؛ ولكن يطيب لقلب الكاتب أن ينسب الفضل لأصحابه، فلولاهم ما خرج هذا الكتاب، وما استمتع القارئ بهذا الإخراج البديع. كان هذا في فاتحة كتاب: «شرح إنجيل القديس يوحنا»، وقد تابعوا إخراج هذا الكتاب **"الإنجيل بحسب القديس متى: دراسة وتفسير وشرح"** بنفس الروح وبدافع شركة المحبة التي تجمعنا دائماً.

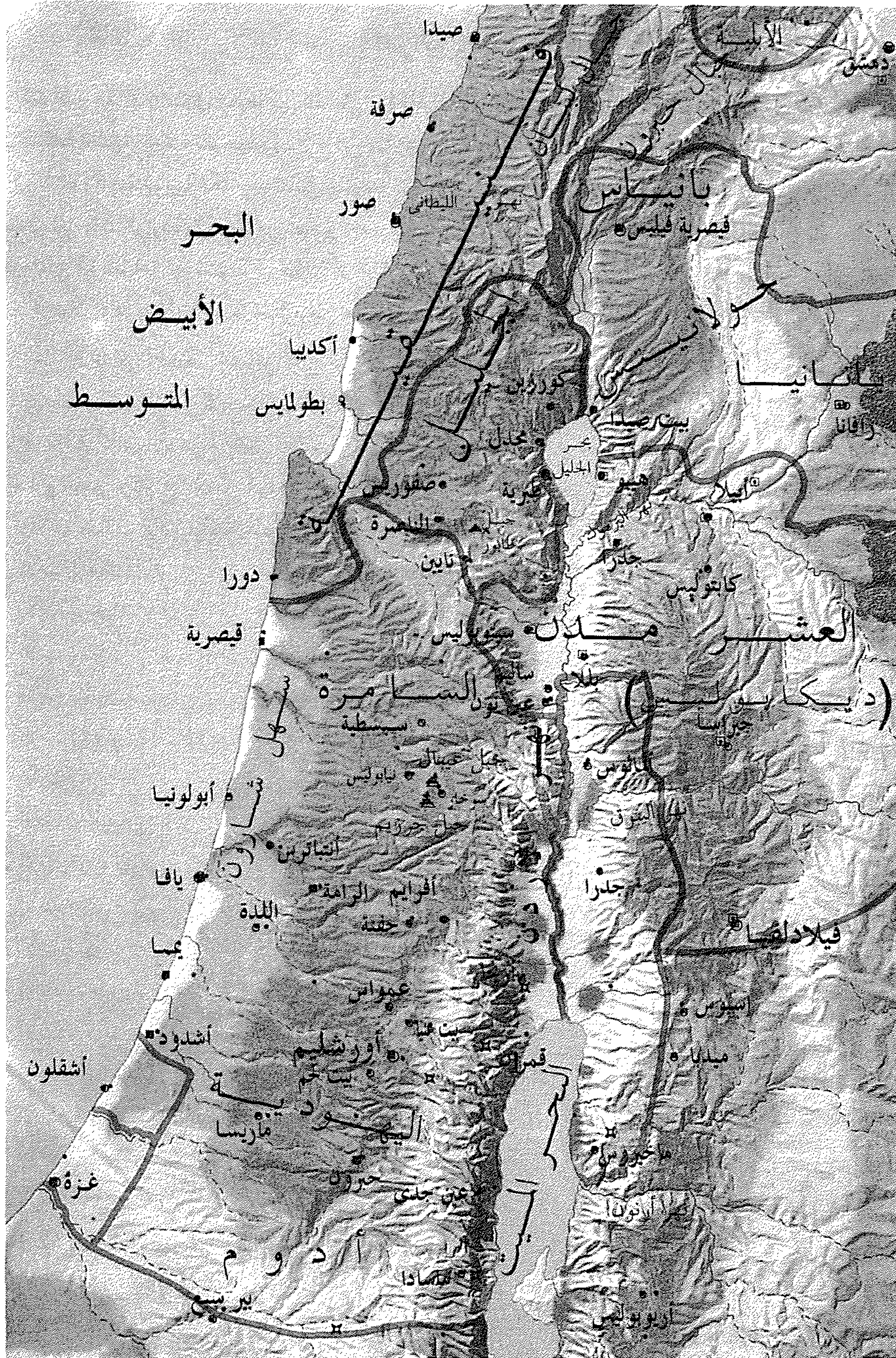
(الآباء بحسب ترتيب أقدميتهم الرهبانية، ودور كل راهب في إخراج الكتاب)

الأب إرميا: مراجعة البروفات والقواعد العربية ونحو الكلام.
الأب يوحنا: مراجعة البروفات، وصياغة الفهرس الموضوعي.
الأب وديد: تنقيح النسخة الخطية ومراجعة الآيات باليونانية وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله.
الأب باسيليوس: المراجعات الفنية في مراحل جمع وطبع الكتاب.
الأب ديمتري: نسخ النسخة الأولى عن المسوَّدة التي بخط المؤلِّف.
الأب برتي: مراجعة البروفات.
الأب لونجينوس: آلة الطباعة الأُوفست ـ آلة تطبيق الملازم ـ آلة القص ـ التجليد.
الأب دوروثيئوس: آلة الطباعة الأُوفست ـ آلة تطبيق الملازم ـ آلة القص ـ التجليد.
الأب أخنوخ: جمع النص على الكمبيوتر.
الأب يسطس: جمع النص على الكمبيوتر.
الأب دوماديوس: مضاهاة بروفات الجمع على الكمبيوتر على الأصول المنسوخة للكتاب.
الأب زكريا: تجهيز لوحات الطباعة.
الأب إيبفانيوس: مراجعة البروفات على الكمبيوتر وعمل فهرس الآيات وأقوال الآباء.
الأب جيروم: آلة الطباعة الأُوفست ـ آلة تطبيق الملازم ـ آلة القص ـ التجليد.

وأخيراً ـ نستودع هذا الكتاب بالمجهود المبذول فيه ليد القارئ، داعين له بالبركة، راجين الله أن يستخدمه لزيادة المعرفة والتقوى وتمجيد اسم الله القدوس.

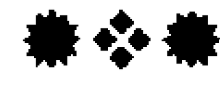
دير القديس أنبا مقار

١٣/٤/١٩٩٩م



أرض فلسطين في أيام المسيح

المحتويات



المقدِّمة

تقديم: إنجيل القديس متى ١٧

القديس متى الرسول ٢٠

أولاً: التقليد القديم الخاص بكتابة إنجيل القديس متى ٢٥

١ - الأصالة الرسولية للإنجيل واللغة التي كُتب بها ٢٥

٢ - تاريخ كتابة الإنجيل ٣١

٣ - أنطاكية المدينة التي صدر فيها الإنجيل ٣٣

ثانياً: مميزات إنجيل القديس متى وأسلوبه في الكتابة والتعليم ٣٩

١ - أهم المميزات: ٣٩

(أ) - التخطيط السابق ٣٩

(ب) - إنجيل تكميل النبوات ٣٩

(ج) - إنجيل المسيَّا الملك الآتي كوعد الله لداود ٤١

(د) - إنجيل ملكوت السموات ٤١

(هـ) - إنجيل الإكليسيا بالدرجة الأُولى ٤٢

(و) - إنجيل الأمور الأخروية ٤٣

(ز) - الإنجيل الوحيد الذي جُمع وكُتب بالعبرانية ٤٣

(ح) - الإنجيل الذي حمل رسالة الأُمم قبل أن يُحبل بالمسيح في البطن ٤٣

(ط) - إنجيل طفولة الرب يسوع ٤٣

٢ - تفوق القديس متى في فن التعليم والتبويب والتلقين ٤٤

٣ ـ أسلوب القديس متى ٤٧

ثالثاً: منهج القديس متى في تقديم المعجزات والأمثال ٤٨

١ ـ المعجزات في إنجيل القديس متى ٤٨

٢ ـ الأمثال في إنجيل القديس متى ٥٠

رابعاً: المفاهيم اللاهوتية الأساسية في إنجيل القديس متى........................ ٦٠

١ - المسيَّا في إنجيل القديس متى ٦٠

٢ - ابن الإنسان في إنجيل القديس متى ٦٣

٣ – العهد القديم كخلفية لإنجيل القديس متى ٧٠
◆ الآيات التي اقتبسها القديس متى من العهد القديم ٨٥
٤ – موقف المسيح من الناموس في إنجيل القديس متى ٩٨
٥ – ملكوت السموات وتحقيقه بين الحاضر والمستقبل في إنجيل القديس متى ١٠٢
خامساً: تبويب محتويات إنجيل القديس متى ١٠٨

شرح الإنجيل

الأصحاح الأول: ١١٥
العهد الجديد، ما هو ١١٦
جدول أنساب المسيح ١١٨
ميلاد يسوع المسيح ١٣٧
الأصحاح الثاني: ١٥٣
حكماء من المشرق: البشرية تقدم عبادتها وخضوعها لله المتجسِّد عمانوئيل ١٥٤
الهروب إلى مصر ١٦٢
قتل أطفال بيت لحم: البشرية تقدِّم جحودها من نحو الله المُنعِم ١٦٤
العودة من مصر والسكنى في الناصرة ١٦٦
الأصحاح الثالث: بدء القسم الأول من خمسة أقسام الإنجيل........................ ١٦٩
ظهور يوحنا المعمدان وخدمته ١٧٠
عماد يسوع المسيح من يوحنا ١٨٠
الأصحاح الرابع: ١٨٥
تجربة المسيح ١٨٦
خدمة الجليل الممتدة: ١٩٤
(أ) بداية الخدمة ١٩٤
(ب) دعوة الأربعة تلاميذ من صيد السمك إلى صيد الناس ١٩٩
(ج) المسيح يعلِّم ويعظ ويشفي ٢٠٢
الأصحاح الخامس: الحديث الأول الكبير: ٢٠٧
العظة على الجبل ـ الحديث الأول المطوَّل ٢٠٨
شهادات عن العظة على الجبل ٢٠٨
المدخل لشرح العظة ٢١٢
مواطنو الملكوت: التطويبات ـ علاقتهم بالعالم: ملح ونور ٢١٥
بر الملكوت إزاء بر الناموس ٢٣٥

المقابلات الست بين الناموس والمسيح ٢٤٠
الأصحاح السادس: ٢٥٧
تمهيد للأصحاح السادس ٢٥٨
البر الأخلاقي السلوكي ٢٥٩
(١) من نحو الفقير ٢٥٩
(٢) من نحو الله ٢٦٢
▪ الصلاة الربَّانية ٢٦٥
(٣) من نحو النفس ٢٧٦
(٤) من نحو العالم والجسد ٢٧٨
الأصحاح السابع: ٢٩١
حياة المدعوين إلى بر الملكوت ٢٩٢
(أ) لا سماح لأولاد الله أن يدين بعضهم البعض ٢٩٢
(ب) لا استهانة بالمقدَّسات ٢٩٤
(ج) الأسئلة الثلاثة واستجابتها الحاضرة ٢٩٥
(د) الباب الضيق والطريق الكرب المؤدِّي إلى الملكوت ٢٩٩
(هـ) نصائح لبني الملكوت. الأنبياء والمعلمون الكذبة ٣٠١
(و) كيف تصفَّي أعمال الناس ليتم اختيار الصالحين لدخول الملكوت ٣٠٣
نهاية القسم الأول من خمسة أقسام الإنجيل ٣٠٧
الأصحاح الثامن: بدء القسم الثاني من خمسة أقسام الإنجيل.............................. ٣٠٩
قسم المعجزات في إنجيل القديس متى: ٣١٠
تطهير الأبرص ٣١٠
شفاء غلام قائد المائة ٣١٢
شفاء حماة سمعان وآخرين كثيرين ٣١٤
فصل قصير بين معجزات الشفاء : من شروط تبعية المسيح ٣١٦
أمر فهدأت العاصفة والبحر سكت ٣١٧
إلى كورة الجرجسيين ٣١٩
الأصحاح التاسع: ٣٢٣
إبراء الرجل المفلوج ٣٢٤
دعوة القديس متى صاحب الإنجيل ٣٢٨
السؤال عن الصوم ٣٣٢
إقامة ابنة رئيس من الموت. وشفاء امرأة نازفة دم ٣٣٤

أعميان على الطريق ٣٣٨
إبراء رجلٍ أخرس مجنوناً به شيطان ٣٣٩
الحصاد كثير والفعلة قليلون ٣٤٠
الأصحاح العاشر: الحديث الثاني الكبير: إرسالية الاثني عشر ٣٤٣
دعوة التلاميذ وإرسالهم ٣٤٤
مقدمة الإرسالية وأسماء الاثني عشر ٣٤٦
تعاليم المسيح للاثني عشر ٣٥٤
الأصحاح الحادي عشر: بدء القسم الثالث ٣٧٩
شكوك المعمدان وردُّ المسيح ٣٨٠
ويل للمدن التي سمعت تعاليم المسيح ولم تستجب ٣٨٨
المسيح يشكر الآب لاستعلان حقيقة المسيَّا ٣٩٠
دعوة للراحة ٣٩١
الأصحاح الثاني عشر: ٣٩٧
الرب يؤكِّد سلطانه كرب السبت ٣٩٨
فتاي الذي اخترته ٤٠٣
معجزات المسيح لتحطيم صورة الشيطان ٤٠٧
طلب عمل الآية المرفوضة ٤١٤
من هم أهل بيته ٤١٨
الأصحاح الثالث عشر: ٤١٩
الحديث الثالث الكبير: أمثال الملكوت: ٤٢٠
حقائق عامة هامة في منهج المسيح التعليمي ٤٢٤
مَثَل الزارع ٤٢٨
مَثَل الزوان ٤٣٤
مَثَلا حبة الخردل والخميرة ٤٣٨
النبوات تتحدَّث عن أمثال المسيح ٤٤٠
ثلاثة أمثال قصيرة وثمينة ٤٤١
اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن ٤٤٣
شبكة أُلقيت في البحر ٤٤٧
الكاتب المتعلِّم في ملكوت السموات ٤٥١
كتبة العهد الجديد علماء وحكماء ودارسو ملكوت ٤٥٢
نهاية القسم الثالث ٤٥٣

عودة المسيح إلى وطنه: بدء القسم الرابع	٤٥٣
الأصحاح الرابع عشر:	٤٥٥
حفلة هيرودس ورقصة الموت. ومقتل المعمدان الحزين	٤٥٦
معجزة إطعام الجموع من خمس خبزات وسمكتين	٤٦٠
المشي على الماء	٤٦٥
أشفية على بحيرة جنيسارت	٤٧٠
الأصحاح الخامس عشر:	٤٧١
الطهارة الشكلية والنجاسة الحقيقية: غسل الأيدي	٤٧٢
دفاع الكنعانية!	٤٧٦
شفاء الجموع	٤٧٨
إشباع الجموع للمرَّة الثانية: إطعام الأربعة آلاف	٤٧٩
الأصحاح السادس عشر:	٤٨٣
علامات الأزمنة	٤٨٤
الخميرة وتعليم الفريسيِّين	٤٨٧
اعتراف القديس بطرس وأثره في رواية الإنجيل	٤٨٩
أول نبوَّة عن الآلام	٤٩٥
الأصحاح السابع عشر:	٥٠١
التجلِّي	٥٠٢
شفاء الولد المصروع	٥١٠
التنبُّؤ الثاني عن الآلام	٥١٦
دفع ضريبة الهيكل	٥١٧
الأصحاح الثامن عشر: الحديث الرابع الكبير:	٥١٩
قامة الطفولة ـ شرطٌ للدخول إلى الملكوت	٥٢١
العثرات والدخول إلى الملكوت	٥٢٧
الغفران والمسامحة أساس للدخول إلى الملكوت	٥٣٣
مَثَل الخادم غير الرحوم	٥٣٦
الأصحاح التاسع عشر: بدء القسم الخامس	٥٤١
تعليم من جهة الطلاق	٥٤٢
المسيح والأولاد	٥٤٦
الغني الحزين والتلميذ السعيد	٥٤٨

الأصحاح العشرون: ٥٥٥

مَثَل عُمَّال الكرم ٥٥٦

التنبُّو الثالث والأخير عن آلامه وقيامته ٥٥٩

ترجِّي أم ابني زبدي في أمل بعيد المنال ٥٦١

شفاء أعميين في أريحا ٥٦٥

الأصحاح الحادي والعشرون: ٥٦٧

أسبوع الآلام ٥٧٠

الدخول إلى أُورشليم في موكب النصرة ٥٧٥

تطهير الهيكل ٥٨٠

لعن شجرة التين ٥٨٢

بأي سلطان تفعل هذا ٥٨٤

العشَّارون يسبقونكم إلى ملكوت الله ٥٨٦

محاكمة الكرَّامين الأردياء ٥٨٨

الأصحاح الثاني والعشرون: ٥٩١

وليمة عُرس ابن الملك ٥٩٢

جزية قيصر ٥٩٩

في القيامة لمن تكون زوجة؟ ١٠١

أيَّة وصية هي العُظمى؟ ١٠٤

ماذا تظنون في المسيح ابن مَنْ هو؟ ١٠٥

الأصحاح الثالث والعشرون: الجزء الأول من الحديث الخامس الكبير: ١٠٧

المقدِّمة ١٠

وصف خطايا الكتبة والفريسيِّين ١٢

الويلات السبعة ١٥

بكاء المسيح على أُورشليم ٢٩

الأصحاحان الرابع والعشرون والخامس والعشرون: الجزء الثاني من الحديث الخامس: ٣٣

الأخرويات: أمور آخر الزمان ٣٤

الأصحاح الرابع والعشرون: ٣٩

التنبُّو بخراب الهيكل ٤٠

الصورة العامة من الظاهر ٤٣

- مبتدأ الأوجاع ٤٣
- المعاناة الخاصة من أجل اسم المسيح ٤٧

● الكرازة بالإنجيل كعلامة لانتهاء المناداة بالملكوت أي تكميل الشهادة ٦٥٤
خراب أُورشليم والهيكل وحرب الرومان أول تفصيل لعلامات الحروب والمروعات ونموذج كامل لها ٦٥٦
● تحذيرات من ضلالة المعلّمين الكذبة ٦٦٤
● المسيح يؤكِّد صحة ما قاله لمزيد من اليقظة ٦٦٥
● تكميل الأوجاع ومخاض العالم الأخير وظهور ابن الإنسان ٦٦٧
مَثَل شجرة التين ٦٧٣
مَثَل الطوفان ٦٧٧
مَثَل لص نصف الليل ٦٨٠
الأصحاح الخامس والعشرون: المحاكمات في نهاية الزمان ٦٨٣
حديث المحاكمات: عقيدة الكنيسة في كيف تكون الدينونة الأخيرة ٦٨٤
مَثَل العبد الأمين الحكيم: محاكمة العبد المستهتر ٦٨٦
مَثَل العشر عذارى: محاكمة الخمس عذارى الجاهلات ٦٩١
مَثَل الوزنات: محاكمة العبد الكسلان والشرير ٧٠٣
عظة لكل العالم: منظر الدينونة الأخيرة: محاكمة الجداء ـ الملاعين......................... ٧١٥
الأصحاح السادس والعشرون: ٧٣١
تقسيم إنجيل القديس متى بحسب رؤية توراتية وموقع موت المسيح فيه ٧٣٢
مؤامرة رؤساء الكهنة ٧٣٧
مسحة الموت المعطِّرة للجسد ٧٤٠
اتفاق يهوذا مع رؤساء الكهنة ٧٤٤
الإعداد للفصح ٧٤٧
العشاء الأخير ٧٤٨
اتهام يسوع العلني للخائن ٧٤٩
عشاء الرب: تأسيس الإفخارستيا لتحل محل الفصح الأخير ٧٥٣
محنة التلاميذ: جميعكم تهربون وأولكم ينكرني ٧٦٥
صلاة جثسيماني وسر الكأس! ٧٧٠
التسليم والقبض ٧٨١
المحاكمة أمام السنهدرين ٧٨٥
إنكار بطرس ثلاث مرَّات ٧٩٣
الأصحاح السابع والعشرون: ٧٩٧
قرار السنهدرين بتقديم المسيح للموت وتسليمه لبيلاطس ٧٩٨
يهوذا يخنق نفسه: محنة يهوذا وندمه بعد أن زلت قدمه ٨٠١

استجواب المسيح أمام بيلاطس ١٠٣
نطق بيلاطس بالموت صلباً ١٠٧
استهزاء العسكر ١١٢
الصلب فوق الجلجثة ١١٤
الموت على الصليب ١٢٠
دفن الجسد ١٢٥
الأمر بحراسة القبر ١٢٧
الأصحاح الثامن والعشرون: القيامة المجيدة ١٢٩
الرب قام والحرَّاس كالأموات ١٣٠
قيامة المسيح من بين الأموات وقيامتنا معه ١٣٣
رشوة الحرَّاس الكاذبة: شهادة ضد القيامة مدعَّمة بالقصة ١٤٤
الوعد والمقابلة، الاستعلان العظيم، الإرسالية الكبرى ١٤٦
إرسالية الكنيسة إرسالية كل الدهور ١٥٠

الفهارس

فهرس الآيات الكتابية ١٧٤
فهرس أقوال الآباء والكتاب الكنسيين ١٩٢
الفهرس الموضوعي ١٩٤



BIBLIOGRAPHY

1. Ancient Literary Sources

Augustine, St., *Sermon on the Mount,* NPNF, 1st ser., Vol. VI.

Chrysostom, St., *Homilies on the Gospel of St. Matthew,* NPNF, 1st ser., Vol. X.

Clement of Alexandria, *Paedagogus,* ANF, Vol. II.

————, *Stromata,* ANF, Vol. II.

Eusebius, *Ecclesiastical History,* NPNF, 2nd ser., Vol. I.

Irenaeus, *Against Heresies,* ANF, Vol. I.

Jerome, *De viris illustribus,* NPNF, 2nd ser., Vol. III.

Josephus, Flavius, *Jewish Antiquities,* Loeb Classical Library.

————, *Jewish Wars,* Loeb Classical Library.

————, *Vita,* Loeb Classical Library.

Rufinus, *Ecclesiastical History,* NPNF, 2nd ser., Vol. VI.

Socrates, *Ecclesiastical History,* NPNF, 2nd ser., Vol. II.

2. Modern Works

Albright, W.F., and Mann, C. S., *Matthew,* The Anchor Bible 26, Doubleday, New York, 1971, repr. 1987.

Allen, W. C., *A Critical and Exegetical Commentary on the Gospel according to St. Matthew,* Edinburgh, 1907, 3rd ed. 1912, repr. 1957.

Argyle, A.W., *The Gospel according to Matthew,* The Cambridge Bible Commentary, 1963.

Barclay, William, *The Gospel of Matthew,* Westminster Press, Philadelphia, 1956, 2nd ed. 1958.

Bengel, John Albert, *Gnomon of the New Testament,* Vol. 1, Edinburgh, 1866.

Brown, Raymond, *New Testament Essays,* Milwaukee, 1965.

Bruner, Frederick Dale, *Matthew, A Commentary,* 2 vols., Word Publishing, 1987, 1990.

Buttrick, George A., *The Gospel according to St. Matthew,* Exposition, in The Interpreter's Bible, Vol. 7, New York, 1951.

Caffin, B.C., *St. Matthew,* The Pulpit Commentary, Eerdmans, 1950, repr. 1961.

Carson, D.A., *Matthew,* in F.E. Gaebelein, ed., *The Expositor's Bible Commentary,* vol. 8 (Grand Rapids, 1984).

Dalman, G., *The Words of Jesus,* Edinburgh, T.&T. Clark, 1902.

Fenton, J. C., *Saint Matthew,* The Pelican Gospel Commentaries, 1963.

France, R.T., *The Gospel according to Matthew,* (Leicester and Grand Rapids, 1985).

Goodspeed, E.J., *New Solutions of New Testament Problems,* Chicago, Chicago University Press, 1927.

————, *Matthew, Apostle and Evangelist,* Philadelphia and Toronto, 1959.

Gundry, R.H., *The Use of Old Testament in St. Matthew' s Gospel,* Leiden, 1967.

————, *Matthew, A Commentary on his Literary and Theological Art,* Eerdmans, Grand Rapids, 1982.

Hendriksen, W., *Bible Survey,* Grand Rapids, 1961.

————, *Exposition of the Gospel according to Matthew,* New Testament Commentary, Grand Rapids, 1973, rep. 1987.

Jeremias, J., *The Parables of Jesus,* rev. ed. New York, 1963.

Johnson, Sherman E., *The Gospel according to St. Matthew, Introduction and Exegesis,* in The Interpreter's Bible, Vol. 7, New York, 1951.

Kingsbury, Jack Dean, *Matthew,* Proclamation Commentaries, Fortress Press, Philadelphia, 1986.

Lenski, R.C.H., *The Interpretation of St. Matthew's Gospel,* Columbus, Ohio, Lutheran Book Concern, 1932 (Minneapolis, 1964).

Machen, J. Gresham, *The Virgin Birth of Christ,* Harper, New York and London, 1930.

Mann, C.S., *Matthew,* The Anchor Bible 26, Doubleday, New York, 1971, repr. 1987.

McNeile, Alan Hugh, *The Gospel according to St. Matthew,* London, 1915, repr. 1957.

Meyer, H.A. W., *Critical and Exegetical Handbook to the Gospel of Matthew,* Hendrickson Publishers, 6th ed. 1884, repr. 1983.

Milligan, G., *The New Testament Documents,* London, 1913.

Montefiore, C.G., *The Synoptic Gospels,* London, 1909

Morgan, G.C., *The Parables of Kingdom,* no date.

————, *The Gospel according to Matthew,* Revell, New York, 1929.

Morris, Leon, *The Gospel according to Matthew,* Eerdmans, 1992.

Pink, Arthur W., *An Exposition of the Sermon on the Mount,* Grand Rapids, 1950, repr. 1995.

Robertson, A.T., *Word Pictures in the New Testament,* London, 1930.

Robinson, Theodore H., *The Gospel of Matthew,* London, 1928, repr. 1947.

Schweizer, Eduard, *The Good News according to Matthew,* Atlanta, 1975.

Slater, W. F., *St. Matthew,* The New Century Bible, Edinburgh, no date.

Stanton, Graham, *The Interpretation of Matthew,* SPCK & Fortress Press, 1983.

Stendahl, Krister, *The School of St. Matthew and its use of the Old Testament,* Uppsala, 1954, Fortress Press, Philadelphia, 1968.

Stonehouse, N.B., *Origins of the Synoptic Gospels,* Grand Rapids, 1963.

Streeter, B.H., *The Four Gospels, A Study of Origins, Treating of the Manuscript Tradition, Sources, Authorship, and Dates,* London, Macmillan, 1924, repr. 1961.

Thiede, C.P. and M. d'Ancona, *Eyewitness to Jesus, Amazing New Manuscript Evidence about the Origin of the Gospels,* Doubleday, 1996.

Turner, C. H., *Studies in Early Christian History,* Oxford, 1912.

Wagner, Günter, *An Exegetical Bibliography of the New Testament, Matthew and Mark,* Georgia, 1983.

Warfield, B., *Biblical and Theological Studies,* Philadelphia, 1953.

Williams, A. Lukyn, *St. Matthew,* The Pulpit Commentary, Eerdmans, 1950, repr. 1961.

Yeager, O., *The Renaissance New Testament,* Vol. 1, Renaissance Press Inc., 1976.

Zahn, Theodore., *Introduction to the New Testament,* 3 vols., 1909, repr. 1977.

3. General Works

Bauer, W., *A Greek-English Lexicon of the New Testament and Other Early Christian Literature,* 1957.

Brown, R. E., Fitzmyer, J. A., Murphy, R. E., *The Jerome Biblical Commentary,* New Jersey, 1968.

Douglas, J. D., *New Bible Dictionary,* 1962, 2nd ed. 1982.

Encyclopedia Britannica, 1969.

Hastings, James, *Dictionary of the Apostolic Church,* Edinburgh, 1951.

Kittel, G., and Friedrich, G., eds., *Theological Dictionary of the New Testament,* 10 volumes, Grand Rapids, Eerdmans, 1964-1976.

Nestle, *Interlinear Greek English New Testament.*

Wright, G.E., *Biblical Archaeology,* Philadelphia, London, 1957.

Zondervan Pictorial Bible Encyclopedia, Grand Rapids, 1963.

المقـــدِّمة

تقديم: إنجيل القديس متى:

الإنجيل الأول بحسب ترتيب قانون الأسفار، ولكن يبدو أيضاً أن هذا جاء مطابقاً لأولوية تدوينه بحسب الأبحاث الحديثة جداً، لأن أصوله الأُولى - كما سندرس معاً - كُتبت باللغة الأرامية في زمن مبكِّر كأقوال λόγια سُجِّلت عن المسيح وبلغته. ويستمد إنجيل ق. متى أهميته القصوى الآن كونه إنجيل الكنيسة Ecclesiastical Gospel. فالكنيسة اعتمدت عليه منذ القديم جداً في تحضير قراءاتها ومواسمها ومراسيمها على مدى السنة. والذي يُدهش القارئ أن ق. متى وضع هذا في اعتباره وهو يدوِّن ويعلِّق على كل حادثة ومعجزة وحديث ومَثَل. فالكنيسة كانت مصوَّرة في ذهنه بصورتها الرسولية الأُولى، بخدَّامها ومُعلِّميها وشعبها. لذلك فهو يُعطي الصورة الحيَّة للكنيسة الأُولى مع معلِّمها.

وقد قدَّم للكنيسة أغلى أسرارها، فكان أول مَنْ أعلن سر بتولية ميلاد المسيح بصورة واضحة ومؤكَّدة، من واقع الحدث وبشهادة إشعياء النبي، في تطابق بديع. بل وهو الذي فتح الباب أمام ق. لوقا ليستزيد من أسرار الميلاد فاستوفاها من المصدر المقابل، لأن ق. متى لجأ إلى ق. يوسف أمَّا ق. لوقا فوقع على منبع السر من الطرف الآخر، من العذراء القديسة الطاهرة مريم، وكأنه قد وقع على كنز من الذهب الإبريز.

كما اهتم القديس متى باستيفاء كل أخبار القيامة وظهورات الرب، ولكن أكثر ما نحن مدينون به لإنجيل ق. متى هو استيعابه لكل تعاليم المسيح الأخلاقية التي سعى إليها حتى جمعها معاً في ثلاثة أصحاحات كاملة: الخامس والسادس والسابع معاً، في عظة المسيح المشهورة التي ألقاها على الجبل في بكور خدمته. وكأنه في عُرف ق. متى يُملي الشريعة الجديدة تكميلاً لتلك التي كانت لموسى: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء ... وأمَّا أنا فأقول لكم ...». والذي يصيخ السمع جيداً للقديس متى يتأكَّد أنه كان يرى المسيح بالفعل كموسى الجديد، وإن علا عليه علو السماء عن جبل سيناء.

والعظة على الجبل كما جاءت في إنجيل ق. متى جمعت وأوعت تعاليم الرب يسوع درراً ولآلئ باقية إلى اليوم بنضارتها وإلى باكر والأبد. وهي ترفع المنهج المسيحي في التعليم والتربية والأخلاق وبنيان النفس إلى أقصى ما يشتهي الإنسان والله.

ومَنْذا يرى المسيح على الجبل وهو يُملي شريعته الجديدة على ألواح القلب اللحمية ولا يقول إن الله قد صار معنا! فالقديس متى قدير أن يحقِّق لنا "عمانوئيل" وقد صار معنا في كل مواقف الإنجيل، إن كان وهو يعظ أو يتجلَّى!! أو وهو يكرز ويقول: «قد اقترب ملكوت السموات» (مت ١٧:٤)، أو حتى وهو يودِّع تلاميذه الوداع الأخير: «ها أنا معكم كل الأيام ...»؛ بل وفيما بعد ذلك في حياة الكنيسة وإلى الآن: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨:٢٠).

وهو إنجيل وُضع للعبادة، وكلماته تسري في البدن وتسرق الروح. إن سمع كلماته الصبي ظل يُردِّدها طول الحياة، وإن سمعها يهوديّ انفتح قلبه يظن أنه يسمع شرحاً للتوراة وتحقيقاً للناموس والأنبياء.

فالقديس متى يهوديّ عاشق لإسرائيل والتوراة والأنبياء، انفتحت عيناه على المسيح فرآه إسرائيل الجديد والتوراة والناموس الجديد وتحقيق كل الأنبياء. نظر فرأى يسوع الطفل وهو في حضن أُمه نازلاً إلى مصر ليتغرَّب هناك تغرُّب بني إسرائيل بنفره القليل هناك، وسمع الصوت هو الصوت: «ومن مصر دعوت ابني»! (هو ١:١١، مت ١٥:٢) وكأن هروبه من هيرودس وقد دبَّر قتله كهروب موسى من وجه فرعون وهو عازم على قتله. وتسمَّع الصوت وهو الصوت: «قد مات الذين يطلبون نفسك (نفس الصبي)» (خر ١٩:٤، مت ٢٠:٢)، وماذا نسمِّي هذا الحبك في الجمع بين الحادثة والحادثة ولصق التاريخ على التاريخ لينطق بالإنجيل موقَّعاً على التوراة، إلاَّ أنها سيمفونية روحية لعاشق القديم يتجلَّى بالجديد، ولا قديم ولا جديد بل هو عمل القدير طرحه على السنين لتحكيه على الأجيال ليتحقَّقه كل جيل برؤياه، ويمجِّد الذي قال أنا الأول والآخر البداية والنهاية أو الألف والياء.

والذي يقرأ إنجيل القديس متى على خلفية عمل الخلاص الذي برز فيه ق. بولس، يدرك من إنجيل ق. متى القيمة العملية الحقيقية بوضوح وعن قرب لتعاليم المسيح، التي نقلت التراث اليهودي من وضعه الضيق الخانق إلى التراث المسيحي الرحب الوسيع المفتوح الذراعين والقلب: «سمعتم أنه قيل: تُحبُّ قريبك وتُبغض عدوَّك. وأمَّا أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يسيئُون إليكم ويطردونكم.» (مت ٥: ٤٣و٤٤)

كان المسيح على حق حينما قال: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئتُ لأنقض بل لأُكمِّل» (مت ١٧:٥)، لقد التقطها ق. متى وجعلها محور إنجيله. فالمسيح عند ق. متى

هو قوة العهد القديم كما هو رجاء العهد الجديد. لذلك أصبح منوطاً به أن يحل لغز النـاموس الـذي كان قد احتـل قـاعدة اللاهـوت في العهـد القديـم وأخفـق إخفاقـاً ذريعـاً في التعـرُّف علـى المسيح "كمسيًّا" رجاء الناموس وقوته وكماله. وهكذا جاء ق. متى ليعلن ويـبرهن ويؤكِّـد أن المسيح هـو المسيًّا رجاء الناموس وكماله في العهد الجديد.

كان الناموس عاجزاً عجزاً فاضحاً، لا يستطيع أن يطيِّب قلب الخاطئ ولا يرد الأثيم عن إثمه، إذ لم يكن في يديه إلاَّ عقوبة الموت. وكأن الناموس كان يصرخ في أيدي قضاته بانتظار الـذي يكمِّلـه، والكل يشعر بانتظار مَنْ سيأتي ويخلِّص. كان هذا هو شعور المـرأة السـامرية الـتي عـبَّرت عـن هـذا النقص الفادح أعظم تعبير: «قالت له المرأة: أنا أعلم أن مسيًّا الذي يُقال له المسيح يأتي، فمتى جـاء ذاك يخبرنا بكل شيء» (يو ٤: ٢٥). فرد المسيح عليها بأعظم رد: «قال لها يسوع: أنا الذي أُكلِّمكِ هو.» (يو ٤: ٢٦)

كان القديس متى يُدرك هذا إدراك يهودي لاوي بـل وفرِّيسي رابِّي[١]!! لهـذا قـدَّم المسـيح في إنجيله كأعظم ما يقدَّم لليهود، قدَّمه بصفته المسيًّا، مكمِّل النـاموس وصـانع الخـلاص والمكمِّـل كـل نقص! وكلمة "مكمِّل الناموس" عند ق. متى تعني: مَنْ يُجبر نقصانه ويعطيه قوته وسلطانه، سلطان مغفرة الخطايا والمُصالح الذي يبرِّر الخاطئ: «ولا أنا أدينكِ، اذهبي ولا تخطئـي أيضـاً» (يـو ٨: ١١)، وقال للمفلوج: «مغفورة لك خطاياك ... قم احمل فراشك واذهب ...» (مت ٩: ٥و٦). هذا هو مسيًّا الناموس الجديد!

حينما قال المسيح إنه «رب السبت» (مـت ١٢: ٨)، كشـف في الحـال عـن علاقتـه بالنـاموس، فالناموس لم يكن سوى خادم تدبير الله، أمَّا المسيح فجاء وأثبت أنه صاحب التدبـير. وهـذه كـانت مصيبة الكتبة والفرِّيسيين إذ كانوا عائشين يعلِّمون ويحكمون بناموس ناقص، لأنهم به وبواسـطته لم يتعرَّفوا على صانعه وربِّه ومكمِّله. لذلك قال المسيح إنهم يعلِّمون بتعاليم هي وصايـا النـاس وتقليـد

(١) يُقرِّر العالِم البرايت اعتماداً على دائرة المعارف اليهودية ***The Jewish Encyclopaedia*** وعلى قاموس كيتل للعهد الجديد، أن اللاوي في أيام المسيح كان من الطبيعي أن يكون من طغمة الفرِّيسيين، وأن يكـون متعلِّمـاً ومـن أصحـاب العقيـدة اليهودية الأرثوذكسية (أي غير منحرف للفئات). ولأن الهيكل في أيام المسيح كان وقفاً على الكهنة ورؤساء الكهنة من طغمـة الصدوقيين، هذا أجبر جماعة اللاويين أن يبحثوا عن عملٍ بعيداً عن طقوس العبادة في الهيكـل، وهـذا يعلِّـل لمـاذا كـان ق. متـى يشتغل كعشَّار للهيئة السياسية خصوصاً وأنه كان متعلِّماً ويعرف اللغات.
W.F. Albright and C.S. Mann, *Matthew,* The Anchor Bible 26, 1971, p. CLXXVIII.

الشيوخ (انظر: مت ١٥:٩).

وبقدر ما كان الناموس عند بولس الرسول مقدساً والوصية صالحة وعادلة، بقدر ما انشغل بولس بالمواجهة الملتهبة مع الفرِّيسيين والناموسيين، وقطع في تعليمه باستغناء إنجيله عن الناموس كلياً، ذلك لأن الناموس بلغت قسوته على أيديهم أنه كان يدوس على الخاطئ، أمَّا الإنجيل فيحمِّله بالنعمة: «لستم تحت الناموس بل تحت النعمة» (رو ٦: ١٤)؛ فبالتدقيق نجد أن ما جاهد فيه ق. بولس لكي يُنحِّي الناموس نجح فيه ق. متى بكلمة واحدة قالها المسيح ليلغي دور الناموس كلياً ونهائياً: «أريد رحمة لا ذبيحة» (مت ٩: ١٣، ١٢: ٧)، **والناموس لا يقوم إلاَّ على ذبيحة.**

كذلك فالناموس لا يعرف الرحمة قط، فهو عدو الخاطئ والآمر بقتله، والمسيح يقول: «لم آتِ لأدعو أبراراً (بالناموس) بل خطاة إلى التوبة» (مت ٩: ١٣)، وقرَّر الفرِّيسيون أنفسهم أن المسيح كان محباً للعشَّارين والخطاة (مت ١١: ١٩).

من أجل ذلك يُحسب لاهوت إنجيل ق. متى بالرغم من ميله إلى اليهود إلاَّ أنه الأكثر اعتدالاً وتوسُّطاً في معاداته لليهودية.

القديس متى الرسول:

قبل أن ينخرط في سلك التلمذة للمسيح كان القديس متى يُسمَّى "لاوي"، وكان عشَّاراً، ربما على مستوى رسمي كمأمور ضرائب يجمعها لحساب الدولة الرومانية المحتلة، لذلك كان هو وكل العشَّارين مكروهين من اليهود. ويبدو أنه كان يجمع ضرائب ترانزيت للبضائع القادمة من سوريا عبر بحيرة طبرية ليصير حصرها وأخذ الضريبة لمرورها عبر طريق كفرناحوم - قيصرية على البحر الأبيض، ومنها إلى روما وقبرس والإسكندرية.

ولمَّا دعاه المسيح أخذ اسم متى ويعني: "عطية الله"، وإذا عاد القارئ إلى (مت ٩: ٩، مر ٢: ١٤، لو ٥: ٢٧) يتأكَّد من هذا، لذلك يلزم أن نعلم أن اسم متى واسم لاوي هما لشخص واحد رسول وإنجيلي بآن واحد.

ومن القديس كليمندس الإسكندري(٢) نعرف أن القديس متى كان أكثر التلاميذ التصاقاً بعشَّاق النسك اليهودي، الذين لا يأكلون لحم الحيوان على الإطلاق. ويعطينا التقليد الكنسي أن

(2) Clement of Alex, *Paedag.* II. 1.

القديس متى ذهب كارزاً إلى أثيوبيا(٣) علماً بأنه كان ولا يزال هناك جالية لليهود كبيرة، ويذكّرنا بذلك وزير كنداكة ملكة الحبشة الذي تجشّم مشاق رحلة مضنية من أثيوبيا حتى فلسطين ليحضر الفصح حتى عيد الخمسين، فكان أول مَنْ قَبِلَ المسيحية في الحبشة. كما يقرِّر العالِم كيف(٤) أن القديس متى ذهب إلى مكدونية وكثير من بلاد أسيا الصغرى. على أن كرازته كانت بين اليهود، وكان حاملاً بيده إنجيله الذي كتبه باللغة العبرية، وسوف يأتي الكلام عنه. ويقول المؤرخ سقراط إنه تنيَّح في أثيوبيا. ولكن يرجِّح ايسيذوروس من سيفيل (أشبيليه) أنه تنيَّح في مكدونية. ويقول هيراكليون كما ذكره كليمندس الإسكندري(٥) إنه مات ميتة طبيعية، ولكن يقرِّر نيسيفوروس أنه مات شهيداً (٢: ٤١)، وقد تسجَّل ذلك في تاريخ الشهداء الروماني حيث ذكر يوم استشهاده في ٢١ سبتمبر، ولكن الكنيسة اليونانية تحتفظ بيوم استشهاده في ١٨ نوفمبر، كما يسجِّل ذلك تشندورف في أعمال الشهداء الرسوليين صفحة ١٦٧(٦). وأمَّا الكنيسة القبطية فقد حفظت ذكرى استشهاده في ١٢ بابه.

ويقول العالِم ستاندال في كتابه نقلاً عن العالِم دوبشوتز(٧) إن ق. متى كان على الأرجح "رابي" سابق في اليهودية وقد تحوَّل إلى المسيحية، وهذا يزكيه أسلوبه ومنهجه في إنجيله. ويُعتبر أنه أقوى كاتب متمرِّس على منطق الربِّيين بين التلاميذ بل وفي الكنيسة الأُولى. وقطعاً كان للقديس متى معارف يهودية تنتمي لفكر الربيين دخل بها إلى المسيحية لتوافقها مع تعاليم المسيح، فكان يتحرَّك في المسيحية بعقلية معلم رابي منفتح على المسيح حتى الأعماق؛ بل ودخل معه أسلوب الحوار الذي كان عند الربيين ولكن لم يخرج به عن التقليد المسيحي الكنسي، علماً بأن المسيح كانت له مثل هذه السمات، فهو معلِّم إسرائيل والساعي وراء خراف إسرائيل الضالة. لذلك قدَّم لنا ق. متى بانوراما حوارات المسيح مع الكتبة والفرِّيسيين والناموسيين بمهارة فائقة، أثبت فيها حجة المسيح بصورة مقنعة وبسلطان. فظهر إنجيل ق. متى بهذه السمات أكثر من أي إنجيل آخر. وبهذه السمات عينها نشأت نقطة اتصال كبيرة وهامة مع العقلية اليهودية آنذاك وإلى اليوم. فنحن

(3) Rufinus, *H.E.* x, 9; Socrates, *H.E.* I, 19; Nicephorus, ii, 41.

(4) Cave, *Antiq. Ap.*, p. 553 ff, cited by A.H.W. Meyer, *op. cit.*, p. 2.

(5) Clement of Alex., *Strom.* IV, 9.

(6) A.H.W. Meyer, *op. cit.*, pp. 1,2.

(7) E. von Dobschütz, cited by Krister Stendahl, *The School of St. Matthew and its Use of the Old Testament*, Uppsala, 1954, p. 30.

لا نستهين بسمة إنجيل ق. متى التي أضفاها على شخصية المسيح كونه موسى الجديد، وأنه إسرائيل الجديد، وأنه كمال الناموس، وإن كانت غير بارزة بل مفهومة بكل وضوح، إنما عن صحة وقناعة. لهذا أصبح هذا الإنجيل يُسمع جيداً عند العقلية اليهودية، فهو مسنود بالمنطق اليهودي (الربَّاني). لهذا ندرك الآن تماماً لماذا أفرد ق. متى لحوارات المسيح مع الكتبة والفرِّيسيين فصولاً بأكملها. ولهذا أصبح إنجيل ق. متى بالنسبة للكنيسة المسيحية الأُولى حجة في يد اليهودي المتنصِّر والأُممي المتعمِّد ضد محاولات اليهود المتعصبين.

لذلك لا نحسبنّ انعطاف إنجيل ق. متى ناحية اليهود أنه بقايا عنصرية يهودية لرابِّي قديم، ولكنه عن قصد وتدبير سابق. فشغل ق. متى الشاغل كان أن يخدم قضية مسيحية بالدرجة الأولى، وهي التعريف بشخص يسوع المسيح لليهود أنه هو المسيَّا ابن الله، والذي كان يجب أن يدرك اليهود منه ذلك. ولكن من وسط ركام عدم الإيمان والمقاومة والعداوة والخصام، فقد استُعلنت شخصية يسوع أنه المسيَّا، وهذا ما نطق به بطرس الرسول: «أنت هو المسيح (المسيَّا) ابن الله الحي» (مت ١٦:١٦) كإعلان سماوي من الآب: «إن لحما ودماً لم يُعلن لك لكن أبي الذي في السموات.» (مت ١٦:١٧)

ولكن إن كان انشغال ق. متى باليهود هو هاجسه الأول، فعينه كانت مثبَّتة على الأُمم، حتى وفي الأنساب التي افتتح بها إنجيله لم يحجم ق. متى أن يدسَّ شخصيات أُممية ليؤكِّد اتجاهه. وفي ميلاد المسيح يكشف الستار عن زيارات أُممية عاجلة آتية من الشرق البعيد لتشاهد وتشهد وتسجد للملك المولود ملك اليهود، تعبيراً بديعاً عن نبوة دخول الأُمم في ملكه السعيد. ولسلامة حياة الطفل المولود لزم الهروب إلى مصر، أرض حضارة كل الأُمم، ليستريح على صدرها المريح كما استراح يوسف يوماً ما. وحتى بعد عودته من مصر اتجه بإشارة إلهية إلى جليل الأُمم ليستوطن وتستوطن معه الرسالة هناك.

وفي خدمة المسيح تبرز نجوم لامعة أفرزتها الأُمم لتنال بها حظوة وشهادة، إذ يعلو بريقها فوق إيمان كل إسرائيل!! فهنا قائد المائة (أصحاح ٨) الذي بأدب الأمم تكلَّم فاستحسن المسيح كلامه: «يا سيد لستُ مستحقاً أن تدخل تحت سقفي» (مت ٨:٨)، وكأنه يتبنّى شعور كل الأُمم آنذاك! فكانت شهادته أن "تعجَّب" المسيح من حسن منطقه وشهد له وقال: «الحق أقول لكم: لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا» (مت ٨:١٠). وكأنما المسيح يحكي عن الإيمان الذي ملأ كل الأرض. وفي ذلك اليوم رفع المسيح بصره إزاء عناد الكتبة والفرِّيسيين، وهو حزينٌ مغموم، فنظر وأبصر من

بعيد الأُمم صفوفاً صفوفاً بأكاليل لامعة آتية مـن بعيـد مـن أطـراف كـل الأرض، لتسـتريح بإيمانهـا المسيحي في حضن إبراهيم وتسـتوطن الملكـوت، وأبنـاؤه مطروحـون خارجـاً (مـت ٨: ١١و١٢). وهكذا أعطى القديس متى صورة للملكوت تتخطّى الجنسيات والعصبيات.

وشيئاً فشيئاً يخرج ق. متى بذرة الأُمم كشعب الله الجديد وهو يخرج من عمق التراث اليهودي.

لذلك يخطئ مَنْ يظن أن ق. متى كان منحصراً في يهوديته، فهو كان يهودياً نعم، ولكـن بقـدر ما يفوز بالمسيًّا من عقر دارهم لينطلق به إلى عالم مسيًّا. فهـو لا ينكـر أنـه مـن قبيلـة لاوي، ولكنـه يؤكّد أنه لا ينحصر ولا يرضى بأقل من العالم كله: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم!!» (مت ٢٨: ١٩)

وهكذا يكشف لنا ق. متى واقع صراع الكنيسـة الأُولى الفتيـة، الـتي كـانت تضـم الاثـني عشـر ومعهم الشمامسة السبعة، وهي في محاولتها الأُولى لتمتد نحو الأُمم حسب قول المسيح، الذي نسـمع رنينه في أول مجمع لأُورشليم: «وبعدما سكتا (بولس وبرنابـا) أجـاب يعقـوب قـائلاً: أيهـا الرجـال الإخوة، اسمعوني. سمعان (بطرس) قد أخبر كيف افتقد الله أولاً الأُمم ليأخذ منهم شعباً علـى اسمـه. وهذا توافقه أقوال الأنبياء، كما هو مكتوب (انظر عا ٩: ١١): سأرجع بعد هذا وأبـني أيضـاً خيمـة داود الساقطة وأبني أيضاً ردمها وأُقيمها ثانية، لكي يطلب الباقون مـن النـاس الـرب، وجميـع الأُمـم الذين دُعي اسمي عليهم، يقول الرب الصانع هذا كله. معلومةٌ عند الرب منـذ الأزل جميـع أعمالـه» (أع ١٥: ١٣-١٨). وهذه الحركة المباركة والمبكِّرة جداً نحو الأُمم لخَّصهـا ق. متـى بقـوة وشمـول وتأكيد إلهي كعمل الكنيسة الأول والأساسي.

ولنا في حياة الكنيسة الأُولى وخدمتها، وما بلغنا من بقايا مخطوطات وتعاليم، ما يؤكّد أن إنجيـل ق. متى كان هو إنجيل الليتورجيا في كل أنواع عبادتها وطقوسها. فكان إنجيل ق. متى مـن ضمـن المحفوظات التي تغلغلت حياة المؤمنين وغرستْ تقليد الكنيسة المبكِّر جداً. ويؤكّد العالِم أوجسـبرجر أن إنجيل ق. متى هو منبع الإلهام بالتجديد(٨).

وفي نهاية هذه المقدِّمة المختصرة نقدِّم شهادة أحد عظمـاء الألمـان في الكتـاب المقـدَّس القدامـى، وهو ثيؤذور زاهن (١٨٣٨-١٩٣٣)، وهو عالم محافظ ومدقِّق ومدافع عـن الإنجيـل، وقـام بشـرح إنجيل ق. متى سنة ١٩٠٣م. يقول زاهن:

(8) M.S. Augsburger, *Matt.* pp. 17, 18.

[إن عمل (أي إنجيل) ق. متى هو غنيٌّ بدرجة فائقة بالنسبة لمحتوياته، وإنه كُتب بناءً على تصميم وُضعت خطته قبل البدء فيه، وقد تمَّ تنفيذ هذه الخطة بأدق ما يمكن من التفاصيل وبإدراك وتصور عالٍ. وقد استخدم مواد الإنجيل بعد إخضاعها لرؤية فكرية عظيمة حقًّا، حتى أننا نستطيع أن نقول إنه لا يوجد أي كتابة في العهد الجديد أو القديم تعاملت مع أهداف تاريخية يمكن أن تقارن بإنجيل ق. متى.][٩]

كما يقول أيضاً العالِم جودسبيد:

[إن إنجيل ق. متى يعتبر أنجح كتاب كُتب على وجه الإطلاق.][١٠]

(9) Theodore Zahn, *Introduction to the New Testament,* vol. II, p. 556.
(10) E.J. Goodspeed, cited by W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 79.

أولاً: التقليد القديم الخاص بكتابة إنجيل القديس متى

١ – الأصالة الرسولية لإنجيل القديس متى واللغة التي كُتب بها

لقد بدأ القديس متى بكتابة إنجيله ليس بشكله الحاضر باللغة اليونانية ولكن باللغة التي كان يسمعها من المسيح، أي باللغة الأرامية والعبرانية، وهذه الحقيقة تقدِّم لها كل الشواهد بالتأكيد. وأول إشارة وصلتنا هي عن المؤرِّخ يوسابيوس نقلاً من مخطوطة تحكي أن بابياس أسقف هيراكليا بآسيا الصغرى يقول: [متّى كاتب (جمع معاً) كل الأحاديث باللغة العبرية Ἑβραΐδι διαλέκτῳ τὰ λογία συνεγράψατο وعنه أخذ كل واحد وشرح بقدر ما استطاع.][1]

وهذه المعلومة ينقلها بابياس عن الرسل أنفسهم. ويقص القديس إيرينيئوس قائلاً: [إن متى أيضاً كتب إنجيلاً بين العبرانيين بلغتهم الخاصة.][2]

كما أن هناك شهادة أخرى ذات وزن عالٍ، وهي شهادة المؤرِّخ يوسابيوس عن بنتينوس الإسكندري يقول فيها:

[يُقال عن بنتينوس إنه ذهب إلى الهند (سنة ١٩٥م) فوجد هناك إنجيل ق. متى بين مسيحيي تلك الديار، الذين كان قد خدمهم برثلماوس أحد الرسل وترك بينهم إنجيل القديس متى باللغة العبرانية الذي كان معهم حتى ذلك الوقت.][3]

ويؤيِّد هذا الخبر القديس جيروم[4]، علماً بأن بنتينوس كان علاّمة ويُتقِن العبرية ويستطيع أن يُميِّز الإنجيل الذي رآه. ومعروف أن كل الكرازة في بلاد العالم كانت تتركَّز في البداية بين اليهود، وكان من الأمور الهامة جداً أن يكون بين أيديهم إنجيل بلغتهم. من هنا جاءت أهمية إنجيل ق. متى باللغة العبرية.

(1) Eusebius, *H.E.* III, 39, cited by in A.H.W. Meyer, *op. cit.*, p. 4.
(2) Irenaeus, *Adv. Haer.*, III, I, 1.
(3) Eusebius, *H.E.* V, 10.
(4) Jerome, *De vir. illust.*, *36*.

وإليك أيضاً شهادة من أوريجانوس كما سجَّلها يوسابيوس: [الإنجيل الذي بُدئ بكتابته بواسطة القديس متى، الذي كان سابقاً عشَّاراً وبعد ذلك رسولاً ليسوع المسيح، كتبه بالعبرية وسلَّمه للمؤمنين اليهود](٥). ثم يكمِّل أوريجانوس قائلاً: إن هذا هو التقليد الذي استلمه ὡς ἐν παραδόσει μαθών، وأوريجانوس لا يُستهان بعلمه وتقاريره فكلها يأخذها جميع العلماء أخذ ثقة واحترام. ويقرِّر يوسابيوس: [لأن القديس متى إذ كان قد كرز سابقاً لليهود بالعبرية، فحينما دُعي للخدمة إلى بلاد أخرى سلَّمهم الإنجيل بلغتهم، لكي يسد إنجيله عن وجوده بينهم.](٦)

وينقل لنا العالِم ماير عن يوسابيوس أيضاً: [لقد قُرئ (الإنجيل) في مساء السبت بواسطة مترجم، لأن متى كتب إنجيله باللغة العبرية.](٧)

ويشهد القديس كيرلس الأُورشليمي في عظاته التعليمية قائلاً: [إن القديس متى الذي كتب إنجيله بالعبرية هو الذي قال هذا.](٨)

ويشهد القديس إبيفانيوس قائلاً: [إن متى هو الوحيد بين كُتّاب العهد الجديد الذي سجَّل الإنجيل وكرز به بين الغبرانيين وبالحروف العبرية.](٩)

كذلك يشهد ق. إبيفانيوس عن قصة رجل يهودي متنصِّر كيف اكتشف إنجيل القديس متى بالعبرية داخل خزانة مغلقة(١٠).

كما يشهد جيروم في مقدِّمة شرحه لإنجيل ق. متى: [إن متى في اليهودية كتب إنجيله باللغة العبرية أساساً من أجل منفعة اليهود الذين يؤمنون بالمسيح](١١). كما يشهد في كتابه: "مشاهير الرجال" إنه وجد نسخة من إنجيل ق. متى بالعبرية في بيريه Beroea بسوريا وقام بنسخه حرفياً(١٢). ويكرر هذا الخبر عدة مرَّات في كتاباته الأخرى(١٣). كذلك لنا شهادة غريغوريوس

(5) Eusebius, *H.E.* VI, 25.
(6) Ibid, III, 24.
(7) Eusebius, *Ad Marin, Quaest,* II, cited by A.H.W. Meyer, *op. cit.*, p. 5-6.
(8) Cyril of Jerusalem, *Catechet.*, 14.
(9) Epiphanius, *Haer,* XXX, 3.
(10) Ibid. L 1,5; XXX, 6.
(11) Jerome, *Praef. in Matt.*
(12) Ibid., *De Vir. illustr.* 3.

النزينزي وذهبي الفم وأوغسطينوس وبقية الآباء، وشهادات آباء الكنيسة السريانية الـتي قـام بجمعهـا العالِم السمعاني(١٤).

كل هذه الشهادات مضافاً إليها التقليد الراسخ المسلّم للآباء إنما توفّـر يقينـاً ضـد كـل محـاولات النقد الجزافي في الكتب الحديثة. فالمتيقن في الكنيسة منذ البدء أن ق. متى كتب إنجيله أولاً بالعبرية.

ولكن الأسباب التي حاقت بالنسخ الأُولى لهذا الإنجيـل المكتـوب باللغـة العبريـة فأفقدتـه رصانتـه وقانونيته ثم وجوده، هي حيازة هراطقة كثيرين لإنجيل ق. متى بالعبرية المحرَّفة(١٥) مما جعل الكنيسة تبتعد عنه، هذا بجوار أن استخدامه بين اليهود توقّف فتوقّفت نساخته حتى ضاع الموجود منه.

وبالمقابل فإن وجود النسخة اليونانية من قديم الزمان، واعتماد الكنيسة عليها، جعـل **في الظـاهر** أن إنجيل ق. متى باللغة اليونانية هو الأصلي، ولكن الشواهد التي يقدّمها العالِم الألماني مـاير بأسمـاء العلماء الذين **يشهدون بوجود النسـخة العبريـة**، ثـم كيـف انتقـل الثقـل إلى الإنجيـل المـترجم للغـة اليونانية، ربما تملأ صفحة بأكملها. كذلك محاولة كثـير مـن العلمـاء لجعـل إنجيـل ق. متـى بالعبريـة ينتسب لإنجيل العبرانيين المنحول المكتوب بالعبرية أصلاً هـو افـتراء محـض، ويشـهد بذلـك القديـس جيروم الذي يثبت أنه يعرف كلا الإنجيلين والفارق الكبـير بينهمـا. علـى أن إنجيـل العـبرانيين الـذي كان في يد الهراطقة محسوب أنه إنجيل مزيَّف منذ زمان طويل جداً.

والترجمة التي حدثت لإنجيل ق. متى من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية جـاء فيهـا (الشـواهد مـن السبعينية) ما يوحي أنها غير مترجمة من العبرية، بسبب أن معظم الاقتباسات التي مـن العهـد القديـم مأخوذة من النسخة السبعينية وهي باليونانية. ولكن يـرد علـى ذلـك العـالِم مـاير بقولـه: إن الـذي يترجم إلى اللغة اليونانية لا يأخذ الشواهد من الأصل العبري، بل من الأسهل له جداً أن يعتمد علـى السبعينية اليونانية. ولكن يذكر العالِم ماير أن هنـاك أيضـاً عـدة استشـهادات مـن العهـد القديـم في الإنجيل اليوناني للقديس متى مأخوذة من التوراة العبرية.

ومن الثابت علمياً وتقليدياً أن النسخة اليونانية لإنجيل القديـس متـى الـتي بـين أيدينـا اليـوم هـي

(13) Ibid., *Ep. ad Damas*. IV; *ad Hedib*. IV; *in jes*. III; *in Hos*. III.

(14) Assemani, *Bible. Orient. III*, p. 8.

(١٥) وقد تُرجم هذا الإنجيل أي إنجيل متى بعد أن حذف منه الهراطقة ما يخص لاهوت المسيح فسُمّي بـالإنجيل المنحـول وسُمّي أتباعه "بالنصارى" في بلاد العرب.

نسخة مترجمة من الأصل العبري، ويؤكِّد هذا جميع الشواهد القديمة التي عثرنا عليها في شهادات الآباء القدامى. على أن النسخة اليونانية هي ترجمة طبق الأصل من العبري بحسب دراسات العلماء، والذي يثبت ذلك باليقين أن الكنيسة بدأت تستخدم النسخة اليونانية بنفس زمن قدم النسخة العبرية، فلو كان هناك أي اختلاف لكانت رفضته الكنيسة. وتهمّنا جداً **شهادة القديس جيروم في ذلك لأنه كان يمتلك نسخة بالعبرية نسخها بيده من النسخة التي وجدها في سوريا**، وكان يمتلك في نفس الوقت النسخة اليونانية، ولم يُشِر إطلاقاً إلى أي اختلاف بينهما. وقد أشار ق. جيروم في شرحه لإنجيل ق. متى إلى أن النسخة اليونانية هي ترجمة حرفية من النسخة العبرية.

وقد قدَّم يوسابيوس شهادته في ذلك مؤكِّداً صحة شهادة ق. جيروم. لذلك يشجب العالِم الألماني ماير كل محاولة لجعل الترجمة اليونانية لإنجيل ق. متى بالعبرية ترجمة غير ملتزمة أو بحرِّية أو ذات إضافات، ويستشهد على ذلك بعدة شخصيات علمية ألمانية.

ولكن الذي نقبله علمياً هو أن ق. متى لم يؤلِّف إنجيلاً بالمعنى التحريري، ولكنه بحسب تقرير بابياس المنقول إلينا من خلال يوسابيوس (*H.E.* III, 39): [متى كتب (أو جمع معاً) كل الأحاديث τὰ λογία συνγράψατο] التي تعني: "جمع أو وضع الكلام معاً في ترتيب".

ويُلاحَظ هنا أن القديس متى لم يقم بشرح الأقوال المنقولة، ولكنه قام فقط بتجميعها على هيئة مجموعة منسَّقة Collection.

وهكذا أمكن للعالِم ماير أن ينتهي في بحثه بأن إنجيل ق. متى بحسب بابياس هو عملية جمع وتنسيق لأقوال المسيح، ذلك باللسان العبري، ولكن لم يصل إلى المفهوم الكامل للترتيب التاريخي للإنجيل. غير أن ذلك لا يمنع أن يكون ق. متى قد أعطى مقدِّمات للأقوال تكون ذات مفهوم تاريخي. وهكذا يكون قد أعطى إنجيلاً بالعبرية يكفي أن يكون متكاملاً، الذي بمقتضاه أخذ ق. متى لقب صاحب هذا الإنجيل الذي دُعي: "الإنجيل بحسب القديس متى" بملء الصحة والالتزام!! غير أنه بترجمته إلى اللغة اليونانية يصح أن يكون العنصر التاريخي فيه قد ازداد وضوحاً، وبذلك قبلته الكنيسة حائزاً على قانونيته باعتباره التأليف الأصلي للقديس متى، ذلك بحسب وجهة نظر كل من إيرينيئوس وأوريجانوس ويوسابيوس وإبيفانيوس وجيروم والآخرين.

كذلك فالذي نفهمه من عملية الترجمة من العبرية إلى اليونانية أن الإنجيل العبري قد حاز بالضرورة عملية تنسيق تنقيحي ليدخل إلى اللسان اليوناني، ولكن لكي يدخل تحت تقديس كلمة

رسولي كان يتحتّم أن يكون بنفس روح وفهم الأصل العبري الـذي اضطلـع بـه ق. متـى الرسـول، الأمر الذي حاز به أن تؤخذ منه الشواهد والنصوص لـدى الآبـاء باعتبـار أنهـا علـى ذمـة ق. متـى الرسول. على أن آخر **شاهد لوجود إنجيل ق. متى الأصلي باللغة العبرية هو القديس جيروم(١٦) كما وجده في مكتبة بامفيليوس في قيصرية.**

أمّا مترجم إنجيل القديس متى من العبرية إلى اليونانية، فبحسـب الفحـص العلمـي الدقيـق لواقـع الإنجيل باللغة اليونانية، يتضح أن المترجم هو شخص واحد بمفرده بسبب الأسلوب والنمـط الواحـد في التعبير الذي يسري في كل أجزاء الإنجيل(١٧). أمّا مَنْ هو هذا الشخص الـذي قـام بهـذه الترجمـة فيقرِّر جيروم أنه ليس لديه تحقيق مقنع لأن الآراء كثيرة للغاية. فمن قائل إنه القديس متى نفسه لأنه كان يعرف اللسان اليوناني، ومن قائل بل تلاميذه، أو أحد الرسـل أو ربمـا ق. يوحنـا الرسـول، أو تحت عناية عدَّة رسل، فهي تخمينات لا يؤيدها برهان.

▪ ويقول العالِم روبرتسن: [لا يوجد أي سبب حقيقي يمنع أن يكون ق. متى هو كـاتب إنجيلـه باللغتين العبرية واليونانية.](١٨)

▪ كذلك يقول العالِم ر. ك. هـ. لينسكي: [إن ق. متى هو مؤلف إنجيلـه بأكملـه، وقـد دعَّمـه ببعض المقولات باللغة العبرية.](١٩)

▪ ويقول العالِم س. جريدانوس: [إن ق. متى هو الذي كتب إنجيله باللغة العبرية، ولكـن الـذي ترجمه إلى اليونانية ربما كاتب آخر.](٢٠)

▪ أمّا العالِم ن. ب. ستونهاوس فيعتقد أن رسولية إنجيل ق. متى راسخة في الكنيسة بكل مـا في الكنيسة القديمة من تقليد.](٢١)

---

(16) Jerome, *De vir, illust.*, 3.

(17) Credner, *Einleit.* § 37; Holtzmann cited by A.H.W. Meyer, *op. cit.*, p. 11.

(18) A. T. Robertson, *Word Pictures in the New Testament*, vol I, p. XI.

(19) R. C. H. Lenski, *Interpretation of St. Matthew's Gospel*, p. 18.

(20) S. Greijdanus, cited by W. Hendriksen, *Exposition of the Gospel according to Matthew*, p. 93, n. 110.

(21) N. B. Stonehouse, *Origins of the Synoptic Gospels*, pp. 46,47.

▪ والعالِم ر. هـ. جوندري يؤكِّد أن ق. متى هو حقًّا الذي كتب الإنجيل المعروف باسمه(٢٢).

▪ كما يؤكِّد هذا العالِم أيضاً أن ق. متى كان مُلماً بعدة لغات، وهذا واضح من اقتباساته من العهد القديم سواء من السبعينية أو العبرية، لأنه يوجد امتزاج عجيب في الآيات المقتبسة من السبعينية اليونانية مع التوراة العبرية وبقايا الأرامية(٢٣).

▪ كما يؤكِّد العلاَّمة جوودسبيد ومعه العلاَّمة ج. ميليجان(٢٤) أن ق. متى كان يعرف الكتابة المختصرة short-hand وقد حقَّقا ذلك باكتشاف وثائق على البردى، إذ وجدا في إحداها حرفي: (KS) وهي اختصار كلمة Kyrios. ويؤكِّد العالِم تييد(٢٥) - وهو عالم البرديات الألماني - أن استعمال طريقة الاختزال هذه - خاصة في اسم الرب - هي نفس طريقة اليهود في اختزال اسم الله يهوه YHWH بهذه الحروف الأربعة تعبيراً عن اسم الله باختصار، وقد ضاع نطقها الأصلي بمرور الزمن وبقي الاختصار بالحروف الأربعة. علماً بأننا قد رجَّحنا أيضاً طريقة الكتابة المختصرة عند القديس مرقس إذ رأينا أنه كان يسجِّل مباشرة من فم المسيح.

وتقول بعض التحقيقات إن ق. متى خدم بإنجيله أول ما خدم في الجليل موطن الأقوال المستقاة، وعلَّم اليهود بمقتضاه حسب وصية الرب والمخلِّص أن يكرزوا في أُورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.

وقد قام العلاَّمة ماير الألماني بعملية مسح دقيق لإنجيل ق. متى فوجده مقسَّماً بحذق إلى خمسة أقسام على نمط تقسيم التوراة، كما سيأتي بالتفصيل.

---

(22) R. H. Gundry, *The Use of the Old Testament in St. Mattew's Gospel*, pp. 181-185.

(23) Ibid., pp. 174-178.

(24) E. J. Goodspeed, *Matthew, Apostle and Evangelist*, pp. 57-76; G. Milligan, *The New Testament Documents*, 1913: p. 241-247.

(25) Carsten Peter Thiede and M. d'Ancona, *Eyewitness to Jesus, Amazing New Manuscript Evidence about the Origin of the Gospels*, Doubleday, 1996, pp. 142 f.

٢ – تاريخ كتابة إنجيل القديس متى

بالنسبة لزمن تدوين القديس متى لإنجيله باللغة العبرية، فالكنيسة تحدِّد ميعاد هـذا العمـل كـأول إنجيل بين الأنـاجيل القانونيـة. فأوريجـانوس يقـول ذلـك عـن طريـق يوسـابيوس (*H.E.* VI, 25) وإبيفانيوس في كتابه ضد الهراطقة (*Haer.* L 1,4). ويقول يوسابيوس إن القديس متى كتب إنجيلـه قبل أن يرحل عن البلاد، أي الجليل (*H. E.* III, 24). أمَّا إيرينيئوس فيقول: إن ذلك تمَّ بينما كـان بطرس وبولس في روما يخدمان (*Haer.* III 1,2). ولكن بـين هذيـن الحدثـين توجـد مسـافة زمنيـة كبيرة. ولكن المعروف منطقياً أن ق. متى جمع إنجيله في زمن مبكِّر جداً عن زمن إذاعته في الكنيسـة باعتباره إنجيلاً قانونياً. ثم أيضاً إن ظهور النسخة المترجمة كان بعد فـترة طويلـة مـن تجميـع النسـخة العبرية الأُولى. وهذا حتماً يكون قبل خراب أُورشليم بالنسبة للنسخة المترجمة، علماً بأن في سنة ٦٦ بدأت بوادر الحرب والحصار والتهديد بمهاجمة الجليل وامتلاكها.

ويحدِّد العلماء أن ما قبل حدوث رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي – حسـب قـول المسيح – هو أقصى ميعاد لوجود ق. متى في اليهودية، لأنه بعدها مباشرة استولى الرومان على الجليل. لذلك يؤكِّد العالِم هيلجنفيلد أن أقصى ميعاد محتمل لكتابة القديس متى لإنجيله هو بين سنة ٥٠–٦٠م(٢٦).

ولكن يعطي أيضاً العالِم ماير(٢٧) شهادة من يوسابيوس القيصـري في كتـاب التواريـخ *Chronicon* أن تاريخ كتابة ق. متى لإنجيله هو سنة ٤١م. والمـؤرِّخ Cosmas Indicopleustes يحـدِّده بزمـان رجم استفانوس. كذلك يعطي ثيئوفلاكت ومعه يوثيموس زيجابينوس ميعاد كتابة إنجيل ق. متـى في السنة الثامنة لصعود المخلِّص، حيث تكون بالتقريب سنة ٤١م أيضاً، وهذا فيما يختص بالأصل العبري.

ولكنه بحسب كتاب التواريخ *Chronicon* الإسكندري وبحسب نيسيفورس كان ١٥ سنة بعـد الصعود وهذا يعني سنة ٤٨م.

ويعطينا العالِم زاهن ميعاداً محدَّداً لظهور ترجمة إنجيل ق. متى من العبرية إلى اليونانية هكذا:
[إن ظهور الترجمة اليونانية لإنجيل ق. متى حدث قبل نهاية القـرن الأول المسـيحي، ذلـك في

(26) Hilgenfeld, cited by A.H.W. Meyer, *op. cit.*, p. 19 n.
(27) A.H.W. Meyer, *op. cit.*, p. 19.

إقليم آسيا الصغرى، ويؤكِّد الشهود أن ذلك كان قبل سنة ٩٠م.](٢٨)

وقد أفاد العالِم بنتينوس أنه قام برحلة إلى جنوب الهند، ووجد هناك سنة ١٨٠م نسخة من إنجيل ق. متى بالعبرية، وقد أذاع هذا التقليد في كنيسة الإسكندرية دون معرفتهم بقول بابياس.

وقيمة الأصل العبري لإنجيل ق. متى ذات وزن عال في تحديد زمن مبكِّر لكتابته، لأن الأقوال التي جمعها ق. متى تكون بعينها أقوال المسيح وباللغة التي علَّم بها. هذا يعني أن الأصل العبري لإنجيل ق. متى يحمل بأصالة كبيرة النص الذي قاله المسيح وعلَّم به، الذي تُرجم إلى اليونانية بعد ذلك ترجمة دقيقة ملتزمة.

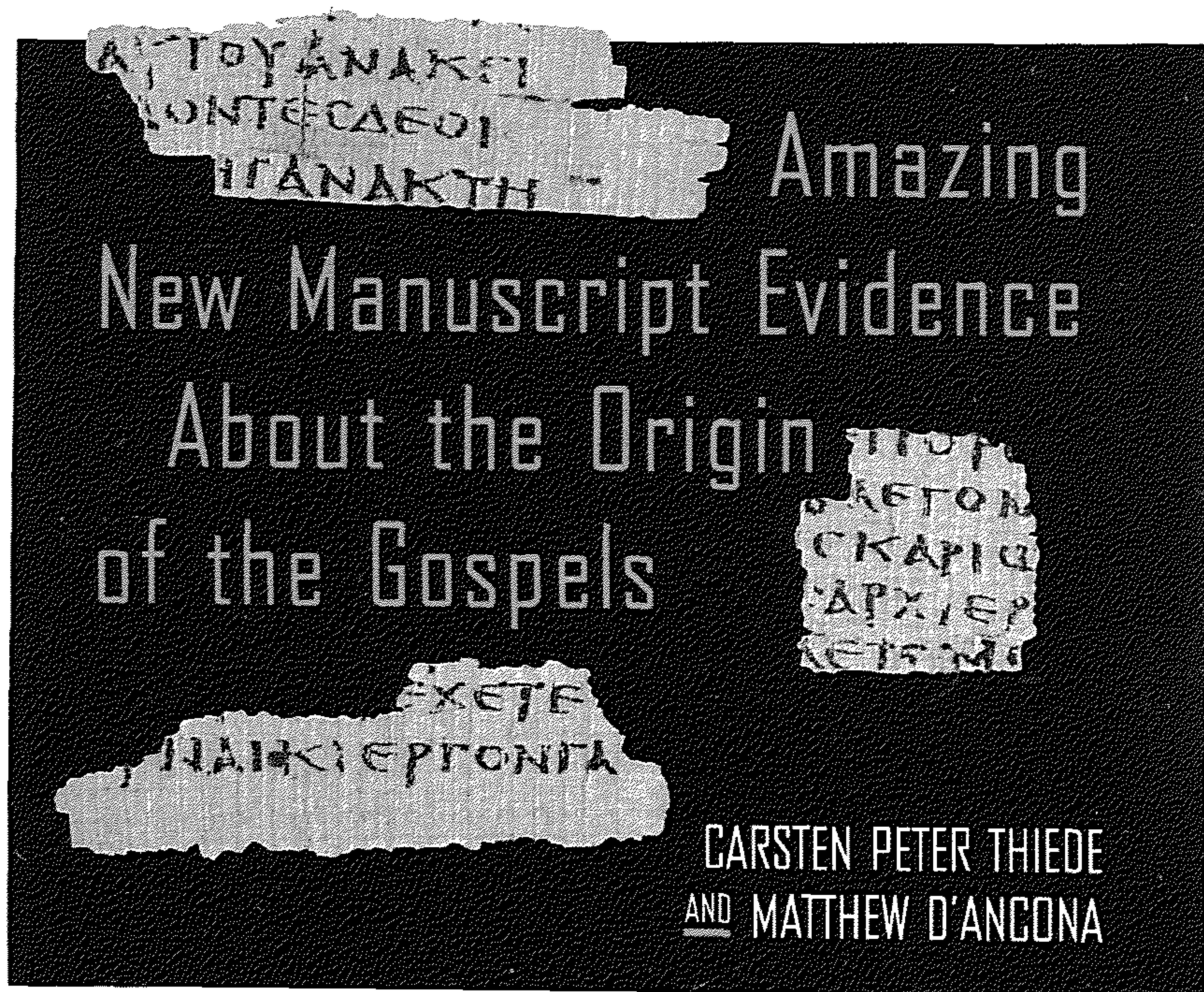
ولكن تشاء نعمة الله وتدبيره الفائق المعونة، ونحن بصدد كتابة تاريخ إنجيل ق. متى، أن يظهر في جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٦/٣/٢٤م خبر مؤدَّاه كالآتي حرفياً:

[اكتشف مؤرِّخ ألماني متخصِّص في البرديات المصرية بجامعة أكسفورد البريطانية ورقة بردي مصرية تعود إلى القرن الأول للميلاد، وتعتبر أقدم وثيقة مسيحية في العالم. وأوضح المؤرِّخ كارستن بيتر تييد أن البردية جرى العثور عليها عام ١٩٠١ في إحدى كنائس الأقصر، لكنها لم تحظَ بالانتباه إلى أهميتها، وظلَّت في الكلية المجدلية بأكسفورد إلى أن بدأ العالِم الألماني قبل عامين التعرف عليها ودراستها. واكتشف تييد أن البردية تعود إلى عام ٦٠م مما يجعلها أقدم وثيقة مسيحية يتم اكتشافها حتى الآن، وتضم بعض أجزاء آيات من إنجيل ق. متى، وتستشهد بأشخاص عاشوا في الفترة التي عاش خلالها المسيح - ونشرت جريدة الديلي ميل البريطانية أمس مقتطفات من كتاب سيصدر غداً عن الموضوع الذي يؤرخ للأناجيل الأخرى وسبق كتابتها في فترة متأخرة نسبياً عن الزمن الذي عاشه المسيح. إلاَّ أن هذه الوثيقة تثبت أن إنجيل ق. متى يستمد معلوماته من أشخاص وصفهم أنهم كانوا شهود عيان للسيد المسيح. كانوا من بين تلاميذه. وتمكَّن المؤرِّخ الألماني من علاج بقايا البردية التي وجدها ممزَّقة إلى ثلاثة أجزاء صغيرة ومكتوبة باليونانية القديمة.] انتهى.

وقد وصلتنا نسخة من هذا الكتاب المذكور وبه كل قصة اكتشاف هذه الأجزاء من البردية وتحقيقها وصدق التاريخ المذكور. وإليك تصوير الغلاف الخارجي ومصوّر عليه ثلاثة أجزاء من هذه البردية المحسوبة أنها أقدم وثيقة في العالم تشهد لأصالة قدم الإنجيل، وتُحسب أنها لشاهد عَيَان

(28) Theodore Zahn, *Introduction to the New Testament*, vol. II, p. 517.

EYEWITNESS to JESUS



صورة للغلاف الخارجي للكتاب المذكور ومصوّر عليه ثلاثة أجزاء من البردية
المحسوبة أنها أقدم وثيقة في العالم تشهد لأصالة قِدَم إنجيل القديس متى

(ق. متى) قد رأى المسيح.

أمَّا تعليقنا على هذه الوثيقة النادرة فهو كالآتي: إن كانت قد كُتبت سنة ٦٠م وهي بخط ق. متى نفسه، فهي على أقل الفروض يلزم أن يكون قد مرَّ عليها ما لا يقل عن خمس وعشرين سنة حتى تصل إلى الأقصر، إذن فزمن كتابتها يتراوح بين سنة ٣٥ وسنة ٤٠م. وإن كان ق. متى قد اقتبس الكثير من إنجيل ق. مرقس، يكون إنجيل ق. مرقس قد كُتب قبل ذلك، مما يؤكِّد ما وصلنا إليه في البحث عن تاريخ كتابة إنجيل ق. مرقس وهو سنة ٤٠م، والحقيقة أنه قبل ذلك. وبهذا لم يعد لنا ثقة في شطحات العلماء المدَّعين المعرفة الذين قالوا بأن تاريخ كتابة إنجيلي ق. مرقس وق. متى هو فيما بعد السبعينيات، وكان اعتمادهم على خرافة أن الأيام الأخيرة فيهما تشير إلى أنهما حضرا الحرب السبعينية وكتبا من واقع حدوثها. وهنا نرجع على هؤلاء العلماء ونؤكِّد من جهتنا أن الأخبار التي دوَّنها كل من ق. مرقس وق. متى عن الأيام الأخيرة هي نبوَّات صحيحة أمينة وليست تلفيقات حسب ظنونهم الهزيلة. لأن العلماء أخذوا هذه الأخبار على أنها مدسوسة من كل من القديس متى والقديس مرقس بعد أن شاهدا خراب الهيكل وأُورشليم. وهكذا بنوا فروضهم على أساس أن الأناجيل غير صادقة فجاءت تحقيقاتهم هي الكاذبة. ويقرِّر قاموس هاستنج أنه باستقراء ما جاء في نبوات الأيام الأخيرة يتحقَّق لدينا أن تاريخ كتابة إنجيل ق. متى لا يزيد عن سنة ٥٠م، علماً بأنه قد قُرئ مبكِّراً جداً في الكنيسة.

٣ – أنطاكية المدينة التي صدر منها إنجيل القديس متى[٢٩]

نقدِّم هنا مختصر أبحاث العلماء، وأهمهم العالِم المشهور ستريتر، الذي يقول إن العلماء قد اتفقوا – بناءً على شواهد كثيرة – أن إنجيل ق. متى كُتب أولاً في فلسطين وباللغة العبرية، كما أوضحنا وسنوضِّح أيضاً.

والمعروف أن أي إنجيل لم يكن يحظى بالاعتراف الرسمي في الكنيسة إلاَّ إذا كان مقدِّمه رسولاً أو تقدِّمه كنيسة مدينة كبرى كروما أو أنطاكية أو الإسكندرية (p. 501). وقد استقرت الأبحاث أن مدينة

(29) Burnett Hillman Streeter, *The Gospels, A Study of Origins, Treating Manuscripts, Tradition, Sources, authorship, and Dates,* Macmillan, London, 1924, reprinted 1961.

أنطاكية هي التي قدَّمت إنجيل ق. متى إلى الكنيسة عامة لما كان لها من تأثير كرازي عالٍ (p. 486). والذي رجَّح أنطاكية هي العوامل الآتية:

١ - استشهادات القديس إغناطيوس الشهيد أسقف أنطاكية المشهور التي تدلل أنه يعرف إنجيل ق. متى وقد اقتبس منه.

٢ - استشهادات الديداخي (من تعاليم الرسل) من إنجيل ق. متى، ومعروف أن الديداخي هي وثيقة سريانية الأصل لا يرقى تاريخ تدوينها إلى أكثر من سنة ١٠٠م. وكاتبها يظهر أنه يعرف إنجيل القديس متى، وحينما يستشهد به يقول كما في "الإنجيل" معتبراً أن إنجيل القديس متى هو "الإنجيل" بصورته العامة في الكنيسة (p. 486).

٣ - أول ظهور لإنجيل القديس متى بحسب العالِم ستريتر كان سنة ٦٦م، حينما نزح المسيحيون من أُورشليم لمَّا رأوا جيوش الرومان تحيط بها، فذهب معهم ق. متى ومعه النواة (العبرية) من إنجيله، حيث كان إنجيل ق. متى يمثِّل المصالحة بين الجناح اليهودي المتنصِّر المتشدِّد في التمسُّك بالناموس الذي يمثِّله يعقوب الرسول، وبين الجناح المتشدِّد ضد اليهودية الذي يمثِّله بولس الرسول. وكان إنجيل ق. متى يمثِّل الفكر الوسط الدقيق المقنع، وكان يعتمد على ق. بطرس في رئاسة التلاميذ وليس على يعقوب أخي الرب، معتبراً أن ق. بطرس قد أخذ هذا الوضع الرئاسي بناءً على ما أعطاه المسيح من (الحل والربط). ويقول العالِم ستريتر إن هذه المصالحة بين الجناحين التي أنشأت هذا الاعتدال أو التوسُّط في إنجيل ق. متى استغرقت ما لا يقل عن ٢٠ سنة (p. 486-87).

٤ - ويقرِّر العالِم ستريتر أن إنجيل ق. متى قُبل في روما رسمياً سنة ١١٩م، بحسب التطوُّر الذي مرَّ به لتقنين قوانين الأسفار المقدَّسة في روما في مجمع خاص، واعتُبر إنجيلاً رسولياً وذلك بناءً على شهادة كنيسة أنطاكية، وكان استشهاد ق. إغناطيوس في روما في الكوليزيوم هو العامل المؤثِّر بقبول إنجيل ق. متى، لأنه يُحسب أول أسقف تبنَّى أصالة وقانونية إنجيل ق. متى، وخاصة بعد كتابة رسالته إلى روما التي احتسبتها روما رسالة شهيد بخط يده. فصار إنجيل ق. متى حجة كنسية رسولية في روما ضد التيارات المنحرفة للهراطقة. وقد قُبل بعد إنجيل ق. متى إنجيل ق. لوقا وهو أنطاكي أيضاً.

شهادة ق. إغناطيوس أسقف أنطاكية سنة ١١٥م
وأصل تسمية "الإنجيل بحسب القديس متى":

ولو أن ق. إغناطيوس استشهد بالقديس لوقا مرتين وبصورة غير مؤكَّدة، وكذلك استشهد قليلاً بالقديس يوحنا، إلاَّ أنه لم يعتمد عليهما في محاجاته. أمَّا من جهة إنجيل القديس متى، فيوجد منه في مذكَّرات ق. إغناطيوس - أي رسائله السبع القصيرة - ما يقرب من خمسة عشر استشهاداً واضحاً.

وحتى في استشهاده بأقوال وردت في إنجيل ق. لوقا أو ق. مرقس فإن كلماته تبدو أقرب إلى نصوص القديس متى:

(أ) فحينما يتكلَّم عن عماد المسيح يقول: [وقد اعتمد بواسطة يوحنا لكي يكمِّل كل بر] إغناطيوس سميرنا (١:١) - (مت ٣:١٥) حيث عبارة: «يكمِّل كل بر» لم ترد إلاَّ في إنجيل ق. متى.

(ب) [احملوا الناس كما حملكم الرب. الذي حمل أسقامنا جميعاً] (إلى بوليكاربوس ١:٢-٣) - (مت ٨:١٧).

(ج) وأحيانا يأتي الاقتباس بصورة تكاد تكون حرفية: [كونوا حكماء في كل طرقكم كالحيات وفي كل الأحوال وُدعاء كالحمامة] (إلى بوليكاربوس ٢:٢) (مت ١٠:١٦).

(د) والقديس إغناطيوس هو أول الآباء الذين ذكروا الميلاد العذري أو البتولي، وذكر ذلك في عدَّة مواقف مع التركيز الشديد على أهميته [أفسس ١٨:٢، ١٩:١، سميرنا ١:١، تراليا ٩:١].

ومعروف أن ق. متى هو الذي أمعن كثيراً في بتولية ميلاد ابن الله أكثر من ق. لوقا، والقديس إغناطيوس يعتبر أن الاعتراف والإيمان بالميلاد البتولي هو الأرثوذكسية في المفهوم العقائدي واللاهوتي، فهو يحيِّي مسيحيي سميرنا على مسيحيتهم الأرثوذكسية كونهم مقتنعين تماماً كمن يمسك بالمسيح كونه من نسل داود بحسب الجسد ولكن ابن الله بحسب مقتضى الإرادة الإلهية، مولود حقًّا من عذراء وتعمَّد من يوحنا حتى يُكمِّل كل بر فيه] (سميرنا ١:١).

وواضح أن هنا ثلاثة مبادئ إيمانية إلهية مأخوذة مباشرة من إنجيل ق. متى: مجيء المسيح من نسل داود وميلاده البتولي وعماده من يوحنا «لكي يكمِّل كل برٍّ».

(هـ) كثيراً ما يذكر ق. إغناطيوس إنجيل ق. متى باعتباره "الإنجيل" كاسم كتاب. فهو مثلاً يعترض على كلام بعض الهراطقة القائلين: [ما لا نجده مذكوراً في كتب العتيقة (العهد القديم بما يحوي من أسفار مقدَّسة) فإننا لا نؤمن به من "الإنجيل"] (فيلادلفيا ٢:٨). وواضح هنا أن "الإنجيل"

في عرفه هو كتاب مكتوب يمكن أن يقارن بأسفار العهد القديم. على أن ق. إغناطيوس لا يذكر اسم كاتب الإنجيل. وفي نفس الرسالة يذكر جنباً إلى جنب "الإنجيل" و"الرسل" و"الأنبياء" على اعتبار أنها أسماء أسفار مقدَّسة (فيلادلفيا ٥:١و٢). وتمشياً مع التقليد القديم لا يذكر اسم كاتب السفر، فهذا كان معمولاً به بالنسبة لأسفار العهد القديم. فكل كتاب من أسفار موسى الخمسة يُسمَّى بأول كلمة فيه ولا يُعطى له اسم كاتبه حسب عادة اليهود.

(و) وحينما ظهر إنجيل ق. مرقس كأول إنجيل عُرف في الكنيسة، دُعي بأول كلمة فيه التي هي "الإنجيل". ولكن لما ظهر إنجيل ق. متى دُعي أيضاً "بالإنجيل" لأن كلاًّ منهما يحمل سيرة حياة المسيح وأعماله. ولكن لكي يفرِّق الشعب بين الذي للقديس مرقس وبين الذي للقديس متى قيل في التقليد الكنسي طقسياً "الإنجيل بحسب ق. مرقس" و"الإنجيل بحسب ق. متى"، للحفاظ على وحدة الاسم "الإنجيل" لما يحويه من حقيقة واحدة (p. 559).

(ز) وعلى أساس ما جاء في (و) يتضح أن ق. إغناطيوس برجوعه إلى "الإنجيل" باعتباره الإنجيل دون ذكر بحسب ق. مرقس أو بحسب ق. متى يكون معناه أن إنجيل ق. متى هو وحده الذي كان مستعملاً في زمان ق. إغناطيوس في كنيسة أنطاكية. وهذا حدث أيضاً بنفس الصورة في حياة ق. جيروم بالنسبة للمتكلمين بالأرامية من المسيحيين، إذ كانوا يطلقون كلمة "الإنجيل" دون تحديد آخر على إنجيل ق. متى المعروف عند العلماء باللوجيا ***logia*** أي الأقوال (p. 507).

الديداخي أيضاً تثبت أن إنجيل ق. متى موطنه أنطاكية (الديداخي ٨٠–١٠٠م):

بدراسة الديداخي وُجد أن كاتبها له معرفة بإنجيل ق. متى، ومثله مثل ق. إغناطيوس فهو يرجع إلى ق. متى باعتباره "الإنجيل"، كما يحوي نصوصاً تعتبر من المخطوطات الشفاهية غير المكتوبة عن المسيح. كذلك يبدو أن ق. إغناطيوس له دراية بالديداخي بحسب العلاَّمة ترنر[٣٠] (p. 507).

أمَّا الإشارات الواضحة لإنجيل ق. متى فهي كالآتي:

(أ) **ديداخي (٩:٥)**: [لا تعطوا القدس للكلاب]، تساوي حرفياً (مت ٧:٦) ولو أنها غائبة في النص المقابل من "المراسيم الرسولية" (*Apostolic Constitutions*).

(ب) **ديداخي (٧)**: أمر المسيح بالتعميد [باسم الآب والابن والروح القدس]، ولا يوجد إلاَّ في إنجيل ق. متى (١٩:٢٨). وهذه تعتبر نقطة محورية تربط الاثنين معاً.

(30) C.H. Turner, *Studies in Early Christian History*, Oxford, 1912, p. 8 n.

(ج) **ديداخي (٨: ١)**: [ولا تجعلوا صومكم مع المرائين فهم يصومون الاثنين والخميس من الأسبوع، ولكن احفظوا أنتم الصوم في الأربعاء والجمعة (براسكيفي الاستعداد للسبت). كذلك لا تصلُّوا كالمرائين ولكن صلُّوا أنتم كما علَّمكم الرب في إنجيله: فصلُّوا هكذا: «أبانا الذي ...»] وذكرت الصلاة الربانية بحرفيتها كما جاءت في إنجيل ق. متى. والعلاقة بين الديداخي والإنجيل في (مت ٦: ٥-١٦) واضحة.

(د) **ديداخي (١١: ٣و٤)**: [وأمَّا فيما يختص بالرسل والأنبياء فاعملوا أنتم بحسب وصايا **الإنجيل**، كل رسول حينما يأتيكم فاقبلوه كالرب]. في هذه الوصية الخاصة بالرسول الكارز سائراً على رجليه نجد الإشارة واضحة إلى إنجيل ق. متى، فهي ترجمة للقول: «مَنْ يقبلكم يقبلني ومَنْ يقبلني يقبل الذي أرسلني.» (مت ١٠: ٤٠)

(هـ) **ديداخي (١١: ٧)**: [وكل نبي يتكلَّم بالروح فلا تفحصوه ولا تدينوه، لأن كل خطية تُغفر ولكن هذه الخطية لا تُغفر]، وتأتي في (مت ١٢: ٣١): «وأمَّا التجديف على الروح فلن يُغفر للناس».

(و) **ديداخي (١٣: ١)**: [كل نبي صادق يطلب أن يقيم عندكم فهو مستحق طعامه. كذلك المعلِّم فهو مستحق أيضاً كالفاعل المستحق أجرته]، وهي قريبة من (مت ١٠: ١٠): «لأن الفاعل مستحق طعامه».

(ز) **ديداخي (١٤: ٢)**: [إذا كان أحدكم متشاجراً مع آخر فلا يجتمعا مع الجماعة حتى يتصالحا معاً حتى لا تتنجَّس ذبيحتكم]، والعلاقة واضحة مع إنجيل ق. متى (٥: ٢٤): «فاترك هناك قربانك قدَّام المذبح». وهكذا تحوِّل الديداخي ما جاء عند ق. متى من الذبائح اليهودية إلى الإفخارستيا المقدَّسة. فهنا شرح وتطبيق.

(ح) **ديداخي (١٥: ٣)**: [ليعاتب أحدكم الآخر ولكن ليس بغضب بل بسلام كما هو في الإنجيل]، وهي موازية لإنجيل ق. متى (١٨: ١٥): «وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما». ثم تقول الديداخي أيضاً: [وكل صلواتكم وعطاياكم وكل أعمالكم اعملوها كما هو في إنجيل الرب] (مت ٦: ٢-١٥). وهكذا يجمع كل تعاليمه ووصاياه ليضعها بموازاة الإنجيل للقديس متى، وكأنه يقول هذه مقدِّمة عملية للإنجيل. ولكن لكي تحصل على التعليم كله فعليك أن ترجع "للإنجيل" وخاصة العظة على الجبل.

(ط) **ديداخي (١٦)**: حيث ينتهي كتاب الديداخي بتعاليم عن الأخرويات "أبوكاليبسيس"

وكلها مأخوذة من إنجيل ق. متى، فقد ورد فيها:

- [اسهروا على حياتكم، ولا تدعوا مصابيحكم تنطفئ] = (مت ٢٥:٨).
- [لا تتركوا أحزمتكم تتراخى حول أحقائكم] = (لو ١٢:٣٥)، والأصح Q = متى في صياغته الأُولى الأرامية.
- [ولكن كونوا مستعدين لأنكم لا تعرفون الساعة التي يأتي فيها ربنا] = (مت ٢٤:٤٢و٤٤ – ٢٥:١٣).
- [واجتمعوا مراراً وابحثوا في أمور نفوسكم وما يهمّها لأن العبرة أن تكونوا كاملين في اللحظة الأخيرة، لا في طول مدة إيمانكم. لأن في الأيام الأخيرة يقوم الأنبياء الكذبة والمفسدون يتكاثرون، والغنمة تتحوَّل إلى ذئب والمحبة تنقلب إلى عداوة] = (مت ٢٤:١١ وما بعده و٢٤)
- [وبينما الإثم يزداد سيبغضون الواحد الآخر] = (مت ٢٤: ١٠و١٢)
- [ويضطهد ويسلّم الأخ أخاه وحينئذ يظهر المخادع للعالم وكأنه ابن الله ويعمل عجائب ومعجزات] = (مت ٢٤:١٠و٢٤).
- [وتُسلَّم الأرض ليديه ويعمل أعمالاً نجسة لم تكن سابقاً قط] = (مت ٢٤:٢١).
- [وحينئذ تدخل كل الخليقة البشرية في محنة النار للاختبار، وكثيرون يعثرون ويهلكون ولكن الذين يصبرون في إيمانهم سيخلصون] = (مت ٢٤:١٣)
- [وحينئذ تظهر علامات الحق (مت ٢٤:٣٠)، أولاً علامة السماء المفتوحة، ثم علامة صوت البوق (مت ٢٤:٣١)، والعلامة الثالثة قيامة الموتى، لا جميع الموتى ولكن القديسين منهم كما قيل سيأتي الرب وجميع القديسين معه (زك ١٤:٥)، عندئذ يرى العالم الرب آتياً على سحاب السماء (مت ٢٤:٣٠، ٢٦:٦٤)].

ومعظم هذه النبوات اختص بها إنجيل ق. متى وحده مما يشير أن الديداخي تعكس صورة لإنجيل القديس متى بدائية للغاية.

وهكذا نرى أن كلاً من ق. إغناطيوس الشهيد ووثيقة الديداخي – وهما أقدم وثيقتين تحتفظ بهما الكنيسة وهما سوريتا الأصل – يتكلّم كلاهما عن إنجيل ق. متى باعتباره "**الإنجيل**" الذي له السلطان، فهما يشتركان معاً في **تقديم** البرهان على أن إنجيل ق. متى كان هو إنجيل كنيسة أنطاكية.

ثانياً: مميزات إنجيل القديس متى وأسلوبه في الكتابة والتعليم

١ – أهم مميزات إنجيل القديس متى

(أ) التخطيط السابق:

يمتاز إنجيل ق. متى بالترتيب المنهجي حسب خطة سابقة ملأت أفكار الكاتب وأسماعه ودراساته فيما سمع وقرأ وجمع، فقد وضع في نفسه أن يقدِّم شخص يسوع على أنه مسيَّا الأنبياء وابن داود، ووريث مملكة داود الأبدية بحسب نبوات الأنبياء ومن واقع المزامير، ممَّا قاله المسيح وعلَّم. وهو يختلف في ذلك عن كلٍّ من إنجيل ق. مرقس وإنجيل ق. لوقا. ويصف العالِم هاندركسن(1) الثلاثة أناجيل من حيث خطتها ومنهجها بثلاثة أنهر، فنهر ق. مرقس سريع الجريان في أرض وعرة غير ممهَّدة كثير الانحناءات الحادة والمساقط، يعبر على مناظر متعددة خاطفة ثم ينقطع فجأة على منظر القبر الفارغ والنسوة الحزانى وبشارة الملاك بالقيامة. بعكس نهر ق. متى: هادئ يمر بطيئاً وئيداً راسخاً على أرض ممهَّدة جيداً، يقف مرَّات ومرَّات، فيكوِّن بحيرات ذات شواطئ تعجّ بالأحداث والمناظر، ثم يضيق ليتسع مرَّة أخرى عن أحداث جسام. وفي إنجيل ق. مرقس وإنجيل ق. متى المسيح هو هو بهدوئه ورصانته يعلِّم نفس الأمور ويحذِّر ويوعِّي ويُرسل ويبارك، ولكن في إنجيل ق. متى كان عنده متَّسع من التعليم أكثر ومن الانطباعات الأخروية أوضح، ومن نظرات تحمل عبيق الماضي بأمجاده تلقي بأضوائها على الحاضر والمستقبل لتجعل من العهدين عهداً واحداً متصلاً. وفي رأينا أن نهر ق. متى يتعقَّبه هذا الإنجيلي البارع من منابعه الأُولى من فوق مرتفعات بيت لحم، حيث يشق النهر مجراه من صخرة صمَّاء ويندفع يجرف أمامه التاريخ، ليصب أخيراً في محيط الأزل، والذي يسبح في تياره يبلغ سر الخلود لا محالة.

(ب) إنجيل تكميل النبوَّات:

صفحاته كلها مقروءة على أصولها الأُولى من التكوين حتى ملاخي. وكأن المسيح قد جاء ليحيي الماضي كله بكل عهوده ووعوده، بكل أسفاره وأنبيائه وتعاليمه وأقواله، وصَدَق سفر الرؤيا في قول الملاك: «فإن شهادة يسوع هي روح النبوَّة.» (رؤ ١٩:١٠)

(1) W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 25,26.

يستشهد ق. متى بالعهد القديم **٤١** مرَّة(٢)، منها ٢١ موجودة في إنجيل ق. مرقس وق. لوقا، وطبعاً ق. مرقس فيها هو الأصل، ولكن العشرين اقتباساً الأخرى - وهي نصف الاقتباسات - غير موجودة لا في إنجيل ق. مرقس ولا في إنجيل ق. لوقا، وعشرة من هذه العشرين غير موجودة في أي من أسفار العهد الجديد. وهكذا يدخل ق. متى بأصالته الجديدة في اقتباسات لم يسبقه فيها أحد. ومن ٤١ اقتباس هناك ٣٧ يقدِّمها ق. متى بما يشير إلى تكميل النبوات. وأهم صيغة عنده هي: «لكي يتم ما قيل بالنبي». وفكرة ق. متى من قوله ليتم أو ليكمل موجودة في (١:٢٢): «وهذا كله كان لكي يتم ما قيل **من الرب بالنبي** القائل». فقصد ق. متى ليس من أجل تكميل النبوَّة، بل تكميل ونمو هذه الحقيقة المذكورة حتى تمامها. ففي هذه الآية التي تقول: «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» يكون القصد من التكميل هو إثبات أن المولود هو المسيَّا المذكور في العهد القديم، فالتكميل هو تحقيق الوعد الذي جاءت به النبوَّة، الأمر الذي تتبَّعه إشعياء نفسه، فبعد هذه النبوَّة في الأصحاح السابع جاء في الأصحاح التاسع من سفره وأعطى النبوَّة المكملة: «لأنه يولد لنا ولد (الذي ولدته العذراء في الأصحاح السابع) ونُعطَى ابناً وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً **إلهاً** قديراً أباً أبدياً رئيس السلام. **لنمو رياسته** وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته، ليثبِّتها ...» (إش ٩: ٦و٧). فإنجيل ق. متى استحضر لا أقوال الأنبياء وحسب بل وأرواحهم، ليقدِّم كل واحد شهادته من وراء الماضي السحيق، ليؤكِّد أن كلمة الله حية وفعَّالة تزيدها الأزمنة بريقاً لتحقق صدق وعود الله. فالمسيح عند ق. متى هو مسيح التوراة وكل الأنبياء قبل أن يكون مسيح العهد الجديد، مسيح الخلاص: «الخلاص الذي فتَّش وبحث عنه أنبياء. الذين تنبَّأوا عن النعمة التي لأجلكم باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها.» (١بط ١: ١٠و١١)

والقديس متى يقدِّم المسيح في إنجيله الذي قسَّمه على مستوى التوراة، أنه هو موسى الجديد، وأن الإنجيل هو التوراة وهو الناموس الجديد، والمسيح هو شخص إسرائيل الجديد أو الحقيقي على مستوى الاستعلان أو الإعلان الجديد من الله. هذا يعني أن ق. متى يكشف خطة الله وتحقيقها وتكميلها على مدى كل التاريخ وفوقاً منه.

---

(٢) بالإضافة إلى هذه الاستشهادات الحرفية التي يبلغ عددها ٤١ مرَّة هناك عدد يصعب حصره من الإشارات والاقتباسات غير الحرفية. وقد جمعنا نصوص جميع هذه الاقتباسات من العهد القديم مع ما يقابلها في إنجيل ق. متى (انظر صفحة ٨٥-٩٧).

(ج) إنجيل المسيَّا الملك الآتي كوعد الله لداود:

فمن بدء الإنجيل يرتفع الإنجيل كله إلى مستوى تحقيق وعد الله لـداود أن يقيـم لـه نسـلاً يجلس على كرسيه إلى الأبد (٢صم ٧: ١٣-٢٦)، فهـو المعبِّر عـن مملكـة أبينـا داود وقـد نسـبه إلى داود بطريقة محوريـة، فكـل الأجيـال تصـب في هـذه الحقيقـة. فمسلسـل الأنسـاب ينتقـي فيـه ق. متـى الأشخاص والملوك الذين يحق لهم بحسب وضعهم في الأنساب أن يكون منهم المسيَّا الآتـي، فيُسـقط من المسلسل الملوك الأشرار والذين رفضهم الله، ولا يلتزم بالبكر، ولكن يلتزم باللائق أن يكون هـو المسيَّا أو الذي يليـق أن يـأتي منـه المسيَّا (١:١-١٧). كذلـك يلـتزم ق. متـى بلقـب ابـن داود في مواضع كثيرة من حياة المسيح ليؤكِّد هذا الهدف الأوحـد (١٥:٢٢ و٢٠:٣٠ و٢١:٩ و٢١:١٥). والمجوس جاءوا خصيصاً ليسجدوا للملك اليهود المولود! «أين هو المولود ملك اليهود. فإننا رأينا نجمـه في المشرق وأتينا لنسجد له» (مت ٢:٢)، وموكـب الدخـول الملكـي لأُورشـليم كـان تحقيقـاً لنبـوَّة مجيء ملك إسرائيل وديعاً راكباً على جحش ابن أتان (٢١:٥)، وأمـام بيلاطـس يقبـل المسـيح لقبـه كملك ويدافع عن صحته (٢٧:١١)، وعلى الصليب يوضـع عنوانـه ملـك اليهـود (٢٧:٣٧). ولمَّـا وقف المسيح على الجبل ليعظ كان يلقي عظته بنطق ملكٍ: «أمَّا أنا فأقول لكم»، في مقابل مـا قالـه موسـى في التـوراة والنـاموس (٥: ٢٢و٢٨و٣٢و٣٤و٣٩و٤٤). يُضـاف إلى ذلـك إعلانـه الملكـي النهائي: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا ...» (٢٨: ١٨و١٩)

ويقول المسيح عن نفسه في إنجيل ق. متى عن كونه الملك الآتـي إننـا سـنراه «آتيـاً في ملكوتـه» (١٦:٢٨)، وجعل إنجيله كله يـتزاحم فيـه كـل مـا يخـص ملكوتـه الآتـي: «حينئـذ يشـبه ملكـوت السموات...».

(د) إنجيل ملكوت السموات:

والقديس متى يوصِّل ملوكية المسيح بملكوت السموات، ويختص بهـذا الاصطـلاح الـذي يتكـرَّر ٣٢ مرَّة في إنجيله(٣). وهو يجمع ما للآب والابن معاً. وإنجيل ق. متى هو الوحيد الذي ارتفع بلفـظ الله أي "يهوه" كتقليد التوراة ليكني عنه "بالسموات" العلا مركز كرسي الله وملكه، فكلمة السـموات في التقليـد العـبري هـي البديـل التفسـيري لاسـم الله تحاشياً لذكـر الاسـم الممنـوع ذكـره بحكـم الناموس(٤). وهذا الاصطلاح يكشـف نـواة الإنجيـل العـبري للقديـس متـى قبـل أن يـترجم. وبهـذا

(3) A.H. McNeile, *op. cit.*, p. XIX.

(4) G. Dalman, *The Words of Jesus*, p. 206 f.

الاصطلاح الفريد أراد القديس متى أن يحقّق شخصيته كعبراني ابن عبراني أشـرق عليـه نـور العهـد الجديد. ولذلك أيضاً كان تمسكه بلقب ابن داود وابن إبراهيم عن وعي مسيَّاني وإصرار. وملكوت السموات تكشف عن عمومية أبوة الله لكافة شعوب الأرض.

(هـ) إنجيل الإكليسيا بالدرجة الأُولى:

إنجيل القديس متى يدعى الإنجيل الأكلسيولوجي أي الكنسي، فقد ربط المسيح كملك بالجماعـة التي تتبعه أي الكنيسة. والقديس متى كان مهتماً بإعطاء الكنيسة الأولويـة في تسـجيلاته لتستقر في خزانتها كتقليد العهد الجديد. والقديس متى هو أول مَنْ سجَّل اسم الكنيسة وصدور الوعد والعهـد من فم المخلِّص أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها. وقد ذكر اسم الكنيسـة "اكليسـيا" مرَّتـين: المـرَّة الأُولى بعد اعتراف ق. بطرس في قيصرية فيلبُّس (١٦: ١٣-٢٣)، وفي المرَّة الثانيـة أعطـى الكنيسـة الحكم في المنازعات (١٨: ١٧). وفي أيام كتابة ق. متى لإنجيله كانت الكنيسـة قـد بلغـت تكوينهـا الكامل وصارت صاحبة التعليم.

وقد وجَّه المسيح لتلاميذه كل تعاليمه ومنحهم سر الملكوت باعتبـارهم الأسـاس الأول للكنيسـة التي بناها المسيح بدمه. وهو الإنجيل الوحيد الذي أعطى قانون التعميد: «باسم الآب والابن والروح القدس» فأصبحت بدء كل صلاة وكل قراءة وكل طقس في الكنيسة، بل وأصبحت سـنداً وعمـاداً لشرح الثالوث والأقانيم اللاهوتية.

ولو أن القديس متى لم يبلغ رؤية ق. بولـس السـرِّية أن الكنيسـة جسـد المسـيح، ولا رؤيـة ق. يوحنا أن الكنيسة هي أغصان الكرمة، ولكن المسيح يوجد حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمـه، وهـو باقٍ مع الجماعة كـل الأيـام وإلى انقضـاء الدهـر، عمـانوئيل إلى النهايـة. والمسـيح ملـك علـى كـل الكنيسة بلا تخصيص، فملكه شمولي. ورفض المسيح من اليهود هو الـذي فتـح بابـاً لدخـول الأُمـم. ولكن لم يكن هذا تدبير المسيح ولا في الأفق بالنسبة للتلاميذ، فقد كان الأمثل والرجـاء والتدبـير أن تكون إسرائيل هي نفسها التي تكرز وتكون نوراً للأُمم وتُعلن المسيَّا لكل العـالم. ولكـن لمَّـا تنحـت إسرائيل دخلت الكنيسة عوضاً عنها كإسرائيل الجديد، لأنهـا هـي الـتي آمنـت بالمسيَّا ورحَّبـت بـه واستعدت أن تتألَّم من أجله في العالم. وهكذا دخلت الأُمم في التاريخ لتكون هي ختام وكمـال إسـرائيل التوراة التي رفضت ملكها. لذلك فالكنيسة وحدها هي صاحبة سر الأيـام الأخـيرة والمنوط بهـا اسـتقبال الملك الآتي والعريس القادم. وللحزن المرير تقدَّمـت إسـرائيل لتكـون هـي مـادة الدينونـة القادمـة بسـبب رفضهم مشورة الله وصلبهم لابنه، لذلك فهي تكون في صميم النصيب المرفوض في الدينونة القادمة.

(و) إنجيل الأمور الأخروية:

القديس متى أكثر إنجيلي قدَّم الأمور الأخروية "الإسخاتولوجي"، واستعلان ما سيكون فيها "الأبوكاليبسيس"، بصورة واضحة قوية تكشف عن اهتمامه الخاص بهذه الأيام التي سيظهر فيها المسيح ثانية في نهاية العالم، وكذلك اهتمامه بالدينونة. وفي الأصحاح (٢٤) ينقل لنا سرد المسيح لأخبار الأيام الأخيرة بالتفصيل أكثر من أي إنجيل آخر. كما قدَّم ثلاثة أمثال عن كيفية المحاكمة في اليوم الأخير في مَثَل الوزنات (٢٥: ١٤-٣٠)، وفي مَثَل العذارى الحكيمات والجاهلات (٢٥: ١-١٣)، ومَثَل الخراف والجداء (٢٥: ٣١-٤٦).

(ز) الإنجيل الوحيد الذي جُمع وكُتب باللغة العبرية:

هذا حسب تحقيق العلماء والآباء (انظر صفحة ٢٥-٣٠)، فهو الوحيد الذي نقل لنا ما قاله المسيح بلغته وما قاله الأنبياء بلغتهم، ثم تُرجم حرفياً إلى اليونانية فظلَّ حاملاً عبيق التقليد الأول الذي عاشته الكنيسة الأُولى مع المسيح وفي الهيكل. وهكذا سلَّمنا ق. متى البشارة الأُولى بروحها وتراثها ورائحتها الأُولى.

(ح) الإنجيل الذي حمل رسالة الأُمم قبل أن يُحبل بالمسيح في البطن:

لقد أصرَّ ق. متى أن يتتبع العِرق النابض بروح الأُمم في أنساب المسيح قبل أن يولد المسيح، ليؤكِّد أن المولود هو نور الأُمم قبل أن يكون رجاءً لإسرائيل. فسجَّل من نسب آباء المسيح ثلاث أمهات أمميّات: "ثامار (الكنعانية)"، و"بثشبع (الحثية)"، و"راحاب (أُممية من أريحا)". وهكذا دخل دم أُممي في سلسلة أنساب المسيح ليحقِّق الاتجاه العالمي لابن الإنسان.

(ط) إنجيل طفولة الرب يسوع:

فهي بدء الإنجيل، والنواة الأُولى للأخبار السارة. فالمسيح وُلد معقوداً عليه اسم الخلاص: «وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم» (مت ١: ٢١). وكانت العذراء وحبلها بالروح القدس أول تسجيلات ق. متى التي أسندها إلى نبوَّة إشعياء، فكانت أول علامات العهد الجديد البارزة والأساس الثابت لبناء لاهوت الخلاص. ثم تأتي بعدها رواية مجيء المجوس ورواية الهروب إلى مصر لتعطي صورة حية لطفولة الرب يسوع.

٢ – تفوُّق القديس متى في فن التعليم والتبويب والتلقين

معروف أن القديس متى هو الوحيد الذي جاز مرحلة التعليم باعتباره "لاوي"، أو كما يرى معظم العلماء كرابي ومعلِّم مقتدر. وفي نفس الوقت كانت مهنته كمسئول عن ضرائب الترانزيت في كفرناحوم، بالنسبة للبضائع المنقولة من سوريا عبر بحيرة طبرية ثم إلى قيصرية الميناء ومنها إلى روما وقبرص والإسكندرية، فهذه كلها أعطته مجالاً أوسع في دراسة أخلاق الناس والشعوب واللغات.

كذلك معروف أن ق. متى كان أول مَنْ ألَّف مجموعة الأقوال المنقولة عن المسيح بالعبرية "*Logia*" فكانت أول كتاب تعليم ظهر للوجود عن المسيح وتعاليمه، والتي استقى منها جميع الإنجيليين بلا استثناء مادة هامة لأناجيلهم.

والقديس متى فوق كفاءته كمعلِّم، قد أظهر في إنجيله مقدرة بارعة في التقسيم والتبويب والعرض لمادة إنجيله. وقد جمع من أقوال المسيح كل ما كان تحت يده ويد الآخرين ليجعل من إنجيله المرجع الأكبر لتعاليم المسيح في كافة المواضيع. ومن أمثلة مقدرته الفذَّة في التقسيم والتبويب اكتشاف العلماء تقسيمه لإنجيله إلى خمسة أقسام ينتهي كل منها بعظة مطوَّلة عن ملكوت السموات:

القسم الأول: العظة على الجبل أو ناموس ملكوت السموات: من الأصحاح ٥ إلى ٧.

القسم الثاني: مهام ومسئوليات القادة والمعلمين في أمور ملكوت السموات: الأصحاح العاشر.

القسم الثالث: جمع فيه كافة الأمثلة الخاصة بملكوت الله لتقدِّم أوسع تعليم متنوع عن ملكوت السموات: أصحاح ١٣.

القسم الرابع: عن ملكوت السموات وشرط الدخول إليه ومستوى المغفرة فيه: أصحاح ١٨.

القسم الخامس: عن مجيء ملكوت السموات: أصحاح ٢٤و٢٥.

والقديس متى في هذا كله هو أكبر جامع للأقوال ومنسِّق لها، إذ رأى ضرورة ذلك بثاقب فكره وبحسب مستوى التعليم والمعرفة في أيامه، حيث لا كتابة توزَّع على الناس ولا تعليم مكتوب ولا قدرة على التعليم في البيوت أو الجماعات، لأن الكنيسة كانت محصورة ومحاصرة في أضيق حيِّز. لذلك اهتم بأن يجعل من إنجيله مادة سهلة للحفظ عن ظهر قلب، وهي مهنة الكتبة لأنفسهم ولتعليم الشعب "اسمع واحفظ". فالحفظ الغيبي هو الوسيلة الوحيدة في تلك الأيام لنشر الإنجيل

وتعليمه. والذي جعلنا نتيقّن من هذا الأسلوب في كتابة إنجيله هو جمعه للمعلومات تجميعاً يُسهِّل حفظها جداً في الذاكرة، إذ جعلها على هيئة ثلاث نقاط مكرَّرة ثلاثاً ثلاثاً أو خمسة مكرَّرة خمسة خمسة وكذلك سبعة، حتى لا يفوت على المتعلِّم شيءٌ منها. فنجد أن الملاك يعطي خطيب مريم ثلاثة إعلانات في ثلاثة أحلام، ثم هناك ثلاث تجارب على الجبل، والعظة على الجبل تتكلَّم عن ثلاثة أنواع للبر (الصلاة والصوم والصدقة)، وهناك ثلاثة شروط لاتباع المسيح ينتهي كل منها بعبارة "لا يستحقني" (١٠: ٣٧و٣٨)، وثلاثة أقوال عن "الصغار" (١٨: ٦و١٠و١٤)، وثلاث صلوات في جثسيماني (٢٦: ٣٩و٤٢و٤٤)، ولمَّا أنكر بطرس أنكر ثلاث مرَّات، ولمَّا سأل بيلاطس المسيح سأله ثلاثة أسئلة. ثم العدد خمسة، نجد الخمس خبزات والخمسة آلاف والخمس عظات التي تقسِّم الإنجيل إلى خمسة أقسام. كذلك العدد سبعة نجده يقدِّم سبعة أمثال (أصحاح ١٣) وسبعة ويلات (أصحاح ٢٣). وفي سلسال ميلاد المسيح نجده يجعل الجدول مقسَّماً إلى ثلاثة أقسام رئيسية وكل قسم منها به ١٤ جيلاً، إذ أراد أن يركِّز على "داود" حيث اسمه بحسب هجاء حروفه العبرية DWD فمجموعة قيمة حروفه بحسب ترتيبها في الأبجدية ٤+٦+٤=١٤ وهذا كله اعتناء شديد منه ليجعل إنجيله كله على مستوى الحفظ عن ظهر قلب. وهكذا ارتفع قدر ق. متى كمعلِّم بإنجيله إلى أقصى قمة في فن التعليم والحفظ. والكنيسة والشعب المسيحي يبرهن على صدق هذا بكونه يحفظ الآيات من إنجيل ق. متى بسهولة ويستشهد بها بتأكيد فيما يخص شخص المسيح وتعليمه ولاهوته، لأن ق. متى كتب إنجيله من أجل ذلك ليعطي في يدي المؤمن قولاً حيًّا ورسالة فعَّالة. لذلك كان عماد الكنيسة الأُولى هو إنجيل ق. متى في هذيذها المتواصل بالمسيح وتعاليمه وكلماته، وهذا يكشف عن عبقرية ق. متى الروحية إذ استطاع أن يسقي الشعب المسيحي الإنجيل ليحفظوه كالناموس بحروفه.

والقديس متى يركِّز على تعليم المسيح بنوع من الاهتمام والمسرَّة، وهو يعطي باستمرار موازنة ومقابلة بين تعاليم الكتبة والناموسيين وتعاليم المسيح. وفي العظة على الجبل يقدِّم البر الذي في الإنجيل في مقابل البر الذي في الناموس. فيظهر المسيح كمعلِّم الإنجيل الأعلى فوق معلِّم التوراة موسى، وهو يضمِّن تعاليمه صوراً من حياته وكأنه يحكي عن شخصه بتعليمه.

فصورة إنجيله المبدئية هي استعلان لشخص يسوع المسيح في حياته وآلامه وموته وقيامته مقدَّمة كلها للتعليم. وكأن القديس متى أراد أن يضمِّن إنجيله منهجاً للتدريس والتعليم للكنيسة، الوضع الذي استأثر به الكتبة في العهد القديم، أي وبصريح العبارة أراد أن يمنهج العهد الجديد في توراته

الجديدة لشعب الله.

لذلك نجد كل اتجاهاته مشحونة بالتعليم، حتى مجرَّد الروايات التي يسجِّلها. فعلى سبيل المثال، في الجزء بين العظة على الجبل والعظة التالية (١:٨-٣٤:٩) نجد كل الروايات تنطق بأن المسيح هو المسيَّا وباعتراف مسيانيته ولكن دون مواربة، فقد كشف غرضه بالاقتباس من إشعياء النبي الذي ينطق بأنه المسيَّا: «لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا.» (مت ١٧:٨)

كذلك بإبراز قول المسيح أنه ابن الإنسان: «وأمَّا ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه» (مت ٢٠:٨). كذلك عندما أسكت الرياح وانتهر البحر فسكت فكان التعليق: «فتعجَّب الناس قائلين أي إنسان هذا فإن الرياح والبحر جميعاً تطيعه.» (مت ٢٧:٨)

وابتداره الإنسان المفلوج بقوله: «مغفورة لك خطاياك» (مت ٢:٩). وأظهر رد فعل الكتبة مما ينبئ أنهم اعتقدوا أنه يتكلَّم كإله: «هذا يجدِّف» (٣:٩)، ويعلِّق على ذلك بقوله: «لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا.» (مت ٦:٩)

وعندما عيَّره الفرِّيسيون أنه يأكل مع العشَّارين والخطاة كان رد المسيح هو نفس رد يهوه في القديم لشعب إسرائيل: «اذهبوا وتعلَّموا ما هو. إني أريد رحمة لا ذبيحة.» (مت ١٣:٩)

ولمَّا جاء تلاميذ يوحنا يراجعونه كيف لا يصوم تلاميذه كان ردُّه أن وجوده يلغي الصوم كوجود الله أو العريس في وسط المعيِّدين: «هل يستطيع بنو العرس أن **ينوحوا** ما دام العريس معهم» (مت ١٥:٩). ويلاحَظ أنه لم يقل: «أن يصوموا» بل «أن ينوحوا»، وهكذا حوَّل الصوم - الذي قد يليق حتى والعريس الأرضي موجود - إلى نواح، أمَّا هو فحجز عدم الصوم بوجوده لأنه عريس سمائي!

٣ – أسلوب القديس متى

يونانية إنجيل ق. متى جيدة. ولكن تظهر جودة اليونانية في الروايات أكثر منها في التعـاليم، لأن هذه تفصح عن أرامية خلفها مترجمة منها. بمعنى أن ق. متى كان لديه الأقوال التي للمسيح بالأرامية *Logia* فترجمها أو تُرجمت له.

وأسلوب ق. متى يفصح عن خلفية ساميَّة (يهودية)، ويستخدمها بوضـوح في التعريـف إذا لـزم الأمر، وهي واضحة جداً في المَثَل الذي شبَّه به مَنْ يسمع أقواله ويحفظهـا كمَـنْ يبـني بيتـاً إمـا علـى صخر فيثبت أو على رمل فيسقط. كما تظهر الساميَّة بوضوح في قوله: «مَنْ أراد أن يخلِّص نفسـه يهلكها ومَنْ يهلك نفسه مـن أجلـي يجدهـا» (مـت ١٦:٢٥). فهـو يجمـع الأسـلوب الأرامـي مـع الأسلوب اليوناني.

والقديـس متـى يلجـأ بكـثرة إلى كلمـة وصـل معيَّنـة، مثلمـا يكـرِّر ق. مرقـس كلمـة "للوقـت εὐθύς"، فالقديس متى يكرِّر باستمرار كلمة "حينئذ τότε" (استعملها نحو ٩٠ مـرَّة)، ويسـتعيض عنها أحياناً بما يرادفها مثل: «في ذلك الوقت ἐν ἐκείνῳ τῷ καιρῷ»، وهو لا يستشهد بـالزمن أو يعطي تواريخ محدَّدة. وفي أقسام إنجيله الخمسة ينتهـي دائمـاً بجملـة معيَّنـة يبتـدئ بهـا في الوقـت حديثاً آخر(٥).

ويلجأ ق. متى إلى الاختصار الشديد وحذف المقدِّمات بقصد التركيز الشديد على استعلان الفعل والقوة الإلهية في الآية أو الجملة أو المعجزة أو التعليـم - فهـو عندمـا يريـد أن يعبِّر عـن حقيقة سماوية فإنه يُسقط الزمان والمكان معتبراً أن الإنجيل كله هو عبارة عن تجلٍ للمسـيح منـذ ميلاده حتى صعوده.

---

(٥) انظر ذلك بتفصيل في مقدِّمة شرح الأصحاح ٢٦ صفحة ٧٥٦-٧٥٨.

ثالثاً: منهج القديس متى في تقديم المعجزات والأمثال

١ – المعجزات في إنجيل القديس متى

إنها قوة الله المعلنة للإنسان سواء في العهد القديم أو في العهد الجديد، فـا لله مصدر القوة الإيجابية والسلطان ولا حدود ولا نهاية لقوته، وكل شيء مستطاع لديه. على أن الذي يمتاز به التعريف بقوة الله أنها قوة مقدَّسة بسلطان الخير المطلق، وأيضاً كونها مدبِّرة للتاريخ وفائقة عليه، فهو صاحب وسيد كل ما يحدث في التاريخ وصانع المعجزات. وكما دمغت قوة الله الفائقة والصانعة العجائب كل العهد القديم، جاء العهد الجديد وتوضَّحت قوة الله الفائقة ليس في الطبيعة بعد بل في إقامة المسيح من الموت، وبتعبير لاهوتي في خلق حياة جديدة للإنسان تسمو فوق الموت وتسود عليه. وإقامة المسيح من الموت تشبه إخراج بني إسرائيل من عبودية مصر إلى حرية الحياة تحت تدبير الله، ولكن تسمو جداً عليه وإن كان كل منهما هو فصحٌ، ولكن فصح إسرائيل في مصر قد حدَّد مستقبل إسرائيل الزمني، بينما فصح المسيح على الصليب قد حدَّد مستقبل الإنسان الأبدي لحياة أبدية، ولا زلنا نقيِّم معياره كل يومِ أحد!!

وعلى هذا الضوء نرى أن المعجزات في العهد الجديد هي اختراق قوة ا لله ذات الحياة والخير والهدف الفائق لواقعنا المريض والحزين والعاجز، الأمر الذي به وفيه يستعلن الله ذاته. لذلك حُسبت المعجزة آية بمعنى علامة على حضور الله، فهي بآن واحد دعوة للإيمان بحضور الله والمسيح!! لذلك كان المسيح يلح على الناس أن يؤمنوا بالله وبه بدون آية، لأن وجود الله بالكلمة كان بحد ذاته استعلاناً لحضور الله: «لا تؤمنون إن لم تروا آيات»؟ (يو ٤ :٤٨). على أن أهم ما يلزمنا إدراكه عن طبيعة المعجزة والآية هو أن المعجزة والآية لم تُعط لإثبات مجيء الملكوت، ولكنها بحد ذاتها استعلان حضور ملكوت ا لله!![١] فهي لا تُعطى لإرضاء أفكار الناس وتصوراتهم، أو للتأثير على إيمانهم، ولكن الآية والمعجزة تتم والله يوجد حيث يوجد الإيمان، لذلك لم يستطع المسيح أن يعمل آيات في كفرناحوم لأنهم لم يكونوا يؤمنون به!! فهذا عكس ما كان الناس ولا يزالون يظنون أن المسيح يعمل

(1) Raymon Brown, *New Testament Essays*, Milwaukee, 1965, p. 171.



مدينة الناصرة ــ الجليل

أحد أهم الأماكن المقدَّسة في فلسطين: «ناصرة الجليل»، حيث اختارها الله لتكون مكان إلقاء البشارة بتجسُّد ابن الله:

+ «... إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم.» (لو ١: ٢٦-٣٥)

+ «وإذ أُوحي إليه في حلم، انصرف إلى نواحي الجليل. وأتى وسكن في مدينة يُقال لها ناصرة، لكي يتم ما قيل بالأنبياء: إنه سيُدعى ناصريًّا.» (مت ٢: ٢٢و٢٣)

+ «وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء، يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة.» (يو ١:٤٥)

الآيات لكي يؤمن الناس: «لماذا يطلب هذا الجيل آية، الحق أقول لكم لن يُعطَى هذا الجيل آية» (مر ٨: ١١و١٢). فطالما كان المسيح ينادي بملكوت الله والناس يؤمنون، كانت تُجرى الآيات، لأن الآية والمعجزة هي بحد ذاتها اختراق ملكوت الله لعالمنا، حيث مع الآية والمعجزة فرح لا يُنطق به ومجيد.

لذلك أيضاً فكل معجزات إخراج الشياطين وشفاء الأمراض لدى المتسلِّط عليهم إبليس كانت هي محصِّلة حرب ومواجهة عنيفة بين وجود ملكوت الله في شخص المسيح مقابل سلطان الشيطان: «أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذِّبنا!!» (مت ٨:٢٩). إنها حرب بين النور والظلمة وصلاح الله ضد أعمال الشر. فأينما وُجد المسيح كانت تُجرى المعجزات والآيات بقدر ما كان الناس يؤمنون به، لأن أصل الشر والبؤس والمرض وتجبُّر الشيطان هو غياب الله!! والآن إذ أُعلن اقتراب الملكوت أُعلن بالضرورة عن المعجزة والآية لاقتلاع جذور الشر والبؤس: «ولكن إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (مت ١٢:٢٨). وهذا يعني بوضوح أنه إن يبدأ الله عمله وحكومته بواسطة المسيح، يتحتَّم أن تُقتلع جذور الشيطان وأعماله من الناس. فالمعجزة والآية تخص الله والمسيح أكثر من أنها تخص الناس! لأن إخراج الشياطين كان عملاً يهم المسيح وجزءاً رسمياً في خدمته، وقد اتضح هذا جداً عندما ابتدأ عمله وخدمته بالدخول في التجربة مع الشيطان وربطه ثم نزل "لينهب أمتعته" كفاتحة لبدء حكم الملكوت: «إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله».

وحينما كان المسيح مشغولاً بعمليات شفاء الأمراض في السبوت داخل المجامع، كان يرسم عملاً أخروياً لما يجب أن يكون عليه الإنسان في ملكوت الله، وعندما أمر الرياح لتهدأ وصخب البحر ليسكن فكان يقدِّم صورة لكيف ستخضع الطبيعة أيضاً لسلطان تدبيره لتخدم أعواز الإنسان. ولكن يلزم أن نضع في الأساس أن المعجزة والآية يأتيها الله استجابة لإيمان الإنسان وليس لاسترضاء إيمانه: «حينئذ أجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم إيمانك، ليكن لك كما تريدين، فشُفيت ابنتها من تلك الساعة» (مت ١٥:٢٨). لأن ثقة الإنسان في الله تمهِّد لعمل الله، وبالمقابل فإن عدم الإيمان يوقف عمل الله: «ثم تقدَّم التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا: لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه؟ فقال لهم يسوع: لعدم إيمانكم» (مت ١٧: ١٩و٢٠). هنا حتمية الإيمان ليجري الله منتهى سعادته في عمل الخلاص للإنسان: «فقال ثقي يا ابنة إيمانكِ قد شفاكِ»!! (مت ٩:٢٢)، «ثم قال له (للأبرص) قم وامضِ إيمانك خلَّصك» (لو ١٧:١٩)، «فقال: يا سيد، أن أبصر. فقال له يسوع: أبصر. إيمانك قد شفاك.» (لو ١٨: ٤١و٤٢)

٢ – الأمثال في إنجيل القديس متى

الأمثال هي واحدة من أهم طرائق التعليم عند المسيح الذي اختص بهذا النوع من التعليم. وهي تقوم على نوع من المشابهة أو المحاكاة مأخوذة من الطبيعة أو من أعمال الإنسان، ولها قصة أو رواية قصيرة للغاية فيها يضع المسيح المعنى الروحي الذي يقصده.

فالمعنى في صورته النظرية أو الفكرية صعب التقاطه، ويحاول الإنسان أن يجد لهذا المعنى أو هذه الحقيقة صورة يطبِّق عليها ما يفهمه. فهنا في الأمثال يجسِّم المسيح المعنى أو الحقيقة التي يريد أن يرسِّخها في قلوبنا بأن يضعها في مثال معروف يجسِّد به هذه الحقيقة، فيدركها الإنسان بنفسه دون شرح. وهكذا بتشغيل الذهن والتصوُّر يبلغ الإنسان الحقيقة بنفسه وحينئذ يصعب زوالها. لذلك كانت الأمثال عند المسيح وسيلة تعليمية ناجحة للغاية بقيت في أذهان الناس بالنقل الشفاهي حتى تسجَّلت في الأناجيل.

ومن أجمل الأمثلة التصويرية مَثَل ملكوت الله والزوان: إذ يصوِّر إنساناً مجتهداً زرع قمحاً جيداً في حقله، ثم جاء عدو دون أن يراه وألقى في وسط القمح بذوراً شيطانية لنبات الزوان، ونما القمح ونما الزوان معه، ولم يكن حلٌّ على الإطلاق لتطهير الحقل من الزوان، وكان يتحتَّم أن يُتركا ينميان معاً حتى ميعاد الحصاد، وحينئذ بالغربال يمكن فصل القمح عن الزوان. وجمال هذا المَثَل في تطبيقه حيث القمح هم المختارون والزوان هم أولاد الشيطان الأشرار، وفصلهما عن بعض إنما سيتم بمعرفة المسيح في يوم الدينونة.

ومن أدق مواصفات هذه الأمثال أن المسيح كان يقولها على أساس أن لا يشرحها، وكان على التلاميذ أن يكتشفوا فيها سر الملكوت الذي كان قد استودعه قلوبهم. ولكن للأسف تبارى النُسَّاخ والمعلِّمون في شرحها، وهكذا وصلتنا بشرح واختفي الاجتهاد في استجلاء "السر".

من هذا نفهم أن المسيح كان يعتمد على حاسة استجلاء الأسرار عند التلاميذ لينمِّيها، وهو من أهم مناهج التعليم عند المسيح. لذلك لمَّا طلب التلاميذ من المسيح أن يفسِّر لهم مَثَل الزارع حزن للغاية وراجعهم بشدَّة «ثم قال لهم: أما تعلمون هذا المَثَل. فكيف تعرفون جميع الأمثال؟» (مر ٤:١٣)، «قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله. وأمَّا الذين هم من خارج فبالأمثال (غير

المشروحة) يكون لهم كل شيء.» (مر ٤: ١١)

والأمثال قريبة جداً من شكل الاستعارة أو المجاز التي كان يستخدمها المسيح أيضاً. والأناجيل الثلاثة معاً تقدم لنا ما بين ٣٠–٤٠ مَثَلاً، في حين أن إنجيل ق. يوحنا يخلو من الأمثال، وبعض الأمثال شديدة التأثير وذات رنين عالٍ في التعليم يستمر داخل الوعي كمَثَل الزارع، وهو موجود في الثلاثة أناجيل. وبعض الأمثال يشترك فيها القديس متى والقديس لوقا، وبعضها يختص بها إنجيل ق. متى وحده مثل مَثَل "العشر عذارى"، وبعضها يختص به ق. لوقا وحده كمَثَل "السامري الصالح". ويختلف المَثَل عن الرمز حيث الرمز يحمل في كل أجزائه ما يقابلها من معنى، ولكن المَثَل يعطي معنى رئيسياً واحداً وقد تتعدد المعاني.

ولعلَّ أصعب مَثَل واجهه الشُّرَّاح هو ما جاء في إنجيل ق. لوقا (١٦: ١–١٣) عن الوكيل الظالم أو وكيل الظلم، إذ يلزم أولاً معرفة كلمة السرّ فيه، فإذا كُشف أمرها صار من أقوى الأمثلة التي قالها المسيح والتي ستتحكَّم في كل تصرُّفات الإنسان بالنسبة للعالم الحاضر وللحياة الأبدية. فكلمة السر فيه هي كلمة "مال الظلم"، فما هو "مال الظلم"، إذا عُرف سرُّه انحل المَثَل وصار مطبَّقاً على كل أعمال الإنسان. وقد قمنا بشرحه في حينه (راجع: شرح إنجيل القديس لوقا الأصحاح السادس عشر).

أمَّا بعض الأمثال التي فقدت موضعها الأصيل في الحديث وبالتالي مناسبتها، فإنها تصبح غير مؤكَّدة الحل، مثل ما جاء في (مت ٥: ٢٥و٢٦): «كُن مراضياً لخصمك **سريعاً** ما دمت معه في الطريق، لئلاَّ يُسلِّمك الخصم إلى القاضي ويسلِّمك القاضي إلى الشرطي فتُلقى في السجن. الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفي الفلس الأخير». فإذا وازنَّاها بما جاء عند ق. لوقا في إنجيله نجد أن الاختلاف طفيف ويعتمد على موقع المثل: «يا مراؤون، تعرفون أن تميِّزوا وجه الأرض والسماء، وأمَّا هذا الزمان فكيف لا تميِّزونه؟ ولماذا لا تحكمون بالحق من قبل نفوسكم؟ حينما تذهب مع خصمك إلى الحاكم، ابذل الجهد وأنت في الطريق لتتخلَّص منه، لئلاَّ يجرّك إلى القاضي، ويُسلِّمك القاضي إلى الحاكم، فيلقيك الحاكم في السجن. أقول لك: لا تخرج من هناك حتى توفي الفلس الأخير.» (لو ١٢: ٥٦–٥٩)

والفارق كبير، فالقديس متى يضعها في الوسط الأخلاقي إذ يعطي قبلها مباشرة: «فإن قدَّمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكَّرت أن لأخيكَ شيئاً عليكَ، فاترك هناك قربانك قُدَّام المذبح، واذهب أولاً اصطلح مع أخيكَ، وحينئذٍ تعالَ وقَدِّم قربانك. كُن مُراضياً لِخصْمِكَ ...» (مت ٥: ٢٣–

٢٥). أمَّا وضعها في إنجيل ق. لوقا فهي في موضع معرفة يوم الرب الذي يوحي إمَّا بالإسراع للتوبة أو الهلاك. إذ يجيء قبلها مباشرة: «يا مراؤون تعرفون أن تميِّزوا وجه الأرض والسماء، وأمَّا هذا الزمان (زمان ابن الإنسان) فكيف لا تميِّزونه؟ ولماذا لا تحكمون بالحق (على أنفسكم) من قِبَلِ نفوسكم؟ (أنكم خطاة وتحتاجون إلى التوبة قبل أن يُحكم عليكم).» (لو ١٢: ٥٦و٥٧)

هكذا يلزم أن ندرك أن الأمثال في وضعها الحالي احتفظت بأهميتها كوسائل تعليم كانت ذات معنى وأثر فعَّال، وتوارثتها الكنيسة كأقوال شفاهيَّة هامة وحيَّة من فم المسيح. أمَّا أوضاعها وتحديد معانيها فتحتاج إلى جهد كبير.

تقليد القديس متى في عرض الأمثال وتخصصها:

يمتاز تنسيق إنجيل القديس متى بتجمعات خمسة كبرى لتعليم المسيح:

١ - العظة على الجبل من الأصحاح (٥-٧).

٢ - الإرساليات وتعليمها الأصحاح العاشر.

٣ - حديث الأمثال الأصحاح الثالث عشر.

٤ - تعاليم لحياة الجماعة الأصحاح الثامن عشر.

٥ - حديث الأخرويات الأصحاح (٢٤و٢٥).

ومعظم الأمثال تتركز في الثلاثة أجزاء الأخيرة.

ويحاول القديس متى أن يتَّسع بالأوصاف ويغالي جداً في شدتها وحجمها ليبرز قدر السماء من قدر التراب، فالكنز في الحقل **باع الإنسان كل ما كان له** واشتراه، واللؤلؤة لتاجر يطلب اللآلئ الحسنة **باع كل ما كان عنده** واشتراها، والشبكة المطروحة جمعت من كل **نوع**. ودين العبد عند سيده يساوي في حجمه الضرائب المفروضة على كل سوريا وفينيقية واليهودية والسامرة (مت ١٨: ٢٤) وتُقدَّر قيمته بستمائة مليون جنيهاً، والوزنات التي أُعطيت للعبد للمتاجرة تساوي على التوالي أجر عامل لمدَّة عشرين وأربعين ومائة سنة!! (مت ٢٥: ١٥). وهذا كله تراب ولا يساوي مجد الله.

والقديس متى له روح تأملية تسرح في الأخرويات دائماً وتلوِّن تعاليم المسيح، وهو مغرم بالأخلاقيات ويقرن الأخلاقيات بالنهايات.

وحديث الأمثال المجتمعة في الأصحاح الثالث عشر يعطي لإنجيل ق. متى مذاقة جيدة. ومَثَل الزارع عند ق. متى (١٣: ١-٩)، حديث أطول بكثير مما عند ق. مرقس، ويرجع إلى نص إشعياء

النبي (٩:٦و١٠). والقديس متى هو الوحيد الذي وضع هنا تطويب المسيح لعيون تلاميذه وآذانهم لأنها عاينت عصر المسيا!! وق. متى يضيف في عالم الأمثال مثله البديع عن القمح والزوان! (١٣: ٢٤-٣٠) والخميرة الصغيرة (مت ١٣: ٣٣). ولُوحِظَ أنه يجمع الأمثال في ثلاثيات، وهو مغرم بالرقم ٧، فسبعة آلاف شخص أكلوا من سبع خبزات، وفاض سبع سلال من الكسر.

ونعمة "البر δικαιοσύνη" عند ق. متى قطب جاذب: «طوبى للجياع والعطاش إلى **البرّ**» (مت ٥: ٦)، «طوبى للمطرودين من أجل **البر**» (مت ٥: ١٠)، «إن لم يزد **بركم** على الكتبة والفرّيسيين لن تدخلوا ملكوت السموات.» (مت ٥: ٢٠)

و"**البر**" الذي يُترجم بالحق أو العدل بالنسبة لملكوت السموات عند ق. متى هو **المنبثق من الغفران المجّاني وبدون استحقاق من قبل الله الكلي البر، ومظهره السائد هو الرحمة.** فالله رحوم لأنه بار، وهو «يبرِّر الفاجر» فيستد فم العدل في نظر الإنسان «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يخلّص ما قد هلك» (مت ١٨: ١١)، «فلما ابتدأ في المحاسبة قُدِّم إليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة(٢) (ستمائة مليون جنيه!) ... فتحنّن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين» (مت ١٨: ٢٤و٢٧). بهذا المثل وهذا التحديد الواقعي لبر الله ورحمته يخرج إنجيل ق. متى بمعيار لاهوتي فريد من نوعه عن قيمة الغفران.

وفي مَثَل الخروف الضال ينتهي القول للقديس متى هكذا: «هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذي في السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار» (مت ١٨: ١٤). وبهذه الآية نقف وجهاً لوجه مع آية ق. يوحنا الفريدة: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.» (يو ٣: ١٦)

وتأتي الأمثال عند ق. متى في ثلاثة مواضع تكاد تكون متخصِّصة لها:

١ - الأمثال التي تعالج الملكوت بصفة عامة (أصحاح ١٣).

٢ - الأمثال الأكثر تخصصاً التي تختص بجماعة العهد الجديد وبمبادئها (أصحاح ١٨).

٣ - الأمثال التي تعكس ذهاب المسيح إلى أُورشليم للنهاية (أصحاح ٢٠ إلى ٢٥).

وعلى العموم فالأمثال تبدأ تظهر في إنجيل ق. متى عند نقطة هامة، وذلك بعد أن أعطى المسيح تعاليمه للاثني عشر، وبعد أن أرسل المعمدان يسأل عن حقيقة مجيء المسيح وخدمته، ثم حديث

(٢) الوزنة كانت تساوي ستة آلاف دينار والدينار كان يساوي الأجر اليومي لعامل واحد (مت ٢٠: ٢).

المسيح عن الشيطان باعتباره الرجل القوي، وعن نفسه بأنه الأقوى الذي يربط هذا القوي ثم ينهب أمتعته، بعدها وفي مبدأ الأصحاح الثالث عشر بدأت أول أمثلته عن الزارع معبِّراً عن عمل الملكوت.

أولاً: الأمثال التي تعالج الملكوت بصفة عامة (أصحاح ١٣):

(١٣:٣-٨) مَثَل الزارع: = (مر ٤: ٣-٨)، (لو ٨: ٥-٨)

والمَثَل ولو أنه للزرع إلاَّ أنه ينظر إلى الحصاد أساساً، فهو يرمي إلى الملكوت بالنهاية، والحصاد في عُرف المسيح والإنجيل هو الزمن الأخروي، ولكن من مبدأ الكلام ينكشف الملكوت: «فاسمعوا أنتم مَثَل الزارع، كل مَنْ يَسمع **كلمة الملكوت** ...» (مت ١٣: ١٨و١٩)

(١٣:١٠-١٣) لماذا الأمثال: = (مر ٤:١٠-١٢)، (لو ٨:٩و١٠)

+ «فتقدَّم (إليه) التلاميذ وقالوا له: لماذا تكلِّمهم بأمثال؟ فأجاب وقال لهم: لأنه قد أُعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات، وأمَّا أُولئك فلم يُعطَ. فإن مَنْ لهُ سيُعطَى ويُزاد، وأمَّا مَنْ ليس له فالذي عنده سيؤخذ منه».

بهذا يُفهم تماماً أن المسيح قد غطَّى مفهوم المَثَل ليجعله لا يُفهم عند غير المدعوين للملكوت، وجعل سر الملكوت قاصراً على تلاميذه. من هذا يظهر أن كل محاولة تمَّت لتفسير الأمثال ليفهمها الجميع هي خارجة عن إرادة المسيح، ولا تعطي المفهوم الصحيح الموازي لسر الملكوت.

والمهم أن نعلم أن هذه الحقيقة (١٣:١١) واردة في الثلاثة أناجيل، بمعنى أنها داخلة في أساس التعليم بالنسبة للتلاميذ. وقد كشف المسيح عن حقيقة إعطاء تلاميذه سر الملكوت عند قوله: «ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع. فإن الحق أقول لكم إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون و لم يروا. وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون و لم يسمعوا» (مت ١٣:١٦و١٧). لذلك فإن الأمثال عند ق. متى تُحسب على مستوى الآيات والمعجزات التي تكشف عن حضور الله بالسر!!

(١٣:٢٤-٣٠) مَثَل الزوان:

هنا صورة للملكوت الذي سيجمعه المسيح من أطراف السماء الأربعة، حيث يأتي بجميع الناس ويوقفهم أمامه عن يمينه ويساره، في اليمين الخراف وفي اليسار الجداء، والخراف هم المختارون والجداء هم المرفوضون. وبمعنى واضح أنه الملكوت قبل الملكوت، أو ملكوت حكم الدينونة قبل ملكوت المجد.

هنا الزرع الجيد وزرع الزوان. ويمتاز هذا المَثَل بضرورة التأني والانتظار وعدم الحكم إلاّ بعد أن يكمل نمو الجميع، فالتلمذة الأصيلة ينبغي أن تأخذ كمال انطلاقها، والمضادون يُتركون بصبر حتى النهاية: «إذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت.» (١كو ٤:٥)

(١٣:٣١و٣٢) مَثَل حَبَّة الخردل: = (مر ٤: ٣٠-٣٢)، (لو ١٣: ١٨و١٩)

وفي هذا المَثَل تتنحي سرية الملكوت في النمو المتواصل الذي يجعل من البداية الصغيرة جداً نهاية ذات وجود شامل، وهو أمر يفحم المناقضين له، أمره كأمر قيامة المسيح من الأموات التي وصفها سفر الأعمال بحسب نبوَّة حبقوق (١:٥): «فليكن معلوماً عندكم أيها الرجال الإخوة، أنه بهذا يُنادى لكم بغفران الخطايا، ... فانظروا لئلاً يأتي عليكم ما قيل في الأنبياء: انظروا أيها المتهاونون وتعجَّبوا واهلكوا، لأنني عملاً أعمل في أيامكم. عملاً لا تصدقون إن أخبركم أحد به.» (أع ١٣: ٣٨-٤١)

(١٣:٣٣) مَثَل الخميرة الصغيرة: = (لو ١٣: ٢٠و٢١)

وهنا أيضاً سر الملكوت يختبئ في سرعة الانتشار من بداية صغيرة للغاية، ولكن بالنهاية يصير عملاً يملأ الأسماع والأنظار والأقطار، وهنا يضيف ق. متى في شرح نمو الملكوت الأكيد لمحة من مزمور (٧٨) الذي يصف فيه كيفية بداية شعب ونهايته مبتدأً بالقول: «أميلوا آذانكم إلى كلام فمي، أفتح بمَثَلٍ فمي أذيع ألغازاً (وأنطق بمكتومات) منذ القديم» (مز ٧٨: ١و٢ وانظر: مت ١٣:٣٥): والتركيز في هذه النبوَّة على كلمة "أمثال" أو "ألغاز" ليوضِّح للقارئ والسامع فحوى الكلام وسريته. وواضح من بقية هذا المزمور أن هناك علاقة بين الملكوت القادم والمُلك الذي أُكمل لشعب إسرائيل، حيث يتبلور الكلام هنا على عهد جديد كما تبلور في القديم على عهد سيناء. والذين يتهاونون يجرفهم التيَّار ويهلكون.

(١٣:٤٤-٤٦) مَثَل الكنز في الحقل ومَثَل اللؤلؤة الحسنة:

وهنا يقارن سر الملكوت بفرحة اللقيا مع الله لتعوِّض الجهد والسهر والبحث، حيث ينكشف وجه الله ككنز فائق يستحق كل البحث والمعاناة. وشأن الكنز شأن اللؤلؤة الجميلة الكثيرة الثمن التي تمثِّل وجه الله هنا حينما ينتهي سر الملكوت إلى مفاجأة فائقة القدر، حينما يكتشف الإنسان أنه تواجه في قلبه مع الله.

(١٣:٤٧-٥٠) الشبكة المطروحة في البحر:

بهذا المَثَل المحكم ينهي ق. متى هذا الأصحاح، إذ يوضِّح هذا المَثَل النهاية، شأن الحصاد الذي

يجمع الأردياء والجياد والصالحين والأشرار، اليهود والأمم، حيث ينتهي الملكوت إلى دينونة قبل أن ينجلي وضع المختارين الداخلين إلى فرح سيدهم. والمَثَل له موضع محبوك إذ يأتي في ظروف ازدياد النقد للمسيح من الرافضين.

ثانياً: مَثَلان يخصان جماعة العهد الجديد (أصحاح ١٨):

(١٨: ١٢-١٤) مَثَل الخروف الضال: = (لو ١٥: ٣-٧)

مجرى الحديث الذي أوحى بمَثَل الخروف الضال هو الاهتمام بالصغار: «انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار، لأني أقول لكم إن ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات. لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يخلِّص ما قد هلك» (مت ١٨: ١٠و١١). لذلك فاهتمام المسيح بالصغار يمتد ليشمل الذين في خطر الهلاك، الذين ضلُّوا الطريق وخرجوا من وسط الجماعة وليس من يهتم. وهنا يجيء مَثَل الخروف الضال شديد الإحكام، ولكن ليس على أساس أن الخروف الضال أهم من الجماعة (التسعة والتسعين)، لأن الجماعة إن كانت في أمان وجب أن تتركَّز الجهود من أجل الضال، على أساس أن قيمة الجماعة عند الله تشمل بالضرورة الصغير فيها والضال والمعرَّض للهلاك. والمسيح يؤكِّد أن مجيئه أصلاً هو من أجل هذا الضال الواقع تحت تهديد الهلاك.

(١٨: ٢٣-٣٥): مَثَل العبد غير الرحوم:

هو يمثِّل قيمة الصفح والتسامح والمغفرة لدى جماعة الملكوت، والذي يشذ عن أن يسامح رفيقه يغرَّم بكل ديونه لدى الله. والفرق بين ما نغفره وما يُغفر بالمقابل لنا شيء لا يمكن مقارنته، وبالتالي يكون ما سنخسره من عدم غفران خطايانا وتعدياتنا لا يمكن تصوُّره بما هو مفروض علينا أن نغفره. والمسيح يُعطي أرقاماً مذهلة: فدين العبد الذي تركه له سيده = ١٠,٠٠٠ وزنة، والوزنة ٦٠٠٠ دينار وهذا المبلغ يساوي ستمائة مليون جنيهاً، والمبلغ الذي لم يشأ العبد أن يغفره لزميله بالمقابل هو مائة دينار فقط أي ما يساوي ١: ٦٠٠,٠٠٠ من الدين الأول!! فانظر أيها القارئ فهذه هي النسبة بين ما علينا وبين الذي لنا على الناس!!

+ «فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاَّته.» (مت ١٨: ٣٥)

ثالثاً: الأمثال التي تعكس ذهاب المسيح إلى أُورشليم للنهاية (أصحاح ٢٠ إلى ٢٥):

(٢٠: ١-١٦) مَثَل للملكوت: فعلة الكرم المبكِّرين والمتأخرين والدينار الواحد!!

وهنا يلمِّح المسيح على إسرائيل أنها عملت من أول نهار العهد، واحتملت ثقل الناموس

وعقوباته، وبطء استعلان الله مئات من السنين، وأمانة حفظ الكلمة، على أن الكرم أصلاً هو إسرائيل بكل تأكيد ومن كل الوجوه. ولكن يخيِّب المَثَل ظن الفعلة المبكرين مثل حنة وسمعان الشيخ، فلا يأخذون أجراً إلاَّ أجر أصحاب الساعة الحادية عشر مثل الخطاة الذين تابوا على يد المسيح، لأن عطية الملكوت صادرة من قلب الله وليس من عرق الإنسان، وفيها يتساوى الإنسان، كل إنسان، تحت مظلة صلاح الله. ولكن الكلمة السرية هي «فتأخذوا **ما يحق** لكم = **δίκαιον**». هنا الاستحقاق في أجر الملكوت هو بحسب "عدل الله" وليس بمقتضى عرق الإنسان.

(٢١:٢٨-٣٢) مَثَل الابنين:

الأول رفض العمل ثم ندم وعمل، والثاني وافق على العمل ولم يذهب:

واضح أن قادة إسرائيل أظهروا دائماً غيرة على وصايا الله والاستعداد للطاعة، ولمَّا جاء وقت العمل والطاعة بمجيء المعمدان لا عملوا ولا أطاعوا. وهم هنا في هذا المَثَل الابن الذي وافق ولم يذهب، والعشَّارون والزواني هم الذين استعفوا واعتذروا ثم ندموا وأقبلوا واعتمدوا من يوحنا، وهم الابن الأول في هذا المَثَل.

والمَثَل قدَّمه المسيح بعد أن استجوبه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب عن بأي سلطان يفعل هذا ومَنْ أعطاه السلطان، فردَّ عليهم بسؤاله عن معمودية يوحنا أكانت من السماء أم من الناس؟ فلم يجيبوا. فامتنع هو أيضاً عن الإجابة، وأدرك المسيح خبثهم أنهم رفضوا الإجابة لأنهم لم يقبلوه ولم يعتمدوا ورفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم، فجاء المَثَل عليهم بحبك متقن.

(٢١:٣٣-٤١) مَثَل الكرَّامين الأردياء: = (مر ١٢: ١-٩)، (لو ٢٠: ٩-١٩)

وواضح أن الكرم دائماً يشير إلى إسرائيل، وهنا الكرَّامون هم رؤساء إسرائيل. والمَثَل على مستوى رفع قضية ضد رؤساء إسرائيل الذين نقضوا العهد وأكلوا الكرم وقتلوا صاحب العهد والوعد، والقضية تطالب بتسليم الكرم وتحمل أشد العقوبات. ومن المعروف أن الأنبياء قد رفعوا هذه القضية مراراً ضد رؤساء إسرائيل ونطقوا بأحكام مريعة مسبقاً (انظر مثلاً إشعياء ٥). وبالتالي تكون بمثابة الدخول المباشر في تأسيس العهد الجديد. والعجيب أن رؤساء الكهنة والفرِّيسيين فهموا تماماً قصد المسيح، لأن مثل هذه القضية كانت تشغل ضمائرهم بسبب خيانتهم لعهد الله.

(٢٢:١-١٠) يشبه ملكوت السموات ملكاً صنع عرساً لابنه: =(لو١٤:١٥-٢٤)، (رؤ ١٩:٧)

واضح أن الدعوة كانت قائمة منذ القديم، ولكن تحقَّقت بمجيء المسيح الابن، والوليمة هي

وليمة الملكوت، والعرس عرس الكنيسة، والمدعوون هم رؤساء الشعب والمتولون على أمره. ولكنهم استهزأوا بالابن وملكوته وعرسه ودعوته ورفضوه ورفضوا كلامه. فـانتقلت الدعـوة بـالضرورة إلى مَنْ هم خارج سياجات إسرائيل، بمعنى الخطاة والعشَّارين والزواني وأخيراً الأُمم (الكلاب).

(٢٢: ١١-١٤) لباس العرس:

يعتقد العلماء أن هذه بقايا مَثَل قائم بذاته، ولكنه على أي حال يوضِّـح أن الدعـوة للعـرس، أي للملكوت، لا تُعطَى بالقول بل بالفعل، فـالمدعو مهمـا كـان خاطئـاً وغـير مستحق إلاَّ أنـه بوقـوع الدعوة عليه تعطيه في الحال شكل ووصف وطبيعة المدعوين، يحملها ويدخل بافتخار. فلباس العـرس هو بمثابة كارت الدعوة ممضي من صاحب الوليمة أو تذكرة إخلاء طرف من العالم.

ولكن بحسب تقليد الكتاب المقدَّس والكنيسة فلباس العرس تظهر حقيقته في الآيات التالية:

+ «مَنْ يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً، ولن أمحو اسمه من سفر الحياة، وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته.» (رؤ ٣: ٥)
+ «فأُعطوا كل واحد ثياباً بيضاً، وقيل لهم أن يستريحوا زمانـاً يسـيراً أيضـاً حتـى يَكْمَـلَ العبيـد رفقاؤهم، وإخوتهم أيضاً، العتيدون أن يقتلوا مثلهم.» (رؤ ٦: ١١)
+ «هـؤلاء هـم الذيـن أتـوا مـن الضيقـة العظيمـة، وقـد غسَّـلوا ثيـابهم وبيَّضـوا ثيـابهم في دم الخروف.» (رؤ ٧: ١٤)
+ «فرحاً أفرح بالرب، تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني **ثياب الخلاص**. كساني **رداء البر** مثل عريس يتزيَّن بعمامة ومثل عروس تتزيَّن بحُليِّها.» (إش ٦١: ١٠)
+ «أشير عليك أن تشتري مني ذهباً مصفًّى بالنار لكي تستغني، **وثيابـاً بيضـاً لكـي تلبَـس، فـلا يظهر خزيُ عُريتك.**» (رؤ ٣: ١٨)

وواضح أن الثوب المتسخ هو المدنَّس بالخطايا، والمغسول والمبيَّض هو بدم الخروف. والذي يـلزم الرجوع إليه هو قول المسيح للذي ليس عليه لباس العـرس πῶς εἰσῆλθες ومعناهـا: "بـأي حـق دخلت؟" وليس كما جاء في الترجمة العربية مجرَّد «يا صاحب، كيف دخلـت إلى هنـا وليـس عليـك لِبَاسُ العرس؟» (مت ٢٢: ١٢). فكلمة "كيف" فقط ضيَّعت معنى وقيمة المَثَل، إذ السؤال: **"بـأي حقٍّ؟"**، إذن فهو دخل بدون حق!! وحق الدخول هو **مسحة الدم!! ثوب الخلاص!!** ولا يحتاج إلاَّ الاعتراف بتبعية المسيح.

علماً بأن الكنيسة الأُولى كانت تُلبس المعمَّد الجديد بعد خروجه من المعمودية وقبوله الروح القدس لباساً أبيض جديداً بمفهوم لباس العرس، وكان يحتفظ به المعمَّد (رجال ونساء) لكي يلبسه ساعة الموت ويُدفن به، بمفهوم تواجده هناك لابساً ثياب العرس أو الخلاص أو الإنسان الجديد الممسوح بالدم (وكانوا يعتمدون وهم كبار).

(٢٤: ٤٥-٥١) مَثَل العبد الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على عبيده: = (مر ١٣: ٣٤)، (لو ١٢: ٤٢-٤٦)

المسيح يضع هذا في هيئة سؤال: فمن هو العبد الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه؟ الجواب متروك للقارئ أن يجيب عليه باعتبار أن السؤال موجَّه إليه شخصياً. وهكذا يرفع المسيح حالة الاستعداد لجميع تلاميذه وسامعيه، لا بسبب الخوف من أن يأتي السيد فجأة، بل بسبب ضرورة السهر كعلاقة حقيقية بالسيد طالما كان السيد غائباً، فهي أمانة. لذلك فالذي لا يسهر يُعتبر أنه لا يتبع السيد وغير أمين له. لأنه بمجيء السيد تُقيَّم العلاقة التي تربطنا به، التي نكون قد أثبتنا أننا أمناء عليها في غيابه بالسهر والانتظار.

(٢٥: ١-١٣) مَثَل العشر عذارى والعرس السماوي:

ولا يغيب عن بالنا أن إسرائيل عروس العهد القديم، ولكن لمَّا جاء زمن العرس لختم العهد بالدم خرجت من بيت العريس: «أين كتاب طلاق أُمكم» (إش ٥٠: ١). والعرس الآن للجماعة الجديدة الساهرة والمنتظرة صاحبة المصباح الموقد وآنية الزيت. وإن كانت إسرائيل قد خيَّبت ظن عريسها فقد صارت عبرة، والكل أصبح الآن عذراء، والمصباح موقد في القلب، والزيت لا يُباع بل يُقتنى قطرة قطرة بالدموع، ونصف الليل أصبح وشيكاً!

(٢٥: ١٤-٣٠) مَثَل الوزنات: =(لو ١٩: ١٢-٢٧)

وهي غالباً وزنات من الفضة (٢٥: ١٨)، فكل واحدة تساوي ٣٤٢ جنيهاً استرليني، وهي مواهب الروح والخدمة والصلاة والحب، لإقامة الخدمة وعمل الملكوت والشهادة للرب.

والمَثَل أيضاً يخص العبد الكسلان الذي دفن موهبته فما تاجر وما ربح.

وليس من فراغ أعطى المسيح الوزنات، وإنما من دم صليبه ليؤسِّس بها ملكوته.

رابعاً: المفاهيم اللاهوتية الأساسية في إنجيل القديس متى

١ – المسيَّا في إنجيل القديس متى

من العسير أن نعثر على منهج مدروس أو حتى نتتبع إعلانات واضحة تكشف لنا عن نجاح الإنجيل في إضفاء شخصية مسيًّا على المسيح بوضوح مثل ما جاء في إنجيل القديس متى. فإذا بحثنا عن موقف للمسيح أو تعليم له يؤكِّد علاقته الصميمية بالله وخاصة فيما يخص الخلاص، نجد ق. مرقس يقدِّم لنا شخصية المسيح في حادثة التجلِّي (مر ٩: ٢–١٣): «هذا هو ابني الحبيب»، ولكن تبقى غير كافية حتى يعطينا ق. متى صورة مهيبة للمسيَّا داخلاً كملك من أبواب مدينة الملك العظيم، والكل يهتف بابن داود في الأعالي: «أوصنا لابن داود ... أوصنا في الأعالي» (مت ٢١: ١–١١). والقديس متى يروي ذلك بارتياح كمَنْ يضع يده على استعلان سر رجاء إسرائيل وكل الأنبياء، حتى ولو كان المسيح داخلاً ليموت!

كذلك في معارضة الفرِّيسيين لأكل سنابل الحقل يوم السبت بواسطة تلاميذه جعله يعلن: «ولكن أقول لكم إن ههنا **أعظم من الهيكل** ... فإن ابن الإنسان **هو رب السبت أيضاً**» (مت ١٢: ١–٨). ثم تصريح المسيح بواقعه السمائي وسلطانه: «لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا، حينئذ قال للمفلوج: قُم احمل فراشك واذهب إلى بيتك! فقام ومضى إلى بيته» (مت ٩: ٦و٧). كذلك فإن ق. متى يرى في وحدة المسيح بالكنيسة (الاثني عشر) أنها وحدة دائمة أو أبدية: «مَنْ يقبلكم يقبلني، ومَنْ يقبلني يقبل الذي أرسلني» (مت ١٠: ٤٠). وهذا التعبير السرِّي اللاهوتي في مفهوم وحدة الكنيسة والمسيح مع الآب هو نفسه قمة التعبير اللاهوتي عند القديس يوحنا والقديس بولس:

+ «في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي، وأنتم فيَّ، وأنا فيكم.» (يو ١٤: ٢٠)
+ «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد.» (يو ١٧: ٢٣)

ويعود القديس متى ويؤكِّد هذه الوحدة:

+ «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم.» (مت ١٨: ٢٠)

+ «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين.» (مت ٢٨: ٢٠)

وأخيراً يكشف القديس متى آخر غطاء عن حقيقة المسيح هكذا:

+ «فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله. الحقَّ أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته.» (مت ١٦: ٢٧و٢٨)

علماً بأن ق. متى هو الوحيد الذي يذكر في إنجيله جماعة المسيح ككنيسة ἐκκλησία وهي بالعبرية qehal Yisrael «وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني **كنيستي**، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ...» (مت ١٦: ١٨)، وأيضاً: «وإن لم يسمع منهم فقل **للكنيسة**، وإن لم يسمع من **الكنيسة** فليكن عندك كالوثني والعشَّار.» (مت ١٨: ١٧)

أمَّا الصورة الأخيرة التي يعطيها إنجيل ق. متى للمسيح القائم في مجده وسلطانه الشامل في السماء والأرض لحساب الكنيسة وعملها وتأسيس الملكوت على الأرض، فهو الاستعلان الكلي للمسيا: «فتقدَّم يسوع وكلَّمهم قائلاً: دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين» (مت ٢٨: ١٨-٢٠). وهكذا سلَّم المسيح الرسالة لتلاميذه، وبالتالي للكنيسة، كشهود لشخصه وتعليمه وملكوته وليس كمجرَّد حُرَّاس للتقليد. وبذلك تتم نبوَّة إشعياء: «**اجتمعوا يا كل الأُمم معاً ولتلتئم القبائل: مَنْ منهم يخبر بهذا ويعلِّمنا بالأوليات، ليقدِّموا شهودهم ويتبرَّروا أو ليسمعوا فيقولوا صدقٌ. أنتم شهودي يقول الرب وعبدي الذي اخترته لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا أني أنا هو، قبلي لم يُصوَّر إله وبعدي لا يكون، أنا أنا الرب وليس غيري مخلِّص ... وأنتم شهودي يقول الرب وأنا الله.**» (إش ٤٣: ٩-١٢)

يسوع هو مسيَّا العهد القديم، ويقدِّمه ق. متى بنوع من التأكيد منذ أول آية في إنجيله: «كتاب ميلاد يسوع "**المسيح**" ابن داود ابن إبراهيم». والقديس متى يتتبَّع انحداره من إبراهيم ثم داود ليوضِّح أنه وريث مملكة داود الأبدية، وبهذا يرفع مسيَّانية المسيح إلى الإسخاتولوجية الأبدية، حيث يتركَّز في شخص داود معنى عودة المُلك بعد أن ضاع في السبي. ففي الآية السادسة من الأصحاح الأول يقف عند: «ويسَّى وَلَدَ داود **الملك**»، وإبرازه لكلمة "**الملك**" يكون قد ألقى بسهمه في الصميم، على أنه يذكر السبي الحزين في الآية الحادية عشرة ويقف عندها: «ويوشيا وَلَدَ يكنيا

وإخوته عند **سبي بابل**». ولكن إذ يفرغ من سلسلة كل الآباء يحط التاج الملكي على رأس الموعود عند الآية (١٦): «ويعقوب وَلَدَ يوسف رجل مريم التي وُلِدَ منها يسوع الذي يُدعى "**المسيح**"».

وفي الحال يقدِّمه ق. متى للعالم كملك اليهود عندما قدَّم الحكماء القادمين من المشرق قائلين: «أين هو **ملك اليهود**» (٢:٢). فنحن هنا نتتبَّع الخط الفكري أو الرؤيوي الذي يسير عليه ق. متى مُساقاً بالروح! ثم عند تمام الخدمة يستعلن ق. متى ملوكيته (٢١:٤و٥): «فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل قولوا لابنة صهيون هوذا **ملكِكِ يأتيكِ وديعاً** راكباً على أتان وجحش ابن أتان». ولمَّا قدَّمه ميتاً على الصليب قدَّمه كمَنْ يُطالِب بملكه الأبدي (١١:٢٧): «أأنت **ملك اليهود**»، «وكانوا يجثون قدَّامه ويستهزئون به قائلين السلام **يا ملك اليهود**» (٢٩:٢٧)، «وجعلوا فوق رأسه علَّته مكتوبة (بلغات العالم الثلاث اليهودية واليونانية والرومانية) هذا هو يسوع **ملك اليهود**» (٣٧:٢٧). وكذلك جاء رؤساء الكهنة يتشفَّون به وهو معلَّق على الصليب: «إن كان هو **ملك** إسرائيل فلينزل الآن ...» (٤٢:٢٧)

والقديس متى يضع أمام هذا ومنذ البدء كيف أن المسيح مولود من عذراء بحسب نبوَّة إشعياء (٢٢:١)، إذ حُبِل به من الروح القدس (٢٠:١)، فصحَّ القول إن اسمه «الله معنا» **عمانوئيل** (٢٣:١)، وأنه بذلك هو **ابن الله** (١٥:٢، ٦:٤، ٥:١٧، ٦٣:٢٦، ٢٧: ٤٠و٤٣و٥٤).

وفي المعمودية تقبَّل الروح القدس نازلاً عليه، وهنا كما في التجلِّي كان صوت الآب يعلن أن «هذا هو ابني الحبيب» مختار الله (١٧:٣، ١٧:٥)، وهو تكلَّم عن نفسه باعتباره أنه الابن وأن الله أبوه بالمعنى الفائق (٢٧:١١، ٢٤ :٣٦). وهو المسيَّا الذي أكمل كل نبوَّات العهد القديم، وذلك بالميلاد الإعجازي من العذراء والروح القدس (٢٢:١)، ومن صميم خدمته (٤: ١٤-١٦)، وبمعجزات أشفية (١٧:٨)، وكيفية دخوله أُورشليم (٤:٢١). أمَّا أعماله الخلاصية فتنحصر في قبوله الآلام والموت على الصليب التي سبق وأعلنتها النبوَّات. وقبلها قدَّم دَمَ نفسه بيديه: «الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (٢٨:٢٦)، وبهذا رسم العهد الجديد بين الله والإنسان "بدم صليبه"، حيث تمَّت المصالحة العظمى بين الله والإنسان في المسيح يسوع.

٢ – ابن الإنسان في إنجيل القديس متى

ابن الإنسان في أصلها الأرامي وفي مفهومها الأوَّلي هي "ممثِّـل البشـرية"، وهـي تـأتي في الأربعـة أناجيل لتحقيق هوية المسيح بالنسبة للإنسان، في اتضـاع المسـيح الشـديد، وبعدهـا كمسـتقبِل لهبـة نعمة الله للبشرية، وأخيراً كوسيط بين الإنسان والله في عمل فدائي سيكون سبب استعلان مجد ابن الإنسان: «أمَّا يسوع فأجابهما قائلاً: قد أتت الساعة ليتمجَّد ابن الإنسان. الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبَّة الحنطة في الأرض **وتمت** فهـي تبقـى وحدهـا، ولكـن إن مـاتت تـأتي بثمـر كثـير» (يو ١٢: ٢٣و٢٤). والمسيح هو الذي أعطى نفسه لقب "ابن الإنسان" وهو يـدري تمامـاً أنـه لَقَبـهُ المسيَّاني حسب النبوَّة. وتكرَّر هذا اللقـب في إنجيـل القديـس متـى ٣٢ مـرَّة. فكـل أقـوال القديـس مرقس في إنجيله عن ابن الإنسان أوردها القديس متى، ولكن يعود القديـس متـى مـع القديـس لوقـا ويأتيان ببيانات جديدة عن ابن الإنسان مما سَمِعَهُ ق. متى من المسـيح رأسـاً أو يكـون ق. لوقـا قـد استقاه من مصدر آخر في التقليد العام للكنيسة آنئذٍ. وقد ذكر القديس متى قولين فقط اختص بهما دون غيره:

+ «فإني الحق أقول لكم لا تكمِّلون مدن إسرائيل حتى يأتي **ابن الإنسان**.» (مت ١٠:٢٣)
+ «الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتمونـي **في التجديـد** παλιγγενεσία متـى جلـس **ابـن الإنسان** على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينـون أسـباط إسـرائيل الاثني عشر.» (مت ١٩:٢٨)

وكلا الآيتين توضِّحان فهم ق. متى لمعنى ابن الإنسان. وسيأتي شرحهما في موضعهما.

والقديس متى رفع هذا اللقب ليكون معبِّراً عن المسيح عندما يأتي على السحاب مع ملائكتـه في المجيء الثاني للدينونة (٢٤: ٣٠و٣١). ومعروف أن هـذا اللقـب بـدأ ولـه علاقـة صميميـة بالمسـيَّا، فدانيال النبي (١٣:٧) أول مَنْ أطلقه ثم أُخذ عنه في التقليد اليهودي دون فحص أصل معناه، ولكنه أُخذ عن دانيال بمفهومه المسيَّاني إنما بمضمون سرِّي غير مُدرك، معبِّر عنه بمجيئه علـى السـحاب (في السبعينية) أو مع السحاب (في النص العبري). وهذا اعتُبر تعبيراً عن أصـل اللقـب "الإلهـي"، ولكـن لكي يؤدي دور ابن الإنسان المسيَّاني يلزم أن يكون إنساناً أولاً!! وفي إنجيـل ق. متـى يعبِّر المسيح عن وظائف ابن الإنسان الفائقة للطبيعة، فسوف يجيء في مجد أبيه (١٦:٢٧)، وعلى سحاب السماء

(٢٤:٣٠)، ويُرسل ملائكته لجمع مختاريه (٢٤:٣١)، ويجلس على عرش مجده (١٩:٢٨، ٢٥:٣١) ويجتمع إليه كل الأُمم (٢٥:٣٢).

+ «ومتى جاء **ابن الإنسان** في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده.» (مت ٢٥:٣١)

ويعطي ابن الإنسان وضعه الأبوكاليبتي (الرؤيوي) فيُظهر شخصيته الأُخروية بوضوح:

+ «يرسل **ابن الإنسان** ملائكته فيجمعون من **ملكوته** جميع المعاثر وفاعلي الإثم ... حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في **ملكوت أبيهم**. مَنْ له أذنان للسمع فليسمع.» (مت ١٣: ٤١و٤٣)

ويُلاحَظ هنا أن الملكوت يظهر أولاً أنه ملكوت ابن الإنسان، ثم بعد ذلك يوصف بأنه "ملكوت الآب". وهنا ولو أن المسيح يتكلّم عن ابن الإنسان في ضمير الغائب وكأنه عن شخص آخر ولكن يعود ق. متى ويؤكِّد أنه هو هو:

+ «فأجاب وقال لهم الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان، والحقل هو العالم، والزرع الجيد هو بنو الملكوت، والزوان هو بنو الشرير، والعدو الذي زرعه هو إبليس، والحصاد هو انقضاء العالم، والحصَّادون هم الملائكة.» (مت ١٣: ٣٧-٣٩)

واضح هنا أن المسيح يزرع الزرع الجيد الذين هم بنو الملكوت ليسلِّمهم للآب السماوي: «حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت **أبيهم**» (مت ١٣:٤٣). وقد وضَّح ق. بولس هذه العملية النهائية بوضوح:

+ «وبعد ذلك النهاية، متى سلَّم (الابن) الملك لله الآب، متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة، لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. آخر عدو يُبطَل هو الموت. لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه. ولكن حينما يقول إن كل شيء قد أُخضع فواضح أنه غير الذي أَخْضَعَ له الكل (الآب). ومتى أُخْضِعَ له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضاً سَيَخْضَعُ للذي أَخْضَعَ له الكل، كي يكون الله (آب وابن وروح قدس) الكل في الكل.» (١كو ١٥: ٢٤-٢٨)

هنا تتضح صورة ملكوت الابن - بعد إبادة كل سلطة أرضية - فإن ملكوت الابن يخضع أي يسلِّم للآب. والذي زاد به ق. بولس عن ق. متى قوله: «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه».

وحينما قدَّم ق. متى عمل ابن الإنسان كزارع، ثم أوضح بعد ذلك أنه سيأتي كديَّان، ظهر أنـه يركِّز على قطبين في الرواية: زمن خدمة المسيح في التعليم بدعوة المختارين ووضعهم في ملكوتـه، وزمن مجيئه للدينونة الـتي بواسطتها سينقِّي ملكوته من جميع صانعي المعاثر، وبعد ذلـك يقدِّم المختارين إلى الآب السماوي.

وهذا يجعلنا نفهم أننا ورثنا ميراثين: الميراث الأول هو ميراث يسوع المسيح، ورثنا أقواله وأعماله ومعجزاته ونعمته في أعمال الفداء والموت والقيامة - وهو الإنجيل. والميراث الثاني ميراث ابن الإنسان، ورثنا إنسانه الجديد الذي قام به من بين الأموات باعتباره الخليقة الجديدة، فصار لنا شركة في ميراثه للآب وهو **الملكوت:** ملكوته أولاً ثم ملكوت الآب.

أمَّا وظيفة ابن الإنسان فيما بعد عمل المسيح يسوع على الأرض فقد كشفها كل من إنجيل ق. لوقا وإنجيل ق. يوحنا أنه "**المسيح الروح**" الذي رآه ق. بولس في السماء، وسمع وتعلَّم منه وقاده في كل أعمال كرازته، والذي صار للكنيسة **الرب الروح**، والرأس للجسد. وهذه الأعمال والمسمَّيات دخلت في صميم الليتورجيا من بعد الرسل وتبلورت على أساسها التعبيرات الإيمانية.

وقد لاحَظ العالِم يواكيم إرميا(١) كيف انتقل ق. متى من تسجيله لابن الإنسان أنه الديَّان (مت ٢٥:٣١ إلخ): «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده»، إلى نفس هذا الديَّان وقد صار ملكاً (مت ٢٥: ٣٤-٤١): «ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعدَّ لكم منذ تأسيس العالم. لأني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كُنتُ غريباً فآويتموني. عُرياناً فكسوتموني. مريضاً فزرتموني. محبوساً فأتيتم إليَّ. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يارب، متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، أو عطشاناً فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريباً فآويناك، أو عرياناً فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك؟ فيُجيب الملك ويقول لهم: الحقَّ أقول لكم: بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم». ويوضِّح يواكيم إرميا المواضع التي ذَكَرَ فيها ق. متى ابن الإنسان أنه سيأتي في مجده ومجد أبيه:

+ «فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله.» (مت ١٦:٢٧)

(1) Joachim Jeremias, *The Parables of Jesus*, 1963, p. 142.

+ «الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً ...» (مت ١٩:٢٨)
+ «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميِّز بعضهم من بعض كما يميِّزُ الراعي الخراف من الجداء.» (مت ٢٥: ٣١و٣٢).

كل هذه الآيات توضِّح عمله كديَّان، ولكن دون أن تتغيَّر صورة تواضعه "كابن الإنسان" في عمله المسيَّاني وخدمته القائمة على أساس ما أكمله من هوان في جسد تواضعه، حيث يظهر وعليه علامة صليبه: «حينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير، **فيُرسل ملائكته** ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها.» (مت ٢٤: ٣٠و٣١)

وإلى هنا لا يزال ابن الإنسان بتواضعه، يحمل في اسمه شركة اتحاد الإنسان فيه، وتظهر أكثر في سفر الرؤيا:

+ «هوذا يأتي مع السحاب، وستنظره كل عين والذين طعنوه (جنبه المفتوح)، وينوح عليه جميع قبائل الأرض نعم آمين. أنا هو الألف والياء. البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء ... أنا هو الأول والآخر والحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الآبدين آمين.» (رؤ ١: ٧و ٨ و١٧و١٨)

وإلى هذا الحد فإن ابن الإنسان يظهر بكامل شركته مع الإنسان حاملاً آلامه وصليبه. ولكن ق. متى هو الإنجيلي الوحيد الذي أورد أن ابن الإنسان **أرسل ملائكته** ويظهر **البوق**، وهو عماد أعمال الأبوكاليبسيس (استعلان الأخرويات). ويشاركه في ظهور البوق ق. بولس في (١كو ١٥: ٥١و٥٢): «هوذا سر أقوله لكم ... في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير، فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد».

وقد سبق ق. متى وكشف في محاكمة المسيح الأُولى عند رؤساء الكهنة أنه أوضح مَنْ هو ابن الإنسان، وما هو عمله، وكيف سيأتي للدينونة، ردًّا مباشراً على سؤال رئيس الكهنة: هل هو المسيح؟ «فأجاب رئيس الكهنة وقال له: أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟ فقال له يسوع: أنت قلت، **وأيضاً أقول لكم** من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين

القوة وآتياً على سحاب السماء.» (مت ٢٦: ٦٣و٦٤)

ويُلاحَظ في الأصل اليوناني لكلمة «**وأيضاً** أقول لكـم πλήν» أنهـا تعـني: "**وأقـول أكـثر مـن ذلك**"، بمعنى: أني لست أنا المسيح ابـن الله وحسـب، بـل والديَّـان الـذي سيأتي علـى السـحاب ليدين! ولكن المهم أيضاً قوله: "**من الآن**" وتعني: "من الآن فصاعداً ἀπ᾽ ἄρτι" كما جـاءت أيضـاً بهذا المعنى في (٢٣:٣٩، ٢٦:٢٩). وبهذا يؤكِّد لنا ق. متى معنى ارتفاع الابن والمجد الدائم الـذي سيتمجَّد به، وهو المقابل لمفهوم ق. يوحنا عن المجد الذي ناله بالارتفاع علـى الصليـب: «قـد أتـت السـاعة ليتمجَّـد ابـن الإنسـان ... وأنـا إن ارتفعـت عـن الأرض أجـذب إليَّ الجميـع» (يـو ١٢: ٢٣و٣٢). فالارتفاع والمجد هو أيضاً للمشاركة مع الإنسان، وهو الوضع الختامي لرسالة الابـن، أي المجيء الأخير كابن الإنسان، ليصفِّي حساب ملكوته توطئة لتسليمه لـلآب مع مختاريه. فهـو بهـذا الوضع الأخير يكون قد أنهى رسالة "المسيَّا" بـل وأكمـل عمـل "ابـن الله"، وانتهـى إلى حـال ابـن الإنسان المتمجِّد والجالس عن يمين أبيه إلى الأبد: «وها أنا حي إلى أبد الآبدين».

وهنا يأتي تعبير ق. متى في تنبؤ المسـيح عـن آلامـه في وضـع آخـر عمَّـا جـاء عنـد ق. مرقـس: «وابتدأ يعلِّمهم أن **ابن الإنسان** ينبغي أن يتألَّم كثيراً ويُرفض من الشيوخ ورؤسـاء الكهنـة والكتبـة ويُقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم» (مر ٨:٣١)، وقد نقل ق. متى هـذا القـول دون ذكـر ابـن الإنسـان: «ومن ذلك الوقت ابتدأ **يسوع** يُظهر لتلاميذه **أنه** ينبغي أن يذهـب إلى أُورشـليم ويتـألَّم كثيراً مـن الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم» (مت ١٦:٢١). هنا يذكـر القديـس متى أن يسوع المسيح هو الذي سيتألَّم ويموت ولا يدعوه ابن الإنسان كما قالها ق. مرقس (أمَّا كلمة "**ينبغي**" فقلنا باستمرار أنها ترجمة خطأ وصحتها "**يتحتَّم** must"). وهكذا يتضح للقارئ بـأبلغ بيـان أن ق. متى واعٍ لمنهجه اللاهوتي بدقة، ويوضِّح ذلك أكثر في سؤاله: «مَنْ يقول الناس إنـي **أنـا ابـن الإنسـان**» (مت ١٦:١٣)، هنا أعطى لضمير "أنا" لقب ابن الإنسان ليكشف عن شخصيته المتفوِّقة السيادية.

ومعروف لدى العلماء المدقِّقين أن ق. متى يذكر **الباروسيا παρουσία** بالنسبة لابن الإنسان – أي الاستعلان الأخير – كمصطلح لاهوتي دقيق وسليم بحسـب الفكـر اللاهوتي (٢٤: ٢٧و٣٧و٣٩): «لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكـذا يكـون أيضـاً "مجـيء **παρουσία** **ابن الإنسان**" ... وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضاً مجيء **παρουσία ابن الإنسـان**». وقد كرَّرها مرَّة ثالثة، وكان أول مَنْ قالها ولم يجارِه في ذلك أحد من الإنجيليين!! ولكـن ق. بولـس استخدم هـذا الاصطـلاح بكـثرة (١كـو ١٥:٢٣ و١تـس ٢:١٩، ٣:١٣، ٤:١٥، ٥:٢٣)، بـل

وكشف أصله الأرامي إذ أعطانا صورة حيَّة من صلاة الكنيسة بالأرامية حسب التقليد الأول حيث المسيَّا في مجده والكنيسة تصلِّي إليه ليأتي: «إن كان أحد لا يحب الرب يسوع فليكن أناثيما (محروماً) **ماران أثا** (تعالَ أيها الرب)» (١كو ١٦:٢٢). وهي صورة لمفهوم الباروسيا في الكنيسة الأُولى.

والقديس متى يساهم أيضاً مساهمة فريدة من نوعها في ذكر "**التجديد** **παλιγγενεσία**" كعملية مسيَّانية بالدرجة الأُولى يقوم بها ابن الإنسان حسب التقليد الكنسي الذي يميل إلى الإسخاتولوجية اليهودية، وقد وُجدَت عند فيلو ونُسَّاك قمران، وهي إحدى الخطوط المميَّزة في سفر الرؤيا، وجاءت في أقوال المسيح هكذا: «فأجاب بطرس حينئذ وقال له: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: أنتم الذين تبعتموني في "**التجديد**" متى جلس **ابن الإنسان** على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً ...» (مت ١٩: ٢٧و٢٨). هذا القول يبرز عملية التجديد التي قام بها المسيح بصفته "المسيَّا الغالب"، حيث هنا يظهر ابن الإنسان بلا ذكر للدينونة. وقد حوَّلها ق. لوقا إلى ما يقابلها خلواً من لقب ابن الإنسان ومن مفهوم "التجديد"، عندما قال: «أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي. وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً» (لو ٢٢: ٢٨و٢٩). فالقديس متى نظر إلى تجارب المسيح وألقابه وآلامه باعتبارها تفتح الباب للتجديد بلا نزاع باعتبارها أنها كانت بادئة استعلان الملكوت وأساسه. ولا يغيب عن البال أن لقب ابن الإنسان دخل العهد الجديد عن طريق دانيال النبي (دا ٧:١٣) ومعه فكر عملية **التجديد** المزمعة أن تكون على يديه، ذلك أنه أعطاه الصورة الممجَّدة الدائمة، فهي واضحة في نبوَّة دانيال المتعلِّقة بملكوته الأبدي: «سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض»، وأعقبها بظهور شعب جديد أسماه «شعب قديسي العلي» (دا ٧:١٤و٢٧) يشتركون مع ابن الإنسان في ملكوته.

كذلك فإن ق. متى يعطينا صورة للتقليد الخاص **بالسهر** استعداداً لمجيء ابن الإنسان، حيث يذكر أولاً ابن الإنسان ثم ربَّكم ثم ابن الإنسان (٢٤: ٣٩و٤٢و٤٤):

+ «ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع. كذلك يكون أيضاً مجيء **ابن الإنسان** ... اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة **يأتي ربكم** ... كذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون يأتي **ابن الإنسان**».

هنا يركِّز على السهر في مقابل الدينونة المزمعة أن تكون فجأة. وهنا سواء ذكر "ابن الإنسان" أو "ربَّكم" فهو يؤكِّد الدينونة القادمة على الكنيسة. وذِكْرُ "**ربَّكم**" هنا إنما يؤكِّد صفة المسيح

الرحوم الشافي والمحسن إلى البشرية الضعيفة والمسكينة والمريضة، فهنا لمسة حنان لديَّان قادر أن ينجِّي، ولكنها صورة للنهاية.

ومع أن لقب ابن الإنسان يعبِّر عن عمل المسيح الأُخروي، إلاَّ أنه لا يُقال له مستقبلاً بل من واقع حياته لأنه صاحب طبيعة ابن الإنسان! والقصد الخفي وراء هذا اللقب الذي اختاره المسيح هو **التعبير عن الإنسان الذي لم يسقط بسقوط آدم ليعبِّر تعبيراً إلهياً عن خلقة الله الأصلية للإنسان**(٢). ولعل هذا هو أقوى شرح لمفهوم أصل لقب ابن الإنسان الذي قدَّمه العالِم ألن W.C. Allen مستشهداً بثلاثة من كبار علماء الألمان، ويعلِّق على لقب ابن الإنسان بقوله: [**وبناءً على ذلك يكون مفهوم "الإنسان الكامل" جزءاً من الرجاء المسيَّاني الذي جاء المسيح ليحقِّقه. فلمَّا استخدم الرب لقب "ابن الإنسان" للإشارة إلى نفسه أراد بذلك الإشارة إلى وجوده الأزلي المتميِّز عن كل إنسان آخر، ثم وبآن واحد أنه إنسان حقيقي إلى أبعد حد، مختار ليكون هو المسيَّا للخلاص وقبول المجد**](٣). **وهكذا نراه يشرح بلا أي مواربة سر ميلاده العذري من القديسة مريم العذراء والروح القدس. وبذلك ينجلي أمامنا منهج القديس متى العملاق في تقديمه لشخص المسيح كمولود من العذراء (١:١٨-٢٥) وبآن واحد هو ابن الله (٣:١٧) وهو المعيَّن ليكون هو المسيَّا (١٦:١٦) وأنه الابن المحبوب مسيَّا الملك (٢١:٥).**

فابن الإنسان عند ق. متى هو لقب التلاقي بين الله والإنسان.

على أن التقليد الذي يقدِّمه لنا ق. متى عن ابن الإنسان لا يناقض ما يقدِّمه ق. لوقا وق. مرقس، فهما صورتان لعملة واحدة، ولكن ق. متى يقدِّم لنا تقليداً أكثر وعياً باللقب. والواقع أن "المسيَّا" في إنجيل ق. يوحنا يبرزه إنجيل ق. متى على أنه "ابن الإنسان" في صورته الأُخروية.

(2) Gressmann, Volz and Gunkel, cited by W.C. Allen, *A Critical and Exegetical Commentary on the Gospel. acc. to S. Matthew* ICC, p. LXXIV.

(3) Ibid., p. LXXV.

٣ – العهد القديم كخلفية لإنجيل القديس متى

لقد شعر ق. متى بسبب يهوديته وشدَّة تعلُّقه بأسفار العهد القديم – وخاصة الأنبياء – بضرورة أن يُلقي على حوادث المسيح وشخصيته بأضواء من العهد القديم لإبراز معالم شخصية المسيح المسيَّانية، وإنارة المعاني المختفية وراء حركات التاريخ والطقس والعمليات الكبرى كالفداء والخلاص. وباختصار لإبراز الرجاء المسيَّاني كله كإطار لمعنى الإنجيل، ومن ناحية أخرى لإعطاء فرصة لليهودي المتعصِّب لأسفاره وتاريخه أن يكتشف في المسيح قمة الفكر اليهودي وأمله ورجاءه، الذي انعقد عليه لواء اهتمام الأنبياء جميعاً وحركات التاريخ بدقتها المطلقة، لبلوغ نهاية واحدة هي مسيَّا الرجاء! فالتواجد المسيحي بمعناه، في عمل المسيح من أوله إلى آخره، أي من ميلاده حتى صلبه، هو خلاصة الأسفار اليهودية جميعاً. هذا فضلاً عن شرح إضافي يأتي من وراء الأحداث والأعمال ليُبرز قيمتها الإلهية ومعناها بالنسبة للإنسان المسيحي الراغب في المزيد من معرفة الأصول والمبادئ في فكر الله.

(مت ١–٢) في الأنسال وما بعدها:

هي دعوة لأبناء العهد القديم لإعادة رؤية العهد القديم وتذوُّقه على واقع حي يكشف كل الأغطية عن أحاجيه ورموزه، ففي مطلع إنجيل ق. متى يواجه إنسان الرؤى القديمة شخصية "ابن داود" الوريث الأبدي لمملكة داود أبيه: «ويعقوب وَلَدَ يوسف رجل مريم التي وُلِدَ منها يسوع الذي يُدعى "**المسيح**". فجميع الأجيال من إبراهيم إلى **داود** أربعة عشر جيلاً.» (مت ١: ١٦و١٧)

ثم تكتحل عينا اليهودي الناظر إلى الوراء، وقد أجهده النظر والرؤية، لمعرفة مَنْ هو هذا عمانوئيل الذي تكلَّم عنه إشعياء، الذي عرف معناه وما عرف منتهاه: «يعطيكم السيد نفسه آية. ها **العذراء** تحبل وتَلِد ابناً وتدعو اسمه **عمانوئيل**» (إش ٧: ١٤)، فيجيء إنجيل ق. متى ويحكي عن العذراء عينها، وعن حَمْلِها الإلهي بالروح القدس والابن الذي يولد منها هو ابن الله "يشوع" الجديد الذي يخلِّص شعبه من خطاياهم. وهكذا وُلِدَ ابن الله من جنس الإنسان وهو ابن الله وعاش بيننا ورأينا مجده. وهكذا وبآن واحد أُعطِي إنسان الأُمم بالرؤية المعقولة رحلة في الماضي السحيق ٧٠٠ سنة ليسمع من إشعياء ما تمَّ بحروفه في ميلاد المسيح في بيت لحم اليهودية مسقط رأس داود. وهكذا يرتبط الجديد بالقديم ليدرك إنسان العالَم أن تاريخ الأيام وجَرْي السنين إنما يؤرِّخ لله لحساب الإنسان.

كذلك عودة إلى ميخا النبي (٥:٢) والحديث عن ميلاد ملك إسرائيل الذي مخارجه منـذ القديـم منذ أيام الأزل!! فمَنْ يكون هذا الذي منذ الأزل سوى الله؟ ثم يحدِّد ميخا ذو النظر الحديدي موقع ميلاد هذا الإله على خريطة يهوذا "بيت لحم" أصغر مدن يهوذا: «أمَّا أنتِ يا بيت لحم أفراته وأنـت صغيرة أن تكوني بين ألوف (مدن) يهـوذا، فمنـك يخـرج لي الـذي يكـون متسلِّطاً على إسـرائيل، ومخارجه منذ القديم **منذ أيام الأزل**». وتأتي كلمة الأزل لتجُبَّ الزمن بقديمـه وجديـده وترفعـه إلى أعلى السموات!

وحينما يسمع اليهودي أنه تحقَّق وتمَّ ميلاد مسيَّا الدهور في المدينة الصغـرى بيت لحـم (مت ٢:٦)، يبدأ يعيش تاريخه وتاريخ آبائه وأنبيائه ويتنسَّم رائحة رضى الله. كما أنه حينما يسـمع هـذا إنسـان الأُمم يرى قولاً ألقاه الله على قلب نبي (ميخا: ٧٥٨–٦٩٨ ق.م) وبعد ٧٠٠ سنة يتحقَّق بحروفـه، فيدرك صحة الكلام وصدق الحديث!

ويتمِّم هيرودس خطة تحصين ميراثه الملكي فيذهب ويقتل كل أطفال بيت لحم من ابن سنتين فما دون، فيصرخ ق. متى ناحباً مع الناحين (مت ٢: ١٧و١٨)، ويستعير حزن إرميا في نبوته: «هكذا قـال الرب، صوت سُمع في الرامة نوح بكاء مر، راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعزى عن أولادهـا لأنهم ليسوا بموجودين» (إر ٣١:١٥). وعجيبة هذه النبوَّة، فراحيل لم يكن لها أولاد تبكـي عليهـم، فالنبوَّة على أطفال بيت لحم قبل أن يذبحهم هيرودس بستمائة سنة (إرميا: ٦٢٨–٥٨٨ ق.م).

وكذلك أيضاً عودة إلى هوشع النبي (٧٨٦–٧٢٤ ق.م)، ويضع الله في فم القديس متى آية إسرائيل القديم والجديد معاً (هو ١١:١) عن ابن لله وهو إسرائيل قديماً حينمـا كـان الله يدلِّلـه، وهـو عينـه إسرائيل الجديد مسيح الدهور والأُمم، كيف دعاه من مصر: في الأول كان هارباً من غـلاء المعيشـة وموت الفقر، وفي الثاني كان هارباً من الذي أراد أن يقتله (هيرودس) حفظاً على ميراث ملوكيته الفانية:

+ «لمَّا كان إسرائيل غلاماً أحببته، ومن مصر دعوت **ابني**.» (هو ١١:١)

+ «خذ **الصبي** وأُمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزمع أن يطلـب الصبي ليهلكه.» (مت ٢:١٣)

+ «فلمَّا مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصـر قـائلاً: قـم وخـذ **الصبي** وأُمه واذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس **الصـبي**.» (مت ٣: ١٩و٢٠)

وكأن الله كان يرسم بالتاريخ كله وبواسطة شعب بأكمله مصير حركة الخلاص القادم لحساب العالم.

(مت ٣: ١-٤: ١١):

ويمشي التاريخ ويمشي الإنجيل على هداه، ويأتي المسيح إلى السابق الصابغ ليعتمد منه على نهر الأُردن، ويربط القديس متى عماد المسيح من يوحنا على الأُردن بإشعياء النبي (في الأصحاح الأربعين) الذي يفتتحه النبي تماماً كما يفتتح يوحنا العهد الجديد، برؤيا الروح نازلاً من السماء ومستقراً على المسيح، علماً بأن الروح القدس هو المعزِّي. وهكذا يفتتح ق. متى إنجيله بالعزاء كما افتتحه إشعياء: «عزوا عزوا شعبي يقول إلهكم، طيِّبوا قلب أُورشليم ... صوتُ صارخٍ في البرية أعدّوا طريق الرب» (إش ٤٠: ١-٣). فبمجرَّد أن قال ق. متى: «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات. فإن هذا هو الذي قيل عنه بإشعياء النبي القائل صوتُ صارخٍ في البرية ...» (مت ٣: ١-٣)، انكشف في الحال المضمون الكلي عند ق. متى لِما كان عند إشعياء: «عزوا عزوا شعبي».

لقد اختار ق. متى أعز وأجمل نبوَّة عن افتتاح العهد الجديد، ليضعها بالفعل في افتتاح العهد الجديد، ليس كنبوَّة بعد بل كتحقيق لكل النبوَّات. وكما أنه ليس عزاء فقط عند إشعياء بل توبة وغفران كَمُل وصار مقبولاً: «طيِّبوا قلب أُورشليم ونادوها بأن جهادها قد **كَمُلَ** أن إثمها قد عُفِيَ عنه أنها قد قَبِلَتْ من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها» (إش ٤٠: ٢)، هكذا تماماً وبالحرف الواحد تمَّت النبوَّة وأكملت متعلقاتها من توبة وغفران: «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.» (مت ٤: ١٧)

وعلى القارئ الذكي أن ينتبه إلى قول إشعياء: «صوت صارخ في البرية» واعتراف يوحنا المعمدان علناً الذي كشفه إنجيل ق. يوحنا، عندما جاءت بعثة الكهنة واللاويين تستجوب المعمدان: «مَنْ أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن نفسك؟ فقال: أنا **صوت صارخ في البرية.**» (يو ١: ٢٢و٢٣)

ثم ينتقل ق. متى من المعمدان إلى المسيح، ومن المناداة بالتوبة ومغفرة الخطايا على قياس إشعياء: «إن إثمها قد عُفِيَ عنه أنها قد قَبِلَتْ من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها» (إش ٤٠: ٢) إلى المسيح الذي من بعد عماده يتوجَّه بالروح مباشرة ليصفِّي حساب آدم مع مَنْ أسقطه من أمام وجه

الله، ثم ما سمعه اليهودي من فم إشعياء: «هوذا عبدي الذي **أعْضُدُه مختاري الذي سُرَّت به نفسي، وَضَعْتُ روحي عليه** فيُخـرج الحق للأُمـم» (إش ٤٢: ١). حيـث "مختـاري" هـو "حبيبـي". يعـود ويسمعها مع رؤيا على العيان والمنظور علـى نهـر الأُردن والمسيح يتقبَّـل العمـاد مـن يوحنـا: «وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً (عليه) مثل حمامة وآتيـاً عليـه، وصـوت مـن السـماء قائلاً: **هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت**.» (مت ٣: ١٦و١٧)

وكما جاز إسرائيل البحر الأحمر وخرج إلى البرية ليتقبَّل تجربة وراء تجربـة مـن الشيطان، هكـذا خرج المسيح إسرائيل الجديد من نهر الأُردن إلى جبل التجربة ليوفي حساب جدٍّ سابق (آدم) وشعب له ورث الشر من صُلبه!!

(مت ٤: ١٢-٢٥) في بدء الخدمة:

هنا يفتتح ق. متى بدء خدمة المسيح وعينه على إشعياء (٩: ١و٢): «ولكن لا يكون ظـلام للـتي عليها ضيق، كما أهان الزمـان الأول أرض زبولـون وأرض نفتـالي يُكـرم الأخـير طريـق البحـر عـبر الأُردن **جليل** الأُمم. الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً، الجالسون في أرض ظـلال المـوت أشرق عليهم نور». ويحق للقديس متى أن يفتخر برؤيته التي لقطت هذه النبوَّة الـتي أكملهـا المسـيح بالحرف الواحد: «ولمَّا سمع يسوع أن يوحنا أُسلم انصرف **إلى الجليل** وترك النـاصرة، وأتـى فسـكن في كفرناحوم التي عند البحر في تخوم زبولون ونفتاليم، لكي يتم ما قيـل بإشـعياء النبي ... (إش ٩: ١و٢ كما أسلفنا)» (مت ٤: ١٢-١٤). ويكمِّل ق. متى: «من ذلـك الزمـان ابتـدأ يسـوع يكـرز ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت ٤: ١٧). وهكذا تظهر براعة ق. متى كيف يخلـع عن إسرائيل بجليله العائشين في ظلمة الموت ثوبَ الماضي البالي ويُلبسه الجديد المضيء ضياء الخَلَد.

ونحن مهما قارنَّا وأبدعنا في المقارنة فلن نأتي ما أتاه ق. متى في وضع ظلام الضيق وإهانة الزمان الأول والشعب السالك في الظلمة، والجالسين في ظـلام المـوت، في مقـابل إشـراق نـور ورؤيـة نـور عظيم وتكريم الله في الزمان الثاني لمن أهانه الزمان الأول! إنه إبـداع. وأمَّـا مضمونـه ومـا ينطـوي عليه من معنى فهو الإبداع الأعظم: فما الظلمة إلاَّ حياة الإثم والخطية، ومـا إهانـة الزمـان الأول إلاَّ سبي النقمة إزاء الفجور، وما ظلمة الموت إلاَّ سيادة شيطان الظلمة بأعمال تورِّث الموت. كـل هـذه خلعها الجليل الأعلى والأسفل وأرض زبولون ونفتالي في الشمال، ولبس النور كالثوب بشـبه الله إذ قبل الخلاص وتأسست فيه أول كنيسة وأول رؤيا للقائم من الموت: «إنه يسبقكم **إلى الجليـل** هنـاك ترونه كما قال لكم» (مر ١٦: ٧). وهكذا أشرق نور القيامة أول ما أشرق علـى الجليـل، وهكـذا

سكن الفرح في أرض ظلال الموت: «أكثرتَ الأُمة عظَّمتَ لها الفرح، يفرحون أمامك كالفرح في الحصاد، كالذين يبتهجون عندما يقتسمون غنيمة» (إش ٩:٣). وكانت الغنيمة هي القيامة.

ولكن تسير الخدمة بعد ما «أتى وسكن في كفرناحوم» وتبدأ الآيات والمعجزات، ويبدأ هكذا: «وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلِّم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب» (مت ٤:٢٣). وصحَّ وتمَّ ما سبق ونطق به إشعياء: «لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا» (إش ٩: ٦و٧)، «حينئذ تتفقَّح عيون العمي وآذان الصم تتفتَّح، حينئذ يقفز الأعرج كالأيل (الغزال) ويترنَّم لسان الأخرس.» (إش ٣٥: ٥و٦)

(مت ٨، ٩) في الأشفية واعتراضات الفرِّيسيين:

يقدِّم القديس متى في الأصحاحين الثامن والتاسع معجزات شفاء ويلحقها بالآيتين (٩:٨و٣٣) كختام تقرير الشعب. ويعلِّق ق. متى على معجزات الشفاء بآية اختارها من أوضح نبوَّات إشعياء عن هذه الأيام بالذات: «لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها، ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً» (إش ٥٣:٤ = مت ٨:١٧). ويتحقَّق ما قاله إشعياء تأميناً لخدمة المسيح وضماناً أبدياً لنجاحها رغم كل المصادمات والمحاكمات، وما انتهى بهم العداء للإنهاء الصوري على حياته (إش ٤٩: ٨-١٣): «هكذا قال الرب: في وقت القبول استجبتك وفي يوم الخلاص أعنتك، فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ... ترنَّمي أيتها السموات وابتهجي أيتها الأرض، لتُشِد الجبال بالترنُّم لأن الرب قد عزَّى شعبه وعلى بائسيه يترحَّم». وهكذا يخط ق. متى في تخطيطه لإنجيله مترسِّماً ضوء ما تُلقيه النبوَّة على الحادثة ولا تخطئ، وكأن أصحاح ٥٣ من إشعياء صاحب النصيب الأكبر في كشف ما استتر في قصة الآلام والموت الفدائي.

وليس ق. متى وحده هو الذي مسك بإشعياء كما يمسك المسافر بالبوصلة، بل والمسيح نفسه رأى سر صليبه وآلامه مكشوفاً عند إشعياء فلم يجزع من المصير المرسوم!! إن إشعياء النبي كان كمَنْ عاش بالرؤى حركات العهد الجديد، وتأمَّل فيها مليًّا، ووقَّع عليها ألحانه جميعها، المبهجة منها والحزينة بوتر واحد!! ففي أشدّها فرحاً تجد في نهايتها "قفلة" (أي خاتمة موسيقية) توحي بأحزان قادمة، والحزينة منها لا تخلو من نبرة انتصار وفرح. والإنسان يتعجَّب كيف عاش إشعياء هذا وذاك لا لشيء إلاَّ ليعيشه ق. متى، ونحن من ورائه في هذا وفي ذاك!!

وهذا وذاك لم يفت المسيح منه شيءٌ فقد كان يعرف نفسه جيـداً في «**نـاموس موسـى والأنبيـاء والمزامير**»، ما كان يجب فيه أن يتألّم وما كان فيه أنـه سيقوم منتصـراً!! «فقـال لهمـا أيهـا الغبيـان والبطيئا القلوب في الإيمان **بجميع** ما تكلّم به الأنبياء، أما كان ينبغي أن المسيح يتـألّم بهـذا ويدخـل إلى مجده؟ ثم ابتدأ من موسى ومن **جميع** الأنبياء يفسِّر لهمـا الأمـور المختصَّـة بـه في جميـع الكتـب.» (لو ٢٤: ٢٥–٢٧)

هذا ما أدركه ق. متى جيداً وقرأ إنجيله عليه!! اسمعه والمسيح نفسُه يوقِّع علـى النبـوَّة حينمـا ردَّ على مقاوميه قائلاً: «إني أريد رحمة لا ذبيحة. لأني لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مـت ٩:١٣)، ثم اسمعها في هوشع وانظر ما كان يعرفه المسيح من بقية الآية: «إني أريد رحمـة لا ذبيحـة ومعرفة الله أكثر من محرقات. **ولكنهـم كـآدم تعـدّوا العهـد هنـاك غـدروا بـي ... وكمـا يكمـن لصـوص لإنسـان كذلـك زمـرة الكهنـة في الطريـق**» (هـو ٦: ٦–٩). وقـد كرَّرهـا ق. متـى في الأصحاح الثاني عشر: «فلو علمتم ما هو، **إني أريد رحمـة لا ذبيحـة**، لمـا حكمتـم علـى الأبريـاء» (مت ١٢:٧). ولكي يدرك القارئ بتأكيد أن المسيح كان يعلم بدقائق هذه الآية فلنذكر كيف ردَّد الباقي منها عندما أرسل زمرة رؤساء الكهنة والكتبـة والشـيوخ ليقبضـوا علـى المسـيح، فقـال لهـم: «كأنه على **لصٍّ خرجتم بسيوف وعصيّ** لتأخذوني» (مـر ١٤:٤٨). وهكـذا أثبـت المسـيح ومـن بعده ق. متى أنه كان يعرف هوشع وما تنبأ به جيداً.

ولعل أعظم ما قاله هوشع العجيب قاله على عودة إسرائيل في توبة، وكيف أن الشعب ورؤساءه كسروا العهد وخانوا الأمانة: «هلم نرجع إلى الرب لأنه هو افترَسَ فَيَشفينا، ضَرَبَ فَيَجبرنا، يُحيينـا بعد يومين، في اليوم الثالث يُقيمنا فنحيا أمامه. لنعرف فلنتتبَّع لنعرف الرب، خروجه يقين كالفجر، يأتي إلينا كالمطر، كمطر متأخر يسـقي الأرض! ... **ولكنهـم كـآدم تعـدّوا العهـد (خيانـة) هنـاك غدروا بي ... إنهم قد صنعوا فاحشة!**» (هو ٦: ١–٣و٧و٩). وليس أعظم من هـذا مرثـاة يرثـي بها المسيحُ الذين قاوموه وصلبوه من واقع ما تنبأ به هوشع: «ويـل لهـم لأنهـم هربـوا عـني، تبًّـا لهـم لأنهم أذنبوا إليَّ – **أنـا أفديهـم وهـم تكلّمـوا عليَّ بكـذب** ... وأنـا أنذرتهـم وشـدَّدت أذرعهـم وهـم يفكرون عليَّ بالشر» (هو ٧: ١٣و١٥)، «أمَّـا الفرِّيسـيون فقـالوا برئيـس الشـياطين يخـرج الشـياطين.» (مت ٩:٣٤)

ويقول القديس يوحنا في إنجيله ملخِّصاً أعمالهم: «لأن اليهود كانوا قـد تعـاهدوا أنـه إن اعـترف أحد بأنه المسيح يُخرج من المجمع.» (يو ٩:٢٢)

(مت ١١) المعمدان:

يستشهد المسيح نفسه عن يوحنا المعمدان بملاخي النبي هكذا: «فإن هذا هو الذي كُتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ **طريقك قدَّامك**» (مت ١١: ١٠). فإذا رجعنا لملاخي نجد المطابقة صارخة (مل ٣: ١): «هاأنذا أرسل ملاكي فيهيئ **الطريق أمامي**، ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تُسرُّون به، هوذا يأتي قال رب الجنود».

والذي يسترعي انتباهنا هنا أن النبوَّة تنطق بنطق مخالف لما نطقه المسيح، وفي هذا توعية وكشف لشخصية المسيح المتكلِّم: ففي النبوَّة يقول: «**يهيئ الطريق أمامي**» والمتكلِّم هو يهوه الله، وفي نطق المسيح في إنجيل ق. متى: «الذي يهيئ طريقك قدَّامك». وهكذا حدث تفسيرٌ من عند المسيح يقوم على أساس أن يهوه المتكلِّم عن نفسه في النبوَّة "أمامي" ردَّده المسيح على أساس أن يهوه يتكلَّم عن المسيح بالمخاطب "أمامك"، وبذلك يصير المتكلِّم في النبوَّة هو هو المتكلِّم في إنجيل ق. متى، أو الواقع على مستوى التنفيذ. ولكن المسيح له المجد أخفى هذه الحقيقة فلم يقل "أمامي" بل قال "قدَّامك" باعتبار أن الله يكلِّم ابنه بعد أن كان الله يتكلَّم عن ذاته. وهنا منتهى الكشف عن أن الله والمسيح (الابن) هو "واحد".

وإذ يعود ملاخي النبي في نهاية سفره ليعلن بوضوح عن اسم ملاكه الذي سيرسله هكذا: «هاأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف» (مل ٤: ٥)، يعود المسيح أيضاً ويؤكِّد هذه النبوَّة وكيف أنها تمَّت بمجيء يوحنا المعمدان، فبعدما مدح المعمدان قال: «وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي، مَنْ له أُذنان للسمع فليسمع.» (مت ١١: ١٤و١٥)

(مت ١٢) في المنازعة الأولى:

والآن يدخل ق. متى على نبوَّة إشعياء ليكشف مستوى خدمة المسيح في الشفاء والعطاء، وما يقابله من صدود وفخاخ للهلاك وهو لا يكل ولا ينكسر. يقول إشعياء:

+ «هوذا عبدي الذي أَعْضُدُهُ مختاريَ الذي سُرَّت به نفسي، وضعت روحي عليه فيُخرج الحق للأُمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمِعُ في الشوارع صوته. قصبةً مرضوضةً لا يقصف وفتيلةً خامدةً (مدخِّنة) لا يُطفئ. إلى الأمان يُخرج الحق ـ لا يكلُّ ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته.» (إش ٤٢: ١-٤)

ويقابلها عند ق. متى (١٢: ١٨-٢١)، إذ بعد أن شفى المسيح صاحب اليد اليابسة في المجمع

«خرج الفرِّيسيون وتشاوروا عليه لكي يهلكوه» (مت ١٢:١٤)، ولكن يقابلها في النبوَّة: «لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض» بمعنى أن المقاومة لا تنتهي، وفي نفس الوقت لا ييأس من ضعاف النفوس ولا يرذل ضعاف الإيمان، فبصبر عظيم وفائق يشجِّع ويداوي: «قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخِّنة لا يُطفئ حتى يُخرج الحق إلى النصرة». وعوض «وتنتظر الجزائر شريعته» قال: «وعلى اسمه يكون رجاء الأُمم» (مت ١٢: ٢٠و٢١). نعم فكل ما سجَّله ق. متى من أعمال المسيح المدهشة وأقواله وتعليمه للشعب بلغت إلى أقصى الأرض ولكل الأمم!! وهذا يعلنه إشعياء بوضوح: «أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك **عهداً للشعب، ونوراً للأمم. لتفتح عيون العمي** لتُخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن (الخطايا) الجالسين في الظلمة (عدم معرفة الخلاص).» (إش ٤٢: ٦و٧)

ويُلاحَظ أنه في مقابل قول النبوَّة: «تفتح عيون العمي» يعطي القديس متى حادثة شفاء: «حينئذ أُحضر إليه مجنون أعمى وأخرس فشفاه، حتى إن الأعمى الأخرس تكلَّم وأبصر.» (مت ١٢:٢٢)

ويعطي ق. متى الصورة الأخَّاذة جداً لصدام الكتبة والفرِّيسيين مع المسيح، والمسيح كالطود الراسخ يتقبَّل الضربات فيسمو فوقها، ويخاطب المقاومين بلطف ولكن بلهجة الغالب، ويصفها إشعياء بقوله: «أنا الرب هذا اسمي (أنا هو) ومجدي لا أعطيه لآخر ... هوذا الأوليات قد أتت (أعمال يهوه) والحديثات (التجديد) أنا مخبر بها.» (إش ٤٢: ٨و٩)

وهنا يكشف ق. متى ورقته: «فبهتت كل الجموع وقالوا ألعل هذا هو ابن داود» (مت ١٢:٢٣)، وفي مقابل انبهار الشعب واعترافه بابن داود أي المسيَّا، يتصدَّى الفرِّيسيون: «أمَّا الفرِّيسيون فلمَّا سمعوا (بخبر شفاء المجنون الأعمى الأخرس) قالوا: هذا لا يُخرج الشياطين إلاَّ ببعلزبول رئيس الشياطين» (مت ١٢:٢٤). ولكن ليس رد مثل رد إشعياء النبي عليهم، وكأنه يتكلَّم بروح الإنجيل أو بفكر ق. متى أو حتى بفكرنا: «أيها الصم اسمعوا، أيها العمي انظروا لِتُبصِروا ... ولكنه شعبٌ منهوبٌ ومسلوبٌ قد اصطيد في الحُفَرِ كُلُّه وفي بيوت الحبوس (التي صنعوها لأرواحهم) اختبأُوا، صاروا نهباً ...» (إش ٤٢: ١٨و٢٢)

أمَّا "**الحديثات**" التي يتكلَّم عنها النبي فهي في إنجيل ق. متى: «ولكن إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله.» (مت ١٢:٢٨)

ونحن هنا نجوز تجربة من أهم وأخطر تجارب الإنجيل، حيث تتمشَّى أعمال المسيح على النبوَّات

خطوة خطوة، فيأخذ الإنجيل منتهى صدقه وجلاله، وتأخذ النبوَّة منتهى غايتها وتحقيقها!! كل ذلك في نسيج تتمشَّى فيه السدَّة مع اللحمة ليخرج لنا عمل روحي من أبدع أعمال النعمة للخلاص. فهنا عمل ق. متى في إنجيله يتجلَّى في أروع صورة.

كما لا ندَّعي أننا فحصناها بما تستحقه من الكشف الدقيق ـ وهذا يَسْهُل على القارئ ملاحظته ـ ولكننا بصدد شرح محدَّد لا يؤهِّلنا للاستغراق في البحث والتفتيش.

(مت ١٣) في الأمثال:

الأمثال عند ق. متى تتجه نحو مدى الاستجابة لمواعيد الله، وقالها المسيح إمَّا لتلاميذه مباشرة لكي يُعدَّهم للملكوت القادم، أو إرسالها لتبلغ أسماع قادة شعب إسرائيل فيما يخص مدى نفورهم وهجرانهم لمواعيد الله في العهد القديم، وهي (مواعيد الله) على قدر خطوات من تحقيق الملكوت الموعود به والذي يدعو إليه. ولو أننا قد أفردنا باباً خاصاً للأمثال، ولكن نعبر فيها الآن على ضوء نبوَّات العهد القديم. والذي أثار هذا الموضوع هو سؤال التلاميذ عن معنى مثل الزارع، إذ تعجَّب المسيح كيف لا يعرفونه من أنفسهم لأنهم قد أُعطوا سر الملكوت، بمعنى إدراك الروح والبصيرة، حتى أنه راجعهم في إنجيل ق. مرقس إذ كيف يعرفون بعد ذلك باقي الأمثال، وبدأ المسيح يوضِّح لهم أن التجاءه إلى الأمثال هو لتغطية الاتجاه الروحي، حتى أن الذي ليس له روح الفهم ـ وطبعاً بسبب هجرانه لوصايا الله وعدم تمسُّكه بوعوده ـ لا يفهم المثل. أمَّا أولاد النعمة والروح فيفهمونه بدون شرح. وفي هذا تنبأ مزمور (٧٨) بهذا المعنى هكذا:

+ «اصغِ يا شعبي إلى شريعتي، أميلوا آذانكم إلى كلام فمي، **أفتح بمثلٍ فمي، أذيع ألغازاً منذ القدم،** التي سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا.» (مز ٧٨: ١-٣ = مت ١٣:٣٥)

ومن هنا جاء الالتجاء للعهد القديم حيث قيل هذا المعنى بنوع شديد وقاسٍ. فمثلاً في (مت ١٣:١٣-١٥) يقول المسيح لتلاميذه: «من أجل هذا أكلِّمهم بأمثال لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون، فقد تمَّت فيهم نبوَّة إشعياء القائلة تسمعون سمعاً ولا تفهمون، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون. لأن قلب هذا الشعب قد غلظ، وآذانهم قد ثقل سماعها، وغمضوا عيونهم لئلاَّ يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم». وهذا القول مطابق لما جاء في العهد القديم لإشعياء فعلاً (إش ٦: ٩و١٠). وطبعاً القول شديد ومحزن لأنه جاء في إشعياء بصورة النقمة: «غلِّظ قلب هذا الشعب وثقِّل أذنيه وأطمِس عينيه، لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيُشفى» (إش ٦:١٠). وطبعاً هذه النقمة من الله بسبب شناعة

بعدهم عن الحق قولاً وعملاً، واقترافهم خطايا وآثام في حق وصايا الله وعهده. فلمَّا أساءوا إساءة متعمّدة ضد وعده وعهده الأول وكل وصاياه، أصبح من الخطر أن يدخلوا على عهـده الثاني عهـد النعمة والحرية والمحبة. فهم بسلوكهم حرموا أنفسهم من عملية فتح الوعي والعينين والقلب والأذن لسماع وطاعة دعوة المسيح للخلاص (نفس الأمر الذي صنعه الله مع آدم بعد أن انفتحت عيناه على الشر، طرده من الفردوس لئلاّ يأخذ من شجرة الحياة ويأكل فيعيش في خطيته إلى الأبد). وهنا بقية ما جاء في إشعياء يحكي عن نتيجة عماهم ورفضهم لدعوة الملكوت بقتلهم المسيح. اسمع ما يقول إشعياء عن خراب أُورشليم والهيكل وفلسطين وطرد اليهود وتشتيتهم: «فقلت إلى متى أيها السيد. فقال إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقفر» (إش ٦:١١). ولكن لا يمكن أن يدوم غضب الله إلى الأبد، فلابد من عودة وتوبة ونعمة ورجاء: «ولكن كالبطمة والبلوطة (أشجار ضخمة) التي وإن قُطعت فلها ساق يكون ساقه زرعاً مقدَّساً.» (إش ٦:١٣)

ويكمِّل ق. متى أصحاحه بكيف لا يكف هذا الشعب عن ثورانه ورفضه وعناده: «ولمَّا جاء إلى وطنه كان يعلِّمهم في مجمعهم حتى بُهتوا (والنتيجة) وقالوا من أين لهذا هذه الحكمة والقوات، أليس هذا ابن النجَّار، أليست أُمه تُدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا، أوليست أخواته جميعهن عندنا، فمن أين لهذا هذه كلها؟ فكانوا يعثرون به. وأمَّا يسوع فقال لهم: ليس نبي بلا كرامة إلاَّ في وطنه وفي بيته. ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم» (مت ١٣: ٥٤-٥٨). وفي إنجيل ق. لوقا يذكر أنهم أخذوه وأرادوا أن يطرحوه من فوق الجبل ليموت!!

وهكذا كان هذا الشعب على طول مرحلة حياته من مصر إلى البرية إلى الأرض التي أعطاهم، ملأوها انحرافاً عن عبادته وطاعته. ولكن أيضاً يقول في مزمور (٧٨) في النهاية كيف تحنَّن الله على شعبه وأعاد لهم داود مضاعفاً وأيام الحب والرحمة: «رفض خيمة يوسف ولم يختر سبط إفرايم، بل اختار سبط يهوذا جبل صهيون الذي أحبَّه ... واختار داود عبده وأخذه من حظائر الغنم من خلف المرضعات، أتى به ليرعى يعقوب شعبه وإسرائيل ميراثه. فرعاهم حسب كمال قلبه وبمهارة يديه هداهم» (مز ٧٨: ٦٧-٧٢). وهكذا وصلنا إلى داود محور إنجيل ق. متى، وهذا يعني أن المسيح بأمثاله يفرِّق بين الغنم والجداء، وفي النهاية هو لشعبه عندما يعود شعبه له.

ونظرية ق. متى التي يقدِّم بها أمثاله هي لكي يكشف حالة المقاومين للمسيح المستعصية التي بدأت من سيناء ولم تنته حتى خراب أُورشليم. فالقديس متى يمهِّد للعهد الجديد باستئصال أورام

خبيئة في علاقة شعب إسرائيل مع الله، يكشف عن الداء الخطير ويعطي الجديد بين "قوسين" أي الأمثال. فالذي بين القوسين هو للذين انفتحوا للجديد، وأمَّا الذين انغلقوا على أنفسهم ورفضوا المسيح فيصير الكلام عينه شهادة ضدَّهم وسبب دينونة، انتهت بخراب البلاد وتوقف علاقتهم بالله، ولكن ليس إلى المنتهى.

(مت ١٥: ١-٢٠) في المنازعة الثانية:

إن تركيب الكلام في هذا الأصحاح يحتاج إلى متابعة ما يقابله في إشعياء لكي تنكشف أسراره. والأصحاح الخامس عشر من إنجيل ق. متى يبدأ بصدام مع الفرِّيسيين «حينئذ جاء إلى يسوع كتبة وفرِّيسيون الذين من أُورشليم قائلين، لماذا يتعدَّى تلاميذك تقليد الشيوخ (تعليم الناموس) فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً» (مت ١٥: ١و٢). فيرد عليهم المسيح من إشعياء: «يا مراؤون حسناً تنبأ عنكم إشعياء قائلاً: يقترب إليَّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه، وأمَّا قلبه فمبتعد عني بعيداً، وباطلاً يعبدونني وهم يعلِّمون تعاليم هي وصايا الناس» (مت ١٥: ٧-٩، انظر إش ١٣:٢٩). هذه الآيات يكمِّلها إشعياء فيزداد الوضوح وضوحاً: «ويل للذين يتعمَّقون ليكتموا رأيهم عن الرب **فتصير أعمالهم في الظلمة ويقولون مَنْ يبصرنا ومَنْ يعرفنا**» (إش ١٥:٢٩). هذه الإضافة خطيرة لأن هذه كانت سيكولوجية الكتبة والفرِّيسيين ورؤساء الكهنة، كانوا يخططون في الظلام وهم مطمئنون أن حتى الله لا يراهم!! وطبعاً سر هذا كله ما جاء في الآية (٨): «يقترب إليَّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأمَّا قلبه فمبتعد عني بعيداً!!» هذه مصيبة المصائب، لقد انقطعت الصلة بينهم وبين الله فماذا بقي لهم إلاَّ تعاليم كاذبة وخطة لقتل ابن الله! هذا الداء سبق المسيح وحذَّر منه في موضع آخر: «ليس كل مَنْ يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات.» (مت ٢١:٧)

ولكن أخاف أن نكون نحن أيضاً قد بردت محبتنا وضعف إيماننا وأصبح يتعلَّق بفتيلة اسمها "يا رب يا رب"، ولا حرارة ولا حب ولا دموع ولا بكاء ولا بذل حتى الموت. لماذا؟ الصلة مقطوعة!! «وتصير أعمالهم في ظلمة ويقولون مَنْ يبصرنا ومَنْ يعرفنا»!

وعلينا أن نتأكَّد أن إدخال آيات إشعياء النبي تعليقاً على كلام الرب هو من عمل المسيح وليس من عمل ق. متى، وكل ما قام به ق. متى هو استعادة ما قاله المسيح بوعي وهدف. ولا يمكن أن نغفل أن المسيح بدأ خدمته بذهابه إلى مجمع الناصرة وقام وقرأ إشعياء النبي وعلَّق على الكلام بقوله: «اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم»!! (لو ٢١:٤). وكانت هذه القراءة دستور التلاحم بين القديم والجديد وأول انجذاب فكر ق. متى لأهمية أقوال الأنبياء كمُلْحَق يأتي مباشرة لكلام

المسيح، لأن في قول الأنبياء تكميلاً غير وارد في الإنجيل.

لينتبه القارئ من افتتاح الأصحاح بالقول إن الكتبة والفرِّيسيين الذيـن جـاءوا ليتصـدُّوا للمسـيح كانوا "من أُورشليم"، وهنا يفتح ق. متي المقابل من إشعياء (٢٩: ٩و١٠): «توانوا وابهتوا تلـذَّذوا واعموا، قد سكروا وليس من الخمر، ترنَّحوا وليس من المسكر، لأن الرب قـد سـكب عليكـم روح سبات وأغمض عيونكم. الأنبياء (الكذبة) ورؤساؤكم الناظرون غطَّاهم». وذلك حتى انقضَّ عليهم الرومان وخرَّبوا المدينة والهيكل وقتلوا الشعب مع رؤسائه وأنبيائه الكذبة. وهكذا أُورشليم برؤسائها تصدَّت للمسيح، وأُورشليم برؤسائها سُحقت وشعبها فيها.

وهكذا نرى كيف أن النبوَّة تمتد بالقول الذي يقوله المسيح لتبلغ بـه النهايـة. ويلاحـظ أيضـاً أن المسيح كان يطلب الإيمان، ومن المفروض في رؤساء اليهود وقادة البلاد وكهنـة أُورشـليم أن يكـون لهم الإيمان. لذلك نسمع أيضاً في بداية الأصحاح الذي استشهد به المسيح كيف يولول إشعياء علـى عاصمة البلاد وينذر بخرابها الأكيد: «وأحيـط بـكِ كـالدائرة وأضـايق عليـكِ بحصـن وأقيـم عليـكِ متارس ... ويصير جمهور أعدائـك كالغبـار الدقيـق (مـن الكـثرة) وجمهـور العتـاة كالعصافـة المـارة (سرعة الانقضاض) ويكون ذلك في لحظة بغتة، من قبل رب الجنود.» (إش ٢٩: ٣و٥و٦)

والإنسان يتعجَّب بعد وضع النبوَّة في مقابل المقولة أو الروايـة، فهـي تكشـف أعماقهـا المسـتورة وتجعل لكل فعل رد فعل، ولكل مقاومة ومصارعة ثمنـاً مدفوعـاً مـن دم أصحابهـا وخرابـاً معجَّـلاً! والإنسان بكل صراحة كان يستهين بمقاومة الفرِّيسيين والكتبـة ورؤسـاء الكهنـة، إلاَّ أن النبي كـان واقفاً لهم بالمرصاد منذ ٧٠٠ سنة، يرصد حركاتهم ويضع فوقها العقاب المحتَّم.

ولكن أخطر ما قيل في النبوَّة هـو اعتقـاد هـؤلاء المتصدِّيـن للمسـيح والمخططين للإيقـاع بـه كـأنهم يغيظون الله أو يناورون عليه أو يتحدُّون: «ويل للذين يتعمَّقـون (يخططـون) ليكتمـوا رأيهـم عـن الـرب فتصير أعمالهم في الظلمة ويقولون مَنْ يبصرنا ومَنْ يعرفنا ... أو تقول الجبلة عن جابلها لم يفهم!؟» (إش ٢٩: ١٥و١٦)

فلمَّا اغتاظ التلاميذ من مناوراتهم «تقدَّم تلاميذه وقالوا له: أتعلم أن الفرِّيسيين لمـا سمعـوا القـول نفروا، فأجاب وقال: كل غرس لم يغرسه أبي السماوي يُقلع، اتركوهم هم عميان قادة عميان، وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة.» (مت ١٥: ١٢-١٤)

والعجيب أن بين فقرتي أصحاح (١٥: ١-٩) وأصحاح (١٦: ١-٤) عن الفرِّيسيين أن المسيح

كان يشفي: «فجاء إليه جموع كثيرة معهم عرج وعمي وخُرس وشل وآخرون كثيرون وطرحوهم عند قدمي يسوع فشفاهم. حتى تعجَّب الجموع إذ رأوا الخرس يتكلَّمون والشل يصحّون والعرج يمشون والعمي يبصرون ومجَّدوا إلـه إسرائيل» (مت ١٥: ٣٠و٣١). وبالمقابل وفي نفس الموضع يحكي إشعياء عن هذا المنظر عينه وكأنه كان شاهد عيان من وراء الزمان: «وَيَسمَعُ في ذلك اليوم الصم أقوال السفر، وتنظر من القتام والظلمة عيون العمي، ويزداد البائسون فرحاً بالرب ويهتف مساكين الناس بقدوس إسرائيل» (إش ٢٩: ١٨و١٩). ويا للتطابق العجيب، فهذا ليس عهداً قديماً بل مرآة مضيئة يرى فيها الفهيم صورة الجديد برتوشها ليزداد العالِم علماً وابن الإنجيل عزاءً.

(مت ٢١-٢٨) في رواية الآلام:

يبدأ القول بما جاء في (٢١:٥) في أمر الأتان التي ركبها المسيح في دخوله أُورشليم كما جاء في إشعياء (٦٢:١١) وفي زكريا (٩:٩):

+ «فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل: قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيكِ وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان.» (مت ٢١: ٤و٥)

ولكن في إشعياء: (٦٢:١١) لا يزيد عن قوله: «قولوا لابنة صهيون هوذا مخلِّصكِ آتٍ ...». أمَّا زكريا فيكمِّل القول: «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت أُورشليم، **هوذا ملككِ يأتي إليكِ** هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان.» (زك ٩:٩)

ويكمِّل ق. متى في أصحاح (٢١:٩-١١) مستغرقاً في وصف تهليلي رائع: «والجموع الذين تقدَّموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين: أوصنا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب أوصنا في الأعالي. ولمَّا دخل أُورشليم ارتجَّت المدينة كلها قائلة مَنْ هذا؟ فقالت الجموع **هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل**».

وهنا عجز الوصف عن أن يعطي مضمون هذا "المارش" الملكي كما غطَّاه زكريا: «هوذا **ملككِ** يأتي إليكِ»، لأن القصد الأساسي من هذا الوصف هو استعلان ابن داود مسيًّا، الذي اعتبره إشعياء: «هوذا **مخلِّصكِ آت**». وصوَّره زكريا النبي **بالملك الظافر** تحيطه هالة الأبوكاليبسيس ذي البوق والفرح والبهجة، ولكن أي فرح وأي بهجة ومن أين تأتي؟ يرد زكريا أيضاً:

+ «فأخذت عصاي نعمة وقصفتها لأنقض عهدي الذي قطعته مع كل الأسباط ... فقلت لهم إن حسن في أعينكم فأعطوني أجرتي وإلاَّ فامتنعوا: فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة. فقال لي

الرب ألقها إلى الفخاري الثمن الكريم الذي ثمَّنوني به (ثمن الدم)، فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب.» (زك ١١: ١٠-١٣)

وهكذا كُسر العهد الأول في الوقت الذي سُفك فيه دم العهد الثاني. هذا هو أساس تهليل يوم دخول الرب أُورشليم، فهو - كما يصوِّره زكريا العجيب - فرح وبهجة الخلاص من فوق دم ثمَّنوه بثلاثين من الفضة، وكان كريماً من حمل بلا عيب كقول القديس بطرس (١بط ١:١٩). فهكذا تربط النبوَّة بهجة دخول أُورشليم كملك مُظفر تحوطه تهليل وأفراح الخلاص، بثمن هذا الخلاص الذي هو سفك دم!! هنا يتجلَّى اللاهوت من عمق حدث سجَّله التاريخ ليدخل إلى عمق الإيمان ويدوم.

ويحكيها إرميا النبي بنفس الواقع اللاهوتي: «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر، حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب» (إر ٣١: ٣١و٣٢). وهنا يقنِّن إرميا: «سفك الدم» بالعهد الجديد!! «لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود.» (زك ٤:٦)

وهكذا يتوكأ ق. متى على إشعياء وعلى زكريا معاً ليحكي بالتفصيل قصة آلام الخلاص كلها. وبعد أن دخل المسيح أُورشليم وبدأ بتطهير الهيكل قال جملته المشهورة: «بيتي بيت الصلاة يُدعى لكل الشعوب» (إش ٥٦:٧)، ولكن المسيح أضاف إليها ما نقض الصلاة بل ونقض وجود الهيكل برمَّته وأسقط تاريخه من سجلاَّت السماء «بيتي بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» (مت ٢١:١٣). ولكن لا نعدم نقداً في إشعياء وفي نفس الأصحاح (٥٦) لما صنعوه في بيت الصلاة حتى استوجب أن يدعى هكذا مغارة لصوص: «والكلاب شرهة لا تعرف الشبع وهم رعاة لا يعرفون الفهم، التفتوا جميعاً إلى طرقهم، كل واحد إلى الربح عن أقصى (أقصى ربح)!! هلموا آخذ خمراً ولنشتفَّ مسكراً ويكون الغد كهذا اليوم عظيماً بل أزيد جداً» (إش ٥٦: ١١و١٢). ولكن الغد ولولة وخراب، والهيكل إلى التراب قد صار، وأُورشليم محروقة بالنار، لأنه إن لم تكن صلاة يكون خرابٌ!!

ولكن لا يفوتنا من وسط الخراب تسبيح وعلى لسان داود: «وقالوا له أتسمع ما يقوله هؤلاء (الأطفال)؟ فقال لهم يسوع نعم، أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرضَّع هيأت تسبيحاً» (مت ٢١:١٦). والمقابل عند داود في المزمور (٨:٢): «من أفواه الأطفال والرضَّع أسست حمداً بسبب أضدادك لتسكيت عدو ومنتقم». وهنا أضاف لنا داود أن الرب جعل التسبيح لإسكات أصوات الأعداء المتذمرين.

ثم نأتي إلى استشهاد المسيح في الآية (٢١:٤٢) من المزامير أيضاً (مز ١١٨:٢٢): «فقال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البنّاؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا ... ومَنْ سقط على هذا الحجر يترضَّض ومن سقط هو عليه يسحقه!» (مت ٢١: ٤٢و٤٤). قال هذا في نهاية مَثَل الكرَّامين الأردياء الذين تعاهدوا على قتل ابن صاحب الكرم، الذي انتهى سرده أمام الفريسيين، وسألهم ماذا يفعل صاحب الكرم بهم، فأجابوا وقد حكموا على أنفسهم وهم لا يدرون: «أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً رديًّا ويسلّم الكرم إلى كرامين آخرين يعطون الأثمار في أوقاتها» (مت ٢١:٤١). وحينئذ أخرج المسيح الورقة التي حجزها إلى الآخِر وهي أنهم هم الكرَّامون الأردياء، وأضاف كونهم دبَّروا قتله بالفعل فيكونون بمثابة مَنْ رفضوا حجر الزاوية باعتبارهم بنّائين لإسرائيل ومعلميه، فقال مثله المشهور عن الحجر وعن مَنْ يرفضه: إمَّا يترضَّض إذا عثر فيه، وإمَّا يُسحَق إن هو وقع عليه.

أمَّا المزمور (١١٨) فهو أغنى المزامير في وصف رسالة المسيح الخلاصية، والرب التجأ إليه ليصف كيف قام كحجر الزاوية في بناء الخلاص لكافة الشعوب، فرفْضُه بواسطة بنّائي إسرائيل جعله حجر زاوية في كنيسة الله للخلاص، فإن كانوا قد أسقطوه ورفضوه وكان يوم حزن، فذلك لكي يقوم وتصبح قيامته مصدر فرح وابتهاج أبدي:

+ «أحمدك لأنك استجبت لي وصرت لي خلاصاً. الحجر الذي رفضه البنّاؤون قد صار رأس الزاوية، مِنْ قِبَلِ الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. هذا هو اليوم الذي صنعه الرب (يوم القيامة من بين الأموات) نبتهج ونفرح فيه. آه يا رب خلِّص. آه يا رب أنقذ. مبارك الآتي باسم الرب. باركناكم من بيت الرب.» (مز ١١٨: ٢١-٢٦)

وفي الأصحاح الثاني والعشرين يتمسَّك المسيح بكلام داود وهو هو رب داود، متخذاً من مزموره سرّ ارتفاعه بعد قيامته (اليوم الذي صنعه الرب) ليجلس عن يمين الله:

+ «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك (مَنْ سقط عليهم الحجر) موطئاً لقدميك.» (مت ٢٢:٤٤)

وهذا هو مضمون المزمور (١١٠:١) الذي يؤكِّد مسيَّانية المسيح ومساواته بالآب. فكلمة "عن يمين الرب" هي مساواة في الكرامة والمجد.

ولأجل هذا أصرَّ ق. متى ليجعل داود رأس النسل الذي انحدر منه المسيح بحسب الجسد، الأمر

الذي تمسَّك به ق. بولس: «الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدَّسة، عن ابنه، الذي صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات: يسوع المسيح ربنا.» (رو ١: ٢-٤)

ولا يفوتنا أن نقابل كلمة المسيح لبطرس ساعة القبض: «فقال له يسوع: رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت ٢٦:٥٢)، بما يقابلها في سفر التكوين: «من يد الإنسان أطلب نفس الإنسان ... سافك دم الإنسان بالإنسان يُسفك دمه» (تك ٩: ٥و٦). هذا هو تقييم للمسيح على أعلى مستوى بالنسبة لاحترام العهد القديم والعمل بأوامره.

وإذ نأتي إلى ختام هذا البحث المقتضب نلفت نظر القارئ أننا لا نشرح الإنجيل بآيات العهد القديم، ولكن نكشف مدى استخدام المسيح لآيات العهد القديم لتدعيم مقولاته في إنجيل ق. متى الذي تخصَّص في هذا اللون من المضاهاة، والنتيجة أن المسيح أكد على ضرورة فحص الكتب من موسى والمزامير والأنبياء، ذلك لكي يثبت إيماننا كما قدمها ق. بطرس هكذا: «ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنا معه في الجبل المقدَّس، وعندنا **الكلمة النبوية وهي أثبت**، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم. عالمين هذا أولاً أن كل نبوَّة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأتِ نبوَّة قط بمشيئة إنسان بل تكلَّم أُناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس.» (٢بط ١: ١٨-٢١)

الآيات التي اقتبسها القديس متى من العهد القديم:

١ - الاقتباسات التي استخدمها المسيح في كلامه:

	الاقتباسات كما جاءت في العهد القديم بالترتيب	ما يقابلها في الإنجيل بدون ترتيب
سفر التكوين:	(١:٢٧،٥:٢) «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم». «ذكراً وأنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم خُلق».	(١٩:٤) «أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى».
	(٢:٢٤) «لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً».	(١٩:٥) «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأُمه ويلتصق بامرأته ويكونان الاثنان جسداً واحداً».

	الاقتباسات كما جاءت في العهد القديم بالترتيب	ما يقابلها في الإنجيل بدون ترتيب
	(٧:٧) «فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك». (١٤:١٨) «هل يستحيل على الرب شيء».	(٣٨:٢٤) «لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوَّجون ويزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك». (٢٦:١٩) «هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شيء مستطاع».
سفر الخروج:	(٦:٣) «ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب». (١٧:٢١،١٢:٢٠) «أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض». «ومن شتم أباه أو أمه يُقتل قتلاً». (١٦-١٣:٢٠) «لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد على قريبك شهادة زور». (٢٤:٢١) «عيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلاً برجل». (٨:٢٤) «وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال: هذا هو دم العهد الذي قطعه الرب معكم».	(٣٢:٢٢) «أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. ليس الله إله أموات بل إله أحياء». (٤:١٥، ١٩:١٩) «فإن الله أوصى قائلاً: أكرم أباك وأمك ومَنْ يشتم أباً أو أماً فليمت موتاً». (١٨:١٩) «فقال يسوع: لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد بالزور». (٣٨:٥) «سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن». (٢٨:٢٦) «لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا».
سفر اللاويين:	(٢:١٤) «هذه تكون شريعة الأبرص يوم طهره، يُؤتى به إلى الكاهن ...». (١٨:١٩) «لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك. بل تحب قريبك كنفسك. أنا الرب».	(٤:٨) «اذهب أر نفسك للكاهن وقدِّم القربان الذي أمر به موسى شهادة لهم». (٣٩:٢٢) «والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك».

	الاقتباسات كما جاءت في العهد القديم بالترتيب	ما يقابلها في الإنجيل بدون ترتيب
	(٢٠:٢٤) «كسر بكسر وعين بعين وسن بسن».	(٣٨:٥) «سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن».
سفر العدد:	(٢:٣٠) «إذا نذر رجل نذراً للرب أو أقسم قسماً أن يلزم نفسه بلازم فلا ينقض كلامه».	(٣٣:٥) «سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوفِ للرب أقسامك».
سفر التثنية:	(١٦:٥) «أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب».	(٤:١٥) «فإن الله أوصى قائلاً: أكرم أباك وأمك».
	(١٦:٦) «لا تجربوا الرب إلهكم كما جرّبتموه في مسّة».	(٧:٤) «مكتوب أيضاً لا تجرّب الرب إلهك».
	(٣:٨) «وأطعمك المن الذي لم تكن تعرفه ... لكي يعلّمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان».	(٤:٤) «مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله».
	(٣-١:١٣) «إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة ... فلا تسمع».	(٢٤:٢٤) «لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة».
	(١٣:١٨) «تكون كاملاً لدى الرب إلهك».	(٤٨:٥) «فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل».
	(١٥:١٨) «يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك مثلي **له تسمعون**».	(٥:١٧) «وفيما هو يتكلّم إذا سحابة نيّرة ظلّلتهم وصوت من السحابة قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت **له اسمعوا**».
	(١٥:١٩) «لا يقوم شاهد واحد على إنسان في ذنب ما أو خطية ... على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر».	(١٦:١٨) «وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة».
	(١:٢٤) «إذا أخذ رجل امرأة وتزوّج بها فإن لم تجد نعمة	(٣١:٥) «وقيل مَنْ طلّق امرأته فليعطها كتاب طلاق».

	الاقتباسات كما جاءت في العهد القديم بالترتيب	ما يقابلها في الإنجيل بدون ترتيب
	في عينيه ... وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ...».	
	(٤:٣٠) «إن يكن قد بدَّدك إلى أقصاء السموات فمن هناك يجمعك الرب إلهك».	(٣١:٢٤) «فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها».
	(٣٢:٥و٦) «جيل أعوج ملتوي ألرب تكافئون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم».	(١٧:١٧) «أيها الجيل غير المؤمن الملتو إلى متى أكون معكم».
سفر صموئيل ١:	(٦:٢١) «فأعطاه الكاهن (الخبز) المقدَّس لأنه لم يكن هناك خبزٌ إلاَّ خبز الوجوه».	(٤:١٢) «كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط».
سفر الملوك ١:	(١:١٠) «وسمعت ملكة سبا بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل».	(٤٢:١٢) «ملكة التيمن ستقوم في الدين مع هذا الجيل وتدينه لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان».
سفر الملوك ٢:	(٤٢:٤) «فقال أعط الشعب ليأكلوا».	(١٦:١٤) «أعطوهم أنتم ليأكلوا ...».
سفر أيوب:	(٢:٤٢) «قد علمت أنكَ تستطيع كل شيء ولا يعسر عليك أمر».	(٢٦:١٩) «فنظر إليهم يسوع وقال لهم: هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شيء مستطاع».
سفر المزامير:	(٨:٦) «ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم».	(٢٣:٧) «فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الإثم».
	(٣:٨) «من أفواه الأطفال والرُضَّع أسَّست حمداً بسبب أضدادك».	(١٦:٢١) «فقال لهم يسوع: نعم. أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرُضَّع هيأتَ تسبيحاً».

	الاقتباسات كما جاءت في العهد القديم بالترتيب	ما يقابلها في الإنجيل بدون ترتيب
	(١:٢٢) «إلهي إلهي لماذا تركتني؟ ...».	(٤٦:٢٧) «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟»
	(٣:٢٤و٤) «مَنْ يصعد إلى جبل الرب ومَنْ يقوم في موضع قدسه الطاهر اليدين والنقي القلب».	(٨:٥) «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله ...».
	(١١:٣٧) «أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذّذون في كثرة السلامة».	(٥:٥) «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض».
	(٩:٤١) «أيضاً رجل سلامتي الذي وثقت به آكل خبزي رفع عليَّ عقبه».	(٢٣:٢٦) «الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني».
	(٦:٤٢) «يا إلهي نفسي منحنية(٤) فيَّ».	(٣٨:٢٦) «فقال لهم: نفسي حزينة جدًّا حتى الموت. امكثوا هنا واسهروا معي».
	(٢:٤٨) «فرح كل الأرض جبل صهيون ... مدينة الملك العظيم».	(٣٤:٥و٣٥) «لا تحلفوا البتة ... ولا بأُورشليم لأنها مدينة الملك العظيم».
	(١:١١٠) «قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك».	(٤٤:٢٢) «قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك».
	(٢٢:١١٨و٢٣) «الحجر الذي رفضه البنّاؤون قد صار رأس الزاوية مِنْ قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا».	(٤٢:٢١) «أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البنّاؤون هو قد صار رأس الزاوية مِنْ قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا».

(٤) جاءت في السبعينية: «يا إلهي نفسي مضطربة فيَّ - ὁ Θεός μου πρὸς ἐμαυτὸν ἡ ψυχή μου ἐταράχθη» وقد اقتبسها إنجيل ق. يوحنا: «الآن نفسي قد اضطربت.» (يو ٢٧:١٢)

	الاقتباسات كما جاءت في العهد القديم بالترتيب	ما يقابلها في الإنجيل بدون ترتيب
	(١١٨: ٢٦) «مبارك الآتي باسم الرب. باركناكم من بيت الرب».	(٢٣: ٣٩) «لأني أقول لكم: إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب».
سفر إشعياء:	(٥: ١و٢) «كان لحبيبي كرم على أَكَمَةٍ خصبة فَنَقَبَهُ ونقّى حجارته وغرسه كرم سورق وبنى برجاً في وسطه ونقر فيه أيضاً معصرة فانتظر أن يصنع عنباً».	(٢١: ٣٣) «كان إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وسلّمه إلى كرّامين وسافر».
	(٦: ٩و١٠) «قل لهذا الشعب: اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا. غلِّظ قلب هذا الشعب وثقِّل أذنيه واطمس عينيه لئلاّ يُبصر بعينيه ويسمع بأُذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فَيُشفى».	(١٣: ١٤و١٥) «تسمعون سمعاً ولا تفهمون ومبصرين تبصرون ولا تنظرون لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها وغمضوا عيونهم لئلاّ يُبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم».
	(١٣: ٩-١١) «هوذا يوم الرب قادم قاسياً بسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خراباً ويبيد منها خطاتها. فإن نجوم السموات وجبابرتها لا تبرز نورها. تظلم الشمس عند طلوعها والقمر لا يلمع بضوئه وأعاقب المسكونة على شرِّها».	(٢٤: ٢٩و٣٠) «وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع ... وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض».
	(٢٩: ١٣) «لأن هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه وأكرمني بشفتيه وأمَّا قلبه فأبعده عني».	(١٥: ٨) «يقترب إليَّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأمَّا قلبه فمبتعد عني بعيداً».
	(٤٩: ٢٤-٢٦) «هل تُسلب من الجبار غنيمة وهل يُفلِتُ سبي المنصور، فإنه هكذا قال الرب حتى سبي الجبَّار يُسلَبُ وغنيمةُ العاتي تفلت وأنا أخاصم مخاصمك وأخلِّص أولادك ... أنا الرب مخلِّصك وفاديك عزيز يعقوب».	(١٢: ٢٩) «أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوي وينهب أمتعته إن لم يربط القوي أولاً وحينئذ ينهب بيته».

	الاقتباسات كما جاءت في العهد القديم بالترتيب	ما يقابلها في الإنجيل بدون ترتيب
	(٧:٥٦) «آتي بهم إلى جبل قدسي وأفرّحهم في بيت صلاتي ... لأن بيتي بيت صلاة يُدعى لكل الشعوب».	(١٣:٢١) «مكتوب بيتي بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص».
	(٦١: ١-٣) «روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأبشِّر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلب ... لأعزِّي كل النائحين ... ودهن فرح عوضاً عن النوح».	(٥: ٣و٤، ١١: ٥) «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات ... طوبى للحزانى لأنهم يتعزّون ...»، «... والمساكين يُبشَّرون».
	(١:٦٦) «السموات كرسيٌّ والأرض موطئ قدميَّ. أين البيت الذي تبنون لي وأين مكان راحتي؟»	(٥: ٣٤و٣٥) «لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأنها كرسيُّ الله ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه».
سفر إرميا:	(١٦:٦) «هكذا قال الرب: قفوا على الطريق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم».	(١١: ٢٨و٢٩) «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم».
	(١١:٧) «هل صار هذا البيت الذي دُعي باسمي عليه مغارة لصوص في أعينكم».	(١٣:٢١) «مكتوب بيتي بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص».
	(٧:١٢) «قد تركت بيتي رفضت ميراثي!!»	(٣٨:٢٣) «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً».
	(٨:٢١) «هنذا أجعل أمامكم طريق الحياة وطريق الموت».	(٧: ١٣و١٤) «ادخلوا من الباب الضيق لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدِّي إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدِّي إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه».
سفر دانيال:	(١٣:٧) «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحُبِ السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرَّبوه	(٦٤:٢٦) «وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء».

	الاقتباسات كما جاءت في العهد القديم بالترتيب	ما يقابلها في الإنجيل بدون ترتيب
	قدّامه».	
	(٩:٢٧) «وفي وسط الأسبوع يُبطل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مُخرِّبٌ حتى يتمَّ ويُصبُّ المقضيُّ على المُخرّب».	(٢٤:١٥) «فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدَّس ليفهم القارئ».
	(١١:٤١) «ويدخل إلى الأرض البهيَّة فيعثر كثيرون».	(٢٤:١٠) «وحينئذ يعثر كثيرون ويسلِّمون بعضهم بعضاً». (دخول تيطس أورشليم).
	(١٢:١) «وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أُمة إلى ذلك الوقت، وفي ذلك الوقت يُنجَّى شعبك كل مَنْ يوجد مكتوباً في السفر».	(٢٤:٢١) «لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون».
	(١٢:٢) «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي».	(٢٥:٤٦) «فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية».
	(١٢:٣) «والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ردّوا كثيرين إلى البرِّ كالكواكب إلى أبد الدهور».	(١٣:٤٣) «حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم».
	(١٢:١١) «ومن وقت إزالة المحرقة الدائمة وإقامة رجس المخرب ألف ومئتان وتسعون يوماً».	(٢٤:١٥) «فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدَّس ليفهم القارئ».
سفر هوشع:	(٦:٦) «إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات».	(٩:١٣، ١٢:٧) «فاذهبوا وتعلَّموا ما هو. إني أريد رحمة لا ذبيحة».
سفر يونان:	(١:١٧) «وأمَّا الرب فأعدَّ حوتاً عظيماً ليبتلع يونان، فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال».	(١٢:٤٠) «لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب

	الاقتباسات كما جاءت في العهد القديم بالترتيب	ما يقابلها في الإنجيل بدون ترتيب
		الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال».
سفر ميخا:	(٦:٧) «لأن الابن مستهين بالأب والبنت قائمة على أمها والكنة على حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته».	(١٠: ٢١و٣٥و٣٦) «ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم». «فإني جئت لأفرِّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته».
سفر صفنيا:	(٣:١) «أنزع ... المعاثر مع الأشرار وأقطع الإنسان عن وجه الأرض يقول الرب».	(٤١:١٣) «يُرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم».
سفر زكريا:	(٧:١٣) «استيقظ يا سيف على راعيَّ وعلى رَجُل رفقتي يقول رب الجنود. اضرب الراعي فتتشتَّت الغنم وأرد يدي على الصغار». (٥:١٤) «ويأتي الرب إلهي وجميع القديسين معك».	(٣١:٢٦) «كلكم تشكون فيَّ في هذه الليلة لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدَّد خراف الرعية». (٣١:٢٥) «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده».
سفر ملاخي:	(١:٣) «هنذا أرسل ملاكي فيهيِّئ الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تُسرُّون به».	(١٠:١١) «فإن هذا هو الذي كُتب عنه ها أنا أُرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيِّئ طريقك قدَّامك».

٢ ـ شواهد من العهد القديم، قدَّمها ق. متى أو قُدِّمت بواسطة الآخرين في أسئلتهم للمسيح:

	الاقتباسات كما جاءت في العهد القديم بالترتيب	ما يقابلها في الإنجيل بدون ترتيب
سفر التكوين:	(٢٤:٤) «إنه ينتقم لقايين سبعة أضعاف وأمَّا للامك فسبعة وسبعين».	(٢١:١٨و٢٢) «حينئذ تقدَّم إليه بطرس وقال: يا رب كم مرَّة يُخطئ إليَّ أخي وأنا أغفر له هل إلى سبع مرَّات. قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرَّات بل إلى سبعين مرَّة سبع مرَّات».

	الاقتباسات كما جاءت في العهد القديم بالترتيب	ما يقابلها في الإنجيل بدون ترتيب
	(٨:٣٨) والأهم: (تث ٢٥:٥) «فقال يهوذا لأونان ادخل على امرأة أخيك وتزوَّج بها وأقم نسلاً لأخيك».	(٢٢:٢٤) «يا معلِّم قال موسى: إن مات أحد وليس له أولاد يتزوَّج أخوه بامرأته ويُقم نسلاً لأخيه».
سفر الخروج:	(١٩:٤) «وقال الرب لموسى في مديان: اذهب ارجع إلى مصر لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك».	(٢:٢٠) «قم وخُذ الصبي وأُمه واذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي».
سفر العدد:	(٢٧:١٧) «يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها».	(٩:٣٦) «ولمَّا رأى الجموع تحنَّن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها».
سفر التثنية:	(٢٥: ٥و٦) «إذا سكن إخوة معاً ومات واحد منهم وليس له ابن ... أخو زوجها يدخل عليها ... والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت».	(٢٢:٢٤) «يا معلِّم قال موسى: إن مات أحد وليس له أولاد يتزوَّج أخوه بامرأته ويُقم نسلاً لأخيه».
سفر الملوك ٢:	(١:٨) «رجل أشعر متنطِّق بمنطقة من جلد على حقويه. فقال: هو إيليا التشبي».	(٣:٤) «ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد وكان طعامه جراداً وعسلاً بريًّا».
سفر المزامير:	(٢:٧) «إني أخبر من جهة قضاء الرب، قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك». (٢٢: ٧و٨) «كل الذين يرونني يستهزئون بي يفغرون الشفاه وينغضُون الرأس قائلين: اتكل على الرب فلينجِّه لينقذه لأنه سُرَّ به! ὅτι θέλει αὐτόν». (٦٩:٢١) «ويجعلون في طعامي علقماً وفي عطشي يسقونني	(٣:١٧) «وصوت من السموات قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت». (٢٧: ٣٩و٤٣) «وكان المجتازون يجدِّفون عليه وهم يهزّون رؤوسهم». «قد اتكل على الله، فلينقذه الآن إن أراده εἰ θέλει αὐτόν» (٢٧: ٣٤و٤٨) «أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة».

	الاقتباسات كما جاءت في العهد القديم بالترتيب	ما يقابلها في الإنجيل بدون ترتيب
	خلاً».	«وأخذ إسفنجة وملأها خلاً وجعلها على قصبة وسقاه».
	(٧٨: ١و٢) «اصغ يا شعبي إلى شريعتي أميلوا آذانكم إلى كلام فمي: أفتح بمثل فمي أُذيع ألغازاً منذ القدم».	(١٣: ٣٤و٣٥) «هذا كله كلّم به يسوع الجموع بأمثال وبدون مثل لم يكن يكلّمهم. لكي يتم ما قيل بالنبي القائل سأفتح بأمثال فمي وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم».
	(٩١: ١١و١٢) «لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك».	(٤: ٦) «لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك».
سفر إشعياء:	(٧: ١٤، ٨: ١٠) «ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل ... لأن الله معنا».	(١: ٢٣) «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا».
	(٩: ١و٢) «كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالي يكرم الأخير طريق البحر عبر الأردن جليل الأُمم، الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً، الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور».	(٤: ١٥و١٦) «أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم. الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً، والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور».
	(٤٠: ٣) «صوتٌ صارخ في البرية أعدوا طريق الرب قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا».	(٣: ٣) «فإن هذا هو الذي قيل عنه بإشعياء النبي القائل: صوتٌ صارخ في البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة».
	(٤٢: ١-٤) «هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سُرَّت به نفسي، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأُمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يُطفئ	(٣: ١٦و١٧، ١٢: ١٨-٢١) «وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه. وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت». «هوذا فتاي الذي اخترته حبيبي الذي سُرَّت به

	الاقتباسات كما جاءت في العهد القديم بالترتيب	ما يقابلها في الإنجيل بدون ترتيب
	إلى الأمان يُخرج الحق. لا يكل ولا يتكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنظر الجزائر شريعته».	نفسي أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق. لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يُطفئ حتى يُخرج الحق إلى النصرة وعلى اسمه يكون رجاء الأمم».
	(٥٠:٦) «بذلت ظهري للضاربين وخَدَّيَّ للناتفين، وجهي لم أستر عن العار والبصق».	(٢٦:٦٧) «حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه وآخرون لطموه».
	(٥٣:٤) «لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها».	(٨:١٧) «لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل: هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا».
	(٦٢:١١)، (زك ٩:٩) «قولوا لابنة صهيون: هوذا مخلِّصك آتٍ». «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون. اهتفي يا بنت أورشليم هوذا ملككِ يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان».	(٢١:٥) «قولوا لابنة صهيون: هوذا ملككِ يأتيكِ وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان».
سفر إرميا:	(٣١:١٥) «صوت سُمع في الرامة نوحٌ بكاءٌ مرّ راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعزَّى عن أولادها لأنهم ليسوا بموجودين».	(٢: ١٧و١٨) «حينئذ تمَّ ما قيل بإرميا النبي القائل: صوت سُمع في الرامة نوحٌ وبكاءٌ وعويل كثير. راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزَّى لأنهم ليسوا بموجودين».
سفر هوشع:	(١١:١) «لمَّا كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني».	(٢:١٥) «لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: من مصر دعوت ابني».
سفر ميخا:	(٥:٢) «أمَّا أنتِ يا بيت لحم أفراتة وأنتِ صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا. فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلِّطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل».	(٢: ٥و٦) «فقالوا له: في بيت لحم اليهودية لأنه هكذا مكتوب بالنبي: وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا لستِ الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منكِ يخرج مدبِّر يرعى شعبي إسرائيل».

	الاقتباسات كما جاءت في العهد القديم بالترتيب	ما يقابلها في الإنجيل بلون ترتيب
سفر زكريا:	(١١: ١٢و١٣) (انظر ٩:٩، إش ١١:٦٢) «فقلت لهم: إن حسن في أعينكم فأعطوني أجرتي وإلاَّ فامتنعوا. فوزنـوا أجرتي ثلاثين مـن الفضـة. فقال لي الـرب ألقهـا إلى الفخـاري الثمـن الكريـم الـذي ثمنوني بـه. فـأخذت الثلاثين مـن الفضـة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب».	(٢٦: ١٥و١٦، ٢٧: ٦و٧و٩و١٠) «وقال: ماذا تريدون أن تعطوني وأنـا أُسلِّمه إليكـم فجعلوا له ثلاثين من الفضة. ومن ذلك الوقت كـان يطلب فرصة ليسلِّمه». «فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيهـا في الخزانة لأنها ثمن دم. فتشاوروا واشتروا بها حقـل الفخاري مقبرة للغرباء. حنيئذ تمَّ ما قيل بإرميـا النبي القائل: وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمـن المثمَّـن الـذي ثمَّنوه من بني إسرائيل وأعطوها عن حقـل الفخـاري، كما أمرني الرب».

من هذا الجدول الذي ينطق باهتمام القديس متى البالغ أن يضمِّن إنجيله الصورة المشـرقة للتـوراة كلها في هذه الاقتباسات، يظهر للقارئ مدى العناية والجهـد والتخطيـط المُسْبَق في الفكـر والوعـي الروحي ليقدِّم القديس متى إنجيله، حاملاً كل الوعود والمواعيد والنبوَّات، محقِّقاً أن يسوع هو المسيَّا رجاء اليهود ونور العالم.

٤ – موقف المسيح من الناموس في إنجيل القديس متى

إنجيل القديس متى هو الوحيد الذي أعطى مكاناً لتأكيد قيام ودوام الناموس باعتباره كلمة الله:

+ «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمِّل. فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرفٌ واحدٌ أو نقطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يكون الكل. فمَنْ نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلَّم الناس هكذا، يُدعى أصغر في ملكوت السموات. وأمَّا مَنْ عمل وعلَّم، فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات. فإني أقول لكم: إن لم يزد برُّكم على الكتبة والفرِّيسيين لن تدخلوا ملكوت السموات.» (مت ٥: ١٧–٢٠)

المسيح هنا يركِّز على روح الناموس الذي أبرزته الوصايا العشر، التي وضعت أساس علاقة الإنسان بالله من تكريم كلي، وأساس علاقة الإنسان بالإنسان من احترام وعدم تعدِّي، وهي تُعتبر أصل وروح كل قانون ظهر في العالم ليقيِّم علاقات الإنسان بالله والناس.

بهذه المقدِّمة ابتدأ ق. متى يسجِّل عظة المسيح على الجبل، على أن أساسها هو اكتشاف روح الناموس فيها: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تقتل، ومَنْ قَتَلَ يكون مستوجب الحكم، وأمَّا أنا فأقول لكم إن كل مَنْ يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم» (مت ٥: ٢١و٢٢). هنا نحن أمام الناموس وفي مقابله الإنجيل، الناموس يقول لا تقتل والإنجيل يقول لا تغضب. هنا الناموس يحكم بالموت على القاتل ولا يقدِّم له أي علاج، في حين أن الإنجيل يتخطَّى الأمر بعدم القتل إلى معالجة علَّته بإعطاء وصية عدم الغضب وبالتالي يتحاشى عقوبة الموت، وكأننا انتقلنا بالخاطئ من محكمة العقوبات إلى بيت أبوي، ومن تحت المقصلة إلى حضن نصوح. وهذا هو الانتقال من الناموس إلى الإنجيل.

وهكذا أخذ المسيح يسرد الوصايا ليستخرج منها روحها ويعلنها بوجه جديد يتناسب مع روح العهد الجديد.

كذلك عاد في الأصحاح (٢٣) يقول: «حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى جلس الكتبة والفرِّيسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون. فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس، وهم لا يريدون أن يحرِّكوها بإصبعهم. وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم

الناس ...» (٢٣: ١-٥). وهنا ابتدأ المسيح يفرز بين نصوص الناموس وبين الفتاوي والتعاليم المكمِّلة من عندهم، التي أسماها المسيح: «أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل» و«تعاليم هي وصايا الناس.» (مت ١٥: ٩)

بهذا التعليم الأولي جداً بدأ المسيح خدمته التعليمية تمهيداً للدخول في ما هو أكمل، الـذي اعتبره البر الحقيقي وليس البر بالناموس: «إن لم يزد بركم على الكتبة والفرِّيسيين لـن تدخلـوا ملكـوت السـموات» (مت ٥: ٢٠). وهو البر غير القائم على التدقيق في الأعمال بـل المستمد مـن روح الله: «ليس كـل مَـنْ يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات بل الذي **يفعل إرادة** أبي الذي في السموات.» (مت ٧: ٢١)

وأعطى المسيح صورة لروح الناموس في وضعه الأساسي عند الله فيما قبـل موسى عندمـا قـال: «وجاء إليه الفرِّيسيون ليجربوه قائلين له: هل يحل للرجل أن يطلِّق امرأته لكل سببٍ؟ فأجاب وقـال لهم: أما قرأتم أن **الذي خلق من البدء** خلقهما ذكراً وأُنثى؟ وقال: من أجل هـذا يـترك الرجـل أبـاه وأُمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذاً ليسا بعـد اثنـين بـل "جسـد واحـد"، فـالذي **جَمَعَهُ الله** لا يفرِّقه إنسان (هنا قول المسيح "**الذي جمعه الله**" هو أصل الناموس وروحـه وهـو إرادة الله من نحو حياة الإنسان). قالوا له: فلماذا أوصى موسى أن تُعطى كتاب طلاق فتُطلَّق؟ قـال لهـم: إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلِّقوا نساءكم (وهنا قول المسيح: "**من أجل قساوة قلوبكم**" هو من صميم "**الناموس**" الذي وُضِعَ ليناسب قساوة قلوب الشعب).» (مت ١٩: ٣-٨)

وهكذا ابتدأ المسيح يسحب التعبُّد الأعمى للناموس لاتباع تعـاليم المسيح الـتي هـي أصـل وعلّـة وضع الناموس، وهو الاتباع والالتصاق بالله نفسه عن طريق الإيمـان بالمسيح وتعليمـه، ثـم الإيمـان بإنجازاته التي حرَّرت الإنسان من الحرف الذي يقتل إلى الـروح الـذي يحيي، الـذي وصـل إليـه ق. بولس بعد عراكه مع الناموس:

+ «إذاً الناموس مقدَّس والوصية مقدَّسة وعادلة وصالحة. فهل صار لي الصالح موتاً (لأن الناموس يحكم بالموت)؟ حاشا! بل الخطية. لكي تظهـر خطيـةً منشـئةً لي بالصـالح موتـاً، لكـي تصـير الخطية خاطئة جداً بالوصية. فإننا نعلم أن الناموس روحـيٌّ، وأمَّـا أنـا فجسـديٌّ، مبيـع تحـت الخطية.» (رو ٧: ١٢-١٤)

وهكذا جاء المسيح ليرفعنا من تحت الخطية التي هي السبب في مجيء الناموس، فلمَّـا رفـع المسيح الخطية بطلت قوة الناموس وبطلت أحكامه بالموت:

+ «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسـد

بل (بالنعمة) حسب الروح. لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت.» (رو ٨: ١و٢)

هكذا استطاع ق. بولس أن يقنِّن للقديس متى النقلة التي انتقل بها المسيح من الناموس إلى الخلاص، من الخطية إلى الفداء، من الموت بالناموس إلى الحياة في المسيح! فالناموس كان لازماً قبل المسيح، ولكن بعد المسيح لم يصبح للناموس قدرة الوجود - وهو الحكم بالموت - في حضرة المسيح الحاكم بالحياة. وهكذا أكمل المسيح عمل الناموس التأديبي بموته هو «قد كان الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح» (غل ٣: ٢٤) حيث يحمل المسيح عنَّا كل تأديب وحكم الناموس، ويمنحنا البراءة والبر: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأُكمِّل» (مت ٥: ١٧). وقول المسيح في إنجيل ق. متى: «إن لم يزد برُّكم على الكتبة والفرِّيسيين لن تدخلوا ملكوت السموات» (مت ٥: ٢٠) هذه الزيادة في البر هي ما هو فوق الناموس بالإيمان بالمسيح، الذي يمنحنا برَّ المسيح الشخصي الذي يسمو فوق كل أعمال الناموس وبرِّه.

وفي المقابلة بين نير الناموس الثقيل من جهة الفرائض المحدودة وبين نير المسيح يقول المسيح: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلَّموا مني. لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم، لأن نيري هيِّن وحملي خفيف» (مت ١١: ٢٨-٣٠). وهكذا بينما الناموس على يدي الكتبة لا يعطي المثل الحي الذي يُحتذى، يُعطي المسيح نفسه مثلاً أعلى يُحتذى به، بل ويؤازر بروحه ويقوِّي. وهكذا أيضاً بينما الناموس يتطلَّب الطاعة العمياء لأوامر صعبة التنفيذ، يطلب المسيح أن يتعلَّموا الوداعة والتواضع منه باستعداد أن يعطي نفسه معيناً ومصدراً للحياة. ولكن أشد ما يستعلنه المسيح من سر حياته الخاصة وتعليمه في صميم حياتنا اليومية هو حضوره الذاتي السرِّي والمخفى في أشخاص الناس المرفوضين والمذلين والمهانين: «ثم يقول الملك (الديَّان وصاحب الملكوت) للذين عن يمينه تعالوا يا مُبارَكي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم، لأني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريباً فآويتموني، عرياناً فكسوتموني، مريضاً فزرتموني، محبوساً فأتيتم إليَّ. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين يا رب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، أو عطشاناً فسقيناك، ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عرياناً فكسوناك، ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك. فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت ٢٥: ٣٤-٤٠). وهكذا بهذا الفعل الإلهي السرِّي العجيب سهَّل المسيح الانتماء إليه والتعامل معه بأن خفَّض حالة تواجده في صميم حياتنا اليومية،

ليس إلى مستوى إمكانياتنا وحسب، بل وإلى أدنى مستوى يمكن أن نتعامل معه، وهم المحتاجين والأذلاء والجوعى والعريانين. وهكذا يقدِّم المسيح في إنجيل ق. متى قبول العهد الجديد والانتماء إليه إلى ما دون إمكانيات الإنسان العادي، وكأنه جعل الملكوت بين يدي الناس.

أمَّا التوازي بين الملكوت والناموس فهو قائم على أساس "ناموس الإيمان" وليس ناموس الأعمال، كما قالها ق. بولس: «فأين الافتخار؟ قد انتفى، بأي ناموس؟ أبناموس الأعمال؟ كلاَّ، بل بناموس الإيمان» (رو ٣:٢٧). لذلك كان المسيح ضد تحويل الإيمان بالله إلى مجرَّد أعمال لا علاقة لها بالروح، وكان واضحاً جداً في ذلك حينما عنَّف الكتبة والفرِّيسيين هكذا: «لكن ويل لكم أيها الكتبة والفرِّيسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدَّام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون.» (مت ٢٣:١٣)

هنا المانع لدخول الملكوت ليس هو الناموس، ولكن القوَّامين على الناموس الذين جعلوا منه سدًّا ضد الملكوت.

مركز المسيح بالنسبة للناموس عند القديس متى:

كان الناموس يصرخ عاجزاً لا يستطيع أن يطيِّب قلب الخاطئ ولا يرد الأثيم عن إثمه، لم يكن في يديه إلاَّ عقوبة الموت. وكان معروفاً - كما هو عند السامرية - أن المسيَّا لما يأتي يرد عجز الناموس ويرد كل شيء. والقديس متى أدرك هذا للغاية وقدَّم المسيح على أنه هو المسيَّا مكمِّل الناموس وصانع الخلاص الكلِّي.

وكلمة "**يكمِّل**" الناموس تعني يجبر نقصانه ويكمِّل عمله وأسبابه ويعطيه سلطانه الغافر والمصالح والمريح، الأمور التي كان الناموس عاجزاً عنها.

كان الناموس هو القاضي الذي يحكم بالإعدام بمقتضى الناموس (القانون) ولم يكن هو الحاكم والملك، فجاء المسيح الملك ليحكم فوق الناموس بالعفو الملكي، ليرفع الخطية والموت ويعطي الحياة الأبدية التي عجز الناموس حتى عن إدراكها. والمسيح عبَّر عن ذلك أقوى تعبير حينما قال «ابن الإنسان هو رب السبت» (مت ١٢:٨)، أي رب الناموس وملكه وسيده. الناموس خادم التدبير الإلهي والمسيح هو رب وصاحب التدبير، نير الناموس نير عبودية، ونير المسيح هين وحمله خفيف، يحرِّر من خطية وموت وكل عبودية «فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨:٣٦). والمسيح لَمَّا أراد أن يرفع مِنْ قدر الناموس ويكمِّله كمَّله بكلمة واحدة "المحبة" فهي كمال الناموس، والمحبة هي الوصية الأُولى والعظمى، والمسيح كان هو المحبة.

٥ - ملكوت السموات
وتحقيقه بين الحاضر والمستقبل في إنجيل القديس متى

لا يزال العلماء في حيرة من أمر حدوث تحقيق الملكوت المعلن عنه في الإنجيل، وحوادث نهاية الدهور، بمعنى هل قد حصل الإنسان بالفعل على تحقيق وعود المسيح من جهة الملكوت وكمال الشركة معه بموته وقيامته، أم أن نهاية الدهور الزمنية لا تزال أمام الإنسان ليستوعبها بنعمة أخرى جديدة في زمن يحدِّده الله مستقبلاً و لم يُستعلن حتى الآن؟

وقد مضى على هذه الأبحاث ما يقرب من ثلاثين سنة و لم يستقر العلماء على حل(١).

ولكن حيرة العلماء مردود عليها، لأن ببعض البصيرة والوعي نجد أن الشركة مع المسيح بموته وقيامته بدأت في الحال بعد قيامة المسيح، وهي مستمرة ولن تكمل إلاَّ بنهاية الدهور حينما يكمِّلها المسيح بمجيئه الثاني. ولكن المسيح الآن لم يتركنا نهائياً على أمل أنه سيأتي فيما بعد، بل أعطانا منذ الآن أن نختبر حضوره روحياً في وسط الجماعة «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠)، «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠). كما جعل لنا شركة حيَّة مع الآب ومعه أيضاً: «وأمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١: ٣و٤)

وإنجيل ق. متى يعني كثيراً بهذا الأمر، فقد آل على نفسه أن يوحِّد بين تحقيق المستقبلات الآتية وبين ما نلناه الآن من جراء الفداء والخلاص الذي تمَّ بخدمة المسيح من واقع الاتحاد بموته وقيامته.

فعلى سبيل المثال حينما يقول: «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات» يربط ما نعيشه الآن روحياً - الذي هو المسكنة بالروح - بصميم الأخرويات الذي هو ملكوت السموات.

ولكي يُشبع روح الجماعة المسيحية بمفهوم الأخرويات - حوادث آخر الزمان، وهي مصدر عزاء وفرح لا يُستهان به - يربطها باستمرار بالوصايا السلوكية، كما يقدِّمها أيضاً في مضمون الأمثال: «يشبه ملكوت السموات ...»، وهذا الطابع في الربط بين الأخرويات وبين الحياة الحاضرة

(1) W.F. Albright and C.S. Mann, *Matthew*, The Anchor Bible, p. LXXXI.

قد أخذته الديداخي من إنجيل ق. متى، وهي وثيقة مسيحية مبكِّرة يرجع تاريخها إلى ما قبل سنة ١٠٠م، وهي تقدِّم الواجبات اللازمة لإنسان يسعى لدخول الملكوت.

والخطورة أن يأتي نبي كاذب ويقول: إن أمور آخر الزمان قد تمَّت وانتهت في هذا الزمان (راجع ٢تي ٢:١٨) «قائلين: إن القيامة قد صارت»، فيحرم الإنسان المسيحي من السعي والرجاء والعمل الروحي من أجل الآتي. أو أن يقول إن المسيح قد أتى (٢تس ٢:٢)، فيصيب الكنيسة بإحباط شديد إذ أن كل قوة الحياة المسيحية متركِّزة في انتظار مجيء المسيح، لأن الواقع مخيِّب لكل الآمال، ورجاؤنا هو حي بالآتي. لذلك اعتنى إنجيل ق. متى أشد الاعتناء بالتحذير «من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً؟ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة، وأمَّا الشجرة الردية فتصنع أثماراً ردية ... فإذاً من ثمارهم تعرفونهم» (مت ٧: ١٥ــ٢٠) والكلام للمسيح نفسه. ثم عاد المسيح يوعِّي تلاميذه من الأشخاص المضلِّين الذين يتكلَّمون عن الأخرويات ونهاية الدهور عن جهل وعدم معرفة: «فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح ويضلُّون كثيرين.» (مت ٢٤: ٤و٥)

ارتباط الملكوت بالحياة الحاضرة في العظة على الجبل: (أصحاح ٥ إلى ٧)

ويعطي القديس متى حديثاً للمسيح شاملاً وهو المعروف بالعظة على الجبل (٥:٣ إلى ٧:٢٧)، يؤكِّد فيه عدة مرَّات أن فعل تكميل الملكوت يتم منذ الآن: «طوبى للمساكين بالروح **لأن لهم ملكوت السموات** ... طوبى للمطرودين من أجل البر **لأن لهم ملكوت السموات** ... وأمَّا مَنْ عمل وعلَّم فهذا **يُدعى عظيماً في ملكوت السموات** ... إن لم يزد برّكم على الكتبة والفرِّيسيين لن تدخلوا **ملكوت السموات** ... فصلوا أنتم هكذا ... **ليأتِ ملكوتك** ... **اطلبوا أولاً ملكوت الله** وبره وهذه كلها تزاد لكم ... ليس كل مَنْ يقول لي يا رب يا رب **يدخل ملكوت السموات** بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات».

ويتخلَّل هذه الأقوال عن الملكوت نصائح ووصايا سلوكية وأخلاقية كثيرة تؤهِّل الإنسان للدخول إلى ملكوت الله: مِنْ مغفرة خطايا الآخرين، وعفة القلب والعين وطهارة اليد، وعدم الحلفان البتة، وعدم مقاومة الشر بل مقابلة الشر بالخير، وإعطاء الخد الآخر لمن يلطم، وترك الرداء لمن يريد أخذ الثوب، «ومَنْ سخَّرك ميلاً فاذهب معه اثنين»، «ومَنْ سألك فأعطه»، «ومَنْ أراد أن يقترض منك فلا تردَّه»، و«أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم وصلُّوا لأجل

الذين يسيئون إليكم ويطردونكم»، «فكونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كـامل»، «متى صنعت صدقة فلا تصوِّت قدَّامك بالبوق ... وأمَّا أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرِّف شمالك ما تفعل يمينك»، «ومتى صليت فـادخل إلى مخدعـك وأغلـق بـابك ... ولا تكـرروا الكـلام بـاطلاً كالأُمم»، «ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين ... وأمَّـا أنـت فمتـى صمـت فـادهن رأسـك واغسـل وجهك»، «لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض ... بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء ... لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً»، «سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة فجسـدك كله يكون نيراً»، «لا تقدرون أن تخدموا الله والمال»، «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبمـا تشـربون ولا لأجسادكم بما تلبسون»، «لا تهتموا للغد»، «لا تدينوا لكي لا تدانـوا ... أخـرج أولاً الخشـبة من عينك»، «اسألوا تُعطوا اطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفتح لكم»، «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم»، «ادخلوا من الباب الضيِّق ... ما أضيق الباب وأكـرب الطريـق الـذي يؤدِّي إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه ...».

واضح أن جميع هذه الوصايا السلوكية التي تتخلَّل العظة على الجبل متصلة اتصالاً وثيقاً بملكـوت السموات. فهي تُعتبر منهجاً حيًّا للعمل والسلوك الواجب علينا الآن لكي نؤهَّل للعمل الأخروي أي ملكوت الله. وهكذا في إنجيل ق. متى يتلاحم السلوك الحاضر بالرجاء الأخروي كتلاحم السدَّة مع اللحمة. وهذه الأعمال التي نعملها الآن نعملها على أساس أن المسيح أكمل لنا بالفداء ما يـلزم مـن النعمة والقوة والبصيرة التي تسهِّل وتعين في أداء هذه الوصايا الخاصة التي تؤهِّلنا للحياة الأخروية.

استعلان الملكوت في الحياة الحاضرة بواسطة الكرازة: (أصحاح ١٠)

والعظة الثانية التي يقدِّمها القديس متى بعد العظة على الجبل تختص بالوصايـا المعطـاة للكـارزين: «وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات اشـفوا مرضـى، طهِّـروا بُرْصَـاً، أقيموا موتى، أخرجوا شياطين. مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا» (مـت ١٠: ٧و٨). ويُلاحَـظ هنـا ارتبـاط الكرازة باقتراب الملكوت، وهذا بعينه هو الكرازة بالأخرويات. ولكن **هنا أيضاً يـأتي ملكـوت الله متصلاً اتصالاً وثيقاً بالحياة الحـاضرة**. والنتيجـة المباشـرة المفرحـة جـداً أن قـوة الملكـوت في الحيـاة اليومية تُستعلن بالعلامات الدامغة وهي شفاء الأمراض وإخـراج الشـياطين وأن المسـاكين يُبشَّـرون. إذن، فملكوت السموات عند ق. متى هو حاضر حضوراً سرياً بقوة روحية سرِّية تُعلن عـن نفسـها بالإيمان والخلاص والتجديد والفرح الغامر وبالآيات. وهذه حقيقة سرِّية استعلنها ق. متـى وهـي لا تزال بقوتها عاملة حتى اليوم. فبمجرَّد أن يخدم الخادم ويكرز بملكوت ا لله عن اقتـدار روحـي مشـمول

بالنعمة، ينفتح باب الخلاص ويؤمن الكثيرون، كإعلان صادق أن الجماعة في حالة قبول سمائي ومهيَّأة بالفعل لدخول ملكوت الله. بمعنى أن الكرازة بملكـوت الله بحضور النعمـة وعمـل الروح القـدس تنتقل من الكلمة إلى الفعل، من التعليم إلى معجزة الخلاص التي تشهد بحضور الرب وانفتاح الاستحقاق للملكوت، حيث يعمّ الفرح الغامر والتهليل الذي يخرج عن الوعي والفائق للعقل، لأن حضـور الملكوت هو المقابل لاختطاف العقل والدخول في الفـرح المفـرط: «وعلـى رؤوسـهم فـرح أبـدي. ابتهـاج وفـرح يدركانهم.» (إش ٥١:١١)

وهذه الحقيقة التي يقدِّمها ق. متى ناتجة من حضور المسـيح نفسـه متكلّمـاً وعـاملاً في تلاميـذه: «مَنْ يقبلكم يقبلني ومَنْ يقبلني يقبل الذي أرسلني» (مت ١٠:٤٠)، فهنا اسـترجاع كـامل لكـرازة المسيح نفسها مستترة في تلاميذه، حيث يُستعلن الإنجيل مرَّة أخرى بصورته الأُولى القوية والكاملـة: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨:٢٠)، قالها المسيح مباشرة بعد أن قال اذهبـوا وتلمذوا وعلِّموا وعمِّدوا: «وهذه الآيات تتبع المؤمنين.» (مر ١٦:١٧)

هنا لا نستطيع أن نقول إنهـا علامـات آخـر الزمـان، بـل علامـات الملكـوت القـائم والمُستعلن بالخدمة والكرازة، أو بمعنى أكثر عمقاً وشمولاً استعلان الكنيسة في حالة وعـي روحـي ونعمـة، لأن عمل الكنيسة الأعظم هو الكرازة بالملكوت، والكرازة بالملكوت تعني حضوره سـريًا مؤيَّـداً بالإيمـان والخلاص والمعجزات، ذلك بضمان حضور المسيح الدائم! غير أن ظهـور هـذه العلامـات بصورتهـا الباهرة هو بحد ذاته علامات المنتهى الذي تعيشه الكنيسة داخل الزمن «ليسوا من العالم كما أني أنـا لست من العالم» (يو ١٧:١٦). وهكذا يصعب جداً في إنجيل ق. متـى الفصـل بـين الاكليسـيا أي الكنيسة الحيَّة كجماعة تحيا بالروح والنعمة، وبين الاسخاتولوجي أي الأخرويات.

الكنيسة بين الملكوت والحياة الحاضرة: (أصحاح ١٦و١٨)

على أن قول المسيح للقديس بطرس بعد نطقه بالإيمان بإيحاء نعمة الآب: «طوبى لـك يـا سمعـان بن يونا إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات. وأنا أقول لك أيضاً: أنت "بـتروس" وعلى هذه الصخرة "بترا" أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأُعطيـك مفـاتيح ملكـوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحله على الأرض يكـون محلولاً في السموات» (مت ١٦: ١٧-١٩)؛ هـذا الحـدث الضخـم يُعتـبر قمـة الاسـتعلان للكنيسـة لتعانق ملكوت الله، مع علامات وُضعت في يدها ومفاتيح تفتح وتغلق السماء كإيليا، وهـذا ينتقـل إلى جماعة الكنيسة لتشارك في هذا الزخم السمائي لتحيا الملكـوت في عمـق الزمـان، وتطـال "نهايـة

الزمان" وهي تحت الزمان، تبلغه ولا تستطيع أن تحقّقه، تمسك بالملكوت بيدها ورجلاها مزروعتان في أرض الشقاء، تمسك الحياة الأبدية بيد وباليد الأخرى لقمة الخبز لتحيا وتكمِّل غربتها: «الوقت منذ الآن مقصَّر لكي يكون ... الذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه، لأن هيئة هذا العالم تزول. فأريد أن تكونوا بلا هم.» (١كو ٧: ٢٩-٣٢)

وعلى التوازي يبرز ق. متى شرط الدخول إلى الملكوت: «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات، فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات» (مت ١٨: ٣و٤). وبعد أن يبلغ المسيح بالتلاميذ إلى قامة دخول ملكوت السموات على مستوى قامة الولد، يعود ويربطها بالتجربة في الإعثار على مستوى الولد أيضاً (مت ١٨: ٧-١٠). وهكذا يبلغ التوتُّر أقصاه، فقامة الدخول إلى الملكوت واقعة تحت تجربة الشيطان التي تنتهي بإلقاء الساقط في العثرة في البحر مربوطاً في عنقه بحجر حتى لا يعود إلى الحياة. وهكذا يقف التلميذ بين الملكوت وجهنم، يمسك الملكوت بيديه والشيطان ماسك بتلابيبه، والغلبة هي لقامة الطفولة خلواً من عثرة ورجعة إلى العالم.

لا توجد أحقية للدخول إلى الملكوت: (أصحاح ٢٠-٢٥)

ولكن الدخول إلى الملكوت لا يعتمد على الأحقية مطلقاً: «وفيما هم يأخذون (الدينار الواحد) تذمَّروا على رب البيت قائلين هؤلاء الآخِرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر. فأجاب وقال لواحد منهم: يا صاحب ما ظلمتك. أما اتفقت معي على دينار؟ فخذ الذي لك واذهب. فإني أريد أن أعطي هذا الآخير مثلك. أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بما لِيَّ، أم عينك شريرة لأني أنا صالح. هكذا يكون الآخِرون أولين والأولون آخِرين، لأن كثيرين يُدعون وقليلين ينتخبون» (مت ٢٠: ١١-١٦). والقصة عادية فيما يخص الله، ولكن أدخلها ق. متى ضمن توجيه وتهذيب المجتمع الكنسي الذي يتطلَّع إلى ملكوت السموات: «فإن **ملكوت السموات** يشبه رجلاً رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة ...» (٢٠:١)، بمعنى ورود حالات الامتياز غير القائم على استحقاق من الفرد بحسب رؤية عينيه وجهده وكفاءته، بل القائم على اختيار نعمة الله التي تقيس الإنسان بمقياس رؤية صلاح الله «لأني صالح». كذلك يضيف ق. متى قصة أم ابني زبدي (مت ٢٠: ٢٠-٢٤) وتدخُّلها في توزيع الأنصبة في ملكوت الله لكي يجلس ابناها عن يمين الرب ويساره في ملكوته، حيث كان الرد أن الجلوس عن اليمين واليسار هو «للذين أُعدَّ لهم من أبي»، فالأنصبة توزَّع حسب الإعداد الإلهي السابق حتى على ميلاد الجسد بحسب رؤية

ا لله وصلاحه وليس بحسب رؤية الإنسان: «قبلما صوَّرتك في البطـن عرفتـك وقبلمـا خرجـت مـن الرحم قدَّستك» (إر ١:٤)، «اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قدِّيسين وبلا لوم قدَّامـه في المحبـة ... لمدح مجد نعمته الذي أنعـم بهـا علينـا في المحبـوب» (أف ١: ٤و٦)، «إن كثـيرين سـيأتون مـن المشارق والمغارب ويتكئون ... في ملكوت السموات» (١١:٨). وطبعاً يردّ ق. متى بهذا التجميـع القصصي على شعب إسرائيل الذين ادَّعوا لأنفسهم أحقيَّة الدخول إلى الملكوت دون سـائر شـعوب الأرض بالرغم من رفض الله لهم ورفضهم له: «أين كتـاب طـلاق أمكـم!» (إش ٥٠ :١). وهكـذا يوعِّي الكنيسة أن لا ترتكن على ادعاءات كاذبة: «لأن الـذي يحبـه الـرب يؤدِّبـه» (عـب ١٢ :٦)، والكرَّامين الأردياء يهلكهم هلاكاً رديًّا ويسلِّم الكرم إلى كرامين آخرين (٤١:٢١).

كذلك في دعوة مدعوِّي الملك إلى عشاء العرس - الذي يمثِّل الملكـوت - يظهـر كيـف أُخـرج بخزي الذي ليس عليه لباس العرس، الذي هو رسم الإنجيل أو شهادة إيمان أو صـك خـلاص وإخـلاء طرف من نجاسات العالم. وفي النهاية كان تقرير الملك: «اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية» (١٣:٢٢). وهكذا الذين أرادوا أن يدخلوا خلسة بنوع من الأحقية الكاذبة أو ادعاء الخدمة أو المظهر الكاذب، فكان نصيبهم هذه الفضيحة العلنية. وهكذا تصبح الدعوة للملكوت بحد ذاتهـا عملية فاصلة وخطيرة. فالاسخاتولوجية الملكوتية عند ق. متى تمحّص بالنار.

وواضح من تعاليم المسيح، التي جمعها ق. متـى لكـي يـبرز فيهـا معـاملات الله مـع الملكـوت في الكنيسة القادمة، أن أبرز ما فيها هو أن التلمذة والخدمة الكنسية بوجه عام لا يوجد فيها مناعة ضد المحاسبة والفحص والطرد والدينونة، وأن يتهيَّأ الإنسان أولاً للباس العرس (الخلاص) هو أخطر ما في الدعوة إلى الملكـوت. وأخطـر عقبـة في الاستعداد واللياقـة لدخـول الملكـوت هـي بـطء استعلانه: «سيدي يبطئ قدومه، فيبتدئ يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى، يأتي سـيد ذلـك العبد في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها» (مت ٢٤: ٤٨-٥٠). الأمـر الـذي خصَّـص لـه أيضـاً قصة العشر عذارى والخمس الحكيمات باسـتعداد الزيـت والنـور والسـهر! فمَثَـل العبـد الـذي قـال سيدي يبطئ ومَثَل الخمس عذارى الحكيمات يحددان عبور النقطة الحرجة في مواجهة الملكوت حيث الرفض أو القبول، وهذه النقطة الحرجة هي: "اسـهروا". فـالتلمذة السـاهرة للملكـوت هـي سـر العبـور: «حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم. مَنْ له أذنان للسمع فليسمع.» (مت ١٣ :٤٣)

خامساً: تبويب محتويات إنجيل ق. متى بحسب تقسيم الخمسة كتب

يصح تبويب محتويات إنجيل ق. متى بحسب تقسيم الخمسة كتب كما يلي(١):

١ - بدء الإنجيل: الأنساب والميلاد والطفولة: (١:١-٢:٢٣)
(أ) أنساب المسيح: (١:١-١٧)
(ب) ميلاد يسوع المسيح: (١:١٨-٢٥)
(ج) سجود المجوس: (٢:١-١٢)
(د) الهروب إلى مصر
وذبح أطفال بيت لحم: (٢:١٣-٢٣)

٢ - القسم أو الكتاب الأول: المناداة بملكوت السموات: (٣:١-٧:٢٩)
(أ) **الرواية:** بداية الخدمة: (٣:١-٤:٢٥)
(ب) حديث **تعليمي:** العظة على الجبل: (٥:١-٧:٢٩)

٣ - القسم أو الكتاب الثاني: الخدمة في الجليل: (٨:١-١١:١)
(أ) **الرواية:** وهي مجموعة عشر معجزات: (٨:١-٩:٣٤)
(ب) حديث **تعليمي:** عظة على الإرسالية: (٩:٣٥-١١:١)

٤ - القسم أو الكتاب الثالث: مناوشات وأمثال: (١١:٢-١٣:٥٢)
(أ) **الرواية:** مناقضات وعداوة اليهود: (١١:٢-١٢:٥٠)
(ب) حديث **تعليمي:** أمثال الملكوت: (١٣:١-٥٢)

٥ - القسم أو الكتاب الرابع: تعليم التلاميذ: (١٣:٥٣-١٨:٣٥)
(أ) **الرواية:** حوادث تسبق الرحلة نحو أُورشليم: (١٣:٥٣-١٧:٢٧)

(1) *The Jerome Biblical Commentary,* vol. II, p. 66.

(ب) حديث **تعليمي:** عظة للكنيسة: (١٨:١-٣٥)

٦ - القسم أو الكتاب الخامس: في اليهودية وأُورشليم: (١٩:١-٢٥:٤٦)
(أ) **الرواية:** الرحلة إلى أُورشليم وحوادث هناك: (١٩:١-٢٣:٣٩)
(ب) حديث **تعليمي:** عن الأخرويات: (٢٤:١-٢٥:٤٦)

٧ - رواية الآلام: (٢٦:١-٢٧:٦٦)
٨ - رواية القيامة: (٢٨:١-٢٠)

بهذا المنهج المفصَّل والدقيق يتضح بصورة جلية الهدف الأساسي للقديس متى من إنجيله:

(أ) فالمسيح يكرز بمجيء الملكوت إلى اليهود **بالكلمة والفعل الإعجازي:** **أمَّا بالكلمة** فبالتعليم، وأمَّا **بالفعل** الإعجازي فبالأشفية والمعجزات. ودعاهم إزاء هـذا الإعـلان إلى المجـيء بالتوبـة ولكنهم رفضوا الدعوة ورفضوا الاستجابة.

(ب) ولكن بالرغم من ذلك آمنت النخبة وقبلت الدعوة وتبعوه، فكـانوا إسـرائيل الجديـد عـوض إسرائيل التي بدأت تنسحب من ميدان الحياة الإلهية وتدبير نعمة الله.

(ج) وبهؤلاء التابعين بدأ ملكوت الله في الوجود.

نظام المقابلة العكسية في ترتيب إنجيل القديس متى[٢]:

يُلاحِظ العلماء نظاماً سارياً في الإنجيل بطريقة خفية يسير على نمط (أ) و (ب): (ب) و (أ)، والتي تُسمَّى بالمقابلة العكسية chiasmus ومثلها جاء واضحاً في الآية (١٣:١٥) حسـب مـا جـاء في (إش ٦:١٠) كالآتي في إشعياء:

+ «غلِّظ قلب هذا الشعب وثقِّل أذنيه واطمس عينيه لئلاَّ يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه».
١ ٢ ٣ ٣ ٢ ١

وهكذا جاءت بالترتيب: قلب أذن عين، عين أذن قلب ونقلها القديس متى كما هي من إشعياء.

ولكن ق. متى أخذ هذا النموذج وطبَّقه على الإنجيل ككل ليصنع به هذه المقابلـة العكسـية. فلـو أخذنا الخمسة أقسام العامة لإنجيل ق. متى، فنقطة الانتصاف (٣) التي تأتي عندها المقابلة ثم تنعكـس نجد فيها التعليم مكرَّراً مرَّتين ليفيد هذا الانعكاس، حيث يعلِّم المسيح الأمثال للجموع ثم يذهـب إلى

(2) J. C. Fenton, *Saint Matthew*, The Pelican Gospel Commentaries, 1963, p. 16.

البيت حيث يشرح هناك الأمثال لتلاميذه، وهنا يبدأ ينعكس الترتيب عند نقطة الانتصاف (٣) لبدء العكس في النصف الآخر من الإنجيل.

(أ) أمَّا القسم الأول من التعليم (١) حسب الترتيب السابق (أصحاح ٥ إلى أصحاح ٧) نجده يأتي بناء على ذلك في القسم (١) من النصف الآخر في (أصحاح ٢٣ إلى أصحاح ٢٥) وليذكر القارئ النظام (١)، (٢)، (٣) : (٣)، (٢)، (١).

على أن (١) في النصف الأول كان على أوصاف بني الملكوت: والمقابل له (١) في النصف الآخر يجيء عن أوصاف دخول الملكوت.

(ب) كذلك القسم الثاني من التعليم (٢) حسب الترتيب يأتي في أصحاح (١٠) والمقابل (٢) في النصف الآخر يأتي في أصحاح (١٨) وهما بطول واحد!! ويجيء (٢) في النصف الأول عن الملكوت وإرسالية الرسل: ويجيء (٢) في النصف المقابل عن مَنْ الذي يَخلُص ويدخل الملكوت.

(ج) بداية الإنجيل كله أصحاح واحد يجيء عن **ميلاد المسيح من الروح القدس، الآتي من فوق** (الأصحاح الأول) وفي المقابل يختم ق. متى الإنجيل كله بقيامة المسيح من الأموات **والذهاب إلى فوق** (أصحاح ٢٨) والوصية **بالتعميد للميلاد الثاني من فوق**.

(د) أول اقتباس من العهد القديم كان عن **عمانوئيل الله معنا**، وآخر وعد قاله المسيح: «**ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**».

(هـ) أول تجربة قامت بتشكيك من الشيطان: «**إن كنت أنت ابن الله**» وآخر تعيير وتشكيك قدَّمه رؤساء الكهنة: «**إن كنت أنت ابن الله**».

هذه محاولة لطرح صورة عن كيفية اتباع ق. متى تنسيق إنجيله بصورة عامة لا يمكن أن تُمحى من الذهن، فهي كرسم هندسي متماثل في الأبعاد والأطوال. ولكن لا يستطيع أحد أن يُجزم بصحة هذا تماماً، كما لا يمكن إغفاله تماماً، والقصد واحد أن يعطي ق. متى صورة تعليمية تبقى في الذهن للحفظ: «وعلِّموهم أن **يحفظوا** جميع ما أوصيتكم به.» (مت ٢٨: ٢٠)

في الختــام:

إن تركيز ق. متى على تعليم وشرح أقوال المسيح وتقسيم إنجيله ليسهل التعليم به وحفظه، في ظننا لا يقوم من فراغ، فالقديس متى نفسه يذكر حادثة في غاية الأهمية وجديرة جداً بالانتباه وهي في صميم التعليم والتعلُّم. إذ في الأصحاح الثالث عشر العدد الثاني والخمسين بعد أن قدَّم المسيح

أمثاله لتلاميذه وللجموع وقف المسيح واستدار نحو تلاميذه وقال لهم: «أفهمتم هذا كله؟ فقـالوا نعـم يا سيد. فقال لهم: **من أجل ذلك كل كاتب متعلّم في ملكوت السموات يُشبه رجلاً رب بيت يُخرج من كنزه جدداً وعتقاء**».

معنى هذا أن التعليم الذي قدَّمته لكم والذي تقدِّمونـه للآخرين هـو كنـوز تُحفـظ في قلـب واعٍ مستعد دائماً أن يخرجها بصورتها الجديدة كما سمعتموها وتعلمتموها مؤيَّـدة بـالعهد القديـم، الـتي لا تقل في كونها كنوزاً أيضاً لكل السامعين. ولكن الكلمة الأساسية التي تسترعي انتباهنا جداً هي قوله: «كل **كاتب**» فهنا يؤسِّس المسيح مـن تلاميـذه وأولاده نظـام الكتبـة، أي حكمـاء التـوراة المدعويـن دكاترة اللاهوت، يحفظون الإنجيل عن ظهر قلب كما كان الكتبة يحفظون التـوراة تمامـاً، مضافـاً إليـه كل نبوَّات العهد القديم التي تلقي ضوءًا على صدق ما تمَّ للمسيح وبالمسيح.

إذن، فمنهج ق. متى في توضيح وتقسيم إنجيله واعتماده على التعليم الشفاهي بدرجة قصوى هـو حصيلة وصية الرب له ولبقية التلاميذ ولكل مَنْ تضلَّع في معرفة أسرار ملكوت الله.

ثم لو عدنا إلى واقعنا الآن بعد ألفَيْ سنة من نـداء المسيح هـذا، نسـأل هـل وُجـد هـؤلاء الكتبـة المسيحيون على مسـتوى حكمـاء إسرائيل الذيـن يحفظـون الإنجيـل عـن ظهـر قلـب، أو علـى الأقـل يُخرجون من كنوزه جدداً وعتقاء للكنيسة؟(٣)

(٣) في العهد القديم خصَّص الله سبطاً بأكمله - سبط لاوي - ليصيروا كتبـة للنـاموس والتـوراة: دراسـة وشـرح وحفـظ وتعليم. هؤلاء حفظوا بالحق الناموس والتوراة من الضياع والتحريف والخطأ والتعدِّي، وأرَّخوا لكـل حركـة وكـل عمـل بدقـة متناهية، فحُفظت التوراة على مر الدهـور بحروفهـا وأرقامهـا وتسـجَّلت الأسـفار والرحـلات علـى واقـع الأمـاكن والأشـخاص والزمن، وتسجَّلت التواريخ بأرقامها بدقة فائقة من آدم حتى المسيح! فلو اعتبرنا أن تعداد إسـرائيل كـان مليونـين، فسبط لاوي كان العُشر من هذا العدد باحتسـاب ضيـاع سبط ونصف، أي كان لا يقل عن مائتي ألف كاتب! فما هـي النسبة الـتي أفرزتهـا الكنيسة لهذا العمل بالنسبة للعهد الجديد؟ بل ما هو عدد الأشخاص الذين حددتهم الكنيسة وأفرزتهم بحكم القانون رسمياً لكـي يدرسوا ويشرحوا ويحفظوا ويعلِّموا ويؤرِّخوا لها؟؟ علماً بأن هذا كان مطلباً للمسيح!!

شرح الإنجيل

مع تفسير ما غَمُض من الكلمات والآيات

الأصحاح الأول

جدول أنساب المسيح (١: ١-١٧)

ميلاد يسوع المسيح (١:١٨-٢٥)

العهد الجديد ما هو؟

لأن العهد الجديد يبدأ بإنجيل ق. متى، رأينا أن نلقي نظرة على ما هو من حيث التحديد الكتابي:

من حيث الأسفار:

يحوي كل الأسفار المقدَّسة التي سجَّلت كل ما يختص بالعهد الجديد.

أين يبتدئ العهد الجديد؟

في اللحظة التي رفع فيها المسيح الكأس الرابعة للفصح وقال لتلاميذه: «اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي **للعهد الجديد** الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦: ٢٧و٢٨). في هذه اللحظة توقَّف العهد القديم الذي كان بواسطة سفك دم الذبائح الحيوانية كما وصفها سفر العبرانيين هكذا: «فمن ثَمَّ الأول أيضاً لم يُكرَّس بلا دمٍ، لأن موسى بعد ما كلَّم جميع الشعب بكل وصيةٍ بحسب الناموس، أخذ دم العجول والتيوس، مع ماءٍ، وصوفاً قرمزياً وزوفا، ورشَّ الكتاب نفسَه وجميع الشعب، قائلاً: هذا هو دم العهد الذي أوصاكم الله به.» (عب ٩: ١٨-٢٠)

وواضح أشد الوضوح أنه بسفك دم المسيح توقَّف العهد القديم بدم ذبائح حيوانية وبدأ العهد الجديد بدم ذبيحة المسيح. وهنا حذار الأخذ بمجرَّد الكلمات وكأن كلمة عهد لها نفس المعنى في القديم والجديد، ففي دم العهد الجديد لاهوت وأسرار ومعان وأفعال تحكم أعظم العطايا للعهد الجديد كالكفَّارة والغفران والصفح والمصالحة مع الله والفداء الكامل والخلاص والتبني. لذلك من الصعب جداً أن ندعو العهد القديم "**عهداً**" لأنه نُقض من الطرفين: من الشعب الذي صُنع له ومن الله الذي سمح به. وبذلك من الأصلح أن يسمَّى معاهدة، لأن المعاهدة مربوطة بالتوافق والطاعة من المصنوع من أجله. فإذا كسر الطاعة انكسرت المعاهدة حتماً. ولكن الوحيد الذي يُدعى عهداً جديداً حقًّا هو الذي صنعه المسيح بمفرده لكل مَنْ يؤمن به، فهو عهد قائم من الله لا يتغيَّر ولا يتبدَّل ولا يفنى أو يزول، فهو عهد إلهي قائم على صدق الله المطلق وعلى غِنَى نعمته الأزلية الأبدية: «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غِنَى نعمته.» (أف ١: ٧)

والأسفار التي تحوي كل العهد الجديد تنقسم إلى قسمين: القسم الأول ويحوي الأناجيل الأربعة والرسل التي هي الأعمال والرسائل جميعاً، والقسم الثاني وهو رؤيا يوحنا اللاهوتي. ولماذا قسمين؟ بسبب أن الأول يحوي تاريخ حياة الرب وخدمته من بدء تجسُّده حتى صعوده، وهنا تدخل الكنيسة لتقدِّم تاريخها الداخلي بواسطة الرسل بعد الصعود.

وهكذا يقف سفر الرؤيا وحده زمنيًّا وتاريخياً وكنسياً ليؤرِّخ مستقبل الكنيسة وعمل المسيح فيها وكل العالم حتى نهاية كل الدهور. وباختصار نقول إن هناك أناجيل أربعة وسفر الأعمال للرسل ورسائلهم وسفر الرؤيا. أمَّا الاتصال الوثيق والعلاقة القائمة بين هذه الأقسام، فالكتابات تقدِّم برهاناً قاطعاً بكمالها معاً. والواقع أن هناك حدًّا واضحاً فاصلاً بين الأناجيل وبقية الأسفار والرسائل، هذا الحد رسمه المسيح نفسه بوضوح في إنجيل ق. يوحنا (١٦:١٢): «إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأمَّا متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق.» (يو ١٣: ١٢و١٣)

ومن الملاحَظ أن من الأربعة أناجيل يوجد إنجيلان كُتبا بيد رسولين هما القديسان متى ويوحنا: والأول القديس متى يُقال إنه كتب إنجيله قبل الجميع كما يقول العالم بنجل[1]:

[إن القديس مرقس يوعز لنا من نصوص إنجيله ما يؤكِّد لنا وجود إنجيل ق. متى قبل إنجيله، وقد اهتم بأن أضاف في إنجيله ما لم يذكره ق. متى، فلمَّا جاء ق. لوقا أضاف ما لم يذكره ق. مرقس، ولمَّا جاء ق. يوحنا أضاف ما أسقطه الإنجيليون الثلاثة لأنه آخر مَنْ كتب. ولكن من المؤكَّد عندنا أن ق. متى كتب إنجيله أولاً، ويؤيِّد ذلك أنه الوحيد الذي في رواية الآلام يعطي باستمرار لبيلاطس لقب "الوالي ἡγεμών" (٧ مرَّات) بينما لا يذكر هذا اللقب أي أحد آخر من الإنجيليين، غير أن ق. لوقا ذكره مرَّة واحدة فقط (لو ٣:١)[2].]

وبذلك يكون ق. متى قد وضع أول وثيقة ذات سلطان لكل من ق. مرقس وق. لوقا. وقد أثبتت الأبحاث الحديثة جداً بحسب البردية التي اكتُشفت في الأقصر وعولجت وفحصت في إبريل سنة ١٩٩٦ أن البردية كُتبت سنة ٦٥م، فإذا أعطيناها ٢٥ سنة على الأقل لتنتقل من اليهودية إلى الأقصر بمصر يكون زمن كتابة الإنجيل بحسب ق. متى لا يزيد عن سنة ٤٠م، وهي نفس السنة التي أرَّخنا لها لكتابة إنجيل ق. مرقس أيضاً وذات زمن مبكِّر جداً. (انظر كتاب: "شرح إنجيل القديس مرقس" للمؤلِّف صفحة ١١٤ وصفحة ٣٠ هامش ٤٦).

على أننا نظن أن الكتابة المبكِّرة للقديس متى كانت هي اللوجيا **Logia** بالعبرية التي أخذ منها الإنجيليون جميعاً. ولكن هذا يضيف قدماً لكتابة اللوجيا العبرية لأن البردية التي وُجدَت في الأقصر هي مخطوطة يونانية، لأن المعروف أن إنجيل ق. متى باليونانية قد تُرجم بعد تأليف اللوجيا.

---

(1) J. A. Bengel, *op. cit.*, pp. 70 f.

(٢) يقصد أن هذه من سمات الكتابة المبكِّرة أن يُذكر باستمرار لقب الوالي لبيلاطس، لأنه مع مرور الزمن قد صار اسم بيلاطس مشهوراً وغنياً عن التعريف.

جدول أنساب المسيح

[١:١-١٧] (لو ٣: ٢٣-٣٨)

١:١ «كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْراهِيمَ».

«كتاب ميلاد»: βίβλος γενέσεως

وهو نفس العنوان الذي جاء في السبعينية (٣ مرَّات) بمفهوم **"كتاب خلقة"** في سفر التكوين (١:١، ٢:٤، ٥:١). والقديس متى يمعن في تأكيد أننا نحن أمام سفر تكوين جديد فيه لا خلقة مادية لأرض وسماء، بل خلقة جديدة روحانية للإنسان أولاً، وبناءً على خلقة الإنسان الخلقة الجديدة الروحية تستعيد الأرض والسماء أيضاً خلقتها الروحية وتنعتق من عبودية الموت والفناء. وهو نفس الاصطلاح الذي سجلته النسخة السبعينية كعنوان لسفر التكوين. والقديس متى لا يتبع أبداً بل يفتتح ويجدِّد، ففي عرفه أن خلقة السماء والأرض والإنسان هي أصلاً قائمة بالمسيح وتستمد وجودها ومعناها من المسيح، فعند القديس متى يكون المسيح ليس آخراً أو الياء بل بالأَولَى البداية والألف والأول لكل شيء في السماء وعلى الأرض: «فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى (مادي) وما لا يُرى (روحي) سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلق. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل» (كو ١: ١٦و١٧). فسفر التكوين كان يخص الوجه المنظور والمادي في عمل المسيح المتسع. والآن **كتاب ميلاد** آخر يخص عمل المسيح الروحي في الأرض والسماء والإنسان والروح والخلود والذي يبتدئ بميلاد يسوع المسيح! وهكذا تقدَّم تاريخ ميلاد العالم والإنسان فيه من التراب، عن حتمية أسبقية المادي على الروحاني، والموت على القيامة أو الخطية على الخلاص أو العبودية على الحرية!!

وهنا يبدأ ق. متى إنجيله بمقدِّمة مختصرة وهي لا تقدِّم الإنجيل ككل وإنما كمجرَّد جدول للأنساب الذي يفتتح به إنجيله ثم حوادث ميلاد المسيح الإعجازية فيقول: «كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم»، باعتباره عنوان سجل تسلسل أنسابه وبداية ميلاده. وإذ يبدأ بإعطاء لقب "المسيح" ليسوع ليوضح ضمنياً أن جدول الأنساب الذي جمعه يضمن إثبات أن المسيح هو

"المسيَّا". وقوله: "ابن داود" التي كرَّرها في إنجيله تسع مرَّات فهو يشير إلى ميراث مملكة داود، والتي تعطي الأنساب التي سيذكرها حق هذا الميراث، فهو تسلسل ميراث. وبين حقيقة أن يسوع هو "المسيَّا" وهو "وريث مملكة داود" تبرز وظيفة المسيح كملك ومخلِّص، لأن الممسوح ممسوح ملكاً لعمل الخلاص المزمع أن يكمِّله. أمَّا تأكيد ق. متى منذ البدء بأنه ابن إبراهيم فهو لتحديد أنه "النسل" الموعود الذي به تتبارك كل أُمم الأرض. وبهذا التعريف يكون بميلاد المسيح قد بدأ التاريخ المقدس حسب وعد الله لإبراهيم: «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تك ١٢:٣)، «ويتبارك في نسلك (Sperma بالمفرد) **جميع أُمم الأرض**» (تك ٢٢:١٨). وهكذا تمَّ، وختم ق. متى إنجيله في النهاية: «فاذهبوا وتلمذوا **جميع الأمم** وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.» (مت ٢٨:١٩)

وإذ يحدِّد القديس متى اسم المسيح وعلاقته بداود وإبراهيم يقدِّم لنا صفته كما تحقَّقت فيه جميع نبوات العهد القديم كملك ومخلِّص معاً. وبعد سرده لجدول الأنساب الذي ينتهي بمريم العذراء يبدأ يأخذ واقعه كمولود من الروح القدس ومريم العذراء ليستعلن أنه ابن الله، وبعدها يدخل ق. متى إلى إنجيله بعد أن يكون قد أمدَّ القارئ بكل ما يتعلَّق بمؤهلات المسيح اللاهوتية من واقع سجلات العهد القديم.

+ «ويكون متى كملت أيامك لتذهب مع آبائك أني أُقيم بعدك نسلك الذي يكون من بنيك وأُثبِّت مملكته، هو يبني لي بيتاً وأنا أُثبِّت كرسيه إلى الأبد. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً ولا أنزع رحمتي عنه كما نزعتها عن الذي كان قبلك. وأقيمه في بيتي وملكوتي إلى الأبد. ويكون كرسيه ثابتاً إلى الأبد. فحسب جميع هذا الكلام وحسب كل هذه الرؤيا كذلك كلَّم ناثان داود.» (١أي ١٧: ١١-١٥)

+ «لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا.» (إش ٩: ٦و٧)

+ «ويخرج قضيب من جذع يسَّى وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب.» (إش ١١: ١و٢)

+ «ها أيام تأتي يقول الرب وأُقيم لداود غصن برٍّ فيملك ملك وينجح ويجري حقًّا وعدلاً في الأرض، في أيامه يخلَّص يهوذا ويسكن إسرائيل آمناً. وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب برُّنا.» (إر ٢٣: ٥و٦)

+ «ثُمَّ صارت كلمة الرب إلى إرميا قائلة: هكذا قال الرب إن نقضتم عهدي مع النهار وعهدي مع الليل حتى لا يكون نهار ولا ليل في وقتهما (أي طالما بقي زمان على الأرض) **فإن عهدي أيضاً مع داود عبدي يُنتقض فلا يكون له ابن مالكاً على كرسيه.**» (إر ٣٣: ١٩-٢١)

+ «قطعت عهداً مع مختاري، حلفت لداود عبدي، إلى الدهر أثبت نسلك (بالمفرد) وأبني إلى دور فدور كرسيك.» (مز ٨٩: ٤)

جدول الأنساب كما يقدِّمه القديس متى:

١: ٢ **«إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَقَ وَإِسْحَقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ».**

واضح أن ق. متى لا يتبع خط المواليد الطبيعية بل يستقصي عن إرادة الاختيار الإلهي الذي بدأ بإبراهيم صاحب الوعد والعهد، لأن سلسال الميلاد الذي بدأ من إبراهيم بإسحق كان أول معجزة الاختيار الفائق للطبيعة، فإبراهيم أخذ الوعد بميلاد إسحق وهو شيخ وامرأته فقدت القدرة على الإنجاب، فكان حبل سارة معجزة فائقة وإن كان يقلُّ في إعجازه عن حبل العذراء، وهذا يتجاوب مع ذاك ليعلن الله بهما سر النسل الموعود أنه «**لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود**» (زك ٤: ٦). وإبراهيم أخذ الوعد بميلاد إسحق ليكمل الله بهذا النسل مواعيده، فلم يكن نسل متعة وقرة عين بل نسلاً تتم فيه مقاصد العلي. وعلينا أن لا ننسى أن ابن إبراهيم من الجارية إسماعيل نُحِّي من النسل الموعود: «**بل بإسحق يُدعى لك نسل**» (رو ٩: ٧). علماً بأن أساس البركة التي حلَّت على إسحق كانت بركة لإيمان إبراهيم لأنه آمن بالله الذي وَعَدَه بالنسل وهو شيخ وامرأته قد ضمر جهاز تناسلها. فإيمانه حُسب له برًّا وبه دُعي أباً للإيمان طرًّا، فجاء إسحق وارثاً للإيمان والعهد والبركة وبرّ الإيمان جميعاً. ويلاحظ أن ق. متى بعد ذلك كانت عينه ليست على الأبكار الذين يرثون المخصَّصات الطبيعية التي لآبائهم، بل كانت عينه مسلَّطة على الأبناء المختارين والذين ورثوا الملوكية بعد داود باعتبارهم حاملي بركة إبراهيم وبر إيمانه. ونحن نسمع على مدى هذين الألفي سنة من إبراهيم للمسيح دعاءً موروثاً يقول: «**الله يتراءف علينا ويباركنا ويُظهر وجهه علينا ويرحمنا. يا رب خلِّص شعبك "وبارك ميراثك" وارعهم وارفعهم إلى الأبد**» (مز ٦٧: ١، ٢٨: ٩). وقد ورثته الكنيسة حيث يقول الكاهن: «**بارك ميراثك**» على أساس دعاء ما قبل المسيح، بمعنى يبارك ورثة العهد والوعد والبركة وإيمان إبراهيم. والكنيسة ورثت هذا الدعاء بالبركة تقوله في نهاية الخدمة الكنسية عندما يبارك الكاهن الشعب حسب أمر الرب لهارون (عد ٦: ٢٣-٢٦).

ولكن جملة «بارك ميراثك» تحمل معنى ميراث الله لإبراهيم الذي انتهى بالمسيح، وإن كان ولابد أن يكون لنا دعاء الآن بالميراث فكأولاد نرث الآب مع المسيح (رو ٨:١٧).

وإسحق ولد يعقوب إسرائيل الذي حمل بركة إبراهيم ولذا دُعي الله بإله إسرائيل كما دُعي بإله إبراهيم وإله إسحق. ويعقوب ولد الأسباط الاثني عشر ولكن اختار الله منهم يهوذا وخصَّه بالبركة مع أن رأوبين كان البكر، غير أن النبوَّات تركَّزت على يهوذا، بمعنى أن الاختيار والبركة لم تتبع خطأً بشرياً: «**ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم**» (رو ٩:١٦). أمَّا قول ق. متى: «**ولد يهوذا وإخوته**» فهنا بنوع ممتاز ذكر بقية الأسباط لأنهم ورثوا بصفة جماعية نوعاً من الامتياز ليكونوا نواة شعب الله، الذين انفصل عن جميع شعوب الأرض وخصَّهم الله كجماعة بصفة البنوَّة لله «إسرائيل ابني البكر» (خر ٤:٢٢). وهكذا أخذت الأُمة "بنو إسرائيل" الصفة المسيَّانية التي ستُورِّثها للابن الوحيد.

٣:١ «وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ. وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ».

وقد أمسك ق. متى بيهوذا دون جميع إخوته لأن النبوَّة عينته للاختيار الملكي: «**يهوذا إياك يحمد إخوتك، يدك على قفا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك. يهوذا جرو أسد ... لا يزول قضيب (الملوكية) من يهوذا ومشترع من بين رجليه (نسله) حتى يأتي شيلون (رجل السلام) وله يكون خضوع شعوب. رابطاً بالكرمة جحشه وبالجفنة (مرادف آخر للكرمة) ابن أتانه. غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه ...**» (تك ٤٩: ٨-١١)

وبالحق لا نستطيع أن نعبر على هذا النسل صامتين، فهنا صراخ للضمير وتعدٍّ وفضيحة. فيهوذا لم يلد فارص (بيريز) وزارح من زوجة، بل من كنَّته أي امرأة ابنه الذي مات وتركها وأهملها يهوذا، فتخفَّت وأتته على الطريق فحسبها زانية فدخل عليها دون أن يعلم فحملت بفارص فاضطُر أن يأخذها زوجة. وهكذا وعن قصد لم يغفل ق. متى هذه النقيصة في الأنسال فسجَّلها ليكشف عن النقائص التي عبر عليها ابن الإنسان في انحداره من المجد الأسنى لمَّا أخلى ذاته ليأخذ من البشرية نسباً ليدخل به إلى الصليب، لينقِّيه ويطهِّره إلى تمام التقديس!! وهكذا إن عَلِمْنَا هذا يصبح عمل ق. متى في جمع هذه النقائص في نسب المسيح بلا حرج نوعاً من سيرة الخلاص ومسيرة الارتقاء بالإنسان من الحضيض إلى سموات العلا!! إلى ميراث الله مع الابن الوحيد.

أمَّا لماذا ذكر ولدين ليهوذا، فبدلاً من فارص قال فارص وزارح، فلأنهما توأم وقد تزاحما على

النزول من الرحم هكذا: «وكان في ولادتها أن أحدهما أخرج يداً فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزاً (قماشة حمراء) قائلةً: هذا خرج أولاً. ولكن حين ردَّ يده إذا أخوه قد خرج. فقالت: لماذا اقتحمت؟ عليك اقتحامٌ. فَدُعِي اسمه فارص (بيريز Perez) وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز. فَدُعي اسمه زارح (شروق).» (تك ٣٨: ٢٨-٣٠)

والمعروف أيضاً أن يعقوب وعيسو هما توأم. وهنا الرب نفسه أعلن اختياره للأصغر ورفضه للأكبر بمقتضى قانون الاختيار الذي لا يُناقش: «فقال لها الرب (لرفقة): في بطنك أمتان ومن أحشائك يفترق شعبان. شعب (إسرائيل) يقوى على شعب (أدوم). وكبير (عيسو) يُستعبد لصغير (يعقوب)» (تك ٢٥:٢٣). وهكذا سقط اسم عيسو ولم يدخل قط في حَبْل (حدود) الميراث. وهكذا يصير الأوَّلون آخِرين والآخِرون أولين.

١: ٤ «وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ. وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ. وَ نَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ».

بالرجوع إلى التحركات التاريخية والجغرافية لبني إسرائيل نكون نحن الآن في زمن الخروج من مصر وعلى صحراء التيه نعيش. فعميناداب هو أبو الفتاة المدعوة أليشابع التي تزوجها هارون: «وأخذ هارون أليشابع بنت عميناداب، أخت نحشون، زوجة له. فولدت له ناداب وأبيهو وألعازار وإيثامار» (خر ٦:٢٣). وقد ترأس نحشون ابن عميناداب وصار قائداً لسبط يهوذا - الذين كانت خيامهم نحو الشروق «وكلَّم الرب موسى وهارون قائلاً: ينزل بنو إسرائيل كُلٌّ عند رايته بأعلام لبيوت آبائهم، قُبالة خيمة الاجتماع حولها ينزلون. فالنازلون إلى الشرق نحو الشروق راية محلة يهوذا حسب أجنادهم. والرئيس لبني يهوذا **نحشون بن عميناداب**. وجنده المعدودون منهم أربعةٌ وسبعون ألفاً وست مائةٍ» (عد ٢: ١-٤). ومن مميزات سبط يهوذا أنه كان له الأولوية في تقديم القرابين عند إقامة الخيمة لأول مرَّة:

+ «والذي قرَّب قربانه في اليوم الأول **نحشون**(٣) **بن عميناداب** من سبط يهوذا. وقربانه طبقٌ واحدٌ من فضةٍ وزنه مئة وثلاثون شاقلاً ومنضحةٌ واحدةٌ من فضةٍ سبعون شاقلاً على شاقل القدسِ كلتاهما مملوءتان دقيقاً ملتوتاً بزيتٍ لتقدمةٍ. وصحنٌ واحدٌ عشرة شواقل من ذهبٍ مملوءٌ بخوراً. وثورٌ واحدٌ ابن بقرٍ، وكبشٌ واحدٌ وخروفٌ واحدٌ حوليٌّ لمحرقةٍ. وتيسٌ واحدٌ من

(٣) نحشون - Ναασσών - Naasson. يُلاحَظ أن زمن نحشون هو نفس زمن موسى ولكن في جدول الأنساب هذا ظلَّ اسم موسى غير مذكور البتة لأنه لم يكن من نسل يهوذا.

المعز لذبيحة خطيةٍ، ولذبيحة السلامةِ ثورانِ وخمسةُ كباشٍ وخمسةُ تيوسٍ وخمسةُ خرافٍ حوليَّةٌ. هذا قربان نحشون بن عميناداب.» (عد ٧: ١٢–١٧)

وعند بدء مسيرة الشعب بأسباطه كان يهوذا يسير في المقدِّمة للقيادة: «فارتحلت راية محلة بني يهوذا أولاً حسب أجنادهم وعلى جنده نحشون بن عميناداب.» (عد ١٠:١٤)

ونحن الآن على أبواب أريحا، وسلمون بن نحشون أخذ راحاب جاسوسة الشعب في أريحا امرأة له. وقد كان سلمون بطل اقتحام أرض كنعان.

١: ٥ «وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى».

القديس متى هو الوحيد الذي يعرِّفنا أن راحاب كانت أُمًّا لبوعز. وبذلك يكون سلمون وبوعز معاصرين لدخول أرض كنعان، والقارئ المتمرِّس لا يصدِّق نفسه هل من زمن راحاب ودخول الشعب أرض كنعان حتى زمن داود الملك ثلاثة جدود فقط بينما هذه الفترة تزيد على ٤٨٠ سنة بحسب (١مل ٦:١) هنا ق. متى حصر جدوله في الأعلام الكبرى المسموعة والمعروفة للقارئ إنما ليتأكَّد نوع الاختيار واختزال الشخصيات المرفوضة. فالقديس متى إنجيلي يجري وراء الخط الكريستولوجي وليس مجرَّد الأنسال والأنساب.

وأكيد أن القارئ المسيحي لم يكن سعيداً بالمرة بذكر ثامار وراحاب، ولو أن كاتب سفر العبرانيين جمَّل الأخيرة بالإيمان: «**بالإيمان راحاب الزانية لم تهلك مع العصاة إذ قبلت الجاسوسين بسلام**» (عب ١١:٣١). وجاء يعقوب أسقف أورشليم وألبسها ثوب البر: «**كذلك راحاب الزانية أيضاً أما تبرَّرت بالأعمال إذ قَبلت الرسل وأخرجتهم في طريق آخر**» (يع ٢:٢٥). ولكن ق. متى لم يكن مرغماً على الإطلاق أن يذكر هاته النسوة، ولكن أرغمه تعليمه اللاهوتي الذي يقوم على خلاص الإنسان كله من الحضيض. وق. متى كان أمامه أربع نسوة قديسات عظيمات أمهات رئيسيات لم يذكر إحداهن، وهُنَّ سارة امرأة إبراهيم، ورفقة امرأة إسحق، وراحيل امرأة يعقوب، وليئة أيضاً. فعين القديس متى في جدوله الإلهي على مواطن الضعف وليس القوة، فالمسيح لم يأتِ ليدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة. والقديس جيروم (٧٢:١) يُلاحِظ كيف أن في جدول الأنساب لم يذكر أسماء نساء قديسات ولكن ذكر من وقع عليهن اللوم ليوضِّح أن القادم قادم ليرفع الخطايا. والقديس يوحنا ذهبي الفم يقول في ذلك:

[لو كنا نؤرِّخ لمجرَّد إنسان لكان من الطبيعي أن نستحي من ذكر هذه الأشياء. ولكن حينما

نتكلَّم عن الإله المتجسِّد ينبغي على العكس أن نفتخر بها لأنها تُظهر عظم تحننه وقوته، بل إنه من أجل ذلك قد جاء ليس لكي يستعفي من زلاتنا بل لكي يرفعها ويُلاشيها. فكما أن أعجب ما في موته ليس فقط أنه مات بل أنه احتمل عار الصليب، لأنه على قدر العار الذي احتمله من أجلنا تكون شدة محبته للبشر؛ هكذا أيضاً أعجب ما في ميلاده ليس فقط أنه أخذ جسداً وصار إنساناً بل أنه رضي بمثل هذا النسب ولم يستح من زلاتنا. وهكذا أعلن لنا منذ مسبقات ميلاده المبكِّرة جداً أنه لا يستحي من حمل كل الذي لنا.] (عظة ٣:٣ على إنجيل ق. متى)

١ :٦ «وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكَ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لأُورِيَّا».

وهنا حطَّ ق. متى رحاله، فقد بلغ بؤرة الإشعاع التي استمد منها النور الذي يمهِّد الطريق أمام المسيَّا. فكلمة "الملك" كصفة لازمة لداود من حيث الاختيار هي التي يجري عليها البحث، فنحن بصدد "ميراث مملكة أبينا داود"، بالنسبة للمسيَّا ابن داود الوريث الشرعي الذي حفظ حقه هذه الألف سنة من فوق رؤوس أجيال ما قبل السبي وما بعد السبي!!

ولكن عسير علينا جداً أن نبلغ خطية داود ونمر من فوقها لنبحث عن أول وريث لملكه وهو سليمان. فسليمان مولود من التي لأوريا الحثِّي، امرأة حثية كانت لزوج قتله داود بحيلة حربية ليقتنص امرأته، ولكن لم تمر هذه الكارثة عن عين الله:

+ «فأرسل الرب ناثان (النبي) إلى داود، فجاء إليه وقال له: كان رجلان في مدينة واحدة، واحد منهما غنيّ والآخر فقير. وكان للغني غنم وبقر كثيرة جداً، وأمَّا الفقير فلم يكن له شيء إلاَّ نعجة واحدة (بثشبع امرأته) صغيرة قد اقتناها وربَّاها وكبرت معه ومع بنيه جميعاً، تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابنة. فجاء ضيف إلى الرجل الغنيّ (داود) فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيِّئ للضيف الذي جاء إليه فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيَّأ للرجل الذي جاء إليه؟ فحمي غضب داود على الرجل جداً وقال لناثان حيٌّ هو الرب إنه يُقتل الرجل (داود) الفاعل ذلك ويرد النعجة (وما ردَّها) أربعة أضعاف لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يُشفق ـ فقال ناثان لداود: أنت هو الرجل!؟» (٢صم ١٢: ١-٧)

لم يجزع ق. متى ولم يجد حرجاً من أن يضع سليمان ضمن الأنساب! «لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مت ٩:١٣). من أجل هذا كان المسيح يتعامل مع الخطية كأعظم عدو قد واجهه الإنسان. وكان قلب الله قادراً أن يعفو ويتغاضى عن قبائح وفضائح مختاريه لسبب واحد

وهو ما عقد عليه نيته في تقديم ابنه وحيده ذبيحة إثم، يغسل بدمه كل خطايا الإنسان بأثر رجعي، لذلك نسمع الله ونتعجَّب فيما نسمع: «**وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبي الـذي سيصنع كل مشيئتي**» (أع ١٣: ٢٢). وهكذا يسمو الاختيار فوق ضعف الإنسان وتـتزكّى سلسلة أنساب ق. متى بالرغم من كل ما حدث!!

١: ٧ «**وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ. وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا**».

يحتار الإنسان في أمر سليمان، فقد تلقَّى شهادة أكبر من حجمه، ففي آية واحدة نجده يميل بقلبه نحو الله وبالقلب نفسه يميل إلى الأصنام والخطية: «وأحب سليمان الربَّ سائراً في فرائض داود أبيه، إلاَّ أنه كان يذبح ويوقد في المرتفعات» (١مل ٣: ٣)، «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيـات وحثيات (مثل أمه)» (١مل ١١: ١). وبالرغم من شبابه الواعد بملكٍ رصينٍ مسنود من الله، إلاَّ أن حياته سارت في مجون الغِنَى وفُجر الملوك، ولم يبلغ قط منزلة أبيه في الروحيات، الذي ما فتئ حزيناً على خطيته حتى مات ويده على القيثارة وفمه ينطق بالإلهيات. ولو أن الشواهد كثيرة التي تحكي عن توبة سليمان خاصة بعد أن بنى هيكل الرب، فصلاته في الهيكل يوم تدشينه تحفة من أمجد وأطول الصلوات التي رُفعت لله في بيته (١مل ٨: ١٢-٥٤)، وتكلَّم كل كتبة العهد القديم والجديد يصفون حكمة وغنى سليمان، حتى المسيح وصف غناه ومجده وزركشة ملابسه، ولكن تبقى النساء داءه الوبيل الذي صار عاراً على التاريخ. وهكذا كان أول مَنْ أدخل عوامل الهدم والفساد في مُلك داود، فبعد موت سليمان انقسمت المملكة وجاء بعده الملوك الذين سيذكرهم ق. متى، ولكن كانت المملكة قد تمزَّقت ولم يملك الملوك بعد ذلك إلاَّ على سبطين من الاثني عشر سبطاً الأُولى!!

ويرصد ق. متى ملوكاً مجَّدوا الله بحياتهم وأمانتهم مثل آسا ويهوشافاط وعزيا ويوثام وحزقيا ويوشيا، وفيما عداهم كانوا صانعي الشر في عين الرب، ولو أن منسى تاب في آخر أيامه، ومع مجيء يكنيا الملك أو يهوياكين زال المجد عن سبط يهوذا، وأُسر الشعب كله وذاق الذل في الأسر كما سنقرأ في الآية (١١): «ويوشيا ولد يكنيا وإخوته **عند سبي بابل**»!!

١: ٨ «**وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ. وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا**».

هؤلاء كلهم ملوك تتبَّعهم ق. متى من أسفار العهد القديم، ولكنهم أشخاص التقطهم بحذق

ومهارة إذ أسقط في الوسط بعض أسماء لم يَرَ فيها مسلسل الملوك الذي يُمهِّد للمسيَّا، لأن بين يورام وعُزِّيا أسقط ق. متى ثلاثة أسمــاء لثلاثـة ملـوك: أخزيـا (٢مـل ٨:٢٥) ويهـوآش (٢مـل ١١:٢١) وأمصيا (٢مل ١٤:١). ويؤكِّد العالِم وليم هندركسـن(٤) أن ق. متـى كـانت لديـه مراجـع أوسـع وكانت له خبرة فريدة بأسفار العهد القديم الأمر الذي يرجِّح قول العلماء أنـه كـان رابيـًّا متمرِّسـاً ولاويًّا محترفاً التوراة. فالأسماء التي اختارها لم تكن مجرَّد عينات بل ركائز ذات قوة دفع لمسيرة الملوك الذين يمهِّدون بحياتهم للمسيَّا بحسب التاريخ والتقليد القديم المدروس. والقارئ المتمكِّن يشـعر مـن دراستنا هذه أن أمر جدول الأنساب ليس عملاً هيناً بل ينم عن دراسة عميقة واختيار ملهم للإيفـاء بمفهوم نسب المسيَّا، وعليه أن يقف طويلاً أمام كل اسم ليستجلي منه الحكمة التي دفعـت الإنجيلـي لتسجيله. وبقدر ما ندرس هذه الأنساب ندرك حقًّا أنها في تناسقها وجمعها تباعاً إنما تعطي الضـوء لاقتراب المسيَّا كلما تقدَّمنا خطوة، فالمسألة تكاد تكون توقعات إلهامية بالملك الآتي، وطريق مُمهِّد له خصيصاً. وعلينا أن نلتفت إلى الحركات السياسية الـتي تمَّـت مـن بعـد سـليمان الملـك إذ انقسـمت المملكة إلى سبطين يحكمها سبط يهوذا، وعشرة أسباط خرجت من تحت تاج داود وسـليمان، فقوَّضـت هيبة المملكة وفقدت بريقها السماوي، وزال مجد داود ومن بعده حكمة سليمان ومجده الذي لم يكـن لـه مثيلٌ بين الأُمم. اسمع كيف تدخَّل الله بنفسه ليمزِّق المملكة بسبب شر سليمان:

+ «فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك (نسـاء يعبـدن آلهـة الأُمـم) و لم تحفـظ عهـدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أُمزِّق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبـدك. إلاَّ إنـي لا أفعـل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك بل من يد ابنك أُمزِّقها. على أني لا أُمـزِّق منـك المملكـة كلها بل أُعطي سـبطاً واحـداً لابنـك لأجـل داود عبـدي ولأجـل أُورشـليم الـتي اخترتهـا.» (١مل ١١: ١١-١٣)

أمَّا العشرة أسباط فأخذها عبد سليمان يربعام بن نباط وكـان بـأمر الـرب علـى فـم أخيـا النبي الشيلوني ليربعام عبد سليمان: «هكذا قال الرب إله إسرائيل هأنذا أُمـزِّق المملكـة مـن يـد سـليمان وأعطيك (يربعام عبد سليمان) عشرة أسباط. ويكون له سبط واحد من أجل عبدي داود ... لأنهم تركوني وسجدوا لعشْتُورَث إلهة الصيدونيـين ... و لم يسـلكوا في طرقـي ليعملـوا المسـتقيم في عيـنيَّ وفرائضي وأحكامي كداود أبيه» (١مل ١١: ٣١-٣٣). وكـانت حرب بـين ابـن سـليمان رحبعـام القائم ملكاً على سبط يهوذا فقط وبين يربعام خادم سليمان القائم على عشرة أسباط إسـرائيل كـل

(4) W. Hendriksin, *op. cit.*, p. 119.

أيام حياته (١مل ١٥:٦).

والآن لينظر القارئ الفاهم، هكذا كسر الله المملكة بسبب الشر، لتدخل النعمة وتملك بواسطة هذا السبط الواحد الضعيف المستضعف!! سبط يهوذا الذي سيطلع منه الأسد المرتقب مسيًّا رجاء الشعوب، ولكن بعد أن يمحَّص بنار السبي المرير في بابل.

ويقف هنا آسا الملك ويهوشافاط الملك كمندوبي سلام وتقوى ومخافة الله، يقف آسا ويصرخ إلى الله:

+ «ودعا آسا الرب إلهه وقال: أيها الرب ليس فرقاً عندك أن تساعد الكثيرين ومن ليس لهم قوة. فساعدنا أيها الرب إلهنا لأننا عليك اتكلنا وباسمك قَدُمْنَا على هذا الجيش. أيها الرب أنت إلهنا. لا يقو عليك إنسان. فضرب الرب الكوشيين أمام آسا وأمام يهوذا فهرب الكوشيون.» (٢أي ١٤: ١١و١٢)

+ «وكان روح الله على عزريا بن عوديد فخرج للقاء آسا وقال له: اسمعوا لي يا آسا وجميع يهوذا وبنيامين الرب معكم ما كنتم معه، وإن طلبتموه يوجد لكم، وإن تركتموه يترككم.» (٢أي ١٥: ١و٢)

أمَّا إسرائيل (العشرة أسباط): «ولإسرائيل أيام كثيرة بلا إله حق وبلا كاهن معلِّم وبلا شريعة» (٢أي ١٥:٣). أمَّا يهوشافاط الملك: «فوقف يهوشافاط في جماعة يهوذا وأُورشليم في بيت الرب أمام الدار الجديدة وقال: يا رب إله آبائنا أما أنت هو الله في السماء وأنت المتسلِّط على جميع ممالك الأرض وبيدك قوة وجبروت وليس مَنْ يقف معك ... يا إلهنا أما تقضي عليهم لأنه ليس فينا قوة أمام هذا الجمهور الكثير الآتي علينا ونحن لا نعلم ماذا تعمل ولكن نحوك أعيننا - (لأن بني عمون وموآب وجبل سعير اجتمعوا على يهوذا للحرب والإبادة) وكان كل يهوذا واقفين أمام الرب مع أطفالهم ونسائهم وبنيهم.» (٢أي ٢٠: ٥-١٣)

وهكذا غلب سبط يهوذا بقيادة يهوشافاط وروح الرب: «ودخلوا أُورشليم بالرباب والعيدان والأبواق إلى بيت الرب.» (٢أي ٢٠:٢٨)

١:٩ «**وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حِزْقِيَّا**».

+ «كان يوثام ابن خمس وعشرين سنة حين ملك، وملك ست عشرة سنة في أُورشليم ... وعمل المستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل عُزِّيا أبوه.» (٢أي ٢٧: ١و٢)

+ «هو بنى الباب الأعلى لبيت الرب وبنى كثيراً على سور الأكمة. وبنى مدناً في جبل يهوذا. وبنى في الغابات قِلَعاً وأبراجاً. وهو حارب ملك بني عمون وقوي عليهم.» (٢أي ٢٧: ٣-٥)

لذلك حُسب في التاريخ أنه ملكٌ مجدِّدٌ.

وهنا نجيء إلى زمن إشعياء النبي فقد كان صديقاً للملك حزقيا، وكانت أزمنة صعبة إذ أرسل سنحاريب ملك أشور يهدِّد أُورشليم ويهوذا وملكها حزقيا: «فصلّى حزقيا الملك وإشعياء بن آموص النبي لذلك وصرخا إلى السماء. فأرسل الرب ملاكاً فأباد كل جبار بأس ورئيس وقائد في محلة ملك أشور. فرجع بخزي الوجه إلى أرضه.» (٢أي ٣٢: ٢٠و٢١)

وقد عاصر إشعياء النبي هؤلاء الملوك الأربعة لمدة ٦٠ سنة من سنة ٧٦٠ ق.م حتى سنة ٧٠٠ ق.م. وعاصرهم كذلك النبي هوشع من سنة ٧٨٦ ق. م - ٧٢٤ ق.م، والنبي ميخا من ٧٥٨ ق.م - ٦٩٨ ق.م. وهذه النبوات كلها تحكي عن لماذا السبي وعن العزاء القادم. وقد تجمَّعت عندهم معظم النبوَّات الخاصة بالمسيح وكيفية ميلاده العذري وحكمه وملكه، وهي الآيات التي ستجيء في سيرة ميلاده.

١: ١٠ «وَحِزْقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا».

ومنسَّى كان مثلاً للسيرة الرديَّة، وأدَّبه الله أدباً مريراً فقدَّم توبة وتضرُّعاً ولكن بعد فوات الأوان: «فجلب الرب عليهم رؤساء الجند الذين لملك أشور، فأخذوا منسى (الملك) بخزامة (التي توضع في منخار الجمل لقيادته) وقيَّدوه بسلاسل نحاس وذهبوا به إلى بابل. ولمَّا تضايق طلب وجه الرب إلهه وتواضع جداً أمام إله آبائه. وصلَّى إليه فاستجاب له وسمع تضرُّعه وردَّه إلى أُورشليم إلى مملكته فعلم منسى أن الرب هو الله.» (٢أي ٣٣: ١١-١٣)

وهنا نأتي إلى إرميا النبي إذ كان صديقاً ليوشيا الملك وتنبَّأ أربعين سنة من سنة ٦٢٨ ق.م إلى سنة ٥٨٨ ق.م.

أمَّا يوشيا الملك فيُعتبر مجدِّد الشريعة والتقوى والعبادة: «ملك إحدى وثلاثين سنة في أُورشليم وعمل المستقيم في عيني الرب وسار في طريق داود أبيه ولم يحد يميناً ولا شمالاً» (٢أي ٣٤: ١و٢). أباد الأصنام وهدم مذابح البعليم وعمل إصلاحات ضخمة في الهيكل وأعاد نظام العبادة، وفي أيامه وُجد سفر الشريعة وسلّموه للملك، فلمَّا سمع الملك كلام الشريعة مزَّق ثيابه، وأرسل إلى خلدة

النبية يسأل عن مصير يهوذا والشعب، فأخبرتهم بالمصائب القادمة (سبي بـابل)، ولكنهـا أخبرتـه أن الله سيضمّه إلى آبائه ولن يرى هذه الأيام. وعمل يوشيا فصحـاً لـلرب وأعـاد العبـادة وخدمتهـا في الهيكل. ولمّا جاء نخو ملك مصر ليحارب الكلدانيين عند الفرات أراد يوشـيا أن يقابلـه للحـرب و لم يسمع لنصيحة نخو ملك مصر فأصيب بسهم ومات «ورثى إرميا يوشيا.» (٢أي ٣٥:٢٥)

وبالتحام التاريخ العام بتاريخ الملوك مع النبوّات يقدِّم لنا العالِم هندركسن كشـفاً بـالنبوّات الـتي قالها الأنبياء عن المسيّا في هذه الفترة كالآتي:

إشعياء النبي: (٧:١٤)، (٨:٨)، (٩:١و٢و٦و٧)، (١١:١-١٠)، (٤٢:١-٧)، (٤٩:١-٩)، (٥٠:٤-٩)، (٥٢:١٣-٥٣:١٢)، (٦١:١-٣)، (٦٢:١١). وتنبَّأ إشـعياء ٦٠ سـنة من سنة ٧٦٠ ق.م إلى ٧٠٠ ق.م وتنبَّأ في أيام عزّيا ويوثام وآحاز وحزقيا.

إرميـا النبي: (٢٣:٥)، (٣١:١٥). وتنبَّـأ ٤٠ سنة مـن ٦٢٨ ق.م - ٥٨٨ ق.م. وقـد شـاهد السـبي وخراب الأرض والهيكل وتنبَّأ في أيام يوشيا ويهوآحاز ويهوياقيم وصدقيا (إلى سبي بابل).

هوشع النبي: (١١:١) وتنبَّأ في أيام عزّيا ويوثام وآحاز وحزقيا (على يهـوذا) مـن سـنة ٧٨٦ ق.م - ٧٢٤ ق.م.

ميخـا النبي: (٥:٢) وتنبَّأ في أيام يوثام وآحاز وحزقيا من سنة ٧٥٨ ق.م - ٦٩٨ ق.م.

أمّا الحالة العامة للشعب وملوكه فقد انقطع من يصنع الـبر أمـام الله وأخفقـت إسـرائيل ويهـوذا بملوكهم، وبطل الناموس أن يبرِّر أحداً لأن ليس من يعمل به. وقد نجح ق. متى في أن يعطي صـورة واضحة لحالة إسرائيل ويهوذا بذكر أسماء ملوكها وما يقع في محيطها مـن اضمحـلال ينطـق بصـراخ لطلب الوسيط بين الله والناس.

- والآن نحن في سبي بابل -

١١:١ «وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ».

لقد دام السبي سبعين سنة.

يكنيا الملك أو يهوياكين «ملك ثلاثة أشهر في أُورشليم ... وعمل الشر في عيـني الـرب حسـب كل ما عمل أبوه. في ذلك الزمان صعد عبيد نبوخذناصر ملـك بـابل إلى أُورشـليم فدخلـت المدينـة تحت الحصار ... فخرج يهوياكين ملك يهوذا إلى ملك بابل هو وأُمـه وعبيـده ورؤسـاؤه وخصيانـه

وأخذه ملك بابل ... وسبى كل أُورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبي وجميع الصنَّاع والأقيان (الحدَّادين). لم يبق أحد إلاَّ مساكين شعب الأرض.» (٢مل ٢٤: ٨-١٤)

ويقول العالِم هندركسون أن يكنيا أو يهوياكين بقي في ذل الأسر في أيام سوداء مدة ٣٧ سنة معتمة: «وفي السنة السابعة والثلاثين لسبي يهوياكين ملك يهوذا في الشهر الثاني عشر في السابع والعشرين من الشهر رفع أويل مردوخ ملك بابل في سنة تملُّكه رأس يهوياكين ملك يهوذا من السجن وكلَّمه بخير وجعل كرسيه فوق كراسي الملوك الذين معه في بابل.» (٢مل ٢٥: ٢٧و٢٨)

ويلزم للقارئ أن يعرف أن السبي إلى بابل لم يتم مرَّة واحدة أو في فترة قصيرة، ولكن بدأ السبي في سنة ٦٠٦ ق.م ثم لحقه تفريغ الأرض سنة ٥٩٧ ق.م وامتد حتى سنة ٥٨٠ ق.م وانتهى في سنة ٥٣٦ ق.م، بمعنى أنه استمر سبعين سنة على فترات. وهذا الأمر سجَّله إرميا النبي هكذا:

+ «وتصير كل هذه الأرض خراباً ودهشاً وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة. ويكون عند تمام السبعين سنة أني أعاقب ملك بابل وتلك الأُمة يقول الرب على إثمهم وأرض الكلدانيين وأجعلها خِرَباً أبدية.» (إر ٢٥: ١١و١٢)

+ «لأنه هكذا قال الرب: إني عند تمام سبعين سنة لبابل أتعهَّدكم وأُقيم لكم كلامي الصالح بردِّكم إلى هذا الموضع.» (إر ٢٩: ١٠)

وهكذا يعود ق. متى ويتابع حالة الملوك بعد انتهاء السبي هكذا.

١٢:١ «وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِيئِيلَ. وَشَأَلْتِيئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ».

من المعروف أن يكنيا سُبي إلى بابل وهو صغير السن جداً لأنه تولَّى المُلك: «ابن ثماني عشرة سنة حين مَلَكَ ومَلَكَ ثلاثة أشهر في أُورشليم ... وعمل الشر في عينيّ الرب ... في ذلك الزمان صعد عبيد نبوخذناصر ... وجاء نبوخذناصر ملك بابل» (٢مل ٢٤: ٨-١١). وتمَّ سبي يكنيا والاستيلاء على كل مخصَّصاته وسبي كل أُورشليم. وهذا لم يكن من بدء السبي ربما كان حوالي سنة ٥٨٠ ق.م، فيكون يكنيا آنئذ ابن ١٨ سنة وانتهى السبي سنة ٥٣٦ ق.م حيث يكون يكنيا ابن ١٨+٤٤=٦٢ سنة. ومعروف أن يكنيا في الأسر أنجب أولاداً: «وابنا يهوياقيم يكنيا ابنه وصدقيا ابنه، وابنا يكنيا أسير وشألتيل ابنه» (١أي ٣: ١٦و١٧). وهكذا بالرغم من أن يكنيا لم يعد إلى مُلك أُورشليم إلاَّ أن ابنه شألتيل دخل في مسلسل المسيَّا. وشألتيل ولد زربابل.

ويذكر عزرا الكاهن أخبار شألتيل هكذا: «وقام يشوع بن يوصاداق وإخوته الكهنة وزربابل

بن شألتئيل وإخوته وبنوا مذبح إله إسرائيل ... وأقاموا المذبح في مكانه ... وأصعدوا عليه محرقات للرب ... وحفظوا عيد المظال ... ابتدأوا من اليوم الأول من الشهر السابع (بعد عودتهم من السبي) ... وفي السنة الثانية من مجيئهم إلى بيت الله إلى أُورشليم في الشهر الثاني شرع زربابل بن شألتئيل ... للمناظرة على عمل بيت الرب.» (عز ٣: ٢-٨)

والقديس متى اهتم جداً بإيراد اسم شألتئيل وزربابل، كذلك أيضاً ق. لوقا في إنجيله لأن من هذين الشخصين بدأ خط أنساب استمده ق. متى من يوسف خطيب مريم واستمده ق. لوقا من مريم العذراء، ولو أن كلاً من شألتئيل وزربابل لم يجدا ما يملكان عليه فكانا يُعتبران كولاة لإدارة شئون بناء بيت الرب وترميم مذابحه(٥).

وفي ذلك الوقت تنبَّأ زكريا بنبوَّات قدوم المسيَّا:

+ «فاسمع يا يهوشع الكاهن العظيم أنت ورفقاؤك الجالسون أمامك لأنهم رجال آية: لأني هاأنذا آتي بعبدي الغصن.» (زك ٣:٨)
+ «وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: ... هوذا الرجل الغصن اسمه، ومن مكانه ينبت ويبني هيكل الرب، فهو يبني هيكل الرب وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلَّط على كرسيه.» (زك ٦: ٩-١٣)
+ «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون (بعد مرارة السبي) اهتفي يا بنت أُورشليم هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان.» (زك ٩:٩)
+ «فقالت لهم إن حسن في أعينكم فأعطوني أجرتي وإلاَّ فامتنعوا، فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة.» (زك ١١:١٢)
+ «وأفيض على بيت داود وعلى سكان أُورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون إليَّ الذي طعنوه وينوحون عليه.» (زك ١٢:١٠)

والذي يهمنا أن زربابل نسل يكنيا عاد هكذا إلى الأرض التي انتزع منها أسلافه حتى من خط نسله وعلى التربة المقدَّسة يأتي يوسف ومريم كلٌّ في سلساله.

١:١٣ «وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ. وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ».

وللأسف بعد سبي بابل أعقبه حكم دولة مادي وفارس (٥٣٦-٣٣٣ ق.م). وبعد حكم مادي

(5) W. Hendriksen, *op. cit.*, pp. 126 f.

وفارس أعقبهم حكم اليونان ومقدونيا (٣٣٣-٦٣ ق.م) بسيادة البطالسة في مصر والسلوقيين في سوريا. ولكن انتصر المكابيون (٢٠٠-٦٣ ق.م) وبعدهم روما!! ومعظم هذه الفترة القائمة جاءت الآيات بأسمائها من آية (١٣-١٦) وهي تقع فيما يسمَّى ما بين العهدين. لهذا فإن الأسماء التي سجَّلها هنا ق. متى غير مذكورة في أي من الأسفار. وقد عاشوا في ظروف غاية في الصعوبة تحت حكم غرباء وبين جيران معادين، حيث كان قد بلغ الاضطهاد أعنفه أيام حكم المكابيين وحروبهم.

ولكن الذي سرَّبته لنا الأسفار أن زربابل كان مدحه عالياً: «فتنبَّأ النبيان حجَّي النبي وزكريا ابن عدو لليهود الذين في يهوذا وأُورشليم باسم إله إسرائيل عليهم. حينئذ قام زربابل بن شألتئيل ويشوع بن يوصاداق وشرعا يبنيان بيت الله الذي في أُورشليم ومعهما أنبياء الله يساعدونهما» (عز ٥: ١و٢)، وكان أمر بناء بيت الله بقوة إلهية وقد جاء أمر بذلك من كورش الملك: «أمر كورش الملك من جهة بيت الله في أُورشليم لِيُبْنَ البيت الذي يذبحون فيه ذبائح ولتوضع أُسُسُهُ، ارتفاعه ستون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً. بثلاثة صفوف من حجارة عظيمة وصفٍّ من خشب جديد. ولْتُعطَ النفقة من بيت الملك.» (عز ٦:٣و٤)

أمَّا مديح زربابل فكان من قبل الله هكذا: «وصارت كلمة الرب ثانيةً إلى حجَّي في الرابع والعشرين من الشهر قائلاً: كلِّم زرُبابل والي يهوذا قائلاً: إني أُزلزل السموات والأرض وأقلب كرسيَّ الممالك وأُبيد قوَّة ممالك الأُمم وأقلب المركبات والراكبين فيها وينحطُّ الخيل وراكبوها كل منها بسيف أخيه. في ذلك اليوم يقول رب الجنود آخذك يا زرُبابل عبدي ابن شألتِئيل يقول الرب وأجعلك كخاتم (في يدي) لأني قد اخترتك يقول رب الجنود ...» (حج ٢: ٢٠-٢٣)

وهكذا عيَّن الله زربابل الخائف الله كوالٍ على اليهودية تحت عناية الله الشخصية ليعمل في سلام وأمان الله. وهكذا بدت بوادر المعاملاتٌ المسيَّانية بوضوح تمهيداً للدخول في عصر المسيَّا.

علماً بأن بدخول عصر العهد الجديد كانت جداول الأنساب محفوظة بدقة شديدة، لأنه في السبي كانت صناعة رجال الدين هي تدوين جداول الأنساب لكل الشعب خوفاً من ضياع نسب المسيَّا القادم. فنحن نعلم أن حنة النبية كانت من سبط أشير، وزكريا الكاهن من فرقة أبيَّا، وأليصابات من بنات هارون، ويوسف من بيت داود، وبولس من سبط بنيامين. ونعلم أن يوسيفوس المؤرِّخ اليهودي كان يحتفظ بجدول نسبه ويقول في مذكراته أنه استخرجه من

التسجيلات العامة(٦). لذلك نحن نتتبَّع الآن خط القديس متى بكل ثقة ويقين أن هذا الإنجيلي الواعي كان دارساً ومدقِّقاً وعنده جداول الأنساب يختار منها ما يناسب نسب المسيَّا.

١:١٤و١٥ «وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ. وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ. وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ. وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ».

كل هذه الأسماء لا يوجد لها أي ذكر في الأسفار لأنها تقع في الفترة المعروفة بـ"بين العهدين" التي يصعب جداً أن نتتبَّع تاريخها.

١:١٦ «وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ».

في رقة وبساطة متناهية ودون ارتباك يقدِّم ق. متى الميلاد العذراوي للمسيح، إذ يضع الميلاد "من مريم" = التي وُلِدَ منها المسيح دون يوسف كمضمون دون تعليق أو شرح، وكأنه يحكي لإنسان يعرف كل السر. فلو انتبه القارئ للأسلوب الذي ملأ به هذا الإنجيلي تلاوة جدول ابن الإنسان: فلان ولد فلان، نجد أنه لم يقل إن يوسف ولد يسوع الذي يُدعى المسيح، إذ بحسب تداعي الألفاظ كان يتحتَّم من واقع الرواية أن يقول ويوسف ولد يسوع، ولكن قَلَبَ الرواية عن دراية وعن قناعة وعن دفاع «**مريم التي وُلِدَ منها يسوع**». وهنا أيضاً لا يعدم هذا التعبير المستيكي من التلميح إلى عامل التوليد، فهي لم تلد يسوع بل وُلد منها يسوع، وواسطة التوليد مضمر بالروح القدس. ولو أن ق. متى كتب حسب السجلات التي جاء يوسف والعذراء من أجل إعطاء بياناتها للمسئولين اليهود والرومان أن «يوسف رجل مريم»، عاد مباشرة وشرح هذا البيان السجلِّي في بيان شرحي في (١:١٨): «أمَّا ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا: لمَّا كانت "مريم" أُمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا (أي أثناء فترة الخطوبة قبل أن يتخذها زوجة رسمية له) وُجِدَت حُبلى من الروح القدس». واستمر بعد ذلك يشرح الموقف السري الإعجازي حتى آخر الأصحاح الأول وأشرك فيه الملاك، وفيه مثَّل يوسف دور رجل العذراء مريم وكأنه أبو الولد في الاعتبارات الرسمية ولدى عامة الناس. وبسبب نسب يوسف لبيت داود انتقلت الوراثة لمملكة داود إلى ابن العذراء يسوع وبالتالي دُعي المسيح بمعنى مسيح الرب المختار، وأُعطي بناءً على هذا الاسم (يسوع) وهذا اللقب (المسيح) هو عمل مخلِّص الشعب من خطاياهم. فتعبير اسم يسوع هو مخلِّص، ومعنى لقب المسيح هو مختار الله

(6) Josephus, *The Life,* 106.

الذي مسحه الله: «روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأُبشِّر المساكين.» (إش ٦١: ١)

١: ١٧ **«فَجَمِيعُ الأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً».**

هنا يقدِّم ق. متى ملخَّص لسجل قيد الأسماء التي أعطاها لتغطِّي هذه الأجيال. وهنا حسب ق. متى الجيل بالحقبة الزمنية التي تمضي بين أن يولد ولد إلى أن يكبر هذا الولد ليلد ولداً له وهي غير ثابتة، فقد تكون خلفة الرجل مبكِّرة جداً وقد تأتي متأخِّرة جداً كإبراهيم وكزكريا أبي المعمدان. وبالإضافة فإن ق. متى استخدم في كثير من الأسماء الانتقال من الأب إلى الحفيد وليس الابن وهذه توسِّع مسافة الجيل كثيراً(٧).

نظرة عامة على فلسفة القديس متى في انتخاب أسماء السلسال الذي انحدر منه المسيح من إبراهيم وداود

هم في جملتهم حوالي أربعين اسماً، جمعهم معاً بأسلوب وفكر وتصميم ليشكِّل بهم في الحقيقة تعبيراً لاهوتياً عن طبيعة الله نفسه وقد أنهاها بالمسيح حيث بلغت طبيعة الله طبيعة الإنسان، وتعانقت معها عناق الأبد. ولو أعطينا هذه الأسماء الأربعين (تقريباً) ليد لاهوتي معاصر لأخرج لنا منها شبه مدينة أشباح أو صحراء لا تلتقي دروبها، ولكن وقعت هذه الأسماء في يد قديسنا ومعلِّمنا متى الرسول فحاك منها رقعة سماوية فيها نجوم تتلألأ وشموس وأقمار، وصورة مبدعة لله في رحمته، يحوطها هالة من العناية المضيئة، يعلوها عرض العدالة ويتخلَّلها أمانة الوعد ودقة الميعاد. إنها نجوم أو لآلئ تضيء سماء الله.

إذن ليست هي مجرَّد أسماء وسلسال منمَّق من الأرقام، ولكنها تصوير من بُعد لما يحمله لاهوت الله من خطط إلهية أزلية تجلِّيها السنين وتكشف عنها الأزمان، أدركها ق. متى بروحه وكشف سرَّها بروح الله. فترتيب الأسماء تخلَّله حذف وإضافة وإسقاط وإعلاء، ومساقط وانحدارات لينجلي المنظر عن يد عليا إلهية نسَّقت تعاوناً من الأنبياء والرائين.

(٧) راجع المقدِّمة صفحة ٤٥ حيث تجد شرحاً للحكمة في عدد الأربعة عشر وعلاقتها باسم داود.

١ - لاهوت الرحمة: (١:١-٦)

كيف تتدخَّل رحمة الله وتصنع العجب العجاب في سيرة الآباء الأُول وسيرة داود، ثم في أربع سيدات دخلن تحت الملامة والازدراء في عيون الناس والمؤرِّخين، أمَّا في عين اللاهوت الخلاصي فهن أربع جواهر انتُزعن من وحل الأُمم لتزيِّن صدر المسيح كفادي الخطاة وشفيع المذنبين والمذنبات. فلمثل هؤلاء جاء، وما جاء أبداً لموسى ولا لإيليا ولا حتى لصموئيل. بل ونحَّى الصدِّيقات سارة ورفقة وراحيل وليئة واستبدلهنَّ بهاته النسوة الأربع المرفوضات، ليؤكِّد أنه يعشق الذين خارج السياجات ويهوى سكان العشوائيات، وأن صليبه ارتبط بالخطاة والزناة.

وهكذا في عدم حديث ولا كثرة كلام بل في صمتٍ خَطَر ذكر القديس متى أسماء هاته النسوة ليتحمَّل وزر تاريخهن وتسجيل أسمائهن، حتى يكشف لنا قلب الله الرحيم وسر صليب ابنه في صمت رهيب! ثم ألا ترى معي يا قارئي العزيز أن هذا الإنجيلي القديس الرسول قد استوعب الإنجيل واختبر المسيح والله قبل أن يتجرَّأ ويكشف بداية إنجيله؟؟ ثم أليس هو لاهوتي ومُدمن لاهوت؟ لقد نأى بالله والمسيح والإلهام والنبوَّة بعيداً حتى لا يحرج الله وعرَّض صدره لسهام الأعداء والنُّقَّاد والأطهار المتحذلقين ببرِّهم عبثاً، وصنَّف من أسماء الزانيات عقداً من اللؤلؤ لا ينعم بمنظره إلاَّ أصحاب العيون المفتوحة والقلوب الكبيرة ودارسي لاهوت الفدية والخلاص، تحيط بهن هالة من رحمة الله ورؤية اتساع الخلاص ليشمل كل أُمم الأرض. لأن الأربع نساء لم يكُنَّ إسرائيليات بل أُمميات.

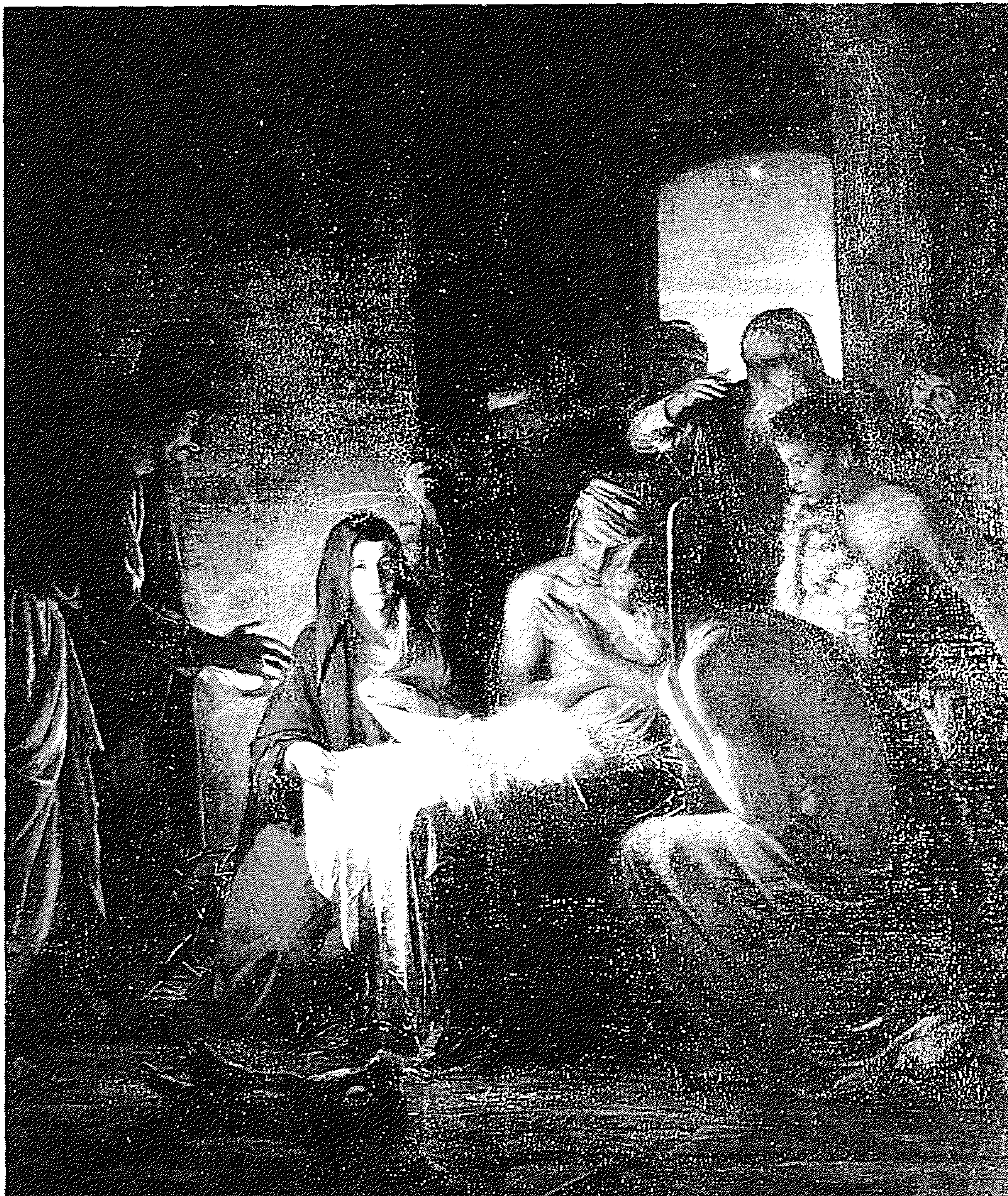
٢ - لاهوت العدل والقصاص والتأديب: (١:٧-١١) إلى السبي

من مرتفعات رحمة الله على الآباء الأماجد، وتدفُّق الرحمة بصورة فائقة الوصف على داود وحتى على سليمان، تهوى عصا التأديب بلا رحمة من ملك إلى ملك بقدر انغماسهم في العبادات ونجاسات الأُمم، حتى أدخل الله الأُمة كلها في عصر تأديب وتهذيب ونقمة بلا هوادة في نقع السبي تحت أيدٍ غير رحيمة: فقدان الأرض والوطن والهيكل والملوكية وحجب كل مواعيد الله. وعبَّر ق. متى عن تلوين جدول الأنساب بعصا التأديب أيضاً من جهته فأسقط أسماء أردأ الملوك: أخزيا ويهوآش وأمصيا. وهكذا أسقط ثلاثة أجيال من جدول أنساب ميلاد المسيح وتضم ٦٠ سنة من سنة ٨٤٢ ق.م إلى سنة ٧٨٣ ق.م. إذ جعلها لا تستحق أن تُذكر في تاريخ أنساب المسيح: «الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة، لكنه لا يُبرِّئُ بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع.» (عد ١٤:١٨)

٣ ـ لاهوت الأمانة وتحقيق الوعود: (١:١٢-١٦)

ا لله حتماً يبدأ بالرحمة الفائضة لأنها طبيعته الغالبة، ولكن لسوء استخدامها من قِبَل الإنسان يضطر لرفع عصا التأديب، ولكن حتمية النهاية هي تحقيق الوعد وتثبيت الأمانة بالأحضان المفتوحة والمقعد المعدّ على اليمين لأن مَنْ هو إله مثل إلهنا!! وهنا تنساب الأنسال بسرعة وعناية فائقة وحفظ إلى أن يرن الصوت من السماء هذا هو ابني الحبيب!! وهذه المراحل الثلاث يقدِّمها ق. متى لتدخل في صميم لاهوت المعرفة واستعلان طبيعة الله، وتنضم لخزانة الكنيسة.





الرعاة حول الطفل المولود وأُمه داخل المغارة



العذراء داخل المغارة حيث تبدو عليها علامات الهدوء والحكمة

ميلاد يسوع المسيح

[١:١٨–٢٥] (لو ٢:١–٧)

١:١٨ **«أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ».**

«يسوع المسيح»:

ويتكوَّن هنا من الاسم الأصلي واللقب، فالاسم يسوع ولقبه المسيح أي الممسوح.

«يسوع»: ومعناها بالعبرية: "الله يخلِّص"، حيث "ياه" باللغة العبرية اختصار يهوه "الله"، و"شوع Shua" معناها: "يُخلِّص"، وقد فسَّرها الملاك: «وتدعو اسمه "يسوع" **لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم**» (١:٢١). وهكذا أخذت الكنيسة معنى «يسوع» النهائي: مَنْ هو وما عمله. **مَنْ هو:** تضمرها كلمة "لأنه"، فعلى مَنْ تعود كلمة "لأنه"؟ هل تعود على **يسوع** الاسم الكلِّي؟ أم على الله يهوه الذي هو مبتدأ الاسم "ياه"؟ ويتضح هذا لو وضعناها معاً: "ياه يخلِّص".

واضح هنا أن ق. متى وضع هذا الاسم المتحد والمنصهر بهدوء **لندرك منه سر الاسم، فالشخص المولود هو ياه (يهوه) يخلِّص، أي الله يخلِّص**. وهذه هي الحقيقة اللاهوتية، لأن الله وحده هو الذي يخلِّص، أو أن الخلاص هو عمل الله، أو كما قالها المزمور بالروح: «للرب الخلاص» (مز ٣:٨)، «وهو "يفدي" إسرائيل من كل آثامه» (مز ١٣٠:٨). والمعنى اللاهوتي الكنسي لاسم يسوع يصبح: الله الفادي والمخلِّص تجسَّد، والتي اختصرها بولس الرسول إلى: «الله ظهر في الجسد» (١تي ٣:١٦). وقد تنبَّأ عنها إشعياء النبي بالقول: "عمانوئيل"، اللقب الذي التقطه ق. متى واستند عليه بقوة ليُظهر مَنْ هو "يسوع" بتعليقه على قول إشعياء: «الذي تفسيره الله معنا» (مت ١:٢٣). وبهذا يكون ق. متى قد عبَّر عن إيمانه ومعرفته وعلاقته معاً بيسوع أنه هو الله جاء متجسِّداً لكي يخلِّص.

فيسوع بحسب اسمه لا يمكن أن يُفهم أنه أداة يُخلِّص الله بها، بل هو هو الله جاء متجسِّداً

يؤدِّي الخلاص بنفسه، حيث هنا يصبح الله يخلِّص بنفسه بالجسد أي بابنه بأن يموت الابن بالجسد، ويقوم الابن بالجسد، حيث الجسد في حقيقته هو البشرية في صورة ابنه التي جاء يفديها ويخلِّصها بنفسه، ويُجلسها عن يمينه، معطياً إياها صورة وميراث ومحبة ابنه.

فيسوع بالنهاية في الواقع اللاهوتي **هو الله ظهر في الجسد البشري ليضم البشرية المفدَّاة والمخلَّصة إلى نفسه** «أنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو ١٤:٢٠)، «أنا والآب واحد» (يو ١٠:٣٠) = «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد» (يو ١٧:٢٣). فيسوع بمفهوم التوراة والإنجيل معاً هو: **الله المخلِّص في هيئة الإنسان الجديد**، جاء وأخذ لنفسه جسداً وصار هو البشرية الجديدة في مُجملها المطلق على صورته كما كانت في البدء، والقصد والغاية أن يتبنَّى الله البشرية جديدة مقدَّسة في نفسه لنفسه لتصير واحداً مع ابنه. فـ"**عمانوئيل**" هو نظرتنا نحن للمسيح **لأن فيه صار الله معنا حقًّا**، أمَّا من جهة نظرة الله من نحو المسيح فهو "**الإنسان معنا**" لأن فيه صار الإنسان مع الله حقًّا. وجاء إنجيل ق. يوحنا بأسلوبه الإلهامي الفائق الرؤيا والتحقيق والتدقيق ليصدِّق على رؤية ق. متى ويفردها إلى مفردات من نور وبهاء ومجد.

«وُجِدَت حُبلى من الروح القدس»:

كان الحَمْل في العهد القديم نقطة خطيرة في بدء حياة المولود، وكانت نقطة بداية لتدخُّل الله بصورة حاسمة. فنسمع أول ما نسمع عن الحَمْل بتدخُّل الله الفائق في حَمْل سارة بقوة إعجازية ولكن عن طريق إبراهيم رجلها. وكان هذا الحَمْل بداية العهد القديم: وقف إبراهيم يعاتب الله:

+ «إنك لم تعطني نسلاً وهوذا ابن بيتي (خادمي أليعازر الدمشقي) وارثٌ لي. فإذا كلام الرب إليه قائلاً: لا يرثك هذا بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك. ثم أخرجه إلى خارج (عن الخيمة) وقال: انظر إلى السماء (وكان ليلاً) وعُدَّ النجوم إن استطعت أن تعُدَّها. وقال له: هكذا يكون نسلُك. **فآمن (إبراهيم) بالرب فحسِبهُ لهُ برًّا.**» (تك ١٥: ٣-٦)
+ «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: بل سارة امرأتُك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق **وأُقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسلهِ من بعدهِ.**» (تك ١٧:١٨و١٩)
+ «وقال (إبراهيم) في قلبه: هل يولد لابن مئة سنةٍ؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة؟» (تك ١٧:١٧)

هذا المَثل نقدِّمه للقارئ ليدرك كيف يتدخَّل الله في الحَبَل وفي الميلاد، وتدخُّله في أمر إبراهيم وسارة كان بمثابة خلق جديد من بعد موات، لأن سارة بنوع خاص فقدت القدرة على إنجاب

النسل وكانت أصلاً عاقراً!! وهكذا نجد أن ميلاد إسحق بالنسبة للبشرية كان نوعاً من تجديد لنوع الإنسان بتدخُّل الله لإنجاب نسل على مستوى البركة، وصنع منه "عهداً أبدياً": «وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده».

كذلك نجد أن تقديس الله للإنسان يبدأ من الرَحِم كما حدث لإرميا النبي: «فكانت كلمة الرب إليَّ قائلةً: قبلما صوَّرتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدَّستك. جعلتك نبيًّا للشعوب» (إر ١:٤و٥). هكذا يكشف الله عن قدراته الفذَّة لمعرفة الإنسان قبل أن يوجد وتقديسه وهو في الرحم، كما حدث أيضاً في بولس الرسول: «لمَّا سرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته ...» (غل ١:١٥)

وبهذين المثلين نتقدَّم بكل خشوع وتقوى إلى حالة العذراء وميلاد المسيح، فالتقديس حدث فعلاً في الرحم، ليس بمجرَّد مشيئة أو كلمة، بل بحلول روح الله القدوس، ليصنع من العذراء القديسة حبلاً إلهياً مقدَّساً ليخرج المولود والله أبوه! ونبوَّة إشعياء صارخة بهذا المعنى: «ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (الله معنا)» (إش ٧:١٤)، ومعنى هذا بمنتهى البساطة: **أن الله "بروحه القدوس" صنع له وجوداً داخل الإنسان! هذا هو معنى «الله معنا»**. وبهذا صار ميلاد يسوع المسيح ابن الله أقوى افتقاد افتقد الله به البشرية، وكان حتماً وبالضرورة عهداً جديداً بين الله والإنسان، حيث يدخل الله كشريك حياة مع الإنسان بوجود حيّ فعَّال لا ينقطع!! هنا وبسبب دخول الروح القدس في عملية الحبل الإلهي والولادة يتحتَّم أن ترتفع حادثة ميلاد ربنا يسوع المسيح إلى مستوى *"السرّ"* في المسيحية، على أن الروح الذي كان عاملاً مع المسيح في خلق العالم منذ البداية والذي كان يرف على وجه المياه حلَّ على المسيح كحمامة ترفرف في الأُردن ليخلق بواسطته بشرية جديدة لله في نفسه.

+ «مخلوقين في المسيح يسوع.» (أف ٢:١٠)
+ «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.» (أف ٤:٢٤)
+ «صار آدم الإنسان الأول نفساً حيَّة، وآدم الأخير روحاً محيياً ... الإنسان الأول من الأرض ترابي الإنسان الثاني الرب من السماء.» (١كو ١٥: ٤٥و٤٧)
+ «إذاً، إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة.» (٢كو ٥:١٧)

أي أنه حتى اليوم يتصوَّر المسيح فينا بالروح القدس ومخاض الولادة بالنعمة: «يا أولادي الذين

أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم» (غل ٤:١٩). هذا تصوير بديع كيف نُخلَق جديداً ونصير خليقة جديدة في المسيح يسوع بالروح القدس بمخاض، أي آلام الولادة الثانية بالروح، التي نأخذ فيها صورة المسيح. وهكذا وباختصار شديد يكون بدخول الروح القدس أحشاء البتول لتكوين الحمْل الإلهي في البطن المقدَّس، يكون قد دخل الإنسان عصر خلقته الجديدة في المسيح يسوع وعلى صورة المسيح في البر وقداسة الحق بحسب الله لميراث ملكوت السموات إلى الأبد، في مقابل خلقته الأُولى من التراب التي تنتهي إلى التراب.

«الروح القدس»:

يُذكر الروح القدس في العهد القديم Ruah في صيغة المؤنَّث، والكلمة اليونانية Πνεῦμα اسم محايد لا مذكَّر ولا مؤنَّث فهو يضمر she, he, it، وفي العربية لا يُذكر إلاَّ مذكَّراً وهذا جيد لأن وجوده في الثالوث وجود مُتساوٍ في كل شيء مع الآب والابن لذلك وجب التنبيه.

١٩:١ **«فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارًّا، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا».**

ومع شديد احترامنا لبرّ يوسف إلاَّ أننا نعاتبه، فأليصابات بمجرَّد أن سمعت سلام مريم ارتكض الجنين بابتهاج في بطنها، وصرخت قائلة: من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليَّ!! وأنت يا يوسف عوض الابتهاج بهذا الكنز الذي أصبحت فوجدته في حقلك، واللؤلؤة الحسنة الكثيرة الثمن تدخل تحت سقفك، تجري الظنون في قلبك بأنها لا تليق أن تكون لك أو توجد في بيتك؟ أمر اقشعرت له الملائكة وأسرعت تُوعِّي قبل أن يدنو منها بكلمة. فالمسيح منذ أن حُبل به في البطن صار تحت حراسة ملائكية مُشدَّدة.

٢٠:١ **«وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هذِهِ الأُمُورِ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ».**

كلام الملاك في ظاهره توبيخ وتوعية، وفي باطنه تمجيد أيّما تمجيد. والكلام يعني أن بهذا الذي في بطن عذرائك المخطوبة لك وقد صارت من خاصتك وصرت لها خاصة، قد نلت بالانتساب إليها أن تكون وريث مملكة داود أبيك، لتنقل الوراثة رسمياً إلى مَنْ أصبحتَ تمثّله في سجلات اليهود والرومان. فكان كلام الملاك كمَنْ يوقظه من نوم الغفلة ليسلِّمه تاج العرش وديعة ليضعه على رأس المولود تحت اسمه!!

وانعكس الحال فالأولاد يرثون كرامة ومجد أبيهم، وهذا ورث كرامة ومجد المولود في بيته!! «يا يوسف ابن داود»!! وتُحسَب لنا هذه الآية آية شهادة من السماء بأن المسيح مولود من الروح القدس والعذراء القديسة مريم. على أنه بحسب جدول أنساب ق. لوقا يظهر أن مريم العذراء القديسة هي أيضاً بنت داود. ونعلم من القديس بولس الرسول نسب المسيح لداود دون أن يرجع إلى جداول الأنساب أو يؤكِّده عن أمه أو خطيبها: «عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد.» (رو ١:٣)

كذلك ما أورده ق. يوحنا في إنجيله لمَّا أراد أن يتكلَّم عن تجسُّد المسيح بعد أن أوفى حقيقة سَبْق وجوده الأزلي ككلمة الله الذي كان في البدء وكان الله! يقول: «والكلمة صار جسداً» (يو ١:١٤). هنا بناءً على الآية الأُولى في إنجيله، يتكلَّم ق. يوحنا عن "الله": «وكان الكلمة الله» (يو ١:١) أنه صار جسداً، هذا يُحتِّم أن هذه الصيرورة في الجسد لله هي من عمل الله وليس من عمل إنسان بأي حال وعلى أي وجه.

وكلمة ق. يوحنا: «وحلَّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب» (يو ١:١٤) هي بعينها كلمة إشعياء النبي: «ويُدعى اسمه عمانوئيل» التي تُترجم: "الله معنا"!! فالله معنا لا يكون ولا يمكن أن يكون إلاَّ بروحه القدوس!

والأمر الأكثر أهمية عندنا هو لماذا يتحتَّم أن يولد المسيح من عذراء ومن الروح القدس، ذلك لأن عملية الفداء تُحتِّم أن المولود يكون قدوساً بلا أدنى عيب أو خطية، حتى يستطيع أن يحمل خطايا البشرية كلها ويموت بها، دون أن تكون له خطية واحدة وإلاَّ يُحسب موته عن استحقاق له، وليس باستحقاق آخرين، كما يتطلبه معنى الفداء. فكل عملية الفداء تتوقف على أنه مات بالجسد، أي بالبشرية، حاملاً خطاياها ليصبح موته تكميلاً لعقوبة الله على آدم ونسله. ثم إن قيامته تتوقف بالدرجة الأُولى على لاهوته وبرِّه الشخصي وقداسته المطلقة التي جعلت الموت عاطلاً لا يقدر أن يُمْسك به. إذن فولادته من عذراء قديسة ومن الروح القدس هو مطلب لاهوتي يقوم عليه الفداء ولا يصح إلاَّ بمقتضاه.

والآن يتحتم علينا أن نمتد بعمل الروح القدس هكذا في العهد الجديد، فعلى مثال العذراء التي قدَّسها الله ليتصوَّر المسيح فيها ويولد منها، هكذا أصبح بمقتضى القول الإلهي إن الله صار معنا، أن يتصوَّر المسيح ويحيا في كل مَنْ يقدِّسه الله:

+ «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل ٢: ٢٠)
+ «حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع، لكي تُظْهَر حياة **يسوع أيضاً في جسدنا.**» (٢كو ٤: ١٠)
+ «إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه.» (٢تي ٢: ١١)

كذلك يلزم أن نقف عند الاصطلاح: «الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس ἐκ πνεύματός ἐστιν ἁγίου» هنا الإشارة تبلغ قمتها الإلهية أن **الروح القدس هو صاحب المبادرة** و لم يكن للعذراء إلاَّ الموافقة «ليكن لي كقولك». لذلك تحتَّم في التقليد والطقس أن نبدأ في التلاوة بالروح القدس: "وتجسَّد من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم". وبالتالي في اللاهوت يلزم أن يُقال إن اللاهوت اتحد بالناسوت، فهو صاحب المبادرة وليس العكس.

١: ٢١ «فَسَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ».

«يسوع»:

يأتي الاسم مختصراً في العبرية: **Jeshua** وأصلها العبري: **Jehoshua** (انظر شرح ١: ١٨) ويعني: "يهوه يخلِّص". وفي الاسم المختصر **Jeshua** يأتي بصيغة الفعل، لذلك شرح الملاك معناه: «لأنه يُخلِّص شعبه من خطاياهم». ولاسم الخلاص يسوع أُضيف لقب المسيح أي الممسوح من الروح القدس كمختار الله. أو بمعنى المُفرز أو المكرَّس ليحمل خلاص الإنسان: «روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأُبشِّر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأُنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق ...» (إش ٦١: ١)

ويُلاحِظ القارئ أن الله لمَّا يعيِّن الاسم يعيِّن سبق معرفته بعمل صاحب الاسم. فالخلاص الذي أكمله المسيح كان مرئياً لدى الله ومنه أُعطي الاسم وصفته: «الرب من البطن **دعاني**، من أحشاء أمي ذكر **اسمي**.» (إش ٤٩: ١)

«يخلِّص شعبه من خطاياهم»:

يخلِّص شعبه لا من الرومان ولا من قسوة الزمان ولا من عبودية إنسان، بل يخلِّصهم من أنفسهم، من عيوبهم وخطاياهم وتعدياتهم وزناهم وفجورهم. وشعبه هنا هو كنيسته في شكلها الأول والأخير كل مَنْ آمن وعاش على الرجاء. حيث الخلاص من الأعداء هنا هو الخلاص من أنفسهم، خلاص من خطيتهم وليس من الخطاة. هنا دعوة المسيح إلى نقد الذات ودينونة النفس

ومحاكمة الضمير وإصدار الحكم العادل ضد النفس وفجورها قبل الدينونة التي لا ترحم وتُرسل إلى جهنم. هذا هو سر قول المسيح أنا لا أدين أحداً، أنا لم آتِ لأدين العالم بل لأُخلِّص العالم، لأجعل كل إنسان يدين نفسه حتى أستطيع أن أُبرِّئه أنا!! وهذا سر قول المسيح: «أحبوا أعداءكم»!

١: ٢٢و٢٣ «وَهذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ (إيل = الله، عمانو = معنا) **الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللهُ مَعَنَا».**

يلجأ القديس متى هنا إلى العهد القديم ليكشف عن سبق معرفة الله وتدبيره الذي ألهم به أنبياءه لكي ينطقوه ويسجِّلوه في أوانه، ليصبح شهادة أزلية من السماء بالواقع الذي نراه ونسمعه في الزمن لعلَّنا نؤمن ونصدِّق. وعلى القارئ أن يراجع القول: «لكي يتم ما قيل من الرب»، فالأنبياء لم ينطقوا إلاَّ بما وضع الله في فمهم، فالمرجع هنا ليس مجرَّد نبوَّة أو نبوَّات، بل صوت الله ومشيئته المعلَنة منذ الدهر. ولهذا لا يستغرب القارئ حينما يحذف ق. متى اسم النبي؟! فليس المهم هو مَنْ قال بل من الذي أعطى القول. والقول قاله إشعياء عن الله مباشرة وكأن الله هو المتكلِّم: «ثم عاد الرب فكلَّم آحاز قائلاً: اطلب لنفسك آية من الرب إلهك. عمِّق طلبك أو رفِّعه إلى فوق فقال آحاز (ونِعْم ما قال) لا أطلب ولا أُجرِّب الرب. فقال اسمعوا **يا بيت داود** ... يعطيكم السيد **نفسه** آية: ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل» (إش ٧: ١٠-١٤). الآية هنا آيتان: الأُولى: العذراء تحبل وتلد، والثانية: أن يصير الله معنا. هنا كلام الرب موجَّه لبيت داود، فالعذراء عذراء بيت داود حتماً!! وكون العذراء تحبل وتلد هي آية السيد الرب نفسه داخلة في مشورته وتدبيره وتنفيذه. بمعنى أن كل ما أحاط بحبل العذراء وولادتها كان تحت تدبير الله المتقن. فإن سمعنا بملاك يبشِّر ويوعِّي أو يرشد فهذا كله داخل في صميم تلك الآية الموجَّهة إلى بيت داود.

أمَّا ملابسات آية إشعياء فهي أن آحاز ملك يهوذا وبيت داود هدَّده ملك إسرائيل فقح بن رمليا بالاتفاق مع ملك سوريا رصين لكي يخرِّبوا بيت داود ويحطِّموا سبط يهوذا وأُورشليم (إش ٧:٦). وهكذا كان الله بالمرصاد للذين أضمروا الشر لبيت داود (مسيح الرب)، وقد أعطى الله وعوداً أنه يثبِّت مملكته إلى الأبد. فماذا يقول الله لآحاز الملك الخائف المرتعب والذي لم يكن يعلم أنه مجرَّد أمين على تنفيذ وعود الله لداود وبيته. هكذا جاءت الآية التي تكشف عن خطة الله الأزلية كيف سيثبِّت مملكة داود إلى الأبد رغم أنف الحاقدين والمضمرين الشر، بمجيء ابن داود يملك ويثبِّت ملكه إلى الأبد. وجعل الله حَبَل العذراء آية لآحاز ولجيل الأجيال، والذي يسبق الله ويقوله على فم

الأنبياء هو بحكم النافذ تاريخياً. وهكذا صار هذا التصوير المسيَّاني واقعاً بحذافيره في بيت داود وآيةً لبيت داود. وقد أبدع ق. متى إذ وضع آية إشعياء ليس فقط في موضعها بالضبط، بل وفي فاتحة قصة المسيَّا! لتسود وتمكِّن من كل ما جاء عن المسيَّا. علماً بأن كافة النبوَّات إنما تحوم حول المسيَّا من جهة مجيئه وتجسُّده وحياته وفدائه.

والأمر الذي يلح علينا توضيحه هو أن الله في إشعياء هو المتكلِّم بنفسه، وهو الذي يقول بالنهاية: «**وتدعو اسمه عمانوئيل**» وكأنها منتهى مسرَّة الله أن يكون معنا!! واسم عمانوئيل بحد ذاته يتفق جميع الآباء (هيلاري، وذهبي الفم، وثيوذوريت ولكتانتيوس)(١) على اعتباره توضيحاً للطبيعة الإلهية في المسيح.

وهنا نرى أن بقبول العذراء الروح القدس فيولد لها ولد على خلاف الطبيعة بدون رجل وكل ما قدَّمته العذراء هو كامل مشيئتها لله: «ليكن لي كقولك» تكون قد افتتحت العذراء أمام البشرية الولادة من الروح القدس بصورة سريَّة، التي ألمح إليها المسيح في قوله لنيقوديموس: «إن كان أحد **لا يولد من الماء والروح** لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو ٣:٥)، ثم عاد المسيح وأوضح له الفارق بين الولادة من الجسد والولادة من الروح بقوله: «المولود من الجسد جسد هو **والمولود من الروح هو روح**» (يو ٣:٦). وإلى هنا يكون المسيح قد كشف إلى حد ما نوع ولادته، ولكن لم يشرح المسيح الولادة الروحانية من الروح القدس كأنها أمر خاص تخص إنساناً ولا تخص إنساناً، بل أعطاها حقيقة الحتمية حينما قال: «**ينبغي must أن تولدوا من فوق**» (يو ٣:٧). وبهذا يكون المسيح قد ربط ميلاده من الروح القدس بالميلاد الثاني الروحي للإنسان ووضع له الوسيلة والطقس: "الماء والروح". وهكذا أصبح سر المعمودية الذي أسَّسه المسيح بنفسه للكنيسة يستمد أصوله وسريَّته من ميلاده من الروح والعذراء مريم. حيث "الماء" و"فوق" هو بمثابة بطن العذراء القديسة حيث بسر الماء والروح القدس والدعاء بالاسم نولد من فوق من رحم السماء!

فإذا أردنا أن نفحص سر كلمة عمانوئيل "الله معنا" نرى أن ق. بولس يستخدمها بوعي روحي عميق دون أن يركِّز عليها، وفي معان متعدِّدة: «فأحيا لا أنا بل **المسيح يحيا فيَّ**» (غل ٢:٢٠) حيث حياة المسيح في ق. بولس تعبِّر تماماً عن الله معنا. وأكثر من ذلك في قوله: «يا أولادي الذين **أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم**» (غل ٤:١٩)، فهنا المخاض للولادة والمسيح

(1) H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 53.

يتصوَّر فينا هو تعبير عن الله معنا. كذلك: «وأمَّا من التصق بالرب فهو روح واحد» (١كو ٦:١٧) فهذا أيضاً يعبِّر عن اتحادنا بالمسيح وبالتالي يعبِّر عن الله معنا.

من هذا نفهم أن سِرَّ "عمانوئيل" الله معنا الذي استلمه ق. متى بالروح من نبوَّة إشعياء عن ميلاد المسيح بالروح دخل في صميم مسيحيتنا كسرٍّ حياتنا مع الله وحياة الله معنا.

على أننا لاحظنا في قراءات النبوَّة والإنجيل عن عمانوئيل وتسمية المسيح رؤيةً جديدةً، فنبوَّة إشعياء عن النسخة العبرانية تجيء: «ها العذراء تحبل وتلد ابناً **وتدعو** اسمه عمانوئيل» (إش ٧:١٤) وتجيء هي نفسها في النسخة السبعينية اليونانية بصفة أمر للمخاطب المفرد: «**وتدعو** (أنت) καλέσεις اسمه عمانوئيل ». وهو نفس الأمر الذي أعطاه الملاك ليوسف النجار: «فستلد ابناً، وتدعو (أنت) καλέσεις اسمه يسوع» (مت ١:٢١). ولكن ق. متى بإلهام من الروح القدس يقولها مخاطباً الجمع الغائب الذي هو الكنيسة: «**ويدعون** καλέσουσιν اسمه عمانوئيل، الذي تفسيره الله معنا» (مت ١:٢٣) وأضاف هنا ق. متى شرحاً وتعريفاً لمعنى عمانوئيل التي هي أصلاً إيل – عمانو (معنا) حيث "إيل" هو "الله" كما دعاه المسيح على الصليب: «إيلي إيلي ... أي إلهي إلهي ...» (مت ٢٧:٤٦). وهكذا تأخذ كلمة "عمانوئيل" عند ق. متى بإلهام الروح القدس وضع "**الله**" عن تحقيق، وعليه يصبح "يسوع" المولود صاحب اللقب اللاهوتي الله المتجسِّد!! فهذا هو نفس الذي رآه بولس الرسول: «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى ا **الله ظهر في الجسد**» (١تي ٣:١٦). وكما عرفها ق. يوحنا: «في البدء كان الكلمة ... وكان الكلمة الله ... والكلمة صار جسداً.» (يو ١:١و١٤)

ولكن هنا تحقيق آخر غاية في الخطورة والأهمية بآن واحد، وهو هل يؤخذ معنى القول "عمانوئيل الله معنا" ليعني أن الله حلَّ في المسيح وهكذا صار الله معنا بالمسيح – وهذا فيه خطورة لاهوتية؟ أم أن المعنى يلتزم بالنص أن الله تجسَّد وصار معنا وهو نفسه شخص المسيح، وهذا يؤدِّي في الحال إلى أن "الله هو المسيح" أو أن "المسيح هو الله معنا".

وطبعاً يكون المفهوم الثاني لعمانوئيل الله معنا هو الأصح وذلك من واقع النص، ولو أن هناك تعبيرات لاهوتية توضِّح أن الله كان في المسيح أيضاً مثل:

+ «أي أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم.» (٢كو ٥:١٩)
+ «ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيَّ. الكلام الذي أُكلِّمكم به لست أتكلَّم به من نفسي

لكن الآب الحالّ فيَّ هو يعمل الأعمال. صدِّقوني أني في الآب والآب فيَّ.» (يو ١٤: ١٠و١١)

وقصد المسيح هنا هو وحدة الذات والأعمال بين الآب والابن. وهذا يزيد من قوة وامتداد لاهوت الابن. وهنا يتصحَّح الوضع بأن الحلول متبادل، الآب في الابن والابن في الآب ليعبِّر تعبيراً قوياً عن: "الوحدة الكاملة المطلقة".

سر الثالوث كان أول استعلانه من كلمة عمانوئيل:

كون الكنيسة تدخل بعد خبر ميلاد المسيح مباشرة في مفهوم أن "الله معنا"، صار هذا يعني أن المسيح هو الله. ولكن في التوراة قد ترسَّخ في ذهن البشرية أن الله الواحد الأحد هو الساكن العلا في نور لا يُدنى منه، وها هو الله معنا هنا على الأرض لَّما تجسد من الروح القدس (والعذراء القديسة مريم)؛ وهكذا بدأت الكنيسة تحس وتعي عملياً الأوجه الذاتية الثلاثة لله الواحد في اللاهوت، حيث الله ذات واحدة في أوجه أو أقانيم ذاتية ثلاثة.

ولكن الله المتجسِّد المعبَّر عنه بعمانوئيل الله معنا المحسوب أنه الأقنوم الذاتي لله المتجسِّد ثَبَتَ باعتراف الله في أثناء العماد (في الأُردن) أنه ابنه الوحيد المحبوب، كما اعترف المسيح في الإنجيل كله أنه ابن الله وأن الله أبوه. إذن، تحدَّدت الأقانيم الذاتية أو الأوجه الذاتية لله بالآب والابن والروح القدس. حيث الوجه أو الأقنوم الذاتي المتجسِّد لله الذي هو الابن الوحيد المحبوب أصبح بالتجسُّد "الله معنا"، أمَّا الآب وهو الوجه أو الأقنوم الذاتي لله الساكن في الأعالي و«الذي لم يره أحد قط» فهو الله العلي الساكن في نور لا يُدنى منه. أمَّا الروح القدس فهو الوجه الذاتي لله الكائن في الآب وفي الابن، فهو روح الله، وهو الذي أرسله الآب بتوسُّط الابن ليمكث معنا ويكون فينا (يو ١٤: ١٧): فالآب **علينا** «أبانا الذي في السموات» والابن **معنا** «عمانوئيل» والروح القدس **فينا** «أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم.» (غل ٤: ٦)

ابن الله وابن الإنسان:

لو جمعنا كل ما تحصَّل لدينا من قول الملاك وقول النبوَّة عند ق. متى عن **"يسوع"** وهو **"عمانوئيل الله معنا"**، وعند ق. لوقا: «القدوس المولود منكِ **يُدعى ابن الله**» (لو ١: ٣٥)، يصبح عندنا في الحال تحقيق لاهوتي واضح وأكيد أن عمانوئيل نفسه الله المتجسِّد هو ابن الله.

على أن الأقنوم الذاتي المتجسِّد لله، لَّما أخذ جسداً بشرياً بالروح القدس ومن مريم العذراء القديسة لم يكن ممكناً أن يُحسب ابناً لإنسان معيَّن، بل استُعلن أنه وهو الابن الوحيد المحبوب للآب

صار ابناً للإنسان، بمعنى أنه يجمع البشرية كلها في شخصه دون الخطية، فكما هو حاصل على طبيعة الله بالمعنى المطلق هو حاصل أيضاً على طبيعة الإنسان بالمعنى المطلق **والمقدَّس**. والمعروف أن المسيح أعطى لنفسه هذا الاسم: «ابن الإنسان» ليخفي وراءه حقيقة ومجد بنوَّته لله حينما يتكلَّم عن نفسه. وقد أكَّد المسيح أن كل ما لله الآب هو له، وكما تأكَّدنا نحن أيضاً أن كل ما للإنسان كان له أيضاً ما عدا الخطية وحدها، لذلك قلنا إن **ابن الله صار ابن بشر** دون أن يفقد ما لله جملةً وتفصيلاً، الذي عبَّرت عنه الكنيسة القبطية أنه صاحب الطبيعة التي تحمل اللاهوت والناسوت معاً بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. كما أنه لا يُفضَّل أن يُقال إنه إنسان كامل وإله كامل، ولكن الأصح هو أن يُقال: إنه يحمل البشرية بكاملها، فله كل ما للبشر ما عدا الخطية وحدها، واللاهوتية بكمالها، بنوَّة دون أبوَّة، في شخص واحد يعبِّر عن الله والإنسان معاً، تعبيراً كاملاً كليًّا مطلقاً لا يماثله في ذلك أحد. فهو وحده الذي ينفرد بالقول: "**أنا الله**" **ἐγώ εἰμι** وبآن واحد "**أنا الإنسان**".

أزلية الابن المتجسِّد:

وهنا يأتي السؤال الأخير وهو خطير: هل يسوع ابن الله المتجسِّد بدأ كيانه ووجوده عندما حُبل به في البطن من الروح القدس وَوُلِد؟ هنا الجواب سريعاً: حاشا!

هنا انبرت الكنيسة المؤيَّدة بالروح القدس في آبائها وعلمائها القديسين تردّ منذ بدايتها أنه "مولود غير مخلوق"، «لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة بل هو مشبَّه بابن الله» (عب ٧:٣)، أي كان كائناً قبل أن يولد: «في البدء كان الكلمة» (يو ١:١). وفي الحقيقة بعد أن أكمل ق. متى إنجيله ودفعه إلى خزانة الكنيسة ابتدأ الروح القدس يعمل بقوة بواسطة الرسل ليوفِّي هذه الحقيقة رسوخها في القلب والفكر، وعلى سبيل المثال يقول بولس الرسول:

+ «فالله إذ **أرسل ابنه** في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد.» (رو ٨:٣)
+ «ولكن **لمَّا جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه** مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس.» (غل ٤:٤)
وفي ملء الزمان استُعلن لنا متجسِّداً.
+ «الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبتهِ، الذي لنا فيه الفداءُ، بدَمِهِ غفرانُ الخطايا. الذي هو صورة الله غير المنظور، بكرُ كلِّ خليقةٍ. فإنه فيه خُلِقَ الكلُّ: ما في السموات وما على الأرضِ، ما يُرى وما لا يُرى، سواءٌ كان عروشاً أم سياداتٍ أم رياساتٍ أم سلاطين. الكل به (بالابن) وله (للابن) قد خُلق. **الذي هو قبل كل شيء** وفيه يقوم الكل.» (كو ١: ١٣-١٧)

+ «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكلِّ بركةٍ روحية في السماويات في المسيح، **كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم.**» (أف ١: ٣و٤)

كما أمدَّ الروح القدس ق. يوحنا بالمِثل لينطق بالروح بحكمة بالغة القدر عن مَنْ هو المسيح وكيف تجسَّد هكذا:

+ «**في البدء كانَ الكلمةُ**، والكلمةُ كانَ عند اللهِ، **وكانَ الكلمةُ اللهَ. هذا كان في البدء عند الله**... والكلمةُ صارَ جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجدَهُ، مجداً كما لوحيدٍ من الآبِ، مملوءاً نعمةً وحقًّا.» (يو ١: ١و٢و١٤)

+ «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضنِ الآب هو خبَّرَ.» (يو ١:١٨)

تقديم العبادة اللائقة بالله للمسيح:

لقد وعت الكنيسة لاهوت المسيح وعياً عميقاً تأصَّل في كيانها الفكري والقلبي والحياتي فأصبحت كل صلاة وكل خدمة وكل عبادة تُفتتح باسم الآب والابن والروح القدس، وبعدها تُقدَّم العبادة والصلوات لله الواحد، وصورة المسيح باعتباره الله المتجسِّد تملأ الذهن والوعي والوجدان بيقين وإيمان أنه هو الذي يمثِّلنا لدى الآب والروح القدس.

+ «أنا هو الباب إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى.» (يو ١٠:٩)
+ «أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف.» (يو ١٠:١١)
+ «خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي.» (يو ١٠: ٢٧و٢٨)
+ «ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي.» (يو ١٤:٦)

١:٢٤و٢٥ «فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ النَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ، وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ. وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ».

الذي يشرح معنى «أخذ امرأته» قول الملاك في السابق: «لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك»، فهنا يوسف كما تقول الآية فعل كما أمره الملاك. أمَّا قول ق. متى أن يوسف لم يعرف امرأته حتى ولدت ابنها البكر فهذا بحد ذاته إحساس منه أنه أخذ العذراء في بيته بأمر الملاك لكي يرعاها حتى تلد مخلِّصاً لشعب إسرائيل، فهذا ليس بعد مسألة زواج ومتعة وجنس، فأمامه عذراء قديسة حُبل فيها من الروح القدس لتلد قدُّوساً مخلِّصاً لشعبه، كيف يتخذها زوجة؟ وقد صارت مخصَّصة للروح القدس ولله الآب.

ويؤكِّد ذلك العالِم أولزهاوزن:

[إنه أمر واضح أن يوسف بعد هذه الاختبارات يكون عنده السبب الكافي ليؤمن أن زواجه من العذراء (وهو ليس زوجاً) إنما يُقصد به غرض آخر غير خلفة الأولاد.](٢)

أمَّا نحن فنطرح على الكنيسة كلها هذه الحقيقة وهي أن الحقيقة المطروحة أمامنا فوق دوام بتولية العذراء القديسة مريم هي دوام حلول الروح القدس ودوام قوة العلي التي ظلَّلتها، فهذه المنح والمواهب والقدرات لم تُمنح لأم حتى تلد ثم تُنتزع منها، بل مُنحت لأم لتلد وترعى مولودها القدوس ابن الله ولها من القدرة الإلهية الفائقة ما يمكن أن تمنحه لابنها، سواء في الرضاعة أو الطفولة العاجزة أو حتى الصبوة وربما الشباب، بل ربما حتى الصليب. وليس لأن كل أدوار وأعمال العذراء في تربية ابنها قد أُسقطت من رواية الإنجيل فيجعلنا هذا أن ننكر هذه الأدوار والأعمال. فكما أن المسيح ظلَّ ابنها الوحيد حتى إلى الصليب، ظلَّت هي بالتالي أُمه. فلمَّا سلَّمها للقديس يوحنا قائلاً: «هوذا أُمك» (يو ١٩:٢٧) كانت إشارة بليغة أن رعاية المسيح لأُمه انتقلت إلى آأمن تلميذ يحبُّه. ثم قوله لأُمه: «**يا امرأة هوذا ابنك**» (يو ١٩:٢٦) معناها في غاية البلاغة أن كل المحبة وكل العاطفة وكل العلاقات التي تربط الأُم بولدها انتقلت إلى يوحنا فلا تحرم من مشاعرها ومواهبها كأم قديسة، إذ تظل تحتمي بيوحنا لصيانة مشاعرها كأم، لذلك نرى أن دوام بتولية العذراء مربوط ربطاً قوياً بإحكام مع دوام علاقتها السرية بالمسيح، فهو لم يكن ابناً وحسب بل «يا ابني وإلهي»!! ولم تكن مجرَّد أُم لأولاد، حاشا بل أُمَّا لابن الله وكفى!!

وسؤال أخير: إن كان ق. يوحنا بسبب حبه للمسيح وحب المسيح له لم يكسر بتوليته بل كرَّس بتوليته لحب المسيح والإنجيل، فهل العذراء القديسة مريم التي كرَّست بتوليتها على يد ملائكة وروح الله القدوس تكسر بتوليتها لتلد بنين وبنات؟؟

ويقيناً فإن أي محاولة للانحراف بدوام بتولية العذراء ينهي على مفهوم ولادة المسيح الفائقة للطبيعة ورسالته الفدائية وعمل الخلاص الذي عُمل. فقصة المسيح منذ بدايتها حتى نهايتها تقوم على قداسته المطلقة وعلى قداسة كل مَنْ اشترك في عمل المسيح: «طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما.» (لو ١١:٢٧)

---

(2) Olshausen cited by H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 54.

ملخَّص الأصحاح الأول:

الآن نستطيع أن نلقي نظرة شاملة على الأصحاح الأول حيث تتراءى لنا خطة ق. متى في تنسيق الأصحاح الأول منذ بدايته، سواء بجدول الأنساب أو بشرح ماذا تمَّ في ميلاد يسوع المسيح. فالتركيز واضح على إثبات أن يسوع هو: "المسيا وريث مملكة أبينا داود" سواء على مستوى الوعد الحر من قِبَل الله أو بإثبات الأنسال، أو بتدخُّل السماء بالأحلام والملائكة. فالتركيز يشتد جداً لمحاصرة القارئ بالنبوَّات حتى يكاد الإنسان يرفع يديه ويقول آمنت أن هذا حق! وخاصة في قداسة العذراء والمولود منها بالروح القدس. وإن تدخُّل الله السابق في الإعداد للحوادث يكاد يسلب العقل، سواء على مستوى الطبيعة أو بتدخُّل الله الذي يخترق الطبيعة. فتسخير الزمن من عدة نواحٍ ليلتقي في بؤرة واحدة من جهة تسلسل الأنساب والأشخاص، ومن جهة العد التنازلي لورثة مملكة داود، وتسخير الأشخاص حاملي السر المقدَّس وتدبير حركتهم من فوق وتحديد الأسماء ذات المعاني التي تحمل ضمناً حياة الأشخاص، كل هذا يتراءى بالنهاية كنسيج من عدة مئات من الخيوط ترسم الواقع لينطق بحكمة الله وسبق تدبيره الأزلي، حتى يكاد الإنسان يقرأ حركات الله على حركات التاريخ.

وبالنهاية نحن نسلِّم أن ليس للقديس متى أي تخطيط شخصي كما يتراءى للعلماء والمفسِّرين المجتهدين، بل هو سبق تخطيط الله أحسَّه ق. متى وسار في تياره حتى وقَّعه بهذه الكلمات وهو أكثر اندهاشاً منَّا. وإن بدت بعض المنحنيات غير مفهومة وربما غير مُصدَّقة فهذا راجعٌ لجهل الإنسان، الكاتب والقارئ معاً. كما أنه إن بدت بعض الحقائق شديدة الوقع على عقل الإنسان ووجدانه، فهو بسبب استعلان "الفائق" داخل الزمن. فاللازمني صار زمنياً.

وأخيراً هذه هي أطراف الخيوط الأولى في قصة خلاصنا العجيب!! التي يتلاحم فيها الخلود مع الزمن، والإلهي مع البشري، والقوة منتهى القوة مع منتهى الضعف لتحتوي كل الإنسان وما للإنسان وما في الإنسان، فكان التجسُّد!

ولكن كان للروح القدس في قصة الميلاد والإعداد لها منذ الأزل وفي صدور الأنبياء وحركات التاريخ والطبيعة الدور الأكثر سريَّة. فلو تأمَّلت معي يا قارئي العزيز وجدت أن الروح القدس كان هو العامل الأول والأساسي في تجسُّد ابن الله من وضعه الفائق للزمن والمادة إلى وضعه تحت الزمن وثقل المادة. ثم وفي نهاية قصة الفداء والخلاص وبعد أن أكمل ابن الله موجبات الفداء والخلاص من تحمُّل خطايا وآلام وموت، نجد الروح القدس نفسه يضطلع بدوره التكميلي في رفع المسيح المتجسِّد من الموت ومن تحت الزمان والمكان وثقل المادة وجاذبيتها ليرتفع من القبر ومن بين

الأموات، ويصعد إلى أعلى السموات ويجلس بجسده غير المنظور ولا محسوس عن يمين عرش الله ويستعيد المجد الذي له والذي أخلى نفسه منه بإرادته حتى يتراءى ويعيش بالجسد.

فبحسب قانون الإيمان الرسولي الذي ثبَّته مجمع نيقية في الكنيسة نقرأ ونحفظ:

[نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ... الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسَّد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس (صار إنساناً) وصُلب من أجلنا ... وتألَّم وقُبر وقام! - «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو ٨:١١) - ... في اليوم الثالث ... وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه ...إلخ].

وبهذا يكون الروح القدس في إيماننا اللاهوتي الكنسي هو العامل الأول في تجسُّد المسيح كبشر منظور وملموس: «الله ظهر في الجسد» (١تي ٣:١٦)، «لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس» (مت ١:٢٠)، وهو نفسه العامل الأول في إقامة المسيح من الأموات كرب غير منظور ولا ملموس «رُفع في المجد» (١تي ٣:١٦). لذلك يقطع بولس الرسول بالقول: «ليس أحد يقدر أن يقول يسوع "رب" - (أي الله) - إلاَّ بالروح القدس» (١كو ١٢:٣). حيث يصبح الإنسان قادراً بالروح القدس أن يعيش في روح التجسُّد وروح القيامة معاً ليدرك قوة ومعنى الخلاص. لأن الروح القدس هو الوحيد الذي يمنحنا حضور المسيح فينا (ἐν ἡμῖν - in us):

+ «ومتى جاء المعزِّي (الروح القدس = الباراكليت) الذي سأُرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي (أنا المسيح).» (يو ١٥:٢٦)

+ «في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي، وأنتم فيَّ، وأنا فيكم.» (يو ١٤:٢٠)

+ «ذاك يمجِّدني، لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم ἀναγγελεῖ ὑμῖν.» (يو ١٦:١٤)

وهو نفس الخبر اليقين الذي أبلغه المسيح نفسه لتلاميذه:

+ «لكنكم ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أُورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.» (أع ١:٨)

الأصحاح الثاني

- **حكماء من المشرق:** البشرية تقدِّم عبادتها وخضوعها لله المتجسِّد عمانوئيل **(٢:١-١٢)**
- **الهروب إلى مصر** **(٢:١٣-١٥)**
- **قتل أطفال بيت لحم:** البشرية تقدِّم جحودها من نحو الله المُنعم **(٢:١٦-١٨)**
- **العودة من مصر والسكنى في الناصرة** **(٢:١٩-٢٣)**

حكماء من المشرق

البشرية تقدِّم عبادتها وخضوعها لله المتجسد عمانوئيل

[٢: ١-١٢]

بقدر ما اختص الأصحاح الأول في إنجيل ق. متى بتأكيد مسيَّانية يسوع المولود "لميراث مملكة أبينا داود" على مستوى اليهود، بقدر ما اختص الأصحاح الثاني بالإعلان عن ملوكية يسوع المسيح على مستوى العالم. ولكن إن كان تأكيد مسيَّانية يسوع المولود هو عمل يتم على طول الزمن، نجد أن إعلان ملوكية يسوع المولود يتم بالفعل في الحاضر المنظور على مستوى العالم وعلى أيدي حكمائه. ولكن هناك أعداء يتربَّصون بالعبادة وبالملك.

٢: ١و٢ «وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ».

من عادة ق. متى أن يترك تحقيق بعض النقاط الحسَّاسة ويكتفي بأن يمر عليها فيكون هذا هو التحقيق عنده. فهو يذكر هنا أمرين كبيرين في شأن ميلاد المسيح: الأول تعيين بيت لحم، والثاني أن ميلاد المسيح تمَّ في زمن حكم هيرودس الكبير، فيذكرهما لماماً دون التوقُّف أو التعليق. إذ يتبادر السؤال بإلحاح، ذلك على ضوء ما جاء عند ق. لوقا: ما الذي أتى بالعذراء ويوسف إلى بيت لحم؟ والسؤال الثاني متى عاش ومتى مات هيرودس؟

وهنا يتدخَّل العلماء بحذق ومهارة لتعيين زمان ميلاد الرب يسوع المسيح قبل وفاة هيرودس بقليل من الزمن، إذ تحدَّد تاريخياً أنه مات بعد خسوف القمر الذي حدث قبل هذا الزمن بقليل، والذي رصد أنه كان قبل نهاية شهر مارس أو في بكور إبريل سنة ٤ ق.م فيكون الميلاد سنة ٤ ق.م أو ربما سنة ٥ ق.م.(١)

(1) W. Hendriksen, *Bible Survey*, pp. 59-62.

والرواية تقول إنه بعد ولادة يسوع المسيح في بيت لحم بقليل جاء هؤلاء الحكماء إلى أُورشليم عاصمة اليهود يسألون عن ملك اليهود! المكني عنهم في الإنجيل بالمجوس. ويتساءل العلماء: هل جاءوا من بلاد مادي وفارس أو من بابل؟ كلمة مجوس هي كلمة إيرانية الأصل وقد رصدها العلماء في كتابات هيرودوت كإشارة إلى إحدى قبائل بلاد مادي، وكانوا دارسي فلك ومولعين برصد حركات النجوم وعلاقتها بأحداث الأرض وتأثيرها. وفي نفس الوقت كانوا على درجة عالية من التعبُّد ويؤمنون بالله الواحد ويمارسون الخير والصلاح ويعفُون عن الشر ويؤمنون بالصلاة ويعملون في الزراعة(٢). ويلتقط العلماء سماتهم الوطنية من ملابسهم التي صوَّرهم بها التقليد القديم، فهم فارسيون. ويتفق الآباء كليمندس الإسكندري وديودورس من طرسوس ويوحنا ذهبي الفم وكيرلس الإسكندري في أن المجوس هم حكماء من فارس. ويعتقد البعض أنه منذ سبي اليهود في القرن السادس وتبعثرهم في بابل وما وراءها استوطن بعضهم بلاد مادي وفارس وكان لهم تأثير في ترقُّب المسيَّا الملك القادم لليهود، خاصة وأن عبادة فارس كانت توحيدية بالله الواحد مثل اليهود(٣).

أمَّا عددهم فقد قُدِّر بقدر هداياهم الثلاثة ذهباً ولباناً ومُرًّا (٢:١١). والحَكْي في أمرهم كثير وفي أسمائهم ووظائفهم كملوك، وأسمائهم (ملخيور وبلتاصار وكاسبار)، وأن واحداً من الهند وآخر من مصر والثالث من اليونان. هذه كلها أنواع من حبك القصص للتدليل على عالمية هذه البعثة السلامية الملكية. ويزيد البعض كيف أنهم اعتمدوا على يد ق. توما، وعظامهم احتفظت بها الملكة هيلانة وأودعتها كنيسة أجيا صوفيا بالقسطنطينية، ثم نقلت إلى ميلان بإيطاليا، وأخيراً استقرت في كاتدرائية كولونيا. ومَنْ يريد أن يصدِّق فليصدِّق؟

«أين هو المولود ملك اليهود؟»:

وبقدر ما أثار ظهورهم في أُورشليم من حركة واستطلاع وبقدر إصرارهم على أن لليهود ملكاً قد وُلد، اشتعلت نار الغيرة في القصر الملكي، لأن هيرودس هو أدومي المولد، فميلاد ملك لليهود يعني تحدٍّ لملوكيته الدخيلة على اليهود. هنا استفسار المجوس عن مكان ولادة الملك كان مطلباً هاماً تجشَّموا من أجله أتعاب رحلة ربما استغرقت منهم شهوراً. وقد تحقَّقوا من صدق دعواهم إذ رأوا وتأكَّدوا من نجمه الدال عليه، وأصبح من صميم حياتهم أن يقدِّموا العبادة له لا بصفته ملك اليهود فحسب بل ملك الأُمم وعالمهم الذي يعيشون فيه، فهو قطب عبادة وليس قطب حكومة. له عليهم

(2) Ibid, *Exposition of the Gospel according to Matthew*, p. 150.

(3) Ibid, p. 151.

حق الألوهة وعليهم حق السجود. ولكن ما هذا النجم وكيف يُعْزونه لملك أُمة أجنبية عنهم؟ أمَّا النجم فهو نجم أو مجموعة كواكب. وضوؤه ذو لمعان فريد بين نجوم السماء كلها فهو لا يشابهها. ومعروف ضمناً أن كوكب جوبيتر (برجيس) وهو اسم إله عند الرومان يرافق ميلاد الملوك، فإذا اجتمع جوبيتر مع ساتورن (زُحَل) في برج السمكة ظهر شبه مذنّب له ذيل شديد اللمعان يقترب من الأرض وهو يشير إلى تحقيق رجاء عالمي، ويمكن رؤيته بالعين المجرَّدة. ولكن المدهش أنه يمكن رصده بالقلب إذ يوجد علاقة بينه وبين قلب الإنسان، هكذا يدَّعي المنجمون، لذلك يمكن تحرُّك النجم مع تحرُّك الإنسان بالإحساس، ويؤكِّد أصحاب هذا العلم أنه لا يضلِّل الإنسان العالِم.

ولكن لم يصرِّح هؤلاء العرَّافون بالنجم ما هو موضوعه الذي رصدوه أكثر من أنهم أدركوا صلته بميلاد ملك لليهود تمتد ملوكيته لتطالهم. وقولهم رأينا نجمه في المشرق يعني رصدوا شروقه.

والإنسان يستطيع أن يقول في ذلك شيئاً واحداً، إن الله نفسه ألهمهم هذه المعرفة التي صارت عندهم مؤكَّدة (ويقول بهذا ذهبي الفم)(٤) لدرجة العبادة ليكونوا شهوداً ضد اليهود.

وهناك كذلك الشاهد الغريب العجيب الذي يُدعى بلعام بن بعور الذي تنبَّأ عن هذا النجم وتكلَّم عن صاحبه منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة، وكان كلامه هو نطق من الله قاله وهو لا يدري ما يقوله. ويقول الكتاب إن بلعام من بين النهرين من أرام بلد إبراهيم من جبل المشرق، ويبدو أنه أيضاً من العرَّافين بالفلك والنجوم وقد قابله ملاك الله وكلَّمه قائلاً: «وإنما تتكلَّم بالكلام الذي أُكلِّمك به فقط» (عد ٢٢:٣٥)، فوضع الرب كلاماً في فم بلعام (عد ٢٢:٣٨)، فلمَّا راوضه بالاق ملك أرام لكي يلعن إسرائيل ردَّ عليه: «من أرام أتى بي بالاق ملك موآب من جبال المشرق، تعال العن لي يعقوب وهلم اشتم إسرائيل. كيف ألعن مَنْ لم يلعنه الله وكيف أشتم مَنْ لم يشتمه الرب ... لتمت نفسي موت الأبرار ولتكن آخرتي كآخرتهم» (عد ٢٣: ٧-١٠)، «فأجاب وقال: أمَّا الذي يضعه الرب في فمي أحترص أن أتكلَّم به» (عد ٢٣:١٢)، «ولو أعطاني بالاق ملء بيته فضة وذهباً لا أقدر أن أتجاوز قول الرب لأعمل خيراً أو شراً من نفسي. الذي يتكلَّمه الرب إياه أتكلَّم.» (عد ٢٤:١٣)

ثم أخذ بلعام وهو في حالة شبه غيبوبة ينطق بأهم نبوَّة قيلت عن المسيح وعن نجمه من فم أُممي هكذا:

+ «وحي بلعام بن بعور، وحي الرجل المفتوح العينين، وحي الذي يسمع أقوال الله ويعرف

(4) Chrysostom, *On S. Matthew*, Hom. 6,4, NPNF 1st ser vol. X, p. 38.

معرفة العلي، الذي يرى رؤيا القدير ساقطاً وهو مكشوف العينين: أراه ولكن ليس الآن، أبصره ولكن ليس قريباً. يبرز (يُشرق) كوكب من يعقوب ويقوم قضيب (ملك) من إسرائيل، فيحطِّم طرفي موآب (عدوَّة إسرائيل) ويهلك كل بني الوغا.» (عد ٢٤: ١٥-١٧)

إذن فما رآه المجوس وهم غالباً بلديات بلعام وزملاء مهنة ورؤيا وعِلْم فلك ومعرفة القدير، هو تحقيق لما رآه بلعام منذ ١٤٠٠ سنة!! وواضح أن الله هو العامل في هذا وفي هؤلاء!

والآية الفريدة التي جذبت أنظار ق. متى هي بلا نزاع: «**وأتينا لنسجد له**»!

٢: ٣ «فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ».

كانت العلاقات بين هيرودس واليهود ليست حسنة، وكانت له عيون وآذان تتسمَّع أخبار الشعب وميوله المعادية، وأخيراً وصلت أخبار هؤلاء الحكماء وموضوع ميلاد ملك لليهود، له في السماء نجم لامع يكشف عن أهميته بل وخطورته على مُلكه. هذا كان مصدر اضطراب الملك، ولا نعلم لماذا اضطربت أُورشليم أيضاً؟ ومع اضطراب الملك بدأت الفكرة في القضاء على المولود، فالملوك لا يهادنون. وربما أحس ولاة أُورشليم ورؤساء الكهنة بغضب الملك فاستعدوا للنقمة.

«هيرودس الملك»:

كان أنطيوخس الرابع إيبفانس قد طوَّق أُورشليم وقتل منها الألوف وباع عشرات الألوف سنة ١٦٨ ق.م وصمَّم على القضاء على عبادة اليهود من الأساس، وأغاظهم حتى الموت إذ قدَّم الخنازير ذبائح على مذبحهم بدل المحرقات المقدَّسة داخل الهيكل، والتي قال عنها دانيال وأسماها: «رجسة الخراب»، وحطَّم مقدَّساتهم وأحرق ومزَّق كتبهم ومخطوطاتهم. ولم ينقذ البلاد من نقمته إلاَّ كاهن بسيط بدأ حركة الثورة عندما ذَبَحَ مقدِّم الخنازير مع خنازيره. وقاد الثورة يهوذا المكابي ابنه من بعده واستطاع أن يطهِّر الهيكل ويعيد إليه صلواته وذبائحه وطقوسه، وتعيَّن ذلك عيداً جديداً لليهود وأسموه عيد "حانوكاه" أي عيد التجديد، وهو مذكور في إنجيل ق. يوحنا (١٠: ٢٢). وظلَّت الثورة المكابية مشتعلة حتى تدخلَّت روما سنة ٤٠ ق.م وعيَّنت هيرودس الكبير - وهو من أصل أدومي مع نسب يهودي، أبوه أدومي وأُمه نباطية - ملكاً على البلاد بالسيف رغماً عن اليهود. وُلد هيرودس سنة ٧٤ ق.م ومات سنة ٤ ق.م وكان مكرَّماً ومعزَّزاً عند الرومان. وكان معمارياً محنَّكاً بنى المسارح والملاعب وبنى قصراً كبيراً في الغرب من أُورشليم بأبراجه الثلاثة العالية ذات الأسماء (هيبكس Hippicus، فازائيل Phasael، ومريمن Mariamane). وقد حاول اليهود

اغتياله ولكن فشلت المؤامرة فنكَّل بهم. ومن أفضاله على اليهود إعادة بناء الهيكل وتجميله وهو المدعو بـ"الهيكل الثاني" أو "هيكل زربابل" الذي كان قد بُدئ ببنائه سابقاً سنة ٥١٩ ق.م، وقد بدأ هيرودس إعادة بنائه سنة ١٩ ق.م وظلَّ البناء بعد وفاته بمدة طويلة. هذا هو هيرودس الكبير، وتاريخه يكشف لماذا اضطرب لسماع الحكماء القائلين أين المولود ملك اليهود؟ وفي الحال استخدم هيرودس خططه للقتل الجماعي، ولكن مختفياً في «لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له.» (٢:٨)

٢: ٤-٦ «فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكَتَبَةِ الشَّعْبِ، وَسَأَلَهُمْ: أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟ فَقَالُوا لَهُ: فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ. لأَنَّهُ هكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ: وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ، أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ».

والإنسان يتعجَّب من معرفة رؤساء الكهنة والكتبة بأن المسيح يولد في بيت لحم بتأكيد قول النبي في القديم. وقد وُلد المسيح وهم لا يدرون. وليس ميخا النبي وحده (مي ٥:٢) هو الذي عيَّن أين يولد المسيح، بل في (١صم ١٦: ٤-١٣) لَّما عيَّن الرب داود "مسيح الرب" في بيت لحم دعا صموئيل وقال له: اذهب وامسحه «ففعل صموئيل كما تكلَّم الرب وجاء إلى بيت لحم (وكانت قرية صغيرة للغاية) فارتعد شيوخ المدينة عند استقبالهِ وقالوا أسلام مجيئك؟ فقال سلام ... وقدَّس يسَّى وبنيه ودعاهم إلى الذبيحة. وكان لَّما جاءُوا أنه رأى (الابن البكر) أليآب فقال (صموئيل بسؤال): إن أمام الرب مسيحه؟ فقال الرب لصموئيل: لا تنظر إلى منظره وطول قامته لأني قد رفضته ... الإنسان ينظر إلى العينين وأمَّا الرب فإنه ينظر إلى القلب ... وعبَّر يسَّى بنيه السبعة أمام صموئيل فقال صموئيل ليسَّى: الربُ لم يختر هؤلاء. وقال صموئيل ليسَّى هل كملوا الغِلمان؟ فقال: بقي بعد الصغير وهوذا يرعى الغنم ... إرسل وأتِ به ... فقال الرب قُم امسحه لأن هذا هو ... وحلَّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً». ومعروف أن داود كان النموذج للمسيَّا في كل شيء سواء في ميلاده في بيت لحم، أو «حسب قلب الله» (١صم ١٣:١٤) أو أنه مسيح الرب (١صم ١٦:١٣)، (مز ٢:٢)، (إش ٦١:١). وما قيل لداود من جميع الأسباط هو الذي تحقَّق بالفعل في الرب يسوع:

+ «وجاء جميع أسباط إسرائيل إلى داود إلى حبرون وتكلَّموا قائلين: هوذا عظمك ولحمك نحن. ومنذ أمس وما قبله حين كان شاول ملكاً علينا قد كنت أنت تُخرج وتُدخل إسرائيل، وقد قال لك الرب أنت ترعى شعبي إسرائيل وأنت تكون رئيساً على إسرائيل ... ومسحوا داود ملكاً على إسرائيل.» (٢صم ٥: ١-٣)

وقد اقتبس رؤساء الكهنة والكتبة آية (٢صم ٥:٢): «**يرعى شعبي إسرائيل**» وأضافوها على آية ميخا النبي (٥:٢): «أمَّا أنتِ يا بيت لحم أفراتة وأنتِ صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنكِ يخرج مدبِّر (مي ٥:٢) يرعى شعبي إسرائيل (٢صم ٥:٢) ». إلى هذا الحد كان الوعي بالنبوَّات التي تخص المسيَّا في فم رؤساء الكهنة والكتبة، بمعنى أن لا هيرودس ولا رؤساء الكهنة والكتبة شكُّوا في قول النبوَّات التي ذكرناها أنها تخص المسيح شخصياً! فكيف انعمت عيونهم وانسدَّت قلوبهم لمَّا جاء و لم يعرفوه؟

٢:٧ «**حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ الْمَجُوسَ سِرًّا، وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ النَّجْمِ الَّذِي ظَهَرَ**».

هذا الاجتماع السرِّي وما نوقش فيه بخصوص زمان ظهور النجم أي "زمان ميلاد ملك اليهود" يكشف النيَّة السوداء التي أكملها في أطفال بيت لحم. ولينتبه القارئ لسوء نيَّة الملك فهو لم يسأل متى وُلد هذا الملك الذي حتم لعبادته، بل بمجرَّد سؤال عن ظهور النجم، وأخفى مراده عنهم حتى يقتله. والآن إذ عرف مكان ولادته وزمانها أصبح قادراً أن يحصر عمر الصبي. ولكن كانت عين السماء مفتوحة سهرانة على الابن الوحيد المحبوب: «قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين: لنقطع قيودهما ولنطرح عنَّا ربطهما. الساكن في السموات يضحك، الرب يستهزئ بهم ... أمَّا أنا فقد مسحتُ ملكي على صهيون جبل قدسي» (مز ٢: ٢-٦). وفي الحال تشكَّلت لجنة من بين الملائكة لتسرُّب الطفل إلى مصر والسهر عليه هناك.

٢:٨ «**ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ، وَقَالَ: اذْهَبُوا وَافْحَصُوا بِالتَّدْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ. وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي، لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضاً وَأَسْجُدَ لَهُ**».

وهكذا ظن الملك القاتل أنه استطاع أن يجنِّد الحكماء ليعملوا على تسهيل مهمة اغتيال هذا الملك الغريم. ولكن كان الحكماء أوعى، وكانت مسيرتهم تحت قيادة سماوية، وتمَّ فيها ما تمَّ في بلعام زميلهم العتيق: «فنطق بمثله وقال: من آرام أتى بي بالاق ملك موآب من جبال المشرق تعالَ العن لي يعقوب وهلم اشتم إسرائيل. كيف ألعن مَنْ لم يلعنه الله وكيف أشتم مَنْ لم يشتمه الرب ...» (عد ٢٣: ٧و٨). ولكن هنا أتى بهم هيرودس ليدبِّروا له مقتلاً لمن جاءوا ليقدِّموا له عبادة وسجوداً!

٢:٩ «**فَلَمَّا سَمِعُوا مِنَ الْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ**».

واضح أن النجم المعهود لا يُرى إلاَّ بالليل، فلمَّا أسدل الليل ستار الظلمة ظهر النجم لهم، وكما قلنا إنهم ساروا بالتوجيه يستلهمون من النجم المسار بنوع الإيحاء الفائق للطبيعة حتى أحسُّوا أنهم بلغوا القصد، فتوقفوا حيث كان الصبي مع أُمه. هكذا يرى مثل ما نرى العالِم ريدربوس(٥) وكذلك العالِم لنسكي(٦). ويبدو لنا أن حركة المجوس كان يتحكَّم فيها التوجيه الإلهي على رؤية سماوية منظورة.

٢: ١٠ و١١ «فَلَمَّا رَأَوُا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحاً عَظِيماً جِدًّا. وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوُا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ. ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَباً وَلُبَاناً وَمُرًّا».

يبدو أنه كان قد غاب عنهم النجم مدة رحلتهم في أُورشليم، فلمَّا جاء الليل ورأوه فرحوا فرحاً عظيماً جداً، لأنهم شعروا بنجاح رحلتهم وصدق رؤيتهم وعلمهم وحساباتهم. فأدركوا عناية الله لهم واطمأنوا إلى مَنْ سيعبدونه! وهكذا بمجرَّد أن رأوا الصبي في حجر أُمه خرُّوا إلى الأرض وسجدوا سجود العبادة والشكر على نجاح مقصدهم الإلهي. وهنا برز هذا المنظر المثير يملأ خيال الرسَّامين والفنانين ليأخذوا لهؤلاء المجوس مئات الأوضاع التعبيرية مع الاندهاش والفرح الذي جعلوه يملأ وجوههم لينطبع على كل قلب وعين وروح، كل مَنْ يتأمَّل فنونهم بلا حصر رسماً وتمثيلاً. وهكذا صارت وقفة الحكماء الثلاثة هي التعبير الفنِّي الجيد لمفهوم ميلاد بيت لحم. فعن ق. متى رسم الفنانون المجوس على فم المغارة، وعن ق. لوقا رسم الفنانون الطفل مضجعاً في المذود، وحمار يُسرُّ في أذنه بمدى ما يتحمَّله من العناء والأتعاب هو وبقية زملائه ويطلب سرعة افتقادهم. أو يرسمون الطفل في حجر أُمه والرعاة مجتمعون حوله يؤدون الخضوع والتحية والشكر للذي أتى ليريحهم من عناء السهر على ذبائح الهيكل إذ سيختم على عصرهم بذبيحة نفسه!

ويلاحظ القارئ أنه أينما ذُكر الطفل مع أُمه يذكر الطفل أولاً: «**الصبي** مع أُمه» فقد وُلد ليكون أولاً!

وبعد أن سجدوا وقدَّموا العبادة التي طالما حلموا بها وترجُّوها وتحمَّلوا مشقة السفر شهوراً ـ ربما ألف ميل كما يقول هندركسن (صفحة ١٧٤) ـ ليفوزوا بها ارتاحت قلوبهم وبدأوا يقدِّمون هداياهم:

أمَّا الذهب فهو تعبير عن ملوكية وُلد لها، وأمَّا اللبان فهو البخور الذي يليق به ككاهن أعظم، وأمَّا المُرُّ فهو نبوَّة عن آلامه المزمعة أن تكون والتي بها يتوَّج ملكاً على كل الأرض.

(5) Herman Ridderbos cited by W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 169.
(6) R.C.H. Lenski, *Interpretation of St. Matthew's Gospel*, 1932, ad loc.

وهنا لا نغفل نبوَّة إشعياء النبي: «تُغَطِّيك كثرة الجمَال (قوافل آتية من بعيد) بُكْرَانُ(٧) مديان وعيفة كلها تأتي من شبا تحمل ذهباً ولباناً وتبشِّر بتسابيح الرب» (إش ٦٠:٦). كما لا نغفل قول المزمور ٧٢ الذي يُقرأ في ليلة عيد الميلاد: «ملوك ترشيش والجزائر يُرسلون تقدمةً. ملوك شبا وسبإ يقدِّمون هدية. ويسجد له كل الملوك. كل الأُمم تتعبَّد له ... ويعيش ويُعطيه من ذهب شبا.» (مز ٧٢: ١٠-١٥)

١٢:٢ «ثُمَّ إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْمٍ أَنْ لاَ يَرْجِعُوا إِلَى هِيرُودُسَ، انْصَرَفُوا فِي طَرِيقٍ أُخرَى إِلَى كُورَتِهِمْ».

هنا يظهر العامل الأساسي الذي كانوا يتحرَّكون وفق مشورته، فقد جاءوا بحسب ما أُوحي إليهم وعادوا بحسب ما أُوحي إليهم، وكانت رحلتهم بتدبير متقن كمندوبين فوق العادة ليحيُّوا مسيًّا ويعبدوه، العتيد أن يكون نوراً لهم ولكل الأُمم. فإن كانت ملكة التيمن قد جاءت من أطراف الأرض لتسمع حكمة سليمان، فها هم حكماء المشرق جاءوا ليروا من هو أعظم من سليمان. فكانت زيارتهم للمولود ملك اليهود دينونة لليهود الذين وُلد لهم ملكاً فما كرَّموه ولا رضوا به أن يملك عليهم.

أمَّا استخدام السماء للأحلام لتوصيل الرسالة من فوق فهو استخدام حالة اللاوعي لكي يصب فيه الله ما يراه بالنسبة لمنفعة الإنسان، حينما يصعب الاتصال بالرؤيا في الوعي أو الإيحاء للعقل. والأحلام استُخدمت في إنجيل ق. متى كوسيلة صالحة. فيوسف وقع تحتها ثلاث مرات، وها هم الحكماء تلقُّوا الإنذار في حلم حفاظاً على حياة الصبي دون أن يدركوا ذلك. والقديس متى يذكر حلم امرأة بيلاطس: «إياك وذلك البار.» (مت ٢٧:١٩)

(٧) بكران جمع بَكر وهو الفتى من الإبل أو الهجن السريعة التي اشتهرت بها مديان.

الهروب إلى مصر

[٢: ١٣-١٥]

٢: ١٣ «وَبَعْدَ مَا انْصَرَفُوا، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ».

لم تكن مصر غريبة على اليهود فهي وطنهم الثاني بعد كنعان، وقد عاشوا فيها كشعب متحد ونموا وتعلَّموا وتهذَّبوا بكل حكمة المصريين، وأخذوا عنهم حضارتهم وأسلوب حياتهم. وكان بمصر جالية يهودية أيام المسيح قدَّرها فيلو سنة ٤٠م بنحو مليون يهودي متركِّزين في بابلون مصر القديمة والإسكندرية وجزء في صعيد مصر.

ولابد من أن عين ق. متى كانت على الخط الموازي لهروب بني يعقوب ومَن قَبْلِهم إبراهيم من كنعان إلى مصر إثر المجاعة الشديدة، وعلى موسى الذي هرب من مصر خوفاً من بطش فرعون وتغرُّبه في أرض مديان عند حِميه إلى أن جاء الصوت من الله أن يعود إلى مصر لأن الذين كانوا يطلبون نفسه قد ماتوا، وهي نفس الجملة التي دوَّنها ق. متى عند إعطاء الإشارة بعودة العائلة المقدَّسة من مصر إلى أرض إسرائيل بعد ما مات هيرودس. وهكذا تمَّ الصوت الأول والثاني: «من مصر دعوت ابني»، إسرائيل أولاً كأُمة وكابن أحبَّه الله لمَّا كان صغيراً، ويسوع إسرائيل الأعظم لمَّا كان رضيعاً.

كان اضطهاد فرعون الأخير الذي لم يكن يعرف يوسف لأطفال بني إسرائيل وقتلهم نبوَّة على الواقع والتاريخ لاضطهاد هيرودس - الذي لم يكن يعرف يوسف - ليسوع "إسرائيل الجديد" وقتله مع أطفال شعبه. الأُولى محنة الشعب العتيق تحت يد فرعون مصر ونجا على يد موسى، والثانية محنة الشعب الجديد (الكنيسة) تحت يد هيرودس ونجا على يد يوسف.

وحينما قال هوشع النبي: «من مصر دعوت ابني» (هو ١١: ١) كانت تاريخاً عن حدثٍ مضى، وبحد ذاتها كانت أيضاً نبوَّة عمَّا هو آتٍ. فهوشع طرح مقولته لتجمع تاريخ إسرائيل كله قديمه وجديده. فإسرائيل الذي كان هو الابن البكر لمَّا كان صغيراً، عاد وأخذ صورته الأعظم بنوَّة والأكثر حبًّا، وكما ناداه في البداية ليخرج من الأسر، ناداه في النهاية لينادي بالخلاص.

٢ : ١٤ «فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ».

هنا الاعتماد الكلي على طاعة يوسف دون تفكير أو مناقشة هو الذي أعطى الله أن يغطِّي مخاطر الرحلة وصعوبتها. ولا شك أن الذهب الذي قُدِّم هدية رمزية للمولود ملك اليهود قد أفاد في مصاريف الرحلة الباهظة. أمَّا الرحلة إلى مصر وتواجدهم في مصر فقد قامت عليها القصص وتحديد المواضع التقليدية التي عبرت عليها الرحلة وأقامت فيها، عشرات البلاد والمواضع من شمال مصر إلى جنوبها. ولم يسجِّل منها المؤرِّخون إلاَّ مدينة المطرية بجوار المدينة العتيقة المسمَّاة ليونتوبوليس وقد ذكرها العالِم الألماني باولس(١). أمَّا في تقليد الكنيسة القبطية فمعروف أن العائلة المقدَّسة مرَّت بوادي النطرون (مع أنه لم يكن قد ظهر للوجود كمكان سكنه الرهبان)، وعاشت في بابلون الدرك وهذا معقول للغاية لأن الجالية اليهودية كانت تتمركز هناك، ونزلت إلى قسقام وجبل الطير وأسيوط ومدن أخرى وأماكن لا حصر لها . أمَّا في المطرية فلا يزال هناك أثر الإقامة: شجرة عتيقة محاطة بسياج وهي مزار. وعلى أي حال فقد تباركت مصر بنزول الطفل يسوع في حضن أُمه وبقيادة يوسف البار. وكما نزل يوسف بن يعقوب إلى مصر واختزن القمح لإحياء العالم الجائع، نزل الخبز الحي النازل من السماء ليتغرَّب في مصر لتُحفظ حياته من يد الناقمين حتى يضمن الحياة للعالم.

كما كان دعاء الكرمة الذي قاله داود بالروح على إسرائيل: «كرمةً من مصر نقلتَ ... يا إله الجنود ارجعنَّ اطلع من السماء وانظر وتعهَّد هذه الكرمة والغرسَ الذي غرسَتْهُ يمينُك و**"الابن"** الذي اخترته لنفسك» (مز ٨٠: ٨و١٤و١٥)، هذا الدعاء بالمزمور الذي طال الابن كونه هو «الكرمة الحقيقية»، كان النزول إلى مصر تحقيقاً له. كما كان نزول الحَمَل الحقيقي: «فصحنا المسيح قد ذُبح» (١كو ٥:٧) إلى مصر تزكية للفصح الأول الذي ذُبح في مصر، «مصر حيث صُلب ربُّنا أيضاً.» (رؤ ١١:٨)

٢ : ١٥ «وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي».

هذه النبوَّة قالها هوشع النبي متخذاً من عودة إسرائيل من مصر مصدراً للتعبير المسيَّاني لدعوة المسيح الابن الوحيد من مصر، كنقلة مسيَّانية تكشف وتنطبق على صورتها الأُولى لإسرائيل في بداية ميلاده كشعب تغرَّب وهو صغير: «لمَّا كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني» (هو ١١:١). هوشع هنا ليس مشغولاً بالتاريخ القديم بل يتكلَّم عن مسيَّا القادم وتغرّبه في مصر!!

(1) Paulus and Schubert cited by H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 65.

معتبراً إسرائيل وخروجه من مصر مثالاً لخروج الابن الوحيد المحبوب بعد تغرّبه في مصر.

كان ميلاد المسيح قبل وفاة هيرودس بقليل ربما بشهور، ونزوله إلى مصر وهو لا يزال في المهد على صدر أُمه بعد زيارة المجوس مباشرة. وبقاؤه بمصر لم يدم كثيراً لأن هيرودس مات بعد ذلك بقليل.

قتل أطفال بيت لحم
البشرية تُقدِّم جحودها من نحو الله المُنعِم
[٢:١٦-١٨]

٢:١٦ «حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ الْمَجُوسَ سَخِرُوا بِهِ غَضِبَ جِدًّا، فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تُخُومِهَا، مِنِ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونُ، بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ».

في الحقيقة قد ردَّ المجوس سخرية هيرودس لهم، فحينما أمرهم أن يردُّوا عليه كان أكثر من ساخر. لقد أحسَّ المجوس وهم يسيرون بهدى نجم الله وحكمته أن الرجل لم يكن جاداً فيما يقول، لذلك جاء الحلم محقِّقاً لما ظنوه فهربوا من أمام وجهه. والذي يُتعجَّب له أن هيرودس المدَّعي العبادة لم يُدرك أن فوق العالي عالياً، وأن هناك يداً عليا تؤدِّب وتحنو. فإن كان هيرودس قد فقد إحساسه الآدمي بالنسبة للأطفال الصغار فما عاد يستحق أن يعيش، بل الأفضل أن يعلّق في عنقه حجر رحى ويُلقى في البحر!!

ويبدو لنا أن عمل هيرودس الفظيع في قتل أطفال بيت لحم الذكور هو المقابل لقتل فرعون الذكور من شعب إسرائيل بلا رحمة حتى يفني الشعب فناءً بطيئاً. فالنيَّة السيئة واحدة والتنفيذ الإجرامي مطابق. وكان الخوف على موسى وهو في المهد رضيعاً من سيف فرعون هو نفس الخوف على يسوع الطفل من سيف هيرودس.

وبحسابات العالِم هاندركسن(٢) مستخدماً تواريخ يوسيفوس وبناء الهيكل وعمر المسيح عند بدء الخدمة، انتهى إلى الحقيقة أن المسيح وُلد في ديسمبر سنة ٥ ق.م، ولا نستطيع أن نعطي فرصة

(2) W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 182.

للخطأ أكثر من سنة واحدة. وق. متى يعطينا انطباعـاً أن قتل أطفال بيت لحم كان قبل موت هيرودس بقليل، ويحدَّد هذا التاريخ بشهر إبريل سنة ٤ ق.م، وهكذا لا يزيد الفرق في التحديد أكثر من شهور، ولكن من الصعب بلوغ اليقين. والمعروف عن هيرودس أنه كان محترفاً القتل و لم يتورَّع عن قتل أولاده عندما أحسَّ أنهم ينازعونه في العرش[٣].

١٧:٢و١٨ «حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ، نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا وَلاَ تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى، لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ».

في العهد القديم كانت الرامة (الآن الرام) واقعة في الحدود بين مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا [انظر (١مل ١٥:١٧)، (٢أي ١:١٦)] وكانت على بُعد خمسة أميال من شمال أُورشليم وبسبب موقعها هذا كانت تمثِّل كلا المملكتين.

وبخصوص يعقوب وزوجته المحبوبة راحيل (راشيل) التي كانت قد ولدت يوسف أبا افرايم ومنسَّى، فكانت تمثِّل إسرائيل مملكة العشرة أسباط التي كانت للاختصار تسمَّى افرايم، كذلك فهي ولدت بنيامين أخا يوسف وكانت بسبب ذلك تمثِّل اليهودية مملكة السبطين يهوذا وبنيامين.

وراحيل هنا في (إر ١٥:٣١) يصوِّرها النبي وكأنها مازالت حيَّة تعيش وتراقب الجماعة البائسة من الشعب التي جُمعت في الرامة تمهيداً لنقلهم إلى السبي. وبينما هي تسمع صراخهم وعويلهم صوَّرها إرميا أنها أخذت تنوح على أولادها من كلا المملكتين. وكانت تنوح بمرارة لأن أولادها - بمعنى نسلها - من المملكتين سينتزعان من حضنها (بمجرَّد تمثيل) وبعدها لا يوجدون إذ يُرحَّلون للأسر وهم الجماعة الأُولى من إسرائيل الذين رُحِّلوا:

+ «وصعد ملك أشور على كل الأرض وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين، وفي السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك أشور **السامرة وسبى إسرائيل** إلى أشور، وأسكنهم في حلح وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي.» (٢مل ١٧: ٥و٦)

وبعدها جاء دور يهوذا:

+ «حتى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة ... ونجَّسوا بيت الرب الذي قدَّسه في أُورشليم. فأرسل الرب إله آبائهم إليهم عن يد رسله مبكِّراً ومُرسلاً، لأنه شفق على شعبه

(3) Ibid., p. 183.

وعلى مسكنه فكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه، حتى ثار غضب الرب على شعبه (يهوذا) حتى لم يكن شفاء، فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم، ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب، بل دفع الجميع ليده ... وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم ... وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً ... لإكمال سبعين سنة.» (٢أي ٣٦: ١٤-٢١)

وعلى هؤلاء وهؤلاء تصوَّر إرميا النبي نواح راحيل زوجة يعقوب وكأنها تعيش وهي تنتحب على نسلها لأنها كانت عاقراً تطلب نسلاً: «هب لي بنين وإلاَّ فأنا أموت» (تك ٣٠:١). فأخذت البنين وأخذت الأجيال وأجيال الأجيال، وأخيراً نُزعوا جميعاً من حضنها إلى السبي، إلى أشور أولاً وثانياً إلى بابل. صورة حزينة يعتصر لها القلب اعتصاراً!!

والآن يأتي ق. متى ليصوِّر نحيب راحيل على أولادها الذين ليسوا بموجودين على ذبح أطفال بيت لحم من ابن سنتين فما دون ولكن ليس بعد يد ملك أشور أو ملك بابل بل هيرودس الأدومي. أمَّا الطفل الذي ركَّز عليه هذا السفَّاح فقد نجا وفرَّ إلى السبي بإرادته لينجِّي العالم بعد ذلك بموته!! فكان دائماً صديق التعابى: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت ١١:٢٨)، وحبيب الأطفال: «دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات» (مت ١٩:١٤). وما من حبيب مثل حبيبي!

العودة من مصر والسكنى في الناصرة

[٢:١٩-٢٣]

٢:١٩-٢١ «فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ قَائِلاً: قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ. فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ».

كانت طاعة يوسف لأمر الملاك حاضرة دائماً، فقام وأخذ الصبي وأُمه وعاد إلى أرض إسرائيل. ولابد أن الرحلة كانت مُيسَّرة بعناية القدير. وكانت النية مبيَّتة أن يستقروا في بيت لحم لقربها من أُورشليم ووجود المعارف والأصدقاء. علماً بأن ق. متى لم يذكر أن إقامتهم السابقة على بيت لحم

كانت في الناصرة لأنه لم يذكر من أمر الاكتتاب شيئاً. ولكن عند وصوله إلى أرض إسرائيل واقترابه من بيت لحم عَلِم أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوض هيرودس أبيه فخاف.

٢: ٢٢و٢٣ «وَلكِنْ لَمَّا سَمِعَ أَنَّ أَرْخِيلاَوُسَ يَمْلِكُ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ عِوَضاً عَنْ هِيرُودُسَ أَبِيهِ، خَافَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ. وَإِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي حُلْمٍ، انْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي الْجَلِيلِ. وَأَتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالأَنْبِيَاءِ: إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيًّا».

ومعروف أنه بموت هيرودس تعيَّن ثلاثة من أولاده خلفاً له: الأول هيرودس أنتيباس من مالثيس Malthace رئيس ربع (تترارخ tetrarch) على الجليل وبيرية، والابن الآخر أرخيلاوس من نفس المرأة على اليهودية والسامرة وأدومية برتبة إثنارخ ثم صار ملكاً، وفيلبُّس ابن كليوباترا (من أورشليم وهي غير كليوباترا مصر) رئيس ربع على المناطق الشمالية إيطورية وتراخونيتس وجولانيتس وأورانيتس وباتانيا، وكانت أعظم هذه الرتب هي رتبة "ملك". أمَّا ما دون الملك من سلطان وكرامة فكان يُدعى إثنارخ أو تترارخ.

فلمَّا سمع يوسف أن أرخيلاوس قد ورث استبداد أبيه وقد تولَّى على اليهودية خاف أن يسكن هناك. والسبب المباشر هو بسبب أن هيرودس قبل موته أمر بأن يُرفع تمثالٌ على هيئة نسر وهو إشارة الامبراطورية الرومانية التي يحملها العساكر والضبَّاط أيضاً، والنسر مؤلَّه عند الرومان وهو رجس عند اليهود، ووُضِع النسر فوق جناح الهيكل، ولكن اليهود الشُّبَّان الغيورين من تلاميذ رابي ماتياس ورابي يهوذا تسلَّقوا الهيكل وأسقطوا النسر وقَطَّعوه قِطَعاً. فقبضوا عليهم وأحضروهم أمام هيرودس فنكَّل بمعلِّميهم ودفنهم بمحرقة. فلمَّا مات هيرودس قام اليهود بثورة في أُورشليم للانتقام من موت يهوذا وماتياس إذ كانا من الناموسيين، فانبرى لهم أرخيلاوس وقد ورث عنف أبيه فقتل من الثوَّار ثلاثة آلاف شخص كان من بينهم كثير من اليهود الحجاج الآتين من الشتات للعيد. ولم يَطِقْ سكان اليهودية والسامرة فقدَّموا شكوى لروما حُقِّق فيها وأُسقط أرخيلاوس، وحلَّ محلَّه حكام وولاة رومانيون كان منهم بيلاطس البنطي الذي قضى لليهود بقتل المسيح.

هذه القسوة هي التي جعلت يوسف يخاف أن يدخل اليهودية وانطلق حسب أمر الملاك إلى أرض الجليل إلى مدينة الناصرة التي يقول ق. لوقا إنها كانت وطناً لمريم العذراء ويوسف قبل الاكتتاب.

وهكذا عاد يوسف ومعه الطفل وأُمه إلى الناصرة وهي وطنهم السابق (لو ٢: ٤)، وبسبب ذهاب المسيح إلى الناصرة لأول مرَّة أخذ لقب "ناصري". وكانت النبوات قد أشارت إلى ذلك،

على أساس أن تكون هذه التسمية نوعاً من الاحتقار، لأن الناصرة كانت مدينة حقيرة خاملة وبالتالي سكانها أيضاً (راجع يو ١:٤٦). وحتى تلاميذ المسيح احتُقروا بسبب تبعيتهم للناصري (أع ٢٤:٥). وقد وردت في إشعياء هذه التسمية ولكن تحت اسم **"غصن"**: «ويخرج قضيب من جذع يسَّى وينبت **غصن** من أصوله ...» (إش ١١:١). كلمة **"غصن"** هنا ليست غصناً طبيعياً بل "نسر" الذي يخرج من أسفل الساق ولا يُثمر بسهولة. وكلمة نسر بالعبرية هي "نتسير" تحقيراً لطبيعة الغصن وتُنطق "نَصر" والصفة منها "ناصري"، وقد شاع هذا اللقب حتى اليوم. فالذي يقبل الإيمان بالمسيح ويعتمد يُعتبر أنه "تنصَّر"، والمعنى الأصلي أنه صار تابعاً للمسيح الناصري. وهكذا تنتهي قصة الميلاد بالمطابقة مع النبوَّات من نواحٍ عديدة.

ملخَّص الأصحاح الثاني:

رأينا كيف دخل في قصة ميلاد المسيح العنصر الأُممي من طبقة الحكماء المتدينين والذين تجشَّموا رحلة الألف ميل ليقدِّموا السجود والعبادة والكرامة للمولود ملك اليهود، والذين كانوا سبباً غير مباشر لهروب المسيح إلى مصر كجزء رسمي في قصة ميلاده، لتدخل مصر كعنصر سلامي في خطة الله من جهة حياة الطفل كما كانت خطة الله في حياة إسرائيل. وكأن دخول المسيح مصر سبق البشارة بقيامة المسيح، فقد تمَّت البشارة بميلاده وزيارة المسيح نفسه شخصياً. وكما تصف قصص التقليد أنه بدخول المسيح مصر في المهد صبيًّا سقطت أوثان مصر، وذلك تحقيقاً للنبوَّة: «هوذا الرب راكبٌ على سحابة سريعة وقادم إلى مصر، فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها.» (إش ١٩:١)! ورافق ميلاد المسيح مذبحة بيت لحم. وهكذا أحاط بالمسيح هالة من الأرواح البريئة القديسة شهداء ميلاد يضافون إلى ملايين شهداء القيامة. والنزول إلى مصر مهَّد للاستيطان في الناصرة.





في الليل الحالك على طريق مصر

العذراء، والصبي في حضنها نامت على أوراق الشجر من التعب تحت شجرة ضخمة،

ويوسف يطمئن عليهما ماسكاً سراجاً



عماد المسيح،

ويوحنا والمسيح يتطلّعان نحو السماء من حيث جاء صوت الآب السماوي

الأصحاح الثالث

بدء القسم الأول من خمسة أقسام الإنجيل

- ظهور يوحنا المعمدان وخدمته (٣:١-١٢)
- عماد يسوع المسيح من يوحنا (٣:١٣-١٧)

ظهور يوحنا المعمدان وخدمته

[٣:١-١٢]

(مر ١:٢-٨،
لو ٣:١-١٨،
يو ١:٦-٨ و١٥-٢٨)

في الأصحاح الأول والثاني قدَّم لنا ق. متى مسيح التوراة ابن داود صاحب "مملكة أبينا داود" بقامته الإعجازية التي أحسَّ بها حكماء المشرق وتضافرت جهود السماء والأرض أن تنجِّيه من أيدي قاتليه.

والآن يدخل في مجال المسيح البشيرُ السابق الذي ينادي بقدوم الملك ويُعلن عن مجيئه، ويصف سمو مكانته ويتمِّم له مراسيم تكريسه السماوية، ويقف يشاهد حلول روح ا لله عليه ويشهد على بنوَّته لله.

ويوحنا لم يأتِ ومعه فكر لاهوتي يعلنه، ولا فلسفة يدعو إليها، ولا هو أعطى طقساً معيناً يلتزم به أتباعه، ولا هو جاء يدعو أن يرتفع الناس إلى مستوى غير مستواهم، أو يرفضوا مبادئ يعيشون بها؛ ولكن جاء ينادي كصوت صارخ من أعماق نبوَّة السماء أن يتوبوا، ولا شيء غير أن يتوبوا. والتوبة التي جاء ليعلنها ليست هي مجرَّد تغيير فكر ولا تغيير خاص لنوع خاص من الحياة، ولكنه جاء يدعو إلى توبة تكتسح الحياة كلها لتدخل إلى أعماق الفكر والقلب والنفس.

جاء ليدعو الشعب جميعاً بكل فئاته: معلميه وحكمائه كخطاته، كهنة وجنود، الكل معاً! ليدخلوا عهداً جديداً مع الله، ويسلموا إليه الحياة برمتها حسب مشيئة الله التي يعرفونها من الأسفار والأنبياء جيداً. بمعنى عودة إلى الأصول عن صحة وشهادة من الله والضمير. وتكون علاقتها الاعتراف بالخطايا والعماد بالماء.

أمَّا القوة الدافعة وراء سر هذه التوبة الحتمية فهو اقتراب ملكوت الله. فالقديس متى هو الوحيد الذي يذكر ملكوت السموات على لسان المعمدان (٣:٢) والشخصية السرِّية وراء اقتراب ملكوت ا لله هو المسيَّا. أمَّا ما هو ملكوت الله فهو سيادة الله كملك.

وعماد المعمدان قائم على اعتراف بالخطايا دون قبول نعمة، والموت عن حياة الخطية دون قيامة. أمَّا ما هي الخطية في مفهومها عند يوحنا؟ فهي **ترك الله وعبادة الأوثان** التي سميت بالزنا. وما هي

حقيقة التوبة عند يوحنا؟ فهي العودة إلى يهوه والخضوع لوصاياه.

٣: ١و٢ «وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ قَائِلاً: تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّموَاتِ».

يعطينا ق. لوقا عمر المسيح عندما بدأ خدمته إذ كان نحو ثلاثين سنة. إذن فنحن أمام مواطن يهودي يكبر المسيح بستة شهور بحسب إنجيل ق. لوقا (لو ١: ٢٦و٣٦) وعمره ثلاثون سنة أيضاً لأنه وُلِدَ في سنة ميلاد المسيح. وبحسب حسابات عُملت على أساس بيانات قدَّمها ق. لوقا، تكون سنة عماد الرب هي ٢٦ ميلادية أو بكور سنة ٢٧م، إذ قد سبق وعرفنا أن المسيح وُلد سنة ٤ ق.م أو على أقصى تقدير سنة ٥ ق.م. ويكون من اللائق أن المعمدان ابتدأ في أول صيف هذه السنة لكي يُعلِّم ويعمِّد على نهر الأُردن.

وكان ظهور المعمدان فجأة، وكان مثيراً بشكله ذي اللبس النبوي للنسَّاك، وشعره الطويل المسترسل وطعامه الطبيعي الذي لأول مرَّة نسمع عنه: «جراداً وعسلاً بريًّا»، وكأنه ليس من هذا العالم. فلو أضفنا إلى صفاته صفات مولده الإعجازي من أب كاهن تقي في شيخوخة مضمحلة وأُم عاقر بلغ بها العمر مديداً، لَعَلِمْنا أننا أمام نبي الرب الحامل لروح إيليا حسب كل الوعود القديمة، ووراثة كهنوتية عن أب وأم. ومن إنجيل ق. لوقا نتأكَّد أنه قادم ليس من بيت أبيه أو عشيرته بل من بريّة اتخذها له وطناً ومقاماً منذ صباه (لو ١: ٨٠)، فهو ابن الطبيعة والجبال، وكأنه انحدر من عصور سحيقة ليظهر كضيف على عالم إسرائيل الموحوع. جاء ليكرز في برية اليهودية التي تحدها مرتفعات اليهودية من غرب، والبحر الميت من الشرق ومنخفض وادي الأُردن من شرق أيضاً وتمتد شمالاً حتى نهر يبوق الذي يصب في الأُردن (انظر الخريطة). وهي برية شاسعة غير مأهولة، حيرية التربة مغطَّاة بالحصى وقطع الحجارة وصخور. ويتناثر فيها هنا وهناك مجموعات من نباتات برية وشجيرات قصيرة تحوي تحتها الثعابين (أفاعي ٣: ٧). وتحرك المعمدان لم يقتصر على الضفة الغربية للأُردن بل امتد حتى الضفة الشرقية على شاطئ الأُردن.

وابتدأ يعلّم قائلاً: "توبوا"، فلم يكن نداؤه سطحياً، بل ينزل إلى أغوار النفس، لا يمالئ بل يُرعب إلى حدٍّ ما، لكي يوقظ النفوس المطروحة تحت ثقل الخطية بالبعد عن الله والمنبطحة على أرض التهاون والمهانة. وكان المعمدان معلّماً يكشف مواطن الهلاك داخل النفس (٧، ١٠) مبشِّراً ومُنذراً بكارثة يمكن تلافيها بتوبة أي بعودة إلى الله بالقلب والفكر معاً. والمعنى الذي تحويه كلمة توبة

هزيل بالنسبة لمطلب المعمدان، فهو يطلب تغيير القلب والفكر تحت تهديد الهلاك من جراء البعد عن الله فهو يطالب بحالة حزن وندم وخوف ورعبة من الآتي، بما تستحقه الخطية بمقتضى عقابها الـذي لا يرحم. فهو يطلب وقفة نهائية مع النفس لتغيير الاتجاه والسـلوك والحيـاة جُمْلـةً، **تقرُّباً مـن الله**. فكلمة التوبة إزاء هذا المطلب لا تكفي، فهي كلمة باهتة، وهو يقولها فتخـرج ملتهبـة تُفـزِع النفـس اللاهية: «قد وُضِعَت الفأس على أصل الشجر. فكـل شـجرة لا تصنع ثمراً جيـداً تُقطع وتُلقـى في النار» (مت ٣: ١٠). هذه عينة من تحذير المعمدان ... فهو يُنذر بنارٍ تـأتي علـى العـود غـير المثمـر، ويطلب صدق التوبة على أساس حصيلة الثمر (مت ٣: ٨و١٠).

وكلمة "توبوا" تجيء عنده بالجمع μετανοεῖτε في الحـاضر بـالأمر لفعـل μετανοέω، وتـأتي عند ق. متى خمس مرَّات: (٣: ٢، ٤: ١٧، ١١: ٢٠و٢١، ١٢: ٤١). وقد اتفق العلماء على تعريف المطانية كتابياً كالآتي: [التغيير الداخلي للفكر بأسف وحزن، وتحمُّل حياة بجدَّدة][1]. والتوبة تنطلق ناظرةً أمامها ووراءها، لذلك تحمل معنى التغيـير أكـثر مـن فكـر التوبـة، تغيـير يتعـدَّى العاطفـة إلى الإرادة والفكر، فهو تغيير جذري لكيان النفس والفكر والقلب والجسد، وهذا الفكر نفسـه منحـدر من إيليا صاحب ذات الروح:

\+ «ولمَّا رأى أخآب إيليا قال له أخآب: أأنت هو مكدِّر إسرائيل؟! فقال: لم أُكدِّر إسـرائيل بـل أنت وبيت أبيك **بترككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم!!** ... حتى متى تعرُجُـون بـين الفرقتين؟ **إن كان الرب هو الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه** (واستدعى جميع أنبياء البعل بأمر الملك وقدَّموا لله ذبيحة فلم يقبلها الله، وقدَّم هو ذبيحته وصلَّى لله) استجبني يـا رب استجبني ليعلم هذا الشعب أنـك أنـت الـرب الإلـه، **وأنـك أنـت حوَّلـت قلوبهـم رجوعـاً**. فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحسـت الميـاه الـتي في القنـاة. فلمَّا رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقـالوا: **الـرب هـو الله الـرب هـو الله**. فقال لهم إيليا أمسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل، فأمسكوهم، فنزل بهم إيليا إلى نهـر قيشون وذبحهم هناك.» (١مل ١٨: ١٧-٤٠)

وهذه هي روح إيليا: «ها أنذا أُرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف **فيرد قلوب** الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلاَّ آتي وأضرب الأرض بلعن.» (مل ٤: ٥و٦)

(1) B. Warfield, *Biblical and Theological Studies*, Philadelphia, 1953, p. 366.

ولكن بالرغم من أن المعمدان عوَّل كثيراً على العماد وعمَّد بالفعل كثيراً حتى سُمِّي بـ"المعمدان"، ولكنه لم يعتبر هذا الطقس قادراً أن يخلِّص دون تغيير جذري في القلب والحياة حتى يُسلِّم المسيح قلوباً جديرة مهيَّأة لقبول الخلاص: «ولكن الذي يأتي بعدي هو **أقوى مني** ... هو سيعمِّدكم بالروح القدس ونار.» (مت ٣:١١)

٣:٣ «فَإِنَّ هذَا هُوَ الَّذِي قِيلَ عَنْهُ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ، أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً».

أمَّا قول إشعياء في زمانه فكان له ملابسات تبيِّن الغرض الذي اقتبسه من أجله ق. متى. فإشعياء نبي السبي، فالشعب الذي عاش في السبي في أشور وبابل ذاق الذل والمرارة. وهنا إشعياء يصوِّر أنه حلَّ الميعاد لقدوم يهوه ليُطلق الشعب من الأسر ويقوده إلى مكان وطنه وراحته، وهناك صحراء مترامية بين بابل وفلسطين عبر سوريا، فإشعياء تصوَّر أنه يلزم أن يمهِّد طريقاً في البرية وسبيلاً مستقيماً وسط صحراء مليئة بالمرتفعات والمنخفضات والمنحنيات: «عزُّوا عزُّوا شعبي يقول إلهكم. طيبوا قلب أُورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل (كانت مدته ٧٠ سنة) إن إثمها (الذي بسببه تمَّ السبي) قد عُفي عنه، أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين (سبعين سنة في ذلَّة الأسر) عن كل خطاياها. صوتُ صارخٍ في البرية أعدُّوا طريق الرب. قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا. كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً. فيُعلن مجد الرب ويراه كلُّ بشرٍ جميعاً لأن فم الرب تكلَّم.» (إش ٤٠: ١-٥)

والقديس متى أخذ هذه البشارة المفرحة بعد أحزان السنين التي أكلها الجراد ليصوِّر مهمة المعمدان في برية العالم وقفر الإنسان منادياً بفم المعمدان لكي تستقيم القلوب وينحط كبرياء وعتو الإنسان: «أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين» (لو ١:٥٢)، ويصير للمسيح طريقٌ سهلٌ إلى قلوب الناس، وكما عاد يهوذا وإسرائيل إلى وطنهم منذ ٥٠٠ سنة مضت يعود شعب من أسر الخطية وظلمة الشيطان إلى الله والنور الحقيقي. أمَّا صراخ البشير **بعودة الإنسان إلى الله** التي أطلقها إشعياء فكانت ولا تزال تحتاج إلى مَنْ يكمِّلها حتى يظهر هذا الصارخ المنادي ويأتي الرب إلى شعبه. وهذا واضح أشد الوضوح وبيِّن بلا مواربة حينما سُئل يوحنا: «مَنْ أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا. ماذا تقول عن نفسك؟ قال: أنا صوت صارخ في البرية قوِّموا طريق الرب كما قال إشعياء النبي» (يو ١: ٢٢و٢٣). وهكذا أثبت يوحنا المعمدان بشهادته عن نفسه أنه إنما جاء ليكمِّل

نبوَّة إشعياء بعينها!! وبالتالي وبالضرورة كانت نبوَّة إشعياء التي قالها في زمانها ناقصة تحتاج إلى تكميل. بهذا تُقيَّم نبوَّة إشعياء أنها نبوَّة صادقة عن زمانها الآتي وأنها لم تُكمَّل في زمانها الذي قيلت فيه.

ثم على القارئ للتأكُّد من هذا أن يلتفت إلى: (أ) تحقيق البرية التي تكلَّم عنها إشعياء، (ب) عمل يوحنا الرسمي الذي أخذه بالميلاد (لو ١: ٧٦و٧٧): «وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى لأنك تتقدَّم أمام وجه الرب **لتعد طرقه** لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم». بل ومن فم الملاك قبل أن يُحبل بيوحنا في البطن: «ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم. ويتقدَّم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً» (لو ١: ١٦و١٧). وعمل المعمدان هذا بعينه سبق وتكلَّم عنه ملاخي النبي بكل وضوح: «هأنذا أُرسل ملاكي فيهيء الطريق أمامي» (مل ٣:١). وملاخي جاء بعد إشعياء بحوالي ٢٠٠ سنة ويزيد، أي بعد أن رجع الشعب من سبي بابل وأشور.

وسواء من نبوَّة إشعياء مباشرة أو شرحها في نبوَّة ملاخي (٤:٦): «فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم». أو من تنويه ق. متى، تتضح البرية ومعناها: فهي قلب الإنسان ليستعد لقبول الرب دون عراقيل ولا علو ولا مكر ولاخداع، فالاستقامة هي مدخل الله إلى قلب الإنسان: "أين هي قلوبكم؟" (القداس الإلهي).

٣: ٤ «وَيُوحَنَّا هذَا كَانَ لِبَاسُهُ مِنْ وَبَرِ الإِبِلِ، وَعَلَى حَقْوَيْهِ مِنْطَقَةٌ مِنْ جِلْدٍ. وَكَانَ طَعَامُهُ جَرَاداً وَعَسَلاً بَرِّيًّا».

سبق أن وصف الكتاب لبس إيليا النبي (٢مل ١: ٨) فهو مطابق إلى حدٍّ كبير بالرغم من السنين السحيقة التي عبرت من إيليا إلى المعمدان: ٩٠٠ سنة ويزيد. ولباس المعمدان الخشن تحدَّث عنه المسيح: «هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك» (مت ١١: ٨). وأمَّا منطقة الجلد التي تشد الوسط فهي تجعل الإنسان مستقيم القامة حاضر العافية والنشاط، قادراً على المشي مسافات طويلة. وطعامه جاهز عند طلبه لا يحتاج إلاَّ إلى التقاطه من على الصخور والشقوق: «أَرْكَبَهُ على مرتفعات الأرض فأكل ثمار الصحراء وأرضعه عسلاً من حجر وزيتاً من صوان الصخر» (تث ٣٢: ١٣). فانتفت الحاجة إلى امرأة أو معين. فاللبس إلى سنين والطعام حاضر في كل حين، والغذاء برضع ثدي السماء، والقوة من الأعالي لحمايته من وحش أو عدو. أمَّا الجراد فكان يُشوى على النار وهو محلَّل لليهود بأمر الله: «هذا منه تأكلون الجراد على أجناسه والدَّبا على

أجناسه والحرجوان على أجناسه والجندب على أجناسـه» (لا ١١:٢٢). وهنـاك مثـل لاتيـني يقـول للذين يهيمون في الصحراء: [لا ينبغي أن نذهب وراء الطعوم]. ومعروف أن طعام الضفادع المشوية أكلـة شـهية لـدى الفرنسيين، والجمبري shrimp مـا هـو إلاّ حشـرة بحريـة، كذلـك الاسـتاكوزة lobester وهي من أشهر وأغلى الأطعمة. وهناك مثل سخيف يقول: [كُلُّ ما هو أصغر منك كُلْهُ].

والقصد من ذكر طعام المعمدان هو البساطة المتناهية والاستغناء عن عالم الأطعمة والتعفُّف عن المشتهيات.

٣:٥و٦ «حِينَئِذٍ خَرَجَ إِلَيْهِ أُورُشَلِيمُ وَكُلُّ الْيَهُودِيَّةِ وَجَمِيعُ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالأُرْدُنِّ، وَاعْتَمَدُوا مِنْـهُ فِي الأُرْدُنِّ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ».

لقد طار الخبر عنه في كل الدائرة التي بدأ يخدم فيها أن نبيًّا ظهر، «لأن يوحنا (كان) عند الجميع مثـل نبي» (مت ٢١:٢٦)، وتسابق الجميع في قبول العماد من يده معـترفين بخطايـاهم. ولكـن بـدون اعـتراف بالخطية لا يعطي المعمودية. فالعماد لم يكن مجرَّد طقـس أو عمـل نعمـة، ولكـن ختـم اعـتراف بـالخطايـا. وكان العماد يحمل فعلاً سريًّا بعمل النعمة يحس به الإنسان فيغمره الفرح ويصير آية لغيره، فكان التسـابق على الاعتراف بالخطايا أمراً مفرحاً وجماعياً بلا حـرج، بـل كـان تسـابقاً أغـرى أكـثر الخطـاة بالإسـراع بالاعتماد. وواضح لنا أن معمودية يوحنا كانت أول خطوة في زعزعة الثقة بالختان كعملية كفيلة بإعطـاء ميراث إبراهيم، إذ دخل العماد على الختان ليصير العماد مصدر غفران للخطايـا بالاعـتراف، الأمـر الـذي يقصر دونه الختـان. وتقهقـر الختـان أن يكـون هـو الـبر الـذي يقـدِّم إلى المسيح للعمـاد بـالروح القـدس للخلاص، ليحل مكانه العماد الذي يطهِّر من خطايا بانتظار الميلاد الجديد مـن الـروح القـدس، بحيث أن إجراء العماد وحده لا يفيد شيئاً إن لم يقبل المعمَّد الروح القدس: «هل قبلتم الروح القدس لمَّا آمنتم، قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم: فبماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا. فقـال بولـس: إن يوحنا عمَّد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب: أن يؤمنوا بـالذي يـأتي بعـده أي بالمسـيح يسـوع. فلمَّـا سمعـوا اعتمدوا باسم الرب يسوع. ولمَّا وضع بولس يديـه عليهـم حـلَّ الـروح القـدس عليهـم فطفقـوا يتكلَّمـون بلغات ويتنبَّأون» (أع ١٩: ٢-٦). فهناك فـارق هـائل بـين معموديـة يوحنـا ومعموديـة الـروح القـدس يقارنهما ق. بطرس في رسالته الأُولى هكذا: «الذي مثالـه (الفلـك) يخلِّصنـا نحـن الآن أي المعموديـة، "لا إزالة وسخ الجسد" بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح» (١بط ٣:٢١). فمعمودية يوحنا إلى تطهير الجسد، ومعمودية المسيح بالروح هي بقيامـة يسـوع المسـيح لقبـول خليقـة جديـدة قائمـة مـن الأموات بمثابة ولادة تقديسية ثانية جديدة من الماء والروح.

والمعمدان يركِّز بشدة أن **غاية العماد ومغفرة الخطايا بالاعتراف عنده هي التغيير في السلوك السابق للعودة من عبادة الأوثان والزنا إلى الرجوع إلى الله الحي**، وإلاَّ فإنهم سيواجهون الغضب الآتي عليهم: «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» (يو ٣:٣٦). ومعنى «**يمكث** عليه غضب الله» أي يبقى تحت حكم الموت واللعنة التي وقع فيها آدم وبنوه، هذا الذي رفعه المسيح بموته وقيامته ونلناه نحن بالمعمودية من الماء والروح والإيمان بالمسيح. فوضع عماد يوحنا وحده لا يرفع غضب الله، لأن الذي رفعه هو المسيح بموته وقيامته. إذن، ما هي وظيفة المعمدان؟ هي إعداد القلوب للإيمان بمَنْ سيأتي بعده!!

٣:٧و٨ «فَلَمَّا رَأَى كَثِيرِينَ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ يَأْتُونَ إِلَى مَعْمُودِيَّتِهِ، قَالَ لَهُمْ: يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟ فَاصْنَعُوا أَثْمَاراً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ».

الفرِّيسيون هم جماعة المعتزلة ــ فكلمة فرِّيسي من فرز وأفرز نفسه ــ فهم الذين يُتمِّمون حرفية الناموس، وهم ورثة جماعة الحسيديم أي الأتقياء وهي طبقة قديمة من القديسين المشهود لهم بمخافة الله والتقوى. أمَّا الصدوقيون فهم أولاد صادوق الكاهن أيام داود وسليمان، وهم محترفو الكهنوت وطبقة من الأغنياء الأرستقراطيين الذين لا يؤمنون بالقيامة ولا بالأرواح والملائكة أو الحياة الأبدية، ويعتقدون أن الروح تفنى مع الجسد، بعكس الفرِّيسيين الذين يؤمنون بكل ذلك.

فيوحنا تعجَّب أن يأتي هذا مع ذاك، ورأى في إقبالهم على المعمودية نوعاً من الظهور بالتقوى أمام الناس ليظلوا بين المعمَّدين كما هم رؤساء ومعلِّمون وقادة. وهذا هو رياؤهم الذي ضجر منه المسيح. وهنا نعتهم المعمدان بأولاد الأفاعي، وهي شتيمة صعبة تُلْبِسهم دينونة التخفِّي لإيذاء الناس، والغش والخداع للسيطرة والترأس.

أمَّا نعتهم: "بأولاد" الأفاعي فهو من قبيل ضم النسل كله إلى رأس الأفعى أي الشيطان.

«مَنْ أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي»، «فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة»:

المعمدان هنا ينكر عليهم صدق مجيئهم وطلبهم للعماد، فهم لم يتحرَّكوا خوفاً من غضب آتٍ، بل طمعاً في كسب موقف الأتقياء والمتجدِّدين ليتاجروا به. فهم في نظر المعمدان أبناء غضب، فكيف يهربون من الغضب. وعلى كلٍّ جعل محك توبتهم وتجدُّدهم وعودتهم الصادقة إلى الله الثمار التي يقدِّمونها كأتقياء حقيقيين. فالتوبة لها ثمر ولها سلوك مشهود له، فالاعتراف الشكلي بالخطية لن يفيدهم شيئاً، **والعماد دون نية الرجوع إلى الله من طرق الشر والزنا وعبادة أصنام المال والغنى**



المسيح ينتهر الشيطان ويبدو عليه الانفعال



صورة المسيح مكبَّرة

وهو ينتهر الشيطان على جبل التجربة

والرئاسة والأولوية لا يفيدهم بل يثبِّت خطاياهم. فالأساس في معمودية يوحنا هو التغيير الداخلي بتجديد الحياة **والرجوع إلى الله الحي** وتمجيد الله بالقول والعمل والسلوك.

٣: ٩ «وَلاَ تَفْتَكِرُوا أَنْ تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَباً. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلاَداً لإِبْرَاهِيمَ».

هذا الفكر يكون عوض تقديم الثمار وحياة التقوى، حيث الاتكال على كونهم أبناء إبراهيم بالختان يغنيهم عن التوبة وثمارها. فهنا يطلع المعمدان بمبدأ خطير: وهو أن الانتساب لإبراهيم لا يعوِّض عن الاعتراف بالخطية وقبول المعمودية للتوبة وتغيير الحياة **والرجوع إلى الله الحي من الأعمال الميتة،** وهنا ضمناً رجعة على قيمة الختان الذي لا يصلح أن ينجِّي الإنسان من دينونة الخطية وغضب الله. فهنا الانتقال من الختان كطقس للجسد إلى مغفرة الخطايا بالاعتراف والتوبة، وهو أول خطوة في الإعداد لعمل المسيَّا، أي الانتقال من الجسد واللحم إلى تجديد القلب والحياة. وهنا يظهر وعي يوحنا المعمدان في أن الميلاد الطبيعي من إبراهيم كنسل مختتن لا يضمن لأي عبراني حالة بنوَّة صادقة مستحقة لإيمان إبراهيم. أمَّا كون الله قادراً أن يقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم فهو قد سبق وأقام من التراب آدم أباً للبشرية. وبالتالي تنتقل القدرة إلى تحويل قلب حجري إلى قلب لحمي تائب خائف الله.

والذي لا يخضع لدعوة الله بالتوبة والعماد ومغفرة الخطايا فالبلطة مسلَّطة على أصل الساق.

٣: ١٠ «وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَراً جَيِّداً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ».

بمعنى أن يد الدينونة مسلَّطة على الرقاب، **"الآن"**. فهي فرصة توبة ومغفرة خطية **وعودة صادقة إلى الله بحياة ندم عما فات،** وفكر جديد منفتح لعمل المسيح القادم. وقد ثبت بالفعل صدق هذا الإنذار لأن الذي اعتمد تهيُّأً للإيمان بالمسيح، والذي رفض المعمودية باعتبارها ليست من الله لم يستطع أن يقبل المسيح.

+ «اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في مريبة مثل يوم مسَّة في البرية حيث جرَّبني آباؤكم.» (مز ٩٥: ٧-٩)
+ «اطلبوا الرب ما دام يوجد ادعوه وهو قريب، ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره **وليتب إلى الرب** فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران.» (إش ٥٥: ٦و٧)

هنا تعريف للتوبة أنها **توبة إلى الله** أي دعوة إلى الله.

وكما يشير يوحنا المعمدان إلى الفأس والنار، يشير إلى الثمر الجيد لحساب الله والسماء. فهو لا يتنبأ للشرير فقط بل يتنبأ لصانع الثمر الجيد أيضاً، وهو يضع الإنذار موضع الاختيار بين القَطْع والثمر، بين الموت والحياة. وإن كان عليه أن يُنذر ويُحذِّر، كان عليه أن يبشِّر بالخير والتجديد وروح الحياة في الآتي بعده. وإن كان قد وُلد وحلَّ عليه روح الرب ليبشِّر بالتوبة ومغفرة الخطايا ومعمودية الرجوع إلى الله الحي، فبشارته من السماء كما ألمح المسيح، وهي باقية ونافذة المفعول، ولا يزال صوته يردِّده الروح في برية القلوب لدعوة الخطاة، لا لمعمودية التوبة فقط بل لمعمودية الروح القدس أيضاً لنوال الحياة الأبدية مجَّاناً: «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك.» (أع ١٦:٣١)

والمعمدان ليس هو النبي الوحيد الذي بشَّر بالتوبة لمغفرة الخطايا والعماد لرجعة القلوب إلى الله، واضعاً الفأس على أصل الشجرة، بل وُجد أيضاً يوئيل النبي الذي بشَّر بحلول الروح القدس على كل بشر منادياً برجعة إلى الله يصنعها الروح بالفرح والتهليل: «ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام ...» (يؤ ٢: ٢٨و٢٩). فكل مَنْ يقبل المعمدان يقبل يوئيل، ومَنْ يقبل المعمودية لمغفرة الخطايا يقبل سكيب الروح للتعرُّف على المسيح وقبول الميلاد من فوق. فالله في المعمدان يكره الخطية، وفي يوئيل يحب الخطاة، من فم الأول يأمر بالتوبة وبفم الثاني يعطي نعمته، الأول ينذر والثاني يعزِّي، ولا يزال يوحنا يعمِّد في الكنيسة ويوئيل يسربل بالنعمة، ودموع الأول يمسحها الثاني. والمسيح يعمل بهذا وذاك، وطوباك يا يوئيل نبي الروح.

٣: ١١ **«أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاء لِلتَّوْبَةِ، وَلكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ».**

المعمدان قال هذا لينفي عن نفسه أنه المسيح!! «فاعترف ولم ينكر وأقرَّ أني لست أنا المسيح. فسألوه إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال لست أنا، النبي أنت؟ فأجاب لا. فقالوا له مَنْ أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا (كهنة ولاويين) ماذا تقول عن نفسك. قال: أنا صوت صارخ في البرية قوِّموا طريق الرب كما قال إشعياء النبي. وكان المرسلون من الفرِّيسيين، فسألوه وقالوا له فما بالك تعمِّد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي؟ أجابهم يوحنا قائلاً: أنا أُعمِّد بماء ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدَّامي ...» (يو ١: ٢٠-٢٧)

وغاية ما يقصده يوحنا هو أن يضع مقارنة بين شخصه وشخص المسيح، وعمله وعمل المسيح. فهو كما قال عن نفسه: أرضيٌّ ومن الأرض يتكلَّم: «أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت لست أنا المسيح بل إني مُرسل أمامه. مَنْ له العروس (الكنيسة) فهو العريس (الذبيح) وأمَّا صديق العريس الذي يقف ويسمعه يفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذاً فرحي هذا قد كمل. ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص. الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع والذي من الأرض هو أرضيٌّ ومن الأرض يتكلَّم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع ... لأن الذي أرسله الله يتكلَّم بكلام الله.» (يو ٣: ٢٨–٣٤)

من هذا نفهم لماذا يقول: «لست أهلاً أن أحمل حذاءه» لأن عمل المعمدان لا يرقى أكثر من دائرة الجسد «إزالة وسخ الجسد»، أي رفع عمل الخطية عن الجسد، أمَّا عمل المسيح فرفع الخطية عن النفس والجسد والروح كما بنار، ليحل محلها الروح القدس للتقديس والتبني والمصالحة مع الله وميراث الحياة الأبدية. والفرق بين التطهير بالماء والتطهير بالروح القدس كالفرق بين غسيل الماء وتطهير النار. الأول كان سمة العهد القديم والثاني هو قوة العهد الجديد، على أساس أن النار هي نار الله، نار اللاهوت، فعل الطبيعة الإلهية!! «فطار إليَّ واحد من السَّرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومسَّ بها فمي وقال: إن هذه قد مسَّت شفتيك فانتزع إثمك وكُفِّر عن خطيتك.» (إش ٦: ٦و٧)

ونار الله هي فعل الروح القدس في الطبيعة البشرية للتطهير والتقديس، فإذا لم تتطهَّر الطبيعة البشرية فإنها تتعرَّض للإحراق والإبادة. الأمر الذي كشفه المعمدان في الآية القادمة.

١٢:٣ «الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ».

المنظر أمامنا جرن قمح وصاحب القمح يعمل بالمذراة ليفصل القمح عن التبن. وهذا هو نفسه عمل المسيح، ليس في النهاية وحسب بل ومن الآن، والمذراة هي الروح القدس وعمله في الضمير، فالذي يخضع لمذراة الله ويقبل أن ينفصل عن أعمال الخطية والمعصية حُسب قمحاً وطحيناً يُصنع منه قربانٌ وتقدمة، والذي تذرِّيه الريح ووُزن بالموازين فوُجدَ ناقصاً فهو من نصيب النار، لا يُخبز به خبزٌ أو تقدمة. وكلمة لا تُطفأ = (اسبستس ἀσβέστῳ) تحمل معنى العقوبة الأبدية وهي الحرمان من الله.

والمسيح نفسه يضيف على عملية تذرية القمح في الجرن عملية غربلة الشيطان لأولاد الله: «سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة» (لو ٢٢: ٣١)، حيث الحبة الضامرة (الممعوطة) تسقط من عيون الغربال ولا تدخل في الطحين وتُحسب مرفوضة.

عماد يسوع المسيح من يوحنا

[٣:١٣-١٧]

(مر ١:٩-١١،
لو ٣:٢١و٢٢،
يو ١:٣٢-٣٤)

٣:١٣ «حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ».

كلمة "حينئذ" هنا تفيد "في تلك الأيام"، والقصد منها مع نهاية مباشرة المعمدان لوظيفته. أمَّا الزمن فيُعتقد بحسب الرجوع إلى التواريخ التي سبق أن عالجناها فكان في أواخر سنة ٢٦م أو بكور سنة ٢٧م، عندما بلغ المسيح الثلاثين من عمره. ويضيف ق. لوقا معلومة عن حركة المسيح في التقدم للعماد إذ أخَّر نفسه ليكون في نهاية المتسابقين لقبول التعميد: «ولمَّا اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً» (لو ٣:٢١). وهي لفتة هامة لأن وظيفة المسيح تبدأ حيث ينتهي المعمدان من إعداد الطريق أمامه، وهو بطبيعة الحال سيتعامل مع الذين انصاعوا لمشورة الله وقبول العماد من يوحنا بصفته صاحب معمودية "من السماء" بحسب تعبير المسيح: «معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس؟» (مر ١١:٣٠). وهنا يذكر القديس متى أن المسيح جاء من الجليل، وق. مرقس يحدِّد أكثر إذ يقول: من "ناصرة الجليل". ويحدِّد القديس يوحنا في إنجيله المكان الذي كان يعمِّد فيه يوحنا: «هذا كان في بيت عبرة في عبر الأُردن حيث كان يوحنا يعمِّد» (يو ١:٢٨). وهذا المكان يبعد قليلاً شمالاً عن البحر الميت بالقرب من المكان الذي كان يتعبَّد فيه الأسينيون ووادي قمران.

٣:١٤ «وَلكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!»

من غير المعقول أن يكون يوحنا المعمدان يجهل مَنْ جاء ووقف أمامه، فهو الذي ارتكض بابتهاج في بطن أُمه أليصابات لمَّا سمعت أُمه صوت العذراء وهي حامل بالمسيح. وكم وعَّى زكريا الكاهن ابنه يوحنا برسالته بالنسبة للمسيح، وكم أسرَّت أليصابات في أذنه بأن هذا الذي وُلِدَ من العذراء هو "ربي" وأُمه هي "أم ربي". ونشأ الشاب يوحنا وهو يعرف لماذا جاء ولمن سيخدم ويهيئ الطريق. فلمَّا ظهر المسيح أمامه وعرفه بالروح وعرف نية المسيح بالعماد منه جزع، وهو الذي قال

لتوِّه إنه غير أهل أن يحمل حذاءه. فكيف ينحني المسيح تحت يديه ويقبل منه العماد؟ كان هـذا أمـراً شاقاً للغاية على نفس المعمدان أن يقبل هذا الوضع لولا أن المسيح هوَّن عليه الأمر.

١٥:٣ «فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ. حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ».

«اسمح الآن»: ἄφες ἄρτι

لغة المسيح هنا، ولأول مرَّة نسمعه، تعطينا انطباعاً ينطبق مباشرة على ما علَّم به وقال: «تعلَّمـوا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١:٢٩). كان رد المسـيح هنـا ليهـدِّئ مـن روع المعمـدان الذي وقف مرتبكاً بإحساس مَنْ يحتاج إلى العماد من المسيح وتوضع على رأسه هو اليد التي ستخدم الخلاص. والمسيح هنا لا يرد على تصاغر المعمدان من جهته، ولكنه ينبِّـه المعمـدان إلى وظيفتـه الـتي جاء ليؤدِّيها، سواء بالنسبة للشعب أو للمسيح ذاته.

«لأنه هكذا يليق بنا أن نكمِّل كل برٍّ»: πληρῶσαι πᾶσαν δικαιοσύνην

والبر هنا بالمفهوم الإنجيلي هو بر طاعة الله فيما أمر، فهـو أصـل الطاعـة وقوتهـا، ذلـك بالنسـبة للمعمدان وله (المسيح) ولكلِّ مَنْ سيؤمن ويطيع ويعتمد. فالمسيح هنا قام بافتتـاح عهـد الطاعـة لله وتحديد قوة البر بمقتضاها لخدمة الملكوت. واختتم بر الطاعة بقبـول المـوت وهـو المعموديـة العظمـى بصبغة الموت والتي بها افتتح باب الملكوت بالقيامة من الأموات. وهكذا جعلـت الكنيسـة معموديـة الماء كباب أول ينفذ إلى طاعة المسيح، وحمل الصليب كمدخل إلهـي للدخـول في سـر القيامـة: «إن كنَّا نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه.» (رو ٨:١٧)

هنا ينبِّه المسيح على لياقة **πρέπον** أن يكمِّل المعمدان **بر طاعته** لأداء وظيفته الـتي استلمها مـن السماء، ويقبل أن يضع يده عليه، أي على المسيح، لكي يتمِّم المسيح بدوره **بـر اتضاعـه** ونـوال **بـر العماد من يده**، الذي إنما هو يكمِّله ليعطيه مجاناً لكل بشر يؤمن ويعـترف بـه. فنحـن نُحسـب أننـا **"اعتمدنا معه"** ونلنا بر اتضاعه والاغتسال من خطايانا، هنا مدخل للاهوت الفداء والخلاص ونـوال بر المسيح!! فالمسيح لا يعتمد لنفسه ولا يقبل ويكمِّل بر العماد لذاته؛ ولكـن الأمر داخـل في سـر تقديسه لذاته من أجلنا: «ولأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي» (يو ١٧:١٩) وبالتالي «وأنا قـد أعطيتهـم المجـد الذي أعطيتني.» (يو ١٧:٢٢)

«حينئذ سمح له»: τότε ἀφίησιν αὐτόν

وبهـذا الأسـلوب البديـع أكمـل المسيح والمعمـدان برَّيـن: بـر الطاعـة للمعمـدان وبـر الاتضـاع

والاغتسال للمسيح(٢). ونعود وننبِّه أن المسيح لم يغتسل في الأُردن لنفسه بل للبشرية التي جاء ليهبها قداسته وبره وحياته. وبمجرَّد أن أكمل المسيح بر الطاعة والتعميد انفتحت السماء وحلَّ الروح القدس عليه **للاستعلان**: «وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأُعمِّد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمِّد بالروح القدس. وأنا قد **رأيت وشهدت** أن هذا هو ابن الله.» (يو ١: ٣٣و٣٤)

٣: ١٦و١٧ «فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِياً عَلَيْهِ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّموَاتِ قَائِلاً: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ».

واضحٌ من قول ق. متى بأن المسيح صعد من الماء أن العماد قد تمَّ بالتغطيس، فالصعود من الماء يعني صعود الجسم كله وليس الخروج برجليه كما يحاول العلماء لقصد العماد بالرش. فالصعود من الماء يشير إلى حالة دفن في الماء كما ينص الطقس، ليكون الخروج أو الصعود تعبيراً عن القيامة أو تعبيراً عن حدوث تغيير من حال تحت الماء إلى حال جديد بعد الخروج الذي يقوم عليه معنى العماد. فكلمة "اعتمد βαπτισθείς" تعني غطس أو انصبغ كليًّا، بمعنى أخذ شكلاً جديداً أو لوناً جديداً. وصعوده في الحال من الماء كان **لتكميل فعل العماد باستعلان الروح القدس.**

«وإذا السموات قد انفتحت»: ἰδοὺ ἠνεῴχθησαν

كلمة ἰδοὺ التي بدأ بها ق. متى الجملة تفيد الإشارة إلى شيء مشاهد منظور، وهي بالإنجليزية Look لأنها أصلاً مشتقة من فعل الرؤية ἰδεῖν. لذا نجد أن ترجمتها بكلمة "وإذا" قاصرة عن إعطاء هذا المعنى لأنها ربما تعطي انطباعاً أن السماء انفتحت في قلبه. ولكن ق. متى هنا يؤكِّد أن السماء انفتحت برؤية عينية، وهي بحد ذاتها معجزة. ولكن ليست هي المرَّة الوحيدة، فقد سمعناها عند ق. استفانوس عندما رأى السموات مفتوحة ورأى ابن الإنسان جالساً عن يمين الله (أع ٧: ٥٦) وكذلك ق. يوحنا في بطمس (رؤ ٤: ١ و١١: ١٩ و١٩: ١١)، والقديس بولس ــ ولو أنه يقول أفي الجسد أم خارج الجسد ــ اختُطف إلى السماء ورأى هناك ما لا يُرى (٢كو ١٢: ١-٤).

وهنا يقرِّر المعمدان أنه رأى الروح القدس نازلاً على المسيح مثل حمامة. هنا رؤية يوحنا المعمدان للروح النازل عليه بهيئة حمامة منظورة هام للغاية، لأنه بحسب إنجيل ق. يوحنا هذه علامة من الله

(٢) راجع كتاب: "أعياد الظهور الإلهي"، للمؤلِّف، مقال "بر الاتضاع" صفحة ٣٩٦ طبعة سنة ١٩٩٢.

لكي يتعرَّف المعمدان على المسيح فرأى وعرف وشَهِدَ (يو ١: ٣٣و٣٤). لذلك فنزول الروح القدس بهيئة منظورة ـ مع أنه ليست له أي هيئة منظورة ـ كان أساساً لإعطاء المعمدان العلامة ليتعرَّف على المسيح. وإن كان قد قيل إن المسيح رجع من الأُردن وهو ممتلئ من الروح القدس فهذا يستحيل فهمه على أن المسيح كان غير ممتلئ من الروح القدس قبل العماد وقبل حلول الروح القدس عليه، لأن الصوت الذي جاء من السماء من الآب يقول إن هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، فالابن لم يكن في وقت ما غير ممتلئ من الروح القدس. أمَّا حلول الروح عليه فكان حلول المثيل على المثيل، لم يزد المسيح شيئاً لم يكن له وإنما كان لاستعلان حقيقة شخص المسيَّا، ولافتتاح زمان خدمة المسيح بعمل الثالوث وحضوره: الآب بصوته من السماء، والروح نازلاً عليه بهيئة منظورة، والابن يتلقَّى لحظة البدء بالعمل.

وقد اعتبر المسيح نفسه أن حلول الروح القدس عليه بمثابة مسحة للانطلاق للخدمة بحسب نبوَّة إشعياء:

+ «وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربَّى. ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ، فدُفع إليه سفر إشعياء النبي، ولمَّا فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه: **روح الرب عليَّ، لأنه مسحني لأُبشِّر** المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأُنادي للمأسورين بالإطلاق وللعُمي بالبصر، وأُرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة. ثم طوى السفر وسلَّمه إلى الخادم وجلس، وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدأ يقول لهم: إنه اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم.» (لو ٤: ١٦-٢١)

وبهذا التسجيل الفريد الذي حصل عليه ق. متى يكون قد جمع النبوَّة وطبَّقها على الواقع في نهر الأُردن وبشهادة المعمدان، ومشروحة بفم المسيح، كل ذلك معاً إنما بوضع إعجازي فائق. نستخلص منه أن الذي حدث بعد العماد بنزول الروح القدس عليه كان مسحة بالروح من السماء للخدمة وبإعلان الآب لبدء خدمة الخلاص.

ملخَّص الأصحاح الثالث:

يفتتح المعمدان عصر المسيَّا مؤكِّداً أنه مجرَّد صوت صارخ لإعداد طريق الآتي بعده الأقوى منه، وهو يدرك تمام الإدراك دوره الأساسي في افتتاح البشارة بملكوت السموات. ويبدأ خدمة التعميد بالماء على أساس التوبة بمفهوم العودة إلى الله بعزم القلب وتغيير الحياة لترضِّي وجه الله استعداداً لقبول عمل المسيَّا الذي سيعمِّد بالروح القدس ونار. ولكن يُصرُّ أنه "ليس المسيَّا"، بل أنه أُرسل

لِيُعد الطريق أمامه، لذلك نادى بكل حزم بالتوبة لمغفرة الخطايا. وبعدما عمَّد الشعب جاء المسيح ليعتمد من المعمدان نائباً عن البشرية كُلِّها، أو بمعنى أصح حاملاً في جسده البشرية كُلِّها ليعمِّدها بمعموديته ويهبها بر اتضاعه وبر عماده (تمهيداً لتكميل حكم الموت بها وحمل لعنة الصليب معها ليستوفي لها في جسده حكم الموت ولعنة غضب الله ليهبها سواء بمعموديته أو بموته على الصليب حكم براءة، ويمنحها بر قيامته لنوال حياة جديدة في شركة معه). وبخروجه من المعمودية تقبّل من السماء الروح القدس بهيئة منظورة لكي يكون شهادة مدعَّمة من السماء، ومسحة مقدَّسة لبدء الخدمة بصفته الابن المحبوب. وسواء المعمودية أو نزول الروح القدس عليه فهذا وذاك هو لحساب البشرية التي جاء ليعمِّدها بموته ويهبها الروح القدس بقيامته لنوال حياة أبدية فيه.



الأصحاح الرابع

- تجربة المسيح (٤:١-١١)
- خدمة الجليل الممتدَّة:

(أ) بداية الخدمة (٤:١٢-١٧)

(ب) دعوة الأربعة تلاميذ من صيد السمك إلى صيد الناس (٤:١٨-٢٢)

(ج) المسيح يعلِّم ويعظ ويشفي (٤:٢٣-٢٥)

تجربة المسيح

[٤: ١-١١]

(مر ١: ١٢و١٣،
لو ٤: ١-١٣)

خصَّ ق. متى الجزء الأول من إنجيله (١: ١-٣: ١٢) للكشف عن ظهور مسيَّا الملك. وفي (٣: ١٣-١٧) كشف عن عماد المسيح كمن يؤكِّد على حمل خطايا الكثيرين بمبادرة كهنوتية لم يستلمها من أحد، شأن كهنوت ملكي صادق: «أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (مز ١١٠: ٤)، حيث نزل الأُردن من أجلنا وحمل الصليب من أجلنا ومات وقام بنا، و«حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا، صائراً على رتبة ملكي صادق، رئيس كهنةٍ إلى الأبد.» (عب ٦: ٢٠)

أمَّا دخوله التجربة فواضح أيضاً وبالضرورة أنه من أجلنا، لأن الذي يبذل ذاته للآلام إنما يتحمَّل ضريبة كهنوتية وضعها على نفسه لما وضعها الآب عليه، وما التجربة التي عوَّل أن يدخلها بإرادته ليواجه بها الشيطان إلاَّ جزءاً أساسياً من ضريبة آلامه الكهنوتية، إذ كيف يتجرَّب وهو قدوس وبلا شر إلاَّ إذا استعار موقف الخطاة ليحارب عنهم؟ كملك يحمي شعبه وملكوته، وكاهن يقدِّس رعيَّته ويدفع عنها ضريبة آلام في مواجهة عدو يمسك عليه خطايا شعبه، عدو قوي لا يردعه إلاَّ الأقوى.

١:٤ **«ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ».**

ويلزم أن ينتبه القارئ إلى تداعي المواقف، فقد سمعنا للتو أن الروح نزل عليه مثل حمامة وها الآن نرى الروح يُصعده إلى البرية ليتجرَّب من إبليس. وسمعنا أيضاً الصوت من السماء **هذا هو ابني الحبيب** الذي به سررت، وها نحن سنسمع وشيكاً كيف التقطها إبليس ليقول له **إن كنت "أنت" ابن الله** فقُل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً، وكأن التجربة داخلة أساساً في مهام مسحة الروح القدس التي تلقَّاها من السماء كعمل كهنوتي تفوح منه رائحة الفداء. والصوت الذي أعلن بنوَّته للملك السمائي الأعظم يعضِّده في بواكير حروبه لحماية ملكوته المزمع أن يكرز به.

وسواء الروح الذي حلَّ عليه أو الصوت الذي أعلن حب الآب له، كان كل منهما تعضيداً سماوياً ليدخل بهما المعركة واثقاً من نصرة لحساب السماء والرسالة!! وهنا يكشف ق. متى عن إدراكه بوجود هذا العدو المعاند مدبِّر الكوارث والمشتكي، بكيان شخص محارب عنيد يحمل الحسد

والحقد والعداوة لكل مَنْ يحبه الله، لأنه كان معزَّزاً في السابق وأسقطته كبرياؤه، فأضمر العداوة والحرب لله ولكل عبيده. والآن وقد أدرك أن مسيًّا الذي أتى، أتى لينتزع أسراه من يده، فهو لا يملك من القوة أمامه إلاَّ الخداع والغش والمناورات للالتفاف على فريسته: «لأننا لا نجهل أفكاره» (٢كو ٢: ١١)، «البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات.» (أف ٦: ١١و١٢)

وقبل أن ندخل إلى واقع التجربة يهمنا أن نوضِّح أن المسيح بوضعه البشري مجرَّب مثلنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها (عب ٤: ١٥)، وبوضعه الإلهي كابن الله يسود على التجربة كسيادته على الموت. فكما دخل الموت و لم يُمسك فيه فقام دائساً الموت، هكذا دخل التجربة وساد عليها فكسر شوكة الشيطان. فكان يهم المسيح والروح أن يتجرَّب المسيح من الشيطان ليكسر قوة الخطية ويربط الشيطان.

+ «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية.» (عب ٤: ١٥)

وهنا يهمنا تفسير هذه الآية لأنها موضوع هذا الأصحاح، فالفارق الوحيد بين تجربتنا وتجربة المسيح أنه يتجرَّب مثلنا تماماً ولكن دون أن تدنو الخطية منه. بمعنى أننا حينما نتجرَّب من الشيطان فالتجربة تأتي علينا دخيلة، ولكن يقابلها من الداخل ضعف بشري من هوى وشهوات وغرائز وميول تتجاوب مع تجربة الشيطان، فتصبح تجربة الشيطان قابلة أن تصير فينا خطية إذا ملنا إليها. هنا المسيح لا يشاركنا هذا الضعف وهذه الميول التي تنجذب للتجربة لتصبح التجربة مدخلاً للخطية. لهذا بوعي روحي عميق يقول سفر العبرانيين إنه: «مجرَّب في كل شيء مثلنا **بلا خطية**»!! فالشيطان في تجربته للمسيح لم يفزْ ولا مرَّة واحدة بموافقة داخلية من المسيح، وبهذا انكسرت أسلحة الشيطان و لم يعد يَقْرُب المسيح إطلاقاً، حتى استطاع أخيراً أن يفوز بتلميذ من الاثني عشر، وعن طريقه دخل إلى رؤساء الكهنة وتعاهد الشيطان معهم وأعطاهم كل أسلحته من غش وكذب وخداع، فاستطاع بهم أن يأخذ على المسيح فرصة كاذبة ملفَّقة مزوَّرة للقبض عليه والمحاكمة. وقد أسماها المسيح كموقعة محدَّدة الميعاد: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو ٢٢: ٥٣). ولكن على الصليب ظفر المسيح بالشيطان وسيأتي الشرح.

٤:٢ «**فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيراً**».

هنا يذكر الإنجيل أن المسيح صام أربعين يوماً، وهذا يذكّرنا بصوم موسى على **جبل حوريب**: «وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماءً. فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر.» (خر ٣٤:٢٨)

كذلك إيليا النبي: «فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهاراً وأربعين ليلة إلى **جبل الله حوريب**.» (١مل ١٩:٨)

وفي هذين المثلين نجد الأول مشرِّعاً صام ليتلقّى شريعة الله، والآخر نبيًّا صام ليعرف من الله ماذا يعمل وماذا يقول. ويكاد هذا يشبه الوضع الذي سيدخله المسيح كمشرِّع للعهد الجديد وكنبي ومعلِّم، هكذا أحسَّ المسيح بالروح أن يصوم في خلوته مع الله ليتبيَّن مشروعه الكبير. ويبدو أن إحساسه بالجوع في الآخر كان فتحاً للباب للعدو لكي يؤدِّي مهمته الخاسرة، لهذا استطاع الشيطان أن يدنو منه ليقوم بتجربته.

٤:٣ «**فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزاً**».

هنا الشيطان لا ينكر على المسيح أن يكون هو ابن الله، بل يتحدَّاه أن يثبت ذلك. أمَّا أسلوب الشيطان في التجربة فهو أنه يقدِّم المشورة الخبيثة التي تحمل لصاحبها فخ الخطية، إما كبرياءً أو عصياناً أو نسيان الله أو الشك في محبة الله وقدرته أو وعوده، وعلى أي وجه إذا سقط الإنسان يبدأ الشيطان يشتكي الخاطئ ويزلزل ضميره بالحزن اليائس ووساوس ضياع الأمل من خلاصه، ويضخِّم له الخطية بأنها لا تُغفر ولا رجاء له في الحياة بعد. ومن أسوأ تجارب الشيطان للإنسان تجربة الاستمرار في الشكاية ضده بعد سقوطه في الخطية فهي سلاحه القاتل:

+ «وأراني يهوشع الكاهن العظيم قائماً قدَّام ملاك الرب والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه. فقال الرب للشيطان لينتهرك الرب يا شيطان لينتهرك الرب الذي اختار أُورشليم. أفليس هذا شعلة منتشلة من النار.» (زك ٣: ١و٢)

واضح هنا أن يهوشع الكاهن كان قد أخطأ وأساء إلى كهنوته فانتشله الرب من ورطته كشعلة منتشلة من وسط النار، ولكن لم يكف الشيطان عن منازعته ومقاومته حتى بعد أن أعاد الله له كرامته وقداسته، لأن وظيفة الشيطان لا تقف أبداً عند التجربة والسقوط بل تستمر بالشكاية ضد

مَنْ أسقطه باعتبار أنَّ الذي أخطأ قد صار من خواصِّه الذين لا يُفرِّط فيهم حتى لا يعودوا إلى معسكر الرب، بل يظل يطالب بحقه عليهم!!

وقد تعقَّبه سفر الرؤيا حتى النهاية: «قد طُرح المشتكي على إخوتنا الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً.» (رؤ ١٢: ١٠)

لم يتراجع الشيطان عن حقه في تجربة المسيح، لأن الذي فتح شهيته في هذا هو إسقاطه لآدم الأول وهو في حضن الله. فطالما الابن نزل إلى العالم أصبح من حق الشيطان كرئيس لهذا العالم أن يصارعه. ويلاحظ أن سقطة آدم الأول كانت عن طريق شهوة البطن والعيون، فالتجربة نجحت على آدم الأول فلماذا لا يجرِّبها مع آدم الأخير (١كو ١٥: ٤٥). ولكن لا يعلم الشيطان أن بسبب سقطة آدم الأول جاء آدم الثاني ليخلِّص الإنسان من سقطته ويرفع سبب السقوط حتى لا يعود الإنسان ـ طالما هو في طاعة الله ـ أن يسقط: «كل مَنْ وُلد من الله لا يُخطئ» (١يو ٥: ١٨). ولكي يضمن المسيح عدم سقوط الإنسان «دان الخطية في الجسد» (رو ٨: ٣)، وألغى سلطان الموت بموته، ومنح الإنسان الحياة الأبدية بقيامته. فإنسان المسيح لا تسود عليه الخطية والموت بعد. وكان أول أعمال المسيح في منهج الخلاص هذا أن يدخل التجربة نائباً عن البشرية كلها كآدم الأول ويكسر سلاح الشيطان ويوقف حركته تمهيداً لعزله عن الخليقة الجديدة.

كانت التجربة المصوَّبة على المسيح في «إن كنت "أنت" ابن الله» هي زعزعة الثقة بين الآب والابن بتحريض الابن أن يتصرَّف لا بأمر الرب بل بأمره هو كنوع من الاستيلاء على الشخصية، علماً بأن الشيطان يعلم أن المسيح الواقف أمامه هو رجل معجزات وما أبسط أن يحوِّل الحجارة إلى خبز. ألم يسمع من المعمدان أن الله قادر أن يجعل من هذه الحجارة عينها أولاداً لإبراهيم؟ فبالأقل تصير خبزاً يسد به رمقه! تجربة آدم بأكل الثمرة المحرَّمة لم يكن لها لزوم أو معنى فالشجر كله أمامه، ولكن هنا الجوع يضغط على طلب الأكل، أيّ أكل، والمكان قفر، ولكي يحصل على طعام يحتاج إلى سفر يوم وهو منهك القوى. فالتجربة أخذت أشد صور الحبك ولكنه لم ينثنِ!

٤: ٤ «فَأَجَابَ وَقَالَ: مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ».

أشهر المسيح هنا في وجه الشيطان كلمة الله! وظلَّ على هذا المستوى في الثلاث تجارب (٤)، (٧)، (١٠). واستحسن المسيح سفر التثنية ليلتقط منه أسلحته للرد على الشيطان، وكأنه يعطينا درسه الأول في حفظ الأسفار المقدَّسة للرد على تجارب العدو. فقد استند على الآية (تث ٨: ٣و٤): «فأذلَّك

وأجاعك وأطعمك المن الذي لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك لكي يعلّمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان. ثيابك لم تَبْلَ عليك ورجلك لم تتورَّم هذه الأربعين سنة!» وبهذه الآية أراد موسى أن يعلِّم الشعب أن الله كأب يعرف كيف يُطعم الإنسان ولو لزم الأمر من السماء، وكيف يرعى أعواز الإنسان وصحته كمسئولية أخذها الرب على نفسه. لهذا وجب أن يستمد الإنسان حياته من كلمة الله. ولا يغيب عن بال القارئ كيف أشبع الله شعباً يزيد عن المليونين في برية قفرة ولمدة أربعين سنة طعاماً وماءً وكساءً! الأمر الذي تعجز عنه الأمم المتحدة لسنة واحدة. وهذا هو الرد الذي قصده المسيح: أن المسيح إن كان الله أباه لا يعود يهتم بماذا يأكل أو بماذا يشرب، لأن أباه السماوي يهتم كيف يشبعه بكلمة تخرج من فمه وهي قادرة أن تحييه بل وتخلق العالم من جديد. وهكذا أعلن المسيح عن مدى أمانته لأبوَّة الله وأكد بهذا أنه حقًّا ابن الله.

٤: ٥و٦ «ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ، وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ».

أمَّا كيف أخذه الشيطان إلى المدينة المقدَّسة وأوقفه على جناح الهيكل، فليس من الضروري أن يكون قد انتقل من مكانه وإنَّما تجسَّد المنظر المعقول حتى أنه يكون طبق الأصل من الحقيقة. ويُقال إن من هذا المكان طرح اليهود يعقوب أخا الرب(١) وقتلوه، فهو المكان المحبَّب للشيطان، حيث صوَّر للمسيح كيف أن نزوله في الهواء من هذا العلو الشاهق سيكون معجزة تثبت أنه ابن الله وتقنع الناس للإيمان به. ولأن المسيح رد على الشيطان في التجربة السابقة أنه يحيا بكل كلمة تخرج من فم الله، فهنا سيُظهر للناس مدى ثقته في حفظ الله والملائكة له كابن الله. على أن الشيطان التقط من فم المسيح كلمة "مكتوب" فرد بها على المسيح هنا في التجربة الثانية «لأنه مكتوب». فإن استخدم المسيح الأسفار فلا مانع أن يستخدم الشيطان الأسفار. وقد أخذها الشيطان من المزامير التي ترعبه: «لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك على الأيدي يحملونك لئلاَّ تصدم بحجر رجلك» (مز ٩١: ١١و١٢). وشتان بين فكر الشيطان لإظهار المسيَّا وتكميل عمله والإيمان به بالمظاهر الخلابة، وبين فكر المسيح وتدبير الله بأن يكون الصليب والموت هو الطريق المؤدِّي للقيامة ولاستعلان ابن الله والإيمان به.

٤: ٧ «قَالَ لَهُ يَسُوعُ: مَكْتُوبٌ أَيْضاً: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ».

(1) Eusebius, *Eccl. Hist.* II. xxxiii.

هنا اقتبس المسيح من سفر التثنية أيضاً (٦:١٦) حينما قام بنو إسرائيل بثورة ضد موسى وهارون بسبب العطش: «لا تجرِّبوا الرب إلهكم كما جرَّبتموه في مسَّة». الحيلة الجهنمية هنا التي قدَّمها الشيطان هي محاولة إجبار الله لتقديم العناية لأولاده، فإن كان المسيح هو حقًّا ابن الله فالله حتماً سيتولَّى العناية به لو ألقى بنفسه من فوق جناح الهيكل. هذا هو تصوُّر الشيطان الذي أراد أن يفرضه على المسيح بحجة أنه ابن الله. فكان رد المسيح أن هذا يُحسب تجربة موجَّهة لله هل هو موجود أم لا؟ هل هو يحقِّق وعده الذي سبق أن تنبَّأ به المزمور بإرسال ملائكة لحفظه أم لا. ففي هذا المفهوم أولاً تشكيك في الإيمان بوعود الله، وبالأكثر تجربة الله هل يسمع أو لا يسمع. وليس مصرَّحاً للإنسان أن يختبر الله أو يجرِّبه.

٤: ٨و٩ «ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضاً إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكَ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي».

وهذه الحركة أيضاً هي بالمنظر المعقول أي يراها الإنسان كما هي حقيقة ولكن بالمنظر المعقول الذي يكشف المستورات دون حركة الجسد. وهذه هي إحدى مواهب الإنسان التي تكون نشطة عند بعض الناس أو يستخدمها الله لتوضيح الخفيات لذهن الإنسان، حيث واسطة الرؤيا لا تكون العين بل العقل، لأن العين لا ترى شيئاً إذا ارتفع الإنسان إلى مسافة عالية، فالضباب وبخار السماء والسحب المتكاثفة لا تعطي فرصة للعين أن ترى شيئاً.

+ «كانت عليَّ يد الرب وأتى بي إلى هناك في رؤى الله أتى بي إلى أرض إسرائيل ووضعني على جبل عالٍ جداً عليه كبناء مدينة ...» (حز ٤٠: ١و٢)

هكذا تُحسب الرؤيا هنا حقيقة كاشفة بقوة فائقة. فالمسيح في التجربة كان يرى بالفعل ممالك العالم لأنه يحمل قوة فائقة على الرؤية العقلية توضِّح حقائق الأمور. والذي يثبت أنها رؤية بالمنظر المعقول بمعنى أن العقل يكون نشطاً وواعياً قول الآية إنه أراه مجدها، وهنا المجد لا يُرى كشيء ولكن كموضوع يحتاج إلى خيال الفكر ليحيط به وليس مجرَّد عين تبصر. ثم تقول الآية المقابلة في إنجيل ق. لوقا إن هذا حدث في لحظة من الزمان، التي تكشف عن اختطاف العقل Rapture. ثم بعدها يقول له هذه كلها أعطيك ثمناً لسجدة واحدة أمامي، لأنها في واقعها الدنيوي هي في حوذة الشيطان رئيس هذا العالم «لأنه إليَّ قد دُفع وأنا أعطيه لِمَنْ أُريد» (لو ٤: ٦). ولكن ليَحْذَر القارئ فالعالم الذي في حوذة الشيطان ليس هو عالم الخير والصلاح والحياة الحرة الجميلة، بل عالم الخطية والإثم والرذيلة وعصيان الله والشهوات الحرام ومجد الفساد:

+ «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية.» (أف ٢: ١و٢)
+ «فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات.» (أف ٦:١٢)
+ «العالم كله قد وُضع في الشرير» (١يو ٥:١٩). أي في حوزته وقوته.

لذلك لم يكذِّبه المسيح ولا راجعه فيما في سلطانه. ولكي نخفِّض من غلواء الشيطان و ادعاء سلطانه على كل ممالك الدنيا يلزم أن يعرف القارئ أن هذا صحيح، إنما المقصود العالم والأُمم والناس والمجد الكاذب، مجد الخطية والغش والخداع الذي يقع فيه الإنسان ويصبح فعلاً أسيراً للشيطان يتكلّم بفمه ويعمل بمشورته وينتهي إلى الهلاك. فالشيطان يتكلّم هنا عن الوجه الفاسد من العالم الذي يتغيَّر إلى سيء ثم أسوأ ثم إلى بلاء وخراب وينتهي إلى غير وجود، فهو الجزء الفاني من العالم الذي لا يوجد فيه حق ولا نعمة ولا فرح حقيقي الذي سيزول حتماً. والشيطان يملك على العالم بالعقل ولكن بواسطة الرؤساء الذين يطيعونه في القسوة والظلم والغش والسرقة وإزهاق أرواح الناس. ولقد ملك في أيامنا هذه بواسطة لينين وستالين وهتلر وموسوليني وغيرهم من الذين ملكوا على رقاب الناس ثم سقطوا وانتهوا بعد أن قتلوا الملايين من الناس وخرَّبوا البلاد والذمم.

وفي المقابل يدير الله العالم بالحب والحكمة والنعمة بواسطة أولاده في الصلاح والتقوى ومخافة الله لخير البشرية ونموها وازدياد روح الحرية والحق والسلام. وبقدر طاعة الناس لصوت الحق والسلام والمحبة ينمو العالم في الصلاح ويبقى ويدوم.

من أجل هذا جاء المسيح ليغرس هذه الحقيقة في العالم ليضمن نمو العالم تحت رعاية الله مضحياً بنفسه ببذل حياته حتى الموت، موت الصليب، ليخلِّص الإنسان من سطوة الشيطان ويحرِّره من الخطية والخوف وتهديد الموت، وينقله النقلة العظمى لحياة أبدية في حضرة الله كما كان آدم أولاً وأفضل. لذلك كان رفض المسيح للسجود للشيطان بمثابة إنذار له بالهلاك بحسب مصيره المحتوم.

١٠:٤ «حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ».

وبهذا الاختيار سلَّم المسيح المشيئة للآب السماوي، وقبل البديل عن الذي وضعه له العدو وهو الآلام والصلب والموت، والتي بها أخذ النصرة الأخيرة على الشيطان والخطية والموت. لقد واجه المسيح تكتُّل قوى الشر معاً على الأرض وفي السماء، في الأرض بواسطة الذين سلَّموا حياتهم وضمائرهم ووظائفهم

لإرادة الشيطان، وفي السماء الشيطان وكل أعوانه وجنوده. وكانت حقًّا ساعة الظلمة «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو ٢٢:٥٣). ولكنه غلب الشيطان وأعوان الشيطان وعالم الظلمة وقام من الموت بسلطانه وسلطان الآب وارتفع إلى أعلى السموات ووضع الشيطان وكل ما له تحت موطئ قدميه:

+ «... وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط (ملوك ورؤساء وسلاطين) بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه ...» (أف ١: ١٩-٢٢)

من هذا نفهم لماذا قال الشيطان إنه يمكن أن يسلِّمه سلطانه على العالم كله لو هو سجد للشيطان، لأنه يعلم أن سلطانه كله مآله إلى الفناء، وأن السيادة معقودة للمسيح فوق كل سيادة. على أن المسيح كان وقت التجربة متفوِّقاً على الشيطان إذ لم يكن له خطية واحدة ولا وُجد في فمه غش، فكانت وقفته أمام الشيطان وقفة التحدِّي والاستظهار، إذ لم يكن للشيطان في المسيح شيء ولا مأخذ: «لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء» (يو ١٤:٣٠). لهذا إزاء تسكع الشيطان بطلبه من المسيح أن يسجد له كان رد المسيح أن «اذهب يا شيطان» بصيغة الآمر الناهي. فانصاع وذهب وترك المسيح «إلى حين.» (لو ٤:١٣)

٤:١١ «ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ، وَإِذَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ».

لقد رفض المسيح مشورة الشيطان أن يُلقي بنفسه من فوق جناح الهيكل بحجة أنه مكتوب أن الله أوصى ملائكته أن يحملوه ويخدموا سلامته، فكانت النتيجة بعد أن غلب المسيح كل مشورات الشيطان أن جاءت ملائكة تخدمه.

وهنا قضية لاهوتية، لأن الشيطان محسوب أنه ملاك ساقط وأعوانه كلهم ملائكة ساقطون، فاقتحام الشيطان بمجال المسيح هكذا على المستوى المكشوف كان تعدِّياً على خصوصيات المسيح من جانب الملائكة الساقطين، فبمجرَّد أن غلب المسيح وأمر الشيطان بسلطان قداسته أن «اذهب عني يا شيطان» كان ذلك بمثابة إعطاء النور الأخضر للملائكة وهم خدَّام العرش، الآب والابن، أن يظهروا في الحال لمعونة ابن الله وهو في حال تجسّده وقد أعياه الجوع والصراع مع العدو، كحاله في جثسيماني (لو ٢٢:٤٣)!! لأن الوعد قائم «أوصى ملائكته به».

خدمة الجليل الممتدة

(أ) بداية الخدمة

[٤:١٢-١٧] (مر ١:١٤و١٥، لو ٤:١٤و١٥)

٤:١٢-١٦ «وَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ أَنَّ يُوحَنَّا أُسْلِمَ، انْصَرَفَ إِلَى الْجَلِيلِ. وَتَرَكَ النَّاصِرَةَ وَأَتَى فَسَكَنَ فِي كَفْرَنَاحُومَ الَّتِي عِنْدَ الْبَحْرِ فِي تُخُومِ زَبُولُونَ وَنَفْتَالِيمَ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: أَرْضُ زَبُولُونَ، وَأَرْضُ نَفْتَالِيمَ، طَرِيقُ الْبَحْرِ، عَبْرُ الأُرْدُنِّ، جَلِيلُ الأُمَمِ. الشَّعْبُ الْجَالِسُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْصَرَ نُوراً عَظِيماً، وَالْجَالِسُونَ فِي كُورَةِ الْمَوْتِ وَظِلاَلِهِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ».

ولو أن ق. متى لا يذكر شيئاً عن الزمن الذي ابتدأ فيه المسيح خدمة الجليل، ولكن بالرجوع إلى إنجيل ق. يوحنا نجد أن بين العماد وبين الزمن الذي فيه «سمع يسوع أن يوحنا أُسلم» مدة سنة كاملة تقريباً، حيث يستمر ق. يوحنا في إنجيله يسجِّل أعمالاً للمسيح من (١:١٩) إلى (٤:٤٢)، لأنه في الآية (٤:٤٣) من إنجيل ق. يوحنا يقول: «وبعد اليومين خرج من هناك (من السامرة بعد أن ترك اليهودية) ومضى إلى الجليل». وبعدها مباشرة بدأ إنجيل ق. يوحنا يذكر أعمال الفصح الثاني سنة ٢٨م بعد خدمة المسيح بالجليل (٥:١). علماً بأن أخبار الفصح الأول ذكرها إنجيل ق. يوحنا في (٢: ١٣-٢٣). وبذلك يمكن أن نحدِّد بدء خدمة المسيح الأُولى في الجليل سنة ٢٧م، والتي ذكرها إنجيل ق. يوحنا هكذا: «هذه بداءة الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل (عرس قانا) وأظهر مجده فآمن به تلاميذه. وبعد هذا انحدر إلى كفرناحوم هو وأُمه وإخوته وتلاميذه وأقاموا هناك أياماً ليست كثيرة. وكان فصح اليهود قريباً (الفصح الأول) فصعد يسوع إلى أُورشليم ...» (يو ٢: ١١-١٣). وبعد ذلك بسنة كاملة ذهب إلى الجليل مرَّة أخرى (يو ٤:٤٣).

بهذا نفهم أن إنجيل ق. متى لم يذكر سنة كاملة من خدمة المسيح في اليهودية بالنسبة لما جاء في إنجيل ق. يوحنا من الفصح الأول (سنة ٢٧) إلى الفصح الثاني (سنة ٢٨)، كذلك لم يذكر ق. متى

أخبار أعمال يوحنا المعمدان الذي بدأ خدمته من صيف سنة ٢٦م. فكون ق. متى يذكر القبض على يوحنا المعمدان هنا في بداية خدمة المسيح في الجليل، مع عدم ذكره ما بين سنة ٢٧و٢٨م يكون قد مضى على بدء خدمة المعمدان حوالي ١٨ شهراً لم يذكرها ق. متى، إذ ابتدأ خدمة الجليل من بعد سماعه أن المعمدان قد أُسلم.

ولكن يلزم جداً أن ينتبه القارئ لأن ق. متى يذكر كيف مات المعمدان وقصة هيرودس وهيروديا هناك في الأصحاح الرابع عشر. ولكنه ضم عمل المسيح بعد سماعه بموت المعمدان على أعمال المسيح التي سبق أن ذكرها في الأصحاح الرابع (١٣).

ولكي يستدرك القارئ ذلك أثناء قراءته سأذكر هنا بداية خدمة المسيح في الجليل كما جاء في (٤:١٣) ثم بداية خدمة الجليل أيضاً كما جاءت في (١٤: ١٢-١٤):

+ «ولمّا سمع يسوع أن يوحنا أُسلم انصرف إلى الجليل وترك الناصرة وأتى فسكن في كفرناحوم ... من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.» (٤: ١٢و١٧)

+ «فتقدَّم تلاميذه (تلاميذ يوحنا) ورفعوا الجسد ودفنوه ثم أتوا وأخبروا يسوع. فلمَّا سمع يسوع انصرف من هناك في سفينة إلى موضع خلاء منفرداً. فسمع الجموع وتبعوه مشاة من المدن. فلمَّا خرج يسوع (من السفينة) أبصر جمعاً كثيراً فتحنَّن عليهم وشفى مرضاهم. ولمَّا صار المساء تقدَّم إليه تلاميذه قائلين: الموضع خلاء والوقت قد مضى. اصرف الجموع لكي يمضوا ...» (١٤: ١٢-١٥) وصنع هناك معجزة الخمس خبزات والسمكتين.

هذا التداخل سببه أن القديس متى أجَّل طريقة موت المعمدان عشرة أصحاحات لذلك كرَّر جملة «فلمَّا سمع يسوع انصرف إلى نواحي الجليل» مرَّتين، وهكذا تسحَّب الكلام في كل مرَّة منهما إلى بداية خدمته في الجليل.

«كفرناحوم»:

هي بلدة صغيرة، ولكن الأمر الجديد على القارئ أنها هي نفس البلد التي كان يعمل فيها "لاوي" ـ الذي هو متى نفسه ـ عشَّاراً أو جابياً للضرائب كما ورد في (٩:١و٩): «فدخل السفينة واجتاز إلى مدينته (كفرناحوم) ... وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى فقال له: اتبعني. فقام وتبعه». واضح من هذا الموقف الواضح الفريد أن ق.

متى من البلد التي عاش فيها المسيح، هذا يعني بالضرورة أن المسيح يعـرف متـى معرفـة قريبـة وربمـا حميمة، وأنها دامت مدة طويلة قبل أن يدعوه للتلمذة. ومن هذه البداية يتكشَّف لنـا سـر إنجيـل ق. متى وسر الأقوال: "λόγια" التي أخبر بها الأسقف بابياس كيف جمعهـا ق. متـى باللغـة العبريـة أو الأرامية أي من فم المسيح مباشرة، وكيف صارت مصدراً هاماً للغاية لكل كتبـة الأنـاجيل، وكيـف أخذوا منها وألَّفوا أناجيلهم بتكميل مـن مصـادر أخـرى. ولكـن كـان مصـدر ق. متـى في "أقـوال المسيح" هذه أول وأهم وربما أعظم تراث تقليـدي، الـذي أكملـه ق. متـى بعـد ذلـك ليعـدَّه إنجيـلاً كاملاً للعبرانيين سواء المحليين في اليهودية أو في المدن التي كـان يسـتوطنها يهـود بكثـرة، كأنطاكيـة ونواحي آسيا الصغرى، التي يُقال إن ق. متى بشَّر فيها وإنجيله بيده!! (انظر المقدِّمة صفحة ٢٠).

ولكن لم يَلْقَ المسيح من كفرناحوم بعد خدمته فيها أي راحـة أو قبـول: «وأنـتِ يـا كفرنـاحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية. لأنه لو صُنعت في سدوم القوات المصنوعة فيكِ لبقيت إلى اليوم. ولكن أقول لكم: إن أرض سدوم تكون لها حالة أكثر احتمالاً يوم الدين مما لكِ.» (مت ١١: ٢٣و٢٤)

ومعروف أيضاً أنه في موقع هذه المدينة وما حولها بـدأ المسـيح يدعـو تلاميـذه الأوائـل: بطـرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا صيَّادي السمك ليكونـوا صيـادي النـاس، وهـؤلاء سـيأتي ذكرهـم في: (مت ٤: ١٨-٢٢)

وكانت كفرناحوم مركز خدمة المسيح في الجليل وفيها صنع معظم معجزاته: معجزة شفاء عبـد قائد المائة وشفاء حماة بطرس (٨: ٥-١٥)، كذلك شفاء المفلوج الذي دلُّـوه مـن السـقف (٩: ١)، وإقامة ابنة رئيس في السنهدرين (٩: ١٨)، وشفاء الأعميين (٩: ٣٠)، وشفاء الأخـرس المجنون (٩: ٣٣)، وشفاء صاحب اليد اليابسة (١٢: ٩) وسمكة بطرس ذات الأستار لدفع الجباية (١٧: ٢٤-٢٧).

وطول إقامة المسيح في كفرنـاحوم كـان يواظـب علـى حضـور عبـادة السـبت في المجمـع وإلقـاء العظات المشهورة على العابدين، مثل عظة أنا هو خبز الحياة (يو ٦: ٢٤-٦٥). علمـاً بـأن ق. متـى دعا كفرناحوم "بمدينته" (٩: ١).

وقد استُكشفت آثار كفرناحوم وأُعيد مجمعها تقريباً واكتُشفت الأبنية هناك من القرن الثـاني أو الثالث، ويُعتقد أن بأسفلها بقايا مجمع القرن الأول الذي حضر فيـه المسيح الصلوات والـذي كـان رئيسه هو الذي شفى المسيح ابنته. والمعروف أن مجمع كفرناحوم كان يُعتبر المركز الأساسي لليهـود في المنطقة. وفي سنة ١٩٠٥ قام الفرنسيسكان بحفـائر اكتشفوا بهـا تحـت "تـل حـوم" آثـار مدينـة

كفرناحوم على بُعد ٢,٥ ميل غـرب مصب نهر الأُردن النـازل من مرتفعات الشـمال إلى بحيرة جنيسارت. وكانت كفرناحوم مركز تحركات المسيح لكل منطقة أرض زبولون ونفتـاليم المذكـورة في إشعياء التي كانت في ظلمة وظلال الموت بالمفهوم الروحي فأشرق عليها نور عظيم، وهي المنطقة التي تحوي كل المدن والقرى التي خدم فيها المسيح. حيث شاطئها كان كثيف **السكان وعلى طريق التجارة من سوريا إلى البحر الأبيض.** ولكن للأسف فخدمة المسيح بالتعليم والآيات لم تنفـع شيئاً لقوم سدُّوا آذانهم وأغلقوا عيونهم ولم يتوبوا، وقد تمَّ خرابها بالفعل حتى بقي موقعها غير محدَّد لمدَّة قرون طويلة(٢).

والقديس متى يستشهد بنبوَّة إشعياء (٩: ١و٢) كيف جاء وسكن واستوطن النور بـلاد الظلمـة وظلال الموت (مت ٤:١٣)، ولكن حينما صبَّ سخطه على كفرناحوم ظهرت بقية نبـوَّة إشـعياء: «الأراميين من قُدَّام والفلسطينيين من وراء فيأكلون إسرائيل بكل الفم. مع كل هـذا لم يرتـدَّ غضبـه بل يده ممدودةٌ بعد. والشعب لم يرجع إلى ضاربه، ولم يطلب رب الجنود، فيقطع الرب من إسـرائيل الرأس والذنب النخل والأسل في يوم واحد.» (إش ٩: ١٢-١٤)

والأقسام الخمسة التي ذكرها إشعياء: أرض زبولون، وأرض نفتاليم، **طريق البحر، عبر الأُردن،** جليل الأُمم هي الأقسام الأساسية التي يتكوَّن منهـا الجليل الأعلى. فـأرض **زبولـون** كـانت غـرب البحيرة (بحر الجليل) وكانت مرتبطة بالشمال بـأرض **نفتـاليم.** أمَّـا المنطقـة المتاخمة **للبحـر «طريـق البحر»** فكانت غرب زبولون ونفتالي وتمتد من الشمال إلى الجنوب على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط. أمَّـا أرض شـرق الأُردن فهـي **«عـبر الأُردن»** والحـدود الشـمالية كـانت تسـمَّى **«جليـل الأُمم»** لأن معظم سكَّانها وثنيون. وكل سكان هذه المناطق الخمسة هم الذيـن قيـل عنهـم الشـعب السالك في الظلمة.

أمَّا قول إشعياء الشعب السالك في الظلمة والجالسون في أرض ظلال الموت: كانت الأُولى كناية عن البعد الشديد عن الله وحالة اليأس، والثانية كناية عن الخوف والرعبـة والخطـر المحـدق بهـم مـن الغزو والنهب. وهكذا وعلى غير انتظار منهم أشرق عليهم نور عظيم، وهو نور معرفـة الله ورجـاء الحياة والخلاص بيد يسوع المسيح.

---

(2) G.E. Wright, *Biblical Archaeology,* 1957, p. 237; J.S.Irvine, article on Capernaum in *Encyclopaedia Britannica* 1969, vol IV, p. 826, cited by W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 242.

٤: ١٧ «مِنْ ذلِكَ الزَّمَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ».

«ملكوت السموات»: ***malkûth shâmâyim***

نعرف أن ق. متى عبراني، لاوي ابن التوراة، وبتحقيق بعض العلماء رابي محنَّك ومتعلِّم. فكان بحسب تقليد القراءة في التوراة يتحاشى اسم الله ولا يذكره، لأن عقوبة ذلك كانت الموت. فاستبدله بـ"السموات" التي تحصر المفهوم العام لله، ومعناه حكم وسيادة سلطان الله إلى الأبد. وكل مَنْ يخضع لسلطان الله ويطيع بوعي حكم الله فإنه يصير من شعب الله. وطلب ملكوت الله هو طلب أن يشمل كل الناس، هذا مفهوم العهد الجديد. لذلك فنداء المسيح بقرب ملكوت الله كان بشارة بسيادة سلطان وحكم الله على إسرائيل والعالم.

وكانت مناداة المسيح بذات الكلمات التي بشَّر بها يوحنا المعمدان (٣: ٢) التي لم تكن تحمل من القوة والمعاني والتحقيق الباهر ما حملته رسالة المسيح، فالتغيير والتجديد الذي جاء به المسيح الذي أبهر كل مَنْ سمع له، والأثر الذي تركه سار بقوة دفع هائلة اكتسحت ظلمة العالم وليس أرض زبولون، وأنارت الحياة والخلود لكل مَنْ قَبِلَ الرسالة في كل أُمم الأرض وليس أرض نفتالي. وقد تحقَّق قول المسيح إنه اقترب ملكوت الله إلى الحد الذي تساءل فيه الإنسان الذي ذاق وشهد: هل اقترب فقط أم نحن الآن ننعم بكل نوره وبهائه؟ فالذي يعيش بالروح يدرك أن ملكوت الله حقاً داخله وليس على قرب وحسب.

على أن ملكوت الله سواء في الكرازة به أو الإحساس الفعلي به لا يأتي بمراقبة، ولا يأتي فجأة ولا ينفتح علينا أو ننفتح نحن عليه بصورة واعية، بل يمتد نوره وإشعاعه ويسحف ليشمل الكيان كما يسحف نور الشمس دون أن نلحظه حتى يملأ الدنيا. ولكن في كل الأحوال أهم صفاته هي النمو الوئيد الأكيد كنمو البذرة الصغيرة حتى تصير شجرة تنمو دائماً وكل يوم ولكن من العسير أن تلحظ العين مقدار نموها. فانظر كيف استقبله التلاميذ بالأسئلة والاستفسار، وبصعوبة استطاعوا أن يدركوا حقيقته ثم معناه، ثم آمنوا ثم نادوا وكرزوا أولاً بين اليهود فكانوا في منتهى الحذر وبطء القلب في الإيمان بالرغم من الشواهد والبراهين والشهود، ثم إلى الأُمم؛ أولاً فرادى ثم عائلات ثم جماعات ثم مدن ثم إلى أقصى الأرض ثم النهاية!! فالذي يحمل النهاية داخله هو ملكوت الله نفسه حينما يجد له وجوداً وكياناً يتكافأ مع قوته ويغطِّي مفهومه ويبلغ أقصى تعبيره بين الإنسان وفيه. ولكن سيظل الملكوت كما بدأ غريباً عن العالم، مرفوضاً من القلوب التي أفرغها الشيطان من الإحساس بالحق.

(ب) دعوة الأربعة تلاميذ من صيد السمك إلى صيد الناس

[٤: ١٨-٢٢] (مر ١: ١٦-٢٠، لو ٥: ١-١١)

٤: ١٨-٢٠ «وَإِذْ كَانَ يَسُوعُ مَاشِياً عِنْدَ بَحْرِ الْجَلِيلِ أَبْصَرَ أَخَوَيْنِ: سِمْعَانَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بُطْرُسُ، وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ يُلْقِيَانِ شَبَكَةً فِي الْبَحْرِ، فَإِنَّهُمَا كَانَا صَيَّادَيْنِ. فَقَالَ لَهُمَا: هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَا صَيَّادَيِ النَّاسِ. فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا الشِّبَاكَ وَتَبِعَاهُ.».

أول ثمرة الكرازة بملكوت الله، وأول استجابة للدخول تحت مظلته.

كان التلاميذ الأربعة الأوائل صيَّادي سمك منهمكين للغاية في مهنتهم. هؤلاء كانوا أول سمة من سمات الملكوت. فهو لم يختر أناساً متفرغين أو علماء وأرباب دين كما كان يعتقد كل علماء إسرائيل ومعلميها. «فأجابهم الفرِّيسيون ألعلَّكم أنتم أيضاً قد ضللتم. ألعل أحداً من الرؤساء أو من الفرِّيسيين آمن به. ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون» (يو ٧: ٤٧-٤٩). كانوا الأربعة على الشارع والسوق والجهاد اليومي من أجل لقمة العيش، ولكن في صحبتهم للمسيح تولَّد عندهم رغبة ملحَّة للانطلاق معه دون أي اعتبار للمستقبل، وبلغت الشرارة أقصى حرارتها لحظة أن دعاهم المسيح فلبُّوا الدعوة في الحال. من هؤلاء الصيادين خرجت ليست عينة الملكوت وحسب بل الكارزون المعلمون للملكوت وكهنة ورؤساء الكنيسة.

لم يكن فيهم واحد يشبه الآخر، فلم تكن عينة متجانسة في شيء، الشجاع بجوار الرعديد، وصاحب الآمال بجوار المتخاذل. ومن كل العينات تكوَّنت عجينة الكنيسة التي خمرها الروح القدس لتصبح كلها أمثلة نادرة فائقة في العلم والمعرفة والروح والحب والبذل، لتشكِّل أجمل صورة للملكوت والمَثَل الأول للكنيسة.

لم ينظروا وراءهم وهانت عليهم كل خيراتهم وملكياتهم وبيوتهم ومهنتهم: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك»!! (مت ١٩: ٢٧). قلَّدوه أكثر مما هو علَّمهم «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩)، وبرعوا في التسامي بإمكانياتهم الهزيلة فصاروا رؤوساً بل ملوكاً وكهنة

لله العلي!! فقرَّبهم المسيح إليه وإلى قلبه «أحبَّ خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى» (يو ١:١٣). أعطاهم من نوره فاستناروا وأناروا وشهد لهم المسيح «أنتم نور العالم» (مت ٥:١٤). وتعلّموا منه الحكمة فصاروا ملح الأرض (مت ٥:١٣). عاشروا حجر الزاوية فصاروا كلهم بنائين وصانعي أساسات.

«هلمَّ ورائي»: δεῦτε ὀπίσω μου

هي كلمة سر الملكوت ما أن سمعها أحدٌ إلاّ وترك كل شيء وتبعه في الحال!! «ومَنْ التصق بالرب فهو روح واحد» (١كو ٦:١٧). لقد سلّمهم كل شيء، سلّمهم معرفة الآب واسمه ليصير فيهم الحب الذي أحبَّه به الآب، وسلّمهم آلامه وموته وقيامته وحياته. وأخيراً نفخ فيهم من روحه فصاروا كارزين بالملكوت.

«صيادي الناس»:

لا البحر تركوه ولا الشباك أهملوها، بل غزلوا لأنفسهم من الإنجيل شباكاً عديدة وخرجوا إلى بحر العالم يطرحون شباكهم لحساب الملكوت. يصارعون أمواج العالم العالية، وبمصابيحهم الموقدة يضيئون المسكونة. قلّة مستضعفة تركها المسيح بعد أن أعطاهم سر الملكوت فصاروا له أساسات كريمة وأبواباً من لؤلؤ «وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثني عشر.» (رؤ ٢١:١٤)

٤:٢١و٢٢ **«ثُمَّ اجْتَازَ مِنْ هُنَاكَ فَرَأَى أَخَوَيْنِ آخَرَيْنِ: يَعْقُوبَ بْنَ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخَاهُ، فِي السَّفِينَةِ مَعَ زَبْدِي أَبِيهِمَا يُصْلِحَانِ شِبَاكَهُمَا، فَدَعَاهُمَا. فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا السَّفِينَةَ وَأَبَاهُمَا وَتَبِعَاهُ».**

الواقع هنا أن هذين التلميذين لم يكونا يصطادان بل يصلحان شباكهما، وأخذا الدعوة وكانا على استعداد ليتركا كل شيء ويتبعاه. وهكذا كانت طاعتهما حاضرة وكاملة. ولكن ظلاّ من حين إلى حين يساعدان أباهما الذي كان له خدم يعملون معه (مر ١:٢٠).

ولكن نستفيد من إنجيل ق. يوحنا أن كلاً من أندراوس (أخي بطرس) ويوحنا (أخي يعقوب) كانا في السابق تلميذَين ليوحنا المعمدان وتركاه وتبعا المسيح: «وفي الغد أيضاً كان يوحنا واقفاً هو واثنان من **تلاميذه**، فنظر إلى يسوع ماشياً فقال: هوذا حمل الله، فسمعه التلميذان يتكلّم **فتبعا يسوع**، فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما: ماذا تطلبان؟ فقالا: ربِّي. الذي تفسيره يا معلّم أين تمكث. فقال لهما: تعاليا وانظرا، فأتيا ونظرا أين كان يمكث، ومكثا عنده ذلك اليوم وكان نحو

الساعة العاشرة. كان أندراوس أخو سمعان بطرس واحداً من الاثنين اللذين سمعا يوحنا وتبعاه.» (يو ١: ٣٥-٤٠)

ومعروف أن يوحنا كان من أوائل الذين تبعوا المسيح، ونحن نسمع أنه أخذه معه في أول أعماله ومعجزاته في عرس قانا الجليل (يو ٢:٢) وذهب معه إلى كفرناحوم: «وبعد هذا انحدر إلى كفرناحوم هو وأمه وإخوته وتلاميذه» (يو ٢:١٢). ورافقه أيضاً إلى أورشليم (يو ٢: ١٧و٢٢).

ومعروف أن المسيح في اختياره لتلاميذه كان يكمِّل الاختيار على ثلاث مراحل[3]. فالدعوة الأُولى المبدئية مثل (يو ١:٣٥)، ثم ترك العائلة والعمل للالتحاق بالمسيح (مت ٤: ١٨-٢٢، مت ٩:٩ إلخ) وأخيراً انتخاب الاثني عشر ليكونوا رسلاً (مت ١٠: ٢-٤).

ولكن الذي يهمنا توضيحه هنا هو قدرة المسيح في احتذاب تلاميذه سواء من فوق سفينة صيد أو مكان جباية. فهو كان حقًّا وبالحقيقة قوة سرِّية للملكوت الذي كان ينادي به. من هنا جاءت صفة البشارة عامة أو اسم الإنجيل εὐαγγέλιον أنه الأخبار المفرحة، فالفرح الذي كان يخبر به المسيح هو نفسه، هو حبه، هو روحه، وكان يجول الشوارع والحواري سائراً على قدميه ولكن منظره السرِّي لم يختلف كثيراً، فهو من حضن الآب كان يتكلَّم وإلى يمينه كان يدعو، فمن ذا كان يسمعه ولا يفرح ثم ينجذب؟ ولكن لو كان هذا هو الأمر لكانت الأخبار السارة والدعوة للملكوت محدودة، ولكن في الحقيقة كان كل مَنْ ينجذب إليه يفرح ويمتلئ غيرة داخلية وحبًّا يلهب القلب، وبنفس التأثُّر والتأثير يدعو هو أيضاً: الكلام حلو والدعوة حلوة والسير وراؤه كما يكون أسعد حلم، مَنْ يحظى به لا يشاء أن يقوم منه. وإن كان هذا هو المسيح والإنجيل فقط فهو يمكن أن ينحصر وسط جماعة عاشقة للروح وحسب، ولكن والقديس مرقس قد اكتشفها أن المسيح والإنجيل كل منهما له جاذبية، لذلك قال هكذا بلسان المسيح نفسه: «ليس أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أُمًّا ... لأجلي ولأجلِ الإنجيل إلاَّ ويأخذ مئة ضعف ...» (مر ١٠: ٢٩-٣٠). فالسماع صنارة طالما علقت في القلب اختطف القلب وبعد رعشة قليلة تستقر السمكة في كف الصيَّاد. عجيب هو المسيح وعجيب هو إنجيله، فهما الدعوة التي ملأت ملكوت السموات بأكبر وأعظم سمكات بحر العالم الفسيح. كانت كلمة السر اتبعني ومَنْ تبعه وصل في الحال. كيف؟ لأنه هو الباب وهو الطريق كله وهو الحياة الأبدية!! «ومَنْ يُقبل إليَّ لا أُخرجه خارجاً.» (يو ٦:٣٧)

(3) H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 105 f.

(ج) المسيح يعلّم ويعظ ويشفي

[٤: ٢٣-٢٥] (مر ١:٣٩، لو ٤:٤٤)

٤:٢٣ «وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ فِي الشَّعْبِ».

هنا يكشف ق. متى أن المسيح في تعاليمه ووعظه لم يقتصر على كفرناحوم، بل امتدت خدمته لتشمل "**كل الجليل**". وهنا كل الجليل ليس أمراً هيناً فمساحة الجليل هنا بحسب العالِم د.أ. كارسون(٤) تقدر بـ ٧٠×٤٠ ميلاً، وبحسب يوسيفوس المؤرِّخ اليهودي تحوي ٢٠٤ مدينة وقرية كل واحدة منها لا تقل عن ١٥ ألف نسمة، وهذه الأرقام مقصورة على المدن والقرى المحاطة بأسوار وأبواب، ومجموع تعداد سكان الجليل لا يقل عن ٣ مليون نسمة. هذا يعني بحسب احصائيات الخدمة أن المسيح كان عليه أن يخدم قريتين كل يوم. والذي سهَّل مهمته أن وعظه كان يكرره بصورة متعدِّدة وكانت الخدمة داخل المجامع توفِّر عليه كثيراً من الترحال.

ولكن الذي ينبغي أن ندركه هو أن يقول المسيح إن ملكوت الله قد قرب، كان هو يصنع هذا القرب بنفسه، بوعظه المفرح المذهل وآيات شفائه ومعجزاته، فكانت حضرة المسيح هي بعينها حضرة الملكوت. واستحالة أن يكون الملكوت أقرب للإنسان من وجود المسيح معلِّماً وشافياً ومبشِّراً بالفرح السماوي.

«يعلِّم»: διδάσκων

ويعلِّم غير "يكرز κηρύσσων" بالإنجيل أي البشارة بالملكوت. فالتعليم هو تعليم مبادئ وأصول العبادة وطاعة الله والتعامل مع وصاياه. فالتعليم هو كشف المناهج الروحية التي ينبغي أن يلتزم بها الإنسان تجاه الله، مع توضيح دقائق السلوك مع الناس.

أمَّا الكرازة فهي المناداة بالصوت العالي عن قرب الملكوت، فهي نوع من البشارة أو الإنذار

(4) D.A. Carson, *Matthew*, p. 120.

للاستعداد أو **الإعلان** عن وقوع أمر عام للخلاص، أو **الدعوة** لاستقبال تدبير الله.

ويلاحظ أن ق. متى يذكر **التعليم في المجامع** والكرازة في الطرق والبيوت. فقوة المسيح العظمى كانت في تعليمه أكثر من المعجزات، فالمعجزة تنتهي أما التعليم فيبقى إلى الأبد. فالمسيح في حقيقته كان معلّماً أكثر منه كارزاً، بل وكان اللقب المحبوب لديه ولدى جميع الناس وحتى الأعداء أنه **"المعلّم"**: «أنتم تدعونني معلّماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك» (يو ١٣:١٣). وحينما اختص المسيح المجامع في الجليل كله للتعليم كان هذا إشارة قوية أن الكنيسة هي مكان التعليم بلا نزاع وأن العلم الإنجيلي والتعليم بكل صوره اللاهوتية والمعلمين بكافة تخصصاتهم إنما ينتمون إليه أشد الانتماء. ولا يمكن أن ننسى آخر وصية سلّمها للتلاميذ والكنيسة والعالم: «علّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به.» (مت ٢٨:٢٠)

أمّا جوهر التعليم الذي اختص به المعلّم فكانت "إرادة الله" في اتساعها الأخلاقي لتربية النفس على حب الله ومخافته ومساعدة القريب والعطف والبذل على مساكين الأرض. ثم تعليم كل ما هو عند الآب الذي يرفع عن الإنسان إحساس العبودية:

+ «أنا قد أعطيتهم كلامك.» (يو ١٧:١٤)
+ «لا أعود أُسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سمّيتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي.» (يو ١٥:١٥)

«ويكرز ببشارة الملكوت»:

أي الإنجيل المختص بالأخبار السارة التي توضّح نصيبنا المجاني في ملك الله. الذي يكمّل ويختم على خلاصنا. أمّا بِنْيَة الملكوت وحقيقته المعاشة فهي الكنيسة!! التي تسير مرتحلة عبر الزمن ومسترشدة بروح الله وتحت حكمه حاملة أولادها في جسدها نحو النهاية السعيدة، ومعها مفاتيح ملكوت السموات، وتصنع مع أولادها "العالم المفدي": غاية عمل المسيح ومنتهى حب الآب:

+ «وعلى هذه الصخرة (الإيمان) أبني كنيستي (حجارة حيَّة).» (مت ١٦:١٨)
+ «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية.» (أف ٢:٢٠)
+ «لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح.» (أف ٤: ١٢و١٣)

والكرازة هنا هي فتح ثغرات في جدار العالم وأسواره العالية التي تحجز النور عن العائشين في

ظلمة العالم. فإن كان التعليم بالكلمة فالكرازة بالفعل وبالصراخ حتى يتيقظ وينجو الذين يسيرون في طريق الموت والهلاك، هي بشارة بأخبار سارة ومفرحة لتجذب الذين أضلهم العالم بجماله الكاذب وتنتزعهم من براثن الهلاك، من موبقات وعادات وأعمال الخزي والفجور واللهو الصاخب والضحك الكاذب والمسرات القاتلة. لذلك فالكارز يرفع صوته عالياً ليدخل إلى الأُذن والقلب الذي يعيش في اللهو، ليس كأنه صوت بوق أو ميكروفون، بل صوت الروح القدس وهو أعلى، في صراخ الكارز من القلب بالدموع، بالحب، بالتوسُّل حتى يستيقظ النائم في موت الخطية ويقوم. التعليم يحتاج إلى رزانة الكلمة والفكر وهدوء النفس، أمَّا الكرازة ببشارة الملكوت فتحتاج إلى صوت حديدي يقرع على أوتار حسَّاسة، وإلى تغيير الصوت من الهادئ إلى العالي ليرحم الخاطئ عذاب الكارز فيفيق ويستجيب. والمُعلِّم في التعليم يحدِّث الفكر والقلب والضمير، يبني بالروح ليكوِّن فكراً جديداً وقلباً مستنيراً وضميراً طاهراً، حيث تُبنى النفس على صورة خالقها. أمَّا الكارز فكل همِّه أن يفتح الأُذن المسدودة والقلب المغلق ويسترد الروح الغائبة ويحجز الرِجْلَين من الزلق ويوقف السائر على طريق الموت ليفكِّر مرَّة ومرَّات قبل أن يخطو خطوة الموت. وباختصار فإن عمل الكارز بالبشارة هو عمل رَجُل إسعاف وطبيب وجندي وبابا نويل يحمل الهدايا: «ما أجمل أقدام المبشِّرين بالسلام المبشرين بالخيرات.» (رو ١٠:١٥)

«ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب»:

هنا التركيز على "**كل**" بالنسبة للمرض وبالنسبة للضعف، هذه الكلية المطلقة هي التي تكشف عن وسيلة الشفاء ومستواه. فالوسيلة هي إعادة الصحة إلى ما كانت عليه بنوع إعادة الخلق للجزء الناقص كالأعمى والأعرج والجزء المريض الذي لفظه الجسم. هو خَلْق بكل معنى يقصر عنه كل دواء وكل طبيب، فليس مرض ما مهما كان، يقف غير مستجيب للمسة المسيح أو نطق فمه. وليس من ضعف ما يمكن استثناؤه من عمل قوة المسيح وسلطان شفائه. وأظهر المسيح وسيلة للشفاء سرية جداً هكذا: «ثق يا بني مغفورة لك خطاياك» (مت ٩:٢)، فهو يعالج العلة الأُولى لمرض الخليقة وانحرافها عن خط طبيعتها الملتزمة به.

وهكذا دخل شفاء المرض والضعف في صميم رسالة المسيح للخلاص بغفران الخطايا. وهكذا بعمليات الشفاء الباهرة أثبت المسيح بدون كلام أن ها هو ملكوت الله، الإنسان يعود صحيحاً مُعافى النفس والجسد والروح مغفور الخطايا لحضن الله، وشفاء جميع الأمراض وغفران جميع الخطايا إشارة إلى الخلقة الجديدة بالنهاية.

والمسيح ولا إلى مرَّة واحدة سأل المريض إن كان يهودياً أو أُممياً، بل وفي كثير من المواقف شفى اليهودي والسامري معاً من البرص، وذكر إيمان الأُممي أنه ولا في إسرائيل كلها مثله! وهكذا أعطى صورة غاية في الصدق والأصالة لملكوت الله. وأثبت حقاً أنه «مخلّص العالم» (يو ٤٢:٤، ١يو ١٤:٤) لحساب ملكوت الله!

٢٤:٤ «فَذَاعَ خَبَرُهُ فِي جَمِيعِ سُورِيَّةَ. فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السُّقَمَاءِ الْمُصَابِينَ بِأَمْرَاضٍ وَأَوْجَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَالْمَجَانِينَ وَالْمَصْرُوعِينَ وَالْمَفْلُوجِينَ، فَشَفَاهُمْ».

ويقصد ق. متى بـ«جميع سورية» المناطق الشمالية من فلسطين التابعة لسوريا، وكانت كلتا الولايتين تحت الحكم الروماني، وهي تشمل في الشمال منطقة أنطاكية ودمشق حيث كان يقطنها اليهود بكثرة بعضهم بإرادته وبعضهم كانوا قد رُحِّلوا إلى هذه المناطق بالقوة، وكانت كلها مرتبطة اجتماعياً وروحيا بالأصل اليهودي من أقارب وأنساب، وكان هناك طريق مُمهَّد جيد يربط هذه المناطق بالمدن الجنوبية من الجليل. وكفرناحوم كانت واقعة على الطريق الرئيسي الممتد حتى أنطاكية ودمشق. كذلك كان هناك طريق رئيسي آخر يربط هذه المناطق بساحل البحر الأبيض حتى صور وبالجليل إلى غزة فمصر، وكلها كانت ممهَّدة بواسطة الدولة الرومانية لتوصل البلاد بروما، ومنها جاء المثل "كل الطرق تؤدِّي إلى روما". وهكذا كان يتقاطر اليهود من الشمال ليروا المسيح ويتعلّموا ويُشفَوا من جميع أسقامهم بكل صنوفها. والقصد من تعداد أنواع الأمراض هو أن المسيح لم يعسر عليه أي مرض من الأمراض. فكما قلنا لم يكن طبيباً ليمرِّض الأجساد وحدها ولكن كان الشفاء يأتي من الجذور بمغفرة الخطايا وانتزاع القوة الشريرة التي كانت سبباً في أمراض كثيرة (٩:٣٣، ١٢:٢٢، ١٧:١٥). وكان الصَرَع مرضاً منتشراً في تلك الأيام (١٧:١٥) وكان يُعْزَى للمسّ بالأرواح، وكان يُشفى في الحال دون عودة إلى المرض. وكأن المسيح كان في حرب حقيقية مع أعداء الإنسان بالأشفية والتعليم سواءً بسواء، لأن الجهل والبعد عن الله كان السبب الرئيسي لهذه الأسقام التي لا تنتهي. وبهذا كان يبشِّر بالكلمة ويفعل بالأشفية لإعداد الإنسان لملكوت الله: «إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله.» (١٢:٢٨)

٢٥:٤ «فَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْجَلِيلِ وَالْعَشْرِ الْمُدُنِ وَأُورُشَلِيمَ وَالْيَهُودِيَّةِ وَمِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ».

والعشر مدن كان الإقليم المتاخم لليهودية والسامرة من الشرق عبر الأُردن وكانت مدنه معروفة وقد خدم فيها المسيح: جدارا وأبيلا وسكيثوبوليس وهيبوس وجيرازا وفيلادلفيا وقناطا وبلا وديون

ودمشق. وطبعاً أُورشليم وباقي اليهودية سمعت به. فكل هذه البلاد أتى منها كثيرون فجعلوا الازدحام حول المسيح شديداً. وكم مرَّة يصرِّح الإنجيل أن المسيح والتلاميذ لم يكن لهم لا المكان ولا الوقت ليأكلوا الخبز، وكانوا يرحلون وراءه أينما رحل. نفس المنظر الذي نسمعه أنه يحدث فوق في سفر الرؤيا: «هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب. هؤلاء اشتُرُوا من بين الناس (بالدم) باكورة لله وللخروف» (رؤ ١٤:٤). والله القدير يجعل للقارئ نصيباً مع السائرين التابعين للخروف.

فالتعليم كان إعجازياً كالأشفية وما سمعه إنسان إلاَّ وارتبط به: «لم يتكلَّم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان» (يو ٧:٤٦) لأنه كان كلاماً شافياً للعقل والجسد والنفس: كلام أو إنجيل الملكوت εὐαγγέλιον τῆς βασιλείας وكانت سمته الأُولى الفرح وبهجة النفس.

ملخَّص الأصحاح الرابع:

كان هذا العمل العظيم المترامي هو بداية خدمة الجليل التي استغرقت تقريباً كل أيام خدمة المسيح على الأرض، وقد بدأها واستمر فيها في حوالي سنة ٢٧م بعد المعمودية والتجربة (١٣:٣-١١:٤) مبتدئاً خدمته وهو في سن الثلاثين حينما ترك الناصرة وطنه ومكان عمله لينطلق في خدمته التي أُرسل من أجلها متخذاً كفرناحوم مركزاً لرحلاته التبشيرية. وطبعاً كان عمل المعمدان ممهِّداً للجماهير التي تقاطرت على العماد والاعتراف ومغفرة الخطايا التي تأهَّلت ذهنياً لسماع المسيح. وترك المسيح جنوب اليهودية التي اكتظَّت بالفريسيين والكتبة الذين كانوا يقاومون الكلمة ويشكِّكون في الأشفية. وفازت الجليل بمعظم تعاليم المسيح التي أسماها إشعياء - ووافق على قوله ق. متى - بالنور الذي أشرق عظيماً مبدداً ظلمة الموت. ومن هناك بدأ ضياء الملكوت يشع على البلاد الغارقة في الجهل واليأس والمرض. وانتهت هذه الفترة الزمنية (١٨:٤-٢٢) باختيار التلاميذ وتعليمهم صيد الناس لحساب الملكوت أيضاً. وقد رافقوا المسيح في رحلاته إلى كل تلك النواحي وتأهَّلوا - بعد التلمذة - للرسولية وإذاعة أخبار الملكوت المفرحة (الإنجيل). وانتهت هذه الفترة الزمنية في بداية الخدمة (٢٤:٤-٢٥) بتكثيف تعليم المسيح ورحلاته والأشفية من كل الأمراض، وامتدت الخدمة لتشمل الآتين من البلاد البعيدة شمالاً وشرقاً: سوريا في الشمال والعشر مدن وبيرية جنوباً بشرق. ولم يتخلَّف أهل اليهودية في الجنوب بل ارتحلوا يطلبونه في قوافل لا تكف. وكانت خدمة المحبة والعطف على المتعبين والثقيلي الأحمال الأُولى من نوعها في العالم شيئاً لم يُسْمَعْ به من قَبْل.

الأصحاح الخامس

الحديث الأول الكبير

العظة على الجبل (٥:١-٧:٢٩)

شهادات عن العظة على الجبل

المدخل لشرح العظة (٥: ١ و ٢)

مواطنو الملكوت: التطويبات ـ علاقتهم بالعالم: ملح ونور (٥: ٣- ١٦)

بر الملكوت إزاء بر الناموس (٥:١٧-٢٠)

المقابلات الست بين الناموس والمسيح (٥:٢١-٤٨)

العظة على الجبل – الحديث الأول المطوَّل

شهادات عن العظة على الجبل

يطيب لنا أن نقدِّم شهادات كبار الآباء والعلماء عن انطباعهم من جهة عظة المسيح على الجبل:

القديس أُغسطينوس: ٣٥٤–٤٣٠م

[من أراد أن يقرِّظ عظة المسيح على الجبل كما جاءت في إنجيل ق. متى بصبر وإحساس من التقوى فسيجد فيها أعلى الأخلاقيات وأكمل مستوى للحياة المسيحية].

ثولك: Tholuck ١٧٩٩–١٨٧٧م. لاهوتي ضليع

[إنها الماجنا كارتا Magna Charta (دستور الحكم عند الملك يوحنا الإنجليزي) أو الوثيقة العظمى لملكوت الله].

لانج: رئيس أساقفة كانتربري ١٨٦٤–١٩٤٥م.

[إن محورها الأساسي هو توقيع بر ملكوت الله على حكم الله في العهد القديم].

إدرزهايم، الفريد: ١٨٢٥–١٨٨٩م. يهودي نمساوي متنصِّر

[إنها تقدِّم التصوُّر الكامل لإنسان الله النموذجي من جهة الصلاة والبر، وبالاختصار فهي تعطي منهج التلمذة من الداخل والخارج].

ماير، هنرش أوجست وليم: ١٨٠٠–١٨٧٣م.

[عرض فيها المسيح عينة لتكميل الناموس والأنبياء وتقديم الشروط الأخلاقية لشركة ملكوت المسيا].

وايس: جوانس ١٨٦٣–١٩١٤م.

[هي الإعلان عن ملكوت الله بالمفهوم الأخلاقي مع التفرقة بين البر في واقعه في ناموس العهد القديم وبرّ المسيَّا في ملكوت الله].

وهكذا نرى أن معظم أقوال العلماء تجيء في مفهوم الإعلان عن المتطلبات الأخلاقية لملكوت الله. ومن حيث التحليل الغنيّ لهذا التجميع الهائل للآيات التي تصب في معنى متطلبات ملكوت الله يمكن أن نرى عوامل غائبة ذات اعتبار: فمثلاً من جهة القوانين الإيمانية التي للديانة المسيحية فهي

غير موجودة، كما تخلو من أي إشارة للكهنوت والذبائح، ولا لمفهوم المقدَّسات عموماً التي يزدحم بها العهد القديم. كما يخلو هذا الحديث من الأمور الحسية أو المظاهر، فهي تتركَّز في دوافع العواطف ومطالب الإنسان الداخلي. وتظهر بمظهر المقارنة لقوانين موسى ومواعظ الفريسيين. وعظمة مفردات هذه العظة يعترف بها المتديّنون جداً والنقاد على حدٍّ سواء، ويكاد الملحدون أيضاً. فمثلاً رينان وهو ملحد يقول عنها إنها لا يضاهيها قول ولا يسمو فوقها تعليم. ويُحكى عنه أنه قبل موته بخمسة عشر يوماً أمر أن يُكتب على مقبرته:

[أيها السيد الرب أنا أُومِن ولكن أعن عدم إيماني. لقد أكد لي قلبي أن إنجيل يسوع المسيح يتحتَّم أن يكون عملاً إلهياً، وعظة الجبل فيه مُحال أن تكون عمل إنسان وهذا هو إيماني الذي نبع من عمق ضميري وكل التاريخ يثبت ذلك. (١٥ أكتوبر سنة ١٨٥٢م).][1]

وهذا أعظم اعترافات الملحدين الذين تابوا!!

وهناك فروقات هائلة بين حجم هذه العظة في إنجيل ق. متى عنها في إنجيل ق. لوقا، ففي إنجيل ق. متى تبلغ آياتها ١٠٧ آية في حين أنها ثلاثون فقط في إنجيل ق. لوقا. وإنجيل ق. متى يحوي ثمانية تطويبات بينما في إنجيل ق. لوقا أربعة فقط، وق. لوقا يذكر أربعة ويلات لا يذكرهم ق. متى. والقديس متى قال إن المسيح قال عظته وهو جالس على قمة جبل، وفي إنجيل ق. لوقا أنه ألقاها واقفاً في سهل، ولكنهما يتفقان في الافتتاحية والختام وبعدها يتفقان أكثر في ذكر شفاء عبد قائد المائة.

والقديس أُغسطينوس يوجِّه نظر القارئ إلى كيف أعطى المسيح كلامه كمنهج يُتَّبع وليس كلاماً يُسمع عند قوله: «فكل مَنْ يسمع أقوالي هذه **ويعمل بها**» (مت ٧: ٢٤) يكون هو الرجل العاقل الذي بنى بيته على الصخر.

وفي مطلع سرد العظة يقدِّمه القديس متى جالساً شأن معلم المعلِّمين الذي يتكلَّم من أرصدة سماوية لا تفرغ. فالعظة طويلة. ولَمَّا قال: «ففتح فاه وعلَّمهم قائلاً» هنا علَّمهم من فمه وليس من أفواه الأنبياء ولا موسى.

ويلزمنا أن نعرف أن عظة المسيح على الجبل كما قدَّمها ق. متى هي أول حديث من الأحاديث الكبرى الخمسة التي جمعها ق. متى في إنجيله. والخمس عظات تنتهي بنفس نهاية العظة على الجبل:

(1) Curtis, *Life of Webester,* ii, p. 684.

العظة على الجبل: تنتهي (٧:٢٨و٢٩) : «فلمَّا أكمل يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه».

العظة الثانية: تنتهي (١:١١) : «ولمَّا أكمل يسوع أمره لتلاميذه الاثني عشر انصرف من هناك».

العظة الثالثة: تنتهي (٥٣:١٣) : «ولمَّا أكمل يسوع هذه الأمثال انتقل من هناك».

العظة الرابعة: تنتهي (١:١٩) : «ولمَّا أكمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل».

العظة الخامسة: تنتهي (١:٢٦و٢) : «ولمَّا أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه: تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح».

وهذا بحد ذاته يوضِّح مدى أهمية وخطورة هذا الترتيب في منهج إنجيل ق. متى، فهو يكشف أولاً عن أصالة هذا التجميع. وكون كل مقالة أو عظة من الخمس لها بداية ولها نهاية مستمدة من واقع الظروف التي قيلت فيها يوضِّح أن لكل مقالة ظروفها التي استمدَّت منها مادتها. واستطاع ق. متى أن يحصرها ويقدِّمها كل مقالة قائمة بذاتها ولكن دون التدخُّل في نوع الكلام ومعناه. ولكن يتحتَّم أن لا يفوت علينا حذق ق. متى في هذا التجميع الغنيّ لإنجيله، فبالرغم من أنه قد حافظ على أصالة الكلام بتقليده الإنجيلي إلاَّ أنه استطاع أن يجمِّعه في قالب روائي مرتَّب ومبوَّب في غاية الإبداع.

فالإنجيل من واقعه المقروء يقدِّم نمطاً أصيلاً تاريخياً لأقوال المسيح منسَّقة ومقسَّمة دون أن تفقد دقة أصالتها. فوراء عظات ق. متى الخمس يقف صوت المسيح بأصالة تفوق الوصف. ومما يزيد هذا التأكيد مدى انطباق عظة الجبل عند ق. متى بما جاء عند ق. لوقا بحسب الأبحاث الدقيقة التي وصل إليها العلماء، إذ تنطبق العظتان بحسب البداية بالتطويبات والنهاية بنفس الألفاظ، وانطباق مضمون الآيات، وانطباق حوادث بداية العظة ونهايتها بشفاء خادم قائد المائة. وحتى الذي ينقص في عظة ق. لوقا في مضمون العظة نجده يأتي بنفس الآيات في أماكن أخرى مما يكشف عنصر التجميع الجيد عند ق. متى.

ومن أبدع الأوصاف التي أعطيت للمسيح في عظة الجبل عند ق. متى أنه كان هو بالحقيقة مسيًّا الذي جاء لا ليلغي الناموس والأنبياء بل ليكمِّل على المستوى اللاهوتي كل ما جاء في الناموس والأنبياء لحساب ملكوت ابن الإنسان!

المنهج:

كما سبق أن قلنا في المقدِّمة العامة أن نهر إنجيل ق. متى يقدِّم للموضوع ثم يتسع فيه، فالمجرى يبدأ ضيِّقاً ثم يتسع ليصنع بحيرة لها شواطئ وذات أبعاد كبيرة. هكذا هنا ينقسم عمل المسيح إلى

تعليم وإلى كرازة وإلى شفاء. فالتعليم يستغرق من (٥:١-٧:٢٩) في هذه العظة الكبيرة وبعدها يتخصَّص في الشفاء (٨:١-٩:٣٤).

ونبدأ هنا بالعظة ويُظنُّ أنها ألقيت في ربيع سنة ٢٨م بعد ما أمضى المسيح ليلة في الصلاة تظهر بوضوح في إنجيل ق. لوقا (٦:١٢). وبعد الصلاة ابتدأ يختار تلاميذه، وهذه تظهر في إنجيل ق. مرقس (٣:١٣-١٩) وفي إنجيل ق. لوقا (٦:١٣-١٦) وتأتي في إنجيل ق. متى متأخرة (١٠:١-٤).



المدخل لشرح العظة

[٥: ١و٢]

٥: ١و٢ «**وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ، فَلَمَّا جَلَسَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ. فَفَتَحَ فَاهُ وَعَلَّمَهُمْ قَائِلاً**».

وبحسب عنوان الموضوع، العظة أُلقيت من فوق جبل (٥: ١و٢) إذ لمَّا نظر الجموع أخذهم وصعد إلى الجبل، ولمَّا جلس تقدَّم إليه تلاميذه ففتح فاه وبدأ يعلِّمهم. أمَّا أين هذا الجبل فيمكن تقديره أنه في محيط كفرناحوم، إذ لمَّا فرغ المسيح من التعليم نسمع في أصحاح (٨: ١و٥): «ولمَّا نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة ... ولمَّا دخل يسوع كفرناحوم جاء إليه قائد مئة ...» وق. متى هنا يُعرِّف الجبل فهو ليس مجرَّد جبل ولكنه "الجبل" قاصداً أنه جبل معيَّن ومعروف، لربما يكون هو جبل قرن حطين؟ وهو يبعد أربعة أميال عن البحيرة من غرب وعلى بعد ثمانية أميال من الجنوب الغربي لكفرناحوم. فإن صحَّ هذا يكون هو منحدر الجبل المغطَّى بالخضرة غرب مدينة طبغه Tabgha(٢). ولكن قول ق. لوقا إنه ألقى العظة في السهل ربما يكون أنه بعد أن ألقى العظة على الجبل جالساً نزل إلى السهل ليشفي المرضى واقفاً ثم صعد مرَّة أخرى. ومن كل ما قدَّمه ق. متى (٥: ١-٧: ٢٩) وما قدَّمه ق. لوقا (٦: ١٧-٤٩) يظهر أن العظة استمرَّت دون انقطاع لأن العظة في الاثنين تبدأ وتنتهي بعبارات متشابهة في الإنجيلين، فهي تنتهي في الاثنين بنفس الكلمة: «فلمَّا أكمل يسوع هذه الأقوال» (مت ٧: ٢٨، لو ٧: ١). كذلك ابتدأت عند ق. متى: «ولمَّا رأى الجموع صعد إلى الجبل فلمَّا جلس تقدَّم إليه تلاميذه» (مت ٥: ١) وابتدأت في إنجيل ق. لوقا: «وجمع من تلاميذه وجمهور كثير من الشعب» (لو ٦: ١٧)، كما انتهت العظة في الاثنين بشفاء عبد قائد المئة. غير أن العظة في إنجيل ق. متى تحوي ثلاثة أضعاف ما جاء في إنجيل ق. لوقا. وواضح أن ق. متى جمع من الأقوال ما يتوافق مع الخطة التي سبق ووضعها للعظة.

وهي مثل كل أعمال المسيح، لها غاية يتجه إليها الكلام، فغاية العظة على الجبل هي توضيح "**إنجيل الملكوت**" وهذا يحدِّده ق. متى بمنتهى الدقة والوضوح: «وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلِّم في مجامعهم ويكرز ببشارة (إنجيل) الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب» (مت ٤: ٢٣). وبالاتجاهين معاً التعليم والكرازة مع عمليات الشفاء يتحدَّد مضمون إنجيل الملكوت. وعلى مدى

(2) Howard La Fay "Where Jesus Walked", *National Geographic,* vol. 132 No 6 (Dec. 1967) p. 763.

حديث المسيح الطويل لا يكف المسيح عن لفت النظر والقلب إلى الملكوت:

(٥: ٣): «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات».

(٥: ١٠): «طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات».

(٥: ١٩): «فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا يُدعى أصغر في ملكوت السموات، وأمَّا مَنْ عمل وعلّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات».

(٥: ٢٠): «فإني أقول لكم: إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفرِّيسيين لن تدخلوا ملكوت السموات».

(٦: ١٠): «ليأتِ ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض».

(٦: ٣٣): «لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لكم».

(٧: ٢١): «ليس كل مَنْ يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات».

والذي ينتبه إلى تخطيط العظة يُدرك كيف جمعها القديس متى بحذق روحي منقطع النظير:

١ - فهو أولاً يتكلّم عن المواطن في ملكوت السموات (٥: ٣-١٦) واصفاً أخلاق المواطن الملكوتي وسعادته (٣-١٢).

٢ - ثم علاقته مع العالم (٥: ١٣-١٦) فهو ملح الأرض ونور العالم.

٣ - ثم يقدِّم المسيح مستوى البر في ملكوت السموات (٥: ١٧-٧: ١١).

ونجدها في غاية التوافق مع أخلاقيات العهد القديم (٥: ١٧-١٩) ولكنها تسمو فوق تيار تعليم الربيين سواء في شرح الناموس أو تطبيقه: «إن لم يزد بركم على الكتبة والفرِّيسيين فلن تدخلوا ملكوت السموات» (٢٠)، «سمعتم أنه قيل للقدماء ... وأمَّا أنا فأقول» (٢١-٤٨)!! فبر الملكوت المطلوب من أبناء الملكوت يفوق جداً ما يدَّعيه الكتبة والفرِّيسيون أيام المسيح، حتى وفي الأيام الأقدم. وهذا ينطبق على كل وصايا العهد القديم.

لأن روح البر في الملكوت بالنسبة لعلاقة الإنسان بالله هو محبة الله فوق الجميع (أصحاح ٦) وسرِّية العبادة والتقوى في القلب والصلاة في الخفاء والصوم غير المعلن عنه (٦: ١-١٨)، لكي يجازي الله علانية!! والثقة بوعود الله إلى أقصى حد حتى منتهى التكميل، عوض العبادة المظهرية المتعمَّدة لكي ينظر الجميع إليه ويُمجِّدوه، وفي المقابل تصديق الوعد أن الذي يطلب ويعمل ويصلّي للملكوت فكل أعوازه تأتيه دون سؤال أو هم أو قلق (٦: ١٩-٣٤).

كذلك في برٍّ ملكوت السموات بالنسبة لعلاقة الإنسان بالإنسان: «أن تحب قريبك كنفسك» (٧:١-١٢) إذ يأتي معها عدم الانتقاد وعدم الدينونة، وأن تكون الحكمة هي أساس الحكم على الأمور وليست الأنانية. وأن كل ما يحتاجه الإنسان يناله بالصلاة. ويختمها المسيح بالآية (١٢) التي تُعتبر القاعدة الذهبية في السلوك «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم لأن هذا هو الناموس والأنبياء».

٤ - ويختم المسيح مطالب الملكوت بالمطلب الأساسي بدعوة ملحّة للدخول إلى الملكوت (٧:١٣)، ولكن الدخول المضمون يكون من الباب الضيق مع تحذير من الطريق الكاذب «ليس كل مَنْ يقول لي يا رب يا رب» بل مَنْ «يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (٧:٢١).

وأخيراً عدم الاكتفاء بسماع الإنجيل بل بالسماع مع العمل، كمَنْ يبني بيته على الصخر.

والعظة تعالج موضوعات أخلاقية لها الأهمية الأساسية لكل عصر كما يَثْبُت حتى الآن. وقد انطلقت الآن الكتب تشرح وتوضِّح العظة على الجبل.

كيفية تركيب العظة:

في كل عظات المسيح كان يعتني بالجماعة بحسب حاجتهم، فمعروف أنهم لمَّا قَبِلُوه وصاروا في مكان قفر وأقبل المساء تولَّى إطعامهم تحت الضرورة بمعجزة الخمس خبزات، وحينما يأتونه بالمرضى ويحيطون به كان يتولَّى شفاءهم ولو إلى اليوم كُله. وحينما يتقاطرون عليه يريدون أن يسمعوه يكلِّمهم، كان يعظهم بالساعات. وهنا أيضاً نجد أنهم اجتمعوا مرَّة واحدة: «جمع من تلاميذه وجمهور كثير من الشعب من جميع اليهودية وأُورشليم وساحل صور وصيداء الذين جاءوا ليسمعوا ويُشفوا من أمراضهم.» (لو ٦:١٧)

أو كما جاءت في إنجيل ق. متى: «فتبعته جموع كثيرة من الجليل والعشر المدن وأُورشليم واليهودية ومن عبر الأُردن.» (مت ٤:٢٥)

ويُلاحِظ القارئ أن منظر الجموع المتراصة انعكس على قلب المسيح فأحس بحاجة الإنسانية إلى مَنْ يعزيها ويفرِّج عن ضيقها، لذلك بدأ بالتطويبات التي تُشيع في النفس السلام والراحة والطمأنينة، وترفع عن كاهل المعذبين والمتضايقين همَّهم وضيقهم كما كان ولا يزال يكون وإلى جيل الأجيال. فالتطويبات إنجيل بحد ذاته، هو زاد الإنسان في غربته، والذي يعزِّيه حقـًّا أنه عرف "الآن" أنه خارج من قلب الله! أمَّا وقتها فقد أحسُّوا به أنه حقـًّا من الله دون تعريف.

مواطنو الملكوت

التطويبات – علاقتهم بالعالم: ملح ونور!!

[٥:٣–١٦] (لو ٦:٢٠–٢٣)

كان السامعون منذهولين من فرط العزاء منذ أول آية، وقد امتلأوا غبطة منذ الطوبى الأُولى لأنها خرجت من قلب المسيح حاملة بالحق روح العزاء، فلم تكن مجرَّد كلمات بل كمَنْ يطرح عليهم قوة خفية تملأهم فرحاً وعزاءً وسروراً. لأن الذي جاء إلى المسيح جاء ليجد ما يعزِّيه عن ضيقته، ولمَّا أحسَّ المسيح بضيقتهم وهبهم قوة عزاء في كلمات وكأنها دعاء. لم يطلب منهم أن يقدِّموا شيئاً ليرضى عنهم الله، بل و لم يعطهم وصية حتى إذا أكملوها ينالوا عزاء الله، بل أرسل لهم دعوة عزاء من الله ليقبلوها فقط. فمَنْ ذا الذي لا يتعزَّى ويمتلئ قلبه سلاماً وفرحاً وسروراً، فإن كان الله يقول: تعزُّوا واسعدوا، فأمر الله نافذ المفعول. فكما كان المسيح يقول للمفلوج الكسيح: قم احمل سريرك وامش، قال للمساكين طوباكم فصارت في قلوبهم الطوبى حتماً. والجياع والعطاش إلى بر الله إن قال لهم: طوبى لكم، فقد صارت لهم كلمة المسيح قوة للشبع والارتواء من بر الله. لم يكن المسيح يتمنَّى لهم أو يعدهم بالطوبى للشبع والارتواء، بل منحها لهم بالأمر. كان النبي قديماً يتكلَّم بفم الله ويقول: «عزُّوا عزُّوا شعبي» (إش ٤٠:١) وما كان الشعب يتعزَّى لأن خطاياهم حجبت دعاء الله عنهم (إش ٥٩:٢). أمَّا الآن فالمتكلِّم يقول الطوبى ودمه أمامه. فلمَّا قال للمفلوج مغفورة لك خطاياك قام وحمل سريره، فالآن يقول الطوبى يسندها صليبه. يقول الطوبى للمطرودين من أجل البر وقد دفع ثمن هذه الطوبى حياته!! فكيف لا تسري في عروقنا ودمائنا.

وهو لمَّا قال: طوبى للمساكين "بالروح" عرّف المسكنة أنها عوز وحاجة شديدة متوجِّعة للروح كعوز المسكين بالجسد إلى ما يملأ بطنه ويستر جسده من ثليج الدنيا. هكذا المسكين بالروح عينه إلى يد الله يملأها التوسُّل وتملأها الدموع، والرجاء لا يجعلها ترتخي أبداً لأن حياتها في نسمة الروح القدس التي تستنشقها لتحيا وتشبع وتستدفئ.

ولم يقل المسيح طوبى لحاجة واحدة، بل لتسع حاجات يعتازها الإنسان فملأ له أعوازه كلها

بالروح للروح. فالمواطن للملكوت طمَّاع هو، ولكن طمعه بقدر سخاء الله وعطاياه، فمهما أخذ لا يزال عند الله عطاء.

ولكن أن يقولها داود في المزمور أو ينطقها نبي: «طوبى للذي غُفر إثمه وسترت خطيته» (مز ٣٢: ١) فهنا على رجاء الآتي، أمَّا المسيح فيقولها لأنه دفع الثمن مُسْبَقاً فصارت الطوبى مِلْكاً لمن يقبلها ويصدق. وهو لا يقولها من فمه وحسب ولكن يقتطعها من دمه ولحمه ويهبها كما وهب الطعام للجياع في البرية. يقولها ويسندها روحه وحُبّه وقد سجلتها السماء قبل أن يسجلها الإنجيل. وقد صار لها في الحال رصيد سماوي نصرف منه كلما احتجنا: «افرحوا وتهلّلوا لأن أجركم عظيم في السموات» (٥: ١٢)، ورصيدنا من الطوبى في السماء أكثر دائماً من حاجتنا على الأرض. لأن فم الرب تكلَّم!!

وهذا هو مواطن الملكوت: محتاج مسكين ومعتاز على الأرض جائع إلى بر الله وعطشان دائماً، وثروته في السماء لا تعُد ولا تُحصى. والقديس متى واضح في منهجه أن عينه على الروح والملكوت. فالقديس لوقا يقول: «طوباكم أيها المساكين» (لو ٦: ٢٠) وق. متى يقول: «طوبى للمساكين بالروح» (مت ٥: ٣) وهكذا وضع ق. متى عينه على هذه العظة ليقدِّمها لمواطن الملكوت منهجاً مدروساً.

كذلك فالمسيح في إعطاء الطوبى لا يوزِّعها على أصناف من الناس: مساكين وجياع وعطاش وحزانى بالروح، ولكن يعطيها لمواطن الملكوت حينما يرتقي إلى حال المسكنة بالروح أو الجوع أو العطش أو الاضطهاد والطرد من أجل الملكوت، مهما كان حاله في الدنيا من فقر أو غنى!! فالذي لا ينبغي أن يخطئ فيه القارئ أن عظة الجبل عند ق. متى هي أولاً وأخيراً لمواطن الملكوت! الإنسان النازح من الأرض نحو الله يطلب وجهه، يجوع ويعطش إليه، ويبكي ويحزن مع أنه ليس في الأرض كُلِّها ما يحزنه أو يبكيه!! فالعظة لا تدعو إلى الفقر والحرمان والجوع والحزن والبكاء لاسترضاء الله، حاشا، إنها تكون رجعة ضد المسيحية والإنجيل الذي يقول: «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا» (في ٤: ٤). هنا لا ينبغي أبداً أن نخلط أعمال الأرض بأعمال الروح، فأعمال الأرض للأرض وأعمال الروح للروح. فالذي يتمسكن بالجسد (بإرادته) من أجل الجسد لينال نصيباً أوفر ليس له في الدنيا مكان، شحاذ هو ونصَّاب، ومَنْ يبكي ليستدر عطف الآخر ضعيف هو ومستضعف ونصيبه منهوب. ولكن الذي يتمسكن بالروح من أجل الروح فله الملكوت، ومَنْ يبكي بالروح من أجل الروح فبالروح يتعزَّى ويد الله بالنهاية تمتد لتمسح دموعه.

وحينما أعطى المسيح الطوبى للودعاء والرحماء وأنقياء القلب وصانعي السلام، فهذه هي صفات مواطن الملكوت. والمسيح مما للمسيح يأخذ ويوزِّع مجّاناً أنصبة لبني الملكوت. فهو لا يطالب بأكثر مما يعطي. والمسيحية يتحتّم أن يتوفّر فيها هذه كلها لأنها تدعو إلى الملكوت وتنتهي إليه. فعظة الملكوت هي منهج المسيحية ومفردات الكنيسة.

الطوبى الأُولى:

٣:٥ «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ».

«طوبى»: μακάριοι (بالجمع) - μακάριος (بالمفرد)

تحمل هذه الكلمة في العهد الجديد معنى الفرح الغامر بالروح من جراء اشتراك الإنسان في بركات الخلاص واستحقاق ملكوت الله. والفعل يطوِّب μακαρίζειν جاء مرتين فقط في العهد الجديد: المرَّة الأُولى عند ق. لوقا في نشيد العذراء القديسة مريم: «هوذا منذ الآن جميع الأجيال **تطوبني**» (لو ١:٤٨) بمعنى تفرح وتهلّل من أجلي بسبب الخلاص الذي أكمله الرب فيَّ وبيَّ. والمرَّة الثانية في رسالة يعقوب: «ها نحن **نطوِّب** μακαρίζειν الصابرين» (يع ٥:١١) ولو أنها هنا في وضعها القديم الذي لا يفي بفرح الخلاص.

كما جاءت كلمة μακαρισμός كاسم ثلاث مرَّات في العهد الجديد - مثلما جاءت في (غل ٤:١٥) لتعني تقبّل رسالة الخلاص: «فماذا كان إذاً **تطويبكم** μακαρισμός لأني أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتموني» (انظر أيضاً رو ٤: ٦و٩).

وكلمة طوبى تأتي بكثرة في العهد الجديد (حوالي ٥٠ مرَّة)، «طوبى لعيونكم لأنها تبصر» (مت ١٣:١٦)، وهكذا يسرح الفكر اليهودي ليُلبس أعضاء الإنسان الطوبى، بمعنى حصولها على حياة بعد موت، وهي تأتي في العهد الجديد كما في إنجيل ق. متى ذات دفع عاطفي شديد لأنها تبشِّر بمواطنة الملكوت، الأمر الذي تنتهي عنده غاية الخلاص والعهد الجديد برمّته[٣].

والرجل الطوباوي هو الرجل المنعم عليه، ليس عن استحقاق بل هو السعيد بالنعمة، ولها كلمة مماثلة εὐλογητός وهو الممدوح أو المبارك ولكن لا تحمل معنى السعيد ولم تأتِ في إنجيل ق. متى. ومكاريوس أو الطوبى لا تفيد فقط حالة داخلية، بل تفيد حالة عامة خاصة في عين الله

(3) Kittel, *op. cit.*, vol. IV, pp. 367 f.

وحُكمه. والطوبى حالة مستقبلية ولكن لا تختص بالزمن، فالفعل في المستقبل في الأمور الروحية يفيد التأكيد فقط. والمعنى أن المساكين بالروح تكون لهم في المستقبل الطوبى بمعنى تأكيد عطية ملكوت الله للدرجة أنهم يحسبون من الآن سعداء.

وفي التطويبات الثمانية المتراصة بحكمة وإبداع تأتي الأسباب في السعادة في النصف الثاني من الآية: «لأن لهم ملكوت السموات»، «لأنهم يتعزون»، «لأنهم يعاينون الله» ... وهكذا. وهي الهدايا والعطايا التي تسبب السعادة، والهدايا والعطايا مجانية وغير منتظرة لأنها عن غير استحقاق بل عن رحمة وحب من قبل الله.

«المساكين بالروح»: πτωχοὶ τῷ πνεύματι

المسكين هنا قد تترجم الفقير، ولكن ليس بمفهوم الذي يجاهد ليطعم نفسه، بل الذي ليس له من يعينه وهو يعرف ذلك في نفسه ولكن بالروح، بمعنى أنه يشعر بفقره الروحي وأنه مقتنع بذلك في نفسه، لا بمعنى أنه فقير في الروحيات، فهذا نقص معيب، ولكن فقير بالروح للروح، أي في أشد الاحتياج والعوز للروح، لأنه لا سند له ولا معين ولا أمل في معونة إلاَّ في الروح. فهو لا ينظر إلى الناس أو إلى العالم ليرد عنه فقره بل إلى الروح وحده. وهذا العوز الشديد للروح باقتناع ذاتي هو الذي يجعل الروح منجذباً إليه وبالتالي يجعل الملكوت منفتحاً عليه. فالولد الرضيع حينما يشعر بالجوع القاسي ويصرخ مستغيثاً بأمه تنجذب أُمه إليه مهما كانت الموانع. هكذا شعور الإنسان بالفقر والعوز الشديد وبانسكاب الدموع يجعل الروح منجذباً إليه وبالتالي ينفتح له الملكوت. لأن حاجتنا الشديدة الصادقة للملكوت تجعل الملكوت لنا، ولكن عن طريق الروح. فالمسكنة بالروح أول خطوة نحو الملكوت. وقوله: «لهم الملكوت» لا تعني أنهم أكملوا نصيبهم ولكن تعني أنهم فازوا "بحق" امتلاك الملكوت، وهذا من جهة موازين الإنجيل والله يُحسب عدلاً منتهى العدل، لأن فقرهم الروحي وعوزهم الشديد الدائم للروح فقط يعني بغضتهم للعالم وإهمال كل غناه المادي والمعنوي والاجتماعي، بهذا يصبح الملكوت حقاً لهم: «ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم» (يو ١٧:١٦). فالذي يعتاز للروح عوزاً شديداً ويطلبه ليل نهار بدموع هذا يكون كمن التصق بالروح، ومَنْ يستطيع أن ينزعه منه؟ ولكن قوله «لأن لهم αὐτῶν ملكوت السموات» أي يصبح لهم الحق في امتلاك الملكوت! هذا الحق نصيب ثابت يغنيهم عن الدنيا ويزيدهم فقراً إلى الروح. ولكن هي ملكية متبادلة، فالذي للملكوت فالملكوت له، أي بقدر ما يكون للمسكين بالروح الحق في الملكوت يكون الملكوت له بالحق: «روحك القدوس لا تنزعه مني» (مز ٥١:١١)، «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم.» (يو ١٥:٤)

الطوبى الثانية:

٥: ٤ «طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ».

وهي تمتٌّ للطوبى الأُولى «طوبى للمساكين بالروح» لأن في المسكنة معاناة وللمعاناة دموع محمودة.

«طوبى للحزانى»: μακάριοι οἱ πενθοῦντες

وتأتي هنا بمعنى النائحين، والنواح قرين المسكنة بالروح. والعزاء والسعادة لهم قادمة في الملكوت: «ويمسح الله كل دمعة من عيونهم» (رؤ ٧: ١٧). والنواح أو الحزن هنا يختلف عن حزن العالم، فالحزن هنا ليس على شيء من الدنيا مفقود، بل على شيء عند الله مطلوب. فالإنسان الذي يتطلَّع إلى حاله وإلى ما تشتهي نفسه نواله من عند الرب يشعر بالعجز الذي يستدر منه الدموع. فالباكي الآن يبكي غربته على أرض الشقاء ويتطلَّع إلى النصيب السماوي ولا يسد هذا العجز والقصور إلاَّ سح الدموع. فالحزن والبكاء هنا علامة الغربة، والإحساس بالغربة هنا شهادة لياقة للملكوت. لذلك قال طوبى للحزانى لأنهم يتعزَّون. ولا يعزِّي الإنسان عن غربته في الأرض إلاَّ الملكوت. ولكن هناك فرقاً بين حزن الإنسان على الأمور المفقودة وحزنه على الأمور المطلوبة، فالحزن الأول يُمرض النفس ويجلب الكآبة واليأس، أمَّا الحزن على مطالب القلب لدى الله ففيه فرح الرجاء من خلف الدموع، وهو حزن يدسِّم النفس.

والفرق هنا بين الطوبى عند ق. لوقا والطوبى عند ق. متى أن الأُولى هي من واقع الحال يخاطب بها تلاميذه، والثانية ما يجب أن يكونوا عليه، لكافة الجموع حتى يليقوا بالملكوت.

وتعزية الحزانى أو ذارفي الدموع من أجل الله هو عمل مسيَّاني: «روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأُبشِّر المساكين ... **لأعزِّي كل النائحين، لأجعل لنائحي صهيون لأعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد، ودهن فرح عوضاً عن النوح ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة.** فيُدعون أشجار البر وغرس الرب للتمجيد» (إش ٦١: ١-٣)، هي وظيفة المسيح الأُولى التي جاء ليكمِّلها. فبعد أن قرأ المسيح سفر إشعياء في هذا الموضع طوى السفر وجلس وقال لهم: «**اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم**» (لو ٤: ٢١). فمجيء المسيح بحد ذاته كان ضمنياً لعزاء النائحين ووعداً أكيداً للفرح الذي لن ينزعه أحد منَّا!! «فأنتم كذلك عندكم الآن حزنٌ، ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو ١٦: ٢٢). فكل إطلالة للرب من السماء على القلوب النائحة هو عزاء ما بعده عزاء.

الطوبى الثالثة:

٥:٥ «طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ».

«الودعاء»: οἱ πραεῖς

وتشمل معنى اللطف وهي قريبة من المساكين بالروح. وهي صدى مزمور: «أمَّا الودعاء فيرثون الأرض ويتلذَّذون في كثرة السلامة.» (مز ٣٧:١١)

ويتمادى المزمور في إعطاء المماثل للودعاء في ميراث الأرض: «لأن **المباركين** منه يرثون الأرض» (٢٢)، «**والصدِّيقون** يرثون الأرض» (٢٩) و«**انتظر** الرب **واحفظ طريقه** فيرفعك لترث الأرض» (٣٤).

الأرض هنا ليست أرض الدنيا بل أرض **الميعاد الجديدة**، «الأرض البهية». فالوداعة صفة للمجتمع، والوديع مع الناس وبين الناس له سلام مع الجميع. وهكذا يرث نصيبه في يقين لا يتزعزع. وهنا الفكر متجه نحو الميعاد أو الوعد، فهو يهدف إلى النقلة من أرض الميعاد المنظور إلى أرض الوعد غير المنظور في السماء الجديدة والأرض الجديدة حيث يسكن البر. فالوديع إن كان له نصيب أكيد في الحاضر الزمني فنصيبه محفوظ بالأكثر في الآتي، لأن الذي يغلب هنا له تكميل الوعد هناك، لأن ميراث الأرض هنا بالنسبة لنا لا قيمة روحية له على الإطلاق، لأن الكلام في المزمور لبني إسرائيل والأرض أرض الميعاد وقد انتزعت منهم. فأصبح الأمل الوحيد في أرض لا تنزع منّا، أرض الله التي هي السماء بعينها. فحديث المسيح هنا في العظة على الجبل محصور في ملكوت الله، وكل ما ليس هو الملكوت لا يشغل بال المسيح ولا يَشغلنا. فحلم الإنسان هو في أرض السعادة الأبدية التي تجمع مختاري الله في حياة تسودها الوداعة الروحية، التي يراها "الوديع والمتواضع القلب":

+ «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم.» (مت ١١:٢٩)

الطوبى الرابعة:

٥:٦ «طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ».

الجوع والعطش إلى البر δικαιοσύνη ، حيث البر هو بر المسيح في العهد الجديد وليس بر الناموس، وبر المسيح يُمنح بعطاء المسيح لذاته، فهو طعام العهد الجديد وشرابه: «فمن يأكلني فهو يحيا بي» (يو ٦:٥٧)، «مَنْ آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي» (يو ٧:٣٨)

بمعنى أنه لا يُروَى وحسب بل يصير مصدر إرواء.

+ «عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي ... كما يشتاق الإيّل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله ... متى أجيء وأتراءى قدَّام الله. صارت لي دموعي خبزاً نهاراً وليلاً ... لماذا أنتِ منحنية يا نفسي ولماذا تئنين فيَّ ...» (مز ٤٢: ١-٥)
+ «يا الله إلهي أنت. إليك أُبكِّر. عطشت إليك نفسي. يشتاق إليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء.» (مز ٦٣:١)

هذا هو الإنسان بالنسبة لله، وهذه هي حال النفس بالنسبة للمسيح الإله الحي!

أمَّا رد المسيح على الإنسان الجائع العاطش إلى الله فهو تقديم نفسه له مجَّاناً، ليأكل الإنسان ويشرب ولا يعود جائعاً أو عطشاناً.

+ «أنا هو خبز الحياة ... فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي.» (يو ٦: ٤٨و٥٧)
+ "أنا هو الماء الحي" ... «إن عطش أحد فليقبل إليَّ ويشرب.» (يو ٣٧:٧)
+ «أنا هو خبز الحياة مَنْ يُقبل إليَّ فلا يجوع ومَنْ يؤمن بي فلا يعطش أبداً.» (يو ٣٥:٦)
+ «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه!» (يو ٥٦:٦)
+ «من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله، والجالس على العرش يحل فوقهم، لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر. لأن الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حيّة ويمسح الله كل دمعة من عيونهم.» (رؤ ٧: ١٥-١٧)

«الجياع والعطاش إلى البر»:

هي مهنة ووظيفة يلتحق بها طالبو وجه الله بالدموع، وهذا هو الجوع الحقيقي والعطش الصادق لا إلى خبز ولا إلى ماء، بل إلى وجه الله: هذا حنين المخلوق لوجه الخالق، وهو حق وواجب، فالصورة تنزع إلى أصلها ولا ترتاح أبداً إلاَّ فيه: «فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه، ذكراً وأُنثى خلقهم» (تك ٢٧:١)، فحقٌ للإنسان أن يجوع إلى الله ويعطش! وحقٌ للمسيح أن يكون هو خبزنا وماءنا: «هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت» (يو ٦: ٥٠). وطوبى لمن يجوع إلى خالقه ويعطش إليه! فهو حتماً ولا بد أن يُشبَع ويُروَى وكأن الجوع والعطش إلى الله والمسيح هي الصلة الوحيدة التي تربطنا به، لأنها الوسيلة

الوحيدة أن نأخذ منه بل نأخذه!! «فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (يو ٦:٥٧)، «يأكل الودعاء ويشبعون» (مز ٢٢:٢٦)، «مَنْ أكلني عاد إليَّ جائعاً، ومَنْ شربني عاد ظامئاً» (سيراخ ٢٤:٢٩). إنها صناعة من أقدس الصناعات التي تعلَّمها الإنسان وأتقن فنّها، وأكل وشرب وشبع وارتوى!! بل هي أعظم الاكتشافات التي اكتشفها الإنسان في خالقه، وأقدس ما استَعْلَن الله لنا من طبيعته، أليس هذا يُذهل العقل أن الله يُؤكل ويُشرب، حقاً إن هذا لعجبٌ، ولكن لم يبق لنا إلاَّ أن نصدِّقه ونذهب كل يوم نجوع إليه ونعطش، فهي وسيلة المستضعفين لابتزاز الخالد الأزلي!!

الطوبى الخامسة:

٧:٥ **«طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ».**

«طوبى للرحماء»: μακάριοι οἱ ἐλεήμονες

الرحمة هي من صفات الله، وربما يكون الله هو الرحيم الوحيد الأول والأكبر. وكل رحمة بعد ذلك إنما تأتي منسوبة إليه أو منعكسة من رحمته. فالإنسان يحاكي الله حينما يرحم إنساناً آخر، أو هو يستمد من الله الرحمة. والله الراحم أو الرحيم لأن طبيعته الرحمة، فهي صفة ذاتية، فلأنه هو الخالق أخذ على نفسه هذه المسئولية أن يرحم عمل يديه، فالرحمة عمل تكميلي للخلق، وبدون رحمة الله للإنسان فالإنسان لا يعيش: «وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان يصرخان ويقولان ارحمنا يا ابن داود» (مت ٩:٢٧). فإذا أمر الله الإنسان أن يكون رحيماً على الآخرين فذلك عمل تكميلي لعمل الله يرتاح الله له ويشجِّعه ويزكِّيه. فإذا لم يكن الإنسان رحيماً فهو يفقد تزكية الله له، فيقع بعيداً عن رحمة الله وتنقطع عنه الرحمة، لأنه أصلاً لا يرحم من نفسه ولكنه يستمد الرحمة من الله عليه، فالرحمة عند الإنسان فائض عمل الله. فإذا قطع الإنسان رحمته عن الآخرين انقطعت عنه الرحمة الآتية أو الفائضة عليه من الله تلقائياً. أمَّا الذي يرحم الآخرين فهو يستدر رحمة الله عليه بلا جهد أو ثمن.

هنا الطوبى أو السعادة المجانية الممنوحة من الله لمن يرحم هي تحصيل حاصل. فكما يرحم الإنسان الآخرين فيسعدهم هكذا يُرحم من الله فيُسعَد. فلو علمنا أن طبيعة الرحمة عند الله هي من صميم عمل الملكوت، يكون الذي يرحم يساعد في تأسيس ملكوت الله على الأرض، والنتيجة أنه يزكِّي نفسه ليكون من مؤسسيه لأن فيض رحمة الله عليه بالتالي تزكيه بالضرورة أن يشترك فيما يخدمه. وبهذا تصبح هذه الطوبى أحب التطويبات عند الله والمسيح لأنها من صميم عمله وطبيعته!!

وهذه الطوبى لها صلة مباشرة بمغفرة خطايا الآخرين: «واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا» (مت ٦:١٢). وهنا ينطبق قانون الرحمة على قانون مغفرة الخطايا. مَنْ يرحم يُرحم، فمن يغفر يُغفر له: «فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي.» (مت ٦:١٤)

وتأتي وصية المسيح عن الرحمة لتكشف مستواها فوق أعمال الناموس وذبائحه: «فاذهبوا وتعلّموا ما هو إني **أريد رحمة لا ذبيحة**. لأني لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مت ٩:١٣). هنا ينكشف عمل الفداء والخلاص كله أنه عمل رحمة!! وبالتالي فكل مَنْ يرحم يخدم الخلاص!!

والمسيح سيقدِّم لنا في الأصحاح (١٨) مثلاً يشرح فيه مستوى عمل رحمته لنا ويربطه بعمل رحمتنا للآخرين، حينما أعطى مَثَل السيد الملك كيف تحنّن على عبد له وترك له الدين الذي كان عليه، وكان يساوي بحساباتنا ستمائة مليون جنيه، لأنها عشرة آلاف وزنة (١٠,٠٠٠) والوزنة تساوي ٦٠٠٠ دينار، والدينار أجر عامل يوماً واحداً، فالمبلغ كله شيء مهول خاصة في تلك الأيام. وإذا بذلك العبد يرفض أن يتمهَّل على عبد رفيقه مديون له بمئة دينار حتى يوفيه الجميع، وقام بإلقائه في السجن، فلمَّا سمع السيد الملك ذلك صمَّم أن يطالب ذلك العبد القاسي بكل الدين الذي كان عليه: «**أفما كان ينبغي أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا**؟ وغضب سيده وسلّمه إلى المعذبين حتى يوفي كل ما له عليه. فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته.» (مت ١٨: ٣٣-٣٥)

الطوبى السادسة:

٥:٨ «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ».

هنا المزمور المطابق هو المزمور (٢٤): «مَنْ يصعد إلى جبل الرب ومَنْ يقوم في موضع قدسه: الطاهر اليدين والنقي القلب الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف كذباً.» (مز ٢٤: ٣و٤)

«أنقياء القلب»: οἱ καθαροί τῇ καρδίᾳ

الكلمة اليونانية تفيد الطهارة والنقاوة: «قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدِّد في داخلي» (مز ٥١: ١٠). في الحقيقة إذا بدأنا بالقلب لندرك النقاوة فالأوصاف والوسائل متشعبة، ولكن لو بدأنا بالجزاء المحفوظ له «لأنهم يعاينون الله» نستطيع أن نحدِّد أكثر نوعية القلب ونقاوته وما يُقصد به. فمعاينة الله تطلب رضى القدير أولاً وحيازة ثقته بعد اختبارات وفحوصات وتفتيش: «وجدت داود بن يسَّى رجلاً حسب قلبي الذي سيصنع كل مشيئتي» (أع ١٣:٢٢)، «فاحص القلوب

والكَلَى الله البار» (مز ٧: ٩)، «وأنت يا رب عرفتني رأيتني واختبرت قلبي من جهتك» (إر ١٢: ٣). هذه الآيات تكشف أن عملية فحص القلب واختباره لمعرفة لياقته ليفوز برضى القدير وثقته ليدخل إلى حضرة الله «ويعاين الله» أمر لا يدخل في إمكانية الإنسان ولا قدراته، لأن معاينة الله أمر فائق على كل إمكانيات وقدرات الإنسان وقلبه: «لأن الإنسان لا يراني ويعيش.» (خر ٣٣: ٢٠)

ولكن بقول الرب أن أنقياء القلب يعاينون الله يكون قد أعطى الله استثناءه على أساس أنه هو الذي يخلقه في الإنسان: «قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله». وصفة نقاوة القلب تكون حينما يستطيع أن يرى الله صورتَه واضحة في قلب الإنسان، حينئذ يستطيع الإنسان وبقلبه النقي أن يعاين الله بالمقابل.

وبولس الرسول أعطانا كيف نحصل على صورة الله في القلب: «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح.» (٢كو ٣: ١٨)

وهنا أعطانا بولس الرسول بحسب اختباره أنه بكثرة التطلُّع إلى وجه الرب - بدون برقع موسى أي بدون مجد الناموس - بل بالإنجيل كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد بقوة عمل مجد المسيح وروحه. والقديس يوحنا الرسول يؤكِّد أننا سنبلغ إلى كمال هذه الحالة هناك والتي نمارسها هنا جزئياً: «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يُظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١يو ٣: ٢). إذن، نقاوة القلب كانت في العهد القديم تُرجَّى، وفي المسيح تمارس، وعند ظهور المسيح تبلغ أوجها. وهي تمارس بتوجيه القلب إلى شخص يسوع المسيح لنستمد من قلبه وداعته وتواضعه ونقاوته حتى تنجلي مرآة قلوبنا ويتجلَّى المسيح فينا. وبالنهاية فالمسيح وحده الذي يخلق فينا نقاوة القلب إن سلَّمنا أنفسنا له وتبعناه من كل القلب فهو نفسه الذي يتجلَّى في قلوبنا لنراه: «لأنه (بالإيمان) تشدَّد كأنه يرى من لا يُرَى» (عب ١١: ٢٧)، والمحبة تصنع هذا: «والذي يحبني يحبّه أبي وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي.» (يو ١٤: ٢١)

من هذا نفهم أن الطوبى السادسة أعلى التطوبيات جميعاً وتقوم على ثلاث خبرات: خبرة المحبة الفائقة، وخبرة التصاق قلبي إيماني بالمسيح «وأمَّا مَنِ التصق بالرب فهو روح واحد» (١كو ٦: ١٧)، وخبرة إدراك بساطة الله: «أما رأيت يسوع المسيح ربنا.» (١كو ٩: ١)!

ولكن بالنهاية هي خبرة جماعية لمن أحبوا الرب ووفُّوا أمانة تلمذته: «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء

العالم.» (يو ١٧:٢٤)

الطوبى السابعة:

٥:٩ «طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ».

لقد طرح الله السلام على الأرض يوم وُلد المسيح في بيت لحم اليهودية: «وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبِّحين الله وقائلين المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرَّة» (لو ٢: ١٣و١٤). فكان المسيح رئيس السلام حقًّا: «لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلها قديراً أباً أبدياً رئيس السلام» (إش ٩:٦)، ويقول ق. بولس ويؤكِّدها: «لأنه هو سلامنا ...» (أف ٢:١٤). وأول عمل استلمه تلاميذ الرب ليكرزوا به وعلى أساسه هو السلام: «الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشِّر بالسلام بيسوع المسيح» (أع ١٠:٣٦). وكوصية خاصة ينقلها التلاميذ لكل نفس وكل بيت كمدخل للكرازة بالمسيح والملكوت: «وحين تدخلون البيت سلِّموا عليه فإن كان البيت مستحقاً فليأت سلامكم عليه، ولكن إن لم يكن مستحقاً فليرجع سلامكم إليكم» (مت ١٠: ١٢و١٣)، «فإن كان هناك ابن السلام يحل سلامكم عليه وإلاَّ فيرجع إليكم.» (لو ١٠:٦)

واضح أن وظيفة المسيح الأساسية هي تأسيس سلام دائم بين الله والإنسان، فهي الرسالة العزيزة جداً على العالم. فالسلام في العالم لا يوجد إلاَّ مع أبناء السلام الذين سكن السلام في قلوبهم، وقاموا يبشِّرون به أولاً بين الإنسان وأخيه الإنسان على أساس سلام الله الذي يحل على الجميع من الله. ولكن سلام الله يُقاوَم وأبناء السلام يُضطهدون ويُطردون. لذلك سبق المسيح ووعد تلاميذه أنه إن قُبل سلامكم يحل على مَنْ يقبله، وإن رُفض فهو يعود ويُضاف إلى سلام قلوبكم حتى لا تضطربوا. لذلك حرص المسيح أيضاً أن تأتي الطوبى الثامنة للذين يُطردون ويُضطهدون ويُعيَّرون في سبيل تأسيس سلام الله في القلوب. لأن صانع السلام لابد أن يكسب من مهنته، فإذا قُوبِل سلامه بالرفض ارتد إليه وزاد رصيده من السلام ومن الطوبى.

على أن صناعة السلام تحتاج إلى رصيد عالٍ جداً من المحبة والصبر والبذل لتطويع القلوب القاسية للخضوع إلى بساطة سلام الله الذي يفوق العقل، وكأن الذي يُطلب منه أن يكرز بالسلام عليه أن يصير كالله، هذا حق. لذلك فإن المسيح أعطى لصانعي السلام هبة وقوة ولياقة أن يصيروا «أبناء الله يُدعون»، بمعنى حصولهم حتماً على روح الله الذي يخلق لهم أجواء السلام ويغذِّيها

ويجنّد جنوداً للسلام لحساب الله في وسط أسواق الشر والعداوة والبغضة.

وصانعو السلام يطفئون الحرائق بالدعاء، ولهيب النار يُخمد بكلمة «صوت الرب يُطفئ لهيب النار» (مز ٢٩:٧ حسب السبعينية)، وصانعو السلام يأخذون وظيفة المسيح وروحه لذلك يُدعون أبناء الله، لا كمجرّد لقب بل حبًّا من الله وقُربى.

الطوبى الثامنة:

١٠:٥ **«طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ».**

«البر»: δικαιοσύνη

هو بر المسيح والله. هو التبرير الحاصل من الإيمان بصليبه وموته وقيامته. وهو في صورته عند الجاهل جهالة. فنحن إذ نسعى ونشهد لبر المسيح نبدو في أعين العالم جهلاء يحلُّ اضطهادهم، ومروِّجي خرافات وتجاديف، فالله لا يموت لذلك يحل دمهم. فالذي يؤمن بالمسيح ويكرز بصليبه ليس له في عالم الظلمة مكان، فهو يُطارَد لأنه يُسيء إلى رئيس هذا العالم ويعكّر مزاج أولاده: «وجدنا هذا يُفسد الأُمة ... لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلّمناه إليك ... إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر.» (لو ٢:٢٣، يو ٣٠:١٨، يو ١٢:١٩)

إن أصعب الاضطهادات التي عانى منها المسيحيون أتت بسبب الغيرة والحسد والحقد على الساعين في أثر بر المسيح، لأنه أصبح لهم شكل وسِمَة وسلوك ولغة وأسماء تكشف عن البر الذي فيهم، والعالم يقبل كل مَنْ يسايره في الاستهانة بأمور الله ويسير في طرق الشر والخطية طالما تكون في الخفاء. ولكن أن يُعلن إنسان عن الحق والأمانة والشرف والقداسة يُعزل فوراً ويُضطهد، إن لم تُدبَّر له مكيدة ويُقتل أو يُطرد. العالم لا يطيق بر المسيح ولا يحتمل المناداة به: «إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم» (يو ٢٠:١٥). ولكن كما أن اضطهاد المسيح وقتله أنشأ في الحال موتاً لخلاص وبالخلاص وُضع أساس الملكوت، هكذا كل مَنْ يُضطهد بسبب بر المسيح، أي الإيمان بموت الفداء والخلاص فإنه يُحسب مؤسِّساً في ملكوت المسيح:

+ «وتكونون مُبغضين من الجميع من أجل اسمي، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص.» (مت ٢٢:١٠)

+ «وحينئذ يسلّمونكم إلى ضيق ويقتلونكم. وتكونون مبغضين من جميع الأُمم لأجل اسمي.» (مت ٩:٢٤)

+ «لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم.» (يو ١٥:١٩)
+ «لا تتعجَّبوا يا إخوتي إن كان العالم يبغضكم.» (١يو ٣:١٣)

هذا هو رصيد العالم في معاملة الذين يعيشون ببر المسيح ويشهدون له، ويقابله رصيد الله في الملكوت المعد!

فالذي يُضطهد من أجل البر – وليس لنا بر إلاَّ بر المسيح وملكوته – فحتماً ينال نصيبه في هذا الملكوت. لأن الذي يُضطهد من أجل البر يبرهن دون كلام أنه يطلب البر، وهو يدفع ضريبة هذا الطلب فيكون قد استحق أن يناله.

٥: ١١و١٢ «طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمٰوَاتِ، فَإِنَّهُمْ هكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ».

على القارئ أن يلاحظ أنه من بدء هذه الآية تغيَّر الكلام من توجيهه للغائب إلى توجيهه للمخاطَب الحاضر ويستمر كذلك حتى نهاية العظة تقريباً.

وفي هاتين الآيتين إنما يكمِّل المسيح ما قاله في الطوبى الثامنة (١٠)، وهنا يُضيف إلى القول أن طوبى للمطرودين من أجل البر إضافة أكثر حيوية تلوِّن الحياة الحاضرة بمقتضى ما سيتم في الملكوت. فهو يعطي أمراً أن افرحوا وتهلَّلوا الآن، فليست السعادة من نصيبكم فوق فقط بل والآن يلزم أن تتحققوها في حاضركم. فافرحوا وتهلَّلوا χαίρετε καὶ ἀγαλλιᾶσθε من الآن لأن هذا جزء لا يتجزَّأ من نصيبكم في الملكوت. والمسيح حينما يقول **افرحوا وتهلَّلوا**[٤] لا ينبهنا إلى ما هو حق لنا

(٤) في الترجمة الحديثة للإنجيل (N.A.V) عن الأصل اليوناني تجيء عبارة «افرحوا وتهلَّلوا» هكذا: افرحوا جداً وإلى الغاية exceedingly ويترجمها البعض (نسخة فيليب) Tremendously أي بفرح عظيم وهائل وهذه ترجمة واقعية، لأن المسيح نفسه أضاف للفرح «وتهلَّلوا» والتهليل هو فرح الهتاف والرقص. والفرح العظيم الذي يلازمه تهليل وهتاف ورقص يسنده الوعد: «لأن أجركم عظيم πολύς (التي تعني جداً وللغاية) في السموات». فليس من فراغ يأمرنا المسيح أمراً أن نفرح جداً للغاية ونهلِّل بهتاف ورقص حينما نُضطهد لأن أجرنا في السموات هو على هذا القياس عينه: عظيم جداً!! فلو قارنا هذا الكلام بحالنا حينما نُضطهد فنحزن ونكتئب ونتذمَّر ونشتكي ونلعن ونسخط على مضطهدينا تبدو خطيتنا فظيعة جداً وسلوكنا رديئاً للغاية كأغبياء وبطيئي القلوب في الإيمان، بل وغلاظ القلوب ورقابنا صلبة ترفض نعمة الله، أي ترفض أن نكون شركاء آلامه ودم صليبه من أجل أمور مادية زائلة.

بل يهبه هبة. فأمر المسيح يسنده تنفيذ فوري كأنـه يسلّمنا هدية ملفوفة نفتحها فنجدها «**فرح وتهليل**» كحكم واقع كامل التنفيذ. والإنسان الصادق في عبادته وعلاقته الشخصية بالمسيح حينما يُضطهد ويُشتم ويُلفِّقون له الكلام البذيء، يشعر في الحال أنه قد تـأهَّل لبركـات الصليب وشركة آلام المسيح، وينعكس عليه هذا الشعور فإذ هو غبطة وسعادة حقيقية تميِّزه أنه إنسان مسيحي حقًّا، لا يشتكي ولا يتذمَّر ولا يحاول أن يدافع عن نفسه أو يستكثر الإهانة، بـل يصمت ويتعجَّب، وفي هدوء النعمة تجيئه الفرحة والتهليل. أمَّا الأجر العظيم فهو المقابل السماوي لعقوبات العالم الظالم.

قال لي إنسان صديق لي إن الإنسان المسيحي يُعرف من أمرين: الأول: أنه لا يوجد له أي عدو على الأرض، والثاني: أن يُوجَد دائماً فَرِحاً ولا شيء يستطيع أن يوقف فرح الله في قلبه: «نُشتم فنبارِك، نُضطهد فنحتمل، يُفترى علينا فنعظ.» (١كو ٤: ١٢و١٣)

فلو علمنا كما يقول المسيح أن الأنبياء عوملوا بأسوأ المعاملة وماتوا ميتات شنيعة: فإشعياء مثلاً نشروه نصفين بمنشار الخشب: «رُجموا (زكريا بن يهوياداع) نُشروا جُرِّبوا ماتوا قتلاً بالسيف (المعمدان) طافوا في جلود غنم وجلود معزى (إيليا) معتازين مكروبين مُذلِّين» (عب ١١:٣٧)، وإرميا بعد أن عذبوه رجموه بالحجارة حتى الموت بعد أن حملوه عنوة وأنزلوه إلى مصر معهم(٥). لو علمنا هذا ندرك أن الإنسان إنما يُضطهد بسبب نعمة الله التي لا يطيقها مَنْ لا نعمة لهم: «لأنه (بيلاطس) عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً!!» (مر ١٥:١٠)، وكأنما حينما يسقينا المسيح كأس دمه، تحل علينا أسباب سفك دمه!

«عيَّروكم»: ὀνειδίσωσιν ὑμᾶς

وتعني جميع الصفات الرديئة وقلب الحقائق كقولهم للمسيح: «ألسنا نقول حسناً إنك سامري وبك شيطان» (يو ٨:٤٨)، «أليس هذا ابن النجار. أليست أُمه تُدعى مريم» (مت ١٣:٥٥)، «يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلِّص نفسك ... خلَّص آخرين وأمَّا نفسه فما يقدر أن يخلِّصها ... أيضاً كان اللصان اللذان صُلبا معه يعيِّرانه» (مت ٢٧: ٤٠-٤٤)، فالمعيرة هنا بسبب اتِّباعنا المسيح وخدمته وإيماننا بصليبه وموته.

أنتم ملح الأرض، أنتم نور العالم: (مر ٩:٥٠، لو ١٤: ٣٤و٣٥)

في التطويبات الثمانية أعطى المسيح مواطني الملكوت السعادة المنتظرة في السماء، وأكملها في

(5) Tertullian, *Antidote for the Scorpion's Sting*: 8, cited by W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 281.

التطويبتين الأخيرتين بالفرح والابتهاج الشديدين بالأجر العظيم المحفوظ لهم في السموات، إلاَّ أنَّهما يُظْهِران بآن واحد مدى الظلم والآلام الواقع عليهم من أهل العالم بسبب صورتهم الساعية نحو البر كمؤمنين بالرب يسوع المسيح. عاد هنا بعد ذلك يصف تأثيرهم على سكان الأرض بصفتهم مواطنين لملكوت السموات بمعنى التأثير المقابل في الذين يضطهدونهم. فالملح والنور يواجهان ميوعة أنصاف المتدينين ليردوهم إلى العبادة الحارة، والبعيدين عن الدين والله يعشون فيهم شعاع المعرفة الجديدة التي تقودهم إلى النور الحقيقي والعبادة بالروح والحق. فبالرغم من أن مواطني الملكوت يكونون محتقرين وموضع سخرية وإيذاء، إلاَّ أنهم ضرورة لسكان الأرض المستهزئين والساخطين على الحق وأولاد الحق - لكي يردُّوا عنهم غضب الله ويشفوهم من عمى جهالتهم. فهُم ألزم إلى الأرض لزوم الملح للطعام القابل للفساد، والنور للذين يتحسَّسون الحق كالأعمى الذي يتحسَّس الطريق بلمس الحائط.

وهنا من (١٣-١٦) يعطي المسيح صورة للفرق الشديد بين المواطن الملكوتي ومواطني الأرض والعالم، ولكن وفي نفس الوقت ضرورتهم ولزومهم الشديد لأهل العالم بالاتصال الدائم والتعامل معهم كاتصال الملح بالطعام والنور للبيت!! وهكذا من طرف آخر يوعز إلى التلاميذ بأهمية بقائهم في العالم: «إن فسد الملح فبماذا يُملَّح» وضرورة اختلاطهم بهم دون تعالٍ أو انعزال: «ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم. لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أنْ تحفظهم من الشرير» (يو ١٧: ١٤و١٥). كذلك يحذِّرهم من خطر التلوُّن بالعالم واهتمامات أهل العالم والتمادي في الخلطة والانسجام مع أفكار ومبادئ أهل العالم خوفاً من تحوُّلهم من ملوحة جيدة إلى ميوعة وفوضى، ومن نور إلى ظلمة. فالملح يبقى ملحاً حافظاً على قدرته على التمليح طالما لم يفقد طبيعته في التأثير، ولكن إذا فسد الملح لا يعود يصلح لشيء. كذلك مصباح النور إن هو لم يعد قادراً أن ينير فما قيمة بقائه؟ على أن عمل الملح يعتمد على قدرته في الانتشار السريع، فإذا انحصر أضرَّ، والنور يعتمد عمله على الارتفاع عالياً بأكثر طاقة لكي ينير على الجميع، فإذا انحصر تحت مكيال أو سرير فما عاد نوراً إذ يكون قد تآخى مع الظلمة.

١٣:٥ «أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ، وَلكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟ لاَ يَصْلُحُ بَعْدُ لِشَيْءٍ، إِلاَّ لأَنْ يُطْرَحَ خَارِجاً وَيُدَاسَ مِنَ النَّاسِ».

«ملح الأرض»: τὸ ἅλας τῆς γῆς

واضح أن المسيح يسند إلى التلاميذ وإلى كل مسيحي عملاً من أهم الأعمال على الأرض وهو

حفظ العالم من الفساد. ولأن قوة الملح تبقى مُذخَّرة فيه طالما هو قادر أن ينتشر في الطعام فيحفظه من الفساد، أصبح التطبيق مُلْزِماً لتلاميذ المسيح وكل مَنْ يحمل إيمانه واسمه أن يحفظ الوسط الذي يعيش فيه من أعمال الفساد فكراً وعملاً. ومعروف أن للشيطان قدرة مذهلة على إفساد الأعمال والأفكار والضمائر، لذلك يصبح عامل وجود عنصر عدم الفساد أولاً، ثم عنصر التأثير على جو الفساد من كافة نواحيه عاملاً في غاية الأهمية في نظر الله الذي أحب العالم وبذل ابنه من أجل خلاصه. علماً بأن المسيح لم يأتِ للعنصر غير الفاسد في العالم بل للعنصر الفاسد ليرفع عنه الفساد: «لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مت ٩:١٣). كالطبيب الذي لا يعمل في وسط الأصحاء بل هو تعلَّم وأُرسل للمرضى! ولقد انتبه اليهود الأتقياء لهذا المفهوم الهام جداً، فاجتمعت جماعة منهم وكوَّنوا مدرسة باسم "الأسينيين" (من آسى يواسي أي يعالج ويعزِّي ويشفي) في اليهودية بجوار البحر الميت، وجماعة أخرى لعمل الشفاء وأسموها "ثرابيوتا" (من ثيرابي Therapy أي العلاج أو الإشفاء) وذلك في مصر بجوار بحيرة مريوط. الأُولى بجوار بحر ملحي والثانية بجوار بحيرة مالحة إمعاناً في إضفاء صفة الحفظ والتأثير على الآخرين.

وقد أكَّد هذا الفعل والتأثير واضع الناموس وترتيبات تقديم الذبيحة، إذ يتحتَّم تمليح الذبيحة بالملح قبل تقديمها على المذبح حتى تُقبل لدى الله، وهي كناية شديدة عن ضرورة أن يكون الإنسان ـ وهو الذبيحة الدائمة والطبيعية المقدَّمة لله ـ بلا فساد ومحفوظاً من الفساد بنوع من التطهير غير المنظور، فالملح رمز محبوب وهو تعبيرٌ عن الإنسان الطاهر، وبالتالي الذبيحة الطاهرة:

+ «وكل قربان من تقادِمِكَ **بالملح تُملِّحه ولا تُخل تقدمتك من ملح عهد إلهك**. على جميع قرابينك **تُقرِّب ملحاً**.» (لا ٢:١٣)
+ «ليكن كلامكم كل حين بنعمة **مُصْلَحاً بملح** لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد.» (كو ٤:٦)

وهكذا نسمع من الروح في العهد القديم وفي العهد الجديد أن الملح ضرورة قصوى، ففي العهد القديم واضح أن الذبيحة تُرفض إن لم تكن محفوظة جيداً بملح، واعتبر الناموس أن الملح **«عهد إلهك»** وفي العهد الجديد كشف عن حقيقته أنه هو "النعمة" = **«بنعمة مصلحاً بملح»**.

هكذا يوعِّي المسيح هنا التلاميذ وكل مسيحي أن يكون ملحاً، بمعنى أولاً أن يكون محفوظاً من الفساد ـ الفساد الذي في العالم ـ وهذا تضمنه له النعمة التي قبلها بالإيمان بيسوع المسيح الذي له وحده عدم الموت وبالتالي عدم الفساد، والتناول من ذبيحته المقدَّسة التي لها قوة عدم الفساد

والمسمَّاة لدى الآباء: "Antidote" أي ترياق السموم أو "عقار عدم الموت" وعدم الفساد، القادرة أن تحفظ فكر الإنسان وضميره وعمله من أعمال وأفكار الفساد التي للشيطان.

والملح وبالتالي النعمة له قوة التعامل مع ميكروب الفساد فيوقف عمله، أي أن هناك صراعاً ضمنياً بين عمل النعمة وعمل الشيطان لإبطال مفعوله، ولكن يتحتّم للإنسان أن يكون على دراية به وشريكاً بالفكر والعمل والضمير في مواجهة أعمال وأفكار الشيطان التي تجر الإنسان والعالم إلى الفساد وحكم الموت. آدم سقط لأنه كان بدون فاعلية للنعمة لأن آدم لم يتقبّل نعمة الله، لأن الله نفسه كان ملجأه، وكان حفظ آدم متوقِّفاً على طاعة الله مباشرة. ولكن الإنسان يسقط إذا لم يُمْسَك بنعمة المسيح التي يقبلها بالإيمان به والاتحاد معه بالروح، فإذا لم يستند الإنسان بقوة وعزيمة ويقظة لعمل النعمة ولم تسنده النعمة يسقط في فخاخ الشيطان. ومن هنا تجيء كِمالة القول: «ولكن إن فسد الملح فبماذا يُملَّح لا يصلح بعد لشيء إلاَّ لأن يُطرح خارجاً ويُداس من الناس»، بمعنى إن فقد الإنسان المسيحي والتلميذ الكارز باسم المسيح الاستناد على النعمة ومساندة النعمة له بسبب يقظته ودعائه وصلاته، فإنه لا يعود قادراً على التأثير الجيد ولا يعود قادراً هو على مقاومة الفساد الذي في العالم فيسقط ويصير هزأة عند الناس الذين كانوا يعتمدون عليه ويأخذونه مثلاً وقوة يستندون عليها في مقاومتهم للفساد.

وتدليلاً على ذلك نقول: إن الإنسان المسنود على النعمة والعامل بقوتها يكون مهاباً لدى المستهزئين، فإذا حضر كفَّ مجلسهم عن الفساد وكلام القباحة والضحك الذي تثيره أفكار الشر والرذيلة، ولكن إن أراد هذا الخادم والواعظ أن يشارك المجلس في ضحكه وهزئه وكلام السفاهة والقباحة، يفقد في الحال هيبته وسلطان المسيح والكلمة ويكون هو بالتالي مثار الهزء والسخرية. لذلك يصرخ بولس الرسول في تيموثاوس الشاب: احفظ نفسك طاهراً ... أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت ... احفظ نفسك من شهوة المال!! (انظر ١تي ٥: ٢٢، ٦:١٢، ١٠).

فالله أرسل المسيح لينقذ العالم من الفساد والهلاك المزمع أن يكون، والمسيح أرسل تلاميذه ليكونوا مصدراً لوقف فساد العالم بالمَثَل أو النموذج الإلهي الذي يقدِّمونه في حياتهم وتصرفاتهم للناس، وبالتأثير بواسطة الكلمة والإنجيل وبالصلاة الدائمة من أجل الآخرين. علماً بأنه كما أن الملح إذا فسد لا يصلح بعد للحفظ من الفساد بل يفسد هو بتأثير فساده، كذلك تلاميذ الرب ومَنْ يُنادون بالاسم ويكرزون بالحق إن سايروا الفساد واشتركوا فيه لا يعود لهم عمل عند الله ولا قوة بالنعمة ولا أي تأثير بعد، بل ولا يعود هناك للأسف المريع أمل في العودة إلى مواصفات الملح الجيد!! إلاَّ بتجديد آخر وهذا قلَّ إن وُجِد.

لذلك كان حَسْم المسيح: «لا يصلح بعد لشيء إلاَّ لأن يُطرح خارجاً ويُداس من الناس».

٥: ١٤-١٦ «أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ، وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجاً وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. فَلْيُضِيءْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ».

في الحقيقة أن المسيح هنا يُضفي على تلاميذه والمؤمنين به صفته الخاصة جداً: «أنا هو نور العالم» (يو ٨: ١٢) حيث النور الحقيقي هو معرفة الله. فالمسيح جاء إلى العالم حاملاً نور المعرفة الجديدة وهي معرفة الله، وخاصة معرفة الله في الآب والابن، لأن هذه العلاقة هي التي وهبت للعالم الفداء والخلاص: «عرَّفتهم اسمك (الآب) وسأعرِّفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم» (يو ١٧: ٢٦)، وقد عرَّفها المسيح أيضاً أن فيها سر البنوَّة لله «لا أعود أُسميكم عبيداً ... لكني قد سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي» (يو ١٥: ١٥). فمعرفة اسم الآب هي توطئة لنوال حب الآب وبالتالي التبني والانعتاق من تبعية العالم والتبني للشيطان. والابن هو الوحيد الذي له معرفة الآب شخصياً: «ليس أحد يعرف الابن إلاَّ الآب ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن، ومَنْ أراد الابن أن يُعلن له.» (مت ١١: ٢٧)

ولكن هنا المسيح يمنح أولاده وتلاميذه هذا اللقب الذي يحمل معاني معرفة الله والحق والحياة والتخلُّص من عبودية الجهل وتبعية الشيطان والعالم:

+ «أمَّا نفسي فتفرح بالرب وتبتهج بخلاصه. جميع عظامي تقول: يا رب مَنْ مثلك؟ المنقذ المسكين ممن هو أقوى منه والفقير والبائس من سالبه.» (مز ٣٥: ٩و١٠)
+ «ما أكرم رحمتك يا الله. فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون. يَرْوَوْنَ من دسم بيتك ومن نهر نعمتك تسقيهم. لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نوراً.» (مز ٣٦: ٧-٩)

أمَّا بداية إشراق نور العهد الجديد فيعرِّفها زكريا الكاهن فيما يختص بعمل المعمدان:

+ «لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم (كتمهيد لعمل المسيح) بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المشرق من العلاء ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت.» (لو ١: ٧٧-٧٩)

وجميل جداً من تسجيل ق. متى أن بعد إعطاء المسيح الطوبى لتلاميذه وأبناء الملكوت يعود فيستخدمهم ليوصلوا النور الذي أشرق عليهم وأضاء قلوبهم إلى العالم المظلم المحيط. وهنا يجعلها بالجمع: «أنتم نور» على أساس أن كل واحد منهم مضيء: «لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاداً لله بلا عيب في

وسط جيل معوج وملتوٍ **تضيئون بينهم كأنوار في العالم**» (في ٢: ١٥). فإن كان المسيح هو «النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم» (يو ١: ٩) فتلاميذه وأولاده حتماً يستمدون منه هذا النور الحقيقي الذي ليس فيه ظلمة ولا خطية. فإن كان المسيح هو النور الذي يضيء فالتلاميذ وأولاد الرب هم النور الذي بهذا النور يُضيئون. لأن بدون المسيح مَنْ سيرى نوراً أو مَنْ سيُضيء؟ «بنورك نرى نوراً».

بهذا نفهم أن رسالة الكنيسة ليست علمية ولا اقتصادية ولا اجتماعية، بل مختصة بعمل واحد هو حمل نور المسيح وإشعاعه، بمعنى نقل نور الخلاص والحياة الجديدة للعالم كمركز يُضيء مِن رصيد التقوى الذي يعكس نور المسيح وأشعة برِّه وحياته للناس.

«لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل»:

الإنسان المسيحي هو إنسان كائن في بؤرة النور، يراه كل الناس، شأن مدينة كائنة على جبل!! استحالة أن تُخفى، هكذا المولود من الله الكائن بحياته وعمله في نور المسيح وقد انعكس نور المسيح عليه وبدا وكأنه شعلة من نار الله. ومهما حاول أن يخفي نفسه لا يستطيع، لأن ضياء نور المسيح منعكس عليه فيجعله منظوراً دون أن يدري سواء في كلامه أو تصرفاته، لأن نور المسيح فيه يعمل عمله دون استئذان ويشهد لمنبعه دون إعلان.

«ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيُضيء لجميع الذين في البيت»:

فالمكان الوحيد للمصباح هو أن يُعلَّق أو يوضع على منارة (أي حامل للنور مرتفع في وسط الدار) كالحامل الخشبي الذي توضع عليه الشمعة.

سراجاً على منارة: λύχνον ἐπὶ τὴν λυχνίαν

مصباح ذلك الزمان كان يُصنع من الطين الذي يُحرق بالنار فيفقد مسامه، ويوضع فيه زيت الزيتون ويُشعل بفتيلة تُدّس في فتحة في طرفه البعيد عن الزيت وهي موجودة في المتاحف بكثرة وهي مستطيلة من جهة الطول حوالي خمس أو ست بوصات وأربعة بوصات عرض وبوصة ونصف ارتفاع، ولها يد واحدة في الطرف الآخر المقابل لفتحة الزيت المشتعل، ولها فتحة في الوسط ليصب منها الزيت، وبجوارها فتحة صغيرة أخرى لمرور الهواء. هذا هو السراج عند المسيح الذي لا يوضع تحت المكيال ولا تحت السرير فيختفي ضوؤه. أمَّا المكيال فهو معيار لقياس الأحجام وحجمه يسع ٨,٧٥ لتر وهو موجود عادة في البيوت لعيار الحبوب والدقيق. أمَّا المنارة فالاسم ضخم، وهي عبارة عن قاعدة بارزة من عمود فخاري أو خشبي يوضع عليها السراج في وسط الغرفة، أو بروز حجري

في الحائط من خشب يوضع عليه المصباح. وهذا السراج بالذات يسمَّى عندنا في الفلاحين مسرجة، وقد تكون علبة صفيح لها طرف في نهايتها العليا يُدس فيه شريط من القطن الرفيع وتُشعل بالكيروسين وشعلتها تسمَّى العويل، ويظل يداعبها تيار الهواء الذي إذا زاد عن مستوى النسمة الخفيفة يُطفئها في الحال، ويظل يداعبها الهواء يميناً ويساراً فتخرج دخاناً أسود كثيفاً يمكن أن يملأ الغرفة بسواد إذا تكاثف يقطر قطراناً أسود كريه الرائحة. وقد عشنا في دير الأنبا صموئيل في أيامنا الأُولى على هذه المسرجة أو المشعلة الوحيدة في مقعد الضيوف وهي معلَّقة في مسمار على الحائط وتستهلك ما يقرب من ١٥٠ سنتيمتر مكعب بالكيروسين في الليلة. وعشنا عليها مدة ثلاث سنوات وعاش مَن قَبْلَنا عليها حوالي ٥٠ سنة. وعلى ضوئها يعسر على عين الإنسان أن تتبيَّن الأشخاص الجالسين خاصة وأن الجدران الأربعة تغطيها طبقة كثيفة لزجة من السواد الذي قد يكون سمكه سنتيمتر واحد. أمَّا شعلة زيت الزيتون في أيام المسيح فهي قليلة الدخان مقبولة الرائحة.

أمَّا سراج المسيح فهو تلاميذه وخاصته بالنسبة إلى العالم، يحتلون مكاناً ظاهراً في المجتمع وفي البيوت، فهم سُرج مَوقدة، أمَّا منارتهم فهي أعمالهم التي تتبعهم، يضيئون بكلمات النعمة فيبددون ظلام النفس وظلمة العالم التي تخنق الإنسان، وبكلماتهم المملوءة رجاءً وحياة يشعلون القلوب بنار النعمة ويفرِّحون المضيَّق عليهم والمظلومين أو المطحونين تحت الأعمال العنيفة إزاء أجور لا تفي بأود الحياة. وكلامهم يكشف عن إيمانهم وحياتهم وأعمالهم، فهم يتكلَّمون من ذخيرة خبراتهم وعلاقتهم السرِّية والدائمة مع المسيح، ونطق الروح القدس الذي تتبيَّنه الناس فيزداد لهيب قلوبهم وتصير حياتهم بالمسيح مصدر فرح دائم وسرور لا ينقطع من قلوبهم وأفواههم. ويُلاحَظ دائماً أن شعب المسيح له حاسة شديدة التمييز يميِّزون بها الأقوال من الأعمال، وكلمات الترضية وفك المجالس وسد الخانات من كلمات الروح الخارجة من الروح تحمل خبرات حيَّة قادرة أن ترد على كل سؤال وتقنع الإنسان السامع بصدق وعود المسيح، وتشيع في النفس حلاوة مع فرحة شديدة الانفعال تجعل دموع الإنسان كالسيل!! يتراءى فيها المسيح ويُذاق مجده!

كنا شباباً وسمعنا أقوالاً مثل هذه فما طقنا الحياة بدون وجه الحبيب فتكرَّسنا لحبه وعشنا حياتنا كلها وعيننا عليه! فتنادر الناس بما عملنا وبما نحياه. وهكذا اشتعلت النار في القلوب وما درينا أننا كنّا هذه المشعلة المدخّنة نفسها وأن نارها أصابت مرماها - بحسب إتقان تصويب النعمة - إلى قلوب الناس واختطاف المدعوِّين كشُعل مجتذبة من نار العالم، ليصيروا سُرجاً موقدة على ذات منارة الروح، ومجد الرب يزداد!

بر الملكوت إزاء بر الناموس

[٥:‏١٧-٢٠]

الآية القائدة: «إن لم يزد بركم على الكتبة والفرّيسيين لن تدخلوا ملكوت السموات.» (٢٠)

هنا برُّ الكتبة والفرِّيسيين القائم على الناموس، ليس مرفوضاً كليًّا، بل هو ناقص بسبب عدم فهمهم لعمق الروح الذي يشير إليه الناموس وواضع الناموس. والمسيح يوضِّح أنه لم يجيء لينقض الناموس والأنبياء بل ليكمِّل! يكمِّل بعمله وقوله وحياته، وبالنهاية بموته وقيامته وصعوده، كلاً من الناموس والأنبياء، حتى ولو لزم تعديلٌ في هيكل مفهوم الناموس والأنبياء. لأن المسيح جاء بعمل جديدٍ لم يكشف عنه الناموس ولكن كان مستوراً في أعماقه، لأنه على كل وجه فالناموس كلمة الله وكلمة الله يشرحها المسيح بغير ما شرحها موسى والناموس، وأكثر مما شرحها الأنبياء: «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (يو ١:‏١٨)، «ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن.» (مت ١١:‏٢٧)

٥:‏١٧ «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ».

«أنقض»: καταλῦσαι

وتأتي بمعنى يحل أو يلغي، "والناموس أو الأنبياء" تشمل العهد القديم كله، فالناموس هو الأسفار الخمسة والأنبياء بقية العهد القديم. وهكذا وفي بدء تأسيسه لمفهوم بر الملكوت الجديد يؤكد أنه يبني على الناموس والأنبياء ولا يهدم ليبني. وهكذا ينفي ادِّعاء خصومه من الكتبة والفرِّيسيين ورؤساء الكهنة منذ أول خطوة في خدمته وتأسيس ملكوت الله، الأمر الذي كان مسلَّطاً عليه عيون هؤلاء الحاسدين الرافضين الذين أضمروا قتله منذ البداية. وهو بهذا النداء الأول يؤكِّد أنه جاء ليكمِّل الناموس والأنبياء وأقوال وأعمال وعهود العهد القديم. ونحن الآن نرى بوضوح أن العهد القديم بدون المسيح يبقى وصايا وقوانين وتحذيرات ومواعيد ناقصة لا تُشبع ولا تُغني عن جوع. فإبراهيم مات على الرجاء والآخرون جميعاً: «فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد!! إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل لكي لا يُكمَلوا بدوننا!» (عب ١١:‏٣٩و٤٠)

ولكي ندرك قوة تصريح المسيح هذا أنه لم يأتِ لينقُضِ الناموس أو الأنبياء بل ليكمِّل، يلزم أولاً وبكل عناية أن نفهم معنى هذا الكلام الروحي العميق لئلاَّ نقع في خطأ مثل كثير من العلماء الذين ظنوا أن المسيح جاء ليحيي الناموس والأعمال الصالحة بحسب الناموس، كالعالم هندركسن الذي غرق في هذا المستنقع. فتكميل الناموس والأنبياء يعني أمراً واحداً إلهياً وهو خلاص الإنسان من الخطية والموت، فهذا الذي كان يلف حوله الناموس ولا يجد لها مخرجاً. فالوصايا بإتقان العبادة حرفياً والتطهيرات بكل دقائقها كانت تعني وتهدف إلى عبادة بالروح والحق، ولم يستطع الناموس أن يوفِّي حقها. فجاء المسيح وأعطى الناموس أجازة لكي يكمِّل بصليبه وموته ما استحال على الناموس تكميله بآلاف الوصايا والذبائح. وهو بذلك لم يُلغِ الناموس بل عمل ما عسر على الناموس عمله دون أن يخرج عن هدف الناموس وهو عبادة الله بالحق. وبهذا توقفت الوصايا التي بالناموس، لا عن خطأ فيها، ولكن بسبب القصور في الإنسان الذي يحتاج إلى قوَّة ونعمة مجَّانية خارجة عن نفسه آتية إليه من فوق من المسيح والآب والروح القدس ليكمِّل أصعب الوصايا مثل أن يحب أعداءه، ويبارك لاعنيه، ويُحسن إلى مبغضيه ويصلِّي من أجل الذي يسيء إليه ويطرده. الأمر الذي لم يستطع الناموس أن يقترب إلى مثل هذه الوصية ولا من بعيد إذ اكتفى بالوصية: أحبب قريبك وابغض عدوك!! والذي يقلع لك عينك اقلع له عينه! هذه بسبب غياب المحبة الحقيقية وذلك بسبب غياب نعمة الله المجانية والقوة الإلهية العاملة في الإنسان وقف عند أحبب قريبك فقط، ولكن حينما أدخل المسيح على طبيعة الإنسان نعمة الله وقوة روحه القدوس استطاع المسيح بمنتهى الهدوء أن يوصي بمحبة العدو!! وهكذا ظهر أن الناموس ناقص وهكذا أكمل المسيح الناموس الناقص!!

وواضح من كل هذا أن ناموس موسى ساير طبيعة الإنسان العائش بالفطرة، أمَّا المسيح فجاء ليغيِّر هذه الطبيعة ويخلقها جديدة بروح الله وبقوة غلبته للموت وقيامته بحياة أبدية في صميم جسم الإنسان!! هذا هو جئت لأُكمِّل فيما يخص الناموس بالنسبة للحياة مع الله.

أمَّا تكميل المسيح لأقوال الأنبياء فقد تخصَّص فيها إنجيل ق. متى، يُظهرها بقوة، ذلك بكلام المسيح نفسه واستشهاده هو بأقوال الأنبياء التي قيلت فيه، وأقوى شهاداته يوم قرأ في سفر إشعياء عن إرساليته من الله ومسحه بالروح القدس للقيام بمهمته العظمى ثم تعليقه على الفصل الذي قرأه بقوله: «اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم.» (لو ٤: ٢١)

١٨:٥ «فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ

مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ».

«الحق»: ἀμήν

كان من الأفضل نقل الكلمة كما هي: "آمين"، لأن كلمة "آمين" أصبحت في الكتاب المقدَّس اصطلاحاً غير قابل للترجمة، وهي تُقال في مواضع **التعبير عن الحق والصدق الإلهي المستحق كل إيمان!** والكلمة في التعبيرات الإلهية لا تفيد مجرَّد قول الحق بل تضيف على الحق أهمية وسمواً إلهياً. والملاحظ أن إنجيل ق. يوحنا احتفظ بوزنها الأرامي الذي كان يتكلَّم به المسيح بتكرارها "آمين آمين" ولكنها تُرجمت للأسف «الحق الحق أقول لكم...» والقديس يوحنا تمسَّك بها ليثبِّت في العقول والقلوب مكانها وهيبتها لأن هنا الله يهوه يتكلَّم!! أمَّا الأناجيل الثلاثة فاكتفوا بمعناها واكتفوا بمفردها.

أمَّا قوله: «إلى أن تزول السماء والأرض» فهنا لا يقصد انحلال السماء والأرض وفناءهما، بل يقصد زوال الوجه المادي للسماء والأرض، لأن كليهما سيتحوَّل إلى «سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر» (٢بط ٣:١٣). وهذا هو الذي يقصده المسيح بقوله: «حتى يكون الكل»، وحينئذ لا يعود للناموس بنقطه وحروفه وجود، لأن الوجه المادي من الناموس سينتهي بانتهاء الوجه المادي للخليقة كلها بما فيها الإنسان.

وقوله: «حتى يكون الكل» يؤكِّد أن الناموس بنقطه وحروفه يتحقَّق الآن إنما يتحقَّق روحياً وليس مادياً، وهذا هو مرَّة أخرى التكميل بكل معناه ومبناه. فالناموس بوجهه المادي ناقص نقصاناً حزيناً، ومجيء المسيح يعطيه الكمال الروحي الذي يجعل الإنسان قادراً بروح الله أن يكمِّله في المسيح لمجد الله الآب!

والآن لا يعود الإنسان المسيحي يغسل أباريق وكؤوساً وأسرَّة لتتطهَّر لأنه أصبح بالمسيح «كل شيء طاهر للطاهرين» (تي ١:١٥)، ونحن تطهَّرنا بدم المسيح وبروح إلهنا. وهكذا ذاب الناموس المادي من بين أصابعنا ولم يعد له لزوم أو وجود!! ولكن نحن بالمسيح يُقال إننا أكملنا الناموس!!

«لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس»:

«الحرف»: هو أصغر حرف في اللغة العبرية وهو "yodh" وهو حرف "י" الياء وهي تقابل يوطا باليونانية. و**"النقطة"**: في اليوناني هي κεραία أي قرن وهي في الحروف العبرية نتوء صغير للغاية تكاد العين غير المدرَّبة أن لا تلمحه وهو يظهر في الباء (bh) لكي يفرِّقه عن حرف الكاف كالآتي: الباء ב ، الكاف כ وهو نتوء في يمين قاعدة الحرف، هذا هو مفهوم النقطة بالعبري.

وهكذا فالمعنى أن الناموس باليوطا وبالنقطة باقٍ كما هو إلى أن يتحوَّل الكل إلى العالم الروحي وينتهي الوجه المادي من العالم والإنسان وكل ما له.

علماً بأن حتى والمسيح واقف يتكلَّم عن هذا التحوُّل المزمع أن يكون، كان التجسُّد قد بدأ بوجوده في جسد إنسان تمهيداً للتحويل العظيم القادم إلى الروح. وعندما تتحقَّق الأرض الجديدة والسماء الجديدة ينتهي كل الناموس وتعلقاته، كذلك حتى الإنجيل بعد أن يتحقَّق بكل كلامه ومعناه ويصير الإنسان خليقة جديدة تستوطن السماء، لا يعود للمكتوب وجود، لأنه يكون قد تحقَّق بالروح.

١٩:٥ «فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ».

المسيح هنا يراهن على الكتبة والفرِّيسيين المدَّعين علم الناموس والعمل به، أنهم مهما حاولوا الإعلاء من أنفسهم وقدراتهم على حساب الناموس فهم بحسب قياس المسيح "أقزام"، لا تُرى قامتهم المسحوقة أمام قامة المسيح، الذي رفع من "اليوطا والنقطة" لتكون على مستوى التكميل في عمل المسيح ليعطي لها المعنى والضخامة الروحية في ملكوت الله، حينما يحوِّل الصورة المادية للناموس إلى الصورة الروحية الكاملة وبملء قامته وملكوته!!

وما العظيم هنا الذي يتكلَّم عنه المسيح إلاَّ المسيح ذاته الذي علَّم بالروح فاستعلن ملكوت السموات من وراء الناموس، والذي عمل من أجل الملكوت فأكمل الناموس بالروح والحق!

وواضح هنا أن المسيح لم يسيء إلى الناموس بكلمة أو ينفي قدسيته حتى الحرف منه واليوطا، إنما ركَّز القول أنه جاء ليكمِّل ما ابتدأه الناموس، وسيظل يكمِّله وتلاميذه معه إلى أن يستعلن اكتماله بانفتاح ملكوت الله وانتقال الإنسان من بر الناموس المحدود بالعمل البشري إلى بر الملكوت اللانهائي والمستمد من بر المسيح، بالنعمة الموهوبة مجاناً لحياة أبدية.

٢٠:٥ «فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ».

وأخيراً نجيء إلى الآية حاملة مفتاح سر البر اللازم لدخول ملكوت الله، وهنا يحدِّد المسيح تحديداً أن بر الكتبة والفرِّيسيين القائم على المعرفة والعمل بالناموس يستحيل أن يدخل به إنسان إلى ملكوت الله، وأن المسيح جاء ليستعلن بر الله بدون الناموس بموت المسيح وقيامته وتجديد الطبيعة

البشرية لنوال موت الصليب بالدم لدخول ملكوت الله. وهو ولو أنه برّ قائم أساساً على بر الناموس باعتباره وصايا الله، ولكن بلغ في نهايته إلى بر المسيح كلمة الله الحية القادرة أن تخلق إنساناً جديداً لائقاً لملكوت الله. هذا سيفتح به المسيح صفحة جديدة للمقارنة بين وصايا الناموس ووصاياه التي يستحيل العمل بها أو بلوغ برِّها إلاَّ بنوال نعمته، وبرّه الفائق الإلهي. فسنسمع حالاً قوله: إنه قيل في الناموس القديم لا تقتل وهذا جيد جداً باعتباره قانون رادع لخطية القتل لأن مَنْ قتل يُقتل. أمَّا في المسيح يسوع فأنا أقول لكم لا تغضب ومَنْ غضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم. والحكم هناك كان قتلاً بقتل أمَّا الحكم هنا فهو الامتناع عن دخول ملكوت الله. الحكم هناك كان عقاباً رادعاً، والحكم هنا هو تهذيب للطبيعة البشرية تمهيداً لتجديدها بفعل النعمة والروح القدس. والحياة الأرضية في القديم كانت تحتاج إلى إرادة حديدية قاطعة لتلافي عقاب الموت، أمَّا في الحياة الجديدة بالروح في نعمة المسيح فتحتاج إلى إيمان وثيق بالمسيح لينال الإنسان حماية وحفظاً لحساب الملكوت. وواضح من هذا أن المسيح جاء ليكمِّل القديم بالكمال الروحي بعمل نعمة الله ومؤازرة روحه القدوس.

كذلك يقول الناموس لا تزنِ ومَنْ يزني يُرجم للموت، ويحاول الكتبة والفرِّيسيون أن يشرحوا ذلك ولكن أن يمنعوه من الطبيعة البشرية فأمر مستحيل. وجاء المسيح يقول لا تشتهِ ويعطي مع القول نعمة حتى تنضبط الشهوة فلا تبلغ الطبيعة إلى مستوى الزنا. وهكذا يتبيَّن أن الناموس كان يعالج الزنا بالرجم أي الموت كعقاب رادع، أمَّا المسيح فجاء ليعطي الطبيعة البشرية قوة إضافية بالنعمة حتى تكف عن مجرَّد الاشتهاء فلا تصل الطبيعة إلى السقوط في الخطية والموت بل تتهيَّأ للتجديد لتحيا بالروح وليس بالجسد. حيث "أولاد الله لا يخطئون بل ولا يستطيعون أن يخطئوا" (انظر: ١يو ٣:٩، ٥:١٨). لأن طبيعة الإنسان الجديد التي خلقها المسيح فينا هي ليست ترابية بل من ذات طبيعة ابن الله القائم من الأموات: «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات.» (أف ٢:٦)

وبهذا كان بر الكتبة والفرِّيسيين قائماً على ردع الطبيعة وقتلها إذا زلَّت، أمَّا برُّ المسيح فكان قائماً على تجديد الطبيعة البشرية بمؤازرة النعمة والروح القدس لتستحق الحياة الأبدية. كنت الوصية الأُولى عقابها الموت، أمَّا الثانية (وصايا العهد الجديد) فوَعْدُها الحياة الأبدية. على أساس هذا أعطى المسيح الطوبى للجياع والعطاش إلى البر، بر القداسة وعمل المسيح لأنه يُعطى لهم فيصيرون بني الملكوت. وطوبى للمساكين بالروح، النازعين نحو الروح ليحتموا به وينالوا نصرة لحساب الله فإنهم ينالونه ويصيرون بني الملكوت.

المقابلات الست بين الناموس والمسيح

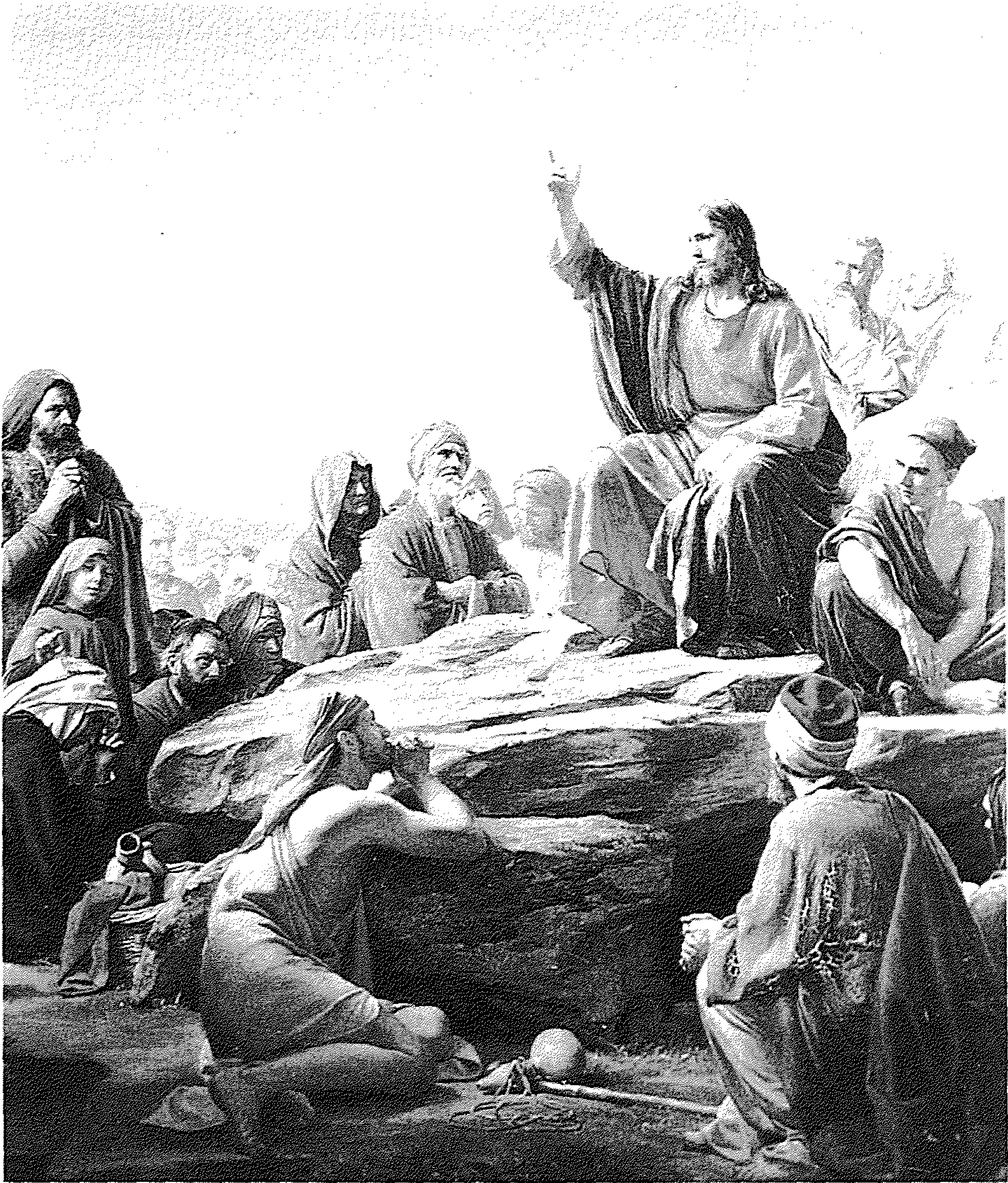
[٢١:٥-٤٨]

المقابلة الأولى: الوصية السادسة: القتل:

٢١:٥و٢٢ «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ».

الكلام هنا عن الوصية السادسة: «لا تقتل» وعن عقابها القتل (خر ٢٠:١٣، ٢١:١٢). وهنا يتدخَّل المسيح في صميم الوصية ليكشف منابعها الأُولى. فالغضب هو علة القتل الأُولى، والمسيح يكشف سبب القتل وعلته الأُولى وينهي عنها. فالغضب هو الذي يستوجب الحكم وليس القتل، ولكن إذ يستحيل على المحقِّق أن يكشف ويحصر علة الغضب أصبح الحكم فيها يكون عند مَنْ يكشف الضمائر والقلوب، وبالتالي يكون الحكم هنا بيد الله. والله حوَّل كل الأحكام على الابن ليدين فيها «لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن» (يو ٥:٢٢). والابن تجسَّد لكي يحمل كل خطايا الإنسان في جسده على الصليب ويأخذ عليها حكم اللعنة والموت فيبرِّئ الإنسان ثم يقوم بذات الجسد مبرَّءاً ومبرِّراً. وهكذا يكون المسيح قد استوفى أحكام خطايا الإنسان جميعاً، وأهم عمل عمله المسيح ـ بعد استيفاء دينونة الخطية وإلغاء حكم الموت عليها ـ أنه أعطى الإنسان بالقيامة من الأموات طبيعة جديدة مرفوعاً عنها سلطان الخطية وحكم الموت الأبدي وممنوحة حياة أبدية بواسطة المسيح وفيه. فأصبح عمل المسيح الآن أن يبني الإنسان الجديد على أساس وصايا التوعية من الخطية، لأنه وهب الإنسان الجديد نعمة الغلبة على سلطان الخطية بالقيامة من بين الأموات. وهكذا يكون مَنْ يغضب يكون قد أهمل عمل النعمة ورفض الحياة الأبدية. وهذا هو معنى مَنْ غضب على أخيه باطلاً ـ بالرغم مما عمله المسيح ـ يكون مستوجب الحكم، والحكم هنا عدم ميراث الحياة الأبدية أي الحرمان من الملكوت، الأمر الذي هو العقاب الأقسى.

وبذلك فإن المسيح بصفته المخلِّص من الخطية والموت ومعطي النعمة والحياة الأبدية، وبصفته



المسيح على الجبل، والتلاميذ والشعب حوله يسمعون بإنصات واهتمام شديدين

الديَّان الوحيد، يكون قد سحب حق التشريع والعقاب معاً من الناموس! لذلك يقول الآن قيل لكم في القديم أمَّا أنا فأقول لكم. هذا القول التشريعي الجديد يقوم على أساس الفداء الذي أكمله للإنسان بموته من أجل خطايانا وقيامته من أجل حياتنا الجديدة وإعطائنا خلقة جديدة بالروح.

وبهذا العمل الجبَّار **سلَّمنا المسيح الحساسية الشديدة من نحو الخطية في أصولها الأُولى = Principiis obsta أي مقاومة البدايات، لكي لا تعمل في حياتنا الجديدة، فأعطى وصية أن لا يتعدَّى الإنسان على أخيه** ويقول له: "رَقَا Raca" وفي أصولها الأرامية الأُولى تعني يا صاحب العقل المقفل، وإلاَّ يكون مستحقاً الحكم أي الرفض من الله، أو يقول له يا أحمق فيكون مستحقاً أن يُلقى في جهنم أي يحرم من الله. وهكذا يعالج المسيح الأصول الأُولى أو بدايات الخطية التي تؤدِّي إلى القتل، وهو في الحقيقة يعالجها بالنعمة وليس بالبتر كالناموس لأنه قد أعطى النعمة التي تنقذ من الموت ومن الفساد، وتوحي للإنسان بالتوبة فينجو.

وبذلك نرى أن **الناموس يختص بالأعمال الظاهرة في نهايتها كالقتل، ويعالجها بالقتل. أمَّا المسيح فيختص بالحركات الأُولى في الضمير ليعالجها بالنعمة ويفتح أمامها مجال التوبة للنجاة.** وطبعاً هذا الوضع الجديد صار بسبب تجسُّد ابن الله وأخذه طبيعة الإنسان خلواً من خطية، وبدأ بهذه الطبيعة يعالج أسباب السقوط الأُولى ويرفع عنها قصورها بتشديد النعمة وعمل الروح القدس. فحقَّ له إزاء حكم الناموس أن يقول: أمَّا أنا فأقول!! ليس من فراغ بل بعد آلام مروّعة وموت على الصليب وقيامة بقوة ومجد لحساب الإنسان!

التطبيق لرفع حساسية الضمير:

٥: ٢٣و٢٤ «فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ».

هنا المثل يأتي للمخاطَب المفرد ليحصر التعليم الشخصي في أضيق حدوده لتنبيه الضمير. وهنا يتحوَّل المسيح من الحض على عدم الغضب باطلاً إلى المحبة الواعية مع توقير الله ومخافته. حيث تظهر المحبة هنا على هيئة مصالحة قلبية. ويبدأ المثل بإنسان تقدَّم إلى الله بقربان شكر ينم عن توقير الله وعن مخافة ومحبة أيضاً، ويتذكَّر وهو واقف قبالة المذبح أنه أخطأ في حق المحبة من نحو أخيه. هنا يتدخَّل المسيح ويوحي للإنسان أن قربانه سيكون غير مقبول إن لم يذهب ويقدِّم نفس المحبة والمصالحة مع أخيه أولاً وحينئذ يقبل الله قربانه من يديه. وهنا يُشعل الله مصباح النعمة داخل

ضمير الإنسان لكي تزداد حساسيته من جهة المحبة والمصالحة مع أخيه الإنسان على نفس مستوى إحساس الإنسان بمحبة الله وإرادة المصالحة معه سواء بسواء، وهي نفس الوصية «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ... والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك» (مت ٢٢: ٣٧-٣٩)، يقدِّمها المسيح في صيغة عملية ملزمة من جهة الضمير نحو الآخر. وهنا يكشف المسيح الوجه الروحي العالي للوصية في مفهوم العهد الجديد.

ولكن يعود المسيح ويؤكِّد ضرورة الحل السريع للمصالحة والسلام مع الغير حتى ولو أخَّر القربان.

٥: ٢٥و٢٦ «كُنْ مُرَاضِياً لِخَصْمِكَ سَرِيعاً مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ، لِئَلاَّ يُسَلِّمَكَ الْخَصْمُ إِلَى الْقَاضِي، وَيُسَلِّمَكَ الْقَاضِي إِلَى الشُّرَطِيِّ، فَتُلْقَى فِي السِّجْنِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لاَ تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ الْفَلْسَ الأَخِيرَ!».

الوضع تغيَّر عن واقع الآيتين (٢٣و٢٤) السالفتين، فهناك كان المخاطَب هو المسئول عن الذهاب للمصالحة قبل أن يوفي قربانه على مذبح الله. هنا نجد الخصم يتخذ إجراء الشكوى الرسمية ويفوز بحكم ضد المسيحي الذي عليه أن يسعى لتخليص ذمته قبل أن يُغرَّم. ويبدو أن المخاصمة تختص بتخليص دين تأخَّر عن تسديده. وهكذا يحض المسيح على سرعة إيفاء ديون الإنسان المسيحي حتى لا يقف أمام المحاكم والقضاة ويغرَّم تحت وطأة القانون، وإلاَّ يُهان الإنسان ويُغرَّم رغماً عنه.

أمَّا الفلس الأخير فهو يساوي بالتقدير المالي واحد على أربعة وستين من الدينار، والدينار يكافئ أجرة عامل في اليوم أي يساوي الآن عشرة جنيهات، لذلك فالفلس يساوي حوالي خمسة عشر قرشاً.

ولكن المسيح ليس مشغولاً بديون الناس ولا المحاكم والسجن، ولكن شغله الشاغل هو حياتنا الأبدية، وهو يرى أن القاضي هو صاحب الدينونة والسجن هو جهنم. والمرجو من القارئ أن يعود إلى (مت ١٨: ٣٠-٣٥) ليجد نفس التصوير الذي ينتهي بالقول: «فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته». وسواء هنا في (٥: ٢٥و٢٦) أو في (١٨: ٣٠-٣٥) فالمسيح يحرِّض على التسامح القلبي من الآن لئلاَّ نغرَّم غرامة مميتة إن تركنا ديوننا الروحية وصمَّمنا على عدم مسامحتنا وصفحنا عن زلات الآخرين.

هذا يشرح به المسيح عن قضائه من جهة الوصية السادسة "لا تقتل". فانظر أيها القارئ السعيد إلى أي حد حوَّلها المسيح وعمَّق وكشف عن الوجه الروحي السليم لمنع القتل وحتى العداوة

والبغضة! وكشف عن الضرورة القصوى للسعي بغاية السرعة دون إبطاء لتخليص ذمة الضمير من ديون المحبة والسلام حتى لا تبيت الخصومة أو المقاطعة في القلب: «لا تغرب الشمس على غيظكم» (أف ٤:٢٦). علماً بأن المسيح سيعالج حالة ما إذا رفض الأخ الذي ذهبت إليه مسرعاً للمصالحة فلم يقبل ذلك في (١٨:١٥-١٧). أمَّا الآن وبصدد الوصية السادسة فرفعها المسيح من الوضع الظاهري إلى مشكلة قلب وضمير يتحتّم رفع المسئولية عنه.

المقابلة الثانية: الوصية السابعة: الزنا:

٥:٢٧و٢٨ «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ».

وهنا أيضاً في الوصية السابعة في الناموس تظهر نفس قضية الوصية السادسة بالنسبة للقتل، فإن الناموس طرحها للمعلمين ليكشفوا للشعب عن كيفية تلافي الزنا، ولكن خطأ الكتبة والناموسيين أنهم ناقشوا العقوبة و لم يناقشوا وسيلة تلافي الخطية. وهنا يدخل المسيح مباشرة ليصلح هذا التقصير في معالجة الوصية، ويرفع الخطية من قضية زنا تمَّ بالفعل، إلى قضية شهوة أرسلها الشيطان في القلب يمكن تلافيها، معتبراً أن العين التي تنظر هي النافذة المفتوحة على الخطية وهي المسئولة عن حركة خطية الزنا، فجعلها المسيح القاعدة التي يبدأ عنها الحساب. فكل مَنْ نظر إلى امرأة ليشتهيها في قلبه فيُحسب أنه أكمل الفعل.

ولا يقصد المسيح النظر بحد ذاته، ولكنه يهدف نحو القصد من النظر. وهنا ينتقل المسيح في الحال من العين إلى القلب والضمير، حيث الشهوة لا تكمن في العين بل تكمن في القلب المحسوب أنه قاعدة الشهوات والنزوات والرغبات النفسية. فالشهوة تعبِّر عن نفسها تعبيراً فاضحاً في نظر العين، ولا يغيب كشفها في الحال! والمرأة أول مَنْ يكتشف مدى فسق الرجل من نظراته. والناموس أعطى بعد ذلك لهذا المدخل في الزنا وصية عاشرة قد تصلح أن تكون حاكمة: «لا تشتهِ بيت قريبك، لا تشتهِ امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك» (خر ٢٠:١٧)، وأعادها في (تث ٥:٢٠و٢١). ولكن التقصير الحادث في الناموس هو من جهة التعامل مع هذه الوصية بسبب الانتهاء من الدينونة بمقتضى الفعل الخارجي.

فالذي عمله المسيح هنا هو أنه دخل إلى القلب باعتباره المسئول عن الحواس والعواطف وكل حركة شهوانية في الإنسان: «لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنىً فسق سرقة شهادة زور

تجديف، هذه هي التي تنجِّس الإنسان ...» (مت ١٥: ١٩و٢٠). والمسيح رأى في خطية القتل أنها شهوة قلب تحرَّك بالغضب و لم يُضبط، ورأى في الزنا كذلك حركة شهوة في قلب غير منضبط تغذّيها العينان.

ولكن الجديد في اكتشاف عمل الشهوة الذي يدين صاحبها أنها ليست الشهوة الطبيعية بل المثارة عمداً لإيقاظ الخطية بالنظر إلى امرأة «**ليشتهيها**». فهنا عملية تعدٍّ على عرض بالنظر عن عمد تساوي العمد الفعلي في الزنا، ولا عذر للمتعدِّي في هذا، فهنا ليست الطبيعة هي المسئولة بعد بل الإرادة المنحرفة غير الخاضعة ولا منضبطة. فهنا العقوبة تقع على الإنسان تماماً كعقوبة الزنا الفعلي. لذلك قال المسيح تعقيباً على مَنْ نظر إليها بقوله: «لكي يشتهيها» «**فقد زنا بها في قلبه**». أي أن الشهوة أكملت مشوارها الإرادي سرًّا في القلب، فوجبت العقوبة. لأن شرط العقوبة أن يكون فعل الإرادة الواعية قد تمَّ عن وعي ومعرفة. أمَّا العقوبة فينبغي أن تقع على العين العاثرة لأن بدون العين لا ينظر الإنسان ليشتهي. وهنا امتنعت أن تكون العقوبة من قبل القاضي بل من قبل الإنسان نفسه لأنه يكون هو المسئول عن توقيع هذه العقوبة على نفسه، كيف؟ ترد على هذا السؤال الآية القادمة.

٥: ٢٩و٣٠ «**فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ**».

هنا في الحقيقة يلجأ المسيح إلى عملية "سيكلوجية" أي نفسية راقية، فهو يرفع من حماس النفس وغيرتها ضد العين العاثرة إلى درجة القلع، وهناك بعض حالات تمَّ فيها هذا الأمر. ولكن ليس المطلوب أن نقلع العين، ولكن أن نقف موقف البغضة والعداء الشديد نحو هذه العين، وحينئذ تكون الدرجة الثانية أن نعزلها عن العمل بشبه حكم بالموت على العين، وبمعنى واقعي نحرمها من هذا السلوك المشين ونصبح مراقبين لهذه العين ونسهر على ضبطها حتى لا توقع الجسد كله في الخطية والهلاك: «عهداً قطعت لعيني فكيف أتطلَّع في عذراء» (أي ٣١: ١). ولكن في مفهومنا للعهد الجديد نعلم أن هذا لا يكفي، والله يعلم هذا، والمسيح نفسه الذي قال هذا يعلم هذا أيضاً. لذلك وبقوة مستمدة منه من فيض بركات الفداء والخلاص وهبة الروح القدس والنعمة يعطي المسيح للذين يعزمون على هذا الانضباط قوة ونعمة تصنع لنا وفينا «أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة (المسيح والروح) التي تعمل فينا» (أف ٣: ٢٠). وعلى هذا المنوال فيما يختص باليد اليمنى.

وأيضاً في (١٨ :٧-٩) يكرِّر ق. متى هذا الكلام بعينه.

ونفهم من هـذا أن فكـر المسيح يتجـه بحمـاس شـديد إلى استخدام الإرادة والحزم والحسم في مواجهة الخطية وكل حركاتها في الجسد، إذ يلزم المقاومة القاطعة السريعة لكل حركـة ميـل مفتعلـة أو طبيعية نحو الخطية. فإن كان كتاب ما هو الذي يجذب الفكر نحو الخطية فيجب أن يُلقى بعيداً في الحال، وإن كانت صورة تُمزّق، أو إن كان شـريطاً يُحـرق، أو خطاباً يُمـزَّق أو مكالمـة توقـف في الحال، علاقة توقف، وعداً يُلغى، طعاماً يُرفع. هذا من جهتنا، وهو كفيل بكل المقـاييس الاختبارية أن تقابله عملية إنقاذ سريع مـن الـروح القـدس لا يصدِّقهـا عقـل، ويعينهـا حـركـة تقديـس للقلـب والأعضاء والجسد: «أقمع جسدي وأستعبده» (١كو ٩ :٢٧).

+ «لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجسـاً فـأقبلكم وأكـون لكـم أبـاً وأنتم تكونون لي بنين وبنات. يقول الرب القادر على كل شيء.» (٢كو ٦: ١٧و١٨)

+ «ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها. بـل خـافوا بـالحري من (الديَّان) الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم.» (مت ١٠ :٢٨)

+ «لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.» (١كو ٦ :٢٠)

المقابلة الثالثة: تتبع الوصية السابعة: الطلاق (مت ١٩ :٩، مر ١٠ :١١و١٢، لو ١٦ :١٨)

٥ :٣١و٣٢ «وَقِيلَ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاَقٍ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَـنْ طَلَّـقَ امْرَأَتَـهُ إِلاَّ لِعِلَّةِ الزِّنَى يَجْعَلُهَا تَزْنِي، وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي».

إن التشدُّد الحادث في العهد الجديد بواسـطة المسيح في أمـر الـزواج والطـلاق أكـثر مـن العهـد القديم، راجع إلى انفتاح الملكوت والحياة مع الله. فدخلت علاقة الرجل بـالمرأة وضـع الخلقـة الأول كما تمسَّك بذلك المسيح حينما سُئل:

+ «هل يحل للرجل أن يطلِّق امرأته؟ ليجرِّبوه. فأجاب وقال لهم: بماذا أوصاكم موسـى؟ فقـالوا: موسى أذِنَ أن يُكتب كتاب طلاق فتُطلَّق. فأجاب يسوع وقال لهم: من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية، ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأُنثى خلقهما الله، من أجـل هـذا يـترك الرجل أباه وأُمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذاً ليسا بعد اثنين بـل جسـدٌ واحدٌ. فالذي جمَّعه الله لا يفرِّقه إنسان.» (مر ١٠: ٢-٩)

ونقول: إنه بانفتاح الملكوت أصبحت الكنيسة تمارس سر الزيجة بين الرجل والمرأة لحساب الملكوت والنسل الخارج منهما. ومن هذا المنطلق لم تعد الزيجة للمتعة، ولا على مستوى العالم، بل على مستوى ميراث الملكوت والحياة الأبدية. ومضمون سر الزيجة المسيحي، هو حدوث اتحاد سرِّي بالروح القدس بين الرجل والمرأة على أساس اتحادهما معاً في جسد المسيح، فهذا هو الذي جمعهما إلى واحد. بمعنى أنه بصلاة الكنيسة وطلب الروح القدس ليحل ويبارك على اتحادهما يحدث الاتحاد السرِّي بالروح القدس في جسد المسيح، لأنه لا يمكن أن تحدث وحدة في الكنيسة بدون الروح القدس وبدون جسد المسيح. فلو علمنا أن الكنيسة تمثِّل جسد المسيح السرِّي يصبح اتحادهما إلى جسد واحد جزءاً لا يتجزَّأ من كيان الكنيسة التي هي جسد المسيح.

فالآن ينبغي أن نتصوَّر أن اتحاد الرجل والمرأة بسر الزيجة، بواسطة الكنيسة، ينشئ كياناً جديداً للرجل والمرأة، كياناً متحداً من "أنا" الرجل، و"أنا" المرأة، هو "أنا" الزيجة. هذا الكيان الجديد هو مقدَّس أمام الله، يمتلكه الزوج والزوجة والمسيح، وهو أعلى من كيان الرجل وكيان المرأة منفردين، وهو مصدر قوتهما وسعادتهما في حياة الزيجة الجديدة، وكما قلنا إنه ليس ملكاً للرجل وحده ولا للمرأة وحدها، بل ملكاً لهما معاً باتفاق وتحت وصاية المسيح وبركة وقوة الروح القدس صاحب السرِّ!!

وطالما حافظ عليه كلٌّ من الرجل والمرأة، وكرَّماه وقدَّساه، تقدسا به وصار ضمين خلاصهما معاً وقداستهما معاً ولحساب الملكوت، ولكن لا يدخلان الملكوت بهذه الوحدة المقدَّسة بسر الزيجة، ولكنها توهِّلهما لدخول الملكوت كلٌّ بكماله المسيحي، حيث هناك تصير الوحدة الكاملة الفردية مع المسيح، لأن في الملكوت لا توجد ثنائيات زيجية، بل وحدة من الكل في المسيح.

هنا اتحاد الرجل بالمرأة لتكوين الكيان الزيجي الجديد المتحد بالمسيح والروح القدس، يدخل فيه المسيح كعنصر أساسي يكمِّل بوجوده عجز الخليقة ويقدِّسها لحساب الآب. والغاية الكبرى من سر الزيجة وخلق هذا الكيان الجديد من الرجل والمرأة واتحادهما بالمسيح، هو النسل. فالكنيسة عينها من النسل، لأنه هو وجودها وحياتها، فالنسل المتحصِّل من الزيجات المقدَّسة، هو الأعضاء التي تكوِّن هيكل الكنيسة. فهمُّ الكنيسة الأعظم هو النسل الذي إذا تربَّى وعاش تحت مظلَّة الزيجة المقدَّسة المتحدة بالمسيح والمؤازرة بروح الله، تضمن الكنيسة خلاصه ليكونوا أعضاءً في الملكوت. وواضح الآن أن سر الزيجة ينتهي بالملكوت للرجل والمرأة والنسل.

فالآن، كيف نطيق بعد هذا البناء لهيكل الكنيسة ولحساب الملكوت، ونتصوَّر أن يحدث طلاق؟

ألا يكون هذا بمثابة تقطيع الكيان السرّي الجديد الذي نشأ من اتحاد الرجل والمرأة بسر الزيجة وحضور الروح القدس، والاتحاد بجسم المسيح؟

ثم ألا يكون هذا هدماً لجسم الكنيسة، وقطعاً للطريق أمام الرجل والمرأة والنسل المؤدّي إلى الملكوت؟

لذلك نعود ونؤكّد أن سر الزيجة وما ينشأ منه باتحاد الرجل والمرأة ليكونا جسداً واحداً في المسيح بكيان جديد، هو عنصر بناء الكنيسة. وليس هذا تصوراً أو عقيدة أو افتراضاً، بل واقع حي يغار عليه المسيح.

فالكنيسة التي تتهاون في تسهيل الطلاق، إنما تهدم نفسها وتقضي على مستقبل الذين سهّلت لهم الطلاق، وهذا يكاد يكون غلقاً لباب الملكوت في وجوههم.

لذلك إذا قرأنا وسمعنا المسيح يتشدّد في ذلك، فالأمر يخصّه وهو يغار على جسده وعلى مستقبل أولاده بالنسبة للملكوت الذي كلّفه دمه.

أمّا تحديد خطية الزنا أنها تفسخ هذا العقد أو هذا السر، فلأن الذي وثّق السر هو الروح القدس، ويستحيل أن يجتمع الروح القدس والزنا. فالروح القدس يظل ساهراً على سر الزيجة يمدّه بالمشورة والمعونة للتغلُّب على صعاب الحياة، ولكن بمجرَّد أن تحدث خطية الزنا ينسحب الروح القدس من السر وتنفك الوحدة من تلقاء ذاتها حتى بدون طلاق. فالطلاق هنا إنما يأتي تحصيل حاصل، فخطية الزنا تُحسب أنها ضربة من الشيطان عنيفة موجَّهة لقداسة السر وعمل الروح القدس. لذلك أصبحت الكنيسة ملزمة أن تجري الطلاق بكل حزن وأسى، وكأنها تجرح نفسها وتقطع جسدها بيدها.

ولكن إن أحس الزوج والزوجة بهذه الخطورة التي تبلغ حد الجريمة في حق الشريك والأولاد والمسيح والروح القدس، واستطاع المخطئ أن يعترف ويتذلّل ويطلب الغفران، فالغفران هنا لا يُمنع على أساس دم المسيح القادر أن يقدّس بعد نجاسة ويحيي من الموت!!

+ «يا امرأة أين هم أُولئك المشتكون عليك؟ أما دانكِ أحد؟ فقالت: لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع: ولا أنا أدينكِ، اذهبي ولا تخطئي أيضاً.» (يو ٨: ١٠و١١)

ولكن بعد هذا نقول: إنه يلزم جداً للزوجين أن يُدركا حقيقة سر الزيجة على هذا الأساس حتى تتقدّس علاقتهما معاً بالوعي الروحي لقيمة هذا السر العميق والضارب جذوره في ملكوت الله.

ومرَّة أخرى نوعيٌّ، أن من الاتحاد السرِّي بين الرجل والمرأة في سر الزيجة، ينشأ كيان زيجي جديد من الاثنين، فائق على كيان كل منهما بمفرده. فذات الرجل، وذات المرأة، أنشأا باتحادهما ذاتاً جديدة أقوى وأعظم من كل منهما، هي مصدر حبهما الشديد ومصدر عطفهما على بعض. وهي بمثابة مجال جديد جاذب لكل منهما نحو الآخر، هذا يحسّه من نجح في تكريم حياته الزوجية، فلو انفتح وعي كل منهما على هذه الحقيقة وعاشا معاً في ظلها، يصعب جداً، بل ويكون من المستحيل أن يخون أحدهما الآخر.

لذلك نتمنّى أن تشدِّد الكنيسة على سمو هذا السر العميق والفائق، لأن في إدراك هذه الحقائق تتقدّس الوحدة، وتثمر لحساب الكنيسة والمسيح.

المقابلة الرابعة: وصية الحلفان

٥: ٣٣-٣٧ **«أَيْضاً سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَحْنَثْ، بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ، لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللهِ، وَلاَ بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلاَ بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. وَلاَ تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ، لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ. بَلْ لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لاَ لاَ. وَمَا زَادَ عَلَى ذلِكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ».**

الأمر هنا هو أمر الناموس المتكرِّر وبتأكيد عن عدم النطق أو الحَلِف باسم الله باطلاً في (خر ٢٠: ٧، لا ١٩: ١٢)، وعن الالتزام بإيفاء النذور أمام الله في (عد ٣٠: ٢، تث ٢٣: ٢١) ولو أنه يقول: «لا تحلف باسم الرب إلهك باطلاً»، «أوفِ للرب أقسامك». ولكن الجذر الأصلي المنحدر منه هذا التساهل في القَسَم باسم الله هو أن يفتخر اليهودي بأن له إلهاً عظيماً يعبده:

+ «يفتخر كل مَنْ يحلف به.» (مز ٦٣: ١١)
+ «الرب إلهك تتقي وإياه تعبد وباسمه تحلف.» (تث ٦: ١٣)
+ «الرب إلهك تتقي وإياه تعبد وبه تلتصق وباسمه تحلف. هو فخرك.» (تث ١٠: ٢٠و٢١)

ثم تطوَّر الحلف، ليصير حَلِفاً أو قَسَماً عن حق وليس باطلاً، والذي يحلف باطلاً يُجازى.

ثم تطوَّر الحلف أو القسم في تعاليم الفرِّيسيين إلى أن مَنْ يحلف ولكن ليس باسم الرب فلو كان كاذباً أو حانثاً فهو عديم الأهمية. وهكذا هروباً من الالتزام بعدم القسم باطلاً بدأ الشعب يحلف

بالسماء والأرض وأُورشليم والهيكل والمذبح وذهب الهيكل. وطالما لم يحلف باسم الله إن هو حنث لا يغرَّم. وبدأ الربيون يقسِّمون الحلفان إلى واجب التنفيذ وإلى جائز التنفيذ وإلى عديم الالتزام:

+ «ويلٌ لكم أيها القادة العميان القائلون: مَنْ حلف بالهيكل فليس بشيء، ولكن مَنْ حلف بذهب الهيكل يلتزم! أيها الجُهَّال والعميان، أيما أعظم: ألذهب أم الهيكل الذي يُقدِّس الذهب؟ ومَنْ حلف بالمذبح فليس بشيء ولكن مَنْ حلف بالقربان الذي عليه يلتزم! أيها الجهال والعميان أيما أعظم القربان أم المذبح الذي يُقدِّس القربان؟ فإن مَنْ حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه، ومَنْ حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه، ومَنْ حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله والجالس عليه!» (مت ٢٣: ١٦-٢٢)

وهنا تضاربت الأقوال والنظريات والفتاوي وتاه الشعب وراء حكماء إسرائيل.

من هنا جاء المسيح واجتث هذه الأصول والفروع جميعاً، وأمر أن لا يحلف الإنسان البتة. لأن ذلك يعرِّض اسم الله للاستهانة، أو يعرِّض الإنسان للعقوبة إذا كان هناك حَنث. غير أنه قد جاءت الاستثناءات في العهد القديم من قِبَل الله نفسه لأن الله ثبَّت وعده بقسم:

+ «فلذلك إذ أراد الله أن يظهر أكثر كثيراً لورثة الموعد **عدم تغيير قضائه** (١) **توسَّط بقسم** (٢) حتى بأمرين [(١)+(٢)] عديمَي التغيير لا يمكن أن الله يكذب فيهما (القضاء والقسم) تكون لنا تعزية قوية نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا.» (عب ٦: ١٧و١٨)
+ «أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.» (مز ١١٠: ٤)
+ «قطعت عهداً مع مختاري. حلفت لداود عبدي إلى الدهر أُثبِّت نسلك وأبني إلى دور فدور كرسيك.» (مز ٨٩: ٣و٤)

وهكذا حلف الرب لداود حتى يمكن أن نثق في وعده ونُسائله عن هذا الحلف: «أين مراحمك الأُوَلُ يا رب التي حلفت بها لداود بأمانتك.» (مز ٨٩: ٤٩)

كذلك فقد أجاب المسيح على حلفان رئيس الكهنة تكريماً لاسم الله الحي: «وأمَّا يسوع فكان ساكتاً فأجاب رئيس الكهنة وقال له: **أستحلفك بالله الحي** أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع: أنت قلت.» (مت ٢٦: ٦٣و٦٤)

من أجل هذا وضع المسيح الحد الفاصل في المعاملات بين الناس جميعاً أن يكون كلامنا نعم نعم، لا لا. وأضاف أن مازاد على ذلك يكون من الشرير.

المقابلة الخامسة: الانتقام للنفس بالنفس **(لو ٦:٢٩و٣٠)**

٥:٣٨-٤٢ «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضاً. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِداً فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ».

إن قائمة الإساءات المردود عليها بالمِثْل طويلة كما جاءت في سفر الخروج:

+ «وإن حصلت أذيَّة تُعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسنًّا بسن ويداً بيد ورجلاً برجل وكيًّا بكي وجرحاً بجرح ورضًّا برض.» (خر ٢١:٢٣-٢٥)

ويزيد على هذه القائمة سفر اللاويين:

+ «كما أحدث عيباً في الإنسان كذلك يُحدَثُ فيه ... ومَنْ قتل إنساناً يُقتل ... الغريب يكون كالوطني. إني أنا الرب إلهكم.» (لا ٢٤:٢٠-٢٢)

كانت هذه هي أحكام المحكمة المدنية عند القدامى الغريب كالوطني حتى لا يُشجَّع الانتقام السرِّي. بل كل شيء يُقام بمحكمة ويُحكم فيها بحسب الناموس.

فجاء المسيح يقول: «**لا تقاوموا الشر**» وأكملها بالقول الذهبي: «أحبوا أعداءكم» (مت ٥:٤٤، لو ٦:٢٧). وهكذا أنهى المسيح على روح الشر جُملةً وتفصيلاً.

ولمَّا قال: «**مَنْ لطمك على خدك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً**» أعطى النموذج المُعان بالروح كيف نقابل الشر وكيف نتصرَّف بروح المحبة فكراً وعملاً وضميراً، ليسود السلام ويُوقف مسلسل الشر مرَّة واحدة.

وقد شرحها بولس الرسول في رسالة رومية هكذا: «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء، بل أعطوا مكاناً للغضب (غضب الله)، لأنه مكتوب: لي النقمة أنا أجازي يقول الرب. **فإن جاع عدوك فأطعمه. وإن عطش فاسقه ... لا يغلبنَّك الشر بل اغلب الشر بالخير.**» (رو ١٢: ١٩-٢١)

«ومَنْ أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً»:

هنا الخصام خصام محكمة بدعوى قضائية، فمَنْ أراد أن يخاصمك بحُكْم ليأخذ ثوبك (الخارجي) فاخلع له الرداء (الداخلي). علماً بأن الثوب الداخلي هو الذي يستر جسم الفقير أثناء النوم ولا يحل

الاستيلاء عليه: «إن ارتهنت ثوب صاحبك فإلى غروب الشمس ترده له لأنه وحده غطاؤه. هو ثوبه لجلده، في ماذا ينام، فيكون إذا صرخ إليَّ أني أسمع لأني رؤوف.» (خر ٢٢: ٢٦و٢٧)

وهكذا نحتمل تغريم الجسد ولا نكسر وصية المحبة.

كذلك تسخير الميل الثاني: هو قبول عنف الطاغي في السخرة ولا نُظهر روح المرارة والتذمُّر والحقد لمن يطغي ويسخرنا لحسابه. فبالمحبة نسير الميل الثاني ولا نسمح لروح الغضب أن ينزل إلى حلقنا حتى يصير قلبنا ينبوع حب يفيض الله عليه سلاماً وراحة.

وإن سألك سائل مساعدة أو عطية فلا تدَّعي الصمم أو الفقر أو قسوة القلب، أعط بسخاء ولا تعيِّر لأن بالكيل الذي تكيل به يُكال لك وزيادة. ولكن بروح المحبة تُعطي، وعطاء المحبة منظور عند الله ومردود ولو بعد أيام كثيرة: «اليوم كله يترأف ويُقرض ونسله للبركة.» (مز ٣٧: ٢٦)

المقابلة السادسة: خلاصة بقية الناموس **(لو ٦: ٢٧و٢٨و٣٢-٣٦)**

٥: ٤٣-٤٨ «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ هُوَ كَامِلٌ».

في الحقيقة بالبحث لم نجد الجزء الثاني من هذه الوصية «تبغض عدوك»، فهي من تعليم الربيين الذين يفتون للشعب فتاوي هي تعليم الناس. فالوصية الرسمية في سفر اللاويين هكذا: «لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك، بل تحب قريبك كنفسك. أنا الرب» (لا ١٩: ١٨). وبهذه الإضافة انحرف مفهوم الناموس، ففي الآية السابقة يضع الناموس "المحبة عوض النقمة"، ولكن بتعليم الربيين صار الفصل شديداً بين القريب الإسرائيلي والعدو الأُممي. وهكذا انطبع في قلوب الشعب محبة اليهودي وبغضة الأممي، وانحصر معنى القريب بالضرورة في اليهودي فقط. وهكذا بالشرح الخاطئ للناموس أقام اليهود حائطاً مسدوداً بينهم وبين الأُمم، بل وبين حافظي الناموس والشعب الملعون «الذي لا يعرف الناموس»، عشَّارون وخطاة ومساكين الأرض. وفي هذا الجو الممزَّق بفعل الشرح الخاطئ

للناموس جاء المسيح وبدأ يعمل ويعلّم ليفيض حب الله بلا مانع على الجميع، لأن أباكم الذي في السموات هو كامل يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين، ويعبر على الحواجز ويتخطّاها. وهكذا بدا المسيح الذي جاء يعمل عمل الكامل السماوي وكأنه يُضل الأمة، ولمّا أراد أن يُعرِّف اليهودي مَنْ هو قريبه ظهر في مَثَل المسيح أنه السامري أو بالحري كل إنسان يحتاج إلى مساعدة. وهكذا لزمت المحبة لكل الناس وخاصة الأعداء الذين نصَّبهم الشرح الخاطئ للناموس الخاطئ أعداءً لليهود وهم ليسوا أعداءً لأحد. فإن صحَّت المساعدة للعدو إن هو وقع في ضيقة، أو إطعامه إن جاع فقد صحَّت له المحبة، ولكن لا مساعدة العدو الذي في ضيقة ولا محبته هي ضد الناموس، وفضل الناموس في هذا سابق: «إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شارداً ترده إليه. إذا رأيت حمار مبغضك واقعاً تحت حمله وعدلت عن حلّه **فلابد** أن تَحُلَّ معه» (خر ٢٣: ٤و٥). فإن كان هذا هو إحساس الناموس من جهة العدو، فقد جاء تعقيب المسيح على ذلك بدرجة صاعدة «أحبوا أعداءكم» وإلاَّ كيف يدعوهم للخلاص؟ أو كيف يخلصوا هم؟! لأن الذي دعانا للخلاص أحبَّنا أولاً وكنّا أعداءً!!

ولكن المسيح أيضاً لا يقف عند محبة الأعداء بل يحرِّك القلب أيضاً بالبركة للاعنين والصلاة من أجل المسيئين. وهل توجد وسيلة للإنهاء على العداوة والأعداء إلاَّ إما الحرب أو المحبة؟ والحرب تزيدها لهيباً، أمَّا المحبة فهي كسب بلا خسارة ونصرة بلا حرب.

«أحبوا أعداءكم»:

يلزم جداً أن نفرِّق بين **محبة العاطفة**، ومحبة الإرادة. فمحبة العاطفة هي التي يحب بها الرجل زوجته، والزوجة رجلها، والأم ولدها، أمَّا محبة الله فهي تطالب بكل القلب والنفس والفكر، فهي محبة كاملة كُلِّيَّة بكل الإرادة. فإذا تحقّقت فعلاً محبة الله من كل الكيان: قلباً ونفساً وفكراً وإرادةً، تقدَّس كياننا وتقدَّس قلبنا وتقدَّست نفسنا وتقدَّس فكرنا وتقدَّست إرادتنا، فلمَّا تتقدَّس هذه كلها يصبح الإنسان أسير محبة الله، تفيض فيه المحبة نحو الآخرين بلا جهد. هذا ينبغي أن يكون أولاً قبل أن نفكِّر في محبة الأعداء أو المباركة عليهم وعلى الذين يلعنوننا أو الصلاة من أجل الذين يسيئون إلينا. لأن محبة الأعداء لا تفيض من قلب غاش نجس أو قلب مكرَّس للدنيا أو المال أو الشهوات. فمحبة الأعداء يلزم أن تفيض، كما تفيض من قلب الله علينا مجّاناً إن كنا نتبعه من كل القلب. فمحبة الأعداء هي علامة شاهدة أننا لا نتبع أنفسنا أو هوى قلوبنا، بل نتبع الذي من عنده تفيض المحبة الحقيقية التي لا تنظر إلى الوجوه أو المنفعة أو العاطفة. فالإنسان يحب عدوه ولا يُحسُّ أنه

متفضِّل عليه بل يؤدِّي دَيْناً: من الله أخذ ومن الله يعطي.

«باركوا لاعنيكم»:

لكي نبارك الذي يلعننا يلزم أولاً أن نكون شركاء ذاك الذي قبل اللعنة على الصليب من أجلنا حاملاً خطايانا في جسده على الخشبة، فإن كنَّا قد قبلنا بفرح دعوة المسيح أن نحمل صليبنا ونتبعه وقد فهمنا وتحققنا من معنى "صليبنا" الذي نحمله، يمكن أن نبارك الذي يلعننا. لأن الصليب الذي تحمَّله المسيح هو صليب اللعنة التي تحمَّلها لأجلنا، فإن كنّا قد آمنا به حقًّا أنه مات حاملاً خطايانا ولعنتنا، ونحن دخلنا معه بالحق والصدق في شركة آلامه وصليبه ولعنته وموته ثم قيامته، لأصبحت لنا قوة لا يدانيها قوة في تحمُّل أخطاء وخطايا ولعنات الناس بفرح حاسبين أنفسنا شركاء الذي حمل خطايانا ولعنتنا على الصليب وأهدانا قيامته فقبلنا فيه خلقتنا الجديدة بالروح والحياة الأبدية، وصارت صناعتنا أن نمارس شركتنا هذه معه في ذات آلام الصليب واللعنة من أجل الآخرين!

إذن، ليس من فراغ ولا من قوة وتقوى فينا نبارك الذين يلعنوننا، بل من نفس بركة المسيح التي فاضت علينا ونحن خطاة أعداء. إذن بركتنا للأعداء هي فائض قوة ونعمة الصليب تنفتح على الذين يحملونه بأمانة وشجاعة لخدمة الآخرين. فكما بوركنا ونحن أعداء نُبارك أعداءنا.

«أحسنوا إلى مبغضيكم»:

عملية الإحسان للذين يبغضوننا هي صناعة الذين غلبوا بغضة العالم، عاشوا أولاً تحت ذلها ثم إذ شكروا ارتفعوا فوق مرارتها وتحصَّنوا ضد آثارها في النفس والقلب، وذهبوا فرحين كلما كال لهم العالم من سخطه واضطهاده وإذلاله فازدادوا قوة وسلاماً. واستطاعوا أن يتعاملوا مع مبغضيهم وكأنهم يمارسون تدريباً لنوال مزيد من النعمة والقوة والسلام. وكلما زاد المبغضون بغضة لنا زدنا إحساناً عليهم، لأننا لسنا بعد من خزائن برِّنا نحسن إليهم بل من فيض نعمة الله الذي قال: «يبغضونني بلا سبب» (مز ٣٥:١٩)، «وأمَّا هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه.» (أع ٥:٤١)

«صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم»:

لو علمنا أن الذين يسيئون إلينا ويطردوننا إنما يعملون دون أن يدروا لخلاصنا لرددنا جميلهم علينا جميلاً بأن نصلِّي من أجلهم أن يفتح الله لهم سر معرفته ويسهِّل لهم طريق خلاصهم. لأن المنطق الروحي يقول إنهم عندما يضطهدوننا ويسيئون إلينا ويطردوننا إنما يعملون ذلك فينا لا

لكرههم لنا ولكن لكرههم للمصلوب من أجلنا ولصليبه الذي بقي عثرة لهم، والعيب عيننا لأننا لم نكشف لهم سر محبة الصليب والمصلوب. إذن، فلسنا في الحقيقة هدف كراهيتهم. ثم إذ علمنا وتيقَّنا أن ما يُسيئون به إلينا وما يؤول إليه طردهم لنا، هو تأمين عبورنا في هذا العالم وهو لمنفعتنا لأصبحنا مديونين لهم بخلاصنا. فإن صلينا من أجلهم فهم مستحقون لذلك ليزداد خلاصنا بخلاصهم.

«لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات»:

إن إعطاء المسيح هذه الوصايا المذهلة لنا هو سبب ثقته المُسبَّقة أننا أولاد الله، ومن علاقتنا به وبالله أبيه ننال كل نعمة وقوة تؤهلنا للقيام بهذه الوصية. ثم يعود المسيح بنوع من التعقيب البديع ويقول: إننا إذا أكملنا هذه الوصايا نكون بالفعل أولاد الآب السماوي. وهكذا من ينبوع الآب السماوي الذي يفيض محبة ونعمة وبركة وقوة وصلاحاً يعطينا الابن حق الطلب والأخذ معاً بلا مانع، لكي نعود ونصبّ في هذا الينبوع ثمرات نعمته وحبه وصلاحه. أليس هذا عجباً: من قلبه نأخذ وفي يديه نعطي! لا ليس في هذا عجب لأن الآب اشتهى أن يكون له أولاد يعطيهم فيفرح بعطيته لهم، ويعود يتلقَّى منهم تسبيحهم فيبتهج قلبه بهم:

+ «اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه، **حسب مسرَّة مشيئته، لمدح مجد نعمته** التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف ١:٤-٦)

«لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم ....،
وإن سلَّمتم على إخوتكم فقط فأي فضل تصنعون ....،
فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل»:

لينتبه القارئ جداً، فالمسيح بعد أن أعطى هذه المقدِّمات والوصايا العالية لكي يرفعنا فوق مستوى آدميتنا المنحطَّة التي زادها المعلِّمون الكذبة انحطاطاً بشرحهم لكلام الله وناموسه شرحاً أساءوا به إلى الله وإلى علاقتنا به فأسأنا إلى أنفسنا وإلى إخوتنا وإلى أعدائنا - ولكن ليس الله كذلك ولا نحن؛ نقول بعد أن استطاع أن يسحب من تحت أرجلنا التعاليم الخاطئة ويوقفنا على صخر القدير لنبني أنفسنا على صلاح مشيئة الله من جهتنا، يعود هنا ويرفعنا خلسة فوق مستوى آدميتنا لننسى أن آدم أبونا إلى لحظة ونتطلَّع إلى أبينا السماوي، لنجد أنفسنا وقد وُهبنا التبني له، فننظر إلى أسفل ونجد الأرض قد تباعدت عنَّا وكدنا نكون مشدودين إليه. نَمتُّ إلى سماء الفرح أكثر مما نمتُّ إلى أرض الشقاء.

وكأني بالمسيح يستعلن لنا فجأة جبلتنا الجديدة السماوية، ويقول لنا انظروا هل أنتم بعد على مستوى العشّارين والخطاة، أما اخترتكم لأبي السماوي بنين وبنات، فإن كنتم أبناءَ وبنات الآب السماوي أفليس من صفات أبيكم تأخذون لتعيشوا؟ أو كيف تحبون بعضكم بعضاً وحسب والآب السماوي يحب الظالمين والأبرار؟ أو تسلّمون دائماً على بعضكم البعض وحسب وأبوكم السماوي يعطي شمسه ومطره وسلامه للأرض طرًّا لينتفع بها الأشرار والأبرار جميعاً. لا لا لا أنتم أبناء أبيكم السماوي الكامل في حبه وفي كل شيء، وليس أقل من الأب يكون الأولاد!

محبة كاملة للجميع من كل القلب وسلام لكل نفس بلا تمييز.



صورة مكبّرة للمسيح

وهو على أعلى الجبل يُلقي العظة، بينما كان من حوله الجموع، حيث يبدو عليه سيماء القوة والألوهة

الأصحاح السادس

البر الأخلاقي السلوكي

١ – من نحو الفقير (٦: ١ – ٤)
٢ – من نحو الله (٦: ٥– ١٥)
٣ – من نحو النفس (٦:١٦–١٨)
٤ – من نحو العالم والجسد (٦:١٩–٣٤)

تمهيد للأصحاح السادس

كلام المسيح في الأصحاح السادس يظل مرتبطاً بما بدأه في الأصحاح الخامس، إذ بين الأصحاحين صلة قوية:

أولاً: أن المسيح ظل يتكلّم عن البر بالنسبة لملكوت الله، إذ نجد الصلة واضحة بين (٦:١) وبين ما قيل في (٥:٦و١٠و٢٠).

ثانياً: يظل إلى عدة آيات يفرِّق بين البر الحقيقي في مقابل البر الذي يروِّج له الكتبة والفريسيون. فما لَمح إليه في (٥:٢٠) بالنسبة للمرائين يعود إليه في (٦:٢و٥و١٦).

كذلك نلاحظ أن هناك نقلة إلى قسم جديد. فكما في الأصحاح الخامس تكلّم المسيح عن العبادة الحقيقية بالمقارنة مع الذي كان يروِّج له الكتبة والفريسيون كنوع من التقليد الرباني، هكذا يعود إلى نفس المقارنة في الأصحاح السادس (٦:١-١٨) مع ما كان يمارسه الكتبة والفريسيون. ولكن من أول (٦:١٩) يُسقط المسيح من اعتباره كل ما يختص بهؤلاء المرائين نهائياً من العظة.

كذلك من بدء (٦:١) حتى (٧:١٢) يركِّز المسيح على بر الملكوت ومعناه. معتبراً أن حياة البر الحقيقي تنحصر في طاعة الوصية "محبة الله فوق الكل ومحبة القريب كالنفس". ولكن هذه الوصية لها شقّاها: محبة الله، ثم محبة القريب. وهكذا يستغرق الأصحاح السادس كله في المحبة الأُولى: محبة الله. ثم يخصِّص من بداية الأصحاح السابع (٧:١) حتى الآية (١٢) منه لمحبة القريب.

في الأصحاح السادس يشرح المسيح مطالب العبادة الصادقة لله من القلب (٦:١-١٨) مع ثقة غير منقسمة في الآب السماوي رغم كل الظروف (٦:١٩-٣٤). فإذا أحبَّ الإنسان الله الآب بكل إخلاص حينئذ سيخضع له ويسلِّمه الحياة وكل متعلِّقاتها، ومنه ينتظر أن ينال كل شيء. ومن شدة انتباه المسيح لأهمية العلاقة مع الآب السماوي ذكره ١٢ مرَّة في الأصحاح السادس - وهو أصغر من الأصحاح الخامس - في مقابل ٣ مرَّات فقط في الأصحاح الخامس. لذلك يُعتبر الأصحاح السادس جوهر البر الذي يصنع العلاقة بين الله والإنسان.

البر الأخلاقي السلوكي

١ – من نحو الفقير

[٦: ١-٤]

حينما قال المسيح في (٦:٥) طوبى للجياع والعطاش إلى البر كان فاتحة الحديث عن بر الملكوت، البر الآخر غير الذي كان يعلّم به الكتبة والفريسيون، وكان هو بحد ذاته تعبيراً عملياً صادقاً عن العبادة الحقة كما تُمارس في المحبة والصلاة والصوم، وبقية ممارسات العبادة القلبية من تأمُّل وسجود وسهر.

وهنا وفي بداية الأصحاح السادس يعود لنفس العبادة الصادقة يعطي لها الأولوية في مفهوم التعبُّد.

١:٦ «اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ».

«أن تصنعوا صدقتكم»:

هذه العبارة جاءت في أقدم المخطوطات اليونانية المحققة: "تُمارسون عبادتكم δικαιοσύνην ὑμῶν"(١) أمَّا الصدقة ἐλεημοσύνην فتأتي بعد ذلك في الآية القادمة. ولكن هنا تتصدَّر العبادة كل الأعمال التي تخص التقوى الحقَّة.

ويلزم أن نفرِّق بين **أعمال الخدمة** والكرازة والوعظ التي تعتبر نور الإنجيل، وبين **أعمال العبادة** من صوم وصلاة وسهر وسجود. فالأولى يليق بها الآية التي تقول: «فلْيُضيء نوركم هكذا قدَّام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجِّدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥:١٦)، فهنا قصد عمل الخدمة وكل أصنافها هو إنارة حياة الناس وبالنهاية تمجيد الله. أمَّا أعمال **العبادة الخالصة** فيلزم أن تكون غير علنية: «ادخل إلى مخدعك واغلق بابك وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء ... (وهو) يجازيك علانية». وهنا آية الحراسة: «لكي ينظروكم وإلاَّ فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات». وهكذا أيضاً عمل الصدقة.

---

(1)W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 319, N.T. Nestle, *Interlinear Greek English New Testament.*

«لكي ينظروكم»: θεαθῆναι αὐτοῖς

وترجمتها: "لكي تُنظروا منهم". هنا الكلمة اليونانية بديعة التصوير، فمن مشتقاتها كلمة: θέατρον (١كو ٤: ٩) أي ثياترو بمعنى تمثيل ونظارة تتفرج. وهذا المنظر تكمِّله الآية القادمة: «كما يفعل المراؤون (الكتبة والفريسيون) في المجامع وفي الأزقة.» (مت ٦: ٢)

فهنا وفي بدء وصايا البر السماوي تلزم جداً أن تكون أعمال العبادة الخاصة غير منظورة من الناس، بعكس محاولة إظهار أعمال البر عند الكتبة والفرِّيسيين الفاقدة أجرها وقيمتها الروحية العملية.

وطبعاً يلزم أن نعلم أن أعمال العبادة هي أعمال صادرة من عمق الإنسان، مقدَّمة للآب السماوي كذبيحة محبة للتعبير عن صلات المحبة والطاعة والخضوع والخوف والإكرام لله وحده، والقصد الأساسي منها تكوين علاقة روحية وشركة بالروح مع الآب السماوي لتشبع منها النفس وترتوي وتمتلىء عزاءً وسروراً ورضى. فأي علانية فيها (أعمال العبادة) تبدد منها التقوى وسِرِّيَّة العلاقة با لله، وتجعلها ترتد إلى حضن الإنسان فارغة بلا ثمر. أمَّا الأمر الذي تذخره هذه الأعمال العبادية الخاصة التي في الخفاء فهو استجابة ا لله بالروح التي ترتد للإنسان عزاءً ورضى ومسرَّة، فيعلم الإنسان أن حياة الشركة مع ا لله هي حيَّة ومثمرة. كما أنه إذا تقدَّم الإنسان في أعمال العبادة يبدأ يشعر بتدخل ا لله في حياته، يدبِّر له أموره ويطمئن نفسه من جهة رعايته وعنايته بأعماله ومسئولياته، فيرفع عنه القلق والهم، وفي الأوقات الحرجة والعصيبة وظهور التهديدات والمخاطر يلمس معونة واضحة قوية تزيده ثقة في علاقته با لله، وتُقوِّي حياة الشركة بالروح إلى أقصى حد ويشعر الإنسان أنه معانٌ بالروح ومحمول بالنعمة.

وليتيقَّن الإنسان أن المسيح الذي يقول هذا ويؤسِّس به حياة العبادة والشركة المقدَّسة مع الآب السماوي يكشف لنا بدوره الوجه الآخر للآب السماوي من جهة هذه العبادة. فيقول إن «ا لله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو ٤: ٢٤)، «لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له» (يو ٤: ٢٣). هنا قول المسيح عن الآب أنه **طالب** الساجدين له **بالروح والحق** ينبغي أن يُشعل قلوبنا ناراً وتقوى وإخلاصاً، فنعود على أعمالنا وصلواتنا وننقِّيها من أي شوائب الجسد والذات والمظاهر الكاذبة لتكون **بالروح**. وننقِّي الحياة والسلوك والكلام من الغش والكذب والتحايل ليكون **بالحق** «فا لله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا»، حيث السجود هنا يأتي بمعنى العبادة كلها.

٦: ٢-٤ «فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُصَوِّتْ قُدَّامَكَ بِالْبُوقِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الأَزِقَّةِ، لِكَيْ يُمَجَّدُوا مِنَ النَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! وَأَمَّا أَنْتَ

فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ، لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً».

هنا يوضِّح المسيح الحد الفاصل بين عبادة بالروح والحق لمجد الآب السماوي، وعبادة بالغش والكذب والرياء والمظاهر ليتمجَّد بها صاحبها من الناس. وعبادة الروح والحق لا تحتمل الظهور أو الإعلان عنها لأنها مقدَّمة لله الذي هو غير ظاهر ولا مُعلن عنه، فهو لأنه في الخفاء ينبغي أن تُقدَّم له العبادة في الخفاء. وهنا يخصِّص المسيح عمل الصدقة لأنها من أبرز الأعمال التي يحاول المراؤون أن يعلنوا عنها لينالوا مجداً أكثر. وهنا يوصي المسيح أن لا يُعلَن عنها.

«المراؤون»: ὑποκριταί

المراءاة هي مزيج من نقيصة خُلُقية مختفية في فضيلة، وبها يغش الإنسان نفسه أولاً ثم الآخرين. وكل هَمّ المرائي أن يُمتدح من الناس كونه رجل البر والصلاح: عطوفة الباشا، البيك المحسن، السيِّد صاحب الفضائل والولائم، أم المحسنين، الأُم البارة صاحبة الصدقات، وهلمَّ جرًّا!!

وقوله: «لا تُعرِّف شمالك ما تفعل يمينك» ليس أن نكبش المال ونعطيه دون أن نعرف مقداره، فهذا نوع من الهَبَل، لأنه قد يكون أكثر جداً من حاجة المُعطَى له، كما يكون سبباً في طمع الناس وجشعهم. ولكن السر في قوله «لا تُعرِّف شمالك ما تفعله يمينك»، هو بقصد عدم الإعلان لدرجة أن اليد الشمال لا ترى ما تعمله اليمين، وبالتالي لا يرى الناس ما تعمله. لأنه إذا رأت اليد الشمال ما في اليمين يراه الناس بالضرورة. ولكن حينما تخبِّئه في اليد اليمين وتعطيه دون أن يظهر البتة يكون فعلاً هو عطاء الخفاء، فالقصد الأساسي هو عدم رؤية الناس ما تعطيه، وليس عدم معرفتك أنت. إذ ينبغي أن يكون لنا مقدار من المال محسوب ومحجوز للعطاء، ولا نترك الأمر للظروف. وهناك فرق بين الحكمة في العطاء والجهالة في التبديد، وخاصة إذا كان المال ليس مالك الشخصي.

علماً بأن الذي يعطي في الخفاء يحس بالفعل أن الله وحده هو الذي ينظر فتفرح نفسه، كما ولابد أن يختبر كيف يرد له الله ما أعطاه أضعافاً مضاعفة: «كيلاً جيداً ملبَّداً مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم (٢). لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يُكال لكم» (لو ٦:٣٨)، «مَنْ يزرع بالشح

(٢) المنظر هنا بديع حقًّا: "فالكيل المهزوز الملبَّد الفائض" هو منظر يُرى في الأسواق حينما يقع الإنسان في تاجر ابن خير وأمين، فإنه حينما يُكيِّل يملأ المكيال أولاً إلى الآخر ثم يهزّه بما يعرف "بهزة ونصف" فينزل ما في الكيل كثيراً ثم يعود يملأه حتى القمة، وهذا هو "الملبَّد" ثم يعود ويضع فوقه كبشة ثم كبشة حتى يفيض ويقع على الجنبين!! وهذا هو "الفائض".

فبالشح أيضاً يحصد، ومَنْ يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد. كل واحد كما ينوي بقلبه ليس عن حزن أو اضطرار لأن المعطي المسرور يحبه الله. والله قادر أن يزيدكم كل نعمة لكي تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين في كل شيء تزدادون في كل عمل صالح. كما هو مكتوب فرَّق أعطى المساكين **برُّه يبقى إلى الأبد.**» (٢كو ٩: ٦-٩)

٢ - من نحو الله

[٦:٥-١٥]

٦:٥و٦ «وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلاَ تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّوَارِعِ، لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً».

هنا يلزم أن نعرف بادئ ذي بدء أن الصلاة ثلاثة أنواع:

١ - صلاة جماعية كالمقامة في الكنيسة حيث تُقدَّم صلاة الجماعة المؤمنة العابدة لله بصوت واحد وقلب واحد وروح واحدة بأنواع صلوات مختلفة، منها الشكر، والتقديس، والتسبيح، والتوسُّل من أجل الكنيسة والعالم والمرضى والفقراء والمساكين والغرباء والذين ليس لهم مَنْ يذكرهم. ومن أجل الحياة العامة والمحيطة والهواء والمطر والماء والزرع والعشب والطيور والحيوانات، والزلازل والبراكين والأوبئة والكوارث. والملوك والرؤساء والحكومة (المتولِّين علينا). في كل هذه يشترك كل إنسان بصوته وقلبه فتتحد الجماعة في طلباتها وينظر الله إلى الكنيسة ويحفظها وينمِّيها. وكل صلوات الكنيسة محدَّدة بالأوقات والمواعيد والأيام والمواسم.

٢ - وهناك صلاة فردية خاصة يصلِّيها الإنسان بمفرده، وهذه هي التي يركِّز عليها المسيح هنا، ويحدِّد المسيح مكان الصلاة في غرفة النوم التي يسمِّيها "مخدع" حيث لا يدخل ولا يخرج أحد على الإنسان وهو يصلِّي، وقد أغلق بابه من الداخل ويصلِّي دون أن يُسمع. وهذه هي صلاة الخفاء الخاصة حيث يسكب الإنسان قلبه ودموعه أمام الله ويقدِّم السجود والمجد والإكرام كما يوحي إليه الله بكلمات الصلاة الحارة ليعبِّر عن نفسه ومحبته وأمانته لله.

وقانون الصلاة الخاصة هي تمجيد الله **أولاً**، والتشفُّع من أجل الآخرين **ثانياً**، وآخر الكل نفسه وما يكنّه الإنسان من نحو الله كاشفاً قلبه وأعوازه متوسِّلاً بدموع أن يؤازره: **أولاً** ليقدِّم صلاة مقبولة دائماً ومسموعة ومؤازرة بالروح القدس لتدخل إلى حضرة الله ويسمعها، **وثانياً** من أجل ضعفاته لكي يسنده ويستره بنعمته وتكون حياته مرضية أمامه. على أن الترتيل من أقوى مشجعات الصلاة وراحة النفس المتعبة.

على أن صلاة الليل والسهر ينبغي أن يكرِّس الإنسان لها أياماً معينة يقضي فيها جزءاً من الليل في الصلاة والتأمُّل والترتيل. اسمع ما يقوله إشعياء النبي: «إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس. بنفسي اشتهيتك في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر» (إش ٢٦: ٨و٩). هكذا كان يواصل إشعياء عظيم الأنبياء الليل بالنهار وهو يبث الله شهوة نفسه وحبّه. فماذا يكون لنا ونحن نحيا عصر النعمة والمحبة وانسكاب الروح؟

٣ - كما أن هناك صلاة الاثنين أو الثلاثة، حينما يجتمعون معاً ليكون الله في وسطهم ويقدِّمون خدمة صلاة توسُّلية حارة من أجل النفوس التائهة أو المتعبة أو المريضة، مع تقديم ذبيحة شكر ومسرَّة قلب بترتيل حلو لمجد الله والمسيح وتهليل لإحساس حضور الله: «وهذا نادى ذاك وقال: قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض.» (إش ٦:٣)

٦: ٧و٨ «وَحِينَمَا تُصَلُّونَ لاَ تُكَرِّرُوا الْكَلاَمَ بَاطِلاً كَالأُمَمِ، فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ كَلاَمِهِمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ. فَلاَ تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ. لأَنَّ أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ».

الصلاة صنفان: صلاة القلب، وصلاة الفم. صلاة القلب يسمعها الله قبل أن ينطقها الفم، أمَّا صلاة الفم فتسمعها الأذن وحسب. توجد صلاة تقف عند السؤال والطلبة، وصلاة تستحي أن تسأل وتطلب. الأُولى الله في غنى عنها لأنه يعلمها، والثانية يطلبها الله لأنها تريح قلبه: «لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين (العابدين) له ... بالروح والحق» (يو ٤:٢٣). يوجد أشخاص إذا أُعطي أحدهم أن يصلِّي في وسط الجماعة تفلت أعصابه ويظل يتكلَّم وهو لا يعرف ما يقول، ولا يشعر أحد أنه يصلِّي، ويتمنَّى الموجودون أن يسكت وهو لا يستطيع أن يسكت وكأنه عربة فلتت فراملها. ويوجد أشخاص إذا بدأ أحدهم يصلِّي تنفتح له الآذان وتتعلَّق به القلوب ويشتهي الجميع أن لا يسكت أبداً. الأولون يؤدون واجباً ثقيلاً ويستعرضون جفاف قلوبهم، ويتهيَّأ لهم أنه ربما كثرة الصلاة تعوِّض عن برودتهم مع أنها تشيع البرودة في الجميع، والآخرون يقتصدون في الصلاة

لعلَّ مَنْ هو أفضل منهم يستطيع أن يُشبع روح الجماعة أكثر، مع أن الجماعة تشتهي أن هذا يستمر حتى إلى الفجر! وقال الجامعة: «لا تستعجل فمك ولا يسرع قلبك إلى نطق كلام قدَّام الله ... لتكن كلماتك قليلة.» (جا ٥: ٢)

توجد صلاة تخرج فيها الكلمات كسهام من نور تبهر الروح وكأنها أجنحة مفرودة تطير عليها القلوب وتشتهي لو أن لا تحط على الأرض أبداً. وتوجد صلاة تثقل على الأسماع حتى يتمنى الإنسان لو يجلس أو ينام. سمعتُ صلوات تيقَّنتُ أنها خارجة من فم الروح أو من قلب الله وتيقَّنتُ أنها تسجَّلت عند الملائكة في السماء. وسمعتُ صلوات أحسستُ أن الخطية تحبسها في الحلق وليس وراءها شهادة أو تزكية من الروح.

وبعد هذا كله فهمت أن الصلاة صورة لقلب الإنسان تقيس بُعده أو قُربه من قلب الله! يقول قائل: عرِّفنا كيف نصلِّي. فأسأل: وهل يعلِّم أحدٌ الولد الخارج من بطن أُمه كيف يصرخ طالباً حقَّه في الرضاعة؟ ألسنا كلنا مولودين وكلنا يشتهي اللبن العقلي عديم الغش؟ وألسنا كلنا مولودين من كلمة الله الحية. فهي أبونا وهي أمنا، وهل لا يعرف الإنسان أباه وأُمه؟ فالصلاة التي لا تخرج من الإحساس بالحاجة والعوز رياء هي!

والطفل الذي لا ينبِّه أُمه بصراخه، كيف تعرف أنه جائع؟

يقول المسيح: «أفلا ينصف الله للصارخين إليه نهاراً وليلاً ... أقول لكم: إنه ينصفهم سريعاً.» (لو ١٨: ٧و٨)!

وألم يقل المسيح طوبى للجياع والعطاش إلى البر؟ وكيف نعلن عن جوعنا إلاَّ بالصراخ، وعن عطشنا إلاَّ بالدموع؟ ثم ألسنا خليقة جديدة فكيف تنمو الخليقة الجديدة؟ أنعطي الخليقة العتيقة فينا حقها من الطعام ونحرم الخليقة الجديدة فينا من حقها وهي تتغذَّى على الحق وترتوي بالنعمة وتستنشق الروح، وكل هذا يأتيها سرًّا بالصلاة والدموع وليس من يرى، حيث يفغر الإنسان فاه والخالق يملأه؟ وبغير الصلاة السريَّة تضعف الخليقة الجديدة وتمرض وليس من دواء. وإن كانت الشجرة لا تنمو ولا تثمر في وسط عواصف الشتاء، هكذا النفس لا تنمو ولا تثمر إلاَّ في الهدوء والسكون. والمسيح كان يخرج باكراً جداً ويذهب إلى مكان خلاء ويصلِّي. وكان يذهب إلى الجبال ويمضي الليل كله في الصلاة!!

الصلاة الربَّانية

[مت ٦: ٩-١٣] (لو ١١: ٢-٤)

٦: ٩ «فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ».

«فصلُّوا أنتم هكذا»: οὕτως οὖν

وفي إنجيل ق. لوقا: «متى صليتم فقولوا».

هنا المسيح يصحِّح الوضع السابق في تكرار الكلام باطلاً، فهو هنا يعطينا النموذج **المختصر** المتقن الذي يستوعب كل عناصر التمجيد لله للدخول إليه للصلاة، كيف ندعوه ونذكر ما نحتاجه، ويضع المسيح هنا ترتيبه بحكمة سماوية واتصال بديع واختصار عجيب.

وكما قلنا في إنجيل ق. لوقا يقول: «متى صلَّيتم فقولوا» أي إن أردتم أن تصلُّوا فقولوا هكذا. هنا التوجيه في أول كلمة «إن أردتم أن تصلُّوا» بمعنى أن الصلاة تأتي عن إرادة، ويعني بهذا أنها ذات دافع داخلي يتمثَّل في اجتماع الإرادة بغرض طلب الصلاة. والخطأ الحادث في تلاوة «أبانا الذي» إنها تُقال كما لقوم عادة. ونكرِّرها دون إحساس بالحاجة إليها. والتصحيح يأتي في أن تكون الإرادة قد حُضِّرت للصلاة داخل القلب والفكر أولاً، لأن صلاة «أبانا الذي» تُقال في حضرة الله، **بل هي بحد ذاتها دخول في حضرة الله**. هذا الدخول يحتاج إلى إعداد قلبي ومظهري قبلها: «اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدَّسة» (خر ٣: ٥). فنحن قادمون على مقابلة سريعة لله ووجها لوجه، سنخاطبه كما يخاطب الإنسان صاحبه. وقد أعطانا المسيح بهذه الصلاة إذن دخول إلى حضرة الله كُلَّما كانت لنا إرادة حقيقية للصلاة، أو كلما دعانا الروح، فالروح يحب الصلاة ويقود إليها. فلو نحن تصوَّرنا حقيقة الدخول إلى الله والوقوف أمامه ومخاطبته وجهاً لوجه لأدركنا مقدار الخطأ والاستهانة في تلاوة هذه الصلاة دون اهتمام ولا إحساس بإرادة الصلاة، فنتلو الصلاة وكأننا أمام خيال أو صورة أو فراغ. وهل ننتظر بعد ذلك أن يسمع لنا الله أو أن صلاتنا تدخل إليه؟

إذن، وقبل أن نصلِّي نقف هادئين نستحضر الإرادة أولاً لكي تكون الصلاة خارجة من قلب يريد أن يتكلَّم مع الله، وهو مدرك أن الله في السماء يتسمَّع لنبضات قلبنا قبل كلمات فمنا.

فتكون حواسنا كلها مجموعة أمامه، موجَّهة نحوه بإرادة منجمعة تحمل كل المشاعر والعواطف ومشيئات القلب والروح. وأخطر ما يلزم أن يكون حاضراً فينا هو الفكر، فالفكر الشارد في أمور لا تخص وقفة الصلاة أمام الله خطية. فقبل أن ننطق بكلمة يلزم أن ينجمع إلينا الفكر بانضباط ووعي **وإحساس بالوجود في حضرة الله**. ومع كل كلمة تصوَّب الإرادة والفكر مع النطق لتقديم النفس إلى الله بكل كياننا **حتى يتقدَّس كياننا بوقفتنا أمام الله**. فنحن نتقدَّس في كل مرَّة نقف فيها نصلِّي «أبانا الذي» أمام الله.

ويلزم أن ينتبه القارئ أن هذه الصلاة تبدو أنها تخص الجماعة، فالمتكلِّم بها بالجمع "نحن" بمعنى أنها للكنيسة، وكل من اجتمع من المؤمنين معاً وفي أي مكان - وهي تُقال علناً وجهاراً، غير صلاة الفرد الذي ينبغي أن يقدِّمها داخل مخدعه سرًّا. على أنه يلزم أيضاً أن نفهم أن الفرد في الكنيسة ليس فرداً بل عضواً في جسدها، له أن يتكلَّم ويصلِّي كما تصلِّي الكنيسة وبفمها. فإن كانت الكنيسة تُحسب جسد المسيح فنحن جسده أفراداً، والمسيح لا يسكن الجماعة كما يسكن قلب الإنسان. **المسيح يكون وسط الجماعة ولكن في الفرد يحيا**: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠) لذلك وُضعت هذه الصلاة لتكون للفرد والجماعة سواء.

«أبانا الذي في السموات»:

الله أب للجميع بلا نزاع، فهو خالق الكل والراحم والمنعم. ولكن أن يكون الله "أبانا" فهنا تخصيص أبوَّة، وهي استحالة أن تتم لكل إنسان، **بل للذين تبنَّاهم الابن للآب جديداً**، فهنا حينما نقول لله "يا أبانا" فهذا النطق يحمل شخص يسوع المسيح ابن الله الذي به وفيه نكلِّم الله، وبغيره ليس لنا كلام مع الله، ولا لله كلام معنا. **فهنا المبادأة في مخاطبة الله "يا أبانا" هي كنز العهد الجديد، هي دعوة إلى الدخول في قدس الأقداس للوقوف أمام يهوه الله العظيم التي لم يكن يُسمح بها في العهد القديم إلاَّ لرئيس الكهنة وعلى يديه دم الذبيحة.** هذا عهد الحب والأبوَّة قد أشرق ويهوه يدعو الأولاد: «دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم!» (مت ١٩: ١٤)

نحن هنا نخاطب الله مباشرة، فبواسطة هذه الصلاة قد أُعطي لنا أن ندخل إلى حضرته وكأننا في السماء وقوف أمامه ونطلب منه أن يصغي إلينا. فنداؤنا له دعوة لكي ينتبه إلينا، فيتحتَّم أن يكون إحساسنا مرافقاً لندائنا أننا أمامه نطلب أن يسمع لنا.

ونحن نخاطبه "كأب" لنا، فهنا تشدّنا علاقة البنين بأب حقيقي، ولو أن الله له صفات أخرى

كثيرة كخالق وديَّان ومؤدِّب ومدبِّر الكون، ولكن أُعطِيَ لنا أن نقف أمامه ونخاطبه كأب، فيلزم أن نستحضر فينا روح البنين كأولاد مطيعين في الحق والمحبة الصادقة من نحو الآب. نقدِّم أنفسنا في طاعة الحق ومشاعرنا كلها مصبوغة بالحب ودالة البنين، لكي تتحنَّن أبوَّة الله وتنسكب علينا بعطايا الأُبوَّة التي تقرِّبنا إليه فنتقرَّب.

«الذي في السموات»:

مقصودة من المسيح لكي ينبِّه ذهننا أننا الآن متجهون بقلوبنا وعقولنا نحو السماء لنؤهَّل للوقفة في حضرة الله - **فنحن مدعوون للدخول في جو القداسة:** اخلع حذاءك ... لأن الموضع الذي أنت واقف عليها أرض مقدَّسة (خر ٣:٥). هكذا جاء الصوت من السماء لموسى أمام العُلّيقة المشتعلة بالنار، والنار لم تكن إلاَّ نار حضرة الله، تمهيداً ليتكلَّم الله مع موسى.

والصلاة حديث مع الله نتكلَّم معه ويتكلَّم معنا، والله يتكلَّم جالساً على عرشه، فأمام عرش نعمته نحن واقفون، أمام مركز حكمه وملكوته: لك ينبغي التقديس يا الله، هكذا نهتف قلبياً باعتراف قدسه.

«ليتقدَّس اسمك»:

هنا لينتبه القارئ لأن أمامنا سبعة توسلات، يمكن تقسيمها إلى قسمين:

(أ) **القسم الأول:** ثلاثة توسلات بروح البنين تخص مجد الآب: اسمك، وملكوتك، ومشيئتك!

(ب) **القسم الثاني:** أربعة توسلات تخص حياتنا أمامه: خبز الحياة في اليوم الزمني، غفران ذنوبنا، لا تدخلنا في التجربة، نجنا من الشرير.

ولكن في مضمون السبعة توسلات يعطينا المسيح القاعدة الراسخة التي تنطلق بها من الأرض إلى السماء كاستجابة ورد فعل لما عمله الآب في ابنه من أجلنا ونزل من السماء إلى الأرض.

وهنا لو دققنا الرؤية نجد أن الثلاثة توسلات الأُولى هي تطلُّع نحو السماء لاكتشاف قداسة الاسم ومجد الملكوت وصلاح المشيئة، ثم رجاء بعشم عظيم في يسوع المسيح الذي كان في الحضن الأبوي ونزل إلى أرضنا، أن يظل الاسم يتقدَّس في الأرض كما هو في السماء، ويتمجد الملكوت كما هو في السموات يكون على الأرض، وتتراءف المشيئة الصالحة لتكون كما في السماء كذلك على الأرض. **فلأن المسيح وهو ا لله ظهر في الجسد ونزل إلينا، نطمع فيه أن تنزل معه وبسببه قداسة الاسم ومجد الملكوت وصلاح المشيئة على الأرض كما في السماء.** وقد احترس المسيح جداً أن يتمَّ ذلك بالفعل.

إن المدخل الرسمي لله هو **النداء بالاسم** القدوس، الذي بمجرَّد النطق به يتقدَّس الإنسان بكل ما فيه، فهو فاتحة المتكلِّم مع الله ليؤهِّل اللسان بالنطق الحسن. حيث الاعتراف بقدُّوسية ما لله قبل أن ندخل إلى ما هو لنا. والاسم القدوس يغطِّي كل مَنْ في حضرة الله. فالاسم هو "الأنا الأعظم" – "الإجو (ذات) ἐγώ" – لله، فبمجرَّد **تقديس الاسم** ينفتح أمامنا حق الحديث مع الله: «**ليستجب لك** الرب في يوم الضيق، **ليرفعك "اسم"** إله يعقوب.» (مز ٢٠:١)

والله يُسرُّ بذكر اسمه، وتقديسه يقرِّبنا إليه: «الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له (بالروح والحق)» (يو ٤:٢٣). وقد أعطانا المسيح حق النطق باسمه لتحل علينا نعمته ومحبته: «**عرَّفتهم "اسمك"** (اسم الأبوَّة) وسأعرِّفهم **ليكون فيهم الحب** (الأبوي) الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم – (الابن الوحيد مع الأبناء)» (يو ١٧:٢٦) وهكذا تحتوينا نعمته لنتوهَّل لملكوته، أي يتمجَّد اسمه فينا بواسطة ابنه يسوع المسيح: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني.» (يو ١٧:٢٢)

١٠:٦ «لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ».

«ليأتِ ملكوتك»:

والآن لأنه أبونا الذي في السموات بمعنى أنه تبنَّانا في المسيح: «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا (الترجمة الأصح مع أرواحنا) أننا أولاد الله، فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح» (رو ٨: ١٦و١٧). ويُلاحَظ أن الترجمة العربية هنا قصرت في المعنى وأضعفته لأن الآية تنص على أن الروح يشهد مع أرواحنا التي تشهد: τὸ πνεῦμα συμμαρτυρεῖ τῷ πνεύματι ἡμῶν وهنا تكشف الكلمة اليونانية συμμαρτυρεῖ الخطأ والقصور في الترجمة العربية، فهي تترجم يشهد مع أرواحنا أو أن الروح وأرواحنا يشهدان معاً، أو لهما شهادة واحدة. أو باختصار يشترك في الشهادة لأرواحنا.

وليس ميراث في الله إلاَّ ميراث ملكوته! فالآن لأنه أبونا ونحن ورثة مع المسيح في ملكه الأبدي، فقد أصبحت لنا دالة أن نقول له – بواسطة ابنه يسوع المسيح – ليأتِ ملكوتك. بمعنى أننا نستعجل ميراثنا المذخر لنا، مع المسيح فيما هو للآب. ونحن حينما نقول: ليأتِ ملكك السعيد، نقول ليس كعبيد يخدمونه بعد بل كأولاد يرثونه. فمن حق يسوع المسيح الابن الوحيد المبارك في ميراث الآب وشركتنا معه نطلب أن «يأتِ ملكوتك»، لأن نصيبنا فيه محفوظ ونحن نحمل عربونه المقدَّس بالروح القدس لأننا أولاده: «شاء فولدنا بكلمة الحق.» (يع ١:١٨)

«لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»:

لقد صنع الابن مشيئة الآب: «حينئذ قلتُ هانذا جئت بدرج الكتاب مكتوب عني. أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت» (مز ٤٠: ٧و٨، راجع: عب ١٠: ٧)، وأكملها يسوع حينما أخذ الكأس من يد الآب (يو ١٨: ١١) وسلّم نفسه لمشيئة الآب وارتفع على الصليب من أجلنا. والآن ونحن مصالحون مع الآب في المسيح يسوع نطلب أن تُكمَّل لنا مشيئة الآب كما تكمَّلت عنده في السماء، بحسب نبوَّة دانيال: «أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرَّبوه قدَّامه **فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً ... أمَّا قدِّيسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين**» (دا ٧: ١٣و١٤و١٨). بمعنى كما كملت مشيئتك في السماء من جهة ملكوتك بجلوس الابن المتجسِّد عن يمينك في عرشك، هكذا لتكمل مشيئتك في تنفيذ استعلان ملكوتك على الأرض بشركتنا في نصيب الابن.

وإذا تأمَّلنا جيداً الأصل اليوناني لهذه الصلاة نجد عبارة: «كما في السماء كذلك على الأرض» لا ينحصر معناها في عبارة «لتكن مشيئتك»، بل يمتد ليشمل أيضاً ما قبلها أي «ليأتِ ملكوتك ... كما في السماء كذلك على الأرض»:

ἐλθέτω ἡ βασιλεία σου, γενηθήτω τὸ θέλημά σου, ὡς ἐν οὐρανῷ καὶ ἐπὶ γῆς

فالمعنى متصل: "ليأتِ ملكوتك، ليته يأتي كمشيئتك (كلاهما)، كما في السماء كذلك على الأرض".

أي كما كمل ملكوتك في السماء كمشيئتك كذلك يأتي على الأرض. وللتوضيح أكثر نقول إنه كما كمل ملكوت الله بالمسيح في السماء ليأتِ كذلك على الأرض ليكمل بنا. والمعنى مطابق لما جاء في دانيال في الآيات السابقة حرفياً وبذات المعنى الجميل الفائق!

وهكذا ينكشف المعنى العظيم جداً الذي يخصنا في الملكوت ويربطنا بالله الآب والمسيح!! والذي من أجله أوعز إلينا المسيح أن نطلب في صلاتنا دائماً أن يأتي ملكوت الله على الأرض كما هو في السماء ليكمل نصيبنا مع المسيح في الله، لأنه أصبح حقًّا لنا في المسيح.

١١:٦ **«خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ».**

«كفافنا»: ἐπιούσιον

و لم ترد هذه الكلمة في العهد الجديد كله سوى هنا وفي الموضع المقابل من إنجيل ق. لوقا فقط.

وقد دخلت هذه الكلمة في صراع مع الشُرَّاح على طول المدى. فقد قرر الآباء عموماً أن معناها روحي وليس مادياً، وأيضاً ينتحي ناحية السريَّة. ولكن يُعتبر موقف ذهبي الفم أهمهم جميعاً، فهو يساند الوضع الذي اصطلح عليه مترجمو الإنجيل من اليونانية، إذ يقول:

[لأنه يقول لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، فهو إنما يكلِّم أشخاصاً موضوعين تحت الطبيعة وواقعين تحت حاجتها وغير قادرين أن يكونوا كالملائكة المنزهين عن الآلام ... فهو يرثي لضعف طبيعتنا ... لأنها تحتاج إلى طعام ... لذلك لم ينبهنا لأي شيء نطلبه إلاّ الخبز فقط، و"الخبز اليومي" حتى لا ننشغل بباكر. من أجل هذا قال: "خبز اليوم" أو بمعنى أعطنا خبزاً ليوم واحد!! ولم يكتفِ بهذا بل عاد فكرَّر أعطنا اليوم.](٣)

وهذا يتفق مع ترجمة الآية في الترجمة القديمة: "أعطنا اليوم خبزنا اليومي" = أو خبز كل يوم أعطنا اليوم. حيث تُترجم الإبيئوسيون "**باليومي**" التي أعادتها الترجمة الأمريكية إلى: "خبزنا كفافنا" = needful بمعنى: الذي نحتاجه. وقد رجَّحها ق. أوغسطينوس ولكن عاد ووافق على الخبز الروحي وجسد الرب والخبز اليومي معاً(٤).

وقد أعطاها بعض العلماء القدامى معنى: "خبز الغد" أعطنا اليوم، مثل جروتيوس وماير وليتفوت وهم علماء الكتاب المقدَّس. واختصت ترجمة الفولجاتا اللاتينية بمفهوم الخبز الروحي بحسب الكنيسة الكاثوليكية ووافق على هذا العالِم أولسهاوزن وألفورد وغيرهم. والقديس جيروم يقول إن حسب إنجيل العبرانيين (أبوكريفا) تأتي كلمة إبيئوسيون بمعنى "الغد" وقد شرحها هو على أنها هي المعادلة لكلمة supersubstantialem وتعني الجوهري(٥). وهذا هو أقرب المعاني إلى روح الصلاة.

وبحسب رأينا نرى أن المسيح هنا يعلِّمنا أن نصلِّي، والصلاة اختصَّت بتقديس اسمه ومجيء ملكوته ولتكن مشيئته على الأرض كما في السماء، كل هذا الدفع الروحي هل يمكن أن يسقط مباشرة إلى طلب رغيف العيش من الجالس على العرش، الذي قال وأكَّد: «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم» (مت ٦: ٣٣). وماذا نعمل يا ترى في الآية التي ستواجهنا سريعاً: «فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه» (مت ٦: ٣٤)، «لذلك أقول لكم: لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ... أليست الحياة أفضل من الطعام» (مت ٦: ٢٥)، «فلا تهتموا قائلين ماذا

(3) St. Chrysostom, *Homilies on the Gospel of St. Matthew*, NPNF, 1st ser., vol. X, p. 135 & n.3.
(4) St. Augustine, *Sermon on the Mount*, NPNF, 1st ser. vol, VI, p. 42 & n. 4.
(5) W.C. Allen, *St. Matthew*, I.C.C., p. 59

نأكل أو ماذا نشرب ... فإن هذه كلها تطلبها الأمم. لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها.» (مت ٦: ٣١و٣٢)

وبولس الرسول يؤكّد على هذا بقوله: «لأن اهتمام الجسد هو موت.» (رو ٨:٦)

فالذي نود أن نوعّي القارئ به أن «صلاة أبانا الذي في السموات» صلاة عميقة عمق المسيح والآب واسمه القدوس، عمق ملكوت الله ومشيئة الله المملوءة إنعامات وبركات روحية، فلا نأخذ وجهة الجسد ونحن في صميم طلب الملكوت. هذا تعارض صارخ مخلّ بالروح. فالخبز هو خبز الملكوت الذي نموت لو لم نأكله كل يوم. ليس هو رغيف الخبز الذي يرد شهوة الجائع، الذي تصوَّره الشيطان في هيئة حجارة جبل التجربة، بل هو كلمة الله الخارجة من فمه التي يحيا بها الإنسان ولا يموت، كما ردَّ المسيح! ونِعْمَ ما كان الرد! فالذي يحيينا ليس حجرة تتحوَّل إلى خبز بل كلمة تتحوَّل فينا إلى حياة «وُجد كلامك فأكلته» (إر ١٥:١٦). والمعنى المختبئ أنه بعد أن طلبنا مجيء الملكوت على الأرض حسب مشيئته كما هو في السماء، علينا أن نطلب خبزه، أي خبز الملكوت، كل يوم وكلما جعنا وعطشنا إلى برِّه إلى أن يأتي! وحتماً "يشبعون"!! فعندنا صلاة أبانا الذي هي بحد ذاتها خبز الوجوه الساخن كل يوم بيومه الذي بعد عرضه على مذبح الله لا يحل أكله إلاَّ للذين تطهَّروا. لأجل هذا قال بعدها مباشرة: «اغفر لنا ذنوبنا»!!

١٢:٦ «وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضاً لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا».

الأصل اليوناني لا يذكر ذنوب بل ديون ὀφειλήματα، فالترجمة العربية أساءت لفكر القديس متى ولمنطق المسيح المنقطع النظير في هذا الإنجيل، فهو هنا لا يعتبر الذنوب والخطايا (كما جاءت في لوقا ١١:٤) أكثر من ديون، والسر في ذلك واضح أن المسيح ألغى أصل الخطية المميتة التي كان لا شفاء ولا خلاص منها. فلم يصبح للخطية سلطان علينا يؤدِّي إلى الهلاك بعد موت المسيح على الصليب حاملاً خطايانا ولعنتنا في جسده على الخشبة، ثم بقيامته بنا بالجسد مبرَّئين ومبرَّرين بنعمته. فهنا في إنجيل ق. متى أعطانا مفهوماً جديداً للخطايا المغفورة أنها ديون مرفوعة من علينا برحمة الله ونعمة المسيح. ولكن على أساس أن نرفع نحن أيضاً ديون المديونين لنا. وهنا تأتي قصة الأصحاح الثامن عشر ذات المعنى والتعبير الدقيق عن مفهوم الخطية والدَّين بالنسبة لملكوت الله، إذ أعطى المسيح المثل ورفعه إلى مستوى الملكوت:

+ «يشبه ملكوت السموات إنساناً **ملكاً** أراد أن يحاسب عبيده. فلمَّا ابتدأ في المحاسبة قُدِّم إليه

واحدٌ مديونٌ (لعلَّه أنا أو أنت) بعشرةِ آلاف وزنةٍ [(١٠,٠٠٠). والوزنة تساوي ٦,٠٠٠ دينار والدينار حوالي عشرة جنيهات، فالمبلغ كله مهول ومزعج للغاية، ٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ستمائة مليون جنيه، ما كان يساوي في أيامها الضريبة الرومانية الواقعة على كل من سوريا واليهودية والجليل وأدومية]. وإذ لم يكن له ما يوفي أمر سيده أن يُباع هو وامرأته وأولاده وكل ما له (وهيهات أن يسد الدين) ويوفي الدين ... فتحنَّن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين. ولمَّا خرج ذلك العبد وجد واحداً من العبيد رفقائه، كان مديوناً له بمائة دينار (الدينار ما يساوي أجرة عامل طول النهار)، فأمسكه وأخذ بعنقه قائلاً: أوفني ما لي عليك. فخرَّ العبد رفيقه على قدميه وطلب إليه قائلاً: تَمَهَّل عليَّ فأُوفيكَ الجميع. فلم يرد بل مضى وألقاه في سجنٍ حتى يوفي الدين. فلمَّا رأى العبيد رفقاؤه ما كان، حزنوا جداً. وأتوا وقصُّوا على سيدهم كلَّ ما جرى. فدعاه حينئذ سيده وقال له: أيها العبد الشرير، كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت إليَّ. أفما كان ينبغي أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا ...؟» (مت ١٨: ٢٣-٣٥)

هذا المثل يجيء هنا معبِّراً أقصى تعبير عن معنى: "اغفر لنا ما علينا كما نغفر نحن أيضاً ما لنا على الآخرين"، فهي كانت ذنوب وخطايا ولكن حسبها المسيح مجرَّد ديون، ولكن إذا لم نرفعها نحن أيضاً من المديونين لنا، تعود الخطايا والذنوب وتصبح بثقلها لا كخطايا وذنوب بل ديون محبة تحرمنا من الملكوت.

ثم عاد ق. متى في الآية (١٤) وكشف عن سر الديون إذ أعادها إلى أصلها قائلاً: «فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم - وعند ق. لوقا خطاياهم - يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي. وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم.» (مت ٦: ١٤و١٥)

وهنا يتحتَّم علينا أن نلاحظ أن الزلات والخطايا التي على الآخرين لنا لا هي زلات إثم ومعصية ضد الله، ولا خطايا في حق قداسة الله تؤدِّي إلى الهلاك، لأنه ليس لنا سلطان على غفرانها - إن كانت كذلك - إطلاقاً، بل هي مجرَّد ديون محبة نسامح بها أكثر من أننا نغفرها. وعلى هذا الأساس تماماً فنحن بعد موت المسيح على الصليب حاملاً خطايانا ودافعاً ثمنها من دمه لا تُحسب خطايانا وذنوبنا في نظر الله أكثر من ديون محبة، يكون على استعداد أن يرفعها عنا طالما نحن لا نمسكها على المديونين لنا بحسب القصة التطبيقية التي سردناها!

وهكذا نشكر الله جداً أن ق. متى أنار عيوننا وقلوبنا بهذه الآية (٦: ١٤و١٥) التي صدَّرها بعد نص الصلاة مباشرة لكي تشرح لنا أكبر معضلة في مفردات أبانا الذي في السموات على مستوى المثل الذي قدَّمه في الأصحاح (١٨).

١٣:٦ «وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ. لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ».

«ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير»:

هنا تقابلنا أيضاً مشكلة كبيرة، فالسؤال هو إن كان الله في يده أن لا يُدخلنا التجربة، فلماذا يدخلنا إذن التجربة؟ علماً بأن التجربة مُرَّة وهي مؤلمة وقد تكون فادحة التكاليف. هذا الأمر يتضح لنا أكثر عندما وقف المسيح وهو على خطوة واحدة من الصليب يقول لبطرس: «سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة» (لو ٢٢: ٣١). واضح هنا قسوة التجربة الآتية على التلاميذ وعلى بطرس بالذات، فمعروف أنهم تركوا المسيح كلُّهم وهربوا، ومعروف أن بطرس أنكره ثلاث مرَّات، وأخيراً قال أنا لست أعرف هذا الرجل (عن المسيح)! فلماذا؟ واضح أيضاً أن هذا من حق الشيطان أن يختبر أمانتنا لله والمسيح. فلا يحق لله أن يمنعه لأن الأمر يخص نفسه، يخص الأمانة له. وهذا بالتالي يتضح من وقفة الشيطان ضد أيوب:

+ «وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله (الملائكة) ليمثُلوا أمام الرب. وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم. فقال الرب للشيطان: من أين جئت؟ فأجاب الشيطانُ الربَ وقال: من الجولان في الأرض ومن التمشِّي فيها. فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدي أيوب لأن ليس مثله في الأرض **رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر**؟ فأجاب الشيطانُ الربَ وقال: هل مجاناً يتقي أيوب الله؟ أليس أنك سيَّجت حوله وحول بنيه وحول كل ما له من كل ناحية؟ باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه في الأرض. ولكن ابسط يدك الآن ومسّ كل ما له فإنه في وجهك يجدِّف عليك. فقال الرب للشيطان هوذا كل ما له في يديك، وإنما إليه (إلى نفسه) لا تمد يدك. ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب.» (أي ١: ٦-١٢)

ومعروف أن الشيطان ضرب أولاد أيوب وعبيده وإماءه، وضرب مواشيه فأهلكها، وباختصار أنهى على كل ما لأيوب، ثم ضربه هو بمرض كريه معروف في الطب "بمرض أيوب" لا شفاء منه!!

فانظر أيها القارئ اللبيب وافهم أن للشيطان سلطاناً أن يجرِّبنا في كل ما لنا وفي صحتنا حتى

ولو كنَّا كاملين ومستقيمين ونتقـي الله ونحيـد عـن الشـر، لكـي إمـا نُثبـت أن ديانتنـا وأمانتنـا لله وللمسيح صحيحة فيعوِّضنا الله ـ كما عوَّض أيوب ـ عن كل مـا أصابنـا، وإمَّـا نُثبـت أن أمانتنـا وإيماننا كذب وادعاء، ويكون الشيطان مُحِقاً في دعواه وشكواه ضِدَّنا.

وهذا نسمعه واضحاً في قول الرب لبطرس: «ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو ٢٢:٣٢)، فكل ما وعد به المسيح أن يطلب أن لا يفنى إيمان بطرس أثناء التجربة وبعدها، ولكن لا يمنعها. لأن بطرس كان يدَّعي الأمانـة ويتوهَّـم أنـه قـادر أن يحمـي المسـيح ويذهـب معـه حتـى إلى السجن وإلى الموت كذباً وافتراءً. فسمح الله أن يدخل بطرس التجربة، ولولا المسيح ونظرته إليـه في اللحظة الأخيرة لكان قد انتهى بطرس!!

ثم لكي لا نأتي على المسيح بأي لوم، فلنرجع إلى الوراء قليلاً عندما كان المسـيح يصلِّـي وعرقـه يتصبَّب كقطرات دم نازلة على الأرض، ذهب إلى بطرس ومَنْ معه ثلاث مـرَّات وهـو ينـادي بهـم صلُّوا **لكي لا** تدخلوا في تجربة، صلُّوا **لئلاَّ** تدخلوا في تجربة، فما سمعوا وما صلُّوا، فوقعوا في التجربة، وهربوا جميعاً وبطرس أنكر!! فهل نلوم المسيح؟

إذن فحقٌّ للمسيح أن يطلب منا أن نتوسَّل لدى الله أن لا يدخلنا التجربـة **علـى أسـاس أننـا إذ نصلِّي لا يدخلنا التجربة، لأننا ونحن في حالة صلاة لا يقترب إلينا الشيطان** لأننا نكـون مُمسـكين بالمسيح وبدمه وبصليبه! وينبغي أن نعلـم أن اسم الشيطان الآن هـو "المشـتكي" فـإن كـان لـه حـق في الشكوى ضِدَّنا ونحن غير متسلِّحين بالصلاة فهو يُعطَى أن ينازعنا في سلامنا وصحتنا ومالنا وعيالنا!!

لذلك نقول ونؤكِّد: إن سر طلبتنا من الله أن لا يدخلنا في تجربة ويسمع لنا هو أن ننفِّذ وصيتـه بالأساس: «**صلُّوا لكـي لا تدخلـوا في تجربـة**» (لـو ٢٢:٤٠). والمسـيح قـادر فعـلاً أن ينجِّينـا مـن الشرير بقوة صليبه وحق دمه!!

لذلك كانت الكنيسة الأُولى متيقِّظة جداً لهـذا الأمـر، فأضـافت "بالمسيح يسـوع ربنـا" علـى لا تدخلنا في تجربة **لكن نجنا من الشرير!!**

الختـام:

«لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين»:

وُجِدَت في كثير من المخطوطات القديمـة، وسـجَّلتها الديداخـي، وهـي مـن بـداءة القـرن الثـاني

الميلادي وتُدعى تعليم الاثني عشر (VIII.2)، ومعمول بها في الكنيسة في أقدم الليتورجيات(٦). وهي غائبة من إنجيل ق. لوقا.

ولكن من حيث مناسبة وضعها فهي تكمِّل فعلاً مفهوم صلاة الملكوت وتُسمَّى: "التمجدة Doxology"، وهي تليق أن تكون سبباً لكل دعاء بمفرده. فمثلاً ليتقدَّس اسمك لأن لك الملك، ليأتِ ملكوتك لأن لك الملك. وهكذا. فهي داخلة في صميم المضمون. كذلك "القوة" فهي علة كل استجابة لكل صلاة.

تعقيب:

١٤:٦و١٥ «فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضاً زَلاَتِكُمْ».

سبق أن شرحنا هذا المضمون لعدم المغفرة من جهة الله أنه حَبْسُ دَيْن، لأن عنصر الخطية كتعدٍّ ومعصية زال إلى الأبد بالفداء بسفك دم ذبيحة الابن الوحيد. ولكن لينتبه القارئ أن نص هذه الصلاة قد قيل قبل تكميل عمل الفداء، ولكن ليس معنى هذا أنه لا ينطبق عليها عمل الابن. فالفداء له أثر رجعي في مغفرة الخطايا. ولكن يقتصر مفهوم عدم المغفرة على اعتبار أن الخطايا أصبحت بمفهوم دين وليس عقوبة موت وهلاك. بمعنى أنه كما أن على الآخرين ديوناً لنا لا نريد أن نسامح فيها، هكذا الله له ديون علينا لا يسامح فيها إلاَّ إذا سامحنا نحن الآخرين بديونهم. تماماً حسب تطبيق قصة الملك والعبد المدين له بهذا المبلغ الضخم الذي يستحيل عليه إيفاؤه وقد ضخَّمه المسيح لهذه الغاية عينها، وهو رهن سماح العبد لدين رفيقه عليه وهو زهيد للغاية. فالفارق الهائل في نسبة ديوننا لله بالنسبة لديون الآخرين لنا يلحّ في تنبيه ذهننا أن المسألة فرصة ذهبية لحسابنا كمحاولة من الله جيدة ورائعة للغاية أن يجعل رفع ديوننا الخطيرة التي علينا لله نظير أن نغفر للآخرين ما يساوي الملاليم. وقد جعل المسيح نسبتها في المَثَل الذي وضعه في الأصحاح (١٨) كنسبة ١:٦٠٠,٠٠٠ بمعنى هذا أن المسيح جعل غفران ديوننا على مستوى مشيئتنا نحن وإمكانياتنا نحن وفي متناول أيدينا! ... «اغفروا يُغفَر لكم»!

---

(6) W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 338.

٣ - من نحو النفس
[٦: ١٦-١٨]

الصـــوم:

الصلاة والصوم عملان من أعمال الجهد البشري الذي تزكّيه النعمة، ليثمر ثماراً روحية، ويأتيان دائماً معاً، فكل منهما يزكّي الآخر. ولكن كما وجدنا الصلاة لها أصول، كذلك الصوم.

١٦:٦ **«وَمَتَى صُمْتُمْ فَلاَ تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ».**

كان أول درس للصلاة أن ندخل مخدعنا ونصلّي في الخفاء، والله الذي في الخفاء يسمع في الخفاء ويجازي علانية. وعلى نفس المنوال فالصوم ليس للظهور أو لكسب المديح وإلاّ يُحسب للإنسان أنه أخذ أجرَه إن هو أعلن عنه. فإن كانت الصلاة في جوهرها صلة سرية بالله نكلّمه ونستمع إليه، فالصوم جناحان نطير بهما بخفة لنقترب من حضرة الله. والصوم لأسباب روحية روحي هو:

+ «وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه.» (أع ١٣: ٢و٣)
+ «وانتخبا لهم قسوساً في كل كنيسة ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به.» (أع ٢٣:١٤)

وأمّا أن نصوم لكي نظهر صائمين، فما نكون قد صمنا وما اكتسبنا إلاّ كذباً.

١٧:٦و١٨ **«وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُمْتَ فَادْهُنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ، لِكَيْ لاَ تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَائِماً، بَلْ لأَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً».**

بهذا لا يعود الصوم عملاً من أعمال الظهور وكسب التزكية من الناس، بل عمل يُعمل في الخفاء للتقرُّب إلى الله لرفع الروح فوق الجسد، ولإبطال عتو الشهوات والغرائز الجامحة، وللتذلل الحقيقي بالنفس أمام الله من أجل نوال رحمة وتعزية، حداداً على الشبع وملذات العالم وتحدِّيا لجبروت البطن التي استعبدت الإنسان بالملذات، ليظهر الإنسان صغيراً في عيني نفسه، ويواضع

الذات التي انتفخت وتعالت دون وجه حق، ليعود الإنسان إلى وجه الطفولة النحيل ومشاعر المسكنة كفقير، ليليق للدخول من الباب الضيق.

وعن الصوم لم يكن كإشعياء الذي وصف وأسهب في الوصف حتى جاء إلى آخر ما يمكن أن يُقال في الصوم:

+ «أليس هذا صوماً أختاره: حلّ قيود الشر، فكّ عقد النير وإطلاق المسحوقين أحراراً وقطع كل نير؟ أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تُدخل المساكين التائهين إلى بيتك؟ إذا رأيت عُرياناً أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك؟ حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك وتنبت صحتك سريعاً ويسير برُّك أمامك ومجد الربِّ يجمع ساقَتَكَ (يحميك من خلفك). حينئذ تدعو فيجيب الرب، تستغيثُ فيقول هأنذا، إن نزعت من وسطك النير والإيماء بالأُصبع وكلام الإثم! وأنفقت نفسك للجائع وأشبعت النفس الذليلة يشرق في الظلمة نورك ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر! ويقودك الرب على الدوام ويُشبع في الجدوب نفسك وينشِّطُ عظامَكَ فتصير كجنة ريًّا وكنبع مياه لا تنقطع مياهه. ومنك تُبنى الخِرَبُ القديمة، تقيم أساسات دور فدور فيسمونك مرمِّم الثغرة، مُرجِع المسالك للسكنى!» (إش ٥٨: ٦-١٢)

هذا هو الله الذي يرى في الخفاء ويجازي علانية.

وقد يكون الصوم من الشروق إلى الغروب (قض ٢٠:٢٦، ١صم ٢٤:١٤)، أو لمدَّة سبعة أيام كما صام الشعب بعد دفن شاول (١صم ١٣:٣١)، أو لثلاثة أسابيع: «في تلك الأيام أنا دانيال كنت نائحاً ثلاثة أسابيع أيام لم آكل طعاماً شهياً» (دا ١٠:٢و٣)، أو أربعين يوما (خر ٣٤: ٢٨و٢، تث ٩:٩و١٨، ١مل ١٩:٨). وكان الفريسيون يفتخرون أنهم يصومون يومين في الأسبوع (لو ١٨:١٢). والمسيح أعطى نموذج الصوم لأربعين يوماً وأربعين ليلة.

والذين مارسوا الصوم بدافع روحاني أدركوا القيمة الفريدة لهذا العمل الملكوتي الممتاز.

٤ - من نحو العالم والجسد

[٦: ١٩-٣٤] (لو ١١: ٣٤-٣٦؛ ١٢: ٢٢-٣٤؛ ١٦: ١٣)

٦: ١٩و٢٠ «لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلْ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ، وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ».

الهم الأول للإنسان الجاهل رجل أو امرأة هو جمع المذخرات الأرضية وتخزينها في الدواليب والغرف والمخازن المخصوصة وخزن الحديد، وحديثاً البنوك. والمسيح قسَّمها إلى ثلاثة أقسام: خزين المأكولات وهذه تسوق عليها الطبيعة السوس والميكروبات لتفسدها، وكم من تلال من المأكولات تفسد وتُلقى في الزبالة. ومع السوس العث وكل أصدقاء العث من أسماء ومسميات لإفساد الملابس الثمينة، أمَّا القطنية فلها فصيلة خاصة من العث، وأما الصوفية فلها صنف آخر أشد بلاءً، وأمَّا الحرير فله آفة تفتك به، وكم من أثواب أُلقيت في الزبالة أو للحريق. أمَّا القسم الثالث فهي المشغولات المعدنية وهذه رتَّبت لها الطبيعة أنواع الصدأ والتآكل للإتلاف. أمَّا الثمينة جداً فلها لصوص مهرة ينقبون الحوائط ويفسخون الخزن ويحملون تحويشة العمر ويلوذون بالفرار. وإذا لم تكن هذه الآفات كلها، فإن هناك آفة أخطر وهي آفة التقدُّم في العمر حيث يحس الإنسان أنه ليس له سرور في كل ما جمع، وإذا أراد أن يتخلَّص منها فلا يستطيع. فالإنسان الذي لا يتطوَّر مع الزمن هو نفسه يأكله العث، والذي لا يؤمن بكلام المسيح «يكفي اليوم شرُّه» (مت ٦: ٣٤)، يجمع لنفسه شرور السنين ويقضي حياته في همٍّ مقيم! وأسعد إنسان هو الذي استطاع أن يسرِّب كنوزه وأمواله وأرصدته إلى فوق، ليحيا بلا هم. وإذا انطلق يجد أمواله قد تحوَّلت إلى عائدها الروحي الذي ينعم به إلى الأبد. وسوف نرى في مثل وكيل الظلم كيف يقول المسيح عنه: «اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية» (لو ١٦: ٩). أمَّا الذي صنعه وكيل الظلم هذا المغبوط، فقد بدَّد مال سيده، ويرى المسيح أن مال سيد هذا العالم الظالم ينبغي أن يبدَّد على الفقراء والمساكين والمرضى، وبهذا نُسرِّب "مال الظلم" إلى فوق ليتحوَّل لنا إلى كنز أبدي.

وإني أتصوَّر أن هناك بنكاً سريًّا على الأرض اسمه بنك ملكوت الله، تُحوَّل فيه الأموال من الصلاحية الأرضية إلى فوق حيث يكون الصرف بتحقيق الشخصية السماوية. أمَّا هذا البنك فيجمع

كل الأموال التي تعطى للفقراء والمساكين والمرضى والذين ليس لهم مَنْ يسأل عنهم، ويودعها باسم صاحبها بضمان وإمضاء وختم المسيح!

٦:٢١ «لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً».
« θησαυρός σου - καρδία σου ».

فإن كان كنزنا على الأرض فقد استوطن القلب التراب وصار له التراب لحافه ولحده معاً. وإن أرسلنا كنزنا إلى فوق استوطن قلبنا السماء وعاش غربته على الأرض متعلِّقاً بموطنه السعيد حيث ميراثه الأبدي. ولكن يوجد مَنْ يكتز على الأرض لحساب الله والكنيسة والصرف على المعوزين، فهذا كنزه الحقيقي فوق، وعلامة أصحاب الكنوز الأرضية التي تعمل لحساب الغرباء على الأرض أنها ليست نهاية بحد ذاتها، أي لا يعمل فيها الإنسان لمجد ذاته بل يمجِّد الله بأعماله كل يوم، وفرحته العظمى أن يفرِّق ويعطي المساكين ويستر أجساداً ويرعى أرامل وأيتاماً. فهذا صاحب كنزين: كنز في الأرض يعمل لحساب كنز في السماء وعائد الأول يتحوَّل للثاني.

٦:٢٢و٢٣ «سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّراً، وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِماً، فَإِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظَلاَماً فَالظَّلاَمُ كَمْ يَكُونُ!»

العين البسيطة: ὀφθαλμὸς ἁπλοῦς: هي البسيطة الخيِّرة الإيجابية المميِّزة للحق والنور.
العين الشريرة: ὀφθαλμὸς πονηρός: هي المنقسمة الحاقدة السلبية غير المميِّزة للنور.

الكلام هنا عميق للغاية وأبعاده سرِّية وذات قيمة عُظمى لرفع مُدركات الإنسان وتمييزه. فالعين بالنسبة للإنسان هي العين الظاهرة التي تُميِّز النور والظلام والأصيل والمغشوش، يقابلها عند الإنسان عين جوَّانية هي قدرة الإدراك والرؤية للحقائق والتمييز بين ما هو صادق وما هو مزيَّف، وتُسمَّى بالوعي الباطني أو العقل الناظر أو الرائي. فمعنى العين البسيطة بالنسبة للعين الخارجية يعني هي عين إيجابية كعين الولد الصغير الذي زكَّاه المسيح للدخول إلى الملكوت، فعينه بسيطة إيجابية تصدِّق ما ترى. أمَّا العين البسيطة بالنسبة للوعي الباطني أو العقل الناظر أو الرائي، فهي العين الموحَّدة للرؤى والقوى والعين التي لا تَدِين ولا تَذمُّ ولا تفرِّق، التي ترى الحقيقة كنور بسهولة وتميِّزها جيداً وتحيط بها حتى العمق، التي يناسبها قول المسيح: **«فتح ذهنهم ليفهموا الكتب»** (لو ٢٤:٤٥). الكتب

هنا هي كلمات من نور لا تُرى إلاَّ على مصباح الله. فأصبح لهم وعي روحي إنجيلي سماوي ملكوتي مفتوح على الحق والنور باستمرار، يستمد منه إيمانه ووجوده وكل كيانه، فيمتلئ الإنسان بالمعرفة والحق والحب والسلام. أمَّا إذا كانت العين الداخلية فاقدة للبساطة، بمعنى سلبية، فهنا تستمد قوتها من القوة السلبية المضادة للحق. وهكذا تُسمَّى عين شريرة لأنها تشتغل بالشر وتمسك فيه وتتلذَّذ به، وبالتالي تسوق الإنسان بكل كيانه في الاتجاه السلبي لتحكمه الأفكار الشريرة والنزعات المعادية للحق والكارهة للمعرفة الخيِّرة، فتسكنها العداوة والبغضة والحسد والنقمة واليأس والشك في كل شيء مع الخوف من المستقبل. وهذا هو الذي يقول عنه المسيح إن الجسد كله يكون مظلماً، بمعنى أن كل ملكاته ونزعاته وأحاسيسه وتصوراته لا تستمد قوتها من النور.

واضح هنا إنسان الملكوت بعينه النيِّرة وجسده المضيء كله بالمعرفة الإلهية الحقة، وإنه لوصف صادق جداً وحقيقي ما قاله المسيح من أن سراج الجسد هو العين إذا أدركنا معناها العميق، حيث الوعي يكون بشبه مصباح يسير والنور أمامه أينما سار، حتى وفي عتمة هذا العالم بليله الدامس(٧).

٦:٢٤ «لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ».

كان هذا هو الوضع السائد في إسرائيل، لأن المعروف عن المال بالنسبة لليهودي أنه فعلاً يرقَى إلى مستوى السيد، بل والإله.

ولكن بدخول واقع الحياة الروحية في الإيمان المسيحي، حيث يجوز الإنسان المسيحي عملية تغيير جوهرية في طبيعته لتنتقل من طبيعة مادية إلى طبيعة روحانية، وتنتقل تبعاً لذلك مصادر حياتها ونموها من أرضية مآلها إلى الزوال إلى روحية سماوية تنتهي بالخلود، تتغيَّر بالتالي نظرته وتعاملاته تجاه أدوات الحياة وأعوازها من حيِّزها الضيِّق المنحصر في الرؤية المادية للأشياء إلى الرؤية المتسعة المنفتحة على القيم الروحية والإنسانية العُليا.

بهذه المقدمة المختصرة جداً أدخل مع القارئ في النظرة الجديدة إلى "المال" من وضعه اليهودي المحصور انحصاراً عنيفاً في مادية الواقع والنظرة، وفي التعامل مع الحياة الأرضية وأدواتها على أنها هي الأبقى والأسمى له والتي يحكمها ويتحكَّم فيها المال، إلى وضعه المسيحي؛ إذ يرى الإنسان المسيحي

(٧) الرجاء الرجوع إلى كتاب: "شرح إنجيل ق. لوقا" للمؤلِّف، للاطلاع على مقدِّمة هذه الآية: "النور والظلام" (١١: ٣٣-٣٦). صفحة ٤٩٥

في المال مُعيناً وسنداً ماديًّا على الأرض لتكميل حياة روحية وبلوغ أهداف سمائية أعلى وأرقى من الأرض وكل ما فيها. وفي هذا الوضع الجديد الذي يعيشه الإنسان المسيحي ينتقل المال تبعاً لذلك بصورة أساسية من وضعه القديم الذي كان يحكم ويتحكَّم في الحياة كسيد إلى وضعه الجديد الذي يخدم فيه الحياة الروحية للإنسان لبلوغ أهدافه السمائية، بمعنى أنه في الوضع المسيحي يكون المال قد انتقل من موضع السيادة والتحكُّم في الإنسان إلى موضع الخدمة والمعونة والسند.

ولكي ندخل في عمق هذه العلاقة الخطيرة بين الإنسان والمال والله يلزمنا أن نفحص كلا الوضعين: وضع المال الأول، على المستوى اليهودي ومعنى سيادته على الإنسان بل وتعبُّد الإنسان له كإله؛ ووضع المال الثاني، على المستوى المسيحي وكيف صار خادماً لحياة الإنسان الروحية، فهو لا يزيد في قيمته عنده بأكثر مما يُشترى به من طعام وملبس وأدوات المعيشة، أو قيمة التنقُّل من مكان إلى مكان، أو قيمة التعلُّم بعلوم العصر، أو قيمة استخدام أدوات المدنية الحديثة لتسهيل الحياة ورفع المعاناة والمشقة عنها.

أولاً: الإنسان العتيق(٨) والمال السيد العظيم المبجَّل والمعبود:

كان المال في عصر ما قبل المسيح، خاصة في الأوساط اليهودية، هو المقياس الأول الذي تُقاس به وعليه قامات الرجال. فكان الإنسان إنساناً بماله، يوزن بما استحوذ عليه من مال. ونقول إن الإنسان كان إنساناً بماله بكل المعاني: فالعالِم والشاعر والأديب والحكيم والطبيب إن كان لا يحتكم على مال فهو صعلوك في نظر القوم، يستجدي بعلمه وحكمته وشعره وطبّه المال عند الأغنياء والملوك. وهكذا كان المال ربَّ الحياة وسيدها، والكل يسعى في اكتساب ودِّه. وقد دخل المال بالفعل في منافسة مع الله وانحاز شعب إسرائيل إلى المال والذهب والفضة وعبدوها على هيئة أصنام: «صنعوا لأنفسهم من فضتهم وذهبهم أصناماً لكي ينقرضوا» (هو ٨:٤)، وعجل الذهب في سيناء شاهد عليهم. ولكن القول هنا ليس على مستوى أخطاء عابرة بل توطُّنٌ أخلاقي يتغلغل أعماق كيانهم وهويتهم، فالمال محبوب ومعبود أكثر من الله.

لذلك لم يكن ممكناً تغيير هذه الحقيقة مهما كان سواء بالعلم أو بالمعرفة، ولم يكن التأديب بنافع، فالطبيعة البشرية العتيقة تعبَّدت للمال بصورة لم يكن لها من علاج إلاَّ اقتلاعها اقتلاعاً.

(٨) الإنسان العتيق: هو الإنسان ذو الطبيعة البشرية الساقطة تحت عقوبة الموت واللعنة بسبب الخطايا قبل أن يجدِّدها المسيح بقيامته.

ولا يغيب عن الفكر مدى العلاقة بين المال والانحراف الأخلاقي وتوطُّن الخصال الرديئة من طمع وجشع ونهب وسلب وظلم وفجور، وآلاف من خطايا نعرفها ولا نعرفها، فكما قال بولس الرسول بتأكيد: «وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربةٍ وفخٍ وشهواتٍ كثيرة غبية ومضرَّة تغرِّق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلُّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة.» (اتي ٦:٩و١٠)

ولكن الأخطر من كل هذا أن هذه العلاقة مع الأموال ذات التأثير الطاغي على فكر الإنسان ورؤيته وتقديره العام تخلخل من علاقته بالله وتغرس بدلاً منها نوعاً من الجفاء وعدم المسرة، بل وربما الغطرسة والكبرياء على أمور الله والدين. هذا كله زكَّى تصميم الله على تغيير هذه الطبيعة البشرية المنحرفة نحو العالم والمادة والشهوة، وبالتالي الغِنَى ومحبة المال من دون الله، الأمر الذي حقَّقه المسيح للبشرية بتجسده وسفك دمه على الصليب وموته بهذه الطبيعة المحمَّلة بالخطايا لتكميل عقوبتها بالموت واللعنة ثم القيامة بها في نصرة المسيح جديدة مجدَّدة ذات خليقة جديدة منعطفة انعطافاً جذرياً نحو الله والحياة الأبدية.

ثانياً: الإنسان الجديد وعلاقته الوثيقة بالله، وسقوط المال إلى موضع الخادم والعبد:

أول علامات النصرة الجديدة للإنسان الجديد في شخص يسوع المسيح ظهرت في موقعة التجربة مع الشيطان على الجبل، حينما جاع المسيح بعد صوم أربعين يوماً وأربعين ليلة، فأتاه الشيطان في خلوته البعيدة عن الطعام والشراب يقترح عليه أن يحوِّل الحجارة خبزاً، فكان ردُّ المسيح بلسان الإنسان الجديد: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله». وهكذا ارتفعت رؤية الإنسان الجديد مع إيمانه من التعلُّق بالأرض والمادة لقيام الحياة، إلى الاعتماد المباشر على كلمة الله كمصدر أساسي ودائم لحياة الإنسان في علاقته الجديدة مع الله متحدِّياً الشيطان والعالم والجسد والمادة.

ومرة أخرى على مستوى أعلى وأشمل وأخطر رفع المسيح الرؤية الإيمانية للإنسان الجديد واعتماده على العلائق الأسرية والأبوية والزوجية والمالية المرتبطة بالملكية واقتناء الأرضيات جميعاً، إلى المستوى الروحي الأسمى دون أن يُفقده أيَّ شيء منها، فقداناً يؤثِّر على حياته ومستقبله هكذا: «وكل مَنْ ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف (ويضيف إليها القديس مرقس ١٠:٣٠: "مئة ضعف الآن في هذا الزمان بيوتاً وإخوة وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً مع اضطهادات") ويرث الحياة الأبدية» (مت ١٩:٢٩). بمعنى أن الذي يترك هذه كلها من أجل اسم المسيح وخدمة الإنجيل لا يُحرَمُ من مئات الآباء

والأمهات والأولاد والإخوة والأخوات، وحقول بلا عدد تكون تحت يده ليستخدمها في خدمة الله. ويضيف القديس مرقس: "مع اضطهادات"، لأن هذا يكون من حسد وحقد رئيس هذا العالم الذي يغرِّم مَنْ يتحدَّاه في مُلكه الأرضي.

والمعنى أن الذي يترك بإرادته أو عن اضطهاد وحرمان كل هذه الممتلكات والمتعلِّقات الجسدية والأرضية من أجل اسم المسيح أو لخدمة الإنجيل، لا يفقد ولا يُحرم من الانتفاع بكل هذه الممتلكات والمتعلِّقات ولكن على المستوى الروحي الأسمى.

وهذا يفيد إفادة قاطعة أن الإنسان الجديد في المسيح يسوع لم يصبح تحت سطوة المال ولا كل ما يُشترى أو يُقتنَى بالمال أو كل ما يمتِّع الإنسان نفسه به. بهذا يتضح مدى الارتفاع الهائل والتسامي المطلق الذي بلغه الإنسان الجديد فوق سيادة المال وسطوته. وهذه شهادة رجل يهودي كان شديد التعلُّق بالمال وسيادته ومنغمساً في شهوات سلطانه ورئاسته وكبريائه، وهو بولس الرسول: «لكن ما كان لي ربحاً، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نُفاية لكي أربح المسيح، وأوجد فيه» (في ٣:٧-٩). وهذا الذي يتكلَّم هنا كان فرِّيسيًّا متعصباً، يهودياً عابداً بالنسبة للمال والعالم بكل معنى. ولكن الآن يتكلَّم باعتباره الإنسان الجديد في المسيح يسوع.

وهكذا بمجرد أن يرتفع الإنسان في علاقته بالله إلى المستوى الروحي بالإيمان بالمسيح وبلوغه تجديد الطبيعة البشرية في المسيح، تنفك كل علاقاته المسلسلة بالمال والقنية لتهبط هذه في الحال من مركزها الأعلى المتفوِّق على قدراته والتي استعبدته تحت أوهام الغِنَى والملكية والسعادة الكاذبة، لتستقر تحت قدميه وترتفع بالتالي نفسه وروحه لتسود فوق الدنيا كلها بكل أموالها وإغراءاتها وأوهام سعادتها الباطلة: «وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح، وأوجد فيه.» (القديس بولس)

ثالثاً: المال عند الإنسان المسيحي يصير الخادم والعبد الأمين:

كان المال في العصور الأولى قوة سلبية غير منضبطة إذا أُضيف إلى أي شخصية، خاصة إذا سعى الإنسان إليه عن شهوة للقنية والتمجُّد، فإن المال يتحوَّل بصورة سريَّة غير ملموحة إلى موضع السيادة بالنسبة إلى نفسية هذا الإنسان، وقليلاً قليلاً تبدأ قامة الإنسان تنحني تحت سطوة إمكانيات المال المذهلة، إذ يصبح الإنسان شخصية مرموقة ذات حيثية وسيادة مهما كان مستواه السابق.

ولكن الذي حدث في أمر المال في العصور الحديثة، وخاصة في العصر الذي نعيشه الآن، أن المال دخل في إطار الانضباط والتقييم الإيجابي المسمَّى الآن بـ "الاقتصاد"، وهي كلمة ذات مدلول إيجابي بديع سواء عند الجماعة كدولة أو هيئة أو جماعة متعاهدة للقيام بعمل ضخم، أو حتى الفرد إذا كان على مستوى عبقرية الإحاطة بشروط وواجبات الاقتصاد. لأن الاقتصاد أصبح من أخطر العلوم الديناميكية الذي بإمكانه التنبؤ بخراب البنوك وسقوط الأمم. فالدولة أو الهيئة أو الأفراد الذين تفتَّحت عقولهم لإدراك الأصول الدقيقة للاقتصاد، وانفتح وعيهم لأسرار ألاعيبه وإمكانياته الدقيقة والضخمة بآن واحد، يصبح المال عندهم لعبة أو خادماً أميناً يُسَخِّرونه لمصلحة الملايين في الدولة، ولمصلحة ارتقاء الهيئات والجماعات لأداء الخدمات والمشاريع التي تنتفع بها الطبقات المتعددة من الشعب وخاصة المستويات الفقيرة والمستضعفة.

أما الأفراد الموهوبون الذين شربوا روح الاقتصاد، فاستطاعوا بالفعل بإمكانياتهم المالية الحرَّة أن يؤدُّوا من الأعمال والخدمات ما يذهل الدولة الآن، حتى أصبح عماد الدولة في اقتصادها يقوم أساساً على مشاريع ونشاط الأفراد أكثر من الهيئات الحكومية أو الشعبية. فعماد الاقتصاد الآن هو في أيدي الموهوبين في تسخير ذلك السيد المدعو المال كخادم وعبد يتحرَّك ويعمل الأعاجيب تحت أصابعهم. وأصبح اتكال الدولة على أكتاف هؤلاء الأفراد فيما يخص البطالة كمعجزة يمكن أن ترفع رأس الدولة أو تسقطها إلى الحضيض. فالفرد الواحد المقتدر بإمكانه الآن إقامة مصنع مثلاً يوظِّف فيه المئات والآلاف من الشباب العاطل!! دون أن تتحمَّل الدولة همَّ رواتب وعلاوات. أي أن نشاط الأفراد الآن على المستوى الاقتصادي الناجح هو أمل البلاد في القضاء على الفقر.

على أنه لا يمكن في هذا المكان الضيِّق أن أسرد للقارئ كل القيمة الإنسانية الخيرية، بل والروحية التي يمكن أن يأتيها المال إذا وُضع في أيدي أفراد أمناء مقتدرين ومدرَّبين وموهوبين في شئون الاقتصاد الذي يحتاج إلى مهارات منفتحة على الله والمستقبل لخير الإنسان.

إلاَّ أنه يوجد خطر واحد في استعباد ذلك السيد الكبير المدعو المال بالنسبة لأولئك الموهوبين في الاقتصاد، وهو الخروج عن حدود أصول الاقتصاد الصحيح.

رابعاً: كيف ينقلب المال من وضع الخادم والعبد إلى السيد والصنم مرة أخرى للتخريب:

ولو أننا ندخل هنا في دقائق اختصاصات الاقتصاديين، ولكن ليعذرنا القارئ فهذا الأمر أيضاً من اختصاص الروحيين: وهو عدم تشغيل الفائض من المشاريع ورفعه للتخزين، حيث تبدأ ترتفع قرون

المال ليدخل في دائرة السيد مرة أخرى الذي تُوجب له العبادة.

التخزين كصنم العالم الجديد:

فالمفروض بحسب الرؤية الروحية للإنسان الجديد أن الفائض في رؤوس أموال الأعمال الاقتصادية والتجارية يتحتّم أن يدخل دائرة الصرف والخدمة، بعد أن يُعلّى منه نسبة محدَّدة يقررها رجال الاقتصاد والتأمين.

فإذا ارتفعت نسبة المخزون، أي انحجب المال عن الصرف والخدمة، وخاصة من أجل الفقراء والمعدمين سواء على مستوى الدول أو الجماعات أو الأفراد، صارت هذه النسبة داخلة في مفهوم "خطية" الدول والجماعات والأفراد، ويتحوَّل فيها المال إلى معبود العالم والإنسان في العصر الحديث. لأن الحوافز والإغراءات على التخزين كلها شيطانية، وأخطرها هو لرفع أسعار العملة أو السلعة، وأقلها الغِنَى والتملُّك!

وعلى قدر خبرتنا القليلة سمعنا كيف كانت أمريكا تخزِّن الأذرة لكي ترفع سعرها في الأسواق العالمية، وخوفاً من تسويس الأذرة استخدمته للوقود في قطارات السكك الحديدية، وكذلك البن في البرازيل. والآن يُخزَّن البترول تحت الأرض لرفع سعره في العالم، وكذلك الذهب والفضة والبلاتين والمعادن الثمينة والمشعَّة. هذا على مستوى الدول، ولكن الشائع الآن هو تخزين كل شيء وكل سلعة وفائض الأموال لرفع الأسعار حتى ولو جاعت الشعوب. وكم اكتوت مصر من تخزين السلع والتموينات والمحاصيل بأيدي الأغنياء وأصحاب الأموال، فهذه ولو أنها جريمة اقتصادية، فهي في أصولها الروحية استعلاء للمال بقرونه القديمة ليرتفع على الإنسان كسيد تُقدَّم له العبادة رغم أنف علوم الاقتصاد وتقدُّم الإنسان في معرفة الأصول والواجبات والروحيات.

لذلك نسمعها كقاعدة يُنادي بها المسيح أن لا يهتم الإنسان - فوق العادة - بالطعام واللباس، وهكذا يأكل الاهتمام بهذه الأمور من الاهتمام بالحياة نفسها، فالحياة أفضل من الطعام واللباس. لأن: «هموم هذا العالم وغرور الغِنَى (للتملُّك والتخزين) وشهوات سائر الأشياء تدخل (القلب) وتخنق كلمة الله (للحياة)...» (مر ٤:١٩). وبولس الرسول يصرخ من جهة هذه الأمور كلها طالباً أن يكون «الذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه (بالنهاية)، لأن هيئة هذا العالم تزول، فأُريد أن تكونوا بلا هم.» (١كو ٧:٣١و٣٢)

خطر الاهتمام الكثير وابتلاع الوقت:

آخر مخاطر الاشتغال بالمال في الحدود الصحيحة، وحسب الأصول الاقتصادية المفروضة، وإزاء النجاحات المشكورة للفرد التي تعود عليه بدعاء الفقراء والمحتاجين ورضى المجتمع وشكر الدولة، هو أن يطغى الاهتمام بواجبات الأمانة في تشغيل المال على واجبات الحياة الروحية، فتقل التزامات الإنسان من جهة أمانته في العبادة واسترضاء وجه الله والضمير. فهذه الواجبات يتحتّم أن يضعها الإنسان المسيحي المخلص ضمن الفروض الواجبة عليه فرضاً من الله نفسه، لا يسمح لنفسه أن يستعفي منها، لأنها تدخل دخولاً رسمياً في إعطائه النجاح الحقيقي لتدبيره وأداء واجبه في الحياة: «كُنْ أميناً إلى الموت فسأُعطيك إكليل الحياة.» (رؤ ٢: ١٠)

٦: ٢٥ «لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟»

«لا تهتموا»: μὴ μεριμνᾶτε

وتفيد الهمّ مع القلق، وهي حالة عقلية ونفسية متصلة ببعضها، فكثرة التفكير يولّد الهمّ بالشيء. واضح أن السبب الرئيسي لطغيان المال وعبادته في العالم هو كثرة اهتمام الإنسان بأعواز الحياة مما يجعله يفكّر في البداية بجمع المال وتخزين الطعام والملابس، ثم يمتد هذا الاهتمام من تأمين الأعواز إلى امتلاك رؤوس الأموال التي نبدأ بتأمين الحياة لتنتهي بتحويل الحياة نفسها إلى خدمة المال، فعوض أن كان المال عبداً للإنسان لتغطية أعوازه، يصير الإنسان عبداً للمال لتغطية كل أصوله وواجباته.

وإن كان الطعام وبقية الأعواز الأخرى من ملابس وخلافه توفّر حياة مريحة، فالحياة أصلاً أهم من الطعام وبقية الأعواز الأخرى. إذن أصبح من الضروري أن نهتم بالحياة نفسها أكثر من الأعواز. والاهتمام بالحياة يرفع قلوبنا وعقولنا في الحال لرب الحياة. فاهتمامنا بعلاقتنا مع الله أهم من اهتمامنا بمتعلقات الحياة، لأن الله وعد أن يوفرها لنا. بمعنى أن يكون اهتمامنا بالحياة الروحية وتقديم العبادة والمحبة لله أولاً وأساساً وبعد ذلك أمور الحياة. بهذا لا تطغى علينا أعواز الحياة ونلتجيء إلى التخزين ثم تكديس المال وأخيراً عبادته دون الله.

فالمسيح هنا يحدِّد الانحراف الأول الذي يؤدِّي بنا إلى عبادة المال، وهو الاهتمام الأكثر بأعواز الحياة أكثر من الاهتمام الأساسي بالحياة في علاقتها بالله. فالاهتمام الأول يرمينا في قبضة المال، والاهتمام الثاني يحررنا من الاهتمام الأول ويوفّر لنا الأعواز وكل شيء.

أمثلة من الطبيعة الله يُقيتها ويُلبسها:

٢٦:٦ **«أُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟»**

إنها دعوة للتأمُّل العميق، لأن الله أعطى لهذه الطيور في صميم غرائزها كيف تبحث عن طعامها يوماً بيوم ولا تجمع للغد ولا تبيت جائعة، فالأرض كفيلة أن تقيتها على مدار السنين دون خلل.

أمَّا من جهة الإنسان فالعجيب أنه لم يُعطَ من الغرائز إلاَّ غرائز قليلة لم يتبقَّ منها إلاَّ الخاصة بحفظ النوع والجنس والدفاع عن الذات وبقايا غرائز مآلها للضياع. لأن الإنسان خُلق أصلاً ليعتمد على الله. ومن هنا يبكِّت الله الإنسان على إهماله للغريزة العظمى وهي الاحتماء بالله والاعتماد عليه لكي يقدِّم له الله كل ما يلزم لحياته إن هو التصق به وكان أميناً في الاعتماد عليه.

والمسيح هنا يبكِّتنا لكي نراجع أنفسنا كخليقة ضعيفة اعتمادها الكلي على الله. فإذا هي لم تلتفت إلى مصدر حياتها والمتعهِّد بكل أعوازها، ارتمت في حضن الاهتمام والقلق والتخزين والجهد الضائع. والمسيح في هذه الآية يعمل توازناً دقيقاً بين الغرائز الممنوحة للخليقة وبين اعتمادنا على الله. إذ كان يجب أنه كما أن الطيور وبقية الحيوانات مكتفية بغرائزها التي أعطاها الله، أن نحصل نحن أيضاً على كفايتنا من اعتمادنا على الله، لا أن ننام والله يقيتنا، ولكن جهدنا نبذله على قدر كفايتنا وأعوازنا، ولا نجعل الهمّ والقلق بأعواز الحياة يطغي على الحياة فيبدِّد سلام النفس وراحة البال والأعصاب والجسد، ونضيِّع الوقت في مزيد من العمل والشغل لمزيد من المال لمزيد من الترف والمتعة. ولمَّا نحصل على هذا المزيد يكون قد اضمحل الجسد وتآكلت الأعصاب وجلسنا مرتمين في البيت محبوسين مرضى ويُصرف المال على الأطباء والدواء. وخلاصة الآية مع الآية السابقة هي أن لا نحمل همّ الحياة وأعوازها في حين أن الله وعد أن يحمل همَّنا.

٢٧:٦ **«وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعاً وَاحِدَةً؟»**

المسيح هنا يسخر من اهتمام الإنسان، ويعطيه فرصة ليفكِّر ماذا يعود عليه من حمل همّ الحياة إن كان لا يستطيع أن يطيل عمره أو قامته. يقولها ق. متى هنا ذراعاً واحدة ويقولها ق. مرقس شبراً واحداً، ونقولها نحن سنتيمتراً واحداً أو ساعة واحدة. فالاهتمام لا يزيد الحياة إلاَّ قصراً ومرضاً ولا يطيل شيئاً من العمر إلاَّ المعاناة والحزن والمرض. وهنا يودُّ المسيح أن يقول: لو كان اهتمامكم ينصبُّ على علاقتكم بالله لانتهى كل همّ بالحياة الذي هو سبب مصائبكم.

عودة إلى الأمثلة:

٦: ٢٨-٣٠ «وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ. وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَداً فِي التَّنُّورِ، يُلْبِسُهُ اللهُ هكَذَا، أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًّا يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟»

يبدو هنا أن المسيح بدأ يكشف عن نظرة عميقة وأخروية مؤداها أن اهتمامنا الكثير بأعواز الحياة الأرضية وخاصة بأصناف الملابس الكثيرة، ومحاولتنا الظهور بمظهر أجمل في الجسد، قد ضيَّع علينا اهتمام الله الأهم والأخطر بأن يُلبسنا بالروح ألبسة البر والخلاص ذات البهاء والمجد والجلال. فإن كانت الملابس التي تُلبس اليوم وتُطرح باكراً في الزبالة استحوذت هكذا على اهتمامنا، أما كان بالأحرى أن نهتم بالله الذي يشاء أن يُلبسنا ألبسة البر اللائق بملكوت الله.

+ «فرحاً أفرح بالرب. تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص، كساني رداء البر، مثل عريس يتزيَّن بعمامته ومثل عروس تتزيَّن بحليها.» (إش ٦١: ١٠)

لم يرفض المسيح الملابس الجميلة المزركشة ذات الألوان البهيَّة والمناظر البديعة، ولكنه يلفت نظرنا أن نتأمَّل في جمال وبهاء زنابق الحقل والزهور ذات الألوان والمناظر الخلاَّبة، ونتيقَّن أننا سنلبس أفخر منها فوق، حيث الجمال الفائق الحد عمَّا هو في الطبيعة. فمهما اهتممنا هنا بهذه الألوان والأشكال فإننا سنحصل على أفضل منها. قاصداً أن ننقل حبنا بالمناظر والألوان والجمال والإبداع في الطبيعة إلى ما هو فوق لأنه أفضل وأبقى. كما يشير الرب إلى أنه هو يُلبس زنابق الحقل بهاءها، وهو الذي يُلبسنا بهاءه هناك حتى يقلِّل من شدة تعلُّقنا بالأرض ويربط تعلقنا به هو الذي سيصنع بنا وفينا عجباً.

٦: ٣١-٣٤ «فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ، أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ، أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا. لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ. فَلاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ، لأَنَّ الْغَدَ يَهْتَمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي الْيَوْمَ شَرُّهُ».

وأخيراً أفصح المسيح عن القطب الجاذب لكل تعليمه وهو ملكوت الله. فكل الآيات السالفة كانت تقوم على أساس ما هو لملكوت الله، وقياساً على أهميته في حياة تلاميذه والمؤمنين باسمه.

فالحياة الحاضرة بكل أعوازها ينبغي أن تخدم الملكوت أساساً، والمال هو المنافس الأساسي في ابتلاع الأهمية والفكر والقلب **والوقت** عند الإنسان، وقد يزيح الملكوت كلية من حياة الإنسان ويحل هو مكان السيد والرب والإله. كذلك من غير المعقول أن يضيِّع الإنسان معظم أوقات حياته من أجل الطعام والملابس وأعواز الجسد ولا يُبقي لملكوت الله شيئاً من الوقت أو الاهتمام، فتضيع الحياة سدًى. والمسيح يؤكِّد أن الإنسان خُلق أولاً ليكون مواطناً سمائياً، وأن المسيح جاء أولاً ليجعل للإنسان نصيباً أساسياً في ملكوت الله، ومن أجل ذلك بذل ذاته وحياته حتى الموت ليربح الإنسان الحياة الأبدية في ملكوت أبيه السماوي. وأعطانا اختباراً لكي نجرِّبه أن لا نهتم للغد، وهو أقل اختبار لقياس مدى القيمة الحقيقية للملكوت ومقدار صدق وإمكانية إزاحتها للزمن، فلا نهتم للغد ونترك الغد لِمَا يأتي يهتم بما له، ونلتفت نحن لمطالب الملكوت في يومنا الحاضر كخبز اليوم الجوهري بشبه الذي كان يلتقطه شعب إسرائيل يوماً بيوم تعبيراً عن كلمة الحياة الأبدية الموهوبة لنا بالإنجيل من فوق من عند الآب السماوي. وأن لا نتشبَّه بالأُمم في إتلاف الوقت لخدمة أعواز الجسد التي يتكفَّل بها المسيح إن نحن أعطيناه كل الحياة: «حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية هل أعوزكم شيء؟» (لو ٢٢:٣٥). والمسيح بهذا يكون قد أعطى الإنسان أن يجرِّب ويختبر مدى صدقه في هذا الأمر. «لأن مراحمه لا تزول هي جديدة في كل صباح. كثيرة أمانتك. نصيبي هو الرب قالت نفسي من أجل ذلك أرجوه. طيب هو الرب للذين يترجونه. للنفس التي تطلبه.»(مرا ٣: ٢٢-٢٥)

الأصحاح السابع

حياة المدعوين إلى بر الملكوت

(أ)	لا سماح لأولاد الله أن يدين بعضهم البعض	(٧:١–٥)
(ب)	لا استهانة بالمقدسات	(٧: ٦)
(ج)	الأسئلة الثلاثة واستجابتها الحاضرة	(٧:٧–١٢)
(د)	الباب الضيق والطريق الكرب المؤدّي إلى الملكوت	(٧: ١٣و١٤)
(هـ)	نصائح لبني الملكوت ـ الأنبياء والمعلمون الكذبة	(٧:١٥–٢٠)
(و)	كيف تُصفّى أعمال الناس ليتم اختيار الصالحين لدخول الملكوت	(٧:٢١–٢٧)
+	نهاية القسم الأول من خمسة أقسام الإنجيل	(٧: ٢٨و٢٩)

حياة المدعوين إلى بر الملكوت

(أ) لا سماح لأولاد الله أن يدين بعضهم البعض

[٧: ١-٥] (لو ٦: ٣٧و٣٨و٤١و٤٢)

٧: ١و٢ «لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ».

قصد المسيح هنا كيف يتعامل بنو الملكوت معاً. هنا الوسط المسيحي العالي لا يسمح قط بأن يدين أولاد الله بعضهم البعض، طالما النصيحة لها مكان وكذلك المحبة. فالمحبة الحقيقية تحتمل حتى الأخطاء وإن لزم الأمر فالنصيحة الحلوة أو العتاب. ولكن الدينونة ممنوعة بين أولاد الله نهائياً. لأن الله قائم وسط الجماعة، والروح القدس هو الديَّان الوحيد الذي يبكِّت القلوب والضمائر. فأقصى ما يمكن أن يُعمل للأخ إذا عثر هو أن يُصلّى من أجله، ولكن إذا استُخدم النقد بين أولاد الله يتدخَّل الشيطان ويُثار روح التذمُّر والسخط. لهذا يوعِّي المسيح التلاميذ والمؤمنين بنوع خصوصي **أن لا يُستخدم النقد أو الدينونة إطلاقاً في كنيسة الله وبين المؤمنين.**

فلأن المسيح يتعامل مع أولاده بالمحبة وليس بالدينونة، هكذا يتعامل أولاد الله مع بعضهم البعض، وبروح الوداعة ينصح الكبير الصغير، وليس بصورة دينونة أو محاكمة لئلاَّ تفسد المحبة. فإذا لم ينتصح الكبار بنصيحة المسيح وابتدأوا يحاكمون ويدينون الآخرين، يُثار ضدهم روح العداوة والكراهية، ويفقد الراعي أو الكاهن أو الرئيس سلطان المسيح الذي بالمحبة، وتنشق روح الطاعة المقدَّسة وتتحوَّل الحياة إلى نقد ومحاكمة وتذمُّر، وبالنهاية تفقد الكنيسة روح المسيح الذي يجمع ولا يفرِّق، ويضطر المسيح أن يدين ويحكم على الذين يدينون ويحكمون فيفقدون هيبتهم التي يستمدونها من هيبة المسيح.

والمسيح هنا يضع هذه الوصية بنوع الأمر، فهي العمود الفقري الذي يقيم جماعة المسيح ويضمن سلامتها ووحدتها. علماً بأن الرئيس الحكيم الذي ينتصح بوصية المسيح يزداد نعمة وحكمة وتخضع له الرعية بالمحبة وتحل عليه هيبة المسيح.

٧: ٣-٥ «وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَمْ

كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ. يَا مُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!»

لا تزال الوصية الهامة تستأسر بفكر المسيح لخطورة نتائج الدينونات والمحاكمات في وسط جماعة المؤمنين، **فلا الدينونة ولا المحاكمة ولا النقد يصلح بتاتاً للتعليم والتهذيب المسيحي**، أو يصلح لنمو الجماعة في المعرفة الإنجيلية أو المحبة المسيحية. وفي أحسن الأحوال حينما يؤخذ إنسان بِزلَّةٍ أو خطية فهذا أيضاً يُمتنع أن يُحاكم بل يُفرز ويُصلَّى من أجله كثيراً حتى يشعر هو بخطئه ويتوب ويطلب الصفح، فيُعطَى له فوراً. ولكن لا يدان من الكبير أو الصغير، لأن الديان موجود والروح القدس عمله في وسط الجماعة هو التبكيت، ويلزم إعطاؤه فرصة العمل بالصلاة. لأنه لكي يحاكم ويدين إنسان إنساناً آخر يلزم ويتحتَّم أن يكون هو بلا عيب وبلا أدنى شبهة لمثل الخطية التي يدينها أو يحكم فيها، ولا يوجد مثل هذا القاضي أو الديان في الكنيسة. فالكل أخطأ وأعوز الكل مجد الله. فمن الواضح لدى الكنيسة في كل تاريخها أن الذين قاموا بالمحاكمات والإدانة كانوا لا يخلون من الملامة، وربما كانت سيرتهم وعينهم فيها الخشبة التي يحكي عنها المسيح. لذلك يكاد المسيح يتوسَّل لدى جماعة المؤمنين وأولاده وتلاميذه أن يكفُّوا عن الدينونة، مؤكِّداً عدم صلاحية وجود ديَّان يخلو من الدينونة أمام الله. **فإذا تجرَّأ رئيس وأدان وحكم وهو يعلم أنه واقع في نفس الخطأ والملامة فإن حكمه يرتد عليه، بحسب تحذير المسيح وقانون الكنيسة!** وهذا خطر كبير على هيبة جماعة الله. ويلاحظ هنا أن المسيح يعالج ما قبل الدينونة وهو بمجرَّد النظر إلى القذى في عين الأخ، أي الهفوة الصغيرة أو النقص الأخلاقي أو العيب في السلوك، كل هذا يمنعه المسيح لأنه يؤدِّي حتماً للدينونة وما بعدها من خصام وشقاق.

«يا مرائي أخرج أولاً الخشبة من عينك. وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك»:

هذا هو شرط الدينونة، فإن كان ولابد أن تدين أخاك مهما كانت ولاية الذي يدين على الذي يُدان، فيتحتَّم لكي تكون الدينونة ذات صلاحية أن يكون قد جاز هو نفسه هذه الدينونة عينها وتزكَّى أمام الناس والضمير والله. ولأن هذه العملية يصعب تنفيذها على مستوى المجتمع المسيحي كان هذا مما يوجب عدم الدينونة.

والملامة هنا شديدة لأن العمل هو عمل الله وحده: «في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح» (رو ٢:١٦)، «وأيضاً الرب يدين شعبه.» (عب ١٠:٣٠)

ولا يمكن أن يغيب عن بالنا الحكم الصادر من المسيح بعد أحكام رؤساء السنهدرين أن الزانية تُرجم، فبادرهم أن مَنْ كان منهم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر، فانسحب الجميع و لم يبق واحد بلا خطية فلم يَبْقَ للدينونة مكان. وهنا تدخَّل المسيح وأعطى حكمه المسجَّل بالنور في السماء والأرض: «ولا أنا أدينكِ. اذهبي ولا تخطئي أيضاً» (يو ٨:١١). هذا هو أسلوب العهد الجديد، أو هذه هي أخلاق بني الملكوت التي يتحتَّم أن تعيشها الكنيسة والمؤمنون **أن الخاطئ يُعطَى فرصة للتوبة، ولا تيأس الجماعة من رحمة الله.**

(ب) لا استهانة بالمقدَّسات

[٦:٧]

٦:٧ **«لاَ تُعْطُوا الْقُدْسَ لِلْكِلاَبِ، وَلاَ تَطْرَحُوا دُرَرَكُمْ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ، لِئَلاَّ تَدُوسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَلْتَفِتَ فَتُمَزِّقَكُمْ».**

هنا يُعطي المسيح الوجه المقابل لعدم الدينونة، وكأن المسيح يقول: ليس معنى أن لا ندين أخانا أن نعرض مقدَّساتنا للغرباء وأعداء الإيمان. لأن مفهوم الكلاب بالنسبة لليهود هم الأنجاس، وكذلك الخنازير. فغير مصرَّح أن نتساهل مع الذين على مستوى الكلاب والخنازير في النجاسة بأن ندعهم يطَّلعون على مقدَّساتنا أو نكشف لهم أسرار الله الخاصة بالإيمان والحياة الأبدية والملكوت. فملكوت الله يلزم أن يبقى في وضعه الفائق السرِّي جداً، وسر المسيح يبقى لأولاد المسيح وحدهم: «سرِّي لأهل بيتي». فالبشارة بالإنجيل والملكوت لا تعني تسليم أسرارها إلاَّ للذين أثبتوا أنهم يصلحون أن يكونوا أبناء سر الملكوت، وبعد أن يكونوا قد نبذوا الشيطان وكل أعماله.

وهذا واضح من قوله أن لا تطرحوا درركم قدَّام الخنازير، حيث الدرر هي اللآلئ μαργαρίτας. واللؤلؤة تعني في الإنجيل ملكوت الله. كذلك فإن القدس لا يطرح للكلاب حيث القدس ἅγιον هو كل ما يختص بالله. فأصبح المعنى أن لا نستهين بالمقدَّسات ونكشف سر الملكوت لئلاَّ تُداس من المستهزئين وندفع ثمن التهكم والإيذاء. لأنه كما أن القدس والدرر لا تَهُمُّ الكلاب والخنازير ولا تصلح لهم في شيء فتدوسها لأنها ليست في حاجة إليها، هكذا المستهزئون بأمور المسيح والملكوت.

(ج) الأسئلة الثلاثة واستجابتها الحاضرة

[٧:٧-١٢] (لو ١١: ٩-١٣)

السؤال، الطِلْبَة، قرع الباب:

٧:٧ «اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ».

هذه الثلاثة أفعال تأتي باليونانية في صيغة الأمر المضارع الدائم المستمر، بمعنى أن المسيح يفتح أمامنا سر ملكوت السموات وكيف يُغتصب اغتصاباً، لأنه ليس لأحد قط الحق فيه. ولكن هي عطية سر الملكوت التي خصَّ بها تلاميذه أولاً ليسلِّموها لكل مَنْ يؤمن ويتتلمذ للمسيح تحت أيديهم.

«اسألوا»: αἰτεῖτε

هنا الفعل في صورة الأمر الدائم أو المستمر. فأول ما يلفت نظرنا أنه سؤال دائم، لا لأن الله لا يستجيب سريعاً بل لكي يرتفع سؤالنا إلى الإحساس الدائم بضرورة الأخذ، لأن السؤال هنا يختص بموضوع ملكوت الله بالأساس. فالأمر هنا بالسؤال هو أولاً يختص بملكوت الله، وثانياً يختص بأولاد الله العارفين ما هو ملكوت الله، والذين أعدُّوا فكرهم وقلبهم وحياتهم لتقبُّل الرد على السؤال. لأن الرد على السؤال شيء مهول للغاية، فهو سيُعطي بَدْء العمل وكيفية السعي والصعوبات التي ستواجه الإنسان ومشقة طول الطريق لمدى سنين طويلة، ومؤهلات الطريق من احتمال وصبر على الاحتقار والمذلَّة والاضطهاد، ثم تلميح للمعونة في النهاية. إذن ينبغي أن يدرك القارئ أن وعد يسوع المسيح هنا «اسألوا تُعطوا» أمر يخص كشف وإعلان طريق الخلاص العملي المؤدِّي إلى ملكوت الله، لا في معناه اللاهوتي الصحيح، بل في واقعه في حياتنا هنا على الأرض بما يتناسب مع السائل، مناسبة خاصة شديدة الخصوصية، بحيث ما سيسمعه من الله ردًّا على سؤاله لن ينفع غيره بل ولن يفهمه إلاَّ هو.

بعد هذا يستطيع القارئ أن يُدرك قبل أن يسأل: هل هو على استعداد لأخذ معلومات وبيانات خاصة جداً لحياته، تطول لتشمل العمر كله؟ لأن التأهيل لملكوت الله هو تأهيل حياة برمّتها. ثم هل هو على استعداد أن يُعطي فوراً الإجابة القاطعة على طلبات الله التي يطلبها لكي يستجيب لسؤاله ويفتح له باب الدخول الخاص جداً؟

فمن الأمور الثابتة أن السؤال المطلوب هنا ليس من أجل مطالب وأعواز حياة هذا الدهر، الأمر الذي أكّده المسيح: «فإن هذه كلها تطلبها الأُمم. لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها» (مت ٦: ٣٢). لذلك لا ينبغي أن نخلط في الصلاة بين أمور العالم وملكوت الله. وهنا يكرِّر المسيح بضرورة السؤال والطلبة وقرع الباب لأن الموضوع المطلوب هام وخطير وأهم من كل الحياة. لذلك يطلب تعبئة القوى في قلب الإنسان ووجدانه بمنتهى ما يمكن أن يوفِّره الإنسان من عزيمة وتصميم ورجاء بدموع وعصر القلب. لأن العطية غالية وثمينة ولها كل مجد الله!!

وردًّا على "**اسألوا**" يقول المسيح إن الإجابة حاضرة تنتظر بلوغ سؤالكم درجة **الاستعداد** للأخذ. لا نقول هنا درجة الاستحقاق فهذا أمر مستحيل، ولكن درجة **الاستعداد** للأخذ بمعنى النية الداخلية الحاضرة للتنفيذ، أي تنفيذ الأوامر والتوجيهات التي تُعطَى، لأن السؤال قُبِلَ. وعلى سبيل المثال نية الترك والتفريط في المتعلقات القلبية والاستهانة بالخسارات والتصميم على الإمساك بالمسيح حتى الموت.

«اسألوا تُعطوا»: καὶ δοθήσεται ὑμῖν

هنا الوعد بالعطاء المجاني بدون ثمن، ولكن على أساس الاستعداد للأخذ والتنفيذ. ولكن هل يعطي الله ما نسأله من جهة ملكوت الله مباشرة أو سريعاً؟ لا! إذ يلزم انتظار صدور الأمر بالعطاء بدون ملل ولكن بثقة الآخذ والواثق من الأخذ!!

ثم يعود المسيح ويُلحِق بالسؤال الطلب أيضاً:

«اطلبوا»: ζητεῖτε

وتأتي أيضاً في صيغة الأمر الدائم، بمعنى أن الطلبة تظل موضع الطلبة مدى الحياة. لأن الأخذ سيظل أخذاً مدى الحياة. ولكن الفعل في اليونانية يأتي بمعنى يفتِّش و"**يسعى للحصول**". فهنا تكميل عملي لفعل السؤال الأول، فالسؤال يظل قائماً في قلب الإنسان إلى أن يُعلن الله الإجابة. ولكن إلى أن يستجيب الله يتحتَّم على الإنسان أن يسند السؤال بالسعي، وهو سؤال للحصول على ملكوت الله، ولكن يأتي في القلب على أنه سؤال الحصول على المسيح نفسه!! أنا أطلبك، أنا أريدك أنت، أنا أسألك أن تعطيني أن أحيا معك وفيك. هذا هو مضمون سؤال ملكوت الله! فبعد أن نوفي السؤال حق تقديمه بدموع القلب نظل نسعى في ظل السؤال على كيفية حصول ما تشتهيه نفوسنا ونتصوَّر كيف نحن مستعدون أن نعطي كل شيء ونترك كل شيء، فقط لو سمع لي المسيح وفتح لي وأعطاني سرَّه، سوف أعمل وأعمل وأُقدِّم وأُقدِّم وأُصلِّي ما دمت حيًّا. فالطلب هنا بمعنى

السعي للحصول هام جداً على مدى السؤال والإلحاح في السؤال. إذ لا يكف الإنسان عن تفتيش الكتاب المقدَّس وحضور الصلوات والحياة بحسب إرادة الله.

«اطلبوا تجدوا»: εὑρήσετε

أمَّا الإجابة للتفتيش والسعي فتكون حاضرة بصورة تكاد تكون إعجازية، فكلما بحثنا تأكدنا من الدعوة، وكلما سعينا نرى أمام عيوننا وكأنما الله يجيب بنفسه. فالسؤال له "عطية" بقدرة عطية الباب المفتوح للملكوت، والسعي له إجابة تأكيداً لقبول السؤال ووعداً دائماً "بالعطية". وهكذا بقدر ما يسعى الإنسان ويبحث ويفتّش عن كيف سينال سؤاله يزداد الوعد إجابة وتأكيداً. وهكذا ترتفع حرارة الإنسان وفرحته إلى مستوى يقترب من الأخذ! وهذه هي طريقة الله في رفع درجة نضوج الإنسان لكي يليق بما سيُعطَى!!

«اقرعوا»: κρούετε

آخر فعل في مسلسل طلب ملكوت الله وبرِّه!! فالسؤال الأول يسنده البحث والسعي، والسعي ينتهي بإصرار قرع الباب إلى أن يُفتح. من كثرة السؤال ومن كثرة الطلبة (السعي) يتكوَّن لدى الإنسان دالة على الله تعطيه الإحساس بأنه واقف على بابه بالفعل وليس أمامه أي عائق إلاَّ أن يظل يقرع بحسب أمر الرب حتى يفتح الله، والله حتماً يفتح ولكن عندما تبلغ حرارة الاستعداد لقبول العطية الكبيرة اكتمالها. فقرع الباب لا يُزيد الله تحنناً وكأننا شحَّاذون، بل سببه هو صبر الله ليزيد طبيعتنا حرارة وإحساساً بما يتناسب والعطية الفائقة. وكلَّما يسمع القارع حركات خلف الباب كلَّما يستميت في القرع! ربما بعد سنة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع، ولكن تظل هذه السنين جزءاً حيًّا مضيئاً في حياة الإنسان وكأنها كانت سبق تذوُّق الملكوت على الأرض.

أمَّا بعد أن يُفتح الباب فلا يعود الإنسان يصدِّق نفسه أنه فُتح له ويشعر بأنه قد سرق ما ليس له!

«اقرعوا يُفتح لكم»: ἀνοιγήσεται

لينتبه القارئ جداً: فالذي قال اقرعوا هو نفسه الذي وعد قائلاً: «**يُفتح لكم**». لذلك نحن لا نتبع صوتاً يَعِدُ ولا يفي، يسمع ولا يستجيب، بل «فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاج!» (لو ١١: ٥-٨)

تأكيد الوعد:

٨:٧ «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ».

واضح لنا جداً من هذا المسلسل المتعلّق بالحصول على ملكوت الله، أن كل فعل من هذه الأفعال هام جداً في موقعه، ولكنه يأتي بعده فعل آخر يكمّله والثالث ليختم على مسلسل الحصول على ملكوت الله.

وهذا يكشف عدم كفاية السؤال وحده أو الطلبة أو قرع الباب، إذ لابد أن الثاني يكمّل الأول والثالث يكمّل الثاني والأول. وهكذا رأينا وشرحنا أن الثلاثة أفعال إنما تكوّن منهجاً متكاملاً لا يُسهب المسيح في شرح أسبابه، ولكن يكتفي بأن يعلنه فقط، لأنه جزء لا يتجزّأ من سر الملكوت نفسه! «قد أُعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات.» (مت ١٣: ١١)

وفي هذه الآية يعود المسيح فيؤكّد أن لكل فعل إجابة خاصة به وأن الثلاثة لهم جواب أخير في كيف يُفتح الباب بالنهاية.

وفي نهاية هذا المسلسل السرّي نقول: إن لكل صلاة وضعها المحدود إلاّ هذه الصلاة فهي أُم الصلوات وهي صلاة العمر، وتحقيق لكافة الصلوات. وفي ثلاثة أفعال كثلاث خطوات كبرى، استعرض المسيح سرَّ النقلة الخفية من عالم الأعواز الصغيرة إلى عالم الحياة التي بلا أعواز، وتخطّي هموم هذا الدهر ـ والإنسان حي بعد على الأرض ـ ليغشى جو الحياة التي بلا هم ويعاين صدق الله.

تطبيق:

٩:٧ـ١١ «أَمْ أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ إِذَا سَأَلَهُ ابْنُهُ خُبْزاً، يُعْطِيهِ حَجَراً؟ وَإِنْ سَأَلَهُ سَمَكَةً، يُعْطِيهِ حَيَّةً؟ فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ!»

الملاحظ أن المسيح يستخدم في هذا التشبيه "الخبز والسمكة". وهما عنصرا معجزة الخمس خبزات والسمكتين، والمعروف في تقليد الكنيسة بأنها رمز الإفخارستيا. والاثنان: *معجزة الخمس خبزات والسمكتين والإفخارستيا* معروف أنهما الصورة المادية السرّية لوليمة الملكوت! وهنا ولو أن مفردات التشبيه ضاع منها عنصر الحبك ولكن هي الأساس في وليمة الملكوت، والمعنى بهذا يصبح شديد الوضوح: فإن كنتم تعرفون أن تعطوا رمز الوليمة السماوية، فكم بالحري يعطي أبوكم الذي في السموات الوليمة ذاتها بخيراتها.

نشر الوعي الملكوتي:

١٢:٧ «فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ، لأَنَّ هذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ».

المسيح هنا يتصوَّر أن الإنسان الذي سأل وطلب وقرع، أُعطي ووجد وانفتح له باب الملكوت، فما الذي يستطيع أن يعمله مثل ذلك الإنسان ليعطي الآخرين عيِّنة مما أخذ من خيرات الآب السماوي إلاَّ أن بمبادئه الجديدة ونعمة الله التي وُهِبها والروح القدس الذي أُعطي، يسلك بين الناس عاملاً لهم كل الخير الذي يتمنى أن يُعمل به. فإن كان من الصعب بل ربما من المستحيل أن يشرح لهم دقائق السر الذي انفتح له، إلاَّ أنه يستطيع أن يريهم فيروا ويسمعوا فيتعرَّفوا على نتائجه التي حصل عليها. وهكذا يصبح كارزاً بملكوت الله دون أن يعظ. وبذلك يوفي دين الله الذي منحه له بمقتضى قبوله ليكون من خاصته. وهذا الدرس قرين قوله: «وأمَّا أنت فاذهب وناد بملكوت الله!» (لو ٩:٦٠)

(د) الباب الضيق والطريق الكرب المؤدِّي إلى الملكوت

[٧:١٣و١٤] **(لو ١٣:٢٤)**

على مدى العظة كلها والحديث يدور بسريَّة بالغة حول الملكوت والوصايا الخاصة بأولاده، والصلاة اليومية المحسوبة أنها خبزة كل يوم، ونصائح تُفرز أبناء الملكوت عن المرائين، ومحاولة لرفع أعينهم عن أعواز العالم الحاضر ليطلبوا ملكوت الله وبرَّه. وهنا كشف المسيح محور العظة. ثم عاد يصف ما يجب أن يُوْصَفَ به بنو الملكوت كجماعة. ومرَّة واحدة نجده يكشف عن وسيلة الحصول على الملكوت ومتى ينفتح بابه.

ولكن هنا يعود بهدوء وبانكشاف تام يوضِّح بداية الطريق الكَرب المؤدِّي إلى الحياة، وكيف يبدأ باباً ضيقاً للغاية ينحشر فيه الإنسان الراغب في الخلوص من الحاضر الأكرب ليدخل على درب يبدو في البداية متسعاً، ولكن يضيق به غاية الضيق ويزداد ضيقه حتى يصبح هو الكَرْب بذاته، حتى يتعذَّر على الإنسان أن يتلفَّت يميناً أو يساراً، وإن حازف بالنظر إلى الوراء فيصير ذلك هو الهلاك بعينه.

١٣:٧و١٤ «اُدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، لأَنَّهُ وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبٌ الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ، وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى

الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!»

«ادخلوا من الباب الضيق»: εἰσέλθατε διὰ τῆς στενῆς πύλης

يقول ق. لوقا: «**اجتهدوا** أن تدخلوا من الباب الضيق» (لو ١٣:٢٤)، "اجتهدوا ἀγωνίζεσθε" والكلمة فيها معنى المعاناة = struggle. والقديس لوقا يوضِّح لماذا قال المسيح هذا التعبير: «فقال له واحد يا سيد أقليل هم الذين يخلصون» (لو ١٣:٢٣). والقديس متى يكشف ضمناً لماذا الاجتهاد أو تحمُّل المعاناة والصعاب للدخول من الباب الضيق، لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدِّي إلى الهلاك. فاختيار الباب الضيق ونحن نواجَه بالباب الواسع، يحتاج منَّا اختيار الأصعب والأكرب، وهذا مبدأ الطريق وبابه المؤدِّي إلى الملكوت.

وهكذا بعدما أعطانا كيف نسأل ونطلب ونقرع الباب، واطمأن المسيح أننا استوعبنا الوسيلة وفهمنا الدعوة، نزل إلى **دقائق الوصف الخاص بالباب والطريق المؤدِّي إلى الملكوت، الذي يُعتبر في نظرنا أخطر تعليم قدَّمه المسيح للذين يتبعونه من كل قلوبهم.** لأن في هذه الآية يدخل المسيح معنا في الوصف الدقيق لمدخل الملكوت وهو يقدِّمه للذين استمعوا إليه على طول العظة وتحرَّكت قلوبهم واشتهوا هذا البرّ الذي يزيد على برِّ الكتبة والفريسيين، وتمنُّوا أن يعرفوا أين الباب وما شكل الطريق. هنا كلام الصدق والحق ليس ككلام مروِّجي الخلاص في هذه الأيام، الذين يجعلون الملكوت نُزهة في صلاة قصيرة وطلبة بإيمان وثقة أن الإنسان قد خلص فيكون قد خلص. ولكن المسيح هنا يَصْدُقنا القول ويكشف لنا سر الصليب منذ الدخول من الباب، فالضيق والاضطهاد الذي يقع على الإنسان من أقرب الناس إليه وجحود العالم وتجربة الشيطان بالمرصاد، فالباب الضيق مرسوم عليه صورة الجلجثة والكأس وسيوف وعصي، ومكتوب على العتبة آية النجاة: «صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة»، التي تجاهلها بطرس فأنكر!

وصحيح أنه بمجرَّد أن يفلت الإنسان من عنق الزجاجة ويعبر الباب تحت تهديد الموت يجد الطريق معقولاً فيسير وهو يُغنِّي، ولكن الطريق يضيق بأسرع ما يمكن ويُخيِّم عليه الظلمة، ولكن سرعان ما يسعف الله الإنسان بمن يدلّه على الطريق خطوة خطوة، وقوة الدفع الهائلة التي عبر بها من الباب الضيق تظل تدفعه خفيًّا وتؤمِّن له عدم النظر إلى خلف ...

أمامي شرح للعالِم هاندركسن كرَّس فيه صفحتين لكي يناقش هل الباب أولاً ثم الطريق، أم الطريق ثم الباب، ورأى أن المعقول جداً أن يكون الطريق أولاً ثم الباب وأورد الأدلة والأسماء

والمراجع ... ولكي نريح مثل هؤلاء العلماء نقول **إن الباب هو أخطر جزء في صفقة الملكوت بأجمعها الذي إذا عبر منه الإنسان تأهّل في الحال وبمعونة سماوية أن يسير الطريق بكل كَرْبه،** والطريق لا ينتهي بباب بل بالمسيح! وردًّا على العلماء الآخرين الذين ظنوا أن الباب والطريق هما بعد الموت، وآخرون بعد مجيء المسيح ...، ولهؤلاء أيضاً نقول **إن الباب الضيق يبدأ من هنا وفي وسط أعمالنا ومشاغلنا،** وهو باب يفتح على طريق سرِّي يسير خلف العالم ولا يدري العالم من أمره شيئاً، ولا حتى أقرب المقرَّبين إلينا. وإلاّ ما كان المسيح يقول: «"اجتهدوا" أن تدخلوا من الباب الضيق»، بل وأضاف إضافة حزينة: «وقليلون هم الذين يجدونه»، لذلك نبَّه المسيح قلوبنا في الآيات السابقة: «اطلبوا (فتشوا واسعوا للحصول) تجدوا». **فالباب مُخفى عن عيون اللاهين.**

وأخيراً لسنا في حاجة أن نشرح أنه واسع الباب ورحب الطريق المؤدِّي إلى الهلاك، فهو أمام عيوننا كل يوم!

(هـ) نصائح لبني الملكوت
الأنبياء والمعلّمون الكذبة

[٧:١٥–٢٠] **(لو ٦:٤٣–٤٤)**

٧:١٥–١٨ **«اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلٍ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ! مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ عِنَباً، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِيناً؟ هكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَاراً جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَاراً رَدِيَّةً، لاَ تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَاراً رَدِيَّةً، وَلاَ شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَاراً جَيِّدَةً».**

لقد عانت الكنيسة الأُولى كثيراً من الأنبياء الكذبة، لأنه في العصر الأول المسيحي وبعد حلول الروح القدس انتشر الأنبياء بكثرة وكانوا مقتدرين بالفعل في الوعظ والتعليم وعمل الآيات، لأن الروح القدس قد انسكب على الشعب بكل فئاته بلا كيل. ومن هنا اندسَّ بين المملوئين من الروح القدس مُدَّعون ليس لديهم معرفة ولا يحملون قوة الروح، وبعضهم كان مدسوساً من الشيطان، يُقلِّدون الأنبياء، بل ويُقلِّدون الرسل:

+ «وكان قبلاً في المدينة رجل اسمه سيمون يستعمل السحر ويُدهش شعب السامرة قائلاً: إنه شيء عظيم، وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين هذا هو قوة الله العظيمة. وكانوا يتبعونه لكونهم قد اندهشوا زماناً طويلاً بسحره.» (أع ٨: ٩-١١)

+ «ولمَّا اجتازا الجزيرة إلى بافوس وجدا رجلاً ساحراً نبيًّا كذَّاباً يهودياً اسمه باريشوع ... فقاومهما عليمٌ الساحر، لأن هكذا يُترجم اسمه، طالباً أن يُفسد الوالي عن الإيمان. وأمَّا شاول الذي هو بولس أيضاً فامتلأ من الروح القدس وشخص إليه وقال: أيها الممتلئ كل غش وكل خبث يا ابن إبليس يا عدو كل بر، ألا تزال تُفسد سُبل الله المستقيمة. فالآن هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا تُبصر الشمس إلى حين. ففي الحال سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور ملتمساً مَنْ يقوده بيده.» (أع ١٣: ٦-١١)

وهنا نجد المسيح يسبق فيُوعِّي المؤمنين من هؤلاء الأنبياء الكذبة الذين كانت علامتهم أنهم يلبسون الثياب الصوف، لذلك قيل إنهم يجولون "بثياب حملان" وهم من داخل ذئاب خاطفة. وأخطر أعمال الأنبياء الكذبة على مدى تاريخ الكنيسة الأُولى هو دسّ تعاليم مُضلّة وتسهيل الخطية للناس والوعد بالخلاص بدون معرفة ولا إيمان ولا برهان نعمة.

ومع الأنبياء الكذبة كان رسل كذبة وإخوة كذبة ومعلِّمون كذبة ومسحاء كذبة، وهؤلاء جميعاً كانوا يندسُّون في وسط الشعب لاختطاف المؤمنين كالذئاب التي تخطف الحملان، وتلويث الإيمان المستقيم وتعليم خرافات وأكاذيب للضلال.

وأعطى المسيح في تعليمه كيف يستطيع المؤمنون كشف كذبهم بمعرفة ثمارهم، أي تعاليمهم، هل هي بحسب الإنجيل أم لا. فالشوك لا يُثمر عنباً والحسك لا يُعطي تيناً، بمعنى أن تعاليم المسيح هي المحك الذي يُضاهَى عليه أقوال هؤلاء الأنبياء، ولا يَصعُب على الإنسان التفريق بين ما هو صالح وما هو طالح.

ولكن يُضيف المسيح أنه لا أمل ولا رجاء من الذين يثمرون ثماراً رديئة، فهؤلاء لا يمكن إصلاحهم.

١٩:٧و ٢٠ «كُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَراً جَيِّداً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. فَإِذاً مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ».

هنا أعطى المسيح للكنيسة سلطاناً أن تحاصر هؤلاء الأنبياء الكذبة وتحاكمهم بناءً على تعاليمهم، وتحرمهم من العضوية الكنسية، وبالتالي تحذِّر الكنيسة من قبولهم والسماع لتعاليمهم، كما سمعنا في أمر سيمون وعليم اللذَين قطعهما الرسل وحلَّت عليهما اللعنة.

(و) كيف تُصفَّى أعمال الناس ليتم اختيار الصالحين لدخول الملكوت [٧:٢١-٢٧]

النهاية: الحكم في الملكوت

- الذين قالوا و لم يفعلوا إرادة الآب الذي في السموات (٢١ أ) + (٢٢و٢٣).
- الذين عملوا إرادة الآب الذي في السموات (٢١ ب).
- مَثَل الذين سمعوا أقوال المسيح وعملوا بها (٢٤و٢٥).
- مَثَل الذين سمعوا نفس الأقوال و لم يعملوا بها (٢٦و٢٧).

يُقدِّم المسيح هنا خاتمة حاسمة لتعليمه بالعظة على الجبل: فهو يعطي الحكم بخصوص الذين كانت صلاتهم مجرَّد كلام وتلاوة متكرِّرة بدون عمل إرادة الآب الذي في السموات، ثم الحكم بالنسبة للذين عملوا إرادة الآب مع صلواتهم.

ويعود ليعطي مثلاً للذين سمعوا كلام عظة المسيح وعملوا بالكلام فيمثلهم بالإنسان الذي يبني بيته على الصخر بعد أن يحفر ويعمق. ومثلاً آخر للذي سمع الأقوال و لم يعمل بها فيمثله بالإنسان الذي بنى بيته على الرمل و لم يحفر و لم يعمِّق.

الذين قالوا ولم يفعلوا: (لو ١٣: ٢٥-٢٧)

٧:٢١ **«لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ».**

هنا يأتي المسيح إلى نهاية العظة ويعطي الأحكام التي ستسري على الناس، فالذين اكتفوا من الصلاة بالأقوال دون الأعمال، وكانت صلاتهم تلاوة وترديد أقوال فهؤلاء لن يدخلوا ملكوت الله. أمَّا الذين قدَّموا صلواتهم وكانت أعمالهم وفق مشيئة الآب الذي في السموات فهؤلاء هم الذين يدخلون.

وهكذا يكشف المسيح عن الهدف المباشر الذي كان قد وضعه في عظته عن الصلاة وعن الأعمال التي بمقتضى مشيئة الآب الذي في السموات، حيث كان الهدف هو ملكوت السموات في كل ما قال وعلَّم.

هكذا طرح المسيح أمام تلاميذه وجميع المؤمنين باسمه ما ينبغي أن يطبّقوه من تعليمه في حياتهم لكي يكون لهم نصيبهم في ملكوت السموات، مع تحذير واضح للذي يكتفي من أقوال المسيح وتعاليمه بأن يؤدِّي صلاة الكلام وأقوال المعرفة دون أن تدخل حياتهم في حيز العمل بوصايا المسيح فيما يخص فعل إرادة الآب السماوي.

ويعود المسيح ثانية فيما بقي من آيات ليؤكِّد صورة الذين إحتسبهم المسيح فاعلي الإثم وهي محزنة للغاية.

٧: ٢٢و٢٣ «كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!».

هنا يجمع المسيح المرفوضين معاً، فنجد منهم الذين كانوا يعظون والذين كانوا يتنبَّأون باسم المسيح والذين كانوا يخرجون شياطين، والذين كانوا يعملون آيات بمعنى معجزات وقوات كثيرة، لا عن كذب بل تظهر غشاً وكأنها عن حق، ولا كأنها بدون صلاة ودعاء وصليب ودهن بزيت بل مستوفية كل مظاهر الحق وألفاظه، ولكن لم تكن لهم حياة إنجيلية صادقة وعشرة مع المسيح تشهد لها أعمالهم وأقوالهم، ولا حياة داخلية صادقة مع المسيح عازفة عن المال والمجد الزائف، وحياتهم من داخل كانت منحلّة. يمارسون الخطايا بلا تأنيب ضمير، وقَسَت قلوبهم فلم يكن فيها مخافة الآب السماوي، فخلت حياتهم من الرحمة وعمل المحبة والبذل واكتفوا بالمظاهر والكلمات المحفوظة التي لها شكل العمل وقوة الروح وهي فاقدة لكل نعمة وقوة. استخدموا اسم المسيح بمهارة فعملوا به المعجزات والآيات وإخراج الشياطين، وشخص المسيح أهملوه وأنكروه بأعمالهم وحياتهم. أتقنوا الصلوات المحفوظة في مواعيدها وبألفاظها القانونية ودقّقوا في حروفها وظروفها وأوقاتها بلا أدنى توان، ولكن لم يعملوا بحسب وصية المسيح من جهة الأعمال التي بحسب إرادة الآب السماوي من جهة الرحمة والمحبة والبذل. اكتفوا بجمع الأموال دون الصرف على مَنْ يستحقها، بل اكتنزوها لأنفسهم وأقاربهم وحرَّموها على مَنْ يستحقها، مع أنها أُعطيت باسم الفقراء ولخدمتهم. وأكملوا حياتهم وكأنها بلا لوم شكلاً وهي منكرة لكل مشيئة الآب الذي اختارهم وأقامهم وأرسلهم.

وقول المسيح لهم: «إني لم أعرفكم قط» يكشف عن أعظم فضيحة في حياة هؤلاء المدَّعين بأنهم رسل وخدَّام وكهنة المسيح ووعَّاظ إنجيل، والحقيقة التي انجلت عن حياتهم وخدمتهم أن المسيح لم

يعرفهم و لم يقبل خدمتهم. فهؤلاء ليس فقط حُرموا من ملكوت الله بل وزيَّفوا معنى الملكوت والدخول إليه. وكانت حياتهم خداعاً للناس ولله ولأنفسهم.

البيت على الصخر أو سيرة حياة عطرة بالإيمان عاملة بالنعمة: (لو ٦:٤٧-٤٩)

٧:٢٤و٢٥ «فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَوَقَعَتْ عَلَى ذلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّساً عَلَى الصَّخْرِ».

«كل مَنْ يسمع أقوالي هذه»: هي المقابل لقوله في العهد القديم: «اسمع يا إسرائيل» والتي تُسمَّى عندهم: "الشماع" أي اسمع! وهنا يضع المسيح أقواله باعتبارها قانون الحياة الأبدية الذي إذا عمل الإنسان المسيحي بمقتضاه ووهب فكره وقلبه لمعرفته، وفتّش وبحث ودرس كيف يبني حياته على أساس الإيمان بالمسيح والاعتماد الكلي على شخصه والالتصاق به التصاق الأسمنت على الحجر الصلب، وبدأ يعيش على كلمات الرب ويبني بها معرفته وفهمه وسلوكه وآماله ورجاءه في الحياة، يعلو البيت راسخاً، فإذا جاءت التجارب متعدِّدة الأشكال والمتاعب والمخاطر والأهوال فإنها لا تؤثِّر في البنيان المؤسَّس على الصخر، لأن التصاق الإنسان الشخصي بالمسيح ووصاياه يؤمِّنه ضد كل أهوال الحياة وزعازعها. وأخيراً يأتي العدو كنهر ويصدم البيت، والبيت ثابت ثبوت الإيمان الواثق. وهكذا ينجو البيت ويقف شاهداً على صدق تعاليم المسيح ووعوده ونعمته، وعلى إيمان الإنسان بالمسيح، الإيمان الشخصي بالروح: «مَنْ التصق بالرب فهو روح واحد.» (١كو ٦:١٧)

البيت على الرمل أو سيرة حياة فقدت العمق وعاشت على السطح وبنت على الرمل:

٧:٢٦و٢٧ «وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا، يُشَبَّهُ بِرَجُلٍ جَاهِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَصَدَمَتْ ذلِكَ الْبَيْتَ فَسَقَطَ، وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيماً!»

هنا نأتي لقول المسيح السابق الذي اتخذه المسيح كتعليم في الأساس، يأتي هنا للتطبيق: «ليس كل مَنْ يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات»، وهنا قد وصلنا إلى النهاية حيث المجازاة. هنا إنسان سمع أقوال المسيح كلها وربما درسها ووعظ بها، ولكنه لم يعمل بها أو بمقتضاها، فجاءت أعماله كلها ليس في الإنجيل ما يزكيها وليس

من كل أقوال المسيح ووصاياه ما يشهد لصدقها، فلا هو حفر وفتّش وبحث ودرس كلمة الله وجعلها دستور حياته، ولا بنى أفكاره ومبادئه وأسلوبه في الحياة والتعامل مع طبقات الناس كما أوصى المسيح. أمَّا الرمل فهو كناية عن تعاليم أشخاص مشهورين وأمثال وأقوال محفوظة اتخذها مصدراً لأفكاره وأعماله وحديثه. وجاءته التجارب فلم يصمد أمامها لأن ليس في كل حياته ما يسنده من الإنجيل أو الاتكال الحقيقي على الله.

والمسيح هنا لا يتكلَّم عن الحياة الحاضرة وما يصيب البيت المبني على الصخر والبيت المبني على الرمل، فالوصف والاختبار والنتيجة لا تُعلن هنا بل هي محصلات الدينونة، فالذي بنى على الصخر لن يَخْزَى بل يرتفع اسمه كمنتصر جاز اختبار الدينونة وتزكّى من المسيح نفسه، أمَّا الذي لم يتخذ المسيح له أساساً وبناءً وتسليحاً وصيانة فيقول المسيح إنه يسقط. وليس كمثل هذه الكلمة من خيبة أمل وضياع.

ولكن الحمد والسبح والشكر لله والمسيح الذي قال لنا هذا المثل الخطير حتى نتعلَّم كيف نبني على الصخر كعقلاء، وكيف لا نُصاب بالهبل لنبني على الرمل. فالأمر واضح أمامنا وعلى مدى الأيام والدهور. ومطلوب منا أن نعود إلى ما قاله المسيح كل يوم ونمتحن أنفسنا ونقيس أعمالنا وبناء حياتنا هل هو مطابق لشروط البرج الصاعد إلى السماء بأمان وسند من المسيح والإنجيل، أم أننا نعبث على الرمل ونبني بيوتنا كما يلعب الأطفال على شاطئ البحر، لتأتي الموجة وتمسح من على وجه الأرض ما بنيناه. والدرس الذي نخرج به من هذا التشبيه المحكم بالنسبة لأعمالنا وسلوكنا هو أن ملكوت السموات يبدأ من هنا والباب الضيق والطريق الكرب، والبناء بمقتضى تعاليم المسيح هي قضية السماء وقضية الساعة بآن واحد. وملكوت السموات هو الذي يجعل لحياتنا هنا معنى وقيمة، وبدون وضع ملكوت السموات أمام أعيننا ليل نهار لا يعود لهذه الحياة التي نحياها معنى ولا قيمة.

وبناءِ البيت على الصخر ليس في حقيقته النهائية عملاً هيناً، فهو خلاصة مواهب الإنسان التي اكتسبها من الله والإنجيل والوعظ والخدمة وحضور الصلوات، مضافاً إليها خبرة الآخرين وتوعية القديسين ومعونة الروح القدس الخفية. ولكن على مستوى اليوم والساعة هو عمل هيِّن، فالبناء بعد الوصول إلى صخر الإيمان بالصلاة والسعي والبحث لا يعود أكثر من وضع حجر على حجر كل يوم، لا يشعر بثقلها الإنسان ولا يحمل لها هماً، فالمعونة تأتي من فوق لأن البناء يرتفع إلى فوق. وفرحة الجهد المبذول من أجل الله والإنجيل تجعل الإنسان ينطلق في الطريق وهو يرتِّل ويمجِّد وكأنه يصعد على سلم السماء.

نهاية القسم الأول من خمسة أقسام الإنجيل

سبق أن قلنا إن القديس متى قسَّم إنجيله إلى خمسة أقسام على نمط خمسة أسفار موسى (انظر صفحة ١٠٨) وعلامة انتهاء كل قسم واحدة، وهي جملته المشهورة: «ولمَّا أكمل يسوع أقواله هذه».

ويُعتبر هذا القسم بمثابة سفر الخروج لوضع أساس العبور.

٢٨:٧و٢٩ «فَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هذِهِ الأَقْوَالَ بُهِتَتِ الْجُمُوعُ مِنْ تَعْلِيمِهِ، لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ».

الكلام هنا يختص بالعظة وما حوت من تعاليم إلهية أصبحت ناموس العهد الجديد بالروح، وكلها تعاليم للبناء وليس لمجرَّد المعرفة. فكل آية فيها تحمل قوة جذب إلى فوق. وقول الآية إن الجموع بُهتت من تعاليم يسوع يوضِّح أنها ليست من هذا الدهر، ولا هي لمجرَّد الحياة في هذا الدهر. فسرُّ انبهار السامعين أنها تتجاوز معرفة الإنسان المحصورة في الحاضر الزمني لاستهلاك الجسد. فهي مصوَّبة للروح لإعطائها قدرة الارتفاع بالحياة فوق متطلبات هذا الزمان. فالعقل لا يُذهل بالأرضيات لأنها منه وهو منها، ولكن يُذهل بما هو فوق طبيعته، الأمر الذي يتحدَّاه لقبول معارف جديدة هي لصميم الحياة الأبدية، أعمال تُعمل على الأرض ولكن لحساب حياة جديدة في السماء. كلام يستصعبه العقل ولكن تشتهيه الروح. وسلطان المسيح كان يحمل الكلام كمَنْ يحقنه في الدم ليسري في جسد الإنسان ويصبح وكأنه من مكوِّناته، لا يقف عند الأذن بل يتغلغل حتى أعماق القلب ليضيف إليه قوة بصيرة جديدة ليعرف بها كل الأمور المختصة بملكوت الله وحياة الدهر الآتي. وكأنما هو تنبيه ليكون مواطناً سماوياً.

وأخيراً جداً وفي نهاية كل التعليم وكل أعمال المسيح عرفنا بنوع من السر الفائق أنه سيقدِّم نفسه ذبيحة من أجلنا وسوف يسقينا دمه! وهكذا نعود على تعاليمه لندرك أنها كانت حياته يسقيها لنا في كلمات وآيات وأمثال وتعاليم.

الأصحاح الثامن

بدء القسم الثاني من خمسة أقسام الإنجيل

قسم المعجزات في إنجيل القديس متى

[٨:١-٩:٣٤]

تطهير الأبرص	(٨: ١-٤)
شفاء غلام قائد المئة	(٨:٥-١٣)
شفاء حماة سمعان وآخرين كثيرين	(٨:١٤-١٧)
فصل قصير بين معجزات الشفاء: شرط تبعية المسيح	(٨:١٨-٢٢)
أمر فهدأت العاصفة والبحر سكت	(٨:٢٣-٢٧)
إلى كورة الجرجسيين	(٨:٢٨-٣٤)

قسم المعجزات في إنجيل القديس متى

يتّسم هذا الأصحاح بعمل المعجزات، ولكن لا يتبع ق. متى التسلسل الزمني، بل التشابه الموضوعي. يجمع ق. متى أهم قصصه ذات المعجزات في قسم خاص يمتد من (٨: ١-٩: ٣٤)، يعترضه توقفان في ثلاث عشرة آية: في (٨: ١٩-٢٢)، (٩: ٩-١٧). وهكذا يجمع قسم المعجزات في ٦٨ آية، ولكن لا يذكرها كما اتفق بل اكتشف لها موضوعاً والتزم به، كالموضوع الذي اكتشفه للعظة على الجبل أي تعاليم الرب يسوع، إذ رآه أنه خاص بملكوت السموات فالتزم به. أمَّا الأصحاحان الثامن والتاسع فالموضوع الذي يجمعهما ويكشف مضمونهما هو أن الأعمال الإعجازية إنما تخدم سلطان ملوكيته فوق مناقص العالم الطبيعي والأرواح الشريرة والمصائب التي حاقت بالإنسان وأخطرها الأمراض المستعصية والموت. ويقول العالِم بنجل(١) أن هدف ق. متى من هذه المعجزات هو التحقق من أن المسيح كان كلِّي القدرة omnipotent. وهكذا وبعد أن قدَّم المسيح عظته على الجبل وتلاها بمعجزاته نجد إنجيل ق. متى يهتم بإرسالية تلاميذه كرسل الملكوت للعالم.

تطهير الأبرص

[٨: ١-٤]

(مر ١: ٤٠-٤٥)،
(لو ٥: ١٢-١٦)

٨: ١-٤ «وَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ تَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ. وَإِذَا أَبْرَصُ قَدْ جَاءَ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي. فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلاً: أُرِيدُ فَاطْهُرْ. وَلِلْوَقْتِ طَهُرَ بَرَصُهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: انْظُرْ أَنْ لاَ تَقُولَ لأَحَدٍ. بَلِ اذْهَبْ أَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ، وَقَدِّمِ الْقُرْبَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ مُوسَى شَهَادَةً لَهُمْ».

اختار القديس متى شفاء الأبرص على قائمة المعجزات، وهو محق في ذلك، لأن البرص فوق أنه مرض غير قابل للشفاء حسب تقرير معظم الأطباء المتخصصين، فهو مرض يخص الجماعة، إذ أن مريضاً واحداً يمكن أن ينشر المرض في مجموعة كبيرة شأنه شأن وبأ الخطية: «بإنسان واحد دخلت

---

(1) John Albert Bengel: *Gnomon of the New Testament* (1742, Eng. tr. 1866), vol. I. p. 211.

الخطية إلى العالم ... إذ أخطأ الجميع» (رو ٥:١٢). كذلك فهو المرض الذي يمنع صاحبه من حضور الصلوات لأنه محسوب أنه نجس، تماماً بمفهوم الخاطئ الضالع في خطيته. ومعروف عند الربيين القدامى أن شفاء المرض حتى بالمعجزة صعب كصعوبة إقامة الميت. فهنا يتعقّب ق. متى الخطية في أشنع مؤذياتها لطبيعة الإنسان من جهة. ومن جهة أخرى معروف أن هذا المرض ينتقل بالتلامس، وهنا كانت معجزة شفاء الأبرص إذ مدَّ يسوع يده ولمسه، ومع اللمسة النطق الإلهي: «أريد فاطهر». فقول الأبرص: «إن أردت ἐὰν θέλῃς» وليس إن قدرت، ردَّ المسيح عليه: «أريد θέλω» وبهذه الكلمة الواحدة أثبت سلطانه اللانهائي. ومعروف أن مرض البرص مرض معدٍ[٢] لذلك بحكمة قرَّر سفر اللاويين أن الأبرص يُعزل (لا ١٣). وعادة يصرخ الأبرص من على بُعد: أبرص أبرص، حتى لا يقترب منه أحد، ولكنه جاء إلى المسيح وسجد أمامه وكان حظّه السعيد أن شُفي. ولأنه مرض عنيد صار ذكر شفائه في أيام المسيَّا نوعاً من الأعجوبة كإقامة الموتى. فلمسة المسيح نقلت إليه الصحة والعافية فعاد صحيحاً معافى. فكل عناصر الشفاء كانت جاهزة: إيمان المريض وإرادة المسيح ولمس اليد. والملاحظ أن حالة الشفاء تمَّت في الحال واستعاد الجسم كامل صحته وكأنه وُلد جديداً، واستطاع المسيح أن يستدرج الميكروب اللعين ويأخذه في جسده ليستهلكه ويبيده، وهو من ألعن الميكروبات المعروفة Mycobacterium leprae فانفتحت أمام الأبرص ليس أبواب الهيكل للعبادة بل أبواب السماء للخلاص. وغرض المسيح أن لا يقول لأحد حتى لا يشيع في الأوساط اليهودية أن المسيح هو الذي شفاه فيحقّقون مع المريض، والنهاية يطردونه من المجمع كالأعمى!! أما وصية المسيح أن يُري نفسه للكاهن ويقدِّم قربان تطهيره، فلكي يأخذ من الكاهن شهادة رسمية بخلوه من البرص حتى يستطيع أن يمارس حياته عادياً.

---

(٢) نبذة طبية عن مرض البرص:

يبدأ البرص عادة بألم في أي مكان من الجسم ثم يعقبها تنميل، وبعدها يفقد الجلد لونه الطبيعي ويصير سميكاً ويبدأ يلمع ويظهر عليه قشور، وهذه القشور هي التي أعطته الاسم العلمي Leprosy. لأن القشر باليونانية Lepas = λέπος أو ليبيس Lepis λεπίς. وبزيادة سمك قشور الجلد يبدأ يتقرَّح بسبب التهاب الأعصاب الطرفية وانقطاع جريان الدم في المنطقة المصابة، ويزداد الجلد حول العينين والأذنين في التكدُّم والتكوُّر مع وجود حفر عميقة وورم. وتسقط الأصابع من اليدين والرجلين وتتآكل الحواجب وتتساقط الرموش، وتبدأ رائحة المريض تزداد نتانة كريهة. ويبدأ المرض يهاجم الحنجرة فيتغيَّر صوت المريض ويصير أجش. وهكذا يمكن معرفة الأبرص من على مسافة. وتنتقل العدوى بالتلامس مع الأجزاء المصابة، كما أن إفرازات الأنف المخاطية تلعب دوراً هاماً في انتقال العدوى.

Dr. E.R. Kellersberger, The Social Stigma of Leprosy, *The Annals of the New York Academy of Sciences*, 54. (1951) pp. 126-133.

شفاء غلام قائد المئة

[٨: ٥-١٣] (لو ٧: ١-١٠)

كان قائد المئة أول مَنْ اكتشف قدرة المسيح على إجراء الشفاء من بُعد! إيمان جديد وعظيم في إسرائيل، وهو ضابط روماني عليه أن يمارس وظيفته لحساب المحتل.

٨: ٥و٦ «وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ كَفْرَنَاحُومَ، جَاءَ إِلَيْهِ قَائِدُ مِئَةٍ يَطْلُبُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: يَا سَيِّدُ، غُلاَمِي مَطْرُوحٌ فِي الْبَيْتِ مَفْلُوجاً مُتَعَذِّبًا جِدًّا».

«مفلوجاً»: παραλυτικός

مرض الفالج هو الشلل، والشلل أنواع، ولكن أكثرهم انتشاراً هو الشلل النصفي ويكون نتيجة انفجار شريان في المخ، وهو مؤلم ويشل حركة الإنسان. فلو اعتبرنا أنه خادم تكون الطامة الكبرى لِمَنْ كان يخدمه، وهو كان عند سيده عزيزاً جداً بحسب إنجيل ق. لوقا (٧: ٢)، لذلك أسماه "ولدي παῖς μου" وكان طريح الفراش واقعاً تحت تشنجات عصبية كما يبدو جعلته في الآلام على مستوى الموت. لذلك كان توسُّل قائد المائة عاطفياً للغاية. وقد وصف الحالة وترك الأمر بيد السيد. وهنا نجد ق. متى يذكر أنه جاء بنفسه في حين أن في إنجيل ق. لوقا يذكر أنه أرسل بعض الشيوخ. ولا تعارض فقد كان من باب الاختصار أن قال ق. متى ما قاله. ولكن من إنجيل ق. لوقا يتضح أكثر أن حتى الشيوخ الوسطاء كانوا متأثرين من معاملة قائد المائة «لأنه يحب أمتنا وهو بنى لنا المجمع» (لو ٧: ٥) (مجمع كفرناحوم الذي كان يصلِّي فيه المسيح لأنه من ذات البلدة، كذلك ق. متى نفسه كان من كفرناحوم) وكانت استجابة المسيح سريعة وباذلة وذات محبة بالغة.

٨: ٧-٩ «فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا آتِي وَأَشْفِيهِ. فَأَجَابَ قَائِدُ الْمِئَةِ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي، لكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَقَطْ فَيَبْرَأَ غُلاَمِي. لأَنِّي أَنَا أَيْضاً إِنْسَانٌ تَحْتَ سُلْطَانٍ. لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي. أَقُولُ لِهذَا: اذْهَبْ فَيَذْهَبُ، وَلآخَرَ: ائْتِ فَيَأْتِي، وَلِعَبْدِيَ: افْعَلْ هذَا فَيَفْعَلُ».

في اليونانية تأتي عبارة «أنا آتي ἐγὼ ἐλθὼν» بمعنى: "أنا بذاتي آتي" ويأتي فعل "آتي" في صيغة aorist participle التي تفيد الفعل اللحظي، وكأنه يقول أنا بذاتي أجيء حالاً. أمَّا رد قائد

المائة فكلُّه فهم ومشاعر راقية. فهو يبدأ بقوله إنه غير مستحق في حين أن الشيوخ في إنجيل ق. لوقا يقولون إنه مستحق. ثم إن فهم هذا الضابط لناموس اليهود وتحفظهم الديني من أن لا يدخلوا بيت رجل أُممي وإلاّ يتنجَّسون، جعله يُسرع بتقديم ما يشبه الاعتذار حتى لا يورِّط السيد في هذه المخاطرة. ولكن المسيح هو السيد العظيم الذي لا تقف أمامه حواجز الجنس أو اللون أو النجس والطاهر، فقد لمس لتوِّه الأبرص و لم يتنجَّس بل رفع نجاسته من عليه إلى الأبد! وهكذا فاضت تحننات السيد وبرزت محبته لترفع الحواجز والعراقيل. وأخذ الضابط يشرح مناسبة أن يقول كلمة من على بُعد فيُشفى غلامه لأنه يعتقد أن المسيح صاحب سلطان والكلمة عنده كجندي يرسله أينما يرسله فيتمِّم مشيئته بالكلمة. وفي هذا تصوير إبداعي يليق بالله.

وواضح هنا أن قائد المئة تكلَّم مع المسيح بنفسه دون وسطاء ليقنعه بعدم تكليف الجهد والذهاب بنفسه إلى بيته، ولكن يبدو بحسب إنجيل ق. لوقا أنه أرسل مشايخ اليهود كوسطاء، ولمَّا علم أنه مزمع أن يجيء بنفسه نزل من بيته وأسرع لمقابلة المسيح لإقناعه بعدم المجيء ويكفي أن يقول كلمة. الأمر الذي أثَّر في المسيح للغاية.

٨: ١٠ «فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ تَعَجَّبَ، وَقَالَ لِلَّذِينَ يَتْبَعُونَ: اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ، لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَاناً بِمِقْدَارِ هذَا».

كانت الجموع التي تسير وراء المسيح متعجِّبة أيضاً كيف يذهب المسيح بنفسه لبيت قائد المئة، وكان ضمن هؤلاء الذين يتبعون مراسيل قائد المئة الذين جاءوا يطلبون إليه، لهؤلاء التفت المسيح وقال بصيغة تأثره الجازمة: «الحق أقول لكم» أن إيمان هذا الرجل الأُممي وضابط الاحتلال غير المرغوب فيه قد فاق إيمان بني إسرائيل. ولكن إيمان قائد المئة الذي استرعى انتباه المسيح لكي يعطيه هذا الامتياز فوق إسرائيل كان بإحساس الاتضاع الشديد «لستُ مستحقاً»، «قل كلمة فقط»، مع الاحترام الفائق والرجاء الحاضر. لقد كان المسيح مُحِقًّا في كلامه، فقد رفع بصره من بعيد، فرأى بعيداً جداً الإيمان في الأُمم يفوق إيمان إسرائيل مرَّات ومرَّات.

٨: ١١-١٣ «وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ، وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ. ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِقَائِدِ الْمِئَةِ: اذْهَبْ، وَكَمَا آمَنْتَ لِيَكُنْ لَكَ. فَبَرَأَ غُلاَمُهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ».

هنا الرب يشير إلى عملية الكرازة التي سوف تَعُمُّ الأرض والممالك كلّها. وهؤلاء الآتين من المشارق والمغارب هم الذين قبلوا الخلاص وجاءوا يرثون الوعد! مع أصحاب المواعيد الأُولى! «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأُمم. وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلّمنا ...» (إش ٢: ٢و٣)

«أمَّا بنو الملكوت»: هؤلاء الذين ورثوا الموعد بالجسد وجحدوه بالروح والإيمان، فتساووا مع المرفوضين من الأُمم سواءً بسواء: «لأن الإيمان ليس للجميع» (٢تس ٣:٢). وأمَّا البكاء وصرير الأسنان والظلمة فهي حالة البعد عن الله وما يتخللها من الندم الذي لا يهدأ.

أمَّا قائد المئة فأخذ نصيبه بمقتضى إيمانه، وشُفي غلامه في اللحظة التي قالها المسيح لتظهر بوضوح قدرة المسيح الفائقة.

شفاء حماة سمعان وآخرين كثيرين

[١٤:٨–١٧]

(مر ١:٢٩–٣٤)،
(لو ٤:٣٨–٤١)

١٤:٨و١٥ «وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ بُطْرُسَ، رَأَى حَمَاتَهُ مَطْرُوحَةً وَمَحْمُومَةً، فَلَمَسَ يَدَهَا فَتَرَكَتْهَا الْحُمَّى، فَقَامَتْ وَخَدَمَتْهُمْ».

نحن لا نزال في كفرناحوم، حيث بيت المسيح، وبيت بطرس، وبيت ق. متى أيضاً. وق. مرقس يخبرنا أن أندراوس أخا بطرس كان مع بطرس في نفس البيت. ودخل المسيح ومعه يعقوب ويوحنا أخوه. وكان اليوم سبتاً، ودخلوا بعد الصلاة ليتناولوا الطعام. لذلك لمَّا أقام المسيح حماة بطرس قامت وخدمتهم. وق. لوقا بصفته طبيب وصف الحمى أنها كانت شديدة بمعنى أنها كان يصاحبها رعشة (rigor). وهنا ق. متى يرى أن المسيح لمس يدها فقامت، ولكن وصف ق. لوقا أتى هكذا: «فوقف فوقها وانتهر الحمى فتركتها وفي الحال قامت وصارت تخدمهم» (لو ٤:٣٩). ويقول ق. لوقا إنها كانت ممسوكة بحمى (حرارة) عظيمة συνεχομένη πυρετῷ μεγάλῳ، أمَّا المسيح «فزجر الحمَّى» وهو فعل شخصي ἐπετίμησεν. هنا الحمى مصوَّرة كشخص زجره المسيح. وهكذا يبدو لنا أنها كانت بفعل شرير.

٨: ١٦و١٧ «وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ قَدَّمُوا إِلَيْهِ مَجَانِينَ كَثِيرِينَ، فَأَخْرَجَ الأَرْوَاحَ بِكَلِمَةٍ، وَجَمِيعَ الْمَرْضَى شَفَاهُمْ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا».

هنا تذكِرة؛ يقول الرب: «إن كنت بإصبع الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (لو ١١: ٢٠)، فهنا التعامل مع الشيطان بقوة واقتدار وتعريف بشخصية المسيح: «أنا أعرفك مَنْ أنت» (مر ١: ٢٤). وواضح أن جزءاً كبيراً من الأمراض كان بفعل العدو، فكان إخراج الشيطان يتبعه حدوث شفاء. والملاحظ هنا أنه يذكر جميع الأمراض إشارة إلى مقدرة بلا حدود. وهذا استرعى انتباه ق. متى ليعود إلى النبوّات (إش ٥٣: ٤) والنص هنا ليس من السبعينية. وهنا نشير إلى أن أصل إنجيل ق. متى كان باللغة العبرية، ومن اللازم أنه كان يستشهد بأقوال الأنبياء في العهد القديم بالعبرية فجاءت «أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا» عوض السبعينية: "حمل خطايانا وتوجَّع لأجلنا" (إش ٥٣: ٤). والعبري أقرب إلى المعنى الذي يقصده ق. متى. وهذه الرؤية التي يراها هذا النبي المدعو عظيم الأنبياء هي ذات رؤية جثسيماني الممهِّدة للصليب، وكأنه واقف يرى بالعين ويرى بالوعي الإلهي كيف كان يتألَّم المسيح بآلام خطايانا وأسقامنا الروحية في جسده تمهيداً للإنهاء عليها في ذبيحة نفسه. وواضح من الواقع ومن كلام إشعياء أنها آلام طوعية بالإرادة، كذلك الأمراض والأسقام الروحية الناتجة من الخطية أنه حملها إرادياً بالضرورة: «والرب وضع عليه إثم جميعنا» (إش ٥٣: ٦). وق. بطرس يعود فيشرحها لاهوتياً: «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة.» (١بط ٢: ٢٤)

أمَّا كيف وضع الرب عليه إثم جميعنا، أو كما قال ق. بطرس حمل خطايانا في جسده على الخشبة، فقد شرحناها في عدة مواضع. وباختصار أنه حوكم من محكمة السنهدرين بحضور كامل أعضائها وشهودها كخاطئ بأنواع خطايا وشرور عدَّدوها، فلم يردّ ولم يدافع أو يستنكر، بل صمت فحُسبت عليه. ونفس الأمر أمام بيلاطس حينما طلب منه رسمياً ماذا تقول عن نفسك، فصمت ولم يرد، ولمَّا هدَّده لكي يتكلَّم أن له سلطاناً أن يصلبه أو يبرِّئه لم يردَّ أيضاً فيما يخص التهم الموضوعة عليه، فحسبها القاضي ضده وعُوقب وصُلب كخاطئ حاملاً كل أنواع الخطايا التي اُتهم بها. وهكذا مات بخطايا غيره. أمَّا هو فكان القدوس الذي بلا خطية واحدة وَحْدَهُ. وهكذا استطاع أن يحمل الخطايا ويموت بها دون أن يكون مستحقاً لا للصلب ولا للموت، فحُسب الصلب لحسابنا والموت أيضاً وبالتالي وبالضرورة القيامة.

فصل قصير بين معجزات الشفاء

من شروط تبعية المسيح

[٨: ١٨–٢٢] (لو ٩: ٥٧–٦٢)

٨: ١٨–٢٠ «وَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ جُمُوعاً كَثِيرَةً حَوْلَهُ، أَمَرَ بِالذَّهَابِ إِلَى الْعَبْرِ. فَتَقَدَّمَ كَاتِبٌ وَقَالَ لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ».

هنا هذا التجمُّع الكثيف من الشعب ليس هو الذي بعد الغروب بعد زيارة بيت سمعان، ولكن يتبع ما بعده أي بعد رحلة البحيرة يوم هبوب العاصفة الشديدة. وواضح الصلة بين قول المسيح أن ليس له مكان يسند رأسه وقول الكاتب الذي أراد أن يتبعه. ذلك أنه بسبب الجموع التي أحاطت به ومنعته أن يذهب إلى بيته ولا إلى أي بيت ليستريح، اضطر أن يركب المركب ويتخلَّص من ضغط هذه الجموع. وهذا يؤكِّده أنه بعدما ركب السفينة دخل في خنّها الخلفي ونام واستغرق في نوم عميق بسبب التعب الشديد، حتى أنه لم يُحسَّ باضطراب البحر العاصف ولا حركة المركب وهي تتهاوى من أعلى إلى أسفل!! فالمسيح أراد أن يوضِّح لهذا الكاتب الذي أراد أن يتبعه أنه حقًّا ليس له مكان يعيش فيه ويقيم ويستريح.

«أتبعك أينما تمضي»:

هذا الطلب غير ملائم بالمرَّة لحال المسيح وهو محاط بالجموع، والمسيح وتلاميذه يحاولون الخروج من هذا الضغط بركوب السفينة. فقد لاحظ المسيح في هذا الطلب شيئاً من التصوُّر بأن هناك مركز إقامة وخدمة ومواعيد وراحة، مما اضطر المسيح أن يوضِّح حاله تماماً إذ ليس له أين يسند رأسه ويستريح أو يأكل هو وتلاميذه. واصفاً امتناع الراحة والإقامة له ولتلاميذه في مكان معين بالمقارنة الحزينة بالثعالب وطيور السماء التي لها جحور وأوكار تأوي إليها فتستريح، وتركه يفكِّر. على أن الأمر بالنسبة للمسيح لم يكن جديداً إذ واجه نفس هذا الحرمان من الراحة حتى في ميلاده إذ لم يكن له مكان في أي بيت يولد فيه حتى أنه ولد في مذود بقر.

٨: ٢١و٢٢ «وَقَالَ لَهُ آخَرُ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: يَا سَيِّدُ ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: اتْبَعْنِي، وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ».

وجاء هذا المدعو بكونه أنه تلميذ، ويبدو أنه كان قد طلب أن يتبع الرب، ولكن أباه كان عليلاً في البيت علة الموت وكان يحتاج أن يبقى معه ليدفنه أولاً. فلمَّا عرض هذا العذر على المسيح، استكثر المسيح على تلميذ للملكوت أن يعطله عن الدعوة دفن موتى. فالدعوة للحياة الأبدية، ولا مجال بعد للارتباك في أعمال الموتى. فوضعها المسيح كنصيحة للتلمذة بقيت حيَّة في أفكار الناس حتى اليوم. وجاءت في مكان آخر: «دع الموتى يدفنون موتاهم وأمَّا أنت فاذهب ونادِ بملكوت الله» (لو ٩: ٦٠). وسواء في سؤال الكاتب أو سؤال التلميذ كان رد المسيح يكشف أن التلمذة معاناة لحساب ملكوت السموات. والمعاناة للملكوت هي الراحة العليا عينها.

وكأنما المسيح يكرِّر القول النبوي القديم: «قد جعلت قدَّامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا.» (تث ٣٠: ١٩)

أمر فهدأت العاصفة والبحر سكت

[٨: ٢٣–٢٧]

(مر ٤: ٣٥–٤١)،
(لو ٨: ٢٢–٢٥)

٨: ٢٣و٢٤ «وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ تَبِعَهُ تَلاَمِيذُهُ. وَإِذَا اضْطِرَابٌ عَظِيمٌ قَدْ حَدَثَ فِي الْبَحْرِ حَتَّى غَطَّتِ الأَمْوَاجُ السَّفِينَةَ، وَكَانَ هُوَ نَائِماً».

وكأنما كانت العاصفة البحرية تنتظر خروج السفينة من حِمَى الشاطئ لتنقض عليها حيث تيارات الهواء العنيفة الساقطة عليها من الجبال العالية المحيطة بالبحيرة.

«اضطراب عظيم»: σεισμὸς μέγας

"سيزموس" هي الكلمة اليونانية التي جاءت هنا لتعطي معنى الاهتزاز العنيف أو الذبذبة الفائقة الحد، وهي الكلمة التي اشتق منها اسم جهاز رصد الزلازل سيزموجراف، وهي من جهة القياس تعطي قياساً لشدة أثر الزلزال الذي تهتز به الأرض، من الهزات البسيطة غير المحسوسة حتى القياسات العنيفة التي تفوق الست درجات ونصف حيث التخريب، وذلك حسب قياس ريختر

المعمول به الآن. أمَّا الاهتزاز هنا فهو من جراء تيار هواء عنيف سقط من فوق الجبال، لأن البحيرة منخفضة جداً عن سطح البحر حوالي ٦٨٠ قدماً، والبحيرة ذات مساحة كبيرة ثلاثة عشر في سبعة ونصف ميل. فالبحيرة تُعد منخفضاً شديداً وسط الجبال. وجبل حرمون يتاخمها من شرق بارتفاع ٩٢٠٠ قدم. ولهذا تنقض الرياح عنيفة وسريعة مدفوعة من ارتفاع شاهق عبر ممرات بين الجبال والتلال تجعلها شديدة الوطأة على السفن العابرة. وتثير البحر إثارة تجعل الأمواج تتلاطم بشدة، مثل هذا اليوم والسفينة تلعب بها الأمواج والعواصف من كل جهة. والذي يذهلنا في هذا كله أن المسيح ظلَّ نائماً عن جهد غير معقول. لأن الأمر المُستغرَب له أنه بمجرَّد أن دخل المسيح السفينة نام. ونام نوماً عميقاً لم يشعر باضطراب البحر ولا بحركات السفينة العنيفة صعوداً وهبوطاً، إذ كان المسيح متعباً من جهد وسهر وعدم وجود مكان يسند فيه رأسه. وهذا هو ابن الإنسان إن في مولده أو حياته أو حتى مماته، رسالته تقديم الذات منذ أن دخل العالم حتى خرج.

٨: ٢٥-٢٧ «فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَأَيْقَظُوهُ قَائِلِينَ: يَا سَيِّدُ، نَجِّنَا فَإِنَّنَا نَهْلِكُ! فَقَالَ لَهُمْ: مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟ ثُمَّ قَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيَاحَ وَالْبَحْرَ، فَصَارَ هُدُوٌّ عَظِيمٌ. فَتَعَجَّبَ النَّاسُ قَائِلِينَ: أَيُّ إِنْسَانٍ هذَا! فَإِنَّ الرِّيَاحَ وَالْبَحْرَ جَمِيعاً تُطِيعُهُ».

فلمَّا ضاعت من البحَّارة كل حكمة في ضبط السفينة أعلنوا إفلاسهم أمام خطر الموت، لأن الأمواج طغت على السفينة وبدأت السفينة تَعبُّ المياه في داخلها وهي علامة النهاية. تقدَّموا إليه بطلب المعونة لا كراكب معهم بل كحارس ومدبِّر، فالأمر فاق الحد والخوف بلغ بهم حد الفزع بحسب خبرتهم السابقة في مواجهة الأعاصير. أمَّا هو فكان نائماً في خن المركب «على وسادة.» (مر ٤: ٣٨)

وانطباع التلاميذ وبالتالي تسجيل الحادثة جاء متبايناً، فالقديس مرقس يقول: «يا معلِّم أما يهمُّك أننا نهلك» (مر ٤: ٣٨). وهذا ربما يكون أقربهم لما قالوه للمسيح، لأنه يُعتقد أن بطرس كان رئيس البحَّارة إذ كان صاحب السفينة، وهذه هي لغته، عجول ومجترئ. فهو الذي "انتهر" المسيح وقال له حاشاك يا معلِّم - من جهة الصليب - وكان جواب المسيح له ابعد عني يا شيطان أنت معثرة لي.

والقديس لوقا ينقلها عن آخر ويقول بعد أن هذَّب لغة بطرس: «يا معلِّم يا معلِّم إننا نهلك» (لو ٨: ٢٤). وأمَّا القديس متى فيختزلها إلى أقل مفهوم إذ يبدو أنه لم يكن في السفينة. وهكذا

تعددت الانطباعات وقت الخطر ولكنها تحمل سمات شخصياتهم.

ولمّا قام المسيح وبَّخهم أولاً على عدم إيمانهم، لأن انزعاجهم ضيَّع عليهم فرصة استخدام إيمانهم في مواجهة الخطر. والمسيح يعلم ما يقول إذ كان واثقاً من أن قوة إيمانهم كانت كافية لركوب التجربة وإسكات الطبيعة، وهذا ما باشره هو أمامهم: انتهر الريح والبحر فصار هدوء عظيم. هنا أيضاً استخدم المسيح هذا الفعل "انتهر" الذي لا يُستخدم إلاَّ لشخص معاند، وكأنما روح شرير استولى على الريح والبحر. فالشيطان إحدى ألقابه: «رئيس سلطان الهواء» (أف ٢:٢). وكان توقُّف الريح والبحر عن الهيجان في الحال مما يكشف عن سلطان فائق وكأنه يقبض على أعنَّة الرياح وهيجان البحر ويضبطها في الحال كما يضبط راكب الحصان جموحه في الحال. فالريح والبحر خضعت في الحال لأمر المسيح، وعاد البحر هادئاً كالحصير، وكان هذا مثار دهشة هؤلاء القوم إذ تعجَّبوا من طاعة الرياح والأمواج.

والقديس متى يستخدم هذه الآية ليجعلها تنطق بسلطان المسيح اللانهائي كمقتدر بالقول والفعل معاً وبسلطان الله. فالإنسان يمكن أن يشفي مريضاً، ولكن أن ينتهر الريح والبحر فهذا محال، فمَنْ هذا؟

إلى كورة الجرجسيين

[٨:٢٨-٣٤]

(مر ٥:١-٢٠)،
(لو ٨:٢٦-٣٩)

٨:٢٨ «وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْعَبْرِ إِلَى كُورَةِ الْجِرْجَسِيِّينَ، اسْتَقْبَلَهُ مَجْنُونَانِ خَارِجَانِ مِنَ الْقُبُورِ هَائِجَانِ جِدًّا، حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَجْتَازَ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ».

يبدو أنهم ظلوا في المركب طول الليل وأصبحوا ورسوا على شاطئ هذه الكورة. ولكن اسم الكورة في أقدم المخطوطات اليونانية: χώραν τῶν Γαδαρηνῶν وقد جعلها ق. مرقس (٥:١) جيراسيين، وفي إنجيل ق. لوقا (٨:٢٦) جاءت جرجسيين وذلك حسب بعض المخطوطات. وهكذا قُرئت على ثلاثة أشكال. وكانت منطقة مغائر في الجبل تصلح للدفن كقبور تنحدر إلى البحيرة بشدة، وهذا الوصف لا ينطبق على جيرازا ولكن ينطبق على جرزا، والذين يسكنونها يمكن أن

يُدعوا جرازين أو جرجسيين. ولكن مدينة جدارا الكبيرة قريبة من المنطقة على بعد أميال قليلة جنوب شرق وممتدة حتى الشاطئ وهي عاصمة المنطقة كلها التي تتبعها جرزا. وهذه تبعد ٦ أميال جنوب شرق كفرناحوم عبر البحيرة وهي منطقة جبلية منحدرة بشدة نحو البحيرة وبها مغائر في الجبل تصلح لتكون مقابر(١).

وهي منطقة أممية. فعندما نزلوا على الشاطئ استقبلهم على الفور هذان المجنونان قادمَيْن من ناحية القبور، ولو أن ق. مرقس وق. لوقا يذكران واحداً فقط إلاَّ أنه قد يكونا اثنين وواحد منهما هو الذي تقدَّم. والمهم أنهما كانا في حالة هياج خطر قَطَعَ الطريق على السائرين - ومعروف أن الأرواح الشريرة تقطن القبور خاصة التي كان قد قُتل أصحابها بقسوة، فهي تظل مقيمة بجوار أجساد أصحابها ويكون لديها روح النقمة والإيذاء والتخريب. وهي إذا دخلت شخصاً تمارس عنفها وكأن الشخص نفسه هو الذي يقوم بهذا العنف. ولكن كما يتضح حالاً من القصة أنهما كانا شخصين عاديين بل وذوي طبيعة هادئة طيبة استطاع الروحان الشريران أن يقلبا كيانهما ويضيفا إلى أخلاقهما هذا السلوك المشين والعنيف. ولكن قد يكون الروحان الشريران هما من جنس الشياطين.

٨: ٢٩-٣٢ «وَإِذَا هُمَا قَدْ صَرَخَا قَائِلِيْنَ: مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللهِ؟ أَجِئْتَ إِلَى هُنَا قَبْلَ الْوَقْتِ لِتُعَذِّبَنَا؟ وَكَانَ بَعِيداً مِنْهُمْ قَطِيعُ خَنَازِيرَ كَثِيرَةٍ تَرْعَى. فَالشَّيَاطِينُ طَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: إِنْ كُنْتَ تُخْرِجُنَا، فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ. فَقَالَ لَهُمْ: امْضُوا. فَخَرَجُوا وَمَضَوْا إِلَى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ، وَإِذَا قَطِيعُ الْخَنَازِيرِ كُلُّهُ قَدِ انْدَفَعَ مِنْ عَلَى الْجُرُفِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمَاتَ فِي الْمِيَاهِ».

لقد عرف الشيطان أن المسيح هو ابن الله، كما يعلم الشياطين جيداً أن نهايتهم هي العذاب الأخير ولا تعود لهم راحة ولا حرية لإيذاء الإنسان أو الحيوان بعد. وهكذا يبدو أن الشيطان أحسَّ أن فرصته الأخيرة في مقاومته للحق والله والإنسان ستنتهي في ذلك اليوم، في مجيء الرب الثاني للدينونة، الأمر المُخفى عن كثيرين. والآن شعروا بالمسيح عدوهم الأزلي وخافوا لئلاَّ يوقع بهم العذاب قبل الأوان πρὸ καιροῦ. لأن الشيطان وأعوانه فقدوا الديمومة بسقوطهم من أمام الله ودخلوا منطقة

(1) A.M. Ross, art. "Gadara, Gadaranes", *Zondervan Pictorial Bible Dictionary*, Grand Rapids, 1963. p. 293.

التغيير التي يحكمها الزمن، ونهايتهم هي نهاية الزمن، حيث يتغير الإنسان أيضاً إلى منطقة الخلود واللازمن بنفس الوقت ـ فالشيطان ينتهي إلى عذاب وفناء، والإنسان يتغيَّر إلى نعيم وديمومة.

وقد واتتهم الفرصة فرأوا قطيع خنازير كثيرة ترعى بعيداً فطلبوا أن يدخلوا فيها أفضل من أن يرسلهم معذبين مسلسلين إلى الهاوية. وقد رأى ذلك المسيح بدلاً من أن يدخلوا أشخاص آخرين ليعذبوهم. وكانت الخنازير بحسب إنجيل ق. مرقس (٥:١٣) حوالي ألفين من الخنازير. وطبعاً حياة إنسان أفضل من خنازير كثيرة.

٨:٣٣و٣٤ «أَمَّا الرُّعَاةُ فَهَرَبُوا وَمَضَوْا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَخْبَرُوا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَنْ أَمْرِ الْمَجْنُونَيْنِ. فَإِذَا كُلُّ الْمَدِينَةِ قَدْ خَرَجَتْ لِمُلاَقَاةِ يَسُوعَ. وَلَمَّا أَبْصَرُوهُ طَلَبُوا أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْ تُخُومِهِمْ».

لقد كانت الخسارة ثقيلة عليهم، ألفا خنزير بعدة آلاف من الدنانير. فلمَّا وازنوا بين شفاء الرجلين وخسارة الخنازير وجدوا أن الخسارة أفدح، ففضَّلوا أن يتعاملوا مع الشيطان ولا يتعاملوا مع المسيح طالما هناك خسارة. وهكذا لا يزال يتصرَّف كثير من أهل العالم. فالحياة مع الخنازير والشياطين أكثر أماناً وأقل خسارة من الحياة مع المسيح والكنيسة!!

الأصحاح التاسع

إبراء الرجل المفلوج (٩: ١ - ٨)

دعوة القديس متى صاحب الإنجيل (٩: ٩-١٣)

السؤال عن الصوم (٩:١٤-١٧)

إقامة ابنة رئيس من الموت. وشفاء امرأة نازفة دم (٩:١٨-٢٦)

أعميان على الطريق (٩:٢٧-٣١)

إبراء رجل أخرس مجنون به شيطان (٩:٣٢-٣٤)

الحصاد كثير والفعلة قليلون (٩:٣٥-٣٨)

تمهيـد

يتسم هذا الأصحاح بظهور أول المعارضات ضد المسيح. وقد بدأت من أول معجزة بعد عودته إلى كفرناحوم حينما أخذ عليه الكتبة قوله للمفلوج: «مغفورة لك خطاياك».

ثم لمَّا جلس يأكل مع العشَّارين والخطاة، قال الفريسيون: لماذا يأكل معلِّمكم مع العشَّارين والخطاة. وجاء إليه تلاميذ يوحنا يعترضون: لماذا تلاميذك لا يصومون؟

ولمَّا أخرج الشيطان الأخرس والأصم قال الفريسيون إنه برئيس الشياطين يُخرج الشياطين.

إبراء الرجل المفلوج

[٩: ١-٨]

(مر ٢: ١-١٢)،
(لو ٥: ١٧-٢٦)

٩: ١و٢ «فَدَخَلَ السَّفِينَةَ وَاجْتَازَ وَجَاءَ إِلَى مَدِينَتِهِ. وَإِذَا مَفْلُوجٌ يُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِ مَطْرُوحاً عَلَى فِرَاشٍ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ».

من حيث الترتيب الزمني بحسب ق. مرقس وق. لوقا، فإن حادثة شفاء المفلوج ودعوة لاوي (متى) للتلمذة تجيء في زمانها قبل العظة على الجبل. ولكن ق. متى، الذي هو "لاوي"، وهو يكتب إنجيله أخَّر هذه المعجزة لتأتي مع المعجزات. فهو يهتم بالموضوع وليس بزمن الموضوع. ولكن كان ق. متى حريصاً للغاية أن لا يذكر قرينة زمنية هنا حتى لا يقع إنجيله في مناقضة. وكان ترتيبه لقصص المعجزات ينتخب الوسائل المتعددة في إجراء المعجزة: **فباللمس** شفى الأبرص، **ومن على بُعد** شفى عبد قائد المائة، **وزجر الحمى** فشُفيت حماة سمعان، ثم **أمر الرياح** أمراً أن تهدأ فهدأت والأمواج الصاخبة فصمتت. **وأمر الشياطين** فانصاعت. ثم يجيء هنا في الأصحاح التاسع وبوسيلة لا تخطر على بال، **يغفر الخطايا** فيُشفى المفلوج وهي قمة السلطان الإلهي.

والمنظر أمامنا الآن منظر أخَّاذ، المسيح في بيتٍ ما في بلدته وهي بلدة بطرس أيضاً ومتى، وقد يكون البيت أحد بيوتهم، اجتمعت المدينة وما حولها في هذا البيت وخارجه، وجاء كتبة وفريسيون «وكان فريسيون ومعلمون للناموس جالسين وهم قد أتوا من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم. وكانت قوة الرب لشفائهم» (لو ٥: ١٧)، «وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب. فكان يخاطبهم بالكلمة» (مر ٢: ٢). وبهذا المنظر يمكننا أن نفهم لماذا صعد

حاملو المفلوج وهو طريح على فراشه ودلُّوه من السقف. اختصر ق. متى هذا كله وأعطى صورة المريض مطروحاً محمولاً. ولكن كانت فرصة المسيح الفريدة أن يعطي هنا وسيلة شفاء المفلوج مما يتفق تماماً مع رسالته التي جاء من أجلها متجسِّداً، ومتفقة تماماً مع ما سيتم على الصليب. ذلك أمام هؤلاء العلماء والدكاترة في الناموس والتعليم اليهودي، وهو يَعْلَم تماماً ثمن ما يقول! ولكنها كانت الفرصة العظمى أمامه لكي ينطق بغفران الخطايا، الأمر الذي لا يجوز إلاَّ لله وحده. ولكن ليعرف الجميع من هو قال مغفورة لك خطاياك، فقام المريض المشلول! والمعروف أن ليس لمرضه دواء أو شفاء!! فإن استكثروا على المسيح قولته بغفران الخطايا فلينظروا إلى المريض وقد استجاب للقول والمغفرة وقام معافىً حاملاً فراشه يمشي وسط الجموع!!

أليس هذا درساً في اللاهوت لا يحتاج إلى شرح أو مَثَلٍ أو قرينة؟

ثم أليس هذا برهان ميلاده من عذراء قديسة وهو ابن الله وقد تجسَّد ليرفع خطايا العالم ويقوِّم **الإنسان** المشلول وله خمسة آلاف سنة طريح الخطية ذليل الشيطان عبد الخوف من الموت والهلاك؟

ثم أليس هذا هو النسل الموعود لإبراهيم الذي ستتبارك به كل أُمم الأرض؟

ولكن دكاترة الناموس وورثة العهد والوعد أبناء إبراهيم خرجوا وهم يتشاورون كيف يقتلونه!!

«ثق يا بنيَّ»: θάρσει τέκνον

ترجمتها الصحيحة: "تشجَّع يا ولدي أو تقوَّ، **فقد غُفرت لك خطاياك**".

ليس من فراغ أيها القارئ العزيز يقول المسيح للمريض المشلول تشجَّع أو تقوَّ، فمرض الشلل يُوْدي بالأمل والرجاء ويصيب الإنسان باليأس من حالة وحياته ويشعر بأنه صار عالة وعلّة على قومه، ولم يعد له مكان أو مكانة إلاَّ عند يسوع المسيح. فقد دخل إلى قلب الرب وشعر بالحياة والرجاء والأمل والعز والعزَّة والوجود والترحاب. صار ولد المسيح المحبوب، ذلك كله قبل أن يغفر له خطاياه. أمَّا بعد الغفران فقد صار شريك حبِّه ومجده والمدعو إلى بيته الخاص وملكوته!! هذا درس لكل مريض مشلول فهو مُهدى له من الرب: "تشجَّع وتقوَّ يا ولدي" تكفيه نعمته ويعزِّيه قربه وحبه، أمَّا مغفرة الخطايا فقد نالها كل مشلول قبل مرضه وفي مرضه وبعد مرضه، لأن المسيح قد حمل أمراضنا قبل أن يحمل خطايانا. إنها دعوة عزاء لكل مريض استبدَّ به المرض، وقيل من ورائه أو سمع بأذنه أن لا شفاء ولا دواء. إلى هذا يقول الرب اليوم: تشجَّع يا ولدي وتقوَّ، أنا لك أفضل من شفاء وأفضل من دواء!! أنت حبيبي وواحدٌ من أهل بيتي تكفيك نعمتي. لقد حملتُ كل أسقامك ومرضك وعرفت ضيقتك ومررت في كل حزنك وأوصيت أن

تكون أول الجالسين على مائدتي. لا تحزن ولا تتألَّم من حالك، احزن على العالم وأهل العالم الأصحاء الذين أعطيتهم الصحة والمال والجمال وتركوني وأهانوا اسمي وصليبي. فتشجَّع أنت واحمل صليبك واتبعني بقلبك ولتكن عيناك مرفوعتين دائماً نحوي لأسكب عليك من عزائي. اسجد لي بقلبك واركع أمامي بروحك وانتظر تكميل وعدي! واحذر أن تعتقد أنه بسبب خطاياك أُصبت بهذا المرض أو ذاك، أو لأن الله أراد أن يضربك ويذلّك. حاشا للرب أن يجرِّب بالشرور. فإذا سألت ولماذا عمل فيَّ هكذا؟ اسأله لماذا عملوا فيه هو هكذا، إذ يصفه إشعياء النبي: «محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومُختَبِرُ الحزن ... فلم نَعْتَدَّ به ... لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها **ونحن حَسِبناه مُصَاباً مضروباً من الله ومذلولاً!**» (إش ٥٣: ٣و٤). فإن صرتَ مثله وحسبتَ نفسك مضروباً ومذلولاً فقد حسبك الله شريك آلام ابنه، شريك أحزانه وأوجاعه وذلّه. فافرح لأنك صرت شريك المسيح. فإن تألمنا معه تمجَّدنا معه (رو ٨:١٧)!!

«مغفورة لك خطاياك»:

قَبْلَ الصليب؟ نعم قَبْلَ الصليب!! **«لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا»** (مت ٩:٦). فالذي قدَّم جسده مكسوراً ودمه مسفوكاً قَبْلَ الصليب على مائدة عشائه السرِّي، له سلطان أن يغفر الخطايا ويهب العطايا، قبل الصليب وبَعْدَه.

٩: ٣-٨ «وَإِذَا قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَدْ قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: هذَا يُجَدِّفُ! فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، فَقَالَ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟ أَيُّمَا أَيْسَرُ، أَنْ يُقَالَ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَامْشِ؟ وَلكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا. حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: قُمِ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ! فَقَامَ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ. فَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعُ تَعَجَّبُوا وَمَجَّدُوا اللهَ الَّذِي أَعْطَى النَّاسَ سُلْطَاناً مِثْلَ هذَا».

«يجدِّف»: βλασφημεῖ

يُحسب الكلام تجديفاً على الله في ثلاث حالات:

(أ) نسبة أشياء غير لائقة إلى الله.

(ب) أشياء خاصة بالله تُنكر عليه.

(ج) حينما تُنسب صفات الله الخاصة إلى شخص آخر، إنساناً كان أو نبياً.

هؤلاء الكتبة معذورون، فحقاً بالحقيقة لا يستطيع أحد أن يغفر الخطايا إلاَّ الله وحده، ولكن

بعد أن قال المسيح للمفلوج بالمقابل: «قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك» وقام وحمل فراشه وسار بينهم عياناً بياناً برجليه ويديه المشلولة، فلم يعد لهم حق في الشك في لاهوته أبداً. فالقول بالغفران سبيل لإعطاء الصحة، فإن أعطى المسيح الصحة والعافية لمشلول لا يتحرَّك، فالقول مطابق للعمل. وهنا نجيء إلى منطق المسيح: «فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال» (يو ١٠:٣٨)!! فإن لم تؤمنوا بالقول و لم تؤمنوا بالعمل فقد حكمتم على أنفسكم بالتجديف!!

لذلك فإن معجزة غفران خطية المشلول وقيامه وحمله لسريره وسيره صحيحاً معافى إلى بيته هي حقًّا معجزة اللاهوت، هي المسيًّا ظاهراً وعاملاً ومُبَرهِناً على وجوده وعصره وعمله.

والآن مع القارئ العزيز نتأمَّل معاً: ماذا صنع ذلك المشلول ليستحق غفران الخطايا والشفاء بالكلمة، ثم ماذا عن كل المشلولين وكل المصابين بكل مرض عضال، ماذا عليهم أن يعملوا لتُغفر خطاياهم بالمثل ويُعْطَوْا الشفاء بالمقابل. وأمامنا المشلول لم يُطلب منه حتى الإيمان، إذ استبدله المسيح بهذه الجرأة التي قدَّمه بها أصحابه من فوق السقف. والمفروض أن لا يسأل مَنْ لا قدرة له على الجواب، ففي معظم حالات الشلل لا يتكلَّم المريض بل ويفهم بصعوبة.

والآن نحن أمام قضية من أخطر قضايا الإنسان، والله الذي أرسل ابنه الوحيد ليشفي هذا المشلول لم يرسله لمريض في إسرائيل، بل أرسله لإنسان العالم المريض والمشلول فيما يخص علاقته الصحيحة بالله. والمسيح الذي قال للمريض: «مغفورة لك خطاياك»، قالها على الصليب لكل إنسان له أُذن تسمع وقلب يصدِّق. فمن قَبِل المسيح وجاءه مثل ذلك المريض فقد نال حقَّه من مغفرة الخطايا بكل يقين نعرفه من جهة الإيمان وصدق مواعيد الله. أمَّا من جهة أمراض البشرية وشفائها فلا نقول إنها تُشْفَى أو شُفِيَت بل أُلغيت مع الخطية والموت. فالمريض الآن في المسيح يسوع هو مريض جسد فقط ولكنه صحيح روح، وآلامه محصورة في الجسد فقط ولا ينبغي أن تخرج عن مضمون ألم الجسد. وآلام الجسد شاركنا فيها المسيح، فالذي يتألَّم بالجسد وهو في المسيح فهو شريك آلام الرب، وبالتالي كما قال بولس الرسول فنحن لا نتألَّم وحدنا بل نتألَّم معه، لا كغرامة عن شيء، بل كرامة مع الذي تألَّم لنتمجَّد ونكون شركاء آلامه ومجده معاً. **فالمريض في المسيح يسوع المتألِّم بالجسد هو أسمى في الرتبة والقيمة من الصحيح في المسيح يسوع غير المتألِّم بالجسد.**

فالمريض إن كان في الرب يتألَّم وهو في الرب يصلِّي ويشكر ويسبِّح ولو بالقلب، فهذا قد صار "قدساً" في البيت، يتبارك منه أهل البيت ويقبِّلون يده كل يوم لأنه شريك آلام المسيح ومجده.

دعوة القديس متى صاحب الإنجيل

[٩:٩-١٣]

(مر ٢:١٣-١٧)،
(لو ٥:٢٧-٣٢)

تأتي دعوة ق. متى في الثلاثة أناجيل بعد شفاء المفلوج مباشرة وفي نفس المكان في كفرناحوم ومن نفس الموقع: مكان الجباية. وقد قدَّمنا كل ما يختص بهذا القديس الإنجيلي في مقدِّمة شرح الإنجيل (انظر صفحة ٢٠).

٩:٩ «**وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ رَأَى إِنْسَاناً جَالِساً عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ، اسْمُهُ مَتَّى. فَقَالَ لَهُ: اتْبَعْنِي. فَقَامَ وَتَبِعَهُ**».

بحسب إنجيل ق. مرقس كان هذا المكان الذي للجباية عند البحر. وفي هذا المعنى تتحدَّد عملية الجباية المذكورة أنها كانت الضرائب المفروضة على البضائع القادمة من سوريا عن طريق البحيرة في مراكب ومُرسَلة إلى الغرب عبر البحر الأبيض المتوسط، لأن هناك سكة رسمية إمبراطورية تربط كفرناحوم بالطريق العام التجاري الخاص بين سوريا ومصر. وهذه الضرائب كانت مصدر الدخل لحكام المنطقة ولروما أيضاً بنسبة ليست صغيرة.

ويقول ق. لوقا إنه بمجرَّد قبول متى دعوة المسيح: «فترك كل شيء وقام وتبعه» (لو ٥:٢٨). وواضح أنه بسبب أن ق. متى من نفس بلد المسيح كانت هناك علاقات سابقة على الدعوة أقنعت المسيح بصلاحية ق. متى كتلميذ ليكون من الاثني عشر بالرغم من وظيفته، لأنه كما تيقَّن للعلماء أنه كان "رابِّي" دارساً للتوراة والأنبياء والمزامير. ويُقال إن اللاويين فقدوا مكانهم في الهيكل بسبب طغيان عائلة الصدوقيين الذين احتلوها بالمناصب الكهنوتية للانتفاع العلني، فما كان من اللاويين الأتقياء إلاَّ أن يعملوا ليأكلوا من عرق جبينهم! لذلك كان ق. متى من أوائل الذين جمعوا أقوال الرب ودرسوها على أصولها النبوية الأُولى، وانشغل من أول يوم بكتابة إنجيله الذي ظهر بصورته العبرية أو الأرامية مبكِّراً جداً. وواضح أنه بسبب تقوى هذا اللاوي (الكهنوتي) اكتسبت المجموعة اتجاهاً مماثلاً، فكان من يومه الأول متحفِّظاً يقيس كل أعمال الرب على التوراة والأنبياء. وبمضي الزمن طغى اسم متى على اسم لاوي الذي عُرف به أولاً. واسم متى يعني: "عطية الله" وهو المقابل

العبري لاسم دوروثيئوس اليوناني. ومعروف أن الذي يعمل في الضرائب - وخاصة فيما يخص ضرائب الترانزيت التي تصدَّر إلى الخارج - كان يلزم أن يكون ضليعاً في اللغات واللهجات. لذلك كانت هذه المميزات مدبَّرة من الله لحساب الإنجيل. ولهذا اشتغل من أول يوم بتقييد كلمات المسيح وأقواله وجمعها معاً فيما يشبه الكتاب وقد أسماه بابياس: "اللوجيا λογία". وظنها العلماء أنها تعني مجرَّد كلمات. ولكن اكتُشِف أن الاسم هو الإنجيل في صورته العبرية الأُولى. ومن إنجيله يحس الباحث والقارئ أنه شخص متواضع أنكر ذاته كُلِّيةً. فلم يذكر عن نفسه شيئاً بعكس ق. لوقا الذي يكشف عن شخصيته دون تعمُّد. فالقديس متى لم يدع نوراً ولو ضئيلاً أن يظهر بجوار النور الذي أشرق في الظلمة على الجالسين في كورة الموت. ومن أول يوم في تلمذته يأخذ صفة المحبة والبذل والانفتاح على الجميع، فقد صنع في يوم التحاقه بالاثني عشر وليمة كبيرة في بيته.

١٠:٩ «وَبَيْنَمَا هُوَ مُتَّكِئٌ فِي الْبَيْتِ، إِذَا عَشَّارُونَ وَخُطَاةٌ كَثِيرُونَ قَدْ جَاءُوا وَاتَّكَأُوا مَعَ يَسُوعَ وَتَلاَمِيذِهِ».

كانت هذه وليمة وداع الوظيفة وزملاء العمل الذين حضروا جميعاً ليباركوا له دعوته واختيار الله له، مما يدل على أنه كان محبوباً ومحترماً بين زملائه ورؤسائه ومرؤوسيه. وهكذا جذبت الوليمة حتى الخطاة بمعنى الزناة أيضاً، لأن هؤلاء عرفوا مدى ترحاب المسيح لهم. فمجيئهم كان شهادة كرامة ومحبة شخصية للمسيح من الطبقات الدنيا المرفوضة التي كانت تتهافت على الحضور والسماع له، لأن روح التوبة كانت تسري في الشعب إثر عملية كرازة المعمدان. وقد عُرف أخيراً وبتأكيد أن المسيح جاء من أجل هؤلاء الخطاة والعشَّارين والبؤساء الذين يطلبون الحياة.

منظر عجيب ومُذهل، الرب القدوس جالس وسط زمرة من العشَّارين والخطاة والزناة يكسر الخبز ويمرِّر كأس حبه المشهور على محبيه الجالسين حوله في ألفة ومسرَّة ودالة وعشق منقطع النظير. منظر يثير أعصاب كل الناقدين والناقمين ومدَّعي النسك والقداسة والتعفف. ولكن مجلس المسيح هنا لا يقوى عليه أي جالس مهما علا صيته وعلت ديموقراطيته وتقرُّبه من الفقراء وادعاؤه حب المساكين، فهنا لا يجلس إلاَّ الإله خالق الجبلة الساقطة الذي جاء ليأخذ نجاستها في جسده ويعيد أجسادها لها جديدة مجدَّدة ومقدَّسة! هذا هو يوم الأنبياء جميعاً ويوم مسيَّا والبشرية التي فقدت رجاءها في حياة مع الله!! ... هنا مسيح الله الذي مسحه بالروح القدس ليبشِّر المساكين برضى الله وحبه مرسلاً بيد ابنه وحيده. هذه هي مائدة المسيَّا صورة أصلية لمائدة الملكوت في صورتها

الأُولى ونواتها التي انبثقت منها على الأرض.

٩: ١١-١٣ «فَلَمَّا نَظَرَ الْفَرِّيسِيُّونَ قَالُوا لِتَلاَمِيذِهِ: لِمَاذَا يَأْكُلُ مُعَلِّمُكُمْ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ؟ فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. فَاذْهَبُوا وَتَعَلَّمُوا مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ».

هنا يرتفع المسيح بالوسط المنحط، ولا ينحط إلى الوسط المنحط، الله لا يتسخ بوساخة الإنسان ولكن الإنسان والوسخ يتقدَّس بحضرة الله. المسيح يرتفع بالمريض إلى مستوى الصحة، هذا واضح لكل عين لم يُصِبْها العمى، ولكل أُذن لم تنسد عن سماع تمجيد الله من أفواه المشلولين والعمي والذين كان بهم شياطين! المسيح يرتفع بالخاطئ إلى عدم الخطية. كان هذا أمام أعينهم حيث أن عدم الخطية هي الصحة منتهى الصحة بعينها، البار عند نفسه ليس له عند المسيح مكان ولا مكانة لأنه اكتفى بنفسه من دون الله. أمَّا البار الحقيقي فهو في حضرة المسيح خاطئ بالحق يطلب الغفران. لذلك يقول المسيح: لم آتِ لأجل أبرار لا يطلبون الغفران والصحة، بل من أجل خطاة يطلبون بر الله لتُغفر خطاياهم ويصيروا أصحاء، أصحاء في كل شيء. أنا طبيب البشرية التي وقعت في أيدي اللصوص فنهبوها وعرُّوها وتركوها بين حي وميت. البشرية تصرخ تطلب رحمة، فعهد القرابين والذبائح ولَّى، فما أفادت القرابين والذبائح شيئاً. والرحمة التي أنا أقدِّمها، أقدِّمها من دمي ومن لحمي، فأنا أشتري البشرية لله بثمن وعلى صليبي أدفع المقدَّم والمؤخَّر.

«أريد رحمة لا ذبيحة»: ἔλεος θέλω καὶ οὐ θυσίαν

+ «إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات.» (هو ٦:٦)
+ «بغضتُ كرهتُ أعيادكم ولستُ ألتذُّ باعتكافاتكم. إني إذا قدَّمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي، وذبائح السلامة من مسمَّناتكم لا ألتفت إليها. أَبعِد عني ضجَّة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع.» (عا ٥: ٢١-٢٣)
+ «قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح. وماذا يطلبه منك الرب إلاَّ أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك.» (مي ٦:٨)

لقد أظهر المسيح بجلوسه وسط هؤلاء الخطاة والزواني والعشَّارين الرحمة في أجمل وأعظم معناها وفعلها، لأنه أعاد إلى نفوسهم إحساسهم بقربهم من الله، وارتفعت أرواحهم ومعنوياتهم. وانظروا كيف أنه مِنْ تأثُّر زكا بقبول المسيح له قدَّم التوبة مضاعفة وعهداً قطعه على نفسه أن يصنع الصالح

ويرد الأضعاف عن ما أخطأ. هكذا كل نفس ذليلة أحست بالمسيح حتى اليوم، فالمسيح أبو الرحمة وصانعها للبشرية جمعاء. وبالرحمة صنع من البشرية الذليلة أصدقاء لله والصدق والحق والألفة والحب.

إنهم بخبث عيَّروا التلاميذ بمعلِّمهم الذي يؤاكل العشَّارين والخطاة كما عيَّروا الأعمى: «أنت تلميذ ذاك وأمَّا نحن فإننا تلاميذ موسى» (يو ٩:٢٨). ولكن واحسرتاه! فموسى معلِّمهم ترك لهم قراره الأخير فيما كانوا عليه وفيما سيكونون، مخزوناً في مخازنه:

+ «إنهم أُمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأمَّلوا آخرتهم ... لولا أن صخرهم باعهم والرب سلَّمهم ... لأن من جفنة سدوم جفنتهم (كرمهم) ومن كروم عمورة. عنبهم عنب سمّ ولهم عناقيد مرارة. خمرهم حُمَةُ الثعابين وسِمُّ الأصلال القاتل. أليس ذلك مكنوزاً عندي مختوماً عليه في خزائني.» (تث ٣٢: ٢٨-٣٤)

السؤال عن الصوم

[٩: ١٤-١٧]

(مر ٢: ١٨-٢٢)،
(لو ٥: ٣٣-٣٩)

٩: ١٤و١٥ «حِينَئِذٍ أَتَى إِلَيْهِ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا قَائِلِينَ: لِمَاذَا نَصُومُ نَحْنُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ كَثِيراً، وَأَمَّا تَلاَمِيذُكَ فَلاَ يَصُومُونَ؟ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَنُوحُوا مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ وَلكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ».

أثارت وليمة متى العشَّار في ذلك الوقت نقمة المتزمتين من تلاميذ الفريسيين ويوحنا المعمدان الذين فرضوا على أنفسهم أصواماً كثيرة وتنسكات تشبُّهاً بجماعة الأسينيين المتعبدين. وكانت هذه بشبه صحوة كاذبة للتعلق بالتقوى الشكلية والأصوام الجسدية في مقابل حالة الانحلال والخطية التي عَمَّتْ الشعب. فكان رد المسيح أن تلاميذي يُعيِّدون الآن في أيامي عيد العهد الجديد، عرس الله والكنيسة، أبهج أيام شقاوة الإنسان على الأرض، أيام تنسّم الله رائحة رضى ارتفعت من الأرض لأول مرَّة بعد سقوط آدم. فالابن الوحيد المحبوب نزل ليخطب من البشرية عذراء عفيفة لله يأخذها لنفسه لتقف أمامه لتسبِّحه في بر الابن الوحيد بلا لوم في قداسة المحبة، وتمدح مجد نعمته التي أنعم بها أخيراً على البشرية الحزينة. فهذه أيام فرح لا يحل فيها حزن الصوم ولا نَوْحٌ على خطية، ولكن عندما يرتفع العريس تصوم الكنيسة تذكاراً لأيام فرحها وتهليلاً لخلاصها:

+ «لأنه كما يتزوَّج الشاب عذراء يتزوجكِ بنوكِ. وكفرح العريس بالعروس يفرح بكِ إلهك.» (إش ٦٢: ٥)

والمسيح يصوِّر أيامه بعيد ممتد، أو حفلة عُرس ذات بهجة وأفراح، والصوم والنوح لا يناسب وجوده بل غيابه.

٩: ١٦و١٧ «لَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ رُقْعَةً مِنْ قِطْعَةٍ جَدِيدَةٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ، لأَنَّ الْمِلْءَ يَأْخُذُ مِنَ الثَّوْبِ، فَيَصِيرُ الْخَرْقُ أَرْدَأَ. وَلاَ يَجْعَلُونَ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ، لِئَلاَّ تَنْشَقَّ الزِّقَاقُ، فَالْخَمْرُ تَنْصَبُّ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ. بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ فَتُحْفَظُ جَمِيعاً».

واضح أن المثل الأول والثاني لهما هدف واحد، ولكن لنتفهمهما أولاً، فالثوب العتيق نسيجه

ضعيف، والرقعة الجديدة نسيجها جديد قوي، فبالاستخدام لا يحتمل القديم ما يحتمله الجديد وهكذا يصير تفاوت في الاحتمال ينتج عنه تمزُّق. أمَّا الزقاق وهي قِربة يوضع فيها الماء أو الخمر قديماً، وهي من جلد الماعز أو الغنم، تُدبغ جيداً ويوضع فيها الماء أو الخمر. فالزقاق العتيقة جلدها ضعيف، فإذا وضعنا فيها خمراً جديدة - والخمر الجديدة تحتاج إلى وعاء يحتمل تخمُّرها وزيادتها في الحجم - ينشق الجلد من التمدُّد. والمثلان يوضِّحان أن التعليم القديم - للكتبة والفريسيين، كما أوضحه المسيح في العظة على الجبل - كان يحتاج إلى تداريب وضبط وصوم متواصل وجهد جسدي لتكميل الوصايا، لأن نعمة الخلاص المجاني لم تكن قد وُهبت للإنسان، فكان الاعتماد الكلي على مدى تدريب الإنسان على إخضاع حواسه وشهواته وطبيعته الجامحة للتوافق مع الوصايا.

أمَّا العهد الجديد - المسيح والتلاميذ - خاصة بعد أن اتضح عمله بعد القيامة وحلول الروح القدس، فيعتمد على الإيمان والنعمة وليس على جهد الإنسان. وهذا هو تعليم العهد الجديد، لا يتوافق مع الأعمال الحزينة ووسائل تعذيب النفس القديمة، بل يحتاج إلى فكر وقلب وضمير جديد يستطيع أن ينبذ الوسائل القديمة ويعيش بالروح معتمداً على الإيمان والنعمة. والمقارنة هنا ليست بين الخمر القديمة والجديدة، بل بين الوعاء القديم والوعاء الجديد. فالقديم اعتاد على وضع كان يناسبه، فلكي يقبل الوضع الجديد يلزم تغيير الوعاء الفكري والجسدي. وهنا الكلام منصب على تعيير الكتبة للتلاميذ أن معلمهم يأكل مع العشَّارين والخطاة وأنهم لا يصومون. هنا زقاق جديدة والخمر جديدة، وعقول الكتبة خمر قديمة في زقاق قديم. الفارق الضخم هنا مستور وهو التعليم وهدف التديُّن. أمَّا التعليم فالقديم يقول إن ليس على رجال الدين أن يعاشروا الخطاة والزناة لأنهم جنس مرفوض محكوم عليه بالموت، لأنهم يخطئون بإرادتهم، وكل خطية بالإرادة الحرة ليس لها ذبيحة وعلاجها الرجم.

هنا المسيح جاء خصيصاً كمعلِّم وفادٍ للخطاة والزناة والمرفوضين المحكوم عليهم بالرفض والقتل، بمعنى جاء ليعالج خطية العمد التي ليس لها ذبيحة، المحكوم على فاعلها بالقتل المحتَّم بالناموس. وهو يعلِّمهم أولاً لكي يكون لهم ثقة وشجاعة ومحبة لله قبل أن يقدِّم نفسه ذبيحة للآب من أجل خطاياهم. فالتعليم منبثق من ذبيحة فدية سيقدِّمها من أجلهم ليربحهم قديسين وبلا لوم في المحبة. هذا أمر مرفوض ١٠٠٪ من جهة الكتبة والفريسيين والكهنة أصحاب التعليم القديم وأصحاب الذبائح القديمة، إلاَّ إذا احتسب الكاتب والفريسي والكاهن نفسه أنه خاطئ ومستوجب الموت، لأنه يفعل أفعال العشَّارين والزواني إنما في السر بعيداً عن يد الناموس! وهذا هو نفسه روح العظة على الجبل: قيل لكم في القديم (والكلام هنا موجَّه ضمناً للكتبة والفريسيين واللاويين عموماً) أن

القتل يوجب القتل، أمَّا أنا (يسوع المسيح العهد الجديد) فأقول لكم إن مَنْ غضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب (نفس) الحكم. إذن، نفس الحكم يقع على الكتبة والفريسيين والكهنة واللاويين جميعاً! هنا أصبح انتقاد أقوال المسيح وأعماله يشكِّل فضيحة لحقيقة الفكر القديم.

إقامة ابنة رئيس من الموت
وشفاء امرأة نازفة دم

[٩:١٨-٢٦] (مر ٥:٢١-٤٣، لو ٨:٤٠-٥٦)

تأتي هذه الحادثة المزدوجة بعد حديث المسيح الذي عقَّب به على ناقدي حضوره وليمة العشاء مع العشَّارين، ونقد تلاميذ المعمدان بخصوص عدم صوم التلاميذ. والقديس متى يضم هاتين المعجزتين لبقية الحديث عن المعجزات.

٩:١٨ «وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ بِهذَا إِذَا رَئِيسٌ قَدْ جَاءَ فَسَجَدَ لَهُ قَائِلاً: إِنَّ ابْنَتِي الآنَ مَاتَتْ، لكِنْ تَعَالَ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهَا فَتَحْيَا».

لا يذكر القديس متى هنا اسم هذا الرئيس، ربما تحاشياً لإحراج السيناجوج، فهو عضو كبير في هيئة خدَّام المجمع المسئولين، واسمه يذكره ق. مرقس وق. لوقا: «وإذا واحد من رؤساء المجمع اسمه "يايرُس" جاء ولمَّا رآه خرَّ عند قدميه وطلب إليه كثيراً قائلاً ابنتي الصغيرة على آخر نسمة، ليتك تأتي وتضع يدك عليها لتُشفى فتحيا» (مر ٥:٢٢و٢٣). يُلاحَظ هنا أن ق. متى لم يخفِ حقيقة طلب الرئيس يايرُس بل قالها على المكشوف إنها ماتت، والطلب قدَّمه رسمياً ليقيمها من الموت. ولأن هذا حدث مباشرة بعد الوليمة، والوليمة كانت في كفرناحوم، فرئيس المجمع هذا هو لمجمع كفرناحوم حيث كان يذهب المسيح ويعظ، وكانت معجزات كثيرة تُعمل هناك. وق. متى يختصر الكلام هنا للغاية، فهاتان المعجزتان ذكرها ق. لوقا في ١٧ آية وق. مرقس في ٢٣ آية، أمَّا ق. متى فاكتفى بتسع آيات!! والكل استرعاهم سجود رئيس المجمع عند قدمي يسوع المسيح، وهذا أيضاً لا يسترعي انتباهنا بل يجعلنا نتقيَّأ هذا الرياء، إذ في المجمع كم مرَّة يصادرون المسيح في تعليمه خاصة في الشفاء يوم السبت، وهنا يخر ويسجد للمسيح كالله؟! هذا أمر يحيِّر العقل في أمر هؤلاء الرؤساء

الذين تسببوا في هلاك أُمة عن غير حق إرضاءً لريائهم الديني القاتل!

والسؤال هنا ليايرُس الرئيس: أما كان المسيح قادراً أن يضع يده على الأُمة فتقوم من نزعها الأخير وتحيا وتعيش وتصير هي نوراً للأُمم؟

والفارق بين رواية ق. مرقس وق. لوقا ورواية ق. متى هنا هو أنه في الإنجيلين السالفين قيل للمسيح أن يضع يده عليها فتشفى، أمَّا هنا يضع يده عليها فتقوم من الموت، وهذا راجع إلى أن البنت ماتت والمسيح في الطريق إلى بيت هذا الرئيس، فيبدو أنه لم ييأس بل طلب طلبه الثاني هذا عن إيمان وتقدير فائق الحد.

٩: ١٩–٢٢ «فَقَامَ يَسُوعُ وَتَبِعَهُ هُوَ وَتَلاَمِيذُهُ. وَإِذَا امْرَأَةٌ نَازِفَةُ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً قَدْ جَاءَتْ مِنْ وَرَائِهِ وَمَسَّتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ، لأَنَّهَا قَالَتْ فِي نَفْسِهَا: إِنْ مَسَسْتُ ثَوْبَهُ فَقَطْ شُفِيتُ. فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَأَبْصَرَهَا، فَقَالَ: ثِقِي يَا ابْنَةُ. إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ. فَشُفِيَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ».

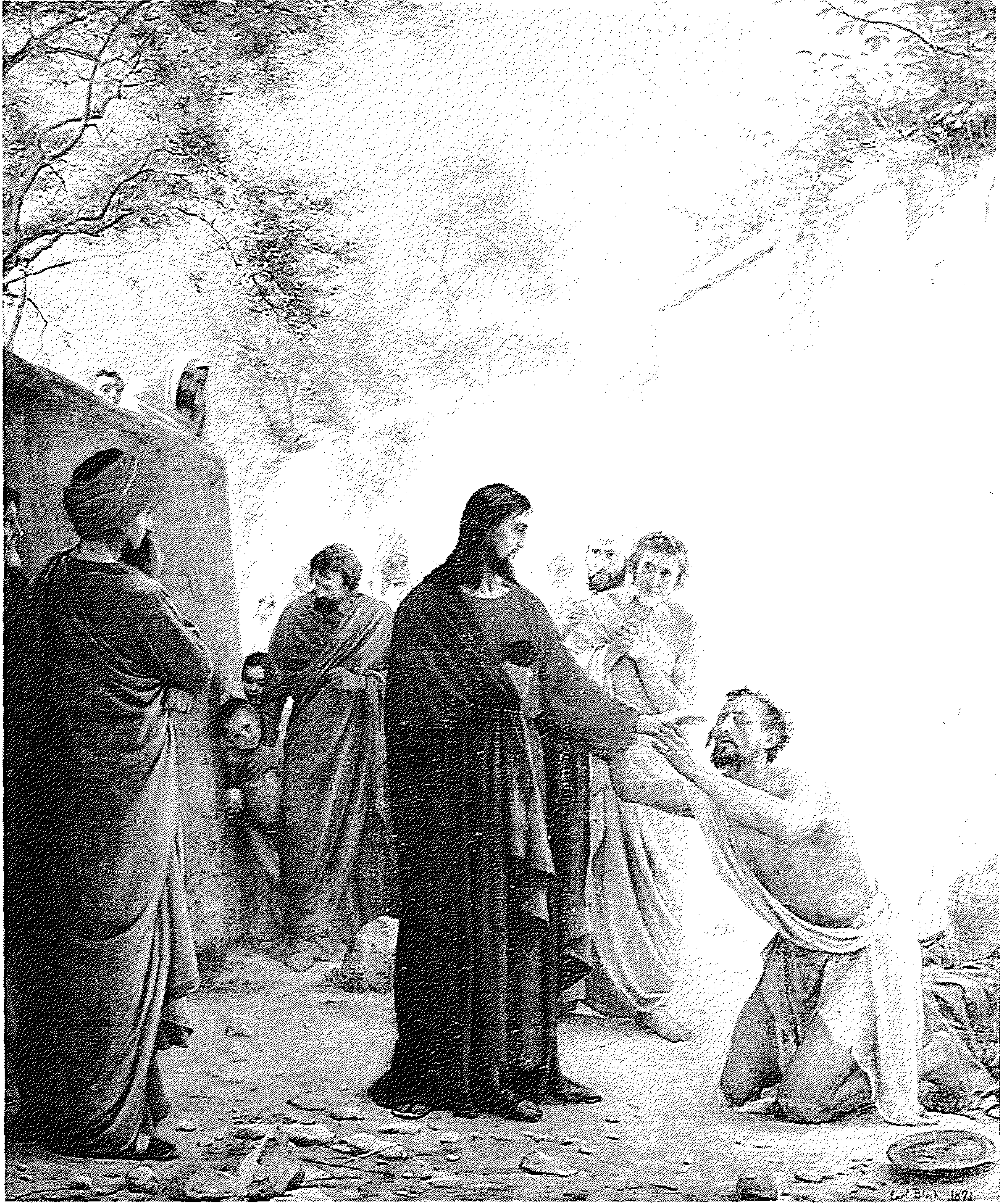
«فقام»: ἐγερθείς

قد يبدو أن المسيح كان جالساً ولكن هذا لا يثبته الحال، فالمسيح قام من بيت ق. متى عن "العزومة"، وفي طريقه قابله تلاميذ المعمدان، وهو إذ ما يزال يتحدَّث معهم جاء هذا الرئيس يايرُس، فمن أين قام؟ هنا يقترح العالِم هندركسن – وهو على حق – أن كلمة "قام" هنا لا تعني أنه كان جالساً بل «قام معه» بمعنى أسرع في الحال ليتَّجه معه نحو البيت. هذه الحركة يصوِّرها ق. مرقس بحذق: «فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت فقال لرئيس المجمع لا تخف آمن فقط» (مر ٥: ٣٦). وهنا يضيف ق. مرقس أمراً أنه ليس جميع التلاميذ تبعوه بل انتقى منهم بالتعيين: «ولم يدع أحداً يتبعه إلاَّ بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب» (مر ٥: ٣٧). وهنا لا تفوتنا هذه اللفتة، فقد لاحظنا أن المسيح عندما كان ينوي على أمر جلل، فهو لا يدع الكل يتبعه، وحتى تلاميذه يعيِّنهم ولا يأخذ معه إلاَّ هؤلاء الثلاثة، ووضح هذا الأمر جداً في حادثة التجلِّي مما جعل ق. بطرس يفتخر بقوة: «لأننا لم نتبع خرافات مصنَّعة إذ عرَّفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين عظمته، لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنا معه في الجبل المقدَّس» (٢بط ١: ١٦–١٨). كذلك اختار المسيح يوم آلامه هؤلاء الثلاثة لكي كما شاهدوا مجده يشاهدون سحق نفسه أمام الآب في الصلاة والعرق يتصبَّب قطرات دم شاهدوها وشهدوا.

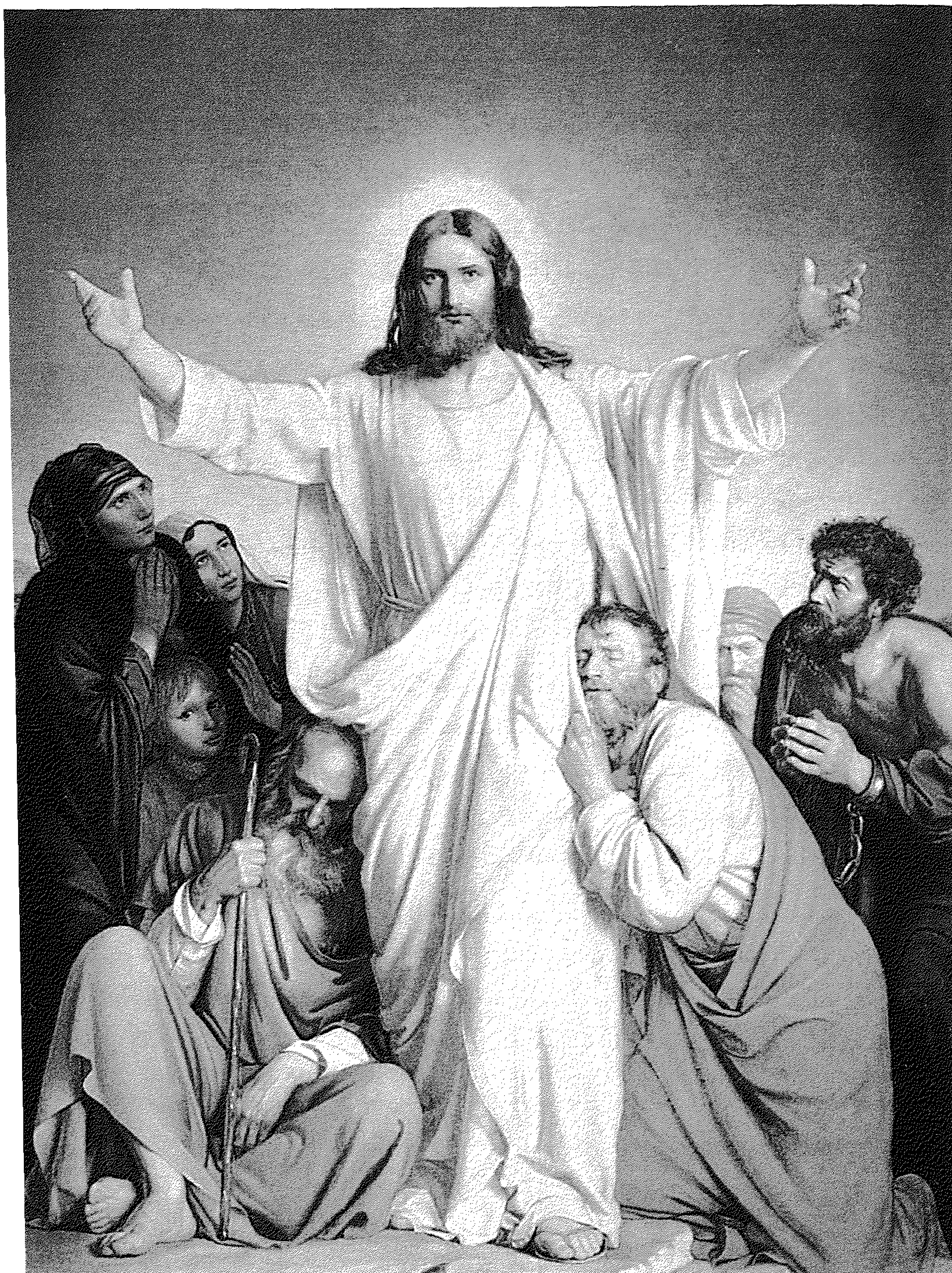
ولكن والجمع سائر نحو بيت يايرُس إذ فجأة يتوقَّف المسيح، وحسب إنجيل ق. مرقس يتلفَّت حوله ويقول: قوة قد خرجت مني. وهنا تظهر الامرأة بطلة الإيمان بلمس الثوب تعترف بحسب إنجيل ق. مرقس: «فللوقت التفت يسوع بين الجمع شاعراً في نفسه بالقوة التي خرجت منه فقال مَنْ لمس ثيابي؟ فقال له تلاميذه أنت تنظر الجمع يزحمك وتقول مَنْ لمسني؟ وكان ينظر حوله ليرى التي فعلت هذا، وأمَّا المرأة فجاءت وهي خائفة ومرتعدة عالمة بما حصل لها فخرَّت وقالت له الحق كله. فقال لها ...» (مر ٥: ٣٠-٣٤). أمَّا ق. متى فيستمر مختصراً الكلام: «فالتفت يسوع وأبصرها فقال: ثقي يا ابنة إيمانك قد شفاكِ. فشُفيت المرأة من تلك الساعة»، أي بحسب تحقيق قول المرأة أنها شُفيت لحظة أن مسَّت ثوب المسيح! إنها بطلة من أبطال الإيمان الهادئ الصامت الحاسم.

أمَّا المسيح في هذا الحادث المفاجئ الذي قطع عليه المسير، فهو إله المفاجآت، لا يراجع ولا يعاتب بل يلاطف ويقف، وكأنه كان سائراً لحساب نازفة الدم وليس لرئيس وابنة في نزع الموت ويحتاج إلى إسراع ولو إلى ثانية واحدة، وهذه أوقفته لحسابها، وكان سروراً لنفسه ومزيداً من عمله وحبه، وودَّعها وكأن ليس وراءه بعدها من شيء! أليس هو القائل فوق كل الحوادث والآيات والعظات: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم»؟ (مت ١١:٢٨) وليس مفاضلةً بين نازفة حياة ونازفة دم، فالأسبق أولى بالحياة!!

ولكن ولأن المرأة أفصحت عن مرضها وصار معلوماً، ولو أن ق. متى لا يريد أن يدخل بنا إلى التفاصيل، ولكن دخل إليها كل من القديس مرقس وق. لوقا. وهكذا فتحا الباب لنا لكي ندخل ونحكي عن هذه المرأة ونزيفها. فكما قلنا هو نزيف دم يؤدِّي إلى نزف حياة، فتوجد أصناف من علله ليس لها شفاء كما حقَّق ق. مرقس: «وقد تألَّمت كثيراً من أطباء كثيرين وأنفقت كل ما عندها ولم تنتفع شيئاً بل صارت إلى حال أردأ» (مر ٥:٢٦)، ويُؤمِّن على هذا ق. لوقا ويعمل تحفُّظاً لسمعة الأطباء التي شهَّر بها ق. مرقس فقال إنها هي وليس الأطباء «لم تقدر أن تُشفى» (لو ٨:٤٣)، على أي حال صرفت ما عندها ولم تُشفَ. وهذا النزيف ولو أننا نخرج قليلاً عن تخصصنا إلاَّ أنه ينبغي للقارئ أن يعرف أنه أحياناً كثيرة لا يُشفى ويكون نزيفاً مستمراً لا يتوقَّف فينزل المريض إلى حالةٍ سوء تذهب بعافيته، ويفقد القدرة على مواصلة الجهاد، فلا يقوى على شيء ولا على الوقوف، لا تستطيع أن تذهب إلى مجمع ولا أن تسلِّم على الناس. ولكن فوق كل هذا إحساس بالموت يسري في كيانها. فأحياناً يكون سبب النزف هو سرطان، أو هو سيولة في الدم. هنا يصبح الذي عمله المسيح معها، أو التي فعلته سرًّا بلمس ثوبه، نوعاً من حياة جديدة تسرَّبت إلى جسدها



المسيح يلمس عينيَّ الأعمى



«ولمّا رأى الجموع تحنّن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها» (مت ٩: ٣٥)

الناحل الهزيل ليجري دمها في عروقها من جديد، صبيَّة لها كل ما للنساء من إمكانيات. إنها معجزة حياة من بعد موت. وجيد أن يجعلها ق. متى مع الصبية الأخرى التي ماتت ويطلبون لها الحياة.

٩: ٢٣–٢٦ «وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ الرَّئِيسِ، وَنَظَرَ الْمُزَمِّرِينَ وَالْجَمْعَ يَضِجُّونَ، قَالَ لَهُمْ: تَنَحَّوْا، فَإِنَّ الصَّبِيَّةَ لَمْ تَمُتْ لكِنَّهَا نَائِمَةٌ. فَضَحِكُوا عَلَيْهِ. فَلَمَّا أُخْرِجَ الْجَمْعُ دَخَلَ وَأَمْسَكَ بِيَدِهَا، فَقَامَتِ الصَّبِيَّةُ. فَخَرَجَ ذلِكَ الْخَبَرُ إِلَى تِلْكَ الأَرْضِ كُلِّهَا».

حفلة جنازة موسيقية، أخذها اليهود عن المصريين القدماء، ولكن ما كان المصريون يودِّعون به الروح إلى مقرِّها بالموسيقى والأناشيد الحزينة، أخذ عنهم اليهود الموسيقى وكلمات الرثاء لاستدرار البكاء والعويل بواسطة ندَّابات تخصَّصن في إثارة عواطف الحزن والنحيب. وطبعاً لأن المصاب لرئيس ديني فكل طغمة المجمع وخدَّامه اجتمعوا. وكما وصفها ق. متى: «مزمرين والجمع يضجون». هؤلاء بادرهم المسيح أن يتوقَّفوا ويتركوا المكان وأعطاهم السبب الذي سخروا منه: إنه ليس موتاً بعد حتى تقيموا أعمال الموت، فالابنة بمجرَّد نائمة! هذه هي رؤية المسيح التي حقَّقها بالفعل، فهنا لم يكن للموت كلمته الأخيرة والرب موجود.

فلمَّا خرج الجميع، دخل المسيح مع أبويها وتلاميذه الثلاثة، وهنا يعطينا ق. مرقس وصفاً أقرب: «وأخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية مضطجعة. وأمسك بيد الصبية وقال لها: طَلِيثَا قومي الذي تفسيره يا صبية لكِ أقول قومي. وللوقت قامت الصبية ومشت لأنها كانت ابنة اثنتي عشرة سنة. فبُهتوا بهتاً عظيماً» (مر ٥: ٤٠–٤٢). ولكن ق. متى اختصرها على أنها معجزة إقامة من الموت بقوة وتحديد: «فقامت الصبية».

وطبعاً معروف المرات والمواضع التي تمَّت فيها قيامة حقيقية من الموت في إنجيل ق. متى: قيامة المسيح (٢٨: ٦)، والقديسون الذين قاموا من القبور لحظة موت المسيح (٢٧: ٥٢و٥٣)، والموتى الذين أقامهم المسيح أمام تلميذي يوحنا المعمدان «والموتى يقومون» (مت ١١: ٥). لكن ق. متى لم يذكر قيامة لعازر من الموت كما لم يذكر إقامة ابن أرملة نايين (لو ٧: ١١–١٧).

وبهذه المعجزة التي تمَّت بالقيامة من الموت يكون ق. متى قد بلغ قمة حديثة عن معجزات المسيح في هذا الجزء من إنجيله، حيث أظهر يسوع قادراً أن يقيم من الأموات!

غير أنه أضاف في نهاية هذا الأصحاح معجزتين أخرتين:

أعميان على الطريق

[٩: ٢٧–٣١]

٩: ٢٧–٣١ «وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ تَبِعَهُ أَعْمَيَانِ يَصْرَخَانِ وَيَقُولاَنِ: ارْحَمْنَا يَا ابْنَ دَاوُدَ. وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ الأَعْمَيَانِ، فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: أَتُؤْمِنَانِ أَنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ هذَا؟ قَالاَ لَهُ: نَعَمْ يَا سَيِّدُ. حِينَئِذٍ لَمَسَ أَعْيُنَهُمَا قَائِلاً: بِحَسَبِ إِيمَانِكُمَا لِيَكُنْ لَكُمَا. فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا. فَانْتَهَرَهُمَا يَسُوعُ قَائِلاً: انْظُرَا، لاَ يَعْلَمْ أَحَدٌ! وَلكِنَّهُمَا خَرَجَا وَأَشَاعَاهُ فِي تِلْكَ الأَرْضِ كُلِّهَا».

كان شفاء هذين الأعميين من حصيلة ذلك اليوم المملوء بالآيات، بالإضافة إلى أخرس آخر ربطه الشيطان. وقد تربَّص الأعميان خلف بيت رئيس المجمع، وبمجرَّد خروج المسيح تتبَّعاه وهما يصرخان بلا توقُّف. ويظهر أنهما سمعا عظة القرع على الباب (مت ٧: ٧)، وقد اختارا اسم ابن داود ليعتبرا نفسيهما من بني مملكته، أليسا هما أولاداً لإبراهيم. وقد ظل المسيح يمشي دون أن يلتفت لهما، ولعلَّه كان يقيس طول أناتهما في اللجاجة كما يصنع الله. إلى أن بدأ يدخل البيت. أي بيت؟ هل بيت العائلة أم بيت تلميذ له؟

تحقيق:

«فقال لهما يسوع: أتؤمنان أني أقدر أن أفعل هذا»؟ فالأمر خطير والعملية عملية تركيب عينين أو أربعة عيون جديدة بشرايينها وأوردتها وعدساتها اللامعة والقرنية والشبكية وهي أصعب ما في العين؟ ولا مشرط ولا نقل دم ولا تعقيم ولانوم ولامخدِّر ولاغرفة إنعاش ولاعناية مركَّزة!! وإجراء العملية وقوفاً على الباب الخارجي للبيت وتراب الحارة والذباب وكل ميكروب يخطر على البال، ولكنهما قالا: «نعم يا سيد»!! وهنا السؤال لا ينصب على كيفية عودة الإبصار لهما، ولكن كله منصب على شخص المسيح نفسه: «**أتؤمنان أني أقدر أن أفعل هذا**»؟ هكذا سلَّم الأعميان لشخص المسيح كل إيمانهما على أن يُجري العملية كاملة على حسابه بانتظار كلمة واحدة، فينظران هذا الذي يقال له المسيَّا الحبيب، وينظران العالم بشمسه وقمره وناسه وجماله وقبح الإنسان فيه.

ولكن المسيح اعتمد على إيمانهما في الشفاء: «حينئذ لمس أعينهما قائلاً: بحسب إيمانكما ليكن لكما»

كما قال لنازفة الدم. وهكذا بإيمانهما فيه وإيمانهما في إمكانية الرؤية الجديدة «فانفتحت أعينهما».

من أين أتى المسيح بهذه العيون الأربعة ببريقها وجمالها وصحة إبصارها على الحد الأعلى ٦/٦؟ من أين؟ إنه حتماً الخالق يباشر عمله! ولكن لم يجيء من أجل العيون الصحيحة الجميلة وحسب، بل من أجل بشرية جديدة بجملتها بصحتها كاملة وبجمالها الذي لن يخبو. وهذه العيون التي خلقها وإقامته لابنة يايرُس ولعازر، كلها عربون منظور لما سيكون.

ابراء رجُل أخرس مجنون به شيطان

[٩: ٣٢-٣٤] (مر ٧: ٣٢-٣٥)، (لو ١١: ١٤)

٩: ٣٢-٣٤ «وَفِيمَا هُمَا خَارِجَانِ إِذَا إِنْسَانٌ أَخْرَسُ مَجْنُونٌ قَدَّمُوهُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا أُخْرِجَ الشَّيْطَانُ تَكَلَّمَ الأَخْرَسُ، فَتَعَجَّبَ الْجُمُوعُ قَائِلِينَ: لَمْ يَظْهَرْ قَطُّ مِثْلُ هذَا فِي إِسْرَائِيلَ! أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَقَالُوا: بِرَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ».

سبق أن شرحنا هذه الحالة في إنجيل ق. مرقس وإنجيل ق. لوقا. ولكن نقول هنا باختصار أن الأرواح الشريرة حينما تسكن إنساناً وتميته تأخذ اسمه وصفاته وتعمل بها في آخرين. وهنا حالة إنسان طبيعي ليس أخرس ولا أصم، ولكن إذا دخله روح شرير كان قد اقتنص إنساناً أخرس أصم فهو يمتلك صفاته لتمثيلها تمام التمثيل، ثم يُجبر الذي يسكنه أن يؤدِّي الأدوار نفسها عنوة، فيظهر أنه أصم وأخرس مهما حاول القوم أن يجعلوه يتكلّم أو يسمع. كالأعمى الأخرس في إنجيل ق. متى (١٢: ٢٢). والدليل أن هذا الأخرس لم يكن أخرس في السابق، أنه بمجرَّد أن أخرج المسيح منه الشيطان تكلّم في الحال. علماً بأنه لم يُجر عليه أي إجراءات الشفاء من المرض. وهكذا يستطيع الشيطان أن يُخرس الإنسان دون خرس. وكلمة κωφός تعني: "أصم أخرس".

هذا المجنون الأخرس قدَّموه للمسيح بعد أن شفى عيون الأعميين فشفاه، ويختصر ق. متى كل ما تمَّ له بهذه الكلمة: «فلمَّا أخرج الشيطان تكلَّم الأخرس». وواضح هنا أن الشيطان هو الذي عقد لسانه كدور تمثيلي أجبره على أدائه عنوة. وهنا مهانة للجبلة البشرية، أشد مهانة. وإزاء هذا الشفاء السريع الواضح تعجَّب الجموع قائلين: «لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل». ولكن الفريسيين

انعمت عيونهم وانعقد لسانهم عن النطق بالحق كما رأوه كبقية الناس، ولكن لخبث ضمائرهم وخيانة قلوبهم لله والحق لم يعترفوا بل جدَّفوا تجديفاً لا يُغفر لهم، إذ قالوا إنه برئيس الشياطين يُخرج المسيح الشياطين. وكأنهم تقمَّصوا فكر الشيطان في قلب الحقائق، واستعاروا لسانه لينطق بالتجديف.

وهنا آخر المطاف لتقديم ق. متى للمعجزات، وقرار الفريسيين الأخير عنها. وسوف يناقشهم المسيح في قرارهم هذا في (١٢:٢٤) فإلى هناك.

الحصاد كثير والفعلة قليلون

[٩:٣٥-٣٨]

(مر ٦:٦و٣٤)،
(لو ١٠:٢)

٩:٣٥ «وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ الْمُدُنَ كُلَّهَا وَالْقُرَى يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهَا، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ فِي الشَّعْبِ».

القديس متى هنا يكرِّر ما سبق أن قاله في الأصحاح (٤:٢٣) في بداية خدمته: «وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلِّم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعفٍ في الشعب». وكل التغيير الذي أضافه على الآية السابقة أن ذكر: "المدن كلها والقرى" بدل الجليل، وكأنما يعيد الكلام بأكثر تحديد. ولكن رواية ق. متى تستمر كما هي بكل دفعها بخصوص كرازة الجليل حتى الأصحاح (١٥:٢٠). وإلى هنا يكون المسيح قد أكمل تعليمه بالحكمة الروحية العالية، وأدَّى أعمال الآيات بقوة أذهلت كل مَنْ رأى وسمع. ولكن بالنسبة للكتبة والفريسيين كانت استجابتهم عنيفة النقد والمراجعة والاتهام مما يكشف مستوى الحقد والحسد الذي يزداد بازدياد التعليم والمعجزات، الذي بلغ قمته هنا بهذا التعبير الذي يخرجهم عن دائرة العقلاء وليس الحكماء. الأمر الذي أمسكه المسيح عليهم كمنطوق حكم الدينونة الذي سيُدانون به: «إن كانوا قد لقَّبوا رب البيت بعلزبول، فكم بالحري أهل بيته!» (١٠:٢٥)، وكرَّروها إذ رأوا فيها ما يشفي غليلهم: «أمَّا الفريسيون فلما سمعوا قالوا هذا لا يُخرج الشياطين إلاَّ ببعلزبول رئيس الشياطين» (١٢:٢٤). وكان هذا التصرُّف من جهتهم يتمشَّى مع قرارهم النهائي بضرورة قتله لأنهم صغروا جداً أمامه وضاعت هيبتهم إزاء تعاليمه وانبهار الشعب به وبمعجزاته التي أطاحت بشخصياتهم حتى الطين، إذ لم يعد أمامهم إلاَّ إما أن يخضعوا ويسجدوا أمامه، أو يقتلوه، ولا حلّ آخر أمامهم. فلمَّا استكثروا

عليه أن يكون كالله وهو كذلك، قالوا إنه شيطان ليريحوا كبرياءهم المدحور.

وهكذا تطوَّرت كرازة المسيح بواسطة هؤلاء الكتبة والفريسيين إلى حرب مرَّة، وقليلاً قليلاً بدأ شبح الصليب يظهر في الأفق.

وإزاء الشعب الذي يتجمهر ويجري وراءه، وإزاء صورة الصليب التي تقترب أمامه، رأى مدى حاجة الشعب إلى تلاميذ وخُدَّام قبل أن يترك الميدان.

٩: ٣٦-٣٨ «وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ، إِذْ كَانُوا مُنْزَعِجِينَ وَمُنْطَرِحِينَ كَغَنَمٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا. حِينَئِذٍ قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: الْحَصَادُ كَثِيرٌ وَلكِنَّ الْفَعَلَةَ قَلِيلُونَ. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ».

كانت أقوال المسيح وتعاليمه الهادئة والمريحة مع الأشفية المستمرة سبباً مباشراً في جعل الشعب يهجر بيوته وأعماله ويتجه نحو المسيح أينما ذهب، في البيت، في الجبل، في البحيرة، كانوا يتخابرون بحاسة لا تخطئ أين سيذهب وأين سيختفي منهم، حتى لم يجد المسيح الفرصة لنومه، فنام في المركب، ولم يجد فرصة لأكل الخبز، فشفى على باب بيته الأعميين والأخرس الذي أخرسه الشيطان.

«تحنَّن عليهم»: ἐσπλαγχνίσθη

هنا شعور من امتلأت أحشاؤه بالرحمة، لأن الفعل شمولي يوضِّح رد فعل مشاعر المسيح إزاء تجمُّع الشعب المتعب والممزَّق بمنظر الغنم المبدَّدة. ففي كل مرَّة يجدهم يتجمهرون حوله كان يتحنَّن عليهم كراعٍ يهدئ من روع خرافه أو يشفي أوجاعها. كانت أخطر مشاكل حياتهم هي حيرتهم أمام طاعة الله وتعليم الفريسيين الذين كانوا يضعون عليهم أحمالاً ثقيلة الحمل ولا يحرِّكونها بإحدى أصابعهم! (لو ١١: ٤٦)، ويُرعبونهم بالناموس كعصى ثقيلة مرفوعة فوق رؤوسهم، ومن ضيقهم ذهبوا إلى آلهة الأُمم التي تُسترضى بالرخيص وتُعطي الحلّ لكل خطية. لأن إله إسرائيل أصبح بتصوير الفريسيين والناموس إلها مرعباً له على المدى من الذبائح نصف القطيع، وإن كفَّت، ذبائح استرضاء وتطهير وكفَّارة ومواسم بلا حصر! وطول النهار غسيل وتطهير حتى للأسرَّة التي ينامون عليها، والماء في إسرائيل شحيح!! فنصف الحياة تطهير وغسيل والنصف الآخر ذبائح لاسترضاء الله. أمَّا الفقراء ومساكين الأرض والخطاة فهي حثالة البشرية التي تُعامل معاملة المنبوذين في الهند!!

وبهذا الإحساس الطاغي بالمسئولية من جهة هذا الشعب الذي فقد رعاته قال لتلاميذه: «اطلبوا

من رب الحصاد أن يُرسل فعلة إلى حصاده»، لأنه يعلم أن بعد ذهابه سيخلو الجو للكتبة والفريسيين، لهذا يسبق ويطلب ما يليق بالحصاد الذي زرعه بيده وهو وشيك أن يملأ إسرائيل والعالم. ونحن لا نستطيع أن نستحي من القول إن المسيح وهو رب الحصاد - وليس في ذلك أدنى شك - يطلب من التلاميذ أن يطلبوا منه أن يُرسل فعلة إلى حصاده[1]، لأن الكنيسة وهي جسده تطلب إليه كرئيس وهو يسمع ويستجيب، وإن يكن الجسد متوافقاً مع الرأس لسد أعواز أعضائه تنمو الكنيسة وتزدهر. وهو الذي يضع في قلوبنا ما ينبغي أن نصلّي به.

وإلى الآن صارت هذه صرخة كل راعٍ وكل خادم أمين ثقّل المسيح على كتفه بنير مسؤولية النفوس الثمينة.

وكان ق. متى في ترتيبه للحوادث حاذقاً لمّاحاً، فهنا جعل الأصحاح القادم دعوة التلاميذ وإرسالهم بعد أن دعَّمهم بسلطان النعمة والقوة.

وواضح هنا أن ق. متى يضع ملخّصاً لإرسالية المسيح في الأصحاحات السالفة (٥-٩) ثم يجعلها هي نفسها مقدِّمة لإرسالية التلاميذ، بمعنى أن يتسلّموا منه الرسالة عينها مدعِّماً إرساليتهم بالصلاة من أجل إرسال فعلة جدد، لأن الحصاد أصبح وفيراً والشعب لا راعي له.

(1) J.A. Bengel, *Gnomon of the N.T.*, vol. 1, p. 232.

الأصحاح العاشر

الحديث الثاني الكبير

إرسالية الاثني عشر

[١٠: ١-٤٢]

دعوة التلاميذ وإرسالهم

[١٠: ١-٤٢]

(مر ٣: ١٣-١٩، ٦: ٧-١٣)، (لو ٦: ١٢-١٦، ٩: ١-٦)

يحتوي هذا الأصحاح بدءاً من الآية (٥) حتى النهاية واحدة من أطول أحاديث المسيح التعليمية، وتُعتبر الثانية بين الخمسة أحاديث الكبرى.

والمدقِّق في حديث المسيح **التعليمي** للتلاميذ يمكنه بسهولة استخراج صفات المسيح التي يتحدَّث ويعلِّم من خلالها، فمن أول الحديث مع تلاميذه يلحظ القارئ أن المسيح يستعلن مشيئة الآب **بروح نبوية واضحة**، إذ مع استعلان مشيئة الآب يسبق ويتحدَّث عن آلام في الأفق تنتظرهم. ومن الآية (١٦) حتى النهاية يركِّز المسيح على المستقبل وأحداثه وما ستواجهه الكنيسة. ثم تظهر **الروح الكهنوتية** التي يتكلَّم من خلالها عن آلامه من أجل الكنيسة (٣٨) وإنما في عدم وضوح. وبالتالي فالتلاميذ يتحتَّم عليهم حمل الصليب واتباع المعلِّم وسيبغضونهم كما أبغضوا معلِّمهم!

ولكن في النهاية تظهر **الروح الملكية** (٤٠)، إذ يتكلَّم المسيح كملك الملوك (رؤ ١٧: ١٤)، كملك يُرسل سفراءه إلى كافة الأنحاء ولكن يعضِّدهم منذ أول آية بسلطانه الخاص (١:١٠). وهكذا تضاف هذه الصفات على الصفة التي غلبت على كل الأصحاحات السالفة وهي روح **القدرة على كل شيء**.

ملخَّص الأصحاح:

يبدأ المسيح بحديث دعوة التلاميذ لتحمُّل خدمة: "الرحمة لا الذبيحة" كرعاة لخراف منزعجة لا راعي لها، أو كمساعدين "لراعي الخراف الأعظم" (عب ١٣: ٢٠)، «لأنكم كنتم كخراف ضالة لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها» (١بط ٢: ٢٥). وأول عمل يعمله لهم هو أنه آزرهم بسلطان خاص من عنده على الأرواح النجسة وعلى شفاء الأمراض وكل ضعف في الشعب (١:١٠). وبعد أن يذكر أسماء الاثني عشر (٢-٤) يكمِّل الأصحاح في تعليم خاص بالتلاميذ (٥-٤٢).

وكما عهدنا المسيح بحسب ترتيب ق. متى في العظة على الجبل، كذلك هنا فالكلام مرتَّب والحديث ممسك ببعضه في توافق وامتداد في الفكر. وتَحْمِل العشر آيات الأُولى توجيهاً آمِراً مُحدَّداً يحدِّد العمل ومستواه ومكانه (٥-١٥)، ومن بدء الآية (٥) يأخذ التلاميذ خاصة في إنجيل ق. متى

لقب "رُسُل" مُرسلين من قِبَل الرب يسوع «هؤلاء الاثني عشر "أرسلهم يسوع ἀπέστειλεν" محمَّلين بوصية خاصة مُحدَّدة παραγγείλας إلى أيـن يمضـون، وبمـاذا يكـرزون، ومـاذا يعملـون، وكيف يعيشون، مع نصائح للسلوك بين الذئاب والحيَّات، وكيف يتصرَّفـون أمـام المحـاكم والمجـامع والملوك والولاة ويتحمَّلون الجلد، وهذا يُحسب لهم شهادة لحساب المسيح. وحينئـذ يتلقَّـون الكلمـة والحكمة والنعمة من فوق ليُفحموا بها المعاندين. ولابد أن يتحمَّلوا البغضة والقطيعة من الجميع لأن هذا هو شأن مَنْ يدافع عن الاسم! والنهايـة مضمونـة "النُصـرة" (١٦-٤٢) ومـن وَضْـع إلى وَضْـع يتنقَّل بهم المسيح وكأنه يراهـم ويقـابلهم ويعـاتبهم دون توقُّـف. والحديـث يسـير بانسـجام وتتـابع عجيب من (٥-٤٢) كوحدة ذات رؤية واضحة. وهكذا يسير الأصحاح من البداية: التعيين (١-٤) ثم التوصية (٥-٤٢).

ولكن تقوم بعض الاعتراضات أن هناك آيات خاصة دخلت في وسط الحديـث لتكمّـل تسلسله تماماً لم تكن موجودة أصلاً في كلام المسيح بل بمجرَّد إشارة إليها، مثل عملية الاستشهاد: «وسيُسْـلِمُ الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده» (٢١)، وأنها نشأت متـأخرة في تـاريخ الكنيسـة، وربمـا ذكرهـا القديس متى هنا تسجيلاً لقول الرب الذي قاله بعد ذلـك في الأصحـاح (٢٤: ١٠)! ولكـن وحـدة التعليم والوصايا عامة وواضحة في إنجيل ق. متى الذي أنهاها هنا في بـدء أصحـاح (١١: ١) هكـذا: «ولمَّا أكمل يسوع أمره لتلاميذه الاثني عشر انصرف مـن هنـاك ليعلِّـم ويكـرز في مدنهـم». لذلـك يدافع المحافظون على وحدة حديث المسيح لتلاميذه وأصالتها الزمنيـة باعتبـار أن المسـيح إنمـا يعطـي الانطباعات الكاملة لتلاميذه فيما سيصيبهم في آخر الزمان.

الشرح:

مقدِّمة الإرسالية وأسماء الاثني عشر

[١٠:١-٤]

(مر ٣:١٣-١٩)،
(لو ٦:١٢-١٦)

١:١٠ «ثُمَّ دَعَا تَلاَمِيذَهُ الاِثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً عَلَى أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ حَتَّى يُخْرِجُوهَا، وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ».

واضح أن ق. متى يعتمد على أن القارئ يعرف أن المسيح قد سبق واختار تلاميذه الواحد تلو الآخر في مواضع أخرى قبل هذه البداية. فهي هنا ليست بداية اختيار، بل بداية إرسال بعد كمال الاختيار وإعطاء التعليم العام مع الجموع.

وكون هذا الأصحاح يبدأ بحرف "و καί" يعني أن الكلام هنا مُضاف على آخر ما قيل في أصحاح (٩)، حيث كان الكلام عن أن المسيح كان يطوف المدن والقرى يعلِّم ويكرز ببشارة الملكوت، «ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب. ولمَّا رأى الجموع تحنَّن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها. حينئذ قال لتلاميذه ... اطلبوا من رب الحصاد أن يُرسل فعلة إلى حصاده» (٩:٣٥-٣٨). ويكمِّل هنا المسيح أنه دعا تلاميذه ليرسلهم لنفس المهمة التي كان يقوم بها من كافة الوجوه.

علماً بأن هذه الإرسالية هي التي ذكرها المسيح في إنجيل ق. لوقا في وقت حرج جداً قبل القبض عليه: «حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية هل أعوزكم شيء: فقالوا لا» (لو ٢٢:٣٥). وعلى نفس هذا النمط أرسل التلاميذ السبعين بنفس الكلام والوصية: «وبعد ذلك عيَّن الرب سبعين آخرين أيضاً وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتي ... اذهبوا ها أنا أرسلكم مثل حملان بين ذئاب لا تحملوا كيساً ولا مزوداً ولا أحذية ...» (لو ١٠:١-٤)

وهكذا يتحقَّق لنا أن المسيح ما كان يذهب ويعلِّم إلاَّ وتلاميذه معه، إمَّا الأخصاء الاثنا عشر أو ومعهم السبعون كُلهُّم ليتعلَّموا ويتقبَّلوا روح الكرازة وقوة المعرفة وسلطان التعليم. كذلك لمَّا أرسلهم لم يعودوا معاً بكل تأكيد لأنه أرسلهم اثنين اثنين، فالمعقول أن يعودوا اثنين اثنين ليخبروا الرب بما عملوا، حتى احتمعوا في النهاية جميعاً معه.

وحينما أرسلهم المسيح، اعتُبروا من هذه اللحظة رُسُلاً، لذلك لا نسمع في سفر الأعمال عن تلاميذ بل عن رسل، إذ صار لقب تلاميذ يطلق على المؤمنين الجُدد (أع ٦:١). وبعد انتشار الخدمة وازدياد الخدَّام، فإنه حتى الرُسُل أخذوا لقب "إخوة": «فلمَّا سمعوا نُخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل: ماذا نصنع أيها **الرجال الإخوة**» (أع ٢:٣٧ راجع مت ٢٣:٨). كما أخذوا لقب قديسين.

والآن يلزم أن نتأمَّل كيف أعطاهم المسيح سلطاناً. هذا هو السلطان الأعظم الذي له القوة والقدرة أن يهب لمن يرسله سلطاناً بنفس الاقتدار ليعمل عمل المسيح الكرازي في الوعظ والتعليم وعمل المعجزات وإخراج الشياطين.

ولكن تكمن هنا خطورة كبيرة من جهة استلام المُرسَلين "السلطان" من قِبَل المسيح، فهو أصبح أمانة تحتِّم على المُرسَل أن يصونها، فالسلطان الذي أعطاهم المسيح أصبح منسوباً إليهم كسلطان رسولي يستمد كيانه وقوته من المسيح، فإن لم يَصُنْهُ التلميذ أو المُرسَل بالروح والحق ومخافة الله، وبالسيرة المقدَّسة وسهر الروح على كل تصرُّف وفكر وعمل، فإنه يُسحب منه وينكشف أمام أعدائه والشياطين. علماً بأنه لا يفيد على الإطلاق أن يعتمد الكارز على اسم المسيح وسلطانه وقوته وهو ليس على مستوى الاسم والسلطان والقوة. اسمع هذه التجربة:

+ «فشرع قوم من اليهود الطوَّافين المعزِّمين أن يُسمُّوا على الذين بهم الأرواح الشريرة باسم الرب يسوع قائلين نُقسم عليك بيسوع الذي يكرز به بولس. وكان سبعة بنين لسكاوا رجل يهودي رئيس كهنة الذين فعلوا هذا. فأجاب الروح الشرير وقال: أمَّا يسوع فأنا أعرفه وبولس أنا أعلمه، وأمَّا أنتم فمَنْ أنتم؟ فوثب عليهم الإنسان الذي كان فيه الروح الشرير وغلبهم وقَوِيَ عليهم حتى هربوا من ذلك البيت عُراة ومجرَّحين ...» (أع ١٩:١٣-١٦)

على أن هناك ملاحظة دقيقة في تعبير ق. متى لا ينبغي أن تفوتنا، فالقديس مرقس يقول: «وأقام اثني عشر ليكونوا **معه** وليرسلهم ليكرزوا» (مر ٣:١٤). هنا نجد ق. متى وهو يهودي لاوي (رابي) عتيق، لا يذكر كلمة ليكونوا "**معه**" باعتبار أن المسيح هو الله **معهم** أكثر من أن يكونوا هم معه[1]!! والأمر في فكر ق. متى منذ البشارة: «ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله **معنا**» (مت ١:٢٣). وهنا ينكشف ق. متى بروحه المتعمِّقة والملهَمة والواعية جداً (راجع مت ١٨:٢٠)، وأيضاً حتى إلى نهاية إنجيله: «وها أنا **معكم** كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين.» (مت ٢٨:٢٠)

(1) Robert H. Gundry, *Matthew*, 1982, p. 182.

كذلك يلاحظ كيف يضع كلمة "سلطان" في عملها الفائق. فهو يقول أولاً إنه «أعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة» هذا جيد، ولكن عاد وعيَّن فعل هذا السلطان «حتى يخرجوها». هذا هو قوة السلطان الذي للمسيح. أمَّا قوة الشفاء من الأمراض والضعف فهي في الحقيقة تتم بعمل الاسم، اسم يسوع الذي هو قوة الشفاء بل وقوة إخراج الشياطين أيضاً.

١٠: ٢-٤ «وَأَمَّا أَسْمَاءُ الاِثْنَيْ عَشَرَ رَسُولاً فَهِيَ هٰذِهِ: الأَوَّلُ سِمْعَانُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بُطْرُسُ، وَأَنْدَرَاوُسُ أَخُوهُ. يَعْقُوبُ بْنُ زَبْدِي، وَيُوحَنَّا أَخُوهُ. فِيلُبُّسُ، وَبَرْثُولَمَاوُسُ. تُومَا، وَمَتَّى الْعَشَّارُ. يَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى، وَلَبَّاوُسُ الْمُلَقَّبُ تَدَّاوُسَ. سِمْعَانُ الْقَانَوِيُّ، وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيُّ الَّذِي أَسْلَمَهُ».

أمَّا لماذا اثنا عشر، فالكلام في ذلك كثير جداً، ولكن باختصار هو العدد الذي اختاره الله قديماً ليمثل شعب إسرائيل بجملته، والجميل أنهم كانوا إخوة لأب واحد هو يعقوب رجل البركة الذي ورثها من إبراهيم وورَّثها للاثني عشر، واختص منهم **يهوذا** بصورة بارزة وهو السبط الذي قام منه المسيح. هكذا التلاميذ اختارهم المسيح ليمثلوا الشعب الجديد، وقد صاروا بروح المسيح إخوة حقـًّا لأب واحد هو الله يصلُّون إليه: «أبانا الذي في السموات». فقد تبنَّاهم المسيح لله تمهيداً ليتبنَّى بهم شعب الله الجديد كله. والأمر الهام جداً الذي نريد أن نوصِّل حقيقته للجميع هو أن الرسل أخذوا سلطان المسيح وبرَّه وهيبته وصاروا أساس الكنيسة فكرَّمتهم فوق كل كرامة. والذي يريد أن يستزيد من هذا المعنى فليقرأ سفر الرؤيا ويرى كيف هم أساس أُورشليم الجديدة وأبوابها اللؤلؤية. وفي ذلك يقول ق. بولس: «مبنيِّين على أساسِ الرسل والأنبياء، ويسوعُ المسيح نفسه حجرُ الزاويةِ.» (أف ٢: ٢٠)

أمَّا عن اختيارهم، ولو أن ق. متى لم يذكره، ولكن يليق أن نذكره هنا، فالمسيح اختارهم بعد ليلة أمضاها كلها في الصلاة وكفى! «وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلِّي وقضى الليل كله في الصلاة لله. ولمَّا كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر الذين سمَّاهم أيضاً رُسلاً.» (لو ٦: ١٢و١٣)

وكما يقول العالِم الحكيم القديم بنجل(٢): [إنهم أمراء "Princes" ملكوت المسيح أو السموات!] ولهم كرامة الأولوية فوق ملوك الأرض طراً. وأسماؤهم أُعطيت بترتيب دقيق للغاية، درسته الكنيسة في تقليدها وعرفت أماكن بشارتهم في العالم وأُعطيت تواريخ استشهادهم أو انتقالهم لتكون أعياداً

(2) J.A. Bengel., *op. cit.*, p. 234.

للكنيسة. لأنه من المعروف جيداً ـ بعد دم المسيح ـ أن دم الشهداء الرسل كان بذار الكنيسة التي أُلقيت على أرض العالم فنبتت كاتدرائيات.

ولو أننا نتحاشى دائماً عمل المقارنات بين الأناجيل، وعمل الجداول التي تربك فكر القارئ، ولكننا نستسمح طول بال القارئ لنقدِّم دراسة متأنية دقيقة وجميلة للعالم الحكيم بنجل وهو يوحنا ألبرت (١٦٨٧-١٧٥٢م) يعطي فيها بدقة مدهشة قيمة أسماء الرسل وترتيبها كما جاءت في الأناجيل الثلاثة وسفر الأعمال، وهو مثل للدراسة الإنجيلية المدقِّقة التي تخرج بحقائق تُظهر جمال الإنجيل وتضيف للكنيسة حكمة:

	إنجيل ق. متى (مت ١٠:٢)	إنجيل ق. مرقس (مر ٣:١٦)	إنجيل ق. لوقا (لو ٦:١٤)		سفر الأعمال (أع ١: ١٣و٢٦)
٤	سمعان	سمعان	سمعان	١	بطرس
	وأندراوس	ويعقوب	وأندراوس	٢	ويعقوب
	يعقوب	ويوحنا	يعقوب	٣	ويوحنا
	ويوحنا	وأندراوس	ويوحنا	٤	وأندراوس
٤	فيلُبُّس	وفيلُبُّس	فيلُبُّس	٥	وفيلُبُّس
	وبرثولماوس	وبرثولماوس	وبرثولماوس	٦	وتوما
	توما	ومتى	متى	٧	وبرثولماوس
	ومتى	وتوما	وتوما	٨	ومتى
٤	يعقوب بن حلفى	ويعقوب بن حلفى	يعقوب بن حلفى	٩	ويعقوب بن حلفى
	ولبَّاوس (تداوس)	وتدَّاوس	وسمعان الغيور	١٠	وسمعان الغيور
	سمعان القانوي	وسمعان القانوي	يهوذا أخو يعقوب	١١	ويهوذا أخو يعقوب
	ويهوذا الإسخريوطي	ويهوذا الإسخريوطي	ويهوذا الإسخريوطي	١٢	متياس

١ ـ الجدول الأول إنجيل ق. متى، والجدول الثالث إنجيل القديس لوقا يذكران الأسماء اثنين اثنين.

٢ ـ الجدول الثاني إنجيل ق. مرقس يذكر الأسماء فرادى.

٣ ـ الجدول الرابع (سفر الأعمال) يذكر الأسماء جميعاً إنما بالترتيب.
٤ ـ الجدول الأول (ق. متى) والثالث (ق. لوقا) يقع الجدول زمنياً في زمن تكريسهم مباشرة.
٥ ـ الجدول الثاني (ق. مرقس) الترتيب يتعلّق بمقتضى قربهم للمسيح قبل آلامه.
٦ ـ الجدول الرابع (سفر الأعمال) الترتيب يتعلّق بكرامتهم بعد الصعود.
٧ ـ العدد الكلي (١٢) إذا قسَّمناه إلى ثلاث مجموعات في كل منها أربعة أسماء، نجد أن في كل مجموعة منها كل اسم فيها لا يمكن أن يتبادل مكانه مع أي اسم في المجموعتيْن (الأربعات) الأخرتين. فمثلاً أي اسم في المجموعة الأُولى للقديس متى وهم سمعان وأندراوس ويعقوب ويوحنا، لا يمكن أن نجد واحداً منهم يحل محل أي اسم من المجموعتين (٢) أو (٣) في الأناجيل الأخرى، بمعنى أن كل اسم في كل مجموعة ثابت في مجموعته على مدى الإنجيل كله!

وهنا يُثبت أن تسجيل الأسماء في كل إنجيل يتبع قاعدة ثابتة لا تخلّ. انظر وتعجَّب، هذا سر الإنجيل.

٨ ـ في الجداول الأربعة نجد أن ق. بطرس يُذكر **الأول** في المجموعة الأُولى ولكن ذلك لا يتبع أي مبدأ إلاَّ مبدأ التسجيل.
٩ ـ في الجداول الأربعة نجد أن ق. فيلبُّس يُذكر **الأول** في المجموعة الثانية (انظر يو ١: ٤٢و٤٤، ١٢: ٢٢).
١٠ ـ في الجداول الأربعة نجد أن ق. يعقوب بن حلفى يُذكر **الأول** في المجموعة الثالثة.
١١ ـ في الجداول الثلاثة الأُولى يسقط الخائن كآخر اسم في الخانة الأخيرة وفي الجدول الرابع لا يُذكر جملةً.
١٢ ـ في إنجيل ق. متى يضع ق. متى نفسه بعد زميله في التعيين أي بعد توما (بعكس ما ذكر ق. مرقس وق. لوقا)، وبذلك يثبت أنه كاتب الإنجيل ومتواضع.
١٣ ـ وهناك بعض المدح أو المحاباة فالقديس لوقا ومعه ق. مرقس وضعا اسم توما بعد متى، ولكن بعد أن اعترف توما بقيامة الرب (يو ٢٠: ٢٧و٢٨) أراد ق. لوقا أن يمدحه فوضعه قبل متى وبعد فيلبُّس مباشرة!
١٤ ـ وكل أربعة من الثلاث أربعات أخذنا منها بركة: فأخذنا من الأربعة الأُولى رسائل بطرس وإنجيل يوحنا ومن الأربعة الثانية أخذنا إنجيل ق. متى، ومن الأربعة الثالثة أخذنا رسالة يعقوب ورسالة يهوذا أخي يعقوب.

الأسماء استغرقت من (١٠:٢ إلى ١٠:٤) والآن نعود للآيات آية آية:

«الأول سمعان الذي يُقال له بطرس وأندراوس أخوه»: Πρῶτος Σίμων

بطرس وأندراوس أخوه كانا من بيت صيدا، ولكن بعد ذلك ذهبا واستوطنا في كفرناحوم مع المسيح وق. متى.

وهنا يقف التعداد فلا نجد مَنْ هو الثاني، وكأنما أعطى الأول كامتياز ولكن ليس على إخوته، وأيضاً ليس مصادفة، لأنه هو وأخوه نُظر إليهما - بحسب العالِم ماير(٣) - أنهما Πρωτόκλητοι بمعنى أول من دُعيا: «كان أندراوس أخو سمعان بطرس، واحداً من الاثنين (والثاني هو يوحنا) اللذين سمعا يوحنا (يقول هذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم) وتبعاه (تبعا المسيح). هذا وجد أولاً أخاه سمعان فقال له قد وجدنا مسيًّا الذي تفسيره المسيح» (يو ١: ٤٠و٤١). وهذا يتفق مع الشهرة والصيت المتفوق الذي أخذه بين التلاميذ كأول بين متساويين. ونحن لا ننسى أن أول نطق إيمان بأن يسوع هو المسيح كان نطق سمعان بطرس: «**أنت هو المسيح ابن الله الحي**» (مت ١٦:١٦)، «فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحماً ودماً لم يُعلن لك لكن أبي الذي في السموات. وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت ١٦: ١٧و١٨). فإن كان الرسل قد تدرَّجوا حسب قدرهم عند المسيح فهذا واضح، وهذا نراه جيداً في اختيار المسيح لثلاثة التصقوا به في أهم وأخطر المناسبات: بطرس ويعقوب ويوحنا، فهو أولهم ولكنهم على مستواه!

«يعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه»:

ويوحنا ويعقوب أخوه أخذا لقب بوانرجس لِمَا أظهراه من طبيعة متقدة، لأن بوانرجس تعني ابني الرعد. علماً بأن ق. يعقوب أخذ إكليل الشهادة مبكِّراً على يد هيرودس أغريباس الأول (أع ١٢: ١و٢). أمَّا ق. يوحنا فعاش حتى عبر القرن الأول. وهو آخر مَنْ عاش من التلاميذ على الأرض، وكان التلميذ المحبوب عند المسيح، وكتب إنجيله ونُفي إلى جزيرة بطمس حيث كتب سفر الرؤيا.

«فيلبُّس»: Φίλιππος

كل المعروف أنه من بلدة بطرس وأندراوس من بيت صيدا، من أوائل الذين قبلوا دعوة المسيح للتلمذة، وقدَّر ما يلزم أن يُطعم به خمسة آلاف شخص بمئتي دينار (يو ٦: ٥و٧)، وهو صاحب السؤال البسيط الضخم: «يا سيد أرنا الآب وكفانا» (يو ١٤:٨)، فكان رد المسيح عليه لاهوت في

(3) H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 206.

لاهوت: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩). فنشكر فيلبُّس كثيراً على هذه المعلومة الأزلية.

مع ملاحظة أن الأسماء أندراوس وفيلبُّس وبرثولماوس أسماء يونانية، وللأسف لم تُذكر أسماؤهم العبرية التي كانوا مشهورين بها في الوسط اليهودي.

«برثولماوس»: Βαρθολομαῖος

فهو يعني "ابن تولماي" وهو اسم مذكور في (٢صم ١٣: ٣٧): «فهرب أبشالوم وذهب إلى **تلماي** بن عميهود ملك جشور». ولكن اسمه العادي نثنائيل (يو ١: ٤٥و٤٩، ٢١: ٢). ونثنائيل هو صاحب الرد المشهور وغير المقبول: «أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح» (يو ١: ٤٦)، ولكن وجد قبولاً من المسيح وترحاباً: «هوذا إسرائيلي حقًّا لا غش فيه» (يو ١: ٤٧). وهو واحد من السبعة الذين ظهر لهم المسيح بعد القيامة على بحيرة طبرية.

«توما»: Θωμᾶς

ولقبه δίδυμος (ديديموس) أي التوأم. وفي سفر الأعمال وتاريخ يوسابيوس يسمَّى يهوذا المشهور بديديموس، وهو صاحب الإيمان بالعيان الذي وضع إصبعه في جنب السيد.

«لبَّاوس»: Λεββαῖος

أو تداوس وهو المعروف باسم يهوذا أخي يعقوب، ولبَّاوس مشتقة من القلب "الشجاع" (من لُب = قلب)، وهذا صار اسمه الرسولي بحسب ق. متى في المخطوطات القديمة. أمَّا "تداوس" فأصل الاسم كلداني ويعني الحضن[٤] (من ثدى = صدر).

ويهوذا أخو يعقوب مذكور في (يو ١٤: ٢٢) باسم «يهوذا ليس الإسخريوطي». والمعروف عند العلماء ذوي البحث العميق أن لباوس عندما أخذ العماد من المعمدان صار اسمه تداوس[٥] وهذا يتمشَّى مع قوانين الرسل Λεββαῖος ὁ ἐπικληθεὶς Θαδδαῖος[٦]. لذلك يرى العلماء أن الاسم الذي أعطاه ق. مرقس له: "أي تداوس" يتمشى مع التقليد القديم.

(4) H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 206.

(٥) فانتقل لباوس بالعماد إلى تداوس، من "ذي القلب الشجاع" إلى "ذي الحضن المريح". ويلاحظ القارئ أن لباوس مشتقة من "لُب" وهو القلب باللغة العربية الفصحى. وتداوس "حضن" مشتقة من ثدى (**Mammal**).

(6) *Apostolic Costitutions*, VI, 14, 1.

«يعقوب بن حلفى»:

ولكن حلفى أبا متى غير حلفى أبي يعقوب. وعرف عند ق. مرقس (١٥:٤٠) باسم يعقوب الصغير وكان قصيراً.

«سمعان القانوي» ὁ Καναναῖος

ويدعوه ق. لوقا "الغيور" ζηλωτής وجماعة الغيورين كانت جماعة متعصِّبة محاربة من أجل كرامة الله. ولكن هذا السمعان لم يكن ممن حمل السلاح في هذه الجماعة، بل كانت غيرته محصورة في الدين وحسب.

«يهوذا سمعان الإسخريوطي»: Ισκαριώτης

وهو مواطن من قريوت إحدى قرى سبط يهوذا[7] (يش ١٥:٢٥).

هؤلاء هم الاثنا عشر الذي عنهم صرَّح إنجيل ق. يوحنا أن المسيح «أحب خاصته الذين في العالم. أحبَّهم إلى المنتهى» (يو ١٣:١). وارتبطت روحه بهم إلى درجة قوله: «شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألَّم» (لو ٢٢:١٥) وطبعاً لأهداف إلهية. وهؤلاء هم أيضاً الذين رفعهم إلى الآب بدعاء: «حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك الذين أعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلاَّ ابن الهلاك ليتم الكتاب. أمَّا الآن فإني آتي إليك. وأتكلَّم بهذا في العالم ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم. أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم. لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير. ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم. قدِّسهم في حقِّك. كلامك هو حق. كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم. ولأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدَّسين في الحق.» (يو ١٧: ١٢-١٩)

(7) Josephus, *Ant.*, vii. b. 1.

تعاليم المسيح للاثني عشر

[١٠: ٥-٤٢] (مر ٦: ٧-١٣، ١٣: ٩-١٣)،
(لو ٩: ١-٦، ١٠: ٤-١٢،
١٢: ١-١٢، ٢١: ١٢-١٩)

هنا تبدأ تعاليم المسيح للاثني عشر رسولاً. والقديس لوقا يقسِّمها إلى مرحلتين للتعليم، إحداهما للاثني عشر في الأصحاح التاسع، والثانية للسبعين في الأصحاح العاشر. ويختص إنجيل ق. مرقس بأنه يذكر أن التلاميذ أُرسلوا اثنين اثنين.

١٠: ٥و٦ «هؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ».

كان ذلك حوالي سنة ٢٨م. ويُلاحَظ أن السامرة أصلاً كانت موطن أسباط إسرائيل، ولكن بعد العودة من السبي أرسل شَلْمَنَأَسَر (٢مل ١٧: ٢٤) جماعات منحلَّة من عُبَّاد الأصنام لكي يُبعدوهم عن عبادة الله الحي، واختلطوا وتناسلوا معاً. ومن أجل هذا حاول السامريون بوضعهم الخليط المنحرف منع يهوذا من بناء الهيكل باستحضار اتهامات وأمر منع من أرتحشستا الملك (عز ٤: ٧-٢٤)، بسبب هذا، بالإضافة إلى المنازعات اللاهوتية ذات الأصول الليتورجية في العبادة، فبدأت وتعمَّقت العداوة بين السامرة ويهوذا. لأجل هذا حينما بدأ عصر الخلاص أراد المسيح أن يحتفظ بالتعاليم الصحيحة أولاً لليهود فقال للمرأة السامرية: «أنتم تسجدون لِمَا لستم تعلمون، أمَّا نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود. ولكن تأتي ساعةٌ، وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق.» (يو ٤: ٢٢و٢٣)

ولكن كانت هذه التعليمات متَّبعة فقط حتى صعوده، وبعد ذلك أرسلهم المسيح للسامرة وأقصى الأرض بعد أن نالوا قوة الروح القدس من الأعالي للحفظ والانضباط (مت ٢٨: ١٩، أع ١: ٨)، لأن المسيح نفسه كان قد ابتدأ يعلِّم أثناء سيره في السامرة (يو ٤).

وهكذا أرسل المسيح الاثني عشر لخراف بيت إسرائيل الضالة، ولكن خراف بيت إسرائيل الضالة لبسوا جلد ذئاب، وقتلوا الراعي. الدولة التي أخذت من قلب الله كل إعزاز وحب وكرامة:

«إسرائيل ابني البكر» (خر ٤:٢٢)، «لمّا كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصـر دعـوت ابـني» (هـو ١:١١). الدولة الوحيدة في العـالم الـتي كـان يحكمهـا الله بنفسـه ويرعـى شئون أكلهـم وشـربهم ولبسهم، ويقودهم بالليل بعمود نور وبالنهار بسحابة غمام؛ الذين في أعز أوقات قربه منهم تركـوه على الجبل يتكلّم مع موسى وصنعوا لأنفسهم عجلاً كعجل أبيس في مصر ليعبدوه. فقد كلّمهم الله بالأنبياء مبكّراً ومؤخّراً وهم أعطوه القفا دون الوجه، وكَتِفاً معاندة، وصلّبوا رقابهم عليـه، وغلّظوا قلوبهم وسدُّوا آذانهم وغمضوا عيونهم، وهو يمد لهم يديه طول النهار. فخراف "إسـرائيل"، لم تعـد تعيش في إسرائيل لأن أرض إسرائيل احتلها السامريون ونجّسوا اسم إسرائيل، بل كـانوا في اليهوديـة وأُورشليم والجليل الأوسط والأعلى.

إليهم أرسل تلاميذه الاثني عشر ليؤسّسوا عهده الجديد على مستوى الاثني عشر سبطاً للآبـاء في العهد القديم (تك ٤٩:٢٨). وهكذا، وبناء على صلواتهم لرب الحصاد أن يُرسل فعلة إلى حصـاده، كانوا هم أول الفعلة، مؤيَّدين بسلطان فائق لخدمة ملكوت السموات: «الحق أقـول لكـم: كـل مـا تربطونـه علـى الأرض يكـون مربوطـاً في السـماء، وكـل مـا تحلُّونـه علـى الأرض يكـون محلـولاً في السماء.» (مت ١٨:١٨)

١٠:٧ «وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ».

ما نادى به المعمدان، ونادى به المسيح، هو موضوع الساعة: باب السماء مفتـوح؛ دعـوة الحيـاة الأبدية مع الله؛ الدخول في عهد حب ورضا مـع الله لا خـروج منـه؛ تدشـين عهـد جديـد مركـزه السماء، يحكم فيه الله بالحب والمودَّة؛ وصاياه إنعامات وأوامره للمجد؛ ليـس لـه ليـل، ونهـاره بـلا غروب. وليمة خيرات مـا لم تنظـره عـين ولم تسـمع بـه أُذن، الملائكـة تخدمهـم، وصنـاعتهم مديـح وتسبيح على آلات سماوية، وترانيم يتعلّمونها لتكوين خوارس للمجد تخدم أمام العرش. ولكـن لهـم زيٌّ يبدأ تشكيله على الأرض يُدعى لباس العرس، مغسول بالدموع وبدم الحمل، منسـوج كلـه مـن فوق، خيوطه ألوان نسك، عبادة سهر، صوم، صلاة، وخدمة وشفاعة وغسيل أرجـل والجـري وراء الخروف الضال، ومحبة إخوة على محبة أعداء، حزن وضيق، تجارب وأمراض بلا شفاء، تشـهير، فضيحـة، آذان قدور مسخّمة بالهباب مربوطة في العنق، مهانة وإهانة في الشيخوخة، ويُحسب أنه ثمن زهيد.

«وفيما أنتم ذاهبون»: πορευόμενοι

وهي استجابة من جهة التلاميذ لأمر المسيح «اذهبوا πορεύεσθε» في الآية السـابقة. فـالكلام

متصل اتصالاً وثيقاً، وكأنهم تلاميذ مدرسة المعلِّم العليا، ذاهبين للتمرين والحصول على نتائج لحساب المعلِّم. إنها أول مدرسة لاهوت في العالم وأول حقل بشارة بالإنجيل سُمع عنه، وأقدام مبشِّرين حلّوا على جبال إسرائيل التي شبعت من دموع الآباء والأنبياء وقد حان زمان الإثمار. وطبعاً كان نداء المعمدان على ضوء ملكوت الله هو "التوبة" السريعة، فالعريس قادم. ولذلك كان نداء المسيح هو الاستجابة، لأن الأُذن الإلهية سمعت الأنين والتنهُّد، فنزلت ولبست جسداً، والعريس يطلب المدعوين على المأدبة. فقد حان زمان مسيَّا، عزُّوا عزُّوا شعبي!! والنعمة على الأبواب، والروح القدس تهيَّأ لينسكب من السماء بشبه المطر الجارف: على الشيوخ أحلاماً، وعلى البنين والبنات نطقاً، والعبيد والإماء تهليل حرية ومجداً. وعلى هذا المنوال يطلب الكارزون توبة، فالعريس داخل على الصليب ويطلب شركاء آلام.

٨:١٠ «اشْفُوا مَرْضَى طَهِّرُوا بُرْصاً. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَّاناً أَخَذْتُمْ مَجَّاناً أَعْطُوا».

ولكن في زماننا الآن نود بكل اهتمام، وكل توعية أن نقلب هذا الترتيب: مجَّاناً مجَّاناً، لأن الأجرة في الجيب تليق بالعبيد وخُدَّام الأصنام والمدَّعين والأنبياء الكذبة. أمَّا تلاميذ الرب ورافعو البخور والصلوات والذين قدَّموا أنفسهم ذبائح ناطقة فلا يستبدلون النعمة والروح القدس بذهب وفضة، والموهبة لا يُدفع ثمنها. فإن استوفى الخادم والمُرسل الشرط الأخير «مجَّاناً أعطوا»، نال الوعد بتتميم الشفاء وتطهير الأبرص وخروج الشيطان صارخاً. وليعلم كل معلِّم وخادم وكارز أنه يُعلِّم ويكرز لحساب ملكوت الله، الذي إذا طلبه طالِبٌ وسعى إليه ساعٍ فكل أمور الدنيا تُعطى له وتُزاد، وبيد القادر القدير، والذي لا يريد أن يخدم لحساب الملكوت ما له والخدمة؟ فهي الأساس والهدف والغاية والنهاية!

وليعلم الكارز أن ذهباً وفضة لا تدخل منطقته، التي تعني الآن كيسه وجيبه المنظور وغير المنظور، وإلاَّ فقد الدعوة والقوة على الرسالة، يتكلَّم كثيراً وما ينفع إلاَّ قليلاً، وصلَّى وتوسَّل وأطال الصلاة ولا مجيب. فالخدمة والرسالة والوعظ وأعمال المرسلين كلها إمَّا تُوخذ بشروطها وإلاَّ صارت عبئاً على المتقدِّم للناس وعبثاً على الله. ولكي نشدِّد القول والعزيمة نقول إن الخادم والكارز والمُرسل لا يعيش منحلاً ومحباً للمال، بل يتكل على بر المسيح والله وعلى سلطان المسيح. انتبه أيها القارئ، فالمسيح (والله) أعطاهم سلطاناً خاصاً بهم يعتمدون عليه ويخدمون به ويتكلون عليه ويطلبونه كل لحظة، فيأتيهم إن ظلُّوا أمناء على شروط الرسالة وأمانتها، وإلاَّ ينتزع منهم السلطان. بمعنى أن يكون الخادم والكارز والمُرسَل قد نقَّى قلبه وضميره من شهوات خيرات الرعية وبريق ذهب العالم

وحاجياته وأدواته الحديثة وتحفه، وربط على قلبه ووسطه، وانطلق متكلاً على سلطان المسيح والله الذي ناله، يخدم به، وهذا السلطان لن يفارقه طالما كان أميناً عليه. وحينئذ ينفتح أمامه باب السماء، يطلب فيجد حسب الوعد في كل حال وعلى كل الأحوال، لا يخيب رجاؤه ولا تتعوَّق استجابة صلاته. وحينئذ لو قدَّموا له جبالاً من ذهب ما فرَّط في سلطان الله الذي صار له. فثمن سلطان الخدمة يساوي حفظ الإنسان لنفسه من دنس العالم!!

فانظر أيها الكارز المُرسَل لمعنى الرسالة وشروطها، ولا تأخذ الأمور بخفة وحرارة مؤقَّتة واندفاع غير محسوب النفقة. فضع الجوع والعطش والكفاف وربما الاضطهاد في الدرجة الأُولى بعد مجَّانية الكرازة. هذه بقناعة والأخرى بفرح!

١٠: ٩و١١ «لاَ تَقْتَنُوا ذَهَباً وَلاَ فِضَّةً وَلاَ نُحَاساً فِي مَنَاطِقِكُمْ، وَلاَ مِزْوَداً لِلطَّرِيقِ وَلاَ ثَوْبَيْنِ وَلاَ أَحْذِيَةً وَلاَ عَصاً، لأَنَّ الْفَاعِلَ مُسْتَحِقٌّ طَعَامَهُ».

والمعنى هو أن لا تقتنوا لا كميات كبيرة ولا صغيرة ولا "فكة"، لأن هذا معناه أنكم تنوون الاعتماد على العالم، لأن هذه تختص بالعالم. أمَّا أنتم فخدمتكم تختص بملكوت الله، والله لا يتعامل بالذهب والفضة والنحاس، والله سيكون هو المتكفِّل بأعواز الحياة.

«مزْوَداً للطريق»:

وهي "المخلة" التي يوضع فيها الطعام المخصَّص للسفر. والقصد أن لا ينشغل بال الكارز بشيء من جهة الجسد لتظل روحه مهيَّأة بالاتصال بالله من أجل خدمة ملكوته.

«ولا ثوبين»:

بمعنى يكتفي بالذي يلبسه فقط.

«ولا أحذية»:

بمعنى يكتفي بالذي يلبسه في رجله فقط.

«ولا عصا»:

بمعنى لا للدفاع عن نفسه ولا ليستند عليها ليجعل الله هو المدافع عنه واستناده على ذراع الرب.

والقديس مرقس يوضِّح مسألة الأحذية والثوب كالآتي: «بل يكونوا مشدودين بنعال، ولا يلبسوا ثوبين» (مر ٦: ٩)، أمَّا موضوع العصا وضرورتها فيذكرها ق. مرقس: «وأوصاهم أن لا

يحملوا شيئاً للطريق غير عصا فقط ...» (مر ٦:٨). كل ذلك لأن الفاعل مستحق طعامه وبالتالي مستحق المعونة من كل نوع فهو بمثابة موظَّف عند الله يقبض الأجرة مباشرة من يده، مع تأمين شخصي وحارس إلهي خاص "بودِي جارد". ولكن يرى أحد العلماء الظرفاء أن المُرسل والكارز لا يحمل كيساً أصلاً ولا مزوداً بأي حال ليس لكي يعتمد على الله في كل شيء فقط، بل ولكي لا يستطيع أن يأخذ شيئاً من النقود أو العطايا، إذ لا يوجد عنده ما يضع فيه ويختزنه! فإن أحسن عليه أحدهم بورقة بعشرة جنيهات مثلاً يبتسم ويقول لصاحبها ليس عندي مكان أضعها فيه. ومعنى هذا في مفهومنا بحسب الحاضر أن لا يكون في ملابسه جيوبٌ بالمرة.

١٠ :١١ «وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ دَخَلْتُمُوهَا فَافْحَصُوا مَنْ فِيهَا مُسْتَحِقٌّ، وَأَقِيمُوا هُنَاكَ حَتَّى تَخْرُجُوا».

ما صنعه الرب مع زكا ومع متى لا ينبغي أن يكون مع التلاميذ، فالمسيح كان الطبيب الوحيد للمريض المُدْنِف إلى الموت وفي يده وحده الحياة. أمَّا التلاميذ فلا ينبغي أن يقيموا في بيت ليست له شهادة استحقاق من أهل المدينة ومن روح النعمة الذي يدلّهم على بيوت النعمة. وللقديس جيروم قول في هذا: [لا تجعلوا استحقاق وعظكم أن يشوّه بتقارير سيئة عن مَنْ تعظونه](٨). وهذا يكشف أيضاً لماذا لم يعطهم المسيح أن يذهبوا إلى المجامع أو الأسواق، لأنهم لم يأخذوا بعد القدرة على المواجهة العلنية.

«أقيموا هناك حتى تخرجوا»:

هذا البيت الذي يكون قد وقع عليه الاختيار بسبب سمعته الطيبة يصبح مركز إقامة يستقبل فيه الكارز جميع الآتين إليه من البيوت الأخرى. لهذا سبق وقال أن يكون مستحقاً لمثل هذه الخدمة المباركة، أو حتى إلى أن يستوفي الكارز كرازته ويقبل أهل البيت رسالة الإنجيل ويقبلوا الإيمان بالمسيح يسوع باعتباره مسيًّا الذي أتى: «وجدنا الذي كتب عنه موسى.» (يو ١:٤٥)

والمُلاحَظ أنه بالرغم من اعتماد المسيح على القوة الإلهية التي ستوفّر للتلاميذ البيوت والمناسبات والسامعين، إلاَّ أنه شدَّد على فحص التلاميذ والتأكُّد من أن اختيار البيت مقبول من الله ومن أهله. وعموماً فإن ضيافة الشرق كله للغرباء والمسافرين أمر معروف، ولكن فيما لإسرائيل كان الوضع ثابتاً وموروثاً: «لا تنسوا إضافة الغرباء لأن بها أضاف أُناس (إبراهيم) ملائكة وهم لا يدرون» (عب ٢:١٣). والكارز هو ضيف الله له أن يُستقبل كما يُستقبل ملاك. ولكن ولأن المرسلين

(8) Jerome, cited by H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 210, n.4.

أُرسلوا **اثنين اثنين**، وهذا شرط جوهري يتحتَّم الالتزام به من جهة ضمان السلوك والأخلاق، لذلك كان النزول كضيوف عند الناس مقبولاً أكثر. كما كانت حركة المُرسلين حرَّة في الدخول والخروج للمناداة بالملكوت. هذا والمؤكَّد أن بركة الله تحل في الحال على البيت الذي يقبل أن يُكرز فيه بالإنجيل، والله بالأكثر يثبت وجوده معهم وينبهِّهم ويصنع كل ما يناسب إيمان القوم ويفرِّح قلوبهم. فالكرازة هي بالأخبار السارة، وكانت البيوت تتخاطف هذه الضيافة وتفيض النعمة بالأكثر على كل مَنْ اشترك في الخدمة والضيافة والأكل وكل أعواز الخدمة. وإن يَنْسَى "الكاتب" لا يَنْسَى اليوم الذي أضاف فيه وفي بيته خُدَّام مؤتمر مدارس أحد الجيزة سنة ١٩٤٨م في دمنهور فكانت أعياداً بمعنى الكلمة وكانت الفرحة الغامرة والإحساس بأن البيت والعمل والحياة تقدَّست في هذه الأيام وأثمرت ما أثمرت!

وهل يُنسى أن ق. متى صنع في بيته ضيافة ووليمة للرب وتلاميذه؟

١٠: ١٢و١٣ «وَحِينَ تَدْخُلُونَ الْبَيْتَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ مُسْتَحِقًّا فَلْيَأْتِ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ، وَلكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا فَلْيَرْجِعْ سَلاَمُكُمْ إِلَيْكُمْ».

«سلِّموا»: ἀσπάσασθε

وهي تعني بالمفهوم المسيحي: "الخلاص".

«فليأتِ سلامكم عليه»: ἡ εἰρήνη ὑμῶν

هنا السلام تحية قلبية ولكن يرافقها دعاء من القلب لكي يحل بالفعل سلام الله عليهم. فإن قبلوا أو إن كانوا حقًّا أهلاً له كمؤهَّلين لقبول سلام الله الذي يفوق كل عقل، حلَّ عليهم، وإلاَّ فليرجع هذا الدعاء لكم بالبركة والقوة والسلام. بمعنى لن تخسروا شيئاً بل يُضاف لكم ما كان لهم! وهذا يعني ويفسِّر القول أن كلمة الله لا ترجع فارغة، فإن لم تُقابَل بالرضى والمسرَّة ارتدَّت حاملة سلام الله لكم: «هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إليَّ فارغة بل تعمل ما سُررت به وتنجح فيما أرسلتها له. لأنكم **بفرح تخرجون وبسلام تُحضَرون** ...» (إش ٥٥: ١١و١٢)

١٠: ١٤و١٥ «وَمَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ وَلاَ يَسْمَعُ كَلاَمَكُمْ فَاخْرُجُوا خَارِجاً مِنْ ذلِكَ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، وَانْفُضُوا غُبَارَ أَرْجُلِكُمْ. الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: سَتَكُونُ لأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ الدِّينِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً مِمَّا لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ».

المعنى صعب والعقاب شديد للغاية ومُرٌّ، ويا ليته كان محصوراً في الإنسان، بل يتعـدَّى ذلـك إلى الأرض ذاتها. فالقصد من أن ينفض الخـادم رجليـه مـن الـتراب الـذي لصـق فيهـا هـو لأن الـتراب والأرض ستدخل المجازاة والشهادة ضدَّهم، وكأنه يخلي ذمَّته من خطية هؤلاء القوم. ولكن عودة إلى التعمُّق مرَّة أخرى في الموضوع، فالرفض هنا ليس مجرَّد رفض السلام بل رفض رسول السلام القـادم باسم رب الجنود للبشارة بالخلاص والحياة الأبديـة. فـالرفض للخـلاص والمسيح والملكـوت. فمـاذا يتبقَّى لهؤلاء القوم؟

وهنا يتحتَّم أن نُلقي ضوءاً أكثر بشدَّة. فالخادم والمُرسَل لم يأتِ ليأخذ ذهبـاً ولا فضـة ولا لكـي يأكل ويشرب، بل جاء ليعطي خلاصاً ابتداءه بالسلام! فـإن رُفـض السـلام ومُعطـي السـلام يكـون الرافض قد رفض رسالة الخلاص بجملتها، وبالتالي يكون قد قبل اللعنـة. فـإن كـان علـى المُرسَـل أن ينفض غبار رجليه فهو ينفض آثار اللعنة التي ستحل علـى أصحـاب هـذا الـتراب. فـإن تجـرَّأ كـارز وعمل هذا في بيت رجل مسيحي مؤمن يمارس الخلاص فاللعنة تحل على الكارز نفسه لأنه بمثابة مَـنْ يلعن الإيمان والخلاص. فالمفروض هنا «بـاركوا لاعنيكـم». فوصايـا المسـيح للبركـة وليسـت عصـا نؤدِّب بها المؤمنين ونهدِّد بها إيمان الأتقياء أو ننتقم لكرامتنا.

إذن، فالتحذير هنا خطير: إن كان الكارز أو المُرسَل قادماً ليجمع الجراية أو العـادة أو الاشـتراك أو العطية أو "الذي فيـه القسـمة" مـن جنيهـات أو دولارات أو ماركـات أو فرنكـات بـالألوف أو الملايين، فعدم السلام هنا، بل ورفض السلام، بل ورفض رسول السلام هو نصيبه الحقيقي مـن قِبَـل الرب، فعليه أن يحمل الخجل وحده ولا نصيب له في عزاء، فيكفيه عزاؤه من رصيده في البنك أو في البيت أو في الخزنة. فالسلام يعود بقوة مضاعفـة للذيـن ليسـت في منـاطقهم ولا مخـازنهم ذهـب أو فضة، أمَّا النحاس فبطلت عملته. ولهذا يلقي المسيح مسئولية الرفض على أساس رفض الإيمان وليـس رفض وفادة جابي الضرائب والحسنات.

١٠:١٦ «هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ».

«كغنم»: πρόβατα

من طبقة الحَمَل الوحيد.

إرسالية المسيح من جهته هو «أنا أُرسلكم»: "ἐγώ = أنا". إرسالية فـاقدة كـل أدوات التسـليح والدفاع والنقمة! كغنم بلا أنياب، بلا قرن ولا ظلف، والذئاب من حولها تعيش وتتربَّص. والمسـيح

يقولها وسط ذئاب ἐν μέσῳ λύκων ليبيِّن مدى الخطورة المحيطة. والآن والحال كذلك لم تعد فرصة، أي فرصة للدفاع عن الذات، أو استخدام الهجوم أو المقاومة أو حتى الاستفزاز. فانتبهوا لأن عينكم على الخروف الضال وعين الذئاب عليه بآن واحد! واستدراج الخروف الضال إلى الحظيرة كم يحتاج إلى حكمة لمخاتلة الذئب وإلى بساطة تناسب بساطة الحمام. إنه صراع متبادل على فريسة واحدة ولا سبيل إليها إلاَّ بالحكمة والبساطة، أمَّا استخدام القرن والناب فهذه ليست من وظيفتكم. الحية قيل عنها قديماً أنها ذات مكر: «وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله» (تك ٣:١). وبولس الرسول يؤمِّن على هذا القول: «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح» (٢كو ١١:٣). ولكن ق. بولس نفسه استخدم مكر الحية ليخلِّص نفساً من الهلاك، وهكذا تقمَّص مكر الحية ليسحق رأسها بمكره هو: «أنا لم أثقِّل عليكم لكن إذ كنت محتالاً أخذتكم بمكر» (٢كو ١٢:١٦). وهنا يود المسيح لتلاميذه أن يكون لهم مكر الحية في استخلاص الحمل من فم الذئب، ولكن ليس في شراسة القوة بل في بساطة الحمام. وسوف نعرف من باقي الوصايا أنه إن حدَّ الجد ورُفع السيف فلا مقاومة البتة بل كحمامة وديعة تحني رأسها: «وسيُسْلِم الأخ أخاه إلى الموت.» (مت ١٠:٢١)

ولكن كلام المسيح يعود أيضاً على سلوك التلاميذ أنفسهم بالنسبة لحياتهم، فالمطلوب بحسب فكر المسيح أن يكون للكارزين وعي يتسم بالحكمة والبساطة معاً وبآن واحد، وذلك في مواجهة الأخطار المحيطة بهم. وأعظم توجيه يمكن أن نستخلصه من كلام المسيح هو الالتجاء إلى الروح القدس فوراً الذي سيكشف عنه المسيح في الآية (١٩)، إذ معه تبلغ الحكمة والبساطة أوجها: «فلا تهتموا كيف أو بما تتكلَّمون لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلَّمون به. لأن **لستم أنتم المتكلِّمين بل روح أبيكم الذي يتكلَّم فيكم**» (مت ١٠: ١٩و٢٠). إلى هنا نكون قد بلغنا ملجأ الحكمة والبساطة، حيث يبقى علينا أن نسلك **بوداعة واستقامة** دون خوف ولا اضطراب حتى تخرج الشهادة بروح المسيح ونصرة الصليب ولا يوجد ضدنا ما يمكن أن نُسأل عنه! «أجابه يسوع: أنا كلَّمت العالم علانية. أنا علَّمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً وفي الخفاء لم أتكلَّم بشيء.» (يو ١٨:٢٠)

١٠:١٧و١٨ «وَلكِنِ احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ، لأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلأُمَمِ».

وهكذا تظهر الآية السالفة ممهِّدة لهذه الآية، ففي الناس مَنْ هُم أشر من الذئاب: «أنعم من الزبدة فمه وقلبه قِتَال. ألين من الزيت كلماته وهي سيوف مسلولة» (مز ٥٥: ٢١). لقد صار هذا الاصطلاح لغة الكنيسة في الحديث عن غير المختارين وقدرتهم في تضليل أولادها: «ذئاب خاطفة».

ولكن هنا الخطر وارد على حياة الرسل، وقد جازوا هذه المواقف بجدارة. وسفر الأعمال مليء بما عاناه الرسل، وخاصة بولس الرسول أكثر مَنْ انطبق عليه هذا المثل، حيث مَثَل أمام مجمع وراء مجمع حتى ظفروا به وأسلموه كسيِّدِهِ، بعد أن أشبعوه جلداً وضرباً ورجماً، وسِيقَ القديس بولس أمام الولاة والملوك ودافع عن المسيح وعن إيمانه وشهد في أعظم محافل روما القضائية، ونال بالنهاية إكليل الشهادة. إن المسيح هنا في اعتقادنا لا يُحذِّر بل يُبشِّر، ولا يوعِّي هنا من خطر بل يسبق ويبارك عليه. ويكشف هذا المعنى قوله في النهاية: **«من أجلي شهادة لهم وللأمم»**. فمخاطر الذئاب الخاطفة وقسوة المجامع والحكام والأحكام جيدة وكلها تؤول إلى صميم خدمة الكرازة. وقد أكمل بها الرسل رسالتهم، وبها انتشر الإيمان أكثر من الخدمة والوعظ الهادئ. فما عرفه العالم من المسيحية ودقائق الإيمان بها عن طريق المحاكمات والسجن والضرب والقتل يُعتبر إنجيلاً كاملاً. وأصبحت هذه المواقف الصعبة دروساً في صميم الإيمان المسيحي، بل ومصدراً للكرازة وإذاعة الإيمان، وعندنا محاكمة القديس والشماس استفانوس نعتبرها بداية إذاعة الإيمان المسيحي الحقيقي في وسط الشعب اليهودي وللفريسيين أنفسهم، الذين قاموا بالاضطهاد والتعذيب والقتل. فمحاكمة وتعذيب ق. استفانوس وهو مجرَّد شماس كان درساً إلهياً بمعنى الكلمة لفريسي عنيد وأشد مضطهد للكنيسة ظهر في العصر الأول، الذي روَّع الكنيسة وأرعب الرسل وشتَّتهم وشتَّت المؤمنين ونكَّل بهم رجالاً ونساءً. ولكن كانت النتيجة أنه هو الذي التقط الإيمان الصحيح وأصبح جاهزاً للدعوة العليا من السماء من الرب الروح نفسه! بل وأثناء سجن ق. بولس بعد ذلك ودفاعه المتواصل عن نفسه كان أهم موضوع يعرضه على الحكَّام والملوك هو كيفية اضطهاده للمسيحيين وما نشأ عن ذلك من إيمانه هو. وهكذا وإلى الآن فبذرة محاكمة استفانوس هي رأس مال الكنيسة لاهوتياً وتاريخياً وتعليمياً. أمَّا النعمة والحكمة والإلهام الذي دافع به استفانوس عن المسيح والصليب أمام السنهدرين وضد مضطهدي الكنيسة فكانت أقوى ما سمعنا عن الإيمان المسيحي حتى اليوم. وهكذا وعد المسيح وحقَّق الوعد!! والكرازة والرسولية والإرساليات تسير!! (انظر دفاع ق. استفانوس في كتاب شرح أعمال الرسل صفحة ٣٢٧ وما يليها).

١٠: ١٩و٢٠ «فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا

تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ».

هنا رسالة خاصة بالقبض والسجن والمحاكمة: وكأنما يصوِّر المسيح تاريخ الرسل والرسالة بفيديو يعطي الصورة الكاملة المسبقة بكل مواقفها ومخاطرها، ويحوِّلها إلى قصة شيقة قبل أن تكون واقعة تعذيب وموت وسفر! ويلاحظ أن اتجاه المسيح ذو الشعبتين: "لا تهتموا لا كيف πῶς ولا بما τί (How & What) تدافعون"، فهنا المحامي جاهز وقد درس القضية وأعدَّ المذكرات والدفاع واستخدم كل وسائل تعجيز المحقِّق والقاضي والحاكم، ورتَّب بنود موجبات البراءة لموكِّله. والبراءة الكاملة دون نقض هي طلباته التي يُلزم بها المحقِّق والقاضي. اسمع أقوال التعجيز التي استخلصها ق. بولس بروح الله من فم الحاكم والملك عنوة مما أذهل الشهود والسامعين والمحلفين والقضاة: فقال للملك أغريباس وهو يستمع إلى مراحل قضية ق. بولس التي تزاحمت وملأت دوسيهاً بأكمله، وق. بولس لا يكف عن الدفاع ومراوغة الملك وملاطفته حتى استدرجه للإيمان:

+ «لأنه من جهة هذه الأمور، عالِمٌ الملك الذي أُكلِّمه جهاراً، إذ أنا لست أُصدِّق أن يَخْفَى عليه شيء من ذلك، لأن هذا لم يُفعل في زاوية (بل أمام محاكم). أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء؟ أنا أعلم أنك تؤمن. فقال أغريباس لبولس: بقليل تُقنعني أن أصير مسيحيًّا. فقال بولس: كنت أُصلِّي إلى الله أنه بقليل وبكثير، ليس أنت فقط، بل أيضاً جميع الذين يسمعونني اليوم يصيرون هكذا كما أنا، ما خلا هذه القيود.» (أع ٢٦: ٢٦-٢٩)

نعم، فقد صدق ق. بولس في تعليمه حينما قال: «لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله التي نتكلَّم بها أيضاً، لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية، بل بما يُعلِّمه الروح القدس، قارنين الروحيات بالروحيات» (١كو ٢: ١٢و١٣). ويعرِّف ق. لوقا هذا الموقف بقوله: «أعطيكم فماً وحكمة.» (لو ٢١:١٥)

والمعروف والمؤكَّد أن في محاكمات وتعذيبات الرسل والمسيحيين أن الذي كان يُحاكَم هو بالفعل المسيح، لذلك تكفَّل المسيح بالدفاع عن حق، لأن القضية قضيته بالدرجة الأُولى، فهو المتهم وهو المسئول عن الاتهام! ثم تأتي التعاذيب والآلام، فقطعاً كان يشترك فيها المسيح بأكثر من النصف أو كقول أحد الإخوة: لم أكن أحس بالضرب بكعب البندقية الذي كان يصوَّب إلى ركبي وظهري حتى ظننت أنهم طحنوا عظمي، فبعد أن وصلت أمام الضابط قمت واقفاً أتحسَّس شيئاً من الكسر فلم أجد ولا أثر لكدمة واحدة!! فأعادوا الضرب!!

وق. بولس ينقل لنا خبرة شاول من السماء عن كيف يُضرب المسيح حينما يُضرب المسيحي: «شاول شاول لماذا تضطهدني؟!» (أع ٩: ٤)، «أمَّا هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه.» (أع ٥: ٤١)

١٠: ٢١و٢٢ «وَسَيُسْلِمُ الأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَالأَبُ وَلَدَهُ، وَيَقُومُ الأَوْلاَدُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ».

هنا بغضة الأقربين للإنسان الذي يشهد للمسيح خوفاً من العار والفضيحة، كيف يصير أخوهم مسيحياً، فالعار الذي يلحق بالعائلة لا يطيق أن يتصوَّره الأهل، فيشتركون لا في التسليم للموت وحسب بل ويرتكبون الموت بأيديهم. سمعنا عن قتل الأُم ورأينا كيف تتضافر جهود كبيرة ومسئولة لتسليم أخت بكل تدبير ممكن أن يكون. ولكن رأينا كيف ينقذ المسيح ابنته من أيديهم نهاراً جهاراً، لا في زمان مضى بل في هذه الأيام. فالخوف والاستهتار بالاسم يبلغ حد الخيانة والبيع المجاني. سمعنا عن أخ مؤمن حبسه أهله توطئة لإغراقه في النهر، وإذا في نصف الليل جاء العريس المنقذ وفتح له الباب ودفعه قائلاً: اهرب لحياتك. يخطِّطون ويسلِّمون بلا رحمة وأب الرحمة يفك ويطلق السراح. قصص ألوف ومئات الألوف نصفها مفزع في كيف تصنع البغضة، والنصف الآخر مُذهل إذ كيف تصنع المحبة. والبغضة تسرح وتمتد لا تعرف أخاً أو أباً أو أمًّا لأن اسم المسيح لا يُطاق، كفيل أن يزلزل العلاقات ويبدِّد كل أثر لا للمحبة ولا للصداقة ولا للرحمة وحسب، بل وللإنسانية. فما يعمله ذئب أرحم مما يعمله أخ أو أب أو عم!! وكأن البشرية كلها ورثت من حنّان وقيافا جنون الحقد والتشفِّي عندما ذهبا ليعاينا الصليب ليطمئنوا أنه قد ذُبح بالتمام ومات. فاطمأنوا ... ولكنه قام!!

وقول المسيح لا يزال يُردَّد في أرجاء الكنيسة حتى اليوم: «وتكونون مُبغضين من الجميع من أجل اسمي. ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت ١٠: ٢٢). يصبر على البغضة القاتلة بالأمانة للاسم وباستعداد الموت، فهذا يخلص!

١٠: ٢٣ «وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الأُخْرَى. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لاَ تُكَمِّلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الإِنْسَانِ».

شرح هذه الآية أخذ من العلماء كل مأخذ، وأعلنوا أن حلّ هذه المعضلة غائب تماماً من أمام

عيونهم، وهذا صحيح للغاية، لأنه لا يوجد لها حلّ، إذ أن المسيح سبق وحدَّد أن مجيئه لا يمكن أن يُحسب حسابه زمنياً، أو على حوادث زمنية أو في محيط قدرة الإنسان في قياسات الأزمنة والأوقات وتحديد مجيئه بأي حال من الأحوال. والواقع الذي يتكلّم أمام أعيننا اليوم هو أن مدن إسرائيل، ربما كلها، أبعد ما يمكن عن حتى البدء بأن تقبل كارزين باسم المسيح. فإسرائيل تحت اللعنة إلى اليوم، ولم يحدث أن عبر الرسل كل مدنها لا أيام المسيح ولا بعده وحتى اليوم. إذن فقول المسيح هنا هو صادق وسيستمر صادقاً حتى يجيء المسيح ليعلن أن إسرائيل لا تزال بعيدة عن الإيمان. لأن وعد المسيح هو أن مجيئه يتعلّق برفض كل مدن إسرائيل له وليس قبوله، وهي إلى الآن لا رفضته ولا قبلته! ويبدو أن لإسرائيل نصيباً في مجيء ابن الإنسان حيث يرفع عنها اللعن لتقبله في يوم واحد:

+ «مَنْ سمع مثل هذا؟ مَنْ رأى مِثل هذه؟ هل تمخَضُ بلادٌ في يومٍ واحدٍ. أو تولد أُمةٌ دفعةً واحدةً؟ فقد مخضت صهيون بل ولدت بنيها. هل أنا أمخض ولا أُولِّدُ يقول الرب. أو أنا المولِّد هل أُغلِق الرحمَ قال إلهكِ؟ افرحوا مع أُورشليم وابتهجوا معها يا جميع محبيها. افرحوا معها فرحاً يا جميع النائحين عليها لكي ترضعوا وتشبعوا من ثدي تعزياتها، لكي تعصروا وتتلذّذوا من درَّة (ضرع) مجدها. لأنه هكذا قال الرب هأنذا أدير عليها سلاماً كنهرٍ ومجد الأُمم كسيل جار ف ...» (إش ٦٦: ٨-١٢)

وهكذا نرى مع العالِم جوندري أن بقية مدن إسرائيل ستنتظر خلاصها إلى أن يجيء المسيح حقاً(٩). ونحن نضيف أيضاً: ألم يقل بولس الرسول: «**البقية ستخلص**» (رو ٩:٢٧). وما هذه البقية إلاّ تعبيراً عن بقية المدن وبقية الشعب وبقية اليهود في العالم!!

١٠: ٢٤و٢٥ «لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنَ الْمُعَلِّمِ، وَلاَ الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ سَيِّدِهِ. يَكْفِي التِّلْمِيذَ أَنْ يَكُونَ كَمُعَلِّمِهِ، وَالْعَبْدَ كَسَيِّدِهِ. إِنْ كَانُوا قَدْ لَقَّبُوا رَبَّ الْبَيْتِ بَعْلَزَبُولَ(١٠)، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَهْلَ بَيْتِهِ!»

إذا كان المعلّم لم يوقَّر فالتلميذ لن يُحترَم. ولهذا إن كان التلميذ أو العبد يُعامل باحتقار فهذا ليس مستغرباً، إن كان المعلّم والسيد أُهين وسُلبت كرامته. وواضح من الآية أنه إن كانوا قد لقّبوا

(9) R.H.Gundry, *op. cit.*, p. 194.

(١٠) بعلزبول: هو إله عقرون (٢مل ١:٢) وعبادته محسوبة من عبادة الشيطان. وأصل الكلمة: بال ـ زوباب أي بعل الذباب احتقاراً لهذه العبادة. ومن هنا تأتي تسمية المسيح بهذا الاسم تمادياً في الهزء والاحتقار.

المسيح أنه أداة في يد الشيطان فيكفي أن يُقال على التلاميذ بالمثل. ولكن وعلى هذا الأساس نأتي إلى الإيجابيات، فإن كان التلاميذ والعبيد هكذا ارتبطوا بالمعلّم والسيد وصار لهم نفس المعاملة والنصيب من الأعداء، فيتحتّم أن يكون بالمثل لهم الحماية والولاية من الله كما المعلّم والسيد. إذن وبالتالي وحتماً أصبح عليهم أن لا يخافوا أعداءهم.

١٠: ٢٦و٢٧ «فَلاَ تَخَافُوهُمْ. لأَنْ لَيْسَ مَكْتُومٌ لَنْ يُسْتَعْلَنَ، وَلاَ خَفِيٌّ لَنْ يُعْرَفَ. اَلَّذِي أَقُولُهُ لَكُمْ فِي الظُّلْمَةِ قُولُوهُ فِي النُّورِ، وَالَّذِي تَسْمَعُونَهُ فِي الأُذُنِ نَادُوا بِهِ عَلَى السُّطُوحِ».

فلا تخافوا الأقوياء والرؤساء والمعاندين، لأن علاقة كل منكم كتلميذ وعبد بالمعلّم والسيد تجعلكم كما كنتم شركاء له في لقب الإهانة ببعلزبول سيكون هو مسئولاً عنكم، ومسئوليته تتعدّى راحة الجسد إلى راحة النفس، سواء هنا أو عنده في ملكوته. فتهديدهم ووعيدهم لا يتعدّى الجسد. إذن فهذا لا ينبغي أن يخيفكم.

كذلك إن كانوا يدبّرون الخطط في الخفاء لاضطهادكم وتعذيبكم فسوف تُعرف تلك الخطط وسيقدّمون عنها حساباً لدى الله.

لذلك إن كرزتم بدون خوف من أحد فلا تكتموا شيئاً، فكل ما عُلّمتم علّموا به. فالأمور الخاصة التي كنت أقولها لكم في الأذن فيما يخص مجيء المسيّا علّموا بها علناً وجهاراً ونهاراً.

مكتوم: κεκαλυμμένον وتعني: "مُغطّى". لذلك تأتي كلمة يُعلن بمعنى يكشف ἀποκαλυφθήσεται.

مخفي: κρυπτόν وتعني: "سرّي"، ويأتي في مقابلها كلمة يُعرف γινωσθήσεται.

١٠: ٢٨ «وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ».

هنا كشف أخير لمعنى الكرازة باسم المسيح والملكوت. فهي دعوة إلى الحياة الأبدية التي لا يعرفها العالم. لذلك أصبح من غير المعقول لخادم أو كارز الملكوت والحياة الأبدية أن يخاف لئلا يُقتل، لأن الجسد خارج عن موضوع الحياة الأبدية والملكوت. فلا خوف على الجسد، بل الجسد مُقدَّم عند اللزوم ثمناً للحياة الأبدية بجملته، فأصبح عدم الخوف من قتل الجسد أساساً لعدم الخوف من الذين يهدّدون بالقتل، وليس في أيديهم بعد ذلك أن يعوّقوا دخول الملكوت والحياة الأبدية.

وهنا أصبح الخوف الحقيقي محصوراً في الذي في يده أن يحرم النفس من الحياة الأبدية. فالذي لا يخاف من الذين يقتلون الجسد هو أسد الله، هو يخيف بالروح ولا يخاف بالجسد.

١٠: ٢٩-٣١ «أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ. فَلاَ تَخَافُوا. أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ».

انتهينا من الآية السابقة بأن الله أبقى لنا حياة النفس مضمونة عنده وفي مجده إزاء خدمة الملكوت وتمجيد اسمه. ويجيء هنا ليصف أن عصفورة واحدة لا تقع على الأرض أو تموت بدون أبيكم، فإن كانت هكذا العصافير وهي تافهة القيمة حيث يُباع عصفوران بفلس واحد، أو عند ق. لوقا الخمسة بفلسين على أساس واحدة فوق البيعة بالجملة، نعم إن كانت هكذا تافهة في نظركم وتقديركم، ولكن عند الآب عصفورة واحدة لا تقع على الأرض بدون أبيكم[١١]. فكم يكون بالحري إنسان كارز بالملكوت، وهو بالضرورة مواطن سماوي مكتوب اسمه في سفر الحياة، هل يُقتل بدون إذن أبيكم؟ وعليه تكون حياتكم على الأرض محسوباً عدد أيامها ومحدَّداً يوم رحيلها، وبالتالي فهي ثمينة عند الله وذات قيمة عالية، هي قيمة اسمه وملكوته الذي نخدمه ونباركه ونحيا له ومن أجله. فإن كان موتنا محسوباً هكذا ومكرَّماً، فكيف نخاف مِنْ قاتلينا أو نرهب الموت، والموت يُحضرنا في اللحظة والتو إلى حضرة الآب في السماء!

«وأمَّا أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة»:

والمعنى أنه ليست أجسادكم ونفوسكم معروفة ومحسوبة أيامها ومستقبلها أمام الله وحسب، بل وحتى شعور رؤوسكم محصاة. فالذي على دراية دائمة بعدد شعور رؤوسنا، هل يغيب عنه عدد أيام حياتنا على الأرض، أو مستقبل حياتنا عنده؟ أمَّا كيف يعرف الله عدد شعور رؤوسنا فهذا هو علاقة الخالق بما خلق: متى يولد ومتى يموت، يحيا وينمو ويتطوَّر، يزيد فيه ما يزيد وينقص فيه ما ينقص، كل حركة لها أصلها عنده، فهي متصلة به إتصالها بالإنسان. لأن الإنسان بجملته يحيا ويتحرَّك ويوجد به. فانظر نازفة الدم كيف لمَّا لمست هدب ثوبه بدون معرفته أحس بقوة خرجت منه! إذن فحركة نزيف هذه المرأة كان لها اتصال بالمسيح بنوع ما من الشعور!؟ إذن كيف يموت

---

(١١) عصفور دور إن سقط ∴ يُنسى من الناس فقط
يسوع لا ينساه قط ∴ فكيف ينساني

إنسان يكرز باسمه لحساب ملكوته دون علمه، بل دون شعوره وإحساسه، بل دون ألم منه؟ اسمع ما قاله المسيح لشاول لمّا دعاه للتوبة وهو يقتل أولاده ويضـرب النساء ويجرّهن إلى السجن والموت، اسمع ما قاله تعليقاً على أعماله هذه: «شاول شاول لماذا تضطهدني»؟ (أع ٩: ٤). أليس هذا معناه أن كل معاناة أولاده كانت كأنها عليه، كأنها في جسده، وكان يتألّم بألم هؤلاء الأمناء لاسمه؟

تأكيد كرامة المعترف:

١٠: ٣٢و٣٣ «فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضاً بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، وَلكِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضاً قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ».

لا زلنا في آثار الخوف الذي إذا استسلم له الكارز انتهى به إلى إنكار المسيح كما خاف بطرس من الجارية أو بالتالي من الحكم أو الموت. وهنا يظهر الكارز الواثق من حياته الأبدية من الكارز الذي يكرز عن موضوع اختاره لنفسه كمهنة يأكل منها عيشه أو ينتفع بها من أجل كرامة بين الناس، فالحياة الأبدية ليست شغله الشاغل وليست هي جوهر كرازته. فهو إن انحرف بالهدف ضاع منه شخص المسيح صاحب الحياة الأبدية الذي يكرز باسمه، وأصبح من السهل أن ينكره، لأنه لم يضع في قرارة قلبه وفكره وإيمانه أنه سيذهب لمقابلته فوق. وهنا يضع المسيح الأساس القوي الذي يقف عليه الكارز أثناء مايكرز بالملكوت، وهو الإيمان والثقة المطلقة بالمسيح حاضراً أمامه سامعاً دفاعه، وفي حضرته هو يعيش ويحيا ويتحرَّك، وليس فقط هو الديَّان الذي ستنتهي الحياة أمامه رفضاً أو قبولاً، بل هو الذي يمد الحياة **الآن** أياماً وساعات ودقائق لتكميل رسالة الخلاص التي تكرَّس الكارز لحسابها.

يا آدم «أين أنت»؟ (تك ٣: ٩). لمّا أنكر آدم الله برفضه وصيته دخله الخوف واختبأ من وجهه، فقد ضاع منه إحساسه ببنوَّته لله وصار غريباً عنده. إذن هي فرصة جديدة لآدم في شخص أولاده الذين تبنّاهم المسيح لنفسه ليكونوا أولاد الله، بأن يعترفوا بالله في شخص المسيح لضمان العودة إلى حضرته، لمسح عار أبينا الأول، حاملين اعترافنا في قلبنا وبروحنا للمسيح والله حتى الموت. وهنا كلمة "حتى الموت" لازمة من لوازم شرط الاعتراف، لأننا بالموت سنصعد للتو!!

فإذا سألتني ما هو أعظم عمل يعمله الإنسان في حياته على الأرض؟ تصير الإجابة من واقع ما قلنا أنه هو الاعتراف بالمسيح والتمسُّك بالاعتراف بالمسيح حتى الموت، لأن به نفوز باعتراف المسيح بنا أمام أبيه. وهذا أعظم ما نفوز به، فهي بمثابة عودة إلى الفردوس.

١٠: ٣٤-٣٦ «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَماً عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَماً بَلْ سَيْفاً. فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ».

السيف هنا في إنجيل ق. متى جاء في إنجيل ق. لوقا (١٢: ٥١) "انقساماً" فهو إذن سيف الحق الذي يصرع المنافق وهكذا تبدأ الفرقة بسقوط المنافق الرافض للحق وقيامة البار والمتمسِّك بالحق. ليس أداة حرب وعراك بل فرقة، وإذا بلغت الفرقة حد الشدة والخطورة غير المعقولة اعتبرت أنها كالسيف، كالأمر الذي يفرِّق الابن من أبيه كما سيأتي.

هنا يقدِّم المسيح حقيقة تائهة لا تصدَّق، لأنه محسوب أنه رئيس السلام، فكيف يكون أنه جاء يلقي سيفاً عوض السلام؟ هنا السيف سيف الحق، هذه الحقيقة التائهة، قدَّم لها بالآيات السابقة: «تكونون مُبغضين من الجميع من أجل اسمي». فاسم المسيح (الحق) الحلو المملوء سلاماً ومجداً هكذا بسببه يكون المبشِّرون به موضع بغضة أليمة وقاتلة عند الذين يرفضون الاسم. فهنا العداوة والبغضة تولد حينما يولد النداء بالاسم! وهي العلامة التي تنبَّأ عنها سمعان الشيخ عندما حمل يسوع الطفل على يديه: «وقال لمريم أُمه ها إن هذا قد وُضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل **ولعلامةٍ تُقاوَم**» (لو ٢: ٣٤). ويُلاحِظ القارئ هنا أن سمعان الحكيم النبي قدَّم الذين "يسقطون" على الذين "يقومون" لأنهم هم الذين يصرعهم سيف الحق. فالمحصِّلة لميلاد السلام على الأرض وبين الناس كان ميلاد البغضة والعداوة والسقوط. لأنه يمثل **الحق، والحق غريب في عالم الكذب** والرياء والباطل والإثم، ويمثل النور الحقيقي في عالم يعيش في ظلمة البعد عن المعرفة الحقيقية الخالدة، ويمثل القداسة في عالم يعيش الإباحية والنجاسة والتمرُّد على كل ما هو طاهر. والذين يحبُّون الحق ويعيشونه قلَّة في هذا الدهر، والذين انفتحت قلوبهم ومعرفتهم للدائم الخالد غير المتغيِّر قلة كذلك. أمَّا الذين يطلبون ما هو قدوس وطاهر في هذا العالم فهم أكثر قلَّة وندرة. من هذه النسبة غير المتوازنة رفعت البغضة والعداوة والاضطهاد القاتل قرنها وجلست على كراسي الأباطرة والملوك والولاة والرؤساء والحكام. وأخذت في طريقها السنهدرين واللاويين والشيوخ وأئمَّة الرياسة والحكام والحكمة في إسرائيل حيث وُلِد الحق، فكانوا أول مَنْ ذبحوه. وهكذا قصة ميلاد معرفة يسوع المسيح في كل مدينة وقرية على وجه الأرض تولِّد معها البغضة نفسها وارتفاع مقدار العداوة القاتلة حتى تسحق هذا الميلاد الغريب عن هذا الدهر. أمَّا لماذا وُضعت النبوَّة في فم سمعان الشيخ السقوط قبل القيام، لأن المسيح جاء أساساً ليُقاوِم ويَضطهد ويقتل الكذب والغش والجهالة والنجاسة وكل ما هو تافه في هذا العالم. المسيح هو البادئ بالعداوة والبغضة والقتل، فالسقوط سببه المسيح وليس العالم، سببه الحق وليس

الباطل، سببه النور وليس الظلمة، والقداسة وليست النجاسة!

فكيف ندين العالم والظلمة والباطل والقسوة المجنونة في العالم، والمسيح جاء أصلاً ليدين هذه كلها؟ المسيح جاء ليضع هذه كلها تحت الوعد والتصميم للقضاء عليها، فهي مهدَّدة بالفناء، لذلك تحارب من أجل البقاء بالكذب والسيادة الكاذبة لعلّها تفلت من المصير المشئوم. انظر إلى الليل القاتم وانظر إلى شروق النور وكيف يبدِّد فلول الظلام الهاربة من أمامه، إنه يكتسحها اكتساحاً، فإن تأخّر النور أو غابت الشمس استبدَّت الظلمة وأكّدت وجودها الكاذب الوقتي الذي مآله حتماً إلى زوال.

وهكذا وبين الأخين يوجد مَنْ يتبع النور ومَنْ يتمسَّك بالظلام، وهنا الشقاق والخصومة والعداوة والقتل، ولكن يستحيل أن يكون النور هو القاتل بل الظلمة الحاقدة على النور، ولكن النور لا يموت، الظلمة تموت والنور يُولد من جديد دائماً لأنه هو الباقي إلى الأبد. هكذا الأمر في كل بيت وفي كل مدينة وقرية وركن من هذا العالم، النور يولد وعمله الوحيد والأساسي أن ينهي على الظلمة والظلمة تقوم وتقتله، ولكنها بقتلها للنور تحكم على نفسها بالفناء. على هذا الضوء يقول المسيح لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد (لأنه زائل أصلاً) أمَّا النفس فهي بنت النور وباقية إلى الأبد بقاء النور الأزلي (انظر تقديمنا لمعنى النور والظلام في كتاب شرح إنجيل ق. لوقا صفحة ٤٩٥).

وليس للنور مهادنة مع الظلمة وإلاَّ فإنه يفني نفسه بنفسه!
ولكن أحبوا أعداءكم!! أمَّا الظلمة فلا تحبوها!
فالنور يتعقّب الظلمة ولكن ليس الظالمين.

١٠: ٣٧ «مَنْ أَحَبَّ أَباً أَو أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْناً أَوْ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي».

كيان الأسرة أصلاً هو لحساب العالم، فالتوجيه الذي استلمه الإنسان الأول هو هكذا: «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأُنثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم: أثمروا واكثروا واملأوا الأرض» (تك ١: ٢٧و٢٨). لذلك فكل العواطف الأسرية للأب والأم والأولاد وتمسُّكهم ببعضهم البعض إلى أقصى درجة هو أصلاً لقيام العالم وملء الأرض وضماناً لعدم فناء الجنس البشري. ولكن المسيح جاء - آدم الثاني الجديد - ليصنع من الإنسان الجديد ككلٍّ، أسرة سماوية لحياة أخرى أبدية، تعلّقها الفردي مع المسيح أبي الحياة وهو الحياة، وتعلّقها معاً لحساب أسرة المسيح رب "البيت" الكنيسة ملكوت الله! هناك الجذب الشديد من الأسرة لحساب الجنس البشري ودوامه في العالم للعالم، وهنا الجذب الشديد من المسيح والكنيسة لحساب المسيح والله

والحياة الأبدية للإنسان الجديد. ولكن المسيح لم يأتِ ليلغي الأسرة في العالم أو العالم، ولا الجذب داخل الأسرة الذي يحفظ النوع وجنس البشرية، ولكن جاء ليجعل لها كياناً جديداً سماوياً تنتقل إليه بكل كيانها البشري الأُسري. أمَّا إن تخلَّف عضو في الأسرة أو أكثر ورفض النزوع إلى فوق، إلى الحياة الأبدية بالالتصاق بالمسيح والروح، وتعصَّب لغرائزه الأسرية لحساب كيان العالم والالتصاق بالعالم دون الامتداد إلى فوق، هنا وجبت التضحية بالعلاقة بهذا العضو مهما كان أباً أو أُمَّاً أو أخاً أو أختاً أو زوجة أو أولاداً!! الأسرة والعالم أولاً ولكن ثانياً الحياة الأبدية والمسيح والله، بحيث لو "أولاً" تشبثت بالأرض دون "ثانياً" السماء، وجب التضحية "بأولاً".

العاطفة البشرية وغرائز الطبيعة في الإنسان هامة جداً وهي قوام الحياة السويَّة، ولكن بعد أن افتتح المسيح للإنسان حياة جديدة وأسرة جديدة فوق، أصبح امتداد الأسرة بعد نضوجها الطبيعي الغرائزي ليس ناحية العالم وإلاَّ فهي تجري نحو الفناء والزوال، وإنما امتدادها الهام جداً هو نحو المسيح والحياة الأبدية، الذي يضمن **لكل فرد** فيها الخلود والدوام والسعادة الأبدية. فشعار المسيح والمسيحية: «أمَّا أنا فقد أتيت لتكون لهم **حياة** (أبدية) وليكون لهم أفضل (سماوياً).» (يو ١٠:١٠)

١٠:٣٨ «وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي».

الصليب هنا علامة التضحية والبذل، التضحية بالذات وكل ما يشدها إلى الأرض والعالم والأسرة، وبكل العواطف والغرائز التي تطالب بمزيد من استقلال الذات وتنعيمها أو راحتها أو إعزازها وكرامتها ومجدها. هذه كلها تشد الإنسان إلى العالم والأسرة والمال ومسرَّات هذا الدهر. وبمقتضى ما سبق وشرحنا فإن المسيح قد جاء ليهب الإنسان بكل غرائزه الطبيعية وآماله وطموحاته حياة أفضل، ليس في هذا العالم ولا لحساب الجسد أو الذات المربوطة بالجسد. فانفتاح مجال الروح والحياة الأبدية هو انفتاح لغرائز الإنسان وآماله وطموحاته للامتداد في المجال الروحي لإشباع القلب والروح بأكثر مما يعطي أو يهب. فامتداد الإنسان في العالم بكل كيانه المادي وغرائزه محدود وينتهي إلى الصفر ثم العدم! أمَّا امتداد الإنسان بكل كيانه الروحي وغرائزه نحو الروح والمسيح والحياة الأبدية هو امتداد لا يضعف ولا ينتهي. بمعنى أن المسيح لم يأتِ ليحرم الإنسان من نموه وامتداده وإسعاده، بل على العكس تماماً فهو قد جاء ليفتح له المجال الذي لا يضيق به بل يتسع له باتساعه ويمتد به بأكثر من امتداده ضماناً لحياته الممتدة مع الله في الأبدية. فحياة الإنسان بأعظم ما فيها إنما تنتهي بالقبر، أمَّا مع المسيح وبالروح فهي إنما تنتهي بما لا ينتهي، بالله.

ولكن شدة الجذب الذي يعانيه الإنسان المنطلق بالروح نحو الله - ممسكاً بالمسيح والإنجيل ونداء الروح - من حب العالم وغرائز الأسرة والمتعة الوهمية في الأرض تبلغ في عنفها إلى حد التمزُّق وكأنه صلب الذات. المسيح يُدرك هذا مقدّماً ويقول: نعم خذ صليبك هذا وتعالَ اتبعني، وإلاّ فلن تستحق الحياة الأبدية وملكوت الله! فالخلود له ثمن: التضحية بالزائل الفاني!! والسماء والحياة الأبدية لها ثمن: احتقار الأرض وأباطيل العالم. وعشرة القديسين في أسرة المسيح لها ثمن: التضحية بغرائز الأسرة والصداقات الوهمية المتغيِّرة الفانية. ومواجهة هذا التوتر والجذب بين قطبي العالم والله، الجسد والروح، الأسرة والسماء، هو صليب الإنسان في هذا العالم. فإذا لم يحمله الإنسان بوعي قاطع ومسرَّة فلن يستحق الخلاص والتبني والمصالحة مع الله في المسيح، وتصير له مجرَّد آمال وأماني ورجاء غير محقَّق.

أمَّا الفارق بين صليب الإنسان وصليب المسيح، فالأول إماتة والثاني موت!
وعجيب أن يُحسب صليب الإماتة عن العالم مساوياً ومستحقاً لصليب الموت الذي للمسيح!!
إلى الدرجة التي يُقال فيها عن إنسان يمارس إماتة الذات أنه مات عن العالم!
بهذا نفهم قول المسيح إنه إن لم يأخذ الإنسان (بإرادته) صليبه ويتبعني فلا يستحقني!

ولكن لا نستطيع أن نغفل حق الذين يحملون صليب الاضطهاد من أجل المسيح، ويُعانون من الظلم والحرمان في أموالهم وصحتهم وسلب حقوقهم، ويحتملون بشكر وفرح، فهذا ليس من أجل صليب المسيح بل هو صليب المسيح!

١٠: ٣٩ «مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا، وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا».

لقد جمع المسيح جماع كل ما قلناه عن جذب هذا العالم الشديد للجسد والغرائز والشهوات والمسرَّات والغِنَى والأملاك والبنين والبنات، وبالاختصار بهجة الحياة الأرضية، جمعها كلها في كلمة واحدة وقال: **«من وجد حياته»**. إذ يتهيَّأ للإنسان أن حياته أخذت كل وجودها وأمانيها، ولكن الحقيقة أن هذه كلها أخذت حياته وسلبتها وجودها، ونهايتها إلى القبر والفناء. مع أن الذي عمله المسيح هو أنه أعطى الإنسان هذه كلها، وفوقها ضَمَن له حياته الحقيقية أي الحياة الأبدية، أمَّا هذه المتعلِّقات كلها فستزول وتفنى أمَّا حياته فتبقى.

والفرق بين الاثنين طفيف للغاية ولكن أثره لا يمكن أن يُقدَّر! فالذي جعل حياته ثمناً للمتعة والمال والأملاك والتمتع بالأسرة، فحياته الأرضية تذهب بذهابها كأمور مادية مآلها إلى الفناء

ولكن الذي أمَّن على حياته أولاً عند المسيح وصار مواطناً سماوياً، فهذه الأمور كلها - أي متعلقات العالم والجسد وحياة الأرض - لا يُحرم منها، إلاَّ أنه لا يدعها تحرمه من حياته الأبدية وعلاقته مع المسيح. فالروح والروحيات والإنجيل والكنيسة والخدمة والبذل هي حياته الحقيقية، أو حياته الأبدية، فلها الأهمية القصوى. أمَّا متعلقاته بالعالم والأسرة والمال والأملاك فهي في نظره إنما تخدم حياته الحقيقية. وحينئذ يُقال عنه بجهالة: [فلان **ضيَّع حياته** في الجري وراء الكنيسة والخدمة والوعظ، كل ما له رايح على الفقراء، وكل صحته ضيَّعها في الخدمة واللف على البيوت والأسر وخدمة الشبان ومن بلد لبلد، وعمره ما هنَّى نفسه بقعدة في وسط ولاده ومراته]. فإذا سألته: هل حقًّا ما يُقال عنك، يكون ردّه أنا أسعد إنسان في الوجود، فالمسيح هو حياتي وأنا لم أخسر شيئاً وأحب أسرتي وأولادي وزوجتي في عينيَّ!! «مَنْ أضاع حياته من أجلي يجدها»!! والآخر أيضاً: [خيَّب حياته وأحزن أباه وأُمه وعائلته وراح اترهبن ولبس أسود، ومسكين مات عن الدنيا]، فإذا سألته، قال لك أنا أسعد إنسان في الوجود، أنا قد وجدت المسيح وكفاني، أنا بعت العالم واشتريت إللي اشتراني بدمه!! «مَنْ أضاع حياته من أجلي يجدها»! وطبعاً يكلِّلها من يفرِّط في حياته الدنيا بالاستشهاد!

ولكن لا نستطيع أن نغفل حق الذين يعيشون في العالم بعيداً عن الخدمة والتكريس ولكن يدفعون ضريبة انتمائهم للمسيح في الاضطهاد وعدم الترقِّي وسلب حقوقهم وأموالهم من أجل اسم المسيح الذي يحملونه. كذلك الذين يفضِّلون الالتزام بوصية الله - مهما كانت الخسارة - عن استرضاء الناس أو الأسرة.

١٠: ٤٠ «مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي، وَمَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي».

والآن يأتي المسيح إلى تكريم الكارز والخادم والواعظ والمعلِّم والمُرسَل، كل مَنْ ينادي باسم المسيح ويعلِّم الإنجيل والخلاص، هذا يعطيه المسيح امتيازاً شخصياً بأن يحسبه مُرسَلاً من قِبَله، له حق المسيح على السامعين والمتعلِّمين، فكل مَنْ يسمع له يسمع للمسيح شخصياً، بل كل مَنْ قَبِلَه "في حدود خدمته الإنجيلية" فكأنه قبل المسيح ذاته. هذا التمييز نسمعه واضحاً في إرسالية بولس الرسول: «هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أُمم وملوك وبني إسرائيل» (أع ٩: ١٥). ومن المهم جداً هنا أن نعرف قيمة ومعنى "يحمل اسمي". فالاسم هو التعبير عن الشخصية بالمفهوم اللاهوتي. ولهذا كانت للقديس بولس جرأة نادرة ودالة مدهشة، جرأة أن يتكلَّم باسم المسيح ودالة عنده بآن واحد.

فقول المسيح هنا: «مَنْ يقبلكم يقبلني» ليس مجرَّد تكريم الذين يحملون اسم المسيح للبشارة

والتعليم فحسب، بل تأكيد أنه سيمدهم بالقوة الشجاعة والحكمة المقتدرة. وهذا الوعد قادر أن يجعل المُرسَل لا يهاب الناس بل يحس في أعماقه أنه حامل لشخص المسيح ومُعطَى أن يتكلَّم باسمه متكلاً على الروح القدس الذي سينطق في فمه حسب الوعد.

فلو استخدمنا آية بولس الرسول: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠) تكون معبِّرة أقصى التعبير عن وضع الكارز، وبالتالي يندرج تحتها باتفاق أن نقول: «لست أتكلَّم أنا بل المسيح المتكلِّم فيَّ». وقد اعتادت بيوتنا أن ترحِّب بالكاهن أو الأسقف بالقول: "زارنا المسيح" لأنه حقاً كان يتكلَّم بفم المسيح وروحه. أمَّا هو فلم يكن له هذا الإحساس بل يعتذر ويتصاغر، ولكن النبي الكذاب هو الذي يفرض على الآخرين أن يقبلوه كالمسيح.

«ومَنْ يقبلني يقبل الذي أرسلني»:

هنا ندخل إلى تعريف لاهوتي، فالمسيح مُرسَل مِنْ قِبَل الآب، باعتباره ابناً مُرسَلاً من أبيه له كل ما للآب أبيه من كرامة ومجد وعز وسلطان. فالجزء الأول من المعنى هو أن المسيح والله واحد. والجزء الثاني من المعنى يأتي التزاماً وهو أن مَنْ يقبل المسيح يُعتبر أنه قبل الله الآب. وهنا تزداد جداً قيمة الإرسالية وبالتالي المُرسَل. فالمعنى النهائي أن المُرسَل الكارز للملكوت باسم المسيح هو موفَد مِنْ قِبَل الله:

+ «ولكن الكل من الله، الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح، وأعطانا خدمة المصالحة، أي إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعاً فينا كلمة المصالحة. **إذاً نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله.**» (٢كو ٥: ١٨-٢٠)

هنا يكاد الإنسان يُذهل من تفريط الله في اسمه وعمله وحبه وكرامته ومجده للإنسان الذي قَبِل المسيح وأرسله المسيح ليكرز بملكوت الله! فكأن الكارز يطوف ويخدم مدعَّماً مِنْ قِبَل الآب والابن ومؤازراً بالروح القدس!

وهكذا تمَّت طلبة المسيح على المستوى العملي: «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد» (يو ١٧: ٢٣). وأيضاً أعظم آيات إنجيل ق. يوحنا وهي الأخيرة في نهاية الأصحاح السابع عشر:

+ «عرَّفتهم **اسمك** (شخص الآب) وسأعرِّفهم **ليكون فيهم** (كأبناء) **الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم** (بنوَّة واحدة)!» (يو ١٧: ٢٦)

فبمفهوم المدرسين نقول إن الكارز المُرسَل يكرز حاملاً اللاهوت في قلبه وروحه وفكره. لذلك لا يمكن أن نستكثر عليهم رؤية دانيال: «والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ردُّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور.» (دا ١٢:٣)

هذه الآية تجعل قبول الكارزين بالملكوت وباسم المسيح والآب محبوباً ومرغوباً، بل ويُتهافت عليه، ويصيرون ككنز يَسْعَى الناس لاختطافه، وهذا صدق للغاية إن كان الكارز فيه روح الله.

١٠: ٤١ «مَنْ يَقْبَلُ نَبِيًّا بِاسْمِ نَبِيٍّ فَأَجْرَ نَبِيٍّ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَقْبَلُ بَارًّا بِاسْمِ بَارٍّ فَأَجْرَ بَارٍّ يَأْخُذُ».

بحسب العالم الكبير بنجل: [فالنبي هو الذي يتكلّم ويعلّم. والبار هو الذي يعمل. وهذا وذاك باسم الله، وله من كلامه أو عمله ما يُثبت صدق شخصيته](١٢). فالتلميذ المُرسَل يجمع بين عمل النبي والبار معاً.

ويُلاحِظ القارئ أن المسيح كان مغرماً بذكر الأنبياء والأبرار ويقدّر إرساليتهم ويكرّمها: «فإني الحق أقول لكم: إن أنبياءَ وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون و لم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون و لم يسمعوا» (مت ١٣: ١٧)؛ على أساس أن المسيح كان هو شهوة هؤلاء الأنبياء والأبرار، فحُجزت عنهم، وصارت من نصيب تلاميذه الأوائل، ونحن من بعدهم. هم أكلوا وشبعوا ونحن من ورائهم نجمع الفتات.

والمعنى بديع، فالإنسان مثلك ومثلي، في بساطة قلب ورجاء حب، إنما يقبل شخص النبي والبار بدافع واحد وهو طاعتنا لكلام الله ووصاياه، وحبًّا في أنبيائه وأبراره وقديسيه. وكأننا بهذا صرنا مثلهم أنبياء وأبراراً بالشبه والتقليد والتوصيل، كتلك التي لمست - ليس جسده بل هدب ثوبه!! وهذه المعادلة في صالح الإيمان بالله جداً وهي مماثلة لقول ق. بولس: «ولكن (الذي) يؤمن بالذي يبرِّر الفاجر فإيمانه يُحسب له برًّا» (رو ٤: ٥)، فهنا أجر الإيمان عالٍ جداً جداً لا يتناسب مع كيف يبرِّر الله الفاجر؟ ولكن هكذا يهوِّن الله الوسيلة لإتيان البر.

وهذه الآية تمهِّد جداً لاستقبال الكارزين والمبشِّرين والمعلِّمين باسم المسيح والله. وكأننا بقبولهم نقبل المسيح نفسه ونستضيف الله ذاته. فهي آية تقوية وتأكيد للآية السالفة: «مَنْ يقبلكم يقبلني».

(12) J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 260.

على أن هذه الآية مهَّدت لوراثة كرامة الرسل وقبولهم بالنسبة للذين تُرسلهم الكنيسة بعد ذلك في كل جيل وإلى مدى الدهر، التي يؤازرها ويؤكّدها قول المسيح القائم من الأموات: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠). فالمسيح الذي كان في الرُسل يبقى كما هو في كل رسول باسمه ترسله الكنيسة ليخدم ملكوته.

وقد أوضح الرسل في قوانينهم التي بعنوان "الديداخي" أصول استقبال وضيافة الرسول أو النبي، وباختصار فإن الرسول يُقبل لضيافة يومين، فإذا أراد أن يمكث في الثالث فهو نبي كاذب، (الديداخي ١١: ٥١)، وإذا أمر بمائدة وأراد أن يأكل منها فهو نبي كاذب (١١: ٩)، وإذا طلب نقوداً فهو نبي كاذب (١١: ١٢). وبقية القوانين تسير هكذا لتحكم وتضبط سلوك المُرسلين (الديداخي فصل ١١و١٢و١٣).

١٠: ٤٢ «وَمَنْ سَقَى أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تِلْمِيذٍ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ».

يجب أن تُفهم هذه الآية على أن «أحد هؤلاء الصغار μικρῶν τούτων» يُقصد بهم التلاميذ. والآية هنا تشجِّع ضيافة التلاميذ، أي الرسل المحسوبين في نظر المسيح أنهم الصغار اللائقون لدخول ملكوت الله: «مَنْ لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله» (مر ١٠: ١٥). وهي محاولة من جهة المسيح ليصوِّر التلاميذ بأنهم أولاد الله الخصوصيين جداً، وأن تقديم مجرَّد كأس ماء بارد على أنه لتلميذ لن يضيع أجر مَنْ يعطيه. أمَّا المائدة التي تُمدّ لهم فهي محسوبة أنها وليمة ملكوت لكل مَنْ يشترك فيها من أهل البيت.

لذلك فترجمة هذه الآية الترجمة الصحيحة تكون هكذا: «ومَـنْ سقى أحد هؤلاء الصغار ولو كوب ماء بارد **لأنه تلميذ** فالحق أقول لكم أنه لايضيع أجره»(١٣)، وبالتالي فالذي يعطي هؤلاء يعطي المسيح. ولكي يؤكّد المسيح أن أجره لن يضيع جعل "**لن**" مضاعفة التأكيد οὐ μή فهو نفي مثنى أو مغلّظ = لا ولن.

«تعقيب على مبادئ المسيح التي بثّها في قانون إرساليته العظمى لرسله وبالتالي للكنيسة»:

يهمنا هنا أن نوضِّح بعض المبادئ التي وردت في هذا الحديث بما يخص المُرسلين:

(13) W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 479.

١ - يُلاحظ في البدء القول إن المسيح أعطى لهم "**سلطاناً**" خاصاً، سلطاناً يمكن أن يُسمَّى سلطان الرسولية. والقصد خطير وهو أن لا يعتمدوا على سلطان المسيح وتكون سيرتهم ليست على مستوى سلطان المسيح، الأمر الذي يستحيل معه إجراء الآيات ولا حتى التعليم الصحيح، فإذا أخفق الرسول يأتي باللوم على سلطان المسيح. فالرسول والكارز يعتمد على النعمة والقوة الروحية الموهوبة له كسلطان يخدم به ويشفي ويُخرج شياطين، التي بدورها تعتمد بالدرجة الأُولى على مدى طاعة الكارز لوصايا الله والمسيح وأوامره وبقية بنود الإرسالية. ولكن ـ وهذا هام للغاية ـ إن سلطان الخدمة والكرازة يعتمد على سيرة الكارز والرسول ومدى تطبيقه لوصايا المسيح من جهة الذهب والفضة والنحاس والملابس والأكل، وحمل الصليب واحتمال المشقات وعدم الانحياز لعواطف الأب والأُم. وبالأكثر الاعتراف بالمسيح جهاراً وبدون خوف. فإذا أصاب الكارز أو المُرسَل عيب من هذه العيوب توقَّف عمل السلطان الذي له ودخل تحت مساءلة الدينونة، لأنه يصبح عثرة في الخدمة، وويل للذين تأتي بواسطتهم العثرات. وهكذا حينما يخفق المُرسَل في تأدية الرسالة يلزمه أن يأتي باللوم على نفسه وليس على المسيح.

٢ ـ حينما قال المسيح: «ها أنا أُرسلكم كحملان وسط ذئاب» طلب أن السلوك بمقتضى هذه الورطة يكون بالتمسُّك بالحكمة والبساطة. ويُلاحَظ هنا أن المسيح لم يَعِد بأنه سيُدافع عنهم أو يمنع التشهير بهم أو يحميهم من المحاكمات والجلد والضرب، بل جعل هذه الآلام جزءاً حتمياً من الرسالة والكرازة. ولمَّا لمَّح عن تسليم الأخ للأخ للموت كان يقصدهم. وأوضح أن أعداء الكارز والخادم أهل بيته. ولم يعدهم أنه سيحفظهم من الاضطهاد أو الموت. ولمَّا أعطى مَثَل العصفورة التي لا تقع إلى الأرض أي تموت بواسطة صيَّاد أو غيره بدون علم الآب السماوي، هكذا الكارز، فكل ما ينبغي أن يتكل عليه الكارز هو أن الله يعرف تماماً كيف سيموت ومتى سيموت باليوم والساعة. وكل ما يهم الآب والمسيح أن لا ننكر الإيمان. إذن فالجسد لا يدخل في حساب الآب السماوي من جهة الحفظ من الموت، بل الذي يهم الآب هو الحياة الأبدية للنفس. كل ما يقوله المسيح والآب أن نتشجَّع لنحتمل الآلام: «ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو ٢٢:٣٢). لذلك كرَّر أن لا يخاف الكارز من الذين يقتلون الجسد، فالجسد سيموت حتماً ولكن الخوف كل الخوف على النفس لكي يحفظها الله ويرعاها لتحيا في ملكوته ولا تهلك بإنكار المسيح.

هذه المفاهيم مطبقة على المسيحي عامة، لأن كل مسيحي ينبغي أن يكون مستعداً لمجاوبة كل

مَنْ يسأله عن سبب الرجاء الذي فيه، وعن إيمانه وصليبه وحياته وموته. فالمسيحي كارز بإيمانه أينما كان. وقد تسرَّبت أخطاء في التعليم والصلاة أضرَّت بحياة الإيمان المسيحي، كـأن نصلِّي أن يحفظنا الله من الاضطهاد أو نشتكي منه، أو من الظلم أو نتظلَّم منه، أو من التعيير باسم المسيح أو الصليب أو الموت، مع أن هذه كلها جزء أصيل في الإيمان المسيحي. فكل وصية المسيح هي أن لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، بل خافوا الله الذي له أن يُلقي الجسد والنفس في جهنم إن أنكرنا إيماننا المسيحي. أمَّا الضيقات فهي سمة المسيحي وفخره وإكليله، وأي صلاة لرفعها تُحسب حنثاً للإيمان المسيحي. اسمع ق. بولس أبا الاضطهاد يقول: «كي لا يتزعزع أحد في هذه الضيقات فإنكم أنتم **تعلمون أننا موضوعون لهذا.**» (١تس ٣:٣)

أمَّا الاضطهادات فهي أرخص مصدر لسعادة الإنسان وتأمين نصيبه في الملكوت: «فطوبى لكم إذا عيَّروكم وطردوكم.» (مت ٥:١١)

الأصحاح الحادي عشر

بدء القسم الثالث من خمسة أقسام الإنجيل

[١١: ٢-١٣:٥٢]

ويبتدئ بعدم تصديق اليهود للمسيح ورفضه ومعاداته

[١١:٢-١٢:٥٠]

- شكوكُ المعمدان وَرَدُّ المسيح (١١: ١ -١٩)
- ويل للمدن التي سمعت تعليم المسيح ولم تستجب (١١:٢٠-٢٤)
- المسيح يشكر الآب لاستعلان حقيقة المسيًا (١١:٢٥-٢٧)
- دعوة للراحة (١١:٢٨-٣٠)

شكوكُ المعمدان ورَدُّ المسيح

(لو ٧: ١٨-٣٥) [١١: ٢-١٩]

١١: ١ «وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ أَمْرَهُ لِتَلاَمِيذِهِ الاثْنَيْ عَشَرَ، انْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ لِيُعَلِّمَ وَيَكْرِزَ فِي مُدُنِهِمْ».

بهذه الآية ينتهي الكتاب الثاني بحسب تقسيم القديس متى، وهي آيته التقليدية التي يختم بها كتبه الخمسة، التي - كما سبق وقلنا في المقدِّمة - قد جمعها ونسَّقها لتكون البديل للخمسة أسفار التي للتوراة، والتي تضمَّنت ناموس موسى والتعاليم الخاصة بهذا الناموس. وهنا يرى ق. متى أن الإنجيل هو في الحقيقة التوراة الجديدة التي تحوي ناموس المسيح وكافة التعاليم الخاصة به. وهو هنا يصف حديثه السالف عن الإرسالية بتعبيره الخاص: «ولَمَّا أكمل المسيح أمره διατάσσων لتلاميذه»، معتبراً أن بنود الإرسالية كانت على مستوى الأوامر، مثل مقابلها في التوراة التي كانت الوصايا تأتي فيها كأوامر ولكن في صيغة المستقبل الذي يفيد الأمر: «تحب الرب إلهك ...» ولو أن العالَم يعتبرها مجرَّد تعليم.

١١: ٢و٣ «أَمَّا يُوحَنَّا فَلَمَّا سَمِعَ فِي السِّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟»

لا تزال عين ق. متى على سلطان المسيح الفائق كتعريف بمن هو وبرسالته. فكما أوضحه بقوة في العظة على الجبل ثم بالمعجزات، ثم كشفه وسلَّمه لتلاميذه في حديث الإرسالية، جاء هنا ليدعِّمه إزاء الشكوك والمقاومات والرفض. لأن معيار هذا الأصحاح برمَّته هو عرض للمقاومات والرفض التي قابلها المسيح وتعرَّض لها.

ويلزم أن نتذكَّر أن المسيح سمع سابقاً أن يوحنا أُسلم: «ولَمَّا سمع يسوع أن يوحنا أُسلم انصرف إلى الجليل» (مت ٤: ١٢) ذلك في بداية خدمته في الجليل بعد التجربة على الجبل مباشرة.

ولكن هنا يحكي عن شكوكه وهو في السجن قبل أن يموت، لأن ق. متى هنا بصدد جمع كل أعمال الشكوك والعداء والرفض التي عاناها المسيح في هذا الأصحاح. بينما سيعود ليذكر حادثة القبض على المعمدان بواسطة هيرودس وإلقائه في السجن هناك في الأصحاح (١٤: ٣) باعتبارها قصة قديمة يستذكرها ويذكر معها موته، كما يعود ويذكر للمرة الثانية كيف انصرف المسيح لَمَّا

سمع خبر استشهاده (١٤: ١٢).

ويلاحَظ هنا أن ق. متى لا يذكر "يسوع" بل المسيح توكيداً لرسالته في مواجهة شكوك المعمدان. وهنا نرى أنه من الواجب أن لا يغيب عن بالنا نقد تلاميذ يوحنا المعمدان السابق للمسيح نفسه: «حينئذ أتى إليه تلاميذ يوحنا قائلين لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيراً وأمَّا تلاميذك فلا يصومون؟» (مت ٩: ١٤). واضح أن السؤال الذي جاء يحمله تلميذا المعمدان ليس جديداً في أمر تشككهم هم أيضاً وانتقادهم، فالأمر في نظرنا أكثر من مسألة عدم الصوم، إذ واضح من جهتهم تعصبهم لأعمال النسك والعبادة المعتمدة على الاجتهاد البشري، ووضع الأنظمة القائمة على الناموس والزائدة عن الفروض التي يسمونها نوافل العبادة، التي تتناسب بالفعل مع منهج المعمدان وتقشفه الشديد في الأكل واللبس ونوع الحياة، هذا من جهة المعمدان وتلاميذه. أمَّا من جهة نظرتهم للمسيح فقد خاب أملهم فيه لأنهم انتظروه يحمل بيده مذراته (رفشه) ليجمع التبن للحريق، فإذا به وديع ومتواضع، لا يسمع أحد صوته في الشوارع، محب للخطاة ويأكل ويشرب مع العشَّارين ويغفر للزناة. هذه هي "الأعمال" التي سمع عنها المعمدان في سجنه بقلعة ماخيروس (خربة المكور الآن) على بعد خمسة أميال شرق البحر الميت، وكانت قصراً لهيرودس[1]. فإن كان المسيح هكذا لطيفاً مع الخطاة، يصنع الآيات والمعجزات وحسب، فقد أخطأ المعمدان في حساباته وأوصافه عن مسيًّا الآتي الأقوى منه. ومعروف كيف أن المعمدان كان شخصية حديدية نارية أرعب الكتبة والفريسيين ونعتهم بأقذع الألفاظ، والجند روَّعهم بابتزازهم الأموال من الناس. فنظر وإذا المسيح أهدأ من نسيم الصباح، قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يُطفئ، هذا من جهة الأسلوب والمنهج الذي جعله يشعر أنه أخطأ في تصوُّره وتعليمه عن الآتي بعده. أمَّا من جهة العلاقة المقطوعة فهي التي حزَّت في نفسه وفاض كيلها لما انتظر أن المسيح يصنع شيئاً بقوته السمائية وبمقتضى سلطانه ومعجزاته لينقذه من ظلم هيرودس ويخرجه من حبسه الذي طال، حتى على أساس أنه إنما يخدم طريق المسيًّا، فهو يُعِدُّ له طريقه. فكيف يتجاهله إلى هذا الحد! هنا أرسل تلميذيه ليستفسرا عن الأمر ويتحققا من شخصه وتعليمه، ولعلَّه إذا رآهما يذكر رحمة ويصنع له شيئاً.

ولكن المسيح كان يعلم كل هذا: الذي للمعمدان والذي له شخصياً، وكل ما قيل عن المعمدان والذي قالوه عنه شخصياً. ولكن ماذا تقول الشمس إذا اعتدلت في السماء لمصباح صغير أوقدوه بالليل على شاطئ الأُردن؟ جاء يوعِّي الناس وينادي بالصوت العالي عن المسيًّا، والمسيًّا جاء وأعماله

(1) Josephus, *Jewish War*, VII, 175.

تتبعه؟ ولكن لا يزال أمامنا باب مفتوح نُطلُّ منه على فكر يوحنا المعمدان بعد أن أنهى مشواره بالسجن وانقطع فجأة الصوت الذي يصرخ في قلبه، بانقطاع صوته في داخل السجن. أين هو من عمله الذي جاء من أجله؟ هل انتهى؟ وإلاّ فلماذا أنا هنا؟ إن خدمة المعمدان قد توقَّفت فهو يسأل عن خدمته. هل جاء المسيَّا أم أنه سيأتي؟ لو كان قد جاء يكون السجن نهايتي، وإن لم يكن قد جاء بعد فلابد أن أخرج وأُكمِّل عملي. فأرسل: هل أنت الآتي؟ أم ننتظر آخر نخدمه؟

١١: ٤–٦ «فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا: اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ، وَتَنْظُرَانِ: الْعُمْيُ يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ. وَطُوبَى لِمَنْ لاَ يَعْثُرُ فِيَّ».

يُلفت المسيح نظر المعمدان إلى النقرة التي منها قُطع، أليس من إشعياء أخذ صوته الصارخ ومن فمه استلم إعداد الطريق وتقويم السبيل في القفر للآتي بعده. والآتي بعده ها هو قد أتى حاملاً صوت إشعياء نفسه وعاملاً بمفردات نبوَّته حرفاً بحرف؟ أليس إشعياء الذي قال عن الصوت الصارخ هو بنفسه قال: «حينئذ تتفقح عيون العمي وآذان الصُّم تتفتَّح. حينئذ يقفز الأعرج كالإيل (الغزال) ويترنَّم لسان الأخرس؟» (إش ٣٥: ٥و٦)، أليس هو القائل: «روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأُبشِّر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب لأُنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق ... لأجعل لنائحي صهيون لأعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد ودهن فرح عوضاً عن النوح ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة. فيدعون أشجار البر غرس الرب للتمجيد» (إش ٦١: ١–٣). ثم اعتماد المسيح على النبي إشعياء لتوعية النبي المعمدان ليس حَدْساً جديداً: فـ«أرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء» (١كو ١٤: ٣٢)

«وطوبى لِمَنْ لا يعثر فيَّ»:

ما أقرب هذا القلب إلى القلب الذي طلب من أجل بطرس: «ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو ٢٢: ٣٢). إن هذه الآية التي اختتم بها المسيح أقواله لتلميذي المعمدان ولو أنها تحمل تحذيراً ولكنها بآن تحمل الطوبى لِمَنْ حَذِرَ. والمعمدان بإرساله تلميذيه كان كمن يقول: «أُومن يا سيد فأعن عدم إيماني» (مر ٩: ٢٤). لا تلومني، انظر إلى سجني وإلى ذلّي!! وما درى المعمدان أن الذي استغاث به إلى ذات السجن ذاهب وإلى الذل يسير حاملاً صليبه! «إن جعل نفسه ذبيحة إثم ... سكب للموت نفسه!» (إش ٥٣: ١٠و١٢)

ويُلاحِظ القارئ أن المسيح لم يتكلّم كلمة واحدة عن نفسه، وكأنما هذه المعجزات صنعت نفسها بحضوره أو أنها عُملت لتشهد لمجيئه فقط. إن مستوى تواضع المسيح هنا جبَّار عملاق لا يدانيه تواضع قط. فالمعجزات والآيات تجري أمامه، تصيح بأصوات الفرح والتهليل، بمجد الرب ملء الأرض! نحن يصعب علينا أن لا نتصوَّر عاصفة التهليل التي تنطلق من العمى والصم والعرج والبُرْص والشل وهم يصيحون بأعلى أصواتهم ويعطون مجداً لله. والمسيح كأنه غير موجود، ما جئت إلاَّ «أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأُتمِّم عمله!!» (يو ٤: ٣٤)

١١: ٧و٨ «وَبَيْنَمَا ذَهَبَ هذَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ عَنْ يُوحَنَّا: مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِتَنْظُرُوا؟ أَقَصَبَةً تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ؟ لكِنْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَإِنْسَاناً لاَبِساً ثِيَاباً نَاعِمَةً؟ هُوَذَا الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الثِّيَابَ النَّاعِمَةَ هُمْ فِي بُيُوتِ الْمُلُوكِ».

لم يشأ المسيح أن يتكلَّم في وجودهما لئلاَّ يُحسب مديحه إطراءً لاسترضاء صوته. وهنا أسرع المسيح ليصحِّح أي تفكير سواء في الموجودين أو في الذين سيسمعون، أن المعمدان بهذا السؤال يُحسب أنه غير ثابت الرأي أو تزعزع من فرط الحزن والاضطهاد. فهو كما هو وكما يراه المسيح، جبَّار بأس وإلاَّ لما أرسل بنفسه يستفسر لنفسه ليستوثق من عمله الذي عمل، أي شهادته التي شهد، وعن العمل الذي عُمل به أي سجنه الذي كان إعداداً للذبح. إذن، فالمسيح يستبعد عن يوحنا بيقين أنه قد غيَّر رأيه ولكنه يستوثق من عمله. فهو ليس كالقصبة التي تحرِّكها الريح، والريح هنا هي الظروف القاسية التي ألمَّت به. ولكن السجن للمعمدان في نظر المسيح هو شهادة جرأة وبأس لإنسان وبَّخ ملكاً دون أن يهاب. فالسجن يحمل صورة إكليله ولم يحطّ من قدره. ثم نفى الثياب الناعمة عن جسم المعمدان الذي كان وبر الإبل يحك جلده في نومه ويقظته، ثم ينفي عنه تأففه من شظف المعيشة في السجن أو غيره، فهو ابن البراري الذي يستخرج طعامه من الصخر وجحور النحل. أين هذا من بيوت الملوك ورفاهية العيش؟

١١: ٩ «لكِنْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَنَبِيًّا؟ نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ، وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيٍّ».

أمَّا قوله نبي **فلا مراء** في ذلك بشهادة الأنبياء والروح بفم أبيه زكريا، فقد وُلد ليكون نبيًّا، بل نبي العلي يُدعى! أمَّا كونه أفضل من نبي، فلم يحدث أن نبيًّا رأى المسيَّا ووضع يده عليه ورأى الروح نازلاً عليه من السماء وسمع شهادة الله أن: «هذا هو ابني الحبيب». فكفى لأي نبي أن يتنبَّأ، أمَّا هذا فرأى وشاهد وشهد وأعدَّ الطريق أمام يهوه حسب نص النبوَّة: **«ها أنذا أُرسل ملاكي**

فيهيء الطريق أمامي» (مل ٣: ١). ثم أي نبي أُعطي له نصيبٌ وشركة في الإعداد للملكوت بسلطان التوبة ومغفرة الخطايا؟

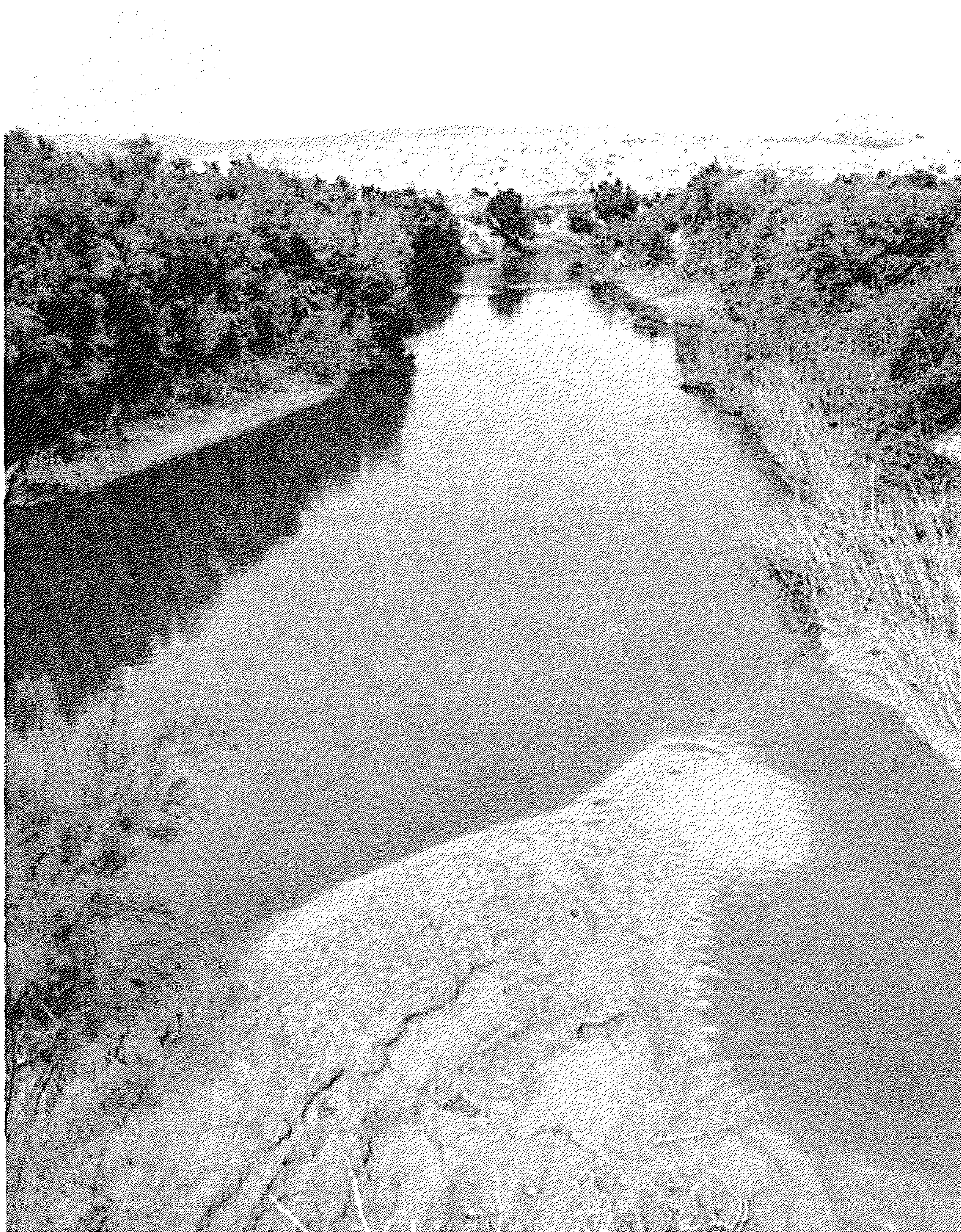
١١: ١٠ **«فَإِنَّ هذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ عَنْهُ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ».**

لقد أعاد المسيح صياغة النبوَّة لتنطبق على يهوه **لمَّا تجسَّد** وصار هو يسوع المسيح المتكلِّم. فمِن يهوه: «ملاكي فيهيء الطريق أمامي» إلى يسوع المُخاطب والمتكلِّم هو الله «أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدَّامك». وبهذا عدَّل المسيح النبوَّة بسلطان الله مِن عمَّا كانت ليهوه لتصير لنفسه.

١١: ١١ **«اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ».**

هنا لا يفوتنا أن في هذه الشهادة تلميحاً إلى المعجزة التي وُلد بها المعمدان، فهو ابن موعد، وُلد ليكون نبيًّا خاصاً للعلي وتقدَّس وهو في بطن أمه، وتكلَّم أبوه بالروح القدس بعد صمت يرحِّب به بفم نبوَّة: «وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى لأنك تتقدَّم أمام وجه الرب لتعد طرقه لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم.» (لو ١: ٧٦و٧٧)

والمسيح إذ يعرف سر المعمدان يوقِّره كأعظم من نبي: «وامرأتك أليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته، لأنه يكون **عظيماً أمام الرب**. وخمراً ومسكراً لا يشرب ومن بطن أُمه يمتلئ من الروح القدس. ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم. ويتقدَّم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار، لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً» (لو ١: ١٣-١٧). فالآن يرفع المسيح يوحنا المعمدان أعظم من كافة بني البشر المولودين من النساء، وهنا يكمن سر ميلاده، ثم يرفعه أعظم من كافة الأنبياء وهنا يكمن ارتفاع نوع نبوَّته إذ هي نبوَّةٌ خادمةٌ للعلي مباشرة، وكأنه الشاروبيم يُعدّ طريقه حتى لا تصدم بحجر رجله. ثم كونه يأتي بروح إيليا جاء حاملاً قوة العهد الأول ليخدم صاحب العهد الجديد، ويسلِّمه سر غلق السموات وفتحها، لذلك فلحظة أن خرج المسيح من تحت يد المعمدان انفتحت له السموات ورأى الروح وسمع الصوت الأبوي يحيِّي ابنه الوحيد. وهكذا سلَّم المعمدان الوديعة وأكمل العمل الذي ألح إليه المسيح بقوله إنه ينبغي أن نكمِّل كل برّ!



نهر الأردن
الموقع حيث يُعتقد أن عنده تعمَّد المسيح



«قال هذا في المجمع وهو يعلّم في كفرناحوم.» (يو ٦: ٥٩)

كفرناحوم ـــ بقايا مجمع قديم

لم يبقَ من كفرناحوم القديمة إلا كومة من الحجارة بجانب شاطىء البحيرة. وفي عام ١٩٠٥ اكتشف عالمان ألمانيان الموقع. وأكمل الإكتشاف الآباء الفرنسيسكان عام ١٩٢٦.

ويُعتبر المجمع القديم أهم الإكتشافات في كفرناحوم، وهو يرجع إلى القرن الثالث، وقد بُني على أنقاض المجمع الذي بناه قائد المئة الذي شفى المسيح غلامه (لوقا ٧). ووُجد منقوشاً على الحجارة بعض الرموز اليهودية، مثل وعاء المن، ونجمة داود، وتابوت العهد.

«ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه»:

يوحنا أخذ أعلى كرامة يمكن أن ينالها إنسان العهد القديم. ولكن إن قورن بالعهد الجديد وملكوت الله فهو لا يقارن قط بإنسان نال الخلاص وقوة الفداء وغسيل الدم وشركة الجسد وروح الله، وتصالح مع الله ونال التبني! فهو إلى هذا الحد يقف عند عدم استحقاق حمل سيور حذائه، فلم يبلغ بعد الشركة مع المسيح والالتصاق به ليصير معه روحاً واحداً!! فهو يبقى كما هو ينتظر التبني «إلى أن يجيء»!

هنا يلزم أن ندرك ما معنى «الأصغر في ملكوت الله أعظم منه». هنا الأمر ليس عظمة شخصية أو عظمة مجد أو إنارة، بل هي الطبيعة البشرية التي أهّلها المسيح بموته وقيامته وتسليمها جسده القائم من الأموات، كخلقة جديدة بينها وبين الخلقة الأُولى هوة سحيقة يستحيل لإنسان أن يعبرها إن لم يعبر به المسيح شخصياً، ليسلّمه ما استلمناه ويهبه ما وهبنا.

١٢:١١ **«وَمِنْ أَيَّامِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ إِلَى الآنَ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ».**

والآن يستمر المسيح يشهد للمعمدان ولمركزه العالي، إذ ولو أنه لا يُحسب أنه مواطن لملكوت الله الذي ينادي به، ولكنه منذ أن نادى بقرب ملكوت الله وبالتوبة لمغفرة الخطايا والعماد في الأُردن مع الاعتراف بالخطايا، نشأت تبعاً لذلك قوة وحركة نحو ملكوت المسيّا الذي أحسّه الناس «قد وجدنا مسيّا.» (يو ١:‏٤١)

«ملكوت السموات يُغصب»:

الكلمة اليونانية يُغصب βιάζεται تحمل معنى العنف كالعاصفة، فتكون العاصفة بعنفها من جهة الملكوت ترفعنا إلى فوق مثل «مركبة إسرائيل وفرسانها» (٢مل ٢:‏١٢). والكلمة تترجم بواسطة العلماء المقتدرين في اللغة اليونانية مثل ماير(٢) حرفياً كالآتي: إن (الملكوت) يُمتلك بالقوة أو يُقتحم - is conquered **بمعنى أن الغيرة والاشتياق المتولّد الذي لا يقاوَم، مع العراك struggling** لامتلاك ملكوت المسيّا الذي نشأ وتقوّى وازداد في أيام المعمدان وهو يعظ عن المسيّا والملكوت، أصبح وكأنه الملكوت يُغصب كما بعاصفة اقتحام. والناحية المقابلة صحيحة عند بعض العلماء وهي أن الملكوت نفسه أصبح كالعاصفة أي يقتلع الأشجار فيمتلك القلوب والناس ويرفعها برغم المقاومة التي تجعلها وكأنها عنوة! ولكن ولو أن هذا المعنى مقبول شكلاً ولكن بقية الكلام

(2) H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 225.

الذي يأتي بعده يضعفه ويلغيه.

«والغاصبون يختطفونه»:

بمعنى أن الذين يستخدمون العنف في احتهادهم أو بمجهودات عنيفة يجرُّونه نحوهم drag it to themselves بنجاح. وكأنهم يقبضون على غنيمة فتصبح ملكهم. وهكذا يصوِّر المسيح أن السعي للملكوت أصبح بتلهُّف شديد ونشاط فعَّال وليس بعد بهدوء وتعقُّل ومجرَّد أمل في أمر ملكوت الله.

١١: ١٣و١٤ «لأَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ وَالنَّامُوسَ إِلَى يُوحَنَّا تَنَبَّأُوا. وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ».

هذه الآية تشدِّد ما قبلها وتجعلها حقيقة مفروغاً منها، والمعنى هو أن ما حدث منذ أيام يوحنا وخدمته، وهو أن ملكوت الله صار الموضوع الذي تتجه إليه حركة امتلاكه بالعنف، كان علامة على مجيء إيليا الموعود به (مل ٤: ٥). فالأنبياء والناموس (العهد القديم بأكمله) ظلُّوا يتنبَّأُون حتى أيام المعمدان. والذي حدث بمجيء المعمدان هو توقف عصر التنبُّـؤ حتى انتهى إلى توقف نهائي، وكان يوحنا هو نفسه نهاية هذا التنبُّؤ، ثم هو نفسه أول من خطا خطوة ظهر بها على مسرح الحياة باعتباره السابق للمسيَّا الذي يُعد له كإيليا الموعود أنه يأتي. وبالتالي وبالضرورة فإن حركة العنف في امتلاك الملكوت التي ظهرت بين الناس أشارت قطعاً إلى ظهور إيليا، الذي أُعطي لهم كعلامة البدء. والذي يؤكِّده المسيح هنا أن يوحنا المعمدان هو إيليا إذا استطاعوا أن يدركوا السر، وبناءً على ذلك تكون نبوَّة ملاخي بإرسال إيليا (مل ٤: ٥) قد تحققت في المعمدان وبالتالي الملكوت. وهذا إثبات رائع من المسيح أورده ليدعِّم أقواله السابقة بأهمية يوحنا المعمدان في ظهور الملكوت وحركة الاندفاع الهائلة نحو امتلاكه. وهو تنازل من المسيح ما بعده تنازل. ويعلِّق على ذلك العالم بنجل(٣) بقوله: [إن لغة المسيح هنا كإنسان ينظر من العهد القديم إلى ما يحدث في العهد الجديد].

١١: ١٥ «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ».

تُعتبر هذه الآية دعوة من المسيح لإعادة النظر والسمع للآية السالفة لأهميتها القصوى حيث السمع هنا هو الوعي الداخلي.

---

(3) J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 256.

١١: ١٦-١٩ «وَبِمَنْ أُشَبِّهُ هذَا الْجِيلَ؟ يُشْبِهُ أَوْلاَداً جَالِسِينَ فِي الأَسْوَاقِ يُنَادُونَ إِلَى أَصْحَابِهِمْ وَيَقُولُونَ: زَمَّرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا! نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَلْطِمُوا! لأَنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا لاَ يَأْكُلُ وَلاَ يَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: فِيهِ شَيْطَانٌ. جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ. وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ بَنِيهَا».

بهذا المثل يهزأ المسيح بعقلية الكتبة والفريسيين، ويردّها إلى مستوى لعب العيال، ولكن بالملاحظة نرى أن المسيح يورد هنا المستوى المنحط من تفكير النقّاد من الكتبة والفريسيين بعد رفع تفكير القارئ إلى أوج قمته في أمر المعمدان وعمله. حيث يورد النقد هنا لشخصيته هو ولشخصية المعمدان التي لم تُرضِ عقلية هؤلاء القوم النقاد الذين تزعَّموا الجيل بأكمله فأضلُّوه ولعبوا بعقله حتى جعلوه يخرج عن الحكمة والمعرفة والأصول التقليدية. والتوازن هنا مختل اختلالاً فاضحاً، فلا النسك والعبادة التقليدية التي للآباء والأنبياء أرضتهم، ولا الاتساع والحب والرحمة والنزول إلى مستوى المسكين والفقير والمضطهد يرضيهم! هنا أوقفهم المسيح في تناقض مرير، وجعل رأيهم وفكرهم مجرد انفعالات لا تضبطها حكمة ولا معرفة ولا تقليد ولا تطلُّع إلى الأفضل.

والمثل ينطبق تماماً على روح العهد القديم في يوحنا المعمدان، الحزن وتوقُّف الحياة كما بتشييع جنازة، وعلى روح العهد الجديد الفرح والتهليل والرقص وانبثاق النور والحياة. فلا هذه أرضتهم في المعمدان، ولا هذه الحياة أرضتهم في المسيح. مع أن أصالة الانطباق بالنسبة لروح العهد القديم بالنسبة للمعمدان مقطوع بها، فهو نبي وبار ولائق من كل الوجوه أن يكون مثلاً أعلى لكل الأنبياء الذين كانوا ينوحون على حالة الشعب في العهد القديم. فبالرغم من حمله مشعل النسك والتحفُّظ والتدقيق في كل أمور الحياة، إلاَّ أنه جاء يشيِّع العهد القديم ويحيِّي ويقدِّم عريس العهد الجديد كما لقَّبه المعمدان. وهنا خرج عن رزانته وقال: إنه بناء على وظيفته فقط كمن يُعدّ الطريق للعريس، وعليه يتحتَّم أن يفرح كصديق للعريس. وهنا وفي هذه اللحظة التي يتقابل فيها القديم مع الجديد يتحتَّم أن نرفع الحزن والنسك عن وجه العهد القديم لمَّا التحم بالعهد الجديد ليدخل سهلاً مهلاً في رحاب فرح الله ومسرَّة ملكوته، كفرح سمعان الشيخ والناسكة حنة النبيَّة. هذا إبداع التلاقي بين العهدين على يد المعمدان، إذ احتفظ بما له ولكن اشترك فيما لغيره: "ينبغي أن أفرح وأن أنقص بآن واحد". هذا التقدُّم أو الشخصية التقدمية لم تعوز نبي النسك والبرية لمَّا خطا خطوته الأُولى والعظمى لينتقل بالشعب كله من ماضي النبوَّات والناس إلى حاضر عُرس الملكوت: «ولكن يأتي مَنْ هو أقوى مني» (لو ٣: ١٦) دون أن يضحِّي بمظهره القديم أو يجرحه ولا يتمنَّع عن مجاراة الفرحين

بالعريس، ووصف نفسه بالأرضي الذي خرج من ترابه ليصافح ويحيِّي السمائي ليعود بعدها إلى ترابه. والترابي حتماً ينقص ويزول والسمائي يزداد ويكمّل ليبقى كاملاً.

أمّا الذي أربك الأولاد فلم يرقصوا ولا هم لطموا، فهو أنهم عيال لم يفهموا أصل اللعبة، و لم يتبيَّنوا صوت المزمار في وقته ولا أصاخوا السمع لصوت النواح في حينه. لأن اللعبة لعبة صغار ولكن سرّها من صنع الحكمة. والحكمة لا تُدرك ولا تتبرَّر إلاَّ من بنيها والإشارة هنا للتلاميذ! فالكتبة والفريسيون هم الأولاد في الأسواق الذين لم يتبينوا صوت المزمار إذ لم يتعرَّفوا على شكل العريس، وفات عليهم الانتباه إلى صوت النواح السائر في خلف المشهد، فاحتقروا المعمدان وعميوا عن سرِّ إيليا، ففات عليهم الفرح.

والمثل متقن أشد الإتقان ولاذع ومر أشد المرارة. أودى بهيبة الكتبة والفريسيين ودفن نقدهم دفناً واستظهر عليهم استظهار الحكمة على الجهالة.

وهذا المثل الذي سجَّله ق. متى في هذا المكان بلور فيه أعمق رؤية للمسيح عن أعمال النقد والصدام، مع الجهل والبغضة التي نالها على أيدي الكتبة والفريسيين، والتي اختار لها هذا الأصحاح.

ويل للمدن التي سمعت تعليم المسيح ولم تستجب

[١١: ٢٠–٢٤]

(لو ١٠: ١٣–١٥)

١١: ٢٠ «حِينَئِذٍ ابْتَدَأَ يُوَبِّخُ الْمُدُنَ الَّتِي صُنِعَتْ فِيهَا أَكْثَرُ قُوَّاتِهِ لأَنَّهَا لَمْ تَتُبْ».

يلاحِظ القارئ في الآية السالفة أنه يوجِّه وصفه وكلامه عن «بِمَنْ أُشبِّه هذا الجيل»، فهنا وفي هذه الآية صورة هذا الجيل لا تزال منطبعة في ذهن المسيح، وبالطبع تمثِّلها أكثر المدن التي لاقى فيها عدم توبة وعصياناً واحتقاراً ورفضاً، وتزعَّمت هذه المدن، المدن التي كانت أغلبيتها أُميـة. ولكن لم تفلت كفرناحوم من الدينونة وهي بلده التي عاش فيها مع معظم تلاميذه وكانت مركز خدمته، والتي استغلَّت معرفتها له لكي تحتقره وتنتقده في تعاليمه وآياته وقوَّاته التي صنع فيها.

١١: ٢١–٢٤ «وَيْلٌ لَكِ يَا كُورَزِينُ! وَيْلٌ لَكِ يَا بَيْتَ صَيْدَا! لأَنَّهُ لَوْ صُنِعَتْ فِي صُورَ وَصَيْدَاءَ الْقُوَّاتُ الْمَصْنُوعَةُ فِيكُمَا، لَتَابَتَا قَدِيماً فِي الْمُسُوحِ وَالرَّمَادِ. وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ

صُورَ وَصَيْدَاءَ تَكُونُ لَهُمَا حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً يَوْمَ الدِّينِ مِمَّا لَكُمَا. وَأَنْتِ يَا كَفْرَنَاحُومَ الْمُرْتَفِعَةَ إِلَى السَّمَاءِ، سَتُهْبَطِينَ إِلَى الْهَاوِيَةِ. لأَنَّهُ لَوْ صُنِعَتْ فِي سَدُومَ الْقُوَّاتُ الْمَصْنُوعَةُ فِيكِ لَبَقِيَتْ إِلَى الْيَوْمِ. وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَرْضَ سَدُومَ تَكُونُ لَهَا حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً يَوْمَ الدِّينِ مِمَّا لَكِ».

هذه كلها بلدان صغيرة ولكن كانت حالتها متميزة بسبب التجارة عبر خطوط السفر من البحيرة إلى الساحل. وقد جاب شوارعها ودخل بيوتها وكرز فيها بالبشارة المفرحة، وكلّمهم عن الحياة الأبدية والملكوت، وانتظر منهم التوبة ولم يتوبوا. وعمل أمامهم معجزات وآيات بلا حصر حتى عيَّره أهله في الناصرة أنه اختص كفرناحوم بمعظم معجزاته وآياته أكثر منهم: «كم سمعنا أنه جرى في كفرناحوم فافعل ذلك هنا أيضاً في وطنك» (لو ٤:٢٣). وهكذا أُتيح لكفرناحوم فرصة ضخمة للتوبة وقبول المسيح والتهذيب بتعليمه لولا معدن شعبها الذي اختلط بالأُمم وصار على أخلاق وسلوك ذميم.

أمَّا كورزين وبيت صيدا (مدينة بطرس الأُولى) فهما خاملتا الذكر، وقد خدم فيهما المسيح وعمل معجزاته وشفى مرضاهم. أمَّا صور وصيدا فهما مدينتان أُمميتان خليعتان على الساحل احتار الأنبياء في وصفهما لأنهما عصيتا الرب ورفضتا مشيئته: «وحي من جهة صور: ولولي يا سفن ترشيش لأنها خربت حتى ليس بيت ...» (إش ٢٣:١) (انظر إشعياء ٢٣ كله وحز ٢٦و٢٧)؛ «ها أنذا عليكِ يا صور فأُصعد عليكِ أُمماً كثيرة كما يعلّي البحر أمواجه فيخربون أسوار صور ...» (حز ٢٦: ٣و٤). كان شعبها متغطرساً وثنياً مستغلاً، ولكن مدن الجليل كانت في نظر المسيح أسوأ من حال هذه المدن في أيامها الوثنية لأنه خدم فيها وعلّم وعمل المعجزات ولم تتب.

أمَّا كفرناحوم فخصَّص لها المسيح إدانة خاصة، لأن التعب والجهد الذي بُذل لخدمة أهلها وعمل المعجزات فيها كان كافياً - كما يقول المسيح - أن يجعل سدوم تتوب قديماً وتنجو من بركان النار الذي دفنها في الأرض حيَّة. وكانت مدينة ذات ماضٍ أثيم في النجاسة والتسفُّل الأخلاقي المنحط.

المسيح يشكر الآب لاستعلان حقيقة المسيَّا

[١١: ٢٥-٢٧] (لو ١٠: ٢١و٢٢)

١١: ٢٥و٢٦ «فِي ذلِكَ الْوَقْتِ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ، لأَنْ هكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ».

لأول وهلة يبدو للقارئ أن لا علاقة لهذه الآية بالنسبة لهذا الأصحاح بأجمعه، فهو يحكي عن المقاومات والرفض واللعنات على المدن التي لم تسمع و لم تتب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نسمع هنا ولأول مرَّة أن المسيح يفرح فرحة غامرة وليس لأي سبب أمامنا، ثم يشكر الآب ويحمده وليس على أي شيء أمامنا. ثم ما هذا الذي أخفاه الله عن الحكماء الذين هم الكتبة والفهماء الذين هم الفريسيون، وأعلنه للأطفال الذين هم تلاميذه المؤهلون لدخول الملكوت؟

فبالبحث وجد "الكاتب" أن مكانها الوحيد في الإنجيل كله يمكن أن يكون بعد أن أعلن ق. بطرس إجابته لسؤال المسيح: «وأنتم مَنْ تقولون إني أنا؟» فأجاب: «أنت هو المسيح ابن الله الحي»، «فأجاب وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا إن لحماً ودماً **لم يُعلن** لك لكن **أبي الذي في السموات**» (مت ١٦: ١٧). ثم يستطرد قائلاً: «وفي تلك الساعة تهلل يسوع بالروح وقال: أحمدك أيها **الآب** رب السماء والأرض لأنك أخفيت **هذه** عن الحكماء والفهماء **وأعلنتها** للأطفال الصغار. نعم أيها **الآب** لأن **هكذا صارت المسرة أمامك**» (لو ١٠: ٢١). هنا رفع الحمد للآب، لأن الآب أعلن مسيَّانية الابن لبطرس. وقوله: "**هذه**" يعني بها استعلان مسيَّانية المسيح.

وأعتقد أن القارئ سيوافقني أن هذا المكان هو - لا نقول أنسب مكان وحسب - بل المكان الوحيد الذي يليق بالمسيح ليتهلَّل بالروح لأن الآب أعلن حقيقة المسيَّا لتلاميذه. لأن من هذه اللحظة بدأ المسيح يكشف عن مسيَّانيته وآلامه المزمعة.

لذلك نقترح أن تُقرأ هذه الآية (١١: ٢٥) بعد (مت ١٦: ١٧)، كذلك تكملة الآية: «لأن هكذا صارت المسرَّة أمامك» واضح أنها تتبع كيف أن مسرَّة الآب أن يخفيها (مسيَّانيته) عن الكتبة والفريسيين ويعلنها لتلاميذه.

٢٧:١١ **«كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ».**

كذلك نرى أن هذه الآية ليس لها أي موضع في هذا الأصحاح وموضعها المناسب هو بعد أن أعلن ق. بطرس عن إيمان التلاميذ بالمسيَّا - وهو أساساً استعلان الآب له - وفرحة المسيح بهذا الإعلان. وتأتي لتكمِّل قول ق. بطرس: «أنت هو المسيح "ابن الله"»، فهنا يؤكِّد المسيح لتلاميذه وحدهم أنه ابن الله وأن كل معرفة الآب هي عنده كمعرفة الآب له التي أعلنها الآب لبطرس، وأن كل شيء قد دُفع إليه من أبيه، التي عاد وكرَّرها بعد القيامة ليعزِّز بها إرساليته لتلاميذه في كل العالم كما جاءت في إنجيل ق. متى: «فتقدَّم يسوع وكلَّمهم قائلاً: دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم ...» (مت ٢٨:١٨و١٩)

أمَّا المناسبة التي قال بسببها الآية هنا (٢٧:١١) فهي بسبب استعلان التلاميذ لمسيَّانيته وبنوَّته لله التي أهَّلتهم للتلمذة، أمَّا إرساليتهم إلى العالم فتأخَّرت حتى القيامة.

«ومَنْ أراد الابن أن يُعلن له»، هذه تجيء ردًّا على إعلان الآب لبطرس عن يسوع أنه المسيح ابن الله، فهو يكمِّل بسلطان بنوَّته الذي يعلن به الآب كما أعلن الآبُ الابنَ لبطرس. والمعنى رائع للغاية، فالآب يعلن الابن والابن يعلن الآب، وهي معلومة لاهوتية عالية القيمة جداً لها سببها ولياقتها ووقتها الصحيح تماماً، لأن بدء الاستعلان أتى من فوق من الآب أولاً.

دعوة للراحة

[٢٨:١١-٣٠]

٢٨:١١-٣٠ **«تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ».**

عاد المسيح هنا في هذه الآية ليكشف أعظم أسرار مسيَّانيته التي جاء ليؤديها على أرض الشقاء، فهي تقف إزاء تعاليم الكتبة والفرِّيسيين عن أوامر ولوازم الناموس وطاعته التي ثقَّلتْ أحمال الناس،

وأرهقت نفوسهم وأرواحهم؛ وإليك تصريح القديس بطرس وهو يراجع مجمع الرسل لكي يرفعوا نير الناموس عن عنق التلاميذ: «فالآن لماذا تجرِّبون الله بوضع نير (الناموس) على عنق التلاميذ (المؤمنين بالمسيح) لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن **نحمله**» (أع ١٥: ١٠). والمسيح نفسه يشهد بثقل الأحمال التي يحمِّلها الفرِّيسيون على ظهور الناس من وصايا وتعاليم وفتاوٍ أرهقت أرواح الشعب: «فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس، وهم لا يريدون أن يُحرِّكوها بإصبعهم.» (مت ٢٣: ٤)

فهنا يرفع المسيح الستار عن منهج المسيَّا إزاء أعمال الناموس، ولكن بالأكثر نير الخطية البشع الذي إذا ركب الضمير صيَّره غير صالح للحياة، كما فعل الناموس: «بهذا (بالمسيح) يتبرَّر كل مَنْ يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرَّروا منه بناموس موسى» (أع ١٣: ٣٩). وهكذا فالناموس، خاصةً في أيدي الكتبة والفرِّيسيين، أصبح همًّا لا يُحتمل، وبالأكثر فقد كوَّن في ضمير الإنسان الإحساس القاتل بالخطية، و لم يستطع أن يقدِّم أي نصيحة أو عمل ليريح قلب الإنسان: «ويحي أنا الإنسان الشقي، مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت.» (رو ٧: ٢٤)

المسيح هنا يقدِّم راحة لِمَنْ يأتي إليه، وراحة لِمَنْ يحمل نيره.

«تعالوا إليَّ يا جميع المتعَبين»: πάντες

الذي يشدُّنا هنا إلى كلام المسيح هو الدعوة العامة: "جميع". هذه أول سمة من سمات المسيَّا، ويخص بها جميع الخطاة والمتعَبين، أما المتعبُّون فيخص منهم الذين يجهدون فكرهم وقلبهم وروحهم وجسمهم، ليجدوا راحة إزاء ما تركته الخطية في ضمير الإنسان من شعور بالذنب والإثم والنجاسة والضياع، وليس ما يسند أو يعزِّي أو يشفي. فلما استعلن الآب حقيقة "يسوع" لبطرس أنه هو المسيَّا ابن الله، في الحال بدأ المسيَّا يُعلن عن عمله الفائق في مقابل الناموس الذي عرَّفنا بالخطية ولا يزال. المسيح هنا يقدِّم الراحة.

«وأنا أُريحكم»: ἀναπαύσω ὑμᾶς

الراحة هنا ليست كلاماً ولا وعوداً، لأن الذي يُقيمها ويُديمها ويضمنها "أنا ἐγώ". صحيح أننا سنعرف بعد ذلك كيف سيرفع المسيح الخطايا مكفِّراً عنها بذبيحة نفسه، ويبدِّد شبح الموت القاتل بأن يهب «روح الحياة في المسيح يسوع» (رو ٨: ٢)، ويعطي سرَّ جسده «لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت» (يو ٦: ٥٠)؛ ولكن قبل ذلك كله واعتماداً على ذلك كله، يعطي هنا الوعد الدائم الأبدي أن

كل مَنْ يأتي إليه ويلمس هُدب ثوبه أو جُرح يده أو جنبه، فمهما كان تعبه فهو يريحه - إيمانك قد أراحك - هذا عمل أقنوم الابن في وضعه المسيَّاني. وهنا القول: «تعالوا إليَّ» أي "المجيء إلى المسيح" يعني الإيمان به مع الثقة بلمس القلب. ففي لحظة الإيمان بالمسيح تنتهي كل هموم الإنسان وأتعابه، إذ يمسك المسيح بزمام الحياة، وبعد ذلك سيرى الإنسان ماذا عمل المسيح له، ويتعرف على الإنجيل، ولكن التركيز هنا على المسيح بشخصه. المسيح هنا يراهن جميع المتعبين والثقيلي الأحمال أن يجازفوا ويأتوا إليه ليروا كيف يعطيهم الراحة في الحال، وهي عينها الراحة الأبدية.

ولكي يؤكِّد المسيح قدرة "أنا ἐγώ" على إعطاء الراحة في الحال سبق وقال: «كل شيء قد دُفع إليَّ من أبي» (لو ١٠:٢٢)، وقد وضَّحته الآية المقابلة: «دُفِع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (مت ٢٨:١٨)، وكأنه يقول: «أنا أريحكم»، قد قلتها لكم، وأمين أنا فيما قلت فسأريحكم حتماً، ولكن آمنوا لتروا. وعدي هذا أمسكوه فيكون لكم، هذا هو عملي، ألقوا عليَّ همَّكم فأحمله عنكم وأعطيكم سلامي. لقد جئت لتكون لكم حياة ويكون لكم أفضل (يو ١٠:١٠).

صحيح أن "أنا" المسيح تحمل مضمون الفداء والخلاص والتبنِّي وميراث الملكوت، ولكن "أنا" المسيح بحدِّ ذاتها هي قوة الفداء والخلاص. فالذي يؤمن بالمسيح بمعنى "كل مَنْ يأتي إليه"، يدخل في الحال في ملء فدائه وخلاصه.

وتحقيقاً لهذا الكلام بل وتأكيداً له، أعرف إنساناً كان يجدِّف على المسيح ويضطهد المؤمنين به ويهين صليبه، ولكن في يوم ما نخسه قلبه أن يتعرَّف على هذا المسيح، فبمجرد أن طلب التعرُّف على شخصه **ظهر له** ورحَّب به وعرَّفه بنفسه وشرح له موته وقيامته، وأكمل له فرحه فرحاً بقيَ معه حتى في أحلك الأوقات. إذن فقول المسيح: "تعالوا إليَّ" حقٌّ هو وفيه كل تحقيق الوعود وتكميل الأعمال!!

وعلى القارئ أن يلاحظ أن المسيح هنا يكشف أعماق لاهوته بلا شرح. وأظهر ما في هذه الدعوة هو رَفْع الأحمال والأثقال من فوق الضمير ومن على الظهر ليعود الإنسان طفلاً يسعد بالحياة دون ثقل أو هم، **خليقة جديدة!** هذا كله في مقابل ما صنع العهد القديم وناموسه ووصاياه وتعاليم كتبته وفرِّيسيه. المسيح هنا يكشف منهجه العملي بلا شرح، هو بجرد وعد، كل مَن صدَّقه وأتى إليه صار عالماً بالمسيَّا ودارساً للاهوته وقوته واقتداره بلا معلم ولا كتاب!

إشعياء لم يكن يعرف شخص المسيَّا ولكن اشتهى أن يراه، وفي شهوته عاش دون أن يراه، ولكن لم يُفارق قلبه ولا نفسه مع أنه لم يدرس لاهوته ولا أدرك شكله: «إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة

النفس، بنفسي اشتهيتُك في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر.» (إش ٢٦:٨و٩)

والمسيح يسبقنا إلى هذا العشق وإلى تكميل شهوة الحب، وهو يعطي ذاته لِمَنْ يقدِّم له المحبة والعبادة. كل ما ندور حوله الآن هو التعريف بقوة "أنا أريحكم". فهي راحة فوق العقل، لأنها تجعل كل شيء في الإنسان جديداً. لقد عبَّر عنها القديس يعقوب: «شاء **فولدنا** بكلمة الحق لكي نكون **باكورة من خلائقه**» (يع ١:١٨). فهي خليقة جديدة أو كما عبَّر عنها المسيح نفسه "ولادة من فوق"!

المثيل لهذه الآية: «سلاماً أترك لكم، سلامي أُعطيكم، ليس كما يعطي العالم أُعطيكم أنا.» (يو ١٤:٢٧)

«احملوا نيري عليكم»: ἄρατε τὸν ζυγόν μου

في الآية السابقة أعطى المسيح صورة لحضن المسيَّا المريح الذي يتّسع لجميع المتعبين والثقيلي الأحمال. أما هنا فيدعو الذين جاءوا إليه واحتموا في حضنه أن يتتلمذوا عليه، فالنير هو نير المبادئ والعقيدة، وهو في جملته الإنجيل والإيمان والمسير وراءه. فهو كمعلم تعليمه مريح للنفس وهو يسقي أولاده المعرفة من ينابيع سريَّة كما يرضع الولد من ثدي أمه، فهو يَمْخَضُ بمحبيه ويلدهم جدداً للسماء أبناء أورشليم الحرَّة: «هل أنا أُمْخِض ولا أُولِّد يقول الرب، أَوَ أنا المُولِّد هل أُغلق الرَّحم، قال إلهُكِ. افرحوا مع أورشليم وابتهجوا معها يا جميع مُحبِّيها. افرحوا معها فرحاً يا جميع النائحين عليها، لكي ترضعوا وتشبعوا من ثدي تعزياتها، لكي تعصروا وتتلذَّذوا من دِرَّة (ضرع) مجدها.» (إش ٦٦:٩-١١)

والمسيَّا لَمَّا يعلِّم، لا يعلِّم بالعلم ولا بالكتابة بل بالنظر إليه: «التفتوا إليَّ واخلصوا» (إش ٤٥:٢٢)، «نظروا إليه واستناروا ووجوههم لم تخجل» (مز ٣٤:٥)، «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف ... نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها...» (٢كو ٣:١٨). هو يعطي نفسه، فقط هو يريد مِمَّنْ يتبعه أن يفتح عينيه وأُذنيه، لأنه دون أن يحس ودون أن يُجهد عقله وفكره يتغيَّر إلى تلك الصورة عينها.

«تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب»:

و"تعلموا مني"، هنا تجيء بصورة الأمر، وهكذا كل وصايا الله أمرٌ هي، لأن الله والمسيح لا يعطيان أمراً إلاَّ وهو واجب التنفيذ، فهو فعل نافذ لكل مَنْ يأمر به. فأمر المسيح: "تعالوا" كل مَنْ يسمعها ويطيعها يدخل الحضرة الإلهية، و"احملوا نيري" كل مَنْ تبع حمل، و"تعلَّموا مني" كل مَنْ سمع وأبصر عَلِمَ وعَمِلَ. فالمسيَّا يحمل طاقة جديدة للبشرية مجاناً تعمل وتأتي بجديد، ليس كالناموس

القديم يكوِّم على الظهر وينكِّد على الضمير، بل فرحه فرح السماء، دخل إلى عالمنا بالفرح والتهليل وتمجيد الله والسلام على الأرض، وتركها لنا وذهب ليعدَّ لنا مكاناً في حضن الله.

«لأني وديع ومتواضع القلب»:

المسيح يقدِّم نفسه النموذج الحي الذي يشعُّ صفات بني الملكوت. فهو يجسِّد الوداعة والتواضع، وهما الصفتان الأساسيتان لدخول الملكوت، اللتان ألبسهما في السابق لشخصية "ولد" وقال: «مَنْ لا يَقْبَلُ ملكوت الله مثل ولدٍ فلن يدخله.» (مر ١٠:١٥)

والآن جسَّد المسيح هاتين الصفتين لذاته إنما بصورة فعَّالة قادرة أن تعطي ذاتها كمَنْ يقول: أنا أصل الطفولة ومنبع الملكوت، وقد لخَّص فيهما تطويبات الآيات الثلاث الأولى من عظته على الجبل. وفي الحقيقة فإن هاتين الصفتين إن حملهما الإنسان في قلبه - والقلب هو مركز الوداعة ومصدر التواضع - صار له في الحال نير الرب هيِّناً وحمله خفيفاً، وتسكن الراحة قلبه وفكره وحياته كلها. وهذا تعبير عملي عن مؤهلات إنسان الملكوت. لذلك ومن واقع أعمال الكتبة والفريسيين للطريق القديمة المؤدية إلى استرضاء الله - من أعمال ثقيلة وذبائح وعقوبات وتهديدات - يقف المسيح لينادي بنفسه: «أنا هو الطريق والحق والحياة.» (يو ١٤:٦)

هذا هو نيري: "وداعتي"، وهذا هو حملي: "تواضعي"، كل مَنْ قبلي سار بي إلى قلب الله، وتأهَّل للملكوت. كانت راحتهم السبت، أما سبتي الذي أهديه إليكم فهو "أنا"، تعالوا إليَّ فأُريحكم وتعلَّموا مني تجدوا راحةً لنفوسكم.

إن تواضع المسيح من طبيعته(٤) وليس من أخلاقه، لذلك فهو قادر أن يهبنا تواضعه. ويمكن أن نتأمل كيف أن المسيح ترك موضعه في السماء في المجد، ونزل إلى أرض الشقاء بإرادته ومسرَّته، ثم كيف ترك كل درجات البشرية التي كان يمكن أن يأتي في صورتها، إنْ ملكاً أو رئيساً أو عظيماً أو كاهناً، ولكن ترك كل المواضع العُليا واختار على الأرض موضع العبد الخادم الذي يخدم ويغسل الأرجل؛ فهو لم يدَّعِ التواضع بل عاشه واحتكره لنفسه.

---

(٤) إن طبيعة المسيح بعد التجسُّد هي طبيعة حازت الإخلاء وصارت متجسدة. لذلك فالتواضع عند المسيح من صميم كيانه ومن صميم طبيعته كإله متجسِّد، وليس بمجرد أخلاق يتحلَّى بها كأي إنسان متواضع. وأعظم قطعة تشرح تواضع المسيح على مستوى لاهوتي وليس على مستوى أخلاقي هي أنشودة بولس الرسول (فيلبي ٢:١-١١).
راجع مقالة: "أنشودة للتجسُّد"، افتتاحية مجلة مرقس، عدد مارس ١٩٩٦.

وهو عندما يدعونا لنأتي إليه واعداً بالراحة فليس مــن فـراغ، فوداعتـه واتضاعـه تجعلاننـا نـأخذ مكاننا معه مهما كنّا خطاة ومدنّسين، وصفته الإنجيلية "محبٌّ للعشارين والخطاة" لم تأتِ من فـراغ. فوداعته واتضاعه جعلا محبته صادقة ومقبولة وحلوة لا يجد فيها الخطاة أي نشاز مع ضعفهم. ومن هنا سرُّ إمكانية وَضْع ثقل أحمالنا عليه ووجود راحتنا عنده مهما كانت أحمالنا.

لذلك نرى أن ذِكْر آخر جواهر دعوته يستودعها السرَّ كله. فسرُّ الدعـوة مـن أوَّلها واقـع علـى قوله: «لأني وديع ومتواضع القلب»، وهنـا ثقِّـلْ أنـت في أحمـالك كيفمـا شئت، وأوصـف مـرارة أحزانك وأتعابك إلى أقصى ما بلغتْ، فهذه كلها تذوب عندما تتقابل معه: «لأنه في ما هو قد تـألَّم مجرَّباً يقدر أن يعين المجرَّبين.» (عب ٢:١٨)

ولكن أيضاً في قوله: «فتجدوا راحةً لنفوسكم»، هنا لا يجعل الراحة راحة فكر ولا راحة جسد أو أعصاب، بل راحة تستقر في النفس لتتوزَّع على كل كيان الإنسان، لا مرةً واحـدة بـل كطبيعـة جديدة تكتسبها النفس من طبيعته. وهكذا تستقر الراحة في مركز الإنسان الذي غابت عنه الراحـة. ولكن ـ وهذا هو الثمين جداً في وعد الرب ـ أن راحة المسيح التي تُعطى هنا بسخاء هـي مقـدَّم أو عربون الراحـة العُليـا والعُظمـى الـتي على أساسـها أقـام دعوتـه "تعـالوا إليَّ". فهـي راحـة الحـاضر والمستقبل، راحة النفس والروح والأبد.

فالمسيح لا يحمل أحمالنا وحسب، بل يحملنا بأحمالنا. و"تعالوا إليَّ" تنتهـي بقولـه: «أنتـم فيَّ وأنـا فيكم.» (يو ١٤:٢٠)

الأصحاح الثاني عشر

- الرب يؤكّد سلطانه كرب السبت (١٢: ١ –١٤)
- فتاي الذي اخترته (١٢:١٥–٢١)
- معجزات المسيح لتحطيم صورة الشيطان (١٢:٢٢–٣٧)
- طلب عمل الآية المرفوض (١٢:٣٨–٤٥)
- مَنْ هم أهل بيته؟ (١٢:٤٦–٥٠)

الرب يؤكّد سلطانه كرب السبت

(مر ٢: ٢٣–٣: ٦)،
(لو ٦: ١ – ١١)

[١٢: ١–١٤]

لقد خصَّص ق. متى الأصحاح الحادي عشر للمقاومات والمعارضات التي لاقاها المسيح في خدمته. ولا يزال هنا يعرض هذه المعارضات في الأصحاح الثاني عشر. والموضوع الذي اختاره هو لماذا يكسر السبت. ومركز حفظ السبت كيوم الرب الذي لا يُعمل فيه عمل ما معروف في قرارة حياة اليهودي، إلى الدرجة التي يخبرنا فيها التاريخ عن أيام المكابيين أنهم تعرَّضوا للموت ذبحاً، رجالاً ونساءً وأطفالاً، بدلاً من أن يحاربوا يوم السبت (١مك ٢: ٣١–٣٨). وبعدها بمدة استطاع بمكر القائد بومبي أن يكمِّل حصار أُورشليم كل يوم سبت لكي يتّقي أي مقاومة. وهكذا نجح في أن ينكِّل بهذا الشعب الذي فضَّل أن يموت بالحصار ولا يقاوم في يوم السبت(١). ولكن كان النزاع الذي باشره الكتبة والفريسيون مع المسيح ليس بخصوص كسر السبت، ولكن بخصوص الاستخدام الصحيح روحيًّا ودينيًّا ليوم السبت. علماً بأن المسيح كان يعلم أن يوم السبت هو المعيار الأعلى لليهودي، والعلامة المميزة لتصرُّف اليهودي. ولكن فات على اليهودي المتعصِّب أن يوم السبت كان عند المتدينين الأتقياء يوم فرح وتهليل، يوم بركات وصلوات وشكر ومخافة الله، وبالأكثر عند الربيين العلماء(٢)، ذلك بالرغم من حفظهم للتحذيرات. ولكن تصوير المشناه – وهي كتاب تعاليم – لحال السبت الذي تكدَّست فوقه التحذيرات والموانع، صوَّروه كحبل معلّق على شعرة، لأن التحذيرات لا حصر لها، ولكنه أصلاً في التوراة ضئيل(٣). لذلك يبدو هنا قصد ق. متى أن يضع دعوة المسيح للراحة وحَمْل نيره الخفيف نظير هذا الجزء التشاؤمي من جهة أحماله العسيرة. ولكن في هذا القسم لا يبدو المسيح مدافعاً عن إهمال الناموس أو التقليل من شأنه، فهو لم يكن يمانع من حفظ السبت، ولكن من أجل خير الإنسان ولحياته، لأنه كان في اعتباره أنه يوم إنما يكرِّم الله فيه بعمل الخير والصالح، كالشفاء مثلاً. ولكن كان في عُرف الفريسيين أنه يوم حفظ الطقس في حدود نظامه الذي ورثوه، واستخدامه بحسب الكتب.

١٢: ١و٢ «فِي ذلِكَ الْوَقْتِ ذَهَبَ يَسُوعُ فِي السَّبْتِ بَيْنَ الزُّرُوعِ، فَجَاعَ تَلاَمِيذُهُ وَابْتَدَأُوا يَقْطِفُونَ سَنَابِلَ

(1) Joseph. *Ant.* XIV, 4,2 (63).
(2) C.G. Montefiore, *The Synoptic Gospels*, London 1909, I, p. 93.
(3) *Mishnah, Hag.* I. 8.

وَيَأْكُلُونَ. فَالْفَرِّيسِيُّونَ لَمَّا نَظَرُوا قَالُوا لَهُ: هُوَذَا تَلاَمِيذُكَ يَفْعَلُونَ مَا لاَ يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السَّبْتِ!»

واضح أن ذلك كان يوم سبت، ولسبب ما خرج المسيح وتلاميذه من المجمع ولم يدعُهم أحدٌ لتناول الطعام في بيته، فكان أولى بالفريسيِّين وهم ينظرون التلاميذ يردُّون جوعهم بأكل الحنطة نيِّئة أن لا يوبِّخوهم على كسر السبت، بل يوبِّخون أنفسهم على عدم مراعاة آداب إسرائيل. كما هو واضح أيضاً أن المسيح وتلاميذه كانوا يسيرون في حدود المسافة المسموح بها للسفر يوم السبت أي ٢٠٠٠ ذراع (١١٠٠ متر)(٤) وربما كان هو المعنى الأصلي من القول: **«في ذلك الوقت»**. والسير في وسط الزروع يُعطي صاحبه أصلاً الحق أن يأكل منها دون حذر بحسب (تث ٢٣:٢٥): «إذا دخلت زرع صاحبك فاقطف سنابل بيدك ولكن منجلاً لا ترفع على زرع صاحبك».

والآن ما موقف المسيح أمام هؤلاء الفريسيِّين الذين أقاموا أنفسهم قوَّامين على حفظ الناموس بدون تمييز ما هو للخير وما هو لكسر الوصية؟ نلاحظ في هذه الأصحاحات، وخاصة ما فات في نهاية الأصحاح الحادي عشر، أن المسيح بدأ يستعلن شخصه باعتباره أنه المسيَّا، يكشف عن منهجه الإلهي المريح، وعن وظيفته الأُولى والعظمى أنه جاء ليرفع عن الناس همومهم وأحمالهم وأثقالهم، التي وضعها أدعياء التعليم باسم الناموس والسبت. هنا وجد المسيح أن يتخذ هذه الفرصة، لا أن يحل الموضوع بكلمة، بل لابد أن يضع أساساً لحلٍّ يجعل للسبت حدوداً لا يتعدَّاها إلى التثقيل على الشعب. فما كان منه إلاَّ أن أورد قصة في حياة داود توضح أنه كَسَر السبت في حدود جوعه والذين معه وفي داخل بيت الرب.

١٢: ٣و٤ **«فَقَالَ لَهُمْ: أَمَا قَرَأْتُمْ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ، كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللهِ وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي لَمْ يَحِلَّ أَكْلُهُ لَهُ وَلاَ لِلَّذِينَ مَعَهُ، بَلْ لِلْكَهَنَةِ فَقَطْ؟»**

طريقة المسيح المحبوبة هي الرجوع إلى التوراة و"المكتوب"، لكي يضع المقاوم أمام كلمة الله أو أمام الله نفسه كما في هذه القصة. فبيت الله هنا هو خيمة الاجتماع التي كانت قائمة في مدينة نوب شمال شرق أُورشليم. ودخل داود ورجاله، وهكذا تراءى أمام الله، وطلب أن يأكل من خبز الوجوه الذي استُبدل وقتها بالخبز الساخن. لذلك فاليوم يوم سبت: «فأعطاه الكاهن "المقدَّس" لأنه لم يكن هناك خبز إلاَّ خبز الوجوه المرفوع من أمام الرب لكي يوضع خبز سخن في يوم أخذه» (١صم ٢١:٦). وهنا اعتماد المسيح على هذه الحادثة لا لكي يقدِّم استثناء يتمسَّك به وهو وارد، ولكن بالأساس يوضِّح أن

(4) M. Erub. 5:5, cited in E. Schürer, *The History of the Jewish People in the Age of Jesus Christ*, Vol. II, p. 472.

كسر داود لناموس السبت وأكل الخبز غير المحلّل أمر أجازته التوراة و لم تعترض عليه الأسفار المقدَّسة. هنا استطاع المسيح أن يعطي الفريسيِّين درساً: أولاً في عدم درايتهم بالتاريخ المقدَّس ودقائق التوراة، وثانياً أن حكمهم بالإدانة تلغيه الكتب المقدَّسة. وهكذا أوضح بالنهاية أن تشدّد الفريسيِّين في تطبيق قواعد السبت لا يتمشّى مع الكتاب المقدَّس وأعمال القديسين(٥). وهكذا حكم المسيح على الفريسيِّين أنهم على خطأ، و لم يستطيعوا أن يفسِّروا حادثة داود بغير ما ذَكَرَه المسيح.

والمُلاحَظ هنا أن المسيح بإيراده قصة داود هذه لم يشأ أن يخطِّئ الفريسيِّين في حكمهم ـ وهو ما قد صار بالفعل ـ بل بالأكثر يخطِّئ نفس القانون الذي تمسَّكوا به وهو قانون السبت(٦). ولكن المسيح إذ أورد هذا الاستثناء من القاعدة لا يلغي القاعدة بل يثبتها، وإنما يجعل أحكام الناموس قابلة للاستعمال الأصح والصالح. وبهذا أثبت أنهم بعدم مرونتهم وحكمتهم قد أساءوا إلى الناموس!!

١٢: ٥و٦ «أَوَ مَا قَرَأْتُمْ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ الْكَهَنَةَ فِي السَّبْتِ فِي الْهَيْكَلِ يُدَنِّسُونَ السَّبْتَ وَهُمْ أَبْرِيَاءُ؟ وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ ههُنَا أَعْظَمَ مِنَ الْهَيْكَلِ!»

هنا يخطو المسيح خطوة أعلى وأخطر، فالكهنة ـ على حساب تدقيقات الفريسيِّين ـ بأعمالهم وذبائحهم التي يحملونها ويسلخونها ويقدِّمونها يوم السبت، من مبدأ النهار إلى آخره هم ينجِّسون السبت وهم أبرياء! فالناموس لا يدينهم. والآن هنا «أعظم من الهيكل» يشير إلى وجوده، الذي يعني أن القمح والأرض التي تحمل القمح وأصحاب القمح والسبت الكل يتقدَّس به، إن أردتم أن تفتحوا عقولكم وقلوبكم هو المسيَّا وكفى! وعلى أي أساس كان شعور المسيح هنا؟ إنه هو الهيكل الجديد: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه» (يو ٢: ١٩). والمعنى هنا أن هيبة وسلطان الهيكل يحمي الكهنة الذين يكسرون السبت. وبحسب فكر المسيح أنه وهو أعظم من الهيكل فوجود التلاميذ معه يحميهم من نقد الفريسيِّين وكسر الناموس. وهو لا يغالي في هذا، فقد قال: إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً!

١٢: ٧ «فَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، لَمَا حَكَمْتُمْ عَلَى الأَبْرِيَاءِ!»

المسيح هنا يقتبس من هوشع النبي (٦: ٦) الذي في وقته هاجم الرؤساء والشعب لأنهم انهمكوا في التدقيق بتقديم الذبائح وتركوا عنهم أثقل الناموس وأبسطه: الرحمة. والمسيح بالمِثْل يواجه

---

(5) C.E.B. Cranfield, *The Gospel According to St. Mark,* 1963, pp. 11f.

(٦) قانون السبت في المشناه كان يحدِّد ٣٩ عملاً لا يجوز عملهم في السبت (راجع: "شرح إنجيل القديس مرقس" للمؤلِّف صفحة ١٨٢).

الفريسيِّين بنفس الخروج عمَّا لله، فالله يطلب الرحمة قبل الذبيحة، وإن كان لابد أن يختار الإنسان فالله يختار له الرحمة لا الذبيحة. فالله قد استغنى عن ذبائح وتدقيقات الكهنة والشعب الذين انشغلوا بتنفيذ الطقوس وتركوا عنهم الرحمة. الله يستغني عمَّا له، أي الذبيحة، ولكن لا يحتمل أن يُظلم الإنسان ويُهان ويُحكم على البريء!! فلو راعى الفريسيُّون مطلب الله وأقاموا الرحمة ما حكموا على الأبرياء. وبراءة تلاميذه وهم يقطفون السنابل ويفركونها، ويأكلونها ليس بسبب أنهم كانوا جياعاً فقط، ولكن بالأكثر بسبب براءتهم في كسر السبت، لأنهم كانوا في حِمَى مَنْ هو أعظم من الهيكل الذي كان في وسطهم. فإن كان الهيكل قد برَّأ الكهنة الذين يكسرون السبت بأعمال كثيرة وعديدة داخل الهيكل، فحضرة المسيح برَّأت تلاميذه الذين كسروا السبت وهم لا يدرون.

١٢ :٨ «**فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضاً**».

المسيح يتكلَّم هنا من واقع عمله الذي يعلنه الآن بصفته مسيَّا، **فهو قد جاء أساساً ليعطي الإنسان الراحة الحقيقية**. والآن قد صار هذا واضحاً من إجرائه المعجزات لشفاء الأمراض المستعصية المستحيلة الشفاء، كتفتيح عيون العمي ونطق الخرس وإبراء المشلولين وتطهير البرْص بل وإقامة الأموات. هذا هو عمل الراحة الإلهية التي جاء ليعطيها للذين لم ينفعهم السبت في شيء. أمَّا رسالته الأخرى التي بدأ بتنفيذها وهم لا يدرون فهي رفع نير الخطية عن كاهل الإنسان، التي بدأها علناً بغفران خطايا الرجل المشلول؛ ولكن سيكمِّلها بصورتها الشاملة على الصليب ليعطي الراحة الحقيقية لكل مَنْ يؤمن به، والتي نعيِّد لها الآن كل أسبوع في يوم الأحد بدل السبت. فالسبت كان راحة الجسد من الأعمال في اليوم السابع، أمَّا الأحد فهو راحة النفس والروح بقربها من الله وهو اليوم الأول من الأسبوع. أمَّا قول المسيح إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً فهو لا يتشرَّف بأن يكون رب أيام، لأنه رب الحياة كلها، ولكن رب الراحة الحقيقية التي كانت موضوع تأكيده في الآيات الأخيرة من الأصحاح السالف: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. **احملوا نيري عليكم وتعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم**»!! (مت ١١ :٢٨و٢٩). ولعلَّ حديث الراحة هذه هو الذي أوحى بتداعي الألفاظ والمعاني إلى الدخول في نزاع السبت مع الفريسيِّين. وهكذا صارت المقارنة صارخة بين الراحة الحقيقية للنفس والتشدُّد في الراحة الكاذبة للجسد التي فقدت معناها. ولعلَّ هذه من كُبْرِيَات أعمال المسيَّا التي يكشفها القديس متى من أصحاح لأصحاح.

١٢ :٩-١٤ «**ثُمَّ انْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى مَجْمَعِهِمْ، وَإِذَا إِنْسَانٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ، فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: هَلْ**

يَحِلُّ الإِبْرَاءُ فِي السُّبُوتِ؟ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُمْ: أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ خَرُوفٌ وَاحِدٌ، فَإِنْ سَقَطَ هذَا فِي السَّبْتِ فِي حُفْرَةٍ، أَفَمَا يُمْسِكُهُ وَيُقِيمُهُ؟ فَالإِنْسَانُ كَمْ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْخَرُوفِ! إِذًا يَحِلُّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي السُّبُوتِ! ثُمَّ قَالَ لِلإِنْسَانِ: مُدَّ يَدَكَ. فَمَدَّهَا. فَعَادَتْ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى. فَلَمَّا خَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ تَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ».

واضح هنا أنها كانت مؤامرة خطَّطوا لها، وقدَّموا هذا المريض ذا اليد اليابسة ليلتقطوا منه تصريحاً بكسر السبت. ويحكي الإنجيل الأبوكريفا المدعو إنجيل العبرانيين – وهو الشبيه بإنجيل ق. متى ولكنه منحول ومدسوس فيه بعض المبادئ العقائدية الخاطئة، وهو من مدوَّنات القرن الأول المسيحي – يقول إن هذا المريض كان عاملاً بنَّاء أحجار وجاء يتوسَّل لدى المسيح أن يشفيه. وكان كتبة اليهود أتباع شماي الرابي المشهور يدقِّقون في السبت ويمنعون الاستثناءات، أمَّا أتباع الرابي هاليل فكانوا أكثر انفتاحاً على الاستثناءات الضرورية. فأتباع شماي هم الذين تربَّصوا بالمسيح وجاءوا يسألونه ذلك، وهم لا يدرون أن المسيح كان عالماً بأفكارهم. وفي إنجيل ق. مرقس يأمر المسيح الرجل ذا اليد اليابسة أن يقوم في الوسط، ثم قال لهم عن الخروف الذي إذا سقط في حفرة أفلا يقيمه صاحبه خاصة إذا لم يكن له غيره، ملمِّحاً على يد الرجل العزيزة عنده لأنها اليُمنى وهو يعمل بها ليكسب رزقه. وحينئذ يقول في إنجيل ق. مرقس: «ثم قال لهم: هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر؟ تخليص نفس أو قتلٌ؟ (ملمِّحاً على ما أضمره الكتبة في ذلك اليوم وهو السبت كيف يقتلون المسيح) فسكتوا، فنظر حوله إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم، وقال للرجل: مُدَّ يدك. فمدَّها، فعادت يده صحيحة كالأخرى. فخرج الفريسيُّون للوقت مع الهيرودسيِّين وتشاوروا عليه لكي يهلكوه.» (مر ٣: ٤–٦)

وتعليق المسيح بأن الإنسان كم هو أفضل من خروف، يحاول أن يركِّز به أنظارهم إلى فعل الرحمة، كيف يجعل الإنسان يكسر السبت من أجل خروفه، فكيف لا يمارس الإنسان هذه الروح لأخيه الإنسان. ويعلِّق أيضاً أنه أصبح من المقرر في عُرف المسيح ليصبح تصحيحاً لفكر الكتبة والفريسيِّين أن "فعل الخير يحل في السبوت". وهذا هو المبدأ المسيَّاني الذي يعلنه المسيح أن فعل الرحمة يدخل في صميم العمل الأخلاقي الذي ينبغي أن يسود على المنع الطقسي أو الوعظ الشفهي، وهذا المبدأ يدخل بالتالي في منهج مسيَّا «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم».

وأمَّا حجة الذين يقولون إنه كان يمكن تركه لليوم التالي بدلاً من كسر السبت، فالرد على ذلك أنه إذا فعل المسيح ذلك لفات عليه المبدأ الأعلى: أن فعل الرحمة أفضل من حفظ السبت. وأمَّا تعاهد الفريسيِّين مع الهيرودسيِّين معاً لقتل المسيح، فيوضِّح كيف جرُّوا أُمتهم للهلاك برفض الحق.

"فتاي الذي اخترته"

[١٢:١٥-٢١]

١٢:١٥و١٦ «فَعَلِمَ يَسُوعُ وَانْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ. وَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ فَشَفَاهُمْ جَمِيعاً. وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يُظْهِرُوهُ».

حينما نعلم أن المسيح كان يعرف الزمان الذي كان ينبغي أن يسلّم نفسه فيه للموت، لا نستغرب قوله دائماً للذين يحاولون الشهادة له - خاصة بعد إجراء الأشفية والمعجزات - أن لا يظهروه، حتى لا يضيع وقته في مناورات الفريسيّين الذين كانوا يتابعون أعماله لكي يصطادوه ويشتكوا عليه قبل الأوان. ولم يتخذ المسيح ولا مرّة واحدة سلطانه ليردّ عليهم إلاّ بالمكتوب.

وفي هذه الآية يقدّم لنا ق. متى عملية شفاء بالجملة إذ يقول إنه «شفاهم جميعاً»، وهو هنا يقدّم هذا العمل الجماعي لكي يعطينا تكميله لروح نبوّة إشعياء التي يعتقد العلماء أنه رجع فيها إلى نصّها العبري الذي سنقدّمه:

١٢:١٧و١٨ «لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ».

«فتاي»: ὁ παῖς μου

وأصلها "عبدي" خطأ. هذه الكلمة يخبرنا عنها العالم الحكيم القديم بنجل - متأثراً بروح الكنيسة الأولى - أنها أصلاً مأخوذة من اللغة العبرية עבדי والتي نترجمها خطأ بالعبد، ولكن معناها باللغة العبرية لم يستطع العلماء التقاطه لا قديماً ولا حديثاً. وتحليل الكلمة بحسب العالِم الألماني شلوزنر(٧) ينحصر في معنى الولد في سنيّه الأولى، أو الولد في علاقته بأبيه وأُمه، أو الولد المحبوب جداً، أو خادم الملك. وكانت تستعمل خاصة لموسى أو في الحديث عن المسيّا. وقد تيقّظت الكنيسة الأُولى وتحاشت هذه الصفة لعدم وجود ما يقابلها في اللغة الحديثة غير العبرية. وعاشت الكنيسة كل عصورها الأُولى متحفّظة تجاه هذه الصفة. ولكن في الأيام الأخيرة فلت زمام العلماء

(7) Schleusner cited by J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 267.

فأصبحوا يستخدمونها على أنها خادم وعبد وهي بعيدة عن هذا التعبير. لذلك وجب التنبيه.

إشعياء بحسب النص العبري	إشعياء بحسب الترجمة اليونانية السبعينية
(إش ٤٢: ١-٣)	(إش ٤٢: ١-٣)
هوذا عبدي الذي أَعْضُدُهُ،	يعقوب عبدي الذي أَعْضُدُهُ،
مختاري الذي سُرَّت به نفسي،	إسرائيل مختاري الذي قَبِلَته نفسي،
وضعت روحي عليه،	وضعت روحي عليه
فيخرج الحق للأُمم.	وسيخرج العدل للأمم.
لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمِع في الشارع صوته.	لن يصيح ولن يرفع ولن يُسمِع في الخارج صوته.
قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ	قصبة مرضوضة لن يقصف وفتيلة مدخّنة لن يطفئ

والقارئ لا يجد فرقاً كبيراً بين النصَّين، ويُلاحَظ هنا أن ق. متى أخذ بالنص العبري ولكن بحذق ومهارة.

ولكن الذي يُلاحِظه العالِم بنجل في هذه النبوَّة هي المترادفات: فهو يؤكِّد أن "فتاي" و"حبيبي" هما واحد. كذلك: "اخترته" و"سُرَّت به نفسي" واحد. على أن كلمة العدل والحق أصلهما واحد κρίσιν وهي الحكم أو القضاء السلامي! وتعني التفرقة بين الخطية والبر.

«أضع روحي عليه»: θήσω τὸ πνεῦμά μου

وتعني أجعله يمتلك روحي ويحمله، الذي بقوَّته يعمل:

+ «فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه.» (مت ٣:١٦)
+ «ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب.» (إش ١١:٢)
+ «لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته ...» (أع ٤:٢٧)
+ «يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة ...» (أع ١٠:٣٨)

«للأُمم» τοῖς ἔθνεσιν

ولا تفيد الأُمم بمعناها الآن بل تفيد الوثنيين. فمعروف أن المسيح لم يخدم الوثنيين: «لم أُرسل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (مت ١٥:٢٤). فإشعياء يقول إنه يخرج الحكم - والحكم هنا جاءت بمعنى الدينونة - للأُمم. فلا تعني هنا خدمتهم، لأن الذي خدم الأُمم هم تلاميذه، ولكن هنا

خروج القضية على الوثنيين بواسطة المسيَّا بمعنى الدينونة الأخيرة بسبب عدم الإيمان. والعالِم ماير يوعِّي أن ليس كل اصطلاحات النبوَّات تُفهم على مستوى واحد من المعرفة في العهد الجديد، فمعظمها وُضعت على مستوى فهم العهد القديم[8].

«بالحق»: κρίσιν

هنا شرحها بحسب العالِم ماير لا تعني لا العدل ولا البر، ولا علاقة لها بالقانون ومواده ولا الأحكام الإلهية. ويقرِّر أن معناها هنا في العهد الجديد لا يتعدَّى مفهوم القضاء الأخير final sentence أي الدينونة. وهو حكم المسيَّا الذي سبق المسيح وخدمه لحسابه بالتعليم والموت والقيامة، والذي سيبلغ نهايته في اليوم الأخير.

١٢: ١٩و٢٠ «لاَ يُخَاصِمُ وَلاَ يَصِيحُ، وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لاَ يُطْفِئُ، حَتَّى يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النُّصْرَةِ».

هنا إشعياء ومعه ق. متى يقارن بين المسيَّا وتعليم الكتبة والفريسيِّين واليهود الربيين عموماً. أمَّا القصبة المرضوضة والفتيلة المدخنة فيقصد بها هنا المساكين بالروح والمسحوقين والذين بلا رجاء، والذين لم ييأس المسيح منهم قط؛ بل كانوا شغله الشاغل وهمّه الذي يستغرق كل وقته وجهده. والذين سعى ليعطيهم الراحة والأمل والرجاء، إن كان بالشفاء أو بالوعظ والعزاء: «طوبى للمساكين بالروح»، «طوبى للحزانى»، «طوبى للجياع والعطاش إلى البر»، «طوبى للمطرودين من أجل البر». هؤلاء اعتنى المسيح جداً أن يشدِّد من عزيمتهم ويقوِّم أخلاقهم، ويقدِّم لهم كل عطفه وحبه وخدمته. يجالسهم ويأكل معهم، كبصيص نور في القلب كان ينفخ فيه من روحه ليشتعل ويضيء.

«فتيلة مدخِّنة»: λίνον وبالإنجليزية wick

وهي المعروفة لدى الفلاحين بالمسرجة أو العويل، وهي حُق صفيح مدبَّب في النهاية له فتحة يوضع فيها فتيلة من التيل (لذلك سُميت باليونانية تيلة أي قطعة كتان)! ويلعب بها الهواء حتى يطفئها، ولكن يظل بها بصيص صغير يحترق ويدخِّن. والفلاح الحاذق يظل ينفخ فيه حتى يشتعل من جديد. ويسوع هو هذا النافخ العجيب في بشريتنا المدخِّنة.

---

(8) H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 238.

«حتى يُخرج الحق إلى النصرة»:

"يُخرج": ἐκβάλῃ

وهي تحمل نبرة القوة والعنف والإجبار، فهنا تدخَّل المسيح بصورة خفية لتنحية القوة الغاشمة التي تقاوم الحق.

هنا يختبئ عمله السرِّي بكل حكمة وقوة لتنحية قوى الشر والمقاومة عن طريق الساعين إلى الحق. وإليك ما تمَّ في الامبراطورية الرومانية وغيرها من الحكومات الظالمة العنيدة، فبخدمة الإنجيل وبدون ضوضاء أنهى من الامبراطورية الرومانية منابع الظلم والظلمة، وهكذا وبنفس القوة الخفية ينفخ في أرواح أولاد النعمة ليؤدُّوا الرسالة التي سلَّمها بقيامته لتلاميذه ثم إلى الآتين بعدهم وإلى جيل الأجيال، ولن يبلغ الحق إلى النصرة الأخيرة إلاَّ في النهاية باستعلان غلبة المسيح على العالم عند خروج الدينونة ورفع الحق إلى قمة مجده.

٢١:١٢ **«وَعَلَى اسْمِهِ يَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ».**

"على اسمه": τῷ ὀνόματι αὐτοῦ

هو تركيب يوناني على مستوى عالٍ، يفيد أن رجاء الأُمم سيكون وسيبقى متأسِّساً على اسم المسيَّا. وهكذا وبقدر ما يهان اسم المسيح لدى الأُمم الذين لم يتعرَّفوا على شخصه بعد، سيكون تعلُّقهم بهذا الاسم ويكون هو رجاءهم الوحيد. وأمَّا الآن إذ لم تكمل بعد معرفة المسيح، فيبقى هذا الرجاء قائماً لدى القلوب التي تتحرَّق شوقاً لترى الاسم وقد أخذ موضعه في قلب العالم.

معجزات المسيح لتحطيم صورة الشيطان

[١٢: ٢٢-٣٧] (مر ٣: ٢٠-٣٠)، (لو ١١: ١٤-٢٣، ١٢: ١٠)

١٢: ٢٢-٢٤ «حِينَئِذٍ أُحْضِرَ إِلَيْهِ مَجْنُونٌ أَعْمَى وَأَخْرَسُ فَشَفَاهُ، حَتَّى إِنَّ الأَعْمَى الأَخْرَسَ تَكَلَّمَ وَأَبْصَرَ. فَبُهِتَ كُلُّ الْجُمُوعِ وَقَالُوا: أَلَعَلَّ هذَا هُوَ ابْنُ دَاوُدَ؟ أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: هذَا لاَ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلاَّ بِبَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ».

«مجنون أعمى وأخرس»:

في الأصل اليوناني تأتي هكذا: "إنسان به شيطان أعمى وأخرس"، والترجمة العربية رفعت "به شيطان" ووضعت كلمة مجنون. هذا في الحقيقة تصرُّف خاطئ، فالجنون عند العامة يمكن أن يكون بسبب شيطان، ولكن في الطب وفي العالم المتمدين فالمجنون هو مريض عقلياً، ولا يعترف بأصل مرضه أن يكون من الشيطان.

والأمر الآن واضح، فهذا الإنسان لم يكن أصلاً أعمى أو أخرس، ومرَّة أخرى نقول إن الروح الشرير إذا دخل إنساناً وكان أعمى وأخرس طبيعياً واستطاع الشيطان أن يقتله فإنه يأخذ روحه وكل صفات العمى والخرس، فإذا دخل إنساناً سليماً يجعله يمثِّل تحت الإجبار دور الأعمى والأخرس، بحيث يجعله لا يستطيع أن يرى شيئاً ولا يتكلَّم قط حتى تحت الكي!! فإذا فحصه طبيب يجده سليماً تماماً وبلا أي مرض أو عائق للرؤيا أو الكلام. ولكن هو استبداد الروح الشرير في التنكيل بالإنسان الضعيف البعيد عن الله. فهنا بمجرَّد أن المسيح أمر الشيطان بسلطانه أن يخرج منه، فالمريض الذي كان قد بدا للناس أنه مجنون وأعمى وأخرس، تكلَّم وسمع وأصبح إنساناً طبيعياً كما كان.

ولكن الشفاء الذي يجريه المسيح بسلطانه يبدو باهراً قاهراً للقوة الشريرة التي تخرج مدحورة، حتى ينبهر الناس من مقدرة المسيح وسلطانه الإلهي.

وإزاء هذا العمل الإلهي وهذه الرحمة البادية في عمل المسيح والقوة والسلطان القاهر، يأتي الفريسيُّون ويسيئون إلى هذا العمل الإلهي المجيد بقولهم إن المسيح بقوة الشيطان يُخرج الشيطان.

وفي رأينا أن عقلية الشيطان هي التي ركبت عقولهم للإضرار بكرازة المسيح أعظم الضرر، الذي دفع ثمنه نفس الكتبة والفريسيين والأمة اليهودية التي سارت وراء معلّميها الذين أسلموا عقلهم للشيطان.

١٢: ٢٥-٢٧ «فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تُخْرَبُ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ أَوْ بَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى ذَاتِهِ لاَ يَثْبُتُ. فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يُخْرِجُ الشَّيْطَانَ فَقَدِ انْقَسَمَ عَلَى ذَاتِهِ. فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَمْلَكَتُهُ؟ وَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟ لِذلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاتَكُمْ!».

المسيح هنا يناقش جهالة الفريسيِّين ليلغي منطقهم جملة. لأن كل أتباع الشيطان يأتمرون بأمره، فإن حدث أن وُجد شيطان آخر يقاوم الشيطان فمعناه إلغاء لكل قوة وعمل الشيطان. على نمط قيام مملكة ضد أولادها وبيت ضد نفسه، كيف يثبت؟ فهنا منطق الفريسيِّين مريض مصاب بالعمى الروحي وفقدان المنطق السليم. لأنه حتى وإن حدث ذلك، فأبناء اليهود الذين يُخرجون الشياطين باسم يسوع يشهدون ضدَّهم وسيُحاكِمُونَهم يوم الدين.

١٢: ٢٨ «وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ!»

«بروح الله أُخرج»: ἐκβάλλω

نود أن نوضِّح هنا مرَّة أخرى أن كلمة "أُخرج" تحتمل العنف والقوة والاقتدار في طرد الشيطان، ليس بالتفاهم ولا الاتفاق ولا التوسُّل أو بالسهولة، بل بالإرغام والكسح العنيف يُخرج الشيطان المحتل لجبلة يديه. فالمسيح يقف كخالق وصاحب الجبلة البشرية إزاء الشيطان كعدو مقتحم ما ليس له، وساكن في بيت طغى عليه واحتلّه بالمكر والخديعة والظلم. فهنا الإخراج نتيجة غلبة وانتصار في معركة خفية غير منظورة يستخدم فيها المسيح سلطانه كخالق وفادٍ ومخلِّص، كابن الله وملك البر والحق والعدل. وهو بهذا الإخراج المهين إنما يحطِّم كبرياء الشيطان، ويذلّ سلطانه الكاذب، ويسحق مملكته التي يقيمها على النصب والاحتيال وادِّعاء القوة بالكذب وهو جبان رعديد. وهكذا، وبتحطيم مملكة الشيطان الواهية، يستخلص الله أبناءه ويكشف عن مملكته الحقيقية. وبهذا يُعتبر هذا الحدث بمثابة الإعلان الرسمي لمجيء ملكوت الله على الأرض وبين الناس.

«أقبل عليكم»: ἔφθασεν ἐφ᾽ὑμᾶς

يُلاحَظ أن المسيح بدأ بنفسه "أنا ἐγώ" ولكن الواسطة في الحرب والعراك والطرد بلا تفاهم كان بالروح القدس: "بروح الله". والنتيجة أن ملكوت الله "أقبل". الكلمة اليونانية هنا ἔφθασεν في

معناها البسيط تفيد الاقتراب أو الوصول، وهي تظهر في رسالة فيلبي عن وصول إيمان يسوع المسيح لنا **فأدركناه**: «أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع ... فالله سيعلن لكم هذا أيضاً. وأمَّا ما قد أدركناه ὃ ἐφθάσαμεν، فلنسلك بحسب ذلك القانون عينه، ونفتكر ذلك عينه.» (في ٣: ١٤-١٦)

١٢: ٢٩ «أَمْ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ الْقَوِيِّ وَيَنْهَبَ أَمْتِعَتَهُ، إِنْ لَمْ يَرْبِطِ الْقَوِيَّ أَوَّلاً، وَحِينَئِذٍ يَنْهَبُ بَيْتَهُ؟»

«القوي»: ἰσχυρός

وهي الكلمة المشتق منها الاسم المسيحي المشهور بسخِيرون (بكسر الخاء) ومعناها القوي، وهو من أسماء الله. وهنا دخل المسيح في تشبيه نفسه مع الشيطان كما جاء في إنجيل ق. لوقا: «حينما يحفظ القوي داره متسلِّحاً تكون أمواله في أمان، ولكن متى جاء مَنْ هو أقوى منه فإنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزِّع غنائمه» (لو ١١: ٢١و٢٢). وهكذا نشكر الله بيسوع المسيح "الأقوى"، الذي ربط الشيطان ونزع سلاحه "الخطية" الذي اتكل عليه في اقتحام الإنسان واحتلال قلبه وعقله وفكره وجسده. هذا السلاح الجبَّار الذي شهره في وجه الإنسان كل زمان ما قبل مجيء المسيح، حطَّمه المسيح على الصليب. فلم تعد الخطية شوكة الموت في جسم الإنسان، إذ كسرها وأبطل قوة الموت بغفران الخطايا. وهكذا استطاع أن ينهب أمتعته (بيته) أي مقتنياته من بني الإنسان، أصنافاً وأشكالاً وألواناً، ويخرجه عنوة بلا قوة ولا سلاح ولا رجعة، وينقذ الإنسان من براثنه.

وبهذا يكشف المسيح، لكل ذي بصيرة، أن بطرده الشيطان من سكناه داخل الإنسان يعني نصرة المسيح وغلبته القاهرة عليه، وسلطان ربطه وطرده بلا قوة.

١٢: ٣٠ «مَنْ لَيْسَ مَعِي فَهُوَ عَلَيَّ، وَمَنْ لاَ يَجْمَعُ مَعِي فَهُوَ يُفَرِّقُ».

هنا بعد أن وضع المسيح نفسه في حرب وصراع مع العدو، وكشف أنه إنما جاء ليبدِّد مملكته ويقضي على بيته وقواته وأسلحته، أصبح الأمر يحتاج إلى حسم. فإمَّا مع المسيح أو مع الشيطان، ولا وسط. بهذا يكون المسيح بكلمة واحدة قد وضع الكتبة والفريسيِّين في صف الشيطان، يعملون لحسابه لهدم الإنسان وتعطيل ملكوت الله!

ثم عاد وامتد بالحسم إلى كشف الحسم. فالذي مع المسيح يلزم أن يجمع مع المسيح، أي ينادي

بما ينادي به، ويدعو إلى ما يدعو إليه، ويسعى وراء أعضاء جدد لكنيسته وجسده، وإلاَّ فهو يضع نفسه مع الذين هم ضد المسيح والذين يفرِّقون بين أولاده ويعطِّلون عمله وإعلان ملكوته. وبهذا الكلام يكون المسيح قد قسَّم البشرية كلها إلى مَنْ معه ومَنْ عليه ولا وسط. والكلام معزَّز بالمنطق الشديد، لأن الذين لا يكونون مع المسيح يكونون تلقائياً مع الشيطان، والذين لا يجمعون مع المسيح فإنهم تحت اضطرار وسيطرة الشيطان يفرِّقون أولاد المسيح. وهنا وبالتالي تكون قد اتضحت معالم ملكوت السموات بين مَنْ يعمل لها ومَنْ يعمل ضدَّها. وبحسب هذا الكشف البديع يكون قد أعطى المسيح أقوى حُكْم حَكَمَه على المعاندين له.

١٢: ٣١و٣٢ «لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ خَطِيَّةٍ وَتَجْدِيفٍ يُغْفَرُ لِلنَّاسِ، وَأَمَّا التَّجْدِيفُ عَلَى الرُّوحِ فَلَنْ يُغْفَرَ لِلنَّاسِ. وَمَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ يُغْفَرُ لَهُ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُ، لاَ فِي هذَا الْعَالَمِ وَلاَ فِي الآتِي».

«لذلك»: διὰ τοῦτο

بناءً على كل ما قِيل، خاصة فيما قاله الفريسيُّون بالنسبة لقوة أعمال الشفاء وإخراج الشياطين وهي بالروح القدس ونسبوها للشيطان!

والآن يضع المسيح في ميزان الدينونة في كفَّة كل خطية وتجديف للناس، هي مغفورة بالاعتراف وبالتوبة والعودة بالندم إلى الله. لأنها في طبيعتها لا تزيد عن إيذاء الإنسان لنفسه سواء بالسقوط في مخالب الشيطان والبعد عن الله والتعرُّف على الروح القدس، فهو يسيء إلى نفسه بالخطية والتجديف. وفي الكفة الأخرى من ميزان الدينونة يضع التجديف على الروح القدس، فيجعله خطية غير مغفورة إلى الأبد، لا على الأرض ولا في السماء، بمعنى أن حكم الدينونة يكون هنا نهائياً. وهذه مصيبة أن الروح القدس الذي أُرسل لنا كنعمة ونور وحق للمعرفة والمشورة والمؤازرة لدخول ملكوت الله نجعله عدوًّا وحائلاً دون الخلاص.

والسر في ذلك أن الإنسان حينما يخطئ خطية عادية يسيء إلى نفسه، أمَّا أن يسيء إلى الروح القدس فهو يكون قد تعدَّى ما هو لنفسه، وتجرَّأ ودخل فيما لله، ونصَّب نفسه عدواً لله! وهذا شيء لا يقوى عليه إلاَّ الشيطان الذي نال لعنته الأبدية.

وبهذا الحكم يكون قد قطع المسيح على الكتبة والفريسيِّين وكل مَنْ عثر في الروح القدس وأخطأ في حقِّه وجدَّف بأن فَصَلَهم عن كافة البشرية، وطرحهم من الآن ليكونوا من نصيب

الشيطان لينالوا معه اللعنة الأبدية.

وأمَّا السبب الإيجابي في هذا، فهذه العملية تُحسب أنها عملية وقائية، حتى لا يتسبَّب أصحابها في الإيقاع بالآخرين ليجرُّوهم وراءهم في هذا الطريق اللعين، ويسدُّوا نور الله عنهم ويحرموهم من استعلان الله لهم ليظلوا في ظلمة الموت.

ولكن الأمر المخفي الدقيق في هذه الآية هو أن مجرَّد أن يخطئ الإنسان خاصة أدبياً وأخلاقياً فهو إنما يخطئ إلى الروح القدس، الذي ولده والذي معه ويؤازره ويرشده. ولكن هذا شيء وشيء آخر أن يتبجَّح الإنسان ضد الروح القدس نفسه بكلام خارج عن مستحقات الله في القداسة والكرامة، بنوع من العداوة أو التعدِّي. فمجرَّد الخطية تُحسب إحزاناً للروح القدس: «لا تخرج كلمة رديَّة من أفواهكم ... ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء» (أف ٤: ٢٩و٣٠). أمَّا التجديف فهو بلوغ الشخص أقصى حالة بُعد عن المسيح، والاستهتار بقيمة الحياة الأبدية والله والملكوت. ويصفها سفر العبرانيين بدقة:

+ «لأن الذين استُنيروا مرَّة (المعمودية)، وذاقوا الموهبة السماوية (التناول من الجسد والدم)، وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة (الإنجيل) وقوَّات الدهر الآتي (عمل النعمة)، وسقطوا (في التجديف وإنكار الإيمان)، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هُم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهِّرونه.» (عب ٦: ٤-٦)

ويقطع بها ق. يوحنا هكذا: «إن رأى أحد أخاه يُخطئ خطية ليست للموت يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت، توجد خطية للموت (التجديف على الروح القدس) ليس لأجل هذه أقول أن يُطلب.» (١يو ٥:١٦)

وبهذا يكون المسيح قد قطع على الكتبة والفريسيِّين، وكل الذين عاشوا ويعيشون ناقدين ناقمين على المسيح، أن بتجديفهم على الروح القدس الذي هو جوهر الإيمان وواسطة الخلاص يقطعون أنفسهم من شجرة المسيح.

٣٣:١٢ «اجْعَلُوا الشَّجَرَةَ جَيِّدَةً وَثَمَرَهَا جَيِّداً، أَوِ اجْعَلُوا الشَّجَرَةَ رَدِيَّةً وَثَمَرَهَا رَدِيًّا، لأَنْ مِنَ الثَّمَرِ تُعْرَفُ الشَّجَرَةُ».

الآن يتتبَّع المسيح أصل التجديف الذي أخرجه الفريسيُّون وكأنه من أفواههم، وهو في الحقيقة يعتبره خارجاً من الجذور الضاربة في الخطية والشر والسرقة ومحاباة الوجوه، والزنا والرياء والتعليم

بغير ما يؤمنون به. هذه التربة المسمومة بأنواع الخطايا هي التي أخرجت بالنهاية التجاديف من أفواههم عبر قلوبهم الحاقدة بمرارة ضد طهارة المسيح ووداعته وطيبة قلبه وقوته القاهرة ضد الشيطان، وسمو مقدرته على الشفاء وإتيان المعجزات، فخرجت التجاديف من أفواههم خروجاً تلقائياً. فهي مطبوخة في الضمير ومستمدة من أعماق الخطية والبُعد عن الله. وهنا المسيح يطالبهم بأن يعودوا إلى الأصول الأُولى ليستطيعوا أن يتكلّموا بالصالحات ويعلّموا بالحق. ولكن طالما هُم مصرّون على حياتهم الداخلية الضاربة في البعد عن الله وممارسة الإثم فثمرهم يكون هو هذا التجديف عينه. والآن يرتفع المسيح إلى المستوى العام وينصح بأن الشجرة لا تطرح ثمراً جيداً من لا شيء بل يلزم العودة إلى الأصول. وثمر الشجرة هو الذي يكشف عن سيرتها الداخلية!

١٢: ٣٤ «يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟ فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ».

وهنا يتتبع المسيح أيضاً الفساد الذي جُبل عليه هؤلاء الكتبة والفريسيُّون، فليست فقط بيئتهم وحياتهم الخاصة هي التي رضعوا منها سم الخطية التي انتهت بهم إلى التجديف على الروح القدس؛ بل يتمادى المسيح ويرى أنهم نسل أفاعي. فآباؤهم غرسوا في جبلتهم الفساد الذي شربوه بدورهم من آبائهم.

فموسى كشف جذرهم المسموم: «أفسد له الذين ليسوا أولاده عيبُهم، جيلٌ أعوج ملتوٍ. أَلـرَّبَّ تُكافئون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم ...» (تث ٣٢: ٥و٦)، «إنهم أُمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم ... لولا أن صخرهم باعهم والرب سلّمهم» (تث ٣٢: ٢٨و٣٠)، «خمرهم (مسرّتهم) حُمَةُ الثعابين وسِمُّ الأصلال القاتل.» (تث ٣٢:٣٣)

هنا يستكثر المسيح عليهم أن يستطيعوا أن يتكلّموا بالصالحات وهم هكذا أشرار. فإن التجديف الذي تكلّموا به ونطقوه خرج بعد أن عاش في قلبهم وتفرّخ وفاض. فتجديفهم ليس مجرَّد كلام بل هو من كنزهم الشرير الداخلي المخفي.

١٢: ٣٥ «اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَنْزِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ، وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنَ الْكَنْزِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشُّرُورَ».

المسيح هنا يكشف مخازن الظلمة والنور داخل القلب. فكما يحتفظ الإنسان التقي بكلام الإنجيل

في قلبه مجتهداً أن لا يضيع منه شيء، وكل معرفة مضيئة يُسكنها داخل قلبه بفرح، وكل مقولة حلوة بالروح يهلّل لها ويحتفظ بها محاولاً أن يجعل لها المكان الأول في فكره ويجترّها وهو راقد، ويرتّل بها وهو سائر يتذكرها صباحاً وبالليل يهذّ فيها، وهكذا يمتلىء مخزن قلبه بكنوز المعرفة والفهم وكلمات النعمة والتراتيل المفرحة والأفكار الجيدة. فهذا هو الكنز الصالح في القلب الصالح الذي بدأ تاريخ أعماله منذ فجر الطفولة، وينمو مع القامة ويتضخم مع السنين فيصير صورة جيدة للإنجيل والملكوت.

كذلك الذي انحرف عن الطريق وخرج من وسط تقليد أبيه وأمه وعائلته وكنيسته، فيستهويه في البداية كلام الضحك، ثم كلام الهزء، ثم كلام البذاءة والنكت الخارجة عن حدود اللياقة والأدب، وكل يوم يجمع من الجرائد وأفواه الأصدقاء المنحلين، ويستجدي الجديد في مجال المجون حتى يحصل على ذخيرة من الأفكار والكلام والتصاوير التي تجعله مرجعاً في وسط الناس، يتهافتون عليه وهو راضٍ ومسرور، يفتخر بكنزه الذي جمعه على مدى شبابه، إذا جلس في وسط الناس يُخرج هذه القباحات والشرور كأنها سيل، فيُبهر الجُهَّال ويغوي البسطاء ويُحسب من الخارجين على الأدب والأخلاق. هذا هو كنز البذاءة الأدبية.

ولكن يوجد كنز البذاءة العلمية والروحية، وهؤلاء هم الذين يشعرون بأنفسهم أنهم أعلى من عامة الناس، ويكون لهم رأي في الإنجيل والإيمان بالله واللاهوت مخالف لرأي الناس، إذ يحسبون أن عامة الناس أصحاب عقول منحطّة وبديهيات ميّتة وأن كل ما يعرفونه خرافات، فيبدأون يكوّنون لأنفسهم رأياً في كل أمر من أمور الدين والروح والعبادة، ويؤيّدونه بآراء الهراطقة سواء كانوا هراطقة دين أو فلسفة أو أدب، أي العلماء الذين خرجوا عن البشرية بأفكارهم الغريبة غير المألوفة، ويبتدئون يتحدّثون من كنزهم الزاخر بكل غريب، ويلتف حولهم مَنْ يماثلونهم من الآخرين أصحاب النزعات الشاذة.

١٢: ٣٦و٣٧ «وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَاباً يَوْمَ الدِّينِ. لأَنَّكَ بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلاَمِكَ تُدَانُ».

«كلمة بطّالة»: ῥῆμα ἀργόν

وتعني بحسب النص في وضعها هنا: "كلمة ليست ذات قيمة (كلمة فارغة)"، أمّا "الكلمة المليانة"، فهي كلمة الإيمان، ولكن الكلمة الفارغة فهي ذات معنى لاذع وهي تقارب الكلمة الشريرة.

فلو عدنا إلى المفهوم الإنجيلي لمعنى وحدود الكلمة نجد في أعلاها أن المسيح هو كلمة الله، حيث الكلمة هنا تأتي حاملة لمفهوم الشخص لاهوتياً، فكلمة الله تحمل شخص الله. ومنها ندرك أن الكلمة في أصولها الأُولى هي تعبير عن الشخص، وبالتالي تعبير عن روحه ومنهجه ورؤيته للحياة. ولهذا أصبحت الكلمة البطَّالة هي بعينها فكر قائلها وحاله وتعبير عن منهجه وعمله. لذلك يحسبها الله كفعل أو عمل يحتاج إلى مؤاخذة وعقاب إن كانت خارجة عن إطار الإيمان ورزانة العلاقة بالله. وحقٌّ هو أن يقول الله إن بكلمة الإنسان يتبرَّر أو يُدان. فهي على مستوى السيرة والحياة برمَّتها. وهذا يردّنا إلى أنفسنا لنراجع ما نقول ونفكِّر وننطق لئلاَّ يكون ذلك مدعاة لدينونة ونحن غافلون عن أنفسنا. ولا يظن أحد أن ليس مسجِّل على الإنسان ليسجِّل عليه كلامه وفكره، لأن كل ما يخرج من الفم ويدور في الفكر له وجود وأثر محدَّد يسترجعه الله للإنسان أمام عينيه وأُذنيه ليرى كل ما قال وكل ما عمل ولا يضيع شيء لا نقطة ولا حرف! والإنسان سيرى نفسه وهو الذي سيدين نفسه وهو واقف أمام المسيح وشريط حياته يجري أمام وعيه المستيقظ، فلا يستطيع أن ينفي ولا يستطيع أن يعتذر، لأن زمان الاعتذار والتصحيح يكون قد مضى.

طلب عمل الآية المرفوض

[١٢: ٣٨–٤٥] (مر ٨: ١١و١٢)، (لو ١١: ٢٤–٢٦،٢٩–٣٢)

١٢: ٣٨ «حِينَئِذٍ أَجَابَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً».

بنوع من برود الأعصاب وعدم الاكتراث، بعد الذي سمعوه من المسيح يطلبون أن يروا آية. وكأنهم لم يروا شفاء الأعمى الأخرس أو بقية المعجزات. ولكن هذا في الحقيقة يُخفي عدم الإيمان وعدم الثقة معاً به وبأعماله، وما هذا الطلب إلاَّ نوعاً من التجربة. وكأنما يكرهون أن يسمعوا تعاليمه ويودُّون لو يسكت ليتسلُّوا بعمل آية.

«نريد أن نرى منك آية (من السماء)»:

لم يعتبروا الأشفية ولا إخراج الشياطين آية، بل أرادوا آية "منك" أي شخصية تخص ذاتك ويكون مصدرها السماء، حتى نتعرَّف عليك بحسب ادعائك أنك أتيت من الله. وهذا فيه كثير من

الصدق، لذلك ردَّ عليهم المسيح ردًّا صادقاً حقيقياً مقنعاً، غير أنهم لم يفهموه بل كان يستحيل أن يفهموه، ولكن لا بد أن يفهموه!

١٢: ٣٩و٤٠ «فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ».

ابتدأ المسيح بوصف الجيل الذي يطلب آية من السماء، أنه جيل فاسق وشرير، بمعنى أنه خرج عن علاقته الأمينة بالله كما تخرج الزانية عن علاقتها بزوجها. وليس ذلك فقط ولكنه جيل يمارس الخروج عن ناموس الحياة الخاضعة لله. وهذا هو الشر عين الشر. والآن فقد صار حالهم كحال أهل نينوى الذين أرسل الله لهم يونان: «وصار قول الرب إلى يونان بن أمتّاي قائلاً: قُم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة ونادِ عليها لأنه قد **صعد شرُّهم أمامي**» (يون ١: ١و٢)، «بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى» (يون ٣: ٤). واعتبر المسيح نفسه بالنسبة لهذا الجيل الفاسق الشرير كيونان الذي جاء ينذر المدينة. فكما حدث ليونان وهو في طريقه لنينوى لكي ينقذها من الانقلاب الآتي عليها، أن ابتلعه الحوت وظلَّ في بطنه ثلاثة أيام وثلاث ليال. هكذا سيصير المسيح وإنما في باطن الأرض. وهذه هي معجزة الخلاص، لأن بموت المسيح وبقائه في الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال تمَّت ذبيحة الكفَّارة ومات المسيح بالجسد، أي بالبشرية التي فيه، وهكذا كفَّر عن خطايا البشرية، وقام بالجسد أي البشرية المفدَّاة للمصالحة مع الله. **لذلك احتسبت الثلاثة أيام والثلاث ليال في القبر أنها معجزة الجيل الفاسق الشرير** - العظمى - لأن بهذه المعجزة الفائقة أُكلمت كل المعجزات وتمَّ استعلان المسيَّا كمخلِّص وفادي إسرائيل والبشرية قاطبة. وطبعاً قال المسيح هذا وهم لا يدرون ما يقول، ولكن كان لازماً جداً أن يرد المسيح على طلبهم، لأنه يبدو أنه كان طلباً صادراً عن رغبة الفهم والمعرفة، إذ لم تكفِهم معجزات الشفاء، وإخراج الشياطين، وهذا حق. فهذه المعجزات جميعاً لا تكفي لكي تحدِّد شخصية المسيَّا كمخلِّص وفادي إسرائيل. وهكذا أراح المسيح ضميره بأن قال لهم الحق الذي سيفهمونه فيما بعد، حتى وإن طال الزمن حتى الآن!!

أمَّا تعليقنا على الثلاثة أيام والثلاث ليال فهي هكذا: النهار الأول أخذ ضمناً الليل السابق عليه، لأن اليوم اليهودي يُحسب من الغروب إلى الغروب، وأي جزء من النهار أو الليل يُحسب يوماً كاملاً، والمسيح استودع جسده في القبر قبل الغروب ثم دخل ليل اليوم الثاني، وهكذا يُحسب ما قبل الغروب يوماً كاملاً بليلته السابقة.

فأول يوم هو يوم الجمعة لأنه حُسب له في القبر لأنه دُفن قبل الغروب + (ليلة السبت صابح السبت + نهار السبت = اليوم الثاني) + (ليلة الأحد صابح الأحد + الفجر = اليوم الثالث).

٤١:١٢و٤٢ «رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ ههُنَا! مَلِكَةُ التَّيْمَنِ سَتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُ، لأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ ههُنَا!»

أمَّا الآية التي طلبوها فقد قالها لهم ليرضي قلبه وضميره، أمَّا أعمالهم التي يعملونها فهي أنهم لم يسمعوا لا ليوحنا المعمدان ليتوبوا معترفين بخطاياهم ويعتمدوا، ليصيروا قادرين أن يسمعوا للمسيح ويفهموا حتى ينالوا معمودية الروح وسر الملكوت؛ ولا هم سمعوا لنداء المسيح حتى إذا قبلوه غُفرت خطاياهم وتُركت آثامهم. بل قالوا على يوحنا إن به شيطاناً وقالوا على المسيح إنه بشيطان يُخرج الشياطين. وكأن خلفية معرفتهم وفهمهم هي على أساس الشيطان، لينسبوا إليه كل الأعمال حتى الحق. وهنا يواجههم المسيح بالمصير الأسود أن رجال نينوى بل ونساءهم وأطفالهم سيقفون في الدينونة يفتخرون عليهم أنهم تابوا بمناداة يونان النبي. أمَّا هُم فلا للمعمدان اعترفوا وندموا، ولا للمسيح تابوا. فصارت دينونتهم فضيحة لحكمة إسرائيل ومهزأة لأولاد إبراهيم.

وزاد المسيح بملكة التيمن أنها جاءت من أقصى الأرض لتسمع حكمة سليمان، أمَّا هم فقد داسوا أقوال الله على فم المسيح وأهانوها. فالذي كالوه للمسيح أشكالاً وألواناً من المراجعة والصدام والمعيرة والإهانة والتهديد بالموت، بل والتعذيب قبل الصليب وعليه، سيصبح يوماً منظراً لكل العالم وهم واقفون يُسألون عنه وقد خرست أفواههم. وهكذا يا إخوة كل مَنْ لم يعمل للدينونة حساباً!!

٤٣:١٢-٤٥ «إِذَا خَرَجَ الرُّوحُ النَّجِسُ مِنَ الإِنْسَانِ يَجْتَازُ فِي أَمَاكِنَ لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ، يَطْلُبُ رَاحَةً وَلاَ يَجِدُ. ثُمَّ يَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي الَّذِي خَرَجْتُ مِنْهُ. فَيَأْتِي وَيَجِدُهُ فَارِغاً مَكْنُوساً مُزَيَّناً. ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَأْخُذُ مَعَهُ سَبْعَةَ أَرْوَاحٍ أُخَرَ أَشَرَّ مِنْهُ، فَتَدْخُلُ وَتَسْكُنُ هُنَاكَ، فَتَصِيرُ أَوَاخِرُ ذلِكَ الإِنْسَانِ أَشَرَّ مِنْ أَوَائِلِهِ. هكَذَا يَكُونُ أَيْضاً لِهذَا الْجِيلِ الشِّرِّيرِ».

آخر ما يمكن أن يكشفه المسيح عن هؤلاء المتزعمين لجيل الكتبة والفريسيِّين، وآخر ما كنَّا نظن أن نفتكر به. فالمسيح يوضِّح هنا سر كل الأمور التي عُرضت علينا والتي ستُعرض من جهة أعمال هؤلاء الحكماء والفهماء اليهود مع رؤساء كهنتهم وكهنتهم وشيوخ الشعب المتضافرين معهم،

الذين ظهروا في النهاية عصبة واحدة متحدة قلباً وفكراً ونطقاً: "اصلبه اصلبه". فنحن كنّا منهولين من أعمالهم العدائية مع المسيح. لماذا؟ لماذا هذا الصدود المجاني؟ لماذا هذه المقاومة العلنية التي أضعفت إيمان الشعب؟ لماذا هذا الهجوم الفاجر ومحاولة القتل مراراً؟ ولكن عند الصليب انكشف المشهد الأخير عن قتلة محترفين وأعداء للحق والصدق والرحمة والعدل!!

والآن فقط وهنا وفي هذه الآية فهمنا سر رؤساء هذا الشعب الذين نكّدوا على الشعب هذه القرون كلها، والله طالب خلاصهم وطالب ودّهم. يُرسل لهم الأنبياء جماعة وراء جماعة من خيرة رجال النعمة والعظماء حقّاً، أنبياء تفتخر بهم البشرية، ويزيّنون تاريخ الله مع الإنسان. قاوموهم واضطهدوهم وقتلوهم ثم زيَّنوا قبورهم وجعلوها مزارات. ولكن بقيادة هؤلاء الرؤساء والمعلّمين والربيين قادوا الشعب من عصيان إلى عصيان، وما كنّا ندري أنه لهذا الحد يبلغ بهم فجور العصيان والتمرُّد على الله، مَنْ كان يصدِّق؟ هوذا الآن نصدِّق، فقد كرروا تمرُّدهم هذه المرَّة على ابنه الوحيد الذي أرسله الله يطلب ودّهم ويطالب بالثمر، ثمر آلاف السنين تعزية ومعونة ونعمة وسخاء ومجداً لهذا الشعب الجاحد.

والآن عرفنا، ومِنْ هذه الآية، أن الشيطان كان هو الذي يقودهم ويعلّمهم أصول التمرُّد ويسوقهم أمامه لعبادة الأصنام والشياطين والنجاسة، لكي يغيظ الله بواسطتهم وقد نجح أعظم نجاح. ولمّا جاء الابن أذاقه المرار بواسطة حكماء هذا الشعب وعلمائه وكتبته وكهنته الذين ورثوا مع الختانة الخيانة، الخيانة لعهد الله وكلامه ووصاياه، واجتمعوا على الابن الوحيد فهزأوا به ومرَّروا حياته ثم قتلوه!

وجيل يسلِّم جيلاً حتى صارت عدد الشياطين الساكنة فيهم سبعة شياطين مضافة إلى الواحد، وكلّها أشرّ منه، هؤلاء طلبوا آية فكانت آية الصليب!

حنّان، قيافا، شيوخ الشعب، كتبة، فريسيُّون، ناموسيُّون، هيرودسيُّون، سنهدرين، مشيخة الشعب، خُدَّام، كلها قِناعات لبسها الشيطان بعدما فرَّق الأدوار على الأبرار الكاذبين، وخرجوا بمظاهرة دينية رائعة يهدِّدون بيلاطس، وخاف بيلاطس طبعاً. اصلبوه أنتم!! لا ليست لنا عادة أن نقتل أحداً!! اقتله أنت. فسلَّمه إليهم فقتلوه!!

+ «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة.» (لو ٢٢:٥٣)

مَنْ هُم أهل بيته

[١٢: ٤٦–٥٠]

(مر ٣: ٣١–٣٥)،
(لو ٨: ١٩–٢١)

١٢: ٤٦–٥٠ «وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُ الْجُمُوعَ إِذَا أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ قَدْ وَقَفُوا خَارِجاً طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوهُ. فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ: هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقِفُونَ خَارِجاً طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ. فَأَجَابَ وَقَالَ لِلْقَائِلِ لَهُ: مَنْ هِيَ أُمِّي وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ: هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي. لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي».

جيِّد من القديس متى أن يأتي إلينا هنا بأخبار الأُم الطاهرة والتلاميذ الأتقياء لنشتَمَّ رائحتهم العطرة ونَبلَّ ريقنا بعد أن نشّفه لنا هؤلاء الكتبة والفريسيُّون ونزحوا علينا روائحهم الكريهة!

مسكينة هذه الأُم المباركة القديسة زينة البشرية نبيَّة العهد الجديد وعزاء الأتقياء ـ جاءت تسأل عن ابنها! هي تعرف سرّه وتعرف سرّها، ولكن استودعت الكل قلبها وانتظرت ماذا ستكشف عنه الأيام. لا تستطيع أن تسير في الشوارع وحدها فجاءت تستند على أهل يوسف. لم تكن تطلب إلاَّ أن تراه فرأته من بُعد وارتاح قلبها وعادت.

أمَّا هو فقد وجدها فرصة أن يعرِّفنا بالعائلة الكبيرة التي اتسعت لتضمنا. وهنا يكشف المسيح سر احتوائه للكنيسة الجديدة، كيف تآخى هو مع البشرية عندما صار بكرها بالتجسُّد، وكيف اتحدوا به في موته وقيامته، وكيف سلَّمنا جسده المقام من الموت لنصير فيه كلنا أعضاءً من لحمه وعظامه. وبالبداية وبالنهاية هي إرادة الآب السماوي التي صنعت منَّا كنيسة حيَّة واحدة إلهية. آباء وأُمهات وإخوة وأخوات، عجنة واحدة مقدَّسة، باكورة من خلائقه، أحبَّ أن يكون فيها هو الرأس فكان، وأحبنا أن نكون فيه الجسد فأعطانا!!

الأصحاح الثالث عشر

الحديث الثالث الكبير

أمثال الملكوت

وبدء القسم الرابع من خمسة أقسام الإنجيل (١٣:٥٣)

الحديث الثالث الكبير

أمثال الملكوت[1]

[١٣: ١-٥٨]

هذا الأصحاح ذو قيمة كبيرة لدى المعلِّمين، لأنه خُصِّص لإعطاء دروس قصيرة للغاية لفهم ملكوت الله. كيف ابتدأ وكيف ينمو، حتى في عصرنا هذا. لذلك لكي نخرج بفائدة كبيرة من هذا الأصحاح يلزمنا أن نفهم جيداً هدفه والوسيلة التي يستخدمها المسيح.

ويلزمنا في البداية أن نعرف أننا نجد في هذا الأصحاح حديثاً مسترسلاً عن موضوع واحد، وليست مجموعة حقائق مجموعة من تعاليم الرب قيلت في مناسبات مختلفة. فهذا يسيء جداً لفهمنا الكلِّي للموضوع. فالمهم أن نتأكَّد أن هذه الأمثال السبعة قد قيلت مرَّة واحدة معاً وفي مناسبة واحدة. والدليل على ذلك جاء في آية أخيرة هكذا: «ولمَّا أكمل يسوع هذه الأمثال انتقل من هناك» (مت ١٣: ٥٣). إذن فهي تكوِّن موضوعاً واحداً كبيراً في معناها العميق.

أمَّا الظروف التي واكبت هذه الأمثال فهي أن المسيح واجه فجأة مقاومة عنيفة مركَّزة من الكتبة والفريسيين، مع أنه لا يزال يريد أن يعطي تلاميذه مزيداً من المعرفة عن رسالته، وخاصة فيما هو الملكوت والتأهيل إليه وتوضيح شخصيته هو - المسيَّا. والآن وقد عُرف مكانه في كفرناحوم اضطر أن يأخذ مركباً صغيراً ويجلس فيه على الشاطئ يعلِّم التلاميذ والشعب الذي يأتي إليه دون أن يزحمه. وطبعاً عين المسيح لم تفارق مستقبل خدمة تلاميذه وما تحتاجه من معرفة متكاملة.

مختصر الأصحاح الثالث عشر:

١ - خروج المسيح وجلوسه في المركب على الشاطئ وابتداء تعليم المسيح بالأمثال (آية ١-٣).

٢ - في وسط كلام المسيح وهو يتكلَّم عن المثل الأول - مثل الزارع - تقدَّم تلاميذه بسؤال عن لماذا تكلِّمهم بأمثال؟ (١٠-١٥). وحينئذ أجاب المسيح وشرح لهم السبب وسنعود إليه.

٣ - لخَّص ق. متى أقوال المسيح واستشهد بالأنبياء (٣٤و٣٥).

٤ - ختام الأمثلة السبعة وتحرُّك المسيح من المكان (٥٣).

---

(١) راجع المقدِّمة «الأمثال في إنجيل ق. متى» صفحة ٥٠

والآن لماذا كان المسيح يكلّمهم بالأمثال؟

واضح في الحقيقة أن تلاميذه محقّون في سؤالهم، لأن المسيح هنا غيَّر فجأة طريقة تعليمه إلى طريقة الأمثال وهي جديدة عليهم. صحيح أن المسيح تكلّم سابقاً بأمثال، ولكن هنا جعلها الطريقة الوحيدة للتعليم! خاصة بالنسبة للجموع، ولم تكن هذه طريقته.

فأجاب المسيح:

«لأنه قد أُعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات وأمّا لأولئك فلم يُعط» (١١).
علماً بأن التعليم بالأمثال كان لتلاميذه أيضاً. وهنا يلزم الانتباه.

ونسأل أولاً: ما هو المَثَل؟ والرد هو أن المسيح جعل معلومتين متماثلتين بجوار بعضهما، وبدأ يقارن بينهما بقصد شرح الواحد الغامض بالآخر الواضح، والواضح أرضي والثاني سمائي روحي، أو واحد منظور ومعروف جيداً والآخر غير منظور ومطلوب أن نعرفه. فلو تأمّلنا السبعة أمثال للملكوت هنا نجد أن المسيح استشهد بأمور بسيطة نراها كل يوم أمام أعيننا، وانطلق بها ليشرح ملكوت السموات، كمَثَل الزارع وهو يزرع، وامرأة تخمِّر العجين، وكنز وُجِدَ في حقلٍ، وصيَّاد يُلقي شبكته، وهكذا.

ولكن لماذا المَثَل؟

هل كما يظن بعض الشُّرَّاح أنه لإخفاء الحقيقة عن الآخرين؟ مع أن الحقيقة هي أن المَثَل يحاول أن يشرح ويوضِّح مفهوم القصد من ملكوت الله، ليساعد السامع على الفهم وليس ليُخفي عنه الحقيقة. لأن إخفاء الحقيقة ليس من عمل المسيح على الإطلاق ومهما كان السبب. فالمَثَل في شكله الظاهري كالنظّارة السوداء التي نلبسها لكي نرى الشمس، فهي سوداء ليس لإخفاء الشمس بل لإظهارها أكثر.

فالسؤال الذي وُجِّه للمسيح: لماذا تُكلِّمهم بأمثال؟ كان جوابه هكذا: «لأنه قد أُعطيَ لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات، وأمَّا لأولئك فلم يُعطَ. فإن مَنْ لَهُ سيُعطَى ويُزاد، وأمَّا مَنْ ليس له فالذي عنده سيُؤخذ منه» (مت ١٣: ١١و١٢). فالجزء الأول من الإجابة يوحي فعلاً بأن المَثَل هو لإخفاء الحقيقة عنهم، أمَّا الجزء الثاني فيُفهم منه العكس. فالآن نعود للجزء الأول الذي يقول: **«قد أُعطيَ لكم»** ولهم «لَمْ يُعطَ». والآن إذا وضعنا الجزئين معاً من الآية تكون: لأنكم قد أُعطيتم أسرار ملكوت الله لذلك تعطون بالمثل ويُزاد لكم، أمَّا الآخرون فلأنه لم يُعطَ لهم فلن يفهموا شيئاً، بل ربما الذي فهموه سابقاً يضيع منهم!!

واضح إذن أنـه بسبب عطيـة المسيح للتلاميـذ، إذ أخـذوا بـالفعل وسيأخذون بـالأكثر أسـرار ملكوت الله، فإن كل تعليم يختص بملكوت الله بالأمثال سيُزيد من معرفة السرّ ويوضّح لهم، ولكـن الآخرين لأنهم بسبب ما يخصهم لم يُعطوا أسرار ملكوت الله فالتعليم بالأمثال لـن يزيدهـم معرفـة، بل كما قال إن الذي عندهم يؤخذ منهم.

أمَّا ما هو الذي عند التلاميذ الذي جعل المسيح يعطيهـم أسرار ملكـوت الله، فهـو أنهـم أقبلـوا على العريس وأحبوه وخرجوا معه، فالذي له العريس فهو العروس، والعروس لهـا كـل مـا للعريـس. هذا هو الملكوت وسرّه.

والآخرون رفضوا العريس - كتبة وفريسيون وكهنة ورؤساء كهنة - ورفضوا تعليمـه وخدمتـه، ورفضوا الذي نادى به وأعدَّ له الطريق. لذلك أصبح من المستحيل أن يعلِّم عن أسرار ملكـوت الله لهم. فلابد أن يكون التعليم بالآيات التي يفهمها فقط مَنْ عندهـم السر!! "سرِّي لأهل بيتي".

أمَّا لماذا إيجابياً لا يعطيهم المسيح؟ الرد لأنهم لا يستطيعون ولن يقبلوا أسرار ملكـوت الله لأنهـا مخفية في العريس، والعريس مرفوض. شكله محتقر ومرذول، لا هو كاتب ولا فرِّيسـي ولا رابي ولا كاهن بل ولا نبي؟!

الذين استقبلوه كملك أعطاهم أسرار مملكته، والذين رفضوا أن يملِّكوه عليهم لا يجوز أن يعرفـوا سرّ ملكه، بل كل ما كان قد استؤمنوا عليه سابقاً كحكماء ورؤساء وكهنة يؤخذ منهم، بل قد أُخذ!

والآن هذا هو الواقع: فلو أنهم يتبعونه للمقاومة فهم يسمعونه يقـول ولا يفهمـون أمثالـه: «من أجل هذا أُكلِّمهم بأمثال لأنهم مُبصرين لا يُبصرون، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمـون. فقـد تمَّـت فيهم نبوَّة إشعياء القائلة: تسمعون سمعاً ولا تفهمون، ومُبصرين تُبصرون ولا تنظرون. لأن قلب هذا الشعب قد غَلُظَ، وآذانهم قـد ثَقُـلَ سماعهـا. وغمَّضـوا عيونهـم، لئـلاَّ يُبصـروا بعيونهـم، ويسـمعوا بآذانهم، ويفهموا بقلوبهم، ويرجعوا فأشفيهم» (مت ١٣: ١٣-١٥ وراجع: إش ٦: ٩و١٠). هذه نبوَّة إشعياء النبي والمسيح يعلن أنها قد تمَّت، ولهذا اختفى عنهـم سـر ملكـوت الله. فعلى مـن تقـع جريمة رفضهم المسيح والنظر والفهم؟ ومَنْ المسئول عن حرمانهم من معرفة أسرار ملكوت الله؟

أمَّا بالمفهوم البسيط جداً فنحن مندهشـون حقـًّا كيـف أن هـؤلاء العلمـاء والفهمـاء والحكمـاء ورؤساء الكهنة المتمرِّسين في التوراة لم يعودوا يفهمون كلام المسيح أو حتى يَسـمعون لـه؟ إلى هـذا الحد أغمضوا عيونهم عن رؤية جميع الأمـراض الـتي تُشـفى أمـامهم، والموتـى يقومـون في وجودهـم

وتحت بصرهم وسمعهم؟ وهل في جميع ما قاله المسيح وعلّم به لم يكن شيءٌ متوافقاً مع الحق قط؟

ولكن لا تزال الأمثال في بساطتها والنور الذي فيها مطروحة أمامهم حتى آخر لحظة، فهو لم يحرمهم من الفهم ولكنهم هم الذين حرموا أنفسهم منه!!

والآن لكي نتقدَّم إلى شرح الأمثال يلزم أن نراعي المبادئ التي تحكم الشرح الصحيح:

١ - بساطة الشرح لأن هذا هو أسلوب المسيح، ولكي نصيب الهدف من المثل نتوخّى البساطة المتناهية.

٢ - الالتزام بحدود الصورة التي يعطيها المسيح في المَثَل ولا نتوسَّع فيها أو نتفرَّع.

٣ - استخدام نفس الاصطلاحات التي اعتمد عليها المسيح في وصف المَثَل.

(أ) البساطة:

كما كنّا نصف معجزات المسيح مع الدخول إلى عمق القصد منها، هكذا في المَثَل، فأبسط ما استخدمه المسيح يحمل الحقيقة الأبدية، على أن لا يغيب عن أعيننا نوع الجموع الواقفة تستمع. فالمسيح لم يُلقِ المَثَل في قاعة محاضرات، بل على شاطئ البحيرة، والفلاّحون حوله. ونحن مقتنعون تماماً أن المسيح لم يقصد أن يخفي الحقيقة الروحية بل القصد هو استعلانها. على أن أعلى مستوى للشرح هو الأبسط.

(ب) حدود الصورة:

من الخطأ أن نكنِّس الشرح لنرتفع به إلى أكثر مما يحدِّد المسيح في الجزء الذي يقصده من استعلان الملكوت، فلو حاولنا أن نحيط بكل مفهوم الملكوت أو ظروفه بأكثر مما حدَّد المسيح الصورة له، ضاعت قيمة المَثَل. فالمسيح يأخذ قطاعاً معيَّناً من الملكوت ويضع له المَثَل المناسب. ولابد أن نلتزم بظروف الصورة التي يعطيها أنها محدودة بالزمن والجيل الذي يسمع المَثَل، ولا يمتد المسيح بالصورة لأكثر مما يحتمل الجيل الذي يعيشه السامعون.

(ج) نفس الاصطلاحات:

لقد التزم المسيح جداً بالصورة التي أعطاها للمَثَل في الحدود التي حدَّدها، وكان يقصدها تماماً ولا يمتد بها لأكثر مما هي. فهو يحمِّلها معنى واحداً، ولا يحمِّل الشرح بأكثر من معنى واحد. فنحن ملتزمون بحدود الأعداد والرموز والألوان التي استخدمها المسيح، وإلاَّ انفرط منّا عقد مضمون الكلمة إلى ما ليس الكلمة.

حقائق عامة هامة في منهج المسيح التعليمي

في الصور التي يقدِّمها المسيح في هذه الأمثال والتي نذكرها تباعاً: الزارع ـ البـذرة ـ الطيور ـ التربة ـ الشمس ـ الشوك ـ الثمر ـ العدو ـ الحصَّادون ـ العبيد ـ الحصاد ـ الشجرة ـ الخميرة ـ العجين ـ المرأة ـ الكنز ـ الإنسان ـ التاجر ـ اللؤلؤة ـ الشبكة ـ الشاطئ ـ السمك؛ هذه الصور ولو أنها تتكرَّر في أمثال مختلفة فسوف نرى أن معناها وقيمتها لا تتغيَّر!! فكل صورة من هذه الصور تشير إلى حقيقة معيَّنة مهما كان المَثَل.

فمثلاً: "**الزارع**" نجده يتكرَّر في ثلاثة أمثال: المَثَل الأول الزارع، والمَثَل الثاني الزوان، والمَثَل الثالث حبة الخردل. فحينما نأتي إلى الشرح فسوف نرى أن **الزارع في الثلاثة هو "ابن الإنسان"!**

وطيور السماء تتكرَّر في المَثَل الأول وفي مَثَل حبة الخردل ـ ويحاول البعض شرحها بأنها رمز الشر في الأول والخير في حبة الخردل وهذا يخلّ بالمعنى.

كذلك الأرض أو التربة في مثل الزارع والزوان وحبة الخردل والكنز المخفى. **وفي هذه كلها يُعرف أن "الحقل هو العالم" والثمر أو الحصاد ينبع حتماً من نوع البذرة!**

والحصَّادون والعبيد، في مَثَل الزوان والشبكة، هم "**الملائكة**"، وفي النهاية يظهرون في الدينونة مع الملك نفسه.

والحصاد سواء في مَثَل الزوان أو الشبكة فهو **نهاية الدهور.**

والشوك قطعاً وفي كل مكان من الإنجيل **هو الشر** ـ والشجرة الممتدَّة هي قوة هذا الدهر.

هكذا تقف الصور حارسة للمعنى العام لأمثال المسيح.

والآن إذ نأتي إلى تقسيم الأمثال بمقتضى التعليم الوارد فيها نجد:

١ ـ الأربعة أمثال الأُولى: المَثَل الأول ثم الثلاثة الذين بعده كلَّم المسيح بها **الجموع**، كاشفاً الملكوت **من وجهة نظر الإنسان.**

٢ ـ الأربعة أمثال الثانية: الثلاثة ثم الواحد الذي يليهم كلَّم المسيح بها **تلاميذه** كاشفاً الملكوت من **وجهة الله.**

على أن الأربعة الأُولى التي للجموع اختصَّت بحقيقة الملكوت **من الخارج.**

والأربعة الثانية التي للتلاميذ اختصَّت بحقيقة سر الملكوت من الداخل.

والآن من السهل علينا الحكم على مدى صحة ودقة هذه الأمثال على مدى الألفي سنة السالفة، حيث يظهر دراية المسيح الواضحة جداً في معرفة ظروف ومساوئ وقوة الشر في الزمن الذي عشناه حتى الآن. علماً بأن هذه الأمثال لا تعطينا تطبيقاً كاملاً بالنسبة للكنيسة، ولكن للملكوت كما قد تحقَّق حتى الآن في العالم؛ موضِّحاً كيف أن تحقيق اكتمال الملكوت لا يزال بعيداً في الوقت الحاضر. أمَّا موضوع الكنيسة فلو أنه هام جداً فيما سينتهي إليه الملكوت باعتبار أنها هي الأداة في الزمن الحاضر وليست الكمال، إلاَّ أن الله لم يضعها في هذا التخطيط كهدف ولكن كوسيلة.

والآن يترك المسيح المركب والشاطئ والجموع ويدخل البيت مع تلاميذه ليكمِّل بقية الأمثال الخاصة بتلاميذه، وهنا وفي الأمثال الأربعة بدأ المسيح يركِّز على الملك نفسه أكثر من الملكوت، حيث المسيح بلغ فيها أقصى النجاح في كل مَثَل.

هنا استطاع المسيح أن يركِّز على الملك نفسه أكثر من الملكوت، ويعتمد على ذكاء التلاميذ أو قدرتهم على فهم سر الملكوت في إدراك ما يطلبُ المسيح أن يعرفوه.

فمَثلاً: في الكنز الذي وُجدَ في حقل، يذكر أن ذلك الإنسان اشترى الحقل ليمتلكه، ولكن الحقل في مفهوم الملكوت هو العالم. فمن ذا له هذه القدرة؟ فمهما حاول أي إنسان أن يتسع بتفكيره فلن يجد مخرجاً لكي يجعل الإنسان يمتلك العالم. وواضح من العودة إلى الصور أن الحقل هو العالم، وأن الإنسان والزارع هو ابن الإنسان، هنا كذلك فالذي باع كل شيء بكل سرور واشترى العالم بدمه هو المسيح، لأنه يعلم أن كنز الملكوت مدفون فيه وأنه يتحتَّم شراء العالم للوصول إلى الملكوت. فبعد أن حاز على الملكوت يعطيه مجَّاناً.

أمَّا اللؤلؤة الكثيرة الثمن التي اشتراها التاجر ليقدِّمها أعظم هدية لأبيه لتُضم إلى ملكوته فهي الكنيسة. وأخيراً الشبكة التي أُلقيت في البحر، لا يذكر الخدم ولا الصيَّادين، بل جعلها مبنياً للمجهول، فالذي ألقى الشبكة هو الله نفسه وذلك في نهاية الدهر.

الفرق الذي يميِّز أمثال التلاميذ عن أمثال الجموع:

أمَّا للجموع فقد أعلن ما للملكوت في هذا الدهر، الذي يكون ظاهراً ويمكن ملاحظته. أمَّا للتلاميذ فبدأ يشرح لهم الحقيقة الداخلية، وبالرغم من الإخفاقات، ولكن من وسط هذه الإخفاقات سيحصل على جوهرته وعلى لؤلؤته.

المثل الثامن والأخير:

بالرغم من أن المعروف بالنسبة للأمثال وأصحاح الأمثال (١٣) أنهم سبعة أمثال، ولكن في الحقيقة هم ثمانية، لأن الثامن يختص أيضاً بالملكوت، وهو ذو وضع خاص منفرد في استقلاله وجماله. وهو يكشف مدى مسئولية الإنسان الذي تعرَّف على الملكوت في مفهومه القديم والجديد معاً. وهنا يضع المسيح على الذي تعلَّم وصار له كنزٌ داخليٌّ فيه تعليم الجديد والقديم، كيف يجلس ويُعلِّم ويُخرج من كنزه جدداً وعُتقاء.

تعليق:

عندما سأل المسيح في نهاية السبعة أمثال: «فقال لهم يسوع: أفهمتم هذا كله؟ فقالوا نعم يا سيِّد» أعطاهم المَثَل الثامن باعتبار أن الفاهمين أصبح عليهم أن يفهِّموا الآخرين. ولكن طبعاً لم يكونوا فاهمين إلاَّ بما ظهر من الكلام. لأن المسيح كان يعتمد كل الاعتماد على الروح القدس الذي سيفهِّمهم كل الحق فيما بعد ونحن معهم!!

والدور الباقي علينا، إن كُنَّا قد فهمنا! لأنه يتوقَّف على فهمنا تكريس حياتنا لخدمة ملكوته وتحقيقه في حياتنا وحياة مَنْ حولنا. ولكن في الحقيقة نحن لم نفهم إلاَّ ما وقع في دائرة زماننا، لأنه لم يوضع في ترتيب الله أن يكون فهمنا لهذا التعليم هو التكميل النهائي لملكوته، لذلك يبقى الملكوت مطلباً نسعى لمعرفته.

ولكن حذار أن يتوهَّم الذين يخدمون ملكوت الملك العظيم أنه يمكن تكميل الملكوت على يديهم كما نسمع من الكارزين الحارِّين بالروح، الذين أعطاهم الله قليلاً قليلاً جداً من قوَّته لعمل الآيات التي تتبع المؤمنين حتماً، إذ يقولون إنه يتحتَّم أن نغيِّر وجه العالم. فالمسيح لم يقل هذا، ولم يضع هذا الشرف على أكتافنا. فلا نحن في وضع يجعلنا نيأس من تكميل عمل ملكوت الله، ولا نحن في حال يمكِّننا من أن نكمِّله، فهو مرهون بالدهور. فكل ما وضعه الله والمسيح على أكتافنا هو أن نحمل نيره ونسير نكرز بالإنجيل للعالم كله، فإن سقط بعض على الأرض الجيدة فهذا سعدنا الأوحد. ولكن ما حيلتنا في الساقط على الطريق وعلى الصخر وبين الأشواك؟ وهكذا إن تمَّت بشارة الإنجيل في كل أقطار العالم كان هذا هو البشير الوحيد أن صاحب الملكوت يأتي ليستعلن ملكوته. حينئذ يكون هو يوم الرب الحقيقي الذي فيه ينقِّي بيدره ويجمع قمحه. ويستعمل أسلوبه الخاص في الإنهاء الأخير على ملكوت الشر وكل ما يعمل له. فيختفي الظالم والجبَّار وكل الذين حجزوا الحق بالباطل، وتخرج الكنيسة من أسرها لتملك مع المسيح وتكمِّل عمله. وتصير الأرض كلها للرب ومسيحه.

الشرح:

[في الأمثال ليس من الضروري أن نضيِّع الجهد لشرح كل ما جاء في المَثَل. ولكن حينما ندرك الفكرة التي من أجلها أُقيم المَثَل لا نعود ننشغل بشيء آخر.]

(القديس يوحنا ذهبي الفم: عظة ٣:٦٤ على إنجيل متى ١:٢٠)

١:١٣-٣ «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ خَرَجَ يَسُوعُ مِنَ الْبَيْتِ وَجَلَسَ عِنْدَ الْبَحْرِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ، حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ السَّفِينَةَ وَجَلَسَ. وَالْجَمْعُ كُلُّهُ وَقَفَ عَلَى الشَّاطِئِ. فَكَلَّمَهُمْ كَثِيراً بِأَمْثَالٍ قَائِلاً: هُوَذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ».

هنا أكمل المسيح أربعة أمثال قالها للجمع الصاغي لكلامه واقفاً أو جالساً على الشاطئ، وهو جالس في السفينة. هكذا اختار المسيح شاطئ البحيرة لكي لا يزحمه الجموع، ولكي يستطيع أن يتحدَّث إلى أكثر عدد ممكن.

«بأمثال»: ἐν παραβολαῖς

هنا يوضِّح ق. متى أن المسيح ابتدأ يغيِّر طريقته في التعليم(٢)، وقد استمر في هذه الطريقة حتى عندما ذهب إلى أُورشليم واستخدمها في الكلام مع رئيس الكهنة والشعب. وكان الكلام حينئذ موجّهاً لرؤساء الكهنة والكتبة والفريسيِّين: «**وابتدأ يقول لهم بأمثال**: إنسان غرس كرماً ... فماذا يفعل صاحب الكرم. يأتي ويُهلك الكرَّامين ويعطي الكرم إلى آخرين ... فطلبوا أن يمسكوه ولكنهم خافوا من الجمع لأنهم عرفوا أنه قال المَثَل عليهم.» (مر ١٢: ١-١٢)

وفي تعليمه بالأمثال أراد المسيح أن يكمِّل تعليمه الذي بدأه بالعظة على الجبل، فالعظة اختصَّت بحاضر الزمن وفي السلوك المعروف لأهل الملكوت بالنسبة للعالم. أمَّا الأمثال فاختص بها المسيح الأمور المستقبلة وما يختص بالسلوك في الأمور الروحية تجاه الله والملكوت.

وهنا يذكر الإنجيل أنه كلَّمهم كثيراً بأمثال. والذي سنذكره أربعة أمثال لا يأخذ سردهم في واقعه أكثر من عشر دقائق. إذن فلابد أنه كلَّمهم بأمثال كثيرة واستطرد أيضاً في الأمثال ليصوِّرها لهم حسب إمكانياتهم، ويوجِّه نظرهم إلى المعنى بقدر ما يمكن أن يتحمَّل فكرهم عن ملكوت الله.

---

(2) G. Campbell Morgan, *The Parables of the Kingdom*, 1907, p. 12.

منهج الشرح:
سنقدِّم المَثَل ونطبِّق شرح المسيح عليه ونُعطي التعليق اللازم:

مَثَل الزارع

[١٣: ٣-٢٣]

(مر ٤: ١-٢٠)،
(لو ٨: ٤-١٥)

١٣: ٣-٢٣ «هُوَذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ، وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَاءَتِ الطُّيُورُ وَأَكَلَتْهُ. وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الأَمَاكِنِ الْمُحْجِرَةِ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ تُرْبَةٌ كَثِيرَةٌ، فَنَبَتَ حَالاً إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُمْقُ أَرْضٍ. وَلكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ، وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ جَفَّ. وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الشَّوْكِ، فَطَلَعَ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ. وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَأَعْطَى ثَمَراً، بَعْضٌ مِئَةً وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلاَثِينَ. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ.

فَتَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ وَقَالُوا لَهُ: لِمَاذَا تُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَالٍ؟ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: لأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ، وَأَمَّا لأُولئِكَ فَلَمْ يُعْطَ. فَإِنَّ مَنْ لَهُ سَيُعْطَى وَيُزَادُ، وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ. مِنْ أَجْلِ هذَا أُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَالٍ، لأَنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لا يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِينَ لاَ يَسْمَعُونَ وَلاَ يَفْهَمُونَ. فَقَدْ تَمَّتْ فِيهِمْ نُبُوَّةُ إِشَعْيَاءَ الْقَائِلَةُ: تَسْمَعُونَ سَمْعاً وَلاَ تَفْهَمُونَ، وَمُبْصِرِينَ تُبْصِرُونَ وَلاَ تَنْظُرُونَ. لأَنَّ قَلْبَ هذَا الشَّعْبِ قَدْ غَلُظَ، وَآذَانَهُمْ قَدْ ثَقُلَ سَمَاعُهَا. وَغَمَّضُوا عُيُونَهُمْ، لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ، وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ. وَلكِنْ طُوبَى لِعُيُونِكُمْ لأَنَّهَا تُبْصِرُ، وَلآذَانِكُمْ لأَنَّهَا تَسْمَعُ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ وَأَبْرَاراً كَثِيرِينَ اشْتَهَوْا أَنْ يَرَوْا مَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ وَلَمْ يَرَوْا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا.

فَاسْمَعُوا أَنْتُمْ مَثَلَ الزَّارِعِ: كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ كَلِمَةَ الْمَلَكُوتِ وَلاَ يَفْهَمُ، فَيَأْتِي الشِّرِّيرُ وَيَخْطَفُ مَا قَدْ زُرِعَ فِي قَلْبِهِ. هذَا هُوَ الْمَزْرُوعُ عَلَى الطَّرِيقِ. وَالْمَزْرُوعُ عَلَى الأَمَاكِنِ الْمُحْجِرَةِ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، وَحَالاً يَقْبَلُهَا بِفَرَحٍ، وَلكِنْ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي ذَاتِهِ، بَلْ هُوَ إِلَى حِينٍ. فَإِذَا حَدَثَ ضِيقٌ أَوِ اضْطِهَادٌ مِنْ أَجْلِ الْكَلِمَةِ فَحَالاً يَعْثُرُ. وَالْمَزْرُوعُ بَيْنَ الشَّوْكِ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، وَهَمُّ هذَا الْعَالَمِ وَغُرُورُ الْغِنَى يَخْنُقَانِ الْكَلِمَةَ فَيَصِيرُ

بلاَ ثَمَرٍ. وَأَمَّا الْمَزْرُوعُ عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَهُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَيَفْهَمُ. وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي بِثَمَرٍ، فَيَصْنَعُ بَعْضٌ مِئَةً وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلاَثِينَ».

هذا المَثَل هو واحد من المَثَلَين اللذَيْن شرحهما المسيح، والمسيح وضعه في الأول إذ حسبه أساسياً في بناء الفكر الذي نوى أن يكمِّله هذا اليوم لهؤلاء النـاس، بحيث أن الـذي يفهـم هـذا المَثـل يفهـم الأمثال الأخرى، والذي يفوت عليه ستفوت الأمثال كلها عليه.

الموقف الذي يركِّز عليه المسيح هنا هو موقف "الزارع" و"البـذرة" - (المزروع) - و"الأرض". لأن الزارع معه البذور من صنف واحد، أخذ يبذرها بيده وهو سائر وأمامه أصناف من التربة، وهنا تدخل أصناف التربة في المَثَل لتحتل المكان الأكثر إثارة.

والمُلاحَظ هنا في شرح المسيح للمَثَل أنه لم يعلِّق على مَنْ هـو هـذا "الـزارع" ولكنـه ينتبـه إلى البذور - (المزروع) - وعلاقة البذر بالأرض. قلنا سابقاً إن أصناف الأرض تبدو ذات أهمية، ولكن لَّما نأتي إلى شرح المسيح نجده ينتقل من أهمية نوع التربـة إلى أهميـة نـوع البـذور، حيـث أصنافهـا تستغرق أهم جزء من الدرس، مع أن من الطبيعي أن الذي سيتحكَّم في المحصول هو نوع التربة كما يتراءى لأي شارح يعتمد على المظاهر. هنا اهتمام المسيح بنـوع البـذرة هـام للغايـة وإلا نخـرج عـن المضمون المقصود من المَثَل.

واضح أن هذه الخطوة، أي الـتركيز على البـذرة وليـس علـى نـوع التربـة، أبعـدت الفكـر عـن النتيجة! خاصة عند الشُرَّاح المتعجِّلين بالنتيجة، ولكنها ستعطي عمقـاً وفهمـاً كبـيراً. يقـول الـرب: «فاسمعوا أنتم مَثَل الزارع: كُل مَنْ يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم، فيـأتي الشرير ويخطـف مـا قـد زُرع في قلبه. هذا هو المزروع **(الذي زُرع) على الطريق. والمزروع (الـذي زُرع) علـى الأمـاكن المحجرة** هو الذي يسمع الكلمة، وحالاً يقبلها بفرح. ولكن ليس له أصلٌ في ذاته، بل هو إلى حـين. فإذا حدث ضيقٌ أو اضطهادٌ من أجل الكلمة فحالاً يعثر. **والمـزروع** بين الشـوك هـو الـذي يسـمع الكلمة، وهمُّ هذا العالم وغرور الغِنَى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر. وأمَّا المزروع على الأرض الجيـدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم، وهو الذي يأتي بثمر، فيصنع بعضٌ مئةً وآخر ستين وآخر ثلاثين».

والآن يلزم للقارئ أن ينتبه معنا:

يقــول المسيح: «كل مَنْ يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم ... هذا هو οὗτός ἐστιν (للمذكَّر العاقل) المزروع على الطريق».

ثم يقول المسيح: «المزروع على الأماكن المحجرة هو οὗτός ἐστιν (للمذكَّر العاقل) الذي يسمع الكلمة وحالاً يقبلها».

ثم يقول المسيح: «المزروع بين الشوك هو οὗτός ἐστιν (للمذكَّر العاقل) الذي يسمع الكلمة وهمّ العالم ...».

ثم يقول المسيح: «المزروع على الأرض الجيدة هو οὗτός ἐστιν (للمذكَّر العاقل) الذي يسمع الكلمة ويفهم ...».

إذن هنا المسيح لا يتعامل مع البذرة بل مع **سامع الكلمة مباشرة، أي الإنسان**، وواضح جداً هذا من قوله: «**هو الذي يسمع**»(٣). فالبذرة لا تسمع! ولكن لأن الزارع - وسنعرف أنه هو هو المسيح - إنما يتعامل مع "**المسيحي**" الفاهم الذي يعمل بما يفهم حسب ظروفه.

وهنا نبدأ نتجه إلى شرح جديد غير الذي قدَّمناه في إنجيل ق. مرقس، ولكن يتقابل معه في النهاية. وهذا يتضح أكثر في المَثَل الثاني - مَثَل الزوان - حيث يصف المسيح البذور الجيدة أنها بوضوح «**هؤلاء هم بنو الملكوت**». والأصل في ذلك أن الزارع الأعظم هو نفسه "الكلمة" المشخَّصة، فهو حينما يلقي الكلمة في أُذن السامع ويقبلها يُعتبر شخصاً تابعاً للكلمة ابناً للملكوت.

وهذا واضح من طبيعة الكنيسة، فالكنيسة ليست جماعة أشخاص، بل الكنيسة هي تكوين ملكوتي، الأشخاص فيها أبناء للملكوت تقبَّلوا "الكلمة" من الكلمة، فصاروا أشخاصاً تابعين للكلمة أي الملكوت، بعضهم غير مثمر للملكوت والبعض مثمر قليلاً والبعض مثمر ثمراً كثيراً للملكوت. هؤلاء يكمِّلون عمل الملكوت حتى يكمل بالنهاية. هؤلاء في مَثَل الزارع هم الذين زُرعوا.

ولكن لئلاَّ يختلط الأمر على القارئ نعود ونقول: إن الكلمة التي سمعوها ليست الكلمة المكتوبة *بل الكلمة الوالدة*، كلمة حيَّة من "الكلمة اللوغُس": «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحيَّة الباقية إلى الأبد» (١بط ١:٢٣). بمعنى أنهم لمَّا سمعوا المسيح قبلوه كوالد، كخالق أرواح، وهم كأبناء بالروح مولودين من فوق، مولودين للملكوت.

---

(٣) يلاحظ العالِم هندركسن في كتابه: "شرح إنجيل ق. متى" أن قول المسيح: «هذا هو» في الأربع مرّات التي يكرِّرها المسيح في شرحه للمَثَل يعود الضمير فيها على المذكر العاقل، ويتشدَّد في أنه لا يتنازل عن أن οὗτός لا يمكن تجاهلها كما يحاول بعض الشُّرَّاح جعلها تخص البذرة. وقد أوضحتها الطبعة الجديدة للكتاب المقدَّس .T.C.N.T وجعلتها «هذا هو الإنسان» ليزداد تأكيد المعنى. **(W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 559.)**

لأن المسيح هنا كزارع، هو في وضعه "الكلمة" الذي صار جسداً، ولكنه لم يمت بعد حتى نفهم التبعية له بالإيمان بالموت والقيامة والاتحاد. هنا المسيح يتكلّم من كيانه ككلمة، فالذي يسمعه يسمع منه "الكلمة" فينفتح على الملكوت ويولد له. ينفتح على الحياة الأبدية نفسها ويولد لها: «مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يو ٥: ٢٤). **هذا قبل الصليب**، فالصليب والدم المسفوك والموت والقيامة لم تعطِ المسيح صفات جديدة أو حوَّلته إلى مخلِّص؛ بل هو هو صاحب الملكوت. فالمسيح بحد ذاته وقَبْل الصليب زارع أبناء للملكوت، يثمرون لحساب الملكوت. كل مَنْ يسمعه يولد له، وعلى قدر سماعه وانتمائه للمسيح يأتي بثماره. وهذا واضح جداً من اختياره لتلاميذه الذين هم باكورة "زرع" الملكوت.

لهذا فإن مَثَل "خرج الزارع ليزرع" هو مَثَل زراعة الأبناء للملكوت ليصيروا بدورهم زارعي ملكوت. ونعود نفرِّق بين هذا المَثَل الذي يُحسب كزراعة أشخاص للملكوت، وبين القول بزراعة **كلمة الإنجيل** في القلب لتثمر للمسيح والحياة الأبدية. لأن هناك فرقاً بين مؤسِّس للملكوت وبين ابن للملكوت، بين رسول أو كارز للملكوت وبين إنسان يقبل الإنجيل، بين مؤسِّس للكنيسة وعضو فيها، بين بولس الرسول والذين خلصوا بسماع بولس الرسول. أي أن هناك أشخاصاً يزرعهم المسيح (الزارع) ليكونوا على مستوى الرسل والقديسين الكارزين والوعَّاظ الكبار المشهورين، الذين أسَّسوا كنائس وخلَّصوا ألوفاً وملايين، ولا يزال إلى الآن يدعوهم وينمِّيهم ليكونوا أعمدة إيمان يعملون لحساب الملكوت. مثل هؤلاء هم القصد الأساسي من مَثَل الزارع. ومن الواضح أن مثل هؤلاء المختارين الكبار كان بعضهم له قدرة إثمار بمقدار مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين، ولكن إثمارهم كله هو لحساب الملكوت. فالمَثَل ليس لمجرَّد إنسان يسمع كلمة الإنجيل ليخلص ويأتي بثمر، بل المقصود زرع **إنسان** بيد الزارع الأعظم المسيح ليعمل خادماً للملكوت بنوع تخصُّصي ويأتي بحصاد.

فلو قلنا إن ق. بولس يعلِّم بالكلمة والكلمة تثمر في قلوب سامعيها، فكلمة ق. بولس تصح أن تكون زرع الكلمة، ولكن ق. بولس نفسه يُحسب زارع الملكوت الذي سبق أن زرعه المسيح. وق. بولس بالتالي زرع تيموثاوس الذي يُحسب بدوره زارع ملكوت وهكذا. فالمسيح في تلك الأيام ـ أيام الرسل ـ كان يزرع أشخاصاً للملكوت، وقد زرع الكثيرين ولا يزال.

وقيمة هذا الشرح تتضح أكثر إذا تأمَّلنا المَثَل في وضعه التقليدي العادي بشرحه القديم، نجد أن التربة هي المسئولة عن البذور ونموّها، وكأن الإنسان غير مسئول ولكن المسئولية تقع على المجتمع والظروف التي يحيا فيها الإنسان.

ولكن في الشرح هنا الذي يقول إن الزرع هو الإنسان نفسه وليس البذرة يصبح "الطريق" داخل قلب الإنسان أي من طبيعته، وكذلك الأرض المحجرة في قلبه أي من طبيعته، وأيضاً الشوك هو مزروع سابقاً في أعماقه أي من طبيعته. هنا الشخص يصبح مسئولاً عن نفسه وليس الأرض من تحته أو الظروف المحيطة. هذا يعطي قيمة عليا لمَثَل الزارع ويُنشئ علينا مسئولية.

ومن هنا نتقدَّم بالشرح على أساس كلام المسيح بالحرف الواحد:

١ - **فالمزروع على الطريق**: هو «كل مَنْ يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتي الشرير ويخطف ما قد زُرِع في **قلبه**».

٢ - **والمزروع في الأماكن المحجرة**: هو «الذي يسمع الكلمة وحالاً يقبلها بفرح، ولكن ليس له أصل في **ذاته** بل هو إلى حين، فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالاً يعثر».

٣ - **والمزروع بين الشوك**: هو «الذي يسمع الكلمة وهمّ هذا العالم **وغرور الغِنَى** يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر».

٤ - **وأمَّا المزروع على الأرض الجيِّدة**: فهو «الذي يسمع الكلمة **ويفهم** وهو الذي يأتي بثمر، فيصنع بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين».

وهكذا ينتهي المسيح أن "الجيل" سيخضع للكلمة أو لا يخضع بقدر حالنا الذي نحن فيه في داخلنا وليس من الخارج. وبناءً عليه يكون تأثير الإنسان على هذا الجيل بالنسبة للملكوت سلباً أو إيجاباً إنما يعتمد كليةً على كلمة الملكوت، إن كانت في قلب استجاب لها أم لم يستجب فالمسئولية على الإنسان ١٠٠٪.

والآن بنظرة متسعة للمثل نجد أن الزارع واحد وهو المسيح، والتربة واحدة وهي عالم هذا الدهر، والبذرة واحدة وهي "كلمة الملكوت". ولكن "المزروع" أي الإنسان له أربع حالات وهي داخل قلب الإنسان وليس خارجه: قلب شارع وقلب حجر وقلب شوك وقلب صالح، وكلها داخل "الإنسان" الذي يُستهدف لكلمة الملكوت. ولذلك عندنا في المَثَل أربع نتائج والاختلاف ناتج من اختلاف حالة "المزروع". **أي داخل الإنسان السامع "للكلمة"**: فالمزروع على الطريق ديس بالأرجل الشرسة لهذا الدهر ولا ثمر على الإطلاق.

: والمزروع بلا جذر اقتلعه الاضطهاد في هذا الدهر.

: والمزروع في الشوك لهتمام الدهر وغِناه خنقه ولا ثمر.

: والمزروع في الأرض الطيبة، فهمٌ وخضوع وطاعة تلقائية شخصية يستجيب لهـا هذا الدهر صاغراً وحصاد وفير.

وهذه الصور كلها هي داخل الإنسان السامع لكلمة الملكوت. فأربع حالات التربة هي أربع حالات قلب الإنسان.

هنا ابن الإنسان هو الذي أُعطي سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا، ويقيم من الأموات، **ويزرع أُناساً يعملون لحساب الملكوت.** فهذا المَثَل ليس له شيء بالنسبة للكنيسة التي سيأتي مَثَلها خصيصاً، كما أنه لا يختص بالتغيير الداخلي للإنسان الفرد على أساس الموت والقيامة وعمل الروح القدس. فالموضوع يختص بعمل المسيَّا في **الأجيال بالنسبة لبناء الملكوت.** أمَّا الخلاص والفداء وتغيير الإنسان الفرد وبناء جسد الكنيسة فكل هذا عمل الصليب. أمَّا الاختصاص هنا فهو ملكوت الله: كيف وبِمَنْ يُبنى عبر الأجيال، الذي على ضوئه سينتهي العالم. كيف يتحقَّق؟ وعلى يد مَنْ؟ وكيف يُدفع دفعاً وسط تيارات العالم وبالرغم عنه؟ فالمَثَل يختص بالذي يبني الملكوت القائم على مُثُلِهِ العُليا، والذي يؤثِّر في الأجيال لتكميل عمله بزراعة أشخاص لهم المعيار الفعَّال والحي للملكوت ـ طبعاً من المفديين والمخلَّصين الذين حمَّلهم المسيح "كلمة" الملكوت كبذرة حيَّة تعمل فيهم وبهم. هؤلاء هم الذين يبنون الكنيسة لحساب الملكوت، وينشرون الحق والإيمان وبر الخلاص. هم ركائز وأعمدة يتَّكئ عليهم الملكوت في عبوره عبر العالم والزمن. ويقدِّمون حصيدهم مائة وستين وثلاثين بقدر ما تصنِّفتْ قدراتهم الروحية على الخلاص.

والمسيح بعظته هذه وبهذا المَثَل، مَثَل الزارع ـ وقبل الصليب وسفك الدم والكفَّارة والخلاص المجاني ـ بدأ يعمل لحساب الملكوت لتحقيقه وسط الجيل على الأرض: يزرع الذين يسمعون كلمة الملكوت ويقبلونها ويخضعون لقوتها وعملها، وبهم يؤثِّر في الجيل، وكل جيل، لقيام ونمو ودوام الملكوت من يد ليد عبر حياتهم التي يستمدونها من الملكوت من فوق؛ ليس بوعظهم فقط ولكن بقيادتهم ومُثُلِهِم الملكوتية التي يعيشون بها وعليها، وقدراتهم الموهوبة لهم لحساب الملكوت. فيزرعون بدورهم وبكلمة الملكوت التي تكون قد أخصبت فيهم. وهم إن وعظوا فلكي يجذبوا إليهم أيضاً المعيَّنين من الله لحمل رسالة الملكوت بدورهم من بين ألوف الذين يخلصون.

فباني الملكوت شكل، والذين يعيشون وينتفعون بالكنيسة شكل آخر. الأول يبني أساسها ويحمل همَّها والثاني يرضع لبنها. الأول يبني الكنيسة وبها يُبنى الملكوت، والثاني يعيش فيها ويحيا على تعليمها ويستظل بملكوتها. باني الملكوت هو الذي يأتي للملكوت بثمار مئة وستين وثلاثين، أمَّا الذي يعيش في الكنيسة ويحيا تحت ظل الملكوت، فإنه يأكل من ثمرها ويخدم أقداسها. ولكن من هؤلاء الذين يعيشون في الكنيسة ويأكلون من ثمرها تخرج بذار للملكوت يختارهم المسيح ويزرعهم

بيديه. وهؤلاء يحملون الإنجيل ليكرزوا «قد اقترب ملكوت الله»؛ يجوبون الأرض، يبنون كنائس ويزرعون أشخاصاً تحمل ما يحملون. وجيل يسلّم جيلاً، وحصاد يخرج ليبني حصاداً قادماً. **ولا غنى إطلاقاً عن بُناة الملكوت،** هؤلاء إن ضعفوا ضعفت الكنيسة ودخلت المحاق، وإن تقووا وازدهروا ازدهرت الكنيسة بحصيدهم واقتراب الملكوت. **بناة الملكوت هم بناة الأجيال،** فعلى أكتاف هؤلاء العظماء قمنا وعلى أكتاف من سيرسلهم المسيح تترقب الأجيال القادمة حياتها بقلق مريع ...

وهكذا أيها القارئ العزيز لولا أن الأمر يخص حياتنا ما أسهبنا في الشرح، بل ولولا أن الأمر يخص حياة الجيل الآتي بعدنا ما أفضنا في التوضيح.

ثم انظر معي إلى عمق المَثَل الذي جعله المسيح دعامة علم الملكوت ومعرفته ونموّه عبر الدهور، ونصيبنا فيه وعملنا لحسابه.

مَثَل الزوان

[١٣: ٢٤-٣٠، ٣٦-٤٣] يذكره القديس متى وحده

لفهم هذا المَثَل نتبع الخطوات التي سرنا فيها في المَثَل الأول، متمسّكين بمعاني الصور: حيث الزارع هو المسيح، والزرع الجيد هو بنو الملكوت، والزرع المدسوس "الزوان" هو بنو العدو، والحقل هو العالم، والحصّادون هم الملائكة.

١٣: ٢٤و٢٥ «قَدَّمَ لَهُمْ مَثَلاً آخَرَ قَائِلاً: يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ إِنْسَاناً زَرَعَ زَرْعاً جَيِّداً فِي حَقْلِهِ. وَفِيمَا النَّاسُ نِيَامٌ جَاءَ عَدُوُّهُ وَزَرَعَ زَوَاناً فِي وَسْطِ الْحِنْطَةِ وَمَضَى».

عندنا الآن نوعان من الزرع: زرع زرعه صاحب الحقل وهو جيِّد من حنطة. والآخر زرعه عدو من نبات يشبه الحنطة ولكنه ضار لا يؤكل. انتهز العدو الليل وزرعه خلسة. الآن مركز العدو معروف، فهو متعدٍّ، إذ انتهز فرصة الليل والناس نيام وصنع ضرراً بالحقل وخسارة. إنه فعل عداوة. ولكن كانت نصيحة صاحب الحقل حكمة.

١٣: ٢٦-٣٠ «فَلَمَّا طَلَعَ النَّبَاتُ وَصَنَعَ ثَمَراً، حِينَئِذٍ ظَهَرَ الزَّوَانُ أَيْضاً. فَجَاءَ عَبِيدُ رَبِّ الْبَيْتِ وَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ، أَلَيْسَ زَرْعاً جَيِّداً زَرَعْتَ فِي حَقْلِكَ؟ فَمِنْ أَيْنَ لَهُ زَوَانٌ؟ فَقَالَ

لَهُمْ: إِنْسَانٌ عَدُوٌّ فَعَلَ هذَا. فَقَالَ لَهُ الْعَبِيدُ: أَتُرِيدُ أَنْ نَذْهَبَ وَنَجْمَعَهُ؟ فَقَالَ: لاَ! لِئَلاَّ تَقْلَعُوا الْحِنْطَةَ مَعَ الزَّوَانِ وَأَنْتُمْ تَجْمَعُونَهُ. دَعُوهُمَا يَنْمِيَانِ كِلاَهُمَا مَعاً إِلَى الْحَصَادِ، وَفِي وَقْتِ الْحَصَادِ أَقُولُ لِلْحَصَّادِينَ: اجْمَعُوا أَوَّلاً الزَّوَانَ وَاحْزِمُوهُ حُزَماً لِيُحْرَقَ، وَأَمَّا الْحِنْطَةَ فَاجْمَعُوهَا إِلَى مَخْزَنِي».

قول حكيم، لأن البدء باقتلاع الزوان من وسط الحنطة سيؤذي الحنطة، وكذلك إلى أن يكمل النضج صعب التفريق بين الحنطة والزوان. ففي النهاية يُعرف الزوان جيداً ويُحزم ويُحرق. والقمح يُجمع إلى مخزن القمح.

واضح هنا بساطة المسيح مع الحكمة.

والآن أمامنا ثلاث مراحل: الحقل كما هو، ثم الزرع الأول ثم الثاني. والآن إلى شرح المسيح:

١٣: ٣٦-٤٣ «حِينَئِذٍ صَرَفَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ وَجَاءَ إِلَى الْبَيْتِ. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: فَسِّرْ لَنَا مَثَلَ زَوَانِ الْحَقْلِ. فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: الزَّارِعُ الزَّرْعَ الْجَيِّدَ هُوَ ابْنُ الإِنْسَانِ. وَالْحَقْلُ هُوَ الْعَالَمُ. وَالزَّرْعُ الْجَيِّدُ هُوَ بَنُو الْمَلَكُوتِ. وَالزَّوَانُ هُوَ بَنُو الشِّرِّيرِ. وَالْعَدُوُّ الَّذِي زَرَعَهُ هُوَ إِبْلِيسُ. وَالْحَصَادُ هُوَ انْقِضَاءُ الْعَالَمِ. وَالْحَصَّادُونَ هُمُ الْمَلاَئِكَةُ. فَكَمَا يُجْمَعُ الزَّوَانُ وَيُحْرَقُ بِالنَّارِ، هكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ هذَا الْعَالَمِ: يُرْسِلُ ابْنُ الإِنْسَانِ مَلاَئِكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْمَعَاثِرِ وَفَاعِلِي الإِثْمِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ. حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ».

هنا يلزمنا أن نوضِّح أن "العالم" الذي رُمز إليه بـ"الحقل" ليس هو العالم الذي ذكره في عبارة "انقضاء العالم"، فالأخير هو نفس انقضاء الدهر، لأن الأُولى جاءت κόσμος أمَّا الثانية فهي انقضاء الدهر συντέλεια αἰῶνος. فكلمة العالم الأُولى تعني هيئة هذا العالم بما فيها الأرض والساكنين فيها وكل الخليقة.

هنا فلينتبه القارئ جداً، لأن كثيراً من الآباء والعلماء الأوائل قالوا: إن "**الحقل**" هو الكنيسة، وأمَّا الزوان فهم غير المستحقين فيها بأفكارهم الخاطئة. ولكن المسيح كان واضحاً في قوله إن **الحقل هو العالم**، حيث المسيح هو صاحبه بالتالي. "فالخليقة كلها" هي حقله بكل ما فيها من آلام وأوجاع وهموم خلقها الإنسان في بُعده عن الله. هنا المسيح جاء ليزرع في هذا "الحقل"، أي حقل العالم

المهموم والمليئ بالأوجاع، جاء ليزرع فيه الإنسانَ الجيد (الحنطة)، إنسان الملكوت. والملكوت حتماً سينتظر إلى أن يكمل نمو الحنطة، أي بني الملكوت، أي بعد أن ينضجوا نضجاً يكشف عن كمال سمات الملكوت فيهم، حتى إذا جاء الحصاد يُعرف بنو الملكوت ويُجمعون وحدهم. وهكذا بزراعة بني الملكوت وسط العالم المتألِّم فإنهم يشفون ويضمِّدون جراحه، لأن بني الملكوت لهم سمات الطبيب أبيهم، ولهم ما له من رحمة تمسح الدموع عن الحزانى وتخفِّف آلام المتألمين.

لم يزرع المسيح بني الملكوت للحصاد، كلاَّ؛ بل زرعهم ليملأوا الأرض محبة ورحمة وحناناً، رحمة بالعالم الموجوع وهذا ثمرهم. لأن وظيفة الملكوت الأُولى والعظمى هي تحويل العالم ورفعه من حالة الانحطاط إلى أقرب ما يمكن من كمال الله الذي خلقه. صحيح أنه عمل يأتي وئيداً جداً وبتأنٍّ، ولكن على طول المدى يأتي بالنتائج التي لا ينظرها إنسان وهو وسط العالم. فإن كان ابن الإنسان هو صاحب الحقل أي هذا العالم، فيتحتم أن أبناءه أولاد المسيح يجذبون العالم نحو صاحبه ويمتدُّون به ليدخل تحت مظلته. فإن كنَّا أبناء الملكوت حقًّا فنحن حتماً مسئولون عن الحقل الذي زُرعنا فيه، أي عن العالم الذي سينتهي حتماً باكتمال الملكوت. فإن كانت رحلتنا في العالم هي بالأساس تؤهِّلنا للملكوت، فحتماً أصبح من صميم رحلتنا في العالم أن نجعل العالم يتأهَّل للملكوت الذي ينتهي إليه، واضعين نصب أعيننا أننا نتبع ابن الإنسان الذي يتبعه العالم أيضاً. فالعالم يمكن أن يكون عدواً لنا لو كنَّا نعيش ونتأهَّل للملكوت بعيداً عنه، أي خارجه في كوكب آخر مثلاً، ولكن العالم يسير بنا رضينا أم لم نرضَ، ورضي هو أو لم يرضَ، في مسيرة واحدة نحو النهاية التي هي اكتمال ملكوت الله. فنحن فيه وبه نتأهَّل لملكوت الله، مع كل بني آدم فيه، مع كل الأُمم القريبة والبعيدة، بل مع كل وحوشه ولصوصه.

«العدو الذي صنع هذا»:

لم يكن له أي حق في دخول الحقل - العالم - لأنه ليس ملكه بعد أن أسقطه المسيح من رتبته وربطه. فهو متعدٍّ و(بلطجي). دخل خلسة ورمى بذوره لكي إذا نمت يعمل بها لتخريب الحقل - العالم - هذا لأنه حاقد على المسيح. فالمسيح سمَّاه "عدوه" أي عدو صاحب الحقل. كان أصلاً رئيساً لهذا العالم وأُسقط وانحط إلى التراب. فهو يحارب المسيح بمحاربته ضد أبناء المسيح في العالم، ويستخدم العالم لأنه يتقن فنونه، ضد كل مَنْ يقف أمامه. ولكن أبناء الملكوت أصبحوا يعملون لصاحب الحقل الحقيقي. وقد أخذوا السلطان أن يقاوموا العدو ويخرجوه عنوة من البيوت البشرية التي عشَّش فيها. وكان هذا العمل جزءاً لا يتجزَّأ من إعلان ملكوت الله وسيادته وبدايته أيضاً:

«قد اقترب منكم ملكوت الله»، «**ولكن إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله**» (مت ١٢:٢٨). إذن، فعمل أبناء الملكوت فضح أعمال الشيطان، وإظهار أبنائه الأعداء المختفين وسط الحنطة. والمطلوب معرفتهم لا للمقاومة بل للحذر والبُعد.

ولكن للمسيح قصداً أن لا يخلع الزوان من مكانه قبل الأوان لئلاّ يؤذي الحنطة، فحكمة المسيح ترى أنه يلزم أن ينميا معاً، الصالح والطالح تحت شمس واحدة. ولكن ليس كل أبناء المسيح أبناء الملكوت ولا كل الذين ليسوا أبناء المسيح أبناء العدو. فسمة أهل العالم شيء وسمة أولاد العدو شيء آخر. لذلك فأبناء الملكوت يعيشون وسط أبناء العالم لا يُفرَّقون من بين الناس، لأن التفرقة الوحيدة ستكون في نهاية الدهور: «دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد»، لأن لهم تقريباً الشكل الواحد حسب الظاهر، ولكن «من ثمارهم تعرفونهم» (مت ٧:١٦). فالمفروض في حكمة ابن الإنسان أن بني الملكوت يكونون نوراً للعالم وملحاً للأرض، يضيئون «كالشمس في ملكوت أبيهم». ولكن لابد من العثرات ولابد من الذين تأتي بواسطتهم العثرات، فهذا هو الثمر المر لبني العدو. ولكن العثرات لا تُقعد بني الملكوت عن سعيهم لزرع الحنطة في كل شبر من العالم.

ولكن العدو بدأ مبكّراً من أيام المسيح، وله أتباع كتبة وفريسيُّون بل ورؤساء كهنة، في كل عصر. والملاحظ أن وسيلة العدو هي المحاكاة في كل شيء، كالزوان والحنطة. فالرسل كتبوا أناجيل، فهو أيضاً كتب أناجيله المزيَّفة، وامتد أيام الآباء الرسوليين وصنع عقائد لإيمان كاذب، وفكرٍ لاهوتيٍّ مغشوش ليفسد بني الملكوت عن الإيمان الصحيح، وأنبياءَ كذبة ورسلاً كذبة، وأُناساً ووعّاظاً وخُدّاماً كذبة ومبشرين كذبة، ومنادين بقرب الملكوت كذبة، ومسحاء كذبة وعلم روح كاذب. كل هذا وأبناء الملكوت يعيشون وينمون ويعملون «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية.» (أف ٢:٢٠)

وهكذا سار المَثَل باتزان عجيب: «دعوهما ينميان معاً». الملكوت يزداد رسوخاً وتأسيساً والشر يزداد عتواً وشراسة، ولا مفر. فحقل الحنطة لابد أن يحتوي الزوان شكلاً بشكل. ولكن لابد من النهاية، ولابد أن ينجلي الدهر الآتي عن ملكوت الله في صورته البهيَّة حيث لا زوان.

مَثَلا حبَّة الخردل والخميرة

[١٣: ٣١-٣٣]

(مر ٤: ٣٠-٣٢)،
(لو ١٣: ١٨-٢١)

١٣: ٣١-٣٢ «قَدَّمَ لَهُمْ مَثَلاً آخَرَ قَائِلاً: يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ، وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُذُورِ. وَلكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبُقُولِ، وَتَصِيرُ شَجَرَةً، حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَآوَى فِي أَغْصَانِهَا».

في هذين المَثَلين أراد المسيح أن يعطي للجموع صورة قريبة للغاية أمام أعينهم: كيف ينمو ملكوت الله من الخارج ثم من الداخل. فأعطاهم مَثَل حبة الخردل وهي التي يتعامل معها كل فلاح في حقله. فلم يعطهم مثلاً من بذرة أخرى أصغر وأكبر انطباقاً في شكل شجرتها وحجمها للملكوت مثل الأرز أو البلوط أو التوت، إذ كنّا ننتظر أن تكون مثل هذه الشجرة رمزاً للملكوت. ولكنه اختار حبة الخردل التي يتعامل معها الفلاح، وشجرتها الصغيرة التي يراها أمامه كل يوم. ولكن سر اختيار المسيح لهذه الشجرة الصغيرة بالذات هو نموها السريع الظاهري أحياناً، بحيث يمكن أن يراقبها الفلاح كل يوم وهي تنمو أمامه وتكبر، حتى تبلغ طولها الكامل الذي قد يصل أحياناً بحسب خبراء كثيرين الثلاثة أمتار(٤). وأكد العالم تومسون في كتابه أنه رأى مجموعة من شجيرات الخردل يمكن للإنسان أن يتسلّق فروعها. فلو قسَّمنا عمر الشجرة الذي لا يزيد عن أربعة أشهر على طولها الذي يمكن أن يكون ٣٠٠ سم نجد أن نموها اليومي يبلغ حوالي ٣ سم مما يمكن أن تلحظه عين الفلاح بسهولة. وهكذا استطاع المسيح أن يطبع على عقلية السامعين معنى وكيفية نمو الملكوت وحده دون عوامل بشرية، كبذرة الخردل التي يستيقظ الفلاح كل يوم فيجد أنها استطالت ونمت بوضوح. وهذا درس لا يُستهان به لنفوس البسطاء في كيفية نمو ملكوت السموات بين الناس من الخارج، أي بين الناس والمدن والبلاد.

وأمَّا طيور السماء التي تتآوى في أغصان الشجرة - وهي التي كانت في المَثَل الأول تهدِّد بإهلاك البذرة - فهي تمثِّل أعداء الملكوت الذين تغيَّروا فصاروا من أبناء الملكوت. وأوضح مَثَل لذلك هو

(4) Thomson, *The Land and the Book*, cited by G. Campbell Morgan, *The Parables of the Kingdom*, pp. 99 f.

شاول الذي كان يضطهد ويُفسد كنيسة الله ثم تحوَّل وصار بولس (انظر كتاب: "شرح إنجيل القديس مرقس" للمؤلِّف صفحة ٢٥٥).

٣٣:١٣ «قَالَ لَهُمْ مَثَلاً آخَرَ: يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيقٍ حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ».

وهذا هو المَثَل الثاني الذي اختاره المسيح ليوضِّح لسامعيه معنى نمو الملكوت، وكيف ينمو وكيف يكون وإنما من الداخل. والمسيح باختياره ثلاثة أكيال دقيق، والكيل الواحد بحسب يوسيفوس المؤرِّخ يساوي ثلث الإيفة، وتساوي اثنين ونصف بوشل روماني، أو بوشل واحد إنجليزي، ويساوي حجم عجينها حوالي ٢٢ لتراً وتصنع خبزاً يكفي لمائة شخص(٥). أمَّا تحديد المسيح لثلاثة أكيال دقيق فهو العدد الكامل لعجنة واحدة من الدقيق، وقد وردت في سفر التكوين تعبيراً عن كرم إبراهيم في استضافة الثلاثة زائرين السماويين: «فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال اسرعي بثلاث كيلات دقيق سميذاً. اعجني واصنعي خبز ملَّة» (تك ١٨:٦)، ونفس الأمر أسرع به جدعون ليعمل مائدة للرب!! «فدخل جدعون وعمل جدي معزى وإيفة (= ٣ أكيال) دقيق فطيراً» (قض ٦:١٩). ونفس الكمية صنعتها حنة أُم صموئيل تقدمة حينما فطمت ابنها صموئيل: «ثم حين فطمته أصعدته معها بثلاثة ثيران وإيفة (= ٣ أكيال) دقيق ...» (١صم ١:٢٤)

وحينما خبَّأت المرأة الخميرة الصغيرة في العجينة اختمر العجين كله. والرب يشير هنا بنموذج محسوس يراه كل واحد ويحسه ويلاحظه أمام عينيه، كيف أن سر الله يتخلَّل بني الملكوت جميعاً، وكأنهم عجينة واحدة مقدَّمة على مائدة الرب، كاملين بالكمال المسيحي الذي يسري فيهم دون أن يشعر بهم العالم إلاَّ في النهاية، حينما يرون طبعة الملكوت على كل قلب وعلى كل جبهة، وكأنهم ولدوا معاً من أب واحد لأم واحدة هي الكنيسة: «لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٢و١٣). «الذي منه كل الجسد مركباً معاً، ومقترناً بمؤازرة كلِّ مفصلٍ، حسب عملٍ، على قياسِ كُلِّ جُزءٍ، يُحصِّلُ نموَّ الجسد لبنيانهِ في المحبةِ.» (أف ٤:١٦)

(5) R.H. Gundry, *op. cit.*, p. 268; Leon Morris, *op. cit.*, p. 353, n. 85.

النبوَّات تتحدث عن أمثال المسيح

[١٣: ٣٤و٣٥] (مر ٤: ٣٣و٣٤)

يتحفنا القديس متى كعادته برأي الأنبياء ممثَّلاً في المزامير عن كيف أن المسيح سيعلِّم بواسطة الأمثال، باعتبارها وسيلة للتعليم بحد ذاتها:

١٣: ٣٤و٣٥ «هذَا كُلُّهُ كَلَّمَ بِهِ يَسُوعُ الْجُمُوعَ بِأَمْثَال، وَبِدُون مَثَل لَمْ يَكُنْ يُكَلِّمُهُمْ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: سَأَفْتَحُ بِأَمْثَال فَمِي، وَأَنْطِقُ بِمَكْتُومَاتٍ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ».

«هذا كله»:

يقصد به كل الأمثال التي قالها هنا للجموع، لأن هذه هي أول مرَّة يختار المسيح وسيلة الأمثال ليعلِّم بها، خاصة بالنسبة لملكوت السموات. وفي الحقيقة فإن وسيلة الأمثال ولو أنها تصويرية ومبسَّطة ولكن المعنى العميق يتوه بين الصور، فهي ليست سهلة على الأسماع. وسبق أن أعطانا ق. متى سبباً مباشراً لماذا اختار المسيح هذه الوسيلة ليكلِّم بها "الآخرين" في الآيات (١٠-١٧) نرجو الرجوع إليها، وهي تتلخص في أن الأمور الخاصة بأسرار ملكوت الله أُعطيت للتلاميذ، أمَّا بالنسبة للآخرين فتُعطى في أمثال. وأعطى السبب واضحاً وهو أن الذي عنده السر - وهم التلاميذ - فالأمثال تزيدهم إدراكاً لمضمون السر، أمَّا الذين لم يُعطوا السر فالمَثَل سيعطيهم فهماً فقط، ولكن لن يسلِّمهم روح الملكوت. فالعبرة بالروح المدركة من الداخل. وهنا لكي يُعزِّز ق. متى طريقة المسيح في التعليم أورد نبوَّة بهذا الخصوص من (مز ٧٨: ٢)، وهذه النبوَّة لآساف كاتب المزامير وهو محسوب أنه نبي في زمانه. وتقول النبوَّة إن المسيح سيفتح فمه بأمثال - وهي في حقيقتها "مكتومات" أي أمور سريَّة مخفية منذ تأسيس العالم. وكما يقول ق. بولس إنه لم يعرَّف بها بنو البشر سابقاً، إذ هي فوق متناول بحث الإنسان واستقصائه للأمور الإلهية. وطبعاً يقصد بها الوحي الأمور الخاصة بخلاص الإنسان، والتي حددها المسيح بملكوت الله. أمَّا القديس بولس فعرَّفها بوضوح أنها أسرار الخلاص وخاصة للأُمم:

+ «أنه بإعلان عرَّفني بالسرِّ. كما سبقت فكتبت بالإيجاز. الذي بحسبه حينما تقرأونه، تقدرونَ أن تفهموا درايتي بسرِّ المسيح. الذي في أجيالٍ أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر، كما قد أُعلِنَ الآنَ لرُسُلِهِ القديسينَ وأنبيائه بالروح.» (أف ٣: ٣-٥)

ثلاثة أمثال قصيرة وثمينة

[١٣: ٤٤-٥٠]

ذكرها القديس متى وحده

هذا هو الجزء الثاني من حديث المسيح عن الملكوت بالأمثال، تكلّم بهـا داخـل البيـت لتلاميـذه خاصة. والآن يوجد فارق هام بين حديث المسيح عن الملكوت بالأمثـال الـذي أجراه مـع الجمـوع على الشاطئ، وهذا الحديث الهادئ داخل البيت لتلاميذه. فـالحديث للجمـوع كـان يختـص بعقـول تريد أن تفهم وهي خارجة عن الملكوت ولا ترغب في أن تدخله، ولكنها تـود أن تسـمع وتعـرف. أمَّا حديث التلاميذ فهو مع أشخاص آمنوا بالمسيح وهم مدعوون لدخول الملكـوت، والمسيح يريـد بالفعل أن يزيدهم إيماناً وإدراكاً لما هو غير مرئي لهم. فهو لا يتكلّم بعـد عـن ظواهـر الملكـوت مـن جهة نموه من الخارج أو الداخل أو نشره بواسطة المعيَّنين والمختارين؛ بل يتكلّم عن قيمة الملكوت في هذا الدهر بموازين ذلك الدهر. مَثَل الكنز ومَثَل اللؤلـؤة الـتي سينكشـف سـرّها العجيـب أنهـا هـي الكنيسة التي ربحها ذلك التاجر الحكيم السماوي ليضعها في تاجه الملوكي. أمَّا مَثَل الشـبكة فواضـح أنه يكشف عن تدبير الله في تمييز الجيد من عدمه. وأخـيراً المَثَـل الـذي انتهـى بـه الحديـث عـن رب البيت الذي يُخرج من كنزه جُدداً وعُتقاء، فهو يكشف عن مسئولية الذي جمع كنوز العهد القديـم والجديد في قلبه، وأصبح ماهراً في تقديمها لحساب صاحب الملكوت.

ولكن، وفي هذه الأمثلة، نتبع أيضاً التخصُّص في الصور المعطاة مثل معنى الحقـل وابـن الإنسـان الزارع والبذور الجيدة وبذرة العدو "الزوان".

الكنز المُخفَى في حقل:

١٣: ٤٤ «أَيْضاً يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ كَنْزاً مُخْفىً فِي حَقْلٍ، وَجَـدَهُ إِنْسَـانٌ فَأَخْفَـاهُ. وَمِـنْ فَرَحِـهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذلِكَ الْحَقْلَ».

نرى منطوق هذا المَثَل على قدر اختصاره الشديد ولكنه يخفي في باطنه كنزاً. وفي الحقيقـة كـان من السهل جداً علينا أن نشرحه بحسب الشرح المألوف، أن الكنز هو الملكوت وأن الإنسان باع مـا يملك واشترى ذلك الحقل لكي يملك ملكوت الله، وانتهـى المَثَـل بـأرخص جهـد وأرخـص سـعر لا

يساوي ولا حتى غلاف الكنز الخارجي. ولكن واضح من كلام المسيح أن "الكنز مُخفَى" فهو يحتاج جداً إلى حل "سرّ اختفائه" وإلاّ يصبح العثور عليه مستحيلاً.

نبدأ هنا بالتعليق على كلمة **"حقل"**، فبحسب تعريف المسيح السابق يكون هو "العالم". إذن، فالحقل موجود في العالم ومُخفَى فيه الكنز، ولا يعرف كنهه إلاّ من جدَّ في إثره وعرف سرَّه. ولكن من هو ذلك الإنسان الذي وجده؟ ألم يسبق وأن عرَّفه المسيح أنه ابن الإنسان؟ الملك نفسه!؟ إذن فها هو ابن الإنسان قد اكتشف مخبأ الكنز ثم أخفاه مرَّة أخرى. ولكن ما معنى أن ابن الإنسان اشترى الحقل، والحقل هو العالم كما عَلِمْنا، والثمن غالي جداً جداً حتى أنه مضى وباع كل ما عنده (في السماء وفي الأرض أيضاً). الآن ربما بدأت الأمور تنكشف عن منظر المسيح وهو من فرحه (عب ١٢: ٢) يبيع كل شيء ويشتري العالم المُخفَى فيه الكنز(٦). ثم ماذا يكون الكنز بعد ذلك إلاّ الخلاص الذي يحوي الملكوت!!؟ **ثم بنظرة عليا فائقة ألا ترى أن الله خلق العالم وخلق الإنسان الذي وضعه في العالم بعد أن طُرد من فردوس الله. فواضح أنه حتماً قد أخفى له في العالم طريق العودة إلى الفردوس، فأخفى له كنز الملكوت في غلاف الخلاص، وأخفى الجميع وختمه ليوم الميعاد، عندما يرسل ابنه لفك ختوم الكنز!!** إذن ما أضخم الكنز وما أغلى وأثمن الخلاص الذي فيه كبذرة الملكوت التي تحوي كل أسراره.

ولكن السؤال، وبعد أن اشترى المسيح الحقل (العالم) وفتح ختوم الكنز، وكشف طريق الخلاص المؤدِّي إلى الملكوت، ما هو نصيب الإنسان في هذا الكنز؟ واضح أن المسيح باع كل ما له في السماء والأرض ليمتلك هذا الكنز والخلاص والطريق إلى الملكوت ليعطيه مجَّاناً! لأن أي إنسان مهما كان لا يقدر أن يشتري الكنز! حتى ولو اجتمع كل بني البشر، فثمن الحقل كان موت الابن على الصليب الذي مهَّد له بتخلِّيه عن مجده، ثم بتجسّده ليستطيع بدمه أن يشتري الكنز. إذن فما أغلاه كنز وثمنه يفوق السموات بمجدها، وما أرخصه كنز فهو مِلْك إيمان أفقر خاطئ على الأرض! وفيه سر خلاص الإنسان وعودة الحقل إلى صاحبه.

(6) G. Campbell Morgan. *The Parables of the Kingdom*, pp. 147-148.

اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن

١٣: ٤٥و٤٦ «أَيْضاً يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ إِنْسَاناً تَـاجِراً يَطْلُـبُ لآلِئَ حَسَنَةً، فَلَمَّا وَجَدَ لُؤْلُـؤَةً وَاحِدَةً كَثِيرَةَ الثَّمَنِ، مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَاهَا».

مثلٌ يشرح الفؤاد، فاللؤلؤة فريدة في جمالها وحسنها، وحينما ينكشف لنا سرُّها يـزداد انشـراحنا(٧). ولو أن اللؤلؤة هنا هي القطب الجاذب للفكر والقلب معاً، ولكن التاجر يحتل مركز الصدارة.

والذي يسترعي انتباهنا أن التاجر باع كل ما كان له واشتراها، كان يعرفها وضاهاها بكل ما يملك، لأنها كانت عنده تساوي، فلم يستكثر عليها كل ما كان ملكه.

والآن نجد أنفسنا مشدودين إلى هذه اللؤلؤة، وكان هذا قصد المسيح في وضع صيغة هذا المثل بهذه الصورة الجذّابة جداً، والتي تثير حب الاستطلاع إلى أقصى حد!

ولكن الأمر الذي يلزم أن ندركه من البدء أن اللؤلؤ ليس بذي قيمة عند اليهود، فهم يُغرمون جداً بالجواهر الثمينة لأنها أحجار طبيعية، ولكن اللؤلؤ نتاج حيواني غير مرغوب فيه عندهم. فاللؤلؤ نتاج بحري من حيوانات صدفية ذات محارات ناعمة الملمس جداً، فإذا دخلت حبة رمل داخل الصدفة أسرع حيوان المحارة وأفرز سائلاً يحيطها حتى لا تؤذي جسمه الناعم. ويظل يفرز عليها هذا السائل حتى تصير كرة صغيرة. ولكن في المحارات الكبيرة تكون الكرة كبيرة، وهي اللؤلؤة باهرة الجمال. واليهود يستبعدونها من مقدّساتهم، فلا تجدها ضمن الأحجار الكريمة التي تُوضع في صُدرة رئيس الكهنة. فاللؤلؤ معروف في الكتاب المقدس أنه كثير الثمن جداً: «امرأة فاضلة مَنْ يجدها، لأن ثمنها يفوق اللآلئ» (أم ٣١: ١٠). وعلى القارئ أن يُلاحِظ هنا علاقة اللؤلؤة بالمرأة.

كذلك نجد في سفر الرؤيا علاقة وثيقة بين الكنيسة واللؤلؤ. فأورشليم السماوية هي الكنيسة المستعلنة، أبوابها لؤلؤ: «والاثنا عشر باباً اثنتا عشرة لؤلؤة، كل واحد من الأبواب كان من لؤلؤة واحدة...» (رؤ ٢١: ٢١). أما عند الأمم فالملوك يضعون لؤلؤة كبيرة في تيجانهم! رمز البهاء والمجد.

ونحن لو فحصنا تكوين اللؤلؤة نجد أن الإفرازات التي يفرزها حيوان المحارة، القصد منها هو أن

(7) G. Campbell Morgan, ibid, pp. 155-175.

يصنع حاجزاً يتّقي به الإيذاء الحاصل له من دخول عدوٍّ. فاللؤلؤة بكاملها هي محاولة لدفع المعاناة وللحفظ من الإيذاء، لذلك حُسبت أنها رمز البراءة والنقاء والطهارة، ولذلك أيضاً تُقدَّم للعرائس لتوضع في أطواق الصدر وفي الخواتم وفي التاج الذي يوضع على رأس العروس ليلة إكليلها.

واسم اللؤلؤة باليونانية "مارجريت" μαργαρίτης، وبالإنجليزية Marguerite، ويعني "اللؤلؤ"؛ وهو اسم محبوب جداً عند السيدات. ومعناه عند العارفين هو النقاء والطهارة. وهكذا حوَّلت المحارة الإيذاء إلى جمال فائق وطهارة.

والسؤال الآن: ماذا يصنع هذا التاجر بهذه اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن مع أنه لا يلبس اللآلئ التي لا تليق إلاّ لتيجان الملوك؟ ولماذا بحث عنها وباع من أجلها كل ما يملك في السماء وعلى الأرض؟ لقد اشتراها بدمه ليقدِّمها للملك العظيم.

فمَنْ هو التاجر؟ واضح أنه المسيح، ولكن يلزم أن ننتبه أن المسيح يستعرض هنا اللؤلؤة كيف أنها واحدة. وكيف أن ثمنها كثير. وإذ عرفنا ما يستبطنه داخلها ندرك أن المسيح يعني مفهومها السرِّي العميق جداً.

إذن، حينما يقول المسيح: يشبه ملكوت السموات تاجراً يطلب اللآلئ الحسنة، وأنه وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن؛ فهو يتكلم عن نفسه، وكيف اشترى هذه اللؤلؤة الواحدة بعد أن تخلّى عن مجده في السماء ونزل وغاص في بحر العالم ووجد كنيسة الإنسان في حالها وقد أذاها الشيطان، فأفرز عليها دمه وغطّاها، فجمُلَتْ جداً وصلُحَتْ أن توضع في تاج الآب السماوي: «عالمين أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلّدتموها من الآباء، بل بدم كريم، كما من حَمَلٍ بلا عيب ولا دنس، دم المسيح.» (١بط ١:١٨و١٩)

الجسد البشري الذي كان قد تأذّى بالخطية وجُرح جرحاً لا شفاء له، غطّاه دم الحمل، فصار يتلألأ بنور اللاهوت والمجد الذي له. فصارت البشرية المغطّاة بدم الفدية جميلة وطاهرة: «لكي يقدِّسها، مُطهِّراً إياها بغسل الماء بالكلمة، لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة، لا دنس فيها ولا غَضْن أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أف ٥:٢٦و٢٧)، «كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع ٢٠:٢٨)

وصارت أثمن ما اقتنى المسيح وقدَّمها للآب لتبقى في ملكوته. ثم ألسنا نحن هذه المرجريت البهيَّة، اللؤلؤة الكثيرة الثمن والوحيدة؟ نتباهى بموقعنا عن يمين الملك.

«لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن»:

أعجب وأخطر ما في اللؤلؤة أنها لا تنقسم وإلاَّ صارت تراباً، فهي واحدة عن تكوين واضطرار، لأن عظماً من عظامه لا يُكسر منه!! فهي واحدة لأنها جسد الوحيد ولا يجسر أحد أن يمسَّها لأن أبواب الجحيم لن تقوى عليها. لهذا في مفهوم الخلاص تُعتبر الكنيسة مركز الفداء والحاصلة على كل قوته والحاملة لاستعلانه والقادرة أن تعطيه، تعطيه في الإنجيل بالكلمة وتعطيه بالسر الذي استؤمنت وحدها عليه: سر الموت ممثَّلاً في الدم، وسر الحياة ممثَّلاً في الروح القدس والقيامة.

فالمسيح بعد ما أكمل آلامه وقدَّم دمه مسفوكاً على الصليب، ودخل الموت وقهره وقام، وارتفع بيد الله إلى أعلى السموات، وحصل على كل ما يمكن من القوة والمجد والكرامة؛ وهبها جميعاً للكنيسة، لأنه أكمل آلامه من أجلها، وسفك دمه من أجلها، وذاق الموت من أجلها، وقام ناقضاً أوجاع الموت من أجلها، وارتفع إلى أعلى السموات من أجلها، وهكذا أعطاها ما لها!!!

+ «مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غِنَى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين، حسب عمل شِدَّة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويَّات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيء **للكنيسة**، التي هي جسده، ملء الذي يملأ الكلَّ في الكلِّ.» (أف ١:١٨-٢٣)

ومرة أخرى نرجو القارئ أن يقرأ الآية السابقة ليتأكَّد أن كل مكاسب المسيح في الموت والقيامة والسلطان الفائق كانت **للكنيسة**.

وهكذا تبدو الكنيسة لؤلؤة وحيدة تحمل كل مذَّخرات الابن الوحيد. أخذتها لتعطيها، تعطيها ولكن لا تتنازل عنها لأحد. فالكل يأخذ منها وخيرها باقٍ فيها ولها كالميراث الثمين الذي لا يُقسَّم ولا يُباع طالما كان الوريث حيًّا. الكل يرضع منها وخيرها يتجدَّد فيها. نهر مائها الحي ينبع من أمام عرش الله، والذي يستقي منه يحيا إلى الأبد. تعطي شركة المسيح في الدم وتهب شركة الآلام بالجسد المكسور. لا كأسرار تتثبَّت بالتكرار، ولكن الأسرار تُدرك بالعبادة وتُستعلن قوتها بالصلاة. لا تؤتى قوتها من ذاتها بل تُسلِّم قوتها للذي يؤمن بسرِّها ويتلهَّف لكشف مفعولها، وباستلام قوة الأسرار ينفتح الذهن لقوة الكلمة. فسر الإنجيل كله قائم في سر الدم، وقوة الكلمة نابعة من قوة الصليب. فالأسرار والإنجيل وحدة متماسكة وهي بعينها الكنيسة اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن.

الكنيسة لا ترى الإنجيل كلمة مقروءة، بل تراه كلمة معبودة، وبدون روح العبادة لا تُفهم كلمة الإنجيل. فالإنجيل في الكنيسة ليتورجيا، حيث تخرج الكلمة مسنودة بقوة الصلاة، تسمعها الأذن لتدخل القلب وتثبت وتؤسِّس لتبني حياة. فالإنجيل أصلاً ليس للقراءة ولكن للبناء، تدخل الكلمة لتبقى وتدوم، ولا تبقى أبداً وحيدة بل تنمو وتزداد. فالذي يتقبَّل الكلمة بالعبادة لا يحتاج لكثرة القراءة بل يحتاج للثبوت بعزم القلب، والكلمة فيه تنمو وتزداد، وهو يرى ويحس كيف تصير حياة وسلوكاً واستعلاناً لبناء روحي ينمو ويرتفع.

مرة أخرى، الإنجيل ليس للعزاء الروحي بل للبناء الروحي، كثرة القراءة بدون عمق وتعدُّدها تشوِّه البناء، ولكن التمسُّك بالكلمة البانية بعزم القلب والثبات عليها هو الذي يعطيها طبيعة النماء: «ليس كل مَنْ يقول لي: يا رب يا رب، يدخل ملكوت السموات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات.» (مت ٧: ٢١)

والنعمة لا تعمل إلاَّ من خلال الكلمة، ولكن ليس الكلمة المقروءة وحسب، بل الكلمة التي دخلت لتتحوَّل إلى عبادة وصلاة. ونحن لا نستطيع بهذا الوصف أن نسمِّيها مجرد كلمة بل كلمة الملكوت. هناك كلام إنجيل وهناك كلام إنجيل الملكوت. إنجيل الملكوت وكلام الملكوت يزرع الإنسان في تربة الملكوت، فينمو كل يوم ويزدهر.

كلام الملكوت له سمة، له رائحة، له بريق يخطف القلب. حينما تقع عليه العين أو الأذن يخطفه الإنسان خطفاً ويخزِّنه في أثمن مواضع قلبه، في الموضع الذي يحتفظ فيه بالله نفسه. إنها مجرد كلمة، لا ينتبه إليها الآخرون، ولكن تدخل لتصير سند العمر كله وقوة تناطح الزمن.

والذي يُدرك سرَّ الكنيسة يقتني اللؤلؤة!

شبكة أُلقِيَت في البحر

١٣: ٤٧ـ ٥٠ «أَيْضاً يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ شَبَكَةً مَطْرُوحَةً فِي الْبَحْرِ، وَجَامِعَةً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ. فَلَمَّا امْتَلأَتْ أَصْعَدُوهَا عَلَى الشَّاطِئِ، وَجَلَسُوا وَجَمَعُوا الْجِيَادَ إِلَى أَوْعِيَةٍ، وَأَمَّا الأَرْدِيَاءُ فَطَرَحُوهَا خَارِجاً. هكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ الْعَالَمِ: يَخْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَيُفْرِزُونَ الأَشْرَارَ مِنْ بَيْنِ الأَبْرَارِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ».

بهذا المَثَل تأتي الأمثال التي قيلت عن ملكوت الله إلى نهايتها. والمنظر هنا غير مألوف إلاَّ عند بعض الصيَّادين في بعض الأماكن المزدحمة بالسمك، فهم يطرحون شبكة كبيرة في البحر ويثبتونها ويتركونها حتى تجمع السمك للملء، ثم يرفعونها. فهو ليس صيداً بل جمعاً بالجملة، وبعد ذلك يخرجونها ويفرزون السمك. ويعود المسيح وبسرعة يطبق هذا المنظر على ما سيكون في نهاية هذا الدهر. وهذا هو آخر مراحل المَثَل. والمسيح هنا يركِّز على رفع الشبكة كعلامة نهاية الصيد الأخير، ثم فرز الأسماك. أمَّا عن البحر والموج والسمك والشبكة ووسيلة طرحها فلا يذكر شيئاً لأنها لا تدخل في اختصاص النهاية. وهو يشرح كيفية الفرز على الطبيعة فيجعل الملائكة منوطين بهذه العملية: يفرزون الأشرار من وسط الأبرار ويلقونهم إلى المصير المحتوم حيث الندم الذي لا يفارقهم. والذي يكشفه المسيح لنا للمعرفة والحذر هو: **كيف سينتهي هذا الدهر؟**

وعملية الفرز سيقوم بها ملائكة متخصصون، وهذا هو المهم في المَثَل، وليس لنا بالتالي أن نتساءل ونرهق أفكارنا عبثاً بما سيحدث في نهاية الأيام من عمليات لا ندري عنها شيئاً، كل المسموح لنا أن نفهمه وأن نضعه في الاعتبار أن الأشرار سيُرفعون من الوسط، هذا كل ما يلزم أن نعرفه. ولكن كيف هذا، ليس من اختصاصنا لأنه من اختصاص الملائكة.

وفي هذا المَثَل لا تُذكر الكنسية على الإطلاق، فالأمر يخص كل الجنس البشري، وكيف سيُفصل منه الأشرار ليبقى المختارون. ولكن الذي يسترعي انتباهنا هو أن العملية مقتصرة على الذين ستمسكهم الشبكة فقط وليس كل الذين في البحر. ولا يدخل كل البحر في المَثَل. فالمسيح يقدِّم لنا مشهداً عبارة عن قطاع في المنظر.

ولكن الذي نكرره للانتباه، أن عملية النهاية يغطيها حدث واحد هو فرز الأشرار عن الأبرار.

المسيح يلتقط هذا المنظر ويترك الباقي، وهو يحتفظ بجمع الأبرار فقط ولا يزيد على ذلك أي توضيح، ويختص كلية بالأشرار كيف أنهم سيلقون إلى خارج أو إلى أتون النار حيث يكون البكاء وصرير الأسنان.

هذا المنظر لا يدخل فيه كيف يجيء ابن الإنسان، وكيف يختار الكنيسة التي سبق وصنعها واختارها لله. هذا لم يذكره المسيح البتة.

ولكن إذ نعود إلى أنفسنا نجد أن الكلام هنا غاية في الأهمية، فالعملية تبدو أنها تبدأ في هذا الدهر ولا تخص النهاية فقط. فالبداية في المَثَل واضحة: «يشبه ملكوت السموات شبكة مطروحة في البحر»، إذن فهذا المَثَل داخل في تدرُّج خطير بالنسبة لتطور ملكوت السموات في هذا الدهر = "انقضاء العالم"! هنا تتركز الأهمية في تدبير الله من جهة الملكوت. فالملكوت هو الشبكة المطروحة والتي طُرحت خصيصاً لجمع المختارين، لأن هنا عمل نهاية الملكوت في هذا الدهر الذي شرحه المسيح: «هكذا يكون في انقضاء العالم، يخرج الملائكة ويفرزون ...» فالشبكة هي المكني عنها بالملائكة التي تجمع المختارين، ولكن بين المختارين يوجد أشرار. إذن الشبكة تجمع الكنيسة، على أن كلمة الكنيسة تعني الأخيار أي الأبرار المختارين فقط ولا تعني الأشرار قط. فالأشرار غرباء عن الكنيسة تجمعهم الشبكة اضطراراً ولكن للإلقاء خارجاً. ولكن فعل طرح الشبكة هو الذي يعني ملكوت الله! طرح الشبكة هو في هذا الدهر، في هذا العالم، وهذا نفسه يكون صورة لما يحدث في انقضاء العالم: «هكذا يكون في انقضاء العالم». الشبكة الآن مطروحة وهي شبكة الإنجيل بكل يقين وتأكيد. والشبكة بتأثير الإنجيل تمسك السمك وتضعه في عيون الشبكة استعداداً للجذب: «فأجعلكما صيَّادي الناس» (مت ٤: ١٩). والمسيح بصفته الصيَّاد الأعظم له تأثير خفي على السمك لكي يلتجيء إلى العيون باستعداد الجذب. وكلما امتدت الشبكة كلما جمعت المختارين. فتأثير الكنيسة ممتد ولا نهاية لامتداده حتى إلى أقصى الأرض. ولا زلنا في هذا الجيل، فنحن هنا في حيل جمع السمك، والشبكة مطروحة خفياً حولنا وممتدَّة، وتمتد بلا نهاية بقدر مسيرة أقدام المُرسلين. وهناك في نهاية الدهر، نهاية هذا العالم، عندما تكون الكنيسة في أتم استعداد لمجيء الرب، يبدأ جذب الشبكة ليبدأ الفرز أي الدينونة، كعمل داخل في صميم عمل الملكوت. ولكن السؤال الحتمي هنا: وماذا بعد فرز الأشرار وتنحيتهم خارجاً؟ هنا يبدأ يتجلَّى وجه الملكوت وعمل الملائكة بالنسبة للأبرار على الوجه المكشوف وليس في الخفاء والسر، كما في هذا الدهر الآن ـ يعملون علنيًّا كالأيام الأُولى. وعملهم الأول جمع الأبرار بمعرفة واقتدار فيما يخص أعمال الناس

ومقدَّراتها(٨). وكأن بدل صحبة الأشرار ومضايقاتهم التي بلاحصر يأتي عزاء الملائكة وملاطفتهم التي لا تُحد. ولكن معاملاتهم مع الأشرار ستفوق حد تصورنا، الأمر الذي تعذَّر على كل قوة أرضية. وحينئذ تنتهي العثرات والمضايقات والأحزان والاضطهاد والقتل وتهديد معيشة الإنسان وأمنه وسلامه: «يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم» (مت ١٣: ٤١). وحينئذ يتهلَّل الأبرار وتضيء وجوههم في كنيسة الدهور، فيُستعلن ملكوت الله في الأبرار على أرضنا هذه، ولكن في صورتها الجديدة الخالية من جميع المعاثر وفاعلي الإثم، الأمر الذي استحال على كل كارز ومُرسَل، وامتنع نهائياً أن يُرى أو يُسمع به في هذا الدهر. ولكن في كل ما أخفقنا فيه لن يخفق الله. وتُشفى الأرض من لعنتها ويسعد الإنسان بخالقه ويفرح بخلاصه ويدوم فرحه ولا ينزعه أحد منه بعد، ويتجلَّى العريس في وسط محبيه.



والآن نظرة شاملة على حديث الأمثال: فبالبحث وجدنا أن كل مَثَل قائم بذاته، كل كلماته تهدف نحو هدف معيَّن وُضع مسبقاً قبل تركيب المَثَل يكشف عن حكمة لا تجارى، ثم وجدنا أن كل مَثَل مرتبط بالآخر بصورة تهدف إلى بلوغ نوعٍ من التعليم أوسع امتداداً عن مفهوم الملكوت غير المنحصر في صورة واحدة.

أمَّا القول بأن المَثَل يضيء عقل التلاميذ بقدر ما يعتِّم عقل الآخرين غير الجادين في إثر الملكوت، فهو كما يقول أحد الشُّرَّاح: إن هذا يشبه عمود النور الذي كان يضيء لبني العهد من ناحية وبآن واحد يعتِّم أمام المصريين الساعين في إثرهم لقتلهم(٩).

وفي هذا النوع من التعليم يقول العالِم ليسكو:

[كلما كررنا التأمُّل والانتباه بدقة لهذه الأمثال، معطين أنفسنا للفهم، فسواء كان النظر إلى الأمثال ككل أو لكل مَثَل على حدة، كلما امتلأنا بالعجب والاندهاش على الكمال في تكوينها ومادتها، فهي تظهر لي كصندوق خشب مطعَّم بجزئيات صغيرة من معادن ثمينة منمَّقة بزخرف بسيط بديع وأخَّاذ. ولكن إذا أُعطينا مفتاحه لنفتحه نرى بداخله الجواهر باهرة تفوق أي وصف وأي شيء آخر، وتجعلنا لا نقتنع أبداً لمجرَّد النظر والتأمُّل لهذا المجد

---

(8) G. Campbell Morgan, ibid, pp. 179-197.

(9) Von Gerlach cited by H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 265.

الفائق. فمهما كانت هذه الأمثال قادرة أن تشد الإنسان وبقدر ما تدعونا إلى المزيد من التأمُّل، إلاَّ أنها تحوي من الحقيقة ما يفوق جمالها الظاهري من المجد، لأن الحقيقة فيها هي التي تُسعد وتقودنا إلى الغبطة الإلهية بإشعال الرجاء فينا نحو الحياة الأبدية ... وهي تحوي مكنوزاً من التعليم لا يفرغ، وعزاءً وإعلاناً وتوبيخاً. إن المعرفة التي فيها أغنى وأعمق من نهر، ولم يحدث أن أحداً استطاع أن يستقيها كلها، فكل اعتبار جديد فيها يكشف علاقات أحدّ وحلولاً أكثر ونوراً أوفر لعمل ملكوت الله(١٠)].

ونحن نزيد على هذا أن هذا الصندوق وجدناه ضمن ميراثنا!!

هذا العالِم الروحي الكثير التأمُّل في الأمثال استطاع أن يرى هذه الأمثال فرصة للشركة مع الله:
[فأحياناً يأخذ الحديث إلى دعوة للشركة مع الله على مستوى **"كلمة الله"**: كمَثَل الزارع. ومرَّة أخرى يأخذنا لنتأمل معاً في قيمة الملكوت كالجوهرة واللؤلؤة. ومرَّة أخرى يدعونا إلى شركة معاً وكأنها الكنيسة في صميم العالم الحاضر كمَثَل الزوان. ثم يأخذنا لنلاحظ نمو الملكوت وتقدُّمه كمَثَل حبة الخردل. ثم إلى الأمثال الأخرى التي تُدخلنا في حالة من الروح ذات هدف لكل مَنْ يريد أن يتحد في هذه الشركة. فالملكوت في تركيبه ككنيسة في ماضيها وحاضرها، في الزمن والأبدية، هذا هو شغل يسوع الشاغل في أمثلة الملكوت(١١)].

---

(10) Biblical Cabinet, "Lisco on Parables", pp. 21, 22, cited by H.A.W. Meyer *op. cit.*, p. 265.
(11) Ibid, pp. 23, 24, cited by H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 266.

الكاتب المتعلِّم في ملكوت السموات

١٣: ٥١و٥٢ «قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَفَهِمْتُمْ هذَا كُلَّهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا سَيِّدُ. فَقَالَ لَهُمْ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كُلُّ كَاتِبٍ مُتَعَلِّمٍ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ يُشْبِهُ رَجُلاً رَبَّ بَيْتٍ يُخْرِجُ مِنْ كَنْزِهِ جُدُداً وَعُتَقَاءَ».

كانت الأمثال تختص بالملكوت من حيث ما هو، وأمَّا الآن فالمَثَل عن الذين فهموا أمثال ملكوت السموات. أمَّا السؤال: «أفهمتم هذا كله؟» فيعني: هل أصبحتم الآن عارفين بما هو الملكوت من حيث ظروف عمله وقيمته ونهايته في هذا الدهر؟ وباختصار: هل استوعبتم هذا التعليم الكامل في كل ما يخص ملكوت السموات؟ الأمر الذي بناءً عليه يصبحون مسئولين كأرباب بيت الله يعلِّمون بكل ما تعلَّموا: «علِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (مت ٢٨: ٢٠)، لأنهم حينما أجابوه "نعم" وضع عليهم هذه المسئولية. وهكذا وبهذا التعليم الخاص بملكوت الله اعتبر المسيح تلاميذه أنهم كتبة العهد الجديد **ـ أي حكماء وعلماء في ملكوت السموات.**

وللعلم، فإن اسم "**الكتبة**" ووظيفتهم ابتدأت في العهد القديم من أيام عزرا المحسوب أنه أول نبي وكاتب متعلِّم في أول أيام الرجوع من سبي بابل، وهو أصلاً كاهن من ذرية هارون الكاهن الأول (عز ٧: ٥). وكان الكتبة مؤرِّخين يحفظون الأنساب وجداول أنساب الشعب، وكانوا جزءاً لا يتجزَّأ من القوة الحربية للشعب يسيرون معهم. ولكن بعد عزرا صاروا قارئي ناموس ومعلمين للناموس. وكان عزرا أول كاتب يقف وسط الشعب ويقرأ التوراة ويشرحها بدقة، وهكذا صار من بعده الكتبة. أمَّا أيام المسيح فتحوَّلوا وصاروا معلمي ناموس مشروح من الرابيين والفريسيِّين، فدخلت فيه تعاليم الناس. فإذا تعرَّضوا للناموس المكتوب التزموا بالحرف وليس المعنى، وهكذا انطمس الناموس على أيديهم، وزادوا عليه تقاليد الشيوخ. وهكذا صاروا بعلمهم حائلاً يحول بين الشعب وفهم كلمة الله الحقيقية. وهكذا صاروا أكبر عائق لكرازة المسيح(١٢).

(12) G. Campbell Morgan, ibid, pp. 205 f.

كتبة العهد الجديد علماء وحكماء ودارسو ملكوت

«كل كاتب متعلِّم في ملكوت السموات»:

πᾶς γραμματεὺς μαθητευθεὶς τῇ βασιλείᾳ

وهكذا في مقابل طبقة كتبة العهد القديم المحسوبين تلاميذ موسى ويشوع أي تلاميذ ناموس، أقام المسيح في العهد الجديد طبقة الكتبة والمتعلِّمين في المسيح والملكوت، يُخرجون من كنوزهم جدداً وعُتقاء.

والكنز في القديم هو صندوق تُحفظ فيه الجواهر، وسُمِّي غُرفاً الصندوق الذي يُحفظ فيه كتب البيعة بالكنز. ولكن المسيح يقصد الكنز في القلب أو الكنز المحفوظ في الصدور. أمَّا الجدد فهي معرفة الملكوت كما أوضحها المسيح، وأمَّا العتقاء فهي النبوَّات وما يتعلَّق بمجيء المسيَّا: «ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسِّر لهما الأمور المختصَّة به في جميع الكتب» (لو ٢٤:٢٧). والمعنى الذي يقصده المسيح أن يصبح التلاميذ ـ ومَنْ كانوا على مستواهم من المعرفة بالملكوت ـ كتبة العهد الجديد في تعليم كل ما يختص بملكوت الله.

انظر أيها القارئ بأي نهاية انتهت تعاليم المسيح بالأمثال عن الملكوت، التي جعلها قاعدة علم اللاهوت والخلاص والمعرفة السمائية. وكيف جعل التعليم مقصوراً بمقتضاها لكشف سر الملكوت على أُسُس ثابتة ومشروحة بالنبوَّات. فكل ما علينا أن نكرز بالملكوت ولا نقارع الشر والأشرار أو نحارب الفساد والمُفسدين. فعملنا محدود بتعليم سر الملكوت والخلاص.

عصرنا هذا هو جيل الصراع بين القمح والزوان، ومحظور أن نقترب ناحية الزوان: «دعوهما ينميان كلاهما معاً»، علينا أن نزرع قمحاً وليس أن نقتلع زواناً. وأملنا الأخير والأعظم هو في مجيء صاحب الملكوت ومعه الحصَّادون، يطهِّرون الحقل من الزوان. وكل ما نحتاجه الآن هم الكتبة المتعلِّمون في ملكوت السموات الذين يدِّخرون في كنزهم جدداً وعُتقاء، يمهِّدون للحَصَاد الجيد لرب الحصاد، ويزرعون ما شاءوا حتى وإلى كل شبر في العالم: حنطة تطرح مئة وستين وثلاثين.

ويا ليت أن نكون كلنا رب بيت، وكلنا كتبة مسئولين عن كل ما تعلَّمنا إن كنا قد تعلَّمنا صحيحاً: «أفهمتم هذا كله؟».

نهاية القسم الثالث

١٣:٥٣ «وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هذِهِ الأَمْثَالَ انْتَقَلَ مِنْ هُنَاكَ».

هي آية القديس متى التقليدية التي يختم بها كل كتاب من كتبه الخمسة. وواضح أنه إن كان الكتاب الثاني تظهر عليه علامات سفر الخروج، فهنا الكتاب الثالث تظهر عليه علامات سفر اللاويين أي الكتبة. علماً بأن الكتبة الجدد الذين انتهى إليهم المسيح في هذا الحديث المطوَّل هم لاويو العهد الجديد.

عودة المسيح إلى وطنه

[١٣:٥٤-٥٨]

(مر ٦: ١-٦)،
(لو ٤:١٦-٣٠)

١٣:٥٤-٥٨ «وَلَمَّا جَاءَ إِلَى وَطَنِهِ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ فِي مَجْمَعِهِمْ حَتَّى بُهِتُوا وَقَالُوا: مِنْ أَيْنَ لِهذَا هذِهِ الْحِكْمَةُ وَالْقُوَّاتُ؟ أَلَيْسَ هذَا ابْنَ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ، وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟ أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ جَمِيعُهُنَّ عِنْدَنَا؟ فَمِنْ أَيْنَ لِهذَا هذِهِ كُلُّهَا؟ فَكَانُوا يَعْثُرُونَ بِهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهُمْ: لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ. وَلَمْ يَصْنَعْ هُنَاكَ قُوَّاتٍ كَثِيرَةً لِعَدَمِ إِيمَانِهِمْ».

أمَّا لماذا يختم ق. متى هذا الحديث عن الملكوت بهذه الخاتمة التي يكشف فيها عن مقاومة أهل الناصرة وعداوتهم المكشوفة، وجهلهم به وبتعليمه واحتقار عائلته وشخصه بلا تحفُّظ، فهذا واضح جداً إذ كان هذا هو السبب المباشر الذي جعله يبدأ يعلِّم بالأمثال حتى يحجز الأسرار لمستحقيها ويخفي الحكمة عن مزدريها، ويكشف علناً أن الملكوت لمختاريه.

والملاحَظ أن المسيح كان في كفرناحوم في المجمع (١٢:٩) ثم غادرها موقَّتاً (١٢:١٥) ثم عاد إلى كفرناحوم، وبعدها اتجه إلى الشاطئ (١٣: ١و٢) وبقي في بيتٍ حتى (١٣:٣٦). وهنا ابتدأ

يترك كفرناحوم. وفي (١٣:٥٤) عاد إلى مدينته الناصرة واتجه إلى المجمع ليعلّم هناك التعليم الذي أدهشهم - وكان ذلك في السبت - والحكمة التي أدهشتهم كان يعلّم بها منذ البداية، وأمّا المعجزات فليست جديدة وهي التي أظهر فيها قوته في الجليل كله. ولكن بنوع من التعصُّب والجهالة رأوه كأحد مواطني الناصرة لم يتعلّم ولا تتلمذ على ربيين، وكون أبوه نجاراً جعل استصغارهم لشخصه يزداد لأنه ليس كاتباً أو فرِّيسيًّا حتى يكتسب هذا العلم وهذه الحكمة. كذلك أُمه وبقية مَنْ معها من أولاد يوسف وبناته لم يجدوا فيهم نسل أنبياء أو كهنة، بل بيتاً عاديًّا مستضعفاً. كل هذا جعلهم يستكثرون عليه الحكمة والقوة بدل أن تكون دليلاً قاطعاً على كونه مسيًّا الذي ينتظرونه. ويستفاد من هذا الكلام أن يوسف غير موجود وكان غالباً قد انتقل، وهذا يوحي بنوع ما أنه كان كبيراً في السن إذ لم يُذكر له مرض.

أمَّا المسيح فكان ردّه عليهم تعليةً من شأنه الروحي وتحقيراً لمستواهم المنحط عن أن يدركوا قيمة نبي في وسطهم. وكان عدم إيمانهم به سبباً في عدم إجراء معجزات كثيرة في مدينته مما زاد سخطهم عليه، مع أن السخط مردودٌ عليهم وعلى إيمانهم. غير أن الذين آمنوا شُفوا. فعمل الله لا يرتاح إلاَّ في متقيه. وأينما وُجِدَ عدم الإيمان حلَّ السخط.

الأصحاح الرابع عشر

- حفلة هيرودس ورقصة الموت. ومقتل المعمدان الحزين (١٤: ١-١٢)
- معجزة إطعام الجموع من خمس خبزات وسمكتين (١٤:١٣-٢١)
- المشي على الماء (١٤:٢٢-٣٣)
- أشفية على بحيرة جنيسارت (١٤:٣٤-٣٦)

حفلة هيرودس ورقصة الموت

ومقتل المعمدان الحزين

[١٤: ١-١٢]

(مر ٦: ١٤-٢٩)،
(لو ٩: ٧ - ٩)

الآن قد صار لنا سنة كاملة منذ أن بدأ المسيح خدمته العلنية ـ بحسب تقدير الحوادث(١). وهذه القصة قديمة نقلها القديس متى إلى هذا الموضع.

١٤: ١و٢ «فِي ذلِكَ الْوَقْتِ سَمِعَ هِيرُودُسُ رَئِيسُ الرُّبْعِ خَبَرَ يَسُوعَ، فَقَالَ لِغِلْمَانِهِ: هذَا هُوَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَلِذلِكَ تُعْمَلُ بِهِ الْقُوَّاتُ».

أخبار المسيح رنّت في قصر هيرودس، لأنها أخبار كبيرة ومذهلة، ولكن الأمور الروحية من العسير أن تدخل آذان مَنْ هم على شاكلة هيرودس، وإن دخلت تزعجهم كما حدث لهيرودس. فهيرودس خرج من حادثة قتل المعمدان بضمير مجروح. فبمجرد أن سمع بمعجزات تُجرى ظنَّ أنه هو المعمدان قام من الأموات. وهيرودس من جهة مبادئه يعتبر صدُّوقياً من فئة الصدوقيين، ولكن ليس عن أصالة فهو أدومي الأصل. والصدوقيون سريعو الانفعال لقلة اعتمادهم على الله، وعندهم المعجزات لا تكون إلاَّ من الأنبياء القدامى، ولا يدخل في فكرهم أن المسيح يمكن أن يكون هو المسيَّا بأي حال من الأحوال. وأبو هيرودس هو قاتل أطفال بيت لحم، وهيرودس لم يسمع بالمسيح قبل موت المعمدان، لذلك كانت الأخبار مناسبة فقط لتكون معمولة بيوحنا الذي قتله، غير أن يوحنا في حياته لم يعمل معجزات قط. ولكن هذا الظن ملأ فكره لأنه كان يعتقد أنه «بارٌّ وقديس» (مر ٦: ٢٠) وكان يسمع له. وقول المعمدان هنا «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو ٣: ٣٠) كان حكمة من المعمدان، لأن الجموع بدأت تنسب للمعمدان أعمال يسوع وهو حيٌّ، فأسرع المعمدان بهذا الاعتراف. وقد شاع في تقليد الكنيسة اليونانية(٢) أن المعمدان لما استشهد وصعدت روحه ذهب وبشّر الأرواح الأخرى بمجيء المسيح باعتباره السابق أيضاً في الدخول إلى عالم

(1) J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 297.
(2) Ibid., pp. 298 f.

الأرواح، وقد أخذ بهذا الرأي كثير من الآباء مثل أمبروسيوس في شرحه لإنجيل ق. لوقا (١:١٧).

١٤: ٣-٥ «فَإِنَّ هِيرُودُسَ كَانَ قَدْ أَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ وَطَرَحَهُ فِي سِجْنٍ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ، لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ يَقُولُ لَهُ: لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ. وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ خَافَ مِنَ الشَّعْبِ، لأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلَ نَبِيٍّ».

يُلاحِظ القارئ أن مقتل المعمدان لم يأخذ الرنين العالي في الكنيسة ولا في وعي الشعب، لأن موت المعمدان لم يكن كفّارياً ولا من أجل أي عمل خلاصي، بل ربما يُحسب أنه مات دفاعاً عن حق الناموس، فهو موت على مستوى العهد القديم. وربما السبب في ذيوع قصة موت المعمدان وتوقير شخصه يعود للمسيح فقط لأنه حيَّاه وكرَّمه أعظم تكريم وبوَّأه قمة الأنبياء وأعظم مولود من امرأة!

أمَّا مسألة هيروديا فهي على مستوى فجور إيزابل. فكما كانت إيزابل عدوة لنبي الله العظيم إيليا (١مل ١٩)، ورثت عنها في التاريخ المقدَّس عداوتها للمعمدان الأعظم في الأنبياء. وهكذا يورِّث كل جيل شروره ويرث كل نبيٍّ نتيجة حقد الفجَّار. وهيروديا كانت امرأة أخي هيرودس، فيلبُّس، وقد تزوَّجها رغماً عن أخيه، علماً بأن هيروديا نفسها هي بنت أخ كل من هيرودس وفيلبُّس، فمن كل الجهات كان زواجه منها مخالفاً للوصايا[3].

وتصدِّي المعمدان لهيرودس لم يأتِ مصادفة، ولكن كان هيرودس يستدعيه ليسمع منه (مر ٦: ٢٠)، فواجهه المعمدان بخطيته كجزء من رسالته، ولكنه واجهه بصرامة نبي البراري آكل الجراد ولابس الصوف والصارخ في آذان الخطاة بالتوبة. وبعدها نوى هيرودس أن يقتله ولكنه خاف من شهود الشعب للحق، والشعب لا يخشى الطغاة كطبيعة غرسها الله في الشعوب حتى يوقفوا الطغاة عند حدود الحق ولا يتعدُّوه، إلاَّ إذا صار الطغاة خطاة!

١٤: ٦-١٠ «ثُمَّ لَمَّا صَارَ مَوْلِدُ هِيرُودُسَ، رَقَصَتِ ابْنَةُ هِيرُودِيَّا فِي الْوَسْطِ فَسَرَّتْ هِيرُودُسَ. مِنْ ثَمَّ وَعَدَ بِقَسَمٍ أَنَّهُ مَهْمَا طَلَبَتْ يُعْطِيهَا. فَهِيَ إِذْ كَانَتْ قَدْ تَلَقَّنَتْ مِنْ أُمِّهَا قَالَتْ: أَعْطِنِي ههُنَا عَلَى طَبَقٍ رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ. فَاغْتَمَّ الْمَلِكُ. وَلكِنْ مِنْ أَجْلِ الأَقْسَامِ وَالْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ أَمَرَ أَنْ يُعْطَى. فَأَرْسَلَ وَقَطَعَ رَأْسَ يُوحَنَّا فِي السِّجْنِ».

الحفل هنا قد يكون يوم ميلاده أو يوم اعتلائه العرش، وهكذا دائماً الولائم العالمية لا تخلو من

(3) Ibid., p. 300.

معصية. وهي كثيراً ما تكون فرصة لارتكاب الفاحشة، ولكن العالم لا يتعلّم ولا يتعظ. والبيت المسيحي لا يزال معرضاً في حفلات الخطوبة والزواج والأعياد والولائم إلى مثل هذه الشرور، لأن مَثَل المسيح قائم دائماً إذ يوجد مَنْ يزرع الزوان وسط الحنطة. أمَّا أداة القتل الشرير في هذا الحفل النجس فكانت بنت "إيزابل" بنت الحيَّة واسمها هنا **"سالومي"**. قامت في الوسط لتكون نهباً لكل عين وشرًّا لكل قلب وفكر، والشيطان يعلّم أولاده الرقص لأنها مهنة يربح بها الرؤوس والنفوس!

وقد غالى الملك في إعطاء الأقسام والوعود الملكية التي لا رجعة فيها لتكون أقصى خطية عنف اقترفتها البشرية بعد حادثة الصليب، فهي تُحسب "خطية الأجيال" التي كسب فيها الشيطان النمرة الأُولى، التي خسر من بعدها في قضية المسيح كل أرباحه وانحطَّ إلى التراب.

«فاغتمَّ الملك»: λυπηθείς

هنا آثار يد الله التي ذكرتها التوراة: «قلب الملك في يد الرب» (أم ٢١:١). فالعقل هوى واللسان زلّ والإرادة انحطَّت ولكن ضمير الإنسان، مع أنه ملك شرير، لا يزال يحمل آثار يد الله. فكل مرتكب جريمة يبكي بعد أن يرتكبها ويقسم أنه لا يعرف كيف ارتكبها! نعم إنه الشيطان يركب العقل ركوب البهيمة ليسوقها عنوة حيث يشاء! وبعد أن يستيقظ الإنسان على شناعة ما اقترفه يندم إلى التراب، وماذا ينفع الندم بعد أن تكون قد زلقت القدم، كالمَثَل المشهور؟

«ولكن من أجل الأقسام والمتكئين»:

لذلك أبطل المسيح القَسَم إطلاقاً، حتى لا يُمسَك الإنسان فيما أقسمه ويخطئ إلى الله والآخرين ونفسه، وما ذنب الله أن يُذكر اسمه في وليمة ماجنة وبين قوم خرجوا عن وعيهم باحتساء أقداح الخمر بلا اتزان؟ وهل من أجل القسم نأمر بقتل بريء؟ أو من أجل المتكئين يُؤخذ رأس نبي؟ وخوفاً من ماذا؟ من شرف يضيع! فلكي نكون صادقين نقضي بالظلم على إنسان مسكين؟ تَبًّا للملك يفترس الرعية!!

مات المعمدان ذبحاً في سجن ماخيروس، طارت رأسه بضربة سيف وطارت روحه تشكو لله ظلم الإنسان لأخيه الإنسان. لم يعد في الإمكان أن يُقال عن المعمدان أنه كان هو المسيَّا. فالمسيَّا سيموت ولكن عظماً من عظامه لن يُكسر(٤).

١١:١٤ **«فَأُحْضِرَ رَأْسُهُ عَلَى طَبَقٍ وَدُفِعَ إِلَى الصَّبِيَّةِ، فَجَاءَتْ بِهِ إِلَى أُمِّهَا».**

---

(4) J.A. Bengel, p. 301.

هدية الأفعوان للحيَّة، «ذاك كان قتّالاً للناس مـن البـدء» (يـو ٨:٤٤). لقـد نـال بهـا الشـيطان أعظم جائزة لأعظم رقصة استطاع بها أن يُسكت فم المعمدان ويعطّل المناداة بالتوبـة. لقـد ارتفـع "إيليا" إلى السماء حيًّا، ولكن يوحنا، الذي جاء بروح إيليا وقوَّته، مات أخيراً في سـجن ماخـيروس في برية الأُردن. وإيزابل هي إيزابل والشيطان هو الشيطان.

١٢:١٤ «فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَرَفَعُوا الْجَسَدَ وَدَفَنُوهُ. ثُمَّ أَتَوْا وَأَخْبَرُوا يَسُوعَ».

نظر المسيح إلى التلاميذ والحزن يملأ قلوبهم ويعتصر عيونهـم. فقـد كـان معلّمهـم المحبـوب جـداً وكانوا يظنون أنه يبقى ما بقوا، فتألم لألمهم ولكنه عزَّاهم: «كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة» (يو ٥:٣٥). ولكن يا أولادي قـد انفجـر النهـار وأنـارت الشـمس الدنيـا فكان لازماً أن ينطفئ مصباح الليل، فليل إسرائيل انتهى ونحن في نهـار الخـلاص، فلتتعـوَّد عيونكـم على نور النهار لأن عملكم يبتدئ حيث انتهى معلّمكم. اذهبوا أكرزوا كمـا كـان يكـرز معلّمكـم أن: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله».

حدث هذا بحسب تقدير العالِم ماير في بكور سنة ٢٩م(٥).

(5) H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 270.

معجزة إطعام الجموع من خمس خبزات وسمكتين

[١٤: ١٣-٢١]

(مر ٦: ٣٠-٤٤)،
(لو ٩: ١٠-١٧)،
(يو ٦: ١ - ١٤)

١٤: ١٣ «فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ انْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ فِي سَفِينَةٍ إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ مُنْفَرِداً. فَسَمِعَ الْجُمُوعُ وَتَبِعُوهُ مُشَاةً مِنَ الْمُدُنِ».

في الحقيقة هذه الآية جاءت هنا لتنهي قصة المعمدان، ولكن هي أصلاً للعودة إلى الحديث الذي قطعه القديس متى ليورد لنا قصة موت المعمدان، ولكن كان يتكلَّم عن أن هيرودس سمع بأخبار المسيح واعتبر المسيح هو يوحنا وقد قام من الأموات (١٤: ١و٢). فهنا عودة مرَّة أخرى لأعمال المسيح، ونقطة الاتصال: **«موضع خلاء»**.

١٤: ١٤و١٥ «فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ أَبْصَرَ جَمْعاً كَثِيراً فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ وَشَفَى مَرْضَاهُمْ. وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: الْمَوْضِعُ خَلاَءٌ وَالْوَقْتُ قَدْ مَضَى. اِصْرِفِ الْجُمُوعَ لِكَيْ يَمْضُوا إِلَى الْقُرَى وَيَبْتَاعُوا لَهُمْ طَعَاماً».

لكي يتضح أمامنا الموضع والميعاد الذي يتكلَّم عنه ق. متى يلزم أن نعود إلى إنجيل ق. مرقس، لأن ق. متى لا يعتني كثيراً بالأمور الجانبية من القصة، وهو يختزل كل شيء ليقدِّم قصة الخمس خبزات والسمكتين؛ ولكن ق. مرقس يقول:

+ «فمضوا في السفينة إلى موضع خلاء منفردين. فرآهم الجموع منطلقين، وعرفه كثيرون. فتراكضوا إلى هناك من جميع المدن مشاةً، وسبقوهم واجتمعوا إليه. فلمَّا خرج يسوع رأى جمعاً كثيراً، فتحنَّن عليهم إذ كانوا كخرافٍ لا راعي لها، فابتدأ يعلِّم كثيراً. **وبعد ساعات كثيرة** تقدَّم إليه تلاميذه قائلين: الموضعُ خلاءٌ والوقت مضى. اِصرفهم ...» (مر ٦: ٣٢-٣٦)

واضح أن المسيح ظلَّ يعظ ويشفي لمدة ساعات كثيرة حتى أمسى النهار.

فلكي نقدِّم للقارئ صورة متكاملة لمعجزة الخمس خبزات والسمكتين يلزم أن نأخذ بإنجيل ق. يوحنا، لأن له انطباع من جهة مبادرات المسيح يكمل المعنى في الأناجيل الثلاثة. لأن في إنجيل ق.

يوحنا يظهر المسيح:

أولاً: أنه يريد أن يصنع المعجزة، ولم تأتِ عفوياً كما يظهر في الثلاثة أناجيل.

ثانياً: هو الذي بدأ بالسؤال عن أكل الجموع وليست هي مجرَّد ملاحظة من طرف التلاميذ.

+ «فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعاً كثيراً مقبلٌ إليه، فقال لفيلُبُّس: من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟ وإنما قال هذا ليمتحنه، **لأنه هو عَلِمَ ما هو مزمع أن يفعل.** أجابه فيلُبُّس: لا يكفيهم خبزٌ بمئتي دينار ليأخذ كُلُّ واحد منهم شيئاً يسيراً. قال له واحدٌ من تلاميذه، وهو أندراوس أخو سمعان بطرس: هنا غلامٌ معه خمسةُ أرغفةِ شعيرٍ وسمكتان، ولكن ما هذا لمثل هؤلاء؟ فقال يسوع: اجعلوا الناس يتّكِئُون. وكان في المكانِ عُشبٌ كثير ...» (يو ٦: ٥-١٠)

ولكن في الثلاثة أناجيل تظهر المبادرة وكأنها من طرف التلاميذ هكذا:

١٦:٤ «فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: لاَ حَاجَةَ لَهُمْ أَنْ يَمْضُوا. أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا».

ردًّا من المسيح كمن هو واثق بما سيعمله، فالآية التي نوى أن يعملها كانت حاضرة في ذهنه، فكيف يسمح لهذه الجموع كلها أن تنصرف وتبحث عن طعام في المساء، هذا أمر غير معقول. لذلك تدخل هذه المعجزة في نوع من حنان الأب الذي لا يُشقي أولاده في أمور يقوى هو على حلّها. وقوله: «أعطوهم أنتم ليأكلوا» هنا يعتمد المسيح على صدى الآيات والمعجزات كلها التي صنعها أمام تلاميذه حتى يستحثهم بإمكانية إشباع الجموع بدون شراء وتعب. فالمسيح يبحث عن بارقة إيمان يستند عليها ليصنع آيته البديعة. ولكنه كان قد حسم الأمر في نفسه أن يصنعها - برغم كل الظروف - معتمداً فقط على جراية هذا الولد الصغير، الذي دسَّت له أُمه هذه الأرغفة الخمسة والسمكتين، لعلّه يجد صبيًّا مثله جائعاً يأكل معه، فكان اهتمامها بمثل هذا الصبي الجائع أن أشبعت خمسة آلاف جائع ما عدا النساء والأولاد!!

١٤:١٧-١٩ «فَقَالُوا لَهُ: لَيْسَ عِنْدَنَا ههُنَا إِلاَّ خَمْسَةُ أَرْغِفَةٍ وَسَمَكَتَان. فَقَالَ: ائْتُونِي بِهَا إِلَى هُنَا. فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى الْعُشْبِ. ثُمَّ أَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى الأَرْغِفَةَ لِلتَّلاَمِيذِ، وَالتَّلاَمِيذُ لِلْجُمُوعِ».

كانت خمسة أرغفة وسمكتين، فلو كان رغيفاً واحداً لكان يكفي، المهم أن الموجود يكفي. هذا في نظر المسيح. وفي ظني لو كان بدل الخمسة آلاف رجل خمسة ملايين لم يكن الأمر يختلف شيئاً قط، ولفاض أيضاً خمسمائة قفة. ولكن ولماذا الأرقام، فلو كان العالم كله في حاجة إلى الطعام

وليس طعامٌ بالمرة، لأشبع العالم وفاض «فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (تث ٨:٣، مت ٤:٤)، يكفي أن يرفع الرب عينيه إلى السماء إلى الآب ليفتح كوى السماء ويفيض ولا متّسع.

«ورفع نظره نحو السماء: ἀναβλέψας
وبارك: εὐλόγησεν
وكسر: κλάσας
وأعطى»: ἔδωκεν

وبارك الرب وكسر وأعطى. الثلاثة أفعال الإفخارستية ـ فعل تقديس ـ التي بها يتحوَّل الخبز إلى جسد الرب ليصير الخبز الحقيقي الذي يأكل منه الإنسان ولا يموت. خبز الحياة الحامل لسر الخلود. يعطيه المسيح الآن بصورة خفية ليدرِّب حواس الفكر للزمن الآتي.

وكون الجموع تتكئ على العشب الأخضر أمام الرب وفي حضرته، يكون الرب قد هيَّأ للإنسان مائدة الملكوت بصورتها المنظورة على الأرض. فأن يأكل الإنسان ويشرب في حضرة الله فهذا هو الفردوس الجديد، بعد حرمان طال أمده من نور الله ورضاه. وكون التلاميذ يخدمون عطاء الخبز الحامل لسرّ بركة المسيح فقد تعيَّنوا ملائكة لسبق تذوُّق الخدمة أمام العرش، والشعب أخذ من يد التلاميذ ذلك الذي أخذوه من يد الرب، فيكونون قد فازوا بعطية من يد المسيح تمهيداً لتسلمهم الحياة نفسها، لا من يديه فقط بل من قلبه المطعون بالحربة الذي أخرج للبشرية المائتة ماء الحياة مجَّاناً.

١٤: ٢٠و٢١ «فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكِسَرِ: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مَمْلُوءةً. وَالآكِلُونَ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ، مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ».

«أكلوا وشبعوا: ἔφαγον - ἐχορτάσθησαν
ثم رفعوا ما فضل: περισσεῦον
من الكسر»: κλασμάτων

هذه كلها اصطلاحات إفخارستية يحفظها عن ظهر قلب كل مَنْ خدم الإفخارستيا. لأنها دخلت كأفعال وأسماء تقديس.

كان الرغيف في فلسطين بسُمك صابع الإبهام ومساحته قدر الصحن المفلطح، من الشعير المخبوز في التنور. والقفّة κόφινος معروفة لدينا ولكن ليست ذات الحجم الكبير، إنما على

مستوى المقطف، وكان بمثابة الخُرج يوضع على الركوبة ليحمل أدواتهم وأوعية المياه التي يشربون منها. وكثرة الكسر ناتجة من أن الرغيف مصنوع من دقيق الشعير، ليس كدقيق القمح حينما يعجن يصير مطاطاً (له عِرق) بل سريع التكسُّر (الفتافيت). ويبدو أن الأجزاء التي وُزِّعت عليهم من الخبز بقيت بعد الأكل كما كانت لم يذهب منها شيء، وكأنهم أكلوا البركة الزائدة فقط. والخبز الذي تبارك بقي كما هو خميرة مقدَّسة في بطن الكنيسة رفعه التلاميذ ليعيشوا على بركته.

والقديس يوحنا هو الإنجيلي الوحيد الذي اعتبرها أكثر من آية إذ دعاها: "آيات"، ووضح ذلك حينما خاطب المسيح الجموع التي أكلت وشبعت وجريت وراءه تطلبه: «وقال الحق الحق أقول لكم: أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم **آيات**، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم. اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية، الذي يعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا الله الآب قد ختمه» (يو ٦: ٢٦و٢٧). من هذا التعليق من جهة المسيح على نوع الطعام الذي قدَّمه لهم واضح أن له نظرتين: الأُولى: «الخبز الباقي للحياة الأبدية» لمختاريه. والثانية هو الخبز البائد الذي يُشبع الجسد للاّهين عن خلاصهم. فالخمس خبزات والسمكتان دخلت في حساب المسيح على أنها آية، هذا فات للأسف على الشعب الذي يجري وراء ملء البطن. كما فات عليهم "مَنْ هو المسيح" الذي رأوه يصلح أن يكون ملك الخبز فأرادوا أن يجعلوه ملكاً ليعطيهم هذا الخبز كل حين، وهو الابن الوحيد الذي انحدر من عرش الله وانسحب وعاد!! المسيح هنا يؤكِّد أن معجزة الخمس خبزات والسمكتين كانت آية، لذلك وقد تقدَّس الخبز بفعل الإفخارستيا طلب من التلاميذ أن يتحفَّظوا على الكسر. وقد صار هذا قانوناً في إقامة الإفخارستيا إذ يحرص الكاهن أن لا يضيع شيء بعد قسمة القربانة وإعطاء المتناولين.

هذه المعجزة بما حوت من معان تُحسب إحدى أسرار المسيح والملكوت، فانظر أيها القارئ العزيز كيف نال كل واحد من هذا الجمع الذي جاء لمجرَّد أن يسمع كلمة، كيف نال بركة المسيح واستقرَّت في كيانه، رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً دون أن يشعر. فإن كان قد جاء يطلب وجه المسيح فقد أخذه سرًّا ومارس نصيبه في صميم أسرار المسيح، اشترك فيه ونال قوته. إن هذه المعجزة تكشف وتحكي بآن واحد مَنْ هو المسيح؟ ولماذا جاء؟ وماذا يستطيع أن يُعطي؟ ومَنْ هو الذي يأخذ؟ ومَنْ الذي لا يأخذ؟ شأنه شأن المَنّ خبز الملائكة الذي أكله الإنسان في البرية. ولكن هذا الخبز الذي باركه المسيح أعلى قيمة وقوة وبقاء. فالمسيح قصد

بالذات أن يجمع ما تبقى ليبقى، توكيداً أنه أقدس من المَنْ الذي إذا تبقّى منه شيء أنتَنَ وسَرَى فيه الدود. فبركة العهد القديم وخبزه كان "خبزنا كفافنا أعطنا اليوم"، كما يخطئ كثير من الشُّرَّاح فيقولون: إن أبانا الذي في السموات أُعطيت لنطلب المَنْ اليومي على قدر كفافنا وهذا خلط مشين، بل هي: «خبزنا الذي للغد أعطنا اليوم»، حيث الغد هو الأبدية السعيدة وملكوت السموات التي ننتظرها بدموع ونعيش ونحيا من أجلها. خبز الله للحياة الأبدية. وقد أعطانا المسيح هذا المجد بعينه لو نحن تفتحت عيوننا وأدركنا سر خبز الحياة الأبدية الذي نأكله من فوق مذبح التقديس!

أمَّا كيف صارت الأرغفة الخمسة من الشعير خبز حياة وبركة ودواماً للذي يؤمن، فاسألوا ماء عرس قانا وهو يحكي لكم: كيف تحوَّلت المياه إلى عناصر الخمر السرِّي؟ ليكشف بها المسيح كأول معجزة معنى حياته ووجوده، وكيف أُعطي للإنسان أن يحوِّل عناصر الماء إلى عناصر الخلود؟ فالمسيح جاء ليُجلِّي الطبيعة أينما سار وكلما صنع، لأن الطبيعة بعد أن أخذها المسيح في ذاته تأهَّبت أن تكشف سر الله فيها وتهب سرّها للارتفاع والخلود. وبالنهاية صار المسيح خبز حياة حتى بها نتحوَّل إليه:

+ «أنا هو خبز الحياة. آباؤكم أكلوا المَنَّ في البريَّة وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء. لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم.» (يو ٦: ٤٨-٥١)

إن معجزة الخمس خبزات والسمكتين كانت عيِّنة تجلِّي للطبيعة ليكشف فيها المسيح عنصر الحياة التي جاء ليعطيها، ولقد بدأ بالخبز المادي وحوَّله أمام أعين الآلاف ليُخضِع الآية للرؤيا والأكل والتاريخ!! ومَنْ يصدِّق أن البركة والحياة تؤكل أكلاً!؟ ومَنْ يستطيع أن يصدِّق أن الخمس خبزات عدداً ينفسخ منها العدد ويتوه عن الذهن ويُلغى بواسطة البركة ليزداد الخبز بدون أرقام ولا حدود كيفما شاء الكاسر والموزع والآكل! وهذه العملية الروحية السريَّة التي ألغى بها المسيح محدودية الأعداد والأرقام أخفاها، إذ لم يوزِّع الأرغفة كأرغفة بل كسرها كسراً حتى يضيع معالم الرقم - أي المحدودية - وينطلق الخبز بالبركة إلى ما لا يُعدّ ولا يُحصى!! لذلك يُصِرُّ القديس لوقا على القول بالنسبة للخبز وباركها εὐλόγησεν αὐτούς لكي تقع البركة على الخبز مباشرة ليخرج من دائرة الرقم والمحدود.

المشي على الماء

[١٤: ٢٢-٣٣]

(مر ٦: ٤٥-٥٢)،
(يو ٦: ١٥-٢١)

١٤: ٢٢ «وَلِلْوَقْتِ أَلْزَمَ يَسُوعُ تَلاَمِيذَهُ أَنْ يَدْخُلُوا السَّفِينَةَ وَيَسْبِقُوهُ إِلَى الْعَبْرِ حَتَّى يَصْرِفَ الْجُمُوعَ».

«وللوقت ألزم يسوع تلاميذه»: εὐθέως ἠνάγκασεν

ولأول وهلة يندهش الإنسان لماذا هنا كلمة للوقت وكلمة ألزم؟! ق. متى اختزل القصة، وبذلك يستحيل فهم هذه العجلة في الأمر مع الإلزام؟ فالقصة مثيرة جداً، وتدخل في اعتبارات هامة للغاية، والوحيد الذي أدركها ولم يُعلّق عليها هو ق. يوحنا، إذ يحكي أن الجموع تأثروا جداً من آية الخمس خبزات وقاموا بثورة واختطفوا المسيح لينادوا به ملكاً. والأدهى من هذا أن التلاميذ، على ما يبدو، أنهم انضموا إليهم لأن على أيديهم كانت الآية، وهي آية منصوص عنها أنها مسيَّانية. فإزاء هذا الموقف الشاذ الذي يتعارض مع مشيئة المسيح، أسرع وألزم تلاميذه بركوب المركب بنوع من الأمر القاطع حتى يتفرَّغ على انفراد بإقناع الجموع: «فلمَّا رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبيُّ الآتي إلى العالم! وأمَّا يسوع فإذ عَلِمَ أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً، انصرف أيضاً إلى الجبل وحده» (يو ٦: ١٤و١٥). ولم يشأ يوحنا أن يكشف وضع التلاميذ، ولكن الذي كشف وضع التلاميذ هو ق. مرقس الذي أخذ عنه ق. متى باختصار: «وللوقت ألزم تلاميذه أن يدخلوا السفينة» (مر ٦: ٤٥). وهذا يكشف في الحال أن المؤامرة اشترك فيها التلاميذ، ولكن المسيح أسرع وفصل تلاميذه وألزمهم بركوب السفينة حتى يصرف الجموع، الذين ولابد احتاجوا إلى السلطان أيضاً، لأن الشعب الجامح صعب المراس.

١٤: ٢٣ «وَبَعْدَمَا صَرَفَ الْجُمُوعَ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ مُنْفَرِداً لِيُصَلِّيَ. وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ كَانَ هُنَاكَ وَحْدَهُ».

كانت تجربةً، استطاع الشيطان أن يقنع الجموع لا أن يؤمنوا بالمسيح لينالوا على يديه الخلاص، ولكن، ومرَّة أخرى، لكي يعطيهم الخبز في القفر. فالتجربة التي أخرس بها المسيح الشيطان عاد الشيطان بواسطة الشعب البسيط يعرضها عليه - وهو مختفي فيهم - بهيئة مُلك المسيَّا، وما المانع؟

والسبب أنهم أكلوا خبزاً بلا خبز، وكأنه حوَّل لهم الحجر أو الرمل خبزاً حسب هوى الشيطان. كانت تجربة خطرة لإبطال الصليب، فأسرع المسيح وبسلطانه انتهر الفكر الذي ركب أدمغتهم، وخرج إلى الجبل بذاته ليصلِّي مرَّة أخرى. ولكن هل يُلام التلاميذ؟ طبعاً، إنه فكر طارئ مهوِّش لم يأمر به المسيح. فهو عمل يخرج تماماً عن الطاعة بل يُحسب ثورة ضد إرادة المسيح.

٢٤:١٤ «وَأَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ قَدْ صَارَتْ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ مُعَذَّبَةً مِنَ الأَمْوَاجِ. لأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ مُضَادَّةً».

لا ننسى هنا انحراف التلاميذ وراء فكر الشيطان، وهكذا أعطاه التلاميذ موضعاً فيهم وفي مركبهم. فلا مانع من إظهار سلطانه بإثارة الهواء والبحر هذه المرَّة لتخويفهم. فالسفينة أبحرت قبل حلول الظلام، واتجهت نحو الغرب نحو الشاطئ الغربي للبحيرة حيث مدينة كفرناحوم وباقي المدن. والريح هبَّت ولكن بالاتجاه المضاد، أي من غرب إلى شرق، فكلما جذَّفت السفينة مترين ترجع متراً، وهكذا صار التجديف صعباً للغاية بسبب الريح المضادة، وصارت السفينة وكأنها لا تسير. أدرك المسيح هذا بروحه وليس من رؤية، لأنها استحالة فالظلام قد حلَّ، والبحيرة عرضها ثمانية أميال، أي كانوا على بُعْد ثلاثة أو أربعة أميال على الأقل. ولكن لأن التلاميذ كانوا يصلُّون ويصرخون باسم المسيح سمعهم بروحه وبدأ يتحرَّك.

٢٥:١٤ «وَفِي الْهَزِيعِ الرَّابِعِ مِنَ اللَّيْلِ مَضَى إِلَيْهِمْ يَسُوعُ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ».

وهنا يلزم أن نستشير كلاً من ق. يوحنا وق. مرقس، لأن ق. يوحنا كان يركِّز على المسيح: «فدخلوا السفينة وكانوا يذهبون إلى عَبْرِ البحر إلى كفرناحوم. وكان الظلام قد أقبل، ولم يكن يسوع قد أتى إليهم. وهاج البحر من ريحٍ عظيمةٍ تهبُّ. فلمَّا كانوا قد جذَّفوا نحو خمسٍ وعشرين أو ثلاثين غلوةً، نظروا يسوع ماشياً على البحر مقترباً من السفينة، فخافوا» (يو ٦: ١٧-١٩). ومن هذا نعرف أنهم كانوا قاصدين كفرناحوم وكان هياج البحر عظيماً، وأن الليل والظلام والشيطان كان يخيِّم على البحيرة، وأن السفينة كانت قد قطعت نحو خمسٍ وعشرين غلوة أو ثلاثين. والغلوة ١/٨ ميل، بمعنى أن السفينة قد ابتعدت نحو ثلاثة أو أربعة أميال من الشاطئ.

أمَّا وصف ق. مرقس فكان هكذا: «وللوقت ألزم تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوا إلى العَبْرِ، إلى بيت صيدا، حتى يكون قد صرف الجمعَ. وبعدما ودَّعهم مضى إلى الجبل ليصلِّي. ولمَّا صار المساء كانت السفينة في وسط البحر، وهو على البرِّ وحدَهُ. ورآهم معذَّبين في الجذف، لأن الريح كانت ضدَّهم.» (مر ٦: ٤٥-٤٨)

«وفي الهزيع الرابع»: τετάρτῃ δὲ φυλακῇ

الهزيع الأخير من الليل، وهو يبتدئ من الساعة الثالثة إلى الساعة السادسة صباحاً بحسب تقسيم الزمن لبومبي، فقد اتفق اليهود مع الرومان على تقسيم الليل إلى أربعة أقسام كل قسم ثلاث ساعات، وكان قبلاً ثلاثة أقسام كل قسم أربع ساعات.

وفي هذا الميعاد انحدر المسيح من الجبل ومضى إليهم سائراً على الماء، وهو أصعب من الاقتراح الذي قدَّمه الشيطان للمسيح أن يطرح نفسه من على جناح الهيكل ليهبط رويداً رويداً وكأنه يسير في الهواء. وها هنا المسيح وبلا شيطان ولا تجربة يسير على الماء، وهو أصعب من الانحدار في الهواء من علٍ. ولم تكن رحلة استعراض، بل رحلة إنقاذ، فالسفينة بمَنْ فيها لعب بها الشيطان والبحر والريح معاً. ومع أن الريح أيضاً كانت مضادَّة للمسيح ولكنه في الحال وصل بالقرب من السفينة، ورأوه فانزعجوا لأن الأمر فوق تصوُّرهم، مع أنه سبق وأن أمر الريح والبحر أمامهم فأُسكتت الريح وانخرس البحر الهائج (انظر: مت ٨: ٢٣-٢٧). هنا امتطى المسيح الهواء سائراً بنوع من إخضاع الطبيعة لضرورة إنقاذ الذين أشرفوا على الغرق. فلم يكن السير على الماء إلاَّ ركوب الخطر لإخضاعه، كما يمتطي الإنسان حصاناً جامحاً ليوقف جموحه. وهو منظر إيماني كبير يصلح للكنيسة أن تضعه فوق المنارة ليراه ويؤمن به كل منزعج وكل مَنْ كان في خطر، أو تكون قد داهمته الطبيعة بكوارثها لينتهر الريح والبحر بقوة "الاسم". ثم هذا هو المسيح بالنسبة للكنيسة التي تتقاذفها أمواج العالم العاتي وهي في اضطراب عظيم تنتظر مجيئه في الهزيع الرابع، لأن الظلمة ادلهمَّت والريح عاصف والبحر جامح بالضد. لن نراه خيالاً بل سنمسك به ونلزمه أن يدخل السفينة!! وقد سجَّلها ق. مرقس هكذا:

+ «فلمَّا رأوه ماشياً على البحر ظنوه خيالاً، فصرخوا. لأن الجميع رأوه واضطربوا. فللوقت كلَّمهم وقال لهم: ثقوا أنا هو، لا تخافوا. فصَعِدَ إليهم إلى السفينة فسكنت الريح. فبُهِتوا وتعجَّبوا في أنفسهم جداً إلى الغاية.» (مر ٦: ٤٩-٥١)

١٤: ٢٦و٢٧ «فَلَمَّا أَبْصَرَهُ التَّلاَمِيذُ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ اضْطَرَبُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ خَيَالٌ. وَمِنَ الْخَوْفِ صَرَخُوا! فَلِلْوَقْتِ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً: تَشَجَّعُوا! أَنَا هُوَ. لاَ تَخَافُوا».

فلمَّا رآه التلاميذ ماشياً على الماء اضطربوا وظنوه خيالاً φάντασμα (فانتوم = الشبح) ومن الخوف صرخوا. واضح أنهم حسبوه منظراً خلَّقته الريح والأمواج الثائرة، وإذ تبيَّنوه اعتبروه روحاً فصرخوا من الخوف.

وفي الحقيقة، نحن نرى في قصة مشي المسيح على الماء صورة واقعية توضِّح لنا القيامة. فجسد المسيح السائر فوق الماء في واقعه الحقيقي تحرَّر من الجاذبية الأرضية نهائياً، وهكذا انفصل عن الأرض وكأنه في الهواء، ولهذا رأينا خوف التلاميذ هنا يطابق خوفهم لمَّا دخل عليهم العليَّة، خافوا وظنوه روحاً مما اضطره أن يقول لهم: «ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكارٌ في قلوبكم؟ انظروا يديَّ ورجليَّ: إنِّي أنا هو. جسُّوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحمٌ وعظامٌ كما تَرَوْنَ لي» (لو ٢٤: ٣٨و٣٩). هذا يجعلنا نزداد اعتقاداً أن المسيح كان في حالة قيامة بالنسبة لجسده إلى أن دخل السفينة. وكانوا في البداية خائفين أن يدخل السفينة لظنِّهم أنه خيال. فلمَّا «أراد أن يتجاوزهم» (مر ٦:٤٨)، «رضوا أن يقبلوه في السفينة. وللوقت صارت السفينة إلى الأرض التي كانوا ذاهبين إليها» (يو ٦:٢١). أمَّا حركة: «أراد أن يتجاوزهم»، فنجدها تماماً مع تلميذي عمواس مع الرب القائم من بين الأموات، وهم لم يعرفوه بعد: «ثم اقتربوا إلى القرية (عمواس) التي كانوا منطلقين إليها **وهو تظاهر كأنه منطلق إلى مكان أبعد فألزماه** قائلين: امكث معنا ...» (لو ٢٤: ٢٨و٢٩)، بمعنى أنه رأى إن كانا لم يعرفاه بعد، فلماذا يذهب معهما. فلمَّا ألزماه التزم بالذهاب معهما. هكذا لمَّا صرخ التلاميذ في السفينة وقالوا إنه روح أراد أن يتجاوزهم، «فرضوا ἤθελον أن يقبلوه λαβεῖν في السفينة» (يو ٦:٢١). إذن، لا يمكن أن نتراجع في قولنا إن هذا الحدث يصوِّر القيامة، بل هو تحقيق عملي على مستوى الفعل المنظور لجسد القيامة وهو متحرِّر من الأرض وجاذبيتها. وعدم معرفتهم له ليست مستغربة، فهيئته لم تكن عادية بكل تأكيد. وقوله: «أنا هو لا تخافوا» هو لتحقيق شخصيته التي غابت عن أعينهم الجسدية عن اضطرار.

ويكمِّل لنا المشهد ق. مرقس: «فصعد إليهم إلى السفينة فسكنت الريح. فبُهِتوا وتعجَّبوا في أنفسهم جداً إلى الغاية. لأنهم لم يفهموا بالأرغفة إذ كانت قلوبهم غليظة ...» (مر ٦: ٥١و٥٢). فماذا يقصد هنا ق. مرقس بقوله: «لأنهم لم يفهموا بالأرغفة إذ كانت قلوبهم غليظة»؟ المعنى سرِّي، وهذا دائماً دأب ق. مرقس أن يضع الكلام حاملاً السرَّ ويعبر إلى غيره. السرّ هنا أن المسيح كان في معجزة الخمس خبزات لمَّا كان يكسر ويعطي كان يوقِّع ذلك على "سر الجسد": «**الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم**» (يو ٦:٥١). المسيح في معجزة الخمس خبزات كان يوقِّع على الحادثة، والمعجزة واقع موته وإمكانية إعطاء الخبز الذي يكفي العالم وليس الخمسة آلاف فقط. فبحسب فطنة ق. مرقس أنهم لم يفهموا بالأرغفة سرَّ موته وسرَّ كسر الخبز، ففات عليهم سرُّ قيامته وظنوه خيالاً!

١٤: ٢٨-٣١ «فَأَجَابَهُ بُطْرُسُ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هُوَ، فَمُرْنِي أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ عَلَى الْمَاءِ.

فَقَالَ: تَعَالَ. فَنَزَلَ بُطْرُسُ مِنَ السَّفِينَةِ وَمَشَى عَلَى الْمَاءِ لِيَأْتِيَ إِلَى يَسُوعَ. وَلكِنْ لَمَّا رَأَى الرِّيحَ شَدِيدَةً خَافَ. وَإِذِ ابْتَدَأَ يَغْرَقُ، صَرَخَ قَائِلاً: يَا رَبُّ نَجِّنِي. فَفِي الْحَالِ مَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ وَقَالَ لَهُ: يَا قَلِيلَ الإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَكْتَ؟».

عسيرة جداً على بطرس والتلاميذ وعلينا نحن خبرة القيامة، لازالت الأرض تشدُّنا إليها ونحن لا نمارس وجودنا الحقيقي مع المسيح بعيداً عن الأرض والعالم. فطالما نظن أن بالخبز وحده يحيا الإنسان فما لنا والحياة بدون خبز، وطالما نحس بالأرض تحت أرجلنا فنثق أننا نعيش فكيف نرتفع عن الأرض ولا نخاف، أو كيف نسير على الماء وأجسادنا ثقيلة! وإن كان بطرس قد رأى المسيح خيالاً فالأمر الذي أخذه منه لا يزال خيالاً. الريح العاصف كشفه إذ لمّا تعامل معه نسي أن له سنداً أقوى من الريح العاصف. في البداية إذ وثق من أن المسيح أمامه بدأ يسير على الماء يسنده الإيمان، ولكن لمّا اشتدَّت الريح اختفى الإيمان بالمسيح ودخله الشك! الشك في ماذا؟ في وجود المسيح. وهذا هو مصير الإيمان بالعيان أي بالمنظور والملموس. فلمَّا ابتدأ يشك ابتدأ يغرق، فطلب النجاة خوفاً من الموت، ولكن ولو أنه تمسَّك بأمر المسيح و لم يخف من الموت ما غرق!

ولكن ألا ترى معي، عزيزي القارئ، أن تصريح المسيح لبطرس أن يأتي إليه ماشياً على الماء تصريح لنا أن نطيع أمر المسيح، وبآن واحد أن نطأ الخوف من الموت ونستهين من الموت ذاته!! المسيح كان ولا يزال واقفاً على الماء وسط الريح العاصف لنصرخ إليه فتمتد يده لانتشالنا من الغرق. هذا هو المسيح القائم من الأموات له سلطان النجاة وحتى الإقامة من الموت.

وبقيت صورة بطرس هي هي: بطرس أنكر، بطرس غرق! والرب هنا مد يده وأمسك به، والرب هناك صلّى من أجله لكي لا يفنى إيمانه! بطرس عمله أقل من إيمانه وقوله أكثر من عمله.

المسيح قال لمرثا: «أنا هو القيامة والحياة ... أتؤمنين بهذا» (يو ١١: ٢٥و٢٦)، فلمَّا قالت: نعم، قام أخوها!! في الطريق قال المسيح لرئيس المجمع لمّا قالوا له ابنتك قد ماتت لا تتعب المعلِّم، قال له: «لا تخف آمن فقط» (مر ٥:٣٦)، فقامت الصبية.

والمسيح لا يزال نصيحته الوحيدة: لا تخف آمن فقط لتذوق النصرة العجيبة!!

١٤:٣٢و٣٣ **«وَلَمَّا دَخَلاَ السَّفِينَةَ سَكَنَتِ الرِّيحُ. وَالَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ جَاءُوا وَسَجَدُوا لَهُ قَائِلِينَ: بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللهِ!»**

كان منظر المسيح وهو سائر على الماء كمَنْ يمسك بأعنَّة الرياح والأمواج ليُخضعها تحت سلطانه،

فخضعت أمام أعين التلاميذ. أمَّا هو فكان يسير على الماء وسط العاصف والموج الهائج لا يبالي من جهة نفسه. ولكن لمَّا صعد إلى السفينة قبض على زمام الرياح والأمواج وجذبها فهدأت. إنه سيد الطبيعة وصديق الإنسان، المسيح الذي جاء ليُخضع الطبيعة مرَّة أخرى تحت أرجل الإنسان. وفي إنجيل ق. يوحنا يقول: إنه بمجرَّد أن وطأت قدم المسيح السفينة وُجِدَت لساعتها على الشاطئ إلى الجهة التي أرادها. وهكذا انطوى الزمن تحت الضبط أيضاً مع الرياح والأمواج ليكشف عن سلطان ابن الإنسان.

«وسجدوا له قائلين: بالحقيقة أنت ابن الله»!

تحصيل حاصل، لمَّا رأوا خضوع الماء والرياح والزمن أدركوا فيه سر الخالق. كان هذا رد اعتبار لِما كانوا مزمعين أن يخطئوا به إليه عندما فكَّروا مع الجمع أن يختطفوه ويجعلوه ملكاً للخبز البائد. الآن وبعد مظهر القيامة المذهل للعقل أدركوا أنه مسيًّا حقًّا وابن الله.

أشفية على بحيرة جنيسارت

[١٤: ٣٤-٣٦] (مر ٦: ٥٣-٥٦)

١٤: ٣٤-٣٦ «فَلَمَّا عَبَرُوا جَاءُوا إِلَى أَرْضِ جَنِّيسَارَتَ، فَعَرَفَهُ رِجَالُ ذلِكَ الْمَكَانِ. فَأَرْسَلُوا إِلَى جَمِيعِ تِلْكَ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ وَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ الْمَرْضَى، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا هُدْبَ ثَوْبِهِ فَقَطْ. فَجَمِيعُ الَّذِينَ لَمَسُوهُ نَالُوا الشِّفَاءَ».

جنيسارت هي باللغة الأرامية مختصر "جنة السرور". وهي حقًّا أرض جميلة حول البحيرة جنوب كفرناحوم. أرض خصبة كلها خضرة بطول ثلاثة أميال على البحيرة وبعرض ميل ونصف غرب البحيرة. وبحسب يوسيفوس فهي تنتج محاصيل نادرة مثل الجوز (عين الجمل) والبلح والتين والزيتون والعنب. وقد بقي المسيح عندهم فترة فنالوا على يديه البركة والشفاء والتعليم. وواضح أن مِنْ تعلُّقهم به أرسلوا رسلاً إلى كل الكور المحيطة يدعون بقية الشعب للمجيء ونوال البركة. فجاءوا على عجل بمجموعات بالنساء والأطفال، وكانوا قد تعرَّفوا على المسيح في مرَّات سابقة وأحبُّوه. وكان لهم إيمان قوي بالمسيح إذ كانوا قد اكتفوا بلمس أهداب ثوبه لنوال الشفاء. أمر بديع حقًّا من شعب مُحب وبسيط. والتقرير مدهش حقًّا أن كل الذين لمسوه نالوا الشفاء. وهكذا بقدر حبِّهم له وإيمانهم به لم يرتد مريضٌ واحدٌ خائباً.

الأصحاح الخامس عشر

- الطهارة الشكلية والنجاسة الحقيقية: غسل الأيدي (١٥: ١-٢٠)
- دفاع الكنعانية! (١٥:٢١-٢٨)
- شفاء الجموع (١٥:٢٩-٣١)
- إشباع الجموع للمرّة الثانية: إطعام الأربعة آلاف (١٥:٣٢-٣٩)

الطهارة الشكلية والنجاسة الحقيقية

غسل الأيدي

[١٥: ١-٢٠] (مر ٧: ١-٢٣)

١٥: ١و٢ «حِينَئِذٍ جَاءَ إِلَى يَسُوعَ كَتَبَةٌ وَفَرِّيسِيُّونَ الَّذِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: لِمَاذَا يَتَعَدَّى تَلاَمِيذُكَ تَقْلِيدَ الشُّيُوخِ، فَإِنَّهُمْ لاَ يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ حِينَمَا يَأْكُلُونَ خُبْزاً؟»

يبدو أن ذلك كان بعد عيد الفصح(١) وقد تجشَّموا أتعاب هذه الرحلة الطويلة لكي يثبتوا سلطانهم في وسط الشعب، عندما ترامت الأخبار عن خروج المسيح عن تقاليد الشيوخ. والشيوخ πρεσβυτέρων تعني إمَّا فئة معيَّنة "شيوخ الشعب" وهو الأكثر استخداماً، وإمَّا أجيال الآباء الأُول كما هي هنا. ولقد ترسَّخت تعاليم القدامى عن غسل الأيدي قبل كسر الخبز بالذات وليس أي طعام آخر، إذ اعتبروه طقس عبادة شكر لله الذي أعطى الخبز للإنسان. وقد امتد هذا الطقس ليدخل سر الإفخارستيا، إذ يلزم غسل الأيدي بالماء قبل البدء بكسر الخبز الذي أخَذَته الكنيسة بحروفه، حيث يترك الكاهن المذبح ويذهب إلى ركن الهيكل لكي يصب الشماس الماء على يديه ويغسلها وينشِّفها قبل البدء بصلاة القداس، التي هي مثيل كسر الخبز في الطقس القديم. ولكن في الأكل العادي لم يأخذ المسيح بهذا الطقس لأسباب سيقولها. والأصل في "تقليد الشيوخ" هو التعليم الوارد في (تث ١٧: ١٠): «فتعمل حسب الأمر الذي يخبرونك به من ذلك المكان الذي يختاره الرب، وتحرص أن تعمل حسب كل ما يعلِّمونك». وهكذا أصبح تعليم الشيوخ أشد تأثيراً من الناموس نفسه. أمَّا أصل العمل نفسه الذي أخرجوا منه تعليمهم في أكل الخبز هو ما جاء في سفر اللاويين: «وكل مَنْ مَسَّه ذو السيل ولم يغسل يديه بماء يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء» (لا ١٥: ١١). فاستخرجوا منها للاحتياط العام أن يغسل اليهودي يده قبل كسر الخبز. وصار هذا تقليداً παράδοσις معمولاً به، وهي الكلمة الطقسية المعمول بها في الكنيسة. فالتقليد جزء هام في التدبير الروحي: «فإنه في هذا شُهد للقدماء» (عب ١١: ٢). ويُلاحِظ القارئ لهجة الكتبة والفريسيِّين في سؤالهم للمسيح بنوع من سلطان التقليد الذي فاق الناموس، الذي لا يوجد له نص

---

(1) J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 304.

حقيقي في الوصايا. ولكن من أجل التقليد يمكن أن يناصب الفرِّيسي العداء للمخالف حتى الموت!

١٥ :٣-٦ «فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: وَأَنْتُمْ أَيْضاً، لِمَاذَا تَتَعَدَّوْنَ وَصِيَّةَ اللهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ؟ فَإِنَّ اللهَ أَوْصَى قَائِلاً: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَمَنْ يَشْتِمْ أَباً أَوْ أُمّاً فَلْيَمُتْ مَوْتاً. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ: مَنْ قَالَ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي. فَلاَ يُكْرِمُ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ. فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ!»

وهنا يقدِّم لهم المسيح مُساءلة فيها نقض حقيقي لوصية الله إزاء ادعائهم لنقض وصية الشيوخ، ويقدِّم لهم عملهم من حيث كسر الوصية عملياً بصورة تُهين الوصية وقائلها. فالوصية تقول: «أكرم أباك وأُمك ... ومَنْ شتم أباه أو أُمه يُقتل قتلاً (اختصار لُيحكم عليه ويُقضَ عليه بالموت)» (خر ٢٠:١٢، ٢١:١٧)(٢)، وأمَّا تقليدهم فيقول: إنه إذا كان على الإنسان أن يعطي أباه أو أُمه جزءاً من المال، فإذا قدَّمه قرباناً لله بدل أبيه وأمه فليس عليه أن يعطيهم بعد شيئاً. وبهذا أصبح عدم التكريم فعلاً عدائياً وليس مجرَّد عدم تكريم. وهو بهذا يختبئ وراء الهيكل ليُهين أباه وأُمه. وهكذا كسروا الوصية الخامسة.

والمعنى هنا شنيع وفيه تحدٍّ وحرمان لأصحاب الحق، فبحسب فتوى الفريسيِّين يمكن أخذ نصيب الوالدين ودفعه في الهيكل! مثلهم مثل إنسان مشاكس اختلس مالاً من إنسان وذهب وتحسَّن به على فقير. مَنْ يطيق هذا التصرُّف! هذا هو منطق الفريسيِّين تماماً، إذا وَضَعْتَ في الخزانة في الهيكل ما كنت تعطيه لأبيك أو أُمك أصبحت غير ملتزم لهم بشيء. يا للعار!! وطبعاً ذلك لأن المال سيصيب الفريسيين منه نصيبٌ!

١٥ :٧-٩ «يَا مُرَاؤُونَ! حَسَناً تَنَبَّأَ عَنْكُمْ إِشَعْيَاءُ قَائِلاً: يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً. وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ».

وهكذا أفحم المسيح هؤلاء الكتبة وكأنه يقول لهم: سواء تلاميذي تعدُّوا وصايا الناس أم لا، لكن أنتم قد تعدَّيتم على وصية الله بتعاليمكم، وهكذا كان كلام إشعياء عنكم حقـًّا (إش ٢٩:١٣). إن عبادة الشعب أصبحت كلاماً، وتكريم الله بالفم، أمَّا عبادة القلب وتكريم الله بالروح فقد طمسوها بتعاليمهم الميِّتة.

---

(٢) هذه الوصية ذات أعماق تكشف عن حكمة الله في وصاياه. فالأولاد إنما استمدوا حياتهم من والديهم والحياة تنتهي عند اللعنة. فاللعنة بمستوى حكم الموت. وهكذا الذي يلعن أباه وأُمه يستحق الموت بلا رحمة!!

والمُلاحَظ أن نبوَّة إشعياء لمَّا حوَّلت العبادة إلى الفم والشفة لم تعد عبادة بالمرَّة، وهو الاصطلاح الذي أطلقه المسيح على هؤلاء الفريسيِّين «يامراؤون». فالرياء هو عمل شئ ظاهر مخالف لواقع داخلي. فالمسيح يلحم قوله بقول إشعياء في إضفاء نوع العبادة التي يمارسونها.

١٥: ١٠و١١ «ثُمَّ دَعَا الْجَمْعَ وَقَالَ لَهُمْ: اسْمَعُوا وَافْهَمُوا. لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ، بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ هذَا يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ».

لقد أعطاهم ظهره ونادى الجمع ليشرح لهم كذب ادعَّاء الفريسيِّين أن غسل الأيدي يطهِّرها (ناموسيًّا). المسيح لا يتكلَّم هنا عن النجاسة أو الطهارة القانونية التي هي للعبادة، بل عن الطهارة والنجاسة الخلقية التي تخص حياة الإنسان أمام الله: «ما طهَّره الله لا تدنسه أنت» (أع ١٠: ١٥)، «لأنه إن كان دم ثيرانٍ وتيوسٍ ورمادُ عِجْلَةٍ مرشوشٌ على المُنجَّسين، يُقدِّس إلى **طهارة الجسد**، فكم بالحريِّ يكون دمُ المسيح، الذي بروحٍ أزليٍّ قدَّم نفسه لله بلا عيبٍ، **يُطهِّر ضمائركم** من أعمالٍ ميِّتةٍ لتخدموا الله الحيِّ»! (عب ٩: ١٣و١٤)، «مانعين عن الزواج، وآمرين أن يُمتَنَعَ عن أطعمةٍ قد خلقها الله لِتُتَنَاوَل بالشكر، من المؤمنين وعارفي الحقِّ. لأن كل خليقة الله جيدةٌ، ولا يُرفَضُ شيءٌ إذا أُخذ مع الشكر، لأنه يُقدَّس بكلمة الله والصلاة.» (١تي ٤: ٣-٥)

إذن، فبحسب كلمة المسيح إن أي آكل بأيدٍ غير مغسولة لا يُنجِّس الإنسان، الذي يُنجِّس الإنسان اللسان غير المغسول بالنعمة والكلمات القبيحة والمؤذية والتي تجلب الشر والغضب، هذه إذا خرجت من الفم تُنجِّس الإنسان كله. فالمسيح هنا لا يقاوم ترتيبات موسى الناموسية ولكنه يوعِّي الشعب عن الذي يُنجِّس الإنسان أمام الله.

١٥: ١٢-١٤ «حِينَئِذٍ تَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَقَالُوا لَهُ: أَتَعْلَمُ أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ لَمَّا سَمِعُوا الْقَوْلَ نَفَرُوا؟ فَأَجَابَ وَقَالَ: كُلُّ غَرْسٍ لَمْ يَغْرِسْهُ أَبِي السَّمَاوِيُّ يُقْلَعُ (الزوان). اُتْرُكُوهُمْ. هُمْ عُمْيَانٌ قَادَةُ عُمْيَانٍ. وَإِنْ كَانَ أَعْمَى يَقُودُ أَعْمَى يَسْقُطَانِ كِلاَهُمَا فِي حُفْرَةٍ».

التعليم هنا ينصبُّ على ما يغرسه الله من أقوال ومن أشخاص لهم سمة الملكوت وخدمته، وما يغرسه الناس من أقوال وأشخاص يعملون لأهداف غير الله والملكوت والحياة الأبدية. والقلع هنا قلع من الأرض وقلع من السماء فلا يعود يوجد له أثر عين. لأن كل صنعة الإنسان التي ليست لحساب الملكوت إلى زوال. أمَّا الذي يغرسه الآب فَهُمْ: «...مغروسين في بيت الرب في ديارِ إلهنا يزهرون. أيضاً يُثمرون في الشَّيْبَةِ، يكونون دِسَاماً وخضراً ليخبروا بأنَّ الربَّ مستقيمٌ، صخرتي هو

ولا ظُلمَ فيه.» (مز ٩٢: ١٣-١٥)

هنا الأعمى هو فاقد لرؤية الله الذي يرى ما لا يُرى، ينظر ولا يعي، رُفعت عنه قوة الإبصار والبصيرة الروحية. يرى النور ظلاماً ويسير نحو النهاية المحتومة. فالحفرة هي جهنم يسعى إليها برجليه ومعه مَنْ يستمع إليه ويتعلَّم منه. مصير محزن وكئيب لحكماء صهيون الذين استؤمنوا على النور فأطفأوه بأيديهم، واستؤمنوا على عهد الله فمزَّقوه على الصليب بلا سبب! حفروا للمسيح حفرة فقام منها وسقطوا هم ولم يقوموا.

١٥:١٥-٢٠ «فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: فَسِّرْ لَنَا هذَا الْمَثَلَ. فَقَالَ يَسُوعُ: هَلْ أَنْتُمْ أَيْضاً حَتَّى الآنَ غَيْرُ فَاهِمِينَ؟ أَلاَ تَفْهَمُونَ بَعْدُ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يَمْضِي إِلَى الْجَوْفِ وَيَنْدَفِعُ إِلَى الْمَخْرَجِ، وَأَمَّا مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ فَمِنَ الْقَلْبِ يَصْدُرُ، وَذَاكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ، لأَنْ مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شِرِّيرَةٌ: قَتْلٌ، زِنىً، فِسْقٌ، سِرْقَةٌ، شَهَادَةُ زُورٍ، تَجْدِيفٌ. هذِهِ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. وَأَمَّا الأَكْلُ بِأَيْدٍ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ فَلاَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ».

بطرس يسأل وكأن المسيح قد قال مَثَلاً وهو ليس مَثَلاً على الإطلاق، والمسيح تعجَّب كيف أنهم لم يفهموا قوله. فالمسيح في المواجهة السالفة مع الفريسيِّين بخصوص الأكل بأيدٍ غير مغسولة استخلص من الفريسيِّين أن تعاليمهم هي وصايا الناس، تختص بالأكل والشرب وغسل الأيدي، أمَّا وصايا الله التي تختص بعبادة القلب فأهملوها. وإشعياء ينعي حالهم أن عبادتهم صارت مثل وصاياهم وتعاليمهم من الفم والشفتين فقط. إذن، فالمسيح هنا استخلص من مقاومة الفريسيِّين مقارنة صارخة بين عبادة الفم والشفتين التي تمثلها وصايا الأكل بأيدٍ مغسولة، وبين عبادة القلب وتمثلها الرحمة والعطف والمحبة. فسؤال بطرس أنقص من حق المسيح في التعليم حقَّا. وهنا عاد المسيح يشرح ويضع المقارنة نفسها: ما يدخل الفم إلى المعدة إلى الخارج، وما يخرج من القلب إلى الفم إلى آذان الناس. الأول مهما كان بغير غسل لا ينجِّس، أمَّا الثاني فينجِّس لأنه سيكشف انحراف القلب بعيداً عن الحق والإيمان والله.

إذن، فالمطلوب ليس تطهير اليد للأكل بأيدٍ مغسولة، بل تطهير القلب بالإرادة المقدَّسة والمشيئة الطاهرة لكلام القداسة والطهارة والصلاح، مضافاً إليه السلوك بالحق وعدم شهادة الزور والغش والتجديف سواء نحو الله أو نحو الإنسان، وتعني تشويه السمعة لهدم الآخرين. وبالتالي يكون الاهتمام والإرادة والمراجعة هي في السعي لتطهير القلب وليس لتطهير اليد، للاهتمام بالروح وليس بالجسد.

دفاع الكنعانية!

[١٥: ٢١-٢٨] (مر ٧: ٢٤-٣٠)

١٥: ٢١-٢٥ «ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: ارْحَمْنِي يَا سَيِّدُ يَا ابْنَ دَاوُدَ. ابْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا. فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: اصْرِفْهَا، لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا! فَأَجَابَ وَقَالَ: لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ. فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: يَا سَيِّدُ أَعِنِّي!».

لم يدخل المنطقة ولكن كان قريباً منها، فلم يخترق حدود أرض كنعان لذلك لم يكن داخل منطقة صور وصيدا(٣)، ولكن المرأة هي التي خرجت من التخوم ودخلت حدود الجليل وسعت وراء المسيح. والمرأة كانت تسير وراءهم ولكن من على مسافة تحشماً ومهابة. ولكن صمت المسيح هو الذي جعلها تتجرأ وتصرخ وتنادي المسيح بلقبه المحبوب المعروف لدى الأُميين القريبين من إسرائيل: «ابن داود». ولكنه بالرغم من ذلك كله لم يخرج عن صمته.

واضح هنا أن حال المرأة كان يستدر العطف، فقد تبنَّت آلام ابنتها وصراخها وحالها الفاقد للرجاء، فعملت المستحيل لتوضِّح سؤال قلبها. فالتلاميذ من تأثُّرهم ترجُّوا الرب حتى تكف عن صياحها من ورائهم، وقولهم اصرفها بمعنى أعطها سؤال قلبها لعلَّها تعود بسلام، رحمة بها وبنا.

فأجاب المسيح تلاميذه ليذكِّرهم بحدود كرازتهم أن لا تتعدَّى حدود إسرائيل وخرافه الضالة. ويبدو أنها سمعت ردّ المسيح فتجرَّأت وأسرعت وسجدت أمامه وألقت بسهمها الأخير، إذ لمَّا سمعت أنه لا يستجيب إلاَّ لخراف إسرائيل تقدَّمت كنعجة أهانها الشيطان تستصرخ طلباً لرحمة إله إسرائيل، إذ سجدت أمامه سجود عبادة قبل أن يكون توسُّلاً! وهكذا بجرأة إيمانها القوي اخترقت حدود إسرائيل وملك إسرائيل، ودخلت الحضرة كمندوبة فوق العادة عن نصيب الأُمم في الخلاص المزمع أن يكون. فإن كان الشيطان احتال على ابنتها وأهانها، فهي احتالت على الذي في يديه أن يُخرجه عنوة ويهينه! لذلك فإن صَمْت المسيح ميَّالاً إلى الرفض غلبته المرأة بجرأتها وإيمانها، إذ أثبتت

(3) J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 208, H.A.W. Meyer, *op. cit.*, pp. 283 f.

أنها على مستوى البنين.

١٥: ٢٦-٢٨ «فَأَجَابَ وَقَالَ: لَيْسَ حَسَناً أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ. فَقَالَتْ: نَعَمْ يَا سَيِّدُ. وَالْكِلاَبُ أَيْضاً تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا. حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ. فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ».

هنا أفصح المسيح عن العائق الوحيد، وهو أنه ملتزم بالبنين، وخبز البنين للبنين، فإن كان قد قُدِّم لقائد المئة فلأنه «يحب أُمتنا وهو بنى لنا المجمع» (لو ٧: ٥)، فهو صديق البنين. بادرها المسيح بهذا الصدود لكي يستدرجها لتشرح حجتها وهو عالم أنه حتماً سينصفها. أمَّا هذه ففي الحال طرحت حجتها، إذ لكل مائدة فتات والفتات ليس من نصيب البنين، ورُبَّ فتات يفوق في حجمه الخبز، والاثنتا عشرة قفة تشهد ببركة المسيح التي طالت ما بعد البنين. فرؤية المرأة دخلت في صميم رسالة المسيح بل واقتحمت لاهوت الخلاص: «لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بُعد ...» (أع ٢: ٣٩). فالنور يتعدَّى الحدود ويغزو حاجز الظلمة، أليس هو أصلاً «نور إعلان للأُمم ومجداً لشعبك إسرائيل» (لو ٢: ٣٢). صحيح أن الخلاص مصنوع بيد اليهود فقد اضطلعوا بمهمة الصلب، ولكن الجسد هو مِلْك العالَم كلّه.

كانت حجة الكنعانية أقوى من مطلبها وأوسع من محيط سؤالها. إنها قدَّمت دفاعاً مشروعاً للأُمم، فتخصيص الخبز للبنين وحدهم فيه إجحاف للجائعين، وهل مَنْ عرف الرحمة أن يفيض الخبز من الشباعى ويموت الجياع؟ صحيح أن خبز القدس لا يُطرح للكلاب، ولكن إن فاض عن المقدَّسين صار من حق الجائعين. وألم يأكل داود والذين معه خبز الوجوه الذي لا يليق أكله إلاَّ للمقدَّسين؟ الكنعانية لم تذهب إلى كفرناحوم لتُقاسم البنين خبز ديارهم، بل المسيح هو الذي عبر إليهم فأصبح لهم عليه دالة أن يُطالبوه بثمن الضيافة، نعم ليسوا بنين، ولكن بوجوده في وسطهم أفسح لهم أن يطلبوا ما للبنين، فلولا أنه مرَّ ببيت الكنعانية ما خرجت الكنعانية إليه. ليست من البنين نعم، ولكن مسألتها عنده، وعنده وحده. فكيف يتجاوزها! ولو لم يقل لها حجَّته أن الخبز للبنين وليس للكلاب ما ألزمته بحجتها أن فائض الخبز عن البنين هو بطبيعته من نصيب الكلاب. وهي لم تعترض على ما للبنين ولا على ما هو ليس للكلاب، ولكن أدخلت عنصر الفائض عن البنين الذي لم يكن في حساب المسيح، فسلَّم لمطلبها واستحسن منطقها.

والقديس مرقس يزيد أن المسيح اعتبر كلمتها «والكلاب أيضاً تحت المائدة تأكل من فتات البنين» (مر ٧: ٢٨) أنها بلغت القوة ما يجعلها قادرة أن تُخرج بإيمانها الشيطان من ابنتها: «**لأجل هذه الكلمة** اذهبي قد خرج الشيطان من ابنتكِ» (مر ٧: ٢٩)، الذي جعله ق. متى ما يساوي «يا امرأة **عظيم إيمانكِ** ليكن لكِ كما تريدين. فشُفيت ابنتها من تلك الساعة».

وفي الحالين نجد المرأة الكنعانية استطاعت أن تغتصب حقّها من بين أسنان البنين، وبانتصار الكنعانية انتصر حق الأُمم ليبلغ مستوى حق البنين(٤).

شفاء الجموع

[١٥: ٢٩-٣١] (مر ٧: ٣١-٣٧)

١٥: ٢٩-٣١ «ثُمَّ انْتَقَلَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى جَانِبِ بَحْرِ الْجَلِيلِ، وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَجَلَسَ هُنَاكَ. فَجَاءَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ، مَعَهُمْ عُرْجٌ وَعُمْيٌ وَخُرْسٌ وَشُلٌّ وَآخَرُونَ كَثِيرُونَ، وَطَرَحُوهُمْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ. فَشَفَاهُمْ حَتَّى تَعَجَّبَ الْجُمُوعُ إِذْ رَأَوْا الْخُرْسَ يَتَكَلَّمُونَ، وَالشُّلَّ يَصِحُّونَ، وَالْعُرْجَ يَمْشُونَ، وَالْعُمْيَ يُبْصِرُونَ. وَمَجَّدُوا إِلهَ إِسْرَائِيلَ».

هنا لم يذكر ق. متى معلومة غاية في الأهمية ذكرها ق. مرقس، أن هنا حدود الأرض الأُممية: «ثم خرج أيضاً من تخوم صور وصيداء وجاء إلى بحر الجليل في وسط حدود المدن العشر» (مر ٧: ٣١). وأضاف بعدها: «لأن الآن لهم ثلاثة أيام يمكثون معي وليس لهم ما يأكلون» (مر ٨: ٢). معنى هذا أن عمليات الشفاء استمرَّت ثلاثة أيام. ولم يذكر أن المسيح علّمهم، فهي كانت معجزات شفاء. وفي نهاية المعجزات ذكر أنهم: «يمجّدوا إله إسرائيل» مما يوضّح أنهم كانوا على حدود الأُمميين وهكذا اعتزُّوا بمجد إله إسرائيل! وكأنه تمايز فوق الأُمم.

والواقع هنا أن هذا هو شاطئ بحيرة طبرية الشرقي حيث توجد الجبال فعلاً(٥). وصعوده على الجبل ليعطي لنفسه الفرصة أن يكون مبتعداً قليلاً عن الجموع المتزاحمة. ويُلاحَظ أن الشعب نظّم نفسه وكانوا يُحضرون له المرضى إمَّا محمولين أو مسنودين. والجميل أن يذكر أنهم طرحوهم عند

(٤) للمؤلِّف عظة مسجَّلة تحت عنوان: "المرأة الكنعانية".

(5) H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 286.

قدمي يسوع كنوع من الخضوع وانتظار الرحمة مع الخشـوع. فكـانت بركـات كلها فائقـة وذات فعالية جعلت الكل - الذين كانوا من الأُمم - يمجِّد ويعترف بإلـه إسـرائيل الـذي أنعـم علـى شعبه المضروب والمهجور بهذه النعم (بمجيء مسيًّا)، كالأيام الأُولى حينما كـان متفوقاً علـى جميـع شعوب الأرض.

وهنا وجدها المسيح فرصة أن يتمِّم وعده: «ولي خراف أُخر ليست من هذه الحظـيرة ينبغي، أن آتي بتلك أيضاً، فتسمع صوتي، وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد.» (يو ١٠:١٦)

إشباع الجموع للمرَّة الثانية

إطعام الأربعة آلاف

[١٥:٣٢-٣٩] (مر ٨: ١-١٠)

١٥:٣٢-٣٤ «وَأَمَّا يَسُوعُ فَدَعَا تَلاَمِيذَهُ وَقَالَ: إِنِّي أُشْـفِقُ عَلَـى الْجَمْـعِ، لأَنَّ الآنَ لَهُـمْ ثَلاَثَـةَ أَيَّامٍ يَمْكُثُونَ مَعِي وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ. وَلَسْـتُ أُرِيدُ أَنْ أَصْرِفَهُـمْ صَائِمِينَ لِئَـلاَّ يُخَـوِّرُوا فِي الطَّرِيقِ. فَقَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: مِنْ أَيْنَ لَنَا فِي الْبَرِّيَّـةِ خُبْزٌ بِهـذَا الْمِقْـدَارِ، حَتَّـى يُشْـبِعَ جَمْعاً هذَا عَدَدُهُ؟ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: كَمْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْخُبْزِ؟ فَقَـالُوا: سَـبْعَةٌ وَقَلِيـلٌ مِـنْ صِغَارِ السَّمَكِ».

كانت الجموع متزاحمة وقد أبهرتها عمليـات الشـفاء المتتابعـة، فنسـوا أنفسـهم ونسـوا أكلهـم وشربهم. ولكن المسيح لاحظ ذلك فأشفق عليهم وهم جالسون حوله لا يأكلون ولا يشربون، وقد أشبعهم إحساس بعظمة إله إسرائيل في معاملته مع الأُمم، وفرحهـم الغـامر بجلوسـهم بجوار المسيح يتأمَّلون في كلماته ونظراته ولمساته، مناظر سماوية هي ليست من البشر في شيء. كان هـذا الشـعب الغريب على استعداد للبقاء بجواره أكثر لـولا العين الـتي تلمـح ضعـف الإنسـان وإجهـاده. وصمَّـم المسيح «لست أريد أن أصرفهم صائمين لئلاَّ يخوِّروا في الطريق. فقـال لـه تلاميـذه: مـن أيـن لنـا في البرية خبزٌ بهذا المقدار حتى يُشبع جمعاً هذا عـدده؟». «فقـال موسـى: سـتُّ مِئَـةِ أَلـفٍ مـاشٍ هـو الشعب الذي أنا في وسطه، وأنتَ قُلت أعطيهم لحماً ليأكلوا شهراً من الزمان. أيُذبح لهم غنمٌ وبقـرٌ ليكفيهم، أم يُجمع لهم كل سمك البحر ليكفيهم. فقال الرب لموسى: هل تقصرُ يَدُ الربِّ، الآن ترى

أيوافيكَ كلامي أم لا!» (عد ١١: ٢١-٢٣)

+ «أخبريني ماذا لكِ في البيت؟ فقالت ليس لجاريتك شيء في البيت إلاّ دهنة زيت (في كوز) - (هكذا قالت المرأة لأليشع النبي والمرابي واقف على الباب يريد أن يأخذ ولديها عبيداً لـه) - فقال: اذهبي استعيري لنفسكِ أوعية من خارج من عند جميع جيرانكِ أوعية فارغة لا تقلّلي. ثم ادخلي وأغلقي الباب على نفسكِ وعلى بنيكِ. وصُبّي في جميع الأوعية وما امتلأ انقليه ... فكانوا هم يقدِّمون لها الأوعية وهي تصب، ولمّا امتلأت الأوعية قالت لابنها: قدِّم لي أيضاً وعاء فقال لها: لا يوجد بعد وعاء، فوقف الزيت!!» (٢مل ٤: ٢-٦)

أمّا "دهنة الزيت هنا"، فكانت سبع خبزات وصغار السمك، بالكاد يُطعمون سبعة.

١٥: ٣٥-٣٨ «فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى الأَرْضِ، وَأَخَذَ السَّبْعَ خُبْزَاتٍ وَالسَّمَكَ، وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى تَلاَمِيذَهُ، وَالتَّلاَمِيذُ أَعْطَوُا الْجَمْعَ. فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكِسَرِ سَبْعَةَ سِلاَلٍ مَمْلُوءَةٍ، وَالآكِلُونَ كَانُوا أَرْبَعَةَ آلاَفِ رَجُلٍ مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ».

«وأخذ السبع خبزات والسمك وشكر وكسّر وأعطى»:

εὐχαριστήσας ἔκλασεν καὶ ἐδίδου

ثلاثة أفعال التقديس الكبرى التي بها يحوِّل الكاهن الخبز والخمر الممزوج بالماء إلى جسد الرب المحيي ودمه الفادي. هكذا صنع المسيح الآن وليلة العشاء، وهكذا أسَّس "السر" وسلَّمه للكنيسة لتسلّمه للعالم كله، لتظل تأكل وتشرب من يدي المخلِّص حياة وخلاصاً وغفراناً، ولن يتوقَّف السر طالما يوجد مَنْ يتناول منه! أو بالأصح طالما يوجد وعاء مهيَّأ للملء. فالبركة على ما في البيت وفي أيدينا قائمة طالما وُجدَ القلب الذي يشكر ويد النعمة التي تكسر والروح التي تعطي. الأفعال الثلاثة التي تحكم المسيحية على الأرض، والقوة الدافعة للمسير نحو الله، والذخيرة الحيَّة التي لا تفرغ ولو فرغت الأرض كلها.

الفائض هنا سبعة سلال، والسلّة هي ما تسعه القفة، وهي الزمبيل الذي وسع بولس في تدلّيه من السور[٦]، والخبزات أصلاً سبع وعدد الرجال أربعة آلاف. وق. متى مغرم بالعدد سبعة، وأغرمت

(٦) حيث تأتي نفس الكلمة σπυρίς لتعبِّر هنا عن السبعة سلال وفي (أع ٩: ٢٥) عن السَّل الذي دُلّي فيه ق. بولس من السور.

الكنيسة بسببه بالعدد سبعة. كما قدّست العدد خمسة. وأكّدت أن هكذا يقدَّم في طبـق الحَمَـل إمَّـا خمس أو سبع خبزات (قربانة)، التي يعود الكاهن ـ بعد أن يغسل يديه ـ يصلّي كثيراً ويقسّمها إلى كسر حتى يعطي منها الشعب بلا عدد. وهكـذا تعيـش الكنيسـة منـذ الدهـر وإلى دهـر الدهـور في معجزة الخمسة والسبعة تُطعم الشعب من الجسد الواحد ليصيروا جميعاً إلى الجسد الواحد.

١٥: ٣٩ «**ثُمَّ صَرَفَ الْجُمُوعَ وَصَعِدَ إِلَى السَّفِينَةِ وَجَاءَ إِلَى تُخُومِ مَجْدَلَ**».

هنا الرب لم يكرِّر إعطاء الشعب الفرصة للثورة بعـد معجـزة الخمـس خـبزات، إذ وقـف ينتظـر انصراف الجموع، بل في الحال بعدما أكل الشعب دخل السفينة وأمر بـالإقلاع صـوب مجـدل علـى الشاطئ الغربي شمالاً. الـتي ذكرهـا ق. مرقـس أنهـا إقليـم دلمانوثـة Dalmanutha بمعنـى أنـه قطـع البحيرة من الجنوب الشرقي حتى الشمال الغربي، الذي ارتحل منه نحو بيت صيـدا (يوليـاس) ومنهـا إلى طريق قيصرية فيلبي.

الأصحاح السادس عشر

- علامات الأزمنة (١٦: ١ – ٤)
- الخمير وتعليم الفريسيِّين (١٦: ٥–١٢)
- اعتراف القديس بطرس وأثره في رواية الإنجيل (١٦:١٣–٢٠)
- أول نبوّة عن الآلام (١٦:٢١–٢٨)

علامات الأزمنة

[١٦: ١-٤]

(مر ٨: ١١-١٣)
(لو ١٢: ٥٤-٥٦)

١٦: ١-٤ «وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالصَّدُّوقِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ. فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: إِذَا كَانَ الْمَسَاءُ قُلْتُمْ: صَحْوٌ لأَنَّ السَّمَاءَ مُحْمَرَّةٌ. وَفِي الصَّبَاحِ: الْيَوْمَ شِتَاءٌ لأَنَّ السَّمَاءَ مُحْمَرَّةٌ بِعُبُوسَةٍ. يَا مُرَاؤُونَ! تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ السَّمَاءِ، وَأَمَّا عَلاَمَاتُ الأَزْمِنَةِ فَلاَ تَسْتَطِيعُونَ! جِيلٌ شِرِّيرٌ فَاسِقٌ يَلْتَمِسُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَمَضَى».

مرَّة أخرى مع الفريسيِّين الذين اجتمعوا مع الصدوقيين وهم على طرفيْ نقيض. فالأوَّلون يؤمنون بالروح وبالقيامة، والآخرون لا يؤمنون بالروح ولا يؤمنون بالقيامة، والذي جمعهما معاً هو مقاومة المسيح. والسؤال الذي طرحوه على المسيح أنهم يطلبون آية من السماء. وهذا في الواقع ما تمَّ في إنجيل ق. يوحنا: «فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك؟ ماذا تعمل؟ آباؤنا أكلوا المن في البرية، كما هو مكتوب: أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا.» (يو ٦: ٣٠و٣١)

وهكذا أرادوا أن يستخدموا المسيح لإرادتهم ليصنع لهم ما يريدون، ولم يعلموا أن كل الآيات التي عُملت في العهد القديم من السماء كانت إما لتوبيخ الشعب أو لمعاقبته، ولم تحدث آية واحدة طلبها الناس من الله، بل على العكس لمَّا كانت تتم الآية كانوا يصرخون ويستعفون كما حدث في البروق والرعود والدخان وزلزلة الجبل في سيناء، وقالوا: إننا نموت (خر ٢٠: ١٩). ولمَّا أعطاهم المنّ كان بسبب تذمرهم، فكان لتوبيخهم ولم يكن لملء شهوتهم. فالذي كان يجمع أكثر لا يبقى له إلاَّ القليل، والذي يبيت كان يُنْتِن علامة على فساد نياتهم. ولمَّا أعطاهم السلوى كان لسد بطونهم حتى أنتن في أنفهم: «فتذمَّر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهرون في البرية. وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع. فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تُميتا كل هذا الجمهور بالجوع. فقال الرب لموسى: ها أنا أُمطر لكم خبزاً من السماء ... لكي أمتحنهم أيسلكون في ناموسي أم لا» (خر ١٦: ٢-٤). هذا هو المن فهو شاهدٌ على تذمُّرهم.

أمَّا وقوف الشمس في السماء فكان بسبب حرب الإبادة التي نوى عليها الأموريون: «حينئذ كلَّم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بني إسرائيل. وقال أمام عيون إسرائيل يا شمس دومي على جبعون (موضع الإسرائيليين) ويا قمر على وادي أيلون (موضع العدو حتى تعمى عيون العدو عند مواجهة إسرائيل). فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه» (يش ١٠: ١٢و١٣). وهذه علامة من السماء كانت في تاريخ إسرائيل تذكاراً لحماية الرب لإسرائيل من الفناء.

أو كما في أيام دبورة كيف حاربت الكواكب لصالح إسرائيل: «من السموات حاربوا، الكواكب من حُبُكها (من مداراتها) حاربت سيسرا (عدو إسرائيل).» (قض ٥: ٢٠)

أو كما في أيام صموئيل النبي حينما أرعد الرب من السماء لحساب إسرائيل: «وبينما كان صموئيل يُصعد المحرقة تقدَّم الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل فأرعد الرب (من السماء) بصوت عظيم في ذلك اليوم على الفلسطينيين وأزعجهم، فانكسروا أمام إسرائيل» (١صم ٧: ١٠). وهكذا نجَّى الله إسرائيل من الفناء.

وكذلك في أيام إيليا حينما مدَّ الرب يده ليفني الأنبياء الكذبة في إسرائيل: «وكان عند إصعاد التقدمة أن إيليا النبي تقدَّم وقال: أيها الرب إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل، ليُعلم اليوم أنك أنت الله في إسرائيل، وإني أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور (جمع كل الأنبياء الكذبة الذين يخدمون إيزابل وحبسهم ليذبحهم على نهر قيشون). استجبني يا رب استجبني، ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله، وأنك أنت حوَّلت قلوبهم رجوعاً (إليك). فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب، ولحست المياه التي في القناة.» (١مل ١٨: ٣٦-٣٨)

على هذا المنوال طالب الفريسيُّون والصدوقيون المسيح أن يصنع آية من السماء، ولم يدرِ هؤلاء المراؤون الأشرار أن المسيح لو طلب ناراً كما تصوَّر يعقوب ويوحنا لنزلت وأكلتهم وقوفاً، ولكن يسوع المسيح لم يكن من هذه الروح: «لستما تعلمان من أي روح أنتما» (لو ٩: ٥٥). فالرب يطلب من السماء بركة تحل على الخمس خبزات أو السبعة لتُشبع الآلاف ويفيض، علامة الملكوت الآتي الذي بلا خبز يكون، ويكون إلى الشبع والملء. نعم يطلب يسوع من السماء أن تُشفى جميع الأمراض وكل آلام بني البشر. ولكن الآية العظمى التي عُملت ومن السماء، انعمت عيونهم عنها كما قال هو: «الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء ... أنا هو خبز الحياة، مَنْ يُقبل إليَّ فلا يجوع، ومَنْ يؤمن بي فلا يعطش أبداً، ولكني قلت لكم إنكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون» (يو ٦: ٣٢-٣٦) بمعنى أن المسيح كان هو

بمثابة المن في العهد الجديد.

كان تاريخ إسرائيل مليئاً بعلامات السماء العينية ليراها الشعب الفاجر ليرتدع. وأمَّا في العهد الجديد فآيات السماء تُرى بالروح وتُدرك بالنور، والمسيح نفسه هو آية السماء العظمى: «الله ظهر في الجسد» (١تي ٣:١٦)، «والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا!!» (يو ١:١٤) وكلُّها للخلاص.

السماء المحمرَّة، والسماء المحمرَّة بعبوسة:

الأُولى تُرى عند الغروب، فإذا كانت الحمرة صافية كان باكر صحواً، وإذا كان الاحمرار في الصباح قاتماً بسبب السحب المليئة بالماء كان اليوم مطيراً. هذا يدركه الشعب الساذج وليس الحكماء والعلماء، ولكنهم ما حصَّلوا معرفة السماء لدى السذَّج، ولا أدركوا عمق أسرار السماء كالحكماء بالحق.

أمَّا آية يونان النبي فقد سبق شرحها. ارجع إلى صفحة٤١٤.

هكذا كما ندرك من وجه السماء ما سيصبح عليه اليوم، كان ينبغي على حكماء إسرائيل أن يوقعوا ما يرونه بعيونهم من أعمال المسيح الكثيرة والمتنوعة على الأزمنة المنصوص عنها في إشعياء والأنبياء، ليدركوا أن هذه هي أيام المسيَّا. والمسيَّا جاء ليس للأبرار بل للخطاة للتوبة، لذلك فالأبرار عند أنفسهم لم يتعرَّفوا عليه لأنهم ارتضوا بخطاياهم وادَّعوا أنهم أبرار!!

الخمير وتعليم الفريسيين

[١٦: ٥-١٢]

(مر ٨: ١٤-٢١)

١٦: ٥-١٢ «وَلَمَّا جَاءَ تَلاَمِيذُهُ إِلَى الْعَبْرِ نَسُوا أَنْ يَأْخُذُوا خُبْزاً. وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: انْظُرُوا وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ. فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: إِنَّنَا لَمْ نَأْخُذْ خُبْزاً. فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ أَنَّكُمْ لَمْ تَأْخُذُوا خُبْزاً؟ أَحَتَّى الآنَ لاَ تَفْهَمُونَ، وَلاَ تَذْكُرُونَ خَمْسَ خُبْزَاتِ الْخَمْسَةِ الآلاَفِ وَكَمْ قُفَّةً أَخَذْتُمْ، وَلاَ سَبْعَ خُبْزَاتِ الأَرْبَعَةِ الآلاَفِ وَكَمْ سَلاًّ أَخَذْتُمْ؟ كَيْفَ لاَ تَفْهَمُونَ أَنِّي لَيْسَ عَنِ الْخُبْزِ قُلْتُ لَكُمْ أَنْ تَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ؟ حِينَئِذٍ فَهِمُوا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَنْ يَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْخُبْزِ، بَلْ مِنْ تَعْلِيمِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ».

كان المسيح لا يزال متأثِّراً من طريقة الفريسيِّين والصدوقيين في سؤالهم الماكر عن عمل آية من السماء لكي يؤمنوا به. فقد تجاوزوا الحق الذي رأوه وأخفوا نياتهم الكاذبة، وبدأوا يسألون وكأنهم صادقون في سؤالهم. هذا اعتبره المسيح نوعاً من التعليم الغاش الذي لا يعتمد على الحق، بل على المناورة والخبث في الحصول على المعرفة، وواضح أنه موسوم بالرياء والكذب والتظاهر بالحق، هذا التعليم قادر أن يقوِّض أيّة معرفة للحق. ومن أخطر ما يمكن في تعليم الحقائق عن ملكوت الله أنه يعتمد أولاً على الصدق المطلق والوداعة الخلقية معاً. لذلك، كان بودّنا أن نقدِّم شرحاً ثانياً غير الذي قدَّمناه لقول المسيح عن أن ملكوت الله يشبه خميرة صغيرة خبَّأتها امرأة في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر العجين كله، بمعنى أن هذا المَثَل قاله المسيح استهزاءً بملكوت الفريسيِّين الذين بخميرتهم التي هي الشر والرياء أفسدوا ملكوت إسرائيل كله بالرغم من عددهم القليل. لأن الخميرة في تعليم المسيح وكل العهد القديم والجديد معاً تشير بقوة إلى الفساد وتأثيره الضار الذي يتفشَّى في المجتمع كما يسري الخمير في العجين، ليفتِّت تماسك العجين ويجعله في حالة من الإنحلال حتى يمكن تفريقه إلى خبزات منفصلة. هذا يكون حال المجتمع الذي يتفشَّى فيه الرياء والشر. كما أن مَثَل المسيح عن ملكوت الله أنه يشبه خميرة صغيرة تخمِّر العجين كله لا ينطبق على مفهوم الملكوت الذي جاء في جميع أمثال الملكوت أنه لا يكمل في جيل ولا أجيال إنما في نهاية الأجيال كلها. إذن، كون ملكوت السموات كما يختمر العجين كله في عجنة واحدة فهذا لا يتوافق مع تعليم المسيح ولا مع حقيقة

ملكوت السموات في مفهومه الواقعي. وبذلك يكون المسيح يتكلّم هنا عن ملكوت سموات كـاذب أُفسد كله وفي جيل واحد هـو جيـل الكتبـة والفريسـيِّين، الذيـن خرَّبـوا ملكـوت إسـرائيل وخرَّبـوا أنفسهم. ولكن آثرنا أن نأخذ بشرح جميع الآباء والعلماء الذين عاملوا المَثَـل على أن الخمـيرة تفيـد الصلاح، وهذا ضد معنى الخميرة في بقية الكتاب (١كو ٥: ٦-٨).

وواضح هنا في قول المسيح كيف أعطى كلمة "خمير" وحدها على أنهـا إذا أُسـندت إلى الكتبـة والفريسيِّين تكفي لتفيد الشر والرياء والتعليم الذي يخرِّب ملكوت الله. وق. متى نفسه أعطانا هـذا الحديث ليكشف لنا عن خطورة مفهوم كلمة "خمير" عنـد المسـيح، إذ ظهـر أنهـا لا تعـني موضـوع الخبز لا من بعيد ولا من قريب، وأن نسبتها إلى الخبز نسبة مضلِّلة. فالخمير بمفرده هو الشر والرياء.

وهذا يجعلنا نأتي على ذكر المَثَل الآخر الذي قاله المسيح عن بذرة الخردل كيف أنهـا إذا زُرعـت تصير شجرة كبيرة تتآوى فيها طيور السماء. هذا المَثَل في رأينا كَمَثَل الخميرة لا يقصد به المسيح إلاَّ ملكوتاً غاشاً، لأن لا حبة الخردل هي أصغر البذور ولا شجرة الخردل التي لا تتجاوز شجرة الخروع تصلح لأن تعطي أي انطباع عن ملكـوت الله. ففـي ظننـا أن المسـيح قـال هـذا المَثَـل لينعـي الذيـن يتوهَّمون أنهم قـادرون بتعليمهـم السـريع والمظهـري بالإعلانـات والبـوق وكـلام التليفزيـون أنهـم سيقيمون ملكوت الله بسرعة، لأن من علامات نمو الملكوت البـطء الشـديد ثـم أنـه علـى مسـتوى الأجيال. ولكن هذه الصورة الخردليـة للدعايـات عـن قيـام ملكـوت الله بـالوعظ وأخـذ الأصـوات وعمل الإحصائيات، وأن ملايين انضمَّت للمسيح في عظة واحدة، هذه كلها مظـاهر خردليـة مآلهـا إلى الانطفاء والزوال، لأن تعاليم ملكوت الله تحتاج إلى بناء، وبناء على قاعدة، وقـاعدة مبنيـة علـى صخر، والصخر هو الإيمان الذي لا يتزعزع، والبناء ليس فردياً بل مركَّباً معـاً ينمـو بمـؤازرةٍ هيكـلاً للرب. ولكن رَأَيْنَا أيضاً أن نتجاوز عن نظرتنا هذه ونأخذ بمقولة جميع الآباء والعلماء أن مَثَـل بـذرة الخردل هو على مستوى إيجابي، وتركنا للقارئ أن يحكم.

اعتراف القديس بطرس وأثره في رواية الإنجيل

[١٦:١٣-٢٠] (مر ٨: ٢٧-٣٠)، (لو ٩: ١٨-٢١)

١٦: ١٣-١٧ «وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى نَوَاحِي قَيْصَرِيَّةِ فِيلُبُّسَ سَأَلَ تَلاَمِيذَهُ قَائِلاً: مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ابْنُ الإِنْسَانِ؟ فَقَالُوا: قَوْمٌ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ، وَآخَرُونَ إِيلِيَّا، وَآخَرُونَ إِرْمِيَا أَوْ وَاحِدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ. قَالَ لَهُمْ: وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟ فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ: أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْماً وَدَماً لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ».

«قيصرية فيلُبُّس»:

أرادها المسيح مكاناً هادئاً بعيداً عن ازدحام الجليل، فهي في أعلى الشمال في أرض نفتالي بجوار جبل حرمون الذي يرتفع حوالي ٩٣٠٠ قدم فوق سطح البحر، ويُغطَّى بالجليد معظم أيام السنة، وتقع بجوار الجزء الأسفل الغربي الأخير من سوريا، وهي الآن محتلة بواسطة إسرائيل. واسم المدينة الآن (بانياس) وقد أسماها الوالي فيلُبُّس - (أخو هيرودس أنتيباس والذي كانت امرأته هيروديا التي أخذها هيرودس لنفسه) - قيصرية على اسم أغسطس قيصر. وهي في منبع نهر الأُردن ولكن المسيح لم يدخلها، وقد دُعيت قيصرية فيلُبُّس تمييزاً لها عن قيصرية الأخرى التي على شاطئ البحر بجوار الكرمل.

فلمَّا جاءوا إلى هذه المنطقة سأل المسيح تلاميذه عمَّا يقول الناس عنه، ثم ماذا يقولون هم، ليتعرَّف على مدى تعرُّفهم على شخصه. فأجاب ق. بطرس: «أنت هو المسيح ابن الله الحيّ». وكان يعني ذلك بوضوح وإيمان أنه هو المسيَّا الموعود. وليس بعدُ نبيًّا من الأنبياء ولا أي إنسان قابل للموت من بني الإنسان بل مصدر حياة لكل حيّ:

+ «على جبلٍ عالٍ اصعدي يا مبشِّرة صهيون، ارفعي صوتكِ بقوَّةٍ يا مبشِّرة أُورشليم، ارفعي لا تخافي، قولي لمدنِ يهوذا **هوذا إلهكِ**. هوذا السيد الربُّ بقوةٍ يأتي وذراعه تحكم له، هوذا أجرته معه وعُمْلَتُهُ قدَّامه. كراعٍ يرعى قطيعه، بذراعه يجمع الحُملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات. مَنْ كال بكفِّه المياهَ وقاسَ السموات بالشِّبر ... فبمَنْ تشبِّهون الله وأيَّ شَبَهٍ تعادلون به ... فبمَنْ تشبِّهونني فأساويه يقول القدوس ...» (إش ٤٠: ٩-١٢و١٨و٢٥)

«طوبى لك يا سمعان بن يُونَا»:

قابل المسيح اعتراف ق. بطرس بأن أعطاه الطوبى. وق. متى أعطى الطوبى في إنجيله ثلاث عشرة مرَّة: (٥: ٣و٤و٥و٦و٧و٨و٩و١٠و١١، ١١: ٦، ١٣: ١٦، ١٦: ١٧، ٢٤: ٤٦).

بحث في اسم ق. بطرس:

فهو بطرس ابن يوحنا، ولقب "يُونَا" (أي يونان) لقب نبوي أعطاه ق. متى فقط:

لو رجعنا إلى إنجيل ق. يوحنا وقرأنا الآية من (١: ٤١و٤٢) باليونانية نجدها هكذا: «هذا وجد أولاً أخاه سمعان، فقال له قد وجدنا مسيَّا الذي تفسيره المسيح. فجاء به إلى يسوع. فنظر إليه يسوع وقال: أنت سمعان بن "يوحنا"». وقد جاءت في الترجمة العربية "يونا" خطأ، والأصل اليوناني Σίμων ὁ υἱὸς Ἰωάννου وترجمتها واضحة **أنت سمعان بن يوحنا**. وقد جاءت في الترجمة الإنجليزية:"جون" Simon the son of John. وأيضاً إذا عدنا إلى الآية (٢١: ١٥) من إنجيل ق. يوحنا نجدها أيضاً هكذا:

«فبعدما تغدُّوا قال يسوع لسمعان بطرس: يا سمعان **بن يونا** ...» وهنا أيضاً "يونا" خطأ (في الترجمة العربية) وتصحيحها بحسب اليونانية: Σίμων Ἰωάννου وبحسب الإنجليزية "جون Simon son of John". إذن، يتحتَّم أن تكون: "يا سمعان بن يوحنا" ولكن المترجم إلى العربية أخطأ إذ كان متأثِّراً بلقب يونا الوارد في إنجيل ق. متى (١٦: ١٧) فقط. وتكرَّر الاسم بالكامل في الآية (يو ٢١: ١٦): "**يا سمعان بن يوحنا**"، ثم الآية (يو ٢١: ١٧): "**يا سمعان بن يوحنا**".

أمَّا قول المسيح للقديس بطرس هنا في رد المسيح: «**طوبى لك يا سمعان بن يونا** إن لحماً ودماً لم يعلن لك هذا ...» فهي ليس لها مقابل لا في إنجيل ق. مرقس ولا في إنجيل ق. لوقا ولا في إنجيل ق. يوحنا. ففي إنجيل ق. مرقس: «فأجاب بطرس وقال له: أنت المسيح فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه» (مر ٨: ٢٩و٣٠). وفي إنجيل ق. لوقا: «فأجاب بطرس وقال: مسيح الله. فانتهرهم وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد.» (لو ٩: ٢٠و٢١)

وهكذا لم يأتِ لقب "يونا" في أي من الأناجيل إلاَّ في إنجيل ق. متى وحده وفي هذا الموضع فقط، وطبعاً أتت بالعبرانية: "باريونا Βαριωνά" حتى أُعثر بعض العلماء والمفسرين وقالوا: إن "يونا" حمامة فهو ابن الحمامة، ولكن ليس هذا صحيحاً. ولا هي اختصار لكلمة Ἰωάννου بأن تكون مثلاً (ιωνά -) وهذا خطأ إذ تأتي يوحنا دائماً بالعبرانية بشرط أن لا تختلط أبداً مع يونا Joneh التي هي اختصار يونان. ولكن واضح هنا أن ق. متى يقصدها بمعنى النبي يونان، وأن نداء

المسيح له بابن يونان لا يقصد به أباه الجسدي بل هو لقب نبوي: "أبناء الأنبياء". وينحصر معناها في نبوَّة يونان النبي التي سبق أن ذكرها إنجيل ق. متى (٤:١٦)، (٣٩:١٢). على أنها تعني الموت الإعجازي في بطن الحوت والقيامة إشارة إلى استشهاد ق. بطرس ونواله إكليل الحياة الأبدية، وهو بذلك يمثِّل الكنيسة في العالم فعلاً التي تتبع الرب في موته وقيامته. وبالفعل يذكر الإنجيل بعد ذلك مباشرة حتمية موت المسيح وقيامته (٢١:١٦)، بل واشتراك كل مَنْ يتبعه في ذلك (٢٤:١٦)(١).

«إن لحماً ودماً لم يُعلن لك، لكن أبي الذي في السموات»:

بمعنى أن الله استعلن يسوع للتلاميذ أنه المسيَّا ابن الله، بهذا الاستعلان الأبوي لسمعان بن يونا نال لقب الصخرة: "بطرس".

وفي هذا الموضع بالذات اقترحنا سابقاً (انظر صفحة ٣٩٠) أن في هذه اللحظة تمَّت هذه المقولة التي للمسيح، والتي وُضعت في إنجيلي القديسين متى ولوقا في غير محلِّهما زمنيًّا، والموجودة في إنجيل ق. متى في (مت ١١: ٢٥-٢٧):

+ «في ذلك الوقت أجاب يسوع وقال: أحمدُكَ أيُّها الآب ربُّ السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه (أنه هو المسيَّا) عن الحكماء والفهماء (الكتبة والفريسيِّين) وأعلنتها للأطفال (التلاميذ). نعم أيها الآب، لأن هكذا صارت المسرَّة أمامك. كلُّ شيء قد دُفِعَ إليَّ من أبي، **وليس أحدٌ يعرف الابن إلاَّ الآب، ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابنُ، ومَنْ أراد الابن أن يُعلن له.**»

ولكي تتضح شدَّة الصلة بين هذه الآية والموضع الذي نحن بصدده - اعتراف بطرس - ينبغي أن نلتفت إلى المرادفات الآتية:

الرد على اعتراف ق. بطرس: **أبي الذي في السموات هو الذي أعلن لك.**

التهليل الذي شكر به المسيح: **أيها الآب رب السماء ... أخفيت هذه ... وأعلنتها للأطفال.**

هذا الاتصال الوثيق بين الآيتين يوثِّق الصلة حتماً بين الموضوعين، بمعنى أن المسيح قال: «أحمدك أيها الآب»، بعد اعتراف ق. بطرس مباشرة.

١٦: ١٨و١٩ «وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضاً: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى

---

(1) R.H. Gundry, *op. cit.*, p. 332.

الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَوَاتِ».

واضح أن ق. بطرس أول مَنْ أَعلن له الآب السماوي أن يسوع هو المسيح ابن الله. فبهذا الإعلان - واعتماداً على اختيار الله للقديس بطرس بالذات دون باقي التلاميذ جميعاً، ليستعلن له حقيقة المسيح أنه هو ابن الله - أصبح هو بمقتضى استعلان الله له، وبمقتضى استئمانه على سر المسيَّا، أصبح الأَولى بمقتضى الحال بأن يرسو عليه أول بناء للكنيسة. فإن كانت الكنيسة شخصية فهو الشخص الأول الذي تستقر عليه شخصية الكنيسة، وإن كانت الكنيسة هي عقيدة وإيمان كان ق. بطرس وهو أول مَنْ نطق بالعقيدة والإيمان، فأصبح بالضرورة وحسب الواقع الإيماني أن يكون إيمان وعقيدة ق. بطرس يكونان هما الكنيسة. ولكن إيمان ق. بطرس والعقيدة التي أرساها الله بالاستعلان الخاص للقديس بطرس هي ليست القديس بطرس بل إيمان وعقيدة المسيح ابن الله. ولكن بحسب رؤية كنسية متّسعة وبحسب نهايات الأمور نرى أن ق. بطرس هو بالفعل مَنْ يليق به وحده أن تقع قرعة بناء اسم الكنيسة الأُولى على اسمه، كونه الشخص الذي جمع التوسُّط بين الاتجاه اليهودي والتشدُّد في الدخول إلى المسيحية، الذي كان يمثّله يعقوب أخو الرب، والاتجاه الحر الأُممي المتشدِّد في نبذ الناموس ومتعلِّقاته في الدخول إلى المسيحية. والدليل الواضح على ذلك أنه كرز بنفسه بين الأُمم، بل وكان أسبق من بولس الرسول في ذلك، ولكنه في نفس الوقت لم يفقد صداقة يعقوب الرسول، بل تآخى معه في بداية حركة الكنيسة الأُولى داخل الهيكل. ولكن كان المستقبل بلا جدال للأُمم وليس لليهود، ليزول من الكنيسة أثر التعصُّب للناموس نهائياً وتظهر الكنيسة متألِّقة على أكتاف بولس الرسول.

فالقديس بطرس هنا بشخصه لا يزيد عن تلميذ بين تلاميذ المسيح، وإيمانه وعقيدته التي أعلنها الله له خصيصاً لا تخرج عن المسيح كموضوع إيمان الكنيسة وعقيدتها. فحينما قال المسيح: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي»، كان المسيح يطبِّق قولاً وعملاً ما أعلنه الآب للقديس بطرس، ليكون هو البناء الأول أو الأساس الذي يبني عليه المسيح كنيسته.

أمَّا لماذا ق. بطرس بالذات؟ فهذا يُسأل عنه لدى الآب السماوي لأنه اختاره دون سواه ليستعلن له سر المسيَّا. ق. بطرس هنا ليس صيَّاد بيت صيدا، لأنه لو بقي مع الشباك ما زاد قط عن صيَّاد سمك، ولكن بطرس الذي رآه المسيح ودعاه ثم لبَّى الدعوة واتَّبع الرب بغيرة وأثبت كفاءته كتلميذ هو الذي أراده الآب السماوي. إذن، ليست مواهب بطرس ولا إمكانياته من أي نوع، بل دعوته

وقبولها وتكريمها وغيرته عليها هي التي أهَّلته لدى الآب بقياس خاص أن يكون هو أول مَنْ يُستعلن له سر المسيح، الذي هو بدوره سر الكنيسة.

وقول المسيح: «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها»، يعني بقاءها حيَّة منتصرة حتى بجيئه لتُختطف معه، كما يقول القديس بولس الرسول: «لأن الرب نفسه بهُتافٍ، بصوتِ رئيس ملائكةٍ وبوق الله، سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثُمَّ **نحن الأحياء الباقين سنُختطف جميعاً معهم** (الكنيسة) في السحب لملاقاة الرب في الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب.» (١تس ٤: ١٦و١٧). أمَّا كلمة: «أبواب الجحيم» فأول مَنْ ذكرها هو إشعياء النبي: «أنا قلت في عزِّ أيامي أذهب إلى أبواب الهاوية» (إش ٣٨: ١٠). أمَّا مناسبتها هنا فلأن المسيح بناها على صخر: «هأنذا أُؤَسِّس في صهيون حجراً، حجر امتحان (كما امتحن المسيح بطرس)، حجر زاوية كريماً أساساً مؤسَّساً مَنْ آمن لا يَهْرُبُ» (إش ٢٨: ١٦). أمَّا مفاتيح ملكوت السموات فهي القرينة لِمَا جاء عن المسيح نفسه: «وأجعل سلطانك في يده فيكون أباً لسكان أُورشليم ولبيت يهوذا. وأجعل مفتاح بيت داود (ملكوته) على كتفه، فيفتح وليس مَنْ يُغلق ويُغلق وليس مَنْ يفتح» (إش ٢٢: ٢١و٢٢). أمَّا الفتح والإغلاق فقد عُرف أولاً أنه كان عمل الكتبة: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيُّون المراؤون لأنكم **تغلقون ملكوت السموات** قدَّام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون» (مت ٢٣: ١٣). كذلك المفاتيح: «ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم **مفتاح المعرفة** ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم» (لو ١١: ٥٢). وقوله: «أبواب الجحيم لن تقوى عليها»، كناية عن العواصف العاتية التي تهب عليها من العدو والعالم، والسيول الجارفة التي يسوقها الشيطان عليها، مع قوى الجحيم المتربِّصة بها. ولكن لن تؤثِّر فيها وفي أبنائها المؤسّسين على صخر الإيمان بالمسيح. معنى هذا أنه يستحيل أن تقوى التجارب مهما بلغت من العنف أن تسود على الكنيسة حتى الموت، لأن الكنيسة لن تدخل السماء تحت موت بل ستُرفع حيَّة ولن يسود عليها الموت بعد، لأنها جسد المسيح بالدرجة الأُولى.

وأصبح كل مَنْ يؤمن بالمسيح يبني إيمانه على أساس الرسل (وبطرس أولهم) والأنبياء والمسيح نفسه حجر الزاوية. هذا البناء الروحي بالإيمان والعقيدة القائمة على المسيح لها بقاء وديمومة بقاء المسيح ودوامه، المسيح القائم من بين الأموات، والذي لن يسود عليه الموت بعد، فهي أقوى من الموت وبالتالي أقوى من أبواب الجحيم. فأبواب الجحيم لن تقوى عليها! لأن الإيمان بالمسيح أقوى من العالم والجحيم والموت الذي سيبطل كآخر عدو (١كو ١٥: ٢٦و٢٧).

وليس عفوياً أن يعطي المسيح مفاتيح ملكوت السموات لبطرس ليربط ويحل، بل على أساس الإيمان الذي أرسى قواعده، فهذا الإيمان إن شبَّهناه بالمفتاح يصبح كل مفتاح ينطبق على هذا المفتاح بمواصفات الإيمان الذي فيه، إذا دخل "الكالون" وانطبقت المواصفات انفتح "الكالون" من ذاته، وبالتالي انفتح الباب السماوي الذي للملكوت. فبطرس لا يفتح بإرادته ولا يغلق بإرادته، ولكن بمقتضى انطباق إيمان كل إنسان طالب الملكوت. فطالما انطبق إيمانه على إيمان بطرس الذي أصبح إيمان الكنيسة ينفتح له باب الملكوت، والذي إيمانه لا يطابق إيمان الكنيسة الذي هو "يسوع المسيح ابن الله" لا ينفتح له الملكوت، مهما كانت مشيئة الناس.

وهكذا نرى مشيئة المسيح في تعيين بطرس الصخرة التي يبني عليها كنيسته، وفي إعطائه مفاتيح ملكوت السموات، وكانت مشيئته في ذلك هي مشيئة الآب.

فإذا تمسَّكت كنيسة روما بتبعيتها للقديس بطرس وأعطت لنفسها الحق الذي أُعطي للقديس بطرس فنعم ما عملت. ولكن هذا حق كل كنيسة قامت وتقوم على إيمان ق. بطرس، إيمان أن "يسوع المسيح هو ابن الله"! فكما أن الصخرة التي بنى عليها المسيح صخرة واحدة، فالكنيسة التي بناها المسيح على هذه الصخرة كنيسة واحدة، لأن الإيمان والعقيدة واحدة. إيمان يسوع المسيح ابن الله.

٢٠:١٦ «حِينَئِذٍ أَوْصَى تَلاَمِيذَهُ أَنْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ إِنَّهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ».

كان هذا إيذاناً بانتهاء التعرُّف على المسيح المعلِّم، وقد بدأ التعرُّف بالمسيح المتألِّم. وقد رأينا الآيات السالفة في إنجيل ق. مرقس هي الفاصلة بين إنجيل التعليم وإنجيل الآلام (انظر شرح إنجيل ق. مرقس صفحة ٦٣).

أول نبوَّة عن الآلام

[١٦: ٢١-٢٨]

(مر ٨: ٣١-٩: ١)،
(لو ٩: ٢٢-٢٧)

٢١:١٦ «مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيراً مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ».

لا نجد في التعاليم السابقة أن المسيح أعلن عن آلامه، فهنا يبدأ الإنجيل أن يدخل في مرحلة الإعلان للتلاميذ عن الآلام القادمة. وكانت هذه أحرج نقطة في حياة التلاميذ، لأن إيمانهم وصلتهم بالمسيح كانت قائمة على آمال كاذبة: أنه الملك القادم. فكان ينبغي أن يدخلوا في حقيقة الإيمان الذي يعوزهم حقًّا أنه المسيَّا المتألِّم من أجل خلاصهم. كذلك دخولهم في صميم التعليم الأعلى عن قيمة آلامه الخلاصية بعد أن تأكَّدوا من سلطانه الفائق على الأمراض والموت والشيطان. فالنصف الأول من الإنجيل تخصَّص في التعرُّف على المسيح، والنصف الثاني على آلامه! فالنصف الأول أظهر سلطانه، والنصف الثاني سيُظهر مجده. كان النصف الأول عسير الفهم والقبول كثير المصادمة والمقاومة، ولكن ببلوغنا نهاية النصف الثاني بالقيامة من بين الأموات أصبح النصف الأول مضيئاً واضح المعنى قوي التأثير: «موضِّحاً ومُبيِّناً أنه كان ينبغي أن المسيح يتألَّم ويقوم من الأموات، وأن هذا هو المسيح يسوع الذي أنا أُنادي لكم به.» (أع ١٧: ٣)

وهكذا بمجرَّد أن قال ق. بطرس معلناً مَنْ هو المسيح الذي عرفوه وعرَّفوه: «أنت هو المسيح ابن الله»، اطمأن المسيح أن الجزء الأول من إنجيله قد أكمل رسالته، وابتدأ في الحال يتكلَّم عن آلامه.

وقد تكلَّم عن آلامه بعد ذلك في محطات متتابعة ومتكاملة من التعبيرات الأقل إلى الأعمق:

التنبُّؤ الأول: ففي الآية (٢١) **أعلن أنه سيتألَّم كثيراً من الشيوخ ومن رؤساء الكهنة والكتبة.**

التنبُّؤ الثاني: وفي أصحاح (١٧: ٢٢و٢٣) **أنه سيسلَّم إلى أيدي الناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم.**

التنبُّؤ الثالث: وفي أصحاح (٢٠: ١٧-١٩) **أنه سيُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلِّمونه إلى الأُمم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم!!**

على أنه لن ينتهي هذا الأصحاح (١٦) الذي بدأ يُعلن فيه عن آلامه إلاَّ بعد أن طيَّب قلوب

تلاميذه بالنهاية السعيدة: «فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله».

ولكن بالرغم من وضوح تنبُّؤ المسيح الدقيق عن كيفية موته والحكم عليه بالموت وليس بالرجم، والتلميح إلى محاكمة الأُمم له ووصف جميع آلامه، ثم الصلب والموت، والقيامة؛ لكن لم يستطع التلاميذ على وجه الإطلاق أن يفهموا شيئاً من كل ذلك، لأن كل آمالهم كانت في ملكه السعيد الآتي وكيف سيجلسون معه في عرشه. لذلك مرَّت عليهم تنبُّوات المسيح بالآلام وحكم الموت والصلب والقيامة كأنها كابوس طردوه من مخيلتهم، ولم يبقَ منه شيء كرصيد يواجهون به هذه الحقائق. لذلك والمسيح في أشد محنته ناموا، ولمّا واجهوا الأعداء هربوا، ولمّا قام من بين الأموات حسب ما تنبَّأ وكرَّر لم يصدِّقوا، ولمّا ظهر لهم بشخصه وصوته ظنُّوه خيالاً. لأن العمل الذي عمله بجملته فائق على الذهن البشري، وبالأكثر على خبرة التاريخ المقدَّس كله. شيء لم يُسمع به قط أن بعدما عرفوه وآمنوا أنه يسوع المسيح ابن الله يُصلب؟ ويموت؟ لذلك دخلت إليهم القيامة كحلم اقتحمت الوعي وفرضت نفسها بسلطان عمل الله في القلوب. لذلك حرص المسيح جداً أن لا يخرجوا للكرازة إلاَّ بعد حصولهم على الروح القدس، الذي سيشدِّد إيمانهم ويطلق لسانهم بالشهادة عن يقين الإيمان.

١٦: ٢٢و٢٣ «فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلاً: حَاشَاكَ يَارَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا! فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ. أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ».

اعتقد ق. بطرس أنه أصبح ذا حيثية بالنسبة للمسيح حتى أعطى لنفسه هذا القدر أن ينتهر المسيح ἐπιτιμᾶν أي يوبِّخه rebuke. فقصوره عن فهم ما قاله المسيح يعبِّر عن جهالة بقدر المسيح، مما اضطر المسيح أن يضعه في حجمه الصحيح، وبقسوة زجره زجرة فريدة من نوعها لكي توقظه من غفلته.

لقد أخذه بطرس على جنب منفرداً لكي يعطيه نصيحة ويوبِّخه بصراحة عن الذي قاله بخصوص الآلام والقتل!

«حاشاك»: Ἵλεώς σοι

وفي أصلها اليوناني: "ليرحمك الله ولا يجعل هذا يحدث"! بمعنى لا يسمح الله بما قلت. وكأن الذي قاله يغضب الله ولا يتوافق مع رسالته. فرسالته الوحيدة في نظر ق. بطرس هي التي قالها له: «أنت المسيح ابن الله»، وبعد ذلك كل ما قاله عن موت وصلب لا يستقيم له معنى.

«فالتفت وقال لبطرس»:

يبدو في هذا التعبير نوع من الفزع، لأن المفارقة في مستوى ما تكلّم به ق. بطرس وحقيقة المسيح شيء خطير، لذلك دفعه خلفه حيث مكانه الصحيح.

«اذهب عني يا شيطان»: Ὕπαγε ὀπίσω μου

اذهب ورائي ـ لقد استولى على فكر بطرس اتجاه شرير مثيل للذي قاله الشيطان تماماً: اسجد لي وأنا أعطيك العالم. وقد لا يتفق هذا الرد مع ما قاله المسيح سابقاً لبطرس بخصوص الصخرة التي سيبني عليها كنيسته، ولكن بطرس أخفق في كيف ستُبنى الكنيسة إخفاقاً شنيعاً. فقد حسب أنها ستُبنى عليه كتلميذه المحبوب، على أساس المسيح مسيًّا المعلّم الصانع الخيرات. ولم يدرِ أن موت المسيح الذي أراد أن يتحاشاه هو أساس البنيان كله والصليب هو قوة الخلاص العتيد أن يكون.

«أنت معثرة لي»:

بالقول الذي قاله أصبح بطرس عثرة للصليب، لأنه يجسِّد فكر التخلّي عن الخلاص. لذلك نحّاه المسيح تماماً من طريقه بل من أمامه، "اذهب عني". ويلاحظ القارئ السرعة والحدَّة والحسم في وقف بطرس عن تكميل كلامه ومؤاخذته الشديدة ليسحب نفسه كليَّة من الموقف الذي وقفه، وربما المسيح كان أقل عنفاً مع الشيطان نفسه لأنه يدرك قصده وأسلوبه. أمَّا بطرس هنا فهو يتكلّم من موقف المحبة والطاعة والخدمة، وهنا الخطورة التي حتَّمت الحسم. ولكن هناك فرقٌ بين أن يتكلّم بطرس بما أوحى به الآب السماوي، وبما أوحى به الشيطان. وبين الاثنين مسافة زمنية تُعَدُّ بالدقائق.

«لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس»:

هذا هو شكل العثرة σκάνδαλον التي حبك الشيطان موضعها على يد تلميذ مُخْلِص ولكنه غير واعٍ. اهتمام الله هو الصليب: «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟» (يو ١٨:١١). ولكن لكي بعدها يقوم من أجل الخلاص الذي جاء ليكمِّله بموته.

اهتمام بطرس على مستوى الناس «جيِّد يا رب أن نكون ههنا». ونصنع لك مظلّة! كان يجري وراء مسرَّة ومظهر خارجي وهو لا يعلم أن بدون موت المسيح ستكون له ديونة وغضب إلهي. فإذا سأل الإنسان في تعجُّبه كيف صارت صخرة الإيمان التي بُنِيَتْ عليها الكنيسة صخرة عثرة، فذلك لكي نفهم ونتيقَّن أن صخرة الكنيسة ليست بطرس، ولكن المسيح الذي في بطرس الذي حاز على الروح القدس وعاد إلى إخوته!

١٦: ٢٤-٢٦ «حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي، فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا. لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟».

هذه الوصية هي من واقع حال ما أخفق فيه بطرس لأنه أراد أن يتهرَّب من الصليب لجد نفسه.

«إن أراد»:

المسيح لا يُلزم أحداً باتّباعه، لأن اتّباع الرب هو أن نسير على خطواته. والمسيح لا يُلزم أحداً أن يموت، إلاَّ أن في اتباع خطواته الدامية خلاصاً. وكأنه يقول: مَنْ أراد أن يموت معي يخلص، ومَنْ لم يُرد أن يموت معي لا يخلص. وأنا لا أطلب ولا أُسرُّ بموت أحد بل لخلاصه تكفي إرادته، فالذي أمات ذاته بالإرادة فقد صَلَبها، فإن يُنكر الإنسان ذاته ويحمل صليبه تابعاً خطواتي يخلص.

فالذي يستكثر ويستصعب موت ذاته، أي أراد أن يعفيها من أن تموت مع المسيح، فهو دون أن يدري يكون قد أهلك ذاته أبدياً. ولكن الذي ينكر ذاته معي يحفظها إلى حياة أبدية معي.

العالم لذيذ وبديع وكلّه مسرَّات وشهوات: مديح وكرامة وإطراء ووجود بين الناس، وجنَّات وأفراح وأموال وبنين وبنات، وبعدها موت حتمى لفناء! فماذا يكون قد ربح الإنسان العاقل في مشوار ينتهي بلا شيء، بل يخسر فيه نفسه المعيَّنة للحياة الأبدية؟ أو مَنْ أراد أن يفدي نفسه، هل يستطيع أن يعطي شيئاً من أشياء العالم التي يمتلكها لكي يفدي بها نفسه من حكم الهلاك الأبدي؟ لا مفر ... لا بُدَّ أن نسلِّم النفس هنا للمسيح لتعبر معه مضيق الموت لتقوم معه ببهاء وجمال لميراث الحياة الأبدية معه أيضاً. ومَضيق الصليب يعني: شركة المهانة، واحتمال الإساءة، واتهام الزور، وغرامة بلا سبب، وموت العار! كل ذلك يجوزه الإنسان الذي سلَّم حياته ونفسه للرب دون أن يرثي لها، لأن هذه ستكون سيرته الداخلية. وهكذا تقف الذات للإنسان، إمَّا يُهلكها بإرادته، وإمَّا تُهلكه رغم إرادته! وإن كان الكلام للتلاميذ فهو أيضاً لكل مَنْ يطلب الخلاص.

١٦: ٢٧ «فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ».

«سوف يأتي»: μέλλει ἔρχεσθαι

الترجمة هنا لا تأتي بالمعنى الدقيق وصحتها: "is about to come" وترجمتها: "على وشك أن

يأتي أو سيأتي وشيكاً". وهذا الكلام جيد في موضعه بعد أن قرَّر المسيح أن موته حتمي هو، فتجيء هذه الآية مريحة للنفس التي مزَّقها تصوُّر موت الابن الوحيد، وخاصة أنه سيرافقه في مجيئه جوقة ملائكة العرش المخصَّصين لإعلان مجد المسيح. كذلك فإن قوله: «وحينئذ يجازي كل واحد»، هذا يعطي للنفس جزاء ما عاشت وعملت. ويلاحظ القارئ قوله: «حسب عمله» وليس حسب أعماله، كناية عن ما سجَّله لنفسه في حياته باعتبار أن عمل الإنسان يعبِّر عن خلاصة حياته، إن لصالح الملكوت أو لغيره. ومجيء المسيح ترافقه الدينونة يجعل اختيار الإنسان بين الحياة مع المسيح أو عدم الحياة معه أمراً جديًّا ومُلِحًّا. فإن كنا أحراراً في حياتنا فلسنا أحراراً أمام واقع الدينونة الرهيب. فالذي تسلبه الذات منَّا لمتعة الحياة هنا سندفع ثمنه الهلاك هناك. وتعبير: حسب "عمله"، يجعل الحياة كلها في مضمونها أمام الدينونة "كعمل واحد"، إمَّا لحساب الحياة الأبدية، وإمَّا للهلاك. فالقرار ليس سهلاً بالمرَّة فهو يحتاج لعزم القلب وللثبات بشدَّة في وجه إغراء الراحة والمتعة، ولوقفة أسد الله الذي لا يتراجع حتى ولو كانت الحياة معركة مع الموت والعدو. فالموت لا يخيفنا، الذي يخيفنا أن نُلقى في جهنَّم ونُحرم من الله والحياة الأبدية.

١٦: ٢٨ «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْماً لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً فِي مَلَكُوتِهِ».

يقصد بطرس ويعقوب ويوحنا الذين أخذهم المسيح وصعد بهم جبل التجلِّي. الأمر الذي بهر ق. بطرس وظلَّ يتغنَّى به كل أيام حياته ولا يزال: «لأننا لم نتبع خرافاتٍ مُصنَّعة، إذ عرَّفناكم بقوةِ ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنَّا معاينين عظمته. لأنه أخذ من الله الآب كرامةً ومجداً، إذ أقبلَ عليه صوتٌ كهذا من المجدِ الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به. ونحن سَمِعنا هذا الصوت مُقبلاً من السماءِ، إذ كنَّا معه في الجبل المقدَّس.» (٢بط ١: ١٦-١٨)

كانت رحلة المسيح مع تلاميذه الثلاثة إلى جبل حرمون، وهو المتاخم لقيصرية فيلبُّس، وحدوث التجلِّي الذي حازه المسيح واستعلان مجده بالعين الناظرة أمراً مذهلاً للتلاميذ، رفع معنوياتهم إلى القمة بعد زلة بطرس بسبب رعبته من فكرة موت المسيح. وهكذا انقلب اليأس الذي فيه إلى بأس أسد يحكي عن تجربته الإلهية على جبل التجلِّي واثقاً من المجد الذي للمسيح!

ويعترض كثير من العلماء على حادثة التجلِّي أن تؤخذ بمفهوم مجيء المسيح في ملكوته. والغلطة التي عثروا فيها أنهم أضافوا الآية (٢٧) إلى الآية (٢٨) بمعنى أنه سيجيء للدينونة. ولكن في رأينا

أن الآية الثانية (٢٨) هي مصغَّرة من الآية الأُولى حيث يكون المجيء مجرَّد استعلان كيف سيجيء في مجده ولكن ليس للدينونة. والذي يكشف مدى صحة هذا الرأي أنه قال: «من القيام ههنا قوم» وليس التلاميذ كلهم. هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى فإن مجيئه للدينونة سيراه الكل بلا استثناء. أمَّا مجيئه الآن كنموذج في "التجلِّي"، فهو جزئي وموقوت في حياة التلاميذ وليس بعد موتهم، لهذا أصبح التجلِّي الذي حدث بعد ذلك مباشرة هو الحدث الوحيد الذي أشار إليه المسيح، ليؤكِّد لبعض التلاميذ صدق مجيئه في النهاية بذات المجد للدينونة. ومن شهادة ق. بطرس التي سردناها يتضح مدى انبهار ق. بطرس بالتجلِّي وشهادته عن قوة وعظمة المسيح التي تحقَّقت له في التجلِّي: «**قوة** ربنا يسوع المسيح **ومجيئه** ... كنا معاينين **عظمته** ... أخذ من الله الآب **كرامة ومجداً** إذ أقبل عليه صوت كهذا **من المجد الأسنى**»، كل هذا يحقِّق أن التجلِّي كان صورة للمجيء للدينونة.

الأصحاح السابع عشر

- التجلّي (١٧: ١ - ١٣)
- شفاء الولد المصروع (١٧: ١٤-٢١)
- التنبُّؤ الثاني عن الآلام (١٧: ٢٢و٢٣)
- دفع ضريبة الهيكل (١٧: ٢٤-٢٧)

التجلّي

[١٧: ١-١٣]

(مر ٩: ٢-١٣)،
(لو ٩: ٢٨-٣٦)

كانت حكمة من المسيح أن يستعلن نفسه متجلّياً لتلاميذه الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا، فيروا مجده ويعاينوا عظمته ويسمعوا صوت الآب من المجد الأسنى يعترف بابنه وبمحبّته أمام أعين وآذان تلاميذه. ونحن يصيبنا من هذا النصيب هذا الدعم الفائق لشخصية المسيح، ذلك قبل أن يدخل في آلامه المروِّعة حتى نستطيع أن نتابع هذه الآلام دون أن يصيبنا الفزع، حينما نسمع أن مسيح الله وملك الدهور يُعرّى ظهره ويُضرب بالسياط، حتى يتهرَّأ اللحم منه وينزف الدم. فمن يحتمل وبأي أعصاب يمكن أن نتابع القصة حتى الصليب ودق المسامير وخروج الروح، شيء مريع حقًّا لا يقوى على تصوُّره إنسان. لذلك جاء التجلّي قبل الدخول في الآلام ليصنع غلالة من نور تغطّي منظر الآلام والصليب، وتجعلنا نرى في الآلام الأمجاد التي بعدها، وفي الصليب الخلاص الذي وُلد والقيامة والحياة السعيدة. فهكذا شاءت حكمة الإنجيل أن تسعدنا بالتجلّي لنعيش لحظة مجد حقيقي، فيها يتلاقى العهد القديم بأعظم وأمجد وأقوى ما فيه مع الجديد. موسى وإيليا أمجاد الماضي كله بناموسه وأنبيائه، مع بطرس ويعقوب ويوحنا ثلاثي القوة والألفة والنبوَّة في روحها الجديد، والمسيح قائم يصالح العهدين ويبارك العالم كله.

١٧: ١و٢ «وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَاهُ وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ».

«وبعد ستّة أيام»:

يقولها ق. لوقا نحو ثمانية أيام. وهذا اللَّبْس ربما لأن ق. متى لم يحسب السبت في الوسط، أمَّا ق. لوقا فحسبه وحسب اليوم الذي تكلّم فيه ق. بطرس عن استعلان "المسيح ابن الله الحي". أمَّا لماذا اختار المسيح بطرس ويعقوب ويوحنا فقط لحضور استعلان التجلّي، فواضح من اختيارهم أيضاً هم أنفسهم في حضور لحظات الصلاة التألُّمية على جبل الزيتون، أن السبب يكمن في قدرة الثلاثة على استيعاب أسرار المخلّص أكثر من الباقين، وعلى أساس أن يحتفظوا بسرِّه إلى ما بعد القيامة. مع العلم بأن كلاً من ق. بطرس وق. يوحنا ذكر حادثة التجلّي بما يوحي بمقدار المجد الذي أثّر في

كرتهم. فالقديس بطرس يذكره في رسالته الثانية التي سبق أن ذكرناها (انظر صفحة ٤٩٩). أمَّا . يوحنا فيذكرها كحقيقية عينية عامة: «ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقًا» (يو ١٤:١). أمَّا الجبل العالي فواضح من ملابسات تحرُّك المعلِّم أن المسيح كان في ناحية قيصرية فيلبُّس جبل حرمون على قيد خطوات من المكان، وهو أنسب بقعة للتجلّي. ولكن تقليد الكنيسة يذكر بل تابور، وهو في الجليل، وقد ذكره إرميا النبي كجبل يليق بالرب: «حيٌّ أنا يقول الملك رب لجنود اسمه، كتابور بين الجبال وككرمل عند البحر يأتي.» (إر ٤٦:١٨)

وتغيَّرت هيئته»: μετεμορφώθη

في الحقيقة وعين الأمر، نحن لا نستطيع أن نقول إنه تغيَّر كليًّا، لأن حقيقته التي ظهر بها «وجهه يضيء كالشمس»، فهو ظهور أكثر من تغيير، فقد كشف عن وجهه الحقيقي وعن اللاهوت الذي به بالمجد الذي كان قد أخلاه إلى زمن. فالرب مجده فيه ولكنه يخفيه. فعلى جبل التجلّي وفي خلوة ساعة صلاة كما يقول ق. لوقا: «وفيما هو يصلّي **صارت هيئة وجهه متغيِّرة**» (لو ٩:٢٩)، ظهر لمسيح على حقيقته التي له. الذي استلزم بالتالي وبالضرورة أن تنفتح أعين التلاميذ لتستوعب المنظر لفائق للطبيعة الذي ظهر به المسيح. وكأنه يقول لهم بغير قول: أنا هو الذي ترونني، فإن تكلَّمت عن آلامي فمجدي فيَّ ولن تروا في صليبي إلاَّ خلاصكم، فقد لبست جسد الآلام لأكمِّل الآلام، أنا كما أنا. فإن رأيتم آلامي فاذكروا الأمجاد التي بعدها:

+ «باحثين (الأنبياء) أيُّ وقتٍ أو ما الوقت الذي كان يدلُّ عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهِدَ بالآلامِ التي للمسيح، والأمجادِ التي بعدها.» (١بط ١:١١)

والمسيح نفسه ذكر لتلميذي عمواس **عن الأمجاد التي له التي أخفتها الآلام** إلى حين لكي تظهر بعدها بلا آلام: «أمَا كان ينبغي أن المسيح **يتألَّم بهذا ويدخل إلى مجده؟**» (لو ٢٤:٢٦).

ففي التجلّي أظهر المسيح مجده الذي له والذي كان مزمعاً أن يخفيه تحت آلامه إلى أن يكمِّلها لكي يظهر بعدها بلا آلام، ويبقى إلى الأبد قائماً في مجده الذي له وجروح آلامه عليه. هنا التجلّي لمحة لِمَا بعد الآلام، قدَّمها المسيح أمام الزمن حتى لا يخور التلاميذ عندما يعبر آلامه أمامهم. ولكنهم خاروا لأن الآلام كانت قد فاقت الحد المعقول.

«وأضاء وجهه كالشمس»:

القصد من هذا الوصف أن وجهه أشعَّ الضوء كمركز مضيء، والنور من حول وجهه هالة. فالوجه لم يضيء فقط بل أضاء كالشمس، بمعنى أنه أضاء أيضاً فيما حوله. هذا يعني أن النور الذي فيه،

نوره هو، من طبيعة وجوده وكيانه وليس مستمداً من آخر، وهو بآن واحد مصدر للنور. بولس الرسول رآه على هذا الحال ولكن كان تعبيره عن نور وجه المسيح وهو يُطل عليه من السماء هكذا:

+ «نحو نصف النهار، بغتةً أبرق حولي من السماء نورٌ عظيم ... وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور ...» (أع ٢٢: ٦و١١)
+ «رأيت في نصف النهار في الطريق، أيها الملك، نوراً من السماء **أفضل من لمعان الشمس** قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي.» (أع ٢٦:١٣)

هذا هو المسيح الذي تألَّم ودخل إلى مجده!!

«وصارت ثيابه بيضاء كالنور»:

الوجه كالشمس يشع نوراً، والثياب بيضاء كالنور تضوي. الجسد يُضيء والثياب ينعكس عليها النور: «ساكناً في نور لا يُدنى منه.» (١تي ٦:١٦)

هذا هو مفهوم الميتامورفوسيس **μεταμόρφωσις** التحـوُّل في الهيئة، لأن مورفي **μορφή** تفيد الهيئة الجوهرية. فهنا حدث تحوُّل في الهيئة لحساب الجوهر الإلهي الذي كان مخفياً تحت ستار الطبيعة الجسدية المعتمة. وهكذا صار جسد المسيح مضيئاً بنور وبهاء لاهوته إلى لحظة(١). هذه الحالة بالمفهوم اللاهوتي تفيد بصورة واضحة كيف أن الطبيعة الإلهية متحدة بالطبيعة البشرية ومختفية فيها بآن، اتحاداً أثَّر تأثيراً شديداً وكاملاً في الطبيعة البشرية، فجعل وجهه الجسدي يُضيء كالشمس. وهنا يعجز التعبير بالقول ميتامورفوسيس أن يعطي إجابة صحيحة عن هذا الوضع، فهو ليس تحوُّلاً جوهرياً كاملاً في الطبيعة وإلاَّ كان لابد أن يختفي الجسد، بل **ظهور للاهوت المتحد بالناسوت**، وكان لهذا **الاتحاد** مفعوله الجديد أن الجسد أضاء!!

وهنا كون الجسد أضاء باللاهوت الذي فيه أصبح برهاناً جديداً قوياً لا يُدْحَض على الاتحاد الكامل الذي تمَّ بين الطبيعة الإلهية المنيرة والطبيعة الجسدية المعتمة. وليس كوجه موسى الذي لمع مجرَّد لمعان بسبب قربه من الله على جبل سيناء. فهنا وجه المسيح صار أقوى من ضوء الشمس ولكن الثوب هو الذي لمع بتأثير انعكاس النور. وهنا تتضح مرَّة أخرى المفارقة بين الناموس على يد موسى فهو يحمل ضياء انعكاس وجه الله، أمَّا هنا فالمسيح هو وجه الله ذاته الذي تختفي الشمس من نوره.

وهنا تجيء الكلمة العربية: "تجلِّي" رائعة حقًّا، فهي توحي بأن الطبيعة البشرية أفسحت مجالاً

---

(1) R.C.H. Lenski, *The Interpretation of St. Matthew's Gospel*, (1932), pp. 632-634.



«وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم إلى جبلٍ عالٍ منفردين وحدهم.» (مر ٩ : ١)

هذا هو جبل تابور الذي يذكر التقليد أنه هو الجبل الذي صعد عليه الرب يسوع مع تلاميذه

بطرس ويعقوب ويوحنا حيث رأوه متجلياً مع موسى وإيليا



التجلّي

والرب يلفّه النور الشديد وموسى وإيليا من الصعب تبيانهم

للاهوت الذي فيها أن يُعلن عن ذاته غير منفصل عنها، مؤكّداً أن الله ظاهر في جسد. وهذا بعينه هو القصد الأساسي الذي قصده المسيح من التجلّي سواء لتلاميذه أو لنا.

أمَّا الثياب التي لمعت بالنور فهذا يوضّح مدى الأثر الذي يطبعه المسيح بلاهوته على العالم المادي، وكأن المادة تتجلّى هي أيضاً، أي تُظهر مدى التحوُّل الذي اعتراها من جراء انطباع قوة اللاهوت على الثوب مثيلها. وهذا ما سيكون عليه حال العالم المادي حينما يتغيَّر الإنسان تغيُّره الأخير:

+ «لأن انتظار الخليقة **يتوقّع استعلان أبناء الله** ... لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد (الموت والفناء) إلى حُرِّيَّة مجد أولاد الله. فإننا نعلمُ أن كل الخليقة تئنُّ وتتمخَّضُ معاً إلى الآن ... متوقعين التبني فداء أجسادنا.» (رو ٨: ١٩و٢١و٢٣)

وهكذا يعطي التجلّي درساً لاهوتياً عمَّا تمَّ أصلاً بين اللاهوت واتحاده بالناسوت. وهكذا نرى أن التجلّي وظهور المسيح في المجد وهو يضيء كالشمس يُحسب بداية انطلاق لشرح اللاهوت، خاصة وأنه تكرَّرت فيه شهادة الآب من السماء: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، له اسمعوا» (مت ١٧: ٥). وبهذا عنى الآب أن يكمِّل استعلان وظهور لاهوت مجد الابن بهذه الشهادة. وعلى ذلك نسمع في سفر العبرانيين عن علاقة الابن بالآب بالتعبيرات المطابقة لحقيقة التجلّي: «**الذي وهو بهاء مجده، ورسم جوهره**» (عب ١: ٣). ويصفه بولس الرسول في الرسالة إلى كولوسي: «الذي هو صورة الله غير المنظور» (كو ١: ١٥)، «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًّا» (كو ٢: ٩). كذلك يرى ق. بولس كيف ستتغيَّر نحن أيضاً لنشبهه: «الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا (يتجلّى) ليكونَ على صورة **جسد مجده** (الذي ظهر في التجلّي)» (في ٣: ٢١). ولكن الصورة هنا اكتساب وليست أصلاً. وفي رسالته الأُولى لتيموثاوس يصرِّح بأعلى معلومة عرفناها عن التجسُّد: «عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد» (١تي ٣: ١٦)، لا تراه إلاَّ عيون الأتقياء، لذلك قيل إنه سر التقوى، أي السر لأهل بيت الله.

هذه كلها ومضات انطلقت في أفق الإنسان المحدود من جراء حادثة التجلّي، ومن بعدها القيامة للتحقُّق من كونه الابن الوحيد، والصعود لانطباق المثيل على المثيل فيكون الابن في الآب. والمسيح نفسه لَمَّا طلب من الآب «أيها الآب مجِّد اسمك (أو ابنك) ...» (يو ١٢: ٢٨)، «مجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو ١٧: ٥) وردَّ الآب: «مجَّدت وأُمجِّد أيضاً» (يو ١٢: ٢٨). فكان التجلّي واحدة من هذه الاستجابات التي استجاب بها الله الآب لنرى مجده ونرى نوره قبل أن يدخل إلى ليل آلامه.

٣:١٧ «وَإِذَا مُوسَى وَإِيلِيَّا قَدْ ظَهَرَا لَهُمْ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ».

«ظهرا»: ὤφθη

هذا الظهور ظهور جسدي بأجسادهم التي كانت لهم. علماً بأن إيليا صعد إلى السماء (٢مل ٢:١١) حيًّا بجسده، أمَّا موسى فمع أنه قيل إن الرب أماته (تث٣٤:٥)، ولكن بقيت مقولة في التقليد تقول إنه رُفع أيضاً إلى السماء وهذا صار معلوماً في الكنيسة في القرن الأول(٢). ويقول العالِم بنجل إنه ربما يكون رُفع حيًّا بعد موته بشبه الرب ولكن لا يُحسب باكورة الراقدين لأنه يستحيل أن يُعطي (موسى) قيامة لأحد. ولكن على كل حال يقول بنجل إن ظهور موسى حيًّا بجسده يُعتبر سرًّا من الأسرار. لأن مَنْ ذا يستطيع أن يقول إنه أخذ نعمة عدم الموت؟ ἀθανασία. ولكن ردًّا على بنجل نقول إن أرواحهم بمجرَّد أن حضرت أمام المسيح أخذت من المسيح القدرة على التجسُّد الروحي بشبه أجسادهم الأُولى، فهي أجساد أثيرية تظهر للعيان ولكن تنحل بعد ذلك وتعود إلى وضعها غير المنظور بانتظار استعلان ملكوت الله «أنه إذا أُظهر **نكون مثله** لأننا سنراه كما هو.» (١يو ٣:٢)

أمَّا السؤال كيف عرف الثلاثة أنهما موسى وإيليا؟ نقول: إن هذه معروفة جداً للذين اختبروا رؤية الأشخاص السماوية، فإنه بمجرَّد أن تظهر تُستعلن أشخاصها للنفس الرائية بدون تعريف. وهكذا سنكون عندما نصعد فوق – إن كان لنا نصيب – حينئذ نتعرَّف على جميع الآباء والأنبياء والرسل والقديسين والشهداء بلا عناء أو تعليم، إنه انفتاح الوعي الروحي لإدراك كل حقائق السماء، حتى أعماق الله.

أمَّا موسى فمعروف أنه جاء يسلِّم الناموس لصاحبه، وأمَّا إيليا فيسلِّم النبوَّة: «فإن شهادة يسوع هي روح النبوَّة» (رؤ ١٩:١٠). بهذا نفهم أن العهد القديم بكل كيانه جاء ليسلِّم الوديعة لصاحبها، بكل آبائها وأنبيائها وقدِّيسيها وملوكها الأبرار، لينالوا من المسيح بالتالي عمل الخلاص بأثر رجعي. لذلك نجد موسى وإيليا يشغلهما أمر خروج المسيح العتيد أن يكمِّله خارج أُورشليم، أي موته الكفَّاري مؤكِّدين حقهم في نوال النصيب المشترك في الآلام والصلب والقيامة والمجد العتيد!

أمَّا عن الخروج الذي سيكمِّله في أُورشليم (لو ٩:٣١)، فواضح الارتباط البديع بين الخروج الأول (في العهد القديم) وفصحه الأول وبين الخروج الثاني وفصحه النهائي والأكمل، حيث

(2) J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 334.

الخروج الأول خَدَمَةُ موسى لخروج شعب إسرائيل القديم بواسطة فصح الخروف المذبوح ودمه المسكوب على الأبواب، من عبودية فرعون إلى أرض الميعاد عبر سيناء، وتحت مظلة سحابة النور التي تضيء الليل وتظلّل النهار. أمَّا الخروج الثاني فجاء موسى ليعاينه، الذي سيكمِّله المسيح باعتباره خروف الفصح الحقيقي الذي كان الأول مجرَّد رمز له، وسيكمِّله في أُورشليم حيث يُذبح جديداً بدلاً من مصر «ومصر حيث صُلب ربنا أيضاً» (رؤ ١١:٨). ومن عبودية فرعون العالم والخطية والموت، وبسفك دمه لمسح نفس الإنسان وضميره والعبور به عبر العالم إلى أرض الميعاد الجديدة حيث الحرية الحقيقية والراحة العليا والحياة الأبدية: «قد وَهَبَ لنا المواعيد العظمى والثمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية.» (٢بط ١:٤)

فعجيب من الإنجيل غاية العجب أن يسجِّل لنا هذا المشهد ليربط بين الخروجين والفصحين والعهدين. ليُرى القديم بكامله كصورة وظِلال للحقيقة الأبدية في شخص يسوع المسيح.

أمَّا حضور الآب منادياً الابن الوحيد، ومنادياً الثلاثة تلاميذ ونحن بأن: «له اسمعوا»، فهو يوثِّق الخروج المزمع أن يكون، ويُعلن عن اشتراك الآب في خطواته حتى يعود الابن إلى الأحضان السماوية. فكما خطَّط الآب للفصح الأول بصوت يهوه الذي كان يَرِنُّ في قلب موسى، هكذا أعلن مسئوليته العظمى في التخطيط للفصح الأعظم بصوته من السماء وسمعته أذن الإنسان. لأنه إن كان في الأول أحبَّ شعب إسرائيل ففي الثاني: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.» (يو ٣:١٦)

٤:١٧ «فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ: يَارَبُّ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ ههُنَا! فَإِنْ شِئْتَ نَصْنَعْ هُنَا ثَلاَثَ مَظَالَّ. لَكَ وَاحِدَةٌ، وَلِمُوسَى وَاحِدَةٌ، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةٌ».

هنا أسقط ق. متى أمراً مخزيًّا بالنسبة للثلاثة الشجعان إذ يقول ق. لوقا: «وأمَّا بطرس واللذان معه فكانوا قد تثقَّلوا بالنوم، فلمَّا استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه. وفيما هما يفارقانه قال بطرس ليسوع ...» (لو ٩: ٣٢و٣٣). إن الإنسان ليدهش كيف يتثقَّلون بالنوم وسط هذا الضياء والنور والمجد، وحدثٌ جَلَلٌ مثل هذا: أن يروا موسى وإيليا من وراء الزمن والتاريخ السحيق، ويروهما بمجدهما، إذ يبدو أنهما قد قبلا مجداً من المسيح فلفَّهما النور والبهاء. فكيف ناموا؟ لا حَل أمامنا إلاَّ أنه نومٌ فوق إرادتهم، ولكن لماذا والرب اختارهم ليروا ويسمعوا؟ فالمنظر كله لهم، والحديث لهم، والتجلِّي كحادثة تختص بحياتهم وإيمانهم. ولكنهم ناموا أيضاً رغم إرادة المسيح في

جثسيماني، وهو يأتي إليهم مرتين وأكثر ويقول: قوموا، صلُّوا، اسهروا، لثلاث مرَّات ويجدهم نياماً؟؟ أليست هذه نقيصة الإنسان التي تغضب الله: أن ننعس في وقت ينبغي فيه الصلاة والسهر؟ ولكننا نحن نرى في هذا النعاس توضيحاً لقصور الطبيعة البشرية قبل التجديد، حيث سنطلع على ما فوق الطبيعة. وعلى آخر لحظة وموسى وإيليا يغادران، استيقظ الثلاثة ليروا المشهد الأخير. طبعاً بهرهم منظر موسى وإيليا وهما في حالة ممجَّدة! والمسيح يضيء وثيابه تنير. فتصوَّر ق. بطرس أنه يليق أن يصنع لهم ثلاث مظال بمعنى ثلاث صوامع صغيرة من سعف النخل للإقامة على جبل تابور. فكرة ساذجة على أثر انفعال غير مُنضبط، وكان الأفضل أن يتيقَّظوا للحديث وينقلوه لنا لأنه حديث المجد، وواضح أنه لطول هذا الحديث قد نعس الأبطال.

٥:١٧ **«وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا».**

وكأن اقتراح بطرس لم يَطِبْ للسماء، فجاءت سحابة نيِّرة أشغلت ذهنهم وظلَّلت الجميع، ودخلوا السحابة النيِّرة، دخل موسى وإيليا سحابة النور والمجد، وصاروا جميعاً في الحضرة الإلهية.

وهنا يأتي الصوت من السحابة، والصوت صوت الآب الذي يزلزل السماء: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا» (مت ١٧:٥)، وكأن الزمن يُختزل في لحظة بين قول الله لموسى: «يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من إخوتك مثلي **له تسمعون**» (تث ١٨:١٥). وهنا يأتي الصوت بانطباق حيث تمَّ الوعد وجاء الموعود به: «هذا هو ابني الحبيب ... **له اسمعوا**».

هذا المنظر المبهر انطبع على ذاكرة ق. بطرس بصورة لا تُمحى، واعتبره إعلاناً عن مجد المسيح وبنوَّته من السماء في أعظم احتفال سماوي اشترك فيه الناموس والأنبياء، حيث أثَّرت فيه رؤية إيليا النبي، فجعل النبوَّة عند ق. بطرس في قمة الشهادة الأثبت. إذ بعد أن سرد وقائع هذا المنظر بدقة (٢بط ١: ١٦-١٨)، عاد يقول وعندنا النبوَّة هي أثبت: «وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها، كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم.» (٢بط ١:١٩)

كما ظلَّ مجد المسيح الذي احتفلت له السماء بالسحابة النيِّرة وحضور عميد الناموس وعظيم الأنبياء يؤثِّر في قلب ق. يوحنا حتى سجَّله في إنجيله: «ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقاً.» (يو ١:١٤)

١٧: ٦-٨ «وَلَمَّا سَمِعَ التَّلاَمِيذُ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَخَافُوا جِدًّا. فَجَاءَ يَسُوعُ وَلَمَسَهُمْ وَقَالَ: قُومُوا وَلاَ تَخَافُوا. فَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ وَلَمْ يَرَوْا أَحَداً إِلاَّ يَسُوعَ وَحْدَهُ».

هو هو يهوه الذي ما إن سمع الشعب صوته قديماً من فوق جبل موسى حتى ارتعدوا: «وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخّن. ولمّا رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى: تكلّم أنت معنا فنسمع ولا يتكلّم معنا الله لئلاّ نموت. فقال موسى للشعب: لا تخافوا ...» (خر ٢٠: ١٨-٢٠)

ويهوه هو هو كما في القديم كذلك في الجديد لا يراه أحد ويعيش، والذي يسمعه يسقط على الأرض مغشياً عليه. لهذا كان تجسُّد الابن الوحيد ليوصِّل لنا كلمة الله في آذاننا فنحتمل، نعمة عظمى. وبقي **يسوع وحده**، لم يعد موسى ولا إيليا، لا ناموس ولا أنبياء. فقد حقّق المسيح الأول والثاني وحده!

١٧: ٩ «وَفِيمَا هُمْ نَازِلُونَ مِنَ الْجَبَلِ أَوْصَاهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً: لاَ تُعْلِمُوا أَحَداً بِمَا رَأَيْتُمْ حَتَّى يَقُومَ ابْنُ الإِنْسَانِ مِنَ الأَمْوَاتِ».

هكذا بقي سر التجلّي مكنوناً في صدور الثلاثة إلى أن قام الرب فأصبح الحديث عن التجلّي تحصيل حاصل، مفهوماً ومقبولاً، فالقيامة تؤكّده وتبرهن عليه. وقول المسيح ذلك لتلاميذه يكشف أن التجلّي حادثة لا تختص بالتعليم بالنسبة لاقتراب الملكوت قبل حوادث الآلام والصلب. بل هي بعينها صورة لمجيء الملكوت. فهي تقدّمت في ميعادها خاصة من أجل تهدئة روع التلاميذ الثلاثة فيما يختص بالآلام المزمعة، ليكون عند التلاميذ رصيد احتمال وفهم لمجريات الأمور. ولكن يبدو أن كل خطط المسيح لتوعية التلاميذ ذهبت أدراج الرياح دون أن يعوا شيئاً منها، ولكنها بقيت على كل حال لنا نستشف منها مستوى المعرفة التي واجهت المسيح من أخصائه.

١٧: ١٠ «وَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: فَلِمَاذَا يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ إِيلِيَّا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ أَوَّلاً؟»

واضح أن حادثة التجلّي أربكت التلاميذ الثلاثة، إذ أدركوا منها أن المسيح قادم على الخروج الفعلي من أورشليم أي الموت، وهذا في نظرهم لا يتمشّى مع ما فهموه أنه المسيَّا الذي يبقى إلى الأبد، ثم حضور إيليا وإن كان أنعشهم إلى لحظة إلاّ أن غيابه مباشرة بعد حديث الموت بالنسبة للمسيح زاد من ارتباكهم. فكيف يفسِّرون قول الكتبة إن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً ليعد الطريق أمام المسيَّا؟ وها المعمدان مات والمسيح في طريقه إلى الموت. فلماذا إيليا وما قيمة الوعد بمجيئه؟ طبعاً

سبب الارتباك كله أنهم إلى الآن لم يفهموا أن موت المسيَّا هو تكميل الرسالة كلها، وهو تكميل عمل المعمدان أو إيليا في عودة قلوب الآباء على الأبناء وبالعكس.

١٧: ١١-١٣ «فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أَوَّلاً وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ. وَلكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ إِيلِيَّا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، بَلْ عَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا. كَذلِكَ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضاً سَوْفَ يَتَأَلَّمُ مِنْهُمْ. حِينَئِذٍ فَهِمَ التَّلاَمِيذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ».

المسيح يعتبر أن يوحنا المعمدان هو الشخص الذي حدَّدته النبوَّة بأنه يأتي بروح إيليا وقوَّته، وقد جاء وأدَّى رسالته على أكمل وجه، ورفعه المسيح إلى ما هو أعلى من نبي عملاً وسلوكاً واستشهاداً (راجع مت ١١: ٩-١٤)، وإن اليهود وملكهم هيرودس عملوا به إرادتهم الشيطانية بالقتل. والسرُّ في رفضه كان أنهم لم يعرفوه، وهي العلَّة التي أساءوا بها للمسيح أيضاً. ولكن مشكلة التلاميذ التي جعلتهم مبلبلين من جهة عمل يوحنا هو عدم فهمهم لماذا يموت المسيَّا؟ وما قيمة عمل المعمدان إذاً؟ ولكن بعد أن جازوا تجربة التجلِّي ومفهوم الخروج وعرفوا بقيامة المسيح، فقد انكشف كل شيء. فقيامة المسيح هي الجواب الوحيد على جميع أسئلة التلاميذ بخصوص مَنْ هو إيليا ومَنْ هو المعمدان ومَنْ هو المسيح؟! كما فهمها بولس الرسول: «وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات.» (رو ١: ٤)

شفاء الولد المصروع

[١٧: ١٤-٢١]

(مر ٩: ١٤-٢٩)،
(لو ٩: ٣٧-٤٣)

١٧: ١٤-١٨ «وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى الْجَمْعِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ جَاثِياً لَهُ وَقَائِلاً: يَا سَيِّدُ، ارْحَمِ ابْنِي فَإِنَّهُ يُصْرَعُ وَيَتَأَلَّمُ شَدِيداً، وَيَقَعُ كَثِيراً فِي النَّارِ وَكَثِيراً فِي الْمَاءِ. وَأَحْضَرْتُهُ إِلَى تَلاَمِيذِكَ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْفُوهُ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ، الْمُلْتَوِي، إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ؟ إِلَى مَتَى أَحْتَمِلُكُمْ؟ قَدِّمُوهُ إِلَيَّ ههُنَا! فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ، فَخَرَجَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ. فَشُفِيَ الْغُلاَمُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ».

إنها حالة صرع مفتعل، فهو روح شرير أخرس أصم كما جاء في إنجيل ق. مرقس (٩: ١٤-٢٩). لمَّا استولى على الولد عقد لسانه وأصمَّ أُذنيه وأصابه بنوبات الصرع المعروفة بهذا المرض، كتمثيلية

يمثّلها الشيطان ليتقن دور المرض، وهو ليس مرضاً على الإطلاق. وواضح أن الشيطان كان يلقيه في النار ليُحرقه ويقتله، كذلك في الماء ليخنقه ويميته. أمَّا لماذا؟ فلأن طبيعة الشيطان كما عرَّفها المسيح أنه «قتَّال للناس من البدء» (يو ٨: ٤٤). فما مِنْ مسّ يمسّه الشيطان إلاّ وهو يسعى في النهاية أن يقتل صاحبه. على أنه يوجد مرض حقيقي يُدعى الصرع Epilepsy لا دخل للشيطان فيه، وهو يُداوى بأدوية كثيرة، وكثيرون يُشفون منه، ولكنه على أي حال يُعتبر معضلة في الطب النفسي.

ولكن الجديد في الموضوع أن الروح الشرير أصابه بهذا الصرع منذ صباه، أي من مدة سنين كثيرة، وهكذا تعذّب هذا الإنسان فوق الطاقة. هذه هي صورة واقعية لحالة البشرية التي أصابها الشيطان هكذا من فجر حياتها على الأرض، كيف عقد فمها عن التسبيح والشكر لله، وأصمَّ أذنيها عن سماع صوت الله، وألقاها مراراً كثيرة في شهوات شرور بلا عدد، وخنقها مرَّات كثيرة بغرور الغِنَى والمجد الباطل.

استجابة الصلاة:

حينما تقدَّم أبو الولد المريض بالصرع إلى المسيح، لم يكن له الإيمان الكافي، لأنه سأل المسيح: «**إن كنت تستطيع** شيئاً فتحنن علينا وأعنّا» (مر ٩: ٢٢). فلم يُعجب المسيح هذا التردُّد، وأعاد السؤال له هكذا: «**إن كنت (أنت) تستطيع** أن تؤمن. كلُّ شيء مستطاع للمؤمن» (مر ٩: ٢٣). وهكذا ربط المسيح معجزة الشفاء بالإيمان وليس بالتحنن. وهذا كثيراً ما نخطئ فيه جميعنا، فنقول: "إن أراد الله أن يتحنن علينا، يشفي هذا أو ذاك أو يشفيني". فهنا ردُّ الله يكون: "أنا أتحنّن على مَنْ يؤمن أني قادر أن أشفيه. أو بمعنى آخر تحنُّني على خليقتي دائم ومتوفّر في جميع الحالات، غير أنه لا يُنفَّذ إلا لِمَنْ يؤمن به. فليس التقصير في تحنُّني، ولكن التقصير في إيمانكم بي". فتحنن الله لإتيان الأعمال الخارقة للعادة يتطلب إيماناً خارقاً للعادة. أي على قدر صعوبة الشفاء يطلب الله شدة الإيمان، ولكن ليس عند الله شيءٌ مستحيلٌ. فكل إيمان يساويه عمل من الله: «كل شيء مستطاع للمؤمن». أما لغير القادرين على الإيمان، فتحنُّنه جاهز وفعَّال دون سؤال.

وهنا وضع الله أمام تفكيرنا نموذجاً مستحيلاً لعمل الإيمان، إذ قال إنه: «لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل – وحبة الخردل صغيرة، ولكن لها قوة الحياة والانبثاق من الأرض – لكنتم تقولون لهذا الجبل: انتقل من هنا إلى هناك فينتقل» (مت ١٧: ٢٠)، «مَنْ قال لهذا الجبل، انتقل وانطرح في البحر، ولا يشك في قلبه، بل يؤمن أن ما يقوله يكون، فمهما قال يكون له. لذلك أقول لكم: كل ما تطلبونه حينما تصلُّون، **فآمنوا أن تنالوه، فيكون لكم**.» (مر ١١: ٢٣و٢٤)

هنا يُلاحظ القارئ أن المسيح يطلب إيماناً قليلاً، ولكن ليس ضعيفاً، بل كما في حبة الخردل هو فعَّال أشد الفعالية والحيوية. وإن أردنا أن نشبِّه القليل والفعل العظيم المقابل له، يكون كما صوَّره لنا عالم الطبيعيات أرشميدس اليوناني، فهو يقول: "إعطوني رافعة طويلة (عتلة)، وإعطوني نقطة ثابتة خارج الأرض، وأنا أُحرِّك الأرض كلها من مكانها". بل ووضع قانونه المشهور طبقاً لذلك، وهو معروف لدى دارسي الميكانيكا. والروافع كثيرة، وأمرها هيِّن، ولكن أن نجد نقطة ثابتة خارج الأرض، فلا يمكن!!! فهذا الثبوت هو الذي يطلبه المسيح بصلاة الإيمان حتى يحرِّك به الجبل أو يشفي المريض، سيَّان! فكلاهما فوق الطبيعة.

وكثيرون يسألونني: "لماذا نطلب من الله بإلحاح ودموع، والله لا يستجيب"؟ فأقول: "هذا هو المُحال فيما يخص الله مع شعبه، فكل شيء ممكن إلاَّ أن يكون الله غير صادق أو يغيِّر وعده، «بل ليكن الله صادقاً، وكل إنسان كاذباً» (رو ٣:٤). فالمسيح جعل استجابة السؤال مضمونة بدمه واسمه وحق بنوَّته. فهو الذي سبق وقال: «كل ما تطلبونه حينما تصلُّون، **فآمنوا أن تنالوه، فيكون لكم**» (مر ١١:٢٤)".

وهكذا جعل المسيح استجابة الصلاة لا تعتمد على رؤيته أو فكره الخاص، بل جعلها مرهونة بإيماننا، وأي إيمان؟ الإيمان الذي يثق أثناء الصلاة أنه قد نال(٣) ما يطلبه فيكون له!! أي كما أراد ووثق بالإيمان. بمعنى أن الله أعطانا في المسيح أن نقرر أولاً إن كنَّا ننال بالإيمان ما نطلبه أو لا ننال. أما هو فمستعد أن يعطي، بل ويقول بولس الرسول أكثر من ذلك: «والقادر أن يفعل فوق كل شيء **أكثر جداً** مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة (الإيمان) التي تعمل فينا.» (أف ٣:٢٠)

فإن قرَّرنا بقوة الإيمان في الصلاة التي نصليها أننا قد نلنا ما طلبنا، يكون لنا بقدر ما طلبنا، وأكثر مما طلبنا، أو حتى أكثر مما فكَّرنا. لأن سخاء الله في المسيح لابد أن يغلب طمعنا فيه، لماذا؟ لأنها هي مسرَّة الله في المسيح أن يفرِّح قلوبنا لنشكره ونعطيه المجد. فمهما طمعنا في محبته وسخائه فهو الذي سيتمجَّد بالأكثر. لهذا نسمعه يستحثنا لأن نطلب واثقين فيه: «الحق الحق أقول لكم: إن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا، ليكون فرحكم كاملاً» (يو ١٦:٢٣و٢٤). ولكن يظل الشرط الأول والأساسي أنه يلزم أولاً **أن تؤمنوا أنكم ستنالون** ما تطلبون فيكون لكم.

(٣) الآية (مر ١١:٢٤) تُقرأ هكذا في أقدم المخطوطات: "آمنوا أنكم للتموه فيكون لكم".

وبمعنى آخر نحن مسئولون عن استجابة صلواتنا، ولا اعتبار لصعوبة ما نطلبه حتى ولو كان نقل جبل، ألم يقل هو كذلك؟ فقد وضع لنا المسيح القاعدة للاستجابة، وجعل الاستجابة حاضرة عنده مهما كان الطلب فوق المستحيل: نقل جبل!!! وهكذا أخرج من دائرة شكوكنا أن يكون الطلب معقولاً، بل استحثّنا لمنتهى الطمع في استجابته مهما كان الطلب كبيراً جداً أو غير معقول، إذ جعل الشرط الوحيد الذي يحرِّكه مباشرة للاستجابة هو الثقة في أنه يعطينا ما نطلبه، وبعد ذلك: «**فكل شيء مستطاع لدى المؤمن**».

وفي الحقيقة، هذا الشرط الوحيد الذي وضعه المسيح لاستجابة السؤال والطلبة بأن نثق فيه أنه قد أعطانا (وليس سيعطينا) ما نطلب، هو كسر للمعقول لبلوغ منتهى الثقة الشخصية فيه. تماماً مثل ولد يحب أباه ويطلب منه طلباً غالياً، فيردُّ عليه أبوه: "يا حبيبي، اعتبرها في جيبك خلاص". وهكذا ينشأ في قلب ابنه المحبوب الثقة أن كل ما يطلبه من أبيه يناله. ولكن هذا المثل أيضاً ضعيف، فالآب السماوي يريد أن يدرِّبنا أننا إذا أعوزنا شيء نمدّ أيدينا ونأخذه من جيبه!! فالذي أعطانا أن نمسك بالحياة الأبدية: «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت» (١تي ٦: ١٢)، بهذه الجرأة عينها يعطينا أن نمسك بعطاياه على أساس محبته الفائقة نحونا. فالذي أعطانا حياته فهو حتماً يعطينا ما نطلبه: «في ذلك اليوم تطلبون باسمي، ولستُ أقول لكم إني أنا أسأل الآب من أجلكم، لأن الآب نفسه يحبكم، لأنكم قد أحببتموني» (يو ١٦: ٢٦و٢٧)، «الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه **كل شيء**؟!» (رو ٨: ٣٢)

إذن، فوعد المسيح بأن **كل** ما نطلبه في الصلاة «**فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم**»، هو تصريح موطّد ومؤكّد ومبني على ثقة الابن في الآب والآب في الابن. فاستجابة السؤال والطلبة، أصبحت ثمرة من ثمار التجسُّد والموت والقيامة، أي تحصيل عمل لاهوتي كبير جداً وعميق للغاية. فالذي يطلب بعد ذلك ويسأل في الصلاة ويشك في قدرة المسيح على الاستجابة، أو يشك في عدم صلاحيته هو للأخذ، فهو كأنما يشك في عمل المسيح الفدائي كله، ويشك في الصلة العُظمى التي تربط الآب بالابن. فإن كنا نؤمن بالمسيح، فالآب يحبنا؛ وإن كنا موضع محبة الآب، فنحن **نسأل لنأخذ**، ولسنا نسأل لنشحذ رحمة بعد، بل نسأل لنأخذ حسب وعد المسيح والآب.

إذن، فالمسيح قد وضع المحك الكبير في استجابة الصلاة أن نؤمن بأن ما نطلبه نناله **ليكشف به مستوى إيماننا به وبالآب، ومستوى ثقتنا في علاقته هو بالآب**. فإن كانت صحيحة أخذنا في الحال ما طلبناه بدون إلحاح. هذا في الحقيقة هو دستور الصلاة المُجابة، وقانونها الذي يعتمد على

صحة وقوة إيماننا بالمسيح والآب. **إذن، فمن صحة وقوة إيماننا بالمسيح والآب، فنحن نستمد استجابة الصلاة.** كذلك فاستجابة الصلاة تكون أكبر شاهد على صحة وقوة إيماننا بالمسيح والآب.

وأصبح تطبيق هذا القانون هو كالآتي: اطلب ورفِّع طلبك وزِدْهُ صعوبة، واطمع في سخاء المسيح والآب ما شئت، ورسِّخ الإيمان في قلبك أنك قد نلت كل ما طلبت، فيكون لك: «كل شيء مستطاع للمؤمن». فهذا القانون هو بحسب مشيئة المسيح والآب، وفيه يتمجَّد الآب بالابن في كل طلبة ننالها!!

والذي يُرفِّع من طلبه ويزيد من صعوبته، هو في الحقيقة يرفِّع من تمجيد الآب والمسيح ويزيد في تمجيدهما. فهل بعد ذلك يحقُّ لأي إنسان أن يقول إنه طلب من المسيح مراراً وبإلحاح ودموع ولم يُستجَب له؟؟ ألا يكون مثل هذا التصريح هو اتهام مباشر لصدق المسيح والآب؟ وألا يعتبر مثل هذا الاختبار هو خطأ إيماني يستحق المراجعة والتصحيح؟

والآن وقد عرفنا أن الله والمسيح أعظم من أي سؤال وطلبة مهما كان صعباً بل ومستحيلاً، وأن الوعد ثابت ومؤكَّد أن المسيح مستعد للاستجابة إن كنَّا نثق في هذه الاستجابة، أصبح الشك في الاستجابة يُضاف إلى عدم إيماننا وليس لعدم سماع الله.

من هنا نفهم خطورة وقوفنا أمام الله نصلي ونطلب، فنحن نضع أنفسنا أمام اختبار إيماني هائل، لذلك يلزم أن نعمل حساب سؤالنا وطلبتنا مرات ومرات: هل نحن جادون في الصلاة والسؤال؟ هل نحن على مستوى الثقة في استجابة المسيح والله؟ أو بمعنى آخر: هل إيماننا بالمسيح والآب هو على يقين الحق، وأن وعوده صادقة، وأنه أمين على ما يقول، وأنه مستعد أن يهب لنا كل شيء نطلبه؟ وحينئذ نتقدَّم بالسؤال والطلبة ولا نتزحزح عن ثقتنا بأنه قد استجاب. أما هو فصادق وأمين، وكل ما يطلبه هو صدقنا نحن وأمانتنا في أمانته.

أعطني رُكباً منحنية وقلوباً صادقة في إيمانها بوعد المسيح والآب، طمَّاعة في سخاء الآب واستجابة المسيح، وسوف ترى كيف أن العُمي يبصرون، والصُّم يسمعون، والشُّل والعُرج يمشون ويجرون ويرقصون، وكل أنواع الأمراض تُشفى حتى المستعصية من سرطان وسل وتليُّف كبدي وفشل كلوي وأمراض القلب. فالمسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد: الطبيب الذي جاء من أجل المرضى، وليدعو الخطاة إلى التوبة.

١٧: ١٩ ـ ٢١ «ثُمَّ تَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ إِلَى يَسُوعَ عَلَى انْفِرَادٍ وَقَالُوا: لِمَاذَا لَمْ نَقْدِرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ؟

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: لِعَدَمِ إِيمَانِكُمْ. فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ. وَأَمَّا هذَا الْجِنْسُ فَلا يَخْرُجُ إِلاَّ بِالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ».

يوضِّح المسيح هنا سرَّ عجز تلاميذه في إخراج الشيطان، مع أنه قد سبق وأعطاهم السلطان، ولكن العلّة خطيرة، إذ اعتمدوا على المسيح واسمه وسلطانه عندما بدأوا يخرجون الشيطان، ولم يكن لهم في قلبهم رصيدٌ من الإيمان أنهم قادرون على إخراجه، فلم يخرج. وهكذا تتحوَّل الكرازة إلى صناعة أو مهنة دون مؤهِّل شخصي، وكأنه معزِّم مثل المعزِّمين الذين يسترزقون من إخراج الشياطين.

ومن هنا نفهم أن إخراج الشيطان يساوي أو يكون على قدر قوة الإيمان بالقدرة على إخراجه. فإن كان الإيمان واثقاً من إخراجه عنوة يخرج صارخاً، ولكن إن كان مجرَّد كلام وتلاوة وقراءة من كتاب، فإن خرج الشيطان يكون لضعف الشيطان وعدم درايته بضعف الواقف بأمره. فإذا كان شيطاناً عنيداً فإنه يصد الواقف ليأمره، حتى ولو كان يصلِّي بتلاوات كثيرة لكي يخرجه بالكلام. حدث أن كان راهبٌ يصلِّي على إنسان به شيطان، وكان الراهب متعلِّقاً بحب أُمه، فعندما كان يأمر الشيطان باسم المسيح أن يخرج فما كان من الشيطان إلاَّ أن ردَّ عليه قائلاً: "ماما ماما"، فضحك الناس وخزي الراهب. إذن فليست قراءة أو تعزيماً أو استعانة بأسماء، فهذا كله جيد، ولكن وراءه يلزم أن تكون سيرة مقدَّسة وطاهرة. لهذا قال المسيح إن هذا الجنس لا يخرج **إلاَّ بالصلاة** والصوم. ليس بتلاوة صلاة بل بحياة صلاة، وليس بصوم لكي نُخرج شيطاناً بل بصوم لقمع الجسد والشهوات.

من هذا نفهم أننا إذا قدَّمنا صلاتنا لله بسؤال ولنا إيمان أن نناله فهذا الإيمان لا يجب أن يكون تصوُّرياً بل نابعاً من يقين النفس والقلب بسبب دالة الإنسان مع المسيح، تسندها حياة صلاة وعبادة ونسك. فالإنسان لا يستمد إيمانه ويقينه إلاَّ من حقيقة علاقته بالمسيح. فكلما اشتدَّت علاقة الإنسان بالمسيح اشتد إيمانه وازداد يقينه بأن ما يطلبه يناله.

التنبُّؤ الثاني عن الآلام

[١٧ : ٢٢و٢٣]

(مر ٩: ٣٠-٣٢)،
(لو ٩: ٤٣-٤٥)

١٧ : ٢٢و٢٣ «وَفِيمَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي الْجَلِيلِ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: ابْنُ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ. فَحَزِنُوا جِدًّا».

في التصريح الأول الذي أفصح فيه المسيح عن آلامه المزمعة أن تكون (١٦ : ٢١) قالها بصيغة حتمية أو مُلزمة بمعنى لزوم الآلام، طبعاً بالنسبة للرسالة ككل وبالنسبة للخطاة بالتخصيص، لذلك قالها: «أنه ينبغي أن يذهب إلى أُورشليم ويتألَّم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم». ولكن هنا يذكرها بنوع من التقرير والتأكيد: وعن قريب μέλλει = على وشك، وبنوع الأمر المنتهي حتماً سيُسلَّم παραδίδοσθαι إلى أيدي الناس. كما يتميَّز التصريح بالآلام هنا بنوع الإهانة: «لأيدي الناس»، - ابن الإنسان المسيَّا ابن الله الحي - يسلَّم من يد ليد ليهزأوا به!! وأخيراً يقتلونه. لن يردعهم رادع ولا يقف أمامهم عائق حتى يكمِّلوا حماقتهم، ولكن لا بد من الانتصار الأخير وقيامة الشموخ لوضع الجميع تحت رجليه!!

أمَّا التلاميذ فحزنوا جداً، فلا هُم فهموا السبب ولا هُم أدركوا الضرورة، ولا هُم بالأكثر قدَّروا معنى القيامة. فأخذ الحزن منهم كل مأخذ وباتوا حزانى لا يعرفون ماذا يقولون أو يعملون. وكأنه ما كان تجلٍّ ولا موسى ولا إيليا ولا النور الخارج من الوجه مضيئاً كالشمس في نصف النهار، ولا الصوت من السحابة يحيِّي الابن الوحيد ويبث الشجاعة في قلوب التلاميذ، كل هذا كان كحلم دخل عليه الصباح! كان التلاميذ بالنسبة للمسيح كأثقال يجرها وراء ظهره. ولكن بالرغم من ذلك يقول إنه: «أحبهم إلى المنتهى» (يو ١٣ : ١)، ويخاطبهم: «أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً» (لو ٢٢: ٢٨و٢٩)، الذي يقول عنه دانيال النبي: «أمَّا قديسو العَليِّ فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين ... والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تُعطى لشعب قدِّيسي العَليِّ. ملكوته ملكوت أبديٌّ ...» (دا ٧: ١٨و٢٧و٢٨)

نستخلص من هذه المقارنة بين ضعف التلاميذ وعدم احتمالهم حتى سماع الآلام ولا قبولها، وبين محبة المسيح الخالصة والمخلِّصة والأبدية، وتقديره لأعمالهم تقديراً لا نراه أبداً بعين التقدير، بل

يسامحنا الله، نؤاخذ التلاميذ بشدة على ضعف استجابتهم لكل المشجِّعات؛ نستخلص من ذلك أن المسيح عجيب في موازينه، فأقل محبة يقبلها مضروبة في عشرة آلاف، وأقل بذل يقدِّره تقدير ذبيحة بأكملها، أمَّا الأمانة في اتّباعه والجري وراءه واحتمال الآلام من أجله فجعل ثمنها ملكوته. مَنْ يصدِّق!! هذا هو القلب الذي نعبده لعلّنا نقدِّره!

اسمع وهو يحكي عن مشاعره القلبيه الدفينة من جهة تلاميذه قبل أن يتألَّم:

«شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألَّم» (لو ٢٢:١٥)

أيُّ قَلْبٍ هذا؟؟

دفع ضريبة الهيكل

[١٧:٢٤-٢٧] ذكرها القديس متى وحده

آخر زيارة للمسيح لكفرناحوم:

١٧:٢٤-٢٧ «وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى كَفْرَنَاحُومَ تَقَدَّمَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الدِّرْهَمَيْنِ إِلَى بُطْرُسَ وَقَالُوا: أَمَا يُوفِي مُعَلِّمُكُمْ الدِّرْهَمَيْنِ؟ قَالَ: بَلَى. فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ سَبَقَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: مَاذَا تَظُنُّ يَا سِمْعَانُ؟ مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الأَرْضِ الْجِبَايَةَ أَوِ الْجِزْيَةَ، أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الأَجَانِبِ؟ قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: مِنَ الأَجَانِبِ. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: فَإِذاً الْبَنُونَ أَحْرَارٌ. وَلكِنْ لِئَلاَّ نُعْثِرَهُمْ، اذْهَبْ إِلَى الْبَحْرِ وَأَلْقِ صِنَّارَةً، وَالسَّمَكَةُ الَّتِي تَطْلُعُ أَوَّلاً خُذْهَا، وَمَتَى فَتَحْتَ فَاهَا تَجِدْ إِسْتَاراً، فَخُذْهُ وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ».

كان الاثنا عشر مع المسيح يرتحلون في المناطق الشمالية عند قيصرية فيلُبُّس وحواليها، وكانوا يتجوَّلون بعدها في الجليل. ويبدو أنهم استغرقوا وقتاً طويلاً، وبمجرَّد أن عادوا إلى بيت بطرس جاء جامعو ضريبة الهيكل. والقديس متى هو الوحيد الذي ذكر هذه الواقعة، فهو "مأمور ضرائب" أصلاً. وضريبة الهيكل هي ضريبة فدية فرضها الهيكل، وهي التي يلتزم بها كل إسرائيلي يبلغ من العمر عشرين سنة أو ما فوق، وكانت تُصرف في صيانة الهيكل، وينص عليها العهد القديم في (خر ٣٠: ١٢-١٤) باعتبارها فدية تذكاراً لفدية فصح مصر: «ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيِّدونه عيداً للرب. في أجيالكم تعيِّدونه فريضة أبدية» (خر ١٢:١٤). وتعيَّنت ضريبتها: «للرأس نصفُ

(أي) نصف الشاقل بشاقل القدس، لكل مَنْ احتاز إلى المعدودين من ابن عشرين سنة فصاعداً.» (خر ٣٨:٢٦). وفي سفر أخبار الأيام الثاني يأتي ذكر المطالبة بها: «فدعا الملك يهوياداع الرأس وقال له لماذا لم تطلب من اللاويين أن يأتوا من يهوذا وأُورشليم بجزية موسى عبد الرب وجماعة إسرائيل لخيمة الشهادة» (٢أي ٢٤: ٦)، «ونادوا في يهوذا وأُورشليم بأن يأتوا إلى الرب بجزية موسى عبد الرب المفروضة على إسرائيل في البرية. ففرح كل الرؤساء وكل الشعب وأدخلوا وألقوا في الصندوق حتى امتلأ» (٢أي ٢٤: ٩و١٠). وذكرها يوسيفوس المؤرِّخ[٤] وكانت قيمتها دراخمتين (أي درهمين) didrachma وهي تساوي أجر عامل لمدَّة يومين[٥].

ولكن بعد خراب أُورشليم وقعوا تحت الجزية، وأصبحت هذه الجزية تؤخذ لحساب روما، وكانت أيضاً بمقدارها الأول أي ما يساوي درهمين على كل يهودي أينما كان على وجه الأرض، تُدفع سنوياً. والمعروف في التاريخ أن هذه الضريبة الرومانية ظلَّت سارية حتى أيام أوريجانوس[٦].

أمَّا احتجاج المسيح على هذه الضريبة فلأنه كان يُستولى عليها بواسطة اليهود ولا تذهب للهيكل. أمَّا ضريبة الرومان وهي الجزية فمعروف موقف المسيح منها: «أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله.» (مت ٢٢:٢١)

ومسألة معجزة السمكة وصيدها والأستار في فمها ليست هي ركيزة هذه القصة، ولكن المهم فيها هو استعداد المسيح لطاعة النظام الاجتماعي والاستجابة لدفع ضريبة الحكومة الموضعية أي حكومة إسرائيل. ولا يحاول أن يستحدث نظاماً يكون عثرة للناس. هذا وفي قصة السمكة تلميح أن المسيح ومن معه كانوا معدمين مالياً ويعيشون بكفاف الكفاف، وأظن أن السبب هو أن يهوذا كان يفرِّغ الصندوق في جيبه أولاً بأول. والعجيب أن ق. متى لم يذكره بعد تعيينه ولا مرَّة واحدة، إلاَّ في النهاية.

---

(4) Josephus, *Ant.* XVIII, 312; *Jewish War,* VII, 213.

(٥) الدراخما أي الدرهم: عملة يونانية كانت في قدرها تساوي الدينار وهو عملة رومانية. أمَّا الإستار (ستاتيرا) فكان يساوي ٤ دراهم، أي بالضبط ما يكفي لدفع الجزية عن شخصين.

(6) J.A. Bengel, *op. cit.,* p. 341.

الأصحاح الثامن عشر

الحديث الرابع الكبير

- قامة الطفولة ـ شرطٌ للدخول إلى الملكوت (١٨: ١ – ٥)
- العثرات والدخول إلى الملكوت (١٨: ٦ – ١٤)
- الغفران والمسامحة أساس للدخول إلى الملكوت (١٨: ١٥–٢٠)
- مَثَل الخادم غير الرحوم (١٨: ٢١–٣٥)

وحدة الفكر في هذا الأصحاح:

بالرغم من تعدُّد المواضيع التي يتكلّم عنها ق. متى في هذا الأصحاح، إلاَّ أنها تحمل بين طياتها وحدة الموضوع. لمّا تقدَّم التلاميذ إلى المسيح يسوع بصراحة مكشوفة يسألونه مَنْ هو أعظم في ملكوت السموات، يبدو أن هذا السؤال كان غير مناسب بالمرَّة. ولكن لو تتبَّعنا الكلام السالف في الأصحاحات القليلة الماضية نجد أن اسم ق. بطرس أكثر اسم في أسماء الاثني عشر يتكرَّر، وفي كل مرَّة يكون هو السابق الأول. فالقديس بطرس هو الذي سار على الماء (١٤:٢٩)، وهو الذي سأل عن موضوع التطهير (١٥:١٥)، وهو الذي أخذ الاستعلان من الآب بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحي، وكوفئ على ذلك بأن أخذ الطوبى والوعد ببناء الكنيسة على صخرة إيمانه هذا (١٦:١٦-١٨). وعلى جبل التجلّي هو الذي تكلّم مع المسيح مقترحاً ثلاث مظال للمسيح والزائريْن موسى وإيليا (١٧:٤). وها هنا جامعو الضرائب يتقدَّمون للقديس بطرس لطلب الضريبة عن المعلِّم. وبناءً عليه أعطى المسيح للقديس بطرس التصريح بصيد السمكة (١٧:٢٤-٢٧). ولهذا اختمرت الفكرة عند التلاميذ لعلّه يكون هو الأعظم في ملكوت السموات!

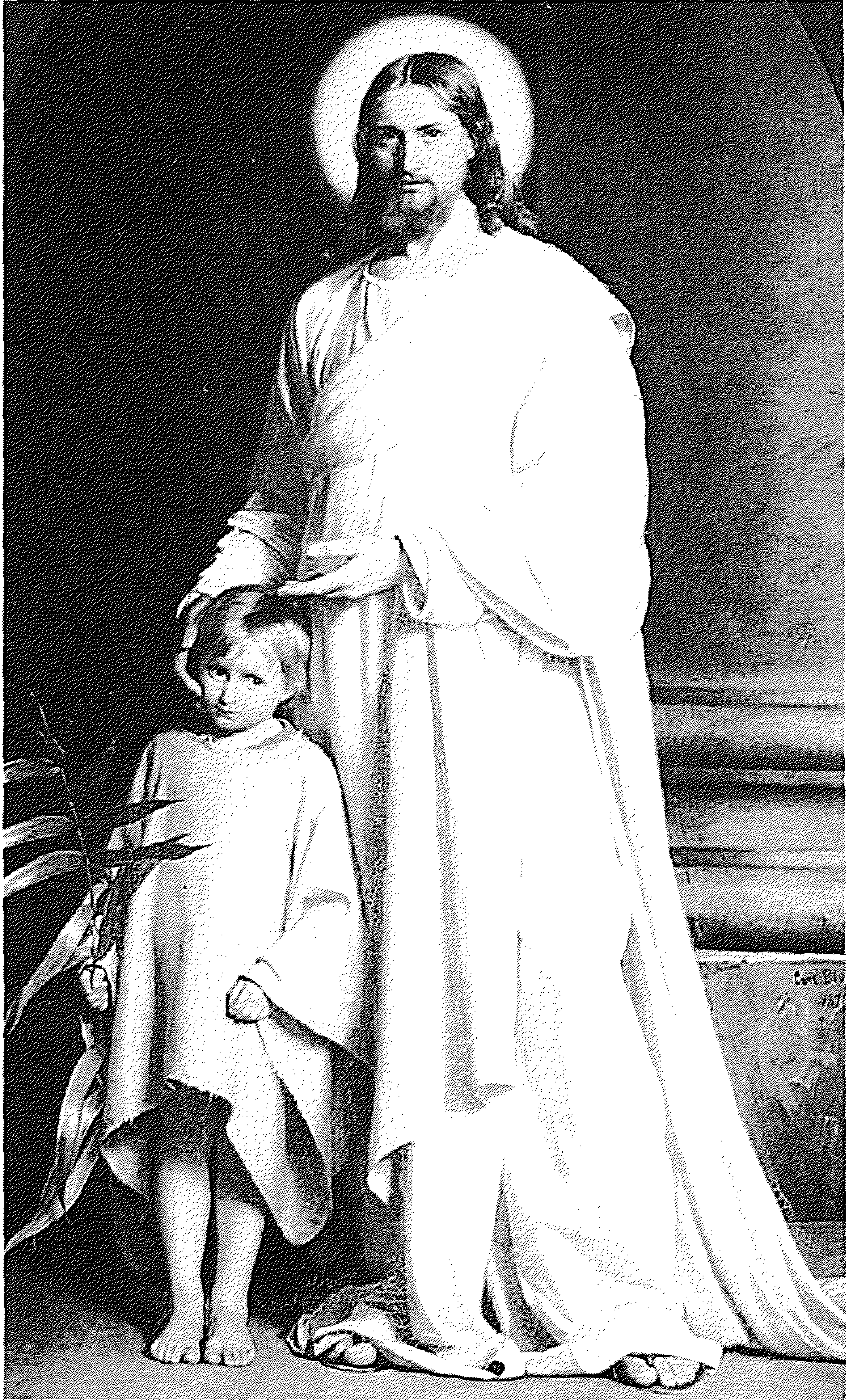
وبناءً على ذلك أعطى المسيح درسه هنا عن قامة الطفولة التي تتحكَّم في مَنْ هو الأعظم في ملكوت السموات! وبالنسبة للتلاميذ جميعاً أصبح عليهم أن يصيروا إلى هذه القامة حتى يمكن أن يدخلوا ملكوت الله.

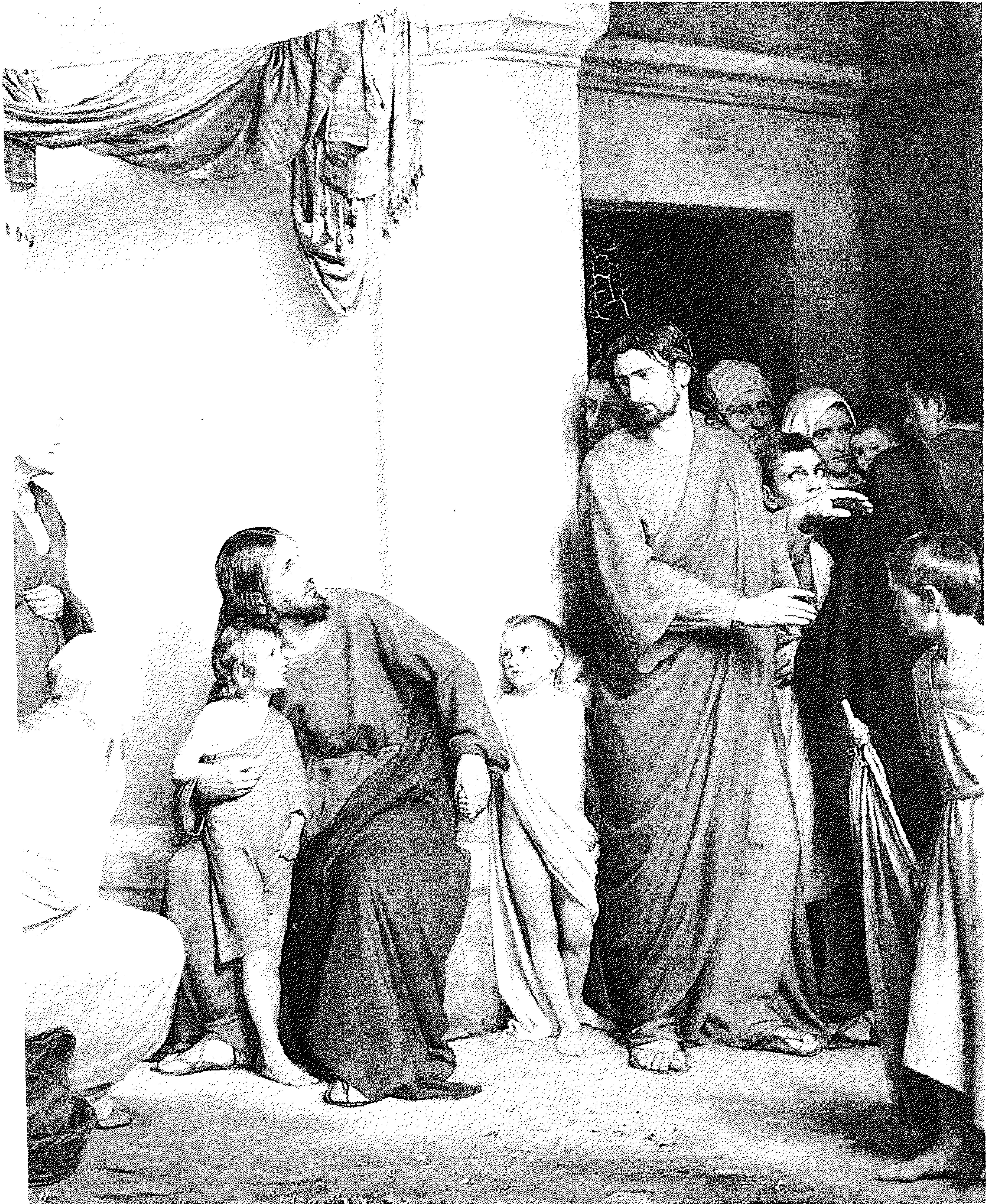
أمَّا الشعور الرديء عن مَنْ يكون الأعظم ليتحكَّم في الباقي، فهذه السلبية غائبة نهائياً عن ملكوت الله، لذلك أعطى الدرس الثاني أنه يتحتّم على أي إنسان يريد أن يدخل الملكوت أن يحب الجميع، وبالأخص الضعفاء والمحتقرين الذين يظهرون وكأنهم أولاد أو صغار. فهؤلاء يكونون المقياس لصدق المحبة بوقار واحترام: «ومَنْ قَبِلَ ولداً واحداً مثل هذا باسمي فقد قبلني.» (مت ١٨:٥)

كما أن التعظيم طريق كله إعثار وعثرات، وخاصة للصغار، فإعثارهم ثمنه الجحيم: «ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة». والإنسان المُعثَر من جسده سواء اليد أو الرجل أو العين فالأفضل أن يقطعها بدلاً من أن يدخل بها جهنم صحيحاً.

وعودة إلى الأولاد الذين يُعثرهم الكبار، إذ يرى المسيح فيهم صورة لوجه الله، فملائكتهم ينظرون كل حين وجهه، لهذا وجب أن لا نحتقرهم.

وبدل أن يسألوا فيمن هو الأعظم في ملكوت الله عليهم أن يدرسوا منهج المسيح الذي يقول إنه





«دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله»

جاء ليخلِّص ما قد هلك، فهذه هي العظمة الحقيقية بالنسبة للتلاميذ، لأنهم إن قاموا بهذا الجهاد الممدوح فأجرهم **عظيم** في ملكوت الله: «والفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين ردُّوا كثيرين إلى البرِّ كالكواكب إلى أبد الدهور.» (دا ١٢:٣)

وصاحب الملكوت ملك المجد نزل من عرشه ليبحث عن الخروف الضال، فقد جاء من أجل خطاة يحتاجون إلى التوبة، وليس لأبرار يريدون أن يكونوا عظماء في ملكوت الله: «هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذي في السموات أن **يَهْلِكَ أحدُ هؤلاء الصغار**.» (مت ١٨:١٤)

والعظمة الحقيقية ليست أن تتعظَّم على أخيك ولا تبالي بشعوره، بل إن أخطأ إليك اذهب وعاتبه، فإن سمع منك فقد ربحت أخاك؛ على أن المسيح يَعِدُ وعداً إلهياً خاصاً أنه سيُوجد هو شخصياً في الحال في مجالس الصلح أو الصلاة، يسمع ويستجيب.

والذي يغفر للناس يغفر له الله، والذي يحنث في مغفرته للناس **يطالبه الله بكل خطاياه حتى وإن كانت قد غُفرت له.**

قامة الطفولة شرطٌ للدخول إلى الملكوت

[١٨:١-٥]

(مر ٩:٣٣-٣٧)، (لو ٩:٤٦-٤٨)

١٨:١-٣ «**فِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ: فَمَنْ هُوَ أَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ؟ فَدَعَا يَسُوعُ إِلَيْهِ وَلَداً وَأَقَامَهُ فِي وَسْطِهِمْ وَقَالَ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ**».

في الحقيقة هنا يكشف ق. متى مباشرة هذه المنازعة التي كانت بين التلاميذ، فالقديس مرقس يضعها في قالبها الضعيف: «وجاء إلى كفرناحوم وإذ كان في البيت سألهم بماذا كنتم تتكالمون فيما بينكم في الطريق، فسكتوا، لأنهم تحاجُّوا في الطريق بعضهم مع بعض في مَنْ هو الأعظم» (مر ٩: ٣٣و٣٤). هنا خففها القديس متى إلى مجرَّد سؤال من التلاميذ فيمن هو أعظم في الملكوت. وما ذكره ق. مرقس هو الأكثر مناسبة لرد المسيح، حيث عرف المسيح بالروح ما كانوا يتحاجُّون من أجله هو أمر مخجل.

«أعظم»: μείζων

لا تفيد الأعظم فقط بل تحمل معنى الترأس، فهي تأتي كاسم تفضيل superlative من الصفة μέγας التي تعني كبير أو عظيم كما جاءت في (١كو ١٣:١٣): «أمَّا الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة» حيث تتحكَّم المحبة في الباقي! ولكن الأمر الذي يُتعجَّب له أن التلاميذ لمَّا سمعوا من المسيح أن ابن الإنسان سيسلَّم إلى أيدي الناس ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم حزنوا جداً، إذ أنهم لم يفهموا ما هي القيامة. وهنا نجدهم يبحثون عن الوظائف ومَنْ يكون الأعظم في ملكوت السموات، ولكن هذا يكشف لنا بالأكثر محبة الله الآب التي سبقت فاختارت وعيَّنت، مدركةً كل ضعفات الإنسان. والمسيح لمَّا اختار التلاميذ اختارهم وهو عارف بضعفاتهم وعيوبهم، لأن محبة الله ساترة للعيوب، والمسيح كان يثق في قدرته وفعل الروح القدس في تهذيب أخلاق وسلوك التلاميذ، وبالتالي نحن. إذ كما يقول ق. بولس: «فانظروا دعوتكم أيها الإخوة، أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء (ذات حسب ونسب ومحتد)، بل اختار الله جُهَّال العالم (صيَّادين) ليُخزيَ الحُكماءَ (الكتبة). واختار الله ضُعفاء العالم ليُخزيَ الأقوياءَ (ملوك ورؤساء كهنة). واختار الله أدنياءَ العالم والمُزدَرَى وغير الموجودِ ليُبطِلَ الموجودَ، لكي لا يفتخر كُلُّ ذي جسدٍ أمامه. ومنه أنتم بالمسيح يسوع، الذي صار لنا حكمة من الله وبرًّا وقداسةً وفداءً.» (١كو ١: ٢٦-٣٠)

بسبب هذا الإحساس العميق صرخ دانيال النبي: «لك يا سيِّدُ البر، أمَّا لنا فخزي الوجوه ...» (دا ٩:٧)

والآن، حينما جاء بولدٍ وأقامه في الوسط وقال إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات، يكشف المسيح في الحال عن شخصه ومستواه وعلمه وطبيعته وقانون الملكوت الذي وضعه!! فهو حتماً وبالضرورة على هذه القامة عينها، فهو صاحب طبيعة الملكوت ومدبِّره، وإذ وضع شرط دخول الملكوت فهو الملك المدبِّر بلا نزاع، وواضع أُسس الحياة الأبدية كما وضع أُسس السموات والأرض! فكما أعطى كيف يُولد الإنسان في العالم، وضع كيف يولد الإنسان ثانية لملكوت السموات. وكما أعطى قوانين النمو والترقِّي والنضوج للجسد، وضعها هي بعينها لدخول الملكوت والحياة فيه. وهنا نفهم بما لا يدع مجالاً للشك قيمة ومعنى: «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت ١١:٢٩) فحينما قال انظروا إلى هذا الولد كان الأمر في الحقيقة: انظروا إليَّ. فقامة الولد مختفية تحت ستار صغر الجسد والسن، ولكن هي في عمقها

واضحة في قامة المسيح غير مخفية في الجسد بعد؛ إذ وضحت لكل ذي عين وعقل في كيف سلك وتصرَّف، وكيف عامل أعداءه ومحبِّيه، وبالأكثر فيما هو قادم عليه من هجمة الأعداء الشرسة من قبض وإهانة ولطم وشتم وبصاق وضرب على الظهر والرأس، وتعليق على الخشبة وهو هادئ هدوء الحمل تحت يد الذي يجزّه لا يتحرَّك ولا يفتح فاه. نعم لقد بلغ المسيح بهذه القامة "قامة الأولاد الصغار" في الوداعة والتواضع والطاعة تحت يد أبيه مبلغاً لا يبلغه بالغ. فالولد الصغير الذي أقامه ليستعرض فيه ذاته هو يقصد منه مظهره هو، بل أقدس ما فيه، وفي روحه الوديعة المتواضعة الطيِّعة تحت يد أبيه.

لم يحاول أن يسترجع قبح عراكهم فيمن هو الأعظم، ولا هو أنَّبهم على بلادة ذهنهم وشعورهم من جهة ما أعلنه عن آلامه المزمعة وموته، بل تجاوز هذا كلَّه كما تجاوز كل ضعفاتهم يوم اختارهم ليكونوا تلاميذه وأصحاب مفاتيح ملكوت السموات. ولكن إزاء حركة ضمائرهم الشاذة فيما يطلبون من العظمة في ملكوت الله، اضطر أن يضع المثل أمام عيونهم وضعاً لا يُنسى بتمثيل حيّ، ليذكروه بعد ذلك ويتمثَّلوه. والمسيح لما أحبَّ الأولاد الصغار أمام أعينهم واحتضنهم أحبهم لا لأنه كان بلا ولد، بل لكي يوضِّح بأشد بلاغة أن هذه هي القامة المُثلى والأقرب إلى قلب الله، وتزداد علواً وقرباً منه إن كانت هي قد بلغت قامة الرجولة في احتمال الآلام وخوض المعاناة بلا أنين. ويُقال إن الولد الذي حمله المسيح هو ق. إغناطيوس الذي استشهد، لذلك سمِّي ὁ θεωφόρος أي حامل الإله(١).

والمشكلة التي واجهت المسيح في التعليم ليس لأنهم تعاركوا فيمن هو أعظم في الملكوت، بل كيف يَدخلُونه؟ لأن تعظمهم بعضهم على بعض هو العائق الأعظم لدخولهم الملكوت. وهكذا كشفوا بسؤالهم أو بعراكهم عدم صلاحيتهم للملكوت أصلاً. ولكن الأمر الذي يعود علينا بالحزن والأسى والحسرة أن هذا بعينه ما هو حادث في الكنيسة "مَنْ هو الأعظم" على أساس وهمي أن الأعظم هنا أعظم هناك! وليس لنا في ذلك كلام.

«فلن تدخلوا»: οὐ μή

هنا نَفْيٌ مغلَّظ كالقسم المغلَّظ، فأداة النفي مكرَّرة تعبيراً عن المستحيل! لم ولن.

---

(١) والكلام في الثيوفورُس كثير فبعض الآباء يترجمونها حامل الإله والبعض الذي حمله الله. J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 343.

«ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد الصغار»:

الدعوة هنا سرِّية غاية السرِّية، فمعلوم بحسب عقل نيقوديموس أنه مستحيل أن يرجع الإنسان ويصير إلى طفل، هل يدخل بطن أُمه ثانية ويولد؟ هذا هو الحكم بالعقل وبمقتضى الطبيعة. والمسيح هنا يشير إلى الولادة السرِّية التي تعيد الإنسان لا مثل طفل بل طفلاً حقًّا وبالحقيقة؛ ولكن ولداً لله، مولوداً من روحه وراضعاً من لبنه العقلي عديم الغش، ولادة بالكلمة ومن فوق حيث ينتمي الإنسان إلى طبيعة ابن الله، الحائزة على الوداعة والتواضع كصفة من هو مولود من فوق. وهذا هو المنطق الإلهي والقانون الذي وضعه المسيح لبلوغ صلاحية الدخول إلى الملكوت!

«مثل الأولاد»: ὡς τὰ παιδία

هنا الأولاد باليونانية تفيد الأطفال الصغار!!

ثم أليس هذا هو الجواب الذي أعطاه المسيح لنيقوديموس: «أجاب يسوع وقال له: الحقَّ الحقَّ أقول لك: إن كان أحدٌ لا يُولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله (وليس أن يكون عظيماً فيه) ... لا تتعجَّب أني قُلتُ لك: ينبغي أن تُولَدُوا من فوق. الريح تَهُبُّ حيث تشاءُ، وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل مَنْ وُلِدَ من الروح.» (يو ٣: ٣و٧و٨)

ولكن ما هذا؟ أن "ترجعوا" وتتحوَّلوا، كيف نرجع؟ وكيف نتحوَّل؟ ومما نرجع؟ وإلى مَ نتحول؟

كلام سر المسيح هنا عميق والإحساس الروحي هو دليل الإنسان مع انفتاح الذهن: التغيير والتحوُّل والرجعة هي مما هو للإنسان إلى ما هو لله حتى نؤهَّل لرؤية الله: «تروا ملكوت الله»، وبالتالي نصير أهلاً لدخول ملكوت الله. الأمر الذي وضَّحه بولس الرسول نفسه: «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله، فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً (بالضرورة) ورثة الله (ملكوته) ووارثون مع المسيح (الابن).» (رو ٨: ١٦و١٧)

لاحِظ أيها القارئ السعيد أن الذي يدخل الملكوت يبلغ منتهى ما يمكن أن يبلغه الإنسان. هذا وضح في مَثَل القمح والزوان، حيث «يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم» (مت ١٣:٤٣). ولكن من كلام ق. بولس الرسول السالف يتضح لنا أن تبنِّي الله للمفديين هو الذي أعطاهم حق الأولاد، فقول المسيح: «ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد»، هي عملية عُظمى أكملها المسيح لنا ونحن ننالها بالروح بالإيمان (غل ٣:٢٦). فالتغيير أو التحوُّل إلى ما هو لله يأتي بجهد بشري، ولكنه تمَّ وكَمُلَ بحسب مشيئة الله في المسيح يسوع، وأصبح نواله يدخل في عملية الإيمان والخضوع الكامل

لمفاعيله الإلهية المجانية. هنا قامة الطفل الصغير مطلوبة جداً حيث يحني رأسه ليضع المسيح يده عليه، فبالطاعة بالإيمان ننال بركة التبني.

٤:١٨ «فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هذَا الْوَلَدِ فَهُوَ الأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ».

المنظر هنا سرّي للغاية، فالولد واقف أمام المسيح، والتلاميذ ينظرون، والمسيح يتكلّم عن الولد وهو في الحقيقة العملية يتكلّم عن نفسه. لأنه مستحيل على الولد أن يبلغ اتضاع المسيح. وممكن لإنسان أن يصطنع تواضع الولد ويمثّل الدور تماماً وينال قبول الناس ومديحهم، ومن داخل هو الإنسان. ولكن المسيح يتكلّم عن الاتضاع الذي يلبسه الإنسان بالروح كالثوب، وليس الذي يلبسه الإنسان ليتراءى به أمام الناس. فالولد يحمل رمز الاتضاع ولكن ليس قوته، وإلاّ ما كان الولد يصير مجرماً أو عاصياً أو عنيداً. فالمسيح يطلب الاتضاع الذي لا يفارق الإنسان. المسيح هنا ينتقل من الولد الرمز إلى الحق الكامل فيه: «تعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت ١١:٢٩). وراحة النفس لا تتم إلاّ في الملكوت.

المسيح لا يتكلّم عن التواضع كطبيعة بشرية، بل تواضع الروح الذي نَرث به الملكوت. تواضع الروح يناله الإنسان بالانقياد للروح القدس: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨:١٤). والانقياد للروح القدس يوصّل لكل ما يشتهيه الله لنا من كل الصفات. والانقياد للروح هو صنعته، فمهما أشار الروح إلى عمل يُعمل نعمله بجرأة وشجاعة وبلا نقصان. وكل عمل يُشير به الروح أن لا يُعمل نقف في الحال ونمتنع مهما كان الدافع أو الإغراء حتى الموت. بهذا نأخذ من الروح القدس صفاته أولاً بأول بقدر ما نخضع ونطيع لتوجيهاته وعمله فينا. إذن، فالله وضع فينا مَنْ يقودنا إلى الملكوت خُطْوَة خُطْوَة. والذين ذاقوا توجيهات الروح القدس وإرشاداته بل أوامره أحياناً - يعرفون كيف يصومون الصوم الانقطاعي الدائم عن الشهوات والنزوات وميول النفس المنحرفة، والمشورات المشبوهة والإغراءات التي تأتي بصور شبه روحية. والذي وضع نفسه مثل هذا الولد يعني أنه باعها لأبيه السماوي ووضعها تحت أمره وتدبيره مهما تكلّف الإنسان.

الخطر الذي وقع فيه معظم الشُّرَّاح أنهم فتّشوا في الطفل عن الصفات التي فيه وقارنوا التواضع بما قالته الكنعانية وما قاله قائد المائة، هؤلاء لم يبلغوا تواضع الروح الذي يورِّث الملكوت ولكن تواضع النفس الذي فازوا به بالشفاء، شفاء الجسد. شفاء الجسد شيء وشفاء الروح من العظمة

شيء آخر. تواضع المسيح يورِّث الملكوت، وبغير تواضع المسيح لن نرث ملكوتاً. تواضع المسيح لم يكسب به المسيح مديحاً أو مكسباً على الأرض، بل ضيَّع عليه كل مديح وكل مكسب، تواضع المسيح كسب به الصليب!! وبالصليب كسب لنا الملكوت!

+ «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً: الذي إذ كان في صورة الله، لم يَحسِبْ خُلسَةً أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبدٍ، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجدَ في الهيئة كإنسان، **وضع نفسه وأطاع** حتى الموت موت الصليب. لذلك رفّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسمٍ ...» (في ٢: ٥-٩)

٥:١٨ «وَمَنْ قَبِلَ وَلَداً وَاحِداً مِثْلَ هذَا بِاسْمِي فَقَدْ قَبِلَنِي».

تماماً على مستوى ما قاله المسيح بخصوص ما نعمله في أحد هؤلاء الأصاغر من إطعام وسقي وملبس وزيارة في سجن أو قبول غريب:

+ «ثم يقول الملك للذين عن يمينه (في ملكوته): تعالوا يا مباركي أبي، رِثُوا الملكوت المُعَدَّ لكم منذ تأسيس العالم. لأني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريباً فآويتموني. عرياناً فكسوتموني. مريضاً فزرتموني. محبوساً فأتيتم إليَّ. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب، متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، أو عطشاناً فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريباً فآويناك، أو عرياناً فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم: بما إنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر - (سواء تلاميذه أو أولاده بالروح) - فبي فعلتم.» (مت ٢٥: ٣٤-٤٠)

وهنا يضيف على هذا المثل قوله هنا: «ومَنْ قَبِلَ ولداً واحداً مثل هذا باسمي فقد قبلني».

«قبل»: δέξηται

بمعنى استقبل أو عطف أو ساعد أو تبنّى أو علّم أو أطعم أو استمع إلى شكواه أو طلبه أو مرضه. وبالاختصار كل ما يمكن أن يضحِّي به الإنسان ويبذل في سبيل راحة أو فرح أو شفاء ولد صغير من أجل اسمي، أي ليس بدافع المعونة الاجتماعية أو المساعدة للفقراء أو العطف الجسدي ولكن «من أجل اسمي». وهنا يختبئ سر المسيح، حيث يعتبر المسيح أن الولد المتواضع والطائع للمسيح يحمل المسيح، فأصبح أي عمل يُعمل لأي ولد واحد، كأنه يُعمل للمسيح نفسه! لذلك وبهذا الشرط "باسمي" يصبح لزاماً على كل مَنْ يعمل عملاً صالحاً لأي ولد لابد أن يسبقه أن الولد

يعلم أنه باسم المسيح يُعمل له هذا العمل، وهذا يعني أنه ينبغي أن يُخدم مثل هذا الولد خدمة روحية إيمانية لكي يُدرك أنه باسم المسيح ومن أجل خاطره ينال ما يُعمل له.

هنا تصبح خدمة مثل هذا الولد الواحد باسم المسيح هي خدمة مَنْ يمثّله هذا الولد من "الاتضاع"، وهو الرمز الأعظم للمسيح نفسه. وبهذا يعتبر أن مَنْ يقبل ولداً مثل هذا (حامل الاتضاع) أنه قَبِلَ المسيح نفسه: «فقد قبلني».

ولْيُلاحِظ القارئ أننا لازلنا ندور في فلك مَنْ هو الأعظم في ملكوت السموات!! وهذا سيؤدّي بنا إلى مناقشة العكس، أي مَنْ هو الذي سيُحرم من ملكوت الله، وذلك التزاماً بالناحية السلبية في إعثار أحد هؤلاء الصغار. لأن الذي يطلب ملكوت الله عليه أن يتحاشى بكل قوته ما يحرمه من الملكوت.

العثرات والدخول إلى الملكوت

[١٨: ٦-١٤]

(مر ٩: ٤٢-٤٨)،
(لو ١٧: ١و٢، ١٥: ٣-٧)

٦:١٨ «وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ».

«أعثر»: σκανδαλίση

هذه الآية هي العكس من السابقة، فالأُولى يقبل ويحترم ويخدم ويرعى ويربّي، والثانية يضع عثرة في حياة هؤلاء الصغار المؤمنين بالمسيح. في الآية السابقة القبول يكون على أساس اسم المسيح. وفي الآية السلبية بالمقابل تكون العثرة للأطفال المؤمنين بالمسيح. ففي الاثنين يضع المسيح نفسه ليكون ضامناً للجائزة العظمى في الأُولى وفي الثانية لكي يوضّح جريمة الإعثار أنها تمّت في شخصه!! أمَّا وضع حجر الرحَى الثقيل جداً في عنق المُعْثِر أو مَنْ يُعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بالمسيح فهو أقصى تصوير لنزع الحياة عنوة تمهيداً للحرمان من الحياة الأخرى.

أمَّا صورة الإعثار فجعلها المسيح عامة تشمل أكل حقوق اليتامى وإهمالهم المتعمَّد بسبب قساوة أو نقمة وتركهم للعُرْي والمرض، أو استخدامهم للأعمال الشاقة التي تجلب الضعف والمرض، أو حرمانهم من أعواز الحياة التي تليق بالأولاد. ولكن أشنع إعثار يأتيه الإنسان

المستهتر بقيم الأخلاق والإيمان هو استخدامهم في النجاسة فيضيِّع شرفهم وحياتهم ويستعبدهم للرذيلة ويتركهم بلا رجاء ولا قيمة في الحياة. فبقدر ما يسلب منهم حياة الإيمان في المسيح، تُسلب منه الحياة بكل معناها هنا وهناك. إذن، فمن هو الأعظم في ملكوت السموات إلاَّ الذي يضيِّع حياته وعرق جبينه وماله وكل مدخراته في سبيل المحاماة عن هؤلاء الصغار المؤمنين باسم المسيح، وحمايتهم من العثرات.

ويُلاحَظ أن انتقال المسيح من الأولاد إلى اصطلاح "الأصاغر" يجعل المعنى ينتقل إلى كل المؤمنين الضعفاء والمحتقرين من الناس، وتنتقل العثرة من عثرة الأطفال إلى عثرة الكبار، ويتبعها كل ما يؤدِّي إلى الخطية والانزلاق في الإثم.

٧:١٨ «وَيْلٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعَثَرَاتِ. فَلاَ بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ».

بقدر ما يبتعد العالم عن الله بقدر ما تزداد الخطايا ويزداد فاعلو العثرات. ولم يحدث في تاريخ العالم أن ازدادت فيه الخطايا والعثرات مثل هذه السنين، التي بات العالم يحس فيها بالويل الذي يعيشه وينتظره. والناس في قلق عظيم من المصير المحتوم. فارتفاع نسبة الجريمة لم يحدث له مثيل من قبل، وبدأت الحكومات تستقطع من مالية الشعوب ما يعتبر لحرب الجريمة. وهكذا بدأت الجريمة تستنفذ قوت الناس ومدخراتهم. ولابد أن تأتي العثرات طالما لم يكن لله وجود في قلوب الناس وضمائرهم. والعثرة في أصولها هي محاولة إيقاع الناس في الخطايا بنشر الرذيلة وتسهيلها كما هو حادث في السينما والتليفزيون وبيع المخدِّرات واصطياد الشباب والأطفال والسيدات. العالم يعاني من يد آثمة ممتدة إلى مقدَّساته وثرواته الروحية والفكرية لتلويث ما بقي له من تراث آبائي وذخائر روحية ومُثُل عليا. هذه اليد هي يد الشيطان التي تحرِّك الآن جماعات وهيئات ودولاً لنشر الفزع والرعب في قلوب الناس، تحرِّكها سياسات هادمة، القصد منها تخريب العالم.

وكلمة "الويل"، مقصود منها: "سوء المصير والوقوع في دينونة رهيبة". وهنا تأتي آية بولس الرسول:

+ «لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم.» (رو ١٨:١)
+ «لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم ... لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان ...» (رو ١: ٢٤و٢٦)

وكأنما معسكر الظلمة يجمع لنفسه بسرعة ويتكتّل ليوم الهلاك، إذ مجيء الرب للنقمة على الأبواب: «هكذا يكون في انقضاء هذا العالم (الشرير)، يُرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت ١٣: ٤٠-٤٢)، «يفرزون الأشرار من بين الأبرار.» (مت ١٣:٤٩)

١٨: ٨و٩ «فَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ أَوْ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ أَوْ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تُلْقَى فِي النَّارِ الأَبَدِيَّةِ وَلَكَ يَدَانِ أَوْ رِجْلاَنِ. وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تُلْقَى فِي جَهَنَّمِ النَّارِ وَلَكَ عَيْنَانِ».

هنا في الحقيقة ولو أن ظاهر الكلام فيه عدم إشفاق على الجسد الذي في عثرته يجر الإنسان إلى الهلاك الأبدي، لكن القصد منه أنه لابد أن نضع له حداً قاطعاً. فالمسيح هنا يعطي أمراً بقطع اليد أو الرجل أو قلع العين التي تجر الإنسان إلى الخطية وإعثار الآخرين للهلاك. هذا يجعلنا ندرك إلى أي مدى نحن متهاونون في ردع أعضائنا التي تسبب لنا الموت والهلاك. ونحن إذا تصوّرنا قطع اليد التي تمتد للسرقة ومقدار الرعب الذي يحل على أثر ذلك في القلب والجسد كله، يَسْهُل علينا أن نردعها. وكذلك العين أو أي عضو في الجسد إن تصورنا قطعه أو حرقه يَسْهُل علينا ردعه وردّه عن عمله المؤدِّي إلى الهلاك. وهكذا نعيش فعلاً بلا عين شريرة أو يد سارقة وكأننا عور من أجل الله أو عمي أو عرج. وهكذا نعيش أمام الله والناس في هذا الدهر وكأننا فاقدون لهذه الأعضاء من أجل المسيح. فحينما قال أيوب الصدِّيق: «عهداً قطعت لعينيَّ فكيف أتطلّع إلى عذراء» (أي ٣١:١) هو في الحقيقة عاش أعمى بالنسبة للنساء من أجل الله. وهذا يقودنا إلى قول بولس الرسول: «**صُلِبَ العالمُ لي وأنا للعالم**» (غل ٦:١٤). فالعالم كله أصبحَ ميِّتاً في نظر ق. بولس، مصلوباً بلا عمل ولا حركة بالنسبة له، وهو بالتالي أيضاً صار هو مصلوباً للعالم لا حركة ولا عمل له في العالم الشرير. ق. بولس صَلَبَ الجسد كله إزاء الشر والخطية. كذلك قوله: «أَقمَعُ جسدي وأستعبده، حتى بعد ما كَرَزتُ للآخَرينَ لا أصيرُ أنا نفسي مرفوضاً» (١كو ٩:٢٧). هنا القمع والاستعباد للأعضاء هو صلب بالفعل الروحي ونية الضمير. فالمسيح لمّا أمر بالقطع والقلع هو بالدرجة الأُولى أمر بالكفِّ عن عمل هذه الأعضاء. فالمطلوب منّا أن نكف عن أي نشاط لأعضائنا يجلب العثرة لنا وللآخرين. وهي نفس الآية التي يقولها ق. بولس «أَقمَعُ جسدي وأستعبده» أي "أصلب نفسي للعالم وأصلب العالم لنفسي"، وكذلك قوله: «أميتوا أعضاءكم التي على الأرض» (كو ٣:٥)، و«من أجلك نُمات كل النهار» (رو ٨:٣٦)، و«لكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون» (رو ٨:١٣)،

«كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكـن أحيـاء لله بالمسيح يسـوع ربنـا» (رو ٦:١١)، «حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تُظْهَر حياة يسوع أيضاً في جسـدنا» (٢كو ٤:١٠). هذا هو القطع والقلع والموت الحقيقي الذي يكون بالروح وعزم القلب وتسخير كل الإرادة: «لا تَمِلِكَنَّ الخطيـة في جسـدكم المـائت لكـي تطيعوهـا في شـهواته» (رو ٦:١٢)، «لا تُقدِّموا أعضاءكم آلات إثم للخطية» (رو ٦:١٣)، «مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسـيح يحيـا فيَّ» (غل ٥:٢٠)، «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.» (غل ٥:٢٤)

١٨:١٠ «أَنْظُرُوا، لاَ تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَلاَئِكَتَهُمْ فِي السَّـمَوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ».

طبعاً، والذي يريد أن يكون عظيماً منذ متى ينظر إلى الصغار والمتواضعين وغير الموجودين عند أنفسهم؟ فالاحتقار والازدراء هو من نصيبهم. ولكـن الجديـد الـذي يضعـه المسـيح هنـا أمـام أعـين المتعظمين بذواتهم أن للصغار ملائكة تحرسهم، وكل إهانة للصغار تطال ملائكتهم. فلا يكون ذلك من مصلحة القائمين بالازدراء، لأن ملائكة الصغار المُزْدَرى منهم يتراءون أمام وجه الآب الذي في السموات، كمن يُعطون تقـاريرهم عـن عملهـم. فالشـكوى سـتُنظر لـدى الآب والـرد خطـر، لأن بالكيل الذي يكيلون به يُكال لهم ويُزاد: «وعن الملائكة يقول: الصانع ملائكته رياحاً وخُدَّامه لهيـب نـار ... أليس جميعهم أرواحاً خادمة مُرسلة للخدمة لأجل العتيديـن أن يرثـوا الخـلاص» (عـب ١: ٧و١٤). وللكنيسة عقيدة موروثة أن الأولاد تحت حراسة ملائكية، يحافظون عليهم وينقذونهم ويرشـدونهم، وهم أكثر عناية وحبًّا من الأب والأُم. من هنا وجب تكريمهم وإعزازهم وعدم الإساءة إليهم بأي حال.

ويُلاحِظ القارئ أن هذا هو المكان الوحيد في كل الأسفار قديمها وحديثهـا يُذكـر فيـه أن هنـاك ملاكاً للأولاد، الذي أخذت به الكنيسة. والتقليد الكنسي يقول إن لكل كنيسة ملاكين، بـل لكـل مدينة ملاكين، والقارئ يُلاحِظ ذلك في القاهرة إذ يوجد بها كنيسة الملاك البحري، وكنيسة الملاك القبلي. كذلك تؤمن الكنيسة أن للمؤمنين ملائكة تحرسهم وتدافع عنهم في أوقـات الضيقـة. وكثـير من المؤمنين المفتوحي العينين رأوا الملاك الذي يحرسهم واستدعوه في الضيقة فحضر في الحـال، وهـي شهادات موثوق بها. وهذا يؤيِّده الكتاب المقدَّس الذي يقول: إنهم معيَّنون «للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص.» (عب ١:١٤)

وقد كنت أعرف أحد المعلِّمين "العرفان" المتديِّنين، وهو من عائلة كبيرة وله نفس طيِّبة ووديعـة،

أخبرني أنه في أحد الأيام ذهب في الفجر ليخدم القداس فوجد ملاكين على الباب خارجين تاركين الكنيسة، فاستخبر منهما الأمر، فقالا له لأن الكاهنين قد تخاصما فليس لنا مكان بعد في الكنيسة!

+ «ملاك الرب حال حول خائفيه وينجِّيهم.» (مز ٣٤:٧)

+ «لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك.» (مز ٩١:١١)

١١:١٨ «لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ».

مهمة المسيح التي جاء ليكمِّلها أن لا يخلِّص مجموعة من الناس بل الناس بأجمعهم. فكل فرد مهما كان، له نصيب في الخلاص. والبشرية تستهين أحياناً بالفرد، وتلتفت للجماعة، وتضحِّي من أجل مصلحة الجميع بالأفراد، ليس هذا في ناموس الله، فالمسيح جاء من أجل الخروف الضال، فإذا ضلَّ خروف من القطيع، يترك القطيع في الدار ويذهب ليبحث عنه حتى يجده. هذه هي شمولية الخلاص الذي ترسي الكنيسة قواعده الإلهية ليشمل كل فرد بذاته، ولكن لحساب الجماعة ككل. فالكنيسة ليست جماعة مقفلة بل جماعة أفراد، ويُقاس عملها وأمانتها بمقياس عملها مع الفرد، وأمانتها تجاه الضعيف والمزدرى وغير الموجود. العالم يطحن الأفراد ويسحق الضعفاء، أمَّا الكنيسة فرسالتها الأُولى هي تجاه هؤلاء الذين ازدرى بهم العالم وأهملهم. المسيح لم يشبِّه نفسه بالكهنة وكبراء الشعب بل مثَّل نفسه بالأصاغر، بكل واحد من هؤلاء الأصاغر: «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم.» (مت ٢٥:٤٠)

١٢:١٨-١٤ «مَاذَا تَظُنُّونَ؟ إِنْ كَانَ لإِنْسَانٍ مِئَةُ خَرُوفٍ، وَضَلَّ وَاحِدٌ مِنْهَا، أَفَلاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ عَلَى الْجِبَالِ وَيَذْهَبُ يَطْلُبُ الضَّالَّ؟ وَإِنِ اتَّفَقَ أَنْ يَجِدَهُ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَفْرَحُ بِهِ أَكْثَرَ مِنَ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ الَّتِي لَمْ تَضِلَّ. هكَذَا لَيْسَتْ مَشِيئَةً أَمَامَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ».

الذي يهمنا في هذا المثل جداً هي مشاعر المسيح نفسه وهو يروي قصة الخروف الضال، لأنه يصف نفسه ويوضِّح مشاعره ويكشف مبادئه. فإلى هذا الحد يركِّز المسيح بشدَّة على قيمة الخاطئ الواحد التائه الذي ليس له مَنْ يبحث عنه. فعلاقة المسيح بالمائة، أي الكنيسة، قائمة أساساً على علاقته بالفرد الواحد الخاطئ الضعيف، الأمر الذي كشفه للغاية حينما قال إنه يترك التسعة والتسعين على الجبل وليس في الحظيرة ويذهب ويبحث عن الخروف الواحد الضال على الجبل. هنا يكشف المسيح القيمة الفعلية للفرد في الخلاص. والسرّ الذي يدفع هذا الشعور المقدَّس في قلب

المسيح من جهة الفرد هو أنه في خطر الهلاك، أمَّا التسعة والتسعون فهي ليست في خطر الهلاك. إذن، العامل الأساسي الذي يحرِّك قلب المسيح وفكره هو إمكانية هلاك الفرد، وهو يعود بهذا الفكر المتمكِّن في قلبه إلى نفس الشعور والمشيئة التي عند الآب تماماً: «هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذي في السموات أن يهلك **أحد** هؤلاء الأصاغر» (مت ١٨:١٤) وسنعود إليها! ومن هذا الشعور وهذه المشيئة تجاه الواحد القابل أن يهلك تتكوَّن مشاعر المسيح ومشيئته من أجل الكنيسة كلها، باعتبارها جماعة أفراد قابلين للتيه والهلاك، لذلك ضبطهم تحت حراسته واهتمامه وتدبيره. وإن كان المسيح يهتم بالبار والقديس فاهتمامه به على قدر ما هو في خطر أن يهلك.

هذا هو المضمون الكلِّي لقوله الذي صدَّر به مَثَل التسعة والتسعين والخروف الواحد الضال: «**لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يخلِّص ما قد هلك**». لذلك أصبح كل مَنْ يُعثر أحد هؤلاء الصغار أو تأتي بواسطته العثرة ويعرِّضهم للهلاك عدواً مباشراً للمسيح. فإن كنَّا قد استكثرنا أن يكون لهؤلاء الصغار ملاك خاص بهم ينظر وجه أبيهم الذي في السموات كل حين، فالمسيح نفسه، وهو ابن الله، قد جاء من أجل خلاصهم وتبنِّيهم للآب!

أمَّا فرحة الراعي بالخروف الضال لما وجده أكثر من التسعة والتسعين، فقد كشف بها عن أعماق أعماق قلبه من جهة مسرَّة نفسه بعودة وتوبة الخاطئ! وهذا يوضِّحه إنجيل ق. لوقا أكثر: «وإذا وجده يضعه على منكبيه **فرحاً**، ويأتي إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم: **افرحوا معي** لأني وجدت خروفي الضال. أقول لكم: إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة» (لو ١٥: ٥-٧). أمَّا قول المسيح هنا إنه «هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ **واحد** يتوب»، فمَنْ سيفرح في السماء إلاَّ الآب السمائي الذي لا يشاء أن يهلك أحد هؤلاء الصغار، وهؤلاء الملائكة الذين ينظرون وجهه كل حين وينقلون أخبار عودة الخاطئ، بل ومَنْ الذي يقول كل هذا إلاَّ المسيح الذي يكشف بهذا عن قلبه هو بالنسبة لعودة الخاطئ أو الصغير المُعثَر!!

أمَّا سر هذا التعلق الهائل بين المسيح والخاطئ فمرجعه الوحيد أنه تبنَّى شخص الخاطئ لدى الآب السماوي وأخذ على عاتقه قضيته برمتها. وقد قيِّم بجدته واستخلاصه من أنياب الذئب بحياته ودمه. فالثمن المدفوع قبل الصليب وعليه وبعده هو ثمن خاطئ واحد خطفه الذئب. هذا هو قرار أنشودة الفداء بأكملها!

وفي اعتقادي أن المسيح لم يكشف عن أعماق نفسه بقدر ما كشفها في موضوع من هو أعظم ومَنْ هم الأولاد (الأطفال الصغار)!

الغفران والمسامحة أساس للدخول إلى الملكوت

[١٨: ١٥-٢٠] (لو ١٧: ٣)

هنا يذكر ق. متى الكنيسة لثاني مرّة:

١٨: ١٥-١٧ «وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ، فَخُذْ مَعَكَ أَيْضاً وَاحِداً أَوِ اثْنَيْنِ، لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ».

ويصح أن يوضع عنوانٌ لهذه الآيات هكذا: **"التعامل مع الخطأ والخطية حتى لا تنتقل إلى العثرة ثم الهلاك"**. هنا ظهر خروف ضال هو "أخوك" الذي أخطأ إليك وذهب ولن يعود. الصوت الآتي من المسيح هنا يقول: اذهب وراءه في هدوء وخلوة وبعيداً من كل أحد وعاتبه بلطف، أي أخبره بخطئه لعلّه يسمع منك ويرق قلبه للسلام والمحبة ويعود إلى ودِّه وإلى صداقته وعلاقته الأُولى. وواضح هنا أنه أخطأ خطأً فيه تعدٍّ على حقوقك، فإذا وافق ربحت أخاك إلى المودَّة والسلام وعودة المياه إلى مجاريها. وإذا رفض وتماحك وقدَّم الأعذار وربما الاتهامات المقابلة وبرَّأ نفسه، فعد إليه ومعك شاهد أو اثنان لتقنعه أمامهما بما تراه الحق، فإذا لم يسمع لوساطتهما أيضاً، اذهب إلى الكنيسة وهي جماعة المؤمنين، بمعنى اعمل له اجتماعاً معهم، فإذا سمع كان خيراً، وإذا لم يسمع فلك الحق أن تذهب ولا تعود إليه وتعتبره أنه رفض السلام ثلاث مرَّات. بهذا تنفي أثر العثرة في نفسك وفي نفس الوقت تكون قد أنذرته حتى يعود. هذا المَثَل يعتبر تخليص ذمة ضمير حتى لا يُحسب الإنسان أنه تسبب في عثرة الآخر. وفي نفس الوقت أراح ضميره المُعثَر من تعدِّي أو خطأ الأخ.

أمَّا موضوع الشاهد أو الشاهدين فهذا تتميم للناموس (تث ١٩: ١٥).

أمَّا حضور الكنيسة فهام جداً في آخر الأمر لأنك سترفع عن كاهلك ذنب هذا الذي أخطأ إليك وتجعله على الكنيسة، إذا لم يسمع لها يصير مُداناً منها وليس منك. "والكنيسة" في عصر المسيح تعتبر أنها اجتمعت إذا استطاعت أن تجمع عشرة أشخاص(٢) ذلك بحسب رأي أكبر علاَّمة يهودي

(2) J. Buxtrof, *Synagoga Judaica*, ch. XXV, cited by J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 349.

في العصور الأخيرة المدعو بوكستروف.

+ «وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تلاحِظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافاً للتعليم الذي تعلّمتموه وأعرضوا عنهم.» (رو ١٦:١٧)

١٨:١٨ «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ».

هنا تكرار لمنطوق المسيح بالمفرد الذي قاله للقديس بطرس: «فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات» (مت ١٦:١٩). هنا ليس للقديس بطرس وحده بعد بل لكل التلاميذ. على أن "المفاتيح" التي أعطاها المسيح للقديس بطرس هي بنفس الاصطلاح الذي قيل عن الناموسيين: «أخذتم مفتاح المعرفة. ما دخلتم أنتم، والداخلون منعتموهم» (لو ١١:٥٢). فهي تحسب بالأكثر فيما يخص التعليم، فيما هو ممنوع وما هو مسموح من السلوك. ولكن عاد المسيح وزادها وضوحاً بعد القيامة بحسب إنجيل ق. يوحنا، لما دخل العلّية والأبواب مغلّقة نفخ فيهم وقال: «اقبلوا الروح القدس. مَنْ غفرتم خطاياه تُغفر له، ومَنْ أمسكتم خطاياه أُمسكت.» (يو ٢٠:٢٢و٢٣)

وهنا يقولها لثالث مرّة كما هو مكتوب أعلاه (١٨:١٨) فالحلّ والربط هنا يخص التعليم ووضع الأُسس الصحيحة للكنيسة وتعاليمها عامة. أمّا المعنى الثاني وهو الغفران من عدمه فهو بعد نوالهم قوة الروح القدس، الأمر الذي جعله ق. يوحنا لهم خاصة، بالنفخ في وجوههم بعد القيامة مباشرة، ودون انتظار حلوله العام في يوم الخمسين، وذلك لأهمية الروح القدس في الغفران وإعطاء المشورة في الربط. وسواء كان الأول أو الثاني فهو السور المنيع الذي حفظ الكنيسة من الخارجين عن الإيمان الصحيح ومبتدعي العقائد. ولا تزال تحافظ الكنيسة على هذا السلطان من أجل غفران الخطايا وعدم غفرانها، دون شروط مسبقة من المسيح، ذلك اعتماداً على مشورة الروح القدس.

١٨: ١٩و٢٠ «وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضاً: إِنِ اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ عَلَى الأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَطْلُبَانِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسَطِهِمْ».

وذِكْر اثنين أو ثلاثة يجتمعون للصلاة تأخذ شكلها من شاهدين أو ثلاثة. أمّا القول "باسمي" فإنه يوحي كأنه بحضرته، فالاسم كناية عن الشخص. أمّا وجود المسيح بعد ذلك فهو بمثابة الحضرة الإلهية "الشاكيناه". وهكذا صحَّ للمسيح أن يقول إني جئت لأُكمِّل الناموس. فالناموس كان ينقصه

التقابل مع الله لأنه مخيف، وكان لا يمكن لرئيس الكهنة أن يتراءى أمام يهوه من فوق غطاء التابوت وبحضرة الشاروبيم إلاَّ وفي يده دم ذبيحة.

المسيح هنا يعطي لكل إنسان إن احتمع مع آخر للصلاة وباسمه، الحق في أن يحضر هو بنفسه في وسطهما! وهنا يتحقَّق اسمه "عمانوئيل" الله في وسطنا أو معنا، ومنها يلمِّح المسيح مباشرة لذلك بقوله: «إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه **فإنه يكون لهما مِنْ قِبَل أبي الذي في السموات**»، مقابل «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي **فهناك أكون في وسطهم**». واضح هنا أن المسيح يحقِّق لقب عمانوئيل!! وهذا التحقيق والتأكيد مضاعف.

في الآية السابقة، أعطى المسيح الوعد بأن ما يُربط أو يُحل على **الأرض** يُربط ويُحلُّ في السماء. وهنا أيضاً إن ما يجتمع من أجله اثنان **على الأرض** واتفقا على شيء يطلبانه **فإنه يكون لهما** من قِبَل أبي الذي **في السموات**، وهكذا فتح المسيح الصلة بين الكنيسة على الأرض وبين السماء، سواء في العمل الجماعي أو الثنائي في أُلفةِ المحبة. العمل الجماعي من جهة التنظيم والإدارة، والثاني إلى احتماع واتفاق اثنين من جهة الصلاة. ولكن يهمنا للغاية وعد المسيح القائل: «**إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما** مِنْ قِبَل أبي الذي في السموات» (مت ١٨:١٩). هنا الاستجابة غير مشروطة إلاَّ بالاحتماع والاتفاق والطلب. وهذا معناه أن الإنسان أصبح مسئولاً عن صلواته واستجابتها، وليس عذر لإنسان أو اثنين من الناس أن يقولا إن الرب لم يسمع الصلاة أو لم يستجب. فالمسيح ضَمَنَ استجابة الآب بلا قيد ولا شرط، انظر الآية: «لذلك أقول لكم: **كل ما تطلبونه حينما تصلُّون، فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم**» (مر ١١:٢٤). هذه الآية تشدِّد الآية السالفة (مت ١٨:١٩)، إنه وعد مؤكَّد ومكرَّر يحمل وراءه قوة عظيمة للصلاة موهوبة للإنسان. ويؤكِّد المسيح القول في إنجيل القديس مرقس (١١:٢٣) حتى إلى درجة استحالة الطلب أو عدم نفعه أو عدم لياقته، كأن يطلب إنسان أن ينتقل الجبل وينطرح في البحر. إلى هذا الحد وضع المسيح مستوى الصلاة والطلبة، ولكن الشرط الوحيد الذي وضعه: «لا يشك في قلبه بل يؤمن **أن ما يقوله يكون، فمهما قال يكون له**» (مر ١١:٢٣)!! ولكن بينما في إنجيل ق. متى أعطى الوعد بعد قوله: «كل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء» وذلك لكي يرسِّخ في قلب الكنيسة أن ما تحلّه وتربطه يُسمع للتو، إذ يضع بجوارها ـ أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما؛ نجده في إنجيل ق. مرقس يعطي الوعد بالاستجابة **وبعده** مباشرة: «ومتى وقفتم تصلُّون فاغفروا، إن كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السموات زلاَّتكم. وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذي في السموات أيضاً زلاتكم.» (مر ١١: ٢٥و٢٦)

مَثَل الخادم غير الرحوم

[١٨: ٢١-٣٥] (لو ١٧: ٤)

١٨: ٢١و٢٢ «حِينَئِذٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ بُطْرُسُ وَقَالَ: يَارَبُّ، كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: لاَ أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ، بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ».

«حينئذ»:

أي بعد قليل من كلام المسيح عن «إن أخطأ إليك أخوك ...» (١٨: ١٥)، فشكراً للقديس بطرس لأنه دائماً يستفسر لحسابنا، ونحن نستفيد من الشرح. وهنا ق. بطرس على أثر المطالبة بالغفران لِمَنْ يُخطئ إلينا، ظنَّها على مستوى الناموس تحتاج إلى تحديد، وقدَّم اقتراحه بناءً على تقليد سبق أن سجَّله ق. لوقا: «وإن أخطأ إليك سبع مرَّات في اليوم ورجع إليك سبع مرَّات في اليوم قائلاً: أنا تائب. فاغفر له.» (لو ١٧: ٤)

أمَّا بخصوص أن ق. بطرس هو المتقدِّم أولاً بالسؤال، فالقديس متَّى سجَّل له الفعل (قال) مسنوداً له أربع عشرة مرَّة[٣]، لم يُذكر منها في إنجيل ق. لوقا سوى ست مرَّات، وفي إنجيل ق. مرقس خمس مرَّات فقط.

وهنا يعطي المسيح الإجابة بشيء من الاتساع بقصد رفع المحدودية لجعل الخطأ قابلاً دائماً للصفح والتوبة: سبعين مرَّة سبع مرَّات أي كما نقول: ٧٠×٧، وهو رقم يقترب من رحمة الله المتَّسعة. وكلمة ἁμαρτήσει هنا لا تشير إلى مجرَّد الخطأ بل الخطية كتعدي، واتساع المغفرة هنا يعوِّض شدَّة القطع على الأخ الذي يرفض قبول العتاب حتى ومن الكنيسة. فهنا يرفع في المقابل سعة صدر المتعدَّى عليه إلى ما لا نهاية بشبه الله الذي بقدر ما نرجع إليه تائبين يغفر. في حين أن تقليد اليهود لا يزيد الغفران فيه عن ثلاث مرَّات[٤]. وهنا يبتدئ المسيح ليعطي قصة عن غفران الله الذي يفوق حدود العقل:

---

(٣) وهي: ١٤: ٢٨و٣٠، ١٥: ١٥، ١٦: ١٦و٢٢، ١٧: ٤و٥و٢٥و٢٦، ١٨: ٢١، ١٩: ٢٧، ٢٦: ٣٣و٣٥و٧٠.

(4) Leon Morris, *op. cit.*, p. 471, citing *Yoma* 86 b.

١٨: ٢٣-٢٧ «لِذلِكَ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ إِنْسَاناً مَلِكاً أَرَادَ أَنْ يُحَاسِبَ عَبِيدَهُ. فَلَمَّا ابْتَدَأَ فِي الْمُحَاسَبَةِ قُدِّمَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ مَدْيُونٌ بِعَشْرَةِ آلاَفِ وَزْنَةٍ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُوفِي أَمَرَ سَيِّدُهُ أَنْ يُبَاعَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَأَوْلاَدُهُ وَكُلُّ مَا لَهُ، وَيُوفَى الدَّيْنُ. فَخَرَّ الْعَبْدُ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيَكَ الْجَمِيعَ. فَتَحَنَّنَ سَيِّدُ ذلِكَ الْعَبْدِ وَأَطْلَقَهُ، وَتَرَكَ لَهُ الدَّيْنَ».

أمَّا الإنسان الملك فهو مطابقة مقصودة لشخص المسيح كَرَبٍّ وسيِّد. وهنا المماثلة واضحة: فالخادم الأول ابتدأ به السيِّد المحاسبة، يقابله بنوع من القصد البديع أن الخادم ابتدأ بعد المسامحة يقاضي أول مديون له من الخدم رفقائه (٢٨). ووقوع الخادم أمام رجلي الملك ساجداً يعطي إشارة إلى ألوهية المسيح. ولا يعوز المَثَل الرجوع الأخير للآب: «فهكذا أبي السماوي يفعل بكم.» (٣٥)

وضخامة الدَّيْن الذي تركه المسيح للعبد يوضِّح أنه ليس مجرَّد عبد بل خادم للملك، بل يبدو رئيساً أقامه على جباية ضرائب من مستويات عالية فأهمل في جمعها لأنها تربو على مليار (أي ألف مليون) جنيه حسب تقدير العالم فرانس(٥)، على أن آخرين حسبوها على أساس ١٠,٠٠٠ وزنة فضة (وليس ذهب)، وكل وزنة فضة تساوي ٣٤٢ جنيه استرليني، بينما وزنة الذهب تساوي ٥٤٧٥ جنيه استرليني. وسواء كان ذهباً أم فضة فبمقارنتها بالضرائب التي يذكرها يوسيفوس المؤرِّخ كانت أكثر بكثير من الضريبة المفروضة على اليهودية والسامرة والجليل وبيرية، والبعض يقول وسوريا أيضاً. فلو علمنا أن ق. متى كان مأمور ضرائب (عشَّار) أدركنا أن المسألة محسوبة بدقَّة ولكن القصد أنها تفوق الحصر. فإذا وازنَّا بين الدين الذي تركه الملك للعبد (١٠,٠٠٠ وزنة)، والدين الذي كان له عند عبد آخر (١٠٠ دينار) وعلمنا أن الوزنة تعادل ٦,٠٠٠ دينار أصبح الأمر غير قابل للتصديق فالنسبة ١:٦٠٠,٠٠٠!!

ويقول المَثَل إن الملك أمر أن يُباع العبد وامرأته وأولاده وأمواله لتسديد الدين، وطبعاً يسلَّم للسجن وللمعذِّبين، ولكن ما كان من العبد إلاَّ الوقوع تحت قدميه ساجداً طالباً الرحمة. فرحمه الملك وأطلقه. قصة حزينة وخطيرة لأن التطبيق يطالبنا، فنحن أيضاً مديونون بديون غير قابلة للوفاء بأي حال، فحال العبد أهون عشرة آلاف مرَّة من حالنا، لأن دين العبد كان ذهباً أو فضة، وأمَّا ديننا للملك فلا يوفَّى لا بذهب ولا بفضة. فالذي استوفاه عنَّا استوفاه بدمه! ... وهو ليس دم إنسان عادي بل دم ابن الله، فثمنه يفوق السماوات في مجدها.

---

(5) R.T. France, *The Gospel according to Matthew*, 1985, *ad loc.*

وبأمر الملك عرف العبد مصيره المشئوم و لم يستطع أن يدافع عن نفسه، كل ما تمنّاه أن يتمهَّل عليه حتى يرى طريقة للوفاء بالدين، وهذا هو الأمر المستحيل كما تراءى للملك. ولكن إذ تذلَّل العبد عاد الملك إلى حنان قلبه فأمر بأن يُترك العبد ويُترك الدَّيْن أيضاً. سلوك من الملك ينطق بأنه عظيم جداً وذو حنان يفوق العقل لأن الدَّيْن مهول ولا يصدِّقه أحد.

السلوك المشين لهذا العبد الذي جلب عليه عودة الدين والعذاب:

١٨: ٢٨-٣١ «وَلَمَّا خَرَجَ ذلِكَ الْعَبْدُ وَجَدَ وَاحِداً مِنَ الْعَبِيدِ رُفَقَائِهِ، كَانَ مَدْيُوناً لَهُ بِمِئَةِ دِينَار، فَأَمْسَكَهُ وَأَخَذَ بِعُنُقِهِ قَائِلاً: أَوْفِنِي مَا لِي عَلَيْكَ. فَخَرَّ الْعَبْدُ رَفِيقُهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَطَلَبَ إِلَيْهِ قَائِلاً: تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيَكَ الْجَمِيعَ. فَلَمْ يُرِدْ بَلْ مَضَى وَأَلْقَاهُ فِي سِجْنٍ حَتَّى يُوفِيَ الدَّيْنَ. فَلَمَّا رَأَى الْعَبِيدُ رُفَقَاؤُهُ مَا كَانَ، حَزِنُوا جِدًّا. وَأَتَوْا وَقَصُّوا عَلَى سَيِّدِهِمْ كُلَّ مَا جَرَى».

وهكذا تدخل القصة منعطفاً مؤسفاً للغاية يضيِّع على العبد ما حصل عليه من الرحمة وترك الدين وإطلاقه بلا أي عقوبة، ليعود إلى موقفه من الجحيم. إذ بمجرَّد أن عوفي العبد من الدَّيْن وأُطلق سراحه كان أول عمل قام به أن واجه عبداً آخر زميلاً له كان عليه دَيْن له يقدَّر بمئة دينار. هذا الدَّيْن إذا قورن بالدين الذي كان عليه وعوفي من دفعه يساوي حسب العالم هندركسن[6] ١:٦٠٠,٠٠٠ من الدَّيْن الذي عوفي منه!! فكان هذا الأمر شاقاً على العبيد رفقائه. هذه هي نظرة البشرية بالنسبة للمنطق المعقول، ولكن كم تكون حقيقتها بالنسبة للمسيح الذي سامحنا بكل ديوننا الثقيلة غير القابلة للدفع على الإطلاق؟ التي قال عنها المسيح: «ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه» (مت ١٦:٢٦)، وقبلها يقول: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» (مت ١٦:٢٦). بمعنى أنه لم يستطع أن يعطي فداءً عن نفسه حتى ولو ربح العالم كله. أي حتى ولو كانت مالية الإنسان بمجموع ما في البنوك، فلن تكفي ولن تشفع في تسديد واحد من ديون الإنسان التي عليه لله!! بهذا المنطق دخل المسيح على العبد الذي رفض أن يترك دين رفيقه الذي استدانه منه وألقاه في السجن حتى يوفيه، وربما سيُباع هو وامرأته وأولاده حتى يُوفِّي الدين إذ ليس له ما يوفِّي!! حسرة على البشرية التي لم تدرك مقدار ما صنعه هذا السيد الملك من جهة ديون البشرية فرداً فرداً التي تفوق ضرائب جميع الأقطار كلها وليس اليهودية وما حولها. ولكن التحذير والإنذار قائم أمامنا.

---

(6) W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 707.

١٨: ٣٢-٣٥ «**فَدَعَاهُ حِينَئِذٍ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ، كُلُّ ذلِكَ الدَّيْنِ تَرَكْتُهُ لَكَ لأَنَّكَ طَلَبْتَ إِلَيَّ. أَفَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّكَ أَنْتَ أَيْضاً تَرْحَمُ الْعَبْدَ رَفِيقَكَ كَمَا رَحِمْتُكَ أَنَا؟ وَغَضِبَ سَيِّدُهُ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْمُعَذِّبِينَ حَتَّى يُوفِيَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ. فَهكَذَا أَبِي السَّمَاوِيُّ يَفْعَلُ بِكُمْ إِنْ لَمْ تَتْرُكُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ لأَخِيهِ زَلاَّتِهِ**».

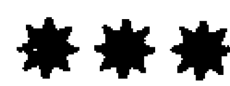
هذه القصة إنجيل بحد ذاته. ففيها كيف وبأي ثمن دفع المسيح كافة ديوننا التي لا يمكن أن يتصوَّرها إنسان أو ملاك، بل وإذا تأمَّلنا في مقدار الغفران الذي يناله خاطئ وفاجر واحد يتوب إلى الله ويؤمن بالمسيح، ولو كُشف لنا ما أجرم به هذا الخاطئ طول حياته لاعتقدنا بحسب منطقنا أنه يستحيل أن يتم غفران لمثل هذا الفاجر. ولكن، كل فجَّار العالم وخطاته الأشرار، كل هؤلاء مُحيت ذنوبهم جميعاً، وغُفرت خطاياهم كلِّيَّة، ولم يبق عليهم دين واحد يُطالَبون به، إذ تحمَّل المسيح كل ثقل ديون البشرية جمعاء. فاستناداً على دم المسيح يحكي المسيح هذه القصة وكأنها شرح لمعنى الفداء والكفَّارة والغفران والصفح والخلاص جميعاً!! ويحكيها المسيح وهو في تأثُّر لأن منظر الصليب قد اقترب ودفْع الدين قد وجب، وما بقي إلاَّ أيام أو شهور!! ويحكيها المسيح لمَّا ألحَّت عليه وصية أن نسامح بعضنا البعض ونغفر خطايا بعضنا البعض. فهو لا يعطي الوصية من فراغ، ولا كأنها تعليم معلِّم أتقن فن التدريس، بل كما يصفه إشعياء: «مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا ... والرب وضع عليه إثم جميعنا ... سكب للموت نفسه وأُحصي مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين.» (إش ٥٣: ٥و٦و١٢)

وتكميلاً لقصة هذا الإنسان الملك، ذلك السيد الحنَّان، أنه لم يسامح العبد الشرير مجَّاناً، بل بذل ابنه على الصليب ليُذبح ويموت ذبيحة كفَّارة وخطية، وبها استطاع أن يسامح الديون الكبيرة التي على كل العبيد. لهذا فإن المسيح بحكمة فائقة رفع القضية في النهاية إلى «أبي السماوي» الذي سيطالب بدم ابنه، وبالتالي يطالب بالديون التي مُحيت من كل مَنْ لم يتنازل عن ديون رفقائه: «فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي. وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم.» (مت ٦: ١٤و١٥)

والمسيح لا يطالب المؤمنين الذين غُفرت خطاياهم أن يغفروا هم بقدراتهم الذاتية، لأن التنازل عن حقوق الذات أمر صعب للغاية، كذلك لا يعتمد على مجرَّد النطق: أنا غفرت لك اغفر أنت أيضاً. لأن مغفرة المسيح لخطايا البشرية جاءت من قوة علوية إلهية اشترك فيها الآب بكل خصائص أبوَّته، والابن بكل خصائص بنوَّته حتى تمَّ الذبح على الصليب وتقديم ذبيحة الكفَّارة العظمى، فأين للإنسان من هذه القوة والهبة السماوية؟

هنا يلزمنا العودة إلى كيفية إتمام مغفرة خطايانا، إذ لم يصدر به أمر من الآب ينفِّذه الابن، ولا هي مسألة إرادة الآب اشترك في تكميلها الابن. ولكننا نحن البشر دخلنا كشريك أساسي في عملية الفداء والكفَّارة. فالمسيح تألَّم وذُبح بجسد البشرية الذي أخذه واتحد به. فالبشرية تألَّمت معه وذُبحت معه وصارت شريكاً مع الابن الذي ذُبح في مضمون وقوة الكفَّارة. فنحن أخذنا غفران خطايانا من واقع تكميلنا مع الابن على الصليب حكم اللعنة والموت الذي تنازل المسيح ليكون شريكنا فيه، لنأخذ حكم البراءة النهائية من حكم سابق علينا بالموت واللعنة الأبدية. ودخول الابن في حكم الموت واللعنة معنا ومن أجلنا بالجسد الذي أخذه منَّا، أسقط من حكم اللعنة والموت صفة "الأبدي"، وذلك من واقع شركته معنا وهو الحياة الأبدية ذاتها. فلمَّا صُلب من أجلنا وأكمل الحكم واللعنة أسقط حكم الموت واللعنة الأبدي بقيامته حيًّا بنا. وهكذا نلنا الغفران من واقع حكم البراءة الذي اكتسبه المسيح لنا. وهكذا نقول إن بالصليب والقيامة مُحيت كل خطايانا من واقع حكم البراءة الذي ناله ابن الله من أجلنا. إذن فمغفرة خطايانا هي من واقع حكم براءة تمَّ على الصليب ونُفِّذ بالقيامة واشترك فيه كل خطاة الأرض، وبصفة خاصة وممتازة كل مَنْ آمن بالمسيح. وبذلك ليس من فراغ أن يطالبني المسيح أن أغفر لأخي، وكأنه من رصيد إرادتي، بل من الرصيد الذي اشتركت فيه مع المسيح في الصليب والقيامة. فأنا أحمل قوة نعمة الغفران الذي أكمله المسيح لي ولأخي على الصليب. فمن ذات رصيد قوة ونعمة المغفرة التي تمَّت لي أنا أغفر، فإذا تجرَّأت و لم أغفر لأخي مهما أخطأ لي، فقوة ونعمة رصيد المغفرة الذي لي يتوقَّف عمله، لأنه مُعطَى لي أساساً لكي أعطيه: «اغفروا يُغفر لكم» (لو ٦:٣٧)، وأُعطي لي مجَّاناً لكي أعطيه مجَّاناً. وهكذا وإن توقَّف عمل الغفران بين المؤمنين لأي سبب، توقَّف عمل الصليب وبرز حكم الموت الأبدي من جديد.

من هنا كانت وصية المسيح من جهة مغفرة الخطايا بين المؤمنين لبعضهم البعض هامة ودقيقة للغاية لأنها تخص عمل صليبه.



هنا انتهى الكتاب الرابع

من كتب ق. متى الخمسة التي قسَّم بها إنجيله

الأصحاح التاسع عشر

بدء القسم الخامس من خمسة أقسام الإنجيل

- تعليم من جهة الطلاق (١٩: ١ - ١٢)
- المسيح والأولاد (١٩:١٣- ١٥)
- الغني الحزين والتلميذ السعيد (١٩: ١٦-٣٠)

تعليم من جهة الطلاق

[١٩:١-١٢] (مر ١٠: ١-١٢)

بمجرَّد أن أنهى المسيح تعاليمه في الأصحاح السالف (١٨) ترك الجليل، ولكن الذي يسجِّله ق. لوقا عنه أنه بدأ سيره عبر السامرة، ثم في إقليم بيرية، ثم جنوباً إلى اليهودية غرب النهر مقابل أريحا. وإذا عدنا إلى إنجيل ق. مرقس لا نجد هذا الأمر واضحاً، إذ اكتفى بقوله: «وقام من هناك (كفرناحوم) وجاء إلى تخوم اليهودية من عبر الأردن» (مر ١٠: ١). وإلى هنا نكون قد تحقَّقنا أنه ترك الجليل للمرَّة الأخيرة ولم يعد إليها، ويكون قد أكمل تعاليمه هناك. وكأن المسيح بتركه الجليل كان متجهاً عبر اليهودية إلى أُورشليم في الحقيقة، ولكنه أمضى خمسة أشهر في اليهودية قبل أن يتجه مباشرة إلى أُورشليم.

هنا اتجه المسيح نحو إقليم بيرية عبر الأُردن وأعطى تعليمه في الأصحاحين (١٩و٢٠). ويحدِّد العالِم هِندركسن هذه المدَّة من ديسمبر سنة ٢٩ إلى أبريل سنة ٣٠[١]. وقد عبر أثناءها الأُردن عدَّة مرَّات. علماً بأن بعض المدن في الضفة الشرقية للأُردن تُحسب ضمن إقليم اليهودية، لذلك حرص ق. متى أن يقول انتقل من الجليل وجاء إلى تخوم اليهودية من عبر الأردن[٢]، وعبر من بيرية غرباً إلى تخوم اليهودية مقابل مدينة أريحا[٣] (٢٠: ٢٩).

١:١٩ «وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هذَا الْكَلاَمَ انْتَقَلَ مِنَ الْجَلِيلِ وَجَاءَ إِلَى تُخُومِ الْيَهُودِيَّةِ مِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ».

وبقوله هذا في بداية هذا الأصحاح ـ أو يكون مكانه الأصح في نهاية الأصحاح (١٨) ـ يكون قد أنهى **كتابه الرابع**. فالأول ينتهي في (٧: ٢٨) والثاني في (١١: ١) والثالث في (١٣: ٥٣) وهذا الرابع في (١٩: ١). وبذلك كما يقول بعض العلماء يكون التقسيم الذي أراده ق. متى لإنجيله على نمط الخمسة أسفار التي للتوراة، حيث يختتم كتابه الخامس في (٢٦: ١).

٢:١٩-٦ «وَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ فَشَفَاهُمْ هُنَاكَ. وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ قَائِلِينَ لَهُ: هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ لِكُلِّ سَبَبٍ؟ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ

---

(1) W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 711.
(2) H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 336.
(3) Ibid.

خَلَقَهُمَا ذَكَراً وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. إِذاً لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ».

يقول ق. متى هنا إنه شفى جموع المرضى التي تجمَّعت حوله، ولكن ق. مرقس يقول إنه كان يعلِّمهم، ويبدو أن المسيح لم يكن يشفي فقط بل كان يعلِّم أولاً وقبل كل شيء. أمَّا مجيء الفريسيِّين فكان لتدبير فخ للمسيح، إذ هو هنا في أرض هيرودس الذي أطاح برأس المعمدان، لأنه قال له، لا يحل أن تتزوَّج بمطلَّقة، وهي امرأة أخيه. لذلك يقول ق. متى إنهم جاءوا **ليجرِّبوه** πειράζοντες، وتعني أن السؤال كان له طبيعة الإيقاع في فخ. والانشقاق في التعليم بالطلاق عند اليهود لكل علَّة من عدمه، نابع أصلاً من الفُرقة بين مدرسة هالليل ومدرسة شماي التي كانت شديدة التخطيط. وكانوا يأملون أن يوقعوا بين تعاليم هالليل وشماي، ولكن المسيح ارتفع فوق المدرستين المرتبطتين بالناموس، ووضع أساس الزواج على أصول الخلقة الأُولى، وبهذا جعل الطلاق أمراً غير وارد في قلب الله منذ البدء. وبذلك يصبح الزواج ارتباطاً بين الرجل والمرأة ليصيرا جسداً واحداً، وليسا بعد الزواج جَسَدَيْن. ومن هنا رأينا في شرحنا للآية (٥:٣١و٣٢)[٤] أن اتحاد الرجل بالمرأة أنشأ جسداً واحداً غير الرجل وحده والمرأة وحدها، بل جسداً ذا كيان جديد يجمعهما في بركة الكنيسة بقوة الروح القدس، كيان له سلطان يجذب كلاً منهما للآخر ويقدِّسهما معاً ويحافظ على وحدتهما بالروح أيضاً، لأنه سرٌّ يعمل فيه الروح القدس، وبذلك ليس في سلطان إنسان مهما كان أن يحلّه أو يفسخه.

ولم يضع هنا المسيح أي قانون آخر للزيجة غير هذا المبدأ القاطع، أمَّا القول بالطلاق لكل علَّة πᾶσαν αἰτίαν فهو تعليم مدرسة هالليل، ولكن بحكمة فائقة لم يعلِّق المسيح على تعاليم هالليل هذه، حتى لا يأخذوها ذريعة للإيقاع بأصحاب مدرسة هالليل هذه. يكفي أنه أعطى البرهان مسنوداً بقوة الله والروح أن الزواج رباط غير قابل للإنحلال، ينتج عنه جسدٌ واحدٌ لشخص واحد جديد من صنع الله. فهو خليقة من ذكر وأنثى تعبِّر عن تدخل يد الله، ليس في مقدور الإنسان ولا من حقه أن يفصلها. ولكن في حديث آخر في الآية (٩) عاد وأضاف أن الزنا يفسخ العَقْد وسنأتي إليه.

---

(٤) انظر ما سبق في صفحة ٢٤٥–٢٤٨.

١٩: ٧-١١ «قَالُوا لَهُ: فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلاَقٍ فَتُطَلَّقُ؟ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلَكِنْ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هكَذَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي. قَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: إِنْ كَانَ هكَذَا أَمْرُ الرَّجُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ، فَلاَ يُوافِقُ أَنْ يَتَزَوَّجَ! فَقَالَ لَهُمْ: لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هذَا الْكَلاَمَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ».

أمَّا قولهم لماذا أوصى موسى بأن يُعطى كتاب طلاق فتُطلَّق، فردُّ المسيح أن هذا ليس من فكر الله بل من أجل قساوة قلوبهم، والمعنى ينصبُّ على معاملة المرأة بقسوة ومذلَّة مِنْ قِبَل الرجل، لذلك أعطاها حق الطلاق، ولكن بكتاب في يدها يحميها من الانتقاد، بمعنى أن الطلاق أصلاً هو صورة رديئة لمستوى الرجل في المعاملة والحياة الأسرية وعدم أهليته للحياة مع زوجته.

أمَّا منذ البدء فكان الرجال ذوي قلوب تخاف الله، وكانوا يعاملون زوجاتهم باعتبارهن هدية اقتنوها من عند الرب. أمَّا قوله إن الزواج ينحل من تلقاء ذاته بسبب الزنا، لأن الله هو الذي جمع، ودخول الزنا على وحدة الزيجة التي صنعها الله يعتبر دخول النجاسة وإصبع الشيطان، فلا مكان لوحدة زيجة بعد. ولكن يعود المسيح ليقول إن الرجل الذي يتزوَّج بأخرى بعد أن طلَّق امرأته، إذا لم يكن بسبب الزنا، فهو يعتبر زانياً، لأن الطلاق بدون العلَّة غير قانوني، وهو مرفوض من قبل الله. أمَّا الذي يتزوَّج بمطلَّقة مهما كان، سواء كانت صالحة أو زانية، فهو يزني، لأنها إن كانت صالحة فهي لا تزال محسوبة على زوجها لأن الطلاق غير قانوني، أمَّا إن كانت زانية، فمن يتزوَّج بزانية فهو شريك لها لأن كل مَنْ التصق بزانية هو زان. وفي رسالة بولس الرسول الأُولى إلى أهل كورنثوس ما يوضِّح هذا: «وإن فارقته فلتلبث غير متزوِّجة أو لتصالح رجلها، ولا يترك الرجل امرأته» (١كو ٧: ١١). بهذا حتَّم المسيح أن لا طلاق البتَّة إلاَّ لعلَّة الزنا. وهنا لم يترك المسيح اجتهاداً لمجتهد!

أمَّا قول التلاميذ الذي يكشف أنهم استصعبوا شروط الزواج التي وضعها الرب وفضلوا عليها عدم الزواج جملةً، فلم يراجعهم المسيح في ذلك، لأن مَنْ وجد في نفسه الكفاءة أن يلتزم بشروط الزواج يتزوَّج، والذي لا يجد في نفسه الكفاءة لقبول شروط الزواج هذه، فهو حرٌّ في ذاته لأن الزواج ليس أمراً حتمياً، ولكن عليه في نفس الوقت أن يتدبَّر إمكانية حياته بدون زوجة. فإن كان قد نال في نفسه هذه العطية من الله أن يبقى بلا زواج من أجل الله = «الذين أُعطي لهم» - فهذا يمكن أن يبقى كما يقول ق. بولس «كما أنا»، كمثال للذي نذر نفسه لخدمة الله.

وهذا هو نفس الحال مع البنت إن وجدت نفسها أنها قادرة بنعمة الله أن تبقى بلا زواج من أجل الله، يمكنها أن تقبل نذر نفسها كما يقول بولس الرسول: «لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا. لكن كل واحدٍ له موهبته الخاصة من الله. الواحد هكذا والآخر هكذا. ولكن أقول لغير المتزوِّجين وللأرامل، أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا.» (١كو ٧: ٧و٨)

١٢:١٩ «لأَنَّهُ يُوجَدُ خِصْيَانٌ وُلِدُوا هكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ. مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ».

هنا تعليق على قول التلاميذ أنه لا يوافق الرجل أن يتزوَّج إن كان رباط الزواج لا يُحلُّ والطلاق لا يجوز إلاَّ لعلَّة الزنا. فكان رد المسيح أن عدم الزواج هو بمثابة أن يخصي الإنسان نفسه، أي لا يستعمل أعضاءه الجنسية بعد، وهذا فيه صعوبة طبيعية لأنه مخالف لنظام الطبيعة، فسيعاني الإنسان الذي يمتنع عن الزواج ما يعانيه الذي يخصي نفسه. ولأن هذا غير متمشٍّ مع الطبيعة، فيلزم أن يكون الإنسان قد وُهِبَ موهبة من الله أن يحتمل آلام مقاومة الطبيعة. وطبعاً لا يكون ذلك إلاَّ من أجل ملكوت السموات. لأنه حينئذ، وحينئذ فقط، يعطي الله نعمة وموهبة للإنسان أن يحيا بلا عناء، أو أنه يحتمل كل عناء حبًّا وكرامة في الملك السماوي!

لذلك نسمع من بولس الرسول، الذي هو نموذج لمن بقي بدون زواج من أجل ملكوت السموات التي دُعي إليها من المسيح، أنه كان يقمع جسده ويستعبده، ويميت بالروح أعمال الجسد، ويميت أعضاءه التي على الأرض، وأن يحسب كل ذلك ربحاً من أجل أن ينال ملكوت السموات ويخدم دعوتها. ويوجد من الأمثلة القبطية نماذج رائعة وعالية القدر للذين عاشوا كالقديس بولس بدون زواج حبًّا في الملك المسيح، مثل أنوار البرية الذين أضاءوا على المسكونة كلها كالقديس أنطونيوس وباخوميوس ومكاريوس وبيمن وبموا وشيشوي وبيشوي وغيرهم. ومن الكارزين أثناسيوس وكيرلس وغيرهم.

هؤلاء جميعاً قبلوا الدعوة وأطاعوا وساروا بسيرة مقدَّسة وتركوا نماذج حيَّة ناطقة، وكأنهم لم يموتوا، فنورهم يشرق على المسكونة جنباً إلى جنب مع الرسل والقديس بولس والقديسين الذين جاءوا في عصر ما بعد الرسل. كلُّهم أنوار تضيء كالجَلَد في سماء عالمنا المظلم، نهتدي بخطواتها وكلماتها، نُحيِّي سيرتهم ونسير في موكبهم، تتساقط أجسادنا على الأرض لتتقابل أرواحنا جميعاً في السماء ونشهد للمسيح ملك القديسين.

وفي هذه السيرة نلاحظ أن الذي يقبل تكريس الحياة والجسد لملكوت الله يتخلَّص من همّ باطل ليقبل اهتماماً صالحاً حسب ملاحظة بولس الرسول: «فأريد أن تكونوا بلا هم، غير المتزوِّج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب»، وعلى نفس النمط يقول للعذارى: «غير المتزوِّجة تهتم في ما للرب لتكون مقدَّسة جسداً وروحاً، وأمَّا المتزوِّجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها» (١كو ٧: ٣٢و٣٤). ولكن إحقاقاً للحق وشهادة أمام الله أنه وُجِدَ من المتزوِّجين والمتزوِّجات ذوي الأولاد من اهتم بالروح والإنجيل والخدمة والملكوت بدرجة يصغر أمامها أي مثل عادي من أمثلة الذين عاشوا بلا زوجة وأولاد. فالمسيح لم يُقصر خدمة الملكوت على غير المتزوِّجين، ولكن أطراف الحديث عن الطلاق هو الذي امتد بنا ليشمل الذين استطاعوا أن يعيشوا بلا زوجة ردًّا على اعتراض التلاميذ. لهذا وجب التنبيه.

المسيح والأولاد

[١٩: ١٣-١٥]

(مر ١٠: ١٣-١٦)،
(لو ١٨: ١٥-١٧)

١٩: ١٣-١٥ «حِينَئِذٍ قُدِّمَ إِلَيْهِ أَوْلاَدٌ لِكَيْ يَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَيُصَلِّيَ، فَانْتَهَرَهُمُ التَّلاَمِيذُ. أَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ: دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ. فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ. وَمَضَى مِنْ هُنَاكَ».

لقد أحسن ق. متى في إيراد هذا الوضع بعد حديث المسيح عن الزواج وقدسيته، ويبدو أن هذا كان هو الواقع تاريخياً، أن قُدِّم إليه الأولاد بعد أن أنهى حديثه عن الزواج. ومعروف أن للمسيح رؤية متَّسعة لقامة الطفولة، فهو أحبَّها جداً لأنها جزء حي من ذكرياته الشخصية، ولها رنين وصدى دائم في نفسه لأنه يحمل معيارها الغائب عن العالم: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت ١١: ٢٨و٢٩). كما أنها أكثر القامات البشرية تعرُّضاً للافتراس من كافة الاتجاهات العالمية سواء الاجتماعية أو الخلقية، فهي في أغلب الأحيان محرومة مظلومة مهانة مستغلَّة مباعة بلا ثمن. مع أنها هي الخلايا الأولية التي تبني جسم البشرية، واللبنات الأُولى التي يُبنى بها أساس الكنيسة. ولكن سر اللطمات العنيفة التي تتلقاها الطفولة من العالم هو بسبب الزيجات الفاشلة

واحتقار رباط الزوجية وغياب روح الأمومة والعطف الأبوي. فيخرج الطفل يبحث عن قلب رحيم يحنّ إليه فيقع في مخالب الذئاب. على أن لا شيء، سواء كان مؤسَّسة خيرية أو حضانة أو جمعية للأولاد الأيتام أو بيوت رحمة، يمكن أن يحل محل أم الولد وهي ترضعه الحنان والرحمة والعطف، أو محل الأب الذي يملأ قلب الطفل بالرجاء والسند والثقة والشجاعة والاعتماد على الذات. فإذا لم يستقِ الولد أو البنت هذه الصفات الأساسية من الأسرة، سيتشرَّب من نقع الأوساط الفاسدة خارج الأسرة. وهكذا يضيع الإنسان ويفقد بناءه الخلقي السليم ويعيش بلا مُثُل عليا صالحة ولا هدف يسعى إليه.

لذلك تجيء دعوة المسيح للعالم: «دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم»، هي بمثابة وصيَّة آمرة ثمينة خرجت من فم الله ليتحمَّل تنفيذها كل مَنْ تعيَّن مسئولاً عن الطفولة سواء الأسرة أو المدرسة أو المشرفين على الحياة الاجتماعية. إذ يطلب المسيح أن يوصِّلوا إليه الولد وهو كفيل أن يعطي له كل ما كان ينقصه في الحياة. فهو الوحيد الذي يملأ فراغ الأمومة والأبوَّة في حياة الولد أو البنت. فإن أخفق الأب أو الأُم في أن يجعلوه صالحاً في الأسرة، فالمسيح يجعله عضواً صالحاً لملكوت السموات وواحداً من أهل بيت الله مع القديسين. فقط: «دعوا الأولاد يأتون إليَّ»!

فالأم الحكيمة إن أرادت أن ترفع عنها مسئولية نجاح وفلاح ابنها، عليها أن توصِّله إلى المسيح، والأب الذي لا يقوى أو لا يملك الكفاءة أن يربِّي ابنه تربية صالحة عليه أن يوصِّله للمسيح ويقف من بعيد يتعلَّم كيف يبني المسيح أولاده. فالمسيح قالها وهو يعلم كيف سيربحهم جميعاً لملكوته السماوي.

إن عالي الكاهن يوم علَّم الصبي صموئيل كيف يتكلَّم مع الله رأساً عوضاً عنه، ضمن لإسرائيل نبيًّا صالحاً قضى لإسرائيل كنبي ومعلِّم.

ثم يقول ق. متى إنه: «**وضع يديه عليهم**»، وباركهم. هذا صار طقساً كنسياً يناله المعمَّد بوضع يد الأسقف (أو الكاهن) عليه، مع الدعاء لحلول الروح القدس، ثم الدهن بالزيت ليتقدَّس لحساب ملكوت السموات. ويقابلها هتاف الكاهن في القدَّاس لتكميل السرّ: [أنت الذي وضعت يدك عليَّ وباركت طبيعتي فيك وأكملت ناموسك عني ...]، فرؤوسنا جميعاً طالتها يد الرب وتقدَّست بالدعاء. فنحن أطفال الله نترجَّى ملكوته!

الغنيّ الحزين – والتلميذ السعيد(٥)

[١٩:١٦-٢٦]

(مر ١٠:١٧-٢٧)،
(لو ١٨:١٨-٢٧)

١٩:١٦-٢٠ «وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟ فَقَالَ لَهُ: لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. وَلكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا. قَالَ لَهُ: أَيَّةَ الْوَصَايَا؟ فَقَالَ يَسُوعُ: لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. قَالَ لَهُ الشَّابُّ: هذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْوِزُنِي بَعْدُ؟».

كل الملابسات في الحديث وأهدافه تكشف أن هذه القصة أيضاً حدثت تواًّ بعد بركة الأولاد. وواضح أن فكرة التداعي هي سهولة دخول الأولاد لملكوت الله، فجاءت هذه القصة لتكشف بآن واحد صعوبة دخول ملكوت الله، وتكشف في الحال أن المال الكثير كان العثرة الوحيدة التي منعت ذلك الشاب الغني من دخول الملكوت، بل وجعلته يمضي حزيناً في دنياه، إذ لا هو قادر أن يترك أمواله ويتبع الرب، ولا هو مرتاح ولا مطمئن أنه يمكن أن يدخل الحياة بمجرَّد حفظه الوصايا التي أتمَّها منذ حداثته. مع أنه واضح أنه كان يسعى ليدخل الحياة، ويتمنَّى لو يعمل أي عمل صالح بأمواله الكثيرة. كما إنه واضح أنه طاهر إذ حفظ نفسه من عصيان الوصايا، بل إنه كان ذكيًّا أيضاً إذ عرف مَنْ هو الذي يستطيع أن يدلّه على كيفية الدخول إلى الحياة الأبدية. ولكن هذه كلها لم تسعفه لأن المال عدو خطير يُغرِي الإنسان على اقتنائه، فإذا اقتناه الإنسان صار عبداً له.

علماً بأن القديس متى يراه "شاباً"، والقديس لوقا يذكر أن هذا الشاب كان رئيساً: «وسأله رئيس ...» (لو ١٨:١٨)، والقديس مرقس يذكر أنه "جثا" أمام المسيح. إذن، فهو على تقوى. ولكن كل هذه الخصال الطيِّبة استطاع المال الكثير أن يلغي مفعولها جميعاً!! والعجيب أن هذا الرئيس أو الرجل الغنيّ كانت عنده فكرة عن الصلاح، إذ تقدَّم للمسيح معبِّراً عن شعوره نحو

---

(٥) احفظ حياتي ليكون ∴ تكريسها يا رب لك
واحفظ زماني شاكراً ∴ فيه دواماً عملك

المسيح بأنه المعلِّم الصالح، لأنه كان يطمع في عمل الصلاح. لذلك فإن المسيح أراد أن يوجِّه نظره إلى مصدر الصلاح الوحيد الذي يُغنيه عن كل عمل صالح: «ليس أحد صالحاً إلاَّ واحد وهو الله». ولكن لأنه كان قد تثبَّتت عيناه وفكره على العمل الصالح فات عليه مصدر الصلاح. أمَّا المسيح فقد بدأ يتدرَّج معه لكي يوصِّله إلى الله. فقال له عن الوصايا. ولكن سرعان ما سدَّ على نفسه الطريق فقال: قد حفظتها منذ حداثتي ـ طيِّب جداً.

١٩: ٢١و٢٢ «قَالَ لَهُ يَسُوعُ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي. فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِيناً، لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ».

بقي شيء واحد وهو الله أبو الصلاح، بع كل ما لك وأعطِ الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعالَ اتبعني. والمسيح يؤسِّس هذه النصيحة على افتراضه هو لأنه دعا المسيح: "المعلِّم الصالح"، وبالتالي رفع المسيح نظره إلى الله نفسه مصدر الصلاح. فكونه يبيع كل ما له، فهو يحوِّله إلى كنز في السماء ينتظره فوق، وبهذا يُرضي قلب الله الصالح، ثم يأتي ويتبع المسيح (المعلِّم الصالح)، وبهذا يكون قد عمل كل الصلاح! ولكن علَّة هذا الرئيس الغني أنه كانت قد توطَّدت علاقته بأمواله، حتى لم يبقَ له فرصة ليبحث في شئون نفسه أو حياته. فبمجرَّد ما وضعه المسيح في موضع الإنسان الحر في قراره لكي يجحد أمواله، ظهر أنه ليس حرًّا بالمرَّة فقد استعبدته أمواله.

فبهذا التدرُّج العجيب، استطاع المسيح أن يُعرِّي سؤال هذا الرئيس الذي تقدَّم به إلى المسيح أنه يريد أن يعرف العمل الصالح الذي يورِّثه الحياة، فأوضح المسيح أنه سؤال بلا سائل، فليس له أساس من واقع حر في الإرادة عنده. فالإرادة مستعبدة للأموال الكثيرة. فعبثاً يشتاق، وعبثاً يسأل، بل والإجابة الصحيحة ورَّثته الحزن. فمضى حزيناً!!

١٩: ٢٣و٢٤ «فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ. وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضاً: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ».

هنا لم يسأل التلاميذ المسيح عن سبب ذهاب ذلك الرئيس هكذا حزيناً، ولكن المسيح هو الذي تقدَّم بمبادرة يبلور فيها هذه المعادلة الصعبة: كيف يدخل الغني ملكوت الله!! فأن يدخل الغني بأمواله ملكوت الله بأي وسيلة وأي محاولة فهذا أمر مستحيل، لأن الأموال تحمل مضمون العالم

بكل صوره من عظمة واقتدار وكرامة وظلم وغش ورشوة وكذب. إذن، فهي استحالة أن يدخل الغني ملكوت الله وأمواله معه. إذن، لكي نصوِّر هذه المعادلة المستحيلة وجد لها المسيح صورة صادقة للغاية، وهي مرور جمل من ثقب إبرة، ولكن نضيف عليها نحن الغني نفسه، أي مرور غني راكباً جمله! تقول لي محاجاً ولكن فرضاً أن الغني باع أمواله؟ إذن، فالجواب أنه يدخل حتماً الملكوت، لأنه حينئذ سيكون فقيراً، ودخول الفقير ملكوت السموات لا يحتاج إلى خرم إبرة، بل بالعكس يدخل بالرحب والسعة. لأن افتقار الإنسان من بعد غِنىً هو العبور من الباب الضيِّق. إذن، فالصعوبة التي وضعها المسيح في هذه المعادلة المصوَّرة بدخول جمل من ثقب إبرة، ناتجة ليس من الإنسان بل من الأموال. فهو هنا لا يقسو على الإنسان الغني، بل يقسو على الجِمْل الذي يحمله وراء ظهره(٦).

١٩: ٢٥و٢٦ «فَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ بُهِتُوا جِدًّا قَائِلِينَ: إِذاً مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: هذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ».

فزع التلاميذ من القطع الذي قطعه المسيح بالنسبة لدخول الأغنياء ملكوت السموات، لأن المحاولة جاءت من طرف الإنسان، من طرف الرئيس الغني بالنسبة لمحاولة دخول ملكوت السموات بالأعمال الصالحة. ولكن ليست الحقيقة هكذا أبداً، بل الحقيقة أن دخول ملكوت السموات عمل يضطلع به الله بواسطة يسوع المسيح، ويوفِّر للإنسان كل الإمكانيات للدخول، لا على مستوى الأفضل أو بعد إجراء مسابقة أو امتحان، بل على مستوى الأطفال والصغار والمزدرى بهم. دخول ملكوت السموات أيسر من دخول مدرسة الحربية أو قصر الملك. ولكن إن كانت هناك أي صعوبة في دخول ملكوت السموات، فالمتسبِّب فيها هو الإنسان وليس الله. فإن كان الطفل مهيَّأ أن يدخل ملكوت السموات فليستد فم كل ناقد، وإن كان المساكين بالروح لهم ملكوت السموات فليخزَ المتشائمون، وإن كان ملكوت السموات سهل الارتياد للمطرودين من أجل البر والمعيَّرين بالاسم والمشهَّر بهم كذباً، فكلنا داخلون. إذن، فالصعوبة هي عند القادرين والأقوياء والعظماء والأغنياء،

(٦) يُحكى أن ثعلباً اشتهت نفسه عنب الحديقة التي يمر عليها كل يوم، فحاذف وأخذ يبحث في سورها عن ثقب يدخل منه، وبالضيق دخل الحديقة وقال لنفسه كلي يا نفسي واشبعي. فأخذ يأكل بلا حساب حتى سمن وزاد حجمه. وفي يوم رآه الحرَّاس فجروا وراءه، ولكنه استطاع أن يخاتلهم، والثعلب ماهر في المخاتلة، ولكن علم أن يومه قريب فذهب يبحث في السور عن الثقب الذي دخل منه فوجد الأمر مستحيلاً إذ زاد حجمه، فذهب حزيناً إلى جحره المظلم وصام عن العنب والسرقة، وكان يذهب كل ليلة إلى الثقب فيجد أنه لا يزال سميناً. وأخيراً جداً، وبعد أن فقد كل ما أكله في الحرام حاول وبصعوبة بالغة أمكنه عبور الثقب ولكن بجروح في جلده تذكاراً لمأساته، فخرج وهو يلعن العنب وآكل العنب. هكذا خروج النفس من هذا العالم.

وليست عند الأدنياء والمزدرى بهم ومساكين الأرض. فالعيب عيب هذا العالم والذي يتمسَّك به، وبعد ذلك كل شيء مستطاع لدى الله. ثم إن التلاميذ خلطوا بين دخول الملكوت والخلاص، فشرط دخول ملكوت السموات هو عدم التعلّق بأي أمر من أمور العالم، وذلك عند مَنْ قَبِلوا المسيح وآمنوا بالحياة الأبدية. أمَّا الخلاص فشرطه الوحيد الإيمان بالمسيح من كل القلب. فالغني الذي يستطيع أن يرتفع بإيمانه بالمسيح وبالحياة الأبدية من كل القلب وبأمانة حتى إلى الموت، فهذا له الخلاص والحياة الأبدية. فالإيمان بالمسيح حينما يبلغ درجة التسليم بالحياة، قادر أن يلغي وجود العالم والمال والشهرة والغنى وكل أمجاد هذه الدنيا. لذلك حينما نتكلّم عن المال نقول إنه أعظم معطِّل لدخول ملكوت الله، ولكن حينما ندخل في الإيمان فهو يفوق المال والعالم، وقادر أن يخلِّص حتى إلى التمام كل الذين يتمسَّكون به حتى الموت.

وإن أعظم مَثَل واجهته في حياتي للغنيّ الذي سيخلص هو حبقوق النبي: اسمع ما يقوله حبقوق ويتحدَّى به العالم ورئيس هذا العالم والمال والغِنَى: «فمع أنه لا يُزهر التين ولا يكون حملٌ في الكروم، يكذب عمل الزيتونة والحقول لا تصنع طعاماً (ملكه مع كل هذه المقتنيات)، ينقطع الغنم من الحظيرة ولا بقرَ في المزاود، فإني أبتهجُ بالربِّ وأفرحُ بإله خلاصي. الرب السيِّد قوَّتي ويجعل قدميَّ كالأيائل (كالغزال) ويُمشِّيني على مرتفعاتي» (حب ٣:١٧-١٩). هذا هو الغنيّ الذي يستهتر بغناه ومستعد أن يصبح فلا يجده، حينئذ يرقص فرحاً ويهلّل مجداً للرب! إذن، أعطِ إنساناً من الغِنَى ما شئت، وأعطه قلب حبقوق وهو يدخل ملكوت الله كسابق!

هوذا قد تركنا كل شيء وتبعناك: (مر ١٠:٢٨-٣١، لو ١٨:٢٨-٣٠)

١٩:٢٧و٢٨ «فَأَجَابَ بُطْرُسُ حِينَئِذٍ وَقَالَ لَهُ: هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟
فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى
جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيّاً
تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ».

شكراً للقديس بطرس صاحب المبادرات المشهورة، لأنه أعطانا فرصة أن نعلم جيداً، وبوعد من الحق، أن الرسل لهم نصيب سماوي فوق الجميع. والآن نحن تحقّقنا من وعد المسيح وأصبحنا نحن بدورنا مديونين لهم بإيماننا وحياتنا الجديدة في المسيح: «مبنيِّين على أساسِ الرسل والأنبياءِ، ويسوعُ المسيح نفسه حجرُ الزاويةِ.» (أف ٢:٢٠)

«التجديد»: παλιγγενεσίᾳ

اصطلاح عميق مليئ بالمعاني، ويقصد به المسيح عملية التغيير العظمى من القديم إلى الجديد، ويقصد به عالم السموات والروح، حتى أنَّ الترجمة الإنجليزية اختارت لها the new world أي العالم الجديد، والمعنى "الخليقة الجديدة" بحسب بنجل(٧). وهو اصطلاح استخدمه ق. بولس: «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلَّصنا بغسل **الميلاد الثاني** **παλιγγενεσίας** **وتجديد** **ἀνακαινώσεως** الروح القدس» (تي ٣:٥). هنا اختصر المسيح غسل الميلاد الثاني وتجديد الروح بلفظة "**التجديد**"، والتي تعني بحسب بنجل: حينما يولد عالم الإنسان نفسه microcosm وبه يولد العالم الكبير macrocosm ثانية، الأمر الذي تكلَّم عنه بطرس الرسول أيضاً: «ويرسل يسوع المسيح المبشَّر به لكم قبل. الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى **أزمنة رد كل** شيء التي تكلَّم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر» (أع ٣:٢٠و٢١)، والتي تكلَّم عنها المسيح نفسه في إنجيل ق. لوقا: «ولكن الذين حُسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات ... هم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة» (لو ٢٠: ٣٥و٣٦)، كذلك القديس يوحنا في رسالته الأُولى: «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله و لم يُظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو.» (١يو ٣:٢)

وهنا يتكلَّم المسيح عن بداية الدينونة، وكيف سيظهر الاثنا عشر رسولاً جالسين على اثني عشر كرسياً يدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر، على ما اقترفوه في حق الرسالة. ويصف المسيح الوقوف أمام المسيح للباقين هكذا: «اسهروا إذاً وصلُّوا وتضرَّعوا في كل حينٍ لكي تُحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا قدَّام ابن الإنسان» (لو ٢١:٣٦). ويؤكِّدها بولس الرسول في رسالته الثانية لأهل كورنثوس: «لأنه لابد أننا جميعاً نُظهَر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شرًّا.» (٢كو ٥:١٠)

أمَّا وعد المسيح في جعل الرسل الاثني عشر قضاة لإسرائيل يقضون للأسباط الاثني عشر، علماً بأن الاثني عشر هم أصلاً من بني إسرائيل، في هذا يعطي إشعياء نبوَّته لتلك الأيام التي يتكلَّم عنها المسيح هكذا: «وأعيد قضاتك كما في الأول ومشيريك كما في البداءة.» (إش ١:٢٦)

---

(7) J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 365.

ويستخدم هذا الاصطلاح القديس كليمندس الروماني في رسالته الأُولى (٩:٤) بمعنى: "تجديد الخليقة بعد الطوفان في أيام نوح".

الترك المربح:

١٩: ٢٩و٣٠ «وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمّاً أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَداً أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ. وَلكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَآخِرُونَ أَوَّلِينَ».

القديس مرقس يزيد على هذا الوعد أمرين: الأول أنه يحدِّد الترك أن يكون «من أجلي ومن أجل الإنجيل»، والثاني أن المائة ضعف التي يأخذها كتعويض زمني في هذا العالم «تكون مع اضطهادات» (مر ١٠: ٣٠). وهنا كلمة: «بيوتاً» جاءت في إنجيل ق. مرقس: «بيتاً» بالمفرد لأن المقصود ـ كما يقول العالِم بنجل ـ هو البيت الذي يسكن فيه الإنسان وليس فقط الذي يقتنيه. وبعد ذلك يذكر القديس متى المتروكات اثنين اثنين وإنما في ترتيب تصاعدي. كذلك فكلمة: «امرأة» جاءت بالمفرد، وهذا صحيح دفعاً للفهم الخاطئ من جهة تعدُّد الزوجات. وكلمة: «من أجل اسمي» فهنا إشارة للاعتراف باسم المسيح، بمعنى الاستعداد للاستشهاد، وفي إنجيل ق. مرقس يكمِّل: «ومن أجل الإنجيل»، ويعني بها الكرازة والخدمة. كذلك يضيف ق. مرقس بعد المائة ضعف: «بيوتاً وإخوة وأخوات وأُمهات وأولاداً وحقولاً» في هذا الدهر، ليوضِّح العوض الزمني، بمعنى عدم الحرمان من مشاعر الأسرة التي سيوفِّرها له المسيح بالروح، وعوض الأب فالمسيح يعطيه روح البنوَّة للآب السماوي، وعوض الأُم سيشعر بأمومة الكنيسة، وعوض المرأة هنا، يرفع عن الرجل والمرأة كل منهما إحساس العوز للآخر، لأن هذا العوز أنشأه الله بالخلقة الطبيعية لإنجاب النسل ليملأوا الأرض، أمَّا الآن فعوز الجسد للجسد يكف بنعمة الروح القدس، ويصبح عوزاً نحو السماء لإعطاء أولاد بالروح يرثون الملك السماوي. كذلك الأولاد يتحوَّل الحنين إليهم إلى الحنان عليهم كأولاد لله بعد. كذلك فالمائة ضعف تشمل بالدرجة الأُولى تعزيات الله والنعمة التي ترافق الإنسان وتعوِّضه آلاف المرَّات وليس المئات فقط عن كل ما قدَّمه، لأن العطية الروحية وزنها عالٍ جداً لا يقارن بالنسبة لوزن ما يتركه الإنسان على الأرض. فالفقر الإرادي بالجسد عموماً يتحوَّل إلى غِنَى روحي، والعوز إلى شبع، والفقدان إلى ملء.

ويعود المسيح ويوضِّح أن الجزاء والتعويض، سواء على الأرض أو في السماء، لا يتبع قاعدة الترتيب أو المستويات بأي نوع. فالأول هنا لا ينتظر أن يكون أولاً هناك، ولا الأخير هنا يكون أخيراً، فقد ينقلب الترتيب وتنقلب النسب، ذلك حسب صلاح الله في العطاء. وسيأتي المَثَل القادم في الأصحاح القادم ليشرح هذا المبدأ.

ولكن لماذا مائة ضعف، وعلى أي نسبة أو قانون وضعها المسيح؟ لقد حدَّدها بالحد الأقصى ـ ثلاثين وستين ومائة ـ فيما تربحه كلمة الملكوت إن صادفت تربة صالحة أي قلباً صالحاً، والآن نحن هنا بصدد "فعل" للملكوت وهو هنا يصادف قلب الله، فلا بد من الحد الأعلى، فالمائة مضمونة وهي أيضاً على وجه الأقل. فالترك للعالم ولكل ما في العالم، ولمن يعمل في العالم، هو فعلٌ ردُّ فعلِه ملكوتي. فله ربحه السماوي، ولكن لأنه تركٌ أرضيٌ فهو يطبَّق أولاً علناً على الأرض، وثانياً سرًّا في ملكوت الله. ولكن بتطبيقه على الأرض وفي العالم علناً، هنا مجابهة مباشرة لرئيس هذا العالم الذي لا يمكن أن يغتفرها للإنسان، الذي احترأ واحتقر مملكته واستهان بعلائق اللحم والدم التي هي صنعته في نسج الأهواء والشهوات والرباطات الأرضية الحديدية بالأب والأُم والبيت والزوجة والأولاد. هذه قوام إيبارشيته التي يترأس عليها ويغزل منها خيوط فخاخه وروابط دهرية لا ينفك منها الإنسان إلاَّ بالمستحيل، من عند الله. لذلك يتصدَّى للذي ترك فيغرِّمه في نفسه ولحمه ودمه بقصاص يخرج منه بصعوبة لولا سند الروح والنعمة. ولكن إذ يصنع هذا بالإنسان الذي بذر بذاره في ملكوت السموات، يأخذ عنها كلُّ الذي يمرق من بين يديه مائة ضعف أيضاً عزاءً ورجاءً وفرحاً ونعيماً. لأن العمل هنا والفعل يدخل في دائرة ملكوت الله بجملته.

نحن هنا قادمون على الصليب إذ لم يتبقَّ لنا إلاّ ثلاثة شهور على وجه التقريب[1]

الأصحاح العشرون

- مَثَل عُمَّال الكرم (٢٠: ١ – ١٦)
- التنبُّؤ الثالث والأخير عن آلامه وقيامته (٢٠:١٧– ١٩)
- ترجّي أم ابني زبدي في أمل بعيد المنال (٢٠: ٢٠–٢٨)
- شفاء أعميين في أريحا (٢٠: ٢٩–٣٤)

(1) W. Hendriksen, *op.* cti., p. 732.

مَثل عُمَّال الكرم

ذكرها القديس متى وحده

[٢٠: ١-١٦]

٢٠: ١-٧ «فَإِنَّ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ يُشْبِهُ رَجُلاً رَبَّ بَيْتٍ خَرَجَ مَعَ الصُّبْحِ لِيَسْتَأْجِرَ فَعَلَةً لِكَرْمِهِ، فَاتَّفَقَ مَعَ الْفَعَلَةِ عَلَى دِينَارٍ فِي الْيَوْمِ، وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى كَرْمِهِ. ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ وَرَأَى آخَرِينَ قِيَاماً فِي السُّوقِ بَطَّالِينَ، فَقَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضاً إِلَى الْكَرْمِ فَأُعْطِيَكُمْ مَا يَحِقُّ لَكُمْ. فَمَضَوْا. وَخَرَجَ أَيْضاً نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ وَالتَّاسِعَةِ وَفَعَلَ كَذلِكَ. ثُمَّ نَحْوَ السَّاعَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ خَرَجَ وَوَجَدَ آخَرِينَ قِيَاماً بَطَّالِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا وَقَفْتُمْ هَهُنَا كُلَّ النَّهَارِ بَطَّالِينَ؟ قَالُوا لَهُ: لأَنَّهُ لَمْ يَسْتَأْجِرْنَا أَحَدٌ. قَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضاً إِلَى الْكَرْمِ فَتَأْخُذُوا مَا يَحِقُّ لَكُمْ».

واضح من كلمة "فإنَّ γάρ" أنها تربط الكلام هنا بما سبقه من الأصحاح السالف. كذلك ورد هنا في الآية (١٦) تكرار لما انتهى به الأصحاح السالف: «ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين وآخرون أوَّلين»، وهذا يوضِّح بالأكثر أن هذا المَثَل ضَرَبَه المسيح عن مجازاة الذين يتركون، سواء التلاميذ أو بقية المختارين، ما يتركونه من بيوت وأُمهات وإخوة وزوجات وحقول في هذا العالم من أجل المسيح، ومن أجل الإنجيل كقول ق. مرقس.

وهكذا يبتدئ المسيح بهذا المَثَل: «فإن ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه». هنا يستعرض المسيح ماذا ستنتهي إليه القصة من منظر بداية الدينونة وإعطاء الحقوق للذين تعبوا وماتوا حبًّا في الملك المسيح. وهنا يصف مناقشة بديعة بين هذا الصاحب وبين فعلته يكشف فيها أخلاق وسلوك وضمير صاحب الملكوت. ويقدِّمه لنا المسيح في شخصية رجل صاحب بيت، غَني له كرم كبير للغاية يسع عمَّالاً كثيرين. وطبعاً من هذا الوصف يلقي المسيح ضوءاً على شخصية الآب السماوي الذي له كل السلطان على عبيده الأُجَرَاء. حيث يحق أن يُعامِل بما ترى عيناه ولا ينظر إلى ما يفكِّر فيه الأُجَرَاء. على أن صاحب الكرم له وكيل يعمل باسمه، ولكن يحتفظ صاحب الكرم بهويته في أنه مع الصبح يقوم ويخرج ليستأجر فعلته.

ولكن المُلاحَظ جداً أن صاحب الكرم بدأ يعامل الفعلة الأوَّلين بعقد رسمي واتفاق بين الطرفين على الأجر اليومي ثم أرسلهم. ولكن بعد ذلك، وقد مضى من النهار ثلاثُ ساعات ثم ثلاث

ساعات ثم ثلاثُ ساعات ثم ساعتان، عاد واستأجر في كل مرَّة فعلة آخرين ولكن بغير عقد أو تحديد أجر، إذ جعلها حُبِّية بحُرِّيَّة الرغبة في العمل على وجه الرحمة، ولكن مع كلمة عتاب كيف يقفون بطَّالين.

وهكذا نجد المسيح قد قسَّم اليوم إلى اثنتي عشرة ساعة. ولكن ما معنى هذه الساعات بطولها أو بحدودها المنصوص عنها بثلاث ساعات أو ستة أو تسع أو إحدى عشرة ساعة؟ هنا لا يقصد المسيح أي تأويل، فلا هو يصف عمر الإنسان أو تحديد الأعمار أو تقسيم العمر بأي شكل من الأشكال هذه التأويلات التي حيَّر العلماء أنفسهم فيها. ولكن يشدِّد المسيح هنا على أن أي ساعة هي ساعة عمل منذ أول ساعة حتى الساعة الحادية عشرة، يدعو فيها الله بواسطة المسيح فعلة لكرمه الهائل الممتد على طول الزمن والتاريخ والأجيال، منذ اليوم الأول لخدمة المسيح ودعوة التلاميذ الاثني عشر ثم السبعين حتى أواخر الدهور. وقد جمعهم المسيح في الآية (٢٨و٢٩) في الأصحاح السالف. أمَّا الدينار فهو الأجر اليومي الرسمي في عُرف صاحب الكرم.

وبحسب رؤية الإنسان في هذا الدهر، من العسير أن يفرِّق بين فعلة وفعلة، مبكِّرين أو متأخرين، ولكن واضح لعين الناقد الفرق بين الذين دُعُوا أولاً والذين يُدعَون بعد ذلك. وكأن المَثَل مقلوب أمام عيوننا. فالأوَّلون رسل أماجد وقديسون كبار، وبعد ذلك تقل الجدارة حتى تبلغ الساعة الحادية عشرة. ولكن ما نسمعه أن العقد نُصَّ لتكون الأجرة ديناراً واحداً للجميع؟ وإذ نحن في منتهى القلق والارتباك على: أين وجه الحق في هذا المَثَل؟ إذ تبرز لنا الآية الأخيرة كالآية الأُولى «هكذا يكون الآخِرون أوَّلين والأوَّلون آخِرين»! إذن، فالمَثَل يتبلور في النهاية في قول المسيح عن الله وعدالته وحكمه ومجازاته هكذا: «**يا صاحب، ما ظلمتك! أما اتفقت معي على دينار؟ فخذ الذي لك واذهب، فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك. أو ما يحلُّ لي أن أفعل ما أريد بما لي**». وهكذا نرى أن هذا المَثَل يثبِّت المبدأ الإيماني أن الله لا يحاكم ولا يعاتب ولا يراجع بحسب رؤية الإنسان، وإلاَّ يتم القول الآخر: «أم عينك شريرة لأني أنا صالح؟»».

فهذا في الحقيقة مَثَل خطير وهام للغاية. فسلوك صاحب البيت هذا الذي خرج مع الصبح ليستأجر فعلة، لا يمكن أن يطبَّق إلاَّ على الله وحده، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تطبيقه على حياتنا لنتمثَّل به أو ننفِّذه إطلاقاً.

٢٠: ٨-١٦ «فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ قَالَ صَاحِبُ الْكَرْمِ لِوَكِيلِهِ: ادْعُ الْفَعَلَةَ وَأَعْطِهِمُ الأُجْرَةَ مُبْتَدِئاً مِنَ

الآخِرِينَ إِلَى الأَوَّلِينَ. فَجَاءَ أَصْحَابُ السَّاعَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ وَأَخَذُوا دِينَاراً دِينَاراً. فَلَمَّا جَاءَ الأَوَّلُونَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ أَكْثَرَ. فَأَخَذُوا هُمْ أَيْضاً دِينَاراً دِينَاراً. وَفِيمَا هُمْ يَأْخُذُونَ تَذَمَّرُوا عَلَى رَبِّ الْبَيْتِ قَائِلِينَ: هؤُلاَءِ الآخِرُونَ عَمِلُوا سَاعَةً وَاحِدَةً، وَقَدْ سَاوَيْتَهُمْ بِنَا نَحْنُ الَّذِينَ احْتَمَلْنَا ثِقَلَ النَّهَارِ وَالْحَرَّ! فَأَجَابَ وَقَالَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ: يَا صَاحِبُ، مَا ظَلَمْتُكَ! أَمَا اتَّفَقْتَ مَعِي عَلَى دِينَارٍ؟ فَخُذِ الَّذِي لَكَ وَاذْهَبْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ هذَا الأَخِيرَ مِثْلَكَ. أَوْ مَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَفْعَلَ مَا أُرِيدُ بِمَا لِي؟ أَمْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةٌ لأَنِّي أَنَا صَالِحٌ؟ هكَذَا يَكُونُ الآخِرُونَ أَوَّلِينَ وَالأَوَّلُونَ آخِرِينَ، لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ».

«فلمَّا كان المساء»:

تعبير نبوي عن الدينونة الأخيرة، فمساء كل إنسان ومساء العالم يشتركان معاً في مساء واحد، لأن مساء كل واحد إذا وافى انطلق وانتظر إلى أن يأتي مساء العالم وكأنهما مساء واحد. لأن الزمن يسقط من بينهما لأن فوق لا يوجد زمن.

«من الآخِرين إلى الأوَّلين»:

واضح أن الذي يمكن تأويله هنا أن الآخِرين أي أصحاب الساعة الحادية عشرة والتاسعة والسادسة والثالثة ربما يكونون الذين اختيروا ثم أنهم أنهوا خدمتهم في أعمار متأخِّرة، فبعضهم اختير وهو عجوز وعمل مسافة قصيرة وعبر، وبعده رجل متقدِّم في العمر نوعاً، وبعده ابن ستين سنة، والآخر ثلاثين. أمَّا الأوَّلون فهم الذين انتُخبوا وخدموا وهم شباب غضّ فأكملوا عمرهم بطوله في خدمة الرب صاحب الكرم. وقصد المسيح أن يرد على دعوى ق. بطرس أنهم كتلاميذ أصحاب فضل في أنهم تركوا كل شيء وتبعوه منذ البدء. فلو أنه وعدهم بالمكان الأعلى في الدينونة ليدينوا ويقضوا لإسرائيل بأسباطه الاثني عشر، إلاَّ أن هذا لا يعود إلى الأحقية بل إلى محبة المسيح لهم وصلاح الآب السماوي. بعد ذلك ليس لإنسان أن يفترض في نفسه الأفضلية في المعاملة لدى الآب السماوي، ولا الأكثرية في الجزاء، إذ أن هذا يعتمد أساساً على ميزان الله وصلاحه، الذي يعلو ويسمو فوق إدراك أحكم بني البشر. وقد قابلتنا خبرات تثبت هذا تماماً، إذ حدث أن رأينا أن الله حابى إنساناً ما فاستكثرنا المحاباة عليه لعلمنا بضعفه، وإذ بالأيام تكشف أنه كان مستحقاً هذا التمايز في الأخذ. كذلك كم مرَّة اعتبرنا أن ما تصرَّف الله به يُحسب غُبْناً شديداً على الإنسان، وكأن الأمر ليس فيه رحمة، كما رأى أصحاب الساعة الأُولى في الصباح، وإذ بعد مدَّة تنكشف

الأمور ونرى أن الله كان على حقٍّ فيما أعطى وتصرَّف. لهذا حتى وبعد أن عرفنا أن صلاح الله ونعمته لا يمكن مراقبة حساباتها أو التعليق عليها، ولكنها أيضاً تدخل تحت نظام وتدبير صادق وحق وعادل، ولكن فوق مستوى الرؤية البشرية ـ هو الله يقول فيكون ولا راد لقضائه، يُنعم من غِنى صلاحه ولا أحد يعاير أو يزن أو يكيِّل، فإنعامه فائق الحدّ والعدا!! وبالنهاية لن يقف واحد أمام الله يستصغر نصيبه أو يستكثر نصيب غيره حينما تنفتح العيون وتتلاشى الأطماع. فالله لا يعطي إلاَّ بالكيل الفائض! ولا يحاسب إلاَّ بإسقاط الديون واختزال الحسابات، حتى ليكاد الإنسان يصرخ: وأين ذهبت عيوبي وآثامي، وأين اختفت خطاياي، وكيف نسي الله فجوري!! هكذا يخرج الإنسان من أمام الله لابساً إكليله وهو يضرب كفاً على كف: هذا هو الله.

التنبُّؤ الثالث والأخير عن آلامه وقيامته

[٢٠:١٧-١٩]

(مر ١٠:٣٢-٣٤)،
(لو ١٨:٣١-٣٤)

٢٠:١٧- ١٩ «وَفِيمَا كَانَ يَسُوعُ صَاعِداً إِلَى أُورُشَلِيمَ أَخَذَ الاثْنَيْ عَشَرَ تِلْمِيذاً عَلَى انْفِرَادٍ فِي الطَّرِيقِ وَقَالَ لَهُمْ: هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ لِكَيْ يَهْزَأُوا بِهِ وَيَجْلِدُوهُ وَيَصْلِبُوهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ».

هذا التنبُّو هو الثالث والأخير، ونذكر أن التنبُّو الأول كان في (١٦:٢١) والثاني في (١٧:٢٢و٢٣). وهذه النبوَّة الأخيرة تمتاز بكثير من البيانات الإضافية، فليس على أيدي السنهدرين وحسب سيتألَّم كما في النبوَّة الأُولى، أو أنه سيُسلَّم فقط لأيدي الناس كما في النبوَّة الثانية، ولكن هنا يضيف الآيتين: أنه سيُسلَّم لحكومة اليهود بعد أن يتَّهموه ويحكموا عليه بالموت، ثم يسلِّمونه لأيدي الأُمم ليهزأوا به ويجلدوه. وفي إنجيل ق. مرقس يضيف أنهم يسخرون به ويتفلون عليه. وموته هنا يُحدَّد بالصلب، ولكن بالنهاية تكون النصرة حين يقوم من الأموات في اليوم الثالث.

وهكذا بالثلاثة تنبُّوات يكون المسيح قد استوفى بالتدريج كل ما هو عتيد أن يأتي عليه، وكلما اقتربنا من النهاية كلما ازدادت أوصاف المسيح حيويَّة وحركة وحماساً من جهة أحاسيسه البشرية،

مع عامل هام وهو الترفُّق بالتلاميذ وهو يكشف عن هذه المأساة المروِّعة، حتى يحتملوا وقعها المرير الذي ملأهم اندهاشاً بل رفضاً حتى لا يتأمَّلوا فيها.

وواضح لماذا اهتم المسيح بأن يوعِّيهم بهذا كله، فقد ذكر قصده بوضوح في إنجيل ق. يوحنا: «وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون.» (يو ١٤:٢٩)

كذلك وبصورة أخرى:

+ «لكني قد كلَّمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أني أنا قلته لكم. ولم أقل لكم من البداءة لأني كنت معكم. وأمَّا الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني، وليس أحدٌ منكم يسألني أين تمضي. لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكني أقول لكم الحق، إنه خيرٌ لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي، ولكن إن ذهبت أُرسله إليكم.» (يو ١٦: ٤-٧)

حدث هذا والمسيح متجه ناحية أورشليم عن طريق أريحا بعد أن أكمل خدمته في الجليل، وواضح من القول أنه أخذ تلاميذه في الطريق على انفراد، أن جمعاً من الشعب كان يسير معه والحديث في آلامه اعتبره سرًّا خاصاً بتلاميذه وحدهم.

وحينما قال لهم: "**اسمعوا ἰδού**"(٢) التي سقطت من المترجم إلى العربية: «**اسمعوا ها نحن** صاعدون»، يؤكِّدها هنا أن الأمر هام للغاية وسرِّي أيضاً. أمَّا تأكيده على لقب ابن الإنسان فهو ليجد حريَّة في الحديث عن نفسه في المواقف الصعبة كالآلام والصلب، كذلك في مواقف المجد والعظمة، سيَّان. ومعروف من قوله إنهم سيسلِّمونه إلى الأُمم لأن ليس لليهود حق الحكم بالموت من قبل الرومان، لذلك وهم حاكمون عليه بالموت كان حتماً لابد أن يُسلَّم لأيدي الرومان لتكميل شهوة أنفسهم. ولم يفت على المسيح ذكر المعاناة التي سيلقاها أيضاً على أيدي عساكر الرومان وهم كالوحوش، من هزء وجلد. والجلد عند الرومان بلا رحمة، وهو إجراء يسبق الصلب بقصد القصاص والتعذيب، بفَرْض أن المحكوم عليه مجرم وقاتل. ولكن في الثلاثة تنبُّوات لم يفت على المسيح أن يكشف لهم صورة النصرة الأخيرة التي ستمسح عنهم عار الكل وهي القيامة المجيدة. ولكن أصاب التلاميذ ذهول من هول ما سمعوه على الطريق وتاهت عقولهم وصارت بلا قرار لأنهم لم يفهموا القصد إطلاقاً. فكان الكلام كالصواعق عليهم وساروا بلا عزاء.

---

(٢) كلمة: ἰδού مشتقة من فعل الرؤية ἰδεῖν فتكون ترجمتها الحرفية: انظروا. ولكن حينما تشير إلى كلام معيَّن بعدها يجب ترجمتها: "اسمعوا"، لأن الكلام يُسمع ولا يُنظر. وهكذا يترجمها العالِم هندركسن (صفحة ٧٤٢) إلى اسمعوا **Listen**.

ترجِّي أُم ابني زبدي في أمل بعيد المنال

[٢٠:٢٠-٢٨]

(مر ١٠:٣٥-٤٥)

كانت أحلام التلاميذ تدور حول العظمة التي ستوافيهم باستعلان الملكوت والمسيح ملكاً على إسرائيل، بل ودارت بينهم المشاجرات فيمن سيكون الأعظم، وانتقلت الأحلام إلى الأسر والأمهات، وتباهت الأمهات كالعادة بأن أبناءهن سيفوزون بالمُلك السعيد ويُشار إليهم كأصدقاء المسيَّا وأعوانه في المجد العتيد. لم تكن كل هذه الأحلام خاطئة، ولكن الخطأ الوحيد فيها أنها سبقت زمانها بعصور وعصور، كما كان الخطأ في تصوُّرهم العظمة على مستوى عظماء العالم، مع أنها أمجاد لم تخطر لهم على بال. وقد حاول المسيح مراراً وتكراراً أن يُفهِّمهم ما يعترض آمالهم العريضة من ذل وهوان، وأنه سيسبقهم في شرب كأس العار والمذلَّة وحتى إلى الصلب. ولكن هيهات أن يصدِّقوا إلاَّ أحلامهم. وكان كل ما يعترضهم من صعوبات يقدِّمها لهم المسيح في طريق النهاية يقولون: "نستطيع"، فإن قدَّم لهم ولداً وقال لهم يلزم أن تصيروا مثل هذا الولد لكي تدخلوا المُلك السعيد قالوا: "نستطيع". وإن قال عن شرب الكأس والمرارة قالوا: "نستطيع"، لأنهم كانوا متيقنين أنهم حتماً سينالون المملكة، وهذا حق وصدق، ولكن ليس بالصورة البسيطة التي ملأت مخيلتهم. وما الحيلة، لأن الاستشفاف عندهم تعدَّى الزمن والمرارة، واستقر على الأبدية التي ملأت وجدانهم، وهذا صدق، ولكن الزمن زمن والجسد وراءه الشقاء وأين الهرب؟

وكان المسيح يقضي أوقاتاً مع التلاميذ في بيوتهم، وتكوَّنت دالة عند الأمهات مع المسيح، ويبدو أن أُم يوحنا ويعقوب أخيه كانت تخدم المسيح كثيراً، وكانت تعلم أن المسيح يحب ابنيها، فعزمت الأمر، وقد أحسَّت بأن ذهابه إلى أُورشليم كان حتماً لاستعلانه مسيَّا الملك القادم ابن داود، صاحب الملكوت الأبدي، حلم إسرائيل الزمني. فأخذت ولديها وجاءته ولاقته على الطريق، وقد صاغت في قلبها أمنيتها وعقدت النيَّة على طرحها عليه علناً، لتحصل على وعد تسجِّله لابنيها.

٢٠:٢٠-٢٣ «حِينَئِذٍ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ أُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي مَعَ ابْنَيْهَا، وَسَجَدَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهُ شَيْئاً. فَقَالَ لَهَا: مَاذَا تُرِيدِينَ؟ قَالَتْ لَهُ: قُلْ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هذَانِ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنِ الْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ

تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي سَوْفَ أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا؟ قَالاَ لَهُ: نَسْتَطِيعُ. فَقَالَ لَهُمَا: أَمَّا كَأْسِي فَتَشْرَبَانِهَا، وَبِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا تَصْطَبِغَانِ. وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَبِي».

قد تكون أُم ابني زبدي هذه هي سالومة، حسب التقليد، أخت القديسة العذراء مريم، وبهذا فهي تمتُّ بقرابة كبيرة للمسيح، وولداها كذلك. لأن ق. متى يقول إنها كانت بقرب الصليب: «وكانت هناك نساءٌ كثيراتٌ ينظُرنَ مِنْ بعيد، وهُنَّ كُنَّ قد تَبِعْنَ يسوع من الجليل يخدمنه، وبينهنَّ مريم المجدلية، ومريم أُم يعقوب ويوسي، وأُم ابني زبدي» (مت ٢٧: ٥٥و٥٦). واضح هنا أنها كانت تسير وراء يسوع مع تلاميذه وهو صاعد إلى أُورشليم، وقد أتت وراءه من الجليل سائرة على قدميها مع الجماعة كلها. كما أن مسيرتها هذه تكشف عن قرابة، لأنها كانت عملية توديع على مستوى الواجب الأُسري.

والقديس مرقس يذكرها في نفس الوضع ذاكراً اسمها سالومي: «وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد بينهنَّ مريم المجدلية ومريم أُم يعقوب الصغير ويوسي **وسالومة** ... صعدن معه إلى أُورشليم» (مر ١٥: ٤٠و٤١). أمَّا ق. يوحنا فيقول: «وكانت واقفات عند صليب يسوع **أُمه وأُخت أُمه**، مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية.» (يو ١٩:٢٥)

كان سلوك سالومي هذه سلوكاً ذا وقار، إذ لمَّا سجدت وقفت صامتة حتى أذن لها المسيح بالكلام، وحينئذ عن تقوى وإيمان ودالة تقدَّمت بسؤالها الذي هو نفسه سؤال ابنيها اللذين قدَّماه مباشرة للمسيح بحسب إنجيل ق. مرقس (١٠: ٣٥-٤١). وفي الحقيقة، الذي شجَّع سالومي وشجَّع يوحنا ويعقوب أخاه على هذا السؤال هو تصريح المسيح السابق (١٩: ٢٨و٢٩) أنه «متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً ...». ولكن الذي أساء إلى شعور المسيح أنه كان لتوِّه يتكلَّم عن آلامه وصلبه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان الطلب متجهاً اتجاهاً دنيوياً ومادياً بصورة صارخة لا تناسب الحديث عن ملكوت الله. وطبعاً كان في الطلب إغفالٌ كليٌّ لبقية التلاميذ.

إجابة المسيح لاهوتية صرف: «لستما تعلمان ما تطلبان»، فالمجد الذي يطلبانه طريقه الوحيد هو الآلام والصلب، فإن كان المسيح أمامه هذا الهول المريع ليعبره حتى يبلغ القيامة أولاً ثم المجد، فكيف

يفوت عليهم أن ينتبهوا إلى معلّمهم والطريق الذي يمهّده أمامهم. لذلك وضع نفسه في الحال مثالاً ونموذجاً وباباً يتحتّم العبور منه: أتستطيعان أن تشربا كأس الآلام التي أشربها وأن تصطبغا بصبغة الدم للموت التي أصطبغ بها أنا؟ فلمّا تجرأ كلاهما في عدم وعي بما يقولان وقالا نستطيع، وافق المسيح على جرأة إيمانهما باعتبار ما سيكون. فيعقوب مات شهيداً بيد اليهود في أورشليم كأول من اصطبغ (أع ١٢ :٢)، والقديس يوحنا نُفي في جزيرة بطمس وتألّم كثيراً (رؤ ١ :٩). وأمّا عن الجلوس في المجد فأحالهما إلى الآب السماوي أبي المجد ومعطيه.

شكراً لسالومي التي فتحت أمامنا باباً لمعرفة الأمجاد السماوية وتوزيعها.

٢٠ :٢٤-٢٨ «فَلَمَّا سَمِعَ الْعَشَرَةُ اغْتَاظُوا مِنْ أَجْلِ الأَخَوَيْنِ. فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلاَ يَكُونُ هكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيماً فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِماً، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْداً، كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ».

ظنَّ بقية التلاميذ لا محالة أن يعقوب ويوحنا أرادا أن يأخذا المكان الأعظم في ملكوت السموات، والذي دار حوله الشجار فيما بينهم في السابق. وكأن المسيح لم يُعطِ درساً في هذا الأمر، ولا أقام ولداً في وسطهم وعلّم وقال: إن لم تصيروا مثل هذا الولد فلن تدخلوا ملكوت السموات. وكان ق. مرقس أكثر الإنجيليين شجاعة لمّا سجّل كلام المسيح عنهم: «ألا تشعرون بعد ولا تفهمون؟ أحتى الآن قلوبكم غليظة؟ ألكم أعين ولا تبصرون، ولكم آذان ولا تسمعون، ولا تذكرون» (مر ٨: ١٧و١٨). لقد تحشّم ق. متى ولم يذكر هذه الأمور إكراماً للاثني عشر كرسياً التي سيجلسون عليها ويدينون أسباط إسرائيل!! أو ربما عمل حساب نفسه لأن التوبيخ يناله منه نصيبٌ!!

ولكن بغيظهم الذي اغتاظوه أثبتوا أنهم ليسوا أفضل من الاثنين! «لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل مَنْ يدين، لأنك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك، لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها» (رو ٢ :١). ولقد ضبط ناثان النبي داود في دينونة صعبة حوَّلها عليه فكانت الطامة الكبرى. بعدما صنع داود عملته السوداء مع امرأة أوريا، فأرسل الرب ناثان لداود يلقي عليه مسألة بصفته ملك وحاكم وقاضي إسرائيل: عن رجل غني أراد أن يعمل وليمة فلم يأخذ من خرافه بل تلصَّص على نعجة جاره الفقير واغتصبها منه وعمل وليمته. ما حكمك؟

+ «فحمي غضب داود على الرجل جداً وقال لناثان: حيٌّ هو الرب، إنه يُقتل الرجل الفاعل

ذلك، ويردّ النعجة أربعة أضعاف لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يُشفق. فقال ناثان لداود: أنت هو الرجل!» (٢صم ١٢: ٥-٧)

نعم كم مرّة حكمنا على أنفسنا دون أن ندري ونحن ندين الآخرين فيما فعلوا؟

ولكن المسيح دعاهم وكرَّر الدرس، مستعيناً بأخلاق الأُمم أنهم يجاهدون مستميتين بالقوة والمال والغش، وبكل وسيلة منافية للحق والعدل، ليصيروا رؤساءَ وملوكاً وذوي نفوذ. ولا يتورَّعون أن يتذلّلوا للشعب والمسئولين لينالوا بغيتهم. وحالما نالوها وجلسوا على القمة يستعبدون ويتعظّمون ويسودون ويُرغمون العباد على أن يطأطئوا الرؤوس، ويعترفوا مُجبرين بعظمتهم وأولويتهم. أمَّا أنتم فلا يكون فيكم هكذا، أنتم أبناء أبيكم السماوي. وابتدأ يعطيهم أحجية تُحفظ عن ظهر قلب وهي بصورتها مضادة: **«مَنْ أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً»، «ومَنْ أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً»**. وهذا عكس ما يسلكه أهل العالم. فعظمة النفس الحقيقية في إخضاع ذاتها لله والناس، في بذلها وليس في أخذها، في ترك مالها وليس في إعطائها ما تشتهيه، في خدمتها للآخرين وليس في الترأُس عليهم، في اتقانها عمل العبد وليس في شهوة سيادتها فوق الرؤوس - وتقاس النفس العظيمة بحبها واتساع صدرها، بوداعتها وحلمها. وعظمة النفس المسيحية هي التي تعمل وتعيش وتسلك وتحب وتبذل متشبِّهة بالمسيح: «كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح» (١كو ١١:١). والمسيح جمع ذلك كله في قوله: «إن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليخدِم» جاء ليخدم الآخرين وليس ليخدمه الآخرون، جاء ليس ليفتديه الناس بل ليعطي نفسه فدية عن الكثيرين. وهذه هي الصورة الهامة والأساسية التي أراد المسيح بتجسُّده والفداء الذي صنعه، أن يعطي بها انطباعاً للإنسان عمَّا يجب أن يكون عليه الإنسان ليصبح شريكه في الحياة الأبدية، ويقبل التبنّي كهبة الآب العظمى: «تعلّموا مني»!! التي حوَّلها بولس الرسول إلى: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً: الذي إذ كان في صورة الله، لم يَحسِبْ خُلسَةً أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبدٍ، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسمٍ» (في ٢: ٥-٩). هكذا استطاع بولس الرسول أن يحوِّل أعمال المسيح الإلهية إلى صورة تُقتنى: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع».

وحينما قال المسيح إن ابن الإنسان قدَّم نفسه «فدية عن كثيرين» فهمها بولس الرسول في

وضعها المعنوي الصحيح: «الذي بذل نفسه فدية لأجل ὑπὲρ الجميع.» (١تي ٢: ٦)(٣)

شفاء أعميين في أريحا

[٢٠: ٢٩-٣٤]

(مر ١٠: ٤٦-٥٢،
لو ١٨: ٣٥-٤٣)

٢٠: ٢٩-٣٤ «وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ مِنْ أَرِيحَا تَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ، وَإِذَا أَعْمَيَانِ جَالِسَانِ عَلَى الطَّرِيقِ. فَلَمَّا سَمِعَا أَنَّ يَسُوعَ مُجْتَازٌ صَرَخَا قَائِلَيْنِ: ارْحَمْنَا يَا سَيِّدُ يَا ابْنَ دَاوُدَ. فَانْتَهَرَهُمَا الْجَمْعُ لِيَسْكُتَا، فَكَانَا يَصْرَخَانِ أَكْثَرَ قَائِلَيْنِ: ارْحَمْنَا يَا سَيِّدُ يَا ابْنَ دَاوُدَ. فَوَقَفَ يَسُوعُ وَنَادَاهُمَا وَقَالَ: مَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ أَفْعَلَ بِكُمَا؟ قَالاَ لَهُ: يَا سَيِّدُ، أَنْ تَنْفَتِحَ أَعْيُنُنَا! فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَلَمَسَ أَعْيُنَهُمَا، فَلِلْوَقْتِ أَبْصَرَتْ أَعْيُنُهُمَا فَتَبِعَاهُ».

كان الزمن قد قرب ليكون زمان الفصح، لذلك تجمهر وراء المسيح الشعب الذي رافقه من الجليل ونسوة كثيرات بينهم الأقارب، كما انضم إليه شعب بيرية واليهودية. والمسيح خارج من المدينة متجه من الشرق إلى الغرب صوب أُورشليم في الطريق الصاعد، وإذا أعميان جالسان معاً على الطريق يستعطيان، فالزمان زمان عيد، والحجاج آتون من كل مكان، والمسيح سبق أن شفى أعين العمي (٩: ٢٧-٣١).

والصيغة هنا ليست لأعمى واحد بل لاثنين معاً بوضوح، فهي مشابهة للقصة الأخرى. وبالرغم من عدم قدرة الرؤية للأعميين إلاَّ أن حاسة التعرُّف على السائرين كانت فائقة، وساعدهما منطقهما اليهودي الجميل الذي استطاعا به أن يستدرا انتباه المسيح بقوة. فلمَّا علما عن سؤال

(٣) الفدية أو الصليب لم يُقدَّم "عن" ولكن "من أجل"، بسبب هام جداً وهو أن المسيح قدَّم الفدية بجسدنا نحن وصُلب بجسدنا نحن، لذلك فنحن كنا في صميم الفدية، وكنا في صميم الصليب. لذلك بهذا الفهم الواقعي الصحيح قال بولس الرسول: «تألَّمنا معه»، «صُلبنا معه»، «متنا معه»، «قمنا معه»، «وأجلسنا معه في السماويات». إذن، فلأجلنا عمل هذا وليس عنَّا. إذ لو كان مات عنَّا يكون قد مات بدوننا وإن كان قد قُدِّم فدية عنَّا يكون قدَّمها بدوننا، وحينئذ نحتاج لمن ينقل الموت منه لنا وينقل الفدية منه لنا! إذن مرة أخرى هو مات لأجلنا وقدَّم الفدية لأجلنا. والحرف الذي يتحتم أن يُستخدم هو ὑπὲρ وليس ἀντὶ وبهذا تصبح الآلام آلامنا والموت موتنا والفدية فديتنا والقيامة قيامتنا والجلوس عن يمين الآب جلوسنا. لذلك وجب التنبيه.

وبحث وفحص أن القادم هو يسوع المسيح، ابتدآ في الصراخ بأعلى صوت: «ارحمنا يا سيِّد يا ابن داود»، وكأنهما كانا قد استعارا صوت إشعياء النبي برسالته الموعودة. كما أن الأمر لا يخلو من إلهام، فالأعمى بطبيعته موهوب، وقد أورثه الله تعويضاً فائقاً عن فقدان البصر بمزيد من البصيرة. ونحن لا يمكن أن نغفل الشاعر الإنجليزي الضرير الموهوب ملتون فخر بريطانيا، ولا الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي الذي كان وزيراً للمعارف. والأعمى عموماً يحتل مكانة كبيرة في قلوب الناس. فلمَّا انتهرهما التلاميذ زادا صياحاً، فصاحب الحاجة ملهوف لا يقبل القمع. وبصراخهما الأعلى فازا برجائهما، إذ دعاهما المسيح وأخذ يداعبهما: «ماذا تريدان أن أفعل بكما» ولكن الأعمى لا يريد إلاَّ أن يبصر، والمسيح يعلم ذلك، ولكنه أرادهما أن ينطقا برجائهما، فلمَّا قالا: أن تنفتح أعيننا، فعلى إيمانهما ابتدأ المسيح يمد يده ويلمس أعينهما بالترتيب. فنالا نعمة البصر بعد ظلمة الدنيا التي عاشا فيها كل أيام حياتهما السالفة. وهكذا أتى النور الحقيقي إلى العالم ليعطي الإنسان نور الحياة.

وتمَّت علامة المسيَّا: «والعمي يبصرون». ولكن كان وجع المسيح في قلبه لا ينقطع: «فقال يسوع: لدينونةٍ أتيت أنا إلى هذا العالم، حتى يُبصر الذين لا يُبصرون ويعمى الذين يبصرون. فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيِّين، وقالوا له: ألعلَّنا نحن أيضاً عميان؟ قال لهما يسوع: لو كنتم عُمياناً لَمَا كانت لكم خطيةٌ. ولكن الآن تقولون إننا نبصر، فخطيتكم باقيةٌ.» (يو ٩: ٣٩-٤١)

وانضم كلاهما للموكب وقد صارا مبصرَيْن، يزيِّنان موكب المسيح الصاعد إلى أُورشليم، فكانا موضع حماس للجموع منقطع النظير.

وإلى هنا يكون القديس متى قد انتهى من مقدِّمة القسم الثاني من إنجيله الذي ينتهي بأسبوع الآلام حيث القسم الأول كان للتعليم حتى (١٦:١٦)، وأمَّا الثاني فخصَّصه للحديث والاستعداد للآلام[٤]

ونحن الآن داخلون إلى أُورشليم!

---

(٤) حيث ذكر في أوله بوضوح (٢١:١٦): «من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألَّم كثيراً». والتقسيم المذكور هنا على اعتبار الإنجيل مقسَّماً إلى قسمين رئيسيين: الأول تعليمي حتى (١٦:١٦)، والثاني خاص بالآلام والقيامة حتى آخر الإنجيل وذلك على نمط إنجيل ق. مرقس (راجع شرح إنجيل ق. مرقس صفحة ٦٣). وهذا التقسيم يختلف عن تقسيم إنجيل ق. متى إلى خمسة كتب الذي سبق أن ذكرناه عدَّة مرات (راجع صفحة ١٠٨-١١١).

التكميل!

[٢١:١-٢٨:٢٠]

الأصحاح الحادي والعشرون

- الدخول إلى أورشليم في موكب النصرة (٢١: ١ - ١١)
- تطهير الهيكل (٢١:١٢- ١٧)
- لعن شجرة التين (٢١: ١٨-٢٢)
- بأي سلطان تفعل هذا (٢١: ٢٣-٢٧)
- العشّارون يسبقونكم إلى ملكوت الله (٢١:٢٨-٣٢)
- محاكمة الكرّامين الأردياء (٢١:٣٣-٤٦)

مقدِّمة:

في هذا الأصحاح يبتدئ الجزء الثاني من القسم الأخير من الإنجيل(١). وهذا الجزء يشمل ثمانية أصحاحات (٢١-٢٨) يبدأ معها أسبوع الآلام.

والجزء الأول (١٦:١٦ إلى ٢٠:٣٤) اهتم باستعلان المُلك (المسيَّاني) مكرِّساً نفسه لتلاميذه على ضوء الصليب القادم.

وفي هذا الجزء من الإنجيل (ابتداءً من أصحاح ٢١) يغيِّر المسيح أسلوبه في الخدمة تغييراً جوهرياً، فقد عرفنا قبلاً أنه التزم بالنبوَّة في إشعياء التي تقول: «لا يصيح ولا يرفعُ ولا يُسمع في الشارع صوتهُ» (إش ٤٢:٢). وكان يخفي إعلانه أنه المسيَّا ويُصرّ في تعليمه لتلاميذه أن لا يقولوا لأحد عنه. وكان في كل معجزة يوصي أن لا يقول صاحبها لأحد. كل هذا الآن انتهى - فالمسيح ابتدأ من هذا الأصحاح يعلن نفسه أنه الملك الآتي، وبإرادته وتدبيره رتَّب بنفسه موكب دخوله أُورشليم مدينة الملك العظيم، وحوله تلاميذه والشعب الذي كان يتبعه من الجليل والذين انضموا إليه من اليهودية وبيرية. وتضخَّم الموكب جداً بعد تدفُّق الحجاج نحوه خارجين من المدينة من الباب الشرقي المواجه لموكبه وهو نازل من جبل الزيتون نحوهم. ولم يمنع تلاميذه - كما طلب منه رؤساء الكهنة - من أن يهتفوا له: «أوصنا في الأعالي يا ابن داود»، ولا من أن يقولوا: «مبارك الآتي باسم الرب». وكذلك صياح الأولاد داخل الهيكل وقولهم: "أُوصنَّا". إذن، فقد خطَّط المسيح بنفسه **لإعلان ملوكيته رسمياً** وفي الهيكل مع كل الذين له.

لذلك لا نستغرب أنه أرشد بنفسه إلى مكان الأتان والجحش، وأكَّد أن يقول تلميذاه لِمَنْ يسألهما لماذا تحلاَّن الجحش أن **الرب محتاج إليه**، فهنا أصبح ظهور المسيح - وإعلانه ملكاً ظافراً راكباً وهو داخل مدينته وهيكله - حاجة ملحَّة بالنسبة له، وهكذا خرج المسيح نهائياً عن دور مجرَّد إنسان داخل حدود البشرية، وكان ذلك بصورة فجائية. فابتدأ التلاميذ يدركون أنه يعرف أشياءَ لا يعلمون عنها شيئاً؛ وكمثال لذلك عندما أرسل تلميذيه إلى القرية التي أمامهما، وطلب منهما إحضار الأتان والجحش بسلطان الله. ولكن هذه الأمور الجديدة بمفهومها الملكي الجديد لم تغب عن ذهن ق. متى، فاستعجل واستشهد بنبوَّة زكريا التي تصرخ ولأول مرَّة أنه **الملك الآتي** إلى مدينته **«ظافراً منصوراً ووديعاً»** بآن واحد، راكباً على جحش **رمز السلام**. إذن، فالموكب لم يغب عن ذهن ق. متى أنه تحوُّل جوهري في رسالة المسيح. ولكن لا نريد أن نذكر نبوَّة زكريا دون

---

(١) راجع صفحة ٥٦٦ هامش (٤).

توجيه الفكر بشدَّة إلى موضعها من سفر زكريا. فالنبوَّة التي اختارها ق. متى من سفر زكريا هي في الأصحاح التاسع، وهو تابع أصلاً لنبوَّة خاصة تشمل الأصحاحات (٩و١٠و١١) لنبوَّة زكريا عن ملك ممسوح سيُرفض:

+ «فقلتُ لا أرعاكُم، مَنْ يَمُتْ فَلْيَمُتْ ومَنْ يُبَدْ فلْيُبَدْ والبقية فليأكل بعضُها لحم بعض. فأخذتُ عصايَ نعمة وقصفتُها لأنقُضَ عهدي الذي قطعته مع كُلِّ الأسباط. فنُقِضَ في ذلك اليوم ـ وهكذا عَلِمَ أَذَلُّ الغنم (أضعف الغنم أي التلاميذ) المنتظرون لي أنها كلمة الرب ـ فقلت لهم: إن حَسُنَ في أعينكم فأعطوني أُجرتي (عن ثلاث سنين خدمة) وإلاَّ فامتنعوا، فوزنوا أُجرتي ثلاثين من الفضة (استلمها التلميذ الخائن نيابة عن المسيح). فقال لي الرب: ألقها إلى الفخاري الثمن الكريم الذي ثمَّنوني به. فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخّاري في بيت الرب. ثم قصفت عصاي الأُخرى حبالاً لأنقض الإخاء بين يهوذا وإسرائيل.» (زك ١١: ٩-١٤)

ثم بعدها مباشرة جاء في زكريا «وحي كلام الرب على إسرائيل»، وتستمر النبوَّة من الأصحاحات (١٢و١٣و١٤) وتنص نصاً على أن بعد خراب أُورشليم وتكميل الصليب وظهور الرب والجروح في يديه بعدها يأتي الرب وجميع القديسين معه:

+ «وحيُ كلام الرب على إسرائيل: يقول الرب باسط السموات ومؤسِّس الأرض وجابل روح الإنسان في داخله: هأنذا أجعل أُورشليم كأس ترنُّح لجميع الشعوب حولها، وأيضاً على يهوذا تكون في حصار أُورشليم. ويكون في ذلك اليوم أني أجعل أُورشليم حجراً مُداساً(٢) لجميع الشعوب وكل مَنْ يدوسها يستهزئ ويسخر منها. ويجتمع عليها كل أُمم الأرض ... وأفيض على بيت داود وعلى سكّان أُورشليم روح النعمة والتضرُّعات فينظرون إليَّ (أنا) الذي طعنوه. وينوحون عليه كنائح على وحيدٍ له ... فيقول له: ما هذه الجروح في يديك؟ فيقول: هي التي جُرحت بها في بيت أحبائي ... ويأتي الرب إلهي وجميع القديسين معك.» (زك ١٢: ١-٣، ١٠، ١٣:٦، ١٤:٥)

واضح هنا أن القديس متى اكتفى ببداية نبوَّة زكريا الأُولى عن رفض الملك الممسوح واستخدم آياتها بمهارة كما سيأتي بعد. وأنه هنا سخَّر النبوَّة لتكون قائداً لنا فيما أضمره المسيح في نفسه

(٢) حسب السبعينية: (زك ١٢:٣) حجراً مُداساً = λίθον καταπατούμενον = trodden stone.

وصنعه عن معرفة بالآتي. فالمسيح لثلاث مرَّات في إنجيل ق. متى يكشف عن آلامه ورفضه وصلبه وموته وقيامته. ولأنه كان يعرف تماماً الميعاد المحدَّد والمكان والزمان وكل الظروف المحيطة، خطَّط أن يدخل أُورشليم في أسبوع عيد الفصح في موكبه الملكي ويرغم السنهدرين وكل أعدائه الذين قرروا تحديد ميعاد الصلب!!

وبهذا تبدأ الخطة تتكشَّف أمامنا منذ فجر الأحد بإرسالية التلاميذ لإحضار أدوات الموكب الملكي. والإنسان يكاد يحبس أنفاسه إذ انكشفت لنا بوضوح كل الخطوات التي سار فيها المسيح، وكل إجاباته التي أجاب بها معانديه، بل ومن الآن نفهم لماذا مدَّ يديه للقبض عليه، لماذا وقف صامتاً أمام الذين حاكموه من رؤساء الكهنة وهيرودس وبيلاطس و لم يشأ على الإطلاق أن يدافع عن نفسه بكلمة، ووقف صامتاً كمن هو موافق على كل التهم والادعاءات، لأنه كان يعلم الساعة التي سيُصلب فيها، ومتى يموت ومتى يقوم!! وهكذا دفع المسيح كل الظروف أمامه وكأنه يُملي على رؤساء الكهنة كيف يتصرَّفون بسرعة ويقبضون عليه رغم أنفهم وفي العيد، ويتم الصلب وقت ذبح الخروف ليكون هو فصح إسرائيل الحقيقي، بل فصح العالم كله.

والآن وبهذه المقدِّمة أعتقد عزيزي القارئ أنك ستدرك كل دقائق مُجريات الأمور وتستوعبها بسهولة.

أسبوع الآلام

يبتدئ أسبوع الآلام بدخول المسيح أُورشليم يوم الأحد وينتهي بالقيامة.

وقد علمنا من ق. متى أن المسيح أنهى رحلته إلى اليهودية بعد أن ترك بيرية وعبر الأُردن واتجه إلى أريحا وهناك شفى الأعميين، ومن أريحا اتخذ المسيح الطريق الصاعد إلى أُورشليم، ومعه جماعتان: الأُولى التي رافقته من الجليل وفيها النسوة القديسات المكرَّمات وأقارب يسوع وتلاميذه، والجماعة التي تجمَّعت من اليهودية وبيرية، ورافقهم الأعميان بعد أن شُفيا وهما يمجِّدان الله، وقد ألهبا حماس الجماعة حتى أُورشليم. وبهذه المجموعة بلغ قبل غروب شمس الجمعة مشارف بيت عنيا القرية المحبوبة لدى يسوع جدًّا، والتي نعرف عنها الكثير من إنجيل ق. يوحنا، والتي فيها لعازر حبيبه ومرثا ومريم اللتان كانتا موضع محبة المسيح وتكريمه، والتي أقام فيها لعازر من بين الأموات بعد أربعة أيام

من الدفن. كذلك من إنجيل ق. متى وق. مرقس نعلم أنه قد استضافه سمعان الأبرص حيث جاءت المرأة حاملة الطيب الناردين وسكبته على رأسه. ومن رواية ق. يوحنا نعلم أن لعازر كان أحد المتكئين معه وأن المرأة صاحبة الناردين الكثير الثمن هي مريم التي أقام أخاها من الموت. وقد استراح هو وتلاميذه في بيت عنيا يوم السبت بكامله حيث عُملت الوليمة بعد غروب شمس السبت. وفي باكر الأحد رتّب موكب دخوله أُورشليم وسط تلاميذه وجموع محتشدة كثيرة.

ودخول المسيح إلى أُورشليم في موكبه كان حدثاً كبيراً ويمكن أن نستخرج منه ملاحظات هامة:

أولاً: كان المسيح على علم تام بأن دخوله بموكبه الظافر في وسط الشعب الغفير وهو يهتف بابن داود، سيثير الفزع في قلوب السنهدرين والفريسيِّين والكتبة وشيوخ الشعب، الذين خطّطوا سابقاً أن لا يكون القبض في العيد خوفاً من الشعب. فزاد إصراره هو أن يجبرهم على أن يتمّموا خططهم في العيد، لأنه كان قد نوى أن يكون هو الفصح الحقيقي لإسرائيل ويكمِّل فداءه يوم العيد. وهكذا يُعتبر أن المسيح عن تخطيط ماهر سماوي غيَّر خطط رؤساء الكهنة ليجعل ذبيحته يوم العيد وليس بعده.

ثانياً: وبهذا الدخول الظافر جالساً على ابن أتان بين تلاميذه قصد المسيح قصداً أن يكمِّل نبوَّة زكريا، فرتّب بنفسه ابن الأتان الذي ركبه وترك للأولاد ولتلاميذه العنان للهتاف باسم ابن داود ومملكة أبينا داود. ولمَّا أراد الكهنة والفريسيُّون أن يمنعوا الأولاد وراجعوه بشدَّة أن يسكتهم، كان ردُّه لو سكت هؤلاء لصرخت الحجارة، إمعاناً في الإعلان عن مسيَّانيته ومملكة داود.

ثالثاً: وإمعان المسيح في ركوبه ابن الأتان هو استعلانه للسلام الذي جاء ليعلنه بملوكيته وليس الحرب ضد الرومان. كما أكّد بالفعل أنه وديع ومتواضع القلب، كما نطقت النبوَّة بفم زكريا النبي: «هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور، وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان.» (زك ٩:٩)

ولكن للأسف فإن الجميع حتى التلاميذ لم يقفوا ولا لحظة إزاء هذا التخطيط ليدركوا منه قصد المسيح؛ بل ظنوا أيضاً أنه يختص بإعلان ملوكيته الأرضية. الأمر الذي فوَّت بالتالي على رؤساء الكهنة والفريسيِّين والكتبة مفهوم هذا الموكب النبوي الواضح. فالذين كانوا يهتفون لم يدركوا قط أنهم كانوا يهتفون لمسيَّا السلام، ولا الرؤساء أدركوا ذلك فأرادوا أن يسكتوهم. وهكذا ضاع مفهوم

المسيَّا الحقيقي بين الأخصاء والأعداء على السواء. ولكن على أي حال عجَّل المسيح السنهدرين مجبراً بالقبض عليه وفي العيد رغماً عن أنفهم.

ولم يلتفت أحد قط كيف بكى الملك وهو داخل على المدينة في وسط موكب الهتاف، بكى على مصيرها المحتوم وخرابها المعجَّل بسبب رفض الكهنة. دخل ليموت ويفدي أُورشليم وإسرائيل، وليس ليملك (لو ١٩: ٤١و٤٢). وبسبب عمى قلوب الشعب الذي لم يعرف مسيَّا السلام ويوم خلاصه ولا يوم افتقاده، وظنوه مسيَّا الحرب فرحَّبوا به وهلَّلوا، فالذين هتفوا بقدومه مهلِّلين لمَّا أدركوا أنه ليس ملك الحرب هتفوا بعد خمسة أيام بصلبه!!

دقائق الخطوات التي سارت يوم الأحد:

١ - (مت ٢١: ١-٣و٦و٧)، (مر ١١: ١-٧)، (لو ١٩: ٢٨-٣٥)، (يو ١٢: ٢و١٢):
بعد ما ترك المسيح بيت عنيا أرسل تلميذيه لقرية بيت فاجي (حقل التين) بتوصية لإحضار حمار صغير (ابن أتان كان مربوطاً مع أُمه) قاصداً أن يركبه في دخوله أُورشليم تتميماً لنبوَّة زكريا. والقديس متى يذكر أنهما كانا معاً الحمار الصغير وأُمه، ولكن المسيح استخدم الجحش أي الحمار الصغير، ونفَّذ التلاميذ أمر المسيح.

٢ - (مت ٢١: ٤و٥و٧)، (مر ١١:٧)، (لو ١٩:٣٥)، (يو ١٢: ١٤و١٥):
فرش التلاميذ قمصانهم على الجحش وأُمه وساعد التلاميذ المسيح في ركوبه الجحش، واتجه المسيح بالموكب صوب أُورشليم. هنا يذكر القديس متى والقديس يوحنا أن هنا تمَّت نبوَّة زكريا (٩:٩).

٣ - (مت ٢١:٨)، (مر ١١:٨)، (لو ١٩:٣٦):
ومعظم الشعب الذي سار خلف موكب المسيح كانوا يفرشون ثيابهم على الطريق ليعبر عليها المسيح راكباً الجحش، وآخرون قطعوا الأغصان وحملوها مهلِّلين.

٤ - (يو ١٢: ١و١٢و١٣و١٨):
تجمَّعت جماعات الحجَّاج التي بلغها خبر إقامة المسيح للعازر من الموت، وكانت أُورشليم مكتظَّة بها بسبب الفصح، أسرعوا وخرجوا من الباب الشرقي ليستقبلوا المسيح وينضموا إلى الموكب الظافر للملك القادم، وحملوا سعف النخل في أيديهم رمز النصرة في استقبال الملوك. مرحِّبين بالمسيَّا.

٥ - (مت ٢١: ٩)، (مر ١١: ٩و١٠)، (لو ١٩: ٣٧و٣٨)، (يو ١٢: ١٣):
وحالما التقى الجمعان، واحد من أمام والآخر من الخلف، تمّت الأنتيفونا التي تنبّأ عنها داود في المزمور (مز ١١٨: ١٩-٢٨)(٣). وكان تقابلهما على منحدر جبل الزيتون في مقابل الباب الشرقي للمدينة. واقتربوا من المدينة وخرج الهتاف مدوياً حتى عنان السماء: «أوصنا يا ابن داود» بمعنى: "خلّصنا يا ابن داود"، باعتباره الملك المسيَّا القادم للخلاص. ولكن للأسف أضمروا الخلاص من عبودية الرومان وليس من عبودية الناموس والخطية والموت الأبدي.

٦ - (يو ١٢: ١٧):
أمَّا الذين عاينوا قيامة لعازر من الموت وتفتيح أعين الأعميين فكان صراخهم بحماس شديد.

٧ - (لو ١٩: ٣٩و٤٠):
لم يحتمل جماعة الفريسيِّين هذا الهتاف للمسيَّا فأسرعوا يطلبون من المسيح أن يسكت التلاميذ. ولكن كان المسيح راضياً بهتافهم، ليس لأنه كان محتاجاً إليه، ولكن لكي يُحرج الفريسيِّين والسنهدرين معهم ليكمِّلوا جريمتهم. لأنه كان قد نوى منذ اليوم الأول الذي تحرَّك فيه من الجليل أن يُصلب يوم الفصح! فقال لهم: «إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ».

٨ - (لو ١٩: ٤١-٤٤):
وحينما تراءت المدينة أمام المسيح وهو في وسط هذه الضجَّة العظمى بغير فهم ولا معرفة، وكأنه ملك قادم لتخليص المدينة من الرومان، بكى عليها لأنها لم تعرف زمان افتقادها، ولا استطاعت أن تتعرَّف على مخلِّصها الحقيقي وفاديها. بكى بكاءً عالياً ومسموعاً لأنه رآها وهي محاطة بمترسة وجيوش تيطس تقطع بالسيف رقاب شعبها وتبقر بالسيف بطون نسائها، وتُعلّق أطفالها على أسنّة الرماح وهي تتلوّى. فلمَّا رفضت سلامها حلَّ خرابها: «وبكى عليها قائلاً: إنكِ لو علمتِ أنتِ أيضاً حتى في يومكِ هذا ما هو لسلامكِ؟ ولكن الآن قد أُخفي عن عينيكِ (ما كان يراه هو). فإنه ستأتي أيام ويحيط بكِ أعداؤكِ بمترسة ويحدقون بكِ ويحاصرونكِ من كل جهة، ويهدمونكِ وبنيكِ فيكِ، ولا يتركون فيكِ حجراً على حجر لأنكِ لم تعرفي زمان افتقادكِ» (لو ١٩: ٤١-٤٤)

(٣) بخصوص "موكب المسيَّا" في التقليد اليهودي السابق راجع كتاب الإفخارستيا والقداس للمؤلف صفحة ٢١٤-٢١٧.

٩ - (مت ٢١: ١٠و١١)، (مر ١١: ١١و١٢):
وعندما دخل المسيح المدينة اهتزَّت المدينة كلها، والكل يتساءل مَنْ هذا؟ إنه النبي يسوع الذي من ناصرة الجليل - وفي المساء عاد المسيح إلى بيت عنيا.

دقائق الخطوات التي صارت يوم الاثنين:

١٠ - (مت ٢١: ١٢-١٤)، (مر ١١: ١٥-١٧)، (لو ١٩: ٤٥-٤٧):
دخل المسيح الهيكل وقام بطرد الذين كانوا يبيعون ويشترون، وبحسب القديس متى تقدَّم إليه عُميٌّ وعرجٌ فشفاهم.

١١ - (مت ٢١: ١٥و١٦):
الأولاد في الهيكل بدأوا يصيحون هوشعنا - خلِّصنا يا ابن داود. ورؤساء الكهنة والكتبة في غيظهم قالوا له: «أتسمع ما يقول هؤلاء. فقال لهم يسوع: نعم! أما قرأتم قط: من أفواه الأطفال والرضَّع هيأت تسبيحاً».

١٢ - (يو ١٢: ١٩):
«فقال الفريسيُّون بعضهم لبعض: انظروا إنكم لا تنفعون شيئاً، هوذا العالم قد ذهب وراءه»، وهذا مما جعلهم يتعجَّلون القبض عليه وفي العيد بالرغم من احتراسهم السابق أن لا يقبضوا عليه في العيد. وهكذا نجحت خطة المسيح في إجبارهم لتقديم ميعاد جريمتهم ليكمِّل رسالته التي جاء من أجلها في الميعاد.

١٣ - (مت ٢١: ١٧):
حينما حلَّ المساء تركهم هو وتلاميذه وخرج وبات في بيت عنيا.

١٤ - (يو ١٢: ١٦):
الختام الإجمالي لكل هذا الذي حدث في هذين اليومين: «وهذه الأمور لم يفهمها تلاميذه أولاً، ولكن لمَّا تمجَّد يسوع حينئذ تذكَّروا أن هذه كانت مكتوبة عنه وأنهم صنعوا هذه له». طبعاً بخصوص موكب الدخول والهتاف والأنتيفونا التي رحَّت أورشليم والتي أخطأوا فهمها ومعناها. وكانوا مجرَّد ممثلين لأدوار لم يفهموها.

أسبوع الآلام بحسب القديس متى:

انتبهت الكنيسة مبكِّراً جداً إلى الترتيب الذي صنعه القديس متى واتخذوه أساساً لليتورجية

أسبوع الآلام. وهكذا صار هذا الجزء من الإنجيل داخلاً في صميم ليتورجية العبادة؛ بل صار قطعة حيَّة من عبادة المسيحيين في كل أنحاء المسكونة وكل الكنائس بكل اللغات. وصارت قراءات أسبوع الآلام من أشهر ما حفظت الشعوب من الإنجيل وانطبعت بألحانها في ذاكرة الأطفال والكبار، وصار ينتظرها المسيحيون كل سنة ويحتفلون بها بحسب خطواتها وأغصان الزيتون والنخيل والألحان بأُوصنّا في مواكب يحتلّها الأطفال مع الكبار، وكأن الكنيسة تحيا كلها في حقائق هذا الأسبوع المجيد. على أن كبار الوعاظ والكُتّاب أفاضوا بالكتابات والوعظات في هذا الأسبوع وخصُّوه بالمعاني اللاهوتية وخاصة الفداء والخلاص الذي تمَّ بالآلام والصلب، فأصبحت قراءات وشروحات هذا الأسبوع مفتاحاً لفهم اللاهوت وأعمال الفداء والخلاص.

الدخول إلى أُورشليم في موكب النصرة

[٢١: ١-١١]

(مر ١١: ١-١١)،
(لو ١٩: ٢٨-٣٨)،
(يو ١٢: ١٢-١٩)

٢١: ١-٥ «وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ وَجَاءُوا إِلَى بَيْتِ فَاجِي عِنْدَ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، حِينَئِذٍ أَرْسَلَ يَسُوعُ تِلْمِيذَيْنِ قَائِلاً لَهُمَا: اِذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ تَجِدَانِ أَتَاناً مَرْبُوطَةً وَجَحْشاً مَعَهَا، فَحُلاَّهُمَا وَأْتِيَانِي بِهِمَا. وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحَدٌ شَيْئاً، فَقُولاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِمَا. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُمَا. فَكَانَ هذَا كُلُّهُ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: قُولُوا لابْنَةِ صِهْيَوْنَ: هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِيكِ وَدِيعاً، رَاكِباً عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ».

نحن هنا يوم الأحد بعد أن بات المسيح الأمس في بيت عنيا، وحضر الوليمة التي تمَّ فيها دهنه بناردين مريم، رمزاً لتكفينه قبل الأوان وتذكاراً لمحبة هذه المرأة. وفي الصباح أرسل المسيح تلميذيه إلى القرية الصغيرة بيت فاجي. وكلمة فاجي تعني التين وأُخذت منها الكلمة الإنجليزية Fig. كذلك بيت عنيا تعني مكان البلح. وأحضرا له كما قال لهما الأتان وجحشها وراءها. أمَّا لماذا ضرورة الركوب، فجبل الزيتون الذي سيصعدون عليه من شرق إلى غرب يرتفع شرقاً حتى يبلغ ارتفاعه ٢٦٠٠ قدم فوق البحر، فصعوده صعب. أمَّا الهيكل فعلى هضبة يقل ارتفاعها ٢٥٠ قدماً عن جبل الزيتون. أمَّا بين منحدر جبل الزيتون الغربي وبين الهيكل فيوجد وادٍ يُسمَّى قدرون. والقديس

مرقس يدقِّق في تعيين موضع الأتان والجحش إذ كانا في مدخل القرية مباشرة: «اذهبا إلى القرية التي أمامكما» وكأن المسيح يشاور بأصبعه والقرية ظاهرة لأنها قريبة جداً من بيت عنيا، «فللوقت وأنتما داخلان إليها تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس، فحلاَّه وأتيا به» (مر ١١: ٢). وهنا نتعجَّب هل سبق المسيح وعرف المكان وأصحاب الجحش؟ أم كان يرى بروحه ويصف ما يراه لأن ما قاله وجده التلميذان وأكملا المهمة تماماً. ثم يمتاز ق. مرقس بالقول إن الجحش لم يركبه أحد من الناس، وهذا أمر محال، إذ يتحتَّم تمرين الجحش على أحد يركبه في السابق وإلاَّ استحال ركوبه، فما هذا الأمر؟ أجحش هو أم شاروبيم؟ أم سبق وأعدَّه زكريا النبي (منذ ٥٢٠ سنة ق. م) وهو نبي أُورشليمي؟ علماً بأن كلاًّ من ق. مرقس وق. لوقا يذكران الجحش فقط إلاَّ أن ق. متى هو الذي انفرد بوجود الجحش مع الأتان.

وذهب التلميذان بالفعل وما قاله لهما تمَّ بالحرف الواحد. ومرَّة أخرى نحن أمام الحقيقة الإلهية: «هو أمر فكان» وبعد ذلك يكون الفحص والسؤال خارجاً عن الموضوع!! ولكن لم يتركنا المسيح حيارى في سر هذا الجحش الغريب الأطوار، لأن المسيح أضاف على الأمر قوله: «وإن قال لكما أحد شيئاً فقولا الرب محتاج إليهما» فما حاجتنا بعد إلى سؤال، كيف تمَّ توفير الجحش، إذ كان مُعدًّا للرب، لذلك لم يركبه أحد من الناس. على أن الرب لا يحتاج إلى شيء فهي مجرَّد تغطية حتى لا يفهم الغريب ما وراء الكلمات. فهنا الرب تكلَّم وما تكلَّم به صار! ولكي تنتفي كل مماحكة لم يقل المسيح: المعلِّم محتاج إليهما مع أن هذه لغته، ولكن هنا قال: "الرب" بالصيغة المطلقة، رب الكل. أو بأسلوب الواقع الحي: الملك محتاج إليه. فالجو كله مشحون بسريَّة الرمز والنبوَّة.

ثم يأتي كلام ق. متى بخصوص تتميم نبوَّة زكريا. وفي الحقيقة تأتي النبوَّة مع تغيير في بعض الكلمات عن الأصل السبعيني، ويبدو أنه أخذها من الأصل العبري:

+ «قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيكِ وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان.» (٥)

+ «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون. اهتفي يا بنت أُورشليم هوذا ملككِ يأتي إليكِ هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان.» (زك ٩: ٩ حسب الأصل العبري)

حيث ابنة صهيون تشير إلى إسرائيل الجديدة المزمعة أن تكون، وحيث ملككِ تفيد الملك الخاص بها ومن أبنائها. فهو ليس ملكاً أجنبياً الذي يكون دخوله للبهجة جداً. وإنه وديع ومنصور وعادل. وحيث الحمار حيوان السلام والفلاح وليس للحرب والقتال. أمَّا قوله منصوراً فهو قادم ليأخذ مملكته كمنتصر فوق أعدائه.



بوابة هيرودس
في السور الشمالي لمدينة أُورشليم



أريحا يحيط بها التلال

٢١: ٦-٩ «فَذَهَبَ التِّلْمِيذَانِ وَفَعَلاَ كَمَا أَمَرَهُمَا يَسُوعُ، وَأَتَيَا بِالأَتَانِ وَالْجَحْشِ، وَوَضَعَا عَلَيْهِمَا ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِمَا. وَالْجَمْعُ الأَكْثَرُ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَاناً مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ. وَالْجُمُوعُ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا وَالَّذِينَ تَبِعُوا كَانُوا يَصْرَخُونَ قَائِلِينَ: أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!»

كما قلنا في المقدِّمة كانت إرسالية التلميذين إلى بيت فاجي فيها أمور فائقة عن الفكر الطبيعي، فمجيء الجحش لم يكن بالوضع العادي ولكن بالوضع الإلهي: «الرب محتاج إليه»، بمعنى أن الأمر صادر من فوق؛ أمَّا الصيغة النبويَّة التي أتت بالمثنَّى أي أنه جحش وأنه ابن أتان فهي إمعانٌ في أنه حمار وليس حصاناً أو بغلاً، لأن كلمة جحش هي "حيوان صغير للركوب" وهي تصح للحصان والبغل الصغير. أمَّا ذِكْر ابن أتان فتأكيداً لتواضعه أنه حمار وهذا بيت القصيد. فهو ملك وديع آتٍ للسلام وليس بكبرياء الغازين الذين يأتون على حصان والسيف في يدهم. وأمَّا فرش الثياب على الطريق فهو من مظاهر التكريم للملك القادم، وتفيد منتهى الخضوع لأن الذي يضع ملابسه تحت أقدام الملك يعني الطاعة والخضوع مع الفرح والتحية الفائقة.

وقد قسَّم التابعون أنفسهم قسمين: قسم يسبق وقسم يتبع، على هيئة خورسين، الواحد يهتف والثاني يرد. وهو نظام الخوارس بحري وقبلي المتَّبع في الكنيسة، وكانت هذه طريقة التسبيح بالمزامير:

الخورس المتقدِّم: أُوصنَّا لابن داود.

الخورس التابع: مبارك الآتي باسم الرب.

الخورس المتقدِّم: أُوصنَّا في الأعالي.

أمَّا المعنى: فدخول الملك "ابن داود" هو للخلاص (أُوصنَّا) الآن، الخلاص من الأعالي بذراع الرب. والمرد مبارك الآتي باسم الرب، فهو هتاف الصلاة والترحيب بمَقْدِم ملك الخلاص والسلام.

وهو مأخوذ من مزمور ١١٨: ١٩-٢٨:

+ «افتحوا لي أبواب البر أدخل فيها وأحمد الرب،
هذا الباب للرب الصديقون يدخلون فيه، ...
الحجر الذي رفضه البنَّاؤون قد صار رأس الزاوية ....،
هذا هو اليوم الذي صنعه الرب نبتهج ونفرح فيه،
آه يا رب خلِّص، (أُوصنَّا)، آه يا رب أنقذ (أُوصنَّا)،
مبارك الآتي باسم الرب، ...

أوثقوا الذبيحة يُربط إلى قرون المذبح،
إلهي أنت فأحمدك.» (مز ١١٨: ١٩-٢٨)

وهذا من مزامير التهليل Hallel psalms وهي مجموعة المزامير من مزمور ١١٣ إلى مزمور ١١٨ ويُسبَّح بها في عيد الفصح. وقد سبَّح بها المسيح مع تلاميذه بعد عشاء الخميس. ومعروف أنها من المزامير المسيَّانية مع المزامير (٢،٢٢،٦٩،٨٩،١١٠) أمَّا المزمور (١١٨) فهو أكثرهم إشارات للمسيَّا.

أمَّا هوشعنا أي خلِّصنا فهي كلمة مسيَّانية شديدة الوقع على نفس اليهود. الذين يترجون بها مجيء المسيَّا. وما عيد المظال إلاَّ نوع من الأعياد التي فيها يترجون مجيء المخلِّص كما من مصر ويقطعون فيه سعوف النخل ويسمُّونها شعانين أي للخلاص، أو التعبير عن هوشعنا التي يهتفون بها(٤)، الأمر الذي أخذته الكنيسة باعتبار أن عيد أحد الخوص هو عيد الشعانين بمثابة عيد المظال - عيد السكنى - إذ فيه يتحقَّق مجيء المخلِّص إذ أتى وسكن فينا. وهكذا وبنفس الروح النبويَّة قطع التلاميذ والشعب المحيط بالمسيح سعوف النخل وأغصان الزيتون ورحَّبوا بها دخول المسيح أُورشليم وكأنه قد تحقَّق مجيء المخلِّص. لذلك كان الفرح كما وصفه النبي زكريا: «**ابتهجي جداً** يا ابنة صهيون» لأن فيه يتحقَّق لها رجاء مجيء المخلِّص. وكأنه قد حضر صاحب عيد المظال (الشعانين) وكمل الزمان. وكانوا في عيد المظال يطوفون حول المذبح ومعهم سعوف النخل ويصيحون هوشعنا، وسط صوت الأبواق والطبول يرتِّلون هوشعنا. وفي نهاية العيد يدورون حول المذبح سبع مرَّات بهتاف هوشعنا وكانت تسمَّى يهوشعنا الكبيرة - ويجيء ق. يوحنا في رؤياه بمنظر عجيب يمثِّل التحقيق النهائي لعيد المظال أو عيد الشعانين هكذا:

+ «ونظرت وإذا جمعٌ كثيرٌ لم يستطع أحد أن يَعُدَّه، من كل الأُمم والقبائل والشعوب والألسنة، واقفون أمام العرش وأمام الخروف، مُتسربلين بثيابٍ بيضٍ وفي أيديهم سعف النخل وهُم يصرخون بصوتٍ عظيم قائلين: الخلاص (هوشعنا) لإلهنا الجالس على العرش وللخروف» (رؤ ٧: ٩و١٠)

وقد أخذتها الكنيسة وتلحَّنها بلحن افلوجيمينوس εὐλογημένος:
"مبارك الآتي باسم الرب، وأيضاً باسم الرب.

(4) Bengel, *op. cit.*, p. 380.
حيث يضيف أيضاً بنحل: أن "هوشعنا" كانت كلمة طقسية يقولها الكاهن وهو يقدِّم الذبائح.

أُوصنَّا لابن داود، وأيضاً لابن داود.
أُوصنَّا في الأعالي، وأيضاً في الأعالي.
أُوصنَّا ملك إسرائيل وأيضاً ملك إسرائيل.
فلنرتِّل قائلين: الليلويا الليلويا الليلويا
المجد هو لإلهنا وأيضاً المجد هو لإلهنا."(٥)

٢١: ١٠و١١ «وَلَمَّا دَخَلَ أُورُشَلِيمَ ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا قَائِلَةً: مَنْ هذَا؟ فَقَالَتِ الْجُمُوعُ: هذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ».

منظر الموكب والشعب والهتاف وألوف سعف النخل، منظر مثير لم يعتاده شعب إسرائيل وقد انزعج رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب جداً. **أولاً** لأنهم لم يعتادوا رؤية المسيح راكباً. **ثانياً**: لأن الغيرة أكلت قلوبهم فهم محرومون من هذا الفرح والهتاف، ولكن هم الذين حرموا أنفسهم. وفي نفس الوقت كيف يصير هذا كله وأين القيادة والريادة والرئاسة والنظام والقانون والناموس: «بأي سلطان تفعل هذا؟»، «فقال الفريسيُّون بعضهم لبعض: انظروا إنكم لا تنفعون شيئاً هوذا العالم قد ذهب وراءه.» (يو ١٢: ١٩)

«ارتجَّت»: ἐσείσθη

الكلمة اليونانية من الزلزال أي تزلزلت. لأن الهتاف كان لجموع غفيرة من الحجاج انضموا إلى رَكْب المسيح وساروا أمامه بالهتاف الشديد من عظم الفرح. ولمَّا كان السؤال مَنْ هذا؟ كان الرد عليه جاهزاً فالمسيح كان في العيد يعلِّم والكل تعرَّف عليه، الأمر الذي صار كالصاعقة على رؤساء الكهنة. وكلمة النبي الذي من ناصرة الجليل، كلمة لائقة جداً بالمسيح من قوم أُقفلت عيونهم وصُمَّت آذانهم عن استيعاب مسيانيته.

وهكذا استُقبل المسيح يوم أحد الخوص كابن داود المخلِّص كآخر يوم له على الأرض والذي بعده دخل إلى آلامه.

(٥) كتاب خدمة الشماس صفحة ٢٥٥.

تطهير الهيكل

[٢١: ١٢-١٧]

(مر ١١: ١٥-١٩)،
(لو ١٩: ٤٥-٤٨)،
(يو ٢ : ١٣-٢٢)

٢١: ١٢و١٣ «وَدَخَلَ يَسُوعُ إِلَى هَيْكَلِ اللهِ وَأَخْرَجَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ وَقَالَ لَهُمْ: مَكْتُوبٌ: بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ!».

المكان الذي دخله المسيح هو رواق الأُمم حيث غُصَّ بالباعة والصيارفة وحيوانات الذبح، وكأنه سوقٌ بالمعنى الصحيح، ملآنٌ بالصراخ والصياح، ورائحة روث البهائم جعلته أقل من السوق. والمصيبة أن البائعين لهذه الحيوانات والحمام لا يدخلون الهيكل إلاّ بعد أن يدفعوا أتاوة لرؤساء الكهنة حتى تصبح الذبيحة مقبولة. وكأن الشعب يشتريها على ذمة رؤساء الكهنة. فكانت النقود كلها تصب في جيب حنّان رئيس الكهنة الذي دفع أتاوة على ذبيحة المسيح ثلاثين من الفضة. فحينما خاطب المسيح هؤلاء الباعة بأنهم لصوص "فالكلام لك ولكن إيَّاك أعني يا جارَة". أمّا الصيارفة فكذلك دفعوا المعلوم لرؤساء الكهنة قبل أن يفرشوا موائدهم التي يحوّلون فيها النقد الأجنبي إلى نقود الهيكل، لأن النقد الأجنبي نجس مرفوض. سواء ليشتروا به ذبيحة أو ليضعوه حسنة في الخزانة. كذلك مفروض على كل إنسان أن يدفع ضريبة الهيكل نصف شاقل [(خر ٣٠: ١٣)، (مت ١٧: ٢٤-٢٧)]. كذلك فإن أي ممارسات داخل الهيكل للتطهير عليها رسوم تُدفع بالعملة الهيكلية. وكانت السرقة توزَّع بالعدل على رؤساء الكهنة، والسرقة ليست قليلة ولكن ألوف الألوف من الفضة. فتصوَّر حسب تحقيق المؤرِّخ اليهودي أدرزهايم أن زوج الحمام كان ثمنه خارج الهيكل نِكْلة nickel ولكن تشتريه "طريف" أي قابلاً للذبح بعد أن يكون قد وافق عليه رئيس الكهنة - دون موافقة طبعاً - بمبلغ أربعة دولارات؟ نعم استغلال الحجاج(٦). مغارة لصوص! واستغلال الدين.

ولكن على القارئ أن يلاحظ الصلة بين قول الآية: «بيتي بيت الصلاة يُدعى لجميع الأمم» (مر

(6) W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 769.

١١:١٧) وبين رواق "الأمم" الذي صار مغارة لصوص.

كان طرد هذا الجمع كله يحتاج إلى سلطان ليس أقل من عشرة ضباط بوليس وخمسين عسكرياً، ولكن الرب أظهر بالفعل أنه صاحب الهيكل: «بيتي بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» ولم يوضّحها إلاّ ق. مرقس: «وكان يعلّم قائلاً لهم: أليس مكتوباً بيتي بيت صلاة يُدعى لجميع الأُمم وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» مأخوذة من سفر إرميا النبي (١١:٧): «هل صار هذا البيت الذي دُعي باسمي عليه مغارة لصوص في أعينكم».

وسلطان المسيح حينما يريد المسيح أن يعلنه يصبح قاهراً ومرهباً حتى على رؤساء الكهنة. الذين لمّا رأوا موكب المسيح وهو داخل المدينة ارتعبوا ووقفوا صامتين. الأمر الذي استغلّه المسيح بعد ذلك وألقى عليهم مثله المشهور بخصوص الكرّامين الأردياء. ومن فزعهم سألوه بأي سلطان تفعل هذا؟ لأنه يفوق سلطانهم مئات المرّات. ولكن لأنه ملك السلام ورئيسه لم يهابوه وحينما اطمأنوا أنه وديع ومتواضع القلب صلبوه!!

٢١: ١٤-١٧ «وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُمْيٌ وَعُرْجٌ فِي الْهَيْكَلِ فَشَفَاهُمْ. فَلَمَّا رَأَى رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ الْعَجَائِبَ الَّتِي صَنَعَ، وَالأَوْلاَدَ يَصْرَخُونَ فِي الْهَيْكَلِ وَيَقُولُونَ: أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ، غَضِبُوا وَقَالُوا لَهُ: أَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ هؤُلاَءِ؟ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: نَعَمْ! أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ: مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحاً؟ ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَخَرَجَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا وَبَاتَ هُنَاكَ».

حينما تقدَّم إليه العمي والعرج فرح بهم المسيح في مقابل الغضب الذي ألمّ به من حال الهيكل وأحوال رؤساء الكهنة، فلمَّا جاء إليه العمي والعرج تحنَّن عليهم في الحال، وكطبيب يكرم مهنته مدَّ يده وأبرأهم وأسعدهم، وكان رؤساء الكهنة يراقبونه وهو يصنع هذه المعجزات، ولكن لم تكن قلوبهم مستقيمة، فجاءوا يسألونه عن الأولاد الذين يسبِّحون تسبحة الفصح أوصنّا لابن داود. واستكثروا أن يكون سامعاً وساكتاً: أتسمع هؤلاء؟ نعم أسمع. وكأنهم لم يسبِّحوا هم أبداً للفصح. فالمزمور (٢:٨) لهم والتسبحة في ميعادها والله نفسه يسمعها ويُسر، ولكنهم قد صُدَّت نفوسهم عن رؤية المسيَّا أمامهم إذ علموا تماماً أن الأولاد يسبِّحون للمسيح باعتباره المسيَّا الآتي الذي أتى! ولكن ما العمل والعيون لا تبصر والقلب غُلِّظ من أن يصدِّق الحق أو يطيعه!! صاحب الهيكل وبانيه والساكن فيه أتى إلى هيكله، ولكن الكرّامين الأردياء ادَّعوا حق الملكية وجاءوا يسائلون صاحب البيت، بأي سلطان تطهِّره، وبأي سلطان تشفي وتصنع المعجزات، وبأي سلطان تدع هؤلاء الأولاد يسبِّحون لك؟ يا للفُجر!! وردَّ المسيح وكأنه يؤاخذهم في مهنتهم: أَمَا قرأتم قط عنّي؟ وكما صنع بالأمس لما ذهب وبات في بيت عنيا، هكذا اليوم ذهب وبات في بيت عنيا.

لعن شجرة التين

[٢١: ١٨-٢٢] (مر ١١: ١٢-١٤و٢٠-٢٤)

نجد هنا تفاوتاً طفيفاً بين رواية ق. متى ورواية ق. مرقس، إذ يجعلها ق. مرقس على يومين متتاليين: يوم أمَّها لمَّا رآها فلم يجد فيها التين والمرَّة الثانية رآها التلاميذ قد جفَّت. أمَّا ق. متى فجعلها في يوم واحد. ولكن المضمون وربما الزمن واحد لأن في رواية ق. مرقس يعطي الأزمنة في ساعات النهار ولا يعطي اليوم.

٢١: ١٨-٢٢ «وَفِي الصُّبْحِ إِذْ كَانَ رَاجِعاً إِلَى الْمَدِينَةِ جَاعَ، فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ عَلَى الطَّرِيقِ، وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئاً إِلاَّ وَرَقاً فَقَطْ. فَقَالَ لَهَا: لاَ يَكُنْ مِنْكِ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ. فَيَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الْحَالِ. فَلَمَّا رَأَى التَّلاَمِيذُ ذلِكَ تَعَجَّبُوا قَائِلِينَ: كَيْفَ يَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الْحَالِ؟ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ وَلاَ تَشُكُّونَ، فَلاَ تَفْعَلُونَ أَمْرَ التِّينَةِ فَقَطْ، بَلْ إِنْ قُلْتُمْ أَيْضاً لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ فَيَكُونُ. وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلاَةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ. وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْهَيْكَلِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ وَهُوَ يُعَلِّمُ، قَائِلِينَ: بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هذَا، وَمَنْ أَعْطَاكَ هذَا السُّلْطَانَ؟».

قصة في ظاهرها يبدو المسيح بشراً عادياً يجوع في ميعاد الأكل. ولكن في باطنها كالعادة مستور سر حياته وخدمته ورسالته كلها. فبعد هذه المدة كلها في الكرازة والخدمة اشتهى أن يأكل من ثمر التينة التي هي دائماً رمز لإسرائيل، فما وجد ثمراً يؤكل بل ورقاً أخضر كناية عن مظاهر وأعمال بلا فائدة. فقال لها لا يأكل من ثمرك أحد إلى الأبد، فكان. ثم عاد حينما جلس معهم فكشف عن سر التينة أن في آخر الأيام تزهر وتثمر من جديد كأنه جاء أوان إثمارها بعد اللعن: «فمن شجرة التين تعلموا المَثَل، متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف (وقت الحصاد) قريب. هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب.» (مت ٢٤: ٣٢و٣٣)

وسواء في ذهابه إليها جائعاً أو ازدهارها وإثمارها من جديد جعل سر نفسه مطويًّا داخلها. والآن إن أزهرت إسرائيل وأخرجت أثمارها فقد صار على الأبواب. ونعلم أن شجرة التين كانت أول

شجرة تُذكر في التوراة في القديم (تك ٣:٧) حيث استتر الإنسان من عريه بورقها كناية أيضاً عن إسرائيل، إذ كانت أول دولة في العالم يتعامل معها الله ويستتر في ظلها إنسان الخطية. ويبدو أن الإنسان في صورته الأُممية المسيحية سيعود في نهاية الأيام يأكل من ثمرها وينعم بمجدها في آخر الأيام: «هكذا قال رب الجنود: في تلك الأيام يمسك عشرة رجال من جميع ألسنة الأُمم يتمسَّكون بذيل رجل يهودي قائلين: نذهب معكم لأننا سمعنا أن الله معكم.» (زك ٢٣:٨)

والمسيح سبق ولمَّح على شجرة التين أنها إسرائيل في مثله في إنجيل ق. لوقا: «كانت لواحد شجرة تين مغروسة في كرمه فأتى يطلب فيها ثمراً ولم يجد. فقال للكرَّام هوذا ثلاث سنين آتي أطلب ثمراً في هذه التينة ولم أجد. اقطعها، لماذا تُبطل الأرض أيضاً» (لو ١٣: ٦و٧). وهذا تمَّ بالحرف الواحد، فالمسيح بحسب إنجيل القديس يوحنا خدم الكرم ثلاث سنين ونيف وبعدها جفت الشجرة! وإشعياء النبي يصف نهايتها وصفاً حزيناً للغاية في أصحاح (٥) بأكمله!

ومعروف أن لعن المسيح للتينة بقوله: «لا يأكل إنسان ثمراً منكِ إلى الأبد»، تحقَّق للتو، إذ بعدما انتهوا – في ذلك اليوم الاثنين – من ترتيب ذبح المسيح، وتمَّت الذبيحة يوم الجمعة، بطل أن يكون لإسرائيل ذبيحة قط! لأن قابل الذبائح ذبحوه!!

أمَّا الإيمان بنقل الجبال فقد استوفيناه في آيات سابقة (انظر شرح الآية ١٤:١٧–١٨) تحت عنوان: "استجابة الصلاة" صفحة ٥١١–٥١٤.

بأي سلطان تفعل هذا؟

[٢١:٢٣-٢٧]

(مر ١١:٢٧-٣٣)،
(لو ٢٠: ١ - ٨)

٢١:٢٣-٢٧ «وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْهَيْكَلِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ وَهُوَ يُعَلِّمُ، قَائِلِينَ: بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هذَا، وَمَنْ أَعْطَاكَ هذَا السُّلْطَانَ؟ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: وَأَنَا أَيْضاً أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً، فَإِنْ قُلْتُمْ لِي عَنْهَا أَقُولُ لَكُمْ أَنَا أَيْضاً بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هذَا: مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا، مِنْ أَيْنَ كَانَتْ؟ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟ فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: إِنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ، يَقُولُ لَنَا: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَإِنْ قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ، نَخَافُ مِنَ الشَّعْبِ، لأَنَّ يُوحَنَّا عِنْدَ الْجَمِيعِ مِثْلُ نَبِيٍّ. فَأَجَابُوا يَسُوعَ وَقَالُوا: لاَ نَعْلَمُ. فَقَالَ لَهُمْ هُوَ أَيْضاً: وَلاَ أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هذَا».

يقول هنا ق. لوقا إن المسيح كان جالساً «يعلِّم الشعب» (لو ٢٠:١)، ومعروف أنه كان يعلِّم عادة في رواق سليمان (يو ١٠:٢٣). هنا ذهب إليه رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ، وهم بهيئاتهم هذه نفس الذين أتوا إليه والأولاد يصرخون: "أوصنّا"، وطلبوا منه أن يسكتهم فلم يسمع لهم وحوَّلهم إلى النبوَّة التي قيلت لهذا اليوم بالذات: «من أفواه الأطفال والرضع أسست حمداً» (مز ٨:٢). ولكن يبدو أنهم هنا جاءوا رسمياً موفدين من قِبَل السنهدرين مصدر السلطان يسألونه: من أين لك هذا السلطان؟ والموقف حرج للغاية، فالشعب مجتمع مع مئات الحجاج من كل أنحاء العالم، ومهتم أيضاً يريد أن يعرف من أين له هذا السلطان ومَنْ أعطاه له، خصوصاً وأن رؤساء الكهنة هم أصحاب السلطان. فمن أين جاء بالسلطان خاصة لتطهير الهيكل بهذه الصورة الملكية، فإذا لم يجاوب ويفحمهم يفقد ثقتهم! خاصة وهو يتكلَّم بسلطان الله، كيف؟ وقد احتاط به اليهود مرَّة يسألونه: «فأجاب اليهود وقالوا له: أيَّة آية ترينا حتى تفعل هذا؟» (يو ٢:١٨). والآن الأسئلة كثرت بأي حق قَبلَ أن يقول له تلاميذه: «أُوصنّا يا ابن داود أُوصنّا في الأعالي مبارك الآتي باسم الرب؟» بجوار تطهيره للهيكل وطرده للصيارف الرسميين وبائعي الذبائح الرسمية؟ ثم تعليمه رسمياً داخل الهيكل؟ ثم إجراء الأشفية داخل الهيكل؟

ولينتبه القارئ، فهؤلاء القادمون هم ممثلو أعلى سلطة قانونية في إسرائيل، والهيكل مركزهم

الرسمي، لذلك حضروا وقاطعوه وهو يعلّم ليستجوبوه بسلطانهم الذي لم يسألهم عنه أحد قط إلاَّ يسوع!! وألقوا عليه بالتحديد سؤالين: **أولاً**: بأي سلطان تفعل هذا؟، **ثانياً**: مَنْ أعطاك هذا السلطان؟

أولاً: أمَّا السؤال الأول بأي سلطان، فهل هو سلطان سياسي أو هو سلطان ديني؟

ثانياً: أمَّا السؤال الثاني: فهو الذي أوقفهم وأربكهم وأنهى على مساءلتهم كلها. مَنْ أعطاك هذا السلطان؟ ومن هذا السؤال بدأ المسيح يرد ولكن بسؤال إزاء سؤال كالعادة.

أمَّا انتظارهم فكان أنه سيعجز عن الرد لأنهم هم الذين يعطون السلطان حتى لمجرد تواجده داخل الهيكل، فكانوا واثقين أن من هذا السؤال الثاني بالذات سيقومون بالقبض عليه. وعلينا الآن أن نلاحظ خطوات إجابة المسيح.

أولاً: نرى أنه أظهر استعداده للإجابة على استجوابهم، ولكن بشرط أن يجيبوه هم عن سؤاله بكلمة واحدة، فهو لم يستعفِ من أن يرد على سؤالهم، ولكن لعلمه أنهم لن يقتنعوا ولن يفهموا ولن يؤمنوا أيضاً بجوابه، لذلك أجَّله حتى يكشف عدم استعدادهم هم وعدم كفاءتهم هم ليسمعوا أو يفهموا أو يؤمنوا بأي سلطان يفعل ومَنْ أعطاه هذا السلطان.

ثم عاد بهم إلى يوحنا المعمدان، لماذا؟ لأن الذي أرسل المعمدان أرسله، والمعمدان جاء ليعدَّ له الطريق، فأصبح الذي يؤمن بالمعمدان ورسالته - إعداد الطريق للآتي بعده - قادراً بالضرورة الحتمية أن يؤمن بالذي جاء المعمدان من أجله.

وهنا طرح المسيح سؤاله عليهم ولكن من مصدر الاستجواب كديَّان الأرض كلها: معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس؟ وهنا الشعب واقف على أطراف أصابع رجليه يريد أن يعرف: لا مَنْ هو المسيح، بل مَنْ هؤلاء رؤساء الكهنة، يريد أن يعرف. وهو الشعب الذي يؤمن بالمعمدان ومعموديته ومعظمهم اعتمدوا منه. نعم يريد أن يعرف الشعب ماذا سيقول هؤلاء الرؤساء والشيوخ؟ وهكذا أصبح رد رؤساء الكهنة هو المطلوب وليس رد المسيح بعد! ووقف الشعب ينظرون إلى رؤساء الكهنة - الذين كان يُرثى لحالهم لأن سؤال المسيح فضحهم أمام الشعب أنهم ليسوا من السماء وسلطانهم ليس من الله، لأنهم استعفوا بفضيحة أمام الشعب من أن يردُّوا على سؤال المسيح. وحالهم كان كحال الخدام الذين أرسلوهم سابقاً فجاءوا بجواب واحد: «لم يتكلَّم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان!!» (يو ٧:٤٦)

ولكن لم يدعهم المسيح يفلتون من يديه بل بادرهم في الحال بمَثَل جعل العشَّارين والزواني أفضل منهم، وقفَّاه بمثل آخر وضعهم موضع القتلة، فأرادوا أن يقبضوا عليه من شدة حقدهم ولكنهم خافوا الشعب.

المَثَل الأول:

العشَّارون يسبقونكم إلى ملكوت الله

ذكره القديس متى وحده

[٢١: ٢٨-٣٢]

٢١: ٢٨-٣٢ «مَاذَا تَظُنُّونَ؟ كَانَ لإِنْسَانٍ ابْنَانِ، فَجَاءَ إِلَى الأَوَّلِ وَقَالَ: يَا ابْنِي، اذْهَبِ الْيَوْمَ اعْمَلْ فِي كَرْمِي. فَأَجَابَ وَقَالَ: مَا أُرِيدُ. وَلكِنَّهُ نَدِمَ أَخِيراً وَمَضَى. وَجَاءَ إِلَى الثَّانِي وَقَالَ كَذلِكَ. فَأَجَابَ وَقَالَ: هَا أَنَا يَا سَيِّدُ. وَلَمْ يَمْضِ. فَأَيُّ الاثْنَيْنِ عَمِلَ إِرَادَةَ الأَبِ؟ قَالُوا لَهُ: الأَوَّلُ. قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ الْعَشَّارِينَ وَالزَّوَانِيَ يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ، لأَنَّ يُوحَنَّا جَاءَكُمْ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ فَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَمَّا الْعَشَّارُونَ وَالزَّوَانِي فَآمَنُوا بِهِ، وَأَنْتُمْ إِذْ رَأَيْتُمْ لَمْ تَنْدَمُوا أَخِيراً لِتُؤْمِنُوا بِهِ».

لم يتركهم المسيح ليذهبوا بسلام بعدما رفضوا أن يعلنوا أن معمودية يوحنا كانت من السماء لأنهم لم يؤمنوا به ولم يعتمدوا. فأعطاهم مثلاً كان هو الفخ الذي سقطوا فيه وحكموا على أنفسهم أمام الشعب. والفخ يدور على معمودية يوحنا ولكن أخفى الفخ إلى النهاية.

ولكن وقبل أن نخوض في المَثَلين يلزم جداً للقارئ أن نكشف له أوراق المسيح ليكون على دراية بأدق الظروف ومعاني الأسئلة والأجوبة. فالمسيح هنا وعلى غير عادته لم يكن على مستوى ما فات من مهادنة ليواجه خراب ذمتهم كلصوص في إدارة الهيكل، وعملية تطهير الهيكل بمثابة جرد عام وتفتيش على عهدة وأخلاق وسلوك. وأسئلته لهم كانت على مستوى أسئلة ملك ديَّان يكشف الكذب والرياء، ويدين الخطايا وعدم الإيمان وعدم الاستحقاق. وفي المَثَل الأول هنا يفضح مستواهم بالنسبة للعشَّارين والزواني الذين سيسبقونهم إلى الملكوت، أمَّا هم فسيموتون في خطاياهم. وأمَّا المَثَل الثاني فكان أخطر ما خطَّط المسيح ونسَّق كقاضٍ طويل الأناة وهو يداعب المجرم ويتلاطف معه حتى يبوح بجريمته، ثم يسأله سؤالاً أخيراً يجعله يحكم على نفسه بالشنق وبدون رحمة!! وإليك المَثَل الأول.

الأب أعطى الابن الأول فرصة للطاعة والخدمة في الكرم. وكالعادة بالنسبة لحرية الأولاد التي حرص عليها الله أيضاً رفض وقال لن أذهب، ثم عاد إلى نفسه ورأى أنها خسارة لنفسه فندم، أي حزن على نفسه وحاله، واستعاد نفسه وذهب إلى الكرم. وذهب الأب للثاني وسأله نفس السؤال. وفي الحال أجاب وكأنها عادة: نعم حاضر، ولكن طبيعته لم تكن على مستوى الطاعة والتكيف والعمل الجاد ولكن طاعة فم فقط - تحت أمرك - و لم يذهب.

تصوير شيّق جدًّا أنسى رؤساء الكهنة والكتبة أنهم واقفون أمام قاضي المسكونة وديَّان كل الأرض، وتلذّذوا بالقصص ونسوا أنفسهم. وفجأة واجههم القاضي بسؤال بسيط لا يحتاج لأي تفكير أو تحيُّز أو حتى احتياط: فأي الاثنين عمل إرادة الأب؟ لم ينتبهوا أنهم سيضعون الطوق بيديهم حول رقابهم. فقالوا له الأول. وهنا يصدر الحكم بناءً على موافقة المتهم دون ضغط أو مساومة!! «الحق أقول لكم: إن العشَّارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله!!» حكم قاطع مانع.

حيثيات الحكم:

«لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به، وأمَّا العشارون والزواني فآمنوا به، وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيراً لتؤمنوا به». وهكذا ما أحجم عن التصريح به هؤلاء الجماعة من رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ في سؤال المسيح السالف: هل معمودية يوحنا كانت من السماء أم من الأرض - إذ خافوا من أن يقولوا إنه من الناس - هنا وقعوا في المحظور لمَّا أجابوا بأن "الأول" هو الابن الذي عمل إرادة الله لأنه اعتمد وتاب وهم العشارون والزواني. وأمَّا هم فلم يندموا ويتوبوا، وهكذا سبقهم العشارون والزواني في طاعة الآب ودخول ملكوته!!

المَثَل الثاني:

محاكمة الكرَّامين الأردياء

[٢١: ٣٣-٤٦]

(مر ١٢: ١-١٢)، (لو ٢٠: ٩-١٩)

٢١: ٣٣-٣٩ «اسْمَعُوا مَثَلاً آخَرَ: كَانَ إِنْسَانٌ رَبُّ بَيْتٍ غَرَسَ كَرْماً، وَأَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ، وَحَفَرَ فِيهِ مَعْصَرَةً، وَبَنَى بُرْجاً، وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ. وَلَمَّا قَرُبَ وَقْتُ الأَثْمَارِ أَرْسَلَ عَبِيدَهُ إِلَى الْكَرَّامِينَ لِيَأْخُذَ أَثْمَارَهُ. فَأَخَذَ الْكَرَّامُونَ عَبِيدَهُ وَجَلَدُوا بَعْضاً وَقَتَلُوا بَعْضاً وَرَجَمُوا بَعْضاً. ثُمَّ أَرْسَلَ أَيْضاً عَبِيداً آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنَ الأَوَّلِينَ، فَفَعَلُوا بِهِمْ كَذلِكَ. فَأَخِيراً أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ابْنَهُ قَائِلاً: يَهَابُونَ ابْنِي! وَأَمَّا الْكَرَّامُونَ فَلَمَّا رَأَوْا الابْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ. هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ وَنَأْخُذْ مِيرَاثَهُ! فَأَخَذُوه وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ(٧)».

إلى هنا والقصة مشوِّقة وتثير الأحاسيس والغضب ضد هؤلاء الكرَّامين، إذ أخذ المسيح يكشف أعمالهم الفظَّة غير المعقولة بدرجة تُهيِّج أهدأ الأعصاب. وبعد أن مهَّد هكذا للنطق بالحكم ترك لهم أن يحكموا هم:

٢١: ٤٠ «فَمَتَى جَاءَ صَاحِبُ الْكَرْمِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِأُولَئِكَ الْكَرَّامِينَ؟».

هكذا سهَّل عليهم الحكم حتى اندفعوا بنفس واحدة يحكمون حكماً واحداً، وكان هو الطامة العظمى التي وقعوا فيها إذ حكموا على أنفسهم وهم لا يدرون إذ بسرعة أجابوا:

٢١: ٤١ «قَالُوا لَهُ: أُولئكَ الأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلاَكاً رَدِيًّا،

(وليتهم توقفوا عن إصدار الحكم الثاني ولكنهم اندفعوا متأثرين بغيرتهم:)

---

(٧) من كلام المسيح هنا ينكشف لنا بتحقيق أن المسيح كان كاشفاً لضمائر الكتبة والفريسيِّين ورؤساء الكهنة، أنهم كانوا قد أدركوا بالفعل أن المسيح هو الوريث الحقيقي للملوكية وكهنوت وتعليم العهد الجديد بدلاً عنهم. لذلك حقدوا عليه وأضمروا فعلاً قتله ظنًّا منهم أنه مجرَّد نبي أو رائي كبقية الأنبياء الذين قتلوهم!!

وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى كَرَّامِينَ آخَرِينَ يُعْطُونَهُ الأَثْمَارَ فِي أَوْقَاتِهَا».

وحينئذ كشف لهم المسيح أن بحسب نص حكمهم الأول يكونون قد حكموا على أنفسهم بالصلب بدون رحمة، هذا هو الهلاك الرديء، وبحسب النص الثاني نطق هو مرَّة ثانية بالحكم الذي نطقوا به: «إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأُمة تعمل أثماره».

٢١: ٤٢-٤٤ **«قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا؟ لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ. وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ».**

وكان هذا أقوى حكم نطق به المسيح على رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيِّين ورؤساء الشعب وهو من واقع تفكيرهم وفهمهم. بل ومن أجل هذا الحكم جاء إلى العيد ورتَّب موكبه الظافر، ودخل الهيكل بانتظار مجيئهم إليه، فجاءوا وسمعوا نطق الله الذي جلبوه على أنفسهم دون قضاء من جهة "الملك الوديع الراكب على جحش أتان".

وصدق المسيح الذي قال: «أمَّا أنا فلست أدين أحداً» (يو ٨: ١٥)، وهذا هو أسلوب الديَّان في العهد الجديد، فحينما يقف الإنسان، أي إنسان، أمام المسيح، يحكم على نفسه!

أنتم هنا لتمسكوني وتقبضوا عليَّ، أنتم جئتم لقتلي، أنتم البنَّاؤون الذين رفضتم برفضي حجر الزاوية الذي أردتم أن ترفعوه من طريقكم الشرير، إذ اعتبرتموني حجر عثرة لكم وكأنكم لم تقرأوا قط كلام النبوَّة: «الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قِبَلِ الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا»، «ومَنْ سقط على هذا الحجر يترضَّض ومَنْ سقط هو عليه يسحقه».

واضح أن العبيد الأولين والآخرين هم الأنبياء الذين رجموهم وقتلوهم ونشروهم. وعلى حد قول القديس استفانوس: «أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم، وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار» (أع ٧: ٥٢). أمَّا الابن الوحيد فهي إشارة ذكية للإعلان عن لاهوته الأقدس وبنوَّته للآب. أمَّا قوله أخذوه خارج الكرم وقتلوه فكانت قراءة علنية لما خطَّطوه في ضمائرهم ودفاترهم السريَّة في الظلام. كل هذا لم يفت عليهم إذ أدركوه بسرعة.

٢١: ٤٥و٤٦ **«وَلَمَّا سَمِعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ أَمْثَالَهُ، عَرَفُوا أَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَيْهِمْ. وَإِذْ كَانُوا**

يَطْلُبُونَ أَنْ يُمْسِكُوهُ، خَافُوا مِنَ الْجُمُوعِ، لأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلَ نَبِيٍّ.».

كان عدد الجموع يربو على أكثر من مليون من الحجاج الغرباء ما عدا أهل البلاد الذين ملأوا الهيكل وأحاطوا به. وهكذا استطاع المسيح أن يحكم عليهم بما يستحقونه بحسب تقديرهم وحكمهم هم. وبآن واحد استطاع بحسن تدبيره الإلهي أن يوقفهم عند حدّهم فلا يمدُّوا عليه الأيادي لأنه احتمى بالعيد وبالملايين ضد حماقتهم. لأن الميعاد لم يحن بعد. إذ في الوقت الذي عيَّنه هو سلَّم نفسه لهم. أمَّا وقبل أن يحين ميعاد التسليم فكان كملك يتحدَّى أعداءه وبسلطان كان يسكتهم ويشلّ تفكيرهم.

وهكذا وقف الشعب يسمع هذا الحوار المذهل، والمسيح واقف موقف الشموخ كديَّان يستنطق الحكم من أفواه رؤساء الكهنة ضد أنفسهم، وهو واقف هادئ بينما هم قد فقدوا أعصابهم وظهروا أمامه مخذولين ـ ولكن من عظمة المسيح أنه لم يستعدِ الشعب عليهم ولا سمح لتلاميذه أن يدافعوا عنه لئلاً يفسدوا عليه إكليل الصليب!

وهكذا وبأمثال قليلة كشف المسيح عن أنه: «رب الكل» و«الملك الآتي» إلى مدينته والمفتقد لهيكله، وصاحب الكرم وديَّان الأرض، وحجر الزاوية الذي رُفض من البنائين الحمقى ليضع أساساً مؤسَّساً لهيكله الجديد. والقديس متى يُنهي الأصحاح بشهادة أنه كان عند الشعب كنبي.

المنظر كله أمامنا الآن أنه بعد أن كانوا يأتون إليه من أُورشليم ليحاصروه في الجليل وفي كل مكان، جاء هو أخيراً إليهم ليحاصرهم في عقر دارهم: يطهِّر هيكله ليعطيه هيبته قبل أن يأمر بهدمه، وليحاكمهم قبل أن يحاكموه ويقضي عليهم قبل أن يقضوا عليه. صلبهم برضاهم داخل الهيكل «بهلاك رديء» ولن تقوم لهم قائمة بعد، قبل أن يصلبوه رغماً عن أنفسهم خارج أُورشليم ليقوم في اليوم الثالث ويسلِّم ملكوته لكل مَنْ قَبِلوه. ويسلِّم مدينته وديعة في أيدي العالم إلى أن يجيء.

الأصحاح الثاني والعشرون

- وليمة عرس ابن الملك (٢٢: ١ ـ ١٤)
- جزية قيصر (٢٢:١٥ـ ٢٢)
- في القيامة لمن تكون زوجة؟ (٢٢: ٢٣ـ٣٣)
- أيَّة وصية هي العُظمى؟ (٢٢: ٣٤ـ٤٠)
- ماذا تظنون في المسيح ابن مَنْ هو؟ (٢٢:٤١ـ٤٦)

وليمة عُرس ابن الملك

[٢٢:١-١٤]

(لو ١٤:١٥-٢٤)

نظرة عامة على الأمثلة الثلاثة معاً:

في المَثَل الثاني، مَثَل الكرَّامين الأردياء، انتهى المسيح من إعلانه أن الأُمة اليهودية سيؤخذ منها الملكوت وتُرفض ليُعطَى لأمة تصنع أثماره. لذلك فهناك صلة قوية بين هذا المَثَل والمَثَل الذي نحن بصدده، وهو مَثَل عُرس ابن الملك.

ونلاحِظ أن في المَثَلَين السالفين: مَثَل الابن الذي قال نعم ولم يذهب، والمَثَل الثاني مَثَل الكرَّامين الأردياء، أن "الملك" (أي المسيح الذي دخل دخول الملك المنتصر في أُورشليم) كان يتعامل مع الرؤساء ومسئولياتهم التي أهملوها وأهملوا واجباتهم مع الله. ولكن هنا في مَثَل عُرس ابن الملك لا يتعامل مع مسئوليات مُهْمَلة بعد، بل مع دعوة للتمتع بوليمة الملكوت. والنقلة هي من الكرم وخدمته إلى وليمة عُرس والمدعوين، أي من عمل وجهد وتعب إلى متعة وفرح ومسرَّة.

كذلك من خلال هذه الأمثال لا يكف المسيح عن الإعلان عن العلاقة بين المسيح والآب ـ كذلك فلم يخطئ المسيح قط في توجيه الكلام بحذق وشدة نحو الكهنة والفريسيِّين الذين أدركوا بالفعل أن الكلام مصوَّب إليهم، وتضجَّروا من عنف الضغط. والقصد أن يملي عليهم الشعور أنهم مسئولون تحت يد الله وتحت سلطانه ـ طبعاً ردًّا على سؤالهم له: بأي سلطان تفعل هذا ومَنْ أعطاك هذا السلطان؟ فالآن يريد أن يحاسبهم على سلطانهم هم الذي أخذوه وداسوه وازدروا بمعطيه وتحدُّوا صاحب السلطان الحقيقي.

وفي المَثَل الثاني كان واضحاً، ويصعب أن يغيب عنهم، أن المسيح كان يقصد نفسه كالابن الذي أرسله أبوه لمحاسبة الكرَّامين ومطالبتهم بالثمر هذه السنين!! وكيف رفضوا الاستجابة لدعوة خدَّام الملك (الأنبياء) بإعطاء الثمر لصاحب الثمر، وعلى أثر ذلك جاء "الابن" يطالب بحقوق الآب والابن الوريث.

وليس عسير الآن على القارئ أن يحسّ بالتدرُّج في حركة المحاكمة. ففي الأول موقفهم من الآب، الموقف الذي اتَّسم "بنعم وحاضر" ودخل في الإهمال والرفض، وهذا يكشف حقيقة عدم طاعتهم وكسر نير الخضوع! وفي المَثَل الثاني كان موقفهم أمام الابن: «هذا هو الوريث هلم نقتله

ونأخذ الميراث». فيصير الميراث بدون رقابة ولا محاسب ويصبح سلطانهم مطلقاً مـن كـل قيـد. أمَّا المَثَل الثالث الذي سندخل فيه الآن فهو سيكشف منه عن موقفهم من رسل المسيح الذيـن يدعونهـم بالإقناع للدخول تحت امتياز وليمة الملكوت. وهكذا انتقل من عهد المساءلة عن المسـئوليات، الأمـر الذي تمَّ في زمانه وفشلوا، والآن سيواجهون الدعوة برفق وترغيب إلى التمتُّع بالملكوت في عهد رسله.

ولكن إذا نظرنا إلى هذا المَثَل الخطير نظرة عامة نجده يحتوي على ثلاث حركات متتالية، تحدِّدهـا الثلاث دعوات المتتالية. علماً بأن الملك (المسيح من منطلق إحساسـه الخـاص) قـد قـارب النهايـة في خدمته، وهو الآن في أورشليم في مهمته السريَّة التي جـاء ليكمِّلهـا في مدينتـه، وهـي عـزل وإقصـاء جماعة رؤساء الكهنة والفريسيِّين الذين رفضوا أن يملك عليهم. على هذا الاتجاه المعنوي المضمر علـى مستوى الأمثال هو يفكِّر ويحكي. وهذا يعني بالنسبة لنا أننا لسـنا بصـدد إنجيـل للوعـظ أو التعليـم، فهي ليست أمثالاً نطبِّقها على حالنا، إنما هـي إجـراءات تخليـص ذمـة بالنسبة للمسيح مـع هـؤلاء الرؤساء قبل أن يكمِّلوا عملهم وينهوا على خدمته، حتى تقف شاهدة بوعي فائق منقطع النظير على محاسبة المسيح لهؤلاء الرؤساء، من مصـدر حقيقـة سـلطانه وواقـع ملوكيتـه قبـل أن يسـدلوا السـتار ويختفوا من الوجود. فالمسيح هنا يخاطب التاريخ ويُشهد الأرض كلَّها وكل ذي حكمة وفهم ودراية برد الفعل الذي في نفسه كقاضٍ، إزاء أعمال رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيِّين وشيوخ الشـعب في مواجهة خدمته والمعاملة التي تلقَّاها منهم على مدى إرساليته كلها، وذلـك في أخطـر قضيـة تختـص بالعالم وبالإنسان وهو على قيد ساعات من قبول الصلب على أيديهم.

والآن إلى هذه الدَعَوات الثلاث التي تغطِّي تماماً خدمته بطولها فيما يخص ملكوت الله الذي جاء يدعو إليه!

١ ـ **الدعوة الأُولى:** إنما كانت موجهة منه شخصياً وبمسـاعدة تلاميـذه علـى مـدى رحلاتـه في المنطقة كلها.

٢ ـ **الدعوة الثانية:** وهي إنما ستوجه بواسطة تلاميذه ولكن بلسانه من لحظة تركه الأرض حتى تقول الأُمة كلمتها الأخيرة، في رفضها النهائي للرسالة والمرسلين وصـاحب الرسالة في الدعوة لمائدة ملكوته، وذلك لثاني مرة بعد رفضه وقتله.

وفي هذه الحال يحل لصاحب الوليمة والدعوة أن يُرسل جيوشه ويحطم مدينتهـم ويحرقهـا بالنـار، الأمر الذي حدث بالفعل في سنة ٧٠م أي بعـد الصلـب بحوالي جيـل كـامل. ويلاحـظ القـارئ أن الدعوة الثانية لم تكن على أيدي تلاميذه فقط وباسمه، بل وبفعل قوة الروح القدس وبشـهادتهم، أي

شهادة رؤساء الكهنة. إذ بعدما قُبض على ق. بطرس وق. يوحنا بعد أن صنع ق. بطرس معجزة الشفاء بالروح القدس على باب الهيكل، وبعد أن سمعوا دفاع بطرس:

+ «ولمَّا أقاموهما في الوسط، جعلوا يسألونهما (كالعادة): بأية قوةٍ وبأيِّ اسمٍ صنعتما أنتما هذا؟ حينئذٍ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم: يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل، إن كنا نُفحصُ اليوم عن إحسان إلى إنسان سقيم، بماذا شفي هذا، فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل، أنه باسم يسوع المسيح الناصري، الذي صلبتموه أنتم، الذي أقامه الله من الأموات، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً ... فلمَّا رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميَّان، تعجَّبوا. فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع. ولكن إذ نظروا الإنسان الذي شُفي واقفاً معهما لم يكن لهما شيء يناقضون به ...» (أع ٤: ٧-١٤)

٣ ـ **الدعوة الثالثة:** بعد خراب أُورشليم وحرقها بالنار، فإن المرسلين سيرسلون في الطرق البعيدة خارج أُورشليم والأقاليم. بمعنى فيما بعد بلاد الموعد وفيما بعد شعب الموعد. ولكن الفرق في الدعوة هذه المرة أن على المرسلين أن يَدْعوا ويُدخلوا الصالحين والطالحين، "أشراراً وصالحين"، حتى يمتلئ البيت (كما هو الحادث في الكنيسة الآن فهي ممتلئة ولكن من الفئتين). أمَّا الزمان فمنذ خراب أُورشليم حتى اليوم. فهو العمل المنوط بنا نحن الآن أن ندعو الجميع.

والآن إلى المَثَل لنشرحه آية آية:

الدعوة الأولى:

٢٢: ١-٣ «وَجَعَلَ يَسُوعُ يُكَلِّمُهُمْ أَيْضاً بِأَمْثَالٍ قَائِلاً: يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ إِنْسَاناً مَلِكاً صَنَعَ عُرْساً لابْنِهِ، وَأَرْسَلَ عَبِيدَهُ لِيَدْعُوا الْمَدْعُوِّينَ إِلَى الْعُرْسِ، فَلَمْ يُرِيدُوا أَنْ يَأْتُوا».

والآن **«يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً»** المسيح هنا يعطي المَثَل على المستوى الإنساني، ولكن المقصود هنا هو الله الآب السماوي. فلو أخذنا الأمور بعيداً عن التوراة والإنجيل وتأمَّلنا المَثَل، نجد أن الملك يحب رعيته، وعمل حفلة كبيرة للرعية، وأرسل ليدعو رؤساء الشعب والوجهاء ووكلاء الشعب وكل مَنْ له استطاعة أن يلبِّي الدعوة ليحضروا وليمة عرس ابنه. أمَّا ابنه فمعروف وهو المسيح، أمَّا عرسه فهو الشعب المختار الذي أحبَّه وجاء بنفسه ليعقد قرانه به لشركة أبدية وحياة مقدَّسة في ملكوته، على نفس مستوى العهد القديم الذي كشف فيه الله عن مستوى ما

أضمر في نفسه من نحو شعبه الذي أحبَّه جدًّا:

+ «ها أنذا أتملَّقها وأذهب بها إلى البرية وأُلاطفها ... وهي تغنِّي هناك كأيام صباها وكيوم صعودها من أرض مصر. ويكون في ذلك اليوم يقول الرب أنكِ تَدْعِينَني رَجُلي ولا تدعينني بعد بعلي ... وأخطبكِ لنفسي إلى الأبد وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أخطبكِ لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب. ويكون في ذلك اليوم أني أستجيب يقول الرب، أستجيب السموات وهي تستجيب الأرض.» (هو ٢: ١٤-٢١)

ولكن للأسف فكما يقول هوشع نفسه مباشرة بعد هذا الأصحاح أنهم تركوا الرب وزنوا وراء آلهة غريبة. وكذلك إشعياء يقول لهم: «أين كتاب طلاق أُمكم التي طلَّقتها.» (إش ٥٠:١)

ولكن كل هذا التودُّد والملاطفة والوعد بالخطوبة، وأن يكون رجلها لم يُفْدِ إسرائيل بشيء، ولم يكن إلاَّ رؤية بعيدة ونبوَّة صادقة عن مجيء زمان الخطوبة الحقيقية، بل وشركة زيجة مقدَّسة، "بالتجسُّد"، حيث اتحد الابن بالبشرية اتحاداً لا انفصام فيه إلى الأبد، وقدَّسه يوم صليبه بدم نفسه فصبغ الزيجة ووثَّقها بالدم وبالروح، والكلام في ذلك كثير. ولكن نَنْتَقِي منه وصف بولس الرسول لهذه الخطوبة المقدَّسة والزيجة الطاهرة، فكان بالحق عرس البشرية الأبدي ووليمة حبها الذي دُعيت إليه الأجيال: «أيها الرجال، أحبوا نساءَكُم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يقدِّسها (في نفسه)، مطهِّراً إيَّاها بغسل الماء بالكلمة (المعمودية والروح)، لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة، لا دنس فيها ولا غَضْنَ أو شيءٌ من مثل ذلك، بل تكون مقدَّسة وبلا عيب ... لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأُمه ويلتصق بامرأته، **ويكون الاثنان جسداً واحداً. هذا السر عظيمٌ**، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة.» (أف ٥: ٢٥-٣٢)

كما أن ق. بولس يوثِّق هذه الخطوبة لهذه العذراء العفيفة: «فإني أغار عليكم غيرة الله لأني خطبتكم لرجل واحد: لأُقدِّم عذراء عفيفة للمسيح.» (٢كو ١١:٢)

أمَّا من كلام المسيح نفسه فنحن لا يمكن أن نستهين بوصف نفسه بالعريس:

+ «هل يستطيع بنو العُرس أن ينوحوا مادام العريس معهم؟» (مت ٩:١٥)

والمسيح يكرِّر الأمثال التي يوضِّح فيها نفسه كعريس في عُرس: (مت ٢٢: ٢-١٢، ٢٥: ١-١٣)، (لو ١٢:٣٦). كما يشهد له المعمدان أنه عريس البشرية الحقيقي: «مَنْ له العروس فهو العريس» (يو ٣:٢٩). في هذا كله ينبغي أن يتضح أمامنا أن وليمة العُرس هي وليمة المسيح. وهو يدعو

الشعب لينتخب منه عروسه أي كنيسته. فأول درجات وليمة الملكوت تمّت والمسيح يدعو ويختار بنفسه أركان الكنيسة وأعمدتها. وكان ينبغي أن يكونوا هم رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيّين حكماء إسرائيل ودكاترة القانون ورؤساء الشعب الشيوخ السبعين الموهوبين للقيادة بنعمة روح الله الذي طلبه موسى ووضعه على رؤوسهم. ولكنهم استعفوا جميعاً، فاكتفى المسيح بالاثني عشر ليمثّلوا الأسباط جميعاً، والسبعين تلميذاً ليمثّلوا شيوخ الشعب السبعين.

هذه هي صورة عقد قران العريس مع العروس التي خُتمت بدم العريس على الصليب في غياب كل المدعوين من الشعب المختار. هنا انتهت الدعوة الأُولى التي ظلّ المسيح والتلاميذ يخدمونها ثلاث سنوات ونصْفاً.

الدعوة الثانية:

ولكن الدعوة للملكوت لم تكن تقفل أبوابها بهذا الإخفاق، فقد استعاض المسيح عن غيابه بمجيء الروح القدس بفاعلية قوية في التلاميذ وكل الشعب حتى الإماء والعبيد. ليعطي فرصة أخرى لدعوة الشعب المحبوب أصلاً، والمختار، والذي كان مَعْنياً أن يكون هو العروس. وهنا أرسل خدَّاماً آخرين وهم من جاء بعد الرسل مع الباقي منهم، وأرسل بدعوة فيها ترغيب من أطايب الروح القدس التي ظهرت وانتشرت لتحكي عن الملكوت وقوات الملكوت.

٢٢: ٤-٨ «فَأَرْسَلَ أَيْضاً عَبِيداً آخَرِينَ قَائِلاً: قُولُوا لِلْمَدْعُوِّينَ: هُوَذَا غَدَائِي أَعْدَدْتُهُ. ثِيرَانِي وَمُسَمَّنَاتِي قَدْ ذُبِحَتْ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ. تَعَالَوْا إِلَى الْعُرْسِ! وَلكِنَّهُمْ تَهَاوَنُوا وَمَضَوْا، وَاحِدٌ إِلَى حَقْلِهِ، وَآخَرُ إِلَى تِجَارَتِهِ، وَالْبَاقُونَ أَمْسَكُوا عَبِيدَهُ وَشَتَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ. فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ غَضِبَ، وَأَرْسَلَ جُنُودَهُ وَأَهْلَكَ أُولئِكَ الْقَاتِلِينَ وَأَحْرَقَ مَدِينَتَهُمْ. ثُمَّ قَالَ لِعَبِيدِهِ: أَمَّا الْعُرْسُ فَمُسْتَعَدٌّ، وَأَمَّا الْمَدْعُوُّونَ فَلَمْ يَكُونُوا مُسْتَحِقِّينَ».

لا يَخفى على القارئ أن وراء هذا الكلام الحلو اللطيف، كقول هوشع قديماً: «ولكن ها أنذا أتملّقها ... وأُلاطفها ... وأخطبكِ لنفسي إلى الأبد وأخطبكِ لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أخطبكِ لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب.» (هو ٢: ١٤و١٩و٢٠)

لا يفوت عليك عزيزي القارئ كَمْ كلّف الآب السماوي هذه الوليمة. كلّفها بأمرّ الآلام التي جازها ابنه وحيده مع غصّة الموت على الصليب. نعم هذه الصورة مصغّرة مخفية وراء «ثيراني ومسمَّناتي قد ذُبحت»!! هذا كله كان هو الوسيلة الوحيدة لكي يفسح لهم الطريق إلى الأقداس العليا

بدم ابنه وطريقاً حيًّا حديثاً بجسده المسكور على الصليب (عب ١٠: ٢٠). ليست دعوة كلامية منمَّقة بل بدعوة دبَّرها الآب مع ابنه منذ الأزل بثمن باهظ لا تقوى عليه الملائكة ولا بنو البشر مجتمعين، بدم كريم أثمن من كل ذهب الدنيا وفضتها!! فالوليمة غالية جداً وعزيزة للغاية. فالملك في شخص المسيح يعبِّر عن دعوة الآب بقلب مجروح، وهو عارف الثمن الباهظ الذي حلَّ زمن دفعه وشيكاً. ولكنه يتكلَّم عنه كيف سيتم بعد ذهابه إلى السماء. ولكن كانت استجابتهم طبق الأصل من إجابتهم الأُولى. وانقسموا إلى فئتين: فئة تهاونوا بالدعوة والداعي وانهمكوا في زراعاتهم وتجارتهم وصمُّوا آذانهم عن الدعوة، والفئة الثانية كانت فظَّة ورثت الجريمة عن أجيالها الأُولى القاتلة للأنبياء، هؤلاء مسكوا الداعين وشتموهم وأقاموهم أمام المحاكم وقتلوهم. دم القديس استفانوس يشهد بذلك، وكذلك يعقوب أخو يوحنا وآخرون بلا عدد. فلمَّا قالوا جميعاً الكلمة الأخيرة وبدَّدوا الكنيسة وطردوها من أُورشليم وانقطع الرجاء في نفع النداء والدعوة، عاد المُرسَلون إلى الرب باكين.

وهنا غضب الملك غضبته التاريخية التي سجلتها الأرض في سجلات الكوارث العظمى، قاد الله جيوش روما وأعطاهم الضوء الأخضر ليؤدوا نقمتهم في الشعب الذي دوَّخهم، فكان ما استغرق وصفه كتب يوسيفوس المؤرِّخ اليهودي الذي كان مترجم الحملة!! شيء مهول لا تطيق الأذن سماعه عن الفظائع التي اقترفها جيش تيطس إزاء غطرستهم وثورتهم وإيذائهم للجند والضبَّاط. مما جعل نقمة الرومان تساوي نقمة السماء تماماً. وانتهت الدعوة الثانية وقُفل باب الوليمة في وجه الشعب المختار. وتمَّت النبوَّة التي اشترك رؤساء الكهنة في نطقها: «إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره.» (مت ٢١: ٤٣)

أمَّا تعليق المسيح الإلهي المنطبق عليهم أشد المطابقة فكان كما قال في المَثَل: «أمَّا العرس فمستعد وأمَّا المدعوون فلم يكونوا مستحقين».

الدعوة الثالثة:

٢٢: ٩و١٠ «فَاذْهَبُوا إِلَى مَفَارِقِ الطُّرُقِ، وَكُلُّ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ فَادْعُوهُ إِلَى الْعُرْسِ. فَخَرَجَ أُولئِكَ الْعَبِيدُ إِلَى الطُّرُقِ، وَجَمَعُوا كُلَّ الَّذِينَ وَجَدُوهُمْ أَشْرَاراً وَصَالِحِينَ. فَامْتَلأَ الْعُرْسُ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ».

هنا الدعوة الثالثة خرجت عن التقليد القديم في الدعوتين الأُولى والثانية، لأن المختارين فقط كانوا هم المدعوين بتعيين من المسيح والروح القدس. ولكن الآن ضاع التمييز، فهناك بحكم الواقع أصبح من المستحيل أن يعرف المُرسَلون المدعو من الله أو المسيح أو الروح القدس من غير المدعو. فالدعوة للصالح والشرير ليدخلوا البيت ويسمعوا ويتعلَّموا ما هي الدعوة إلى ملكوت الله ومدى

قدراتهم لاستيعابها. والمسيح حلَّ هذا اللغز في آخر آية في المَثَل: «لأن كثيرين يُدعون وقليلين يُنتخبون» (١٤). إذن، فالدعوة عامة بدون تمييز لغياب عامل التمييز، وهو عامل الروح القدس الذي ضعف عمله واختياره بصورة واضحة. وبعد ذلك من واقع سلوك المدعوين ومدى إدراكهم لواجبات الملكوت يُختارون. ولكن من الواضح والمؤكَّد أنه لم يُعطَ المُرسَلون أن يميِّزوا في دعوتهم بين الأشرار والصالحين، فهذا ليس عملهم، وقد تركه الملك لنفسه لأنه هو الذي سيميِّز ويختار. إذن، وبصورة واضحة لا لَبس فيها، تكون الدعوة للملكوت بالنسبة للأُمم منذ أن نُحِّي شعب إسرائيل وانتُزع منه الملكوت وأُعطي للشعب الجديد وهو الكنيسة، تكون دعوة عامة لا تمييز فيها، هي للجميع للأشرار والصالحين، ويُترك الاختيار والتمييز للمسيح وحده. وسوف نرى في الآية القادمة بعد أن امتلأ البيت ـ الكنيسة ـ وصار زمان دخول الملك، كيف سيكون التمييز.

٢٢: ١١-١٤ «فَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ لِيَنْظُرَ الْمُتَّكِئِينَ، رَأَى هُنَاكَ إِنْسَاناً لَمْ يَكُنْ لاَبِساً لِبَاسَ الْعُرْسِ. فَقَالَ لَهُ: يَا صَاحِبُ، كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ لِبَاسُ الْعُرْسِ؟ فَسَكَتَ. حِينَئِذٍ قَالَ الْمَلِكُ لِلْخُدَّامِ: ارْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ. لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ».

إذن، فهناك تفتيش دقيق وتمييز شخصي من الملك بنفسه، وفحص دقيق في الوجوه والأشخاص واللباس. ولكن السؤال الذي شغل بال كل مَنْ قرأ وشرح هذا المَثَل ما هو لباس العُرس الذي سأل عنه المسيح ذلك الإنسان باعتباره أمراً معروفاً له وللجميع؟ في حين أن الأمر للرسل أن كل مَنْ وجدوه يدعونه إلى العرس، أشراراً وصالحين! إذن هذا اللباس للعرس لا دخل له على الإطلاق بصلاح الشخص أو سيرته الرديَّة، إذ الفحص والتمييز الآن هو بالنسبة للعرس نفسه والعريس الذي يتحتَّم أن يكون لباس العرس لكل مَنْ يقف في حضرته باعتباره أنه يخصُّه هو كتذكرة عليها إمضاؤه: «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح **قد لبستم المسيح**» (غل ٣: ٢٧). وهنا رجعة سريعة لمعنى العرس والعروس، فهنا شركة المسيح مع المؤمنين واتحاده معهم، الذي يتم بالمعمودية التي يعبَّر عنها دائماً بلباس الإنسان الجديد، أو لبس الروح القدس، أو لباس المسيح الذي صنعه المسيح للمؤمن من برِّه الشخصي، وألبسه إيَّاه يوم المعمودية، الذي يعطي صاحبه حق الدخول إلى الملكوت مباشرة. فهو لباس البر الذي ألبسه لنا المسيح بنفسه بقيامته من الأموات في المعمودية، فهو ختم المسيح وصورته، فهو لا علاقة له بالأعمال والسلوك إطلاقاً، لأنه برّ مجَّاني ممنوح من الآب مجاناً

لكل مَنْ يؤمن بابنه. فاللباس ليس له ثمن، بل مُهدى من الملك نفسه وهو من صنع يديه وتعب نفسه ودم صليبه، لذلك كل مَنْ يلبسه يدخل العرس بلا قيد ولا شرط. هنا وضح المعنى جداً، فالإنسان هذا الذي ليس عليه ثياب العرس ليس حائزاً على معمودية الإيمان ولا بر المسيح الجاني وبالتالي شركة المسيح. ومعروف أن «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية (ملكوت) والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله (الذي يقع على آدم وذريته تلقائياً بدون المسيح).» (يو ٣:٣٦)

أمَّا السؤال الذي يتبادر الآن لذهن القارئ فهو: هل كل مَنْ يعتمد مؤمناً بالمسيح وموته وقيامته يخلص؟ الجواب على هذا واضح وصريح "نعم"! ولكن السؤال الذي يحرج هذا "الجواب بنعم" هو: وهل الذي يسيء إلى الإيمان بسلوك مشين يخلص؟ هنا أيضاً الجواب واضح وصريح: إذا اعترف وتاب غُفرت خطيته ويدخل (١يو ١:٩). والسؤال الأخير: وإذا لم يعترف ويتب؟ الجواب: يؤدَّب.

أمَّا قول المسيح بخصوص الذي ليس عليه لباس العرس: «اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان»، فهي المقولة التي تعبِّر عن الحرمان من النور الأبدي والطرح خارج الملكوت حيث الحزن والندم.

ولأن «كثيرين يُدعون وقليلين يُنتخبون» فهذه تصوِّر الدعوة الآن «كثيرون يُدعون» وفي الدينونة في النهاية «قليلون يُنتخبون».

جزية قيصر

[٢٢:١٥-٢٢]

(مر ١٢: ١٣-١٧)،
(لو ٢٠: ٢٠-٢٦)

٢٢:١٥-٢٢ «حِينَئِذٍ ذَهَبَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ. فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ تَلاَمِيذَهُمْ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَتُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ بِالْحَقِّ، وَلاَ تُبَالِي بِأَحَدٍ، لأَنَّكَ لاَ تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ. فَقُلْ لَنَا مَاذَا تَظُنُّ؟ أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟ فَعَلِمَ يَسُوعُ خُبْثَهُمْ وَقَالَ: لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي يَا مُرَاؤُونَ؟ أَرُونِي مُعَامَلَةَ الْجِزْيَةِ. فَقَدَّمُوا لَهُ دِينَاراً. فَقَالَ لَهُمْ: لِمَنْ هذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟ قَالُوا لَهُ: لِقَيْصَرَ. فَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوا إِذاً مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ. فَلَمَّا سَمِعُوا تَعَجَّبُوا وَتَرَكُوهُ وَمَضَوْا».

هذا إجراء سريع للحصول على شكاية ضد المسيح تُقدَّم لبيلاطس. إذن، فالسنهدرين بدأ يرتِّب أوراقه. لا يزال المسيح داخل الهيكل. ومن خلال أسئلة الفريسيِّين وأعدائهم الصدوقيين الذين اجتمعوا معاً ليجرِّبوا المسيح بخبث، انطلقت من فم المسيح حكمة كالنور، تكشف الفارق الهائل بين مستوى هؤلاء المُعتَبرين حكماء إسرائيل وبين حكمة المسيح الفائقة الوصف. كانوا قد قصدوا أن يحصلوا على شكاية ضدَّه يأخذونها من فمه للإيقاع به ضد سياسة قيصر وحكمه. ولكن الواضح أمامنا من جهة تحليلنا للموقف الحيادي، نلاحظ أن هؤلاء القوم الذين اجتمعوا معاً: كتبة وصدوقيين، بالرغم من ادعائهم المعرفة والحكمة كانوا ـ وبعد هذه السنين ـ على جهل مُطْبِق بالمسيح وقدراته الذهنية الفذَّة، لأنها مسنودة بنعمة فائقة القدر، فكيف يأتون بهذا السؤال الساذج للإيقاع به؟

هنا المستوى الذهني والبصيرة والرجولة الفكرية منحطَّة للغاية إذا وُزنت بما للمسيح، إذ كان على معرفة جيدة ودراية بكل أفكارهم وتصوراتهم وتدبيراتهم الخبيثة التي يُحيكُونها في الظلام، ثم يَظْهَرون أمامه كأبرياء، وهم كما وصفهم، حيَّات وأفاعي! وهذه اللفتة واضحة حينما نظر إلى وجوههم وقال لهم: «**لماذا تجربونني يا مراؤون**»، هنا كشف ليس خبث سؤالهم فقط بل خبث شخصياتهم. ولمَّا حاولوا بالرياء ممزوجاً بالخبث مدحه وإطراءه كَمَنْ «يعلِّم طريق الله»، و«لا يبالي بأحد» و«لا ينظر إلى وجوه الناس» ظنُّوا أنهم قد اخترقوا هيبة شخصيته، ولكن وقبل أن يتلقوا الرد فضحهم أمام أنفسهم، إذ كشف الخطة والفخ بكلمة واحدة: «لماذا تجرِّبونني يا مراؤون». وهكذا أثبت عن جدارة أنه يعلِّم طريق الحق!!

أمَّا سؤالهم في جواز إعطائهم الجزية لقيصر من عدمه، فمردود عليه أنهم يعطون بالفعل، ولا وسيلة للتهرُّب من هذا الحق الذي يطالب به الرومان بتهديد السيف، فهل وجدوا المسيح يحمل سيفاً أقوى من سيف الرومان؟ أو أنه ينادي بالمقاومة. ولكن كيف يقول المسيح لا يجوز وهو لا يحمل مؤهِّلات القوة العسكرية ولا السياسية. فالخطة تكشف عن عقلية هزيلة، أوقعها جهلها في سوء ضميرها، ليعطي المسيحُ درساً للعالم أجمع في ضرورة وحتمية فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية من ناحية، وعدم جواز تسلُّح السلطة الدينية بالمقاومة أو التهديد أو الحرب.

ولكن في قول المسيح: «أعطوا ما لقيصر لقيصر»، لم يكتف المسيح بهذا الحكم، بل يتحتَّم عليهم بآن واحد أن يعطوا لله حقوقه، وهو الجزء الغائب من حياتهم، حيث حقوق الله "أو ما لله" ليس ذهباً وفضة بل الحياة والسلوك، وحتى ما لقيصر فهو لله. فقيصر لا يقف بموازاة الله بالنسبة



رؤساء الكهنة حنَّان وقيافا



«وأمّا أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل.» (يو ١٠:١٠)

لليهودي آنذاك، بل له الجزء الأقل جداً بالنسبة لما هو لله. أمَّا ما هو لقيصر فهو إضطراري كمسئولية عابرة تؤدَّى، أمَّا الخضوع الكلي والطاعة الكلية التي بمنتهى حرية الفكر والقلب والضمير فهي لله وليست كمسئولية، بل كمسرَّة قلب وفرحة نفس وتهليل روح. فعرش قيصر هو من تحت عرش الله، ونحن من أجل خضوعنا لله نخضع لقيصر أو للحكومة، ومن أجل توقيرنا لله نكرِّم قيصر أو الحكومة، لأن من خيرات الله نعطي الجزية لقيصر أو الضريبة للحكومة. وهكذا يكون سر ولائنا وأمانتنا وحبنا للملك أو الرئيس أو رجال الدولة هو ولاؤنا وأمانتنا وحبنا لله.

في القيامة لِمَنْ تكون زوجة؟

[٢٢: ٢٣-٣٣]

(مر ١٢: ١٨-٢٧)،
(لو ٢٠: ٢٧-٤٠)

٢٢: ٢٣-٣٣ «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ جَاءَ إِلَيْهِ صَدُّوقِيُّونَ، الَّذِينَ يَقُولُونَ لَيْسَ قِيَامَةٌ، فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ، قَالَ مُوسَى: إِنْ مَاتَ أَحَدٌ وَلَيْسَ لَهُ أَوْلاَدٌ، يَتَزَوَّجْ أَخُوهُ بِامْرَأَتِهِ وَيُقِمْ نَسْلاً لأَخِيهِ. فَكَانَ عِنْدَنَا سَبْعَةُ إِخْوَةٍ، وَتَزَوَّجَ الأَوَّلُ وَمَاتَ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَسْلٌ تَرَكَ امْرَأَتَهُ لأَخِيهِ. وَكَذلِكَ الثَّانِي وَالثَّالِثُ إِلَى السَّبْعَةِ. وَآخِرَ الْكُلِّ مَاتَتِ الْمَرْأَةُ أَيْضاً. فَفِي الْقِيَامَةِ لِمَنْ مِنَ السَّبْعَةِ تَكُونُ زَوْجَةً؟ فَإِنَّهَا كَانَتْ لِلْجَمِيعِ! فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللهِ. لأَنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةِ اللهِ فِي السَّمَاءِ. وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ، أَفَمَا قَرَأْتُمْ مَا قِيلَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ الْقَائِلِ: أَنَا إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ. لَيْسَ اللهُ إِلهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلهُ أَحْيَاءٍ. فَلَمَّا سَمِعَ الْجُمُوعُ بُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ».

الصدوقيون هم نسل صادوق الكاهن أيام داود وسليمان، وهم محترفو الكهنوت، وهم من طبقة الأغنياء الأرستقراط في إسرائيل الذين لا يؤمنون بالقيامة ولا بالأرواح أو الملائكة ولا الحياة الأبدية. ويعتقدون أن الروح تفنى مع الجسد. وكانوا مُعتَبَرين أنهم طبقة دنيوية يعيشون ليومهم. وسؤالهم الذي جاءوا من أجله هو من صميم عقائدهم وحدهم، لذلك لم يأتِ معهم الفريسيُّون لأنهم يؤمنون بالقيامة والروح والملائكة والحياة الأبدية.

وواضح من قول الآية: «في ذلك اليوم» أنهم جاءوا بعد حملة رؤساء الكهنة والفريسيين. وهو يوم الثلاثاء بعد أحد السعف. وبدأ الصدوقيون سؤالهم بالتمسُّك بكلام موسى، لأنهم يوقرون الخمسة أسفار الأُولى دون باقي الأسفار. والآن يتمسَّكون بالآية التي جاءت في سفر التثنية (٢٥:٥) بخصوص أنه إذا مات أخ و لم يترك نسلاً "ذكراً" يحل لأخيه أن يتزوَّج بامرأته ليقيم نسلاً لأخيه. والحكمة في ذلك أن لا يضيع حق الرحل الإسرائيلي في الميراث الأرضي، وأيضاً بالأكثر أهمية أن يُحفظ النسل من الضياع فربما يأتي منه المسيَّا!! وقد ألَّف هؤلاء الصدوقيون هذه القصة عن السبعة أخوة الذين ماتوا دون أن يتركوا نسلاً، ثم اتخذوها قضية ليسخروا بها في حق موضوع القيامة والحياة فوق. فكان سؤالهم: فلمَنْ تكون زوجة وقد صارت لهم جميعاً؟ وابتدأ المسيح يَرُدُّ عليهم برفق و لم يعنِّفهم كما عنَّف الفريسيين، لأن سؤالهم كان نابعاً من إيمان خاطئ بسبب معرفة خاطئة بالتوارة. فالصعوبة في فهم هذه القضية جاءت عندهم ليس عن خبث ولا رياء بل عن جهل. لذلك بدأ ردَّه بالعودة إلى الأسفار التي يتمسَّكون بها، وعلَّق أنهم يضلُّون بسبب عدم معرفتهم للكتب، والأخطر من ذلك جهلهم «بقوة الله». لأن عدم إيمانهم بالقيامة كان سببه استحالة القيامة فكرياً أو عقلياً. وأسقطوا من حسابهم مدى قوة الله التي تفوق العقل، لأن العقل والذهن يدرك الجسديات فقط، والإنسان أصلاً روح في جسد، والروح هي الأساس للشخصية ودوامها وليس الجسد. فالعقل يتحكَّم في أمور الجسد ويستحيل أن يتعرَّف على أمور الروح التي لا تخص الجسد، إلاَّ بالإيمان. وأساس الإيمان هو الإيمان بقوة الله لتدبير كل شئون الروح التي لا يقوى على معرفتها العقل. والروح هي خليقة روحانية من الله مباشرةً ومآلها الذهاب إليه. ففي القيامة لا توجد أجساد قابلة للزواج، بل أجساد روحانية (١كو ١٥:٤٤) عابدة كالملائكة لا تتزوَّج. وبذلك صار سؤالهم ليس بذي معنى ولا وجود. وهكذا أنهى المسيح على سؤالهم وعلى خطأ إيمانهم. ولكن عاد يؤسِّس في ذهنهم مفهوماً حقيقياً عن وجود حياة فوق الحياة الطبيعية، وهي نفسها حياة الله التي يُدعَوْن إليها. فالقيامة هي لحياة فائقة عن الحياة الطبيعية.

كذلك فالقيامة ليست بذات الأجساد التي ماتت بل بأجساد جديدة روحية مطابقة بكل دقة للأجساد الأُولى، ولكن من طبيعة روحانية غير خاضعة للجاذبية الأرضية **ولا للحواس** «لا يزوِّجون ولا يتزوَّجون»، «لأن كُلَّكُم الذين اعتمدتُم بالمسيح قد لبستُم المسيح. ليس يهوديٌّ ولا يونانيٌّ، ليس عبدٌ ولا حرٌّ، ليس ذكرٌ وأُنثى لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع» (غل ٣: ٢٧-٢٩). فليس هناك زواج ولا ثنائية من أي نوع بل فردية منجمعة في المسيح ككل. فلا وجود فوق بدون

المسيح، وهذا ما شرحه ق. بولس: «لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمةِ، لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كاملٍ. **إلى قياس قامة ملء المسيح**» (أف ٤: ١٢و١٣). كذلك فالحياة فوق ليست استمراراً للحياة على الأرض من أي نوع، كما قال ق. بولس أيضاً: «يا غبيُّ! الذي تزرعه لا يحيا إن لم يمت. والذي تزرعه، لست تزرع الجسم الذي سوف يصير، بل حبَّةً مجرَّدةً، ربما من حنطةٍ أو أحد البواقي. ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد. ولكل واحد من البذور جسمه ... يُزرع جسماً حيوانيًّا ويُقام جسماً روحانيًّا.» (١كو ١٥: ٣٦-٤٤)

والسر في ضرورة الزواج هنا لأن كل إنسان يموت فلا بد من أن يتزوَّج ليحفظ الجنس البشري من الانقراض. ولكن فوق لا يموتون لذلك لا يصبح للزواج سبب ولا إمكانية، كالملائكة لأنهم لا يموتون فهم لا يتزوَّجون.

أمَّا علاقة الإنسان بالله فتزداد فوق وتمتد، فالله دُعي في التوراة إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، فلمَّا ماتوا ذهبوا إلى فوق بكل شخصياتهم المحبوبة عند الله، فظل الله يُدعى إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. لأنه ليس هو إله أموات بعد بل إله أحياء. هكذا أثبت المسيح للصدوقيين من توراتهم التي يتعلَّقون بها أنه توجد حياة فوق وعلاقة بالله دائمة. وهكذا فاتت عليهم معرفة هذه الحقيقة عن الحياة فوق لأنهم لم يقبلوا الإيمان بقوة الله الفائقة والقادرة أن تقيم من الأموات أجساداً جديدة روحانية. والإنسان الذي يفقد الإيمان والعقيدة الراسخة والإحساس بالحياة الآتية يفقد سبب ومعنى وقوة وجمال الحياة الحاضرة. أمَّا قول ق. متى إنهم لمَّا سمعوا ذلك بُهتوا من تعليمه، فهذا يعني أنهم وصلوا إلى حل لسؤالهم.

أية وصية هي العظمى؟

[٢٢: ٣٤-٤٠]

(مر ١٢: ٢٨-٣٤)،
(لو ١٠: ٢٥-٢٨)

٢٢: ٣٤-٤٠ «أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا أَنَّهُ أَبْكَمَ الصَّدُّوقِيِّينَ اجْتَمَعُوا مَعاً، وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ نَامُوسِيٌّ، لِيُجَرِّبَهُ قَائِلاً: يَا مُعَلِّمُ، أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ».

وعاد الفريسيُّون يجرِّبون حظهم في الإيقاع بالمسيح في شئونهم الناموسية. ورتَّبوا السؤال وراء السؤال، ولكن لم يجدوا فرصة إذ أفحمهم المسيح أيضاً من بدء الأمر. والذي تقدَّم بالسؤال هو ما يسمَّى عندنا دكتور محامي في الناموس أي القانون، وقد أسماه ق. متى νομικός اختصاصي قانون.

أمَّا السؤال: أية وصية هي العظمى في الناموس، فلا يعني ما هي الوصية العظمى، لأن كلمة "أيَّة ποία" تفيد النوع. والمعنى يكون: ما الذي يجعل، أو ما نوع الوصية لتكون هي العظمى في الناموس. ذلك لأن النقاش بين الناموسيين المتخصِّصين في الناموس كان حول فحص الوصايا على أساس النوع. لأن الوصايا كان عددها عندهم ٦١٣ وصية منها ٢٤٨ وصية إيجابية + ٣٦٥ سلبية. ومعنى: أية وصية هي العظمى عندهم، هو: ما الذي يجعل الوصية أعظم، ثم الأعظم، أو التي يترتَّب عليها درجات العظمة. فأجاب المسيح إجابة شافية على مستوى أبحاثهم ونقاشهم، فقال لهم الوصية: تُحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك، هذه هي الوصية الأُولى والعظمى التي يترتَّب عليها بعد ذلك درجات الوصايا كلها، والثانية في الترتيب مثلها في النوع: تحب قريبك كنفسك. ثم بهاتين الوصيتين تتعلَّق بقية الوصايا جميعاً في تدرجها وتبويبها. أمَّا شرحها فهو أجمل:

هذا يعني أن "المحبة" هي النوع، ومحبة الله هي قمة المدرَّج في "الوصايا العظمى"، ومحبة الله من **كل** القلب، ومن **كل** النفس، ومن **كل** الفكر تعطي كمال هذه المحبة. وق. بولس وضعها

باختصار: «الإيمان والرجاء والمحبة ... ولكن أعظمهن المحبة» (١كو ١٣:١٣). هذه المحبة هي الخاصة بالله وحده ومن كل كيان الإنسان. فالقلب هو مركز الأحاسيس والمشاعر والعواطف جميعاً، والنفس مركز الإرادة، والفكر مركز التصوُّر، والمعنى أن الإنسان عليه أن يحب بكل كيانه: "كل".

أمَّا محبة القريب كالنفس فهي المحك العملي المنظور والمحسوس لصدق محبة الله من كل الكيان. فهذا الكيان الكلي نفسه يلزم أن يكون حاضراً في محبة القريب، لسبب عظيم للغاية هو لكي يكون للمؤمنين كيان واحد أمام الله، تمهيداً لاتحاد المسيح بالبشرية ككل.

وعاد وأكمل المسيح للناموس كل ما يتمنَّاه من جهة علاقة الناموس بالأنبياء، في أن بهذه الآية المحورية لمحبة الله والقريب يتعلَّق الناموس كله ثم الأنبياء، بمعنى كل ما يطلبه الله. ثم بهذه الإجابة كشف المسيح درايته بالناموس كإله وكواضع الناموس ومكمِّله!! «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥:١٣) - ولكنه هو نفسه وضعها من أجل الخطاة، من أجل كل إنسان! أمَّا علاقة الوصية العظمى بالثانية التي مثلها، فهي لأن محبة الله عماد الأخلاق والسلوك. فكما يقول ق. يوحنا أن «بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة. وأمَّا مَنْ كانت له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه؟ يا أولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق.» (١يو ٣: ١٦-١٨)

ونظر المسيح الفريسيِّين وكأنهم أكملوا فخاخهم، فسألهم:

ماذا تظنون في المسيح ابن مَنْ هو؟

[٢٢: ٤١-٤٦]

(مر ١٢: ٣٥-٣٧)،
(لو ٢٠: ٤١-٤٤)

٢٢: ٤١-٤٦ «وَفِيمَا كَانَ الْفَرِّيسِيُّونَ مُجْتَمِعِينَ سَأَلَهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً: مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟ قَالُوا لَهُ: ابْنُ دَاوُدَ. قَالَ لَهُمْ: فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبّاً قَائِلاً: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ؟ فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ

يَدْعُوهُ رَبًّا، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يُجِيبَهُ بِكَلِمَةٍ. وَمِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَسْأَلَهُ بَتَّةً».

هنا المسيح يعالج أكبر مشكلة واجهت الكتبة والفريسيِّين في معرفتهم للمسيَّا القادم. وهي المشكلة التي جعلتهم لا يتعرَّفون على المسيح بالرغم من كل ما عمله المسيح كما جاء في جميع النبوَّات. فالفكرة الوحيدة التي كانت مسيطرة على كل رؤساء اليهود والمنتظرين خلاصاً سياسياً، هي أن المسيَّا القادم سيأتي بقوة أرضية وسلطان يفوق كل القوى المعادية لإسرائيل، ويضرب بعصا من حديد ويحطِّم أُمماً وملوكاً من أجلهم. وهنا وفي آخر فرصة للمسيح على الأرض، يتكلَّم مع الفريسيِّين كلاماً وديًّا، ليُصلح من أفكارهم الخاطئة، ويعطيهم إلهاماً عمَّن هو المسيَّا الحقيقي الذي ينبغي أن يتعرَّفوا على صفاته. فتقدَّم بسؤاله الهادئ: **«ماذا تظنون في المسيح ابن مَنْ هو؟»**، سأل سؤاله وهو يعلم تماماً بالجواب الذي سيجاوبون به إنه **ابن داود**، هذا حسن. ولكن هذا لا يكفي على الإطلاق للتعرُّف على المسيَّا، أن نعتمد على السلسال الجسدي فقط. فبادرهم بالسؤال الذي يتحتَّم عليهم رفع عقلهم مباشرة لتأمل الحقيقة التي وراءه: إذاً فكيف يخاطب داود المسيَّا بالروح وهو ابنه قائلاً عنه: **«قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك»**. فهنا ازدواجية، داود يخاطب المسيَّا أنه **ربُّه** مع أن **المسيَّا** بحسب النبوَّات هو **ابنه**: فكيف يكون المسيَّا ابن داود **ورب** داود بآن واحد إلاَّ إذا كان ابناً من جهة الجسد وربًّا من جهة الروح؟ **فإن كان داود يدعوه ربًّا فكيف يكون ابنه؟** إذن، فهو ابن داود بالجسد ولكنه رب داود بالروح!! هذا المجال للتأمُّل الصامت وليس مجالاً للكلام والرد على الإطلاق. فماذا يقولون؟ المسيح لم ينتظر منهم ردًّا لأن الرد الصحيح لا بد أن يكون عن استعلان الحقيقة وهي أمامهم واضحة ومنطوقة، وإلاَّ فليسألوه مرَّة أخرى عن الإجابة، وكان على استعداد للإعلان، ولكنهم أخفقوا أن يلتقطوا من كلام المسيح الحقيقة. لماذا؟ لأنهم أضمروا الشرَّ به، أضمروا قتله واتفقوا وخطَّطوا وانتهوا!!!

ولكن المسيح كان بهذا السؤال رائعاً حقًّا، فلم ينكر نفسه إلى النهاية وإلاَّ يُحسب منه تقصيراً، وحاشا. وها هو يقول صراحة: أنا مولود من نسل داود بحسب الجسد فأنا ابنه حقًّا، ولكني أنا جئت من الآب فأنا الابن الرب بالحقيقة كما رآني داود، ونزلت لألبس هذا الجسد وأُوحد به بينكم، وأُذبح به على يديكم!!

الأصحاح الثالث والعشرون

الجزء الأول من الحديث الخامس الكبير

أخطاء الكتبة والفريسيين

- المقدّمة (٢٣: ١ – ٣)
- وصف خطايا الكتبة والفريسيين (٢٣:٤– ١٢)
- الويلات السبعة (٢٣: ١٣–٣٦)
- بكاء المسيح على أورشليم (٢٣: ٣٧–٣٩)

تمهيد

قدَّم القديس متى في الأصحاحات السالفة المسيحَ كمعلِّم للحق وفاتح طريق وباب ملكوت السموات، وفي الأصحاح الثالث والعشرين يبدأ المسيح يأخذ عمله كديَّان.

يمتلئ الجزء الأول من الإنجيل بالتطويبات والوعد بالبركات، وهنا يبدأ يعطي الويلات للذين رفضوا التعليم بالتطويبات، كما يركِّز المسيح الدينونة على الفريسيِّين والفريسيَّة بروحها التي عزلت الشعب عن مخلِّصه وفاديه، وحرمت الأُمة من مصيرها في التجديد وميراث ملكوت السموات.

لذلك قبل أن ينهي المسيح رسالته كان يتحتَّم أن يكشف الغطاء عن التعليم الكاذب والمعلمين الكذبة، **ليسلِّم الوديعة محفوظة في الإنجيل لأيدي تعيش وتعلِّم بحق الإنجيل.** لأن المسيح بذلك يسلِّم للكنيسة الجديدة الخلاص خلواً من عوائق لتعيش وتعلِّم به. ويضع أمامها الطوبى للالتزام بالتعليم حسب الإنجيل، والويل إن هي انحرفت نحو الفريسيَّة من جديد لتغلق الملكوت المفتوح وتعرِّج الطريق المستقيم. لأن روح النقمة صبَّها المسيح على الكتبة معلِّمي الناموس الذين علَّموا تعاليم انتهت بغلق الملكوت على أنفسهم أولاً، ومنعت الداخلين من الدخول: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيُّون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدَّام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون.» (مت ٢٣:١٣)

وهكذا أنهى المسيح تعاليمه الإيجابية كلها بهذه التعاليم التي تكشف مواطن الزلل حتى تحترس منها الكنيسة.

ينقسم هذا الحديث الطويل إلى ثلاثة أقسام بعد أن يبدأه بمقدِّمة قصيرة (١-٣) تحمل التوجيه بأن يطيع الشعب الكتبة والفريسيِّين في كل ما يعلِّمونه ويشرحونه من وصايا موسى، ولكن يحذِّر تلاميذه والشعب أن لا ينقادوا إلى سيرتهم وأعمالهم لأنهم لا يعملون بحسب ما يعلِّمون.

أمَّا الثلاثة أقسام فهي:

(أ) القسم الأول: وصف خطايا الكتبة والفريسيِّين (٣-١٢).

(ب) القسم الثاني: السبعة ويلات التي صبَّها المسيح على الكتبة والفريسيِّين (١٣-٣٦).

(ج) القسم الثالث: بكاء المسيح على أُورشليم (٣٧-٣٩)

وفي القسم الأول يبيِّن المسيح كيف أن هؤلاء الحفظة للقانون الموسوي (الناموس):

١ - قد قصَّروا في إخلاصهم في تعليم الشعب إذ وضعوا على ظهورهم أحمالاً ثقيلة من التعاليم

والتحذيرات والتخريجات، ولم يحاولوا أن يساعدوا الشعب في تحمُّلها لا بالمثال ولا بالشرح.

٢ ـ لم يراعوا إمكانيات الشعب واحتماله، ففقدوا الإحساس بمرارة الشعب إذ لم يحاولوا أن يخفِّفوا عنهم أثقالهم.

٣ ـ كانت أعمالهم كلها للظهور والتفاخر لإقناع الشعب عن غير صدق ببرِّهم الشخصي وتقواهم الصورية. يعرِّضون العصائب ويطيلون أهداب الثياب ويحبون المتكآت الأُولى وأن يدعوهم الناس سيِّدي سيِّدي. وحذَّر تلاميذه من هذه الكبرياء المفتعلة على حساب الدين.

والقسم الثاني يشمل السبعة ويلات التي صبَّها المسيح على الكتبة والفريسيِّين لأنهم:

١ ـ أغلقوا ملكوت السموات أمام الناس فلا دخلوا هم ولا جعلوا الداخلين يدخلون.

٢ ـ يجرون ليكسبوا الدخلاء، ولكن بقدوتهم السيِّئة يجعلونهم أردأ منهم.

٣ ـ جعلوا الحلفان بالذهب أكرم من الحلفان بالهيكل!! والقربان أكرم من المذبح. وهكذا أهانوا الهيكل والمذبح.

٤ ـ تركوا العدل والرحمة والحق وانشغلوا بأخذ العشور على الكزبرة والكمون والشبث باهتمام. يصفُّون عن البعوضة ويبلعون الجمل.

٥ ـ اهتموا بتطهير الكأس والصحفة من الخارج وسرقوا ما بداخلها.

٦ ـ اهتموا جداً بمظاهر الدين ليخفوا العار والجريمة.

٧ ـ زيَّنوا قبور الأنبياء الذين قتلهم آباؤهم للادعاء أنهم أفضل من آبائهم.

وأخيراً عدَّد المسيح دينونتهم وأعدَّها لهم (٣٣-٣٦).

أمَّا البكاء على أُورشليم التي لم تعرف زمان افتقادها فقد جعله ختام العظة وهو قسمها الثالث، ولكن أخطر ما جاء في هذا الحديث المطوَّل هو الوعد بخراب أُورشليم، مع كلمة وداع أنهم لن يروه بعد ذلك إلاَّ في مجيئه الثاني حينما يقولون له مبارك الآتي باسم الرب.

المقـدِّمة

[٢٣: ١-٣]

٢٣: ١-٣ «حِينَئِـذٍ خَـاطَبَ يَسُـوعُ الْجُمُوعَ وَتَلاَمِيـذَهُ قَـائِلاً: عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتَبَـةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ، فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ، وَلكِنْ حَسَبَ أَعْمَـالِهِمْ لاَ تَعْمَلُوا، لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلاَ يَفْعَلُونَ».

هنا نقطة هامة يلزم الانتباه لها أثناء القراءة، فالمعنى يوحي بـأنهم جلسـوا بسـلطان موسـى أو مـن ا لله كمختارين أو معيَّنين. هذا المعنى خاطئ، والمقصود بحسب الكلام كله أنهم **هم الذين أجلسـوا أنفسـهم** على كرسي موسى. فكرسي موسى لا يعطيهم سلطاناً خاصاً، ولكن السلطان الوحيد هـو سلطان الحق الذي في الوصية والتوراة، فهذا هو الذي يُحفظ ويُعمل به، ولكن أعمالهم وسلوكهم يلزم أن لا تدخل في مجال الوصية أو التوراة عموماً، لأنهم لا يعملون بحسب ما يعلّمون. لذلك أصبح من الحتمي التفريـق بـين ما يقولونه من نص الناموس وشرحه والعمل به وحده، وبين ما يعملونه من الذي لهم مـن حيـث حيـاتهم الخاصة وفكرهم الخاص. والمسيح هنا لا ينتقـد كتبـة وفريسـيين معيَّـنين كـأنهم للجيـل الـذي يعيـش فيـه المسيح، ولكن يتكلّم عن وضعهم العام الذي أخذوه من أيام عزرا الكاهن. فالكاتب هو المختـص بشـرح التوراة والذي عليه أن يعلّم الشعب معناها. وفي هذا الوضع ليس شـيء مـا خاطئـاً، ولكـن هـؤلاء تعيَّنـوا بحكم وظيفتهم التي اتخذوها لأنفسهم مهنة لهم، وليسوا معيَّنين من ا لله. أمَّا كلمة كرسي موسـى فهـي لا تحمل معنى التعيين من ا لله أو موسى أو أن هذا يمنحهم سـلطاناً خاصـاً. لأن "كرسـي = Cathedra" لا تفيد أكثر من المكان الذي تذاع منه نصوص التوراة وشرحها. ولكن لا يعطيهم حـق التسـلُّط أو تقديـس الشخصية. فسلطان الكرسي الوحيد هو التوراة والناموس. وهكذا تحتَّـم أن لا يُؤخـذوا كمثـل للتـوراة أو نموذج لتكميل الناموس، لأن أعمالهم تكشف عدم التزامهم بالتعليم الذي يقولونه. فالمسيح يؤكِّد هنا على طاعة الحق الذي في التوراة والناموس. وليس للكاتب أو الفريسي استغلال موقعـه كمعلِّـم "لحـق" التـوراة و"حق" الناموس ليذيع من عنده حقـًّا آخـر غـير حـق التـوراة والنـاموس. والمَثَل لذلـك مـا أقدمـوا عليـه ليؤاخذوا المسيح وتلاميذه أنهم يأكلون الخبز بدون غسل أيديهم، هذا الحق ليس حق التوراة ولا الناموس، ولكن هو فكر الناس تداولوه وأدخلوه على التوراة والناموس، وألزموا به الشعب فأرهقوه إرهاقاً لا يوصف بمثل مئات من هذه التعاليم التي جاءت من عندهم هم، من أفكارهم هم، وليس من التوراة أو الناموس.

لذلك نجد المسيح قد كسر عن قصد كل تقليد للشيوخ لأنه دخيل على الناموس، واعتبره عملاً خارجياً مظهرياً وليس من جوهر الناموس. وهكذا ينبِّه المسيح أن ليس كل ما يقولونه يُعمل ولكن الذي يقوله الناموس ويأمر به هو الذي يُطاع. وهذا هو صميم المعنى من قوله: «جلس الكتبة والفريسيُّون على كرسي موسى (وهنا أَسقطت الترجمة العربية كلمة: "**لذلك** = οὖν") فكل ما قالوه لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه». كلمة "**لذلك**" هنا هي التي أعطت معنى "الكرسي" وهو معنى تعليمي ملزم، ولكن إلزامه يتحتَّم أن يكون من واقع صاحبه وهو "**موسى**". فكرسي موسى يُقال من عليه كلام موسى فقط وتعاليم موسى فقط. وبناءً على مركز موسى تتحتَّم الطاعة ويتحتَّم التنفيذ. إذن، فسلطان الكرسي هو محدود بصحة ودقة تعليم موسى، ولا يُعطي من يجلس عليه أي سلطان شخصي غير سلطان تعليم موسى الحرفي.

فإن كانوا هم الذين أجلسوا أنفسهم على كرسي موسى فلا مانع، ولكن هذا لا يعطيهم السلطان أن يعلِّموا إلاَّ بتعاليم موسى فقط. ومن عندهم لا يُقبل تعليمٌ آخر.

ولكي يدلِّل المسيح على عدم صلاحيتهم أن يعطوا أي تعليم أو شرح آخر غير الناموس المكتوب والمحفوظ ابتدأ يكشف حياتهم الخاصة لكي يُحطِّم ادعاءاتهم بأنهم أبرار بحسب الناموس، أو أن من برِّهم الخاص يعلِّمون.

وفي قول المسيح: «فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه واعملوه»، هذه وصية جديدة للكنيسة بالنسبة لكل مَنْ يعلِّم في كنيسة المسيح، أسقف أو كاهن أو واعظ أو معلِّم من قبل الكنيسة. فقد أوصى المسيح بالطاعة والسماع والتنفيذ دون نقد أو تذمُّر أو مراجعة، لأن الأمر الذي كان غائباً عن الكتبة والفريسيِّين وهو سلطان الله والكلمة بالروح القدس، هذا هيَّأه المسيح للكنيسة. فأصبح التعليم في كنيسة المسيح كأنه من فم المسيح والروح القدس، خاصة بالنسبة للتعليم والشرح والتوجيه لبناء الكنيسة والنفس: «وأمَّا متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلَّم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلَّم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجِّدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم.» (يو ١٦: ١٣و١٤)

لذلك فمشكلة الألقاب التي سينقدها المسيح من أب وسيِّد ومعلِّم، أصبحت هنا في العهد الجديد ليس لها وقع الذاتية والبشرية للكبرياء والانتفاخ، بل تعبيراً عن مصدر التعليم والنعمة والحق: «مَنْ يقبلكم يقبلني ومَنْ يقبلني يقبل الذي أرسلني» (مت ١٠: ٤٠). هنا تبدو الشخصية الكنسية للأسقف أو الكاهن أو الخادم منعدمة، والظاهر والمؤثِّر والفعَّال هو الآب والابن والروح القدس، طالما لا يبرز الخادم ذاته أو يعتد برأيه فوق ما يقوله الإنجيل.

وصف خطايا الكتبة والفريسيِّين

[٢٣: ٤-١٢]

(مر ١٢: ٣٨-٤٠)،
(لو ٢٠: ٤٥-٤٧)

٢٣: ٤ «فَإِنَّهُمْ يَحْزِمُونَ أَحْمَالاً ثَقِيلَةً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَيَضَعُونَهَا عَلَى أَكْتَافِ النَّاسِ، وَهُمْ لاَ يُرِيدُونَ أَنْ يُحَرِّكُوهَا بِإِصْبِعِهِمْ».

المعنى هنا مختفي في الآية ولكن دقيق جداً ومبدع، فالمسيح لا يريد أن يقول إنهم يحمِّلون أحمالاً ثقيلة ولا يريدون أن يساعدوهم في حملها. ولكن الآية تقوم هنا على قطبين: الأول أكتاف الناس، والثاني إصبعهم. الأول يوضع عليه والثاني يحرِّك. فما يضعونه ويثقِّلون به على أكتاف الناس لا يكلِّفون أنفسهم به حتى ولا بحركة أصابعهم. والمعنى أنهم لا يلتزمون إطلاقاً بما يعلِّمون الناس به من تعاليم وتخاريج جعلت حمل الناموس ثقيلاً حقًّا على الناس، ولا يتحمَّلون منه شيئاً على أنفسهم ولا حتى على إصبعهم. وهذا يكشف انعدام الصدق في التعليم وانعدام الإيمان بما يعلِّمون به!! وهذه مصيبة التعليم الذي يستحيل أن يثمر. لذلك يقول النبي: «هلك شعبي من عدم المعرفة.» (هو ٤: ٦)

٢٣: ٥-٧ «وَكُلَّ أَعْمَالِهِمْ يَعْمَلُونَهَا لِكَيْ تَنْظُرَهُمُ النَّاسُ، فَيُعَرِّضُونَ عَصَائِبَهُمْ وَيُعَظِّمُونَ أَهْدَابَ ثِيَابِهِمْ، وَيُحِبُّونَ الْمُتَّكَأَ الأَوَّلَ فِي الْوَلاَئِمِ، وَالْمَجَالِسَ الأُولَى فِي الْمَجَامِعِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ، وَأَنْ يَدْعُوَهُمُ النَّاسُ: سَيِّدِي سَيِّدِي!».

«لكي تنظرهم»: θεαθῆναι
الكلمة اليونانية هي المشتق منها كلمة ثياترو أي مسرح تمثيلي وهي كلمة لاذعة (انظر شرح ٦: ١).

وهنا يبتدئ المسيح (كملك وديَّان) يرصد حركات هؤلاء الكتبة والفريسيِّين التي تكشف نوع حياتهم، فكل أعمالهم لا تُعمل خوفاً من الله أو محبة له وللقريب، أو حتى من أجل الواجب والمجاملة، ولكن لكي تنظرهم الناس. حتى في شئون العبادة.

١ - ويعطي لذلك مَثَل **العصائب**، وهي الأربطة التي يلفونها حول جبهتهم ورأسهم وهي تحمل أكياساً من الجلد داخلها مكتوب مختصر للناموس وتسمَّى Phylacteries وهي مذكورة

كتعليمات من الناموس، وذلك إمعاناً في حفظ واحترام وتبجيل الناموس فوق كل شيء آخر: «وتخبر ابنك في ذلك اليوم قائلاً: من أجل ما صنع إليَّ الرب حين أخرجني من مصر. ويكون لك علامة على يدك (الشمال) وتذكاراً بين عينيك لكي تكون شريعة الرب في فمك، لأنه بيد قوية أخرجك الرب من مصر، فتحفظ هذه الفريضة في وقتها من سنة إلى سنة» (خر ١٣: ٨-١٠، تث ٦: ٤-٩، ١١: ١٨-٢١). وهي تُربط على الجبهة بين العينين، وهذا المكان معروف لدى الروحانيين أنه مركز العين الثالثة التي لها خاصية رؤية السماويات. أمَّا التي على اليد الشمال فلكي إذا طبَّقها على صدره تأتي على موضع القلب مباشرة، وكل ذلك إمعاناً في تذكار وتبجيل الناموس والوصايا. ولكن انقلبت إلى تعويذة للحفظ والحماية من أعمال الشيطان. أمَّا هؤلاء الكتبة والفريسيُّون فصاروا يعرِّضون عصائبهم التي على الجبهة حتى يراها الناس لكي يكرِّموا تقواهم.

٢ - وأيضاً يعظِّمون (يُطيلون) أهداب ثيابهم السفلى. والغرض منها التمادي في تذكار الشريعة. فهي زينة الرجل: «كلِّم بني إسرائيل وقل لهم أن يصنعوا لهم أهداباً في أذيال ثيابهم في أجيالهم، ويجعلوا على هُدب الذيل عصابة (شريط) من أسمانجوني ... فترونها وتذكرون كل وصايا الرب وتعملونها» (عد ١٥: ٣٨و٣٩). فبعد أن كانت أهداباً قصيرة للتذكار صارت وكأنها ذيول تجري خلفهم يرفعها لهم أتباعهم.

٣ - ويحبُّون متكآت الكرامة بين الناس سواء كان في المجامع للصلاة أو الولائم. وقد ذمَّها المسيح كثيراً لأنها داءٌ للمتكبِّرين (لو ١٤: ٨).

٤ - ويطلبون التحيَّات في الأسواق وأن يدعوهم الناس سيِّدي سيِّدي.

وليلاحِظ القارئ أن المسيح يصف الكتبة والفريسيِّين وينتقدهم بملابسهم وأعمالهم وأحوالهم وهم واقفون أمامه وأمام كل الشعب، وهذا في الحقيقة عمل يحتاج إلى شخصية ملك ديَّان لا يقوى عليها نبي.

وهنا لا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن المسيح يُملي ويسجِّل عيوب رجال الدين وخاصة المعلِّمين، حتى تتعلَّم الكنيسة ما هو حق وما هو باطل. فالكلام كان موجَّهاً للرسل كأهم غرض حتى يتسلَّموا الفكر والتعليم والعمل الصحيح، ولا تدخل في الكنيسة هذه الشوائب بل الفضائح التي أنهت على العبادة اليهودية وجعلتها أقل العبادات: **«إن العشَّارين والزواني يسبقونكم (الكتبة والفريسين ورؤساء الكهنة) إلى ملكوت الله»** (مت ٢١: ٣١)، **«ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى**

لأمة تعمل أثماره» (مت ٢١:٤٣). وطبعاً هذه المصائب والكوارث التي حلّت بالهيكل ورجال الدين جميعاً بكل درجاتهم كانت الرد المباشر على السلوك الفاضح الذي ذكره المسيح في مواضع عديدة وكرَّرها هنا ـ نقول: كان سببها كله يرجع إلى عدم التفريق بين ما يحق لله ويحق للإنسان، فلا يجوز للإنسان ما هو حق لله، وأن يغتصب ما لله من كرامة وحقوق وواجبات. وواضح جداً أن هذا كان السبب المباشر لخراب الهيكل والعبادة اليهودية وضياع الأجيال اليهودية حتى اليوم. إنه ثمن باهظ، باهظ جداً.

٢٣:٨ـ١٠ «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ، وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ. وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ. وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ».

واضح أن كلام المسيح هنا مؤسَّس على ما كان يعيشه الكتبة والفريسيون. فهي ألقاب وأسماء كانت تخدم مظاهر العبادة اليهودية التي شجبها المسيح. ولكن الآن والكنيسة تحيا في العمق وتهتم بالجوهر، والإيمان يتحكَّم في حياة الكهنوت والخدَّام، والروح القدس والنعمة هي الفعَّالة، أصبحت هذه الألقاب بالنسبة للكنيسة لا تتعارض مع إيمانها أو جوهرها.

وكما سبق وشرحنا في الآية (٥) أن الشخصية الكنسية، أسقفاً أو كاهناً أو خادماً، لم تعد تعمل لحساب نفسها ولا تقدِّم ذاتها للشعب. بل تستمد اسمها وصوتها وعملها من الله والروح والنعمة: «مَنْ يقبلكم يقبلني ومَنْ يقبلني يقبل الذي أرسلني» (مت ١٠:٤٠). فالآن الذي يكرز يكرز بالمسيح وبقوة الروح القدس: «حسب إنجيل مجد الله المبارك الذي أُؤتمنت أنا عليه. وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قوَّاني أنه حسبني أميناً إذ جعلني للخدمة» (١تي ١: ١١و١٢). وحينما قال بولس الرسول قولته الأبوية السريَّة المذهلة: «يا أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم» (غل ٤:١٩)، فماذا يمكن أن يُدعى إلاَّ أباً صادقاً بالحق هذا الإنسان بولس: «وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس آباء كثيرون لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل» (١كو ٤:١٥). من هنا أتى في الكنيسة لقب أب لأنه يلد أولاداً بالروح، الأمر الذي لا يعرفه ولا سمع به نبي أو قديس أو كاهن أو كاتب أو فرِّيسي. وبالرغم من ذلك فهو لا يمكن أن يكون أباً إلاَّ من تحت أبوَّة الله التي يخدمها بتقديم أولاد جدد له.

والمعلِّم ينقل كلمة المسيح بالروح القدس، فهو يعلِّم بما قال المسيح وعلَّم، وخارجاً عن المسيح لا

يوجد تعليم ولا يُدعى أحدٌ مُعلّماً!

٢٣: ١١و١٢ «وَأَكْبَرُكُمْ يَكُونُ خَادِماً لَكُمْ. فَمَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ، وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ».

هنا الفعل "يتضع" بعد قوله «من يرفع نفسه»، يأتي باليونانية ταπεινωθήσεται بمعنى يُوضع بنزول من رتبته. هنا الكلام فيما يخص هذا الأمر كثير جداً في الإنجيل، وأقواهم ما جاء في الأمثال: «قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح.» (أم ١٦: ١٨)

+ «كذلك أيها الأحداث، اخضعوا للشيوخ، وكونوا جميعاً خاضعينَ بعضكم لبعض، وتسربلوا بالتواضع، لأن الله يقاوم المستكبرين، وأمَّا المتواضعون فيعطيهم نعمةً. فتواضعوا تحت يد الله القويَّة لكي يرفعكم في حينه.» (١بط ٥: ٥و٦)

+ «لأنه هكذا قال العلي المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه، في الموضع المرتفع المقدَّس أسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح لأُحيي روح المتواضعين ولأُحيي قلب المنسحقين.» (إش ٥٧: ١٥)

وفي غيبة التواضع لا يتم خلاص، وفي غيبة التواضع لا يتمجَّد الله: «فأين الافتخار؟ قد انتفى!» (رو ٣: ٢٧). المسيح يضع أمام الكنيسة المجد والهوان، لأيهما تختار!! المجد يكون من عمل اتضاعها والهوان ثمن التعالي. ولكن ليس الآن، لأن الفعلين "يوضع" و"يرفع" في المستقبل المبني للمجهول، لأن الله الديَّان هو الفاعل. فالذي يرفع نفسه لن يضعها له إنسان بل الديَّان، والذي يرفعها ليس بشر بل الذي ارتفع فوق السموات ليملأ الكل.

محاكمة جيل:

الويلات السبعة
أو ما هو حق وما هو باطل في الدين

(لو ١١: ٣٧-٥٢) **[٢٣: ١٣-٣٦]**

حينما بدأ المسيح يعلِّم عن مبادئ الملكوت، قال لتلاميذه: «إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيِّين لن تدخلوا ملكوت السموات» (مت ٥: ٢٠). وها هو الآن يصفِّي حساب برِّ الكتبة والفريسيِّين، وما يقدِّمه المسيح في هذه الآيات هو أصعب وأقسى ما خرج من فمه القدوس ونفسه

الوديعة المتواضعة. ولكن نخطئ أشد الخطأ للمسيح والحق والعدل معاً إذا أهملنا مستوى عواطفه ومشاعره التي بكى بها حالاً على أُورشليم لأنها لم تعرف زمان افتقادها و لم تتعرَّف على عريسها. فبهذه الروح الباكية على أمجاد تليدة راحت وذكريات عزيزة انمحت، بدأ يصف ما استقر عليه نصيب الكتبة والفريسيِّين حكماء إسرائيل. لقد اختاروا النصيب الأردأ والأقل، و لم يعمل المسيح شيئاً إلاَّ أنه ثبَّته عليهم وأعلنه.

فإن بدت قسوة الكلام شديدة ومريرة، فهم الذين حدَّدوا ملامحها وألفاظها بأعمالهم التي عملوها، عن معرفة وعناد ومقاومة، استشعرها كل إنسان قرأ الإنجيل وقرأ التوراة من قبل!! وموقف المسيح من موقف هؤلاء الكتبة والفريسيين، هو موقف البار وصاحب البر الحقيقي من الذين ادَّعوه لأنفسهم غشًّا وخبثاً واستهانة بالله الذي يرى الكل. ولكن يستحيل أن تفوت علينا نبرات المسيح المليئة بالدموع، فهو ينطق بأحكام الويل عن واقع يراه ولكن بنفس حزينة حزن الصليب. فالذي بكى على أُورشليم لأنها لم تعرف زمان افتقادها وأهانت عريسها، هو هو نفسه الذي يحكم الآن على الذين تسبَّبوا في ضياع فرصة افتقادها، والذين أضلُّوا شعبها عن ملكهم وعريسهم، والذين قادوا شيوخها وشبابها في موكب «اصلبه اصلبه». فلا يمكن أن نفصل الدموع التي ذرفها المسيح على أُورشليم عن الدموع الصامتة غير المنظورة التي ذرفها على معلِّمي إسرائيل وقادتها، وعن دموع جثسيماني. والنفس هي النفس حزينة حتى الموت.

لقد حتَّم الواجب على المسيح بعد ثلاث سنين ونصف خدمة بين رؤساء إسرائيل ومعلِّميها ـ أن يعلن حكمه النهائي وتقريره القضائي عن أحوال وسلوك قضاة إسرائيل وحكمائها ومعلِّميها. لأن في هذا شرحاً توضيحياً لماذا كان الصليب أمراً حتمياً!! وكيف استطاع هؤلاء المحسوبون أنهم حفظة أعلى ناموس قضائي في العالم، والمؤتمنون على شريعة عهد الله، أن يُقْدِمُوا على قتل ابن الله المُرسَل لهم من السماء وهم في غاية السعادة واطمئنان النفس أنهم قتلوا إنساناً خاطئاً فاعل شر. وها هي الويلات التي صبَّها المسيح عليهم تحكي لماذا وكيف كان ذلك!؟

وإذا تمعَّن الإنسان في مستوى تعليم المسيح هنا في إنجيل ق. متى الذي افتتح التعليم بالطوبى وشرح ووضَّح وفسَّر، ثم انتهى بالويلات، يدرك فكر المعلِّم والقاضي. فالذي افترى على "الطوبى" وداسها لا يكون هو إلاَّ الذي له الويلات. فلا يُلام بعد من نادى بالويلات لأنه نادى بالطوبى و لم يُسمع له. وهي نفس المعادلة القديمة: «قد جعلت قدَّامك الحياة والموت. البركة واللعنة فاختر الحياة لكي تحيا» (تث ٣٠: ١٩). ولكن إن اختار هو الموت فالويل له لا محالة عن واقع هو اختاره راضياً لنفسه.

وإن كنت أيها القارئ العزيز قادراً أن تضع عظة الطوبى مقابل عظة الويل تجد عجباً. فعلى سبيل المثال قال المسيح: «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات». فإذا جئنا للويلات نجده يقول: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيُّون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدَّام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون». وهكذا نرى أن المسكنة بالروح تورِّث الملكوت، وفي المقابل نجد أن كبرياء الروح تسببت في إغلاق الملكوت، منعت الداخلين وامتنع دخولها. هنا أصبح كشف دور الكتبة والفريسيِّين وتحديد ويلاتهم يمثِّل الجزء المكمِّل لعظة الطوبى. ومن هنا ينفتح وعينا لندرك لماذا وضع هذا القديس صاحب هذا الإنجيل وضع سبعة تطويبات ثم جاء هنا ووضع سبعة ويلات. فكل "ويل" يقابله "طوبى" وكل منهما يتبعها سلوك وأخلاق وسيرة، إمَّا تهيِّئ صاحبها لدخول الملكوت وإمَّا تمنعه لأنه يسد الطريق أمام غيره.

وقد ذكر المسيح هذه الويلات السبعة (أو الثمانية في مقابل الثمانية تطويبات أيضاً) بأحكام قاطعة لا رجعة فيها ودون عودة مرَّة أخرى إليها.

١٣:٢٣ «لكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ!».

«المراؤون»: ὑποκριταί

وقد وصفهم المسيح بأنهم الذين يعملون غير ما يعلِّمون، أو يقولون بغير ما يعتقدون ويؤمنون. ومن هنا ينشأ التعليم المضلِّل لمعلِّم مرائي. والواضح أن تعليم الكتبة والفريسيِّين أبعد الشعب عن معرفة حقيقة المسيح وبذلك منعوا الناس من أن يُقبلوا على تعليم ملكوت الله، فحرموهم من حياتهم الأبدية. وهذا كان راجعاً لأنهم كانوا يخافون على مراكزهم الدينية وسلطتهم. وهذا الرياء عند المعلمين والرؤساء لا يزال أمره واضحاً في كل مجال. والعالم الآن يسير نحو الهاوية، لأن ما من مصدر تعليم أو توجيه في جميع مناحي الحياة إلاَّ ونجد المعلمين والرؤساء والمديرين ومَنْ هم أرفع منهم منصباً، الكل يعمل من أجل منفعته وبقائه دون الالتفات إلى الحق والعدل وخلاص الناس. والمسيح وضع هذا الحكم القاطع لا ليدين الواقع أمامه وحسب، ولكن لكي يردع حركة الرياء في التعليم والتوجيه، بمعنى حرمان كل معلِّم وموجِّه لملكوت الله إن كان يعلِّم بغير حق المسيح والإنجيل، الذي هو وحده قادر أن يوصِّل الناس إلى ملكوت الله *دون أي اعتبار لمصلحة أخرى، أو* أي خوف من أحد. فخلاص المعلِّم والمربِّي والأب الروحي من خلاص مريديه، فإن بلَّغهم الملكوت

بتعليمه بلغ هو، وإن عجز عن أن يوصِّلهم إلى ملكوت الله فلن يصل هو. وإن زيَّف التعليم لمصلحة غير مصلحة الحق أصابه الويل. والويل في عُرف الإنجيل هو المستقبل المظلم والوقوع تحت نقمة الله.

١٤:٢٣ «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ، وَلِعِلَّةٍ تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ».

كلام المسيح هنا من واقع مرّ، فليس للأرملة مَنْ يدافع ويحمي، فالمصيبة العظمى أن يأتيها اللص لابساً ثياب الدين ويدَّعي المعونة والرحمة والرعاية، ثم يغتالها وينهب ما لها ويظن أن ليس مَنْ يرى أو يسمع، ولكن الدينونة تنتظره ليغرَّم إلى الأبد.

١٥:٢٣ «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسَبُوا دَخِيلاً وَاحِداً، وَمَتَى حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ ابْناً لِجَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعَفاً!».

الإرساليات اليهودية كانت نشطة أمام المسيح، ولكن كان الذين يروِّجون للدعاية اليهودية مرائين ليست لهم أغراض مستقيمة، وإمكانياتهم الروحية منعدمة، فكانوا كما يقول المسيح يتعذَّبون عذاباً كبيراً «يطوفون البر والبحر» وفي النهاية يكسبون دخيلاً "بروزوليت" واحداً. وللحزن العظيم بدلاً من أن يجعلوه ابناً لإبراهيم بالحق يلقِّنونه سرَّ ريائهم وتعصُّبهم الأعمى، فيجعلونه بدل أن كان أُمميًّا حرًّا صريحاً، يهوديًّا مرائيًّا. فإن كان في السابق يعمل الشر بجهالة، يعمله الآن عن معرفة، وإن كان في السابق ابناً لجهنَّم يصير داعياً لجهنم، إذ بدل أن لا يعرف الرياء يصير مرائياً أكثر منهم.

وهنا توعية للإرساليات المسيحية حتى لا تقوم على اكتساب الأعداد بل على اكتساب النفوس. وأن تكون القاعدة غيرة من أجل الاسم القدوس وبدفع الروح القدس وليس بدوافع عنصرية أو مادية. وبالنهاية ليمتلئ الملكوت وليس لملء الخانات والأرقام والشهادات ونيل الأموال.

١٦:٢٣و١٧ «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ الْقَائِلُونَ: مَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلكِنْ مَنْ حَلَفَ بِذَهَبِ الْهَيْكَلِ يَلْتَزِمُ! أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ، أَيُّمَا أَعْظَمُ: أَلذَّهَبُ أَمِ الْهَيْكَلُ الَّذِي يُقَدِّسُ الذَّهَبَ؟».

تعليم المسيح السابق في (مت ٥: ٣٤-٣٦)، يوضِّح كيف رفض المسيح الحَلْف رفضاً قاطعاً مانعاً، لا لشيء إلاَّ لأنه لا لزوم للحَلْف في عهد النعمة والحق. حيث يسيطر على الضمير روح الله وهو يكشف الحق ويشهد له داخل الضمير. ويكفي للإنسان أن يكون تحت قيادة ووعي الروح

القدس ليكون كلامه مصدَّقاً ومكرَّماً. ولقد قطع المسيح الطريق على الذين يتحايلون بدل اسم الله بأشياء أخرى كالسماء والأرض ورأس الإنسان، والهيكل والمذبح. إن كل حلف يسيء إلى الله.

وهنا يكشف المسيح مستوى تقدير هؤلاء من واقع النسبة التي بين الهيكل والذهب إذ أنهم قيَّموا الذهب أكثر من الهيكل. وهذا الانفلات الصارخ في تفكيرهم وتقديرهم يذهل العقل. لأن الحَلْف في حد ذاته هو الاستشهاد بالأقدس والأعظم، فكيف يكون الذهب المصدر الأقدس والأعظم من الهيكل؟ أليس وراء هذا التحليل شُبهة صارخة للنفعية والجشع والغرور واحتقار المقدَّسات الحقيقية واختراع مقدَّسات مادية شبه صنمية ترضي ميولهم؟ ألم يكن المسيح صادقاً في تسميتهم بالعميان الجهلاء؟ لأن الحق واضح ولكن يتعامون عنه، والحقيقة صارخة ملموسة ولكن زاغت عقولهم عنها لأنها ممسوكة بالذهب.

٢٣ : ١٨ ـ ٢٠ «وَمَنْ حَلَفَ بِالْمَذْبَحِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلكِنْ مَنْ حَلَفَ بِالْقُرْبَانِ الَّذِي عَلَيْهِ يَلْتَزِمُ! أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ، أَيُّمَا أَعْظَمُ: أَلْقُرْبَانُ أَمِ الْمَذْبَحُ الَّذِي يُقَدِّسُ الْقُرْبَانَ؟ فَإِنَّ مَنْ حَلَفَ بِالْمَذْبَحِ فَقَدْ حَلَفَ بِهِ وَبِكُلِّ مَا عَلَيْهِ».

نفس القياس السابق حيث التفكير ينحط إلى مستوى توقير غير الموقر، فالمقدَّم على المذبح مهما كان قيمته فهو مادي حتى ولو كانت أعز أو أغلى مادة، أمَّا المذبح فهو معيار معنوي عالٍ على مستوي "يد" الله التي تمتد لتقبل القربان والذبيحة. فكيف يكون أن ما تقبض عليه يد الإنسان من القربان المهدى أثمن وأقدس من يد الله التي تحمل القربان. فلو خرجنا عن مستوى ما هو منطقي ولائق نواجه عقلية تعمل على مستوى الخرافة التي يتناقلها كبراؤهم ويسلِّمونها تسليماً أعمى، فأفسدوا ذهن الأُمة وأعموا بصيرتها وركَّزوا إيمان الشعب على الذهب والقربان ليلهوه عن الله والعبادة بالروح.

٢٣ : ٢١و٢٢ «وَمَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَقَدْ حَلَفَ بِهِ وَبِالسَّاكِنِ فِيهِ، وَمَنْ حَلَفَ بِالسَّمَاءِ فَقَدْ حَلَفَ بِعَرْشِ اللهِ وَبِالْجَالِسِ عَلَيْهِ!».

واضح أن نظرية الكتبة والفريسيِّين هي تفريغ المقدَّسات من مضمونها الإلهي، وهي المادية الصارخة والفلسفة العدمية التي تنهي بأفكار الناس وأرواحهم إلى العدم. لأن الذي يقدِّس المادة يقدِّس العدم لأن مآلها إلى التراب، ومَنْ يقدِّس القربان في ذاته كذبيحة أو دقيق فهو يقدِّس التراب

الذي ينتهي إليه. والمسيح هنا في المقابل يجسِّد اللاهوت ويستعلن وجوده وعمله في المقدَّسات. فالذهب ـ وهو المادة الفانية ـ إن احتواه الهيكل أصبح من ضمن المقدَّسات، والقربان العديم القيمة إذا وُضِعَ على المذبح صار مقدَّساً بالرب وله. على أن المادة بحد ذاتها فانية وإلى زوال ولكن إذا ما اقتربت من الله أخذت قداسة من بجاله. وعلى هذه الحقيقة الإلهية تُفهم أسرار الكنيسة: فالماء في المعمودية مادة فانية إن حلَّت فيها كلمة الله واستُدعي الروح ليباركه صار كأنه رحم جديد يولد فيه الإنسان من جديد. والخبز والخمر وهما مادتان ساذجتان إن دُعي عليهما بالاسم (اسم الله) أو (اسم المسيح) وقُدِّم الشكر لله مع طلب التقديس بالحلول، يحل "الكلمة" اللوغس بالروح ويصيِّرهما كالوعد جسداً مقدَّساً له ودماً كريماً لغفران الخطية لكل من يتناول منه وحياة أبدية. فهي مادة ولكن حلول "الكلمة" فيها يحولها إلى قوة إلهية غافرة الخطية ومعطية حياة. وهذا هو صميم التعبير الذي قاله المسيح في هذه الآية: «مَنْ حلف بالهيكل فقد حلف به **وبالساكن فيه** κατοικοῦντι αὐτόν»، أي بالذي جعله منزلاً له. هذا هو الحلول بكل معناه ومبناه. فكما أن الذي يدخل الهيكل يواجه الله ويقف أمامه ويتكلَّم في حضرته، هكذا الخبز والخمر لمَّا يتقدَّسان بالحلول الإلهي بالكلمة والروح، فكل مَنْ يتناولهما يتناول الساكن فيهما أو الحال فيهما «فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (يو ٦:٥٧). هذه هي نعمة الله العُظمى الجديدة أن أعطانا ـ عوض مجرَّد الحضور في حضرته بدخول هيكله الذي كان قديماً ـ أعطانا أن نشترك معه ونتحد به لنيل قوة الحياة الأبدية التي له.

ثم السؤال الخطير الآن: ألا تنظر معي يا قارئي العزيز السرّ في عمى وجهل هؤلاء الكتبة والفريسيِّين وتقديرهم للذهب دون الهيكل، إنه بسبب عدم إيمانهم وإحساسهم بسر وجود الله في هيكله برغم ما سبق ونُصَّ عنه في الكتب. ففي صلاة سليمان النبي بعد أن بنى الهيكل للرب: «إني قد بنيت لك بيت سُكْنى، مكاناً لسكناك إلى الأبد» (١مل ٨:١٣)، وهذا بناءً على طلب داود السابق وردّ الله عليه: «أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبِّت مملكته، **هو يبني بيتاً لاسمي** ...» (٢صم ٧: ١٢و١٣). وهكذا دُعي الهيكل مسكناً للرب وصار واقعاً حيًّا ومصدراً لقوة الملوك والأنبياء والشعب، وملجأً لكل مرّ النفس يذهب إلى الهيكل ويسكب نفسه والرب يسمع من مكان سكناه. وقد وردت كلمة مسكن الرب ومكان سكناه مئات المرَّات كحقيقة على كل لسان في كل صلاة. ولكن أُذن الكتبة والفريسيِّين كلَّت عن سماعها واستهانوا بالهيكل والساكن فيه. وشكراً لله الذي جعلنا هيكله الجديد الذي يسكن فيه: «فإنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله

إني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً.» (٢كو ٦:١٦)

٢٣:٢٣ «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالشِّبِثَّ وَالْكَمُّونَ، وَتَرَكْتُمْ أَثْقَلَ النَّامُوسِ: الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالإِيمَانَ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ».

تعشير المحاصيل مذكور في (لا ٢٧: ٣٠-٣٣، تث ١٤: ٢٢-٢٩) بخصوص المنتجات الزراعية: القمح والخمر والزيت: «عُشر حنطتك وخمرك وزيتك». ولكن أتى الكتبة والفريسيُّون وتمادوا في تصحيح ناموس الرب ليصبح ناموسهم ويصبح ثقلاً على الشعب ليضجّ منه ويكرهون إلهم. ولكن وحتى التمادي في التوافه ممكن أن يكون مقبولاً، وأمَّا أن نهتم بالتوافه ونسقط من حساب الضمير والمسئولية والعبادة الحق والرحمة والإيمان، هذا وضع شاذ للغاية وجدير بمَنْ يروِّجه بأن يربح لنفسه الويل. لقد صدق فيهم موسى ومنذ البدء: «أنهم أُمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأمَّلوا آخرتهم ... لولا أن صخرهم باعهم والرب سلَّمهم» (تث ٣٢: ٢٨و٢٩)، «يا شعباً غبيًّا غير حكيم» (تث ٣٢:٦). وإن هذا السلوك بالذات قد كشف عن كل نوعيات التعاليم ومستويات الشرح والتخريج التي أتاهوا بها الشعب مئات السنين: «قد هلك شعبي من عدم المعرفة.» (هو ٤:٦)

«الحق والرحمة والإيمان»:

هنا جاءت ترجمة كلمة الحق غير دقيقة، فالأصل اليوناني **κρίσιν** أي العدل أو القضاء العادل. ونرى لها صدى في نبوَّة ميخا النبي: «قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح وماذا يطلبه منك الرب. إلاَّ أن تصنع الحقّ وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً (بالإيمان) مع إلهك.» (مي ٦:٨)

ويُلاحِظ القارئ أن المسيح قالها معرَّفة بالألف واللام ليجعلها في وضعها الإلهي كواجب أساسي وثمين. ولكن **"العدل"** في عرف المسيح هو أن تقضي للمسكين وتنصر الأرملة واليتيم وتحابي الضعيف وتحامي عن المظلوم. هذا هو العدل عند الله والمسيح، وليس عدل الإنسان الذي يأخذ من حق الفقير ويضع في جيب الغني، أو يفرض الضريبة على الفقير والمعدم حتى ولو يبيع ما له أو عياله. عدل الله هو الإنصاف، وهو عين المجازاة بالنعمة وليس بالنقمة.

أمَّا الرحمة:

فهي من نصيب المساكين وفقراء الشعب، كذلك فهي تمتد لتحمل معنى الرفق والحنان، وقد

أعطاها المسيح الأولوية في باب الطوبى «طوبى للرحماء لأنهم يرحمون» (مت ٥:٧). والرحمة تشمل الأعمال العظيمة بالنسبة للطبقات المطحونة من الشعب، وتدخل في مسئولية العناية بالمرضى والمصابين والمدمنين وذوي العاهات وغير القادرين على الكفاح من أجل الخبز. والرجل أو المرأة الرحوم هو مَنْ تبنّى قلب الله وفكره وعمل المستحيل لإراحة ضميره تجاه أخيه الإنسان.

أمَّا الإيمان:

فهو الإيمان المبذول على مستوى المحبة والرحمة. فهنا الإيمان هو سكب الثقة با لله في قلب الآخرين وخاصة الذين دخلوا في تجارب مرَّة زعزعت إيمانهم بالله، أو كانوا بعيدين عن الله تائهين في مجاهل الدنيا أو تحت المعاناة من أفكار ومبادئ ضالة تبعدهم عن محبة الله والناس. فالإيمان هو العنصر الغائب دائماً من قلوب اليائسين والبائسين والذين فقدوا هدفهم في الحياة أو وقعوا تحت أيدٍ غير رحيمة. وحينئذ يصبح الإيمان هو هلب النجاة للمركب التي جنحت للغرق، حيث يُمسَك الغريق في يد الله ويسلِّم القلب لرب الحياة، ويصبح الإيمان هو أغنى وأثمن ما يملك الإنسان.

٢٣:٢٤ «**أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ، الَّذِينَ يُصَفُّونَ عَنِ الْبَعُوضَةِ وَيَبْلَعُونَ الْجَمَلَ!**».

«القادة العميان»:

ليس الذين فقدوا البصر بل الذين فقدوا بصيرة الحق والعدل والرحمة، وأخذوا موقف القادة الذين يقودون الشعب في طريق الله وهم في حياتهم أو سلوكهم قد جحدوا الطريق والحق في المسيح بإصرار. أمَّا البعوضة التي يُصفُّون عنها فهي بالكلمة الحاضرة عندهم دائماً ليعملوها ويمثّلوها أمام الناس ليصفّق الناس لمنتهى تدقيقهم في ناموس الله. وأمَّا الجمل الذي يبلعونه فهو الزنا في الخفاء وسلب أموال الفقراء وحقوق الشعب من وراء ظهره. وهكذا يُخفون بالتصفية عن البعوضة جريمة بلع الجمل في ستر. والمسيح لم يأتِ هذا المَثَل من فراغ ولا لجأ لهذا التهويل لمجرَّد التهويل، فهو أحد التعاليم التي عند الربيِّين كما سجَّلها لنا كتاب التلمود: [الذي يقتل ذبابة يوم السبت فهو مدان دينونة من قتل جملاً](١). وقد رأينا مثلاً في تعشير النعنع والشبث والكمون كيف أتقنوه ليخفوا تغاضيهم عن العدل والرحمة والإيمان.

أمَّا تمثيلنا بجريمة الزنا في الخفاء فهي ليست توهماً أو فرضاً، ولكن المسيح كشفها علناً في الامرأة التي أمسكوها في ذات الفعل وأحضروها أمام المسيح، وهم بصدد قتلها رجماً عن غيرة شديدة

(1) Jer. *Shabb.* 107, cited by A. H. Mc`Neile, *op. cit.*, p. 336.

للناموس أمام الناس، وإذ علم المسيح بسريرتهم وما عملوه واقترفوه من هذا النوع قال لهم: «مَنْ كان منكم بلا خطية (الزنا) فليرمها أولاً بحجر» (يو ٨:٧)، وانتظر قليلاً فخرجوا جميعاً من أول شيخ لأصغر كاتب. ولماذا نذهب بعيداً وفي الآية القادمة يصف كأسهم أنه من الخارج يطهِّرونه جيداً وهو من داخل مملوء «اختطافاً، ودعارة» (مت ٢٣:٢٦). إذن، فالمسيح يتكلَّم عن واقع يراه ويعرفه، وحياتهم مكشوفة كلها أمامه. ولكن المصيبة والطامة الكبرى أن نأتي نحن ونأخذ سيرة ومسيرة الكتبة وكأن المسيح هو الذي لا يرى ولا يفهم!

٢٣:٢٥-٢٨ «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوآنِ اخْتِطَافاً وَدَعَارَةً! أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّ الأَعْمَى، نَقِّ أَوَّلاً دَاخِلَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ لِكَيْ يَكُونَ خَارِجُهُمَا أَيْضاً نَقِيًّا. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ قُبُوراً مُبَيَّضَةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً، وَهِيَ مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ. هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً: مِنْ خَارِجٍ تَظْهَرُونَ لِلنَّاسِ أَبْرَاراً، وَلكِنَّكُمْ مِنْ دَاخِلٍ مَشْحُونُونَ رِيَاءً وَإِثْماً».

أصل الوصية في الناموس (لا ١١:٣٣) إذا مسَّ داخل الكأس شيءٌ نجسٌ، ولكن تمادى الفريسيُّون لينقُّوا خارجها بدقة قبل داخلها. والأصل على ما يبدو أنه كان لهم وصية للكهنة بخصوص وضع الخمر المقدَّسة في الكأس، يلزم أن تكون طاهرة بمعنى أنها لم تكن قد استخدمت قبلها لشيء غير الخمر المقدَّس(٢).

«اختطافاً ودعارة»:

ونسمع صدى لهذه الخطايا في عاموس النبي: «هكذا قال الرب. من أجل ذنوب إسرائيل الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه: لأنهم باعوا البار بالفضة ... ويصدُّون سبيل البائسين، ويذهب رجل وأبوه إلى صبيَّة واحدة حتى يدنِّسوا اسم قدسي ... ويشربون خمر المغرَّمين (أي التي اختطفوها) في بيت آلهتهم» (عا ٢: ٦-٨) وهكذا فإن المسيح يكشف عوار ما بداخل سيرة هؤلاء الكتبة والفريسيِّين الذين يخفون أعمالهم عن الشعب بالاعتناء بالفرائض الظاهرة والتدقيق فيها.

والمسيح ينعي كأس القداسة الذي نجَّسوه من الداخل بالخيانة والاختطاف وحياة الانحلال

(2) E. Haenchen, *Der Weg Jesu*, 1968, p. 427, cited by F.D. Bruner, *Matthew, A. Commentary*, Part II, p. 826.

الخلقي. هنا استعراض الحياة السريَّة للكتبة والفريسيِّين التي رمز إليها بداخل الكأس، والكأس هنا يعبِّر عن عمل التقديس. فبالاختطاف والانحلال الخلقي دنسوا بيت الله وسيرة خدَّامه. وتعتبر هذه الآية تفسيراً للآية التي يقول فيها تركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان. وهكذا أسقط الكتبة والفريسيُّون ناموس الحق وملأوا كؤوسهم من الاغتصاب والاختطاف، وبآن واحد يظهرون من الخارج أبرياءَ وأبراراً وأتقياء!!

ولهؤلاء يقول المسيح: «نقِّ أولاً داخل الكأس والصحفة ليكون خارجهما أيضاً نقياً». والمعنى شديد الوضوح، طهِّروا ضمائركم من الأعمال الميتة: «الذين إذ هم قد فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع.» (أف ٤:١٩).

«القبور المبيَّضة»:

تظهر من خارج جميلة ولكن يجزع الإنسان لو تصوَّر ما بداخلها. هنا المسيح يقارن الكأس النظيف من خارج ومملوء من الداخل اختطافاً ونجاسة بمنظر آخر أشد قرفاً للنفس وإثارة وانزعاجاً للمشاعر الحسَّاسة. وهكذا لم يكتفِ المسيح بالكأس والصحفة، فزاد عليها بالقبر المزيَّن من خارج وداخله عظام ونجاسة. ويعلِّق على هذا المَثَل ق. يوحنا ذهبي الفم فيقول:

[وإن كان هناك طرق عديدة للتطهير والتجميل من الخارج، ولكن بالنسبة للنفس البشرية ليس لها إلاَّ واحدة. فإذا نظر الإنسان إلى داخل ضميره هناك يرى الدود بأنواعه والنجاسة ... ورائحة كريهة فوق التصوُّر وشهوات غير معقولة وشريرة والتي هي أكثر نجاسة من الدود.](٣)

والمسيح يتهم هؤلاء الغيورين جداً على الناموس بأنهم أكثر الناس ثورة ضد الناموس وامتهاناً له(٤).

«مشحونون رياءً وإثماً»:

الإثم هنا ἀνομίας تعني الإنحطاط الخلقي = Lawlessness iniquity، بلا ناموس. وهي تفيد وكأنها رسالة لهم لأنهم يمسخون الناموس في حياتهم الخاصة بالرغم من مظاهر الغيرة وتتميم الواجبات بالنسبة لكل دقائق الناموس. ويقول أحد الشرَّاح إن التهرُّب من وصايا وتعاليم المسيح في الحياة الخاصة لبعض المعلِّمين تسير جنباً إلى جنب مع الغيرة والاهتمام بالإنجيل، كاليد داخل القفاز (الجونتي)، وطبعاً اليد نجسة والقفاز مطهَّر جداً!!

---

(3) Chrysostom, *op. cit.*, Hom. 73,2; NPNF, 1st ser. Vol. X, p. 442.

(4) A. H. M'Neile, *op. cit.*, p. 338.

ويصف بعض علماء اليهود حالة اليهود قبل خراب أُورشليم، بأن أُورشليم كانت مضروبة برذيلتين: محبة المال والعداوة!!

«أولاد قتلة الأنبياء»: (٢٣: ٢٩-٣٦)

المسيح هنا يحمِّل إسرائيل - ككيان واحد بشخصيتها المتماسكة عبر العصور، وقيادة كتبتها وفريسيها ومعلِّميها - يمثِّلها أفراد هذا الجيل الذي عاش فيه المسيح واختبره جيداً، والذين رفضوا المسيح ورسله وصلبوه، - يحمِّلهم كامل المسئولية لرفض جميع الأنبياء والمُرسَلين في الماضي. وذلك بمنتهى الوضوح والصراحة كاتهام مؤبَّد: «فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم»!!

فهؤلاء الكتبة والفريسيُّون ورؤساء الكهنة قادة الشعب بينما هم يكرِّمون أنبياء الماضي بغيرة وحماس ظاهر، نجدهم يقتلون ويضطهدون أنبياء ورسل الحاضر. يوقِّرون ذكرى الأنبياء توقيراً فائقاً ويرفضون نبوَّاتهم بآن واحد. عندما مات إبراهيم وإسحق ويعقوب، ومن بعدهم الآباء والأنبياء، دخلوا في كيان تاريخ الأُمة وميراثها التقليدي، فالذي يمسّهم كأنه يمس اليهود جملة وأفراداً. ولكن مَنْ الذي قتل الأنبياء ورجم المُرسَلين؟ أليست هي الأُمة بنفسها ورؤسائها! أليس التراث الديني والشخصي والتقليدي الذي يكرِّمه هؤلاء الكتبة والفريسيُّون هو نفسه الذي تمسَّك به آباؤهم فقتلوا الأنبياء دفاعاً عن تراثهم وتقليدهم! المسيح يكشف غطاء القبور المبيَّضة عن تاريخ قتل الأنبياء ودفنها، ثم مجيء هذا الجيل ليبيِّض هذه القبور ويزيِّنها؟ والعقلية والغيرة والتقليد والمعرفة التي دافع عنها آباؤهم واحدة، والتي بمقتضاها قتلوا الأنبياء ورجموهم بلا رحمة. أليست هي ذات العقلية والغيرة والتقليد والمعرفة التي تمسَّك بها هؤلاء الكتبة والفريسيُّون ورؤساء الكهنة مع شيوخ الشعب ورفضوا وقتلوا المسيح، ورفضوا واضطهدوا وقتلوا الرسل؟

المسيح عندما كان يتكلَّم عن القبور المبيَّضة من الخارج ومزيَّنة وهي من الداخل مملوءة نجاسة واختطافاً وقتلاً أيضاً، لم يقصد القبور التي في وادي قدرون تحت أُورشليم!! بل قبور التاريخ وعظام الأنبياء والأبرياء ونجاسة الذين قتلوهم!

أمَّا البياض والزينة الخارجية فهي أعياد الأنبياء وإقامة ذكراهم بالتبجيل الكثير (والعبادة كما في مصر).

٢٣: ٢٩و٣٠ «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ الصِّدِّيقِينَ، وَتَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ الأَنْبِيَاءِ!».

المسيح هنا يمسك على الكتبة والفريسيِّين أنهم يعتبرون أمجاد آبائهم هي أمجادهم، بإظهار أمانتهم للأنبياء الذين كانوا في الماضي يفتخرون بمجد إسرائيل. والمسيح هنا يراجعهم في أمانتهم هذه التي للأنبياء، التي ظهرت في تبييض القبور وتزيين المدافن، إنها لا تطابق سلوكهم وإيمانهم بالنسبة لتعاليم هؤلاء الأنبياء؛ بل هي امتداد لسلوك وإيمان آبائهم الذين قتلوا الأنبياء تماماً. فهم قتلوهم غيرة على الناموس والتوراة وكلام الله، وهؤلاء يعيشون بالغيرة عينها التي تخفي وراءها القتل عينه. لذلك قال المسيح وهو يقصد معناها: «فاملأوا أنتم مكيال آبائكم» رفضاً واضطهاداً وقتلَ رُسُلٍ وقديسين.

أمَّا قول هؤلاء المرائين: «لو كنَّا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء»، فلا يدل إلاَّ على كبرياء التملُّص من خطايا الآخرين. وإليك المَثَل الذي قدَّمه المسيح في ذلك: «وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار، ويحتقرون الآخرين هذا المَثَل: إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصلِّيا، واحد فريسي والآخر عشَّار. أمَّا الفريسي فوقف يصلِّي في نفسه هكذا: اللهم أنا أشكرك أني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشَّار». والنهاية أن العشَّار الخاطئ الذي اعترف بخطيته وطلب الرحمة: «نزل إلى بيته مبرَّراً دون ذاك.» (لو ١٨: ٩-١٤)

على أن مجرَّد قول هؤلاء الكتبة والفريسيِّين: «إننا لو كنَّا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء»، يُحسب دينونة عليهم، إذ وثقوا في برارة أنفسهم وهم على النقيض، فهو اعتراف ضمني أنهم أولاد قتلة.

٢٣: ٣١و٣٢ «فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ. فَامْلأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ».

عندما قال هؤلاء المراؤون إننا لو كنا في أيام "آبائنا"، يكونون قد اعترفوا ضمناً أنهم أبناء قتلة الأنبياء الذين عليهم دم الأبرياء. ومعروف في العرف اليهودي أن سفك الدم البريء يتحمَّله أبناء القتلة. وعندنا شهادة هؤلاء الكتبة ورؤساء الكهنة الذين صرخوا أمام بيلاطس لينفوا عنه مسئولية سفك دم المسيح باعتباره رجل خاطئ: «دمه علينا وعلى أولادنا» (مت ٢٧: ٢٥). وقد كان ولا يزال. إذن فهم يتحمَّلون إثم سفك دم الأنبياء والمُرسَلين الذين قتلهم آباؤهم. وعلى هذا الأساس حمَّلهم المسيح إثم سفك دم الأنبياء تماماً: «فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء، (وعليه) فاملأوا أنتم مكيال آبائكم». أمَّا التكميل الذي سيتحمَّلونه أضعافاً مضاعفة فهو سفك دم القدوس الوحيد البار "مسيًّا" ورسله!!

ويُلاحَظ هنا أن المسيح لم يحمِّلهم ميراث آبائهم الجسدي ولكن ميراث آبائهم العدائي والثوري

ضد الله وأنبيائه. وهناك في رسالة بولس الرسول إلى أهل تسالونيكي مطابقة نادرة لهذا القول الذي قاله المسيح، مخاطباً أهل تسالونيكي لمّا اضطهدهم اليهود:

+ «فإنكم أيها الإخوة صرتم متمثِّلين بكنائس الله التي هي في اليهودية في المسيح يسوع، لأنكم تألَّمتم أنتم أيضاً من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها، كما هم أيضاً من اليهود، الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم، واضطهدونا نحن. وهم غير مُرضيين لله وأضداد لجميع الناس.» (١تس ٢: ١٤و١٥)

وقد وردت بعدها نفس الآية التي قالها المسيح: «فاملأوا أنتم مكيال آبائكم» في (١تس ١٦:٢) هكذا:

+ «يمنعوننا عن أن نكلِّم الأُمم لكي يخلصوا، حتى يتمِّموا خطاياهم ἀναπληρῶσαι αὐτῶν τὰς ἁμαρτίας.» (١تس ١٦:٢)

٣٣:٢٣-٣٦ «أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي، كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟ لِذلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا كُلَّهُ يَأْتِي عَلَى هذَا الْجِيلِ!».

لقد استخدم يوحنا المعمدان سابقاً هذا الاصطلاح «الحيَّات أولاد الأفاعي» (٧:٣) واستخدمه المسيح في (٣٤:١٢). أمَّا دينونة جهنم فهي الحكم المقابل لأعمالهم. والمسيح هنا يؤكِّد ما يقول: «ها أنا» من جهة الأشخاص الذين سيحملون اسمه ورسالته في الكنيسة التي تحمل شخصه. يرسلهم ليكرزوا بملكوته فيلقون منهم ما لَقِيَ من قبلهم الأنبياء قديماً. أمَّا الأنبياء فهم في عُرف الكنيسة الوعَّاظ، أمَّا الحكماء فهم العلماء، وأمَّا الكتبة فهم اللاهوتيون المدافعون عن الإيمان المسيحي.

ومعروف أن ق. استفانوس كان أول مَنْ باشروا فيه نبوَّة المسيح هذه، ومن بعده ق. يعقوب أخو يوحنا، وأمَّا الجلد فقد أوقعوه بالرُّسل القديسين بطرس ويوحنا وبولس، والطرد من مدينة إلى مدينة نراه في سفر الأعمال ورسائل ق. بولس، فكلها مطاردة بلا هوادة للكنيسة الفتيَّة بقدِّيسيها ورعاتها. وقد ذُكر ذلك بتدقيق في أنطاكية بيسيدية (أع ١٣: ٤٥و٥٠) وفي إيقونية (أع ٢:١٤) وفي لسترة (أع ١٩:١٤) وفي تسالونيكي (أع ٥:١٧) وفي بيرية (أع ١٣:١٧) وفي كورنثوس (أع ١٢:١٨) وفي هلاَّس (أع ٣:٢٠) وفي أُورشليم (أع ٢٧:٢١، ١٢:٢٣) وفي قيصرية (أع ١:٢٤-٩).

علماً بأن المسيح لم يمتد بهذه الأعمال: القتل والصلب والجلد والطرد إلاَّ في حدود هذا الجيل الذي كان يخاطبه المسيح، لأن كل ما أتى على الكنيسة بعد ذلك جاء من الوثنيين والديانات الأخرى.

وقد جعل جيل هؤلاء الكتبة والفريسيِّين ورؤساء الكهنة مع شيوخ الشعب، مسئولين أمام ا لله عن كل ما اقترف من سفك دم منذ بدء الخليقة كلها حتى زكريا بن برخيا. وهذا يعني في ضمير المسيح أن بسفك دم المسيح سيتحمَّل هذا الجيل كل دم سُفك سابقاً من أجل الله: "الدم الزكي"، باعتبار أن جميع الذين سُفك دمهم ـ المدافعين عن الله وقداسته ـ كانوا رمزاً للمسيَّا المصلوب.

أمَّا هابيل الصدِّيق فمعروفة قصته وكيف تحمَّل أخوه سفك دمه. والمعروف عن زكريا بن برخيا أنه ليس زكريا النبي كما في سفره (١:١)؛ بل زكريا الكاهن وكان موته كالآتي:

+ «ولبس روح الله زكريا بن يهوياداع الكاهن فوقف فوق الشعب وقال لهم: هكذا يقول الله: لماذا تتعدُّون وصايا الرب فلا تفلحون لأنكم تركتم الرب، (الرب) قد ترككم. ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر الملك في دار بيت الرب.» (٢أي ٢٤: ٢٠و٢١)

وواضح جداً من هذا التقرير أنه مات شهيداً للمناداة بحق الرب. وهو أقصى ما ينطبق عليه كلام المسيح. والمعروف أن والد زكريا الكاهن كان يسمَّى يهوياداع وبرخيا أيضاً. لذلك حدث لبس ما بين هذا الكاهن الشهيد المبارك وبين زكريا النبي الذي هو ابن براخيا أيضاً. إذن، فالشهيد المقصود هنا هو الكاهن وليس النبي وهذا يرجِّحه العالِم لنسكي(٥).

«الحق أقول لكم: إن هذا كله يأتي على هذا الجيل»:

تأتي هذه الآية بمثابة ختم رسمي ختم به الرب على هذا الوعد بالدينونة في نهاية هذه العظة.

وتأكيده أن هذه الدينونة تأتي على هذا الجيل بالذات الذي هو مسئول عن صلب المسيَّا، فقد تمَّ أمام أعين العالم كله بمستواه الزمني. فقد تحمَّل هذا الجيل مسئولية خراب الهيكل وحرقه وخراب أُورشليم وهدمها وإحراقها. وهكذا انتهى تاريخ الهيكل منذ سليمان حتى هذا الجيل بل ومن قبله خيمة الاجتماع. والمعنى مرٌّ للغاية، فهو انسحاب الله من إسرائيل فوقع سقفها على الأرض وتبدَّد في كل أقطار المسكونة. وكان أعظم تعبير عن هذا المصير الذي تحدَّد لإسرائيل في هذا اليوم هو بكاء المسيح على أُورشليم.

(5) R.C.H. Lenski, cited by W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 838.

رثاء

بكاء المسيح على أورشليم

[٢٣: ٣٧-٣٩] (لو ١٣: ٣٤-٣٥)

٢٣: ٣٧-٣٩ «يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ، يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا. هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً! لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَنِي مِنَ الآنَ حَتَّى تَقُولُوا: مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!».

هنا يقدِّم المسيح أعمدة الإنجيل الأربعة:

١ ـ المحبة الإلهية. ٢ ـ خطية الإنسان.

٣ ـ الدينونة الحتمية الزمنية. ٤ ـ المجيء المسياني الثاني.

١ ـ فحينما كرَّر المسيح القول «يا أُورشليم يا أُورشليم»، وأردف مباشرة بتصوير الدجاجة وهي تجمع أفراخها تحت جناحيها، يكون المسيح قد كشف عن مكامن أعماق الحب الإلهي بالنسبة لشعبه.

٢ ـ وحينما ناداها بخطيتها وبسفك دم الأنبياء ورجم المُرسَلين يكون قد كشف عن خطية الشعب.

٣ ـ وحينما سجَّل عليها عدد المرَّات التي طلب فيها أن يجمع أولادها فرفضت، سجَّل عليها دينونتها العاجلة: «بيتكم يُترك لكم خراباً».

٤ ـ وحينما أفصح عن ذهابه وغيابه ثم عودته المباركة باسم الرب يكون قد أعطى الوعد بالمجيء الثاني.

حينما كرَّر المسيح اسم أُورشليم ذكَّرنا في الحال بمرثا مرثا، وشاول شاول، ويهوه في القديم إبراهيم إبراهيم، بهذه النغمة الحبيبة التي تعبِّر عن القرب والانتماء لله، وهي وبآن واحد تحمل هنا رنَّة حزن أسيف على فرصة انقضت كانت تتيح لأُورشليم أعظم الفرص للمجد، لتكون أم الدنيا وباباً أبدياً للملكوت، ولكن لم تكن المرَّة الأُولى بل الأخيرة، لأن يهوه في القديم أحبَّها وتودَّد إليها،

ولكنها كانت دائماً أبداً تخون الأمانة والمودة. وكان تعبير المسيح لها بقاتلة الأنبياء وراجمة المُرسَلين سيرة ممتدَّة حملتها أُورشليم على مدى التاريخ. وقد اختصَّت دون كافة المدائن بالنصيب الأوفر في سفك دماء الأنبياء حتى قالها المسيح: «لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً عن أُورشليم» (لو ١٣:٣٣)، شهادة دموية وضعها المسيح على جبين التاريخ لأُورشليم.

والمسيح يقول: «كم مرَّة أردت أن أجمع أولادكِ»، فهو إنما يتكلَّم أيضاً بفم يهوه: «طول النهار بسطت يديَّ إلى شعب معاند ومقاوم» (إش ٦٥:٢، رو ١٠:٢١). والمسيح في هذا القول يحكي عن خبرته هو، لأن قوله: «كم مرَّة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها» تعني تماماً أنه كان جادًّا في حمايتها من أعدائها والرومان أيضاً، بأن يبثّ فيها روح السلام والوداعة والمحبة لتصبح مسئولة عن سلامة روما والعالم كله. فهي إن كانت قد وقعت فريسة الأسد الروماني الذي عرَّاها من مجدها وخرَّبها وتركها خاوية تنعي تاريخ مجدها، فلأنها قدَّمت لروما أسوأ صورة لأمة تعاهدت مع الشيطان للقتل والمقاومة بشراسة. فبعد أن قتلت رئيس السلام ماذا يتبقَّى لها إلاَّ الحديد والنار. رفضت السلام بيد الله فشربت كأس النقمة حتى النهاية. ثلاث سنوات وأكثر وهو يتودَّد لها ليسقيها كأس المصالحة مع الله، ويرفع رأسها وسط الشعوب لتصبح مدينة السلام بالحق، كإسمها، ولكنها عوض أن تقبل من يده خلاصاً سفكت دمه على الأرض ظلماً وهواناً.

«ولم تريدوا»:

تاريخ الرفض لله قديم يحكي عنه إرميا النبي بالحزن (٦٢٨–٥٨٨ ق.م) في أيام الملوك يوشيا ويهوآحاز ويهوياقيم وصدقيا في السبي، يقول:

+ «فمن اليوم الذي خرج فيه آباؤكم من أرض مصر إلى هذا اليوم أرسلت إليكم كل عبيدي الأنبياء مبكِّراً كل يوم ومُرسلاً. فلم يسمعوا لي ولم يميلوا أذنهم بل صلَّبوا رقابهم. أساءوا أكثر من آبائهم. فتكلِّمهم (الله لإرميا) بكل هذه الكلمات ولا يسمعون لك، وتدعوهم ولا يجيبونك. فتقول لهم: هذه هي الأُمة التي لم تسمع لصوت الرب إلهها ولم تقبل تأديباً. باد الحق وقُطع عن أفواههم. جزِّي شعرك واطرحيه وارفعي على الهضاب مرثاة لأن الرب قد رفض ورذل جيل رجزه (غضبه).» (إر ٧: ٢٥–٢٩)

«هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً»:

"هوذا" ἰδοὺ أي انظروا behold. هنا إسرائيل كأُمة هي المقصودة بالهيكل وأُورشليم "بيتكم" الذي وجد الله فيه مسكنه قديماً، قد تركه، فانتُزع وجوده وسلامه وكيانه. كان الهيكل هو قلب

إسرائيل النابض الذي كان يسكنه الله ويرتاح فيه مع شعبه الذي أحبه. رفضوه فرفضهم. وبعد أن كان يعجّ بالحياة والآباء والأنبياء والقديسين تُرك خالياً بلا حياة فغشاه الموت والخراب: «أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل. ورئيس الحياة قتلتموه، الذي أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك.» (أع ٣: ١٤و١٥)

الصورة التي يقدّمها ق. متى لنهاية إسرائيل قاتمة للغاية ليس لها فرصة ولا بقية، كما حاول ق. بولس مراراً أن يؤكّده: «فالبقية ستخلص» (رو ٩:٢٧) ولكن ق. متى لا يعمل حساباً لبقية أو إعادة نظر. إلاّ ربما يكون في الآتي رجاءٌ.

«لأني أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب»:

يبني كثير من الشُّرَّاح الذين يأملون رجعة لإسرائيل مثل ق. بولس أملهم على هذه الآية، التي يقابلها في زكريا النبي: «وأفيض على بيت داود وعلى سكّان أُورشليم روح النعمة والتضرُّعات، فينظرون إليَّ الذي طعنوه، وينوحون عليه كنائح على وحيد له، ويكونون في مرارة عليه كمَنْ هو في مرارة على بكره.» (زك ١٢:١٠)

وتُحسب هذه النبوَّة على أنها توبة إسرائيل حينما يأتي الرب في مجيئه الثاني ويتعرَّفون عليه.

وفي عُرفنا أن جميع نبوَّات العهد القديم تتفق في أن لإسرائيل آخر الأيام صحوة ورجعة وتوبة تكون خيراً على العالم كله. يصفها إشعياء النبي بأن أُمَّة تولد في يوم واحد!! وذلك في آخر أصحاح له:

+ «مَنْ سَمِعَ مثل هذا، مَنْ رأى مثل هذه، هل تمخض بلاد في يوم واحد **أو تولد أُمَّة دفعة واحدة**، فقد مخضت صهيون بل ولدت بنيها. هل أنا أُمخض ولا أُولِّد يقول الرب، أو أنا المولِّد هل أغلق الرحم قال إلهك؟ افرحوا مع أُورشليم وابتهجوا معها يا جميع محبيها. افرحوا معها فرحاً **يا جميع النائحين عليها**، لكي ترضعوا وتشبعوا من ثدي تعزياتها، لكي تعصروا وتتلذَّذوا من دِرَّة مجدها.» (إش ٦٦: ٨-١١)

ومعها بالضرورة هذه الآية التي تختم على الأحزان:

+ «لأني هانذا خالق سموات جديدة وأرضاً جديدة فلا تذكر الأُولى ولا تخطر على بال. بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد في ما أنا خالق. لأني هانذا خالق أُورشليم بهجة وشعبها فرحاً. فأبتهج بأُورشليم وأفرح بشعبي ولا يُسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ.» (إش ٦٥: ١٧-١٩)

ومنذ أن صُلب المسيح، وباب الملكوت مفتوح لكل يهودي أن يعود إلى المسيح ويؤمن وينال حق البنين ويشترك في جسم الكنيسة، التي هي الشعب الآخر الذي استؤمن على ملكوت السموات.

ولعلَّ إشعياء أيضاً ذكر هؤلاء العائدين هكذا: «ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى **التائبين عن المعصية في يعقوب** يقول الرب. أمَّا أنا فهذا عهدي معهم قال الرب. روحي الذي عليكَ وكلامي الذي وضعته في فَمِكَ لا يزول من فَمِكَ ولا من فم نسلِكَ ولا من فم نسل نسلكَ قال الرب من الآن وإلى الأبد!» (إش ٥٩: ٢٠و٢١)

ولعلَّ اليهود المتنصِّرين الذين تجمَّعوا في كنيسة في صهيون يُحسبون إشارة ذكية لهذا الوعد، ومنهم مَنْ صاروا قديسين ورائين ...

فإن كان المسيح قد استعار قول المزمور (١١٨:٢٦): «مبارك الآتي باسم الرب»، فإنه يوحي بالرجاء الذي فيه لإسرائيل لأنه مزمور إسرائيل:

+ «احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته،
ليقل إسرائيل إن إلى الأبد رحمته! ...
لا أموت، بل أحيا وأُحدِّث بأعمال الرب،
تأديباً أدَّبني الرب وإلى الموت لم يسلِّمني،
الحجر الذي رفضه البنَّاؤون قد صار رأس الزاوية،
مِنْ قِبَلِ الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا،
مبارك الآتي باسم الرب!
احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته!!»

الأصحاحان

الرابع والعشرون والخامس والعشرون

الجزء الثاني من الحديث الخامس الكبير

الأخرويات

[٢٤:١-٢٥:٤٦]

الأخرويات

أمور آخر الزمان

[٢٤: ١–٢٥: ٤٦]

[وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات].
(قانون الإيمان الرسولي)

كان هذا يوم الثلاثاء ثالث يوم قبل البصخة لموت الرب وتكميل توبة العالم.

ومنذ ذلك اليوم الذي قرَّر فيه المسيح انقضاء العالم في نهاية محزنة مريعة، وبموجة عارمة من مظاهر الطبيعة التي أصبح كل يوم يمدنا العلماء بحقائق قوية وثابتة على صحة رؤية المسيح، واستعداد الكون المادي للفناء في أي لحظة، حذَّروا كثيراً من النجوم التي سوف تتساقط، وتنبأوا كثيراً على الزلازل والحروب الحتمية الآتية على العالم. بل وأصبح شغل الناس الشاغل أيضاً أن يترقَّبوا ويتنبَّأوا عن زوال العالم. كما أصبح حقيقة لاهوتية تدرَّس عن نهاية هذا الدهر.

ويظهر المسيح في وسط هذه التنبُّوات التي تمَّ جزء منها حرفياً في خراب الهيكل وأُورشليم بعلامة منهلة، إذ لم يبق فيها حجر على حجر حقًّا، فقد هدمه تيطس وسوَّى به الأرض؛ من هذه التنبُّوات وما سبقها من توضيحات عن زوال العالم ومجيئه المحتَّم، والمسيح يأخذ شخصية أخروية مهيبة. فهو نبي النهاية، الياء بعد الألف. وأن يحكي المسيح عن نهاية العالم والإنسان وكل شيء حتى الكون بشمسه وقمره ونجومه، أثبت دون حَكْي أنه صاحب البداية، فيه "أَلِفْ العالم" بالضرورة! وإن كان المسيح أول ما كرز كرز بأن «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت ٤: ١٧)، فالمعنى العميق المترتِّب على ذلك حتماً أن: "تغيَّروا عمَّا لكم من شكل هذا الدهر لأنه وشيك النهاية، والبسوا الإنسان الجديد اللائق بملكوت السموات". أمَّا هنا في الأصحاحين القادمين (٢٤و٢٥)، وبعد أن علَّم وأعطى كل مواصفات العالم الجديد والإنسان الجديد والأخلاق الجديدة للحياة الجديدة القادمة، وقف على جبل الزيتون وودَّع أُورشليم والهيكل والعالم الذي خلقه بالدموع إشفاقاً على مصير الكثيرين، بكى إذ تقرَّر في مشورته الإلهية أنه قد جاءت النهاية. ونحن نعرف أنه جاء ليخلق عَالَماً جديداً لا يكون فيه خطية بعد ولا أي مسببات الحزن والبكاء والتنهُّد، لأن الآب كان قد أحب العالم وتمَّت المشورة مع الابن لكي يقدِّم نفسه فدية لأجل عالم الخطية والموت والهلاك، ليرفعه إليه – إلى الآب – مصالحاً بدمه لحياة أبدية جديدة.

وكان أهم ما أراد المسيح أن يؤكّد عليه ويلفت نظر تلاميذه والعالم له هو خوفه من أنـه سيقوم معلّمـون كذبـة ليهوّنـوا مـن كلامـه وينقـدوا قـراره النهـائي بالنسـبة لنهايـة العـالم (٢٤: ٤و٥و١١و٢٣و٢٦) فهوذا خمس آيات في أصحاح واحد تحذير من المضلّلين. وإزاء هذه الضلالات كرَّر المسيح ضرورة الثبات وعدم تصديق التعاليم المضلّلة: «ها أنا قد سبقت وأخبرتكم.» (٢٥)

ويمكـن تقسـيم الأصحـاحين (٢٤و٢٥) إلى توضيحـات بالعلامـات، وتحذيـرات للسـهر وعـدم تصديق الضلال. والملاحظ أنه وإن كان ق. مرقس قد قدَّم أصل حديث الأُخرويـات، وهـذا الـرأي مؤيَّد من جميع العلماء، إلاَّ أن ق. متى امتاز بالامتداد بهذا الحديث ليشمل أموراً كثيرة. فبينما يقدِّم حديث ق. مرقس عن الأُخرويات أصحـاح (١٣) **٣٣** آيـة، وق. لوقـا يقـدِّم في الأصحـاح (٢١) **٢٩** آية، نجد ق. متى يقدِّم **٩٤** آية.

١ ـ ويُعتبر الأصحاحان (٢٤و٢٥)، هما الجزء الثاني من الحديث الخامس الطويـل الـذي يـأتي مباشرة بعد الجزء الأول منه (٢٣) الذي خصَّصه الرب للتحذير من أخطاء الكتبة والفريسـيين. وفي هذا الجزء الثاني يجمع ق. متى مادة أكثر من ق. مرقس وق. لوقا، مع أن التـوازي موجـود بينهـم. والحديث هنا يسمَّى حديث الآخرة عند المسيح. ويمتاز بالتركيز على ضرورة السهر لاستقبال عـودة ابن الإنسان. وهكذا يأتي هذا الحديث في مضمونه الكلِّي مكمِّـلاً لما انتهى إليـه المسـيح في حديثـه السالف، إذ ينتهي بأنهم لن يروه حتى يأتي مجدّداً ليقولوا له مبارك الآتي باسم الرب (٢٣:٣٩).

٢ ـ وقد حاول بعض الشُّرَّاح الحفاظ علـى وحـدة الجـزء الأول (أصحـاح ٢٣) والجـزء الثـاني (أصحاح ٢٤و٢٥) من هذا الحديث الخامس الكبير باعتبارهمـا حديثـاً واحـداً متصـلاً وغـير مجزَّأ. ولكن ظهرت صعوبات في هذا التجميع، لأن الجزء الأول (٢٣) ألقاه المسيح في الهيكـل، أمَّـا الجـزء الثاني (٢٤و٢٥) فدار حديثه على جبل الزيتون. كذلك فالذين وُجِّـه لهـم الخطـاب في الجـزء الأول (٢٣) كانوا التلاميذ مع الجموع ـ ولكن هنا في الجزء الثاني (٢٤و٢٥) فـالحديث موجَّـه للتلاميـذ فقط وبنوع خاص. كذلك تختلف الأهداف جداً[1].

٣ ـ الحديث هنا يحوي توضيحات نبوية قالها المسيح تختـص بـالحوادث القريبـة جـداً: «فحينئـذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال» (١٦). ولكن تمتد النبوَّات لتشمل أواخر الزمان: «بعـد ضيـق

(١) لذلك يعتبر البعض الأصحاح ٢٣ تابعاً للأمور السابقة له ويقصرون الحديث الخامس الكبير على أصحـاح (٢٤و٢٥) (انظر المقدِّمة صفحة ١٠٩).

تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع» (٢٩). وهكذا تبتدئ النبوّات تعطي منظراً عاماً لتعمّ التاريخ القديم والجديد الآتي، وهي تتقارب معاً في رؤية واحدة تربك العقل ليسأل هل هذا قريب أم بعيد؟ والحقيقة أنه الاثنان معاً، القريب البعيد والبعيد القريب: «ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى. فإني الحق أقول لكم لا تكمّلون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان» (مت ١٠:٢٣)، «فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ...» (مت ١٦:٢٧)

٤ ـ أهم ملاحظة ينبغي للقارئ أن ينتبه لها في نبوّات آخر الأيام أنها تحمل نوعين من الحوادث الخطيرة، نوع قريب جداً وهو خراب أُورشليم سنة ٧٠م، ونوع آخر هو ظواهر آخر الأيام في نهاية الدهر. ولكن هذه الحوادث تتداخل في بعضها. والسبب في ذلك أن الرؤية الروحية العالية لا يدخل فيها حساب الزمن، فقمة حادثة بعيدة للغاية من جبال الحوادث المتلاحقة في الزمن، تبدو للرائي لشدتها وخطورتها قريبة وملاصقة لقمة حادثة في الزمن القريب. وهكذا دخلت في نبوات المسيح حادثة خراب أُورشليم في حوادث آخر الزمان بدون فاصل زمني فأربكت القارئ(٢).

ويلزمنا أن ندرس السؤال الذي تقدَّم به التلاميذ للمسيح لكي يحكي لهم عن علامات آخر الزمان دون تفريق بين الأول والآخر، لأنها تتلخص في السؤال:

+ «قل لنا متى يكون هذا وما هي العلامة عند ما يتم جميع هذا؟» (مر ١٣:٤)

+ «قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر.» (مت ٢٤:٣)

غير أن المسيح لم يرد على هذا السؤال مباشرة إذ أدخل فيه علامات خراب الهيكل في الزمن القريب، وأصبح من العسير فك الارتباط بين علامات آخر الزمان وعلامات خراب أُورشليم، لأنهما جاءا ملتحمين(٣).

٥ ـ ومضمون كلام المسيح في الأصحاحين (٢٤و٢٥) من إنجيل ق. متى يتلخص في أمر واحد، وهو ضرورة السهر وانتظار المجيء. ولكن يعطي الملاحظات الآتية:

(أ) أن الاضطرابات العامة والطبيعية إنما تسبق مجيء ابن الإنسان، ولكنها ليست علامة النهاية.

(ب) لا أحد حتى ولا الملائكة يعرف اليوم والساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان إلاّ الآب وحده.

---

(2) F.W. Grosheide and C.R. Erdman cited by W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 847.

(3) W. Hendriksen *op. cit.*, p. 847-849.

(ج) تداخلت الأقوال بين اخضرار شجرة التين ومجيء ابن الإنسان، وبين أن هذا كله يتم في هذا الجيل، وأن السماء والأرض تزولان وكلام المسيح لا يزول، وأيام نوح والفلك، وأيام خراب أُورشليم، وتؤخذ الواحدة وتترك الأخرى.

ولكن يمكن تقسيم الحوادث إلى عشر مجموعات في الأصحاحين كالآتي:

١ - (٢٤: ١ - ٣): استمراراً لقول المسيح: «هوذا بيتكم يترك لكم خراباً» (٢٣:٣٨) سأل التلاميذ، بعد أن ترك الهيكل وتقدَّم تلاميذه ليروه الهيكل وحجارته العظيمة، وردَّ المسيح بأنه سيُنقَض!! بدأ السؤال مباشرة متى وكيف وما هي العلامة (بالمفرد)؟ ومع السؤال بخصوص خراب الهيكل أضافوا ما هي علامة مجيء ابن الإنسان؟ **لأنهم كانوا متأكِّدين تماماً أنه بخراب الهيكل ينتهي العالم ويجيء ابن الإنسان وتكمل الدينونة، ويبدأ ملكوت الله.**

٢ - (٢٤:٤-١٤): ذكر المسيح عدة حوادث ستأتي: أنبياء كذبة، حروب، وأخبار حروب، مجاعات، أوبئة، زلازل، اضطهاد، ضلال كثيرين، كثرة الإثم، تبرد محبة الكثيرين - هذه فقط مبتدأ الأوجاع (أوجاع المخاض) ولكن المنتهى (الذي سأل عنه التلاميذ) ليس بعد. ولكن عندما يُبشَّر بالإنجيل في كل العالم سيأتي المنتهى.

٣ - (٢٤:١٥-٢٨): إذا كانت البشارة بالإنجيل في كل العالم تعتبر علامة إيجابية وحيدة وأخيرة على مجيء المنتهى، فالمروعات التي ذكرها المسيح باعتبارها العلامات السلبية يكون أولها خراب أُورشليم وما يرادفها.

٤ - (٢٤:٢٩-٣١): وقبل مجيء ابن الإنسان مباشرة وظهور علامته في السماء تضطرب القوات الطبيعية وتتزعزع السماء (٢٩) باعتبارها نهاية الأوجاع لمخاض الطبيعة، ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير.

٥ - (٢٤:٣٢-٣٦): علامة شجرة التين متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها.

٦ - (٢٤:٣٧-٤١): مجيء ابن الإنسان سيكون مفاجئاً كما كان الطوفان أيام نوح.

٧ - (٢٤:٤٢-٥١): عن الاستعداد والسهر إلى أن يجيء.

٨ – (٢٥: ١ – ١٣): العذارى السهارى اللائي دخلن الملكوت. وهو تطبيق مباشر لنهاية الأصحاح (٢٤).

٩ – (٢٥: ١٤ – ٣٠): الوزنات لنفس الغرض: للسهر والانتظار الأمين.

١٠ – (٢٥: ٣١ – ٤٦): الدينونة: جداء وخراف.

وبالنهاية نستطيع أن نلخّص ما قصده المسيح من تعليمنا في هذين الأصحاحين كالآتي:

١ – أن لا تنشغل بالعلامات، ونرفضها على الإطلاق، لأن خطر الانشغال بالعلامات هو الوقوع في مسحاء وأنبياء كذبة يعطوننا العلامات التي نريدها: «لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة **ويعطون آيات عظيمة وعجائب، حتى يضلُّوا لو أمكن المختارين أيضاً**» (٢٤). إذن، فالمسيح لا يعطي علامات آخر الزمان بل يحذّر من علامات آخر الزمان.

٢ – العلامة الواحدة الصادقة التي لن يضل عنها إنسان هي ظهور المسيح نفسه بمجد عظيم ليجمع كل مختاريه من فوق سطح الأرض كلها (٢٩ – ٣١).

٣ – التقرير النهائي في أصحاحي الأُخرويات هو المسيح نفسه، هو كل الأخرويات وعلاماتها جميعاً.

الأصحاح الرابع والعشرون

- التنبُّؤ بخراب الهيكل (٢٤: ١ – ٣)
- الصورة العامة من الظاهر (٢٤:٤– ١٤)
  - مبتدأ الأوجاع (٢٤:٤–٨)
  - المعاناة الخاصة من أجل اسم المسيح (٢٤:٩–١٣)
  - الكرازة بالإنجيل كعلامة لانتهاء المناداة بالملكوت أي تكميل الشهادة (٢٤:١٤)
- خراب أورشليم والهيكل وحرب الرومان
  أول تفصيل لعلامات الحروب والمروعات ونموذج كامل لها (٢٤: ١٥–٢٨)
- تكميل الأوجاع ومخاض العالم الأخير وظهور ابن الإنسان (٢٤: ٢٩–٣١)
- مَثَل شجرة التين (٢٤:٣٢–٣٦)
- مَثَل الطوفان (٢٤:٣٧–٤١)
- مَثَل لص نصف الليل (٢٤:٤٢–٤٤)

التنبؤ بخراب الهيكل

(مر ١٣:١-٤)،
(لو ٢١: ٥-٧)

[٢٤: ١-٣]

٢٤: ١و٢ «ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ، فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ لِكَيْ يُرُوهُ أَبْنِيَةَ الْهَيْكَلِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هذِهِ؟ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ ههُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ!».

كان هذا اليوم الثلاثاء وباقي على خروف الفصح ثلاثة أيام، حيث يذهب المسيح ليقدِّم نفسه فصحاً جديداً فداءً للعالم. وربما كان الوقت ظهراً في هذا اليوم التاريخي، والتلاميذ من حوله يوجِّهون نظره نحو الهيكل بعد أن غادروه بمنظره المهيب وحجارته الضخمة. ويلاحظ أن هذه كانت المرَّة الأخيرة ليدخل الهيكل ويخرج منه بلا رجعة. والهيكل بالنسبة لتلاميذ الجليل بوسطهم المتواضع كصيَّادي سمك كان أعجوبة الدهر - وكان بالفعل الأعجوبة الثامنة - وكان لا يزال حينئذ يُبنى (يو ٢: ٢٠) ولم يبق له إلاَّ سنين قليلة لينتهي العمل منه. وكان التلاميذ يستعطفونه من أجل عدم هدمه إذ سمعوا من فمه بخرابه الوشيك، أو ليستدرجوه لمزيد من الحديث ليسمعوا أمور المستقبلات. وكان المسيح مهموماً بما يجري في داخله!! لذلك زاد المسيح في وصف كيف يُترك خراباً (بلا ساكن) بأن أوضح لهم بهدمه حتى التراب بحيث لا يبقى فيه حجرٌ على حجر.

وكانت رؤية المسيح هذه وكأنها لقطة مصوَّرة لمنظر الهيكل بعد أن تمَّ خرابه، إذ تمَّ إحراقه وإسقاط كل مبانيه الضخمة. وقد استخدم الرومان كل جبروتهم ليهدموه إلى الأرض. والجزء الموجود الآن من سوره هو جزء من المبنى القديم الذي أقامه هيرودس تركه تيطس خصيصاً ليشهد العالم على جبروت الرومان كيف هدموه، لأن حجارته بلغت من الضخامة ما لا يمكن تصديقه.

والمسيح لم يترك تلاميذه ليسألوه "وأين يسكن الله بعدئذ"؟، إذ قال سابقاً: «وفي ثلاثة أيام أُقيمه» (يو ٢: ١٩)، ولكن بأقوى وأجمل، بحيث لا يُهدم فيما بعد بل يبقى إلى الأبد، متكلِّماً عن هيكل جسده (يو ٢: ٢١)، كما علموا فيما بعد. «ولكن أقول لكم إن ههنا أعظم من الهيكل» (مت ١٢: ٦) حيث يبقى معنا إلى الأبد: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.» (مت ٢٨: ٢٠)

وهكذا ثبَّت المسيح قلوبنا أن لا نؤخذ بعد بجمال القصور والكاتدرائيات فنهايتها كلها للفناء، ولا يبقى إلاَّ المسيح الذي هو بحد ذاته: "كاتدرا السماء العظمى" الكنيسة!!

٣:٢٤ «وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلاَمِيذُ عَلَى انْفِرَادٍ قَائِلِينَ: قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هذَا، وَمَا هِيَ عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ وَانْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟».

هناك مطابقة عجيبة من وراء الزمن بين المسيح وهو جالس على جبل الزيتون، وحديثه عن مجيئه ليقف على هذا الجبل عينه كما رآه زكريا النبي: «وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قدَّام أُورشليم (حيث جلس المسيح) من الشرق.» (زك ١٤:٤)

«على انفراد»: κατ' ἰδίαν

وتعني بصفة خاصة. فالكلام هنا سرِّي للكنيسة خاصة. والسؤال متى وكيف، متى يحدث هذا وما هي العلامة حيث العلامة قصدوها علامة واحدة. ولكن في الحقيقة هو سؤال لمعرفة حقيقة واحدة هي مجيئه، أمَّا ما يتبعها فهو لا يزيد من وضوحها. علماً بأن ما في ضمير التلاميذ حينما سألوا هذا السؤال هو أن حقيقة مجيء المسيح مرتبطة في ضميرهم أساساً بخراب أُورشليم، ثم هذا بدوره يكون مربوطاً بنهاية العالم، **وفي وقت واحد**. وأن خراب أُورشليم كان في نظرهم الحدث الذي يخفي وراءه نهاية العالم بكل مظاهره من طغيان الطبيعة وانحلال العالم. ومن وسط هذا المشهد المأساوي يأتي ابن الإنسان. وقد وصف هذا ق. لوقا إذ جعل خراب أُورشليم توطئة لنهاية العالم. «وتكون أُورشليم مدوسة من الأُمم حتى تكمل أزمنة الأُمم. وتكون علامات في الشمس ...» (لو ٢١: ٢٤و٢٥)، وكأن المنظر الذي تصوَّره التلاميذ من كلام الرب أنه كما يحدث لأُورشليم سيحدث لجميع الساكنين على الأرض، حتى وإن كان بينهما فاصل زمني قليل. وكأن أُورشليم ستكون المَثَل والنموذج لما يحصل للعالم كله. وهذا بحسب أوصاف المسيح حقيقي إلى درجة كبيرة. وهذا يكشف لنا سر التحام حوادث خراب أُورشليم بحوادث خراب العالم بالنهاية، فالمسيح جعل ردَّه على سؤال التلاميذ يحمل صورة ملتحمة لخراب أُورشليم وخراب العالم. وفي عرفنا نستطيع أن نجد أن أسباب خراب أُورشليم هي بعينها التي تدخَّلت في تاريخ العالم والكنيسة، وجعلته على مستوى نصيب أُورشليم وجزائها، حتى أن مجيء الرب نفسه يأتي مرافقاً لخراب أُورشليم ويأتي مرافقاً لخراب العالم بصورة لا يمكن التفريق فيها إذا رفعنا القيمة الزمنية. والسؤال: هل المسيح هو المسئول عن هذه الصورة المتداخلة، أم هو ق. متى نفسه إذ ضاعت منه الظروف التي تفرِّق بين الحدثين فجاء كلامه بهذه الصورة الملتحمة؟ ولكن بآن واحد نجد ق. متى يوضِّح من كلام المسيح أنه يرتِّب ويدبِّر لمستقبل تلاميذه لخدمة الإنجيل فيما بعد خراب أُورشليم، **لتكميل الدهور كلها**. فبشارة الإنجيل **لكل العالم** تحتاج لقرون من الزمان.

ولو نتنبه للسؤالين اللذين تقدَّم بهما التلاميذ للمسيح في مضمونهما الإنجيلي وهما "المجيء الثاني"، و"نهاية العالم" نجد أن المجيء الثاني هو بالمفهوم اللاهوتي ما تعبِّر عنه كلمة الباروسيا = παρουσία وهي تعني في الإنجيل "افتقاد" أو زيارة الله، وقد استخدمها ق. متى وحده دون بقية الإنجيليين، وورودها جاء في هذا الأصحاح فقط أربع مرَّات τῆς σῆς παρουσίας متتالية: ٢٤: ٣و٢٧و٣٧و٣٩. وقد استخدمها ق. بولس الرسول سابقاً على ق. متى في: (١تس ٢: ١٩، ٣:١٣، ٤:١٥، ٥:٢٣) و(٢تس ٢:١و٨) و(١كو ١٥:٢٣). كذلك فإن ق. متى هو أول مَنْ أدخل تعبير "انقضاء الدهر συντελείας τοῦ αἰῶνος" وقد كرَّره خارج الأصحاح (٢٤) في المواضع الآتية: (١٣: ٣٩و٤٠و٤٩، ٢٨:٢٠) والجمع بين الاصطلاحين معاً يعني أن مجيء المسيح الثاني: "الباروسيا" يجمع حادثين معاً: نهاية تاريخ العالم في الزمان والمكان كليهما، والدينونة الأخيرة لكل حي عاش على الأرض[1].

بعد ذلك ينقسم الحديث إلى ثلاثة أقسام تليها ثلاثة أمثلة وتنتهي بإعادة شاملة للمنظر مع التوصية بالسهر وإعطاء المَثَل:

(أ) الصورة العامة من الظاهر لكل الأحداث حتى نهاية الكرازة بالإنجيل لكل المسكونة (٢٤:٤-١٤).

(ب) نصائح وتحذيرات وتوصيات وعلامات (٢٤:١٥-٢٨).

(ج) مجيء ابن الإنسان وتسبقه ثوران الطبيعة وانحلال العالم. ثم جمع المختارين من أقصى السموات إلى أقصاها (٢٤:٢٩-٣١).

ويلي ذلك ثلاثة أمثلة لمجيء ابن الإنسان: شجرة التين والطوفان ولص نصف الليل (٢٤:٣٢-٤٤). أمَّا إعادة المنظر مع التوصية بالسهر ثم المَثَل الموضِّح للسهر فتأتي في (٢٤:٤٥-٥١).

(1) Fred. D. Bruner, *op. cit.*, p. 844.

الصورة العامة من الظاهر

[٢٤:٤–١٤]

(مر ١٣:٣–١٣)،
(لو ٢١:٧–١٩)

مبتدأ الأوجاع

[٢٤:٤–٨]

٢٤:٤و ٥ «فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: انْظُرُوا، لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ. فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ».

«انظروا»: βλέπετε

وتعني باللغة اليونانية في معناها الباطني: "احترسوا"، بمعنى أن نكون صاحين وناظرين، حتى لا يضلنا أحد.

«يُضِلَّكُم»: πλανήσῃ

بمعنى: "يخدعكم ويجعلكم تخطئون". هنا الوصية تنتقل تلقائياً من التلاميذ بحسب فكر ق. متى إلى الكنيسة حتى لا يدخلها معلِّمون مدَّعون للمعرفة، فيعطون تعاليم تُخرج الكنيسة عن التصاقها بشخص المسيح بأي حال من الأحوال أو بأي ادعاء. خاصة بمن يدَّعون القداسة ليحلُّوا بأشخاصهم محل المسيح، فيدَّعون معرفة المسيح والعمل لاسمه وهم في حقيقتهم كمَنْ يقول: "أنا هو المسيح" ويضلُّون الكثيرين عن شخص المسيح والحق والملكوت. وهذه الصورة جارية الآن على أشدِّها في العالم كله وبصورة علنية في الذين يتنبَّأون عن نهاية الزمان ومجيء المسيح. فالسهر المطلوب هنا هو على المعتقدات المسلَّمة بالتقليد والإنجيل من المعتقدات الدخيلة المنحرفة التي تسرق الشعب وتضلّه عن ولائه لشخص المسيح نفسه وليس لغيره مهما كانت الأسماء والأشخاص. وعلى هذه الآية يقول العالِم بنجل(٢) من القرن الثامن عشر:

[يجب أن لا نبحث ونستقصي عن المستقبل وعن الحوادث الأخيرة عن حبٍّ للمعرفة

(2) J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 417.

والاستطلاع، بل من أجل ثبات أنفسنا وموقفنا. فكل ما جاء في كلام المسيح هنا هـو لكي نعترف به وحده عن ثقة وإصرار (لأن كل الضلالة ستوجه نحو انحرافنا وضياع موقفنا في التمسُّك الشديد بالمسيح). هذا هو العنصر الأساسي في هذا التعليم عـن أواخر الزمـان. لأن عين المسيح ليست على التلاميذ الذين سينالون الروح القدس بعد قليل، ولكن على الكنيسة التي ستواجه مصائب عُظمى. لذلـك يـلزم أن يكـون بـدء اهتمامنـا هـو الاحـتراس الشـديد، ونهايته يتحتّم أن تكون الصبر].

وليلاحِظ القارئ قول المسيح: «إن كثيرين سيأتون باسمي» والمعنى أنهم يدَّعون أنهم مسـيحيون بالاسم، بل الأدهى والأمرّ أنهم يدَّعون أنهم أعلى من المسـيحيين أو أقـدس وأعظـم منزلـة. ولسـان حالهم: "أنا هو المسيح". وبهذا الشكل والصورة يضلُّون كثيرين باعتبارهم نوَّاباً عن المسيح أو ممثّلين عن المسيح، حتى أنهم يعملون المعجزات والعجائب لكي تُثبت ادعـاءَهم كمـا جـاء في (٢٤:٢٤) على أنهم كثيرون، ويضلُّون كثيرين!! ولـن يلتفـت لهـم ويكتشـف ضلالتهـم إلاّ الذيـن يتمسَّكون بالمسيح ولا يحيدون عنه قيد أنملة ويتمسَّكون بكلام المسيح. لذلك يؤكّد المسيح أن أهم ما يمكن أن يعطيه من نصيحة للذين يعيشون هذه الأزمنة هو: «انظروا لا يضلّكم أحد»، وأن أخطر ما سيقابل الكنيسة في آخر الأيام هم المعلّمون والأنبياء الذين يـأتون باسـم المسـيح، المدَّعـون القـوة والمعجـزة، ليخطف الشيطان بواسطتهم أبناء الملكوت من تحت المسيح!

٦:٢٤ «وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوبٍ وَأَخْبَارِ حُرُوبٍ. اُنْظُرُوا، لاَ تَرْتَـاعُوا. لأَنَّـهُ لاَ بُـدَّ أَنْ تَكُـونَ هـٰذِهِ كُلُّهَا، وَلكِنْ لَيْسَ الْمُنْتَهَى بَعْدُ».

النصيحة الأُولى إزاء الذين يستخدمون اسم وشخصية المسيح كانت: «انظروا لا يضلكم أحد»، والنصيحة الثانية هنا إزاء سماع الحروب وأخبار الحروب: «انظروا لا ترتاعوا» لأنـه لابـد أن يكـون هذا ولكن ليس المنتهى. وقد أعطى هنا السبب حتى لا نخاف، وهو أن هذا ليس هو علامة المنتهـى، ولا هو نهاية الإنجيل. أمَّا مـا يقابلهـا عندنـا في هـذه الأيـام فهـي حـروب القنبلـة الذريـة والنوويـة، والحرب الكيميائية والبيولوجية، والعصابات والإرهاب. فالمسيح ينادي بعدم القلق بالنسـبة للحـرب أو أخبار الحرب: «إن نزل عليَّ جيش لا يخاف قلبي.» (مز ٣:٢٧)

ومعنى قوله: «لأنه لابد أن تكون هذه» هو أن هذه الحروب وأخبارها داخلة في خطة تدبير الله وترتيبه ولا تخصُّنا. فكلمة "لأن" γάρ هنا هامة للغاية، لأنها تعطي التفسير والسبب الذي يجعلنا لا

نخاف ولا نرتاع، وهو: «أنه لابد أن تكون هذه كلها»، بمعنى أنها في نظر الله حقائق لابد أن تأخذ سيرها ومجراها.

«ليس المنتهى بعد»: οὔπω ἐστὶν τὸ τέλος

كلمة "المنتهى" هنا تتكرر ثلاث مرات (٢٤: ٦و١٣و١٤) وذلك بطبيعة الحال لأن السؤال والجواب عن النهاية، ولكن يلزم جداً أن ننتبه أن خراب أُورشليم كان في ذهن التلاميذ هو نهاية العالم. وجاءت هنا من ق. متى على فم المسيح لكي يفرِّقها عن حرب الرومان في تخريب أُورشليم. وهكذا يعطي المسيح للتلاميذ والكنيسة أن لا تنزعج من خراب أُورشليم حينما يحدث، فحسب قول المسيح باعتبارها أنها "حرب" فلابد أن تكون هذه، وهنا نفهم جيداً لماذا لابد أن تكون هذه لأنه في موضع آخر يقول: «لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب.» (لو ٢١:٢٢)

وهكذا يَعْبُر المسيح في تنبُّواته فوق حوادث خراب أُورشليم ليمتد بها نحو النهاية.

٢٤:٧و٨ «لأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ وَزَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ. وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا مُبْتَدَأُ الأَوْجَاعِ».

الآن نحن نكون قد عبرنا في التنبُّوات حوادث خراب أُورشليم وحرب الرومان، ونمتد لعصر الحروب وقيام أُمة على أُمة ومملكة على مملكة. هنا ثورة الشيطان في العالم - أُمَّة على أُمَّة - في مقابل الكرازة بالإنجيل - في كل الأُمم، والقصد تعويق رسالة الخلاص والإنجيل، وبالنهاية مماطلة الشيطان لكي يؤخِّر نهايته القادمة لا محالة. فإزاء عمل المسيح في العالم بين الأُمم، يقوم الشيطان هو الآخر ليكرز بالعداوة والبغضة والقتل بين الأُمم والممالك. وإذ لابد من الكرازة بالإنجيل، لابد من الحروب والمقاومات. أمَّا المجاعات فهي أيضاً من حبك أعمال الشيطان، فالحروب تولِّد خسائر وتقتل الفلاحين والعمَّال وتترك الأراضي خراباً، فتنشأ المجاعات، والمجاعات تنشئ الأوبئة. أمَّا الزلازل فهي ثورة الطبيعة التي تمارس مخاضها (الأوجاع) = ὠδίνων آلام الولادة، هي الأخرى تمهيداً للولادة الجديدة للعالم بأرضه وسمائه. ولكن ليست كل الأوجاع إنما هي مقدمات على مدى العصور. وقد قسَّمها المسيح على مرحلتين: مرحلة المخاض بالنسبة للأرض هنا (٢٤:٧)، ومخاض بالنسبة للسماء (٢٤:٢٩). في مخاض الأرض، تتزعزع الأرض، وفي مخاض السموات تتزعزع قوات السموات. لأن هذا هو مخاض الطبيعة، أي آلام ولادة الأرض والسماء لقيام أرض جديدة وسماء جديدة مع قيام الإنسان الجديد، حسب تقليد الرسل: «منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب،

الذي به تنحل السموات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب. ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر.» (٢بط ٣:١٢و١٣)

«مبتدأ الأوجاع»: ἀρχὴ ὠδίνων

وهو مخاض الولادة. وسيَّان كان مخاض الولادة الجديدة أو مخاض الموت للولادة الجديدة. والثانية أقوى والكلمة المرادفة لها والتي جاءت في (١٩:٢٨) هي التجديد παλιγγενεσία ومعناها خروج الجديد من القديم. والمعنى هنا عظيم للغاية، أي بقدر ما كانت آلام المخاض عنيفة كلما كان الميلاد الجديد فائقاً على الطبيعة. لهذا كان اطمئنان الرب الذي يسوقه علينا أن لا تخافوا ولا ترتاعوا، إذ لابد أن تكون هذه كلها. فالعالم القديم لابد أن يجوز مخاض الموت لكي يعطي مكانه للأرض الجديدة والسماء الجديدة.

+ «لأن انتظار الخليقة يتوقَّع استعلان أبناء الله (التغيير المزمع أن يكون)، إذ أُخضعت الخليقة للبطل، ليس طوعاً بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة **تئن وتتمخَّض معاً إلى الآن**.» (رو ٨: ١٩-٢٢)
+ «الحق الحق أقول لكم: إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحوَّل إلى فرح. المرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت، ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح، لأنه قد وُلد (لها) إنسان في العالم.» (يو ١٦: ٢٠و٢١)
+ «ثم نسألكم أيها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه، أن لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهنكم، ولا ترتاعوا، لا بروحٍ ولا بكلمةٍ ولا برسالةٍ كأنها منّا: أي أن يوم المسيح قد حضرَ. لا يخدعنَّكم أحدٌ على طريقةٍ ما، لأنه لا يأتي إن لم يأتِ الارتداد أولاً، ويُستعلن إنسان الخطية، ابن الهلاكِ.» (٢تس ٢: ١-٣)

وهكذا نجد الرسل قد ترسَّخ في قلوبهم ما سيرافق مجيئ الرب من اضطرابات وأحزان وضيقات.

المعاناة الخاصة من أجل اسم المسيح

[٢٤: ٩-١٣]

٢٤: ٩ «حِينَئِذٍ يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى ضِيقٍ وَيَقْتُلُونَكُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ لأَجْلِ اسْمِي».

«حينئذ»: τότε

التي تبدأ بها الآية تشير إلى الترتيب في الحوادث، أي بعد اضطراب الأُمم والممالك، والمجاعات والأوبئة والزلازل، يبدأ عصر الاستشهاد والملاحقة والقتل، وإفراز المسيحيين في وسط الأُمم ليتحمَّلوا البغضة بسبب اسم المسيح لينالوا نصيبهم من الأوجاع الآتية على العالم من أجل موت ينشئ ولادة جديدة. وهكذا إذ تجوز الكنيسة في البداية الخوف والرعدة من عنف الأحداث الجارية، يليها الضيق والبغضة والقتل من الجميع وذلك بسبب اسم المسيح. وهكذا تدخل الكنيسة تحت ضغط الاضطهاد العام.

«يسلِّمونكم إلى ضيق» θλῖψιν = tribulation, affliction

وتعني: "المحنة والكرب". وقد جاءت بصورة أصعب: «ضيق عظيم» في الآية (٢١)، وهو عصر الاضطرابات والكرب والمحن والكراهية، مثل الذي تمَّ في حصار أُورشليم وحربها المخرِّبة.

وعصر الاضطهاد والكراهية على أشدِّه الآن في الشرق، وبدأ يأخذ صورة جارفة في الغرب سواء في أمريكا أو في أوربا تحت تأثيرات الإباحية، وأيضاً الجمعيات السريَّة التي تعمل في تعتيم خطير لا يحسّه العالم لتخريب العالم. وطفحت الاضطهادات بصورة مقاومة التعليم المسيحي في المدارس والجامعات. ولكن بحسب تنبُّوات المسيح ودرجات الامتداد في الاضطهادات وأعمال الشيطان، ستبرز هذه الاضطهادات حتماً في صورة علنية من القبض والملاحقة والتعذيب والقتل. وهذا هو الذي وصفه المسيح تحت «**مُبْغَضين من جميع الأُمم لأجل اسمي**». وقد جاءت هذه الجملة عينها في (مت ١٠: ٢٢) وفي (مر ١٣: ١٣) وفي (لو ٢١: ١٧) بنفس الكلمات. وقد وضعها ق. يوحنا هكذا:

+ «إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم. اذكروا الكلام الذي قلته لكم: ليس عبد أعظم من سيده. إن كانوا قد اضطهدوني

فسيضطهدونكم، وإن كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم. لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمي، لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني ... الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً..» (يو ١٥: ١٨-٢٣)

كل هذا التشجيع يُحتِّم على الكنيسة أن لا ترتعب ولا تنزعج من ارتفاع نبرة الاضطهاد تدريجياً، حينما ينقلب العالم على أولاد الله بصورة علنية منظورة ومسموعة. ولا تنتظر الكنيسة أي قوة رادعة للاضطهاد من العالم. فنصيبها كما قال المسيح في إنجيل ق. يوحنا من نصيب الرب. وخاصة في الأيام الأخيرة حينما لا يتورَّع الشيطان وأعوانه في الانتقام من المسيح وأولاده. ويكفي العبد أن يكون كسيده. ومهما كُرز بالإنجيل في أُمم العالم جميعاً فلن يخفِّف من حدة الاضطهاد والبغضة والمقاومة. فالعالم مستعد أن يقبل كل نزعات وحركات الشيطان، ولكن ليس الكنيسة!! وذلك كله بسبب اسم المسيح! وهذا بدوره يُدخل الكنيسة في عصر الارتداد وهو آخر عصور الضيق العظيم.

١٠:٢٤ «وَحِينَئِذٍ يَعْثُرُ كَثِيرُونَ وَيُسَلِّمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَيُبْغِضُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً».

هذا هو زمان الارتداد الذي تكلَّم عنه ق. بولس الرسول أنه لابد وأن يسبق مجيء المسيح. وكلمة "حينئذ τότε" تفيد الترتيب، أمَّا كلمة "يعثر" فهي تفيد العثرة للسقوط بعيداً عن المسيح. والمعنى أن بسبب عنف الاضطهاد العام والبغضة من جميع الأُمم لا يقوى مَنْ كان إيمانهم ضعيفاً وتمسُّكهم بالمسيح صورياً أن يحتملوا التضحية والمقاومة. وهكذا ينتهي الاضطراب الظاهري والمقاومات الخارجية إلى ضربة في عمق الكنيسة، فتبدأ تفقد أولادها بسبب عدم الرعاية وعدم الاهتمام برسالتها، خاصة وأن معلِّميها دخلتهم عناصر كاذبة منتفعة، ليست لهم حرارة الإيمان أو التعليم، فلم يكونوا أكثر من صور ذات قناعات كاذبة، وهكذا يسهل ارتداد الرعية. الذين شبَّههم المسيح بالبذور التي وقعت على أرض محجرة يقبلون المسيح بفرح وعند أول اضطهاد يسقطون. وتنتقل العثرة من الخارج لتصبح من الداخل إذ يسلِّمون بعضهم بعضاً، وهذه يكون أثرها أخطر من العثرة الآتية من الخارج. وتسكن البغضة بدل المحبة لتفكِّك جسد الكنيسة، لكي لا يبقى إلاَّ الذين أمسكوا بالحياة الأبدية. وهكذا ينجح الشيطان في الانتقال من محاربة الكنيسة من الخارج ليحاربها من الداخل. ويقول المسيح إن الذين يسقطون ويحاربون الكنيسة كثيرون: "يعثر كثيرون ويسلِّمون بعضهم بعضاً ويبغضون بعضهم بعضاً".

وهكذا إذ نتتبَّع ضربات الشيطان للكنيسة نجدها تتدرَّج

من (١) الضلالات والهرطقات الإيمانية واللاهوتية (٢٤: ٤و٥)،

إلى (٢) الحروب وأخبار الحروب والقلاقل التي تهد في الأركان الخارجية (٢٤: ٦-٨)،

إلى (٣) عصر الاضطهاد الكبير (٢٤:٩)،

إلى (٤) الارتداد والإعثار الداخلي لتقويضها من الداخل (٢٤: ١٠-١٢) تزيدها تخريباً الانقسامات والحروب اللاهوتية.

وهذه الضربات المتلاحقة التي تسحف على الكنيسة حتى عمقها الداخلي، هي المقابل لحركات الكرازة بالإنجيل في جميع الأُمم. وهكذا تحتفظ الكنيسة بتوازن، إذ على قدر الفاقد تكتسب أعضاء جدداً في مواقع مختلفة من العالم يصعب ضربها أو التكتُّل ضدَّها. لأن الوعد باقٍ كما هو حتماً: «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت ١٦:١٨). وهذه المعادلة تظهر في الآيات القادمة (١٣).

٢٤:١١ «وَيَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ».

ضعف الكنيسة بسبب وجود معلِّمين كذبة يُنشئ في الحال قيام شخصيات قوية تدَّعي الإنقاذ والريادة، وتتبوَّأ مراكز الأنبياء، وينشئون مراكز سلطة إصلاحية وتعليمية مستغلين ضعف سلطان الكنيسة وغياب كلمة الحق والأمانة والشرف بين الرؤساء الرسميين. وهكذا تتفتَّت الكنيسة ويضل كثيرون. ويبتدئ الانقسام ومنه العداوات والتحديات والبغضة. ولغياب الإيمان الحقيقي يستشري الإثم والتعدِّي وتبرد المحبة كمحصلة حتمية لفعل الشيطان. وبشيء من البصيرة يدرك القارئ أن وجود معلمين كذبة على مستوى الكتبة في مراكز الكنيسة التعليمية هي المصيبة المركزية التي أنشأت وتنشئ هذا التدهور السريع في قوام الكنيسة. وسوف نسمع في الآيات (٢٣-٢٦) مزيداً من تعليم الضلالات نتيجة لاضمحلال المعرفة وسلطان الحق في الكنيسة.

«ويقوم أنبياء كذبة»: ἐγερθήσονται

ترجمة كلمة "يقوم" هنا غير صائبة وقد أخفت المعنى الحقيقي، إذ هي مبني للمجهول "ويُقام" وليست يقوم، حيث الفاعل هنا مبني للمجهول وهو الشيطان الكذاب وأبو كل كذاب. وهكذا يتسبَّب ضعف الكنيسة وفقدان سلطان تعليم الحق بالحق بدخول عنصر الإثم داخل الكنيسة، ويُعطى الشيطان الفرصة ليقيم أنبياءه الكذبة الذين هم ليسوا إلاَّ المعلمين الكذبة، وقد نفخ فيهم الشيطان مواهب تعليمية علمية صحيحة وبرَّاقة وهي عوامل هدم لأركان الإيمان والحق. ويلاحظ القارئ

أيضاً قول المسيح ويضلُّون "كثيرين" فالضلالة ليست قليلة وهي كفيلة أن تأكل من جسم الكنيسة.

١٢:٢٤ «وَلِكَثْرَةِ الإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ».

«لكثرة»: πληθυνθῆναι

هنا الترجمة العربية لم تأتِ بالمعنى المقصود، فهي ليست كثرة ولكن "إكثار to be increased"، حيث يكون المعنى ليس مجرَّد كثرة إثم ولكن إكثار = تزايد، أي عملية ممتدَّة وشغَّالة من الداخل بفعل فاعل. فهنا أصبع الشيطان واضح أيضاً. فالداء دخل جسم الكنيسة وبدأ يتكاثر. فرجعة للدرجات المنحدرة للكنيسة:

١ - عصر الضلالة (٢٤:٤و٥) أضعف الإيمان في الكنيسة.

٢ - عصر الاضطرابات (٢٤:٦-٨) أفقد توازن الكنيسة.

٣ - عصر الاضطهادات (٢٤:٩) أفقد الرجاء.

٤ - عصر العثرات الداخلية (مت ٢٤:١٠و١١) أفقد الأمانة للكنيسة.

٥ - عصر الإثم وهو العدو الأكبر والأخير (٢٤:١٢) أفقد المحبة بكل ثقلها لله والمسيح، والبعض للبعض، ومحبة الأعداء.

وهذه هي صورة الأيام الأخيرة عند ق. بولس:

+ «ولكن اعلم هذا أنه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبةٌ، لأن الناس يكونون مُحبِّين لأنفسهم، محبين للمال، مُتعظِّمين، مُستكبرين، مُجدِّفين، غير طائعين لوالديهم، غير شاكرين، دنسين، بلا حنوٍّ، بلا رضىً، ثالبين، عَديمي النزاهة، شرسين، غير مُحبِّين للصلاح، خائنين، مُقتحمين، مُتصلِّفين، مُحبِّين للَّذات دون محبة لله، لهم صورة التقوى، ولكنهم منكرون قوَّتها.» (٢تي ٣: ١-٥)

«ولكثرة الإثم»: πληθυνθῆναι τὴν ἀνομίαν

المعنى اليوناني كما قلنا لا يفيد الكثرة بل التكاثر، بمعنى أن الإثم يلد إثماً. فالتكاثر يعني أن هناك عاملاً داخلياً هو الذي يولِّد الإثم wickedness is multiplied. وهكذا يكفّ عمل المحبة وتتجمَّد كما من هبوط الحرارة: «لأن كثيرين يسيرون (بسيرة الإثم) ممن كنت أذكرهم لكم مراراً. والآن أذكرهم أيضاً باكياً، وهم أعداء صليب المسيح.» (في ٣:١٨)

«تبرد محبة الكثيرين»:

هنا يلزمنا أن نكشف علامة متكرِّرة في هـذه التنبُّوات وهـي كلمـة: "**كثيرين πολλῶν**" الـتي تُذكر هنا لسادس مرَّة، الأمر الذي يدمغ هذه التنبُّوات عن الأيـام الأخيرة بسـرعة الانحـدار وزيـادة نسبة السقوط والضلالة، وقد ذكرت في المواضع الآتية:

١ - «فإن **كثيرين** سيأتون باسمي ... ويضلُّون **كثيرين**» (٢٤:٥) مرَّتان.

٢ - «وحينئذ يعثر **كثيرون** ...» (٢٤:١٠)

٣ - «ويقوم أنبياء كذبة **كثيرون** ...» (٢٤:١١)

٤ - «ويضلُّون **كثيرين** ...» (٢٤:١١)

٥ - «ولكثرة الإثم تبرد محبة **الكثيرين**.» (٢٤:١٢)

ويُلاحَظ أن هنا في قوله: «تبرد محبة "**الكثيرين**"» تأتي معرَّفة بأل **τῶν πολλῶν** في حين صفة "كثيرين" في كل المرَّات السابقة لم تكن معرَّفة بأل. وهذا يشير إلى الهول الذي بلغت إليه نسـبة الذين تبرد محبتهم، إذ يصبحون الكثرة الكثيرة. وبالتالي يكشـف عـن أن البقيـة الـتي احتفظـت بمحبتها مع إيمانها قليلة للغاية. وإلى هنا يكشف المسيح عـن عظـم وهـول الخسـارة الماحقـة الـتي ستصيب الكنيسة من جراء **تكاثر الإثم وأسبابه**. وهذا الأمر مكشوف الآن أمامنا.

كذلك ننبِّه إلى أن كلمة: "المحبة ἀγάπη"، جاءت هنا بوضعها الذي نشـأ في الكنيسـة مـن جراء "محبة" المسيح التي استعلنت في حياة المسيح وفي موته الذي دخلنا فيهمـا كشـركاء. فهـي ليست محبة بشرية بل محبة جوهرية. وقد أتت في إنجيل ق. متى مرَّة واحدة هنا فقـط، وتهـدف إلى محبة الله والناس المنحدرة من "محبة" الله للعالم(٣).

ومعنى أن **المحبة تبرد** أنها لا تكون محبة قلبية بل محبة تخـرج مـن تحـت الأسـنان بصعوبـة، حيـث الحرارة القلبية تكون قد آكلها الإثم!! وهذه لا تُحسـب ولا تُعد محبـة في نظـر المسـيح الـذي مـات لأجلها. وقد أوضحنا منشأ ضياع المحبة في الآيات التي اقتبسناها أعلاه من (٢تي ٣: ١-٥). ولكـي يدرك القارئ خطورة هذه الصفة "**الإثم**" وكيف تلحق بالناس نقرأ للقديس بولس: «لأن سر الإثـم الآن يعمل فقط إلى أن يُرفع من الوسط الذي يحجـز الآن، وحينئـذ سيسـتعلن **الأثيم**، الـذي الـرب يبيده بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه» (٢تس ٢: ٧و٨). هذا الأثيـم هـو شـخص صنيعـة الشـيطان

(3) W. Grundmann, *Matthäeus* (1968), p. 540, ctied by F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 853.

الذي يكمل عنه القول هكذا: «الذي مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل **خديعة الإثم** في الهالكين، لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا. ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدِّقوا الكذب، لكي يدان جميع الذين لم يصدِّقوا الحق بل **سرُّوا بالإثم**» (٢تس ٢: ٩-١٢). هنا الأثيم هو بعينه الذي عرَّفه بولس الرسول بأنه "إنسان الخطية"، "ابن الهلاك" وهو سبب الارتداد: «لأنه (المسيح) لا يأتي إن لم يأتِ الارتداد أولاً ويُستعلن **إنسان الخطية ابن الهلاك**» (٢تس ٢: ٣) وصفاته يكشفها ق. بولس أنه يدَّعي الألوهية: «المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهاً أو معبوداً حتى أنه يجلس في هيكل الله كإله مُظهراً نفسه أنه إله» (٢تس ٢: ٤). هذه كلها طبعاً في شكل تعاليم فاسدة مضلَّة تزحزح إيمان الناس من العبادة لله إلى عبادة الأباطيل.

هذا الأثيم وهو "إنسان الخطية" لا يعمل أولاً على المكشوف بل يعمل بسريَّة تامة حتى لا ينتبه له أحد، ويعمل بنصب فخاخ كما يقول ثيؤدوريت(٤). أو أنه يعمل تحت ادعاء أعمال صالحة ونيَّات صالحة، ولكنه يستخدم سُمَّه فيها وهي تُحسب أنها أعلى مستوى من مستويات غش قُوى الظلام، وهي تعمل في الاتجاه السلبي الهادم إزاء مشورة الله العاملة بسرّ المسيح وملكوته. هكذا الشيطان يعمل بمشورات سريَّة، ولكن إلى هنا لا يظهر على المكشوف بل يعمل "بسر الإثم" فقط، على المستوى المضاد لسر المسيح. بمعنى أنه يجسِّد كل خواصه الأثيمة في شخص يعمل بخطط سريَّة لا تظهر في النور، ولكن إذ تأخذ قوتها وسلطانها على الأفكار والقلوب تنتهي إلى أن يُعلن نفسه بصفته الضد للمسيح علناً Antichrist، وهذه يمكن اختصارها بالقول أن سر الإثم يعمل الآن قبل أن يُستعلن الضد للمسيح. لأنه يوجد **"من"** يحجز ظهوره أو **"ما"** يحجز ظهوره، ولكن مَنْ هو أو ما هي هذه القوة التي تمنع ظهوره، لم يهتدِ العلماء إلى حلّها(٥).

«**حينئذ سيستعلن الأثيم**» (٢تس ٢: ٨)، وفي حال ظهوره واستعلانه على المكشوف يتخذ الرب إجراءه المباشر ضدَّه، وهكذا: «يبيده بنفخة فمه». وهذا يتم في نفس وقت ظهور المسيح في مجيئه الثاني: «**ويبطله بظهور مجيئه**». ويبدو أن مجيء الرب في ملء قوة مجده وملائكته القديسين معه يكون له الحسم النهائي في القضاء على هذا الأثيم، الذي هو إنسان الخطية ابن الهلاك. وكلمة «بنفخة فمه» تُحسب سلطان المسيح الذاتي المقتدر جداً، حتى أنه يُبطل حركته نهائياً ويُدخل في مستوى الإبادة.

---

(4) H.A.W. Meyer, *on Thessal*, II, 7,8, pp. 602 f.

(٥) انظر كتاب: "القديس بولس الرسول: حياته، لاهوته، أعماله" للمؤلف صفحة ٥٩٦ و٥٩٧.

ولكن يعود القديس بولس الرسول بعد أن ينهي المعركة مع الأثيم، يستطرد بأن ظهور هذا الأثيم «الذي مجيئه بعمل الشيطان» تكون له قوة ومواهب خارقة للغاية لعمل أعظم ضلالة في العالم «الذي مجيئُهُ بعملِ الشيطان، بكلِّ قوةٍ، وبآياتٍ وعجائِبَ كاذبةٍ» (٢تس ٢:٩). ويعود ويكشف سلاحه المعهود: «وبكل خديعة الإثم في الهالكين». ويعود ق. بولس ويلحم هذه الحقبة من هذه الضلالة الكبرى بسببها المباشر الذي ابتدأنا به الكلام بالقول: «ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين»، هكذا: «وبكل خديعة الإثم في الهالكين لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا» (٢تس ٢:١٠). ولكن أكثر شيء محزن جداً وخطير هو أنه بسبب عصيان هؤلاء العائشين في الإثم وعنادهم بتركهم الله، يسمح الله للشيطان بممارسة ضلالته هذه: «**ولأجلِ هذا سيُرسِلُ إليهم الله** عملَ الضلالِ (وكأنه برضاه)، حتى يُصدِّقوا الكَذِبَ (والسبب هو لكي تكمل دينونتهم التي عملوا لأجلها)، **لكي يُدانَ جميع الذين لم يُصَدِّقُوا الحقَّ**، بل سُرُّوا بالإثمِ.» (٢تس ٢: ١١و١٢)

١٣:٢٤ «وَلكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ».

«الذي»: ὁ δέ

وتُترجم الواحد الذي يصبر إلى المنتهى. وهكذا فجأة ينتقل من الكثيرين الذين دخلوا في الإثم إلى الواحد الذي يصبر إلى المنتهى. هنا يتضمَّن الكلام نوعاً من الحسرة والأسى المزعجة جداً للنفس، إذ الكثيرون ينتمون للإثم والواحد أي القلّة القليلة يحصلون على الخلاص، وبصعوبة أيضاً إذ يلزم الصبر كسلاح ضد اليأس من الذي يجري حول الناس. وهنا الصبر معناه الذي جاءت به الكلمة اليونانية ὑπομείνας هو أن يقف الإنسان في محلّه تحت ضغط الظروف المحيطة. وهو الصبر على الاحتفاظ بالمحبة تحت أعنف ظروف الضلالة والاضطهاد: «لا تخف البتّة مما أنت عتيد أن تتألّم به. هوذا إبليس مزمع أن يلقي بعضاً منكم في السجن لكي تُجرَّبوا ويكون لكم ضيق عشرة أيام. كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة.» (رؤ ٢:١٠)

«إلى المنتهى»: εἰς τέλος

لا تعني إلى نهاية العالم بل إلى المنتهى، أي آخر نسمة في الحياة «**كن أمينا إلى الموت**». وقد جاءت هكذا تماماً على لسان المسيح: «إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم، أحبَّهم **إلى المنتهى** εἰς τέλος» (يو ١٣:١)، فكانت نموذج المحبة الفادية **حتى الموت!!** وهي بهذا تشير إلى معركة الإنسان في التشبُّث **بالمحبة، حتى الموت**.

الكرازة بالإنجيل كعلامة انتهاء المناداة بالملكوت أي تكميل الشهادة

[١٤:٢٤]

١٤:٢٤ «وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى».

بحذق ومهارة روحية أعطيت "الواو" καί هنا لكي توصِّل هذه النهاية السعيدة بأمانة الذين صبروا على الضيق، واحتفظوا بأمانة المحبة حتى المنتهى. وهذا منتهى الإيجابية، فلم تأتِ النهاية بعد قيام الأثيم وعمل الإثم والضلالة، بل جاءت ختاماً لأمانة المحبة والصبر. وهنا: «يُكرز ببشارة الملكوت»، تعني حركة الإرساليات في كل أنحاء العالم وهي تبشِّر بالأخبار السارة وقرب الملكوت.

وهكذا وبعد أخبار الفزع التي عشناها: حروب وأخبار حروب ومجاعات وأوبئة وزلازل وضلالات واستشهادات وسقوط وتعاليم مضلِّلة وإثم يَعُمُّ الكثرة، ولكن بعد هذا النوء المريع العاصف تهدأ التنبُّؤات مرَّة واحدة، ويصفو الجو، وتخرج الشمس، ويعمُّ النور على نغمات بشارة الأخبار السارة وهي تجوب البلاد جماعات جماعات، وكأن صوت الله والإنجيل يقول: نعم فهذه المفزعات والأهوال كلها تحت الضبط وكَبْح جماحها، محسوبة العنف ومضبوطة الإيقاع لكي تنتهي جميعها إلى نهاية يكلِّلها الإنجيل!! وهنا لم تأتِ كلمة البشارة بالملكوت هيِّنة، فهي إصبع يشير إلى الجالس على العرش ممسكاً بأعنَّة الحوادث وسرعتها لكي تنتهي في اللحظة التي يُستعلن فيها المسيح ليملك إلى الأبد.

ويقول العالِم برونر(٦) أن هذه الكلمات الأربع: «يُكرز ببشارة الملكوت هذه»، هي كل مضمون إنجيل ق. متى، والتي تصلح لتكون عنوان إنجيله بالكامل. وكأنه في خجل تواضعه يقدِّم إنجيله بالذات ليكون موضوع كرازة العالم الأخيرة.

«ويُكرز»:

تأتي في المبني للمجهول حيث الفاعل مضمر وهو الروح القدس مدبِّرُ الكرازة وقوَّتها وفِعْلُها.

(6) F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 855.

ولا يذكر المسيح هنا مَنْ هُم الذين سيقومون بالكرازة لجميع الأُمم، بنوع من الاطمئنان العجيب أن الكل يسمع والكل يقول تعالَ! التي ختم بها ق. يوحنا رؤياه: «والروح والعروس (الكنيسة) يقولان تعالَ. ومَنْ يسمع فليقل تعالَ. ومَنْ يعطش فليأتِ. ومَنْ يرد فليأخذ ماء حياة مجّاناً.» (رؤ ٢٢:١٧)

ولكنها كرازة من داخل أعتى عواصف واضطرابات وضلالات ظهرت في الوجود. نعم إنها كنيسة آخر الدهور، تعمل من وسط الحروب وأخبار الحروب والمجاعات والأوبئة والزلازل، تضمِّد الجراح وتطمئن النفوس وتغرس كلمة الخلاص ربما ليقبلها الإنسان ثم يقع ليموت. إنها أقوى كنيسة ظهرت وستظهر على وجه الأرض، كنيسة جديرة حقًّا بالملكوت الذي تراه وسط عتمة آخر ليل العالم.

«في كل المسكونة»: ἐν ὅλῃ τῇ οἰκουμένῃ

كلمة "كل" تشمل جميع الأُمم. ولكن السؤال: كيف أن الذين يتبقون قائمين في الإيمان قليلون، ثم يكرزون في كل المسكونة؟ هنا يبدو أن التعريف بالقلّة غير التعريف بالقوة، فهي كنيسة قوية قادرة أن تبلّغ رسالة الخلاص بهذا الشمول. فهي حتماً مسنودة بقوة غير عادية من الروح. لهذا تأتي هذه الآية كنور يشعّ وسط ظلام ليهب الأمل والرجاء، وليبدِّد كل الأوهام والمخاوف التي زرعها الشيطان في قلوب المنتظرين برجاء ثابت، ممسكين بالصبر إلى النهاية. فرغماً عن أنف الشيطان سيبلغ الإنجيل إلى أقصى الأرض كوعد المسيح القائم من بين الأموات: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ١٩و٢٠). وهكذا انعكست المحن والاضطهادات والذبح، إلى قوة وتصميم في الكنيسة. قوة لا تُقهر رمز القيامة بقوة سلطانها من داخل المحن والاضطهادات والذبح الذي جازه المسيح وسلّمه كما هو للكنيسة. ولقد عبَّر القديس الشهيد يوستين عن هذه القوة الناشئة من وسط عنف الاضطهادات بقوله: [وبكثرة الاضطهادات التي وقعت علينا، كثر الأتقياء المؤمنون باسم المسيح](٧). وصدق قول العلاّمة ترتليان: [إن دماء الشهداء بذار الكنيسة](٨). وهكذا ينبثق هذا القول الأخير من فم المسيح كشجرة خضراء وسط خرائب. وهكذا استطاعت آية واحدة أن تزيح عنّا الغم الذي كوَّمته علينا ثلاث عشرة آية مملوءة أهوالاً ومحناً. وهكذا جاءت العلامة الأخيرة من علامات آخر الزمان تؤكِّد أن القلّة القليلة التي

(7) Justin Mart., *Dialogue with Trypho*, ch. 110.
(8) Tertullian, *Apology*, 50:13.

ستبقى، ستعمل عمل أبطال الكنيسة الأُولى وأكثر. وهي قادرة بذاتها أن تعمل عمل الدهور كلهـا، كأمرٍ يدهش العقل، ويحفظ لنا الرجاء عالياً، وتأكيداً لدوام فرحة البشارة بالأخبار الطيبة حتى آخر لحظةٍ وآخر إنسان على الأرض. فالغصن الخارج مـن جـذع يسَّى سيخضر دائماً ليصنع بالنهاية شجرة تظلّل المسكونة كلها. وجميع الأُمم الذين في البدء أبغضوا "الاسم" ومَنْ يعملون من أجل الاسم، سيخضعون في النهاية ليقبلوا الاسم! وهكذا تتم نبوَّة إشعياء فيما يخص قوة ذراع الآتي:

+ «فقال قليل أن تكون لي عبداً لإقامة أسباط يعقوب ورد محفوظي إسرائيل. فقد جعلتك نوراً للأُمم **لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض**. هكذا قال الرب فادي إسرائيل، قدوسه، للمهان النفس، لمكروه الأُمة لعبد المتسلّطين، ينظر ملوك فيقومون، رؤساء فيسجدون، لأجل الرب الذي هو أمين وقدوس إسرائيل الذي قد اختارك.» (إش ٤٩: ٦و٧)
+ «قد شمَّرَ الرب عن ذراع قدسه **أمام عيـون كـل الأُمـم**، فـترى كـل أطـراف الأرض خـلاص إلهنا.» (إش ٥٢: ١٠)

خراب أُورشليم والهيكل وحرب الرومان

أول تفصيل لعلامات الحروب والمروعات ونموذج كامل لها

[٢٤: ١٥–٢٨]

(مر ١٣: ١٤–٢٣)،
(لو ٢١: ٢٠–٢٤)

٢٤: ١٥–١٨ «فَمَتَى نَظَرْتُمْ رِجْسَةَ الْخَرَابِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيآلُ النَّبِيُّ قَائِمَةً فِي الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ – لِيَفْهَمِ الْقَارِئُ – فَحِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ، وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلاَ يَنْزِلْ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئاً، وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ فَلاَ يَرْجِعْ إِلَى وَرَائِهِ لِيَأْخُذَ ثِيَابَهُ».

هنا يتضح خطورة الأخذ بالتسلسل التاريخي من واقع تسلسل الحديث. لأن آخر آية في السابق هي **«يأتي المنتهى»**. فكيف بعد أن يأتي المنتهى نبتدئ من جديد لنتكلّم عن خراب أُورشليم؟ إذن فنحن أمام إعادة تفريدة الاضطرابات والحروب والمجاعات، وتقديم العلامة الأُولى الشاملة في خراب أُورشليم. وهذا معناه: بعد أن أعطى المسيح صورة عامة لكل العلامات الهامة بمروِّعات آخر الزمان حتى بلوغ النهاية استجابة لسؤال التلاميذ الثاني عن علامات **"انقضاء الدهر"**؛ عاد بالتوضيح

وإعطاء المَثَل الكامل والأول لهذه المروعات والحروب الطاحنة التي ستتم في خراب أُورشليم وحروب الرومان مع إسرائيل على أرضها. أمَّا كونها هي حرب الرومان مع إسرائيل فيكشفها ذكر اليهودية التي ينبغي أن يهرب سكانها إلى الجبال من موقعة الحرب داخل أُورشليم وحواليها. وهذا ردٌّ على أول سؤال لتلاميذه سألوه تعليقاً على قوله إنه لا يُترك حجر على حجر في هذا الهيكل! فكان السؤال: «قُل لنا متى يكون هذا وما هي علامة ...» وهنا يبدأ المسيح بإعطاء العلامة: «متى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدَّس (الهيكل) ليفهم القارئ»، يفهم أن خراب الهيكل قد بدأ، «فليهرب ...». وبذلك يكون واضحاً أمامنا أن المسيح تكلَّم أولاً عن نهاية العالم «علامات انقضاء الدهر» دون أن يذكر فيها شيئاً عن خراب أُورشليم، ثم عاد ليتكلَّم عن علامات نهاية أُورشليم! وذلك لأمر هام جدًّا إذا لم نفهمه نسقط في المتاهة التي كان سيسقط فيها التلاميذ أنه بنهاية أُورشليم سينتهي العالم ويأتي المسيح! لذلك سبق المسيح وأعطى أولاً صورة لنهاية العالم وسجَّلها ق. متى كما هي، وبعدها بدأ بإعطاء صورة لخراب أُورشليم ونهايتها دون أن تكون هذه النهاية مصحوبة بمجيء ابن الإنسان. ولكنه بعد أن أكمل صورة خراب أُورشليم ونهايتها ـ أفرد جزءاً خاصاً بمفرده لعلامات مجيء ابن الإنسان بصورة واضحة، حتى يكونوا على وعي من الأكاذيب والضلالات التي سينتهزها المضلِّلون والشيطان أثناء حرب أُورشليم، ويذيعون أخباراً كاذبة عن مجيء المسيح. إذن، فإيراد فصلٍ خاص عن علامات مجيء ابن الإنسان بعد ذكر خراب أُورشليم مباشرة، يقصد به أن يستبعدوا من كل ظروف خراب أُورشليم فكرة مجيء المسيح، لأنه يجيء في نهاية العالم وليس في نهاية خراب أُورشليم.

والقارئ يجد بوضوح أن حوادث خراب أُورشليم بحربها المروِّعة جاءت، كما وصفها المؤرِّخ يوسيفوس اليهودي ـ الذي كان مترجماً خاصاً لتيطس قائد الحملة ـ صورة رائعة مصغَّرة كما في بلورة للحرب الصاخبة التي سيجوزها العالم بنفس المروِّعات. أمَّا ما عانته أُورشليم من فظائع غضب الله والرومان فكان جزاءً وفاقاً لذبحها أنبيائها وأخيراً مخلِّصها بعد رفضه والتنكيل به. كذلك، وبنفس ميزان عدل غضب الله، سيجوز العالم نفس القصاص المريع بعد أن تكون قد تمت الكرازة بالإنجيل في أنحاء العالم. ويصبح العقابُ وِفَاقَ رفْضهم الإيمان بالمسيح والتنكيل بالمُرسَلين المسيحيين عموماً، على مدى التاريخ وفي كل الأُمم.

وكما حدث لمختاري الله أثناء حرب أُورشليم أنه لم يُصب أي أحد، كذلك سيُحفظ المختارون في حروب النهاية: «يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة.» (٢بط ٢:٩)

«فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي»:

حرف "الفاء" في ظرف زمان "متى" = οὖν يَصِل هذه الآية بسابقها من الحديث، فمن الحديث العام عن علامات نهاية العالم ندخل إلى علامة نهاية أُورشليم. لذلك تحسب كلمة "فمتى" أنها علامة الزمان مربوطة بعلامة الحديث وهو ظهور رجسة الخراب، التي هي علامة بدء الحرب، لأنها كانت أيضاً هي السبب في قيام ثورة اليهود التي قادت إلى الحرب. لذلك تُحسب جملة: «فمتى نظرتم رجسة الخراب» أنها هي علامة بدء زمن الحرب وسببه.

«رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي»

قد وردت في دانيال هكذا: «وتقوم منه أذرُعٌ وتُنجِّس المقدِس الحصين، وتُنْزَع المحرقة الدائمة، وتجعل الرِّجس المخرِّب (رجسة الخراب). والمتعدُّون على العهد يغويهم بالتملُّقات. أمَّا الشعب الذين يعرفون إلههم (المسيحيون) فيقوون ويعملون. والفاهمون من الشعب يعلِّمون كثيرين» (دا ١١: ٣١-٣٣). وأيضاً العلامة: «ومن وقت إزالة المحرقة الدائمة وإقامة رجس المخرِّب ألف ومئتان وتسعون يوماً.» (دا ١٢:١١)

وقد تضاربت أقوال العلماء في ما هي رجسة الخراب التي اتخذت أحياناً ضمير المذكر كإنسان. ولكن إذا رجعنا لإنجيل ق. لوقا الذي حلَّل وقتها المعنى وعرف مضمونه نجده يلخِّصه في الآية الآتية: «ومتى رأيتم أُورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها» (لو ٢١:٢٠). ويمكننا أن نعتمد على شرح ق. لوقا أفضل من تخمينات العلماء عن هذا الاصطلاح التي لم تتفق مع الواقع.

«فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال»:

"حينئذ" يحدِّد بها المسيح زمان إحاطة الجيوش الرومانية بأورشليم، وهذا وقَّعه التاريخ سنة ٧٠م. حينئذ فهم التلاميذ في الحال أن هذه هي الإشارة والعلامة، فهربوا جميعاً عبر الأُردن، نحو مدينة بلا Pella بحسب تحقيق المؤرِّخ يوسابيوس القيصري(٩) والقديس إبيفانيوس(١٠). وأكثر وصف تفصيلي لأحداث حرب أُورشليم جاءنا على يد يوسيفوس المؤرِّخ اليهودي الذي سنذكر حالاً مختصراً لتاريخه الدقيق هنا(١١)، لأن تاريخ حرب الرومان لخراب أُورشليم من أبرز نقط التاريخ ومن أشد محققات نبوَّة المسيح التي يتعلَّق بها تاريخ الكنيسة وبداية انتشار المسيحية.

(9) Eusebius, *H.E.*, III, V, 3.

(10) Epiphanius, *Ag. Her.*, XXIX, 7.

(11) Josephus, *Jewish War*, VI.

وبهذا الفهم الذي سبق المسيح وحثّهم عليه: «ليفهم القارئ ... اهربوا»، استطاع المسيحيون أن يفلتوا من حصار أُورشليم، وكانت بذلك نجاتهم. وتذكّرنا هذه التوصية العاجلة والخطيرة: "اهربوا" بما تمَّ في أمر سدوم وعمورة ونداء الملاك للوط وامرأته وبناته: «وكان لمّا أخرجاهم إلى خارج أنه قال: اهرب لحياتك. لا تنظر إلى ورائك، ولا تقف في كل الدائرة. اهرب إلى الجبل لئلاّ تهلك» (تك ١٩:١٧). ومن هذا النداء الإلهي ورّثت الكنيسة النصيحة الروحية لأولادها: «اهرب لحياتك» من وجه الشر ومن وسط الأشرار ومن مواضع عقوبة الله ومن كل ما يغضب الله عليك. اهرب من كل فكر شرير ومن كل حركة شريرة ومن كل دعوة شريرة. لا تتفاهم مع الشر ولا تجادل الأشرار بل اهرب، اهرب لحياتك.

«والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئاً، والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه»:

معنى هذا الكلام واضح للغاية على ضوء ما كان يحثّه الملاك للوط وامرأته وابنتيه، لأن النجاة محسوبة بالثانية، فالزمن ليس معك بل ضدَّك، وأي تأخير لأي سبب ستأكلك النار. عودتك لأمتعتك في البيت ثمنها القتل، ونزولك من على السطح بالكاد يكفي لجريك صوب الجبل. فدخولك البيت لأخذ ثيابك يساوي قتلك. وهنا التشديد كثير جداً وبضغط إلهي أن لا يتعوَّق الإنسان إطلاقاً ولا ثانية واحدة حينما تأتيه الفرصة للهروب. وكانت كارثة امرأة لوط أنها نظرت وراءها فقط. فالعودة إلى مكان الخطية ولو بالنظر أو الفكر ثمنها الهلاك.

١٩:٢٤ «وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ!».

هنا لا يتشفّى المسيح في الحبالى والمرضعات، بل يقولها من مصدر حزن أسيف على ما سيصيبهنَّ من تعذيب لا يوصف ولا يقع على فكر. وكأن المسيح يرى ما هو آتٍ فيتأمّله ويتأوَّه، فسوف يبقرون بطونهن بالسيف ويعلّقون أطفالهن على أسنّة الرماح أمام عيون أمهاتهم. وإلى هنا يعصى عليَّ قلمي ويتوقّف ملزماً إياي أن لا أصف هنا ما تمَّ في تلك الأيام كما تسجَّل بقلم المؤرِّخ اليهودي المعاصر لتلك الحوادث كشاهد عيان ومؤرِّخ، بل وكان المترجم الشخصي لتيطس وإليك المختصر:

في سنة ٣٨ للميلاد، ولم يكن قد مضى على الحكم بالصلب للمسيح سوى أعوام قليلة، بدأ اضطهاد اليهود بمذبحة مريعة في الإسكندرية أيام الإمبراطور الروماني كاليجولا.

وفي سنة ٥٠ للميلاد، أي بعد قرابة عشرين سنة من حادثة الصليب، ولم تزل غالبية الرسل على

قيد الحياة (ينشرون بشارة الخلاص)، حدثت فتنة جامحة بين اليهود والحكام الرومان قُتل فيها نحو ٣٠,٠٠٠ يهودي في أُورشليم وحدها. وفي سنة ٦٦م ابتدأت الاضطهادات القاسية ضد اليهود أيام جسيوس فلوروس حاكم اليهودية الروماني.

وفي سنة ٦٨م أرسل الإمبراطور نيرون الطاغية رئيس جيوشه فسبسيان مصحوباً بابنه تيطس، فجاءوا إلى فلسطين بجيش قوامه ٦٠,٠٠٠ مقاتل. وتقابل هذا الجيش في الجليل العليا مع يوسيفوس القائد اليهودي في الجيش الحشموني (وهو الذي صار بعد ذلك مترجماً لتيطس)، وكان هذا القائد متحصِّناً حينذاك في بوطاباثا، فسلَّم أخيراً للرومان بعد حصار دام ٤٧ يوماً وخسارة ٤٠,٠٠٠ جندي يهودي من جيشه. ونتج عن ذلك خضوع الجليليين للرومانيين وهلاك آلاف عديدة من اليهود في تلك الولاية. غير أن يهود أُورشليم قد تأجَّل مصيرهم مؤقتاً بسبب عودة فسبسيان إلى روما لكي يتبوَّأ العرش بعد فترة الاضطرابات التي أعقبت موت نيرون. وإذ صار فسبسيان صاحب العرش أرسل ابنه تيطس لإكمال إخضاع اليهود والاستيلاء على أُورشليم.

وفي سنة ٧٠م ذهب تيطس على رأس جيش من ١٠٠,٠٠٠ جندي روماني إلى أُورشليم التي كانت محاطة بثلاثة أسوار متتالية منيعة يشرف عليها تسعون بُرْجاً. فأخذ في محاصرتها مدة أربعة شهور أخرى، وكانت أشد الحصارات ضيقاً ذُكِرت في التاريخ. وقد عمل الجوع عمله، فكانت الزوجات تخبِّئن الخبز من أزواجهن والأولاد تخطف من والديهم ما يسد الرمق. ووصلت الحالة أن بعض الوالدات فقدن الحنان الطبيعي (حالة جنون جوعي) وذبحن أولادهن وطبخنهم. وهرب كثيرون من المدينة من الضيق، فكان يقابلهم الأَسْر بواسطة جنود تيطس ويعدمونهم صلباً خارج أسوار المدينة. حتى أنَّ الخشب اللازم للصلبان استنفذ الأشجار المحيطة لأنهم كانوا يصلبون بالآلاف، وتمَّ قول الرب: «وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم.» (مت ٧:٢)

وهكذا أصبحت حالة اليهود المحاصَرين في أشد حالات الكرب ـ حتى أنَّ تيطس ذاته صرَّح أنه غير مسئول عن تلك الكارثة (بسبب ازدياد انفعالات الجنرالات بسبب إغاظة اليهود لهم، فكانوا يزدادون عنفاً مريعاً). وأخيراً في شهر أغسطس من تلك السنة ٧٠م، سقطت قلعة أنطونيا ودخل الرومان المدينة ودمَّروها، وكان ممكناً لتيطس الاستيلاء على المدينة لولا ما حدث داخلها من انقسام الشعب من الضيق الذي عاشوه، وهذه كانت نبوَّة الرب.

وبالرغم من أن تيطس شدَّد على القوَّاد ألاَّ يمسُّوا الهيكل الجميل بضرر، لأنه كان معتبراً في روما نفسها أنه إحدى عجائب الدنيا السبع، ولكن ليتم المقضي به، أخذ أحد العسكر شعلة متقدة

وقذف بها من داخل باب الهيكل، فامتد لهيبها بسرعة مدهشة بسبب شدَّة ريح عاصفة هوجاء، فاشتعلت النار في جميع أرجاء الهيكل. وهكذا احترق هيكل هيرودس الجميل المزيَّن بحجارة و لم يُترك حجر على حجر كما تنبَّأ الرب (مت ٢٤:١و٢) ونُهبت أمتعة الهيكل وأُرسلت إلى روما.

ويقول المؤرِّخ يوسيفوس إن ما يربو على مليون نفس - وبعض المؤرِّخين يذكرون مليونين - هلكوا في الحصار، وأن ما يقرب من ٩٧,٠٠٠ أُخذوا أسرى إلى روما تأكيداً لنصرة الفاتح، وكان بينهم الأشراف والمتنعِّمون، وسُخِّروا جميعاً في بناء ملعب الكوليزيوم المشهور في روما. وهكذا تمَّت النبوَّة الواردة في (دا ٩:٢٦) عن شعب الرئيس الآتي ليخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغماره (فيضان) وإلى النهاية حرب وخِرَب قُضي عليها بها.

وقد تشتَّت اليهود و لم يَبْقَ لهم موطن ولا هيكل ولا رئيس، وأصبحوا مضطهَدين مكروهين مرتبكين في معيشتهم لا قرار لأرجلهم. ولكن لم تنته ضيقاتهم بعد - بسبب مزيد من عنادهم - ففي سنة ١١٨م في أوائل حكم هادريان الإمبراطور نشبت ثورة اليهود مع اليونانيين (الإغريق) سالت فيها دماء غزيرة. وفي سنة ١٣٢م في مدة حكم هذا الإمبراطور، أيضاً كان اليهود قد استردوا جزءاً من قوتهم بعد ضربة تيطس لهم سنة ٧٠م، فقاموا بثورة جامحة مستميتين ضد الرومانيين بسبب إنشاء الرومان مستعمرة رومانية على أرض أُورشليم التي كانت قد صارت خراباً. وأقاموا تمثال جوبيتر أي المشترى في موضع الهيكل المقدَّس. وتزعَّم هذه الثورة شخص يُدعى "باركوكبا" ومعناها "ابن الكوكب" (لكي تقوم عليه نبوَّة يطلع كوكب من يعقوب)، وادَّعى أنه المسيح (المسيَّا) المنتظر. واستمرَّت هذه الثورة ثلاث سنوات ونصف، قُتل فيها من اليهود ما يربو على نصف مليون. وقد دفعتهم هذه الكارثة الأخيرة إلى اليأس التام، وزادت نقمة الإمبراطور عليهم بأن أمر بتفليح أرض المدينة بالمحراث. وبهذا تمَّت نبوَّة ميخا النبي منذ ٩٠٠ سنة: «بسببكم تُفْلَح صهيون كحقل وتصير أُورشليم خِرَباً وجبل البيت شوامخ وعرٍ (أي تلال ينبت عليها شجر الأثل)» (مي ٣:١٢). وقد حُرِّم على اليهود دخول المدينة مهدَّدين بالوقوع تحت الموت. وانتهت قصة أرض الميعاد: «وبكى عليها ... لأنكِ لم تعرفي زمان افتقادكِ» (لو ١٩: ٤١و٤٤)، وتمَّت نبوَّة المسيح وهو حامل صليبه والنسوة وراءه يبكين ويلطمن، فقال لهن: «يا بنات أُورشليم لا تبكين عليَّ بل ابكين على أنفسكنَّ وعلى أولادكنَّ. لأنه هوذا أيام تأتي يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثدي التي لم ترضع.» (لو ٢٣: ٢٧-٢٩)

٢٤: ٢٠و٢١ «وَصَلُّوا لِكَيْ لاَ يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ وَلاَ فِي سَبْتٍ، لأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ».

شتاء فلسطين قاسٍ وخاصة على التلال والجبال، حيث تنخفض الحرارة تحت التجمُّد، فالهروب إلى الجبال يكون بمثابة عملية إعدام. وإذ نعلم أن الحصار بدأ في مايو وانتهى في أغسطس نعلم أن الرب وكأنه هو الذي طلب من أجلهم حتى لا يفنوا. أمَّا الهرب في السبت فلا يساعده الضمير ويقاوَم من المتعصِّبين. فإذا عرفنا أن الحصار بدأ بطيئاً جداً، يكون الرب قد دبَّر هو بنفسه هروب متَّقيه: «يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة» (٢بط ٢: ٩). والمسيح هنا يصف الضيق أنه لم يسبقه في العنف ضيق ولن يتبعه ضيق مثيله في العنف. ولكن يفيد أيضاً أن ضيقات كبيرة عنيفة قادمة أيضاً: «لأنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله» (أع ١٤: ٢٢). ولا مانع: «فإننا موضوعون لهذا» (١تس ٣: ٣)!!

«ضيق عظيم»: θλῖψις μεγάλη

وهو نفس الضيق الذي تنبَّأ عنه دانيال «وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك (حارساً) ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أُمة إلى ذلك الوقت، وفي ذلك الوقت ينجِّي شعبك (المسيحيين) كل مَنْ يوجد مكتوباً في السِّفر» (دا ١٢: ١)، ولكن يبدو أنها كانت الأعظم لسلسلة الضيقات العظيمة الآتية على هذا الشعب، بل الحق أنها كانت فاتحة الضيقات التي لم تكف عليهم، ونحن نكتوي بنارها. هم للنقمة والتأديب ونحن من ورائهم لتكميل شركة آلام مجد المسيح.

ويُلاحِظ القارئ من لغة المسيح أنها ضيقات موقَّعة على التاريخ، وستكون من الأول حتى الآخر. ولكن في كل ضيقة أعدَّ احتمالاً لنا وصبراً: «لأنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله» (أع ١٤: ٢٢). ولكن الضيقة العظيمة التي يتكلَّم عنها المسيح هنا خاصة جدًّا بهذه الأيام. أمَّا الضيقة العظمى العامة فهي:

+ «بعد هذا نظرت وإذا جمعٌ كثيرٌ لم يستطع أحدٌ أن يعدَّه، مِنْ كل الأُمم والقبائل والشعوب والألسنة، واقفون أمام العرش وأمام الخروف، مُتسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف النخل وهم يصرخون بصوتٍ عظيم قائلين: الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف ... فقال لي: هؤلاء هم الذين **أتوا من الضيقة العظيمة** وقد غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف ...» (رؤ ٧: ٩و١٠و١٤)

ولكن العجيب أن المسيح هنا يحثنا أن نصلّي لتغيير مواعيد الكوارث، وكأن الله أعطانا شركة في تدبيره لكي نتقدَّم برأينا فيما يخصنا. هذا هو المسيح والآب يسلّمنا مشورته لنحدِّد فيها ما يريحنا بنوع من ثقة الآب في أولاده: «وحَتَمَ بالأوقات المعيَّنة وبحدود مساكنهم» (أع ١٧:٢٦). ولكنه عاد فترك في التحديد فرصة مفتوحة لأولاده ومتّقيه لكي يملأوها بما تشتهيه قلوبهم طالما اشتهوا ما يرضي الرب. فممكن تغيير موعد الحرب لئلاّ تبدأ في الشتاء القارس الذي فيه مَنْ ينجو من الموت بالحرب داخل المدينة يداهمه الموت إذ يتجمَّد من برد الشتاء خارجاً.

أمَّا الضيق العظيم هذا فإذا فحصته تحت المجهر تجد نواته الأُولى في قلب الكتبة والفريسيِّين ورؤساء الكهنة ورؤساء الشعب، لأنهم اختاروه لأنفسهم لمَّا صلبوا الحب والسلام والفرح، فحرموا أنفسهم منه. وصار لهم الضيق فعلاً وهم فاعلوه لأنفسهم.

ولكن لنا ملاحظة مع القديس متى في اهتمامه بذكر السبت، فهذه أيضاً لمحة تكشف عن عمق يهوديته التي لا تسمح في الناموس أن يكون سفر السبت يزيد عن ٢٠٠٠ خطوة أو ما قدَّروه بنصف ميل(١٢) وهذا لا يكفي للهروب بأمان من أُورشليم.

٢٤:٢٢ **«وَلَوْ لَمْ تُقَصَّرْ تِلْكَ الأَيَّامُ لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلكِنْ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقَصَّرُ تِلْكَ الأَيَّامُ».**

يُلاحَظ في قول المسيح هنا أنه يشير إلى خلاص الجسد وليس الخلاص الروحي. والمعنى هو عدم فناء المسيحيين في تلك الأيام لأنهم الخميرة المقدَّسة التي ستخمِّر العجين كله في كل الأُمم. والضيق والآلام وعظم الهلاك هذا كله هو المعد للأجساد. فالله إذ يرى للمختارين رسالة باقية أبقى عليهم فقصَّر تلك الأيام.

وواضح هنا ـ بحسب العلاَّمة بنجل(١٣) ـ أن المسيح يفرِّق في حديثه عن الضيقة العظيمة، بين اليهود الذين ستلحق بهم للهلاك والآلام والتعذيب المقصود والمعد، وبين المختارين الذين قد أُعدَّت لهم الحياة والملكوت. فإن كانوا سيتألّمون فلا مانع فهذا جزء حي من نصيبهم في حمل الصليب ولكن أن يهلكوا فلا: «لم تصبكم تجربة إلاَّ بشرية. ولكن الله أمينٌ، الذي لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ، لتستطيعوا أن تحتملوا.» (١كو ١٠:١٣)

(12) R. Schnakenburg, *Matthäus,* (1985, 1987), 2,235, cited by F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 862.
(13) J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 423.

وهكذا أيضاً يفرِّق المزمور بين ضيقة للعقاب وضيقة للفداء: «كثيرةٌ هي بلايا الصدِّيق ومن جميعها ينجِّيه الرب. يحفظ جميع عظامه، واحدٌ منها لا ينكسر. الشر يميت الشرير ومبغضو الصدِّيق يُعاقبون. الرب فادي نفوس عبيده وكل مَنْ اتكل عليه لا يُعاقب.» (مز ٣٤: ١٩-٢٢)

تحذيرات من ضلالة المعلِّمين الكذبة

[٢٤: ٢٣-٢٨]

بعد أن أكمل المسيح علامات خراب أُورشليم، بدأ يعطيهم تحذيرات من ضلالة المعلِّمين الكذبة الذين يُنبِّئون بمجيء المسيح.

٢٤: ٢٣ «حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا أَوْ هُنَاكَ فَلاَ تُصَدِّقُوا».

هكذا بعد أن استوفى المسيح علامات وظروف خراب الهيكل وأُورشليم، وتكميل كل الضيقة العظيمة المُزْمَع أن تأتي على المدينة المقدَّسة، ويُخرَّب الهيكل وتُترك المدينة محروثة إلى الأرض، بدأ يفنِّد لهم الظن الخاطئ الذي كانوا قد اقتنعوا به خطأً بأن بتخريب الهيكل وأُورشليم ينتهي العالم ويأتي المسيح. لذلك حرص المسيح بعد أن أعطاهم كل علامات وظروف ما يختص بخراب الهيكل والمدينة، أن يحذِّرهم من قيام المسحاء الكذبة وتعاليم المعلِّمين الكذبة أن المسيح قد ظهر: هوذا موجود هنا أو هناك. فهذه كلها ضلالة يشترك فيها المعلِّمون والأنبياء الكذبة مع المسحاء الكذبة: «فلا تصدِّقوا»!! وبعدها بدأ المسيح يوضِّح أكثر علامات مجيئه الحقيقية في آخر الزمان حيث يتم عمل الدينونة واجتماع كل مختاري الله من جميع أنحاء العالم.

٢٤: ٢٤ «لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضاً».

هنا يكشف المسيح ما سيحدث داخل الكنيسة نفسها، خاصة مع المسيحيين الذين يدَّعون المواهب ويدَّعون التقوى والغيرة على المسيح. وقد وصفهم المسيح سابقاً: «ليس كل مَنْ يقول لي: يا رب يا رب (مدَّعو الصلاة)، يدخل ملكوت السموات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم (مدَّعو الخدمة): يا رب يا رب، أليس باسمك تنبَّأنا

(مدَّعو المواهب)، وباسمك أخرجنا شياطين (مدَّعو عمل الآيات والمعجزات والأشفية)، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ حينئذ أصرِّح لهم إني لم أعرفكم قط! اذهبوا عني يا فاعلي الإثم!» (مت ٧: ٢١-٢٣)

بعد أن يكونوا قد أضلُّوا الناس! ويقول المسيح: «لو أمكن المختارين أيضاً»، من شدَّة تزييف عمل النعمة وعمل الروح. وهي كلها ضلالات لإبعاد الناس عن شخص المسيح وربطهم بأشخاصهم هم وتزييف العبادة بالحق في بساطة القلب والروح. ويُلاحِظ القارئ سلاح التزييف الذي عملوا به الآيات والمعجزات: «**باسمك** تنبَّأنا»، «**باسمك** أخرجنا شياطين»، «**باسمك** صنعنا قوات كثيرة». وهنا يندهش القارئ ويرتبك، إذن كيف نكشف أمر هؤلاء؟ وهذا أيضاً أوضحه المسيح بلا لبس: فالعلامة الوحيدة على صحة الخادم والكارز الإنجيلي مهما كان اسمه ومركزه هي كالآتي: «**الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات**» قداسة، طهارة، عفة، تواضع، بذل، محبة أخوية عديمة الغش، وأخيراً البعد عن الطمع وشهوة المال. إذن، فالاختبار الأخلاقي هو الفاضح لادعائهم.

وهكذا اعتماداً على عمل المعجزات: "آيات عظيمة وعجائب" يَدْعُون أنفسهم مُسحاءَ، ويدَّعي أتباعهم والذين يتتلمذون على أيديهم أنهم أنبياء ومسحاء. علماً بأن إنجيل ق. متى يجحد كل رأسمالهم من الآيات والمعجزات فيعتبرها ضلالة لتضليل المختارين(١٤).

ولكن ليس معنى هذا أن تنحرف الكنيسة التقليدية وتتخذ موقفاً ضد الروحيين وضد الآيات والمعجزات. فالمسيح والرسل كانوا روحانيين وكانوا صانعي آيات ومعجزات. لهذا ينحصر توجيه المسيح في الذين لا يفعلون مشيئة أبيه الذي في السموات ويخفون عجزهم بالآيات والمعجزات.

المسيح يؤكِّد صحة ما قاله لمزيد من اليقظة

٢٤: ٢٥ «هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ».

هنا المسيح يكرِّر تأكيده أنه قد أعطى تلاميذه العلامة التي يريدونها، وعرَّفهم كيف يفرِّقون بين الدعوة الصحيحة والادعاء الكاذب. على أن المسيح قد رفض أن تكون الكنيسة مركز ملاحظة

(١٤) يقول العالم برونر المذكور سابقاً في كتابه صفحة ٨٦٥ إن أوضح ما في هؤلاء المدَّعي النبوَّة أنهم يستخفون بقوانين الإيمان والشرائع السماوية المسجَّلة في الكنيسة والتقليد الرسولي، ويعتمدون على قوة الروح والآيات والمعجزات في الاستهانة بكل ميراث الكنيسة وتراثها الرسولي في المعايير الدينية والأخلاقية والجهاد من أجل الصلاح والتقوى.

للعلامة وتوقُّع للغيبيات وتنفعل وراء ناعق: المسيح ظهر، المسيح هنا، المسيح هناك. لأن هـذا يُفسد رسالتها في بناء النفوس وتأدية أعمالها وأسرارها الروحية لخلاص الأتقياء ـ لا تخرجوا، لا تصدِّقوا. الكنيسة ينبغي أن تبقى في المسيح ولا تطلبه من خارجها. وهو إن ظهر سيظهر داخلها في القلوب قبل أن يظهر في الشوارع والكنائس المبنية بالحجر: «ها أنا قد سبقت وأخبرتكم»، جاءت عند ق. مرقس: «ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شيء = πάντα» (مر ١٣:٢٣). فالمسيح يؤكِّد هنا أن جميع ما يجب أن يعرفوه قد قدَّمه لهم وهو أفضل كثيراً من أن يعرفوا مواعيد وأوقات وعلامات. أو ينشغلوا بتأويل ما كُتب في دانيال أو سفر الرؤيا من جهة هذه الأمور لأنها لو كانت ذات قيمة لحياتهم لكان المسيح قد شرحها لهم. والذي قاله المسيح فيه الكفاية.

٢٤:٢٦ **«فَإِنْ قَالُوا لَكُمْ: هَا هُوَ فِي الْبَرِّيَّةِ فَلاَ تَخْرُجُوا! هَا هُوَ فِي الْمَخَادِعِ فَلاَ تُصَدِّقُوا!».**

يُلاحَظ هنا أن المسيح يأتي بمواضع معيَّنة عاش فيها النُسَّاك الأوائل سواء في البراري أو في المخادع ـ وهي الغرف الضيِّقة التي كانوا يحبسون أنفسهم فيها (المحبسة) للنُسك والعبادة ـ فلا تخرجوا ولا تصدِّقوا. هنا ضرورة التشكُّك في نيَّات المدَّعين للمعرفة والمتكلِّمين عن أمور أواخر الزمان أو المحسوبين وعَّاظاً ومعلِّمين، وليست لهم سمات الرسل الحقيقيين الذين بهم الخلاص الحقيقي. فالأنبياء الكذبة يؤكِّدون أموراً معيَّنة ليست لها صورة الخلاص العام والفداء الذي أُكمل، بل يُشغلون بال الناس بأمور ثانوية. وفي قوله: «إن المسيح في البرية» ادعاء معرفة النُسَّاك العظام، أو في المخادع هو ادعاء معرفة القديسين المعتكفين وكأنهم أصحاب حكمة ودراية بأمور العالم ومصائر الناس. لا تخرجوا ولا تصدِّقوا.

٢٤:٢٧ **«لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هكَذَا يَكُونُ أَيْضاً مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ».**

القصد من تصوير مجيء المسيح بظهور البرق هو المفاجأة غير المحسوبة إطلاقاً، واليقين المنظور لكل عين في كل مكان بآن واحد. بمعنى أنه ليس فرصة إطلاقاً لواحد أن يقول لآخر انظر هنا، انظر هناك، لأنه في لحظة واحدة يراه كل بشر، ولن يكون فضل لسابق أو فضل لعين على عين. إذن، فالضلالة ممنوعة مائة بالمائة.

إن فرصة المضلِّلين أخذوها من توهمهم أن مجيء المسيح الثاني سيكون كمجيئه الأول يحتاج إلى مَنْ يعلنه، لأنه جاء وديعاً متواضعاً منكراً لنفسه بعد أن أخلى ذاته وأخذ شكل العبد. ولكن حقيقة

مجيئه الثاني ليست كالأول، بل ستأتي علنية مستعلنة بقوة ومجد وسلطان ونار ونور يملأ السماء والأرض وكل الأرجاء ولا تخطئه عين ولا تضل عنه. إذن، فهو مستعلن إلى أعلى درجاته: «ويراه كل بشر»، مجيئه الأول في قرية بيت لحم الصغرى في مدن يهوذا احتاج إلى ملاكه ليدل الرعاة إلى مكانه، واحتاج إلى استعلان النبوَّة ليتعرَّف عليه سمعان الشيخ وحنَّة النبية، وإلى النجم في السماء ليدل المجوس إلى حيث كان الصبي. ولكن مجيئه الثاني ستعلنه السماء بأقوى ما عندها من نور وضياء وهو يُستعلن لكل عين بلا واسطة أو وسيط. لا يعرفه الناس كأنه ابن الإنسان وحسب، بل وديَّان الأرض الذي سيجمع مختاريه إليه. وكل خاطئ سوف يعرف قاضيه، وكل بار سوف يعرف مَنْ برَّره. سيعرفه كل بشر حال ظهوره كصاحب كل سلطان في السماء وعلى الأرض.

٢٨:٢٤ «**لأَنَّهُ حَيْثُمَا تَكُنِ الْجُثَّةُ، فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ النُّسُورُ**».

هنا تصوير آخر لوضوح ظهوره. فكما أن ظهور النسور يؤكِّد وجود جثة، والعكس صحيح، فأينما وُجدت الجثة تحلَّق النسور. وهنا صورة تعرِّفنا متى يأتي الديَّان: حينما يكمل كأس دينونة العالم. كذلك متى حضر الديَّان فالنهاية تكون قد بلغت أقصاها. والقصد من هذا المثل هو منطق الظهور والعلنية بالنسبة لمجيء المسيح الديَّان. والنسبة المطلقة بين بلوغ العالم حد الدينونة ومجيء المسيح لإنهاء العالم.

تكميل الأوجاع ومخاض العالم الأخير وظهور مجد ابن الإنسان

[٢٤: ٢٩–٣١]

(مر ١٣: ٢٤–٢٧)،
(لو ٢١: ٢٥–٢٨)

مخاض العالم الأخير (٢٤: ٢٩):

٢٩:٢٤ «**وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ السَّمَوَاتِ تَتَزَعْزَعُ**».

هذا ينضم في الحال إلى حوادث مبتدأ الأوجاع والضيق الحادث آنئذ. فهنا يعود المسيح إلى علامات نهاية الزمان والعالم ليكمِّل لمسة بقية زعزعة الكون، ففي مبتدأ الأوجاع شارك العالم

بزعزعة الأرض بزلازل (آية ٧) توطئة لزعزعة السماء كآخر مشاركة في مخاض ميلاد العالم الجديد.

فواضح إلى أقصى حد أن الضيق المذكور هنا هو ضيق الآية (٩) حينما يكون المسيحيون مُبْغَضِين من كل الأمم.

«تُظلِم الشمس، والقمر لا يُعطي ضَوءَه»:

+ «صوت ضجيج ممالك أُمم مجتمعةٍ، رب الجنود يعرض جيش الحرب. يأتون من أرضٍ بعيدة من أقصى السموات. الرب وأدوات سخطه لِيَخْرِبَ كل الأرض. ولولوا لأن يوم الرب قريب، قادمٌ كخراب من القادر على كل شيء. لذلك ترتخي كل الأيادي ويذوب كل قلب إنسان فيرتاعون، تأخذهم أوجاعٌ ومخاضٌ يتلوون كوالدةٍ ... هوذا يوم الرب قادمٌ قاسياً بسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خراباً ويُبيد منها خطاتها. فإن نجوم السموات وجبابرتها لا تُبرز نورها. تُظلِمُ الشمس عند طلوعها والقمر لا يلمع بضوئه. وأُعاقب المسكونة على شرِّها.» (إش ١٣: ٤-١١)

«والنجوم تسقط من السماء»:

+ «لأن للرب سخطاً على كل الأمم ... ويفنى كل جند السموات وتلتف السماء كدَرْجٍ وكل جندها ينتثر ...» (إش ٣٤: ٢و٤)
+ «لأنه هكذا قال رب الجنود: هي مرَّةٌ بعد قليلٍ فأُزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة، وأُزلزل كل الأمم. ويأتي مُشتهى كل الأُمم.» (حج ٢: ٦و٧)

٢٤: ٣٠ «وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ».

«وحينئذٍ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء. وحينئذٍ تنوح جميع قبائل الأرض»:

+ «وأُفيض على بيت داود وعلى سكان أُورشليم روح النعمة والتضرُّعات فينظرون إليَّ الذي طعنوه وينوحون عليه كنائحٍ على وحيدٍ له، ويكونون في مرارة عليه كمَنْ هو في مرارةٍ على بكْرِهِ (حيث يكون هو "بكراً بين إخوة كثيرين" رو ٨: ٢٩).» (زك ١٢: ١٠)

«ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجدٍ كثير»:

+ «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحب السماء مثل ابن إنسانٍ أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرَّبوه قدَّامه.» (دا ٧: ١٣)

٣١:٢٤ «فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا».

+ «ويكون في ذلك اليوم أنه يُضرَبُ ببوق عظيم فيأتي التائهون في أرض أشور والمنفيون في أرض مصر ويسجدون للرب في الجبل المقدَّس في أورشليم.» (إش ٢٧:١٣)
+ «هوذا سرٌّ أقوله لكم: لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغيَّر، في لحظة في طرفة عين، عند البوق الأخير. فإنه سيُبوَّق، فيُقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغيَّر.» (١كو ١٥:٥١و٥٢)
+ «لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً.» (١تس ٤:١٦)
+ «وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته، في نار لهيب، معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح. الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوَّته، متى جاء ليتمجَّد في قديسيه ويُتعجَّب منه في جميع المؤمنين.» (٢تس ١:٧-١٠)
+ «فإني قد فرَّقتكم كرياح السماء الأربع يقول الرب.» (زك ٢:٦)
+ «وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم، وعلى الأرض كَرْبُ أُمم بِحَيْرةٍ. البحر والأمواج تضجُّ، والناس يُغشَى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة، لأن قوات السموات تتزعزع. وحينئذٍ يُبصرون ابن الإنسان آتياً في سحابة بقوة ومجدٍ كثير.» (لو ٢١: ٢٥- ٢٧)

وهكذا وسط هذه الكلمات نلمح كيف أن العالم بخليقته الآدمية العتيقة يفنى مع الأرض والسماء لتظهر الخليقة الجديدة للإنسان، والسماء والأرض الجديدة: «ثم رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأُولى والأرض الأُولى مضتا والبحر لا يوجد في ما بعد.» (رؤ ٢١:١)

أمَّا موضوع نواح جميع قبائل الأرض حينما يتعرَّفون على ابن الإنسان في مجيئه فواضح أنهم على فئتين، فئة يهودية والتي يعبِّر عنها بالذين طعنوه، والفئة الأخرى بقية قبائل الأرض كما جاءت في سفر الرؤيا: «هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين و"الذين طعنوه"، وينوح عليه جميع قبائل الأرض. نعم آمين» (رؤ ١:٧). وفي هذه الحالة يكون اليهود فقط هم الذين لهم فرصة التوبة والرجوع ويكون نوحهم عليه باعتباره ابنهم وحيدهم بكرهم الذي قتلوه وطعنوه. وقد رأينا وشهدنا أن جماعة المسيانيين الجدد، وهم اليهود الذين قبلوا الإيمان المسيحي واعتمدوا، حينما تعرَّفوا عليه وقرأوا كيف صلبوه، بعضهم بكى بكاءً مرًّا، وحسب قوله، أكثر مما بكى أباه أو أُمه حينما

ماتا. والبكاء هنا ليس مجرَّد توبة، ولكن من هول الإحساس بالجريمة التي اقترفت في حق من جاء ليخلِّصهم. أما بقية قبائل الأرض فهو بكاء الندم والحسرة على فرصة ضاعت. وينطبق على حال اليهود نبوَّة زكريا النبي التي سبق وأوردناها في موضعها: «وأفيض على بيت داود وعلى سكّان أُورشليم روح النعمة والتضرُّعات فينظرون إليَّ، الذي طعنوه، وينوحون عليه كنائح على وحيد له، ويكونون في مرارة عليه كمَنْ هو في مرارة على بِكْرِهِ ... وتنوح الأرض عشائر عشائر ...» (زك ١٢: ١٠و١٢)

وجدير بنا هنا أن نذكِّر القارئ بنبوَّة أخرى قالها المسيح قبل ذهابه للصليب بالنسبة لليهود الذين باعوه بعد أن قال لهم: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (مت ٢٣:٣٨)، إذ قال: «لأني أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب» (مت ٢٣:٣٩). وهذه نبوَّة جيدة تبشِّر بإمكانية وقوف اليهود موقف الترحيب به عند مجيئه الثاني. وبهذا تحمل مضمون عودة رضى الله عنهم.

أمَّا هذه الرؤية المجيئية التي رآها زكريا النبي فقد صارت في حوزة الكنيسة تترقَّبها بمرور السنين، وتثق في أصالتها وفعاليتها. والكنيسة أيها القارئ السعيد ملهمة ووريثة الإلهام والأنبياء «وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء» (١كو ١٤:٣٢)، وتؤيِّدها رؤية ق. يوحنا في بطمس: «أنا هو الألف والياء (ألفا وأُوميجا) البداية والنهاية يقول الرب الكائن (بذاته) والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء.» (رؤ ١:٨)

«آتياً على سحاب السماء»: السحب هي مركبة الله التي يمتطيها ويسوقها سواء في القديم أو في الجديد للتعبير عن لاهوته: «الجاعل السحاب مركبته» (مز ١٠٤:٣)، «هوذا الرب راكب على سحابة سريعة (خفيفة) وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها» (إش ١٩:١)، نبوَّة عن نزول المسيح إلى مصر مع أُمه ويوسف.

وقدوم المسيح راكباً على السحاب فيه معنى القوة والتفوُّق والألوهة. وهي الآية الوحيدة التي توازن اتضاع الصليب وقبول الآلام والموت. فهي لها قوة العلانية المتفوِّقة فوق كل منظر ورؤية وسيادة. وجعلتها الكنيسة أنشودة حياتها ونشوتها، فما من ترتيلة للنصرة إلاَّ وتتضمن الركوب على السحاب لتعبِّر عن رجائها الكبير وعيونها تتطلَّع إلى فوق. وهي أنشودة ق. بولس التي كانت تعبِّر عن منتهى رجائه: «ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السحاب لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزُّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام» (١تس ٤: ١٧و١٨).

ومعروف أن الشهداء في العهد القديم قد صاروا لنا كسحابة شهود: «لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا ...» (عب ١٢:١)

«فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت،
فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها»:

هنا الفاعل مستتر كالعادة ويعود على ابن الإنسان في ملء قوته ولاهوته ومجده، أمَّا إرسال ملائكته فهم رسله على مستوى الملائكة المنوط بهم أعمال الأيام الأخيرة في المجيء والحكم والدينونة والمجازاة لمختاريه، وهم المعبَّر عنهم بالجنود وقوَّات السموات المقدَّسة، وهم يعبِّرون في إحاطتهم بالمسيح عند قدومه بهالة مجد قديسيه وملائكته المقدَّسين معاً: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض.» (٢٨:١٨)

ويُلاحَظ أنه هنا يفرِّق بين عملية **التجميع** وعملية **المجيء العظيم** وعملية إعطاء **وظهور علامة ابن الإنسان في السماء.** فأول مرحلة هي ظهور علامة ابن الإنسان في السماء، ثم يبصرون ابن الإنسان آتياً على السحاب بقوة ومجد كثير. وأخيراً يُرسل ملائكته ليجمعوا مختاريه من أقصاء السماء إلى أقصاها. وكل مرحلة من هذه الثلاث مراحل لها انفعالاتها:

فالمرحلة الأولى: نوح وعويل على الذي طعنوه، وندم للذين أهملوه واحتقروا إنجيله.

المرحلة الثانية: اندهاش ورهبة وانتظار ما سيجيء.

المرحلة الثالثة: هللويا العظمى، لأن تجميع مختاريه بمثابة بوق النداء لجيش الخلاص للكف عن الحرب، وللتجميع السريع لنوال الأكاليل والاحتفال بالنصرة في حضرة الملك.

وبها تنتهي كل علامات آخر الزمان وحوادثه.

«فيجمعون مختاريه»: ἐπισυνάξουσιν

وتعني: "عمل بجمع منهم في مكان واحد". وفي إنجيل ق. مرقس تأتي بالمفرد ἐπισυνάξει: «يرسل ملائكته ويجمع مختاريه» أي أن المسيح يجمع بنفسه أيضاً، ولكن في إنجيل ق. متى يكون ذلك بواسطة ملائكته ولا تعارض في ذلك. ويعبِّر ق. بولس عن جمع المختارين من كل أنحاء الأرض معاً بكلمة اختطاف: «الأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف caught up = ἁρπαγησόμεθα جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء» (١تس ٤: ١٦و١٧). وهكذا أصبح اعتقاد الكنيسة المبهج لكل نفس. أمَّا كلمة "يُختطف = rapture" فلها فعل آخر في حياة النُسك والعبادة والتأمُّل في الكنيسة حين يُدرَّب القلب والفكر على الصلاة

الدائمة فإنه يحدث أن يُختطف العقل لرؤية مناظر وإعلانات كالتي حدثت للقديس بولس: «إنه اختطف إلى الفردوس» (٢كو ١٢:٤). ولكن الكنيسة لا تأخذ بهذه الاختبارات بنوع من الرسمية لأنها تُحسب اختبارات فردية لا تُلزم الكنيسة ولا تصلح أن تكون "تعليماً" بل "أمور لا يسوغ لإنسان أن يتكلَّم بها" كما سمَّاها بولس الرسول.

أمَّا [دينونة الأحياء والأموات] التي يتكلَّم عنها قانون الكنيسة فهي تعني أن الأحياء هم المختارون الأحياء بالمسيح، والأموات هم الأموات بالذنوب والخطايا. أمَّا الأحياء فبالحياة الأبدية، وأمَّا الأموات فبالموت الأبدي.

«مختاريه»: ἐκλεκτούς

وهم بحسب فكر الكنيسة الذين آمنوا بالمسيح وحفظوا الوديعة إلى النهاية رغماً عن كل الضيقات والتعاذيب والآلام، وأثبتوا أمانتهم للمسيح وحفظوا النعمة مرفوعة الرأس بسلوكهم وشهاداتهم للمسيح والإيمان. أو بمعنى أشمل هم الذين دعاهم المسيح وآزرهم بنعمته فلبُّوا الدعوة وحفظوا الإيمان والأمانة في طاعة الأولاد، ولبسوا حلَّة العرس وحفظوا الآنية مملوءة زيتاً والمصابيح مشتعلة. وحينما يظهر العريس يتعرَّف كل بني العرس على بعضهم بعضاً كالمثيل للمثيل في الثياب البيضاء والمغسولة بدم الخروف. لا تحجزهم عقائد ولا أسماء ولا مسمَّيات، فوجه العريس ينضح عليهم شكلاً واحداً.

شجرة التين والطوفان ولص نصف الليل

ثلاثة أمثلة: **الأول** لأمر وشيك الوقوع.

والثاني لأمر مفاجئ الوقوع.

والثالث لأمر غير محدَّد الوقوع.

مَثل شجرة التين

[٢٤: ٣٢-٣٦]

(مر ١٣: ٢٨-٣٢)،
(لو ٢١: ٢٩-٣٣)

٢٤: ٣٢و٣٣ «فَمِنْ شَجَرَةِ التِّينِ تَعَلَّمُوا الْمَثَلَ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصاً وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ. هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً، مَتَى رَأَيْتُمْ هذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ».

نحن نؤمن أن علامة شجرة التين التي تُخرج أوراقها لا تنطبق على عودة ظهور إسرائيل كتجمُّع سياسي، ولكن على رجوع اليهود من ضلالتهم وتوبتهم وإيمانهم بالمسيح على النحو الذي نسمع عنه عن اليهود المسيَّانيين الذين تابوا وآمنوا بالمسيح.

وتُعتبر نبوَّة شجرة التين هي الوصلة بين حديث العلامات (٢٤: ٤-٣١)، وحديث أخلاقيات نهاية الدهور (٢٤: ٣٢-٢٥: ٤٦) الذي يتركَّز في ستة أمثال بعد مثل شجرة التين، إثنان منهم قصيران وهما: "مَثَل الطوفان ومَثَل لص نصف الليل"، وأربعة طوال هم: "مَثَل العبيد، والعريس، والوزنات، والخراف والجداء (الدينونة الأخيرة)".

أمَّا بخصوص مَثَل شجرة التين، فقد اختار المسيح شجرة التين عن باقي الأشجار التي تورق في الربيع لأنها آخر شجرة تورق، وحينئذ يحل الصيف مباشرة، فهي أقرب شجرة للصيف. أمَّا ولماذا الصيف؟ فلأن الصيف هو ميعاد الحصاد العام الذي يأتي دائماً كناية عن دينونة آخر الزمان. لذلك فظهور ورق التينة الأخضر الصغير في أطراف براعمها يكون أول بشير لنهاية عناء الشتاء بصقيعه وأمطاره ومجيء الصيف. هكذا فإن المَثَل إذا طبَّقناه على إسرائيل باعتبارها شجرة التين فإن بداية علامات الحياة في هذه الأُمة التي عبرت شتاء العالم القارس عليها وحلها لمدَّة ألفي سنة، سيكون علامة بدء الحياة الأبدية التي تدب في العالم عبر اختبار الإنجيل وأهوال آخر الزمان. لذلك وبحسب درس المسيح في الأخرويات يمكننا أن نحدِّد مع ق. بولس زمن عودة اليهود كعلامة نهاية شتاء الروح وبداية ربيع الملكوت (رو ١١: ١٥).

«هذا كله»: πάντα ταῦτα

«فاعلموا أنه قريب على الأبواب»: ὅτι ἐγγύς ἐστιν ἐπὶ θύραις

هذان القولان يصنعان المعادلة معاً، فلابد أن يحدث هذا كله لكي يتحقَّق أنه قريب على

الأبواب. ليس عاملٌ واحدٌ يكفي ولا علامة واحدة. وهنا لا يحدِّد ما هو القريب، فهو يقصد بالفعل أن بتكميل علامات خراب أُورشليم تكون نهايتها قد اقتربت، وبتكميل علامات آخر الزمان تكون نهايتها هو خراب العالم وكل ما فيه أرضاً وسماءً. ولكن ما هو هذا الذي يحدِّده بأنه قريب على الأبواب؟ واضح أنه كما كان في أُورشليم هو خرابها، كذلك وفي نهاية العالم هو هو مجيء ابن الإنسان نفسه.

ولكن يأتي ق. لوقا ويحدِّد هذا القريب الذي على الأبواب - متى حدثت هذه الأشياء كلها - بأنه هو ملكوت الله: «هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أن ملكوت الله قريب.» (لو ٢١:٣١)

٢٤:٣٤ «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ».

هذا تكميل الجواب على سؤال التلاميذ: متى يحدث هذا بالنسبة لخراب الهيكل وأُورشليم. فهذا الكلام الذي قاله المسيح وهو جالس على جبل الزيتون قبالة الهيكل كان في سنة ٣٠م، والخراب الذي تمَّ للهيكل وأُورشليم أُكمل سنة ٧٠م. فالمسافة الزمنية لم تتعدَّ الجيل الواحد فعلاً. إذن، فقول المسيح بالنسبة لخراب أُورشليم تمَّ في ميعاده.

ولكن رد المسيح على سؤال التلاميذ بالنسبة لنهاية العالم، يكون هو الذي صوَّره بالتينة عندما تخرج أوراقها. لأنه لو عدنا إلى ترتيب الحوادث نجد أن المسيح بدأ بإعطاء علامات آخر الزمان ثم بعد ذلك أعطى علامات خراب أُورشليم. هكذا هنا أيضاً أعطى في البداية علامة شجرة التين كدليل إعادة الحياة للأمة اليهودية الذي لا يمكن ولن يمكن أن يحدث إلاَّ في نهاية الزمان، بعد تكميل خرابها وتكميل زمان تأديبها ودخول كل الأمم. وتكون أُورشليم مدوسة من الأُمم حتى تكميل زمان دخول الأُمم، أي بعد تكميل البشارة بالإنجيل في كافة أنحاء أُمم العالم. وبعد إعطاء العلامة العامة التي تنبِّئ بقرب قدومه على الأبواب، عاد وأعطى علامة نهاية خراب أُورشليم محدِّداً إياه بسنين جيل واحد من الآن «هذا الجيل» سنة ٣٠م.

٢٤:٣٥ «السَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ».

هذا التأكيد المشدَّد للغاية يجعلنا نثق تماماً بما قلناه إنه كان يقصد خراب أُورشليم بكل تحديد ويقين، ويتكلَّم وهو يرى خرابها ودخَّانها وصراخها كما يرى بآن واحد كثيراً من تلاميذه الواقفين أمامه، واقفين أيضاً ينظرون خراب أُورشليم بعيونهم ويتذكَّرون كلام المسيح كما سمعوه.

وحقيقة قول المسيح إن السماء والأرض تزولان، فقد تحتّم بالفعل أن يزولا معاً ولكن يبقى صدق المسيح قائماً ليؤسّس سماءً جديدة وأرضاً جديدة. والجميل في هذا التأكيد أن المسيح لم يقل حتى تزول الأرض والسماء كلامي يبقى، بل أن السماء والأرض تزولان بالفعل ويبقى الكلام الذي تكلّمت به عن نهاية العالم ونهاية أورشليم صادقاً. أمّا لماذا السموات كقاعدة ثبوت فلأن قوانينها كما عرفناها لا تخطئ، وأمّا الأرض فهي راسخة رسوخ جبالها الرواسي. ولكن بالنسبة لكلام المسيح، فهو أشد دقة من قوانين السموات وأكثر رسوخاً من الأرض بجبالها، فالحادثة مرهونة بالكلمة. وكلام المسيح بمجرَّد أن يخرج من فمه يكون قد تشكّل في الحال إلى أفعال وحوادث لا تحيد ولا تميد. وهي المنوط بها إزالة المادي وخلق الروحاني بآن.

٣٦:٢٤ «وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ مَلاَئِكَةُ السَّمَوَاتِ، إِلاَّ أَبِي وَحْدَهُ».

هنا لم يذكر ق. متى اسم الابن، إذ تأتي عند القديس مرقس:«ولا الابن إلاَّ الآب» (مر ١٣:٣٢). وهذه الآية قد دوَّخت العلماء واللاهوتيين وكل مَنْ حاول الاقتراب منها لأنها خطيرة للغاية. لأن المسيح يقطع فيها بأن هذا اليوم وتلك الساعة لا يعرفها أحد ولا الابن إلاَّ الآب وحدهُ، ومعروف أن الآب والابن واحد. فهنا توجد استحالة لاهوتية في أن يكون الآب يعلم والابن لا يعلم! ولكن تفسير الآية سهل للغاية ولا يحتاج إلاَّ إلى عمق الرؤيا والتأمُّل. إذ أن نهاية العالم **هو نهاية الزمن** حتماً وبالضرورة، ويوم نهاية العالم أو الساعة التي تبتدئ فيها النهاية **غير موجودة في الزمن قطعاً**، لأنها هي نهاية الزمن فحتماً لا تكون في الزمن ولا تحسب منه ولا تُحسب بحسابه. إذن، فيوم نهاية العالم وساعته هي فوق الزمن وغير موجودة فيه، هي من صميم اللاموجود الزمني واللامعروف الزمني. وبذلك امتنع على الإنسان كان مَنْ كان أن يدركها وهو المخلوق الزمني الخاضع للزمن. بالتالي هي ليست من رسالة الابن المتجسِّد ولا هي من عمله، لأن **رسالته هي في الزمن** وعمله ينتهي بانتهاء الزمن.

كذلك والملائكة هم مُرسلون لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص، فعلاقتهم بالبشرية محدَّدة بالزمن لذلك أصبح يوم نهاية العالم وساعته فائقة على حدود عملهم وخدمتهم.

إذن، تحتّم بكل يقين أن تكون في اختصاص الآب وعمله هو وحده. لذلك حينما قال إن الابن نفسه لا يعرف ذلك اليوم وتلك الساعة، فالسبب المباشر أنها خارجة عن دائرة رسالته وعمله وخدمته **لأن غير الزمني صار زمنياً** فلا يعود يهتم إلاَّ بكل ما هو زمني، تاركاً للآب كل ما هو غير زمني وهذا هو التخلّي أو الإخلاء الإرادي.

إذن، فالصعوبة البالغة في تفسير هذه الآية وشرحها هي في كونها أنها حُسبت في حيِّز الزمن وهي من صميم عمل الخلود. وكأنك تسألني: ما هو اليوم والساعة التي خلق فيها الله العالم؟ يكون الجواب هذا كان قبل الزمن، والذي فيه بدأ الزمن عندما بدأت أول حركة في العالم. كذلك بالمثل يكون رد الجواب على ما هو اليوم والساعة التي ينتهي فيها العالم؟ يكون الجواب هذا ليس فعلاً زمنياً ولا هو مضمون يحمل الزمن، بل هو خارج الأيام كلها والساعات، لأن فيه تكف الحركة وبالتالي يخمد الزمن، ويستحيل على أي عقل زمني أن يدركه أو يفهمه، فهو الصفر المطلق بمفهوم الحركة أو الزمن أو الموت الكلي أو العدم الأبدي.

ولكن من مراحم الله العظمى أو من فعل كيانه الحي المحيي، أن الخليقة البشرية أو العالم استودع الله فيه بذرة الوجود الحي الأبدي، فحينما يبلغ الإنسان أو العالم إلى صفر الزمن أو الموت المادي الكلِّي تنبثق منه حركة الحياة الجديدة، فتبدأ الخليقة الجديدة للإنسان ويبدأ معها العالم الروحي بسمائه الجديدة وأرضه الجديدة، بحركته الحيَّة الجديدة المستمدة من الله وليس من المادة بعد. والتي لا يكون لها نهاية، بل هي المعبَّر عنها بالخلود، لأن مع الله لا توجد نهاية.

ويتوافق مع هذه الآية، ما قاله المسيح أيضاً لتلاميذه لمَّا سألوه في بداية سفر الأعمال: «هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل» (أع ١:٦). فهذا السؤال يكشف عن خطأ ظنهم أن مجيء المسيح وعودة إسرائيل وشيك على الأبواب. فرفع المسيح فكرهم نهائياً من **محيط الزمن**: «**ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات** التي جعلها الآب في سلطانه (أع ١:٧). واضح أن الابن يتكلَّم هنا وهو في حالة تجلِّيه المطلق وكمال تساويه مع الآب. ولكن لا تزال النهاية، نهاية العالم والزمن محسوبة أنها غير قائمة في اختصاص الابن بل هي من اختصاص الآب. لأن نهاية الزمن كما سبق وقلنا لا تخضع للزمن. ومعروف أن «إعادة المُلك إلى إسرائيل» يُكنى بها عن مجيء ملكوت الله. وواضح أن ذلك يعني بعد نهاية زمن العالم أي بعد أن يكف الزمن.

فهنا سؤال التلاميذ تداخل دون أن يدروا فيما بعد الزمن والأوقات والتاريخ. وهي واقعة في دائرة سلطان الآب. ولأن اختصاص الابن ورسالته ينتهي بانتهاء الزمن، فهي ليست من اختصاصه.

ومن هنا يتضح تماماً لدى القارئ حماقة أي إنسان كان مَنْ كان أن يتنبَّأ أو حتى يدَّعي معرفة النهاية وتحديد زمانها، لأن نهاية الزمن لا تدخل في الزمن ولا تطرأ على بال زمني ولا يدركها إنسان قط، لذلك فكل مَنْ يدَّعي معرفة نهاية العالم أو نهاية الزمن ينسب إلى نفسه حماقة النبي الكاذب مباشرة.

مَثَل الطوفان

[٢٤: ٣٧-٤١] (لو ١٧: ٢٦-٣٠و٣٤-٣٦)

٢٤: ٣٧-٣٩ «وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضاً مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ. لأَنَّهُ كَمَا كَانُوا فِي الأَيَّامِ الَّتِي قَبْلَ الطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُزَوِّجُونَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحٌ الْفُلْكَ، وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ الطُّوفَانُ وَأَخَذَ الْجَمِيعَ، كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضاً مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ».

هنا يُدخل المسيح على حتمية عدم معرفتنا متى تبدأ النهاية، حتمية الاستعداد لها. فعدم معرفتنا للنهاية لا يعطينا الحِلَّ أن نُهمل الاستعداد لها وأخذ الحيطة والسهر والترقُّب. فعدم معرفتنا للنهاية تفيدنا في رفع القلق والاضطراب في انتظارها، وحتمية الاستعداد لها تفيدنا حتى لا تأتي علينا فجأة فتؤخذ ونحن غير مستعدين لها. وهذا المعيار الجديد الذي يضع عدم معرفتنا لميعاد النهاية مع حتمية الاستعداد لها يضعه المسيح لكل الأمثلة القادمة هنا وعلى مدى الأصحاح الخامس والعشرين كله!! **لا تسأل متى يأتي المسيح ولكن استعد لمجيئه.** فإذ نحن لا نعرف في أي يوم أو في أي ساعة يأتي، أصبح علينا أن نستعد كل يوم وفي كل ساعة. أو بمعنى أوضح وأشمل، علينا أن نحيا حياة الاستعداد والسهر الدائم (القلبي) لاستقبال العريس. ولكنك تقول لي إنه تأخَّر جداً هذه الألفين من السنين، أقول لك: وقد كسب المسيح من وراء ذلك أن عاش كل أولاده، حياة الاستعداد كل أيام حياتهم، فلم يطغَ عليهم المجرِّب ولم يجرفهم الشيطان في التواني والكسل.

ولقد أسهب ق. متى في إنجيله على مدى أصحاح ونصف تقريباً، نصف الأصحاح (٢٤) ومعه الأصحاح (٢٥) يشرح هذه الحقيقة. في حين أن ق. مرقس اختصرها في خمس آيات فقط كالآتي:

+ «انظروا اسهروا وصلُّوا لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت، كأنما إنسان مسافر ترك بيته وأعطى عبيده السلطان ولكل واحد عمله وأوصى البواب أن يسهر. اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت، أمساءً أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحاً. لئلا يأتي بغتة فيجدكم نياماً، وما أقوله لكم أقوله للجميع: اسهروا.» (مر ١٣: ٣٣-٣٧)

وهكذا الذي اختصره ق. مرقس في خمس آيات صغيرات امتد به ق. متى وشرحه بأمثلة في ستين آية.

وعلى ضوء هذا يأتي في إنجيل ق. متى مَثَل الطوفان ليعطي صورة خطيرة لمفهوم الفرق بين الاستعداد وبين الاستهزاء. فكما جاء الطوفان في جيل نوح و لم يجد أكثر من ثمانية أنفس على استعداد ونجوا، وبقية الناس لاهية فأُخذوا وماتوا غَرَقاً، هكذا في مجيء ابن الإنسان في نهاية العالم.

ولك أيها القارئ العزيز أن ترى الفارق الهائل بين حالة الطاعة والاستعداد التي كان عليها التلاميذ عند حلول الروح القدس عليهم، إذ كانوا مجتمعين يصلُّون ويصومون باشتياق وانتظار لحلول الروح القدس عليهم، فحلَّ وهم جميعاً في غاية اليقظة والانتباه بعد عشرة أيام سهر وصلاة وصوم، وبين حالة الطوفان الذي لم ينجُ منه من الجيل كله إلاَّ ثمانية أنفس!

«لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ...»:

واضح أن الحياة التي سارت حتى الطوفان كانت حياة عادية لم يتخلَّلها أي إنذار أو علامة صغيرة أو كبيرة عن المصيبة العظمى التي سوف تداهمهم. كذلك يصف المسيح الأيام نفسها التي تسبق مجيئه، لن يكون فيها أي علامة تردع الخاطئ عن خطيته أو تنذر الجاهل بجهله، بل اكتفى المسيح بإنذارات الإنجيل ولا مزيد. إن خطية جيل نوح العظمى لم تكن الأكل والشرب والزواج والأفراح، بل كانت عدم تصديق نوح بالتوبة وضرورتها. وبصورة أخطر عدم تصديق الإنذار الذي تحقَّق في وقت لم يكونوا منتظرينه. هكذا تماماً، فخطية الإنسان الذي سيؤخذ بمفاجأة مجيء ابن الإنسان وقيام الدينونة هي عدم الاستعداد الداخلي. هل أنت مستعد الآن عزيزي القارئ لدخولك الدينونة؟

ونحن الآن لسنا فقط منتظرين الديَّان، بل منتظرين لحظة سكوت دقات قلبنا فجأة وذهابنا إليه!؟ فأصبح الاستعداد ليس على مستوى العمر وحسب بل على مستوى اليوم والساعة!!

+ «ولكن سيأتي كلص في الليل، يوم الرب، الذي فيه تزول السموات بضجيج، وتنحلُّ العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها. فبما أن هذه كلها تنحلُّ، أي أُناسٍ يجب أن تكونوا أنتم في سيرةٍ مقدَّسةٍ وتقوى؟ منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب، الذي به تنحل السموات ملتهبة، والعناصر محترقة تذوب. ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة، وأرضاً جديدة، يسكن فيها البر. لذلك أيها الأحباء، إذ أنتم منتظرون هذه، اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنسٍ ولا عيبٍ، في سلامٍ.» (٢بط ٣: ١٠-١٤)

«ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع. كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان»:

«ولم يعلموا»: هنا، تخص ما كان جارياً وراء التاريخ والزمن وما كان يُعد لهلاكهم! والذي

كانوا لا يعلمونه وهم منهمكون في المآكل والمشارب والأفراح، كان يعلمه جيداً الذين استعدُّوا، إذ آمنوا بصدق الله ووعده ووعيده. ولهذا نقول: إن مجيء ابن الإنسان لن يفاجئ منتظريه ولن يكون مباغتة للذين يطلبون سرعة مجيئه بدموع كل يوم، بل سيكونون على ميعاد معه كسمعان الشيخ وحنَّة النبيَّة، اللذين خرجا من مكان عبادتهما ينتظرانه وهو قادم على ذراعي أُمه. عرفاه قبل أن يرياه وحملاه على أيديهما بعد أن حملاه أياماً وشهوراً في قلبيهما بانتظار يوم اللقيا.

أمَّا الذين أهملوه من تفكيرهم ومشغولياتهم واهتماماتهم ونفوه من محيط أفراحهم وأعيادهم ومجالسهم، فيأتيهم الديَّان فجأة ويكون لظهوره رعبة، وكلماته تصبح هي الدينونة والهلاك، لأنه يكون لهم بمثابة الطوفان عينه وليس من مهرب. والخوف كل الخوف والرعبة كل الرعبة أن تكون هذه الحال حال مَنْ يدَّعون المعرفة.

ومرَّة أخرى يقف المسيح على قمة العالم وهو يرى الطوفان قادماً، يبكي على العالم الذي لم يعرف زمان افتقاده: «ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع. كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان». والذي يكون دينونة ورعبة وهلاكاً للذين أهملوه واحتقروه، يكون مجداً وحياة ونوراً وناراً واختطافاً لملاقاته في السحاب للذين أحبُّوه وما كفُّوا عن الدموع طالبين سرعة مجيئه. ويتم القول: «لأننا رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون. لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة.» (٢كو ٢: ١٥و١٦)

٢٤: ٤٠و٤١ «حِينَئِذٍ يَكُونُ اثْنَانِ فِي الْحَقْلِ، يُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الآخَرُ. اِثْنَتَانِ تَطْحَنَانِ عَلَى الرَّحَى، تُؤْخَذُ الْوَاحِدَةُ وَتُتْرَكُ الأُخْرَى».

لحظة استعلان المسيح توقظ في المخلَّصين حياة الله ليخطف الروح مَنْ هو له، فيؤخذ بالروح ولا يوجد لا في حقل ولا على رحى، بل في السحب لملاقاة الرب مع ربوات قديسيه وملائكته المقدَّسين، الكنيسة الأخيرة المختطفة لتكون مع الرب كل حين[١٥]. حيث الاختطاف هو الارتفاع للخلاص العام الأخير:

+ «لأن الرب نفسه بهُتافٍ، بصوتِ رئيس ملائكةٍ وبوق الله، سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب.» (١تس ٤: ١٦و١٧)

(15) F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 882.

ويلاحِظ القارئ اهتمام المسيح الواضح بإعطاء مَثَلين للحياة العملية غير المتخصِّصة في العبادة أو الصلاة، كفرصة واضحة للاختطاف بناءً على حياة داخلية وليس عن مظاهر أو أعمال أو ملابس أو أسماء خارجية، فإنسان الحقل هو الزارع الكادح، وامرأة الرحى هي المرأة الكادحة المسئولة عن بيتها. وقد أمعن المسيح في التركيز على نوع الحياة الأكثر قرباً من المسيح الآتي في مجده: هنا في مَثَل الرجلين في الحقل والمرأتين على الرحى، ثم مَثَل العبد الأمين الذي أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه، كذلك في الإنسان المسافر الذي دعا عبيده وأعطاهم الوزنات حسب طاقتهم ليتاجروا فيها. في حين أعطى مَثَلاً واحداً للمختصين في حياة العبادة في مَثَل العشر عذارى اللاتي نصفهن فزن بالدخول. يضيف ق. لوقا في (١٧:٣٤) صورة أخرى جديدة علينا وهي اثنان على فراش واحد، هما بحسب الظن زوج وزوجة، أُخذ الواحد وتُرك الآخر. هنا تدخل النسبة في حالة الزوجية وضعاً حرجاً فيفرِّق الله ما جمَّعه الإنسان! في طلاق أبدي!!

كل هذه الأمثلة تضعنا في حالة اندهاش يزيد من توسُّلنا ورجائنا حتى لا نُهمل وجودنا عنده بل نكون مذكورين أمامه كل حين. وهذا يجعلنا نلتصق به منذ الآن وعلى الدوام باستعداد اللحظة التي نُستدعى فيها لنكون معه: «لذلك منطقوا أحقاءَ ذِهنِكُمْ صاحين، فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمةِ التي يُؤتَى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح.» (١بط ١:١٣)

مَثَل لص نصف الليل

[٢٤:٤٢-٤٤]

(مر ١٣:٣٥-٣٧)، (لو ١٢: ٣٩و٤٠)

٢٤:٤٢ «اِسْهَرُوا إِذًا لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ».

«اسهروا»: γρηγορεῖτε

وتفيد اليقظة الدائمة، وهذه الكلمة أصلها اليوناني يكشف معنى اسم "غريغوريوس" الذي يعني: "الساهر" أو دائم اليقظة.

وكأنما يختزل المسيح كل ما قال وكل ما شرح وأوصى إلى أن انتهى بهذه الوصية الصغيرة الوحيدة التي تجمع الكل: «اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أي ساعة يأتي ربكم». وهي في الحقيقة

دعوة إلى اليقظة القلبية الدائمة وليس سهر الليالي أو سهر الاحتراس، ولكن انفتاح الوعي لاحتمال مجيء المسيح في أية لحظة. وهي تنطبق انطباقاً سهلاً ومريحاً على سهرنا الداخلي على حياتنا الأبدية التي قد نُستدعى إليها في لحظة دون أي إشارة مسبقة. فالقلب قد يكف عن ضرباته، وفي ثانية لا يكون الإنسان محسوباً من سكان الأرض. ولكن القول هنا للجماعة. فالمسيح يقصد الكنيسة لكي تسهر على مصالح الضعفاء والمساكين والغرباء فيها، لأنه في لحظة يأتي ومعه حساب الدينونة عن المواهب والأمانات التي أعطى.

٤٣:٢٤ «وَاعْلَمُوا هذَا أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيِّ هَزِيعٍ يَأْتِي السَّارِقُ، لَسَهِرَ وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يُنْقَبُ».

السهر الذي يطلبه المسيح لنكون على استعداد قلبي وروحي لِلُقْياه، يحتاج منّا بالتالي للسهر على مقتنياتنا الروحية وذخيرة إيماننا التي هي أغلى من الذهب الفاني. فهنا السهر لمنع السارق غير السهر للقيا المسيح الذي سيأتي في ميعاد غير معروف، لأن سهر اللُّقيا بالنسبة للمسيح سهر مفرح ومملوء رجاءً وفرحاً وتهليلاً، ولسان حالنا هو لسان حال الكنيسة التي تدعو عريسها بعد كل قدّاس: أمين تعالَ سريعاً أيها الرب يسوع، ليزول العالم وليأتِ الرب[١٦]. أمَّا سهر الحراسة ضد السارق الذي ينقب البيت فهو سهر الغيرة والحرص الشديد من العدو الذي يودّ أن يقتحم بيت إيماننا ويسلب أعز مقتنياتنا: الإيمان والرجاء والمحبة والفرح الإلهي، وهي رأس مالنا الذي سنقدِّمه إلى الرب في مجيئه الثاني، بل سيقدِّمنا إليه لنجد عنده راحتنا العليا التي أعدّ.

+ «وأمَّا الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أيها الإخوة أن أكتب إليكم عنها. لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء. لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحبلى، فلا ينجون. وأمَّا أنتم أيها الإخوة فلستم في ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص. جميعكم أبناء نور وأبناء نهار. لسنا من ليل ولا ظلمة. فلا ننم كالباقين، بل لنسهر فلنصحُ ... وأمَّا نحن الذين من نهار فَلْنَصْحُ لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص. لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح.» (١تس ٥: ١-٩)

٤٤:٢٤ «لِذلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ».

---

(١٦) راجع هذا النص من الديداخي وتعليق المؤلف عليه في مجلة مرقس مارس ١٩٩٣ صفحة ٣٠.

معنى هذا ينحصر في قول واحد وهو كونوا مستعدين الآن وفي هذه اللحظة. ثم ليدم استعدادكم هذا دائماً. وهذا القول حكيم للغاية بالنسبة لكل موضوع الاستعداد الذي تغلغل هذه العظة الطويلة التي استغرقت الأصحاحين!! والمعنى الواقعي، عزيزي القارئ، الذي يتحتّم أن نفهمه ونؤمن به، أنه يلزمنا الآن وفي هذه اللحظة مراجعة حياتنا ككل، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، والانتهاء من وضع قانون للإرادة يحكمها بحق الإنجيل وبكل عظة المسيح هذه، أن نكون على استعداد لمقابلة المسيح الآن، وبناءً على هذا الحكم نبدأ فوراً في تصفية حساب الضمير كما صفّى زكّا حسابه أمام المسيح وكل الشهود. أمّا علامة استعدادنا العملي لملاقاة المسيح الآن فتكون هي حالة الفرح والسلام القلبي.

إلى هنا يكون قد انتهى المسيح من إعطاء العلامات والتحذيرات (٢٤: ٤-٤٤)، لذلك فإن ما بقي من الأصحاح الرابع والعشرين (٢٤: ٤٥-٥١) يتبع الأصحاح الخامس والعشرين الذي سيكون موضوعه هو المحاكمات.

الأصحاح الخامس والعشرون

المحاكمات في نهاية الزمان

أمثلة

- مَثَل العبد الأمين الحكيم: محاكمة العبد المستهتر (٢٤:٤٥–٥١)
- مَثَل العشر عذارى: محاكمة الخمس عذارى الجاهلات (٢٥:١– ١٣)
- مَثَل الوزنات: محاكمة العبد الكسلان والشرير (٢٥:١٤–٣٠)
- عظة لكل العالم

منظر الدينونة الأخيرة: محاكمة الجداء – الملاعين (٢٥:٣١–٤٦)

حديث المحاكمات

عقيدة الكنيسة في كيف تكون الدينونة الأخيرة

[وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات].
(قانون الإيمان الرسولي)

إن الرجاء والحب الذي تعيشه الكنيسة في إيمانها بمخلِّصها لا يقلِّل من عقيدتها بنوع المحاكمة التي ستنتهي إليها دينونة الأحياء والأموات الأخيرة. ولا تحجب عنها واجباتها في تعاملها مع وصايا الحياة الأساسية من نسك وعبادة وسهر، واستقامة تعليمها من جهة البذل والتضحية والخدمة والغفران، والتشديد على محبة أعضائها بعضهم لبعض، والتواضع والخضوع الواجبين على الجميع تحت يد الله العليا لدوام الهدوء والسلام. والكنيسة تُحيي ذكرى إيمانها بالسهر لانتظار عريسها القادم حسب وعده، كلما استودعت نفساً من نفوس أتقيائها إلى القبر. فهي إنما ترسله ليقابل مَنْ خلَّصه وفداه ليقدِّم له ثمار حياته الفضلى، ويسمع منه كلمة المديح على ما قدَّم من بذل وتضحية وخدمة واتضاع وطاعة لوصاياه، ويذهب لينتظر نداء البوق الأخير.

وكم حذَّر المسيح الكنيسة على مدى الإنجيل أن لا يختار الإنسان نصيب الجداء والدخول من الباب الواسع الذي يؤدِّي إلى الهلاك، ولا يختار وظيفة الكرَّامين الأردياء والتمثُّل بالذين يأكلون بيوت الأرامل ولعلَّة يطيلون الصلوات، والارتياح لنداء سيدي سيدي، وتعريض العصائب وتبييض قبور الأنبياء ومدافن الصدِّيقين، والتصفية عن البعوضة وابتلاع الجمل، وادعاء الخدمة وكلمات التقوى، وباسمك تنبَّأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوَّات كثيرة. والخاتمة: لست أعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الإثم!

والآن وقد قارب المسيح على إنهاء الخدمة وتسليم الرسالة وهو قادم على المحاكمة الظالمة والصلب، يقدِّم للكنيسة عيِّنة من المحاكمات العتيدة أن تكون حال مجيئه لإعطاء الجواب عمَّا صنع الإنسان، وهكذا شاء ق. متى بنعمة الروح القدس أن ينهي إنجيل خدمة المسيح بصوت توعية للنفوس اللاهية عن خلاصها، والتي استهترت بقيم الخلاص والفداء ونداء المحبة والإيمان والرجاء والتقوى، وذلك تذكرة أبدية من جيل إلى جيل. وليفهم كل قديس في كنيسة الله المقدَّسة الواحدة الوحيدة الجامعة الرسولية الأرثوذكسية أن لولا المحاكمة العتيدة أن تأتي بكل كلماتها الواعية من فم المسيح ما وهب المسيح نعمته وما سكب روحه القدوس. فهو أنعم ووهب وأعطى بسخاء ليسأل من أنعم عليهم ووهبهم وسَخِيَ بعطائه لهم؛ وجعل الفداء والخلاص والتبني مجَّاناً ليعاقب مَنْ تعالى واحتقر ورفض الفداء والخلاص المجاني؛

وأحبنا وعطف علينا عطف الآب الحاني ليؤاخذنا عن شح حبنا وعطفنا على الآخرين. وعاد وصنع معاهدة تآخٍ سرًّا مع الفقراء والمساكين والمظلومين والأيتام والأرامل، وكل مَنْ أخنى عليه الدهر وسحقه الزمان. كلِّ غريب وكل مسحوق وكل مريض وكل مهان. حتى كل مَنْ أهانهم يُحاكم كمن أهان شخص ابن الله ذاته، وهكذا انحاز إلى الجزء الأضعف والأذل في البشرية ليجعل لنفسه منهم شهوداً وشهداء في محاكماته القادمة. فلا يستطيع أن يفلت منها جانٍ أو متجنٍ!

ولقد اندهش بعض العلماء[1] من تركيز ق. متى على المحاكمات في إنجيله حتى أنه جعل الفصل الأخير منه خاصاً بها، فأطلقوا عليه صفة إنجيل المحاكمات!

ولكن كلمة أقولها حتى لا نفقد شجاعة إيماننا: فإن قاضينا هو فادينا.

+ «مَنْ هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات بل بالحري قام ... الذي أيضاً يشفع فينا.» (رو ٨:٣٤)

المحاكمات

وتقع في أربعة أقسام واضحة. ونحن نركِّز على صورة المحكوم عليهم:

الأول: (٢٤:٤٥-٥١): محاكمة العبد المستهتر.

الثاني: (٢٥:١ - ١٣): محاكمة الخمس عذارى الجاهلات.

الثالث: (٢٥:١٤-٣٠): محاكمة العبد الكسلان والشرير.

الرابع: (٢٥:٣١-٤٦): محاكمة الجداء - الملاعين.

والقصد من تقديم هذه الصور لهذه المحاكمات هو أن المسيح أعطى أمانات وأوصى بالسهر. فهل عبثاً أعطى المسيح الأمانات؟ أم عبثاً أعطى وصية خاصة بالسهر؟ هنا حساب الأمانة وحساب السهر على الأمانة. أم لأنه سافر وغاب حسبناه لا يجيء؟ لقد قال واعداً إنه آتٍ آتٍ. وعند مجيئه يوزِّع الأكاليل ويحاكم الذين أهملوه، وأهملوا حق أماناته واستهتروا بوعد مجيئه ووعيد حسابه وعقابه. وفي هذه الصور الأربع قدَّم لنا ق. متى مناظر للمحاكمات عن قرب، صادقة كل الصدق لتكون رادعاً لكل مَنْ تحدِّثه نفسه بالخيانة. أمَّا كونه حتماً سيأتي فقد أفرد لذلك الأصحاح الرابع والعشرين، أمَّا كونه لابد سيُحاكِم فقد أفرد له الأصحاح الخامس والعشرين.

(1) B.W. Bacon, *Studies in Matthew* (1930), pp. 412 f.

مَثَل العبد الأمين الحكيم

محاكمة العبد المستهزئ

[٢٤: ٤٥-٥١] (لو ١٢: ٤١-٤٨)

٢٤: ٤٥ «فَمَنْ هُوَ الْعَبْدُ الأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِي أَقَامَهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الطَّعَامَ فِي حِينِهِ؟».

وكأن المسيح يلوِّح بإكليل الأمانة في يده ويقول: والآن مَنْ منكم يريد أن يكون هذا العبد الأمين؟ وهكذا يفتتح المسيح صفحة المحاكمات بأجمل عبارة وأصدق وعد قلبي مزمع أن يجعله نموذج الجزاء الحسن. وهو بهذا ينفي عن نفسه أي مسرَّة في موت الخاطئ أو عقاب الذي خان الأمانة. وفي الحقيقة نحن نعتقد أنه صعب عليه للغاية أن يدين أحداً، وفي ظننا أنه سيكشف أمام الخاطئ عن حقيقة قداسته وطهره وحبه وفدائه بالموت الذي ماته على صليبه، ويدع الخاطئ والأثيم يقرِّر ما يستحقه لنفسه مقابل ما صنعه المسيح من أجله. لأنه قالها مرَّة بصريح العبارة: «أمَّا أنا فلست أدين أحداً. وإن كنت أنا أدين فدينونتي حق، لأني لست وحدي، بل أنا والآب الذي أرسلني» (يو ٨: ١٥و١٦)، وقد جاءت باليونانية οὐ κρίνω οὐδένα بالنفي مرَّتين لا أدين ولا واحد! على أن الدينونة بالحق لا تعني أكثر من إعلان الحق في وجه الباطل، ليظهر الباطل باطلاً جداً. فالمسيح إذ يكشف الحق بوجوده يجعل الخاطئ والخائن يحكم ويدين نفسه في الحال ولا يقوى على الوقوف أمام الحق ولا لحظة واحدة. هذه هي الدينونة بالحق. هذا الموقف ذاته وقفه المسيح أمام الشيوخ الذين أمسكوا امرأة في ذات الفعل وجاءوا بها ليجرِّبوه ويسمعوا حكمه عليها. فجلس المسيح على الأرض كقاضٍ إلى لحظة، وفي هذه اللحظة كشف عن الحق الذي فيه، وسألهم أن الذي بلا خطية فليرمها أولاً بحجر، فخرجوا جميعاً صرعى أمام ضمائرهم عندما أعلن المسيح الحق. ولم يستطع أحد أن يقف ولا لحظة. وأخيراً سأل المرأة المدانة أين الذين يشتكون عليكِ: «أما دانكِ أحد. فقالت لا أحد يا سيِّد. فقال لها يسوع ولا أنا أدينك اذهبي ولا تخطئي أيضاً.» (يو ٨: ١٠و١١)

أمَّا هذه فكان لا يزال أمامها فرصة للتوبة، أمَّا في الآخرة فلا توجد توبة بعد.

وفي هذا المَثَل الأول للمحاكمة جعل المسيح الأمانة التي ستكون الدينونة بمقتضاها، هي وظيفة

إطعام خدم السيد في مواعيد الطعام. ولكن المُلاحَظ أن الصفتين اللازمتين لهذه الوظيفة تأتيان على مستوى روحي عال، فهما: **الأمانة والحكمة** πιστὸς καί φρόνιμος حيث "الحكمة" في اليونانية تفيد البصيرة والتدبير بفطنة تناسب أصحاب المسئوليات الروحية الكبيرة. ولكن "الأمانة" تتفوق على البصيرة من جهة المسئوليات الكبيرة، ويأتي عكسها في الآية (٤٩)، ولكن تتكرَّر هذه الصفة φρόνιμος في الإنجيل لتصف الشخص ذا البصيرة الدينية فيما هو الحق والأصول في أمور العبادة فيما يخص المسيح وحفظ وصاياه والعمل بها: «فكل مَنْ يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبِّهه برجل **عاقل**» (مت ٧:٢٤). فالمَثَل بالرغم من أنه أتى بألفاظ اجتماعية في أمور إطعام العبيد رفقائه ولكنه يستبطن المسئولية الروحية وغذاء الروح.

وقول المسيح: إنه أقامه على العبيد رفقائه نبَّه آباء الكنيسة أن المقصود هنا هو الأسقف، ويتفق في ذلك كل من العلماء ستاهلين وإرميا وجروندمان وبيير وساند وغيرهم[٢]، مؤكِّدين أن المَثَل إنما يخص القادة الدينيين المسيحيين، ويعتبرونها وكأنها عظة تنصيب للقادة الكبار. وكون المسيح يحصر الخدمة في الإطعام فقط فهي تأخذ في نظرهم معنى التغذية الروحية بالكلمة التي تكون بالتالي هي عمل الراعي الأساسي، على وزن قول المسيح لبطرس الرسول: «ارعَ = (أطعم) غنمي» لثلاث مرَّات (يو ٢١: ١٥-١٧). على أن ق. يوحنا ذهبي الفم لا يقصرها على رجال الدين بل يمتد بها لكل مسئولية. ولكن يوجِّه العالِم برونر نظر القارئ إلى قول المسيح: «أقامه سيده على خدمه» حيث الخدمة هي داخل بيت السيد الخاص، فالإشارة واضحة للكنيسة.

«على خدمه»: ἐπὶ τῆς οἰκετείας αὐτοῦ

واضح من الاصطلاح اليوناني هنا أنها عائلة السيد الخاصة حيث الخدم هنا هم أخصَّاء للسيد. فالكلمة لا تخرج عن مفهوم الكنيسة. وتخصيص خادم له هذه الصفات: الحكمة في التدبير والأمانة ليكون على بقية الخدم ترفع من قدر الخدمة لتجعلها خدمة تحتاج إلى التدبير الحكيم والأمانة في الأداء، وهذه تسمو بالطعام لتجعله طعام الروح على مستوى «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (مت ٤:٤). حيث أصبح المفهوم المرادف "للخبزة" هو "الكلمة". على أن اصطلاح: «أقامه سيده على خدمه» يرتفع بمفهوم الوظيفة أو المسئولية المحدَّدة الباردة إلى خدمة كبيرة تتناسب مع الطوبى التي سينالها مَنْ كان أميناً وحكيماً في أدائها.

(2) Staehlin, J. Jeremias, W. Grundmann, F. W. Beare, A. Sand, cited by F. D. Bruner, *op. cit.*, p. 889.

«في حينه (الحسن)»: ἐν καιρῷ

صحيح أنها جاءت فقط "في حينه" ولكن الكلمة تستلزم الحين "الحسن أو المناسب" لكي تستنفذ طاقة "الحكمة والأمانة" لدى الخادم المعيَّن. لأنه إن كانت تقدّم في أي وقت لا تحسب على مستوى الحكمة أو الأمانة. وهنا يتبادر إلى الذهن مناسبات إطعام النفوس بكلمة الإنجيل الأمر الذي استغرق من الرسل والآباء الرسوليين عقد الاجتماعات والمشورات والتدبير الدقيق في تقديم خدمة الكلمة في جميع مناسباتها، الشيء الذي برزت فيه حكمة الكنيسة فعلاً وأمانتها، إذ لم تترك مناسبة واحدة دون أن تحدِّد ما يخصها من التعليم بالكلمة.

إعطاء الطوبى الأخيرة وهي آخر طوبى في إنجيل ق. متى:

٢٤:٤٦ «طُوبَى لِذلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هكَذَا!».

هنا تحتّم علينا دقة المسيح في التعبير أن ننتبه جداً للتعبير الذي اختاره ليستحق ذلك العبد هذه الطوبى الفريدة. وقد جاءت هنا ليس لأن السيد حينما عاد وجده في حالة صلاة أو في حالة هذيذ بالإنجيل أو حتى إلقاء عظة، ولكن بالتحديد «يفعل هكذا οὕτως ποιοῦντα » أي: "يفعل كما قلت له تماماً"!! هنا تتميم نص الوصية وكما حدَّدها المسيح تماماً استحق الطوبى. وطبعاً وجده يطعم خدمه في الحين الحسن. لم يكن بمجرَّد ساهر يعد الساعات والأيام، ولا مهموماً بمجيء السيد يعمل له ألف حساب، ولكن وجده "يفعل هكذا". وبهذا يكون قد أعطى المسيح الكنيسة في أول مَثَل له عن كيفية السهر وانتظاره: أن يعمل الخادم بحسب الموهبة التي أُعطيت له كما حدَّدها له المسيح أو الكنيسة بحكمة وأمانة. وهذا يبلور وصية السهر بانتظار المخلِّص الآتي بأنها الانشغال في تأدية الخدمة بحكمة وأمانة.

٢٤:٤٧ «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ».

جميل أن يكشف لنا الرب عفواً عن كيفية ونوعية الجزاء عند مجيئه وتكميل المحاكمة، إذ أوضحها هنا بأنه يجازي بمجازاة من نوع الأمانة أو الخدمة التي استؤمن عليها الخادم، ولكن بصورة مطلقة "جميع πᾶσιν". وكون المسيح يبدأ عملية المجازاة بكلمة "الحق" = "آمين" يجعل المجازاة على مستوى العهد والوعد. حيث الأمانة في تأدية الخدمة تؤدِّي حتماً إلى خدمة أعظم. وبهذا نفهم أن المجازاة في السماء ستكون عملاً وخدمة وليست راحة ومتعة استراحة، إذ ينتظر الأمناء مسئولية أمانة أعظم ومن ذات الصنف، ويكفي وضوحاً في ذلك وعد الرب بعد قوله "الحق" أنه يقيمه على جميع

أمواله، أي مخصصات الخدمة.

المسيح هنا يرفع من نظرتنا إلى حياتنا في الدهر الآتي أنها حياة عمل ومسئولية أعظم نعد أنفسنا لها من الآن، بتقديم أقصى ما نملك من الحكمة والتدبير والأمانة، لأن العمل الآتي لن يكون بعد في المحدود الزماني بل في المطلق الكلّي. هذا يعني أننا نمارس من الآن نصيبنا الأعظم إن كنا نؤدّي ما في أيدينا بكل ما نملك من حكمة وأمانة.

وكأن ق. بولس التقط هذا المعنى وعلّق عليه إلى تلميذه تيموثاوس: «اجتهد أن تقيم نفسك لله مزكّى عاملاً لا يخزى، مفصِّلاً كلمة الحق بالاستقامة» (٢تي ٢: ١٥)، «أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته. اكرز بالكلمة. اعكف على ذلك في وقت مناسب وغير مناسب. وبِّخ انتهر عظ بكل أناة وتعليم» (٢تي ٤: ١و٢)، «وأمَّا أنت فاصحُ في كل شيء. احتمل المشقّات. اعمل عمل المبشِّر. تمِّم خدمتك.» (٢تي ٤: ٥)

٢٤: ٤٨ «**وَلكِنْ إِنْ قَالَ ذلِكَ الْعَبْدُ الرَّدِيُّ فِي قَلْبِهِ: سَيِّدِي يُبْطِئُ قُدُومَهُ**».

المنظر يتبدَّل فجأة. ونحن الآن أمام عبدٍ رديء، فالأمين الحكيم أعطى دوره لآخر رديء. فالعبد هو هو في المضمون القصصي، ولكن الذي تغيَّر هو الدور والسلوك والتصرُّف لكي يأخذ في المقابل ما يناسبه من عقاب، مع الاحتفاظ بكل ظروف المَثَل تماماً. فالعبيد زملاؤه هم هم بأنفسهم، والبيت لم يتغيَّر والزمن قائم كما هو حتى لا يكون هناك تماحك في أي تغيير أيًّا كان. والأمر الوحيد الذي تغيَّر هو اعتقاد العبد أن سيده يبطئ قدومه، فهذا العامل الوحيد هو الذي استدعى ما في قلبه الشرير ونفسه الكسولة أن يظهر إلى الوجود. ولكن لو فحصنا القلب والنيَّات بأكثر دقة نجد أن الشر المبيَّت في القلب وروح الكسل التي يعيش بها هذا العبد هي التي أوحت إليه بتكذيب وعد السيد، وافتراض طول غيابه. فإذا عُدنا وقيَّمنا هذا الافتراض نفسياً أو خلقياً نجده ينبع من إحساس آخر أخطر وأشر، وهو أن السيد لا وجود له في القلب ولا في الضمير.

٢٤: ٤٩ «**فَيَبْتَدِئُ يَضْرِبُ الْعَبِيدَ رُفَقَاءَهُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ السُّكَارَى**».

غياب الخوف أو انعدام المخافة من القلب هي التي أبعدت هيبة السيد من الذهن والضمير، ومعها يكون الانحلال والإباحية، ومعها القسوة على المرؤوسين بلا رحمة ولا خشية ضمير. لا احترام لأتقياء ولا رحمة بضعفاء، بل تظهر الشراسة وبعنف. فانحلال الأخلاق والسلوك الداخلي واقتراف

الإثم والتمرُّس فيه يضفي نوعاً من الشراسة بنوع من الوقاحة حتى يرعب المرؤوسين والأصدقاء وكل المحيط، لبناء درع من الإرهاب تختفي وراءه الشخصية في مظهر من القوة والبأس الكاذب، لأن الإثم والتمادي فيه يكون قد أضعفها وضعضع ملكاتها وأصبح الشخص مرتعباً من ذاته، وأخشى ما يخشاه أن يكتشف الناس ما أصابه من الانهيار الخلقي وتنفضح نجاسة سيرته الداخلية. وكلما ازداد إثماً كلما ازداد شراسة وتميَّزت قسوته بعدم الرحمة. لمثل هذا العبد الرئيس تكون فكرة مجيء الرب مرعبة لا يتصوَّرها بل ينكرها ويرفض أن يسمعها. فليس "سيد" في تصوُّره وضميره إلاَّ نفسه. فهو السيد وهو حاضر كل حين يدَّعي سلطانه ويمارس بأسه. وإن كان يسكر فهو لكي يزيح عن إحساسه الورطة المريعة التي سقط فيها.

بولس الرسول يُذكِّر ولكن ليس مَنْ يذكُر: «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع ربًّا، ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع.» (٢كو ٤: ٥)

حينما قال الرب يسوع هذا المَثَل قاله لتلاميذه، لأن أشد ما كان يقلقه أن لا يصونوا السلطان الذي أعطاه لهم، والذي سيزيده بعد القيامة: سلطان مغفرة الخطايا والحل والربط في مصائر المؤمنين.

٢٤: ٥٠ «يَأْتِي سَيِّدُ ذلِكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لاَ يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لاَ يَعْرِفُهَا».

اتفق بعض الآباء القديسين أن مجيء السيد هنا هو مجيء خاص: «يأتي سيد ذلك العبد» مما جعلهم يعتبرون أن هذا يعني موته، حيث يقف العبد أمام سيده حتماً. ولكن ولو أن هذا يُعتبر حلاًّ لإشكال الأزمنة، إلاَّ أن المسيح هنا يتكلَّم عن مجيئه العام بكل وضوح. أمَّا الأزمنة والتواريخ فكلها تتلاشى بمجيئه. فمجيئ الرب حقيقة لا زمانية فوق كل اعتبار أو إحساس زمني، هي حادثة الآن بالموت أو بيقظة الضمير، وحادثة بالنهاية بدون الموت. المهم أن مجيء الرب لم يكن متوقَّعاً في فكر ذلك العبد ولم يخطر له على بال. وطبعاً لم ترافقه علامات المجيء لا في الزمن المحيط به ولا في ضميره الذي يعيش به. مما يجعلنا نراجع حساباتنا على ضوء مصير هذا العبد الرئيس الذي تغافل عن شروط وظيفته فكان مجيء السيد له خصيصاً، ليستعيد بيته وخدمه من تحت يديه.

ولكن واضح أن في هذه الأمثلة الأخيرة التي قدَّمها المسيح لتلاميذه في هذا الأصحاح لا يقصد منها جدولة أعماله الأخروية ومجيئه زمنياً، وإنما ليغرس في كنيسته "رجاء المجيء" حيًّا ساهراً فعَّالاً، مؤسِّساً أخلاقاً مسيحية يمكن أن نسمِّيها "أخلاق المجيء الثاني"، الموضوع لها من الآن الطوبى الأخيرة.

٢٤ : ٥١ «**فَيُقَطِّعُهُ وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الْمُرَائِينَ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ**».

«**فَيُقَطِّعُهُ**»: διχοτομήσει

الكلمة اليونانية الأصلية دخلت اللغة الإنجليزية Dichotomy بمعنى "انقسام ثنائي". ومن هنا يتضح المعنى إذ يكون: «يشقُّه من الوسط». وهو تعبير لفظي وليس عملي عن عقاب الغضب. فهو تعبير تهديدي مثل "أقطِّعه حتت" أو "أشقه نصين" أو "أفلقه". وواضح أنه عقاب تهديدي لأنه بعد ذلك سيجعل نصيبه مع المرفوضين. وواضح أن النصيب المشئوم هو المقابل للطوبى ورفع الوظيفة إلى المستوى الأعلى. فالمسيح ليس بظالم هنا، ولكن العبد هو الذي ظلم نفسه برداءة سيرته وإصراره على أن يُبقي سيده بعيداً عن قلبه وعن فكره، ويتصرَّف وكأنه غائب إلى النهاية، أو أن وجوده خرافة فسوف يبقى غير موجود: «رفضوني أنا الحبيب مثل ميت». ولكن هلمَّ معي أيها القارئ العزيز لنرى ماذا ربحه ذلك العبد الذي رفعه السيد ليكون رئيساً على العبيد رفقائه، ماذا جنى من وراء ضربه للعبيد رفقائه، وطبعاً لا طعام في حينه ولا في غير حينه، بل كلام موجع وشتيمة وحرمان مما هو حق لهم وما هو واجب. هكذا انتهت سيرة عبد كان يمكن أن يكون مغبوطاً وسعيداً وحظه مع القديسين في تسبيح بمجدٍ يدوم. ولكن علة الحرمان الأبدي وغضب المسيح الذي اكتسبه لا يمكن أن يُنسى سببه: «سيدي يُبطئ قدومه»!!

«**البكاء وصرير الأسنان**»:

أمَّا البكاء فعلى فرصة ضاعت، وأمَّا صرير الأسنان فبسبب ملامة الذات والغضب على النفس.

مَثَل العشر عذارى

محاكمة الخمس عذارى الجاهلات

[٢٥ : ١-١٣]

٢٥ : ١ «**حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ**».

«**حينئذ يشبه**»: τότε ὁμοιωθήσεται

كلمة "حينئذ" تفيد: "في ذلك الزمان"، زمن مجيء العريس. ولكن كلمة "يشبه" فهي ترجمة غير دقيقة للأصل لأن الفعل في زمن المستقبل: "سوف يشبه" أو "سيُشبه". وهو مستقبل بالنسبة

للعذارى اللاتي اتخذن قرارهن في الماضي أن يستقبلن العريس حينما يجيء. ويُلاحَظ أن المسيح حينما تكلّم عن الملكوت في الماضي في الأصحاح (١٣) تكلّم عنه بصيغة المضارع ὁμοία ἐστὶν "يشبه ملكوت السموات حبَّة خردل ... يشبه ملكوت السموات خميرة، ... يشبه ملكوت السموات كنزاً ... يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً ... يشبه ملكوت السموات شبكة ..." (١٣: ٣١و٣٣و٤٤و٤٥و٤٧)، لأنه كان يتكلّم عن ملكوت السموات كيف ندخله بالكلمة. أمَّا هنا فيتكلّم عن ملكوت السموات في مَثَل للدينونة أو الحكم المزمع أن يكون. وهكذا يجيء هذا الأصحاح بدءاً من (٢٤:٤٦)، (٢٥: ١و٢٩و٣١)، كله في المستقبل إذ يتكلّم عن كيف سيُجَازى السلوك في يوم الحكم.

أمَّا السؤال: لماذا هنا ذكر النساء؟ فهو لسببين هامين: الأول موازنة أمثلة الدينونة للرجال، والثاني إعطاء صفة العريس للديَّان، لأن هذه هي صنعته الحقيقية بمقتضى مشورته الأزلية كابن الله، أن ينقذ جنس البشرية من حالة تردِّيه في الخطية والعصيان إلى حالة نقية طاهرة من البرارة يقدِّمه فيها لأبيه، وذلك بأن يتّحد بجنسنا اتحاداً كليًّا بشبه الزيجة، أي يصير مع البشرية جسداً واحداً بروحه الأزلي وبلاهوته أولاً بالتجسُّد البتولي، ثم بالصليب حيث أخذ خطايانا كلها في جسده على الخشبة ومات بنا فمتنا معه وأكملنا العقوبة الواجبة علينا. ثم إذ هو بلاهوته المتحد بنا أقامنا من بعد كمال موتنا معه أو فيه في قيامة مجيدة بجسد جديد هو البشرية الجديدة التي رفع عنها خطاياها، وقدَّمها مقدَّسة فيه وطاهرة ومبرَّرة ببره إلى الآب. بهذا كان حقًّا عريس البشرية التي اتحد بها وفداها.

إذن، فالعذارى هنا يمثِّلن بامتياز طبقة البشرية المنوط بها استقبال العريس: «فإني أغار عليكم غيرة الله لأني خطبتكم لرجل واحد لأقدِّم عذراء عفيفة للمسيح» (٢كو ١١:٢). وخمس ظهرن أنهن حكيمات في مقابل ذلك العبد الحكم الأمين الذي أقامه سيده على خدمه، وخمس أثبتن أنهن جاهلات إذ لم يكنَّ مستعدات لمجيء العريس وانطفأت مصابيحهن. على أن صفة العذارى بالنسبة للعريس تفيد الأخصاء من الجوقة التي تسير في موكبه خاصة، وميزتهن أنهن يحملن مصابيح مضاءة. علماً بأن المسيح قد سبق ونبَّه تلاميذ المعمدان لماذا لا يصوم تلاميذه الأخصاء بالقول إنه طالما العريس في وسطهم فلا ينبغي أن يصوموا. فهو يرى نفسه العريس وتلاميذه بني العرس. والمعمدان نفسه أعطى المسيح صفة العريس وأعطى الكنيسة صفة العروس: «مَنْ له العروس فهو العريس، وأمَّا صديق العريس (المعمدان) الذي يقف ويسمعه يفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذاً، فرحي هذا قد كمل.» (يو ٣:٢٩)

ولو دقّق القارئ لوجد أن في مَثَل العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيده على خدمه، يكشف اختيار المسيح لطبقة معيَّنة من المؤمنين صفتها الأُولى الحكمة والأمانة ليقيمها على بيته للتدبير، وفي المقابل يعطي المسيح هنا اختيار طبقة معيَّنة من المؤمنين صفتها الأُولى التقوى والطهارة لتكون في مقدِّمة استقبال العريس. ولكن كما في مَثَل العبد الأمين الحكيم ظهر معه العبد الرديء، كذلك في العذارى الحكيمات ظهرت معهن العذارى الجاهلات.

٢٥: ٢و٣ «وَكَانَ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ، وَخَمْسٌ جَاهِلاَتٍ. أَمَّا الْجَاهِلاَتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتاً».

هنا الخطوة الأُولى الهامة في القصة هي أن المصابيح كان بها زيتها عند الحكيمات وعند الجاهلات سواء. فلو كان العريس قد حضر سريعاً ما كان قد انكشف عجز الجاهلات وإهمالهن، ولكن الذي يفرِّق الحكيمات عن الجاهلات هنا هو احتراس الحكيمات بأخذ الزيت الكافي لمصابيحهن باحتياط تأخُّر مجيء العريس. أمَّا الجاهلات فأغفلن أخذ الزيت في أوانيهن إذ ظنَنَّ أن مجيء العريس وشيك للغاية. بمعنى أن تأخُّر العريس في هذا المَثَل كان غير متوقَّع فعلاً. وهكذا يقف هذا المَثَل عكس مَثَل العبد الرديء الذي فيه تأخُّر السيد كان مفروضاً، ولكن العبد تمادى في فرضه لغياب السيد إلى الدرجة أنه ألغى هذا الفكر وابتدأ يسلك سلوك مَنْ لا سيِّد له. ولكن هنا في أمر العذارى الجاهلات كان فرضهن على النقيض أن العريس سيأتي سريعاً فلم يحتفظن بزيت في أوانيهن.

وهكذا يعالج المسيح في المَثَلين كلا الاحتمالين، فالاحتمال الأول وهو فرض غياب المجيء إلى الحد البعيد جعل العبد الرديء يتنمَّر ويسيء إلى وظيفته بعدم اكتراث شنيع، والاحتمال الثاني وهو فرض المجيء إلى الحد القريب جعل العذارى لا يحتطن لأخذ الزيت الكافي لمصابيحهنَّ.

وكلا الوضعين خطر على كنيسة المسيح. لأن في التعليم الأول أو غياب المجيء الثاني إلى ما بعد التقييم الإنجيلي الصحيح فإنه يؤذي مشاعر التقوى والعبادة وحرارة الصلاة وتصبح المسيحية وكأنها بلا رقيب. يسلك المسئولون فيها وكأن لا حساب ولا عقاب ولا دينونة. فالرب غائب، غائب عن الضمير والفكر والمشاعر، وكأنه لن يجيء!!

أمَّا الوضع الآخر وهو مجيء المسيح السريع، فهو يلهب المشاعر ويشعل حرارة الصلاة ويشعل حرارة العبادة والتقوى، ولكن دون حساب الغياب الطويل للمجيء. فيقبل الإنسان إقبالاً شديداً على الإيمان بحرارة فائقة دون أن يكون قد جعل في الحسبان خمسين سنة أو سبعين من الانتظار

والإحساس بالجفاف وربما العثرات. وهذه سمة التبشير الجماعي في هذه السنين حيث التبشير يقتصر على توصيل رسالة الإيمان بالملايين وعدم رعاية الحملان الجدد الذين تبتلعهم الذئاب أولاً بأول. ومَثَل العذارى الجاهلات إنذار كبير للغاية. فالمسألة ليست امتلاك مصابيح، بل الإيمان المسيحي بطول النَفَس قائم في آنية الزيت، وآنية الزيت تمتلئ نقطة نقطة من التعليم اليومي، من القدَّاسات، من شركة الجسد والدم، من سماع شرح الإنجيل، من توجيه الأخلاق والسلوك، من القدوة الروحية الصادقة الأمينة وقراءة سير أبطال النسك والإيمان والخدمة.

فالمسيحية ليست دعوة لاستقبال العريس بشراء مصباح والوقوف في الصف، بل خبرة عمر وحياة، خبرة إنجيل وكنيسة وزمالة ورئاسة، واضطهاد وإهمال وإذلال وصليب، ونجاة ونعمة ونصرة، وفرح وثبات وجفاف وقوة ومجد!

جهالة العذارى اللاتي اكتفين بالمصباح دون مخزون الزيت، كجهالة الذي دخل الوليمة وليس عليه ثياب العرس، إذ لمَّا رأى الأشرار زملاءه يدخلون دخل، دون أن يعبر على المعمودية ويبيِّض ثيابه بالدم. مَثَل العذارى الجاهلات يكشف خطر الاكتفاء بالمظاهر في المسيحية! فالمسيحية عمق حياة وخبرة وألم واحتمال وإنكار ذات ونضج وكفاءة. الإيمان المسيحي يُقاس بالجهاد حتى الدم. والخلاص هو نصرة من بعد الصليب: «أمَّا كأسي فتشربانها وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان» (مت ٢٠:٢٣). وكلَّما سهَّلنا الدخول إلى المسيحية سهَّلنا الخروج منها!! «المزروع على الأماكن المحجرة هو الذي يسمع الكلمة وحالاً يقبلها بفرح ولكن ليس له أصل في ذاته بل هو إلى حين، فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالاً يعثر!» (مت ١٣: ٢٠و٢١)

أمَّا عن المعنى الذي يُشير إليه الزيت في المصابيح فإذا استشرنا فكر الآباء لا نجد اثنين يتفقان على ما هو هذا الزيت في الآنية:

فذهبي الفم يقول إن الزيت هو العطاء للفقراء والمحتاجين [عظة ٧٨: ١ صفحة ٤٧٠].

وأغسطينوس يقول إن الزيت هو المحبة [عظة ٤٣ (٩٣): ٥، صفحة ٤٠٢].

وبعد ذلك العلماء كل واحد باتجاهه، فَمِنْ قائل إنها الأمانة، أو الأعمال الصالحة أو علاقة الإنسان بالله.

ولكن لا ينبغي أن يغيب عن ذهن القارئ، أنها خبرة الحياة المسيحية كلها وأهمها ما اكتنزه الإنسان من الإنجيل وعلاقته بالله والكنيسة، وما اكتسبه من النعمة خلال الآلام والضيقات،

والنفوس التي اكتسبها للمسيح. فالزيت هو رأسمال الإنسان المسيحي الذي يخرج به من العالم حاملاً شعلة إيمانه يضيئها أنبوب زيت رفيع متصل بها سرًّا لا يراه أحد، مخزنه داخل القلب. «والفاهمون (الصالحون) يضيئون كضياء الجلد، والذين ردُّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور» (دا ١٢:٣)، «حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم.» (مت ١٣:٤٣)

٢٥:٤ «وَأَمَّا الْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتاً فِي آنِيَتِهِنَّ مَعَ مَصَابِيحِهِنَّ».

كان استقبال العريس أمراً بالغ الأهمية في حياة العذارى الحكيمات. فقد تركَّز فكرهن فيه وفي كيف يؤدِّين دورهن على أفضل ما يكون. فكان استعدادهن بتوفير الزيت الكافي لعل العريس يغيب، لأنهنَّ لم يكنَّ يعرفن ميعاد مجيئه، لذلك احتطن بأخذ المزيد من الزيت. فأصبح أمر تأخيره أو سرعة مجيئه مؤمَّناً عليه، فهذا وارد وذلك وارد أيضاً. فهنا توفير مزيد من الزيت لكل الظروف يساوي تماماً وصية السهر حتى ولو نعسن ونمن: «أنا نائمة وقلبي مستيقظ» (نش ٥:٢). وهذا هو المسيحي على الدوام مستعد للمقابلة، الصليب موضوع على الكتف والإيمان مشتعل في القلب والعالم في موطئ القدمين.

ويلاحِظ القارئ أن المسيح لا يركِّز علىالإيمان بالمجيء الثاني، ولكن يركِّز على الاهتمام بالمجيء الثاني وبالتالي على الاستعداد القلبي له. على أن الاهتمام والاستعداد للمجيء الثاني، لا يتكوَّن في القلب والذهن إلاَّ عن اشتياق صادق في القلب لرؤية المسيح: «لكي أربح المسيح وأُوجَد فيه» (في ٣: ٨و٩)، «والآن أيها الأولادُ، اثبتوا فيه، حتى إذا أُظهِرَ يكون لنا ثقةٌ، ولا نخجلُ منه في مجيئه ... ولكن نعلم أنَّه إذا أُظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو. وكل مَنْ عنده هذا الرجاء به يُطهِّر نفسه كما هو طاهرٌ» (١يو ٢:٢٨، ٣:٢و٣). هكذا كان يفهم ق. يوحنا الاستعداد للمجيء الثاني وظهوره.

٢٥:٥ «وَفِيمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ».

في مَثَل العبد الرديء كان مجيء السيد أسرع مما كان يظن هذا العبد المنحل الذي بدأ يضرب رفقاءه، ولكن في هذا المَثَل الذي للعذارى كان مجيء العريس أبطأ مما كنَّ يتوقَّعن جميعاً. وفي المَثَلين أثبت المسيح أن التقديرات لزمن مجيئه كلاهما خاطئ ومضلِّل سواء إن أبطأ أو إن أسرع، وكان الأصح أن لا يقدَّر زمن المجيء ولكن يُعمل حسابه بحكمة وأمانة فقط.

هنا لم يلُم المسيح نُعاس العذارى، ولكن كان نعاس الحكيمات غير نعاس الجاهلات، فوراء نعاس

الحكيمات كانت أواني الزيت ملآنة، فأصبح نعاسهن مؤمَّناً عليه. ولكن لعدم استعداد الجاهلات أصبح نعاسهن محسوباً عليهن.

ويقول بعض الآباء مثل ذهبي الفم(٣) وأغسطينوس(٤) إن النعاس هنا يشير إلى رقاد الموت.

٢٥: ٦ «فَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ: هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ، فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ!».

لقد حدَّد المسيح هنا لأول مرَّة لمحة عن ميعاد مجيئه "في نصف الليل"، وهذا لا ينبِّئ سوى أنها ساعة حرجة بالنسبة للسهر. ولكنها ساعة محبوبة للكنيسة إذ يعتبرها النُّسَّاك ساعة مقابلة مع العريس تفتتحها الكنيسة في تسبحتها في ليتورجية نصف الليل بالنشيد الملكي: [قوموا يا بني النور لنسبِّح رب القوَّات]. أمَّا الصراخ فهو صراخ اليقظة كدعوة للنهوض لمقابلة العريس، والصراخ فيه إحساس بالمفاجأة والانزعاج لأن ليس كل مقابلة للعريس فيها قبول وفرح، فالذين لم يستعدوا تُحسب لهم دينونة وانتظار توبيخ وعقاب:

+ «ومن يحتمل يوم مجيئه ومَنْ يثبت عند ظهوره. لأنه مثل نار الممحِّص ومثل أشنان القصَّار. فيجلس ممحِّصاً ومنقِّياً للفضة (بالنار) ...» (مل ٣: ٢و٣)

+ «فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور، وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشًّا ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود. فلا يُبقي لهم أصلاً ولا فرعاً. ولكم أيها المتقون اسمي تُشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها.» (مل ٤: ١و٢)

نعم ما أرهبها ساعة! فبالنسبة للنفوس المهيَّأة للِّقاء تكون لحظة الإسعاد العظمى، لأن النفس تجد في عريسها السمائي منتهى فرحتها وغاية سعيها وشوقها وملء اكتمالها، لأن النفس تكون قد أخذت منه ما هو لها لينطبق المَثِيل على المَثِيل:

+ «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يُظهَر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظهر "**لكون مثله**" لأننا سنراه كما هو.» (١يو ٣: ٢)

+ «**الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده** بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء.» (في ٣: ٢١)

+ «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد

(3) Chrysostom, *op*. cit., 78:1, p. 470.

(4) Augustine, *Sermons on New Testament Lessons*, 43 (93): 6, NPNF, 1st, ser., vol. VI, p. 403.

كما من الرب الروح.» (٢كو ٣: ١٨)

أليس هذا هو الاتحاد وهو بعينه الشركة؟ «أمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.» (١يو ١: ٣)

ثم ماذا يكون هذا أليس هو الفرح الكامل؟ «ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١: ٤)

والآن هل علمت عزيزي القارئ معنى السهر بانتظار النفس لعريسها وإن طال العمر، ثم هل أدركت ما وراء المسيح في الإلحاح الشديد المتواصل أن اسهروا، أليس هذا لأن العريس نفسه في اشتياق إلى عروسه؟

+ «**لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.** من أجل هذا يترك الرجل أباه وأُمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. **هذا السر عظيم (سر الالتصاق ليصيرا واحداً) ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة (النفس البشرية في مفردها ومجموعها).**» (أف ٥: ٣٠-٣٢)
+ «**وأمَّا من التصق بالرب فهو روح واحد.**» (١كو ٦: ١٧)
+ «**وتعرفوا محبة المسيح** الفائقة المعرفةِ، **لكي تمتلِئوا إلى كل مِلءِ الله.**» (أف ٣: ١٩)

نحن سمعنا عن الذين سهروا السنين والعمر وما ارتخت أعينهم عن النظر إلى فوق، أو هدأت قلوبهم من الاشتياق إليه. نحن قرأنا تاريخ الكنيسة الفَتِيَّة الأُولى في عصورها الأُولى كيف كان كل المؤمنين بعد الانتهاء من القدَّاس يرفعون صوتاً واحداً: [ماران آثا. تعالَ سريعاً أيها الرب يسوع وليزول العالم!!](٥) هؤلاء من عنف شهوتهم إليه رأوه بالروح قادماً إليهم فما كفُّوا عن الهتاف. ثم عزيزي القارئ، رجاء أن تعيد النظر في اختيار المسيح لـ "العذارى الحكيمات"، ليكنَّ أول مستقبلي العريس. ولماذا العذارى؟ أليس هذا هو أقوى تلميح عن النفوس رجالاً ونساءً التي عاشت وتعيش له تبادله حبًّا بحب وشوقاً بشوق، تطوي الأيام والسنين تعبِّئ آنيتها زيتاً لتزيِّن بمصابيحها ملكوته، بعد أن تنير العالم؟ إنهم سر بقاء العالم حتى اليوم!!

٢٥: ٧-٩ «فَقَامَتْ جَمِيعُ أُولئِكَ الْعَذَارَى وَأَصْلَحْنَ مَصَابِيحَهُنَّ. فَقَالَتِ الْجَاهِلاَتُ لِلْحَكِيمَاتِ:

---

(٥) راجع صفحة ٦٨١ حاشية رقم (١٦).

أَعْطِينَنَا مِنْ زَيْتِكُنَّ فَإِنَّ مَصَابِيحَنَا تَنْطَفِىءُ. فَأَجَابَتِ الْحَكِيمَاتُ قَائِلاَتٍ: لَعَلَّهُ لاَ يَكْفِي لَنَا وَلَكُنَّ، بَلِ اذْهَبْنَ إِلَى الْبَاعَةِ وَابْتَعْنَ لَكُنَّ».

هنا محور مَثَل العشر عذارى: هل يمكن أن يعطي إنساناً آخر من زيته؟ والزيت كما قلنا هو إيمان ومحبة ورجاء وصبر، وحلمه واحتماله وشوقه للمسيح؟ إن الجواب اللاهوتي المحكم قالته الحكيمات بفم المسيح: إن زيتنا لا يكفي لنا ولكنَّ. هذا لسان حال القديسين والأبرار والآباء في نظر المسيح وكل مَنْ هو على مستوى العذارى الحكيمات: إن زيتنا جمعناه بدموع الإيمان. ودموع الإيمان لا تباع ولا تُشترى. إن صلاتنا وصومنا وصمتنا وسهرنا بالكاد تفي بعجزنا وتملأ فراغ حياتنا: «وأُعطيت (الكنيسة) أن تلبس بزًّا (βύσσινον وهو المسمَّى بوص وهو ثياب الكتان الأبيض الناصع، لباس الكهنوت والأبرار) نقيًّا بهيًّا، **لأن البَزَّ هو تبرُّرات القديسين**» (رؤ ١٩:٨). فتبررات القديسين هو ثوب تتزيَّن به الكنيسة ولكن لا تتقوَّى به ولا يغنيها عن دم المسيح ونعمته. والبار بالكاد يكفيه برّه: «البار بالجهد يخلص.» (١بط ٤:١٨)

ففي الإيمان واللاهوت المسيحي: «الأخ لا يفدي أخاه» (مز ٤٩:٧)، والخلاص هو ثوب يقتنيه الإنسان لنفسه ولا يشرك فيه آخر. وزيتنا قطَّرناه قطرة قطرة من عرق إيماننا ودموع تعزياتنا. «فاذهبن وابتعن لَكُنَّ» ولكن كان الوقت قد انتصف ليله، فلا مَنْ يبيع ولا مَنْ يشتري. والفقراء والمساكين واليتامى سبقونا إلى العُرس!ومَنْ قال إن المستعدات يتنازلن عن استعدادهن لجاهلات بدَّدن إيمانهن في زمن جهالتهن، والاستعداد هو تحقيق شخصية يزكِّي صاحبه ولا ينفع مَنْ لا شخصية له ولا استعداد.

ولينتبه القارئ أن الجاهلات لم يكن لهن أصلاً آنية، فقد أوقدن مصابيحهن و لم يحملن مخزوناً من زيت في آنية، وإناء الإنسان هي نفسه التي يكتنز فيها زيت نعمته على مدى العمر كله. وحينما يسقط منَّا الجسد تنبري النفس تحمل شعلة إيمانها تضيء كالجلد في ملكوت أبيها. أو لماذا سمِّيت هاته العذارى بالجاهلات إلاَّ لكونهن أهنَّ أنفسهن بين ذواتهنَّ فتعتَّمت وما صارت تحمل زيتاً ولا نوراً. إن درس العذارى الجاهلات درسٌ مرعبٌ على درب الكنيسة الضيِّق. والذي لا ينتفع من الجاهلات لن ينتفع من الحكيمات. والذي ليس له آنية فليبع ثيابه ويشتري آنية، قبل أن ينتصف الليل ولا مَنْ يبيع ولا مَنْ يشتري.

٢٥:١٠ **«وَفِيمَا هُنَّ ذَاهِبَاتٌ لِيَبْتَعْنَ جَاءَ الْعَرِيسُ، وَالْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ، وَأُغْلِقَ الْبَابُ».**

قد انتهى الزمن! «اثنتان تطحنان على الرحى تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى» (٢٤:٤١). والآن

عرفنا لماذا أُخذت هذه الواحدة ولماذا تُركت الأخرى. فوراء الرحى سيرة نفس كانت تعبّ كل يوم من إنجيلها وتجلس صامتة تحت رِجْلَيِّ المعلِّم، اختارت منذ نعومة أظافرها النصيب الصالح ولم تستبدله قط ببهرجة الدنيا وزينتها. عرفت ركن مخدعها المظلم ورهنت ظهرها لبابه وشدَّدت رجليها بالصبر وأمضت الساعات والليالي في حضرة مَنْ أحبته وأحبها، وتعاهدت معه وتعاهد معها. شبعت نفسها وارتوت من ينابيع الخلاص وامتلأت نفسها زيتاً، واستعدت لصراخ نصف الليل.

ووراء مَنْ قعدت بجوار الرحى تندب حظها سيرة نفس: كيف تبدَّد منها العمر وتبعثر الزمن في الذهاب إلى أسواق الملابس وأسواق الذهب، تتزيَّن بهذا وتتجمَّل بذاك، ويوم يُشيّع يوماً والنفس لا تشبع من الدنيا. فطار الشباب وذوى الجمال وبقي الجسد النحيل يرفض الجمال والتجميل، وجاءت الأيام التي ليس فيها سرور، وما بقي من ذكريات الصبى إلاَّ أضغاث أحلام الخطية تجترُّها النفس كالعلقم، والنفس تأبى التوبة والعودة من طريق الضلال. وفيما هنَّ ذاهبات ليبتعن جاء العريس!

«والمستعدات دخلن معه إلى العرس»:

لقد سبق المسيح وحذَّر تلاميذه وأكَّد عليهم أن يكونوا مستعدين دائماً: «لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان» (مت ٢٤:٤٤). مَنْ تعوَّد على الاستعداد لا يستغني عنه، الذي ارتبطت نفسه بالمسيح يزداد ارتباطاً به كل يوم، والذي استعد يوماً في حياته يجعله يعرف دائماً معنى الاستعداد، فيعود إليه ويغترف منه إلى الشيخوخة. إمَّا تجده كل يوم واقفاً على باب المسيح يقرع، أو تجد المسيح واقفاً على بابه يقرع. فلا هذا ينسى ذاك ولا ذاك ينسى هذا: «حبيبي لي وأنا له الراعي بين السوسن» (نش ٢:١٦)، «أتعشَّى معه وهو معي» (رؤ ٣:٢٠)، «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو ٣:١٨). لأن من كثرة التطلُّع في وجه الحبيب تنطبع صورته في القلب فلا يعود يطيق الإنسان أن يتأمَّل سواها!! «ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو، وكل مَنْ عنده هذا الرجاء به (أي بهذا الرجاء) يطهِّر نفسه كما هو (المسيح) طاهر» (١يو ٣: ٢و٣). فالاستعداد رؤية دائمة في وجه الحبيب والرؤيا تطهير ما بعده تطهير. وحتماً تنتهي الرؤيا إلى لقيا!! إلى عيد الأبدية!! وفي حضرة العريس يبدأ عيد الأبدية، حيث يهرب الحزن والكآبة والتنهُّد، لأن مادام العريس معهم لا يصومون ولا يحزنون. إنه فرح الروح الذي نعيش الآن عربونه. فالمستعدون يحصلون على عربون أمجاد وأفراح الدهر الآتي: [وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي آمين] (قانون الإيمان الرسولي).

«وأُغلق الباب»:

أمَّا الآن فالباب مفتوح وحتى آخر نسمة من حياتك، سيظل مفتوحاً مُرحِّباً داعياً هاتفاً مشجِّعاً باسطاً ذراعيه الاثنتين. مستعد أن يحملك. لا تخف ألق نفسك، ألق نفسك عليه، سيحملك عبر الهوة، عبر بحر العالم المظلم، سينقذك. عينه عليك، مَنْ يمسُّك يمس حدقة عينه. يفديك بنفسه، بحياته، بدمه. لا تخف خطيتك عليه، كل خطية مهما ثقلت، مهما حملت من عار ودمار. دمه أقوى من كل خطايا العالم مجتمعة. لا تستكثر إثمك عليه فهو حمَّال الآثام والذنوب، ومسرَّته في أن يغفر ويغفر في لحظة. الآن هو لا يدين قط، عمله الآن أن يصفح ويغفر ويطهِّر. لا يوبِّخ، لا يعاقب لا يطلب ولا يطالب إلاَّ بكلمة واحدة: تعال، تعال الآن، أنا في انتظارك، حبِّي كله لك. تعالَ قبل فوات الأوان، حين يُغلق الباب!!

١١:٢٥ **«أَخِيراً جَاءَتْ بَقِيَّةُ الْعَذَارَى أَيْضاً قَائِلاَتٍ: يَا سَيِّدُ، يَا سَيِّدُ، افْتَحْ لَنَا».**

«أخيراً»: ὕστερον

لا تفيد الآخِر بل بعد الآخِر. فالآخر هو الباب المغلق وبعد ذلك القرع على الباب المغلق!!

سر هذا المَثَل الخطير في كلمتين: الاستعداد والزمن، هما مترادفان إلى أقصى حد!! فطالما وُجِدَ الزمن وُجِدَت إمكانية الاستعداد حتى ولو إلى لحظة واحدة. ولكن بعد انتهاء الزمن ينتهي الاستعداد ولا يعود له وجود، إذ يتحوَّل إلى دخول العرس والبقاء في الداخل بلا رجعة! أمَّا الذي انتهى منه الزمن فلا مجال لاستعداده بعد لأن الباب قد أُغلق. فالمسيح كعريس يدعوك كل يوم وكل ساعة، كل لحظة لتكون معه لتنعم بحبه وينعم بحبك، ولكن العريس في النهاية يتحوَّل إلى ديَّان وبابه المفتوح يُغلق إلى الأبد!

«يا سيد، يا سيد، افتح لنا»:

لم يعد سيداً لهم ولا عليهم! هو سيد نعم، وسيد كل أحد نعم، ولكن بعد أن انتهى الزمان وأُغلق الباب فقد صار هو الديَّان. يحكم إمَّا بالحياة معه أو الموت بعيداً عنه. فالحياة معه لمَنْ تعرَّفوا عليه فادياً ومخلِّصاً واستهانوا بالحياة وحملوا الصليب وتبعوه واعترفوا به فاعترف بهم، وإمَّا بالموت بعيداً عنه لمَنَ تنكَّروا لصليبه وأنكروا معرفته فأنكر معرفتهم.

١٢:٢٥ **«فَأَجَابَ وَقَالَ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُنَّ: إِنِّي مَا أَعْرِفُكُنَّ».**

قرعوا الباب بعد أن انتهى زمان الرحمة كما يقول ق. أغسطينوس، قرعوه والزمن زمن دينونة، وهل في الدينونة تُقبل التوبة؟ لقد أُغلق الباب على اللاتي دخلن لكي لا يخرجن من حضرة العريس قط، وأُغلق الباب إلى الأبد دون من لم يعرفن زمان افتقادهنَّ - لقد بكى المسيح على أُورشليم لأنها لم تعرف زمان افتقادها - ورآها والأعداء يهدمونها وبنيها فيها. «طول النهار بسطت يديَّ إلى شعب معاند ومقاوم» (رو ١٠:٢١). فإن كان المسيح في النهاية يقول: «ما أعرفكنَّ»، فما قيمة ما عرفناه من الدنيا والناس وكل علم وكل عرفان؟ وإن كان هو لا يعرفنا فما قيمة أن يعرفنا الناس والعالم حتى وإن كنّا معروفين لدى كل أحد. إن «ما أعرفكنَّ» هو نطق بالموت والهلاك الأبدي في ألفاظ رقيقة. هو فقدان الهويَّة والكيان، كل هذا بسبب فقدان الزيت! يا له من زيت، ويا لهول أن يفرغ الزيت من آنيتنا!! المَثَل في بدايته يبدو لطيفاً رقيقاً رقة عذارى حاملات مصابيح، والزيت كرحيق الزهر تجمعه خمس منهن بنشاط النحلة التي لا تعرف من شئون الدنيا إلاَّ أن تجمع رحيقها لزمن الشتاء، وتراهن على عسلها بالحياة. ولكن تنقلب الرقة في النهاية إلى عبوسة قاسية للخمس الجاهلات اللاتي أردن أن يتلصَّصن على مخزون الحكيمات فما فزن بقطرة للحياة. وعوض النور داهمهنَّ الظلام واختفى صوت العريس المطرب وسمعن صوت الديَّان بانتهاء صفقة الحياة بخسران مريع. وهكذا شاء المسيح العريس في مَثَل العذارى أن نتعرَّف على وجهه المعبّس القاسي وصوته يهدِّد بالعقاب والموت والحرمان قبل أن ينتهي زمان الدعوة للعُرس، حتى لا يسوقنا الجهل والجهالة إلى ذات المصير. والقارئ الأمين إن هو أدرك المضمون في مَثَل العذارى ما كفَّ عن ذرف الدموع: «اجعل أنت دموعي في زقّك» (مز ٥٦:٨). حتى تُغني الدموع عن قلة الزيت.

ولو سألتني ما هو أخطر مقطع في مَثَل العذارى، قلت لك قول المسيح: **«الحق أقول لكنَّ»** فهو أخطر وأصعب من قوله: «إني ما أعرفكنَّ». هذا هو الحق الغائب عن قلوبنا وضمائرنا. فحق المسيح قاطع كالسيف مَنْ يتحمَّله، نحن دائماً نحسبه لطيفاً رقيقاً بديع الجمال، فمه حلو مملوء مشتهيات. ولكن يا إخوة هذا فقط نصيب الحكيمات نظير الزيت الذي جمعنه بالحرمان من كل شهوات الدنيا بالسهر والدموع ونشفان الريق وغصَّة الحلق وآلام كالمخاض. فهذا كان عندهن هو تدبير الحكمة التي تستبدل مسرَّات الدهر بأفراح الأبد، والحرمان من راحة الدنيا بالراحة العليا. راهنوا عليها كل يوم فكسبوها إلى الأبد. ولكن أن يقول لنا الحق فيما يخصنا من إهمال العبادة والصلاة وتواضع الروح فهو اذهبوا عني لا أعرفكم.

١٣:٢٥ «فَاسْهَرُوا إِذاً لأَنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلاَ السَّاعَةَ (الَّتِي يَأْتِي فِيهَا ابْنُ الإِنْسَانِ)».

«اسهروا»: γρηγορεῖτε

"جريجوريتا" تجيء في المضارع الدائم، وفي اليونانية أسقط عبارة: «التي يأتي فيها ابن الإنسان»، التي أضافها المترجم إلى العربية. وهو بهذا التكرار الأخير يزيد من التأكيد أن المسافة أبعد مما نظن، اعتماداً على مَثَل العذارى مما تسبَّب لهن في عدم الاحتياط بالزيت الكافي إذ ظنُّوا أنه تعب وسهر بلا فائدة، فكان الحرمان جزاءهن. إذن، فالجهد المبذول في الحياة الروحية المسيحية أساسي هو مهما امتدَّت به السنين. هو اختبار يوم بيوم وكأن المجيء كل يوم. لا يهم خبرة أمس أنه لم يجيء، لا ينبغي أن تُضعف سهر اليوم، يكفي لنا أن نثق ونتأكَّد أنه يُسر بالسهر ـ في حد ذاته ـ وأننا به نتمِّم قصداً قصده لنا لحسابنا، فهو يضاف لرصيدنا عنده ولو لم نشعر به، والملائكة تحسب ما لا نحسبه:

+ «وإذا بيد لمستني وأقامتني مرتجفاً على ركبتيَّ (كان ساجداً) وعلى كفَّيْ يديَّ. وقال لي: يا دانيال أيها الرجل المحبوب، افهم الكلام الذي أُكلِّمك به وقم على مقامِك لأني الآن أُرسلت إليك، ولمَّا تكلَّم معي بهذا الكلام قمت مرتعداً. فقال لي: لا تخف يا دانيال لأنه من **اليوم الأول** الذي فيه جعلت قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدَّام إلهك **سُمع كلامُك**، وأنا أتيت لأجل كلامك (وتعوَّق في الطريق ٢١ يوماً) ... وجئت لأُفهمك ...» (دا ١٠: ١٠-١٤)

والأمر بالسهر لا يحدِّد سهر الليالي ولو أنه وارد، لأن العذارى لمَّا نعسن ونمن لم يوبخهنَّ لأن الزيت كان يملأ الأواني. فالسهر يُقاس بالزيت وليس بالجهد: «يا معلِّم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً، ولكن على كلمتك ألقي الشبكة. ولمَّا فعلوا ذلك أمسكوا سمكاً كثيراً جداً فصارت شبكتهم تتخرَّق» (لو ٥: ٥و٦). فالزيت يتبع الكلمة أكثر من السهر، والسمك الكثير حضر بحضور الرب حتى ولو كان في الصباح.

ويبقى مَثَل العذارى يحمل سر علاقة المسيح الخاصة جداً مع النفس البشرية، ويعطي الكنيسة ككل مفهوم العُرس والاتحاد، حيث يبلغ السهر أعلى وأعمق صورة على مستوى الحب الإلهي الذي ينتهي بالاتحاد الذي لا خروج منه: «قد أُغلق الباب».

مَثَل الوزنات

محاكمة العبد الكسلان والشرير

[٢٥: ١٤–٣٠] (لو ١٩: ١١–٢٧)

٢٥: ١٤ «وَكَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ دَعَا عَبِيدَهُ وَسَلَّمَهُمْ أَمْوَالَهُ».

«وكأنما»: ὥσπερ γάρ

إضافة لربط سياق المثل الآتي بالمَثَل السالف إذ يدور على نفس المحاور. ولكن هنا يتجه المَثَل نحو الأمانة في السهر لحساب السيد.

ويبدأ المَثَل في مشروع رحلة بعيدة لإنسان سيد، وبناء عليه دعا العبيد لتسليمهم أمواله، هنا ترتفع العلاقة التي تربط السيد بعبيده إلى أقصى مستوى من التبعية والأمانة التي تصل إلى حد تسليمهم أمواله ليقوموا بعمله، باعتبارهم حائزين على كل إمكانياته، وعلى ثقته أيضاً. والإحساس هنا يكاد ينبئ بأنه جعلهم كأبناء كونه يحمِّلهم مسئولية إدارة أمواله في غيابه، وكأنهم يمثِّلونه شخصياً.

٢٥: ١٥ «فَأَعْطَى وَاحِداً خَمْسَ وَزَنَاتٍ، وَآخَرَ وَزْنَتَيْنِ، وَآخَرَ وَزْنَةً. كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ. وَسَافَرَ لِلْوَقْتِ».

نحن الذين اختارهم الله في المسيح يسوع لملكوته الأبدي قبل إنشاء العالم لنكون قدِّيسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة. اختارنا وكل واحد منا خلقه بإمكانية وطاقة معيَّنة في المواهب وفي القدرة على استخدام المواهب، وبالتالي بإمكانية للخدمة تتناسب مع الطاقة والمواهب. في حين أعطانا فداءً واحداً وخلاصاً واحداً ودعوة مقدَّسة واحدة متساوية في كل شيء للخلاص. وهكذا بمقتضى حكمة الله الفائقة ومعرفته الكاملة المطلقة التي لا يغيب عنها شيء من أمور الخليقة كلها، ودرايته الكاملة المطلقة بدقائق إمكانياتنا وذكائنا وضعفنا، أعطى كل واحد منَّا وزنات تتكافأ تماماً مع طاقتنا ومقدرتنا ومواهبنا للخدمة، نخدم خلاصنا وخلاص الآخرين لحساب ملكوته الأبدي. فلم يُعطِ لأحد من الوزنات أو من الخدمات ما يفوق طاقته، إلاَّ إذا أقحم إنسان نفسه في خدمة أو عمل يفوق طاقته وإمكانياته، فهذا يُسأل عن عجزه ويُلام في تقصيره ولا يُلام الله بسببه في شيء.

ويُلاحَظ في استخدام الاصطلاحات هنا أنها جاءت معبِّرة بدقة، فمثلاً:

وزنـــة: τάλαντον: وهي هنا تفيد وزنة الفضة كالمعتاد ولكنها بـآن واحـد توحي بالموهبـة، (تالِنت talent).

والطاقة: δύναμις: وهي الطاقة التي تُحسب بها القوة الميكانيكية لـلآلات والكهربـاء، فهـو تعبير دقيق للغاية.

فالوزنة بالمفهوم المادي ما تساوي عشرة آلاف دينار، والدينار هـو في ذلـك الزمـان مـا يسـاوي أجر العامل في اليوم. فإذا حاولنا تصورها على مستوى أجـور اليـوم يكـون الدينـار يُسـاوي عشـرة جنيهات مصرية والوزنة تساوي ١٠٠,٠٠٠ جنيه. ومنها ننتبه جداً إلى ثقة المسـيح في الخـادم. لأن صاحب الخمس وزنات يكون بهذا الحساب قد استلم من سيِّده نصـف مليـون جنيـه ليتـاجر فيهـا. وهكذا وبحسب ما عوَّدنا المسيح في أمثلته أنها تبدأ رقيقة جميلة محبَّبة جداً للنفـس، ذلـك بحسـب سـخائه هو، ولكنها للأسف تنتهي انتهاءً قاسياً رديًا يصدم النفس، وذلك بحسب جحودنا وسلوكنا الرديء.

وهكذا نخرج بانطباع بديع في حالة الخادم الأول الذي ظهر فيه سخاء المسيح الفائق الـذي يعبِّر عن شخصه وحبه للإنسان. كما يلاحظ القارئ أن السيد المسافر هذا لم يـأخذ صكوكـاً ولا كتـب شروطاً ولا حذَّر ولا أنذر ولا أوعى وأوصى، بل بكل ثقة أعطى مالـه لعبـده الأول علـى أن يتـاجر فيه بقدر ما حباه الله من مواهب. والأمانة المطلقة فُرضت هنـا باعتبارهـا العلاقـة الأُولى الـتي تربـط السيد بعبيده.

وهكذا أعطى العبد الثاني ما يتوافق مع طاقاته وإمكانياته، وكذلك الثالث، ولم يلاحـظ قـط أن أي من الثلاثة استكثر الوزنات أو استقلها، مما يوحي أن التوزيع كان عادلاً بمقتضى طاقاتهم حقًّا.

ويلزمنا هنا بحسب رأي العالِم برونر(٦) أن لا نقتصر في معنى التالنت Talent على وزنة الفضة، فهي في أصلها اليوناني وترجمتها الإنجليزية تُعرف بأنها موهبة فائقة أو قدرة ذكية ممتازة. فهي يمكـن أن تعرّف على أنها فرص امتيازية خاصة تُغطّي حيـاة الإنسـان. هـذه تُعطَى بكيـل خـاص مـن الله ليسأل عن عملها في النهاية.

«وسافر للوقت»:

وكأن اجتماعه بخدمه كان طارئاً لتسليم هذه الوزنـات، علـى أن عودتـه سـتكون للسـؤال عـن

(6) F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 903.

النتائج بقدر الأهمية التي نعرفها نحن عن موهبة الفداء والخلاص التي منحها للجميع بقدر واحد، وكيف أنه سيأتي ليحاسبنا على الدم الذي سفكه من أجلنا، ونعمة الخلاص الذي أكمله بقيامته من أجلنا.

٢٥: ١٦و١٧ «فَمَضَى الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَتَاجَرَ بِهَا، فَرَبِحَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ. وَهكَذَا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ، رَبِحَ أَيْضاً وَزْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ».

لم يدَّخر جهداً، بل في الحال قام العبد الذي أخذ الخمس وزنات وتاجر بها وربح خمس وزنات أُخر، فكان عند حسن ظن سيده وأثبت جدارته، كما أثبت أن سيده كان حكيماً دقيقاً عالماً بإمكانياته وطاقته تماماً. كذلك العبد الثاني تاجر وربح وزنتين وأضاف إلى برهان الأول برهانه الخاص أنه كان جديراً بالوزنتين، وأن سيده كان حكيماً ومدركاً طاقته تماماً.

ويُلاحَظ في الأصل اليوناني أنه يوجد في أول الآية كلمة: "εὐθέως" التي تفيد معنى: **"في الحال"**، وقد سقطت من المترجم للعربية إذ ألحقها بالآية السابقة: «وسافر للوقت»، بينما تخص الآية الحاضرة: "وفي الحال مضى الذي أخذ ..." وهي تضيف إلى المعنى مهارة العبدين الأول والثاني وأمانتهما بالنسبة للزمن، وفرص الربح الأوفر في سرعة التنفيذ والغيرة المشدَّدة على أمر السيد وتكليفه؛ بل وهذه الكلمة "في الحال" تضيف لحساب العبدين ما هو أكثر من الربح المادي، إذ تكشف عن فرح العبدين بثقة السيد والعمل على حسن ظنه بهما. ويلاحظ أن بمجرَّد تسلُّمهما الوزنات وسفر السيد، مضى كل منهما **في الحال**. ولكن "في الحال" استمرت متصلة بكل الأفعال التالية وهي المتاجرة والربح. لأن كلمة "في الحال" لم تأتِ بعد الفعل "مضى" بل في أول الآية، أي لابد أن تصير صفة لكل الأفعال الواردة في الآية(٧). ولكن لم يضعها ق. متى في مبدأ الآية إلاَّ لكي ينبِّه ذهننا إلى موضوع العمل في السهر، فهو ليس سهراً عاطلاً متوقفاً على العمل والحركة والربح لحساب صاحب المواهب العامة والخاصة التي منحها لنا بالكيل الموزون والدقيق؛ بل "في الحال" هي سمة العمل بكل صوره دون توقُّف بلا معنى أو بلا سبب، بل عمل نشيط متواصل على مستوى فرص الزمن المتاحة. لأنه على أساس العمل **"في الحال"** يتوقَّف الربح الأوفر. وهكذا يصبح لاهوت الانتظار لمجيء الرب والسهر باشتياق وغيرة يلزم أن يكون على مستوى الحركة والنشاط والخدمة، والمتاجرة بلا تسيُّب في وقت أو جهد حسب **"الطاقة"** التي وهبها الله مسبقاً، والتي على أساسها

(7) V.C. Agbanou, *Le Discours eschatologique de Matthieu*, 24,25, (1983), 157, n. 4, cited by F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 903 f.

حدَّد كمية الوزنـات. أي أن الطاقة هي من عمل النعمة، وعلى أساس عمل النعمة يمنح الله الوزنات. وعلى هذا الأساس اللاهوتي تتم المحاسبة والعقاب. لأن الذي لم يربح يُعاقب لأنه عطَّل عمل النعمة فأوقف عمل الوزنات. أمَّا الربح فقد زكَّى عمل النعمة. وهكذا ترتد النعمة عليه بالطوبى والبركة والمكافأة.

+ «ولكنه لكل واحد يُعطى (بالنعمة) إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد.» (١كو ١٢: ٧و٨)
+ «ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء.» (١كو ١٢: ١١)

وهكذا يثبت ق. بولس من هذه الناحية، ناحية تقسيم المواهب على الأفراد، كل واحد بمفرده كما يشاء الروح أو النعمة، أن جسد الكنيسة أو جسد المسيح يعمل كله بانسجام، كل واحد في مجاله بقدر طاقته الروحية: «كما قَسَمَ الله لكلِّ واحدٍ مقداراً مِنَ الإيمان. فإنه كما في جسدٍ واحدٍ لنا أعضاءٌ كثيرةٌ، ولكن ليس جميع الأعضاء لها عملٌ واحدٌ، هكذا نحن الكثيرين: جسدٌ واحدٌ في المسيح وأعضاءٌ بعضاً لبعض، كل واحد للآخر. ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا.» (رو ١٢: ٣-٦)

فهنا رؤية ق. متى في إنجيله في مَثَل الوزنات أن واحداً أخذ خمساً والثاني اثنتين والثالث وزنة واحدة، فبالرغم من تفريدهم على المستوى الفردي، جاء ق. بولس وجمعهم معاً كجسم واحد كل عضو له موهبته الخاصة التي يعمل بها ولكن لحساب الجسد الواحد. ويؤكِّد ق. بولس أن الروح هو الذي قَسَمَ لكل واحد من المواهب ما يناسبه، الذي قاله القديس متى: «قدر طاقته».

«وتاجر بها»: ἠργάσατο

هنا تأتي المتاجرة في مفهومها **كعمل** ἔργον = work. وهكذا يُبرز إنجيل ق. متى "العمل" باعتباره العنصر الأساسي في الاتجاه الروحي المسيحي، في اتجاهه نحو خدمة الآخرين ومعونتهم على الحياة وخاصة في الضيقات. فالعمل بالمواهب الممنوحة لخدمة الآخرين بأي صورة جسدية أو روحية أو نفسية أو صحية هي المتاجرة بالمواهب أو الوزنات: «لكن لكل واحد منا أُعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح» (أف ٤: ٧). هذا هو الأساس وعليه يبني ق. بولس كالآتي:

+ «فأطلب إليكم، أنا الأسيرَ في الربِّ، أن تسلكوا كما يحقُّ للدعوةِ (سلَّمهم الوزنات) التي دُعِيتُم بها. بكل تواضعٍ ووداعةٍ، وبطولِ أناةٍ، محتملين بعضكم بعضاً في المحبةِ. مجتهدين أن

تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسدٌ واحِدٌ، وروحٌ واحِدٌ، كما دعيتم أيضاً في رجاءِ دعوتكم الواحد.» (أف ٤: ١-٤)

وهكذا نفهم من القديس بولس أن أساس إعطاء الوزنات في مَثَل إنجيل ق. متى هو "للعمل"، العمل الروحي لوحدة الجسد الواحد وخدمة أعضائه لنمو الجسد وبلوغ كماله المسيحي.

إذن، فمَثَل الوزنات الذي ورد في إنجيل ق. متى ليوضِّح أهمية العمل والمتاجرة بالمواهب، يجعله ق. بولس أساس بنيان الكنيسة وتوحيد الأعضاء في جسد واحد بفكر واحد وإيمان واحد، ينمو حتى يبلغ كماله ومنتهاه في المسيح: «وهو أعطى البعضَ أن يكونوا رُسُلاً ، والبعضَ أنبياءَ، والبعضَ مبشِّرينَ، والبعضَ رُعاةً ومعلِّمينَ (وزنات وزنات)، لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمةِ، لبنيانِ جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسانٍ كاملٍ. إلى قياس قامة ملء المسيح.» (أف ٤: ١١-١٣)

أمَّا الربح بالنسبة للوزنات فجاء مساوياً لعدد الوزنات: الخمس ربحوا خمساً والاثنتان ربحتا اثنتين. فهنا تقييم الربح جاء بالوزنة. وهكذا لا يتسع الربح هنا لربح النفوس ولكن يتّسع لأمر هام قصده المسيح من المَثَل كله، وهو الأمانة التي حاسبهم وجازاهم بمقتضاها: «نعما أيها العبد الصالح والأمين». فهنا المثل يقوم على الأمانة بالنسبة للمواهب التي أعطاها الله لعبيده لكلٍّ قدر طاقته، وهو يحاسب على مستوى قدر هذه الطاقة تماماً. لا يطالب بأكثر مما في مقدرة الإنسان في استيعاب المواهب والخدمة بها. والنقطة الحرجة في المَثَل هي "الطاقة" التي على قدرها أخذ العبد الوزنات وعلى قدرها تاجر وربح وعلى قدرها أخذ المكافأة. إذن، فتعامل الطاقة مع عدد الوزنات هو أساس الاختبار والمجازاة، لأن صاحب الوزنة الواحدة كانت طاقته على قدر العمل والربح لوزنة واحدة. فلمَّا أخفاها في الأرض ولم يعمل أو يتاجر بها وضح أنه بدَّد طاقته وحبس موهبته معاً. وهكذا جوزي بالرفض.

١٨:٢٥ «وَأَمَّا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ فَمَضَى وَحَفَرَ فِي الأَرْضِ وَأَخْفَى فِضَّةَ سَيِّدِهِ».

إخفاء الوزنة أو الفضة في الأرض يقابلها تعطيل أو إبطال عمل الموهبة أو المميزات الروحية التي أعطاها الله للمؤمن. وهذا يتم عند الذين إمَّا فقدوا الإحساس بقيمة الموهبة أو صار لهم استهتار وازدراء بصاحب الموهبة، وبالتالي عدم اهتمام بمجيئه والحساب الذي سيحاسب به كل إنسان عن ما وهبه إيَّاه. وهنا يتركَّز المَثَل في عدم السهر ورفض العمل وفقدان الإحساس أو الأمانة بالمسيح.

وفي نظر ق. بولس يكون مِثل هؤلاء عالةً وثقلاً على الجسد، وهم الذين وضع من أجلهم قانونه المعروف بخصوصهم: «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً» (٢تس ٣: ١٠). أمَّا المسيح فاعتبرهم مفسدين للجسد ويتحتَّم بترهم (لو ١٣: ٧).

٢٥: ١٩و٢٠ «وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَتَى سَيِّدُ أُولئِكَ الْعَبِيدِ وَحَاسَبَهُمْ. فَجَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَقَدَّمَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، خَمْسَ وَزَنَاتٍ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا خَمْسُ وَزَنَاتٍ أُخَرُ رَبِحْتُهَا فَوْقَهَا».

هنا تحديد الزمان الذي غابه السيد بأنه طويل يوضِّح تأخُّر المجيء الثاني، وهذا ردٌّ على الذين كانوا يظنون أنه سيأتي سريعاً. وأمَّا الحساب فهو ضرورة قصوى كمبدأ إيماني ثابت أن الإيمان بالمسيح هو عمل وحساب على العمل، وإلاَّ انقلب الإيمان المسيحي إلى فوضى. ومرَّة أخرى نفهم الإيمان المسيحي أنه قائم على عطايا ومواهب وامتيازات تحمل قيمة فائقة داخلها لا يكشفها ويستمتع بها إلاَّ الذي يعمل ويجتهد ويتاجر بها. وفي نفس الوقت فإن هذه المواهب والامتيازات الإيمانية سيُطلَب ربحها في حياة كل مؤمن في حساب الدينونة العتيدة. ومثل هذه الوزنات هنا سواء في الخمس أو الاثنتين أو الواحدة هي مجرَّد عيار للمواهب توزن في مقابلها الأعمال. ويتحتَّم أن تكون هذه المواهب قد قدَّمت ما يساويها من أعمال وإلاَّ يُحسب الإنسان أنه اختلس أموال السيد.

٢٥: ٢١ «فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ. كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ».

«نعمًّا أيها العبد الصالح والأمين»: εὖ δοῦλε ἀγαθέ καὶ πιστέ

أمَّا كونه حسن "εὖ" أو جيد فلأنه أثبت أن ما قدَّمه من **"عمل"** يساوي **"طاقته"** تماماً، فهنا يكون قد نجح وزن الشخصية روحياً. وأمَّا أنه صالح ἀγαθέ فلأنه أثبت **أمانته للسيد نفسه تماماً**، فحَسَب ما استأمنه عليه من عمل شخصياً وُجِدَ أميناً فيه لشخص السيد، فهو صالح. وأمَّا أنه أمين πιστέ فلأنه قدَّم خمس وزنات مقابل خمس وزنات استلمها، فهو أمين في مال سيِّده.

«كنت أميناً في القليل»:

القليل هنا هو كل العطايا والمواهب التي تُعطى للإنسان المؤمن ليتاجر بها. ويفرح ويفرِّح الآخرين، مهما كانت قوتها وقدرتها وعظمتها. لأنها هي بوضعها الحالي صورة لعطايا الله في السماء التي لا يمكن أن توصف أو يدركها عقل. وواضح من هذا الكلام أن المسيح إنما يهب لنا

هذه المواهب والعطايا لنتاجر بها لحساب الملكوت، فهي الطريقة الوحيدة التي يدرِّبنا بها لكي نرتقي إلى ما هو أعلى وأعظم وأمجد ـ وما الدينونة الأخيرة أو الوقوف أمام المسيح إلاَّ لكي نسمع منه هذا الصوت الذي سوف يملأ أسماع السمائيين: «نعمًّا أيها العبد الصالح والأمين، كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح سيدك».

«فأقيمك على الكثير»:

واضح أن في السماء تنتظرنا أعمال كبيرة تكاد تكون من نفس أعمال مواهبنا التي أخذناها على الأرض، ولكن يتَّسع مداها في الروح والحكمة والفرح والمجد إلى ما لا نهاية. وأوضح ما فيها بحسب هذا التقرير أن فرحها يفوق العقل: «فرح سيدك»: «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي. والفاهمون (الصالحون) يضيئون كضياء الجلد، والذين ردُّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور.» (دا ١٢: ٢و٣)

٢٥: ٢٢و٢٣ «ثُمَّ جَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، وَزْنَتَيْنِ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا وَزْنَتَانِ أُخْرَيَانِ رَبِحْتُهُمَا فَوْقَهُمَا.قَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ. كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ».

وبهذا الإجراء يظهر تماماً منهج الرب يسوع المسيح في توزيع المواهب، والحكم النهائي على أداء الأعمال والمهام التي سلَّمها لمختاريه. إذ وضح أن التوزيع للمواهب والعطايا الروحية يتبع نظاماً دقيقاً للغاية مربوطاً بالطاقة التي يحوزها الإنسان، والقدرات الشخصية في مجملها الروحية والنفسية والجسدية. فكل مَنْ هو قادر على احتمال المسئوليات يُعطى من المواهب والنعمة ما يساوي قدرته تماماً. وهكذا تأتي محاكمته أيضاً عادلة للغاية ودقيقة للغاية، حيث **تكون محاسبته على الأمانة والجهد والاهتمام الذي أدَّاه في مسئوليته،** ولا يدخل فيه الكثرة أو القلة في المواهب. فصاحب الخمس وزنات نال من المديح والمكافأة ما ناله صاحب الوزنتين تماماً وبالحرف الواحد.

علماً بأن بولس الرسول امتد بهذا المَثَل ليجعل من العمل هدفاً ومن أداء المسئولية غاية مشتركة واحدة. فكل من المؤمنين يُبنَى في جسد الكنيسة التي يستمد منها وجوده وكيانه، كل منهم بحسب مقدار مواهبه ونوعها. ولكن لابد أن في الأداء يكمِّل الواحد الآخر. فإن كان قد وضح في مثل المسيح أن الأمانة والصلاح تعادلا في الاثنين، كذلك المكافأة بحسب الأداء. إلاَّ أن ق. بولس أضاف أن فوق المواهب والأمانات كلها عقلاً إلهياً مدبِّراً يجعل من الطاقات المبذولة والمواهب الفعَّالة هدفاً

واحداً إلهياً: «وهو أعطى البعضَ أن يكونوا رُسُلاً ، والبعضَ أنبياءَ، والبعضَ مبشّرينَ، والبعضَ رُعاةً ومعلّمينَ، لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمةِ، **لبنيان جسد المسيح** ... صادقينَ في المحبة، ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس: المسيح. (ولكن بحسب الترجمة الصحيحة يمكن أن تُكتب هذه الآية هكذا: "... صادقين في المحبة، **ننمو فيه εἰς αὐτόν** إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح، من جميع الوجوه **τὰ πάντα**"). الذي منه كل الجسد مركّباً معاً، ومقترناً بمؤازرةِ كُلِّ مفصلٍ حسب عملٍ، (ويمكن تعديل الترجمة أيضاً هنا كما يلي): بلياقة تجعل الجسد ينمو ويُبنى في المحبة» (أف ٤: ١١-١٦). وبهذا يكون بولس الرسول قد أدخل مثل المسيح الخاص بالوزنات في صميم طبيعة الكنيسة وفكرها وعملها وغايتها.

٢٥:٢٤و٢٥ **«ثُمَّ جَاءَ أَيْضاً الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ الْوَاحِدَةَ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، عَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ قَاسٍ، تَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ تَزْرَعْ، وَتَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْذُرْ. فَخِفْتُ وَمَضَيْتُ وَأَخْفَيْتُ وَزْنَتَكَ فِي الأَرْضِ. هُوَذَا الَّذِي لَكَ».**

هنا اعتبار الخادم أن الديّان هو سيده يعني مباشرة أنه مسيحي. بل وهذا هو الذي جعله يلوم السيد على سلوكه بسبب تعرُّفه على الديانة المسيحية من وجهة نظر خاطئة وبتقدير سيئ للغاية. فالعبد هنا بدأ يدين السيد على سلوكه وأخلاقه ويلصق به بناءً على ذلك تهمةً أنه السبب في كونه مضى وأخفى الوزنة في الأرض، فلا هو انتفع بها ولا نفّع أحداً. علماً بأن الله لا يقبل قط أن يعتذر إنسان عن أعماله المخالفة بسبب أي موقف أو ظرف أو إنسان آخر. وها هو موقف آدم لمّا قال للرب دفاعاً عن نفسه كونه أكل من الشجرة المحرَّمة: «آدم ... أين أنت؟ فقال سمعتُ صوتك في الجنة فخشيتُ لأني عريان فاختبأتُ. فقال مَنْ أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت» (تك ٣:٩-١٢). هذا العذر ولو أنه صحيح شكلاً ولكن لم يعفه من اللعنة، فقد أدان الله لأنه أعطاه امرأة تعينه، وأدان المرأة لأنها أعطته فأكل. ولكن هنا في هذا الخادم المسيحي الذي أدان الديان كان دفاعه أشنع، إذ تمسَّك به السيد عليه وعامله بما ظنّه وبما اتهمه به.

«يا سيِّد عرفتُ»: κύριε ἔγνων σε

والفعل اليوناني يفيد أنه وصل إلى معرفة وكأنها محصَّلة بحث، وهذه المعرفة التي تأكَّد منها هي التي ألجأته إلى أن يدفن موهبته في الأرض خوفاً - "خشية آدم" - منه.

«إنسان قاسٍ» σκληρός

واضح لنا جداً أن غياب المحبة في قلب هذا العبد هي التي فصلت قلبه وذهنه عن سيِّده، كذلك عدم الأمانة وعدم الثقة جعلت الخوف يطغي على الطاعة ويضحِّي برضا السيد. ووصفه للسيد بالقسوة هو مجرَّد تبرير لسلوكه غير الأمين وشعوره غير المحب ولا الخاضع لأوامر السيد. فهو اتهام جزافي ليس عنده ما يبرِّره إلاَّ عجزه عن أن يكون خاضعاً وأميناً ونشيطاً.

ونحن يستحيل أن نبرِّر هذا العبد في قوله عن السيد أنه قاسٍ مهما كانت الأسباب التي يتذرَّع بها، لأن سيده علم **أولاً** أن لديه الطاقة والإمكانية والقدرة على تحمُّل مسئولية إدارة وزنة واحدة، ثم هو أُعطي بالفعل وزنة تساوي طاقته وإمكانياته تماماً. فهو محاصر بين دراية السيد بإمكانياته وطاقته وبين عطية الوزنة التي تساوي طاقته وإمكانياته. هذا فيما يخصّه تماماً، فكونه يخرج بعذر جديد ليس له علاقة بالمسئولية التي ألقاها السيد عليه، وهي مسئولية فيها تكريم ووعد جيد بالمجازاة. هذا شيء يذهلنا إذ بدل أن يدين نفسه ويطلب الرحمة والمعذرة، انطلق يبرِّر نفسه وسلوكه بأن يأتي باللوم على السيد أنه رجل قاسٍ. هذا أضاف إلى قضيته التي تنحصر في التهاون والكسل وعدم الأمانة والاستهانة بأوامر السيد عنصراً خطيراً في الحكم، إذ تعدَّى على شرف السيد كقاضٍ، وذمَّه علناً بأنه قاسٍ، وكأنها محاولة منه لرد القاضي عن أن يكون صالحاً للحكم والقضاء، وهذا يُحسب للعبد شناعة: «لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل مَنْ يدين. لأنك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك.» (رو ٢:١)

«تحصد حيث لم تزرع»:

تطلب أكثر مما يحق لك، وتطالب بأكثر مما نحتمل، وتُسخِّر جهدنا ظلماً، وتطالب بنتائج ليس ما يبرِّرها في الاتفاق أو العقد، وقد شرحها المسيح في الآية (٢٦) أنه يجمع من حيث لم يبذر. وصوت الزب في مِثْل هذا الادعاء الكاذب واضح في سفر أيوب: «لعلَّك تناقض حكمي، تستذنبني لكي تتبرَّر أنت.» (أي ٤٠:٨)

ومهلاً عزيزي القارئ، فلا تتحامل كثيراً على هذا العبد الشرير الكسلان فهو أنا وأنت!! لأن قضية العبد الذي خبَّأ وزنته في التراب وعاد فاستذنب الله ليتبرَّر هو، هي قضية كل خاطئ يرفض الاعتراف بخطيته أو التوبة عمَّا يصنع، لأنه يقتنع أن الحياة بلا خطية مطلب إلهي غير عادل، فإن كان الله لم يزرع في الجسم الطهارة والتقوى فكيف يطالب أن يحصد ما لم يزرعه؟ وإنها قسوة من الله أن يطالبنا أن نرتفع فوق طبيعتنا التي صنعها لنا. بهذا نكون قد وضعنا أنفسنا موضع العبد الشرير

الكسلان الذي لم يتاجر بموهبة النعمة من أجل الطهارة بل طمرها في الجسد (التراب) وعاد يبرِّر نفسه أمام الديَّان - دفن المعمودية والمسحة والشركة والنعمة وأعادها بلا فائدة!! ولكن يضيع منَّا منطق قضيتنا ولا يبقى لنا دفاع العبد الكسلان الشرير الذي يمكن أن يختفي وراءه، حينما نعلم أن العبد الصالح الأمين صاحب الخمس وزنات الكبرى - الإيمان والرجاء والمحبة ومعها القداسة والصبر - تاجر وربح وفاز، وأُعطي من حصيد زرع الله ملء الأغمار والأحضان. كذلك زميله المبارك صاحب الوزنتين الحب والاتضاع كيف ملأ بيت الله من ثمار حبه واتضاعه، وصار زينة لكل أهل البيت! فعطَّرت رائحة المعمودية أرجاء الملكوت وازدانت شركته في الروح بأقواس النصر.

٢٥: ٢٦و٢٧ «فَأَجَابَ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ وَالْكَسْلاَنُ، عَرَفْتَ أَنِّي أَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ أَزْرَعْ، وَأَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَبْذُرْ. فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَضَعَ فِضَّتِي عِنْدَ الصَّيَارِفَةِ، فَعِنْدَ مَجِيئِي كُنْتُ آخُذُ الَّذِي لِي مَعَ رِباً».

«الشرير والكسلان»: πονηρέ - ὀκνηρέ

أمَّا كونه شريراً فلأنه عصى أمر سيده عصياناً مبيَّتاً، وهي نفس خطية آدم التي جلبت الخراب على بني جنسنا. فأمر الله يُطاع حتى الموت ولا عذر إطلاقاً لعصيان أمر الله. لأن ذلك معناه القطع من الحياة والحكم بالموت. أمَّا كونه كسلاناً ومتوانياً، فواضح لأنه لم يحاول ولو محاولة أن يعمل بالموهبة التي استأمنه عليها سيده، وقد أعطاها له بحكمة ودقة وعدل بما يساوي طاقته وإمكانياته. فسيِّده يعلم أن لا عذر له على الإطلاق.

«عرفت أني أحصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبذر»:

المسيح هنا يعيد ويستزيد من حجة العبد الشرير الكسلان لكي يفتضح دفاعه، كما فعل الرب مع أيوب على مدى أربعة أصحاحات كاملة. وهذا تعجَّب له الله وأوضحه لأيوب إذ كيف يختصم الله أو يخاصمه؟ «هل يخاصم القديرَ (مفعول به) موبِّخُهُ (فاعل) أم المحاج اللهَ (مفعول به) يجاوبه (الشخص)» (أي ٤٠: ١). أي لسان حال الله أو السيد هنا أنه أمرٌ فائق الشناعة أن الإنسان الذي تحت التوبيخ من الله يرفع صوته وكأنه يتخاصم معه ويجاوبه بوقاحة!!

ولكن عاد السيد وقَبِلَ هذا الادعاء الكاذب والخوف المصطنع، وأنه فعلاً قاسٍ ويحصد حيث لم يزرع، رضي بهذه الأعذار كلها ولكن لم يرضَ إطلاقاً أن تُردَّ له مواهبه عاطلة بلا عمل ومتاجرة. إنها إهانة أشد الإهانة لتدبير السيد (الرب). فكلمة الله لا تُرد فارغة بل حتماً تأتي ببركاتها:

«هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إليَّ فارغة، بل تعمل ما سررتُ بـه وتنجح في مـا أرسلتها له.» (إش ٥٥: ١١).

وأعطى السيد مخرجاً للعبد الشرير الكسلان لكي يبرِّر نفسه أمام الديَّان لكي يعيد الوزنة ومعهـا ربحها. فإن كانت أموالاً فيمكن أن توضع عند الصيارفة أي البنوك بلغة اليوم فكان يستعيدها ويقدِّمها للسيد مع الربح، أمَّا إن كانت موهبة فعلية أن يلتحق بجماعة رابحي النفوس الذين يعملون بالمواهب ليربحوا النفوس السائرة في طريق المـوت والهلاك، ويستعيدونها مكرَّمة وممجَّدة للمسيح «والذين ردُّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور.» (دا ١٢: ٣)

٢٥: ٢٨و٢٩ «فَخُذُوا مِنْهُ الْوَزْنَةَ وَأَعْطُوهَا لِلَّذِي لَهُ الْعَشْرُ وَزَنَاتٍ. لأَنَّ كُلَّ مَـنْ لَـهُ يُعْطَـى فَـيَزْدَادُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ».

«الذي لا يعمل لا يأكل». الذي تاجر وربح وأثبت جدارة فهذا عنـده الإمكانيـة للمزيـد، فهـو الذي يأخذ الموهبة التي بقيت عاطلة وليس مَـنْ يعمـل بهـا. أمَّـا الـذي ثبـت أن ليـس عنـده الرغبـة والإرادة على العمل فالذي أخذه يؤخذ منه. هذا هو "عدل العمل" أو قانون المواهب. "الشجرة الـتي لا تصنع ثمراً جيِّداً تُقطع وتُلقى في النار." (راجع مت ٣: ١٠، ٧: ١٩)

واضح لدينا الآن أن عين المسيح مسلَّطة على العمل والجهاد والنشاط والربح فيما يخص المواهـب التي سكبها على التلاميذ والكنيسة. فغياب المسيح هو فترة العمل والجهاد العظمى لتكميل الخدمـة والبلوغ بالفداء والخلاص إلى أقصى طاقة البشرية في الخدَّام الذين سيسـكب المسيح عليهـم مواهبـه باستمرار، وبقدر طاقتهم وإمكانياتهم في الخدمة. والذي يُبدي نشاطاً أكثر سينال مواهـب أكثر، والذي يتراخى ويهمل تُسحب منه المواهب. والمسيح يركِّز على أن فترة انتظار مجيء الرب هي فـترة العمل بالمواهب. فالسهر ينبغي أن يكون سهراً عمَّالاً ومنتجاً. على أنه قد تبيَّن لنـا أن المكافـأة علـى أمانة الخدمة والعمل بالمواهب ستكون مزيداً من العمل والمواهب فوق، مع فرح لا يُنطق به.

٢٥: ٣٠ «وَالْعَبْدُ الْبَطَّالُ اطْرَحُوهُ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ».

هنا أخذ العبد فوق صفاته الأُولى «الشرير والكسلان»، صفة "البطَّال" أيضاً التي تعني بـلا عمـل ولا قيمة، أخذ المسيحية بمواهبها وخرج منها فارغاً، وعلاقته الفريدة بـالرب السيد أنهاهـا رافضـاً

مرفوضاً. وكما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم(٨): ليس من يأتي السيئات فحسب يُدان بل ومَنْ لا يعمل الصالحات أيضاً يُدان بشدة.

أمَّا الظلمة الخارجية فهي الحرمان الأبدي من الله والمسيح النور الحقيقي، حيث حماقة الجهالة التي أحبَّها وفضَّلها على خدمة السيد في نور قديسيه. كَرِهَ النور فسعت إليه الظلمة، وتعالى على تعب النعمة فغطس في طين البطالة بأن انتزعت منه طاقة العمل وقدرة الخدمة. استهان بالفرح الأبدي في نور قديسيه وملكوت الأبرار فاكتسب كآبة الندم والبكاء على ما فات. ومرَّة أخرى بكى المسيح على أُورشليم وذكَّرها كم مرَّة أراد أن يجمع أولادها تحت جناحيه فلم تُرِدْ. لم يشأ الرب أن تخرب أبداً بوعود صادقة، ولكنها خانت كل مواعيده ولم تعرف زمان افتقادها. أحبَّها من كل قلبه أمَّا هي فنقمت عليه من كل قلبها. سعى إليها معلِّماً فسعت إلى قتله ولم ترحم. هكذا فالله لا يُسرُّ بموت الخاطئ بل أن يتوب وتحيا نفسه (حز ٣٣:١١).

والقارئ لا يمكن أن يفوت عليه دعاء السيد للعبد الذي أطاع وعمل «نعمَّا أيها العبد الصالح والأمين ... ادخل إلى فرح سيِّدك»! هذا هو يسوع المسيح بالأساس المبشِّر بالأفراح لبني الإنسان. فإن هو أرسل العبد البطَّال إلى الظلمة الخارجية فلأن العبد قد سعى إلى ذلك وصمَّم على طلبه!

(8) Chrysostom, *On St. Matthew*, Hom 78.2, NPNF, 1st ser. vol. X, p. 472.

عظة لكل العالم:

منظر الدينونة الأخيرة

محاكمة الجداء – الملاعين

[مت ٢٥: ٣١–٤٦]

هنا منظر يحوي أمثالاً، له صورة المأساة، ولكن في رمزية هادئة.

إنها القصة الأخيرة لكل قصص المسيح، لذلك تأخذ أهمية خاصة لأنها تحتضن كل القصص وتنتهي بها. من أجل ذلك أعطاها المسيح لوناً جعلها قادرة أن تحتل ذاكرة كل إنسان بدون جهد. ومن حيث القوة والتحليل على مدى الإنجيل فهي تقف في المقابل مباشرة لعظة التطويبات على الجبل. وقد يكوِّن منظر التطويبات، وفي مقابله منظر الدينونة، درساً تعليمياً للكنيسة "كاتشزم" لا يمكن أن يضاهيه تعليم آخر. وبهذا أصبح القديس متى بهذا الكاتشزم فريداً في قدرته التعليمية للكنيسة، قادراً على رفع التعليم إلى مستوى التصوير الفني بقدرة إعجازية.

والمسيح يقدِّم لنا في نهاية عظته عن الأُخرويات ومجريات الأحداث في الأيام الأخيرة هذه الصورة للديَّان وهو يدين المسكونة بالعدل، لتبقى في ذهن القارئ كخلفية ملازمة لكل قراءة في الإنجيل بكل صوره. والمسيح ينهي بهذه الصورة الثلاثة أمثال السالفة عن السهر والانتظار على المستوى العملي لحمل المسئوليات:

١ – مسئولية إطعام خدم البيت (٢٤: ٤٥–٥١): قصة العبد الأمين والحكيم.

٢ – مسئولية ملء الأواني بالزيت (٢٥: ١ –١٣): قصة العشر عذارى.

٣ – مسئولية العمل بالمواهب (٢٥: ١٤–٣٠): قصة الوزنات.

أما في هذه الصورة الأخيرة للدينونة، فالمسيح يستحضر المجيء الثاني الذي طالما طالب بانتظاره بالسهر والعمل، ويكشف الستار عمَّا سيتمخض عنه هذا اليوم الرهيب؛ مع إلمامة سريعة، وباختصار شديد للغاية لسر الدخول إلى الملكوت وسر الرفض بآن واحد وبعمل واحد، حيث يجسِّد هذا السر في شخصه ويحدِّد هذا العمل الواحد في نفسه! إنه نوع من الإبداع في التصوير لا يُدانيه

أي إبداع، ففيه يستعلن سر الحياة وسر الموت، يضعهما بين يديك كل يوم وكل الأيام والسنين وإلى آخر يوم لتختار منهما ما اختار العبد الصالح أو العبد البطَّال بمنتهى مشيئتهما.

وهو في هذه الصورة يقدِّم كيف ستتشكَّل المحكمة لتحوي العالم كله بأمواته وأحيائه ومكان كل واحد من كرسي العرش، والنطق بالحكم مع شرح حيثياته وأسبابه في رموز يسهل التعرُّف على مقاصدها.

وبمجرد أن سجَّل القديس متى صورة الحكم هكذا، أنهى على كتابه الخامس، بوضع عبارته المعتادة في نهاية كل كتاب: «ولما أكمل يسوع هذه الأقوال...».

الرموز اللاهوتية التي كشف عنها المسيح في حيثيات الحكم الأخير:

وهي تُحسب كجوهرة من جواهر أسرار الملكوت، وهي بآن واحد تدور حول شخصه وموقعه في عالم التعاملات المسيحية، إذ فجأة كشف الستار عن وجوده الشخصي المتخفِّي في العالم في أشخاص "الإخوة الأصاغر" الذين نسب نفسه إليهم، ونسبهم إلى نفسه فأسماهم: "إخوتي الأصاغر". ويمكن التعرُّف عليهم من أوصافه لهم:

(أ) هم المسيحيون المُهمَلون في الكنيسة الذين رسبوا في قاع المجتمع ويبدو من سماتهم أنهم أيضاً من خدَّام الإنجيل المضطهَدين (١٠: ٤٠-٤٢): «مَنْ يقبلكم يقبلني، ومَنْ يقبلني يقبل الذي أرسلني... ومَنْ سقى أحد هؤلاء **الصغار** (تلاميذ الرب على مدى الدهور) كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ، فالحق أقول لكم أنه لا يُضيع أجره».

(ب) إخوة المسيح الفقراء وأخواته الذين أعوزهم الملجأ الدافئ واللقمة التي تسند الأود وضرورات الحياة الملحَّة، ويدخل في زمرتهم المرضى والمتألمون والمسجونون والمتغرِّبون والعرايا والمعوزون من كل نوع.

وواضح في الصنف الأول (أ) أي في إخوة المسيح الصغار الذين يكرزون باسم المسيح كرسل جائلين معوزين جائعين، ومسجونين متغرِّبين، وليس لهم أين يسندون رأسهم، ولا راحة لأجسادهم حتى لأكل الخبز، حقاً وبالفعل لا يمثِّلون شخص المسيح الذي يكرزون باسمه فقط، بل ويُحسبون في تقليد الكنيسة أنهم حاملو المسيح χριστοφόροι. أما إخوة المسيح الأصاغر من منبوذي المجتمع والمهملين حتى من الكنيسة، وسمتهم الفقر والجوع والمرض والعجز والعوز من كل نوع، فهؤلاء المؤمنون باسم المسيح والمرفوضون من العالم والمهملون في الكنيسة، هم في عرف المسيح الخليقة

الأَوْلَى بالرعاية، يزكّيهم اسم المسيح الذي يحملونه وكأنهم أسرة ملك الملـوك، وبنـو الـرب كلهـم، وأهل بيت الله؛ يعبرون على جميع الأبواب المغلقة بلا سؤال، ويُفتح لهم باب الملكوت خصيصاً دون فحص لأنهم يحملون هوية يسوع المسيح ابن الله شخصياً = إخوة الرب.

وردًّا على العلماء الذين أرادوا أن يتهرَّبوا من تصنيف إخوة المسيح أنهم هم الفقـراء المعدمـون الجيـاع والعرايا والمهملون من المجتمع ومن الكنيسة، لكي يهربـوا مـن الدينونـة بمقتضـى الأعمـال، فقصـروا إخوة المسيح على التلاميذ والخدَّام فقط. وهنا ننبِّه ذهن القارئ إلى مقدار الحبك الذي صنعه المسـيح بإعطاء صورة الدينونة العتيدة مقصورة على ما قدَّمه كل واحد من أعمال الرحمـة والمحبـة والمسئولية الإيمانيـة لمثـل هـؤلاء الفقـراء والمسـاكين والمعوزيـن بشـقّيها: فـالذين عملـوا أعمـال الرحمـة فـازوا بالملكوت؛ والذين حجزوا عنهم أعمال الرحمة بأي ادِّعاء كان، سـواء الاكتفـاء بالإيمـان أو بالعبـادة والصلاة... إلخ؛ هؤلاء وقع عليهم العقاب واللعنة. وهكذا اقتصرت **الدينونة** بصـورة مدهشـة علـى "الأعمال" بالدرجة الأولى إيجاباً أو سلباً. والذي يؤيد هذا الاتجاه، أي أن الدينونة سـتكون بمقتضـى الأعمال، هو أن المسيح أعطى هذه الصورة للدينونة بعد مَثَل الوزنات ومجازاة الذين عملـوا، وذلـك بمجازاتهم بالمزيد في حياة الملكوت، والعبـد الـذي امتنـع عـن العمـل بـالطرح في الظلمـة الخارجيـة. وهكذا كرَّس المسيح جميع المواهب عامة وخاصة للعمل، كما كرَّس الدينونة للحكم بمقتضى الأعمال.

وإنجيل القديس متـى ينفـرد بتقديـم هـذه الصـورة لأهميـة الأعمـال في حيـاة الإيمـان المسـيحي: «وحينئذٍ يجازي كل واحد **حسب عمله**» (مت ١٦:٢٧)، لذلك حُسِب هذا الإنجيل إنجيل الكنيسة التقليدية بالدرجة الأولى. على أنه لا يتعارض في تعليمه اللاهوتي مع تعليم القديس بولس الرسـول، ولكنه يُبرز أهمية الأعمال في الإيمان المسيحي ليعطي للإيمان بُعداً ديناميكياً كفيلاً أن يعـبر بـه العـالم صوب الملكوت.

٢٥:٣١ «وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِـذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ».

هنا تتغيَّر الصورة فجأة: فمن عالم العبيد والسيد المسافر إلى زمان طويل، إلى ظهـور السـيد مـرة واحدة في شخص ابن الإنسان، وليس مع تلاميذه بعد بل وجميـع الملائكـة القديسـين معـه، ويجلـس كديَّان علـى كرسـي مجـده. هـذه الصـورة متداخلـة نوعـاً في الصـورة الـتي قدَّمهـا المسـيح أيضـاً في الأصحاح السالف، التي صوَّر فيها ابن الإنسان آتياً على السحاب بقوة ومجد كثير، وأرسل ملائكتـه

من أقصاء السموات إلى أقصاها ليجمع مختاريه (٢٤: ٣٠و٣١) وأيضاً (١٦: ٢٧).

أما هنا، وفي هذه الصورة، فجلس ابن الإنسان على كرسيه والعالم كله مائل أمامه. والصورة تخلو من مفهوم المثل، إلاَّ أن في الآية التالية سيصف التفريق بين المختارين والمرفوضين كما يميِّز الراعي الغنم من الجداء، هذه هي الصورة الرمزية التي تدخل في مفهوم المثل.

«في مجده»:

يكررها المسيح مرتين: جاء "في مجده"، و"يجلس على كرسي مجده"؛ والتكرار تأكيد على شخصية ابن الإنسان أنه هو هو ابن الله المتجسد في تجلِّيه المطلق، كذلك ليوجِّه نظرنا أن زمن الدينونة هو زمن المجد لمختاريه، فهو يوم فرح وتهليل الصدِّيقين وهو الذي قال عنه القديس بولس: «متوقِّعين التبنِّي فداء أجسادنا» (رو ٨: ٢٣)، حينما تعتق الخليقة معنا من الفساد لتدخل عصر الروح: سماءً جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها المجد: «من أطراف الأرض سمعنا ترنيمةً مجداً للبار.» (إش ٢٤: ١٦)

٢٥: ٣٢و٣٣ «وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ، فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ».

هنا جميع الملائكة حوله وجميع الشعوب أمامه: «حَدَث لجَمْع كل الأمم والألسنة، فيأتون ويرون مجدي» (إش ٦٦: ١٨). الخليقة كلها بسمائها وأرضها مجتمعة أمام خالقها، يوم مشهود لم يحدث له مثيل من قبل ولن يحدث، حيث تَمثُل الخليقة أمام المسيح لترى مجده وتسمع قضاءه: اليهود والمسيحيون كافة وكل الأمم لينال كل إنسان حسب عمله (مت ١٦: ٢٧).

+ «ولي خراف أُخَر ليست من هذه الحظيرة (اليهود)، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي، وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد.» (يو ١٠: ١٦)
+ «بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة (قيافا)، تنبَّأ أن يسوع مُزمِعٌ أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد.» (يو ١١: ٥١و٥٢)

«فيميِّز بعضهم عن بعض»: ἀφορίσει

والكلمة اليونانية تعني الفصل والتفريق، لأنه بظهور المسيح ينشأ أعظم مجال وقوة تجميع ظهرت في الوجود بين الأخصاء والمختارين وأبناء الله المتفرقين إلى واحد: «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان (القوة التي تلمُّ الشمل) ومعرفة ابن الله (القوة التي توحِّد الوجود الروحي). إلى إنسان كامل

(في القامة الإلهية). إلى قياس قامة ملء المسيح (الأبناء المتحدين بالابن)» (أف ٤:١٣). وفي مقابل هذا الواحد الإنساني المنجمع في المسيح يحدث بآن واحد أعظم انقسام يتم في كيان البشرية، ليقسم الفكر الواحد إلى فكرين، والقلب الواحد إلى قلبين، والطريق الواحد إلى طريقين: طريق يؤدي إلى قلب الآب وهو ملكوته للحياة الأبدية، وطريق ينحرف عنه بشدة لينتهي إلى طلاق بائن أبدي بين الإنسان والله؛ لينقسم مصير الإنسان إلى مصيرين محدَّدين لا تقابل ولا تصالح بينهما بعد إلى الأبد.

«كما يميِّز الراعي الخراف عن الجداء»:

يقصد هنا السهولة والوضوح وعدم الخلط على الإطلاق، فالخروف يُسرع الخطى نحو قطيع الخراف، والجدي يجري نحو الجداء بلا عناء ولا عُصيٍّ للتفريق، فالبار ينجذب إلى مركز البر، والخاطئ ينجذب إلى المركز المضاد: «وأنتم يا غنمي فهكذا قال السيد الرب: هأنذا أحكم... بين كباش وتيوس» (حز ٣٤:١٧). ويمين الرب رمز الكرامة والقوة والمجد، كما يمين الآب أيضاً.

٣٤:٢٥ **«ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ».**

الملك: رمز المسيَّا الملك الآتي. و"يا مباركي أبي" تعني بحسب اللغة اليونانية "إفلوجيميني" أي الذين باركهم الآب أو "المباركين من الآب". ويُلاحظ هنا أن المُلك معدٌّ لهم منذ تأسيس العالم وبناءً عليه يكونون قد تباركوا حتماً منذ تأسيس العالم، "**معيَّنين سابقاً**" للمجد المعدّ، ومختارين سابقاً لهذا المجد المعدّ.

+ «ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يُحبون الله، الذين هم مدعوون حسب قصده. لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم ليكونوا مُشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين. والذين سبق فعيَّنهم، فهؤلاء دعاهم أيضاً. والذين دعاهم، فهؤلاء برَّرهم أيضاً. والذين برَّرهم، **فهؤلاء مجَّدهم أيضاً**. فماذا نقول لهذا؟ إن كان الله معنا فمَنْ علينا! الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟» (رو ٨:٢٨-٣٢)
+ «**الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويَّات (الملكوت) في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم**، لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة، إذ **سبق فعيَّننا** للتبنِّي... **لمدح مجد نعمته** التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف ١:٣و٤و٦)

وعلى القارئ أن ينتبه هنا إلى عمق وامتداد فكر وإيمان ورؤية بولس الرسول على أساس ومن

واقع تعليم المسيح.

وبمقتضى تعليم المسيح هنا وتعليق القديس بولس الرسول عليه، تكون النعمة قد حُدِّد عملها مسبقاً للمختارين، ولكن بناءً على **"عمل"** ومسئولية يبدآن هنا ويكملان هناك. وهذه النعمة هي نعمة اختيار وملء وتوظيف لعمل يدخل في صميم اللاهوت الأخلاقي. وهكذا يتطابق مرة أخرى التعليم اللاهوتي للقديس متى مع تعليم بولس الرسول في سبق اختيار النعمة وعملها ومنح المسئولية بمقتضاها، لنخرج بمنهج لاهوتي أخلاقي منقطع النظير يُتعجب له، إذ يجمع "سَبْق عمل النعمة" و"مسئولية العمل بالمواهب" معاً وبآن واحد. فيتلاشى الحد الفاصل بين الإيمان والعمل بواسطة النعمة، بحيث نبقى حيارى فيما هي حدود الإيمان وحدود العمل، والنعمة هكذا مسيطرة على الاثنين.

«يا مبارَكي أبي»: εὐλογημένοι τοῦ πατρός μου

هنا حرف (ي) **في كلمة "أبي" باليونانية μου**، يكشف عمَّنْ هو المسيح المتكلِّم: إنه ابن الله، الذي يدين والذي يعلن هذا اللقب الإلهي للمختارين "مبارَكي أبي" أي المبارَكين من أبي، باعتباره ميراثاً: «رِثُوا الملكوت المُعدَّ لكم منذ تأسيس العالم». وهنا ينبغي أن يكون واضحاً أن الميراث تعيَّن مع تعيين المختارين في المسيح منذ أو حتى قبل تأسيس العالم، ولكن نُطِق به نُطقاً **"ملكياً"** إلهياً من فم ابن الله باعتباره هبة إرادية كاملة ومنتهية من فم الآب نفسه. هذا الميراث الموهوب الآن في الدينونة من فم الملك وابن الله وفم الآب يؤكِّد عمل واختيار النعمة السابقَيْن في فكر الله "منذ" أو "قبل" تأسيس العالم. ومن هذا التصريح الخطير يتحدَّد الهدف من خلقة العالم قبل خلقة العالم، أي مضمون التاريخ: هدفه ومعناه. بل ويبتدئ مفهوم ملكوت الله والحياة الأبدية وميراث المختارين يأخذ وضع الحقيقة الصلبة الأصلب من العالم ومن سمائه وأرضه، وتصبح "حقيقة العالم" خيالاً وخرافة زائلة أمام حقيقة الملكوت والحياة الأبدية وميراث المختارين الذي تحدَّد قبل إنشاء العالم نفسه!!

بهذا يتحتَّم على صانعي التاريخ إعادة النظر في مضمونه وهدفه وصدقه وزواله، كما يتحتَّم على رجال اللاهوت أن يعيدوا صياغة مفهوم وحقيقة الحياة الأبدية وملكوت الله وميراث المختارين واختيارهم وعملهم بالنعمة باعتبارها الحقيقة الأساسية التي تعلو في حقيقتها وصلابتها فوق أي حقيقة أخرى في العالم. فهي الحقيقة الوحيدة وما بعدها زوال. فإذا حدَّد اللاهوتيون هذه الحقيقة بحسب قوتها وصلابتها كمنطوق إلهي واقعي سُخِّرت له الحوادث والوقائع والتاريخ كله، لتتم في وقتها كأقوى رجاء بأقوى إيمان، يصبح تحديد الإنسان، كل إنسان، لمصيره واضحاً يستطيع أن يختاره وينحاز إليه ويتمسك به، وهو واثق أنه يتمسك بالله ذاته.

٢٥: ٣٥ـ ٤٠ «لأَنّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُوني. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُوني. كُنْتُ غَرِيباً فَآوَيْتُمُوني. عُرْيَاناً فَكَسَوْتُمُوني. مَرِيضاً فَزُرْتُمُوني. مَحْبُوساً فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ. فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَارَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطْشَاناً فَسَقَيْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيباً فَآوَيْنَاكَ، أَوْ عُرْيَاناً فَكَسَوْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضاً أَوْ مَحْبُوساً فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ».

المسيح هنا بعد أن عيَّن مختاريه من وسط جموع الناس، وكشف أن سر اختيارهم هو قائم منذ أو قبل إنشاء العالم، وأن ميراثهم قد تعيَّن مع اختيارهم قبل إنشاء العالم في سبق تدبير الله قبل تأسيس العالم، أي قبل التاريخ أي في الأزل، ذلك في المسيح يسوع، وأنهم الآن مدعوون للدخول إلى ملكوت الله لشركة فرح سيدهم؛ عاد وكشف خطة عمل النعمة معهم كيف ساقتهم فانساقوا وكيف قادتهم فانقادوا في أعمال أهَّلتهم لنصيبهم الذي حازوه من قبل إنشاء العالم، وهي أعمال لا يمكن أن تُنعت بأعمال روحانية ولا تُعزى لقوة مواهب أو حتى كفاءة شخصية، فهي أعمال عادية وأقل من عادية في متناول كل إنسان مهما قلَّت كفاءته أو موارده، فهي أعمال لو نُظر إليها من وجهة الخدمة الاجتماعية وُجدت عادية وأقل من عادية، ولكن هذه الأعمال عينها أدخل فيها المسيح عنصر **"الإيمان"** الشخصي به هو نفسه، فصيَّرها أعمالاً إيمانية بشخص يسوع المسيح نفسه، فارتفعت قيمتها لتتساوى مع النصيب المعد للمختارين في المسيح قبل إنشاء العالم، أي للميراث المعد لهؤلاء المختارين في الحياة الأبدية. وهنا يبلغ الإعجاز أعلى مداه، إعجاز العمل البسيط العادي وأقل من العادي الذي يُمارَس ويمكن إتقانه بدون مواهب على الإطلاق وبأقل جهد أو كفاءة بشرية. كيف يرفع المسيح قيمته لكي تتساوى مع النصيب المعد للمختارين والميراث لدخول ملكوت الله وشركة الحياة الأبدية مع المسيح والآب.

أما العنصر الوحيد الفريد الذي أضافه المسيح لهذه الأعمال العادية والأقل من العادية لتصبح هي نفسها مؤهِّلة لدخول ملكوت الله وبلوغ نصيب المختارين، فهو أنه تآخى مع الجياع والعطاش والغرباء والعرايا والمرضى والمحبوسين، وجعل مَنْ يخدمهم يُعتبر أنه يخدم المسيح نفسه: «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم». هنا المسيح لا يجعل هؤلاء البؤساء إخوة له فحسب، بل إنه يتبنى شخصيتهم بنفسه بنوع سرِّي للغاية بحيث أنَّ مَنْ يُطعم الفقير يُطعم المسيح شخصياً، ومَنْ يزور مسجوناً يزور المسيح شخصياً، وهكذا.

بهذا يكون المسيح قد أحدر الإيمان المسيحي أو الإيمان بالمسيح من واقعه الفكري والروحي

واللاهوتي إلى واقع **عملي** ملموس ومحسوس. وهكذا أعطى المسيح الإنسان المسيحي فرصة نادرة ليمارس إيمانه عملياً، بل ويتآخى مع المسيح شخصياً عندما يتآخى مع فقير أو جائع أو عريان أو محبوس في شكل مساعدة وعطف ومحبة! وبهذا يرتفع الإنسان إلى مستوى سر المسيح إيمانياً بل وإلى مستوى المحبة الصادقة والشعور العملي. ثم أليست هذه هي شركة مع المسيح بالحق؟

ثم عودة إلى حقيقة هذا العمل البسيط العادي والأقل من العادي.

فالمسيح هنا لا يُطالب بشفاء المريض بل بمجرد زيارته والتعاطف معه ومشاركته بالقلب والمحبة. وهذا لا يتطلّب مواهب فائقة وقدرات شخصية وإيمانية فائقة على الطبيعة، بل مجرد عمل محبة وعطف صادق ومشاركة في الألم. وهنا، وبالضرورة، لا يعود الإنسان الذي يزور المريض ويواسيه يأنف من رائحته ويقشعر من جروحه وعفنه، لأنه واضع في قلبه أنه يزور المسيح نفسه. وليس هذا وهماً أو مجرد احتيال، بل سوف يحس الإنسان بعد أن يكون قد زار المريض وشاركه ألمه وتعاطف قلبياً معه، أنه حاز بالحق وبالفعل على زيارة للمسيح، ويخرج مفعماً بأحاسيس روحية ولاهوتية أنه عمل عملاً سرِّياً سمائياً، وأصبح يحس بالفعل أن له نصيباً سماوياً!

ولكن قول هؤلاء المباركين: «**يا رب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك... إلخ**»، يوضِّح حقيقة أنهم أبرار ومباركون، فقد أدُّوا أعمالهم من عمق شركتهم الحية مع المسيح. لقد حازوا في أنفسهم ما حازه المسيح حينما أخلى ذاته وأخذ شكل العبد، وعاد هنا وأخذ شكل العبد المريض والجائع والمحبوس والغريب والعريان!! شركة هؤلاء الأبرار المختارين مع المسيح وهبتهم الإخلاء الذي به ما رأوا أنفسهم ولا رأوا المسيح الذي يخدمونه في المريض والمحبوس والغريب والعريان. إذن، فماذا رأوا في هؤلاء المرضى والمحبوسين والغرباء الجائعين والعرايا؟ الجواب: رأوا بشريتهم، رأوا لحمهم، رأوهم أبناء وآباء أقرباء لهم فما طاقوا جوعهم وعريهم وغربتهم، فأطعموا أنفسهم لمّا أطعموهم، واكتسوا لمّا غطّوا عريهم، وارتاحت أنفسهم لمّا أراحوا غربتهم، وما دروا أنهم غطّوا عري المسيح وأطعموا أعضاء المسيح لما أطعموهم! «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٣٠). وهكذا أجابهم المسيح تماماً: «فيجيب الملك ويقول لهم: **الحقّ أقول لكم: بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي (أعضائي) هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم**»!

ثم انظر معي أيها القارئ العزيز كيف استطاع المسيح أن يحقق لمختاريه ميراثهم السماوي الأبدي بأعمال عادية أرضية جسدية، وبمقتضى إيمانهم الشخصي وعلاقتهم الشخصية بالمسيح يسوع نفسه؟ هذا وبدون مواهب فائقة أو دراية لاهوتية عالية؟؟ ثم انظر معي، كيف سيكتسب

العالم البائس من هذا "**العمل الإيماني**" الناطق والكارز بإيمان المسيح وطاعته ومحبته!! وفوق هذا كله كيف سيحقق المؤمنون بالمسيح اختيارهم الأزلي في المسيح بأعمالهم الإيمانية فيتوافق اختيارهم مع عملهم ويؤهَّلون لملكوت الله عن جدارة إيمان وعمل ومحبة.

والسؤال الخطير هنا الذي يحدِّد المصير هو: هل القيام بهذه الأعمال العادية والأقل من العادية من زيارة مريض، وإطعام جائع، وسقي عطشان، وكسوة عريان؛ صعبة في شيء، أو يمكن لإنسان أن يحتج على عدم القيام بها بأنه ليس لديه قدرة أو إمكانية على القيام بها؟ قطعاً لا، ولا حجة ولا معذرة، فهي لا تعتمد على أي موهبة أو قدرة خاصة. إذن، فقد أصبح من حق الديَّان، ولا لوم عليه، أن الذين يمتنعون عن العمل بهذه الوصايا أن يحرمهم من نصيبهم المعيَّن لهم، ومن أسمائهم كمختارين ووارثين منذ إنشاء العالم، باعتبارهم حسب نطق الديَّان أنهم أساءوا إلى المسيح شخصياً: «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدَّة لإبليس وملائكته». وحيثيات الحكم عنيفة وشديدة الوطأة بحيث يستد كل فم لدى سماعها.

والمسيح هنا لا يدعو ولا يأمر بلعنة، حاشا للمبارَك إلاَّ أن يُبارك، ولكن هذه اللعنة هي لعنة الله لآدم التي اكتسبها لنفسه ولذريته التي اكتسبناها نحن لأنفسنا بالخطية ذاتها بشبه آدم. فالمسيح هنا يرفع بركته برفع نعمته، يرفع عمل دم صليبه وموته وقيامته أي خلاصه ومصالحته مع الله الآب، فيبقى الإنسان العاصي للمسيح على لعنته الأولى كما هو. فـ "يا ملاعين" هنا تأتي كصفة أصلية وليس كنقمة مضافة. وواضح أنهم تسبَّبوا في رفع نعمة المسيح عنهم لأنهم تركوا المسيح في جوعه وغُرْبه: «**لأني جعت فلم تطعموني. عطشت فلم تسقوني. كنت غريباً فلم تأووني. عرياناً فلم تكسوني. مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني**»!! وهكذا فالعنصر الذي زكَّى عمل المبارَكين من الآب، هو أنهم عملوا كل ذلك إيماناً وحباً للمسيح. أما هؤلاء الآخرون، فاحتقروه وأهملوه وداسوه بعدم إيمانهم الرافض للمسيح الموجود في هؤلاء الأشخاص، أي أنهم نالوا الجزاء بسبب رفضهم لشخص المسيح والإيمان به، الأمر الذي رجع على اختيارهم وميراثهم قبل إنشاء العالم فلغاه.

ولكن السؤال الذي يتبقَّى بعد ذلك ويتحتم استيفاء الإجابة عليه هو:

هل يقتصر الجزاء على مثل هذه الأعمال العادية والأقل من العادية فقط، أم توجد أعمال أخرى على مستواها في الأداء والجزاء تُضاف إليها لتكميل استحقاق الدخول إلى الملكوت؟ على مستوى الفئات الآتية، وإن كان يتداخل فيها أصحاب الرتبة الواحدة:

+ «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مُبشِّرين، والبعض رعاة

ومعلمين.» (أف ٤: ١١)

+ «وأنواع أعمال موجودة، ولكن الله واحد، الذي يعمل الكلَّ في الكلِّ. ولكنه لكل واحد يُعطَى إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد. ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوَّة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده، كما يشاء... تهتم الأعضاء اهتماماً واحداً بعضها لبعض... وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً.» (١كو ١٢: ٦-١١و٢٥و٢٧)

+ «وأما أنتم فجسد المسيح، وأعضاؤه أفراداً. فوضع الله أناساً في الكنيسة: أولاً رُسُلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمين، ثم قوَّات، وبعد ذلك مواهب شفاء، أعواناً، تدابير، وأنواع ألسنة.» (١كو ١٢: ٢٧و٢٨)

+ «فمَنْ هو بولس، ومَنْ هو أَبُلُّوس؟ بل خادمان آمنتم بواسطتهما، وكما أعطى الرب لكل واحد: أنا غرست وأَبُلُّوس سقى، لكن الله كان يُنْمِي. إذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقي، بل الله الذي يُنْمِي.» (١كو٣: ٥-٧)

+ «فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيُبيِّنه. لأنه بنارٍ يُستعلن، وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو.» (١كو ٣: ١٣)

+ «هكذا فليحسبنا الإنسان كخُدَّام المسيح، ووكلاء سرائر الله، ثم يُسأل في الوكلاء لكي يُوجَد الإنسان أميناً.» (١كو ٤: ١و٢)

+ «ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المُعطاة لنا: أنبوَّة فبالنسبة إلى الإيمان، أم خدمة ففي الخدمة، أم المعلِّم ففي التعليم، أم الواعظ ففي الوعظ، المُعطي فبسخاء، المُدبِّر فباجتهاد، الرَّاحم فبسرور. المحبة فلتكن بلا رياء. كونوا كارهين الشر، مُلتصقين بالخير، وادِّين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية، مُقدِّمين بعضكم بعضاً في الكرامة، غير متكاسلين في الاجتهاد، حارِّين في الروح، عابدين الرب، فرحين في الرجاء، صابرين في الضيق، مواظبين على الصلاة، مُشتركين في احتياجات القدِّيسين، عاكفين على إضافة الغرباء. باركوا على الذين يضطهدونكم، باركوا ولا تلعنوا. فرحاً مع الفرحين وبكاءً مع الباكين. مهتمِّين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً، غير مهتمين بالأمور العالية بل مُنقادين إلى المتضعين.» (رو ١٢: ٦-١٦)

نعم، وبكل تأكيد، فالإنجيل مملوءٌ بالأعمال والخدمات التي عيَّنها الله لأولاده، ولكن هذه الخدمات التي عيَّنها الله أيَّدها بالمواهب الروحية الفائقة، فهي ليست أعمالاً عادية أو أقل من العادية كالتي خصصها الله لجميع المختارين البسطاء؛ ولكنها أعمال فائقة حدَّد لها الله أشخاصاً آزرهم بالمواهب لتكميل الأعمال، والتي بمقتضى أمانتهم وطاعتهم للمواهب المعطاة لهم يتم مجازاتهم بالاختيار وإعطاء الميراث الذي لهم حسب وعد المسيح الصريح: «حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم» (مت ١٣:٤٣)، وحسب نبوَّة دانيال: «والذين ردُّوا كثيرين إلى البر (يضيئون) كالكواكب إلى أبد الدهور.» (دا ١٢:٣)

وواضح أمامنا الآن أن أداء الأعمال العادية والأقل من العادية والتي لا تحتاج إلى مواهب، قد وُهبت لجميع المختارين ليؤدوها وليحققوا بها اختيارهم الذي سبق المسيح وعيَّنه لهم قبل تأسيس العالم، ونوال ميراثهم مع المسيح في الله الذي تعيَّن لهم بتعيين اختيارهم.

أما الأشخاص الذين أقامهم الله للأعمال الفائقة التي تحتاج إلى مواهب، فهؤلاء أعطاهم من المواهب ما يتفق ويتناسب مع الأعمال التي خُصصوا لها.

١ ـ فلو عدنا إلى الأعمال العادية والأقل من العادية التي وُهبت لنا، **لعامة المختارين**، دون مواهب ودون تخصيص، فهي الأعمال المناسبة **للجزء الأضعف من جسد المسيح** من أجل العناية به حتى لا يستبد به العالم ويهينه ويذلُّه. ويجمع إنجيل القديس متى في العظة على الجبل المساكين بالروح المخدومين، والرحماء الذين خدموهم معاً: «طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات... طوبى للرحماء، لأنهم يُرحمون.» (مت ٥:٣و٧)

٢ ـ أما **الأعمال الفائقة** التي أُسندت **للأشخاص الموهوبين** الذين نالوا **العطايا الفائقة، فهؤلاء** تعيَّنوا **لبناء جسد المسيح ككل** وتكميل الإيمان والتعليم والعناية بالمؤمنين جميعاً **لتكميل الخلاص**. وهؤلاء يُسألون عن مواهبهم ويجازون عنها.

٣ ـ وهكذا يتساوى **جميع المختارين** في أداء العمل الذي يؤهِّلهم لقبول الاختيار والميراث الذي سبق وتعيَّن **لجميع الذين يؤمنون بالمسيح**، سواء الأعمال العادية بدون المواهب أو الأعمال الفائقة بالمواهب الفائقة. وفي الختام يعطي بولس الرسول الآية التي تحبس الكل تحت يد الله هكذا: «تمِّموا خلاصكم بخوف ورعدة، **لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا** من أجل المسرة.» (في ٢:١٢و١٣)

٢٥: ٤١ «**ثُمَّ يَقُولُ أَيْضاً لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ**».

يلزم أن ننتبه أن لا شيء يجعل المسيح يخرج عن حبِّه إلاَّ عدم المحبة!!
ولا شيء يجعله يتخطَّى الرحمة إلاَّ عدم الرحمة!!

وبقدر ما أن الاختيار في المسيح قبل تأسيس العالم، وتعيين الميراث والشركة مع المسيح في ملكوته بحسب النعمة منذ تأسيس العالم، يُحسب أروع تثقيل بالحب والمحاباة على كاهل الإنسان الذي لا يستحق سخاء الله الفائق هذا، والسبب أنهم أحبُّوا أصاغره وخدموهم كأنفسهم فاعتبرهم أنهم أحبُّوه هو وخدموه في نفسه وفي جسده؛ بقدر ما هنا يجيء نفور المسيح كديَّان بأشدِّ ما يكون النفور للذين احتقروا إخوته الأصاغر، إذ اعتبرها احتقاراً وإهمالاً له شخصياً!

«**يا ملاعين**»: κατηραμένοι

كلمة "ملاعين" هي المقابل العكسي لـ "**مباركي أبي**" أو المباركين من الآب. وصحة ترجمتها: "يا مَنْ قد لُعنوا". هنا اللعنة التي أصابتهم سابقة على الدينونة أو أخْذ نصيبهم الأخير، وهذا يعني أن أعمالهم السابقة كانت كلها مرفوضة وكأنهم كانوا يحاربون الله ويقاومونه بسلوكهم. ولكن على القارئ أن ينتبه أشد الانتباه أن اللعنة هنا ليست معدَّة سابقاً كالاختيار في المسيح والميراث المعدّ سابقاً منذ إنشاء العالم، وإلاَّ ينهار تعليم الإنجيل الذي يقوم على مسئولية الإنسان الكاملة عن نصيبه الأخير ودينونته. بل على النقيض، فهؤلاء الذين حلَّت عليهم اللعنة كانوا أصلاً محسوبين ضمن المختارين، ولكنهم فقدوا اختيارهم وميراثهم بسبب رفضهم للمسيح وازدرائهم بإخوته الأصاغر، حيث رَفْضُهم للمسيح يجيء سبباً مباشراً لإزدرائهم بإخوته الأصاغر. فعدم إيمانهم بالمسيح هو الذي رفع عنهم كل إحساسهم بالعطف أو الرحمة على بقية المؤمنين الأصاغر، فازدروا بهم وأهملوهم ولم يعلموا أنهم إنما يزدرون بأعضاء المسيح الذين هم من جسده من لحمه وعظامه.

+ «من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة بل طرد إنساناً مسكيناً وفقيراً، والمنسحق القلب ليُميته. **وأحبَّ اللعنة فأتته، ولم يُسرَّ بالبركة فتباعدتْ عنه.** ولَبِسَ اللعنة مثل ثوبه فدخلتْ كمياه في حشاه وكزيت في عظامه. لتكن له كثوب يتعطَّف به وكمنطقة يتنطَّق بها دائماً. هذه أُجرة مُبغضيَّ من عند الرب، وأُجرة المتكلِّمين شرًّا على نفسي.» (مز ١٠٩: ١٦-٢٠)

هذا كله بالنسبة للذين ازدروا بالفقير والمسكين والمظلوم والجائع والعريان.

«النار الأبدية المُعدَّة»: πῦρ τὸ αἰώνιον τὸ ἡτοιμασμένον

وترجمتها الصحيحة "السابق إعدادها". وهنا النار هي التي سبق إعدادها وهي مُهيَّأة أصلاً كعقاب أبدي للشيطان وكل جنوده، وهي ليست ناراً مادية بأي حال من الأحوال، ولكن النار المادية تعطي صورة لبعض مفعولها الإحراقي، فهي تحوِّل الكيان إلى عدم، وتُصوِّر القسوة في المعاناة كعقاب دائم. والنار الأبدية لا يمكن إحاطة الفكر بشناعة فعلها، ولا يمكن تصوُّر حياة فيها العدم، ولكن المسيح ركَّز عليها كنهاية للحياة المرفوضة وعقاب أبدي للمقاوم والمضاد لمشيئة الله. وعلى كل حال فهذه تمثِّل النهاية الحتمية للرفض الإلهي.

والنار الأبدية تلتصق بجهنم وهي التصوُّر المكاني، وفي المقابل السموات كتصوُّر مكاني للملكوت المعدّ، وذلك منذ خلقة العالم. وهي بالفعل معدَّة لإبليس وملائكته لأنه عصى الله قبل آدم: «ذاك كان قتَّالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق، لأنه ليس فيه حق» (يو ٨:٤٤)، «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحيَّة حواء بمكرها، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح» (٢كو ١١:٣). وعصيان إبليس لم يكن له ندم ولا توبة لأنه تعالى على الله فسقط من رتبته ولن يعود إليها هو وجنوده. ويُضَمُّ إليهم الذي يُغْوَى بغوايته من بني آدم. ولكن النار الأبدية هي أصلاً نصيب إبليس وجنوده ولم تُعدُّ أصلاً لبني آدم، لأن المسيح قد تبنَّى قضية آدم وبنيه جميعاً وبلا استثناء، وكسب قضيتهم أمام الله الآب وربحهم جميعاً للملكوت. ولكن الذين يرفضون الابن يرفضون خلاصهم ونصيبهم المعدّ في الملكوت ليختاروا بإرادتهم نصيب إبليس وجنوده: «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله.» (يو ٣:٣٦)

وواضح الحق والعدل في دينونة الهلاك للإنسان الذي يرفض المسيح، فالمسيح هو الذي أقام حياة الإنسان بدمه وروحه وحياته، وصالحها بالآب وضمن ميراثها في الملكوت السمائي في نفسه. لذلك فإنَّ رَفْض المسيح الإرادي وعن دراية وإصرار معناه في واقعه هدم حياة الإنسان التي تمثِّلها النار الأبدية. بهذا يكون واضحاً جداً أمام ضمير القارئ أن الدينونة التي يقضي بها المسيح على الذين على اليسار هي نفسها التي قضى بها أصحابها على أنفسهم. فالذي أنكر النعمة وداس ابن الله وازدرى بدم العهد واحتقر الخليقة الجديدة، أي الحياة الأبدية، ماذا تبقَّى له عند الديَّان؟

٢٥:٤٢و٤٣ «لأنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَلَمْ تَأْوُونِي. عُرْيَاناً فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضاً وَمَحْبُوساً فَلَمْ تَزُورُونِي».

الآن وقد نطق المسيح نطقه المريع: «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية» كُنَّا نظن تماماً أن جريمتهم شنيعة كالقتل أو الزنا أو التجديف أو عبادة الأوثان: الخطايا التي تـؤدِّي إلى عقوبة الهلاك على الأرض. ولكن يأتي المسيح هنا وينسب إليهم امتناعهم عن أعمال الرحمة والمحبة والمواساة والملاطفة لجماعة المساكين والفقراء والمظلومين والمطرودين، ولا يزيد عن هذه الأعمال شيئاً، بل ولربما كان فيهم مَنْ يواظب على الكنيسة ويستمع إلى الوعظ.

هذا ما يُذْهِل العقل ويبلبل الفكر التقليدي الذي عاش على الوعظ و لم يتعمَّق فكر المسيح وإيمانه. فهؤلاء القوم الذين يتكلَّم عنهم المسيح وعن خدمتهم هم حثالة القوم ورواسب المجتمع، وهو نفسه سمَّاهم "إخوته الأصاغر". والعجيب أن المسيح لم يتكلَّم هنا بفكر العهد القديم عن العناية بالأب والأم والقريب، بل و لم يربط الدينونة بالأعمال الكبرى أو الخطايا الكبرى أو بالمغفرة كما كُنَّا ننتظر، ولكن كانت أهم مبادئه: «إني أريد رحمة لا ذبيحة» (مت ١٢:٧). لم يعُدْ لهؤلاء عذر، فلا طالبهم بالمواهب، أو الربح، ولا طالبهم بخطاياهم وعدم توبتهم، ولا طالبهم بناموس ولا تقاليد، ولكنه طالبهم بالذي له فقط؛ بلحمه وعظامه، بجسده العريان الجائع والغريب والمشرَّد وليس مَنْ يستر أو يرحم، لم يطالبهم بما لهم ولكنه طالبهم بالذي له، بالحياة التي منحهم بذرتها وبالإيمان الذي سلَّمهم في المعمودية والشركة. ولما لم يوفُّوه ما له طالبهم به، فأخذ منهم حق الحياة التي منحهم مجاناً، والإيمان والدم الذي ازدروا به وداسوه، فلم يعُدْ لهم عنده إلاَّ العدم، ابن آدم من التراب وإلى التراب يعود، إلى النار التي تعيد التراب إلى التراب، وما كان المسيح في ذلك قاسياً ولا ظالماً.

٢٥: ٤٤-٤٦ «حِينَئِذٍ يُجِيبُونَهُ هُمْ أَيْضاً قَائِلِينَ: يَارَبُّ مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً أَوْ عَطْشَاناً أَوْ غَرِيباً أَوْ عُرْيَاناً أَوْ مَرِيضاً أَوْ مَحْبُوساً وَلَمْ نَخْدِمْكَ؟ فَيُجِيبُهُمْ قَائِلاً: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا. فَيَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ».

أما "مباركي أبي"، فقد قالوا ما يقوله هؤلاء المرفوضون: يا رب متى رأيناك جائعاً؟ ولكنهم أطعموا باسمه الجياع، فأطعموه وكسوا العريان باسمه فكسوه، و لم يدركوا أنهم كنزوا لهم كنزاً في السموات لا يفنى. لم يبحثوا عن المسيح ليسقوه ولكنهم سقوا باسمه كل عطشان وجدوه فسقوه. فَسُرَّ المسيح بعملهم سرور العطشان إذا ارتوى.

أما هؤلاء فجاءهم المسيح متخفياً في إنسان جائع يطلب لقمة فما أعطوه، فارتد المسيح جائعاً

محسوراً لمّا ارتد الفقير المسكين من أمام دارهم جائعاً. فليس القاتل وحده هو الـذي يزهق الأرواح، بل والذي يمنع الرحمة عن المدنف إلى الموت جوعاً وعرياً ومرضاً، وليس مَنْ يرد الحياة بدواء أو يستر الجسد من مرض وألم وعذاب. يقولون متى رأيناك جائعاً؟ ومتى يكون المسيح جائعاً إلاَّ في هؤلاء؟ هل كان انتظارهم أن ينزل مع ملائكته يطلب حسنة؟ المسيح لم يعُدْ يُرى على الأرض إلاَّ في جسده الذي تركه للإنسان كي يجمع شمله ويرعى أعضاءه: «بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا». لا مجازاً ولا مثالاً ولا تجاوزاً ولا تصوراً يقول المسيح هذا، بل حقاً وبالحقيقة يعيش المسيح في هؤلاء المساكين المستضعفين بلحمه وعظامه!! فهو منذ البدء ارتضى أن يصير أولاً كإنسان، ثم بعد ذلك أخذ شكل العبد المُهان!! فلما صلبوا العبد المُهان وارتفع وجلس على عرشه أعلى السموات، ترك بصمته وهويته في كل عبد مُهان، ليترك فرصة متجددة للمستهزئين به، ويمتد الاختبار لِمَنْ يشك، ومَنْ يجرِّب، ومَنْ يستهزئ، ومَنْ يجلد، ومَنْ يصلب. فقصة المسيح ليست قصة رواها الزمن وفات، بل لا تزال هي عمانوئيل الله معنا، هو كما هو بذات الميلاد في المذود وذات الجلجثة وذات الصليب، وذات التلاميذ الأوفياء والمريمات والكتبة والفرِّيسيين والشامتين والحاقدين وقابضي الثلاثين!! وكلٌّ يأخذ دوره.

والعجب بعد ذلك أن يقول الذين على اليسار: أين رأيناك، فالذين رأوه رؤيا العين ما رحموه، بل لطموه وتفلوا عليه وصلبوه! والإيمان والحب والبذل ليس هو برؤيا العين بل بعمل القلب وفعل الروح. فالذين تبعوه إلى الحياة الأبدية معه يسيرون، والذين أنكروه ما لهم وللحياة.

لقد كان المعيار الأعظم الذي رفعه المسيح لخدمة الملكوت هو أن: «المساكين يُبشَّرون»! وتركه هو هو ميراثاً لتلاميذه ولكل الكارزين بعد أن قنَّنه في عظة الجبل: «طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات». وهكذا صاروا فخر البشرية وأهل بيت الله، بل وهم المسيح منظوراً في كل جائع يتلوى ومريض وعريان وغريب بلا مأوى.

مَنْ كان يصدِّق أن هؤلاء، وهؤلاء فقط، استطاعوا أن يقسموا البشرية طُرًّا إلى يمين يسعد وشمال يتعذب!! وهم هم أنفسهم زكُّوا مَنْ له إيمان ابن الله الذي يكافأ بالحياة الأبدية، وفضحوا مَن لا إيمان له فجوزي بغضب الله يمكث عليه. وكأنَّ المسيح قد سلَّم شفاعته لمَّا صعد إلى السماء إلى هؤلاء العرايا والجياع ومساكين الأرض ليتولُّوا الشفاعة عوضاً عنه أو باسمه!!؟ وهكذا صار للفقراء والمساكين كرامة كل كنيسة وبابها المفتوح على أُذن المسيح وقلب الله. وصدق قول صاحب الأمثال: «مَنْ يرحم الفقير يقرض الرب، وعن معروفه يجازيه» (أم ١٩:١٧)، و«مَن يسدُّ

أُذنه عن صراخ المسكين فهو أيضاً يصرخ ولا يُستجاب» (أم ٢١:١٣)، و«مَنْ يعطي الفقير لا يحتاج، ولِمَنْ يحجب عنه عينيه لعنات كثيرة» (أم ٢٨:٢٧)، «امرأة فاضلة مَنْ يجدها... تبسط كفّيها للفقير وتمد يدها إلى المسكين.» (أم ٣١: ١٠و٢٠)

وهكذا يتزاحم أدب العهد القديم مع روح العهد الجديد لحساب الفقير والمسكين وذي الحاجة والعريان!!

وعن طريق الفقير والمسكين نتلاقى مع المسيح أينما وكلما وجدناه!! هذا التقطناه من لاهوت الدينونة وتعليم اللحظة الأخيرة. وكأن الكنيسة أصبح عليها أن تبحث عن نفسها وعن عريسها في بيوت الفقراء وعشش المساكين وأصحاب العشوائيات والتائهين في الطرقات والزبالين والضالين عن بيوت آبائهم!! وصدق قول الملك صاحب وليمة العُرْس بأن: «اخْرُج إلى الطرق والسياجات وألزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتي» (لو ١٤:٢٣)!! وهكذا أصبحوا ملء البيت!! ولم نَرَهم!!

وكان هذا آخر ما علّم به المسيح!!

الأصحاح السادس والعشرون

- مؤامرة رؤساء الكهنة (٢٦ : ١ – ٥)
- مسحة الموت المعطّرة للجسد (٢٦:٦ – ١٣)
- اتفاق يهوذا مع رؤساء الكهنة (٢٦: ١٤–١٦)
- الإعداد للفصح (٢٦: ١٧–١٩)
- العشاء الأخير (٢٦:٢٠–٣٥)
  - اتهام المسيح العلني للخائن (٢٦:٢٠–٢٥)
  - عشاء الرب (٢٦:٢٦–٣٠)
  - محنة التلاميذ: جميعكم تهربون وأولكم ينكرني (٢٦:٣١–٣٥)
- صلاة جثسيماني وسر الكأس (٢٦:٣٦–٤٦)
- التسليم والقبض (٢٦:٤٧–٥٦)
- المحاكمة أمام السنهدرين (٢٦:٥٧–٦٨)
- إنكار بطرس ثلاث مرّات (٢٦:٦٩–٧٥)

تقسيم إنجيل القديس متى بحسب رؤية توراتية
وموقع موت المسيح فيه(١)

لا نستطيع أن نعبر على التقسيم الذي صنعه القديس متى في إنجيله كما تكلَّمنا في المقدِّمة(٢)، دون أن نشير إليه الآن ونحن نختم على القسم الخامس وهو الأخير، إذ قام به ق. متى جاعلاً من إنجيله مقابلاً بديلاً للتوراة ذات الخمسة أجزاء: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية. ليجعل من الإنجيل البديل الليتورجي لخدمة القراءات في المجمع، الأمر الذي اتخذته الكنيسة الأُولى بالفعل. حيث أن القراءات الليتورجية تمثِّل الجزء الأول من خدمة الكنيسة، يليها مباشرة خدمة الذبيحة الإفخارستيا (الفصح قديماً)، هذا الذي نراه واضحاً للغاية في تقسيم ق. متى. على أن ق. متى جعل الأصحاحين (١،٢) قبل بداية التقسيم، وجعل الأصحاحات (٢٦-٢٨) بعد نهاية التقسيم:

القسم الأول: (أ) الجزء الروائي: (٣:١-٢٥:٤)

(ب) العظة على الجبل: (١:٥-٢٧:٧)

ختام القسم الأول: «**فلمَّا أكمل يسوع هذه الأقوال** بهتت الجموع من تعليمه، لأنه كان يعلِّمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة.» (٢٨:٧و٢٩)

القسم الثاني: (أ) الجزء الروائي: (١:٨-٣٥:٩)

(ب) حديث عن الإرسالية والاستشهاد: (٣٦:٩-٤٢:١٠)

ختام القسم الثاني: «**ولمَّا أكمل يسوع أمره لتلاميذه** الاثني عشر انصرف من هناك ليعلِّم ويكرز في مدنهم.» (١:١١)

القسم الثالث: (أ) الجزء الروائي والمجادلة: (٢:١١-٥٠:١٢)

(ب) تعليم عن ملكوت السموات: (١:١٣-٥٢)

ختام القسم الثالث: «**ولمَّا أكمل يسوع هذه الأمثال** انتقل من هناك.» (٥٣:١٣)

القسم الرابع: (أ) الجزء الروائي والمجادلة: (٥٤:١٣-٢١:١٧)

(1) Krister Stendahl, *The School of St. Matthew and its Use of Old Testament*, p. 25.

(٢) راجع المقدِّمة صفحة ١٠٨-١١١.

(ب) حديث لتدبير الكنيسة: (١٧:٢٢-١٨:٣٥)

ختام القسم الرابع: «**ولمّا أكمل يسوع هذا الكلام** انتقل من الجليل، وجاء إلى تخوم اليهودية من عبر الأُردن.» (١:١٩)

القسم الخامس: (أ) الجزء الروائي والمجادلة: (١٩:٢- ٢٢:٤٦)

(ب) حديث الأُخرويات والوداع: (٢٣:١-٢٥:٤٦)

ختام القسم الخامس: «**ولمّا أكمل يسوع هذه الأقوال "كلها"**، قال لتلاميذه: **تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يُسلّم ليُصلب.**» (٢٦:١)

وهكذا يرى القارئ أنه بانتهاء القسم الخامس من إنجيل ق. متى المقابل للكتاب الخامس من التوراة أي سفر التثنية، يأتي بعده مباشرة ختام القسم الخامس الذي يقول: «**ولمّا أكمل يسوع هذه الأقوال "كلها" قال لتلاميذه: تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يُسلّم ليُصلب**». معنى هذا في ترتيب الإنجيل أن بعد إنجيل التعليم الذي استغرق الخمسة أقسام، يدخل الإنجيل في تسليم المسيح ليُصلب!

فلو عدنا إلى ترتيب الخمسة أسفار نجد نفس الوضع تماماً، إذ بعد أن أكمل موسى تعليمه للشعب أمره الرب أن يموت!!

+ «**ولمّا فرغ موسى من مخاطبة جميع إسرائيل "بكل" هذه الكلمات**، قال لهم وجّهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التي أنا أشهد عليكم بها اليوم لكي توصوا بها أولادكم ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة ... وكلّم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً: اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكاً **ومُت في الجبل الذي تصعد إليه.**» (تث ٣٢: ٤٥-٥٠)

فلو وضعنا القولين باختصار يكونان هكذا:

في الإنجيل: «**ولمّا أكمل يسوع هذه الأقوال "كلها"** قال لتلاميذه: تعلمون أنه بعد يومين يكون **الفصح وابن الإنسان يُسلّم ليُصلب**».

في التوراة: «**ولمّا فرغ موسى من مخاطبة جميع إسرائيل "بكل"** هذه الكلمات، ... كلّم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً: ... **مُت في الجبل** الذي تصعد إليه».

والفارق بين الوضعين لا يزال كبيراً للغاية، لأن بعد أن أكمل موسى التوراة مات، ولكن موته لم يكن له أي أثر رجعي على التوراة، فلم يدخل موته في التوراة وانحصر موته في مجرَّد تاريخ إسرائيل.

أمَّا في الإنجيل فبعد أن أكمل المسيح تعليمه صُلب، فكان موته موتاً كفَّارياً من أجل العالم كلـه، فدخل موته في صميم الإنجيل ليحتل موضع القلب للجسد كله. وهكذا تحتَّمت العودة للتعليم بالصليب والموت والقيامة بأثر رجعي على كل ما علَّم به المسيح، ومُضافاً إلى التعليم كفعل سرائري لمغفرة الخطايا وحياة أبدية لكل مَنْ يؤمن بموته وقيامته.

بهذا التقديم نفهم لماذا قسَّم ق. متى إنجيله إلى جزء تعليمي ليتورجي بالكلمة ـ ويشمل الخمسة أقسام من الأصحاح الثالث حتى نهاية الأصحاح الخامس والعشرين ـ وجزء سرائري يتضمَّن موت المسيح وقيامته ـ من الأصحاح السادس والعشرين حتى الثامن والعشرين. وعلى هذا التقسيم قسَّمت الكنيسة خدمتها إلى جزء لخدمة الكلمة بالقراءة والوعظ، يتبعه الجزء المكمِّل لخدمة الذبيحة (الإفخارستيا) بالتسبيح والشكر وبالتناول من السرائر المقدَّسة للشركة وقبول عربون الحياة الأبدية.

والكنيسة تستكمل الإنجيل الليتورجي كُلّه بالكلمة على مدار السنة، وتخصِّص الأسبوع الأخير قبل الفصح للجزء الخاص بالفصح، أي آلام الرب والصلبوت. أمَّا في كل الأيام التي تقام فيها العبادة الرسمية ـ كيوم الرب مثلاً ـ فإن الخدمة تبدأ بالجزء التعليمي ثم يليه الجزء السرائري الخاص بالإفخارستيا والشركة.

مقـــدِّمة

مشورة رؤساء الكهنة أن لا يُقبض على المسيح في العيد خوفاً من الشعب
وا لله يصمِّم أن يتم تقديم "حمله الوديع" في ميعاد الفصح تماماً ليكون فصحاً للعالم

- **المشورة الإلهية الحتمية = «تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح، وابن الإنسان يُسلَّم ليُصلب.» (٢٦:٢)**
- **مشـورة رؤساء الكهنة = «وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكـر ويقتلوه. ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلاَّ يكون شغب في الشعب.» (٢٦:٤)**
- أمَّا هم فقالوا: ليس في العيد، أمَّا هو فقال: بل في العيد.
- يسوع "الذبيحة" وافق على الذبح ولكنه حدَّد لنفسه الميعاد حتى يعلم العالم كله أنه هو الذي تقـدَّم إلى الصليب بإرادته وحده. وإذ تمت مشورة المسيح كما قال، أثبت أنه يموت لأجل العالم حقـًّا.
- لقد سبق ودخل المسيح أُورشليم في موكبه الملكي أثناء الاحتفال قبل العيـد وملايين الحجاج يملأون المدينة، وهتف له تلاميذه والجموع الذين تقدَّموا والذين تبعوا قائلين أُوصنَّا لابـن داود. مبارك الآتي باسم الرب. والأولاد يصرخون في الهيكل ويقولون أُوصنَّا لابن داود. ولَّما طلب منه رؤساء الكهنة أن يسكتهم، تمادى هو وأخبرهم بما معناه أن الأولاد إنما يتمِّمون "نبوَّة مجيء المسيَّا"، وإن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ لأنـه الابـن الوحيـد الخـالق. وهكـذا أحـرج السنهدرين بأجمعه ودفعه لكي يعجِّل بمشورته للقبض والصلب.
- «فقال الفريسيُّون بعضهم لبعض: انظروا إنكم لا تنفعون شيئاً هـوذا العـالم قـد ذهـب وراءه» (يو ١٢:١٩). وهكذا نجحت مشورة المسيح أن يدخل أُورشليم كملك.
- وفي ليل عشاء الفصح قطع المسيح في الأمر نهائياً وكشف عن التلميـذ الخـائن وأعطـاه اللقمـة وتحدَّاه قائلاً: «ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة» (يو ١٣:٢٧). وهكذا خرج ذلك التلميـذ في الحال وتمِّم المشورة مع رؤساء الكهنة.

من كل هذه اللمحات ندرك كيف ضغط المسيح على السنهدرين أن ينفِّذ خطته في العيد. كما حـدَّد المسيح لنفسه زمان ومكان صلبه. وبهذا يكشف المسيح عن سلطانه على الإنسان والزمان والمكان.

ولقد وصف ق. بطرس بعد أن أفاق من صدمته، بعد القيامة ونَيْل قوة الروح القدس، وصف مشورة ا لله هذه رغماً عن أنف رؤساء الكهنة بشجاعة وعلانية باهرة: «أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قِبَل ا لله بقوات وعجائب وآيات صنعها ا لله بيده، في وسطكم، كما أنتم أيضاً تعلمون. هذا أخذتموه **مُسلَّماً بمشورة ا لله المحتومة وعلمه السابق**، وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه. الذي أقامه ا لله» (أع ٢: ٢٢-٢٤). وهكذا كشف ق. بطرس عن "مشورة ا لله الحتمية كيف أُسلم"، و«مشورة الأثمة كيف صُلب». وهكذا وبهاتين المشورتين المتضادتين: مشورة ا لله ومشورة الخطاة، أكمل ا لله فداء الإنسان وخلاصه. فلولا مشورة الأثمة التي مثَّلها رؤساء الكهنة بإتقان ما كان قد أُكمل صلب ابن ا لله وتمَّ الفداء. وهكذا بقوة إلهية وحكمة فائقة ترك ا لله الخطية والخطاة يتمِّمون أقصى إثمهم وخطيتهم في صلب ابن ا لله، لكي بقيامته يُلْغِي سلطان الخطية والخطاة ويدوس الموت ويحرِّر الإنسان.

ولكن ليهتم القارئ أعظم اهتمام بالقول الذي سجَّله ق. متى هنا: «**ولمَّا أكمل يسوع هذه الأقوال كلها**» أي الإنجيل!! قال لتلاميذه ما معناه قد أتت الساعة!! التي طالما قال عنها إنها لم تأتِ بعد. الآن وبعد أن أكمل كل ما اشتهى أن يقوله ويعلِّم به، قدَّم نفسه للفدية!! ولاحظ هنا أنه لحظة أن أكمل الإنجيل طلب أن يُسلِّم نفسه، وقبل هذه اللحظة كان مستحيلاً على أي قوة آثمة أو شريرة أن تمسّه! «فطلبوا أن يمسكوه، ولم يُلقِ أحدٌ يداً عليه لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد» (يو ٧: ٣٠). إذن، فصلبه وموته لم يكن من عمل الناس أو الشيطان أو الظروف. فالمسيح أثبت من أقواله أنه سيد الخليقة بإنسانها وبزمانها ومكانها وظروفها: «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها (أُقيمها) أيضاً!!» (يو ١٠: ١٨)

ولو نظرنا بعين الرؤيا الفائقة للمسيح وسط تلاميذه ليلة العشاء جالساً هادئاً يتحدَّث عن بلوغ الساعة زمانها، وهو يشرح لهم منتهى حبه ومنتهى ثقته: «أمَّا يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحبَّ خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى.» (يو ١٣: ١)؛ ثم نظرنا رؤساء الكهنة مع الخائن وشهود الزور مرتبكين ومملوئين حقداً وغضباً ومرارة، يتشاورون كيف يمسكونه بمكر وكيف يقتلونه ليس في العيد خوفاً من الشعب: «فدخل الشيطان في يهوذا الذي يُدعى الإسخريوطي وهو من جملة الاثني عشر. فمضى وتكلَّم مع رؤساء الكهنة وقوَّاد الجند كيف يسلِّمه إليهم. ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة. فواعدهم. وكان يطلب فرصة ليسلِّمه إليهم خلْواً من جمع.» (لو ٢٢: ٣-٦)؛ ثم دقِّق أيها القارئ العزيز وارفع بصرك لتبصر ما حقَّقه الله بحسب هذين المنظرين والاجتماعين بعد أن انحسر الزمان عن هذا وذاك؛ ألا ترى الملكوت كيف كمل وجهنم كيف صُنعت؟ والإنسان، الإنسان شريك هذا وصانع تلك!!

مؤامرة رؤساء الكهنة

[٢٦:١-٥]

(مر ١٤:١و٢)،
(لو ٢٢:١و٢)،
(يو ١١:٤٥-٥٣)

٢٦:١و٢ «وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هـذِهِ الأَقْوَالَ كُلَّهَا قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ الْفِصْحُ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصْلَبَ».

هذا الخبر يختم به ق. متى إنجيل التعليم ليبدأ إنجيل السر الأعظم الذي عليه يقوم كل التعليم، سر الموت الإرادي والقيامة بسلطانه وحده. وقد أوضح المسيح مضمون إنجيل التعليم بالتبعية أي اتباع الرب بالخضوع والطاعة لتعليمه، وإنجيل سر الموت والقيامة بحمل الصليب. فالذي يريد أن يكون للمسيح تلميذاً عليه أن يحمل صليبه (سر الموت والقيامة)، ويتبع كل ما قاله المسيح وعلَّم به. فالذي لا يشترك في موت المسيح وقيامته عسير عليه أن يتبع تعاليم المسيح. وحينما يحين الوقت سنشرح بالتفصيل كيف نشترك بل كيف اشتركنا في آلام المسيح وفي صلبه وموته ودفنه وقيامته وجلوسه عن يمين الآب. ولكن يكفينا الآن أن ندرك أن إيماننا بموت المسيح وقيامته منحنا هذه النعمة العظمى أن صرنا شركاء موته وقيامته. فالآن نحن داخلون على السر الأعظم لخلاصنا. لذلك وجب على القارئ أن يهيئ قلبه ليتقبَّل حقائق الإيمان المسيحي من واقع الحوادث القادمة.

«بعد يومين يكون الفصح»:

معروف أن المسيح صنع العشاء الأخير يوم الخميس بحسب إنجيل ق. يوحنا بعد الغروب، وحُسب ذلك عشاءً للفصح، لأن يوم ١٤ نيسان وقع في تلك السنة يوم جمعة بحسب ق. يوحنا، واليوم يُحسب من بعد غروب الشمس. لذلك يكون حديث الرب هنا لتلاميذه يوم الثلاثاء(٣). وهذا هو اليوم الذي عبرنا عليه في أصحاح (٢١:٢٠) الذي لعن فيه الرب التينة، لأن بعد لعن التينة استمر الحديث. وهذا هو جزء منه! نرجو من القارئ الرجوع إليه لجمع شمل المعنى.

«وابن الإنسان يُسلَّم ليُصلب»:

واضح أن التسليم سيكون يوم الفصح، وتحديداً سيكون من مساء الخميس ليوم الجمعة. على أن

(3) W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 895.

الصلب نفسه كان الجمعة. على أن قول الرب إن «ابن الإنسان يُسلَّم ليُصلب» مقولة تحمل الإرادة الذاتية الحاضرة، لأنه قال: «أنا هو الراعي الصالح. والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو ١٠:١١)، «وأنا أضع نفسي عن الخراف» (يو ١٠:١٥)، لأن سر الفداء والخلاص كله سيتعلّق بالموت الإرادي. لهذا اهتمَّ القديس متى بغاية السرعة والدقة لكي يضع إرادة المسيح أولاً بأنه يُسلَّم ليُصلب. وبعدها يسجِّل على رؤساء الكهنة مؤامراتهم التي انتهت بالفشل، إذ كانوا قد خطَّطوا لكي لا يُقبض عليه أو يُحاكم أثناء العيد. ولكن إرادة الله والمسيح هي التي انتصرت وبإصرار وتمَّ ذبح الحمل الوديع، حملِ الله الذي يرفع خطية العالم، في يوم عيد الفصح، ليُلغي فصحُ المسيح الأبدي والروحي الفصحَ المحدود القديم لخلاص من عِتقٍ جسدي: «اذكروا الأوليات منذ القديم، لأني أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلي. مُخبرٌ منذ البدء بالأخير، ومنذ القديم بما لم يُفعل قائلاً رأيي يقوم وأفعل كل مسرَّتي» (إش ٤٦:٩و١٠)، «قد تكلَّمت فأُجريه قضيت فأفعله.» (إش ٤٦:١١)

٢٦:٣ «حِينَئِذٍ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ الَّذِي يُدْعَى قَيَافَا».

«حينئذ»: τότε

هذه الكلمة هي ظرف زمان يفتتح بها ق. متى المنظر الدرامي لكل آلام ومؤامرات الفصح. فهو يعطي بهذه الكلمة حركة البدء الزماني بعملية المؤامرة التي امتدَّت حتى إلى ما بعد الصليب. وكأنه بهذه الكلمة يكون ق. متى قد خطا أول خطوة داخل المؤامرة الكبرى. وهنا اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ الذين يكوِّنون معاً السنهدرين في هيئته المسئولة عن الأمة. ويُلاحِظ القارئ أن الفريسيِّين قد أسقطهم ق. متى منذ هذه اللحظة فلم يظهروا لا في المؤامرة ولا في المحاكمة ولا الصلب. وواضح جداً أنهم كانوا متعاطفين مع قضية المسيح. على أن غياب الفريسيِّين من أُورشليم يعني من وجه آخر طغيان الكهنة في العاصمة ويساعدهم شيوخ الشعب. وقيافا كان مسئولاً من سنة ١٨م حتى سنة ٣٦م، ولكن حنَّان حماه كان هو القوة الفعَّالة.

«اجتمع معاً»: συνήχθησαν

والكلمة اليونانية وترجمتها العربية تذكرنا فوراً بالمزمور الصارخ: «قام ملوك الأرض وتآمر **الرؤساء معاً συνήχθησαν** (السبعينية) على الرب وعلى مسيحه (قائلين): لنقطع أغلالهما ونطرح نيرهما عنَّا» (مز ٢: ٢و٣). واضح أن الحوادث الأخيرة من دخول المسيح كملك إلى أُورشليم والهيكل، بعد إقامة لعازر من الموت (يو ١١: ٤٥-٥٣)، ثم الأمثلة الموجَّهة لهم، وإعطاء

السبعة ويلات ضد الكتبة والفريسيِّين عجَّلت بجمع النفوس الحاقدة.

٢٦: ٤و٥ «وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يُمْسِكُوا يَسُوعَ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُوه. وَلكِنَّهُمْ قَالُوا: لَيْسَ فِي الْعِيدِ لِئَلاَّ يَكُونَ شَغَبٌ فِي الشَّعْبِ».

كان همّهم الأعظم أن يمسكوه أولاً، لأنه تهيَّأ لهم أنهم بتقييده يوقفون خطره؛ ولكنهم كانوا في وهم، فالمسيح عمل من واقع قيوده كل مشيئة نفسه، إذ استغل قيوده ووقف أمام الحاكم الروماني بل ورؤساء الكهنة أنفسهم "كخاطئ". وهذا كان منتهى مشيئة حرية نفسه إن لم تكن شهوة روحه، إذ أنها غاية تجسُّده ونهاية إخلائه لذاته، أن يقف ليُحاكم "كخاطئ" ويقبل كل الأحكام بمنتهى الرضى، بل ويموت كخاطئ، لأنها كانت الفرصة الإلهية الوحيدة ليتحمَّل خطايا كل الخطاة ويموت بها كعقوبة فيلغيها ويقوم مبرِّراً الإنسانية كلَّها.

«بمكر»: δόλῳ

تفيد الخلسة والتلصُّص. وهي تكشف عن أخلاقهم وسلوكهم وكل أدواتهم في هذه القضية. مع أن المسألة مع ضمير المسيح منتهية ولا تحتاج إلى غش أو مكر أو خداع، فهو قد سلَّم نفسه.

«قالوا»: ἔλεγον δέ

والكلمة تفيد الإصرار والاستمرار في القول: «كانوا يقولون ... (باستمرار)». والسبب هو خوفهم وذعرهم من الشعب. وواضح من هذا الحديث والخطة والخوف والفزع من الشعب، أنهم دبَّروا كيف يمسكونه في جثسيماني بقيادة الخائن يهوذا، وأن يكون ذلك ليلاً حتى يستفيدوا من الظلام، وبعيداً عن أُورشليم والهيكل، فرتَّبوا أن يكون في جبل الزيتون مكان راحته. وهكذا وفَّر لهم يهوذا كل قصدهم بعيداً عن أي احتمال لشغب يحدث بواسطة الشعب. وهكذا دخل تاريخ القبض على المسيح مستوى الدراسة والتكتيك الحديث بعيداً عن أنظار الشعب ليكشف عن أعظم خيانة حدثت في تاريخ العالم، ليس للمسيح باعتباره مخلِّص وفادي البشرية، بل وبالنسبة لشعب كان يحبّه وقد تعلَّق به. فهنا جناية خُلُقِيَّة واجتماعية وسياسية وقضائية معاً. فالغش والمكر والخداع ونيَّة القتل الباطل بشهود زور رافقت قضية تسليم المسيح من أول خطوة حتى الصلب. وأشدّها كان أثناء المحاكمة إذ أخفى رؤساء الكهنة صوت القاضي والحاكم ببراءة المتهم ثلاث مرَّات، وذلك بإثارة حوقة مرتزقة وجنودهم المرتزقة والغوغاء المأجورين وبأصواتهم هم، بصراخ وضجَّة مفتعلة لإخافة القاضي وبتهديده برفع القضية لقيصر!! وبرفع الفكر والنظر إلى لحظة واحدة يدرك القارئ قبل المحاكمة وبدونها ماذا سيكون مصير هذا الشعب وهذه الأُمة وهذا الكهنوت المزيَّف.

مسحة الموت المعطِّرة للجسد

[٢٦: ٦-١٣]

(مر ١٤: ٣-٩،
يو ١٢: ١-٨)

مسحة الجسد بالرائحة الذكية من أجل تكفينه حيًّا

كان الطيب المسكوب على الجسد الحي من أجل تكفينه في بيت عنيا أول شركة مقدَّسة صادقة في موت المسيح. كانت هذه المسحة الأخيرة أول عبادة مقدَّسة للجسد الإلهي الذي ارتفع إلى السماء حيًّا ليحيي جسم البشرية ويبرِّرها. لقد رد المسيح طيب الناردين مضاعفاً باقياً أبداً لجسد البشرية الذي اتحد به ومنحه روحه وحياته وبنوَّته، بأن أجلسه عن يمين أبيه. وارتد تذكار هذه المحبة الخالصة الكثيرة الثمن لصاحبته من دور فدور وفي كل كنيسة وقلب كل عابد في العالم كله. ولقد صار ناردين البشرية المسكوب على جسد المسيح مدخلاً بديعاً للآلام ونبوَّة عن قيامة عتيدة تعطِّر تاريخ الإنسانية!

٢٦: ٦و٧ «وَفِيمَا كَانَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ عَنْيَا فِي بَيْتِ سِمْعَانَ الأَبْرَصِ، تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ مَعَهَا قَارُورَةُ طِيبٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ، فَسَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ مُتَّكِئٌ».

كان ذلك بحسب إنجيل ق. يوحنا (١٢: ١) قبل الفصح بستَّة أيام وبحسب الأيام كان مساء السبت ٨ نيسان.

القديس متى عاشق للمقارنات، يضع قصة العطر والمسحة في بيت مريض شفاه المسيح، في مقابل بيت رئيس الكهنة الذي تفوح منه رائحة الدم والنتانة تتصاعد من أفواه وبطون الكبراء والرؤساء والمرؤوسين والمأجورين.

هنا يعف ق. متى أن يمس بكلمة تلك المرأة صاحبة المحبة المحفوظة في قارورة الطيب إلى اليوم الذي ينبغي أن تخرج منه، لتعطي للجسد كرامته بل قداسته، إن لم يكن في أعين رؤساء الكهنة ففي عين الكنيسة إلى أبد الدهور. فالذي يمسح الجسد المسحة الأخيرة كاهن هو وأعظم من كاهن، فلمَّا خذل الكهنوت صَنْعَتَهُ واشتغل بالمؤامرات والقتل، قامت امرأة في إسرائيل كدبُّورة ترفع قرن الكهنوت عالياً وتطرح حقد التلاميذ وجشع يهوذا أرضاً لتقول قول دبورة: «دوسي يا نفسي بعزٍ»

أنها مريم أخت لعازر - التي لفتت نظر الكنيسة بقوة نحو حياة الجلوس تحت قدمي الرب باعتباره اختيار النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها (لو ١٠:٤٢)، أفضل مما اختارت مرثا بالارتباك والاهتمام بأمور الخدمة الكثيرة. ثم تعود هنا وتظهر بقارورة طيبها التي لم تكن إلاَّ حياتها تكسرها وتدهن بها الجسد لتطيِّبه حبًّا فأراحت نفسه، وردَّ جميلها بأجمل منه إذ جعل حياتها هذه سواء بجلوسها تحت قدميه تسمع وتتأمَّل فيما تسمع، أو بتحويشة العمر لتسكبها على رأسه والجسد وتبل رجليه بدموعها كعهد تقوى، وتمسحهما بشعرها لترتد لها مسحة قداسة، جعل حياتها في الكنيسة عملاً وذكرى وتذكاراً حسناً.

١٢:٢٦و١٣ **«فَإِنَّهَا إِذْ سَكَبَتْ هذَا الطِّيبَ عَلَى جَسَدِي إِنَّمَا فَعَلَتْ ذلِكَ لأَجْلِ تَكْفِينِي. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضاً بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ تَذْكَاراً لَهَا».**

لقد كان المسيح يعيش في موته، وكان التلاميذ يفكِّرون في الطيب الكثير الثمن وثمنه الكثير اللائق بالفقراء، بينما كان المسيح يفكِّر في دفن الجسد! لذلك كان صعباً على المسيح أن يفوِّت عليهم خطأ ما قالوه وارتكبوه، وهو يرحِّب بالعمل كجزء كان ضائعاً في قصة دفنه، إذ علم مُسْبقاً أنه سيسلِّم الجسد في آخر لحظات قبل السبت وليس من يحنِّط أو يطيِّب، فلمَّا صنعت مريم بالجسد ما صنعت تعجَّب المسيح إذ بطيبها أكملت قصة الدفن. وهكذا دخلت هذه المرأة دخولاً رسمياً في إنجيل الكرازة بالصليب والموت والقيامة. وكان المسيح أول مَنْ تكفَّن حيًّا. وكان دَهْن جسده بالطيب تعبيراً لاهوتياً عن احتيازه الموت دون أن يُمسك فيه. فالجسد المعطَّر بالناردين الخالص قام برائحته العطرة كما هو ولم يمسّه الموت مسًّا. أكانت هذه المرأة نبيَّة؟ بل كانت أكثر من نبيَّة! فالنبي يقول ما هو آت ولكنها فعلت ما ينبغي أن يأتي!! وكأنها رأت بالرؤيا يوم السبت قد لاح، والجسد معلَّقاً وليس مَنْ يدفن ولا مَنْ يكفِّن، فأسرعت إلى قارورتها وسبقت وكفَّنت في ٨ نيسان ما سوف يكون في (١٤) منه.

إذ حسبوها إتلافاً، ولم يفرِّقوا بين مسرَّة الفقير ومسرَّة النفس الـ
بلغ منها الحزن حتى الموت؟! لم يروا ولم يحسُّوا ولم يفهموا أن المسيح، ونفسه تواجه الخيانة مـ
أحدهم، وكانت كالغصة في حلقه وأشد مرارة من علقم الصليب؛ كان في حاجة إلى بهجة هـ
العطر الذي يهوِّن عنه ظلمة القبر القادمة، ويذكِّره بالقيامة في اليوم الثالث أو الصعود في الأربعين
لقد فات على التلاميذ أن يقدِّموا له كلمة واحدة تسند قلبه، فلمَّا قدَّمت امرأة كل ما عندها تَرْضِيـ

لقلبه المكسور اغتاظوا، فكان غيظهم جحوداً مباشراً لفعل المحبة. أمَّا قولهم بالإتلاف والثمن الكثير والفقراء فكان ستاراً تواروا خلفه ليخفوا غيظهم. ولكن هذا على كل حال لم يُرضِ المسيح!

٢٦: ١٠و١١ «فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُزْعِجُونَ الْمَرْأَةَ؟ فَإِنَّهَا قَدْ عَمِلَتْ بِي عَمَلاً حَسَناً! لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ».

كَشْفٌ فاضحٌ وتقريرٌ لاذع وتعقيب على غيظهم يَرُدُّ غيظهم إلى بطونهم. هم قالوا هذا التصرُّف فيه إتلاف فردّ الرب عليهم وقال هذا الرد فيه إزعاج. هم قالوا أن يُباع أحسن، والمسيح قال إنها عملت الأحسن. هم قالوا الفقراء أفضل والمسيح ردَّ عليهم بل أنا الأفضل! فماذا بقي لمشورة التلاميذ؟ لقد استطاع ق. لوقا في إنجيله أن يرى في تصرُّف التلاميذ هذا عملاً عدائياً للمسيح فاستكثره على التلاميذ فنسبه إلى أحد الفريسيين!! فكان هذا أفضل تعليق على الوضع بأكمله دون أن يجرح التلاميذ وهو بذاته أشد من الجرح!!

تبًّا للمبادئ والأصول وقياس الأفضل مالياً إن كان فيها احتقار للمحبة، ويا ليتها محبة مقدَّسة لإنسان محتاج ولكن لمسيح قادم على الصليب. إن القلم يكاد يخرج عن طاعتي حينما أعيد الفكر فيما صنعه التلاميذ، ولكن شكراً للرب فقد قال ما يكفي. آه لو دري جميع الفقراء بما قاله التلاميذ لتبرعوا بثمن خبزهم شهراً ليقدِّموا نفس قارورة الطيب وفي نفس وقتها ولنفس الغرض ويبقوا هم جياعاً مسرورين إذ يكونون قد قدَّموا طيباً لتكفين الجسد الذي حمل عنهم خطاياهم وفتح لهم باب الملكوت! وكم وكم تحمَّل الفقراء ألوف وملايين من الأموال التي نُهبت على اسمهم وما دروا وما سمعوا عنها شيئاً!! والقديس متى يصمِّم أن يجعل من قصصه تعليماً للكنيسة طالما بقي لها ضمير!!

على أن الدرس الأكبر الذي نخرج به من قول المسيح إنها عملت بي عملاً حسناً وإن الفقراء معكم كل حين، هو أن العبادة لله بالروح أعلى شأناً من إعطاء الحسنات، وتوقير شخص المسيح بالحب أرفع من خدمة الفقير. لذلك نحن نرى في قول ق. مرقس من أجل ترك العالم والأسرة أن يكون ذا اتجاهين هكذا: «من أجلي ومن أجل الإنجيل»، اتجاهاً سريًّا خطيراً لتقنين بيع العالم وما فيه حبًّا للمسيح وحده، وتقديم ذبيحة النفس طوعاً لعبادته، على نفس المستوى تماماً لتقديم الذبيحة لخدمة الإنجيل والكرازة باسمه. وعلى القارئ أن يزنها جيداً، فهي سند إنجيلي قوي للذين كرَّسوا الروح والنفس والجسد لعبادة الرب بالروح والحق!!

لذلك تجدنا أيها القارئ العزيز أمام لغز هذه المرأة ـ التي نعرف بحسب تأكيد إنجيل ق. يوحنا

أنها مريم أخت لعازر - التي لفتت نظر الكنيسة بقوة نحو حياة الجلوس تحت قدمي الرب باعتباره اختيار النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها (لو ١٠: ٤٢)، أفضل مما اختارت مرثا بالارتباك والاهتمام بأمور الخدمة الكثيرة. ثم تعود هنا وتظهر بقارورة طيبها التي لم تكن إلاَّ حياتها تكسرها وتدهن بها الجسد لتطيِّبه حبًّا فأراحت نفسه، وردَّ جميلها بأجمل منه إذ جعل حياتها هذه سواء بجلوسها تحت قدميه تسمع وتتأمَّل فيما تسمع، أو بتحويشة العمر لتسكبها على رأسه والجسد وتبل رجليه بدموعها كعهد تقوى، وتمسحهما بشعرها لترتد لها مسحة قداسة، جعل حياتها في الكنيسة عملاً وذكرى وتذكاراً حسناً.

٢٦: ١٢و١٣ «**فَإِنَّهَا إِذْ سَكَبَتْ هذَا الطِّيبَ عَلَى جَسَدِي إِنَّمَا فَعَلَتْ ذلِكَ لأَجْلِ تَكْفِينِي. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضاً بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ تَذْكَاراً لَهَا**».

لقد كان المسيح يعيش في موته، وكان التلاميذ يفكِّرون في الطيب الكثير الثمن وثمنه الكثير اللائق بالفقراء، بينما كان المسيح يفكِّر في دفن الجسد! لذلك كان صعباً على المسيح أن يفوِّت عليهم خطأ ما قالوه وارتكبوه، وهو يرحِّب بالعمل كجزء كان ضائعاً في قصة دفنه، إذ علم مُسْبقاً أنه سيسلِّم الجسد في آخر لحظات قبل السبت وليس من يحنِّط أو يطيِّب، فلمَّا صنعت مريم بالجسد ما صنعت تعجَّب المسيح إذ بطيبها أكملت قصة الدفن. وهكذا دخلت هذه المرأة دخولاً رسمياً في إنجيل الكرازة بالصليب والموت والقيامة. وكان المسيح أول مَنْ تكفَّن حيًّا. وكان دَهْن جسده بالطيب تعبيراً لاهوتياً عن احتيازه الموت دون أن يُمسك فيه. فالجسد المعطَّر بالناردين الخالص قام برائحته العطرة كما هو ولم يمسّه الموت مسًّا. أكانت هذه المرأة نبيَّة؟ بل كانت أكثر من نبيَّة! فالنبي يقول ما هو آت ولكنها فعلت ما ينبغي أن يأتي!! وكأنها رأت بالرؤيا يوم السبت قد لاح، والجسد معلَّقاً وليس مَنْ يدفن ولا مَنْ يكفِّن، فأسرعت إلى قارورتها وسبقت وكفَّنت في ٨ نيسان ما سوف يكون في (١٤) منه.

اتفاق يهوذا مع رؤساء الكهنة

[٢٦: ١٤-١٦]

(مر ١٤: ١٠و١١)،
(لو ٢٢: ٣ - ٦)

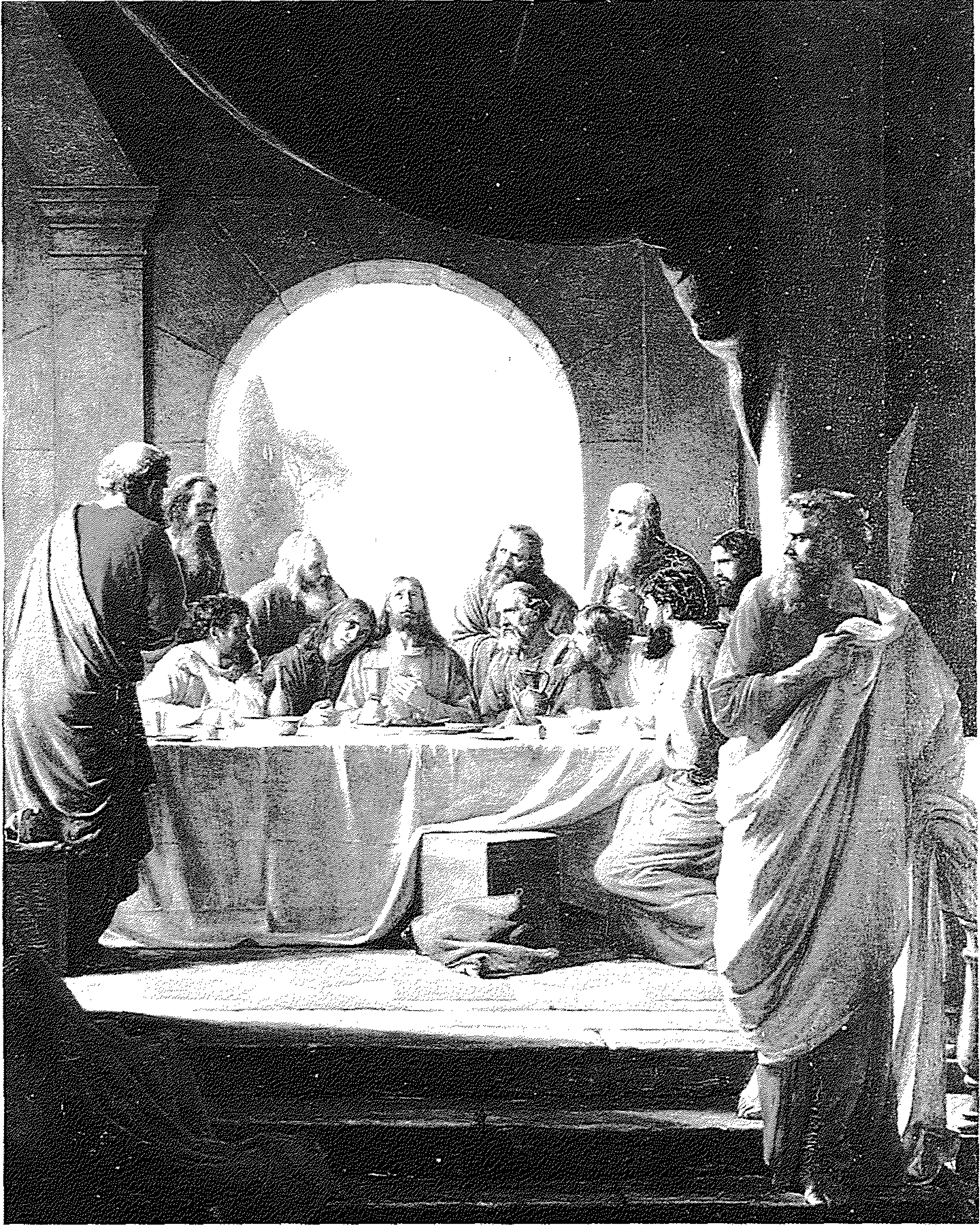
كان موفَّقاً للغاية هذا القديس متى في تدوين قصة امرأة العطر الكثير الثمن لتقديم أغلى مشاعر الأمانة والمحبة والولاء للمسيح وهو يخطو أول خطوة نحو الصليب، قبل أن يعطينا مضمون خيانة يهوذا واتفاقه مع رؤساء الكهنة، إذ بهذه الخطوة النجسة بدأ مسلسل القبض والآلام والصلب.

وهكذا يعطينا القديس متى التقابلات: أولاً بين اجتماع المسيح مع تلاميذه في عشاء بيت عنيا (٦:١٣)، وكان ميعاده السبت ٨ نيسان مقابل اجتماع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب في دار رئيس الكهنة (١-٥)، وتشاوروا على قتل المسيح وكان ميعاده بحسب ترتيب الكنيسة لأسبوع الآلام يوم الأربعاء ١٢ نيسان، الذي تدعوه الكنيسة: "أربعاء المشورة الرديَّة".

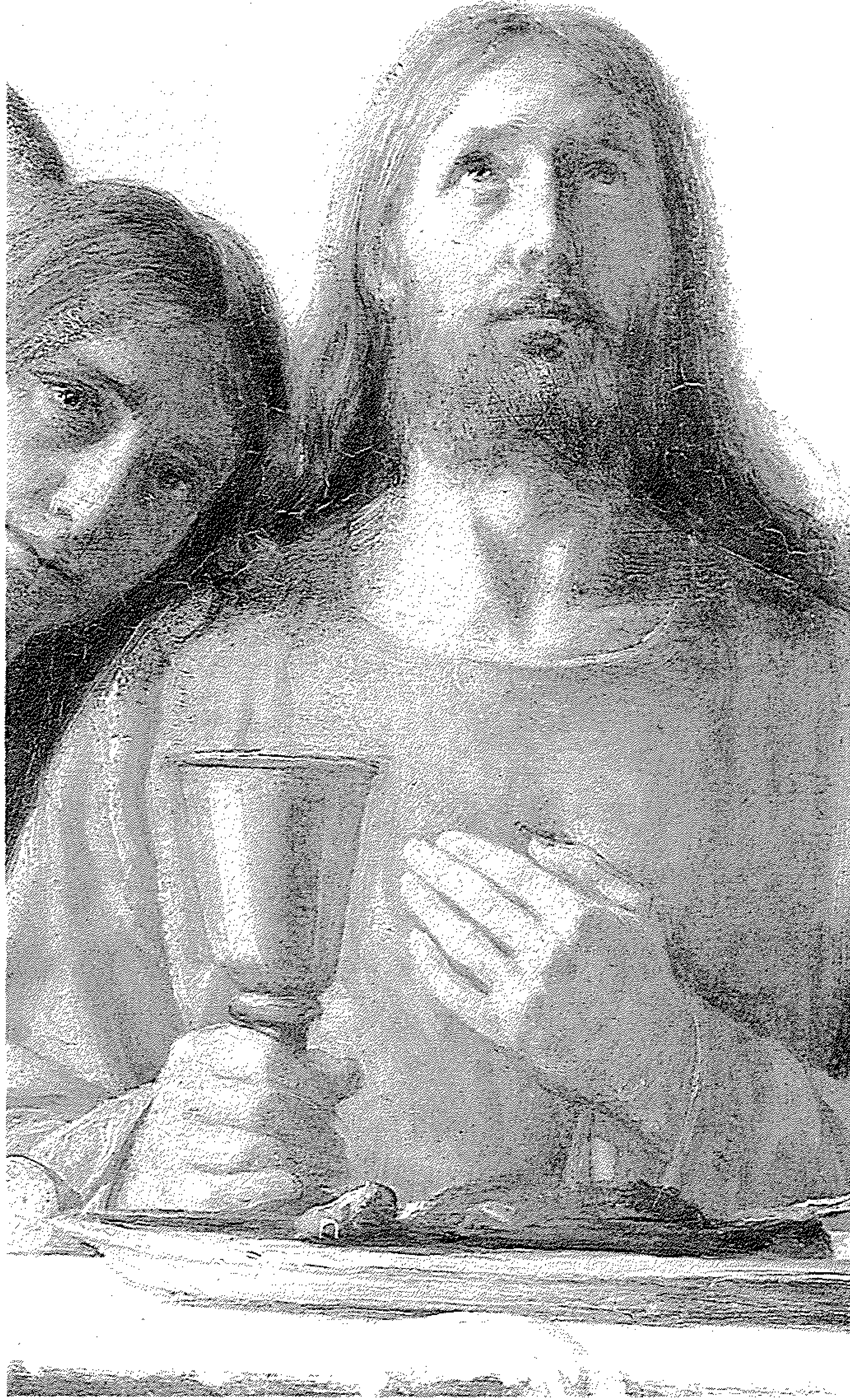
ثم يعود هنا ويعطي التقابل بين عمل المرأة صاحبة الطيب والأمانة والعبادة والتقوى، مقابل يهوذا واحد من الاثني عشر يخطِّط مع رؤساء الكهنة للقبض على المسيح في أشهر خيانة عُرفت في العالم. امرأة في التاريخ الكنسي تقود العالم بعمل تقوي بالغ الأمانة، وتلميذ من الاثني عشر يقود الخيانة لدى معدومي الضمير.

٢٦: ١٤ «حِينَئِذٍ ذَهَبَ وَاحِدٌ مِنَ الاِثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يُدْعَى يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ، إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ».

خبر مفضوح يرويه الإنجيليُّون على المكشوف، بلا تحفُّظ أو خجل أو تقديم الأعذار! هكذا كان المسيح يعيش وسط تلاميذه بلا تقييد للحرية، حتى أن أقرب إنسان إليه وهو الذي كان مكانه في الجلوس على المائدة يأتي دائماً على يمين الرب باعتباره الأكبر سناً - لذلك كان بينه وبين بطرس منازعة دائماً من أجل هذا الأمر - هكذا خرج دون أن يعلم بخروجه أحد ولا هو أخذ الإذن بهذا الخروج. ولكن كانت هناك عيون صاحية تراقبه وتعدّ خطواته، لا نعلم تماماً مَنْ هُم، ولكن الذي يُرجَّح لدينا أنه هو مرقس، أنه الوحيد الذي كان مواطناً من أورشليم والاجتماعات تعمل في بيته في العلية وفي ضيعته الخاصة في جثسيماني بجبل الزيتون، وكان معروفاً لدى رؤساء الكهنة وكان يدخل إليهم بلا مانع، لأنه يبدو أن أباه كان ذا حيثية عندهم لأنه كان غنيًّا. وهو الذي سرَّب لنا أخبار



العشاء السرّي



صورة مكبَّرة للمسيح وهو ماسك الكأس
لحظة التقديس الرهيبة، ويوحنا الحبيب
يطل برأسه منحنياً على صدر المسيح

الآلام لأنه حضرها سرًّا دون أن يعلم أحد وبالأخص في محاكمة بيلاطس. **فهو الوحيد بين التلاميذ الذي كان يتكلّم ويتقن اللاتينية**، ومعروف عند جميع العلماء أن أخبار ق. مرقس عن الآلام هي أدق الأخبار، وقد أخذ عنه الإنجيليُّون حتى إنجيل ق. يوحنا أخذ من ق. مرقس رواية المحاكمة لدى بيلاطس لأن ق. يوحنا لم يكن يعرف اللاتينية.

ويقول العلماء(٤) إن رواية ق. مرقس عن يهوذا هي الأقدم، فهو الذي يُضيف: «مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلّمه إليهم. ولمّا سمعوا فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضة. وكان يطلب كيف يسلّمه في فرصة موافقة» (مر ١٤: ١٠و١١). وهنا تقرير ق. مرقس أن رؤساء الكهنة لمّا رأوا يهوذا وسمعوا منه أنه سيسلّمه إليهم **"فرحوا"**، لأن دخول أحد التلاميذ الاثني عشر في قضية التسليم والمحاكمة يقوّي حجّة رؤساء الكهنة ضد المسيح، ويرفع عنهم شدَّة انتقاد وضغط الذين سيعلمون بالقضية. فها هو تلميذ مؤتمن وخاص جداً للمسيح هو الذي يسلّمه.

كما يقرِّر تيلور أن رواية ق. مرقس لا يُناقش في صحتها وهو أصل التقليد الذي كشف أن واحداً من الاثني عشر هو الذي خان. كما يقرِّر أن يهوذا كان فريسة الشك والحيرة وضياع الرؤية واليأس(٥).

ولكن يقول العالم الحكيم بيدا إن يهوذا لم يجبره رؤساء الكهنة و لم يكن محتاجاً إلى المال ولكنه كان مسوقاً بفكر شرير(٦).

٢٦: ١٥و١٦ «وَقَالَ: مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أُسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ؟ فَجَعَلُوا لَهُ ثَلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. وَمِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ كَانَ يَطْلُبُ فُرْصَةً لِيُسَلِّمَهُ».

هنا ودون جميع الأناجيل يكشف ق. متى السرّ وراء خيانة يهوذا أو الدافع الذي سهَّل عليه تسليم معلّمه: «ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أُسلّمه إليكم». يهوذا منحاز بقوة إلى المكسب، أي مكسب مُغْرٍ، ولكن في سبيل أن يسلّم معلّمه لأعدائه، هنا السقطة التي أودت به إلى الأبد. بطرس وقف نفس الوقفة: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك. فماذا يكون لنا» (مت ١٩: ٢٧). ولكن مطلب بطرس منزَّه عن الخسة والأنانية، بل على العكس إذ يمكن أن توضع المقايضة بهذا المعنى: "هوذا نحن ضيَّعنا حياتنا وأموالنا وكل ما لنا لنتبعك فماذا يكون لنا؟"، هنا قطعاً الجزاء يستحيل أن يكون في

(4) V. Taylor, *The Gospel According to st. Mark,* (1959), p. 534.

(5) *Ibid.*

(6) The Venerable Bede Cited by F. D. Bruner, *op. cit.*, p. 946.

العالم أو من العالم لأنه ترك العالم. إذ لا بد أن يكون ما فوق العالم. وهكذا فاز ق. بطرس بالوعد.

ومن روح إنجيل ق. متى يمكن أن يستشف القارئ أن يهوذا قد باع معلّمه قبل أن يبيعه، بمعنى أنه فرّط في العلاقة معه قبل أن يقطعها بالتسليم. ذلك عن كراهية للتعليم وطمع في جزاء مادي. هذا الطمع في الدنيا وما فيها مرض وبيل: «لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قومٌ ضلُّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة» (١تي ٦: ١٠). والإضافة التي أضافها ق. مرقس هنا: «**ولمّا سمعوا فرحوا** ووعدوه أن يعطوه فضة» (مر ١٤: ١١)، تكشف عن تقصّي ق. مرقس وراء يهوذا ومعرفة دقائق الصفقة ولذلك حسبوا تقليده الإنجيلي هو الأقدم.

ولكن خيانة يهوذا كانت حزناً على حزن بالنسبة للمسيح والكنيسة.

«فجعلوا له ثلاثين من الفضة»: ἔστησαν

كلمة "جعلوا" تعني في هذا الموضع باليونانية وزنوا[7] weighed فالفضة غير المصكوكة توزن بالوزنات. وكان وقتها يتم التعامل بالوسيلتين، لأن الفضة المصكوكة بالشاقل كان التعامل بها منذ سمعان المكابي سنة ١٤٣ق.م. ولكن التعامل بالوزن كان لا يزال معمولاً به خصوصاً في الكميات الكبيرة التي تصرف من الخزنة.

والكلمة تفيد أنهم وزنوها وسلّموها له في الحال. وطبعاً هنا واضح ذكاء رئيس الكهنة، فإذ قد فرح به وزن له في الحال وسلّمه، فهي فرصة ذهبية لا ينبغي أن تفلت من يده. فتسليم الفضة ليهوذا في هذا الوقت كان هاماً جداً لرئيس الكهنة، فالمسألة لا تحتمل مقايضة. وهنا يرتاح ق. متى لأن المقايضة جاءت محبوكة على نبوّة زكريا الذي كان حاضراً بروحه ورأى وعاين وكتب: «فقلت لهم إن حسن في أعينكم فأعطوني أجرتي وإلاّ فامتنعوا. فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة، فقال لي الرب ألقها إلى الفخاري الثمن الكريم الذي ثمّنوني به. فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب» (زك ١١: ١٢و١٣). وهي تساوي ثلاثين شاقل فضة، ثمن "عبد" (خر ٢١: ٣٢). وإذ قبض يهوذا الثمن أصبح تحت اضطرار أن يبدأ التسليم، وبالفعل بدأ يحسب المواقف وينتهز الفرص. على أن قوة شريرة بدأت تحرّكه: «وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يُسلّمه.» (يو ١٣: ٢)

(7) W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 902.

الإعداد للفصح

[٢٦: ١٧-١٩]

(مر ١٤: ١٢-١٦)،
(لو ٢٢: ٧-١٣)

٢٦: ١٧ «وَفِي أَوَّلِ أَيَّامِ الْفَطِيرِ تَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّ لَكَ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟».

أي أول أيام العيد(٨). وهو ١٤ نيسان وهو بالنسبة للثلاثة أناجيل يوم الخميس ولكن بحسب إنجيل ق. يوحنا يكون يوم الجمعة. فهذا الموعد محال بالنسبة لترتيب ق. يوحنا. ولكنه بحسب الثلاثة أناجيل المتناظرة كان يوم الخميس نهاراً والذي لا يحل أكل الفصح فيه إلاَّ بعد الغروب بحسب التوراة (خر ١٢: ١٨)، والمسيح هنا يتصرَّف كأب عائلة التلاميذ بحسب العالِم بنجل.

وبالنسبة لتأخُّر ميعاد الإعداد للفصح إلى آخر يوم، يُظن أن المسيح كان قد سبق واتفق مع أحد أصحاب البيوت الصديقة بترتيب هذا العشاء مسبقاً.

والمعروف بالنسبة لإنجيل ق. يوحنا أن عشاء الخميس لم يكن هو الفصح ولكن المسيح قُدِّم للصليب في يوم الفصح بحسب ترتيب ق. يوحنا ليكون هو الفصح الحقيقي.

٢٦: ١٨و١٩ «فَقَالَ: اذْهَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، إِلَى فُلاَنٍ وَقُولُوا لَهُ: الْمُعَلِّمُ يَقُولُ إِنَّ وَقْتِي قَرِيبٌ. عِنْدَكَ أَصْنَعُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي. فَفَعَلَ التَّلاَمِيذُ كَمَا أَمَرَهُمْ يَسُوعُ وَأَعَدُّوا الْفِصْحَ».

في إنجيل ق. مرقس يضيف حادثتين نبويتين: الأُولى أنه سيقابلهم إنسان حامل جرَّة ماء، والثانية أن صاحب البيت سيُعِدُّ لهم الفصح. مما يُفهم أنه لم يكن بإعداد سابق ولكن بروح نبويَّة دلَّهم ورتَّب لهم كل شيء: «يُريكما عِلِّيَّة كبيرة مفروشة معدَّة» (مر ١٤: ١٣-١٦). ولكن في إنجيل ق. متى تظهر هذه الحوادث وكأنها أوامر من المسيح أطاعها التلاميذ دون أي توضيح. وعندنا أن ق. مرقس هو الأصل في التقليد لأنه هو هو صاحب العلِّية. أمَّا القول هنا اذهبوا: "إلى فلان" فهو عملية سريَّة لم يفصح فيها المسيح عن اسم صاحب العلِّيَّة حتى لا يلتقطها يهوذا ويداهم المسيح وقت

(٨) يقول يوسيفوس المؤرِّخ أن عيد الفصح وعيد الفطير كانا يُعتبران معاً عيداً واحداً ممتداً لمدة ثمانية أيام (Josephus, *Ant.* II, 15,1) وكانت هذه الأيام الثمانية تدعى بصفة إجمالية: "أيام الفطير". فكان في اللغة الدارجة: "أول أيام الفطير" يعني يوم ذبح خروف الفصح الذي يسبق أيام الفطير السبعة. (Cf. A. H. W. Meyer, *op. cit.*, p. 457).

العشاء، فالذئب بدأ يتربَّص بالخراف. ولكن يبدو لنا أن كلمة "فـلان" هنـا هـي مقصـودة بـالذات، وأول من دوَّنها هو ق. مرقس في إنجيله. وقد حذف كلمة "مرقس" ووضع مكانها "فلان" إمعاناً في إخفاء شخصه من إنجيله كعادته. ولكن باقي الإنجيليين أخذوها منه "فلان" على علاَّتها دون أن يفسروها.

كذلك من المعروف أن ق. مرقس هو صاحب التقليد الذي يذكر علامة الإنسـان حـامل جـرَّة الماء والآخر صاحب العلِّيَّة اللذَين لم يكونا أكثر من مرقس نفسه ووالده إذ كان يعيش آنئذ. وأخذه عنه ق. لوقا كما هو، ولكن أسقطه ق. متى لأنه لم يجد له معنى عنده.

«وقتي قريب»:

هو تعبير سرِّي آخر عن مفهوم الصليب. أمَّا قوله عندك أصنع الفصح مع تلاميذي فيتضح منهـا أنه لم يكن هناك سبق ترتيب مع هذا الصاحب. يقولها وهو واثق أنه سينفِّذ ما يقول في أوانـه رغمـاً عن كل ترتيبات يهوذا ورؤساء الكهنة. ويكشفها ق. لوقا بقول المسـيح لتلاميـذه: «شـهوة اشـتهيت أن آكل هذا الفصح معكم **قبل أن أتألَّم**» (لو ٢٢:١٥). ولو جمعنا قول ق. لوقا مع إنجيل ق. يوحنا يكـون المسيح قد أكل الفصح مع تلاميذه، وأكمل بموته على الصليب الفصح ذاته. وهو كل ما تمنَّاه المسيح.

والمعروف أن ترتيب هذا العشاء واعتباره فصحاً كان أهم تدبيرات المسيح التي اعتنى أن يكمِّلهـا قبل الصليب (لو ٢٢:١٥) باعتبارها عشاء الوداع وتأسيس سر الكنيسة الذي ستحيا به حتى يجيء!

العشـــاء الأخير

[٢٦:٢٠-٣٥]

أين كان المسيح وكيف أمضى الأربعاء والخميس صباحاً؟ يقول ق. لوقا: «وكان في النهار يعلِّم في الهيكل وفي الليل يخرج ويبيت في الجبل الذي يُدعى جبل الزيتون. وكان كل الشعب يبكِّرون إليه في الهيكل ليسمعوه» (لو ٢١: ٣٧و٣٨). وواضح لنا أن كلمة: «يبيت في جبل الزيتـون» أن ذلـك كان في جثسيماني في بيت ق. مرقس الريفي في حديقة معصرة الزيت. ويلاحـظ أن قـول التلاميـذ ليسوع: «أين تريد أن نُعدَّ لك لتأكل الفصح» لم يَرِدْ فيه ذكر شراء الخروف كالمعتاد، وكان يتحتَّم إن كان ذبحٌ للخروف أن يتم في الرواق الخارجي للهيكل مساءً (خر ١٢:٦)، ولكن يجب إعـداد الفطير والأعشاب المرَّة والخمر وذلك كله منذ صباح الخميس.

اتهام يسوع العلني للخائن

[٢٦: ٢٠-٢٥]

(مر ١٤: ١٧-٢١)،
(لو ٢٢: ٢١-٢٣)،
(يو ١٣: ٢١-٢٩)

٢٦: ٢٠و٢١ «وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ اتَّكَأَ مَعَ الاِثْنَيْ عَشَرَ. وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ قَالَ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِداً مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي».

ولكن بحسب إنجيل ق. يوحنا، نعرف أن المسيح قام أولاً، وقبل البدء بالعشاء، بغسل أرجل تلاميذه معطياً درسه الذي لا يُنسى إلى الأبد عن التواضع (يو ١٣: ١-٢٠)، وقد أشار هذا السر التواضعي إلى يهوذا باعتباره ليس طاهراً: «وأنتم طاهرون ولكن ليس كلّكم. لأنه عرف مسلِّمه لذلك قال لستم كلكم طاهرين» (يو ١٣: ١٠و١١). هكذا ترى الكنيسة أن غسل الأرجل اعتُبر عملاً طقسياً يحمل في مضمونه سر الطهارة الداخلية. وبعدها ذكر لهم إن واحداً منكم يسلِّمني (يو ١٣: ٢١-٣٠).

أمَّا هنا في إنجيل ق. متى، فنسمع أن المسيح فتح موضوع التلميذ الذي سيسلِّمه أثناء الأكل: «وفيما هم يأكلون». لقد وقعت على التلاميذ وقع الصاعقة. والمسيح لم يكن غائباً عنه هذا التسليم قبل ذلك، فلماذا الآن؟ هنا ينكشف لنا تدخُّل المسيح القوي والسريع للضغط على الخائن لكي يبدأ عمله في الحال دون مراوغة لكي يفوِّت على رؤساء الكهنة التخطيط **لتحاشي القبض** عليه أو محاكمته في العيد خوفاً من الشعب. والمسيح يريدها في العيد وفي ميعاد ذبح الخروف بالذات ليتم عمل فصح الخلاص الأبدي.

٢٦: ٢٢و٢٣ «فَحَزِنُوا جِدًّا، وَابْتَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ: هَلْ أَنَا هُوَ يَا رَبُّ؟ فَأَجَابَ وَقَالَ: الَّذِي يَغْمِسُ يَدَهُ مَعِي فِي الصَّحْفَةِ هُوَ يُسَلِّمُنِي».

واضح أن رد الفعل كان على التلاميذ قاسياً فأحزنهم جداً، وفي الحال بدأوا يُبرِّئون ذمتهم: «هل أنا يا رب؟». وواضح من إنجيل ق. مرقس أنهم بدأوا واحداً واحداً بالدور يسألون ليبرئ كل واحد نفسه: «فابتدأوا يحزنون ويقولون له واحداً فواحداً هل أنا وآخر هل أنا؟» (مر ١٤: ١٩). فانظر

عزيزي القارئ التدبير الطقسي والترتيب والنظام والحشمة في التعامل على المائدة المقدَّسة. وضرورة الاعتراف وتبرئة الذمة واحداً فواحداً. وكذلك يلاحظ هنا أن السؤال يطلب ردًّا من المسيح الذي يُحسب أنه بمثابة طلب حِلّ وغفران وإعطاء البراءة. كذلك فإن هذا العمل كان جماعياً وبين التلاميذ، وهذا ما نجده في الكنيسة بضرورة تقبيل الجماعة بعضها بعضاً بقبلة مقدَّسة رسولية تكون بمثابة الصفح والمحبة والتسامح العام:

+ «فإن قدَّمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فاترك هناك قربانك قدَّام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك وحينئذ تعال وقدِّم قربانك.» (مت ٥: ٢٣و٢٤)

+ «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلُّوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفوا.» (يع ٥:١٦)

حيث الأمر كله يتعلّق بمدى أمانتنا للمسيح بالنهاية.

وإن تركيز المسيح الشديد على خيانة يهوذا بين التلاميذ يوقظ ضمائرنا جميعاً إلى خطورة الاشتراك في جسده والقلب غير أمين له!!

ويضيف ق. لوقا سؤالاً دار بينهم: «فابتدأوا يتساءلون فيما بينهم مَنْ ترى منهم هو المزمع أن يفعل هذا» (لو ٢٢:٢٣). مما جعل المسيح يردّ أن «الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلّمني». ولكن جاءت في إنجيل ق. يوحنا بعد محاورة دارت سرًّا فوق الرؤوس بين ق. بطرس وق. يوحنا. لأن ق. بطرس كان يجلس في الترتيب بعد يهوذا الذي كان عن يمين المسيح باعتباره الأكبر سنًّا وبعد مشاجرة مع بطرس مَنْ هو الأعظم (لو ٢٢:٢٤)، أمَّا ق. يوحنا فكان على الجانب الآخر على شمال المسيح بصفته الأصغر حسب ترتيب جلوس الأولاد حول أبيهم، فاضطر ق. بطرس أن يومئ برأسه ويغمز بعينه ليوحنا حتى يسأل ق. يوحنا المسيح مَنْ هو التلميذ الذي سيسلّمه: «فكان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض وهم محتارون في مَنْ قال عنه. وكان متكئاً في حضن يسوع واحدٌ من تلاميذه (يوحنا) كان يسوع يحبّه. فأومأ إليه سمعان بطرس أن يسأل مَنْ عسى أن يكون الذي قال عنه. فاتكأ ذاك على صدر يسوع وقال له يا سيِّد مَنْ هو (والذي يكتب هذا الكلام هو ق. يوحنا نفسه) أجاب يسوع هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه. فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي. فبعد اللقمة دخله الشيطان، فقال له يسوع ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة» (يو ١٣: ٢٢- ٢٧). وهذه الحركة التي عملها المسيح لا تخلو من العجب، لأن بحسب قوانين العشاء في الفصح أن رب الأسرة يبدأ بأن يغمس لقمة في الصحفة التي بها مزيج الخل بالفواكه ويعطيها إمَّا لأكبر الضيوف الحاضرين أو للابن الأكبر الجالس عن يمينه

مباشرة. فتعجَّب معي أيها القارئ العزيز كيف أعطى المسيح العلامة لكشف مسلّمه بل قاتله يهوذا وكانت في مضمونها تكريماً وبحسب الطقس أيضاً ككبير الأولاد(٩)!!

وكان تعليق الرب نفسه في هذا: «إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه (إش ٥٣) ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يُسلَّم ابن الإنسان. كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد.» (مر ١٤:٢١)

وعلى القارئ أن يلاحظ لماذا أثار المسيح موضوع خيانة يهوذا على مائدة الفصح السريَّة جدًّا، ولماذا ألقى هذا الخبر بصورة عامة: «واحد منكم يسلّمني» مع أنه كان قادراً أن يجعله خاصاً مع الخائن وحده. هنا التقطت الكنيسة المرتشدة بالروح القدس وظيفة سر الإفخارستيا كسر الحياة الأبدية، ويتحتّم قبل التقدُّم إلى الشركة في هذا السر الإلهي أن يراجع كل متناول ذمَّته ويفتّش ضميره: «هل أنا يا رب؟» ويدين نفسه ويعترف بخطئه وخطيته قبل أن يتناول، وإلاَّ يُعتبر أنه يتناول بدون استحقاق الذي عقوبته المرض والموت: «ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس. لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه، غير مميِّز جسد الرب. من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون. لأننا لو كنّا حكمنا على أنفسنا لما حُكم علينا.» (١كو ١١: ٢٨-٣١)

٢٦:٢٤ «إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ، وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الإِنْسَانِ. كَانَ خَيْراً لِذلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ».

والإشارة عن يهوذا في هذه المناسبة يوضِّحها (مز ٤١:٩): «أيضاً رجل سلامتي (تلميذ) الذي وثقت به (اختاره ضمن الاثني عشر) آكل خبزي (خبز السر المقدَّس) رفع عليَّ عقبه (أعلن عليَّ الحرب)».

هذه الآية: «ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه» تحمل مضموناً لاهوتياً عميقاً. فالفداء تحقيق مشيئة إلهية اشترك فيها الآب والابن، ولكن موت الابن أنشأ مسئولية على الذين اشتركوا في قتله. صحيح أنه تجسَّد ليموت ويعود بجسده القائم من الأموات ليجلس به، أي بالبشرية التي اتحد بها، مع الآب؛ ولكن عملية موته بدون حق أو سبب جعلت على الذين اشتركوا فيها دينونة خطيرة. إنهم قتلوا إنساناً بريئاً فدمه عليهم. وسَبْقُ معرفة وإرادة ومشيئة الله في موت الابن لا يعفي المسئولين عن الموت من تحمُّل جريمة قتل، ترفع عنهم حق الحياة. لذلك قال كان خيراً له لو لم يولد

(٩) ارجع إلى كتاب: "شرح إنجيل القديس يوحنا الجزء الثاني صفحة ٧٩٥ للمؤلِّف".

من أنه يولد لُيحرم من الحياة الأبدية. والعجيب أن المسيح قال هذا الكـلا م الصعب جداً في وجه يهوذا ولكن لم يقنعه ليعتذر ويتوب.

٢٥:٢٦ «فَأَجَابَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ وَقَالَ: هَلْ أَنَا هُوَ يَا سَيِّدِي؟ قَالَ لَهُ: أَنْتَ قُلْتَ».

ولكن الترجمة العربية هنا لا تعطي المعنى كله. فالسؤال استنكاري ومنفي، وصحة الترجمة تكون كالآتي: μήτι ἐγώ εἰμι; ليس هو أنا (طبعاً) يا سيدي؟ ولكن كانت إجابة المسيح توجب عليه التهمة: «أنت قلت». هنا واضح الفارق في المخاطبة، فالتلاميذ قالوا: «هل أنا يا رب» ويهوذا يحذف يا رب ويجعلها يا سيِّد (رابي) ويحاول أن ينفي التهمة. وقالها أخيراً وبعد تردُّد، هروباً من الصمت الذي يثبت جريمته. كذلك فردُّ المسيح عليه لا ينفي عنه التهمة ولا يتهمه ولكن يجعل كلامه هو الذي يتهمه: «أنت قلت»، ومعناها أنت تعلم مَنْ أنت وماذا عملت!!

ومن مجرى الحديث بعد ذلك يُعتبر أن ق. متى لم يعترف بأن يهوذا اشترك في عشاء الرب. ولكن بحسب إنجيل ق. يوحنا، واضح أنه اشترك بالفعل، وقد أعطاه المسيح لقمة الشركة بيده، ولكن لأنه كان خائناً وغير مستحق نعمة الحياة، إذ هو محسوب أنه قاتل دم بريء، دخله الشيطان عوض النعمة، وبالنهاية ذهب وخنق نفسه ومات.

العشاء الأخير



صورة مكبَّرة للعشاء السرّي

عشاء الرب

[٢٦:٢٦-٣٠]

(مر ١٤:٢٢-٢٦)،
(لو ٢٢:١٤-٢٠)،
(١كو ١١:٢٣-٢٥)

تأسيس الإفخارستيا لتحل محل الفصح الأخير
«لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا» (١كو ٥:٧)

معروف أن المسيح ليلة العشاء الفصحي الأخير(١٠) استخدم كسر الخبز في أول العشاء، وكأس الخمر الرابع آخر العشاء (في نظام الفصح)، ليؤسِّس بهما الطقس الإفخارستي الذي استلمته الكنيسة لتصنعه باعتباره فصحها الحقيقي، ولكن ليس كل سنة كتذكار فصح مصر، وإنما كل حين باعتباره يحمل كل قوة وفعل سر موت المسيح على الصليب وقيامته من بين الأموات لخلاصنا، ليس من عبودية فرعون مصر بل من عبودية الخطية والموت. فكان "**الفصح الأخير**" عيداً تذكارياً لحادثة خروج الشعب من أرض مصر، أمَّا "**الإفخارستيا**" التي حلَّت محلَّه فهي أفعال الخلاص السرِّية التي تمَّت في موت المسيح وقيامته، وأكمل بها الفداء والخلاص. لذلك تحتَّم إقامتها دائماً كجزء حيٍّ في العبادة، كفعل خلاص متكرِّر بالسرّ لتمكين عمل الفداء ولتكميل سر الشركة في جسد المسيح ودمه، بحضوره الإلهي السرِّي حسب الوعد، وبتقديمه الكأس بيده ليشرب منه كل متناول في كل إفخارستيا، حيث **يقدِّم دمه الذي للعهد الجديد لكل مَنْ يؤمن**. ففي كل إفخارستيا يشرب كل متناول، ومن يد المسيح، دمه الذي للعهد الجديد.

ونحن نقدِّم هنا صورة كاملة "**لعشاء عيد الفصح**" بكل إجراءاته الطقسية - في العهد القديم - التي اختزلها المسيح ليأخذ منها الخبز والخمر فقط، وذلك بحسب أبحاث العالِم هنرش أوجست ماير(١١)

(١٠) وذلك بحسب تقليد الثلاثة أناجيل المتناظرة، وإن كان إنجيل ق. يوحنا يتبع تقليداً آخر، إلاَّ أن كلاًّ من التقليدين له عمق لاهوتي لا غنى عنه لفهم معنى الإفخارستيا ومعنى الصليب كفصح العهد الجديد (راجع كتاب: "شرح إنجيل القديس مرقس" للمؤلِّف صفحة ٥٤٤-٥٤٥).

(11) H.A.W. Meyer, *op. cit.*, pp. 461-463.

عن أبحاث جون ليتفوت[١٢] († سنة ١٦٧٥)، وعن باب الفصح في الترجوم اليهودي[١٣]، وقاموس أوتو للربيين[١٤] وانسيكلوبيديا هيرزوج[١٥].

أمَّا خطوات أكل عشاء الفصح التقليدي فهي كالآتي:

١ - **الكأس الأولى:** رأس العائلة في الوسط والأولاد حوله بدءًا من الكبير عن اليمين ونهايةً بالأصغر عن الشمال في حلقة مستديرة والكل متكئ. يبدأ الفصح بشرب الخمر، ولكن قبل اقتسامه يُعطي رأس العائلة الشكر لله بكلمات محفوظة، ذاكراً كيف عاد هذا اليوم المقدَّس (يوم الفصح). وبحسب مدرسة شمَّاي ينبغي أن يكون الشكر على اليوم ثم على الخمر.

٢ - الأعشاب المرَّة: ويُقصد بها تذكار الحياة التي عاناها الآباء في مصر - وقد وُضعت على المائدة وبعضها منقوع في محلول ملح - وتؤكل وسط التشكُّرات.

٣ - الفطير: وهو الخبز غير المختمر، ... وحساء Charoset مصنوع من التين والبلح، ويكون له اللون الأحمر - كالطوب الأحمر - الذي كانوا يعملونه في سخرة البناء. والخروف ولحم الشجيجة Chagiga.

٤ - وبعد أن يعطي رأس العائلة البركة = Benedictus لمن أخرج الثمار من الأرض، فإنه يأخذ من الأعشاب المرَّة، بقدر حجم الزيتونة ويغمسها في منقوع صحن الثمار ويأكلها. حينئذ يتبعه كل أفراد الأسرة، كما عمل هو.

٥ - **الكأس الثانية:** وفيها يُخلط الخمر بالماء. ثم يبدأ رأس العائلة في شرح كل ما هو موضوع على المائدة ومعناه، وذلك بناء على رجاء من أحد أبنائه.

٦ - في أثناء ذلك يؤتى بالأطعمة الباقية جميعها للمرَّة الثانية على المائدة - ثم يبدأون بالتسبيح بالجزء الأول من الهالليل Hallel وهي مزامير (١١٣و١١٤)، ثم يعقبه شكر مختصر من رأس العائلة، ثم تُشرب الكأس الثانية.

٧ - يبدأ رأس العائلة بغسل يديه - بعدها يأخذ كسرتين من الخبز، يكسر الواحدة ويضع أجزاءها على التي لم تُكسر، ثم يكرِّر الصلاة بالبركة (للذي أخرج القمح من الأرض)، ثم يمرِّر كسرة خبز على الأعشاب المرَّة ويغمسها في منقوع التين والبلح ويأكلها بعد أن يكون قد أكمل

---

(12) John Lightfoot, *Horae Hebraicae et Talmudicae,* (1644), pp. 474 ff.

(13) Tr. *Pesach,* C. 10.

(14) Otho, *Lex. Rabb.*, pp. 448 ff.

(15) Herzog, *Encyclo.* XI, pp. 141 ff.

الشكر. بعدها يشكر مرَّة أخرى ويأخذ قطعة من الشجيجة وبالمثل يأخذ من الخروف.

٨ - ويستمر العيد حتى ينتهي المتكئون من أكل آخر جزء من الخروف، بتقطيعه قطعاً صغيرة بحجم الزيتونة يأكلها كل واحد. ويُختم العيد ويُمنع بعد ذلك الأكل. وكانوا في الطقس القديم يأكلون الفصح وهم وقوف كأنه باستعداد الخروج.

٩ - **الكأس الثالثة:** بعد ذلك يغسل رب الأسرة يديه، ثم يشربون الكأس الثالثة، وحينئذ يسبِّح الجميع الجزء الثاني من الهالليل (مز ١١٥-١١٨).

١٠ - **الكأس الرابعة:** ثم يشربون الكأس الرابعة مع التسبيح الأخير (مز ١٢٠-١٣٧) ولا يُحسب أن الاحتفال بالعيد قد انتهى إلاَّ بعد كمال ما تمَّ في الخطوة الأخيرة.

وكان ممنوعاً أن يتحدَّث أحد على مائدة الفصح بأي أمر كان إلاَّ في أمر الفصح. وينتهي الاحتفال في ساعة متأخرة من الليل كما هو واضح في إنجيل ق. يوحنا (١٣: ٣٠).

٢٦:٢٦ «**وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ وَقَالَ: خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي**».

عندما أجرى المسيح هذا الإجراء الفصحي انتقل فصح العهد القديم إلى ما يُعرف بعشاء الرب الأخير. وكان التلاميذ يأكلون بحرية حسب مفهوم الفصح تماماً. ولكن هنا فجأة تحوَّل المسيح من الإجراء الفصحي إلى الإعلان عن التسليم والموت. وبدأ الحفل يتحوَّل من البهجة المعتادة للفصح إلى الحزن: «**وفيما هم يأكلون قال: الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلِّمني، فحزنوا جدًّا ...**» (مت ٢٦: ٢١و٢٢). وهكذا بدأ طقس العشاء الأخير المعبِّر عن الموت الذي جازه المسيح بالجسد مكسوراً على الصليب وسفك الدم أيضاً.

وهنا ينتقل العشاء من واقع ذبائح العهد القديم (الفصح) إلى واقع الذبيحة الوحيدة العظمى (المسيح) التي للخلاص.

ويلزم أن ندرك أن ذبائح العهد القديم كان أساسها مغفرة الخطايا السهو، أمَّا ذبيحة المسيح فجاءت **لتبطل الخطية نفسها والموت!!** «ولكنه الآن قد أُظهر مرَّة عند انقضاء الدهور ليُبطِلَ الخطية بذبيحة نفسه.» (عب ٩: ٢٦)

كذلك كان كل ما تصنعه الذبيحة الحيوانية هو إلى تطهير الجسد فقط: «يقدِّس إلى طهارة

الجسد» (عب ٩:١٣)، أمَّا جسد المسيح فهو يقدِّس الإنسان تقديساً: «نحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرَّة واحدة.» (عب ١٠:١٠)

ثم غاية ما كانت تعمله الذبيحة الحيوانية عن خطية السهو أن تسمح لمقدِّمها أن يدخل الهيكل ويعبد مع العابدين، أمَّا ما عمله المسيح بتقديم جسده ذبيحة من نحونا فقد هيَّأ لنا الدخول إلى السماء والتراثي قدَّام الله: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس (العليا) بدم يسوع طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيًّا بالحجاب أي جسده.» (عب ١٠: ١٩و٢٠)

«أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى»: εὐλογήσας ἔκλασεν καὶ δούς

هذه هي الثلاثة أفعال الرئيسية التي للتقديس، والتي فيها يحدث سر الإفخارستيا:

بارك وكسر وأعطى، ويُكنى عنها في الطقس عموماً "بكسر الخبز". وهي الجزء الأول من التأسيس، أمَّا الجزء الثاني فيجيء على الكأس.

يلاحظ هنا خاصة في إنجيل ق. متى، أنه ذكر اسم يسوع، وليس مجرَّد ضمير مثل ق. مرقس، ليضع منطوق الآية في وضع عبادي كامل تنطقه الكنيسة في الطقس مدعَّماً بالفاعل. ويلذ لنا هنا أن نقول: إن ق. متى مغرم بذكر اسم يسوع أكثر من جميعهم، فقد ذكره ١٥٤ مرَّة، بينما ذكره ق. مرقس ٨٠ مرَّة فقط.

«وكسر ἔκλασεν وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي»:
τοῦτό ἐστιν τὸ σῶμά μου

هنا يتحتَّم أن نضم الفعل "كسر" للمفعول به "هذا هو جسدي"، فيصبح الكسر هنا ينتقل من واقع الحال من الخبز بالشكل الظاهري إلى الفعل السرِّي للجسد كما حدث على الصليب. على أن المسيح يستحضر هنا سرًّا كل الأفعال التي حازها الجسد على الصليب من كسر وموت، يستحضرها في الحاضر كأنها قائمة - وعلينا هنا أن نوجِّه نظر القارئ إلى أن أفعال المسيح كلها إلهية لا يحدها الزمان، فكل ما عمله هو قائم الآن، معمول وفعَّال بفعله. وهذا يؤكِّد لنا أن المسيح الآن إنما يقدِّم بالفعل السرِّي الإلهي وبمقتضى إرادته، جسده المكسور بالفعل. وبمعنى أوضح فإن المسيح هنا عندما يعطينا جسده المكسور لنأكله يعني أنه يهبنا شركة فعلية في جسده المائت على الصليب - (فإن كنَّا قد درسنا وأدركنا سابقاً أن موت المسيح على الصليب هو عمل "كفَّاري"، وأنه "مات بالجسد" أي حاملاً البشرية، بعد أن «حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة»

(١بط ٢:٢٤). يكون مضمون قبوله لعنة الصليب وموت الجسد هو قبول عقوبة اللعنة والموت وهو حامل بشريتنا الخاطئة، فنكون **قد أكملنا معه** عقوبة اللعنة والموت كاملاً، وإذ قام بجسد بشريته أيضاً يكون قد أعطى البشرية الحياة الأبدية التي فيه) ـ وهكذا بإعطائنا جسده المكسور على الصليب يكون قد منحنا بالتالي غفران الخطايا.

بهذا يكون مفهوم "الخبز المكسور" أو كسر الخبز باللغة الليتورجية الطقسية يعني أعلى مفهوم لموت المسيح على الصليب، ويتضمَّن في الحال غفران الخطايا. وإذ يقدِّمه ويعطيه بيده يكون أقدس هبة يهبها المسيح لكنيسته لأنها فعل غفران وتقديس.

لذلك أصبح الخبز بعد أن يُجرى عليه الشكر (البركة) والكسر لا يعود خبزاً، بل جسداً مكسوراً، أي ميِّتاً بالصليب. فالذي يتناول كِسْرة من هذا الخبز(١٦) يتناول جسداً أُجري عليه الصلب والموت أي تمَّ فيه وبه غفران الخطايا.

فإن كنا نأكله بالفم خبزاً مكسوراً، إلاَّ أننا بآن واحد نأكله بالإيمان جسد المسيح الذي جاز الموت، أي حاملاً غفران الخطايا: «هذا هو جسدي».

> «هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت»،
> «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي (المكسور) الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو ٦: ٥٠و٥١)

ويخطئ مَنْ يقول إن المسيح يعطي هنا نفسه وليس جسده، لأن إعطاء الجسد بمفرده والدم بمفرده يشير إلى الموت الكامل الذي ماته على الصليب، والمكنى عنه في الإنجيل **"بالكسر"** وعند القديس يوحنا بكلمة **"المبذول"**، لذلك يُحتِّم الطقس أن يعطي المسيح نفسه على مستوى الجسد ثم الدم، لأننا أخذنا المسيح ميتاً ثم حيًّا، كشركة في موته وشركة في قيامته. وكرَّرها المسيح بتأكيد وانفصال متعمَّد: «مَنْ يأكل **جسدي** ويشرب **دمي** فله حياة أبدية»، «لأن **جسدي** مأكل حق **ودمي** مشرب حق، مَنْ يأكل **جسدي** ويشرب **دمي** يثبت فيَّ وأنا فيه.» (يو ٦: ٥٤-٥٦)

(١٦) سيأتي الكلام على أن الخبز المكسور سيوضع عليه الدم ليصبح جسداً مات وقام. ولذلك فالذي يتناول من الخبز المكسور ومن الكأس (الدم) يتناول المسيح ككل، بسر موته وقيامته بآن واحد (انظر صفحة ٧٦٢-٧٦٤).

٢٦: ٢٧و٢٨ «وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا».

الصعوبة التي قابلت الشُّرَّاح منذ ق. جيروم(١٧) هي لماذا الجسد وحده والدم وحده؟ وقيل في ذلك ما قيل، ولكن الحقيقة واضحة أنه بفصل الدم عن الجسد يكون أعظم تعبير عن الموت، لأن الحياة أو "النفس" في الدم. فوجود الدم وحده في كأس تعبير ليتورجي عن الدم المسفوك. لذلك حينما يؤكل الجسد وحده ويُشرب الدم وحده يكون ذلك تحقيقاً للإيمان واعترافاً بآن واحد بحقيقة الموت الذي أكمله الرب على الصليب بحسب تعبير القسمة السريانية:

[هكذا بالحقيقة تألَّم كلمة الله بالجسد وانحنى على الصليب، **وانفصلت نفسه عن جسده،** إذ لاهوته لم ينفصل قط لا عن نفسه ولا عن جسده!]

يقولها الكاهن وهو يكسر القربانة ويقسِّمها ممثِّلاً كيف تمزَّق الجسد على الصليب ونزف دمه حتى مات. فتواجُد الدم وحده يعبِّر عن سفكه. وحينما نشربه وحده: **نشرب العهد الجديد بدمه.** كما سبق وقلنا.

ويجيء هنا الانطباق محكماً مع سفك دم خروف الفصح، ليحل طقس سفك دم المسيح في العشاء محل سفك دم الخروف الفصحي إلى الأبد، الأمر الذي تحقَّق بالفعل على الصليب. وبهذا يكون المسيح قد احتفظ بالمفهوم الأساسي من سفك الدم في الفصح القديم، إنما بالصورة الجديدة الإلهية في الفصح الجديد: «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا» (١كو ٥:٧). على أنه لا يفوت على القارئ ودارس اللاهوت أن سفك دم الخروف وبقية الذبائح في القديم كان مجرَّد طقس نبوي عن سفك دم المسيح الذي سيجيء في زمانه وقد جاء. ولكن هنا نوعِّي القارئ واللاهوتي بآن واحد أن سفك دم خرافٍ وتيوسٍ وعجولٍ كان عن **خطايا السهو فقط!!** لأن خطايا العمد لم يكن لها ذبيحة كفَّارية بل يموت صاحبها موتاً: «مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي» (خر ٣٢:٣٣)، ولكن كمضمون كلِّي فإنه «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (عب ٩:٢٢)، «وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرَّة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً، لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجَّسين يقدِّس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب يطهِّر ضمائركم من أعمال ميِّتة لتخدموا الله الحيّ.» (عب ٩: ١٢-١٤)

(17) F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 963.

كان هذا الدم الذي للذبائح الحيوانية يُدعى "دم العهد": «قائلاً هذا هو دم العهد الذي أوصاكم الله به» (عب ٩: ٢٠)، أمَّا دم المسيح فقدَّمه بيده لتلاميذه قائلاً: **«هذا هو دمي الذي للعهد الجديد»**.

«أخذ الكأس وشكر وأعطاهم»:

λαβὼν ποτήριον καὶ εὐχαριστήσας ἔδωκεν αὐτοῖς

وهذه أيضاً هي كلمات التقديس المحسوبة أنها سر تقديس الكأس: أخذ وشكر وأعطاهم. وهذا كأس الخمر بعد أن يُجرى عليه الشكر (البركة) لا يعود خمراً بعد بل دماً مسكوباً، ودم المسيح المسكوب هو دم العهد الجديد.

«اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد»:

τὸ αἷμά μου τῆς καινῆς διαθήκης

وموضع هذه الكأس الإفخارستية في عشاء الفصح الذي عمله المسيح هي آخر كأس المعروفة بالكأس الرابعة التي تُشرب مع آخر تسبحة، وهي الجزء الأخير من الهالليل. وهي المنصوص عنها في خطوات عيد الفصح بالرقم (١٠). وهي التي لا يُشرب بعدها شيء(١٨) وتنتهي بها التسبحة والعيد والبركة الأخيرة على الفصح، لذلك تُسمَّى أيضاً عند اللاهوتيين وق. بولس: كأس البركة (أي البركة الأخيرة). وقد رفعها المسيح من وضعها القديم في العهد القديم إلى وضعها الجديد بقوله: «لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد». على أن دم العهد القديم ـ كما قلنا ـ لم يكن ليَرْفع إلاَّ خطايا السهو فقط، أمَّا خطايا العمد فلم يكن لها ذبيحة. أمَّا ذبيحة المسيح فهي لرفع ليس كل الخطايا فحسب بل لإبطال الخطية ذاتها، وهي التي نص عليها إرميا النبي في نبوَّته: «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا "عهداً جديداً"، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأُخرجهم من أرض مصر» (إر ٣١: ٣١و٣٢). لذلك أعطى المسيح في دمه الذي سكبه على الصليب وسقاه لتلاميذه ليلة العشاء **"عهداً جديداً"**، فصار العشاء وبالتالي **الإفخارستيا في الكنيسة هي قوة العهد الجديد بدم المسيح**، عهداً أقامه الله الآب وابنه معاً: أن طالما أُقيمت هذه الذبيحة المقدَّسة قام عهد الله والمسيح مجدداً بينه وبين المؤمنين باسمه، يؤكِّد ذلك ما قاله ق. لوقا (٢٢: ٢٠)، وما قاله ق. بولس: «كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشَّوا قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، **اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري**، فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم

(18) Lightfoot, cited by H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 465.

هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء.» (١كو ١١: ٢٥و٢٦)

هنا القصد من «اصنعوا هذا لذكري»، أو «اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري»، وهي الأقوى، القصد منها واضح هنا وهو تحقيق وجود الرب بسر الإفخارستيا حضوراً إلهياً بحالته كمسفوك دمه، أي في حالة كفَّارة وغفران وخلاص دائم. فالتذكار هنا ليس لذكر إنسان مات وانتهى، حاشا، بل هو ذكر وجودٍ حي بالروح دائم، عوض وجود كان بالجسد. فالرب غير منظور وليس ميِّتاً، غير منظور بالجسد ولكنه حاضر بالروح وبلاهوته وقوة دمه الفادي في الإفخارستيا. لذلك يذكرها ق. بولس بصورتها الأقوى: «اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري». ولماذا كلما شربتم؟ لأنه موجود في قوله: «هذا هو دمي اشربوا منه كلكم». فالرب واقف في كل إفخارستيا يعطي بيده الخبز المكسور ويسقي بيده الدم المسفوك!! والذي يشك في هذا فليسأل تلميذي عمواس اللذين عرفاه وقت كسر الخبز، لأنه تواجد بنفسه حسب الوعد لما كسر وأعطى!! فالإفخارستيا تعويض عن عدم رؤية المسيح بالجسد المنظور بحضوره إلهياً. لذلك حينما يخطئ البعض ويقول: إن الإفخارستيا ليست سرًّا إلهياً بل مجرَّد ذكرى يكشفون عن عجز فاضح في فهم حضور الرب في الإفخارستيا حضوراً إلهياً فعَّالاً غافراً ومعطياً حياة.

وقول ق. بولس: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب»، يكشف هنا عن كرازة حيَّة دائمة بسر موت المسيح على الصليب، وهو سرّ الفداء والكفَّارة. فكيف يمكن وبأي عقل نفهم أننا نقيم سرّ فداء وسرّ كفَّارة بدون المسيح نفسه قائماً؟

أليس هذا هو بعينه ما عمله المسيح حينما كان جالساً على مائدة الفصح يكمِّل ما سيعمله على الصليب قبل أن يُصلب؟؟ فإن كان في قوة المسيح واستطاعته أن يحقِّق بالفعل الموت في نفسه قبل أن يموت، ويقول لهم خذوا هذا هو دمي المسفوك وهو لم يُصلب بعد، ألا يحقِّق بالفعل سر موته بعد أن قام حينما نقيم الإفخارستيا باسمه لنحقِّق فعل موته!؟

ولذلك أيضاً أضاف المسيح قوله:

«الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا»:

τὸ περὶ πολλῶν ἐκχυννόμενον εἰς ἄφεσιν ἁμαρτιῶν.

هناك كان دم الخروف لمجرَّد عبور الملاك المهلك خلاصاً للأبكار من الموت، ولكن هنا لمغفرة خطايا العالم للخروج من عبودية الشيطان والموت.

هناك كان كأس بركة الفصح الأخيرة، وهنا كأس البركة للعهد الجديد لغفران الخطايا وإعطاء

حياة أبدية لكل مَنْ يتناول منه: «كأس البركة التي نباركها أليست هي **شركة دم المسيح**، الخبز الذي نكسره **أليس هو شركة جسد المسيح**.» (١كو ١٠:١٦)

وقول المسيح: «من أجل **كثيرين**» يقصد به أنه لكل مَنْ يتناول منه. ويؤكِّد العلماء أن كلمة "كثيرين" هي "الكل" فيأتي المعنى السرِّي هكذا: الواحد فدى الجميع!! أو أن الكل اشتركوا في الواحد، حيث يصبح الجميع بسبب الشركة في الدم الواحد في شركة معاً أي كنيسة واحدة: «فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد.» (١كو ١٠:١٧)

ولينتبه القارئ جدًّا للتعبير الذي يقدِّمه بولس الرسول هنا: «نحن الكثيرين خبز واحد. جسد واحد (ليس بينهما إضافة) εἷς ἄρτος, ἕν σῶμα.» هذا التعبير يكشف الوجهين: "الخبز والجسد" في وضع تعبيري عن التساوي المطلق الذي ينطق بأن الخبز هو هو الجسد. والاشتراك في الخبز الواحد هو هو اشتراك في الجسد الواحد.

«الذي يُسفك»: τὸ ἐκχυννόμενον

معروف في العهد القديم أن «النفس في الدم» (لا ١٧:١٤)، لذلك أصاب إشعياء النبي بقوله: «من أجل أنه **سكب للموت نفسه**» (إش ٥٣:١٢)، التي هي بعينها **سكب للموت دمه!!** وبناءً على ذلك يقول إشعياء: «وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين.» (نفس الآية).

"وسفك الدم" بحد ذاته هو مضمون فعل الفداء في مفهوم الذبيحة، الذي هو نفسه لمغفرة الخطايا، أي الخروج من تحت عبودية الخطية والموت: «لأن نفس الجسد في الدم، فأنا أعطيتكم إياه (الدم) على المذبح للتكفير عن نفوسكم (نفس حيوان عوض نفس إنسان)، لأن الدم يكفِّر عن النفس.» (لا ١٧:١١)

أمَّا كيف فهمت الكنيسة عشاء الفصح الذي عمله المسيح أنه فصحها الأبدي، وأن خروفها الوحيد هو المسيح الذي ذُبح مرَّة واحدة من أجل خلاص العالم كله، فهو يُقرأ بسهولة عند ق. بولس الذي أحيا هذا الإجراء الكنسي السرائري وسجَّله للكنيسة حين قال: «إذن نقُّوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير، **لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا.**» (١كو ٥:٧)

+ «لأنني تسلَّمت من الرب ما سلَّمتكم أيضاً: إن الرب يسوع في الليلةِ التي أُسلم فيها، أخذ خبزاً وشكر فكسَّرَ، وقال: خذوا كُلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشَّوا، قائلاً: هذه الكأسُ هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلَّما شربتم لذكري. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تُخبرون بموت الرب إلى أن يجيءَ.» (١كو ١١: ٢٣-٢٦)

وعلى القارئ أن يتأمَّل الصيغة التي سجَّل بها ق. بولس هذا التأسيس الإفخارستي الذي يُعتبر أقدم صورة للإفخارستيا قبل الأناجيل، باعتباره الطقس الكنسي حسب أقدم تقليد، وكأنه وديعة يسلِّمها للكنيسة كما تسلَّمها من الرب.

وإذا دقَّق القارئ يجد أن النص يذكر: «هذا هو جسدي المكسور لأجلكم» في صيغة المضارع الدائم باعتباره فعل المسيح الدائم في المستقبل أيضاً، أي كحقيقة فوق الزمان، ومضمونه أنه المذبوح على الصليب، والدم مسفوك منه لأجلكم، ثم يكمِّل بعد ذلك مباشرة: «اصنعوا هذا لذكري» حيث يكون المعنى حقِّقوا هذا الفعل الإفخارستي بحضوري بينكم مذبوحاً ودمي مسفوكاً كل الأيام إلى أن أجيء. فهنا كلمة "لذكري" تفيد التوقيع الزمني الدائم لفعل حضور الرب وهو مسفوك الدم ليكون فداءً دائماً كتحقيق لوجوده الذاتي بيننا. والدليل القاطع على هذا التفسير ما أكمل به الكلام قائلاً: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون (تبشِّرون) بموت الرب (أي تحقِّقون عمل الكفَّارة والغفران في حياتكم) إلى أن أجيء!!» كما سبق وشرحنا حيث يكون مجيئه ليس للتكميل بل للحساب النهائي.

بهذا تُفهم الإفخارستيا أنها فعل تحقيق موت الرب لتكميل قوة الكفَّارة ومغفرة الخطايا بواسطة المسيح الحاضر في الكسر والسكب كل يوم وإلى مدى الأيام ونهاية الدهر.

من هنا نفهم لماذا أسَّس المسيح الإفخارستيا بواسطة عشاء الفصح الأخير من جسده ودمه، وأعطاها سر قوة وفعل الديمومة الإلهية فأصبحت تكميلاً عملياً للوعد: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.» (مت ٢٨:٢٠)

وهكذا حقَّق لنا المسيح الشركة معه بواسطة الجسد والدم بصورة فائقة للطبيعة، ثم إن هذه الشركة في الجسد والدم أهَّلتنا أن نكون شركاء حقيقيين في موت المسيح وقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السموات. وهذا ما يؤكِّده بولس الرسول أيضاً: «كأس البركة التي نباركها أليست هي **شركة دم المسيح**، الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح» (١كو ١٠:١٦). وهذا هو الذي ظلَّ يتغنَّى به ق. بولس الرسول كيف صرنا شركاء في آلامه، شركاء في صليبه، شركاء في موته، شركاء في قيامته، شركاء في صعوده، شركاء في جلوسه عن يمين الآب، شركاء في مجده، شركاء في بنوَّته وحبه للآب، شركاء في ميراثه:

+ «لأنه إن كنَّا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته.» (رو ٦:٥)

+ «فإن كنا قد مُتنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه.» (رو ٦:٨)

+ «وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويَّات في المسيح يسوع» (أف ٢:٦)
+ «فإن كنَّا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح.» (رو ٨:١٧)
+ «إن كنَّا نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه.» (رو ٨:١٧)
+ «أمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا.» (١كو ١:٩)

انظر عزيزي القارئ، فإن شركتنا معه في الجسد والدم هي شركة في شخص المسيح المبارك ابن الله الوحيد، وهي بذلك جعلتنا شركاء كاملين في كل ما أكمله المسيح على الأرض وفي السماء، إذ أعطانا شركة أيضاً في علاقة الابن بالآب، فنلنا بمقتضاها بنوَّة (تبنِّي) للآب في شخص يسوع المسيح، بل وصرنا شركاء ذات الحب الذي أحبَّ به الآب الابن: «وعرَّفتهم اسمك وسأُعرِّفهم **ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم.**» (يو ١٧:٢٦)

وهكذا أيضاً نرى في الختام أن الذبيحة التي حقَّقها المسيح في نفسه بنفسه في سر الإفخارستيا أثناء العشاء الفصحي الأخير يوم الخميس بالخبز المكسور والخمر المسكوب المتحوِّلَينْ إلى جسده الأقدس ودمه الكريم:

- هي بعينها التي أكملها المسيح بأيدي صالبيه على الصليب يوم الجمعة،
- وهي بعينها التي صعد بها المسيح إلى الآب ليقدِّم نفسه: «كخروف قائم كأنه مذبوح» أمام الآب ذبيحة شفاعة دائمة لحسابنا: «وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفَّارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً.» (١يو ٢: ١و٢)
- وهي نفسها التي تركها للكنيسة لتقيمها باسم الآب والابن والروح القدس لتحقِّق بها الكنيسة حضوره الدائم وشركتها فيه لتكميل وعده الصادق: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.» (مت ٢٨:٢٠)

◆ على أن الكنيسة تؤمن أن المسيح نفسه لا يزال هو الذي يعطي جسده ويسقي دمه بيده سرًّا في الإفخارستيا لكل متناول من خلال سر كهنوته الفائق والدائم.
◆ ثم تؤمن الكنيسة أن الإفخارستيا بحد ذاتها مع كل ما يشمله طقسها من قراءات وتسابيح تعتبر قلب العبادة النابض بحب المسيح وعبادة الآب بالروح والحق، وأنها عمل تقديسي يتقدَّس به كل مَنْ يشترك فيه.

٢٦: ٢٩و٣٠ «وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هذَا إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا

أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ أَبِي. ثُمَّ سَبَّحُوا وَخَرَجُوا إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ».

واضح هنا أن المسيح اشترك في أكل الفصح مع تلاميذه، وأكل الخبز المكسور وشرب الكأس المسفوك معهم، كما نصَّ عليه إنجيل ق. لوقا: «**شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألَّم**» (لو ٢٢:١٥). وقوله هنا: «قبل أن أتألَّم»، يكشف عن إدراكه لما سيأتي عليه من الآلام والصلب ثم القيامة. كما أنه في هذه الآية: «أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي» يكشف عن القيامة التي سيقومها بمجده وذهابه إلى الآب وبدء ملكوته الأبدي مع قديسيه: «فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأُمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض ... أمَّا قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين.» (دا ٧: ١٤و١٨)

علماً بأن قوله: «أشربه جديداً» لا يفيد بعد شُرباً مادياً، لأنهم لا يأكلون ولا يشربون فوق، ولكنه تعبير عن وليمة الملكوت حيث طعامها هو الحق والحب والفرح، وشرابها هو النور والبهاء والمجد.

وحدة الخبز والخمر، أي الجسد والدم في الإفخارستيا:

في الطقس الإفخارستي أثناء القداس، بعد أن يشكر الكاهن ويبارك الله على الخبز ويقسِّمه، ويشكر ويبارك الله على الدم في الكأس، ويتلو صلوات القسمة، يعود الكاهن ويأخذ من الجسد قطعة الذسبوتيكون التي في الوسط (الاسباذيكون نطق خاطئ) وتعني التي للرب، ويغمسها جيِّداً في الدم داخل الكأس ويرفعها ويمرّ بها على بقية الجسد ليمزج الدم بالجسد، ويحقِّق قول القسمة السريانية: [إن هذا الجسد لهذا الدم، وهذا الدم لهذا الجسد]. والمعنى أن النفس في اليوم الثالث اتحدت بالجسد وقام المسيح بالجسد حيًّا من بين الأموات. وبهذا المعنى يصرخ الكاهن في القسمة السريانية ويقول: [أتت نفسه واتحدت بجسده ... وفي اليوم الثالث قام من القبر]. وهكذا استطاع الطقس الملهم أن يجمع الدم بالجسد مرَّة أخرى بعد أن صوَّر تمزيق الجسد على الصليب في القسمة، وسَكْب الدم بصب الخمر الممزوج بالماء في الكأس. وهذا يفيد أن المتناول إنما يأخذ الجسد ممزوجاً بالدم أي متحداً به، بمعنى أنه يأكل المسيح حيًّا حسب قوله: «أنا هو الخبز الحي ... مَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (يو ٦: ٥١و٥٧)

وهكذا فإن تفريق الجسد عن الدم يفيد الموت وجمعهما معاً يفيد القيامة(١٩).

---

(١٩) وللأسف توجد كنائس فقدت هذا التقليد الطقسي الكنسي المسلَّم منذ البدء، الذي يؤكِّد أن التناول هو من "جسد ودم" جاز الموت وأتى إلى الحياة، والشركة هي في المسيح الحي. فمن الخطأ أن يتناول أحد الجسد بدون الدم. وهذا أمر يُحسب خطيراً في المفهوم اللاهوتي الإفخارستي. ولذلك بدأت معظم هذه الكنائس في السنوات الأخيرة تعود إلى التقليد القديم وتُناول الشعب من الجسد والدم.

محنة التلاميذ

جميعكم تهربون وأوَّلكم ينكرني

[٢٦: ٣١-٣٥]

(مر ١٤: ٢٧-٣١)،
(لو ٢٢: ٣١-٣٤)،
(يو ١٣: ٣٦-٣٨)

٢٦: ٣١ «حِينَئِذٍ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: كُلُّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ».

ما أن أكمل المسيح تسبيحه مع تلاميذه لبقية هالليل الكبير، مودِّعاً الفصح الأخير العتيق بذكرياته، حتى بدت أمام المسيح بشائر الليلة الثقيلة بهمومها. لأن المسيح وهو عالم بكل ما سيأتي عليه كان رابط الجأش ولكن أسيف البال، لأن تلاميذه أصبحوا أكثر ثقلاً عليه في كل الساعات القادمة. فلم يكن خافياً عليه أين يذهب يهوذا وماذا يعمل، وبقية التلاميذ لم يكونوا على مستوى الحدث الجَلَل القادم، وقالها المسيح في إنجيل ق. يوحنا بمرارة: «هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرَّقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي» (يو ١٦: ٣٢). لقد شعر المسيح بوحدة مُوحِشَة جداً: الكل الكل الكل: "وأنا وحدي":

الكل: «**كلكم** تشكُّون فيَّ في هذه الليلة.» (٢٦: ٣١)

الكل: «ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك. هكذا قال أيضاً **كل** (جميع) التلاميذ» (٢٦: ٣٥)

الكل: «حينئذ تركه التلاميذ **كلهم** وهربوا.» (٢٦: ٥٦)

نظر المسيح ورأى نفسه وحيداً والتلاميذ تركوه جميعاً وهربوا. فتذكَّر النبوَّة المحبوكة لهذا القصد عند زكريا النبي: «إضرب الراعي فتتشتَّت الغنم وأَرُدُّ يدِي على الصغار» (زك ١٣: ٧) وواضح أنه هو يهوه الآب نفسه! ليذوق الابن الوحيد مرارة ضياع الإنسان وفقدانه للسماء وأعوان الأرض معاً، أن يحس بخيانة الكل وضياع المعونة والأُلفة من الجميع وتخلية السماء أيضاً، تصبح هي بذاتها مرارة العلقم: «نفسي حزينة جداً حتى الموت!!» (٢٦: ٣٨) هي صرخة الإنسان الوحيد التائه على وجه الأرض. وحتى الآب؟ «الذي لم يشفق على ابنه.» (رو ٨: ٣٢)

في نفس الليلة: «أحب خاصته الذين في العالم أحبَّهم إلى المنتهى» (يو ١٣:١)، «كلكم تشكون فيَّ في هذه الليلة».

في نفس الليلة: «شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألَّم» (لو ٢٢:١٥)، «وتتركوني وحدي.» (يو ١٦:٣٢)

في نفس الليلة: «الذين أعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلاَّ ابن الهلاك» (يو ١٧:١٢)، «قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرَّات.» (مت ٢٦:٣٤)

وكان التلاميذ مصدر حزن في الداخل، والخائن ورؤساء الكهنة بسيوف وعصي يتجمَّعون في الخارج. وتمَّ بالفعل قول زكريا النبي على الذين في الخارج وعلى الذين في الداخل معاً: «استيقظ يا سيف على راعيَّ وعلى رجُل رفقتي يقول رب الجنود. اِضرب الراعي فتتشتت الغنم ...» (زك ١٣:٧).

«أمَّا الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن» (إش ٥٣:١٠). وقد استجاب لها بالفعل: «نفسي حزينة جداً حتى الموت»، «العار قد كسر قلبي فمرضت، انتظرت رقَّة فلم تكن ومعزِّين فلم أجد.» (مز ٦٩:٢٠)

٢٦:٣٢ «وَلَكِنْ بَعْدَ قِيَامِي أَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ».

+ «صوت قائل ناد. فقال: بماذا أنادي: كل جسدٍ عشب وكل جماله كزهر الحقل، يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبَّت عليه. حقاً الشعب عشب. يبس العشب ذبل الزهر. وأمَّا كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد.» (إش ٤٠: ٦-٨)

وهكذا نظرة المسيح تتجاوز الزمان وضعف الإنسان وسقوط الهامات وانكسار القوات والقدرات، وتبقى كلمته باقية لا تعود إليه فارغة. نظرة المسيح هنا تجاوزت كل حدود الشك والإنكار والخوف والهروب، وبقيت على ما هي عليه من حب وعطف ولطف وافتقاد. «بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل» حيث كنَّا حيث حبُّنا الأول حينما غَرَسْتُ في قلوبكم الشجاعة والإيمان، لتستعيدوا رسالتكم! وعجيب حقاً أنَّ إزاء الشك الذي عمَّ قلوب التلاميذ جميعاً، واستعداد الإنكار الذي ملأ قلب الشجاع بطرس، يُعلن المسيح ولأول مرَّة عن قيامته الوشيكة والأكيدة!! وكأنما يردّ على تلاميذه: هكذا وبالرغم من أنكم تشكون في قدراتي هذه الليلة وتتركونني حيث لا أَمَلَ لكم فيَّ، إلاَّ أني لا أزال أملك قدرات قيامتي في يدي وفي قلبي. سأقوم، بل وأسبقكم إلى الجليل حيث هناك ترونني كالأول!

لقد نسي التلاميذ الأحد عشر هذا الوعد في يوم الضيقة هذا ولكن ذكّرهم الملاك بـه: «فأجاب الملاك وقال للمرأتين ... اذهبا سريعاً قولا لتلاميذه (الذين شكُّوا) إنه قد قام من الأموات. ها هو يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه» (مت ٢٨: ٥و٧). وتمَّ بالفعل هـذا اللقاء السعيد: «وأمَّا الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع، ولمَّا رأوه سجدوا له (ولكن واحسرتاه) ولكن بعضهم شكُّوا (فالإنسان هو الإنسان) ...» (مت ٢٨: ١٦و١٧). ولم ينقذهم إلاَّ يوم الخمسين.

٢٦: ٣٣ «فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: وَإِنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ أَبَداً».

كان المسيح رقيقاً للغاية في اتهامه بسبق علمه أن تلاميذه جميعاً سيعثرون فيه ويشكُّون، وفي الحال تجاوز عثرتهم وشكَّهم وكأنه لم يكن، لأنه لم يترتَّب على شكهم خسارة عامة حسب إعلان المسيح، بل وأعلن صَفْحَهُ مقدَّماً بأنه سيراهم مرَّة أخرى بعد قيامته ويفيض عليهم بمحبَّته هناك في موطنهم. ولكن لم يصغ بطرس باستعجاله وانفعاله إلى رواية المسيح باعتبارها أمراً مقضيًّا به، وبدلاً من أن يتأسف أو يطلب المزيد من التوضيح، تمادى في مراجعة تصريح الرب كمَنْ يُخَطِّيءُ مِن نَظْرَته وتقديره، كما فعل في أمر نبوَّة الصلب التي سبق وتنبَّأ بها المسيح عن نفسه فقال له حاشا! هذا لا يكون، مما جعل المسيح يُرْدِعه بقوله: «اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي» (مت ١٦: ٢٢). كذلك هنا تأتي مراجعته للرب وتخطئة وجهة نظره فجَّة غير مقبولة، ثم يأتي استعلاؤه على إخوته بقية التلاميذ أنهم حتى ولو شكُّوا جميعاً فهو لا يشك، كنوع من الاعتداد بالذات لا يُسْعِفُه خُلُقُه ولا شجاعته الأدبية على التمادي فيها. ونحن هنا لا نعدِّد أخطاء بطرس بل أخطاءنا نحن. فكلنا بطرس وكلنا أقل من التلاميذ جميعاً، ولسنا على مستوى أي تجربة إن لم يكن الرب حارساً ومنجِّياً. فإن كان بطرس قد أثبت بردّه غير المقبول هذا أنه ليس على مستوى التلميذ في عدم إذعانه لكل ما يشير به معلِّمه، فنحن لا نقول عن أنفسنا إلاَّ أننا على مستوى أسوأ من بطرس بدون نعمة الرب.

والآن إذا نظرنا إلى ما صار لبطرس وكيف تحقَّق ما قاله المسيح إذ أنكر ثلاث مرَّات وفي الميعاد الذي حدَّده المسيح بالضبط أنه لا يعرف هذا الرجل، لأدركنا حقيقة أنفسنا أمام عين الله الفاحصة. والقديس متى لم يعتنِ أن يذكر هذه القصة حتى تكميلها إلاَّ لكي يوعِّي الكنيسة وكل المؤمنين فيها من خطر الاعتداد بالذات، وضرورة الاعتراف بضعفنا وطلب المعونة من النعمة حتى لا نتورَّط في

العثرات بسبب سوء تقديرنا لأنفسنا.

٢٦: ٣٤ «قَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ دِيكٌ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ».

ردُّ بطرس بالقطع: "لن وأبداً"، جعل المسيح يراجعه مرَّة أخرى فيما سبق وأنذره به، بأن أضاف: «الحق أقول لك»، وهذا ليعيد له اتزان تفكيره فينتبه أنه يتكلَّم أمام معلِّم يدرك كل ما بداخل الإنسان. والمسيح لمَّا يتكلَّم يتكلَّم بالحق وليس من يردُّه أو يراجعه. وكأن بطرس لم يعِ من درس الإفخارستيا كيف أكمل المسيح ما سيأتي عليه لأنه عالم بكل ما سيأتي عليه. فقدرة المسيح تتجاوز معرفة الآتيات كنبي بل يفعلها كإله! لذلك فقصور بطرس في معرفة قدرات معلِّمه يُحسب عليه كتلميذ عاش مع معلِّمه ثلاث سنوات ويزيد، انتهى منها بمعارضة معلِّمه في صميم اختصاص قدراته كمعلِّم فائق المعرفة والرؤيا. وقول المسيح هنا «قبل أن يصيح ديك تنكرني ثلاث مرَّات» يكشف سرعة سقوط بطرس، إذ هذا الميعاد لا يتجاوز ثلاث ساعات من لحظة قطع بطرس باستحالة إنكار معلِّمه. هكذا أكَّد المسيح رده على بطرس بقوله: «الحق أقول لك» بعد ثلاث ساعات تنكرني. بطرس استكثر على نفسه أن **يشك**، فسقط في **الإنكار**؛ وردًّا على قوله: «لن أشك **أبداً**» قال له **الليلة** تنكرني.

واضح جداً من ردود المسيح شدَّة انفعال نفسه وتأسُّفه وحزنه على ما آل إليه حال تلميذه الذي ظن فيه المسيح خيراً فإذ هو عصافة تذريها الريح. ولولا قول الرب في هذا الأمر: «لكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو ٢٢: ٣٢) لكان مصيره مصير يهوذا.

ويلاحظ القارئ أن المسيح لم يُنقذ بطرس من التجربة ولكنه اكتفى بأن طلب حتى لا يفنى إيمانه إن سقط في التجربة. وترى معي أيها القارئ العزيز أن التجربة التي سقط فيها بطرس بإنكاره الرب ثلاث مرَّات أمام جارية صنعت من بطرس الجبان الرعديد أشجع مدافع عن الإيمان المسيحي في الكنيسة لأنه بكى فيها بكاءً مرًّا، وعرف من أين سقط وتاب. وهكذا يسمح الله بالتجارب المرَّة ليصنع منها رجالاً في الإيمان.

ويُؤخَذ على بطرس ثلاثة مواقف لا تبشِّر إطلاقاً بما صار إليه بعد يوم الخمسين: فسقوطه في الماء لعدم إيمانه، وعدم قبوله تأليم الرب على الصليب وقوله لمعلِّمه حاشاك، ومعارضته للمسيح بادعاء القدرة على الدفاع عن المسيح حتى الموت ثم إنكاره ثلاثاً أمام جارية. وبهذا يكشف لنا الإنجيل ماذا ومَنْ هو الإنسان قبل الامتلاء من الروح القدس ومَنْ هو بعد الامتلاء!

٢٦: ٣٥ **«قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: وَلَوْ اضْطُرِرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لاَ أُنْكِرُكَ! هكَذَا قَالَ أَيْضاً جَمِيعُ التَّلاَمِيذِ».**

يقولها كل من ق. متى وق. مرقس: «أموت معك» ولكن يقولها ق. يوحنا بالصورة الأكثر فدائية: أموت «من أجلك» (يو ١٣: ٣٧) ὑπὲρ σοῦ. وهكذا وفي هذا المضمار الخاسر اقتاد بطرس بقية التلاميذ قيادة في الزلل وتضخُّم الذات والإصرار على الرأي غير الموزون بميزان اللياقة في المخاطبة والرد على المعلِّم. كل هذا يكشف لماذا تركوه جميعاً وهربوا، والقائد صمد لكي ينهار فجأة أمام الخادمة لينكر بقسم أنه لا يعرف هذا الرجل الذي يُدعى يسوع! لقد أمعن المسيح في استدراج بطرس ليكشف له وللتلاميذ والكنيسة ماذا يكون الإنسان الذي يتفاخر بقدراته، وأنَّ في كنيسة المسيح القدرة والشجاعة والأولوية تقاس بالطاعة والاتضاع وإنكار الذات. وأن مَنْ تعذَّر عليه أن يُنكر ذاته يسهل عليه أن ينكر المسيح والله، والذي يُطلق لنفسه العنان ويُصِرّ أنه الأقوى والأقدر والأفضل سيصرّ بنفس القوة والقدرة على أنه لا يعرف هذا الرجل وإن احتاج الأمر لقسم فهو جاهز، وليس أمام محاكم بل أمام بوابة!

ويعلِّق أوريجانوس على كشف رعونة بطرس قائلاً: [لولا أن الكنيسة تحب الحق كان يستحيل أن تكتب أن بطرس أنكر والتلاميذ هربوا جميعاً](٢٠). ويؤكِّد العلماء أن ذكر هذه الحادثة يكشف أصالة ودقة وأمانة التاريخ المدوَّن.

أمَّا رؤيتنا نحن فهي تزداد رسوخاً نحو المسيح الذي عانى من هذا القصور الدائم من جهة تلاميذه إضافة مرَّة إلى ما عاناه من رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيِّين، لأن ما أحاط المسيح من مقاومات وخيانات وبُغضة من كل مَنْ تعاملوا معه، جعل مسيرته نحو الصليب من أول يوم لا تقل صعوبة ومرارة عن الصليب ذاته، مما جعله يحكي عن صليبه النفسي الذي صُلب عليه قبل صلب الجسد بقوله: «نفسي حزينة جداً حتى الموت!!» (مت ٢٦: ٣٨)، هذا هو صلب النفس الذي هو أصعب من صلب الجسد! ثلاثة صلبان جازها المسيح: ترك التلاميذ له وهروبهم، وتخلِّي الآب، وآلام الموت على الخشبة. جازها بكل مرارتها ليفوز لنا بالفداء.

---

(20) F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 976.

صلاة جثسيماني وسر الكأس!

[٢٦:٣٦-٤٦]

(مر ١٤:٣٢-٤٢)،
(لو ٢٢: ٣٩-٤٦)

نحن هنا أمام أصعب مرحلة من مراحل رسالة المسيح.

فالمسيح قادم إلى جثسيماني ليقدِّم نفسه للصليب. وبالتالي أو بالأَولى يقدِّم نفسه لصالبيه، بل على وجه الدقة والكشف والوضوح يقدِّم نفسه للمواجهة الأخيرة مع الشيطان وكل أعوانه من رياسات وسلاطين غير منظورين، ورياسات وسلاطين يحرِّكهم الشيطان على الأرض لهذه الساعة الخطيرة التي اجتمعت فيها قوات الشر في السموات والأرض: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو ٢٢:٥٣).

واللحظة الحرجة أو أخطر نقطة في هذه المواجهة هي أن يقبل المسيح أن يسلِّم نفسه لهذه القوى الشريرة التي يقودها الشيطان. ولكن الذي يهوِّن على المسيح من فظاعة هذا التسليم، الذي معناه التنكيل به لأشنع ميتة على الصليب، أن هذا يتوافق مع إرادة ومشيئة الآب. لأن بهذا يتم الفداء الذي نزل من أجله من السماء ولبس جسد الإنسان: «لأنه هكذا أحب الله العالم **حتى بذل ابنه الوحيد** لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣:١٦). معنى هذا أن الآب قدَّم ابنه ليموت جسدياً من أجل البشرية لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، وهذا هو الفداء.

وبهذا انتقلت الصعوبة والنقطة الحرجة على نفس المسيح من التسليم لقوى الشر، إلى التسليم لمشيئة الآب وقبول شرب هذه الكأس من يديه أولاً، والباقي أمره يهون.

ولكن التسليم لمشيئة الآب وقبول الكأس معناه **القبول بأن توضع عليه كل خطايا البشرية**(٢١) بمعنى أن يُحَاكَم كقاتل وزان ونجس وصانع شر ومجدِّف، ولكن أصعب الخطايا جميعاً التي يتحتَّم أن يقبلها هي أن يكون مخالفاً وعاصياً لله، ومعناها أن يقبل لعنة الله التي حلَّت على الإنسان وبالتالي يحتمل غضب الآب وغياب وجهه عنه، الأمر الذي كان أصعب ما واجهه على الصليب: «إلهي إلهي

(٢١) لقد ظنَّ العلماء والشُّرَّاح أن الكأس التي جزع المسيح منها وطلب أن تجوز عليه، هي الآلام والصلب والموت، وهذا يخالف كل ما سبق وأعلنه المسيح على مدى الإنجيل أنه سيُسلَّم لأيدي الأمم ويتألَّم ويُصلب ويموت ويقوم، فهل يمكن أن يناقض المسيح نفسه؟

لماذا تركتني!!» (مت ٢٧:٤٦). نعم هذا هو الذي عاناه المسيح في صلاته للآب في جثسيماني. إذ لابد أن يتقرَّر أولاً في جثسيماني ما سيكون على الجلجثة!! إذن، فهيَّا إلى مواجهة الآب!

٢٦:٣٦ «حِينَئِذٍ جَاءَ مَعَهُمْ يَسُوعُ إِلَى ضَيْعَةٍ يُقَالُ لَهَا جَثْسَيْمَانِي، فَقَالَ لِلتَّلاَمِيذِ: اجْلِسُوا ههُنَا حَتَّى أَمْضِيَ وَأُصَلِّيَ هُنَاكَ».

«ضيعة يُقال لها جثسيماني»: χωρίον λεγόμενον Γεθσημανί

هنا يلزمنا التذكير بما حقَّقناه من أبحاث في إنجيل ق. مرقس وعلمناه من كيف أن عائلة ق. مرقس كانت من أغنى العائلات من منطقة الرأس الخضراء بليبيا في مدينة كيريني أو كيرينئوس، وكيف أنهم جمعوا ثروتهم وهاجروا إلى أُورشليم واشتروا البيت الكبير الذي كان في البداية ملجأً دائماً للمسيح في العلية أعلى السطح، وبعد ذلك صار هو الكنيسة التي يجتمع فيها التلاميذ دائماً (أع ١٢:١٢)، كما اشتروا ضيعة في جبل الزيتون، وهي عبارة عن حديقة بها أشجار كثيرة من الزيتون ومعصرة لزيت الزيتون وبيت ريفي للسكنى، وهو الذي قال عنه ق. لوقا: «وكان في النهار يعلِّم في الهيكل وفي الليل يخرج ويبيت في الجبل الذي يُدعى جبل الزيتون (مع تلاميذه)» (لو ٢١:٣٧). معنى هذا أنه كان بيتاً مُتَّسعاً ومُعَدًّا للمبيت لعدد يزيد عن الاثني عشر. هذه هي حقيقة جثسيماني.

خرج المسيح وتلاميذه من الباب الشرقي المواجه لجبل الزيتون، وعبروا وادي قدرون، ووصلوا إلى البستان: «قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه (من أُورشليم) إلى عبر وادي قدرون حيث كان بستان (له باب) دخله هو وتلاميذه» (يو ١٨:١). وترك المسيح تلاميذه في البيت وخرج مع الثلاثة المختارين ليصلِّي خارجاً في وسط الشجر.

٢٦:٣٧ «ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَابْنَيْ زَبَدِي، وَابْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَئِبُ».

ولأول مرَّة يرى التلاميذ المسيح وهو يصلِّي هكذا. وهو أراد ذلك. فالمسيح هنا يسلِّم تلاميذه وبالتالي الكنيسة وكل المؤمنين أن ليس لنا إلاَّ الصلاة حينما يعصف بنا العالم وتتحد قوى الشر. فالله هو الملجأ الأول والأخير، وسوف نرى ونسمع من كلام المسيح أنه إن كان ولابد من التجربة «فلتكن مشيئتك»، لأن التسليم ليد الله يحوِّل التجربة إلى خلاص ومجد.

«يحزن ويكتئب»: λυπεῖσθαι καὶ ἀδημονεῖν = to grieve and be distressed

هذا هو تقرير شاهد عيان، ربما بطرس أو يعقوب أو يوحنا أو مرقس. وقد ذكرها ق. مرقس:

«وابتدأ يَدهَشُ» (مر ١٤: ٣٣) = ἐκθαμβεῖσθαι = greatly astonished وهي الأكثر وضوحاً. فهنا الدَهش البالغ أو الكثير هو حالة من حالات الصلاة التي يدخل فيها العقل إلى ما فوق المعقول. إذن واضح هنا غاية الوضوح أن التجربة فوق طاقة الإنسان! إذ اُضطرَّ العقل أن يسلِّم النفس لمواجهة غير المعقول، وبناءً عليه دخلت النفس إلى حالة اكتئاب أي فقدان الوضع الطبيعي لمواجهة صعاب فوق الطاقة.

وإذ نحن هنا في حالة صلاة، علينا أن نتكلَّم ونفحص على مستوى حالات الصلاة. فهنا التجربة فوق القدرات البشرية. والسبب في ذلك أن النفس والفكر والروح والجسد التي للمسيح هي في حالة قداسة وطهارة وبرارة فائقة، والمطلوب من كل منها أن يتحمَّل كل أوزار وخطايا وأوساخ النفوس والأفكار والأرواح والأجساد التي للبشرية، لا كتحمُّل وقتي ولكن أن تلبسها لبساً، بأن تقف وتعلن أمام السماء والأرض أنها كذلك وتُصرُّ على أنها كذلك، حتى تتحمَّل لعنة الصليب وغضب وحكم الله فيحدث الموت كعقوبة، وبذلك تتم تبرئة الإنسان كل إنسان. وهذا بكل تأكيد ليس في مقدور أي نفس أو فكر أو روح أو جسد لأي إنسان مهما كان.

نعم لقد رفضت هنا مشيئة المسيح يسوع لأنها لا تقوى على احتمال وضع فادح كهذا، وأبسط صورة لذلك هي كيف تقبل مشيئة الابن المتجسِّد أن تقف موقف المعاداة للقداسة والبر والطهارة لله ذاته؟ الابن المتجسِّد جزع من أن يحمل الخطايا الموجَّهة ضد الله الآب من تجديف وزنا وإنكار، ولكن بالنهاية خضع، كونها مشيئة الآب نفسه: «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت» (مز ٤٠: ٨). مع أن الموت كان أهون عليه من حمل خطايا الإنسان. وبهذا استطاع المسيح في صلاته العنيفة أن يصل إلى حالة التسليم لقبول خطايا البشرية بكل أنواعها وكل ثقلها وكل عارها. وهكذا قَبِلَ بالتالي الحكم عليها بالصليب والموت حينما أخضع مشيئته - حاملاً خطايا البشرية في جسده - إلى مشيئة الآب. وبتسليم مشيئته للآب والرِّضا بالصليب تخطَّى الرعبة والفزع من مواجهة الشيطان بكل قوات الشر في السماء والأرض، التي كانت سابقاً تتحكَّم في البشرية - بأن رَضِيَ أن يتقابل معها، لا كأنه قد سلَّم مشيئته لها، الأمر الذي كان يفزعه، بل لأنه سلَّم المشيئة للآب فأصبح مقاداً بمشيئة الآب لتكميل كل ما سيأتي عليه من أعمال الظلمة ممثَّلة في الشيطان وأعوانه من ملائكة ساقطين معه من السماء وبشرٍ تابعين له على الأرض، وبسط يديه للقيود مسنوداً بمشيئة أبيه، لخلاص الإنسان.

٣٨:٢٦ «فَقَالَ لَهُمْ: نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ. اُمْكُثُوا ههُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي».

لقد صارت نفسه في مواجهة خيَار لابدَّ منه: أن تَحْمِلَ خطايا وعار البشرية، والأمر فوق طاقتها. وإلاَّ تأمَّل معي، كيف ترضى وهي النفس الطاهرة النقية أن تصير نفساً خاطئة بكل مفهوم نجاسات الخطايا من قتل وزنى ونجاسة وطمع وشهوة وشر، كل شر، كيف؟ وذلك ليس بأن تحملها إلى ساعة بل تتحمَّلها كصفة شخصية ترضى بها وتظهر بها وتُصرّ عليها أمام المحاكم، وتُحاكم بمقتضاها فتوافق وترضى ولا تدافع ولا تتذمَّر، بل توافق أن يُحكم عليها بالموت بمقتضاها؟! هذه حالة نفس المسيح، وهو حينما قال: «نفسي حزينة جدًّا حتى الموت»، فهذا صدق كل الصدق، فنفسه رضيت مختارة بحسب تسليم المشيئة للآب أن تقبل حزن الموت!! وقوله: «حزينة جدًّا» لأنه حزن حتى الموت، أي ليس بعده حزن!!

هذا هو واقع الخطية على نفس المسيح لَمَّا أخذها في جسده وفي نفسه، كما أعلنها ق. بطرس: «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر» (١بط ٢:٢٤). وكما تنبَّأ عنها إشعياء قائلاً: «والرب وضع عليه إثم جميعنا.» (إش ٥٣:٦)

هذا ثمن فادح جدًّا لخلاصنا من الخطية، فأن تقبل نفس المسيح أن تَحْمِلَ الخطية حَمْلاً حقيقياً داخلياً تُسأل وتُحاكم بمقتضاه، كان أصعب عليها وأمرّ من حكم الموت نفسه. وهذا هو معنى قوله بالضبط أو حرفياً: «نفسي حزينة جدًّا **حتى الموت**» مع أنه لم يكن قد مات بعد!

إذن، فنفس المسيح لَمَّا حملت خطية الإنسان بلغ بها الحزن والأسى والاكتئاب إلى حد الموت قبل الموت. ثم أليس هذا معناه أن كأس الخطية التي حملها في جسده كان أمرّ من كأس الآلام على الصليب؟ وهذا هو **عبء الفداء** الذي يتحتَّم أن يُضاف على آلام الصليب.

حاول بولس الرسول كثيراً أن يصف كيف أن الخطية خاطئة جدًّا (رو ٧:١٣)، ولكن قول المسيح هنا يفوق كل أوصاف القديس بولس في التعبير عن أثر وعمل الخطية المدمِّر!! انظروا كيف حوَّلت الخطية نفس المسيح البريئة المضيئة القدوسة الطاهرة الفرحة الشاكرة المجيدة والممجَّدة، كيف تحوَّلت إلى نفس حزينة حتى الموت بدون موت!! هذا هو أعظم رفع لصورة الخطية على شاشة التقييم والقياس الإلهي!

ولكن كل هذا التصوير الواقعي البالغ الدقة في البحث والتحليل النفسي الروحي ليس هو كل شيء، إنما هو مجرَّد بداية، إذ يقول الإنجيل: «وابتدأ يحزن ويكتئب». أمَّا ماذا بلغ به الحزن فنحن لا ندرك ولن ندرك عمقه، ولكن كان مظهره صراخ المسيح بصوت عظيم: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟» لقد ذاق المسيح تخلية الآب لَمَّا قَبِلَ الخطية في الجسد!! «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية

لأجلنا، لنصير نحن برَّ الله فيه.» (٢كو ٥: ٢١)

٢٦: ٣٩ **«ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلاً: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هـذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ».**

فلنشرح هذه الفكرة المركزية التي حيَّرت العلماء في هذه الآية، واستلزمت هذه الصلاة المنسحقة التي لم يكن ولن يكون لها نظير. ما الذي وقف هكذا عائقاً في طاعة المسيح المطلقة للآب واستلزم هذه المراجعة الحزينة المرَّة وهذا التوسُّل الذليل الذي رماه على وجهه إلى الأرض، إذ لم يكن السجود كافياً فانطرح بوجهه ملاصقاً التراب؟ إن هذا أمر مرعب لنا جدًّا. ماذا حدث في علاقة الآب بالابن المحبوب النازل من حضنه الأبوي؟ إن هذا أمر خطير جدًّا، ولا بد أنه يمسنا بشدة حتى جعل المسيح هكذا مكشوفاً بهذا الانهيار والذلَّة أمام تلاميذه، ماذا حدث؟ ألم يذكر المسيح الصليب والآلام والجلد والبصاق والموت مرَّات ومرَّات، وكل مرة يُضيف صنفاً من الآلام على ما سبق وذكره، وكأنه يعدّها ويحصيها؟ فهل تراجع في حساباته؟ هذا أمر مستحيل. هل لمَّا أتت الساعة تغيَّرت الحسابات؟ أمر مستحيل! هل ظهر أمر في الصليب كان مخفياً عنه ثم عَرَفَه؟ وهذا أيضاً أمر مستحيل! إذن، ماذا جدَّ واستجد حتى تغيَّرت هذه العلاقات في الطاعة المذعنة والخضوع الكلِّي المطلق ويأتي بالابن هكذا منكفئاً على وجهه يطلب الاستعفاء؟ ماذا حدث؟

الأمر جَلَلٌ حقًّا، والسبب خطير جدًّا كما قلنا، والكأس الذي ظهر بهذه الصورة غير المحتملة هو الذي أوقف الابن الحبيب المحبوب هذه الوقفة المُذِلَّة! كأس البشرية الذي ليس له فيه سبب ولا مشاركة، كأس خطايا البشرية وعارها، أراد الآب - وقد أتت الساعة - أن يحمِّله على صميم طبيعة الابن تحميلاً، ليحمله في جسده على الخشبة كقول ق. بطرس. هنا فزعت نفس المسيح فزعاً مريعاً وارتجف الجسد الطاهر ارتجافاً، أن يصبح القدوس الطاهر الذي لم يعرف خطية ولا صار في فمه غش، قاتلاً زانياً نجساً شريراً محترف الإثم، كيف؟ كيف يكون أولاً وكيف يرضى ثانياً؟ ثم إن الابن الوديع المتواضع الخاضع والمطيع يقبل أن يقف أمام أبيه كإنسان متعدٍّ على وصايا الله، متمرِّد معادٍ مبغضٍ كارهٍ هاربٍ، كيف؟ هذا أمر مفزع زلزل قلب المسيح وأربك فكره ونفسه للغاية.

أمَّا كيف، فهذه حتمية الصليب، فهو لا يمكن أن يُصلب إلاَّ من واقع تهمة اقتراف هذه الخطايا، وهو قادم لمحاكمة عسيرة معادية باغضة محترفة الإجرام، وحتماً ستنجح في أن تقدِّمه للحكم وعليه هذه الخطايا جميعاً، فماذا عساه عامل؟ هل يدافع؟ هل ينفي؟ هل يرفض؟ ولماذا جاء إذن، ولماذا تجسَّد وُولد إلاَّ

لِيُصلب ويموت؟! هل يمكن أن تصير المحاكمة صورية، وأن يصدر حكم الموت صورياً، ويكون الموت تأدية دور تمثيلي؟ أمر مستحيل! لأن صاحب سلطان الموت بالمرصاد ولا يمكن أن ينزل بمقصلته على رقبة الإنسان إلاَّ وهو ضامن موته وهلاكه. إذن، أصبح الموت ولا بد أن يكون حقيقة، ولكي يكون حقيقة لابد أن تكون جميع الخطايا الملزمة للموت حقيقة. إذن، لابد للمسيح أن يتقدَّم إلى الصليب وهو صاحب هذه الخطايا حقًّا لا شكلاً، وأن تصير هذه الخطايا حقيقية لابد أن تقبلها نفسه وكأنَّها اقترفتها بإرادتها وحريتها وسكنت شعورها ولا شعورها، وإلاَّ استحال الموت واستحال الصليب. فالموت بالصلب أو بغيره هو نصيب الإنسان الشرير أصلاً، وهو حق على كل جسد. ولابد أن يكون وحتماً يكمَّل، حتى تُرفع الخطية ويُرفع الموت عن الإنسان. وهكذا تمَّ اختيار "ابن إنسان" ليتمِّم هذه القضية بكل أصولها وفروعها، دون أن يستعفي حتى آخر قطرة في كأس خطايا البشرية المثقَّل بأبشع صور التعدِّي.

و"ابن الإنسان" هو أصلاً ابن ا لله بطبيعة ا لله، تجسَّد وأخذ هيئة إنسان بطبيعة إنسان أصيلة ليس فيها خطية، وأنفذه أبوه إلى العالم لكي يأخذ قضية الإنسان ويرفع عنه الخطية التي لصقت بطبيعته فدمَّرت حياته ومستقبله وعلاقته با لله. وكان المسيح على أتم الاستعداد أن يأخذ على نفسه الأحكام بالموت والغضب واللعنة التي لصقت بالإنسان. ولكن هذا استلزم عند التنفيذ الأخير أن يحمل المسيح خطايا الإنسان وإلاَّ استحال أن يموت وهو بريء وطاهر. هنا واجه ابن الإنسان صعوبة بالغة أشد ما تكون الصعوبة، كيف يقف أمام الآب نفسه حاملاً خطايا الإنسان التي اقترفها ضد ا لله من تجديف وبغضة وكراهية وعداوة، كيف يعادي أباه ويبغضه ويجدِّف عليه، كيف؟ هذا كان يليق بالإنسان فقط ولكن لا يليق بالابن الوحيد المحبوب صاحب الإرادة والمشيئة الواحدة مع أبيه. هذه الاستحالة المُحكمة هي التي جعلته ينكفيء على وجهه حتى التراب ساجداً حزيناً متأوِّهاً صارخاً كأحد القتلة أو الزناة أو المجدِّفين يطلب رحمة، مصلِّياً أن تجوز عنه هذه الكأس، كأس الخطية لو أمكن، إذ كيف يشربها ليصبح هكذا حاله مجدِّفاً على أبيه قاتلاً زانياً فاجراً شريراً وهو لم يعرف الخطية ولا درى بالشر؟

هنا يطلب الابن من الآب أن تجوز عنه هذه الكأس إن أمكن، بمعنى أن لا يقف هكذا أمامه مجدِّفاً متعدِّياً صانعاً شرًّا. ولكن ما الحيلة وقد وُضع عليه أن يقف موقف الإنسان ككل، هو لا يحتمل أن يرى نفسه عدواً لأبيه، ولكنه طُلب منه أن يقف موقف الإنسان الذي صار عدوًّا لله، فلا مناص.

هكذا انبرت مشيئة الابن بالنهاية موافقة راضخة لمشيئة الآب، أن يقف المسيح الابن المتجسِّد موقف الإنسان ـ معادياً لله حاملاً خطايا البشرية في جسده، محكوماً عليه بالموت واللعنة من الله قبل أن ينالها على الصليب من أفواه حكَّامه والصالبين.

بل يغوص بولس الرسول المستنير بالنعمة ليرى أن المسيح لم يحاكَم و لم يُصلب كخاطئ فقط!! ليبرِّئ الخطاة ويبرِّرهم، بل اضطلع بأن يجتث الخطية ذاتها ويرفعها من بين الله والإنسان حتى لا تكون رجعة للموت ثانية، فاحتمل لا أن يكون في ذاته خاطئاً وحسب بل ويكون هو الخطية ذاتها (٢كو ٥: ٢١). بمعنى أن يحمل طبيعتها القاتلة فلا يعود للموت سلطان على الإنسان: «فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة: ابتُلع الموت إلى غلبة. أين شوكتك يا موت، أين غلبتك يا هاوية، **أمَّا شوكة الموت فهي الخطية، وقوة الخطية هي الناموس**» (١كو ١٥: ٥٤-٥٦). فبموته ألغى الناموس، وبإلغاء الناموس أُلغيت الخطية، وبإلغاء الخطية أُلغي الموت، وبإلغاء الموت أُلغيت الهاوية! هكذا يبقى موت المسيح سر الخلاص الأبدي. أمَّا كيف حمل المسيح بموته طبيعة الخطية ذاتها، **فذلك لأنه مات موت الكفَّارة مكفِّراً عن كل الخطايا!** فلم يعد بعد موته خطية!!

ولكن هل مجَّاناً أن يصبح المسيح نفسه «**خطية**» **لأجلنا**؟؟ اسمع بقية الآية: «**لكي نصير نحن برَّ الله فيه**» (٢كو ٥: ٢١). ويا للمجد!! فإن كانت القضية الأُولى صعبة وغير مقبولة أبداً أن يصبح: «**المسيح خطية لأجلنا**»، فالقضية الثانية على ذات الصعوبة وغير القبول بالمرَّة أن «**نصير نحن بر الله فيه**» مَنْ يُصدِّق؟! ولكن ما العمل إن نفَّذ المسيح الأُولى، فالثانية صارت نافذة لا محالة! مجداً لله!

٢٦: ٤٠: «**ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَاماً، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟**».

كان الوقت متأخِّراً في الليل ربما قارب الانتصاف، وبعد العشاء والحديث الحزين، عزَّ السهر على التلاميذ. ولكن الوقت حَرِج والمعلِّم طلب السهر وطلب الصلاة. فالأمر بالنسبة للمسيح كان قد بلغ الذروة، ولمَّا أرادهم ساهرين ومصلِّين كان ليضمن قدرتهم على مواجهة التجربة القاسية الآتية عليهم، وسبق المسيح ونبَّه أن الشيطان طلب ليغربلهم كالحنطة (لو ٢٢: ٣١). أمَّا المسيح فكانت الصلاة كمراجعة عظمى لكل حياته وأعماله وهدفه الذي جاء من أجله. وكانت تتركَّز كما قلنا في كيف سيُسلِّم نفسه لصالبيه وما معنى هذا التسليم وصعوبته المرَّة، ولكن بالنسبة لتلاميذه فكانت الصلاة لكي يستطيعوا أن يعبروا المحنة ويفلتوا من القبض والتحقيق. كان المسيح يحمل همَّ هروبهم بل وساعد عليه إذ جعله شرطاً أساسياً لتسليم نفسه: «قد قلت لكم إني أنا هو، فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون. ليتم القول الذي قاله: إن الذين أعطيتني لم أُهلك منهم أحداً.» (يو ١٨: ٨و٩)

ولكن عزَّ على نفسه أن بطرس الذي أكَّد بجهالة أنه مستعد أن يموت لأجله ما قدر أن يسهر

معه ساعة واحدة: «ثم جاء ووجدهم نياماً فقال لبطرس: يا سمعان أنت نائم؟ أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة؟ اسهروا وصلُّوا لئلاَّ تدخلوا في تجربة!» (مر ١٤: ٣٧و٣٨)

٢٦: ٤١ **«اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ».**

«اسهروا»: γρηγορεῖτε

الفعل جاء هنا في زمن الحاضر المستمر بمعنى: "ابقوا ساهرين أو استمروا صاحين" لأن المفاجأة - التجربة القادمة - لا ينبغي أبداً أن تأتي عليهم وهم نيام. وهذا الزمن يختلف عن الذي جاء في الآية (٤٠) γρηγορῆσαι الذي يفيد بمجرَّد سهر ساعة بالجسد. أمَّا ابقوا ساهرين أو استمروا صاحين هنا، فالمطلوب يقظة الروح، وهذه كفيلة أن تقاوم وتغلب التجربة. لذلك أردف هنا خاصة ليُفهم ضرورة السهر الروحي بقوله: «أمَّا الروح فنشيط وأمَّا الجسد فضعيف». والمعنى المختبئ هنا جديد وعظيم، إذ هو أن الذي صمَّم أن يسهر بالروح، هذا لن يغلبه نعاس، لأن النُعاس يغلب الجسد الساهر ولكن يستحيل أن يغلب الروح الساهر. وهنا التوجيه لكي لا يُغلبوا للتجربة الآتية عليهم. وهنا يقصد ق. متى توعية الكنيسة الساهرة أن يكون سهرها بالروح النشيط وليس بالجسد الضعيف. كما يوعِّي أن السهر الروحي هو القادر وحده لغلبة التجربة قبل أن تأتي وبعد أن تجيء، إذ يبقى الساهر بالروح أعلى منها ومسيطراً عليها. حيث نشاط الروح وسهره هنا يفيد العلاقة الواعية المنفتحة على الله، اليقظة، لكي تتقبَّل منه النعمة في حينها والمَنفَذ للخلاص من التجربة. سهر الروح هو صناعة القديسين القادرة أن توقف الجسد على رجليه مصلِّياً ساهراً طول الليل دون أن يحس، والقادرة أن تجعل الفكر مربوطاً بنعمة الله متعمِّقاً بالروح حتى أعماق الله:

+ «اسهروا إذاً وتضرَّعوا في كل حين لكي تُحسبوا أهلاً للنجاة ...» (لو ٢١:٣٦)
+ «فاسهروا إذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة.» (مت ٢٥:١٣)
+ «اسهروا. اثبتوا في الإيمان. كونوا رجالاً. تقوَّوْا.» (١كو ١٦:١٣)
+ «مصلِّين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة.» (أف ٦:١٨)
+ «واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر.» (كو ٤:٢)
+ «كن ساهراً وشدِّد ما بقي.» (رؤ ٣:٢)

٢٦: ٤٢ **«فَمَضَى أَيْضاً ثَانِيَةً وَصَلَّى قَائِلاً: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ إِلاَّ أَنْ**

أَشْرَبَهَا، فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ».

لقد طرح المسيح سؤاله في الصلاة الأولى: «يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس» مترجّياً إن أمكن أن تعبر عنه هذه الكأس - سؤال يقدّمه من وجهة نظره الخاصة التي فيها استحال عليه أن يحتمل عار الإنسان لأنه يوقفه أمام أبيه عرياناً مفضوحاً مخالفاً ناقضاً وصاياه متعدّياً على حبه وكرامته، كيف يمكن؟ كيف يكون؟! ولكن شفع سؤاله باستجابة منقوصة: «ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت». أي ومهما كانت وجهة نظري فأنا ليس لي وجهة نظر خاصة، لأنه يستحيل عليَّ أن أرضى إلاَّ بما تريده أنت. فإن كانت إرادتك هي في وقوفي عرياناً أمامك مفضوحاً مخالفاً ناقضاً وصاياك متعدّياً على حبك وكرامتك، موقف البشرية التي أردْتَ أن تخلّصها من عريها وفضيحتها وترفع عنها مخالفتها ونقضها لناموسك ووصاياك وتعدّيها على حبك وكرامتك، ولم يكن ممكناً أن تعبر عني هذه الكأس إلاَّ أن أشربها، من يدك، فلتكن مشيئتك - لأني بالنهاية ما جئت إلاَّ لأصنع مشيئتك.

في الصلاة الأُولى خرج المسيح وقد سلّم المشيئة وإنما على مضض، فمنظره العاري من القداسة والفضيلة وهو متسربل بثوب الإنسان الملطّخ بوسخ الخطية كان كريهاً على نفسه غاية الكره. ولكن إن كانت هي إرادة الآب فماذا يفعل؟ كان هيّناً عليه للغاية أن يُخلي ذاته من مجد الأُلوهة وهو المعادل لله في المجد، ويأخذ هيئة الإنسان بل ويأخذ شكل العبد ويطيع حتى إلى الموت موت الصليب (في ٢:٦-٨)، كل هذا كان موضع مسرَّة نفسه: «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت» (مز ٤٠:٨). ولكن أن يقف موقف الإنسان في معاداته لله كعدوٍّ وندٍّ، كمجدِّفٍ وكاره، ورافضٍ ومتعدٍّ، عرياناً أمامه من كل فضيلة، مفضوحاً بخزي عريته، لباسه ملطّخ بوسخ الخطية، وهو الابن الوحيد المحبوب عند أبيه؟ فهذا هو العار الذي كسر قلبه (مز ٦٩:٢٠)، وهذا هو الحزن الذي سحق نفسه سحقاً حتى الموت: «نفسي حزينة جدًّا حتى الموت» (مت ٢٦:٣٨)، فكانت قطرات العرق تتصبّب من جبينه وهو منبطح على الأرض ينزف عرقه كقطرات دم، كقطرات نزف الصليب (لو ٢٢:٤٤).

٢٦:٤٣ «ثُمَّ جَاءَ فَوَجَدَهُمْ أَيْضاً نِيَاماً، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً».

عجيب هو المسيح في افتقاده لتلاميذه بهذه الصورة الملحّة للسهر والصلاة. فهو كان فعلاً كالراعي الصالح الذي يفتقد غنماته خوفاً من الذئب المتربِّص، ولكن بقدر سهر المسيح كان سهر الشيطان الذي رَكِبَ فوق جفون عيونهم ولحسها بريقه حتى إذا انطبقت لا تعود تنفتح. كريم من ق. مرقس وق. متى أن يعتذرا نيابة عن التلاميذ الذين لم يستطيعوا أن يرتفعوا إلى مستوى الروح

ليصلُّوا بيقظة وانفتاح عين وقلب، ولكن استسلموا للنعاس تطييباً لخاطر الشيطان، الذي كان ينتظرهم خارج باب جثسيماني ليبدِّدهم حسب النبوَّة. المسيح لم يتدخَّل بقوة خاصة لكي يجعلهم على مستوى السهر لأن الإرادة تُجازَى كما تُعاقَبْ فلا يُفوِّت عليهم المجازاة. كل ما استطاعه المسيح لخيرهم أنه طلب من أجلهم أن لا يفقدوا إيمانهم كما نص القول بخصوص بطرس (لو ٢٢:٣٢)، ولكن الغربلة أصابت الجميع. أمَّا ق. لوقا فهو يعتذر نيابة عنهم أنهم ناموا من الحزن (لو ٢٢:٤٥). ولكن الحزن نفسه هو دواء عدم السهر الذي يكحِّل به الشيطان العقل حتى لا يقوى على السهر ولا ساعة واحدة كما قال الرب. لقد حُسب النوم للتلاميذ عدم طاعة، فوقعوا في يد المجرِّب.

٢٦:٤٤ «**فَتَرَكَهُمْ وَمَضَى أَيْضاً وَصَلَّى ثَالِثَةً قَائِلاً ذلِكَ الْكَلاَمَ بِعَيْنِهِ**».

تركهم يائساً إذ طلب مَنْ يسهر معه فلم يجد قلوباً واعية، لأن استعدادهم لم يكن للمعونة والسهر مع المعلِّم، إذ رتَّبوا مع ضمائرهم طريق الهرب. كان المسيح يود أن يكون الرابع وسط الثلاثة المختارين إن هم صلُّوا، ولكن قد ناموا فليس له في وسطهم نصيب (مت ١٨:٢٠) والرب لا يتواجد في كنيسة لا تجتمع للصلاة، ولا في بيت لا تجتمع فيه الأسرة للصلاة. والعجيب أن الرب ألحَّ على بطرس بالصلاة ثلاث مرَّات لكي لا يدخل التجربة، ولكنه لم يلتفت للدعوة في وقتها، لهذا في وقت لم ينتبه إليه أنكره ثلاث مرَّات.

أمَّا عودة الرب ثالث مرَّة للصلاة بعينها فهو لمزيد من تطبيع المشيئة على المشيئة، فأول مرَّة كانت لتكن إرادتك أنت وليس كما أريد أنا، والثانية انتقلت خطوة أكثر: «إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلاَّ أن أشربها»، بمعنى إن لم يكن ممكناً أن تكون مشيئتي فلتكن مشيئتك. أمَّا الثالثة فكانت حتماً فلتكن مشيئتك مسرَّتي! أو «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت» (مز ٤٠:٨) إذ يكون قد أكمل النبوَّة بحروفها!! وبها يكون قد انتهى المسيح من قبول القيود. فإلى هناك!

٢٦:٤٥و٤٦ «**ثُمَّ جَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا. هُوَذَا السَّاعَةُ قَدِ اقْتَرَبَتْ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي الْخُطَاةِ. قُومُوا نَنْطَلِقْ. هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدِ اقْتَرَبَ**».

كما سبق وقلنا في الآية (٤٤) لقد انتهى المسيح من قبول المشيئة الأبوية، أي شُرب الكأس، كأس خطايا البشرية لتسري الخطايا، كل الخطايا، في عروقه وكل خلية من جسده، لأنها مشيئة الآب! وبها تكون الصلاة قد بلغت قمة ذروتها وأتت بثمرتها وارتاحت نفسه أن يكون خاطئاً وأن

يكون خطية!! إذن لم يبق لوجود التلاميذ من سبب لا للصلاة ولا للسهر، فليقوموا أو ليناموا نومهم الطويل ولا مزعج. فقد انتهى الأمر. ويلاحظ القارئ هنا التحام قول المسيح ناموا الآن واستريحوا وقوموا ننطلق في وقت واحد، تعبيراً عن عدم قدرتهم على السهر واليقظة في ساعة التجربة، حيث كان نومهم محل مؤاخذة. والآن فلا لوم عليهم فليناموا ما شاءوا. ولكن الذين لم يذعنوا للسهر في وقت السهر فإذعانهم للنوم في غير وقت السهر نافلة وهباء.

«هوذا الساعة قد اقتربت»: ἤγγικεν ἡ ὥρα

وهي مطابقة لقوله: «لأنه قد اقترب ملكوت السموات ἤγγικεν ἡ βασιλεία.» (مت ٤:١٧)

هذه هي الساعة التي جاء من أجلها ابن الإنسان: «لكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو ١٢:٢٧). وفي باطنها جنين الملكوت بانتظار المخاض لينطلق الجنين حاملاً مفديِّي الرب. فإن تألّمنا معه ألم المخاض تمجَّدنا معه بمجد الملكوت (رو ٨:١٧). هذه ساعة الإنسان وهذا ملكوت الله، وتفصلهما ساعة رؤساء الكهنة وسلطان الظلمة، لأن من الظلمة سيولد النور.

«وابن الإنسان يُسلَّم إلى أيدي الخطاة»:

الفعل المبني للمجهول: "يسلَّم"، يشير إلى المشورة العلوية التي اشترك فيها الابن في جثسيماني لتوِّه ومضى وختم أنه أصبح جاهزاً للتسليم، ولكن حاشا أن يُسلَّم نفسه إلاَّ لمشيئة الآب التي اتفق عليها وأمضى العهد. أمَّا الناس الخطاة، أمَّا الحُكَّام، أمَّا بيلاطس، فهؤلاء لا علاقة للمسيح بهم ولا سلطان لهم عليه، إلاَّ كما حدَّد الآب وأعطى. وهو طائع غاية الطاعة لِمَا أمرهم الآب أن يعملوه: «لم يكن لك عليَّ سلطان البتَّة لو لم تكن **قد أُعطيت من فوق!** لذلك الذي أسلمني إليك له خطية أعظم» (يو ١٩:١١). إذن، فلم تمر عملية التسليم، فالذين اشتركوا فيها، والذين قيَّدوا والذين ضربوا والذين أهانوا وحكموا وقتلوا، جميعاً لهم خطية أعظم!

ولك الآن عزيزي القارئ أن ترى في جثسيماني ومن خلال صلواتها الثلاث الدموية المنسحقة والابن المتجسِّد منكفئ بوجهه إلى التراب وعرقه ينزف كالدم، أقوى فعلين محوريين في عملية الفداء والخلاص. **الأول: قبول شرب كأس خطايا الإنسان** من يد الآب والوقوف أمامه كخاطئ وحامل الخطية، **والثاني: القبول بالتسليم ليد الخطاة بعد أن سلَّم نفسه ليد الآب!**

وهكذا تجهَّز المسيح بصلاة جثسيماني للمحاكمة والصلب.

التسليم والقبض

[٢٦:٤٧-٥٦]

(مر ١٤: ٤٣-٥٠)،
(لو ٢٢: ٤٧-٥٣)،
(يو ١٨: ٣ - ١٢)

٢٦:٤٧ «وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذَا يَهُوذَا أَحَدُ الاِثْنَيْ عَشَرَ قَدْ جَاءَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ».

بينما كان المسيح يصلّي وينزف عرقاً يتصبَّب كقطرات الدم، كان رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب قد جمعوا أكثر ما يمكن من المأجورين. ويكشف لنا أكثر القديس لوقا أن وراء هذه الجوقة من المأجورين كان يسير في الخلف «رؤساء الكهنة وقوَّاد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه» (لو ٢٢:٥٢). أمَّا ق. يوحنا فيوضِّح أن يهوذا كان معهم في المقدِّمة «فأخذ يهوذا الجند وخُدَّاماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيِّين وجاءَ إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاحٍ.» (يو ١٨:٣)

واضح من مجموعة الأشخاص التي ظهرت في التسليم والقبض أن رؤساء الكهنة استعانوا "بقائد" جند، وهو رئيس ألف ومعه جنوده، وهؤلاء هم الذين كانوا يحملون السيوف والعصي والمشاعل، على أن هذه هي ليلة استدارة القمر في الرابع عشر والقمر في كامل ضوئه، ولكن هي إجراءات عسكرية. وهذا يكشف أن البلاغ الذي قُدِّم للضابط الروماني الكبير يتضمَّن التوسُّل بإرسال عدد كبير من الجنود بحجة القبض على ثائر يقود ثورة ضد الرومان.

«بسيوف»: لكي تكمل النبوَّة: «استيقظ يا سيف على راعيَّ.» (زك ١٣:٧)
«وعصيّ»: وكان رد المسيح عليها: «قال يسوع للجموع: كأنه على لصٍّ خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني. كل يوم كنت أجلس أُعلِّم في الهيكل ولم تمسكوني.» (مت ٢٦:٥٥)

٢٦:٤٨ «وَالَّذِي أَسْلَمَهُ أَعْطَاهُمْ عَلاَمَةً قَائِلاً: الَّذِي أُقَبِّلُهُ هُوَ هُوَ. أَمْسِكُوهُ».

ولكي يظهر الوضع أكثر نعود إلى وصف ق. يوحنا لأن المسيح خرج لاستقبالهم والتلاميذ وراءه، «فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم: مَنْ تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصري. قال لهم يسوع: أنا هو. وكان يهوذا مسلِّمه أيضاً واقفاً معهم» (يو ١٨: ٤و٥). فكانت

هذه فرصة يهوذا ليزيد لهم التأكيد فتقدَّم ليقبِّله.

٢٦: ٤٩و٥٠ «فَلِلْوَقْتِ تَقَدَّمَ إِلَى يَسُوعَ وَقَالَ: السَّلاَمُ يَا سَيِّدِي! وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: يَا صَاحِبُ، لِمَاذَا جِئْتَ؟ حِينَئِذٍ تَقَدَّمُوا وَأَلْقَوُا الأَيَادِيَ عَلَى يَسُوعَ وَأَمْسَكُوهُ».

وهذا أيضاً ما قاله ق. مرقس، ولكن ق. لوقا يقول إن يهوذا دنا من يسوع فقط فوبَّخه المسيح: «فدنا من يسوع ليقبِّله فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلِّم ابن الإنسان» (لو ٢٢: ٤٧و٤٨). ونحن حينما نقيِّم يهوذا وما عمله لا نستطيع أن نقول فيه أكثر مما قاله المسيح: «ويل لذلك الرجل الذي به يُسلَّم ابن الإنسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد» (مر ١٤: ٢١). وأعظم وصف يمكن أن نصفه به هو أنه ذهب في النهاية وشنق نفسه: «فطرح الفضة في الهيكل وانصرف. ثم مضى وخنق نفسه.» (مت ٢٧: ٥)

أمَّا تصرُّف المسيح - الذي جعلنا نحجم عن أن نقيِّم يهوذا - بالنسبة ليهوذا وعملته هذه فيظهر في مخاطبته ليهوذا وهو يقترب ليقبِّله إذ قال له: «يا صاحب ἑταῖρε = صديق Friend»، هكذا استطاع المسيح أن يحتفظ بسلامه و لم ينطق إلاَّ بما يليق بتلميذ! ثم طرح عليه سؤال الدينونة العتيدة: «لماذا جئت؟» وتركه ليرد عليه هناك في اليوم الأخير.

والكنيسة القبطية تخاطبه في باكر يوم خميس العهد بلحن مؤدَّاه مقطع من المزمور: «لسانه ألين من الدهن وهو نصال». وهذا تعبير مبدع يجمع القبلة والقتل معاً. وأصلها في المزمور: «ألين من الزيت كلماته وهي سيوف مسلولة» (مز ٥٥: ٢١)، ويسبقها في المزمور نفسه آية تليق بالمقام: «ألقى يديه على مساليه. نقض عهده.» (مز ٥٥: ٢٠)

«حينئذ تقدَّموا وألقوا الأيادي على يسوع»:

لم يستطيعوا أن يلقوا الأيادي عليه إلاَّ بعد أن أعطى الموافقة: «وقال لهم: مَنْ تطلبون أجابوه: يسوع الناصري. قال لهم يسوع: أنا هو ... فلمَّا قال لهم: "إني أنا هو" (بنبرة الله) رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم أيضاً: مَنْ تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصري أجاب يسوع قد قلت لكم إني أنا هو» (يو ١٨: ٤-٨)، «ثم إن الجند و"القائد" - (رئيس ألف) - وخُدَّام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به إلى حنَّان.» (يو ١٨: ١٢و١٣)

٢٦: ٥١ «وَإِذَا وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ مَدَّ يَدَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذْنَهُ».

الواقعة يوضِّحها ق. يوحنا: «وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر (يوحنا) يتبعان يسوع ... ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أُذنه اليمنى (لشاهد عيان) وكان اسم العبد ملخس (وهذا القول أيضاً لشاهد عيان وشخص دارس ظروف وعائلة رئيس الكهنة)» (يو ١٨: ١٥و١٠). ولم يكن هذا سوى دفاع عن الجبن وتغطية موقف مهيَّأ للهروب.

٢٦: ٥٢ «فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!».

لقد اعتنى ق. متى فقط أن يسجِّل هذا المبدأ من فم المسيح للكنيسة حتى لا تحمل السيف أبداً، واليوم الذي ستحمل فيه سيفاً، تكتب على نفسها استحقاق الهلاك. لقد أنهى المسيح على لفظ "العدو" من الكنيسة لمّا أعطى الوصية: «أحبوا أعداءكم»، فكان هذا هو السيف الإلهي الذي اجتثَّ العداوة من القلب. فَسَيْفُنا الذي هو أمضى من كل سيف هو المحبة التي نستطيع بها أن نغلب العداوة بلا حرب. لقد جُنِّت الكنيسة الغربية أيام الصليبيين وحملت السيف فكان الخذلان والخسارة بعشرات الألوف من الأرواح والهزيمة تلو الهزيمة من نصيبها، وكَتَبَتْ بدماء المسلمين تاريخ عارها.

٢٦: ٥٣و٥٤ «أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشاً مِنَ الْمَلاَئِكَةِ؟ فَكَيْفَ تُكَمَّلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟».

ولكن يضيف ق. لوقا: «فأجاب يسوع وقال: دعوا إلى هذا ولمس أُذنه وأبرأها» (لو ٢٢: ٥١). والمسيح بقوله عن إمكانية حضور اثنى عشر جيشاً من الملائكة يشير إلى أنه ليس عن ضعف هو يُسلِّم نفسه، ولا تحت إرغام أي قوة في الوجود، ولكن هي مشيئته الخاصة التي تقابلت مع مشيئة أبيه لتكميل تدبير الله الأزلي حسب الكتب. فهو إنما ينفِّذ تدبيراً سبق أن سجَّلته الأنبياء في الكتب عن أمر لا بد أن يكون: «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة!!» (يو ١٢: ٢٧). وهكذا أعمال الله كلها هي سابقة التدبير، لهذا فالتنفيذ الذي نقوم به إنما هو بحد ذاته تمكين لصدق الله وتكميل لمشيئته المقدَّسة. وحتى إن أعوز الإنسان تنفيذ تدبير الله المسبق فالملائكة وكل قوات السماء جاهزة لتكميل المشيئة. لذلك نحن نصلِّي دائماً معترفين بهذه الحقيقة: «فلتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض» فهي مدبَّرة فوق ونافذة على الأرض. وبهذه الصلاة نضع أنفسنا تحت أمر المشيئة المطلق لتنفيذ التدبير كما يشاءه الله!! وبقدر ما يكون تنفيذنا مطابقاً لمشيئة الله، الأمر الذي يعتمد على انفتاح البصيرة للمعرفة والإرادة واستعداد الطاعة المذعنة مهما كلَّفت من جهد وتضحية، تكون المجازاة. «تمِّموا خلاصكم بخوف ورعدة لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن

تعملوا من أجل المسرَّة.» (في ٢: ١٢و١٣)

٢٦:٥٥و٥٦ «فِي تِلْكَ السَّاعَةِ قَالَ يَسُوعُ لِلْجُمُوعِ: كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي! كُلَّ يَوْمٍ كُنْتُ أَجْلِسُ مَعَكُمْ أُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ وَلَمْ تُمْسِكُونِي. وَأَمَّا هذَا كُلُّهُ فَقَدْ كَانَ لِكَيْ تُكَمَّلَ كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ. حِينَئِذٍ تَرَكَهُ التَّلاَمِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا».

كان المنظر مفزعاً: رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب قادمين بجند وسلاح ومشاعل ليقبضوا على المسيح، ولماذا وقد كان بينهم منذ ساعات جالساً ومعلِّماً في الهيكل؟ هنا يكشف المسيح عن دور الشيطان الذي لعبه في هذه الساعات القليلة حتى أقنعهم وقادهم إلى هذا الدور القبيح بمركزهم وشيبتهم، والأقبح بمركز المسيح كمعلِّم كان بينهم وديعاً متواضعاً. وهذا هو الدور الذي يلعبه الشيطان في قلوب وأفكار كثير من الناس دون أن ينتبهوا ليندفعوا إلى حمل السلاح، ويدفعهم للخروج بالليل والخروج عن وعيهم ويطلقون النار بلا وعي ولا تروٍّ، وبعدها يندمون ويكتشفون أنها كانت ثورة مفتعلة من الشيطان داخلهم أركبتهم مركب الجريمة والعار دون ما سبب حقيقي. «كأنه على لصٍّ خرجتم». لقد لعب الشيطان في صدورهم حتى تصوَّروه عدواً وشحن قلوبهم بالنقمة عليه بلا سبب، مع أنه جاء يطلب سلامتهم وفرحهم وخلاصهم!!

وحينما يلخِّص ق. متى بلسان المسيح أن «هذا كله قد كان لكي تكمل كتب الأنبياء» فهنا: «**هذا كله**» يلخِّص كل ما جاء: القبض والآلام، لأن الأنبياء انشغلوا جداً بهذا الجزء من رسالة المسيَّا القادم حتى سبغوا عليه لقب: «العبد المتألِّم». فأصحاحات برمتها كالتي جاءت في إشعياء ترسم كل حركة من حركات الإهانات والآلام الأخيرة بصورة واقعية فريدة، حتى حينما يقرأها الإنسان يتعجَّب كأنه تسجيل مُسْبَق لما تمَّ في الأيام الأخيرة هذه! علماً بأن الآلام بحد ذاتها هي سر الخلاص.

«حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا»:

ها نحن أمام ليس نبوَّة أنبياء بعيدة، بل نبوَّة المسيح التي قالها في عشاء الخميس ونحن الآن بعدها بخمس ساعات فقط:

+ «هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن (عشاء الخميس) تتفرَّقون فيها كل واحد إلى خاصته (بيته) وتتركونني وحدي.» (يو ١٦:٣٢)
+ «حينئذ قال لهم يسوع: كلكم تشكُّون فيَّ في هذه الليلة.» (مت ٢٦:٣١)

وهكذا تظهر توعية المسيح لهم: صلُّوا لكي لا تدخلوا في تجربة، صلُّوا لئلاَّ تدخلوا في التجربة،

أما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة، فجاء أيضاً ووجدهم نياماً. وهذه هـي نتيجة النوم وعدم الصلاة، والعجز عن السهر. ويُحْزِن نفوسنا أن يسجِّل التلاميذ هذه النهاية الحزينة على أنفسهم: هربوا؟ لقد هيَّأ لهم الشيطان الهروب أنَّ فيه النجاة والفلاح والخلاص من ورطة وضعوا أنفسهم فيها، تحت قيادة معلِّم مدَّعى ضعيف مكروه ومضروب من الله ومذلول (إش ٥٣:٤). «كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه» (إش ٥٣:٦). وهمَّ القديس متى أن يؤكِّد أن المسيح بقي فعلاً "وَحْدَه"، لم يعتمد على تلاميذه، وتلاميذه أثبتوا أنهم لم يكونوا أكفاء قط أن يُعتمد عليهم: «دست المعصرة وحدي» (إش ٦٣:٣)، «وليس بأحد غيره الخلاص» (أع ٤:١٢). إن إشعياء يكمِّل قوله العجيب قائلاً: «والرب وضع عليه إثم جميعنا» (إش ٥٣:٦). والمعنى هنا بالنسبة لهروب التلاميذ مُحكم، إذ أن الرب لم يحمل خطايا (إثم) تلاميذه ضمن ما حمل فقط، بل وحمل عار هروبهم!! فانظر عزيزي القارئ كيف تُصوِّر النبوَّة خذلان تلاميذه الذي هو بعينه خذلاننا، فليست الخطية وحدها هي التي تثقل كاهل المسيح بل وبالأكثر خذلاننا له وعدم تكريمنا له في أعين الناس.

ومن هنا جاءت آية الدينونة المخيفة: «مَنْ ينكرني قدَّام الناس أنكره أنا أيضاً قدَّام أبي الذي في السموات.» (مت ١٠:٣٣)

المحاكمة أمام السنهدرين

[٢٦:٥٧-٦٨]

(مر ١٤: ٥٣ - ٦٥)،
(لو ٢٢:٥٤و٥٥و٦٣-٧١)،
(يو ١٨:١٣و١٤و١٩-٢٤)

يلزم أن نأخذ فكرة عامة عن المحاكمة حتى نحيط بدقائق كل مرحلة على حدة: والمحاكمة ككل تشمل من الآية (٥٧-٦٨) في هذا الأصحاح (٢٦) مضافاً إليه كل ما جاء في الأصحاح السابع والعشرين حتى الآية (٢٦) منه. وهي تنقسم إلى مرحلتين أو محاكمتين: المحاكمة الأُولى وهي التي سُمِّيت في التاريخ بالمحاكمة الكنسية أو المحاكمة أمام السنهدرين أو المحاكمة الدينية. والمحاكمة الثانية هي المحاكمة المدنية أمام القضاء الروماني العالمي.

والمحاكمة الأُولى تنقسم إلى ثلاث مراحل، كذلك المحاكمة الثانية المدنية تنقسم أيضاً إلى ثلاث مراحل. فالمحاكمة الأُولى مراحلها الثلاث هي:

(أ) سماع أقوال المسيح المبدأية أمام حنَّان: (يو ١٨: ١٢-١٤و١٩-٢٣).
(ب) المحاكمة أمام السنهدرين أمام قيافا والكتبة وشيوخ الشعب ليلاً (مت ٢٦:٥٧-٦٨).
(ج) المحاكمة أمام السنهدرين مرَّة ثانية في الصباح (لو ٢٢:٦٦-٧١).
ويُلاحَظ أن أقوال المسيح أمام حنَّان لم يروها أحد إلاَّ ق. يوحنا فقط.

أمَّا الثلاث مراحل أمام المحاكم المدنية فهي: (أ) المحاكمة أمام بيلاطس.
(ب) المحاكمة أمام هيرودس.
(ج) المحاكمة أمام بيلاطس مرَّة ثانية.

فإذا كانت أقوال المسيح أمام حنَّان رئيس الكهنة قد دوَّنها ق. يوحنا فقط، فكذلك المحاكمة أمام هيرودس فالذي رواها هو ق. لوقا فقط (لو ٢٣:٦-١٢).

والآن نبدأ بعد سماع أقوال المسيح أمام رئيس الكهنة حنَّان، بالمحاكمة أمام قيافا: أي نبدأ بالمرحلة الثانية (ب):

٢٦:٥٧ «وَالَّذِينَ أَمْسَكُوا يَسُوعَ مَضَوْا بِهِ إِلَى قَيَافَا رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، حَيْثُ اجْتَمَعَ الْكَتَبَةُ وَالشُّيُوخُ».

وقد انعقدت هذه المحاكمة في بيت قيافا رئيس الكهنة. ولكن يلزم أن ننبِّه أن البيت هو أصلاً بيت حنَّان، وبعد أن تزوَّج قيافا ابنة حنَّان سكن معه في الشقة المقابلة لنفس البيت، وكانت بينهما صالة جُعلت لاجتماع السنهدرين(٢٢). وذلك بعد أن أُغلق مبنى السنهدرين الخاص الذي كان يقع جنوب منزل حنان وقيافا بأمر السلطة الرومانية.

علماً بأن استعراض أقوال المسيح أمام حنَّان في بيته كانت ليلاً، ولم يستدعِ نقل المسيح من أمام حنَّان إلى أمام قيافا إلاَّ عبور صالة السنهدرين في نفس البيت، وأيضاً كان ذلك ليلاً. وظلَّ هذا المجمع مجتمعاً حتى الفجر: «وللوقت في الصباح (الساعة الخامسة) تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس.» (مر ١٥:١)

٢٦:٥٨ «وَأَمَّا بُطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَدَخَلَ إِلَى دَاخِلٍ وَجَلَسَ بَيْنَ الْخُدَّامِ لِيَنْظُرَ النِّهَايَةَ».

ولكن يعطينا ق. يوحنا شهادة أوضح: «وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر (يوحنا) يتبعان

---

(٢٢) راجع الرسم التوضيحي في كتاب: "شرح إنجيل القديس يوحنا" للمؤلِّف صفحة ١١٣١.

يسوع، وكان ذلك التلميذ (يوحنا) معروفاً عند رئيس الكهنة (قيافا)، فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة» (يو ١٨:١٥). ومن تسجيل ق. يوحنا نفهم أنه كان هو الشاهد العيان الذي سجَّل هذه المحاكمة في إنجيله. ولكن وعلى كثير من الظن أن ق. مرقس كان أيضاً حاضراً هذه المحاكمات حتى في دار الولاية، وهو الذي نقل لنا ما جرى في دار الولاية لدرايته باللغة اللاتينية التي كان يتكلّم بها بيلاطس كحاكم وقاضٍ (انظر كتاب: "شرح إنجيل القديس مرقس" للمؤلِّف).

وأمَّا بطرس فلم يدخل، وبقي واقفاً أمام الباب الخارجي للدور الأرضي، فنزل ق. يوحنا وأوصى البوابة بدخوله فدخل إلى الدهليز السفلي المواجه لمكان محاكمة المسيح (انظر كتاب: "شرح إنجيل القديس يوحنا" للمؤلِّف صفحة ١١٣١).

٢٦:٥٩و٦٠ «وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةَ زُورٍ عَلَى يَسُوعَ لِكَيْ يَقْتُلُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوا. وَمَعَ أَنَّهُ جَاءَ شُهُودُ زُورٍ كَثِيرُونَ، لَمْ يَجِدُوا. وَلكِنْ أَخِيراً تَقَدَّمَ شَاهِدَا زُورٍ».

«شهود زور يقومون وعمَّا لم أعلم يسألونني.» (مز ٣٥:١١)

الكلام هنا يفضح المحاكمة والقضاة وكل المجتمعين، لأن التهمة غائبة والآن يطلبون شهود زور عن تهمة لفَّقوها سابقاً. والكلام مناقض بعضه ويحكم بكذبهم وتلفيقهم لأنهم لم يجدوا حتى شهود الزور! ثم القول هنا بأنهم يطلبون شهود زور لكي يقتلوه، أصبحوا قتلة بلا محاكمة ولا تحقيق - وهي مهزلة قضائية تكشف عن نوعية القضاء في إسرائيل ومستوى رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب، وما آلت إليه قوانين التوراة أي الناموس الذي يتمسَّكون به ويدافعون عنه، ويريدون أن يتخلَّصوا من المسيح ليبقى لهم الناموس وتبقى التوراة وتبقى لهم وظائفهم. وهكذا وبهذه المحاكمة عينها يستطيع القارئ أن يحكم لماذا جاء المسيح ولماذا هو يُحاكم الآن.

وإليك المخالفات القانونية التي اكتشفها العلماء المتخصِّصون في الأحكام اليهودية والتوراة في هذه المحاكمة:

(أ) لا ينبغي أن تُجرى محاكمة توجب القتل ليلاً.

(ب) ممنوع أن تُجرى محاكمات وخاصة للقتل أيام العيد.

(ج) بحسب تفسير الربيِّين لا يصح سماع أقوال بالنسبة للقضايا الكبرى في عشية الأعياد.

(د) لا يصح النطق بالنتيجة النهائية للمحاكمة إلاَّ بعد مرور يوم كامل على الأقل من بعد إثبات التهم على المتهم.

(هـ) ثابت من الأقوال أن القبض على المسيح تمَّ من خلال رشوة، ودعيت "ثمن دم" استلمها

باليد يهوذا من رئيس الكهنة.
(و) لقد استُجوب المسيح كمتهم ولكن طُلب منه أن ينطق بما يُجَرِّم نفسه.
(ز) لا يصح الوصول إلى نتيجة اتهام بالقتل إذا لم يقتنع المتَّهم بعدالة المحاكمة.

وينتهي العالِم دالمان من تحقيقاته القانونية في صلب المسيح بقوله: إن السبب الوحيد والعلّة التي من أجلها قُدِّم المسيح للمحاكمة هي أنهم أرادوا أن يقتلوه وحسب(٢٣).

ومن مُجريات الحوادث اليومية منذ أن بدأ المسيح يعلِّم ويكرز بملكوت الله وظهور إرادة القتل واضحة لدى رؤساء الكهنة والكتبة، وقد اكتشفها بيلاطس الروماني نفسه، «أنهم أسلموه حسداً» (١٨:٢٧)!! ولكن ليجعلوا من القتل عملاً قانونياً أدخلوه المحاكمة. فهي ليست محاكمة بل مؤامرة للقتل. ولمّا قتلوه عيَّروه: «خلَّص آخرين وأمّا نفسه فما يقدر أن يخلِّصها» (مر ١٥:٣١). فكانت قولتهم هذه هي رسالته الحقيقية التي جاء من أجلها.

٢٦:٦١ «وَقَالاَ: هذَا قَالَ إِنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَنْقُضَ هَيْكَلَ اللهِ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَبْنِيهِ».

هذه الشهادة مهزوزة وهي صدى كاذب لما سبق المسيح وقال، كما أُعلن له في إنجيل ق. يوحنا (٢: ١٨-٢١)، حينما تحدَّاه اليهود بعد تطهير الهيكل وسألوه: «أيَّة آية ترينا حتى تفعل هذا. أجاب يسوع وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه. فقال اليهود في ست وأربعين سنة بُني هذا الهيكل أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه؟ وأمّا هو فكان يقول عن هيكل جسده». ويلاحَظ هنا أن المسيح لم يقل أنه ينقض الهيكل بل قال: "**انقضوا**" أنتم هذا الهيكل أمّا هو "فيقيمه". وقد ظلّت هذه المحاولة للشهادة بالزور أنه قال ذلك، ركناً أساسياً في الاتهام كأساس أول للقضية، وقد عيَّروه به وهو على الصليب خطأً: «يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام» (مر ١٥:٢٩). مع أنه لم يقل أنه ينقضه. أمّا الركن الثاني للقضية الذي اعتمدوا عليه هو أنه قال إنه "المسيح"، وأيضاً عيَّروه بذلك وهو على الصليب: «لينزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب لنرى ونؤمن» (مر ١٥:٣٢). وهذان الركنان هما اللذان اعتمدت عليهما تحقيقاتهم في طلب حكم الموت، والباقي إضافات وقتية اخترعوها لإقناع القاضي. وهكذا خرجت القضية قائمة على هذين الركنين:
أولاً: أنه حوكم في المحكمة اليهودية وخرجوا باتهام أنه يدَّعي أنه سينقض الهيكل وأنه ابن الله.

(23) G. Dalman, *Jesus - Jeshua*, 1929, pp. 98-100; S. Rosen blatt, "The Crucifixion of Jesus from the Standpoint of Pharisaic Law", *JBL* 75 (Dec. 1956), pp. 315-321.

ثانياً: أنه قُدِّم للمحاكمة الرومانية على أساس أنه يدَّعي أنه "مسيح ملك" ندٌّ لقيصر (لو ٢٣:٢).

الأولى: حسبوها تجديفاً على الله.

الثانية: حوَّلوها إلى تجديف على قيصر.

وقد ظلَّ اليهود يعيشون في تلك الخرافة حتى أيام استفانوس إذ ألصقوا به هذه التهمة عينها (نقض الهيكل): «وأقاموا شهوداً كذبة يقولون (عن استفانوس) هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلَّم كلاماً تجديفاً ضد هذا الموضع المقدَّس والناموس. لأننا سمعناه يقول إن يسوع الناصري هذا سينقض هذا الموضع ويغيِّر العوائد التي سلَّمنا إياها موسى» (أع ٦: ١٣و١٤). وحتى أيام بولس الرسول كانت لا تزال هواجس اليهود ضد الهيكل قائمة: «صارخين يا أيها الرجال الإسرائيليون أعينوا. هذا هو الرجل الذي يعلِّم الجميع في كل مكان ضدًّا للشعب والناموس وهذا الموضع ...» (أع ٢١:٢٨). ولقد ورثت الكنيسة القبطية تقديس "الموضع" الذي كان يدل على الهيكل فأصبح يدل على الكنيسة:

[اذكر يا رب خلاص هذا الموضع المقدَّس الذي لك وكل المواضع وكل ديارات آبائنا الأرثوذكسيين.] (أوشية الموضع)

٢٦:٦٢ **«فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هذَانِ عَلَيْكَ؟»**.

هنا الوعد الذي انتهى إليه المسيح ابن الله مع أبيه في جثسيماني بعد جهاد النفس في صلاته المريرة المنسحقة والتي بلغ فيها إلى: «يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلاَّ أن أشربها فلتكن مشيئتك» (مت ٢٦:٤٢)، والكأس كما رأينا هي قبول خطايا البشرية جميعاً وكل عارها وصفاتها التي تتعارض مع علاقته بالآب. وها هو هنا يُتَّهم بأنه ضد الهيكل والعبادة وبالتالي ضد الله. وهكذا وبمقتضى قبول مشيئة الآب أن يحتمل كل خطايا وعار الإنسان، وقف صامتاً، والصمت بالنسبة للمتهم إزاء اتهامه بالخطية هو تمام الرِّضا والموافقة. كان يمكن أن يدافع ضد هذا الاتهام ويشرح الحقيقة، ولكنه لا يطلب البراءة بل يطلب أن يُحسب متهماً وخاطئاً. فهو هنا يقف موقف البشرية الممسوكة بخطايا من كل شكل، ويطلب ويلحّ في الطلب أن يُحاكم بها بكل ما يقرِّره القضاة.

٢٦:٦٣ **«وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتاً. فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟»**.

وفي الحال قطع المسيح صمته تجاه الاتهام، وابتدأ يشهد عن صدق أنه هو المسيح حقًّا ابن الله،

ولكن لم يكن رئيس الكهنة صادقاً في ضميره وفي استحلافه، فقد سبق وأن قرَّر ما في ضميره وتدبيره: «فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة: أنتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكِّرون. أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأُمة كلها» (يو ١١: ٤٩و٥٠). وكان رد قيافا هذا ردًّا على سؤال مجمع سابق أقامه قبل ذلك: «فجمع رؤساء الكهنة والفريسيُّون مجمعاً وقالوا ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا (هيكلنا) وأمتنا.» (يو ١١: ٤٧و٤٨)

إذن، فالاستحلاف هنا مهزوز ومزوَّر، والمقصود هو أخذ اعتراف من فم المسيح ليمسكوه عليه ويكون المجمع كله شهوداً. كل هذا لم يَفُتْ المسيح، ولكن المسيح لابد أن يشهد عن نفسه الشهادة الحسنة مهما كانت النيَّات. وهو هنا بشهادته الحسنة أنه هو المسيح ابن الله يكون قد أوقع رؤساء الكهنة والمجمع كله ورؤساء الشعب في اقتراف التعذيب والصلب والقتل في المسيح يسوع ابن الله عن معرفة وشهادة المسيح نفسه. وهي نقطة هامة تُضاف لحساب البشرية التي اقترفت خطاياها عن عمد ضد الله والحق. فها هو يحتمل القتل عن عمد كخاطئ مع أنه المسيح ابن الله بِقَسَم!!

٢٦: ٦٤ «قَالَ لَهُ يَسُوعُ أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضاً أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ».

دون أي تردُّد أو أي تمهُّل ردَّ المسيح ردًّا سريعاً مباشراً قوياً واضحاً: «أنتَ قُلْتَ»، وهي طريقة المسيح في الرد على أي سؤال بالإيجاب، إذ يجعل الإجابة هي التي نطق بها محدِّثه. ومعناها تماماً: "هذا حق". وهو نفس الموقف الذي وقفه أمام بيلاطس: «فقال له بيلاطس: أفأنت إذاً ملك؟ أجاب يسوع: أنت تقول إني ملك لهذا قد وُلدت أنا» (يو ١٨: ٣٧)، «ألستَ تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك ...، أجاب يسوع لم يكن لك عليَّ سلطان البتَّة لو لم تكن قد أُعطيتَ من فوق» (يو ١٩: ١٠و١١). وعلى القارئ أن يلاحظ هنا أن المسيح يصمت عند الاتهام بالخطايا لأنه يحملها حقًّا!! ولكن عندما يُسأل عن هويَّته يرد في الحال. الأمر الذي اعتبره بولس الرسول أنها الشهادة الحَسَنَة: «أوصيك أمام الله الذي يحيي الكل والمسيح يسوع الذي شَهِدَ لدى بيلاطس البنطي بالاعتراف الحَسَن.» (١تي ٦: ١٣)

«وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان»(٢٤):

قوله من الآن تعني بعد الصلب والموت مباشرة، "فالآن" هو آخر لحظات ضعف ابن الإنسان،

(٢٤) راجع المقدِّمة صفحة ٦٣.

ولكن الآن أيضاً يبدأ المجد الصاعد، وقد رآه ق. استفانوس فعلاً جالساً عن يمين العظمة في السموات: «وأمَّا هو فشخص إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله. فقال ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله.» (أع ٧: ٥٥و٥٦)

وهنا يستطرد المسيح بقوة ورأس مرفوعة حينما يذكر مجده العتيد أن يكون حتماً بعد أن تنقضي محنة اتضاعه وحمله خطايا الإنسان، أنه سيمضي ليجلس عن يمين القوة والعظمة في السموات، ويأتي على السحاب بقوة ومجد كثير، لقد ألزموه بجهلهم أن يشهد لحقيقة نفسه.

+ «قال الرب لربِّي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.» (مز ١١٠: ١)

+ «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحُب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرَّبوه قدَّامه. فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأُمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض.» (دا ٧: ١٣و١٤)

٢٦: ٦٥ «فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ قَائِلاً: قَدْ جَدَّفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ!».

كان رئيس الكهنة واثقاً من أن المسيح سيعلن هذه الحقيقة عن نفسه، فاستعد لها بدور تمثيلي ليسجِّل أول اعتراف للمسيح بلاهوته واستعلانه الشخصي لنفسه أنه هو هو المسيَّا موضوع رؤى الأنبياء ورجاء الآباء كل الدهور السالفة ـ وكأنه تجديف. والسؤال: فماذا كان ينتظر رئيس الكهنة الملهم من رد المسيَّا عن نفسه؟ وبماذا يستطيع رئيس الكهنة أن يفرِّق بين استعلان المسيح الحقيقي لذاته، وبين ادّعاء مسيح آخر. وهل ما قدَّمه المسيح من مئات المعجزات وهم كلهم شهود وآلاف الأشفية ومنهم مَنْ أقام ابنته حيَّة، ألا تكفي هذه كمقدِّمة لاعترافه اليوم؟

ولكن بالرغم من ذلك وقع اعتراف المسيح كالصاعقة على رأس قيافا فأسرع بتمزيق جبَّته لتسجيل حالة تجديف كما يقرِّر قانون السنهدرين.

أمَّا كيف استقرأ رئيس الكهنة من قول المسيح إنه ابن الله ـ وبذلك اعتبرها حالة تجديف ـ فدرايته بالمزمور (١١٠: ١) حيث لا يجلس عن يمين الله إلاَّ المسيَّا القادم المعبَّر عنه في المزمور بالرب. ويعرضها ق. لوقا بوضوح أكثر هكذا: «منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله، فقال الجميع أفأنت ابن الله؟ فقال لهم: أنتم تقولون إني أنا هو: فقالوا ما حاجتنا إلى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه.» (لو ٢٢: ٦٩-٧١)

٢٦:٦٦ «مَاذَا تَرَوْنَ؟ فَأَجَابُوا وَقَالُوا: إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ».

وبعد أن ورَّط رئيس الكهنة نفسه في الحكم على المسيح أنه يجدِّف بدون عقل ولا حكمة ولا رويَّة، وبالرغم من اعتراف المسيح الواضح العلني أنه هو مسيًّا ابن الله، أراد أن يورِّط بقية المجمع خاصة بعد أن مزَّق ثوبه شهادة منه أنه حصل على تأكيد بالتجديف لا رجعة فيه ولا مزيد. فأفتوا وهم صاغرين بما أملاه عليهم قيافا من واقع الحال.

واحد فقط كان حاضراً و لم يوافق على هذا الرأي وهو المشير يوسف الرامي، والمشير يعني رجلاً شريفاً وصاحب مشورة: «وإذا رجل اسمه يوسف وكان مشيراً ورجلاً صالحاً باراً هذا لم يكن موافقاً لرأيهم وعملهم - وهو من الرامة مدينة لليهود - وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله» (لو ٢٣: ٥٠و٥١). وهو الذي أنزل جسد المسيح من على الصليب ولفَّه بكتان ودفنه في قبره الخاص الجديد. وهذا هو الغني الذي ذكره إشعياء النبي منذ ٧٠٠ سنة مضت: «وجُعل مع الأشرار قبره ومع غنيٍّ عند موته.» (إش ٥٣:٩)

ولكن أن تجتمع كلمتهم على اتهام معيَّن شيء، وأن يصدر حكم بذلك شيء آخر. وكان بحسب القوانين المعمول بها لابد أن يمضي يومٌ كاملٌ بين الاتهام والحكم. ولكن كل شيء كان مقلوباً بداعي العجلة والخوف. وكان لابدَّ من انعقاد السنهدرين. والآن نحن بعد منتصف الليل، ولا يزال هنا متَّسع للوقت للتنفيس عن أحقاد قديمة.

٢٦:٦٧و٦٨ «حِينَئِذٍ بَصَقُوا فِي وَجْهِهِ وَلَكَمُوهُ، وَآخَرُونَ لَطَمُوهُ قَائِلِينَ: تَنَبَّأْ لَنَا أَيُّهَا الْمَسِيحُ، مَنْ ضَرَبَكَ؟».

ألم نقل إنه جزء من أن يقف هذا الموقف أمام أبيه؟ أليس هو بهاء مجد الآب وصورة جوهره؟ انظروا الآن وقع هذا على نفس المسيح الحامل لمجد أبيه، والذي وجهه الذي بصقوا عليه هو هو صورة جوهر الآب. المسيح يرضى بهذا لأنه أخذ شكل العبد، ولكن كيف يرضى أن يعرِّض صورة مجد الله أبيه للإهانة والمهانة والخليقة السماوية كلها تنظر من فوق. إن صلاة جثسيماني وجزع نفس المسيح من القادم عليه كان صِدْقاً وحقاً، وكان رعباً مرعباً جعله لمَّا تأمَّله تغشاه قشعريرة الموت: «نفسي حزينة جدًّا حتى الموت»، وتصبب في الحال عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض الملعونة لتشفيها من لعنتها قبل أن تغسلها قطرات نزف الصليب.

لقد شهد إشعياء عن هذا الخزي المريع الذي اقترفه إسرائيل: «وجهي لم أستر عن العار والبصق» (إش



ثلاث مناظر في منظر واحد

في أعلاه المسيح يمر من أمام الدهليز الذي كان فيه بطرس يصطلي. في اليمين: خادمات بيت قيافا البوابات يشرن نحو بطرس: أنك أنت واحد منهم ولكن بطرس أنكر، والدِّيك صاح مرتين. وفي اليسار بطرس يحاول يخفي وجهه وهو في غاية الضيق من اتهام البوابة: أنت واحد منهم، ولكنه أنكر لثلاث مرَّات. ويُلاحَظ أن المسيح ينظر إلى بطرس، فتذكَّر بطرس قول المسيح: إنك ستنكرني



المسيح في جثسيماني وقد أخذ منه الجهد والتعب كل مأخذ وبالنهاية جاء ملاك ليشدّده

٥٠:٦). ويضيف إشعياء واصفاً مدى صعوبة الخجل الذي عاناه المسيح حتى استعان بقوة معونة خاصة وافته من عند الآب سريعاً فاحتمل: «والسيد الرب يعينني لذلك لا أخجل، لذلك جعلت وجهي كالصوان (لاحتمال الضرب واللطم) وعرفت أني لا أخزى. قريب هو الذي يبرِّرني» (إش ٥٠: ٧و٨)

نعم سينظره الذين لطموه على **الوجه** والذين بصقوا في **وجهه** وحينئذ يصرخون للجبال لتقع عليهم لتغطِّيهم من وجه الجالس على العرش (رؤ ٦:١٦).

«وآخرون لطموه قائلين تنبَّأ لنا أيها المسيح مَنْ ضربك»:

لقد تنبَّأ، يا صُحبة السوء ورجال الشر، قد تنبَّأ على خراب مدينتكم وحرق هيكلكم وفظائع ستُجرى عليكم وعلى أولادكم ونسائكم لم ترها الأرض سابقاً، وسيذكرها التاريخ أبداً. وستنجو ذرية لكم وتتشتَّت في كل أنحاء العالم لتشهد وتعاين مدى النقمة التي تجوزها أُمتكم حتى يتم المقضي به عليكم:

+ «أَفسَدَ له الذين ليسوا أولاده عيبهم. جيلٌ أعوج ملتوٍ. أَلرَّبَّ تكافئون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم؟» (تث ٣٢: ٥و٦)
+ «إنهم أُمَّةٌ عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم ... لولا أن صخرهم باعهم والرب سلَّمهم.» (تث ٣٢: ٢٨و٣٠)

إنكار بطرس ثلاث مرَّات

[٢٦: ٦٩-٧٥]

(مر ١٤: ٦٦-٧٢)،
(لو ٢٢: ٥٦-٦٢)،
(يو ١٨: ١٥-١٨و٢٥-٢٧)

٢٦: ٦٩ **«أَمَّا بُطْرُسُ فَكَانَ جَالِساً خَارِجاً فِي الدَّارِ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ قَائِلَةً: وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ الْجَلِيلِيِّ».**

هنا اختصر ق. متى رواية دخول بطرس في الحوش خارج الدار. والقصة يرويها القديس يوحنا بالتفصيل هكذا: «وأمَّا بطرس فكان واقفاً عند الباب خارجاً فخرج التلميذ الآخر (ق. يوحنا يتكلَّم عن نفسه) الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة وكلَّم البوابة فأدخل بطرس» (يو ١٨: ١٦). وهكذا ينجلي الموقف أمامنا لماذا دخل ق. يوحنا إلى داخل الدار بينما وقف بطرس خارجاً، إذ أوضحها

ق. يوحنا أنه كان معروفاً عند رئيس الكهنة. والحقيقة أنه يُظن أن له قرابة برئيس الكهنة وأن ق. يوحنا من عائلة كهنوتية (انظر كتاب: "شرح إنجيل القديس يوحنا" للمؤلِّف صفحة ١١٣٠).

وأخيراً فتحت البوابة وظهر ق. يوحنا وقد عرفته البوَّابة في الحال ودعا بطرس للدخول، فدخل في صمت واتجه إلى جماعة الخدم والعبيد واندسَّ بينهم بهدوء، على أنه كان يكفيه أن يكون متفرِّجاً فقط وكأن الأمر لا يعنيه، ولكن البوَّابة وهي جارية تفرَّست في وجه بطرس على ضوء مصباحها الخافت وتعرَّفت عليه من شكله وملبسه، وبادرته باتهامها الهادئ: «وأنت كنت مع يسوع الجليلي»، لأن بطرس ظهر بشكله ولبسه ولغته الجليلية. وفي إنجيل ق. يوحنا أضافت الجارية كلمة "أيضاً" لأنها تعرَّفت على ق. يوحنا أنه تلميذ يسوع، هنا خانت بطرس شجاعته وارتج عليه الأمر.

٧٠:٢٦ «فَأَنْكَرَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ قَائِلاً: لَسْتُ أَدْرِي مَا تَقُولِينَ!».

هنا يتضح لنا أن بطرس تحاشى ما أمكن الحديث نهائياً عن هذا الموضوع حتى لا يُستدرج إلى أسئلة خطرة توقعه في المحظور. لأن أخوف ما كان يخافه أن يدركوا أنه هو الذي رفع السيف على عبد رئيس الكهنة، بالإضافة إلى خوفه الشديد من أن يُحاكم بصفته تلميذ يسوع. وتبخَّرت التأكيدات: «لو اضطررت أن أموت معك لا أُنكرك.» (٣٥:٢٦)

والموقف معروض علينا، لأن الإنجيل لا يهمَّه التاريخ، فهو يدوِّن لنا ماذا يمكن أن يحدث لنا، وماذا يمكن أن نتصرَّف ونقول. فالذي أوقع بطرس في هذه الورطة: أولاً كبرياؤه واعتداده بذاته أمام اتهام المسيح له. فلو كان اتضع وطلب من المسيح قوة ومعونة حتى لا يقف مواقف الإنكار هذه لنجا كما نجا كثيرون، ولكنه تعالى على إنذار المسيح العام بالنسبة للتلاميذ ككل، ثم تعالى على الإنذار الموجَّه له شخصياً لمَّا كابر على السلوك كواحد من التلاميذ. وبعد ذلك لمَّا تبع يسوع لم يتبع حاملاً صليبه أي كمستعد للموت كما ادَّعى لنفسه، تبع واكتفى بأن يقف على الباب أولاً لولا أن ق. يوحنا أسعفه وترجَّى البوابة أن تُدخله. فلمَّا دخل كمَنْ هو غريب عن جماعة التلاميذ، وبالتالي عن أي علاقة بالمسيح بنوع من التستُّر للخوف، ففقد استعداد الشهادة. وأخيراً أخلى ذهنه نهائياً من أي تفكير في موضوع المسيح استعداداً للهرب والإنكار. فلمَّا واتت اللحظة الحرجة باح بما في قلبه.

والأمر من الخطورة بالنسبة لنا فنحن جميعاً وحتماً سنقف موقف السؤال والجواب عن علاقتنا بالمسيح، إذ يلزم أن نكون مستعدين دائماً لمجاوبة كل مَنْ يسألنا عن سبب الرجاء الذي فينا (١بط ١٥:٣). بل وأكثر من ذلك يتحتَّم أن يكون لنا تفكير واضح وإيمان قوي واستعداد داخلي للشهادة

للمسيح حتى ولو لم نُسأل، بنوع من الكرازة أو الشهادة لإيماننا كلما وافتنا الظروف. وإلاَّ إذا أفرغنا الفكر والضمير واللسان من الشهادة للمسيح كبطرس فنحن سنُنكِر إذا فوجئنا بالسؤال. كما يلزمنا أن ندرك تماماً أنه في اللحظة التي نبدأ فيها بالشهادة للمسيح بشجاعة ستأتينا قوة من الأعالي لتخرج الكلمات قوية ثابتة مؤثِّرة مهما كان الواقف أمامنا ليسائلنا: «فلا تهتموا كيف أو بما تتكلّمون لأنكم تُعْطَوْنَ في تلك الساعة ما تتكلّمون به، لأن لستم أنتم المتكلّمين بل روح أبيكم الذي يتكلّم فيكم.» (مت ١٠: ١٩و٢٠)

٢٦: ٧١و٧٢ «ثُمَّ إِذْ خَرَجَ إِلَى الدِّهْلِيزِ رَأَتْهُ أُخْرَى، فَقَالَتْ لِلَّذِينَ هُنَاكَ: وَهذَا كَانَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ! فَأَنْكَرَ أَيْضاً بِقَسَمٍ: إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ الرَّجُلَ!».

ليس هذا سوء حظ ولا هو صدفة، إنها عين الله على بطرس الذي أراد أن ينسى واجبه كتلميذ ويتناسى تعليم معلِّمه. واستقر في أعماقه أن ينكر ويهرب ويأخذ طريق الضلال!! فحرَّك الجارية الأُولى ثم حرَّك الجارية الثانية وستأتي الثالثة في ميعادها. أمَّا الإنكار هنا فازداد جراءة وتصميماً باستخدام اسم الله، وكأن الأمر فعلاً صحيح أنه لا يعرف هذا الرجل!! هذه مصيبة السير في الخطوة الثانية في الابتعاد عن الله والقداسة. فبعد الإنكار باللسان أصبح إنكاراً بالقلب!! وبعد أن كان إنكاراً بيني وبين نفسي أصبح إنكاراً أُشهد عليه الله أيضاً!! وبعد أن كانت ورطة يمكن أن أتراجع عنها وأُخرج رِجْلَيَّ منها بالاعتذار أو التراجع أو التصحيح، أدخل في الطين بالرجلين وأغوص حتى الرقبة!!

والوحيد الذي كان يمكن أن ينتشلني من غطسة الهلاك هذه أشهدته على إنكاري بل أنكرته هو أيضاً!!

٢٦: ٧٣و٧٤ «وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَ الْقِيَامُ وَقَالُوا لِبُطْرُسَ: حَقًّا أَنْتَ أَيْضاً مِنْهُمْ، فَإِنَّ لُغَتَكَ تُظْهِرُكَ! فَابْتَدَأَ حِينَئِذٍ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: إِنِّي لاَ أَعْرِفُ الرَّجُلَ! وَلِلْوَقْتِ صَاحَ الدِّيكُ».

هنا فقد بطرس السيطرة على نفسه، فقد تخلَّت النعمة تماماً! مَنْ ينكرني أنكره. فلم يعد أمامه إلاَّ أن يلعن نفسه ويلعن يومه ويعيد ما قاله وليس مَنْ يسمع ولا مَنْ يصدِّق. وهكذا يهوذا باع سيِّده بثلاثين من الفضة، أمَّا بطرس فأنكره مجَّاناً، وكان مستعداً أن يبيعه ولكن ليس مَنْ يشتري. وهنا ينبري وعد المسيح المبارك: «ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو ٢٢: ٣٢) ففي هذه اللحظة أوعز الملاك إلى الديك أن يصيح صيحة النجاة فتذكَّر بطرس!! وعلى رجاء وعد المسيح

الأكيد أنه سيطلب من أجله حتى لا يفنى إيمانه، استرد عافيته وخرج سريعاً وبكى بكاءه المرّ!

طوبى لمن طَلَبت من أجله أُمه، طوبى لمن طلب من أجله أبوه، طوبى لمن طلبت الكنيسة من أجله. صلُّوا صلُّوا كل حين ولا تملُّوا.

+ «اذبح لله حمداً وأوفِ العليّ نذورك وادعني في يوم الضيق أُنقذك فتمجِّدني.» (مز ٥٠: ١٤و١٥)

٢٦: ٧٥ «فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ كَلاَمَ يَسُوعَ الَّذِي قَالَ لَهُ: إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا».

يقول ق. لوقا إن في لحظة صياح الديك كانوا قد قادوا المسيح من دار قيافا إلى مكان السنهدرين وبابه مواجه للدهليز، فالتفت المسيح في هذه اللحظة إلى بطرس وتقابلت العينان!! فقرأ فيها الحنان والعطف المعهود بل والصفح كل الصفح والدعوة إلى الاغتسال!! (لو ٢٢: ٦١)

لقد عَثَرَ بطرس على نفسه مغروسة في الطين حتى الرقبة عندما صاح الديك، ولكن عندما لمح بطرس عَيْنَي المسيح وهي مصوَّبة نحوه في هدوء الحب وجد نفسه على الشاطئ!!

كان وعد المسيح: «طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» دخولاً حقيقياً للمسيح مع بطرس في ضيق الورطة كذراع إله انتشله من الطين!! أمَّا يهوذا فلم يجد. وهكذا تفترق خطية المُخلِص من خطية الخائن!!

«بكى بكاءً مرًّا»:

يذكرها الإنجيليون وكأنها غسيل نفس تلطَّخت بالطين، وهي حقيقة.

كذلك فهي بحد ذاتها نعمة!! وطوبى للعيون التي تعلَّمت وعرفت متى وكيف يكون البكاء. فالبكاء صلاة ارتفعت عن حدود الكلام وصارت مشاعر مذبوحة تقطر دماً. فحينما تبلغ النفس حد اليقين من خطيتها يتوقَّف النطق وتعصر النفس ذاتها عصراً وتنزف منها الحياة كدموع. ولولا مَنْ يقول لها كُفِّي البكاء لظلَّت تبكي حتى الموت. ومَنْ ذا يعرف البكاء المرّ؟ قليل للغاية. فهو لا يريح النفس أو يزيح عنها الهمّ بل يزيدها مرارة ويجعل الحياة كلها علقماً، وله قدرة واقتدار أن ينزح ما ترسَّب في قاع النفس من أعمال وأفكار ومشاعر الخطية. إنه يغسل، يطهِّر، يحرق. فمثل هذه الدموع على قلَّتها قادرة أن تخلق ضميراً جديداً. وهي هدية ثمينة جدًّا لا تُعطى إلاَّ لمن أدرك هلاكه المحقَّق ونظر نفسه في قاع الجحيم! تدخلها النفس مَرَّة لتغتسل بها إلى الأبد!

الأصحاح السابع والعشرون

- قرار السنهدرين بتقديم المسيح للموت وتسليمه لبيلاطس (٢٧ : ١ و ٢)
- يهوذا يخنق نفسه (٢٧:٣ - ١٠)
- استجواب المسيح أمام بيلاطس (٢٧: ١١-١٤)
- نطق بيلاطس بالموت صلباً (٢٧: ١٥-٢٦)
- استهزاء العسكر (٢٧:٢٧-٣١)
- الصلب فوق الجلجثة (٢٧:٣٢-٤٤)
- الموت على الصليب (٢٧:٤٥-٥٦)
- دفن الجسد (٢٧:٥٧-٦١)
- الأمر بحراسة القبر (٢٧:٦٢-٦٦)

قرار السنهدرين
بتقديم المسيح للموت وتسليمه لبيلاطس
[٢٧: ١و٢]

(مر ١٥: ١)،
(لو ٢٣: ١و٢)،
(يو ١٨: ٢٨-٣٢)

١:٢٧ «وَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ تَشَاوَرَ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ عَلَى يَسُوعَ حَتَّى يَقْتُلُوهُ».

"**السنهدرين**": اجتماع بكل هيئته يتكوَّن بحسب العالِم شورر[1] من ٧١ عضواً تحت رئاسة الكاهن الأعظم (رئيس الكهنة)، ويتكوَّن من رؤساء الكهنة السابقين والكتبة وشيوخ الشعب. ولكنه فقد صلاحيته في الأحكام السياسية والقضائية الكبرى قبل خراب الهيكل بأربعين سنة.

ومعروف أن الذي سلم الإنجيليين ما دار داخل السنهدرين ضد المسيح من أحكام هم أعضاء السنهدرين، الذين كانوا متعاطفين مع المسيح و لم يعطوا موافقتهم، ومنهم يوسف الرامي ونيقوديموس.

كان يتحتَّم على السنهدرين أن يجتمع مرَّة أخرى في الصباح وبكامل هيئته وبكل رؤساء الكهنة ليعيدوا صياغة ما وصلوا إليه بالليل، لأن قرار الإدانة بالموت غير جائز اتخاذه ليلاً. والأمر المطروح أمامهم ليس هيِّناً، إذ أصبح عليهم تقديم كافة الأدلة التي تدين المسيح ليَلْقَى عقوبة الموت. وتبكيرهم في الصباح منذ أول صياح الديك كان بقصد تحاشي المرور وسط الشعب والمسيح مقيَّد يقوده الجند مما يثير انتباه جماهير الحجاج الذين أبدوا تعاطفاً معه.

ولنا هنا وقفة مع القارئ بالنسبة لهذه المحاكمة الدينية بصيغتها الملفَّقة والمتعجِّلة والخائفة من الشعب، واستخدام الليل في المحاكمة، والفجر في التسجيل، والذهاب بسرعة إلى دار بيلاطس تَسَتُّراً من أعين الشعب لتسليمه خلسة، فأي محاكمة هذه وبماذا تقوم؟ «ها إنهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندي.» (إش ٥٤: ١٥)

ولكن السؤال الذي يصدم المتتبِّع لأعمال المسيح ومقاومات رؤساء الكهنة ويجعله يتعجَّب هو كيف تأخَّرت هذه الهيئات السياسية والقضائية عن القيام برسالتها؟ فإن كان المسيح بحسب اجتماع آرائهم أنه "مجدِّف" ومستوجب الموت، فلماذا تأخروا عليه هذه الثلاث سنوات ونصف؟ والواضح

(1) E. Shürer, *The History of the Jewish People in the Age of Jesus Christ*, vol. II, pp. 210 ff.

أن رؤساء الكهنة والمسئولين من الكتبة والفريسيِّين تخطُّوا وتجاوزوا الوقت المسموح لهم في تقدير خطورة المسيح على العبادة والديانة اليهودية بأجمعها. فإن كانت أُسس الديانة هكذا تزعزعت حسب تقديرهم من تعاليم المسيح، وأنه يضلِّل الشعب ويجدِّف على إله إسرائيل، فلماذا لم يتَّخذوا هذا القرار منذ بدأ المسيح خدمته وإعلانه عن نفسه أنه ابن الإنسان، ووقوفه على الجبل يقول: «قيل لكم في القديم ... وأمَّا أنا فأقول لكم»، أو في قوله «أنا هو الخبز النازل من السماء مَنْ يأكلني يحيا بي»! بل وكان من واجبهم أن يحقِّقوا أولاً مع المعمدان لأنه هو الذي قدَّم المسيح وتقدَّم أمامه وشهد له أنه هو ابن الله!

لذلك فإن هذه المحاكمة العاجلة الخائفة من الشعب حيث تمَّ القبض في منتصف الليل والتحقيق بعد منتصف الليل، والإسراع في طرق أُورشليم لتسليم المسيح لبيلاطس بعد الفجر بقليل قبل أن يستيقظ الشعب، هذه كلها تدين الذين حكموا والذين اشتركوا في الحكم جميعاً بالتباطؤ الفظيع في كشف المخاطر (بحسب تقديرهم) التي تواجه الأُمة اليهودية، والخطر الداهم على العبادة اليهودية من تزييف لاهوتها وادعاء إنسان عادي أنه ابن الله. بل والخطر القائم بتهديد هدم الهيكل العظيم الذي بُني في ٤٦ سنة. لقد أثبتوا بحكمهم أنهم قوم ليسوا أمناء على مقدَّرات الأُمة اليهودية، ولا هم يصلحون أن يكونوا قادة روحيين لهذا الشعب العريق. وأنهم من وجهة نظر يهودية أمينة يلزم إسقاطهم جميعاً وتغيير جميع القوانين والنواميس التي كانوا يحكمون بها، وتجديد العبادة التي أساءوا إليها. ثم أليس هذا هو ما حصل تماماً؟؟

+ «لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب، يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدِّقون موسى لكنتم تصدِّقونني لأنه هو كتب عني.» (يو ٥: ٤٥و٤٦)

٢:٢٧ **«فَأَوْثَقُوهُ وَمَضَوْا بِهِ وَدَفَعُوهُ إِلَى بِيلاَطُسَ الْبُنْطِيِّ الْوَالِي».**

«فأوثقوه»:

كان المهم أن يقدِّموه إلى بيلاطس كسجين سياسي مقبوضٍ عليه، لأن التهمة الأساسية التي يركِّزون عليها ليس أنه مجدِّف، فهذه التهمة تخصّهم هم ليضعوا في يديه القيود كمذنب، ولكنهم يقدِّمونه مقبوضاً عليه كمجرم ثائر ضد الرومان. هنا يتوه الفكر مني ويعصاني القلم، أيُّ قيودٍ هذه التي يُقيَّد بها المسيح وهو الذي جاء ليفك الإنسان من قيود الخطية والموت والهاوية واللعنة الأبدية، ويطلقه حرًّا مصالَحاً مع الآب. ولكن الذي اختار أن يتخلَّى عن مجده ويأخذ شكل العبد، عليه أن

يمدّ يديه راضياً إن كان هذا يؤدِّي إلى الموت، موت الصليب الذي به وعليه يكمل تحرير الإنسان.

ومضوا به إلى بيلاطس من أقصر الطرق الخالية من الحجاج، ولحسن حظهم المتعوس كان يمكن أن يمضوا به إلى قلعة أنطونيا الملاصقة للركن الشمالي الغربي للهيكل دون أن يراهم أحد حيث يقيم بيلاطس، والذي كان حتماً على ميعاد معهم، لأنه هو الذي أمر بإرسال القائد الروماني "رئيس ألف" في نصف الليل للقبض على المسيح بناءً على طلب رؤساء الكهنة.

«بيلاطس البنطي»:

بعد أن صارت اليهودية ولاية رومانية بعد سقوط أرخيلاوس، فقد السنهدرين سلطانه للحكم السياسي والأحكام الكبيرة. وبيلاطس هو خامس والٍ على اليهودية، وقد خلف فاليريوس جراتس سنة ٢٦م، وبعد عشر سنوات من حكمه أي سنة ٣٦م استُدعي إلى روما للتحقيق معه على بعض التجاوزات، وبعدها كما يقول يوسابيوس القيصري (تاريخ الكنيسة ٢:٧) نُفي إلى فيِّنا حيث يُقال إنه انتحر. غير أن الكنيسة القبطية اعتماداً على تاريخها القديم للقديسين تقول إنه تنصَّر هو وزوجته.

ومركز الوالي الروماني كان أصلاً في "قيصرية"، ولكنه كان ينتقل عادة في العيد ويقطن قلعة أنطونيا ليكون على مقربة من حوادث العيد، لأن الحجاج الآتين من جميع أنحاء العالم كان يربو عددهم على المليونين ويزيد.

يهوذا يخنق نفسه

محنة يهوذا وندمه بعد أن زلت قدمه

[٢٧: ٣-١٠]

(أع ١: ١٨و١٩)

٢٧: ٣و٤ «حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى يَهُوذَا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ قَائِلاً: قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَماً بَرِيئاً. فَقَالُوا: مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرْ!».

الذي يمنع قبول ندم يهوذا أنه قدَّمه للقاتلين وليس لله، وبعد أن حذَّره المسيح أنه عالم بخيانته، بل وبعد أن أعلن عنه علناً أنه سيسلِّمه. ولكن ندمه وإعلانه للسنهدرين أنه سلَّم دماً بريئاً أصبح دينونة للسنهدرين مضافاً على تزويرهم الحقائق. ولكن رؤساء الكهنة رفضوا اعترافه وأعادوه إلى مسئوليته الخاصة ورفضوا عودة الثلاثين من الفضة إلى خزينة الهيكل لأنها أصبحت ثمن دم. بمعنى أنهم تبرَّأوا منه ومن خيانته ومن ندمه ومن الثلاثين من الفضة. أمَّا قولهم: **«ماذا علينا أنت أبصر»** يعني ليس عندنا مغفرة ولا قبول توبة!!

وقد اعتنى ق. متى الذي يقدِّم من إنجيله تعليماً للكنيسة، أن يقدِّم ندم بطرس الذي يُقبل وندم يهوذا الذي لم يُقبل: «لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله يُنشئ توبة لخلاص بلا ندامة. وأمَّا حزن العالم فيُنشئ موتاً.» (٢كو ٧: ١٠)

وقَتْلُ يهوذا لنفسه شنقاً حُسب ضدَّه وأوقعه في جريمة قتل: «لا تقتل».

٢٧: ٥ «فَطَرَحَ الْفِضَّةَ فِي الْهَيْكَلِ وَانْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَخَنَقَ نَفْسَهُ».

وهل تبقَّى هناك "هيكل" ليهوذا؟ إن لحظة حصول الإنسان على المال الحرام هي بمثابة فك عهد الأمانة مع الله، ودخول المال الحرام على المال الحلال ينجِّس ليس المال بل الأكل والشرب والبيع والشراء والحياة.

حين قبض يهوذا الثلاثين من الفضة هان عليه بيع سيده وتسليمه لقاتليه، المال الحرام يلوِّث الضمير ويُعمي العينين ويرفع عن الإنسان البصيرة والستر والبركة جميعاً.

«ثم مضى وخنق نفسه»: لأنه لم يجد مَنْ يحلّه من قيود الخطية المميتة!! لقد فقد من كان يقول

له مغفورة لك خطاياك!! فرقٌ بين بطرس الذي خرج خارجاً وبكى بكاءً مرًّا ويهوذا الذي مضى وخنق نفسه! «طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون.» (لو ٦: ٢١)

وكان سنهدرين اليهود يحرِّم البكاء على الذين ينتحرون. وكانت الكنيسة تمنع الصلاة على الذين يقتلون أنفسهم، لأن في القديم كما في الجديد "لا تقتل" وصية إلهية جديرة جدًّا بالاحترام. ولكن ليس في كل الخطايا ولا الإخفاقات مهما بلغت فيها الخسارات في العهد الجديد ما يمنع التوبة والعودة إلى الله.

٢٧: ٦و٧ «فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْفِضَّةَ وَقَالُوا: لاَ يَحِلُّ أَنْ نُلْقِيَهَا فِي الْخِزَانَةِ لأَنَّهَا ثَمَنُ دَمٍ. فَتَشَاوَرُوا وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِيِّ مَقْبَرَةً لِلْغُرَبَاءِ».

هكذا انشغل رؤساء الكهنة بأمر الفضة الملوَّثة بالدم و لم ينشغلوا بضمائرهم التي سفكت هذا الدم البريء، وبذلك يصوِّر الإنجيل المدى الذي انتهت إليه اهتمامات رؤساء الكهنة في الاهتمام بالمحلَّل والمحرَّم في أمر الفضة والقربان، بعد أن صنعوا أعظم جريمة تمَّت في إسرائيل منذ خروجهم من مصر إلى يومهم ذاك. وانشغال الرؤساء بتوافه الحوادث والأمور يكشف عن إهمال «الحق والرحمة والإيمان.» (مت ٢٣: ٢٣)

٢٧: ٨-١٠ «لِهذَا سُمِّيَ ذلِكَ الْحَقْلُ حَقْلَ الدَّمِ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ: وَأَخَذُوا الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، ثَمَنَ الْمُثَمَّنِ الَّذِي ثَمَّنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَعْطَوْهَا عَنْ حَقْلِ الْفَخَّارِيِّ، كَمَا أَمَرَنِي الرَّبُّ».

«حقل دم»: haqel dema

وفي التاريخ ما يفيد أنه في القرن الرابع سجَّل أحد الرحالة مكاناً بهذا الاسم في مكان ملتقى وادي هنوم بوادي قدرون جنوب المدينة. وفوق هذا وذاك تسجَّل في الإنجيل بصورة مخزية للذين اشتركوا في الفضة والدم وصار هذا قرينةً ثابتة على ما اقترفه رؤساء الكهنة من الرشوة للقبض على إنسان بريء، الأمر الذي يحرِّمه الناموس. فعادت الرشوة إلى أحضانهم، ولمَّا ألقوها في الحقل تسجَّل الحقل والدم والفضة والاسم لحسابهم. فالأرض ممنوع عليها أن تشرب الدم بل تنضحه في عين الشمس ليراه ويسمع به القاصي في التاريخ والداني. بل وماذا يصنع القاتل أو كيف يُخفي نفسه ورشوته، وروح النبي كانت عليه بالمرصاد، وسجَّلته في التاريخ أيضاً قبل أن يولد حتى تعرَّف به صاحب العين المفتوحة قبل أن يعرف هو جريمته. وعجب الأنبياء يُتعجَّب له، كيف التقطوا هذه الصور والبصمات لأصحابها ووضعوها في أرشيف الكنيسة حتى لمَّا يأتي الزمان تحاصرهم وتفضح أعمالهم. والنبوَّة هنا وردت في سفر زكريا النبي (١١: ١٣).

استجواب المسيح أمام بيلاطس

[٢٧: ١١-١٤]

(مر ١٥: ٢ - ٥)،
(لو ٢٣: ٢ - ٥)،
(يو ١٨: ٣٣-٣٨)

لقد قدَّم ق. يوحنا في إنجيله هذه المحاكمة بدقة وتحديد وإسهاب بحيث يصعب نقلها هنا، على أن المخاطبة والمساءلة كانت باللغة اللاتينية، لذلك بحسب ظننا أن الذي قام بنقل أوصاف ودقائق المحاكمة هو ق. مرقس لأنه الوحيد بين الرسل الذي كان يتقن اللاتينية واليونانية. وقد جمعها وأكملها ق. يوحنا.

لذلك يلزم للقارئ الذي يود التعرُّف على دقائق هذه القضية أمام المحاكمة الرومانية أن يطَّلع عليها في كتاب شرح إنجيل ق. يوحنا في موضعها. أمَّا هنا فسنكتفي كالعادة بتفسير وشرح الآيات التي سجَّلها ق. متى، معتبرين أن لكل إنجيل تقليده وروحه بينما الحوادث هي بعينها.

ولكن من رواية ق. يوحنا يمكن إعطاء صورة واضحة عن سير القضية وسلوك بيلاطس في هذه القضية:

منذ بدء القضية أراد بيلاطس التنحِّي عنها لأنه بحسب السماع السابق عنها وبحسب درايته بأعمال اليهود اكتشف أنهم قدَّموه للموت "حسداً". فبمجرَّد أن قدَّموا إليه المسيح ابتدرهم بسؤال: «فخرج بيلاطس إليهم وقال أيَّة شكاية تقدِّمون على هذا الإنسان؟» (يو ١٨: ٢٩). فكان ردّهم جافاً سخيفاً لأنهم صُعِقوا إذ كانوا قد دبَّروا كل شيء على أساس تقديمه للموت: «أجابوا وقالوا له: لو لم يكن فاعل شرٍّ لما كنَّا قد سلَّمناه إليك» (٣٠). فكان رد بيلاطس عليهم أشد جفاءً وإنكاراً لمقصدهم لأنهم أخفوا مقصدهم من قتله، وادَّعوا في إجابتهم أنه مجرَّد فاعل شرّ، فكانت هذه القضية بهذا الشكل من اختصاصهم: «خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم (إن كان مجرَّد فاعل شر)» (٣١). فاضطروا أن يكشفوا أوراقهم ويعلنوا مقصدهم واضحاً رغم أنفهم: «فقال له اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحداً». وهكذا كشروا عن أنيابهم وأعلنوا عن نيتهم بأن مطلبهم هو "الصلب". وهكذا أجبرهم بيلاطس أن يغيِّروا ادعاءَهم من مجرَّد فاعل شر إلى مجرم يستحق القتل، فأصبح عليهم أن يقدِّموا الأدلة باتهام مؤيَّد بشهود ووقائع. وهذا أربكهم للغاية.

فتشاوروا بسرعة وقدَّموا ثلاثة اتهامات ثقيلة:

١ - إنه يُفسد الأمة.

٢ - يمنعنا من دفع الجزية لقيصر.

٣ - ويدَّعي أنه ملك (لو ٢٣:٢)

أمَّا الاتهامان الأول والثاني فلم يحرِّكا بيلاطس، ولكن الاتهام الثالث هو الذي استرعى انتباهه واهتمامه وبدأ به استجواب المسيح. ومن هنا يفتتح ق. متى روايته في المحاكمة (مت ٢٧: ١١-١٤)، وسنأتي إليها حالاً. ولكن الوالي دَخَلَ إلى داخل دار الولاية واختلى بالمسيح وسأله عن ملوكيته كما يحكي ق. يوحنا أيضاً، وانتهى من ذلك بأن اقتنع أن المسيح ليس مُداناً والتهمة ساقطة من عليه فأعلن براءته Not guilty وهي بالإنجليزية تعني: "بريء". ولكن لمَّا فلت الاتهام من أيدي اليهود غيَّروا اتهامهم بسرعة إلى «فكانوا يشدِّدون قائلين: إنه يهيِّج الشعب وهو يعلِّم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل إلى هنا» (لو ٢٣:٥). فأول ما سمع بيلاطس ذكر الجليل وجدها فرصة ليزيح هذه القضية عن كاهله، ففي الحال أمر أن يُرسل إلى هيرودس لأنه كان والي الجليل، وكان متواجداً وقتها في أُورشليم (لو ٢٣: ٦-١٢). ولكن هيرودس أعاده دون أن يحرِّك القضية لأنه عالم بمكر اليهود ومؤامراتهم. فلمَّا أعاد هيرودس القضية مرَّة أخرى إلى بيلاطس وجدها بيلاطس فرصة لكي يكيل اللوم عليهم ويكشف براءة المسيح: «فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم: قد قدَّمتم إليَّ هذا الإنسان كمَنْ يُفسد الشعب. وها أنا قد فحصت قدَّامكم و لم أجد في هذا الإنسان علَّة مما تشتكون به عليه. ولا هيرودس أيضاً لأني أرسلتكم إليه. **وها لا شيء يستحق الموت صُنِع منه**» (لو ٢٣: ١٣-١٥). وابتدأ هنا يساومهم في إطلاقه بمناسبة العيد إذ كان معتاداً أن يفرج لهم عن أحد المسجونين. فثار هياجهم وطلبوا الإفراج عن باراباس اللص وصلب المسيح.

وقد حاول بيلاطس الإفراج عنه بكل ثقله بحسب إنجيل ق. يوحنا، وقدَّم لهم مبادرة كانت خاطئة جدًّا ليرضيهم إذ أمر أن يؤدَّب بالجلد الثقيل، لعلَّ ذلك يرضي حقد اليهود، ولكن عبثاً كانت المحاولة. وأخيراً سمع اليهود يتَّهمون المسيح بأنه يدَّعي أنه "ابن الله" فارتعب بيلاطس ودخل إلى يسوع يسأله سؤالاً عجيباً: «من أين أنت؟» فكان سؤاله هذا ينمّ عن تخوّف شديد **أن يكون اتهامهم حقًّا!** واقتنع من كلام المسيح أن في أمره سرًّا ما. فخرج يطلب براءته من الشعب (هكذا؟): «من هذا الوقت كان بيلاطس **يطلب** أن يطلقه ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين: إن أطلقت هذا فلست محبًّا لقيصر. كل مَنْ يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر» (يو ١٩:١٢)، «فصرخوا: خذه خذه اصلبه. قال لهم بيلاطس:

أأصلب ملككم. **أجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك إلاَّ قيصر.»** (يو ١٩:١٥)

وإلى هذا الحد باع اليهود الله الواحد إلههم وملكهم لكي ينتقموا من المسيح عدوّهم الأوحد.

هذا مجمل المحاكمة استقيناها من الأناجيل الأربعة. والآن إلى رواية القديس متى:

١١:٢٧ «فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي. فَسَأَلَهُ الْوَالِي قَائِلاً: أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنْتَ تَقُولُ».

يلاحِظ القارئ ذو الحاسة المدرَّبة على قراءة التوراة أن هذه اللهجة التي يكتب بها ق. متى هي لهجة الرواية في التاريخ القديم – والذي لم يذكره ق. متى هنا يعطي ضوءاً أكثر على ملابسات ميعاد المحاكمة وظروفها. إذ ينص إنجيل ق. يوحنا أن السنهدرين بهيئته الرسمية وهو الشاكي، لم يدخل دار الولاية لئلاَّ يتنجَّسوا لأن اليوم كان عيد الفصح و لم يذبحوا الخروف بعد، فإذا تنجَّسوا في هذا اليوم بالذات امتنع عليهم الاستحمام الذي يرفع عنهم النجاسة. ويكونون بذلك قد حُرموا رسمياً من ذبح الخروف وأكله، وهذا أحرجهم للغاية، فوقفوا خارج دار الولاية. وكان بيلاطس تمشياً مع عوائدهم يخرج إليهم يسألهم ثم يدخل دار الولاية ليسأل المتهم.

فلمَّا خرج إليهم ليستمع إلى شكواهم التي قدَّموها بالتهويل اللازم أنه يدَّعي الملوكية فيقول إنه مسيح ملك، فقد استرعت الشكاية انتباهه لأنها تمس وظيفته ورئاسة روما. فدخل إلى المسيح يسأله: هل أنت ملك اليهود؟ فكان الرد في مجمله بحسب اختصار ق. متى أن "نعم". وفي إنجيل ق. يوحنا لهذا وُلدت! ولكن لم يدخل بيلاطس في تفاصيل مفهوم المسيح للملوكية بل اكتفى بردِّه المختصر الذي يرفع فكر الملوكية عن مستوى السياسة والأرض وأفكار اليهود. لدرجة أنه – في إنجيل ق. يوحنا – خرج إلى اليهود ليقول حكمه بخصوص هذا الاتهام أنه بريء ولا يجد فيه علَّة للموت!

١٢:٢٧ «وَبَيْنَمَا كَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ لَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ».

كان منظر المسيح فريداً من نوعه وهو واقف يستمع إلى رؤساء الكهنة وهم يتصايحون ويتسابقون لتقديم التهم الملفَّقة التي تحمل جميع الخطايا، والمسيح يقف صامتاً راضياً بما يتَّهمون وبما يشتمون بأقصى ما عندهم من حرارة وغيرة كاذبة مصطنعة، كمحامٍ قبض أتعابه مقدَّماً في قضية لا يؤمن بصدقها. مما لفت نظر بيلاطس وجعله يتعجَّب أشد العجب، فاستثاره موقف المسيح للغاية. لأنه ليس موقف إنسان متهم يحاول أن ينفي عن نفسه بكل قوة واهتمام جميع التهم المنسوبة إليه، بل بالعكس كمَنْ هو راضٍ بهذه التهم جميعاً. أمَّا قصد المسيح فلا ينبغي أن يتوه عن فكر القارئ

فهنا بؤرة اللاهوت كله، لاهوت الخلاص، لأن بصمت المسيح إزاء اتهام السنهدرين له بكل الخطايا معناها أنه قبلها، أي قَبِلَ أن يُقضَى عليه بأنه خاطئ، بل وبكل الخطايا حتى يستطيع أن يُصلب بحق كمذنب وحامل كل هذه الخطايا في جسده على الخشبة كقول بطرس الرسول.

١٣:٢٧و١٤ «فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: أَمَا تَسْمَعُ كَمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ وَلاَ عَنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى تَعَجَّبَ الْوَالِي جِدًّا».

أن لا يرُدَّ المسيح على رؤساء الكهنة أو يتأثّر باتهاماتهم، أمر محتمل، فكما قلنا إنه موافق على اتهاماتهم وأكثر، فهو جاء ليحمل فعلاً هذه الخطايا وأكثر، لا عن اليهود فقط بل عن كل البشرية. ولكن أن لا يجاوب ولا يَرُدَّ على بيلاطس فهذا أمر جديد. فما العلّة في ذلك؟ لقد انتبه المسيح أن بيلاطس يتعاطف معه، ولكنه هو يريد أن ينتهي من التحقيق ويحصل على حكم الصلب لأنه لهذا جاء أيضاً ولهذا وُلدَ. فأي مجاملة لبيلاطس ستؤخّر النطق بالحكم أو تجعله يفزع من أن يحمل على نفسه هذا الوزر المريع أن يحكم على بريء. فسكوت المسيح أمام بيلاطس كان قصداً منه لاستثارة روح القاضي فيه مع ميله إلى القسوة، الأمر الذي نجح فيه المسيح أيّما نجاح. إذ في إنجيل ق. يوحنا ابتدره بيلاطس مُثاراً ومهدِّداً: «ألست تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أُطلقك» (يو ١٠:١٩). هنا ردَّ المسيح ليصحِّح قولة بيلاطس فقط، لأنه في الحقيقة هو موافق على الصلب مُقدَّماً، ولكن أن يقول بيلاطس ما يُفهم أنه هو الذي سيصلبه فهذا مرفوض، لأن الأمر والسماح بالصلب قد جاء من فوق وهو لا يزيد عن أن يكون منفِّذاً لأمر السماء. هنا تدخُّل المسيح بهذه الصورة كان ليتقبَّل عقوبة الصلب من الآب وليس من بيلاطس. فهي أصلاً عقوبة عن آخرين، عن كل البشرية، وعن حكم صدر أصلاً من الله على آدم وكل ذريته، الذين من أجلهم جاء المسيح ليحمل خطيتهم وعارهم وعقوبة الموت من أجلهم - انتبه بيلاطس جدًّا واقتنع بقول المسيح وبدأ الخوف يدبّ في قلبه «من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه!!» (يو ١٢:١٩). ولكن لاحَظَ اليهود ذلك فارتفع صراخهم بقصد الشوشرة على فكر القاضي.

نطق بيلاطس بالموت صلباً

[٢٧:١٥-٢٦]

(مر ١٥: ٦ – ١٥)،
(لو ٢٣: ١٣ – ٢٥)،
(يو ١٨: ٣٩-١٩: ١٦)

٢٧: ١٥و١٦ «وَكَانَ الْوَالِي مُعْتَاداً فِي الْعِيدِ أَنْ يُطْلِقَ لِلْجَمْعِ أَسِيراً وَاحِداً، مَنْ أَرَادُوهُ. وَكَانَ لَهُمْ حِينَئِذٍ أَسِيرٌ مَشْهُورٌ يُسَمَّى بَارَابَاسَ».

اختزل ق. متى محاورات كثيرة، وبدأ يدخل في خروج القضية بحكم الموت. ولكن هنا السهم الأخير الذي كان في جعبة بيلاطس لينقذ المسيح من يد هؤلاء الحاقدين، أو في الحقيقة ينقذ نفسه هو من هذه الورطة، لأنه بدا في النهاية مرعوباً محاولاً بكافة الوسائل أن يعلن براءة المسيح. ولكن اليهود كانوا وراءه بالمرصاد وضيَّقوا عليه الخناق لَمَّا هدَّدوه برفع القضية للقيصر إنما بصورة غير مباشرة: «إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر، كل مَنْ يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر» (يو ١٩: ١٢)، «أأصلب ملككم؟ أجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك إلاَّ قيصر.» (يو ١٩: ١٥)

٢٧: ١٧و١٨ «فَفِيمَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: مَنْ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟ بَارَابَاسَ أَمْ يَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟ لأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ أَسْلَمُوهُ حَسَداً».

«باراباس»: Bar Abbas

بأبحاث العلماء تأكَّدوا أن هذا ليس اسم الشخص بل لقبه، ومعناه "ابن الآب". أمَّا اسمه فباتفاق العلماء(٢) وُجِدَ أن اسمه الأصلي "يسوع"، وذلك عن تحقيق العلاَّمة أوريجانوس الذي حصل على مخطوطات من سنة ٢٠٠م ظهر فيها اسمه "يسوع بار أباس" وهو نفس اسم ولقب المسيح. ويقول العلماء إن ذلك الثائر ادَّعى أنه المسيح، وقد ترأس فتنة وقادها سياسياً بادعاء طرح نير الرومان وأنه سيقود الأمة للخلاص. ويلاحظ أنه كان "أسيراً" أي أن الرومان هم الذين قبضوا عليه واعتقلوه وسجنوه باسم باراباس. وكان اليهود متعاطفين معه، وسعوا كثيراً للإفراج عنه ربما لأنهم كانوا

(2) A.H. Mc Neile, V. Taylor, N.A. Dahl, G. Stanton, H.B. Green, D.P. Senior, F.W. Beare, R.H. Gundry, R. Schnackenburg, cited by F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 1028.

متواطئين معه. ويلاحظ القارئ هذا من قول بيلاطس أأُطلق لكم "باراباس" **أم يسوع الذي يُدعى المسيح**. ومفهومها كالآتي: أأُطلق لكم يسوع **المدعو باراباس** أم يسوع **المدعو المسيح**.

ولكن لماذا أراد بيلاطس أن يطلق لهم باراباس وهو خطر بالنسبة لروما ولبيلاطس؟ هذه كانت آخر مساومة مع اليهود إذ يبدو أنهم حاولوا كثيراً في السابق للإفراج عنه، وقد جاءت الآن المناسبة ليرضيهم بالإفراج عنه في سبيل إطلاق المسيح كصفقة سياسية (خاسرة)، وواضح جداً هذا من القول إنه علم أنهم أسلموه حسداً، أي أنه وثق من براءته فأخرج آخر سهم في جعبته. إلى هذا الحد كان بيلاطس متعاطفاً مع المسيح ولكن اليهود أرغموه أن يحكم ضد ضميره، إذ تبلورت القضية في النهاية أن براءة المسيح تساوي كرسيَّه.

«لأنه علم أنهم أسلموه حسداً»:

هذه كارثة، فهذا عنصر شيطاني ركب فوق رؤوسهم فجعلهم يخرجون عن كل تعقُّل حتى بدت أعمالهم أكثر من صبيانية، لا تليق بكهنة ورؤساء كهنة وشيوخ شعب وحكماء ناموس ودكاترة قانون. فداسوا تقليد إسرائيل واستهانوا بقدوسها. وكون القاضي الروماني يكتشف هذا فمعناه أن الأمر صار أكثر من مكشوف. وفي الحقيقة إن هذه الشهادة لهذا القاضي الأُممي تجعلنا ندرك الآن المحرِّك الحقيقي لهذه الثورة الكاذبة للحفاظ على التعليم وقداسة يهوه ومستقبل الأمة. فهذه كلها كانت ستاراً مهرأً يخفي وراءه غيرة مرَّة وخوفاً على المراكز ودفاعاً عن الكرامة والذات وربما المال والغنى والشهرة.

١٩:٢٧ «وَإِذْ كَانَ جَالِساً عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلاَيَةِ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ قَائِلَةً: إِيَّاكَ وَذلِكَ الْبَارَّ، لأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيراً فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ».

امرأته المدعوة كلوديا بروكيولا(٣) ذات شفافية، وربما كان زوجها قد قصَّ عليها شيئاً مما سمعه عن يسوع، وبكل يقين قامت في الفجر على ضجَّة السنهدرين والجند ورؤساء الكهنة وجموع الشعب متجمهرة أمام دار الولاية. وسألت وسمعت. والآن هنا تدخُّل سماوي لكي يجعلها تتبَّع القضية من بُعد، وتسمع من زوجها الحقائق وتتأثَّر وتعكس تأثُّرها على زوجها الذي لابد وأنه خرج من هذه القضية منقبض النفس، لأنه حكم بما لا يريد أن يحكم به. وقد اطمأن لبراءة المسيح وأعلن ذلك ثلاث مرات على ملء الأسماع. وهناك لفتة بدرت منه لها مغزى عندما أتى يوسف الرامي يطلب جسد يسوع: «جاء يوسف الذي من الرامة مشير شريف وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله. فتجاسر ودخل إلى بيلاطس

(3) W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 953.

وطلب جسد يسوع، فتعجَّب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً. فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات، ولمّا عرف من قائد المئة وهب الجسد ليوسف» (مر ١٥: ٤٣-٤٥). هنا اهتمام بيلاطس بموت يسوع هكذا سريعاً ثم لهفة الاستفسار عن صحة ذلك تكشف عن الاهتمام الذي استحوذ على بيلاطس بخصوص شخصية المسيح، كذلك السماح ليوسف وهو ليس قريباً للمسيح أن يستلم جسد المسيح سابقة غير معروفة. لأن المصرَّح به لأهل الميت فقط. كل هذا ينتهي بنا إلى أن نعلن للقارئ أنه بحسب تقليد الكنيسة القبطية فإن بيلاطس وزوجته صارا مسيحيين وتسجَّل اسماهما في سنكسار القديسين بتاريخ ٢٥ يونيو(٤).

٢٧: ٢٠و٢١ «وَلكِنَّ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخَ حَرَّضُوا الْجُمُوعَ عَلَى أَنْ يَطْلُبُوا بَارَابَاسَ وَيُهْلِكُوا يَسُوعَ. فَأَجَابَ الْوَالِي وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ مِنَ الاثْنَيْنِ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟ فَقَالُوا: بَارَابَاسَ».

وهكذا تسجَّلت عليهم هذه الجريمة على مدى الأيام: «إله آبائنا مجَّد فتاه يسوع الذي أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حاكم بإطلاقه. ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل. ورئيس الحياة قتلتموه الذي أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك» (أع ٣: ١٣-١٥). هنا انتهى صبر بيلاطس وقد عمل أقصى ما يُعمل ليوجِّه نظرهم إلى ما يجب أن يعملوه ويقولوه، ولكنهم كانوا مساقين بقوة شريرة تملَّكتهم حتى النهاية.

٢٧: ٢٢ «قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: فَمَاذَا أَفْعَلُ بِيَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟ قَالَ لَهُ الْجَمِيعُ: لِيُصْلَبْ!».

هنا وضحت نية بيلاطس إزاء الحكم على المسيح، فقد اعتبر نفسه أنه من جهة نفسه قد أعلن براءته ثلاث مرَّات بما فيه الكفاية. إذاً فإن كان هناك حكم فسيكون حكمهم هم: «فماذا أفعل بيسوع»؟ وكأنه يقول لهم: أنا بريء من دم هذا البار احكموا أنتم. لقد ركب رؤساء الكهنة الموجة وأصبحت الكلمة النهائية كلمتهم. والذي يقرأ خاتمة التحقيق في إنجيل ق. يوحنا يجد أن بيلاطس إلى آخر لحظة كان حاكماً بإطلاقه. ولكن رؤساء الكهنة أداروا الدفَّة صوب اتهام بيلاطس نفسه بأنه إن أطلقه يكون خائناً (غير محب) لقيصر. ولمّا ذكَّرهم أن المسيح هو ملكهم صرخوا بالتجديف العلني ليس لنا ملك إلاَّ قيصر. وهنا يصح أن يُسْدَل الستار. فقد تركهم الله لقيصر بالفعل فحرق هيكلهم وهدم مدينتهم عليهم ونكَّل بالكهنة وذبحهم على مذبحهم، ورفع الجند الأولاد الصغار والأجنة على أسنَّة الرماح أمام الأمهات.

٢٧: ٢٣ «فَقَالَ الْوَالِي: وَأَيَّ شَرٍّ عَمِلَ؟ فَكَانُوا يَزْدَادُونَ صُرَاخاً قَائِلِينَ: لِيُصْلَبْ!».

(4) *The Oxford Dictionary of the Christian Church*, article *Pilate*, p. 1090.

يلاحظ القارئ هنا كيف أشعل رؤساء الكهنة جنون الهتافة كما يصنع الرعاع وراء زعماء العصابات للضغط على الحكام.

هذا السؤال أكثر من نطق بالبراءة، وهو يعني أن طلبكم الحكم بصلبه ليس ما يبرِّره، وإنه ظلم وتعسُّف وخروج عن العقل والتعقُّل - ليس أمامي ما أكتبه في حيثيات الحكم، إن هذا الحكم يتسجَّل ضدَّكم وسوف تعطون عنه جواباً يوماً ما: «أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل ورئيس الحياة قتلتموه.» (أع ٣: ١٤و١٥)

٢٧: ٢٤ «فَلَمَّا رَأَى بِيلاَطُسُ أَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ شَيْئاً، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَحْدُثُ شَغْبٌ، أَخَذَ مَاءً وَغَسَلَ يَدَيْهِ قُدَّامَ الْجَمْعِ قَائِلاً: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ. أَبْصِرُوا أَنْتُمْ».

هذا الإجراء كما يقول العلماء - ولو أنه ليس من عادة الرومان - إلاَّ أنه مستوحى من اليهود أنفسهم، فهو إنما يرد عليهم ظلمهم بتبرئة نفسه من حكمهم الظالم. ولكن هذا الإجراء لا يعفيه أمام القضاء الروماني لأن القضية غير متوفر فيها عناصر الجناية التي تستوجب حكم الإعدام صلباً. ولكن هذا الإجراء اتخذه بيلاطس أمام اليهود لليهود ليُشعرهم بأنهم يتحمَّلون سفك دم هذا البار. ويُلاحَظ هنا أن قول بيلاطس عن المسيح إنه "بار" فهذا إيحاء من زوجته التي حذَّرته من هذه الساعة: «إيَّاك وذلك البار». فلمَّا أخفق في أن يجري الحق والعدل بين قوم لا يقدِّسون الحق والعدل، حمَّلهم مسئولية مطلبهم: «أبصروا أنتم». إذن، فالصلب تمَّ بناءً على طلب رؤساء الكهنة. ونحن لا يمكن أن نطالب حاكماً أن يكون أكثر عدلاً وحقاً من شعب الله المختار بقيادة رؤساء كهنتهم جميعاً وشيوخ الشعب أيضاً.

ولقد فهم اليهود جيداً جدًّا ما عمله بيلاطس من غسل يديه.

٢٧: ٢٥و٢٦ «فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَقَالُوا: دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا. حِينَئِذٍ أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَمَّا يَسُوعُ فَجَلَدَهُ وَأَسْلَمَهُ لِيُصْلَبَ».

القديس متى وحده هو الذي ذكر غسل يدي بيلاطس وردَّ جميع اليهود عليه. ولولا أننا نرى ونسمع بأنفسنا غضب الله على هذه الأُمة لاستكثرنا أن يسمع الله لقسم الشعب أن دمه عليهم، لأن مَنْ ذا يحتمل أن يدخل بإرادته تحت غضب الله. ولكن رجاءنا لا يزال ينبض بالروح والحياة أن البقية ستخلص، وأن الله سيرحم الشعب الذي كان له. على أننا لا نقيم أنفسنا حكَّاماً وقضاةً لكي نحكم على شعب وأُمة أحبها الله وأراد أن يؤدِّبها. فهي لا تزال تحت عنايته.

«وأمَّا يسوع فجلده وأسلمه ليُصلب»:

وإن كان صعباً على الفكر والنفس أن ندخل في وصف آلام الرب، ولكن عزاؤنا الوحيد أننا حُسبنا شركاءَ له في آلامه إن كان باللطم أو الضرب أو الجلد أو الصلب، لأنها جميعاً في الحقيقة وعين الأمر وقعت علينا. فالجسد الذي لبسه وتألَّم به وفيه هو جسدنا، هو البشرية كلها، استقطبها في شخصه لأن ابن الله غير متألِّم بطبيعته، إنما اقتبل الآلام لأجلنا في جسده «وجسده نحن» - والرحمة العظمى التي صنعها معنا أنه كما استقطب البشرية قاطبة في جسده استقطب أيضاً خطاياها جميعاً على نفسه في جسده، وهي التي من أجلها قبل الآلام والحكم بالصلب وقبل اللعنة لمَّا رُفع على الخشبة فقبلناها معه، ومع أن الآلام والصلب واللعنة وقعت عليه وتحمَّلها كلها وحده **ولكن فعلها الفدائي والخلاصي** (لتكميل العقوبة واللعنة الواقعة علينا من الله في آدم) تمَّت لحسابنا نحن، لأنه هو الفادي والقدوس البار. ولكن الشر الذي حمله وعوقب به هو شرُّنا، وبالتالي حتماً تكون العقوبة والآلام والصلب واللعنة والموت هي من حقنا نحن واستحقاقنا نحن وليست من حقه ولا استحقاقه، لأنه قدوس هو وبار.

ولكن الآلام المُروِّعة التي جازها جميعاً من أجلنا تألَّم بها أشد الألم وحده ونحن لم نتألَّم بها بأي ألم مع أننا السبب، وهذه هي الفدية!! هو الذي تألَّم وتعذَّب وصُلب ونحن أخذنا ثمن ونتيجة الألم والصلب: هذه هي الفدية.

«فجلده»: φραγελλώσας (فرقَّله بالعامية)

وكانت آلة الجلد ذات مقبض خشبي يخرج منه عدَّة أفرع من الجلد طويلة تحتوي على قطع من الرصاص والنحاس. ويقف اثنان من العسكر حول المسجون وهو مربوط في عمود (ولا يزال عمود الرخام الذي رُبط فيه المسيح قائماً. ويظل الجنديان يضربان واحد يميناً وآخر يساراً على الظهر العاري عدد تسعة وثلاثين جلدة بأقصى قوتهما حتى يتهرَّأ الجلد ويبرز اللحم ويتفتَّت ويتطاير وينزف الدم. وغالباً يموت المحكوم عليه قبل أن يكمِّل العدد. ولكن المسيح كان ذا قدرة على الاحتمال فائقة لكي يكمِّل منتهى العقوبة المفروضة أصلاً علينا. والعجيب أنه بعد ذلك يُساق إلى مكان الصلب، وقد حاولوا أن يجعلوه يحمل صليبه كما حاول هو، ولكن سقط تحته عدة مرَّات حتى أنَّهم استعانوا برجل «آتٍ من الحقل وهو سمعان القيرواني أبو ألكسندرس وروفس ليحمل صليبه» (مر ١٥:٢١) ويلاحَظ أن ق. مرقس يذكر اسمه واسم أولاده بالتدقيق لأنه من بلده قيروان (كيريني بليبيا). كما يُعرف أيضاً أنه قريبه وربما كان يقطن مع ق. مرقس في نفس البيت.

استهزاء العسكر

[٢٧:٢٧-٣١]

(مر ١٥:١٦-٢٠)،
(يو ١٩: ٢ و ٣)

٢٧:٢٧-٣١ «**فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ، فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا، وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ! وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ. وَبَعْدَمَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ**».

هذا هو الاستهزاء الأخير الذي جازه المسيح، طبعاً لأنه كان حاملاً خطايانا وعارنا فلابُدَّ أن يجوز من أجلنا ما كان ينبغي أن نجوزه من الفضيحة والعار قبل حكم الصلب والموت.

والكتيبة وإن كان عددها في العادة ٦٠٠ جندياً، فالذي تبرَّع منهم لهذا المشهد الذي تقشعر منه السماء والأرض عدد قليل:

+ «بذلت ظهري للضاربين وخدِّيَّ للناتفين، وجهي لم أستر عن العار والبصق.» (إش ٥٠:٦)
+ «مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا - تأديب سلامنا عليه - وبحُبره شُفينا.» (إش ٥٣:٥)
+ «إنه ضُرب من أجل ذنب شعبي.» (إش ٥٣:٨)

والفضائح التي صنعوها بالمسيح بحسب ما جاءت في الأناجيل - قبل الصلب - جمعناها معاً هكذا وهي تصف جميعها ما بلغه حال الإنسان:

	القديس متى	القديس مرقس	القديس يوحنا
▪ عرَّوْهُ	(٢٧:٢٨ أ)		
▪ وألبسوه رداءً قرمزياً	(٢٧:٢٨ ب)	(١٥:١٧ أ)	(١٩:٢ ب)
▪ ألبسوه إكليلاً من شوكٍ	(٢٧:٢٩ أ)	(١٥:١٧ ب)	(١٩:٢ أ)
▪ أمسكوه قصبة	(٢٧:٢٩ ب)		

- وسجدوا له (٢٧:٢٩ ج) (١٥:١٨)
- وبصقوا عليه (٢٧:٣٠ أ) (١٥:١٩ ب)
- وضربوه على رأسه (٢٧:٣٠ ب) (١٥:١٩ أ) (١٩:٣ ب)

أمَّا التعرية فقد تمَّت قبل الجلد حتماً، وفيها مثَّل المسيح الإنسان وقد تعرَّى من ثوب بر الله بسبب الخطية.

أمَّا اللباس القرمزي فهو رمز الملوكية، وفيها لبس الإنسان الثوب الذي اشتهاه آدم أن يكون ملكاً كالله!!

وأمَّا تاج الشوك فهو سيادة الخطية وتملُّكها على الإنسان.

والقصبة في يده كصولجان المُلك فهو سلطان البر الذاتي ورمز الأنا التي نفخ فيها الشيطان.

والسجود له عوض الكبرياء التي رفعت الإنسان فوق أخيه الإنسان.

والبصاق ثمن الدناءة والنجاسة التي وضعت الإنسان تحت مستوى الحيوان.

والضرب على الرأس تعبيراً عن سقوط هيبة الإنسان.

الصلب فوق الجلجثة

[٢٧: ٣٢-٤٤]

(مر ١٥: ٢١-٣٢)،
(لو ٢٣: ٢٦-٤٣)،
(يو ١٩: ١٧-٢٧)

٢٧: ٣٢ «وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا إِنْسَاناً قَيْرَوَانِيًّا اسْمُهُ سِمْعَانُ، فَسَخَّرُوهُ لِيَحْمِلَ صَلِيبَه».

«وفيما هم خارجون (من باب المدينة)**»:**

هنا يذكِّرنا الخروج «بالخروج الذي كان عتيداً أن يكمِّله في أورشليم» (لو ٩: ٣١)، الذي كان موضوع حديث موسى وإيليا مع المسيح على جبل التجلِّي. وهنا تمَّ قول ق. بولس في سفر العبرانيين:

+ «فإن الحيوانات التي يُدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة تُحرق أجسامها خارج المحلة. لذلك يسوع أيضاً لكي يقدِّس الشعب بدم نفسه تألَّم خارج الباب. فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره. لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة.» (عب ١٣: ١١-١٤)

بل وتمَّ مَثَل المسيح الذي قاله عن الكرَّامين الأردياء: «فلمَّا رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه.» (مت ٢١: ٣٨-٣٩)

وبعدما أكمل المسيح كل ما ينبغي أن يحمله من عار الإنسان، أعادوا إليه ثيابه ليُصلب لكي يكمِّل حكم الموت على خشبة العار كخاطئ مستوجب الموت. وكانت قوانين اليهود تُحرِّم الصلب داخل المدينة، فخرجوا به من الباب الغربي تتبعه جوقة كبيرة من الأهل والنساء على وجه الخصوص اللاتي تبعنه من الجليل، والشامتون من الكتبة وبقية حاشية رؤساء الكهنة. وكانت الساعة قد بلغت ما بعد التاسعة صباحاً:

+ «وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتي كُنَّ يلطمن أيضاً وينحن عليه. فالتفت إليهنَّ يسوع وقال: يا بنات أُورشليم لا تبكين عليَّ بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن. لأنه هوذا أيام تأتي يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثدي التي لم ترضع. حينئذ يبتدئون يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا. لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون

هذا فماذا يكون باليابس.» (لو ٢٣: ٢٧-٣١)

أمَّا سمعان القيرواني الذي كان راجعاً من الحقل ليدخل من نفس الباب الذي أخرجوا منه يسوع، فهو كما سبق وقلنا إنه من بلديات ق. مرقس من كيريني بليبيا ويبدو أنه هاجر مع الأسرة لأنه ذو قرابة، كما يبدو أنه كان يقطن نفس البيت مع ق. مرقس، والدليل الواضح هو أن ق. مرقس هو الوحيد الذي ذكر أبناءه: «أبو ألكسندرس وروفس». هذا سخَّروه ليحمل صليب المسيح. لأن المسيح بلغ به الإعياء كل مبلغ فسقط تحت الصليب عدة مرَّات. والطريق الذي سار فيه والمواقع التي سقط فيها تحت الصليب تحدِّدها الكنيسة الكاثوليكية وتصنع موكباً جنائزياً للسير فيها مع صلوات وأدعية ودموع وركوع واسموه Via Dolorosa طريق الأحزان.

ويُلاحِظ القارئ أن رجوع سمعان القيرواني من الحقل يكشف تماماً أنه لم يتم الغروب بعد ليبدأ السبت، وأن يوم الجمعة هذا يستحيل أن يكون هو عيد الفصح وإلاَّ امتنع مسيرة رجل هكذا خارج أورشليم وخاصة أن يعمل في الحقل. وبهذا يشترك ق. متى مع ق. يوحنا في أن يوم الجمعة كان هو الذي يذبح فيه الفصح، وبذلك تكون مشورة المسيح قد تمَّت وصار حقًّا هو فصحنا الذي ذُبح لأجلنا (١كو ٥: ٧).

وبولس الرسول يذكر روفس بن سمعان القيرواني: «سلِّموا على روفس المختار في الرب وعلى أمه أُمي» (رو ١٦: ١٣). وهذا يكشف أن سمعان وأولاده، وهم جميعاً من القيروان، قد صاروا ضمن الذين خرجوا في إرساليات لروما كما صنع ق. مرقس أيضاً.

٢٧: ٣٣و٣٤ «وَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ جُلْجُثَةُ، وَهُوَ الْمُسَمَّى مَوْضِعَ الْجُمْجُمَةِ أَعْطَوْهُ خَلاً مَمْزُوجاً بِمَرَارَةٍ لِيَشْرَبَ. وَلَمَّا ذَاقَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْرَبَ».

«جلجثة»:

وتعني بالعبرية جمجمة، وباللاتينية كرانيون (Cranium) وكلفاريوم (Calvarium) والتي جاء منها الكلمة الإنجليزية Calvary. ويُقال إنها صخرة مرتفعة لها شكل الجمجمة، وتقليد آخر يقول إنها موضع "جمجمة آدم".

«خلاً ممزوجاً بمرارة»:

وهو بحسب القديس مرقس: «خمراً ممزوجة بمر» (مر ١٥: ٢٣) ἐσμυρνισμένον οἶνον

وهو مزيج مخلوط مخدِّر(٥) كانوا يعطونه للمحكوم عليهم بالصلب حتى يخدِّر أعصابهم فلا يشعرون بالآلام. وهذه هي العقول الغريبة، يضربونه بالجلد حتى تهرَّأ لحمه وتناثر دمه ثم يعطونه مخدِّراً يرفع عنه آلام الصلب. لذلك ذاق و لم يُرِدْ أن يشرب لأنه أراد أن يشرب كأس الآلام كاملاً!

+ «أنت عرفت عاري وخزيي وخجلي، قدَّامك جميع مضايقيَّ، العار قد كسر قلبي فمرضت. انتظرت رقة فلم تكن ومعزِّين فلم أجد. ويجعلون في طعامي علقماً وفي عطشي يسقونني خلاً.» (مز ٦٩: ١٩-٢١)

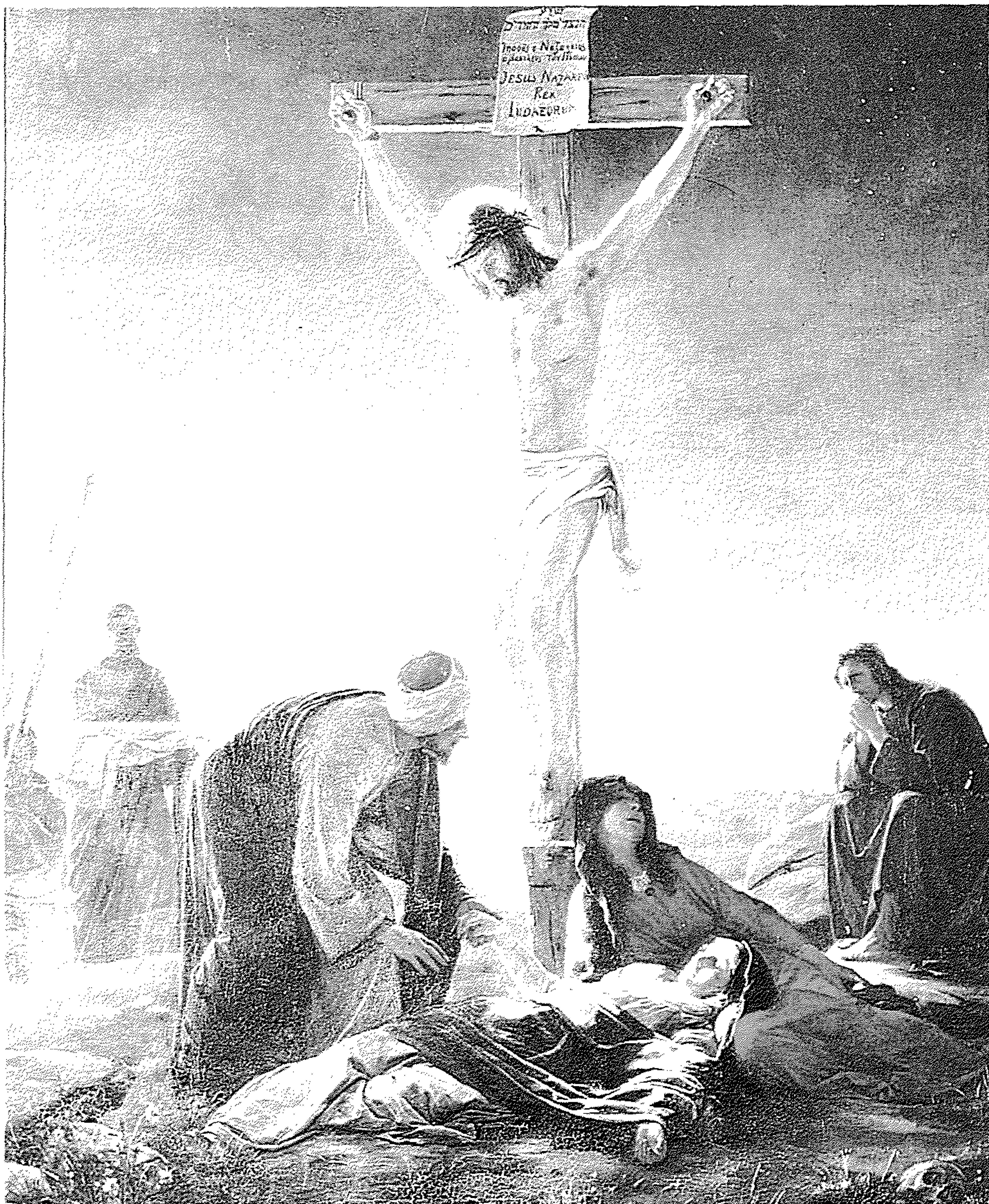
٢٧: ٣٥و٣٦ «وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ: اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً. ثُمَّ جَلَسُوا يَحْرُسُونَهُ هُنَاكَ».

كان الصلب بدق المسامير في اليدين وفي الرجلين، وفي التقليد القبطي دُقت القدمان معاً بمسمار واحد، والذي يؤكِّد دق اليدين والرجلين بالمسامير، قول المسيح نفسه لمَّا ظهر للتلاميذ في العلية وأراهم يديه ورجليه وأثر المسامير: «انظروا يديَّ ورجليَّ إني أنا هو. جسُّوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي. وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه» (لو ٢٤: ٣٩و٤٠). ويؤكِّدها إنجيل ق. يوحنا: «ولمَّا قال هذا أراهم يديه وجنبه ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب» (يو ٢٠: ٢٠). هذا يعني أن علامات المسامير في يدي الرب ورجليه وطعنة الحربة في جنبه صارت العلامات المميزة للمسيح بصورة دائمة إذ نسمعها أيضاً في اليوم الأخير: «هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه، وينوح عليه جميع قبائل الأرض.» (رؤ ١: ٧)

أمَّا صحة التقليد القبطي بأن القدمين دُقتا معاً بمسمار واحد هو ذكر عدد المسامير والضربات بخمسة: ثلاثة مسامير وطعنته في الجنب بالحربة وإكليل الشوك. كذلك فإن خشبة الصليب الطولية لا تسع القدمين بجوار بعضهما.

كانت من عادة الجند الصالبين أن يتقاسموا ملابس المحكوم عليهم. فلمَّا جاءوا إلى القميص الخارجي المدعو عندنا بالقفطان أو الروب وجدوه ثميناً، إذ كان بدون خياطة بل منسوجاً على طبيعته فاقترعوا عليه. وذلك نظير ما مات آدم عرياناً من كل ما يستره: «عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك» (أي ١: ٢١). أمَّا الجلوس للحراسة فهو لتكميل عملية الصلب التي لا تنتهي إلاَّ بالموت. أمَّا إنزال الجسد فيتولاَّه الأهل والأقارب.

(5) F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 1039.



المسيح مصلوباً. يوسف قادم حاملاً الأكفان. العذراء أُغمي
عليها. المجدلية تستند على الصليب في إغماءة. يوحنا في محنة

٣٧:٢٧ «وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلَّتَهُ مَكْتُوبَةً: هذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ».

«علّته»: αἰτίαν

وتعني بحسب الكلمة اليونانية سبب صلبه. وواضح أن الذي كتبها هو بيلاطس، وقد تحدَّى اليهود الذين جاءوا على عجل يراجعونه أن لا يكتب ملك اليهود لأنها تُعتبر تهزيئاً بهم، ولكنه بادرهم: «ما كتبت قد كتبت» (يو ١٩:٢٢). وهذا بحسب الواقع صحيح للغاية، لأن الشكاية التي قُدِّمت ضدَّه أنه يقول إنه ملك اليهود. فهذا هو السبب أو العلّة التي من أجلها صُلب. ولكن في نفس الوقت تأتي تنديداً باليهود، لأن بيلاطس حذَّرهم وخيَّرهم: أأصلب ملككم، فأجابوا بطريق غير مباشر: نعم، إذ قالوا: ليس لنا ملك إلاَّ قيصر. إذن فإن كانوا أنكروا ملوكية الله نفسه عليهم فلماذا يحتجون الآن؟ أمَّا العنوان Titulus فكان مكتوباً بالثلاث لغات: «وكتب بيلاطس عنواناً ووضعه على الصليب (فوق رأسه) وكان مكتوباً يسوع الناصري ملك اليهود. فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود لأن المكان الذي صُلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة، وكان مكتوباً بالعبرانية واليونانية واللاتينية» (يو ١٩: ١٩و٢٠). وكانت نبوَّة من بيلاطس فقد كان المسيح حقًّا وبالحقيقة آخر ملك على إسرائيل وقد قتلوه بأيديهم. وهذا هو قمة وختام التوراة والعهد القديم.

أمَّا العهد الجديد والإنجيل فيبدأ بالقيامة حيث يملك المسيح على كل الشعوب والألوان والألسنة، ويملِّك هو معه كل مَنْ يؤمن به ويتقدَّس باسمه:

+ «أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرَّبوه قدَّامه، فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأُمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض ... أمَّا قدِّيسُو العليِّ فيأخذون المملكة (الملكوت) ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين.» (دا ٧: ١٣و١٤و١٨)
+ «الذي أحبنا وقد غسَّلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين.» (رؤ ١: ٥و٦)
+ «لأن الرب الإله ينير عليهم وهم سيملكون إلى أبد الآبدين.» (رؤ ٢٢:٥)
+ «لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد (آدم)، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح.» (رو ٥:١٧)

٣٨:٢٧ «حِينَئِذٍ صُلِبَ مَعَهُ لِصَّانِ، وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ الْيَسَارِ».

كان هذا الإجراء من جهة الرومان فيه إجحاف شديد بالمسيح الذي قيل عنه في المحكمة علناً أنه

ليس فيه علّة واحدة تُلزم عليه الموت. ولكن لكي تُكمَّل الكتب: «وأُحصي مع أثمة» (إش ٥٣:١٢)، «وجُعل مع الأشرار قبرُه» (إش ٥٣:٩). ثم ألم يُحاكَم كخاطئ ومستحق الموت، وفوق هذا كله ألم يشرب كأس الخطية ليُصلب كالإنسان الذي اقترف كل خطية؟ وألم يصادق هو في حياته العشَّارين والخطاة ويجالسهم ويأكل معهم كنبوَّة أنه سيُصلب أيضاً لهم ولقضيتهم؟ «صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول، أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلِّص الخطاة الذين أولهم أنا.» (١تي ١:١٥)

٢٧: ٣٩-٤٣ «وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ: يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ! وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضاً وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا. إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ! قَدِ اتَّكَلَ عَلَى اللهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللهِ!».

وإن احتج العلماء أن السنهدرين هكذا بكل هيئته لا يمكن أن يكون حاضراً هنا بسبب دخول الغروب وميعاد ذبح الفصح، فالمعروف قطعاً أن هذا كان كلامهم وحجتهم أمام الشعب والذين راجعوهم فيما عملوا، وليس بالضرورة مواجهة للمسيح نفسه.

هنا استهزاءات رئيسية جاءت من رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب، وهي في مجملها نفس الاتهامات الباطلة التي وصموه بها وهم يعرفون جيداً أنها جاءت من شهود زور. والسبب الرئيسي في ذلك هو محاولة إسكات الضمير من ناحية، ومن الناحية الأخرى تغطية موقفهم الحرج أمام الشعب أنهم اقترفوا جرائم:

الاستهزاء الأول: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام.

الاستهزاء الثاني: خلِّص نفسك ... خلَّص آخرين وأمَّا نفسه فما يقدر أن يخلِّصها.

الاستهزاء الثالث: إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب ... إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به.

الاستهزاء الرابع: لأنه قال إنه ابن الله واتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده.

١ - والآن الذي تحقَّق أنه بالفعل قام في اليوم الثالث هيكلاً جديداً لله، وهي البشرية الجديدة التي سكنها الله والروح القدس: «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١كو ٣:١٦)، «لأن هيكل الله مقدَّس الذي أنتم هو» (١كو ٣:١٧)، «فإنكم أنتم

هيكل الله الحي كما قال الله إني سأسكن فيهم وأسير بينهم» (٢كو ٦:١٦). وبذلك تبيَّن أنه «أمَّا هو فكان يقول عن هيكل جسده.» (يو ٢:٢١)

٢ ـ أمَّا أنه لم يستطع أن يخلِّص نفسه، فالحقيقة أن هذا الخلاص المزعوم من الألم ليس خلاصاً، بل لأنه لم يشأ أن يخلِّص نفسه من هذا الألم بل احتمله حتى الموت أحدث خلاصاً لكثيرين كل يوم وإلى الأبد.

٣ ـ أمَّا أنه لم ينزل من على الصليب بل احتمل آلامه حتى الموت، فقد سحق الخطية والموت وملك على الأبرار والحق والحياة. فلأنه لم ينزل عن الصليب أثبت أنه ملك حقًّا وبالفعل.

٤ ـ والآن إذ ثبت أنه ابن الله بالقيامة من الأموات فقد أثبت أن الله أراده وأنقذه ورفَّعه إلى أعلى السموات.

وبهذا ثبت عمى رؤساء الكهنة ومعهم الكتبة وشيوخ الشعب إذ رأوا واقتنعوا أن الباطل الذي عملوه حقٌّ، وتمَّ فيهم ضلالة الرؤيا التي تحدَّث عنها إشعياء النبي: «محتقر ومخذول ... فلم نعتد به، لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا.» (إش ٥٣: ٣-٥)

٤٤:٢٧ «وَبِذلِكَ أَيْضاً كَانَ اللِّصَّانِ اللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ يُعَيِّرَانِهِ».

هنا اقتضب ق. متى وضع اللصين، لأن إنجيل ق. لوقا كشف عن حقيقة اللص اليمين كيف أنه لم يشترك مع اللص الآخر في التجديف: «وكان واحد من المذنبين المعلَّقين يجدِّف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلِّص نفسك وإيَّانا. فأجاب الآخر وانتهره قائلاً: أَوَلاَ أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه. أمَّا نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا. وأمَّا هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محلِّه. ثم قال ليسوع: اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك. فقال له يسوع: الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس.» (لو ٢٣: ٣٩-٤٣)

وقد اعتبرت الكنيسة اعتراف اللص اليمين وطلبه الرحمة قمة غفران المسيح للخطايا إزاء الإيمان والاعتراف بالخطية. وجعلت من اعتراف اللص أنشودة رجائها في يوم أحزانها في الجمعة الحزينة. فمن عمق الصليب خرج أول غفران لأكبر خاطئ. وانفتح باب الفردوس المغلق منذ خمسة آلاف عام، ليدخله لص خلف المسيح!! هذا هو الدم المسفوك على الصليب من أجل خطايا البشرية، أعطى هذه الباكورة الفاخرة، حتى كل من استكثر خطيته يختبئ وراء اللص ويصرخ صرخته: «اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك».

الموت على الصليب

[٢٧:٤٥-٥٦]

(مر ١٥:٣٣-٤١)،
(لو٢٣:٤٤-٤٩)،
(يو ١٩:٢٨-٣٠)

الفدية

«إلهي إلهي لماذا تركتني»

٢٧:٤٥-٥٠ «وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: إِيلِي إِيلِي، لَمَا شَبَقْتَنِي، أَيْ: إِلهِي إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ فَقَوْمٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: إِنَّهُ يُنَادِي إِيلِيَّا. وَلِلْوَقْتِ رَكَضَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً وَمَلأَهَا خَلاً وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا: اتْرُكْ. لِنَرَى هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا يُخَلِّصُهُ. فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضاً بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ».

+ «إن كان قربانه محرقة من البقر فذكراً صحيحاً يقرِّبه. إلى باب خيمة الاجتماع يقدِّمه للرضا عنه أمام الرب، ويضع يده على رأس المحرقة فيرضى عليه للتكفير عنه.» (لا ١: ٣و٤)

+ «وإن سها كل جماعة إسرائيل ... وعملوا واحدة من جميع مناهي الرب ....، يقرِّب الجمع ثوراً ابن بقر ذبيحة خطية. يأتون به إلى قدَّام خيمة الاجتماع ويضع شيوخ الجماعة أيديهم على رأس الثور أمام الرب ويُذبح الثور أمام الرب. ويُدخل الكاهن الممسوح من دم الثور إلى خيمة الاجتماع ... وسائر الدم يصبّه إلى أسفل مذبح المحرقة الذي لدى باب خيمة الاجتماع ... ثم يُخرج الثور إلى خارج المحلة ويحرقه (بالنار) ....» (لا ٤: ١٣-٢١)

+ «أمَّا الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن: إن جعل نفسه ذبيحة إثم، يرى نسلاً تطول أيامه، ومسرَّة الرب بيده تنجح، من تعب نفسه يرى ويشبع، وعبدي البار بمعرفته يبرِّر كثيرين وآثامهم هو يحملها!! ... سكب للموت نفسه وأُحصي مع أثمة، وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين.» (إش ٥٣: ١٠-١٢)

هناك علاقة جوهرية بين الظلمة التي حدثت على الأرض، وبين صرخة المسيح للآب لماذا تركتني، وبين موت المسيح، فهي حدث واحد يصعب الحديث المطوَّل فيه ولكن باختصار نقول: إن المسيح قادم لتقبُّل الموت، وفي العادة، ولكل إنسان، الذي يقبض روح الذي يموت هو الشيطان، ولكن في المسيح فلا، ولا يمكن. فمعروف أنه استودعها في يد الآب وليس بين يدي الشيطان. ولكن السؤال اللاهوتي الخطير: كيف يموت الابن؟ لأن المُحقَّق أن «الابن مات بالجسد». ولكن هذا لا يعني أن الجسد مائت واللاهوت في مسرَّة الاتحاد الجوهري متمتِّع! إذن لابد أن الابن "**يعاني موت الجسد**" باعتباره واحداً مع جسده. هنا الصعوبة والاستحالة تأتي من الاتصال الجوهري بحياة الآب، فأي موت للابن حتى بالجسد يطال الاتصال بين الآب والابن. إذن هنا يتحتَّم لكي يموت الابن بالجسد أن يترك الآب الابن المتجسِّد حتى يموت وإلاَّ استحال الموت على الابن بالجسد(٦)!!

وهذه من ضمن المروعات التي عاناها الابن في جثسيماني كيف يصير خطية؟ إذ يتحتَّم أن يتغرَّب عن الآب، ولكن الذي انتهى إليه المسيح ـ بعد أن تحيَّر وتحيَّر وتحيَّر وصلَّى ثلاث مرَّات بذات الصلاة وهو منبطح على الأرض ووجهه للتراب وعرقه يتصبَّب كالدم أشد وأعنف ما تكون المعاناة ـ أن يسلِّم مشيئته للآب. فإن كانت هذه هي مشيئة الآب، وإن كان ولابد أن أشرب هذه الكأس، فلتكن مشيئتك. والآن جاءت ساعة الموت وترك الآب الابن ليجوز الموت بالجسد، وهو رب الحياة والنور، فاشتركت الطبيعة والشمس في الكسوف الإلهي حيث انحجب وجه الآب عن الابن فانحجز النور عن النور لثلاث ساعات، واظلمَّت الأرض لتستقبل الابن ميتاً بالجسد في باطنها لثلاثة أيام!!

٢٧: ٥١-٥٣ «وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، وَالْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ. وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ».

هذه هي العلامات المكمِّلة لاختفاء النور وغشيان الظلمة. وصعب أن نفحص عن إمكانياتها وكيفيتها، ولكن معانيها ليست صعبة. فانشقاق الحجاب من فوق إلى أسفل يشير بقوة إلى الحجاب الحاجز بين الإنسان والله (إش ٥٩: ٢). لأن حجاب الهيكل كان يفصل بين القدس وقدس الأقداس حيث يتواجد الله ليفصل الناس حتى بما فيهم الكهنة عن الله، إذ لا يدخل إلى قدس الأقداس إلاَّ رئيس الكهنة مرَّة واحدة في السنة ليصنع كفَّارة قدَّام الله عن كل الشعب بدم ذبيحة المحرقة

(٦) راجع كتاب: "شرح إنجيل القديس مرقس" للمؤلِّف صفحة ٦٠٧ وهامش (٤).

السنوية. ويلاحظ أنه انشق من فوق إلى أسفل بمعنى أنه تمَّ بيد الله وليس بفعل فاعل. وقد تمَّ لحظة موت المسيح أي لحظة انكسار الجسد أمام الموت. ويصف ذلك سفر العبرانيين بكلام محبوك لاهوتياً: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول (كل الناس) إلى الأقداس (حيث الله في أعلى السموات) بدم يسوع (المحرقة الكفَّارية العظمى)، طريقاً (إلى قلب الله) كرَّسه (المسيح) لنا حديثاً حيًّا (أي طريق من دم ولحم) بالحجاب (الجديد غير المنظور الذي يصل ولا يفصل) أي جسده (كل مَنْ يأكله يحيا به)» (عب ١٠: ١٩و٢٠). هذا يعني ببساطة أن الحجاب الكثيف القائم في ضمير الإنسان ووجدانه الذي كان يحيط الله برهبة وخوف ويوحي إلى البعد السحيق وعدم القدرة على القرب منه قد انشق أيضاً، وأُزيل الحرج والخوف والشعور بالبعد عن الله، حتى ندخل إليه بدالة دم المسيح وجسده الذي انكسر على الصليب. وهذا عبَّر عنه المسيح لنا أعظم تعبير: «في ذلك اليوم تطلبون باسمي. ولست أقول لكم إني أنا أسأل الآب من أجلكم لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجت» (يو ١٦: ٢٦و٢٧)، «فلستم إذن بعد غرباء ونزلاً، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله.» (أف ٢:١٩)

وطبعاً هذا تمَّ بموته، أي بالجسد المكسور، وقيامته، وهنا يصف هذه الأحجية إشعياء النبي كيف عبر المسيح الطريق ليس برجليه بل بكيانه غير المنظور: «مرَّ سالماً في طريق لم يسلكه برجليه» (إش ٤١:٣). وهكذا انطبع فعل الفداء وانفتاح الله على الإنسان **أولاً** على الهيكل موضع سكنى الله وعبادة واجتماع الناس. والفعل **الثاني** كان على القبور «**القبور تفتَّحت**» وذلك للإعلان بواسطة الموتى الذين ماتوا على الرجاء (القديسين الراقدين) أنه قد تمَّ الفكاك من الموت بعد أن داسه المسيح وقام منتصراً، وتمَّ انفتاح طريق الحياة الأبدية ودخولهم المدينة المقدَّسة ليحجّوا إلى الهيكل ويأخذوا الطريق الصاعد من الحجاب المفتوح.

أمَّا ظهورهم لكثيرين فهو فعل الباروسيًّا لاستعلان قيامة الأجساد والتبشير باليوم الآتي. وإشعياء يراهم رؤيا العين: «تحيا أمواتك، تقوم الجثث. استيقظوا ترنَّموا يا سكان التراب ... والأرض تسقط الأخيلة» (إش ٢٦:١٩). «**والأرض تزلزلت والصخور تشقَّقت**» فقد نزل المسيح إلى الهاوية إلى أعماق الأرض لأنه حطَّم أسس الهاوية وكسر مصاريعها وحطَّم مغاليقها ليُخرج أسرى الرجاء:

+ «الجلوس في الظلمة وظلال الموت موثقين بالذل والحديد، لأنهم عصوا كلام الله وأهانوا مشورة العلي. فأذلَّ قلوبهم بتعب عثروا ولا معين، ثم صرخوا إلى الرب في ضيقهم فخلَّصهم من شدائدهم. أخرجهم من الظلمة وظلال الموت وقطع قيودهم. فليحمدوا الرب على رحمته

وعجائبه لبني آدم، لأنه كسر مصاريع نحاس وقطع عوارض حديد.» (مز ١٠٧: ١٠-١٦)

+ «وأسس الأرض تزلزلت. انسحقت الأرض انسحاقاً، تشـققت الأرض تشـققاً، تزعزعت الأرض تزعزعاً.» (إش ٢٤: ١٨و١٩)

كل هذا لأن الأرض تخلّصت من لعنتها واستعدت للأرض الجديدة والسماء الجديدة «ملعونة الأرض بسببك»!! (تك ٣:١٧). واليوم انفكّت لعنتها!

٢٧: ٥٤ «وَأَمَّا قَائِدُ الْمِئَةِ وَالَّذِينَ مَعَهُ يَحْرُسُونَ يَسُوعَ فَلَمَّا رَأَوُا الزَّلْزَلَةَ وَمَا كَانَ، خَافُوا جِدًّا وَقَالُوا: حَقًّا كَانَ هذَا ابْنَ اللهِ».

يُلاحَظ هنا أن ق. متى دخل في حدود الفائق للطبيعة من انشقاق الحجاب إلى الزلزلة إلى تفتُّح القبور وقيام الأجساد، حيث هذه الظواهر كلها خارجة ردًّا على الظاهرة العظمى لموت المسيح وهو عمل فائق للطبيعة. فإن كانت أجساد الأموات قامت فليس بعيداً أن يؤمن قائد المئة. ثم وهل المسيح فقط بكلامه وحياته يجدِّد؟ أليس بموته بالأَولى يعطي فرصة لقبول الحياة الجديدة؟

إيمان قائد المئة واعترافه بألوهية المسيح في موته يقابل إيمان المجوس واعترافهم بألوهية المسيح في ميلاده. فإن كان هؤلاء رأوه ملكاً فهذا رآه ابن الله. فكان إيمان المجوس وقائد المئة ردًّا مخزياً على اتهام اليهود له وقتله إذ جعلوا الحق الذي له زوراً. فاتهموه بادِّعاء الملوكية وادِّعاء البنوَّة لله، في الوقت الذي رآه المجوس هكذا وهو رضيع في حجر أُمِّه، وقائد المئة وهو على الصليب ميِّتاً!! وهذه بادرة مبدعة للغاية، فالمسيح كيفما رأيته عظَّمته حتى ولو كان رضيعاً أو ميِّتاً. فهو النور الحقيقي فإن دخلت في حجاله حتماً استعلنته «وُجدت من الذين لم يطلبوني.» (إش ٦٥:١)

والقديس متى عزا تعرّف قائد المئة عليه لَمَّا نظر الأمور التي حدثت، أمَّا ق. مرقس فعزا ذلك إلى ملاحظته كيف أسلم روحه! «ولَمَّا رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقًّا كان هذا الإنسان ابن الله.» (مر ١٥:٣٩)

٢٧: ٥٥و٥٦ «وَكَانَتْ هُنَاكَ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ، وَهُنَّ كُنَّ قَدْ تَبِعْنَ يَسُوعَ مِنَ الْجَلِيلِ يَخْدِمْنَهُ، وَبَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ، وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَيُوسِي، وَأُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي».

من المُلاحظ المؤسف جدًّا والذي يجعل عقلنا يتوه أن الاثني عشر غابوا في هذه اللحظات فلم نعثر إلاَّ على ق. يوحنا، وما يؤكِّد وجود ق. مرقس أنه صاحب قصة الشاب التي حكاها عن نفسه،

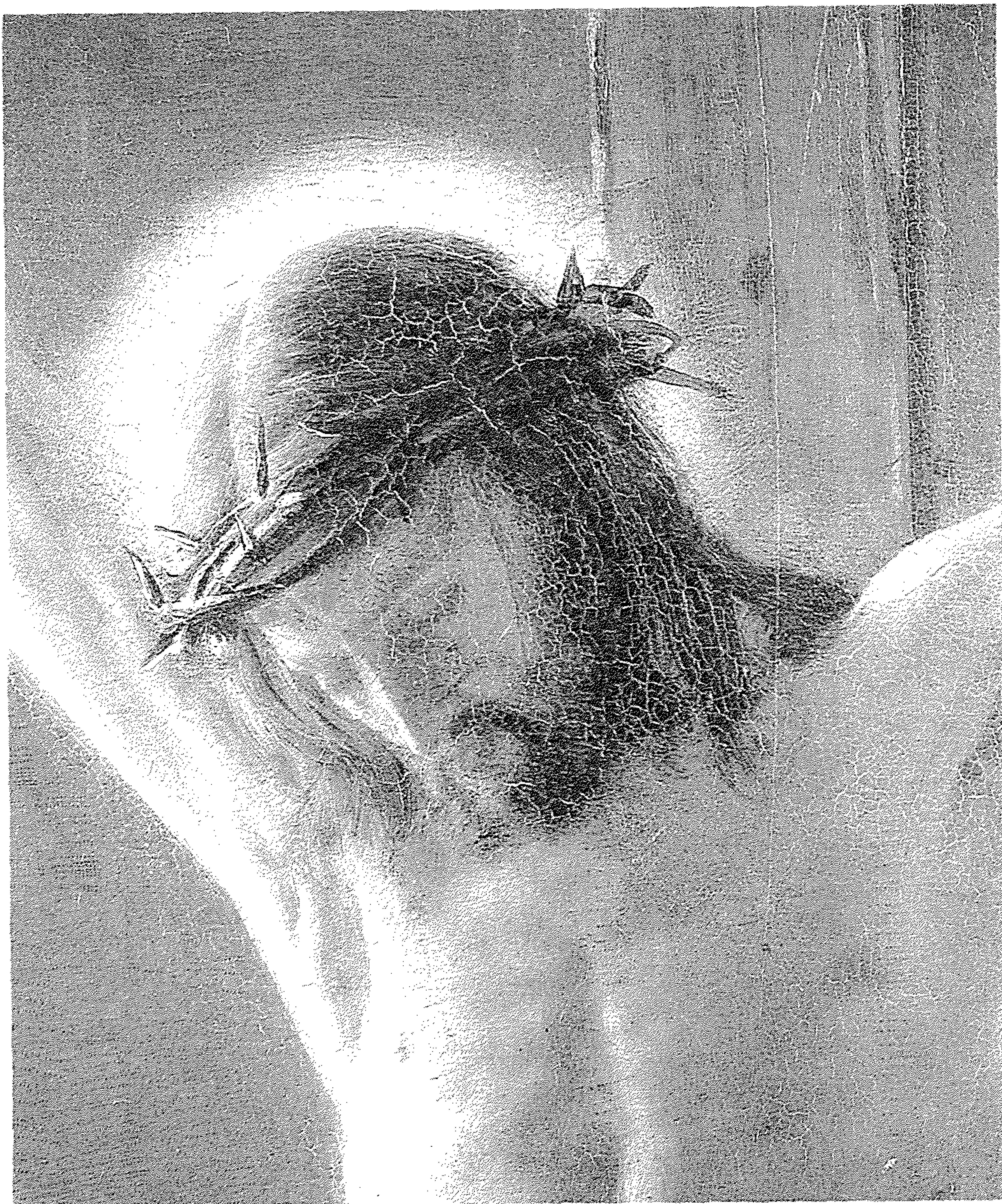
فمن الواضح أنه هو ق. مرقس صاحب بستان جثسيماني، وإنه وإن ترك لهم الإزار وهرب، إلاَّ أنه عاد لابساً ملابسه الجيدة وتبع بها المسيح في المحاكمات، ووقت الصلب عاد وأخذ أُمه وذهب بها إلى موضع الجلجثة، فكانت مع النساء. فالنساء حضرن الصلب والتلاميذ هربوا!! وهاته النسوة تبعنه من الجليل على الأقدام حتى الصليب!!

وعلى العموم دور النساء في حياة المسيح وصياغة الإنجيل كبير للغاية. إذ ابتدأ بالعذراء القديسة مريم وتلقَّفته أليصابات لتحييه وتكرِّمه وهو في البطن جنيناً، وحملته حنّه النبيَّة مع سمعان الشيخ وسبَّحت ومجَّدت. وحماة سمعان خدمت، ومرثا ومريم قامتا بضيافة المسيح مرَّات ومرَّات، ولم يكن يجد راحة أو عزاء إلاَّ في بيت لعازر وبين هاتين الأختين. مريم سبقت ومسحته بالطيب ليوم التكفين كنبيَّة آلت على نفسها أن تحنِّط الجسد حيًّا. والآن هاته النسوة الواقفات من بعيد ينظرن، والحزن قطَّع أنيار قلوبهنَّ، وكانت دموعهن كالنهر، خائفات واجفات، يُرِدْنَ أن يعملن شيئاً ولا شيء يقدرن على عمله. غير أنهنَّ رصدن أين وُضِعَ الجسد وأتين عاجلات فجر الأحد بأطياب وحنوط للجسد، فوجدنه قد قام وتقبَّلن منه شخصياً أول إعلان عن قيامته. وكانت شهادتهن دعائم قوية في نقل تقليد الصلب والدفن والقيامة للكنيسة، فهنَّ شاهدات عيان بل ومَسَكْن قدمَيْ المسيح (٢٨:٩) وتحدَّثن معه قائماً من الأموات وتقبَّلن منه أول رسالة بعد القيامة: «اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل، وهناك يَرَوْنَني.» (٢٨:١٠)

وهنا لا ينبغي أن يفوتنا حضور العذراء على عَجَلٍ مع ق. يوحنا لترى المسيح ابنها في اللحظة الأخيرة: «وكانت واقفات عند صليب يسوع أُمه وأُخت أُمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية. فلمَّا رأى يسوع أُمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً قال لأمه يا امرأة هوذا ابنكِ، ثم قال للتلميذ هوذا أُمك. ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته.» (يو ١٩: ٢٥-٢٧)

ودخلت العذراء في زمرة الاثني عشر ونسمعها تصلِّي معهم في **العلية في انتظار** الروح القدس: «ولمَّا دخلوا (البيت) صعدوا إلى العلية التي كانوا يقيمون فيها بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس وفيلبُّس وتوما وبرثولماوس ومتى ويعقوب بن حلفى وسمعان الغيور ويهوذا أخو يعقوب. هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفسٍ واحدة على الصلاة والطلبة مع النساء ومريم أُم يسوع ومع إخوته.» (أع ١: ١٣و١٤)

وبعد ذلك لم نعد نسمع عن القديسة الطاهرة مريم.



وجه المسيح وقد أحنى رأسه وأسلم الروح



صورة يوحنا مكبّرة

ويبدو في أشد حالات المحنة وأمامه المسيح مصلوباً وقد نكّس الرأس

دفن الجسد

[٢٧:٥٧-٦١]

(مر ١٥: ٤٢-٤٧)،
(لو ٢٣: ٥٠-٥٦)،
(يو ١٩: ٣٨-٤٢)

٢٧:٥٧و٥٨ «وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ، جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يُوسُفُ - وَكَانَ هُوَ أَيْضاً تِلْمِيذاً لِيَسُوعَ. فَهذَا تَقَدَّمَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. فَأَمَرَ بِيلاَطُسُ حِينَئِذٍ أَنْ يُعْطَى الْجَسَدُ».

معلوم أنهم حينما خرجوا بالمسيح ليُصلب كانت الساعة التاسعة صباحاً، ومن الساعة الثانية عشر ظهراً إلى الساعة الثالثة بعد الظهر كانت ظلمة على الأرض وفي نهايتها أسلم المسيح الروح. وبحسب مواعيد الأزمنة عند اليهود كان عندهم مساءان الأول ما نسميه نحن بعد الظهر ويبتدئ من الساعة الثالثة بعد الظهر، والمساء الثاني يبتدئ من الساعة السادسة بعد الظهر.

لذلك فقول ق. متى (وهو يهودي) إنه لمّا كان المساء - أي المساء الأول أي الساعة الثالثة بعد الظهر - وكان في عجلة لأن المطلوب أن يُنزل الجسد من على الصليب قبل الغروب، كما كان عليه أن يكفّنه ويدفنه. لأن القانون اليهودي يمنع أن تبقى الأجساد معلّقة على الخشبة بعد الغروب خاصة إن كان سبت (تث ٢١:٢٣). علماً بأن هذا السبت أيضاً كان يُدعى عظيماً لأنه وقع كعيد للفصح (يو ١٩:٣١) لذلك كان يوسف أمامه ثلاث ساعات فقط. والآن مَنْ الذي سيقوم بإنزاله ودفنه والتلاميذ هربوا ويوحنا انشغل بأُم المسيح وأخذها وذهب إلى العلية؟ ولو أنه عاين قبل أن يذهب ضربة الحربة في جنب المسيح (يو ١٩:٣٥). وهكذا كان تدبير الله أن يحضر يوسف في تلك الساعة وهو يعرف ماذا سيعمل بالضبط لأنه أحضر معه كتاناً نقياً لتكفين الجسد، بل وكان قد حفر قبراً جديداً لنفسه أو ربما بوحي من الله ولم يوضع فيه أحد. وكان منقوراً في الصخر، أي شبه مغارة. وكل ذلك كان ليتم قول إشعياء النبي: «ومع غني عند موته» (إش ٥٣:٩). ويصفه الكتاب أنه كان صالحاً وباراً. ولكن أجمل ما عُرف عنه أنه كان عضواً في السنهدرين: «مشيراً» (لو ٢٣:٥١، مر١٥:٤٣) وكان غير موافق لرأي السنهدرين في ما عمله في المسيح. وكان تلميذاً ليسوع في السر (يو ١٩:٣٨). ولكنه أظهر شجاعة نادرة في ذهابه جهاراً نهاراً لبيلاطس يطلب

جسد يسوع. وهذا يعني أنه يمت بصلة كبيرة لهذا المحكوم عليه، علماً بأن التصريح بتسليم الجسد لا يحق إلاّ لأهل الميت. فلو اكتشف أمره السنهدرين فسيكون مصيره الاضطهاد للموت.

٢٧: ٥٩و٦٠ «فَأَخَذَ يُوسُفُ الْجَسَدَ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ الْجَدِيدِ الَّذِي كَانَ قَدْ نَحَتَهُ فِي الصَّخْرَةِ، ثُمَّ دَحْرَجَ حَجَراً كَبِيراً عَلَى بَابِ الْقَبْرِ وَمَضَى».

ويعطينا مزيداً من المعلومات القديس يوحنا في إنجيله هكذا: «وجاء أيضاً نيقوديموس الذي أتى أولاً ليسوع ليلاً وهو حامل مزيج مرّ وعود نحو مائة مناً(٧). فأخذا جسد يسوع ولفّاه بأكفان مع الأطياب كما لليهود عادة أن يكفّنوا. وكان في الموضع الذي صُلب فيه بستان. وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط. فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود لأن القبر كان قريباً» (يو ١٩: ٣٩-٤٢).
لقد أكمل يوسف بالكتان ما ابتدأته مريم بدهن الطيب! نجوم زاهرة ظهرت في سماء يسوع!!

٢٧: ٦١ «وَكَانَتْ هُنَاكَ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى جَالِسَتَيْنِ تُجَاهَ الْقَبْرِ».

يا للأمانة المذهلة للعقل، لم يتركن الصليب من الساعة التاسعة صباحاً حتى السادسة بعد الظهر. تسع ساعات واقفات يلاحِظن من بعيد ماذا يُعمل، وحتى لمّا أنزلوه ولفّوه في الكتان جلسْنَ ينظرنَ المكان لأنهن يعرفن واجبهن، كيف سيأتين في الفجر ليكفنَّ الجسد بحسب أصول التكفين من جديد مهما كان التعب ومهما كانت الصعاب.

لقد أوجد الله في بعض النساء عنصراً ينقص كل البشر: الأمانة في تأدية الواجب الإلهي حتى الموت!! لقد ماتت تريزا القديسة وهي في أشد حالات الإعياء بالسل في آخر درجاته ولم يفارق ذراعها "الطفل يسوع"!! فسمُّوها: "تريزا الطفل يسوع"!!

(٧) أي لتراً وهو وزن يوناني يعادل نحو ١٠٠ درهم.

الأمر بحراسة القبر

[٢٧: ٦٢-٦٦]

هذه الحادثة يختص بها إنجيل القديس متى دون سواه.

٢٧: ٦٢و٦٣ «وَفِي الْغَدِ الَّذِي بَعْدَ الاسْتِعْدَادِ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ إِلَى بِيلاَطُسَ قَائِلِينَ: يَا سَيِّدُ، قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ».

يُلاحَظ هنا أن هذا "الغد الذي بعد الاستعداد" هو يوم السبت، وقد تعمَّد القديس متى عدم ذكره بالاسم لأن عمل هؤلاء الرؤساء مع الفريسيِّين يخرج عن قانون السبت، إذ لا يُعمل فيه عمل ولا يجمع ولا ذهاب. وظهور الفريسيِّين هنا أمر يُستغرب له، لأنهم اختفوا من مشهد الآلام بطولها. ويمعن القديس متى في إظهار فضيحتهم في هذا العمل بأن يجعل اجتماعاتهم مع بيلاطس يوم السبت عوض اجتماعهم بيهوه.

وقد التقطوا موضوع القيامة بعد ثلاثة أيام من قول المسيح عن يونان في بطن الحوت (مت ١٢: ٤٠)، ولكنهم حوَّلوا المَثَل إلى واقع وتحدٍ. فكانت آخر محاولاتهم لطمس معالم الفداء والخلاص بحجب القيامة.

«يا سيِّد»: κύριε

وهذه الكلمة لم تستخدم قط في إنجيل القديس متى إلاَّ لمخاطبة الله والمسيح، وهنا يستخدمها أعداء المسيح لتمجيد بيلاطس، في مقابل إعطاء المسيح لقب "المضل". ويقول العالِم بنجل(8): إنهم بهذه الكلمة يتملَّقون الوالي، ولم تُستخدم سابقاً لبيلاطس، وهي كلمة ذات رنين كبير، فهي بالألمانية "فوهرر". وكأن القديس متى يقول: إن الذين رفضوا المسيح كسيِّد جعلوا أعداءهم أسياداً لهم.

٢٧: ٦٤ «فَمُرْ بِضَبْطِ الْقَبْرِ إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ، لِئَلاَّ يَأْتِيَ تَلاَمِيذُهُ لَيْلاً وَيَسْرِقُوهُ، وَيَقُولُوا لِلشَّعْبِ إِنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، فَتَكُونَ الضَّلاَلَةُ الأَخِيرَةُ أَشَرَّ مِنَ الأُولَى!».

أمَّا الضلالة الأُولى في نظرهم فهي أن يسوع هو المسيَّا (مت ١٦: ١٣-٢٠)، والضلالة الأخيرة

(8) J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 484.

في نظرهم أنه قهر الموت وقام، الذي هو جوهر التعليم المسيحي(٩). وهكـذا قدرهـا رؤسـاء الكهنـة والفريسيُّون أنها "الضلالة الأشر". وكانوا على حق، لأنها إنما أظهرت شر ضلالتهم هم.

٦٥:٢٧ «فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: عِنْدَكُمْ حُرَّاسٌ. اِذْهَبُوا وَاضْبُطُوهُ كَمَا تَعْلَمُونَ».

يعلّق القديس يوحنا ذهبي الفم(١٠) على قول بيلاطس هذا، خاصة على قوله: «كمـا تعلمـون»، أو حسب إرادتكم حتى لا يلوموا آخرين لو حدث ما كانوا يخشونه. ولكن يعلّق لوهمير أن موافقـة بيلاطس واضح فيها الشك فيم يقولون.

وبهذا الأمر من بيلاطس أصبح لدى رؤساء الكهنة جنود رومانيون مع جنودهم الخاصـة. وختـمُ القبر بالأختام - حسب ما ترسَّب في تقليد الكنيسة المبكِّر - كان على نمـط مـا تمَّ لدانيـال النبي في جب الأسود (دا ٦:١٧)، الذي يُحسب حقًّا أنه رمز لقيامة الـرب مـن المـوت(١١). حيـث الأسـد يمثِّل الموت بالنسبة للمسيح، وأنه لم يقدر أن يضرَّه بشيء.

٦٦:٢٧ «فَمَضَوْا وَضَبَطُوا الْقَبْرَ بِالْحُرَّاسِ وَخَتَمُوا الْحَجَرَ».

ويعلّق ذهبي الفم قائلاً: انظروا، لا الحجر الذي قفلوا به فتحة القبر، ولا الختم الذي ختمـوه بـه، ولا الحرَّاس الذين حرسوا استطاعوا أن يضبطوه(١٢). ويعلّق على ذلك العالِم بنجـل قـائلاً: إن كـل ترتيبات وتأكيدات الإنسان لا تعيق الله(١٣).

كثير من العلماء يرفضون هذه القصة التاريخية بسبب شدَّة الحماقة التي رسمتها. ولكننا نقـول إنـه بسبب شدَّة الحماقـة هـذه يصـح جـدًّا ويناسـب أن تكـون مـن عمـل رؤسـاء الكهنـة والفريسـيين: «الساكن في السموات يضحك، الرب يستهزئ بهم.» (مز ٢:٤)

(9) F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 1071.
(10) Chrysostom, *op. cit.*, *Hom.* 89:1, p. 525 f.
(11) W. Grundmann, *Matthaeus* (1968), p. 566 and n. 7, cited by F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 1071.
(12) Chrysostom, *Hom.* 89:2, p. 526.
(13) J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 484.

الأصحاح الثامن والعشرون

القيامة المجيدة

- الرب قام والحرّاس كالأموات (٢٨ : ١- ١٠)
- رشوة الحرّاس الكاذبة (٢٨:١١ -١٥)
- الوعد والمقابلة، الاستعلان العظيم، الإرسالية الكبرى (٢٨: ١٦-٢٠)

الرب قام والحرّاس كالأموات

[٢٨:١-١٠]

(مر ١٦:١-٨)،
(لو ٢٤:١-١٢)،
(يو ٢٠:١-١٠)

قيامة الرب من بين الأموات ختام الإنجيل وبداية حياة القيامة من الأموات:

+ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حيّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنّس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم.» (١بط ١: ٣و٤)

لقد صارت قيامة الرب يسوع من الأموات هي بداية حياة الكنيسة وترنيمتها الخالدة، تستقبل بها وعد الحياة الأبدية كل سنة إلى أن يجيء الرب:

"اخرستوس آنستي إك نكرون ...
المسيح قام من بين الأموات... والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية"

٢٨: ١-٤ **«وَبَعْدَ السَّبْتِ، عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ. وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ، وَلِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ. فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ».**

كان ذلك فجر الأحد. جاءت مريم المجدلية أمّا الأخرى فهي أُم يعقوب ويوسي. وهما اللتان جلستا قبالة القبر تنظران يوسف وهو يضع الجسد ويدحرج الحجر على فم القبر. أمّا ق. مرقس فيضيف سالومة (مر ١٦: ١) والقديس لوقا يضيف يونّا وأُخريات. أمّا ق. يوحنا فلا يذكر سوى مريم المجدلية فقط (يو ٢٠: ١). والمفارقة بين إنجيل ق. يوحنا الذي يقول إنهنَّ أتين والظلام باقٍ، والقديس مرقس الذي يقول إن الشمس قد طلعت وق. متى الذي يقول إنه كان في الفجر، فالاختلاف ناتج أن النسوة قمن باكراً جداً والظلام باقٍ، وأتين إلى الباب (باب غرب المدينة) وانتظرن هناك إلى أن فتحوا الباب الذي لا يُفتح إلا في شروق الشمس. وهكذا بين أن قمن من بيوتهن في الظلام ووصلن في الفجر عند الباب وخرجن والشمس قد طلعت كانت المفارقة.

كانت الأمانة والمحبة والولاء العنيف الذي يملأ قلوبهنَّ للمسيح هو الدافع للذهاب إلى القبر أكثر منه تذكُّرٌ لقول الرب إنه في اليوم الثالث يقوم، أمَّا التلاميذ فلا هذا ولا ذاك، فالحوادث العنيفة تبلع مشاعر الرجال ولكن النساء قلوبهن رقيقة. فحبهنَّ وأمانتهنَّ تبقى فوق الأحداث الجسام. قلوبهنَّ تلتقط حركات السماء بأكثر انفعالية وصدق. وكما تحنو قلوبهنَّ بحساسية ورقة وعنف معاً على أولادهنَّ الخارجين من بطونهنَّ، هكذا وبأكثر قوة وانفعال يستودعنهم إلى باطن الأرض. بالفرح البالغ يستقبلنهم للحياة وبالحزن الأبلغ يستودعنهم للموت! ولولا النساء ما عرفت البشرية الفرح الصادق ولا الحزن الأصدق.

بحسب إنجيل ق. مرقس كنَّ يتحدَّثن في الطريق بهمٍّ ثقيل: مَنْ يُدحرج لهنَّ الحجر الثقيل؟ وما أن وصلنَ القبر حتى رأين الحجر قد دُحرج عن فم القبر. ويأتي ق. متى ويتحدَّث عن إلهام وحس أن الملاك نزل ومن فزع الحرَّاس صاروا كالأموات وما شعروا بالنسوة ولا ما حدث من أمر القبر والقيامة. ويكمِّل ق. متى منظر الملاك كما تراءى لهنَّ أنه كان مضيئاً بنور يخطف البصر وملابسه بيضاء كالثلج في النقاوة تعبيراً عن قداسته، وكان جالساً على الحجر خارج القبر كرسول من السماء ليعطي البلاغ. ومن خوفه ارتعد الحرَّاس وغالباً قاموا وهربوا خاصة لمَّا نظروا باب القبر مدحرجاً والقبر فارغاً، فكانوا أول شهود للقيامة ولكن اليهود حوَّلوهم لشهود زور كالعادة.

٢٨: ٥-٧ **«فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لِلْمَرْأَتَيْنِ: لاَ تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ. هَلُمَّا انْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعاً فِيهِ. وَاذْهَبَا سَرِيعاً قُولاَ لِتَلاَمِيذِهِ: إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ. هَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ. هَا أَنَا قَدْ قُلْتُ لَكُمَا».**

كان الملاك أول رسول للقيامة يبشِّر البشرية بالحادث المفرح الذي صار عماد الإنجيل وأساس الحياة الأبدية للإنسان. ولكن ق. مرقس رآه شاباً جالساً على الحجر، وق. لوقا يقول ملائكة (٢٤: ٢٣) وق. يوحنا ملاكين أيضاً (٢٠: ١٢). وعندنا أيضاً وربما تكون أول إشارة زمنية بالقيامة سلَّمها القديس بولس:

+ «فإنني سلَّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً: أن المسيح مات مِنْ أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دُفِنَ، **وأنه قام في اليوم الثالث** حسب الكتب، وأنه ظهر لصفا ثم للاثني عشر. وبعد ذلك ظهر دفعةً واحدةً لأكثر من خمسمائة أخٍ، أكثرهم باقٍ إلى الآن. ولكن بعضهم قد

رقدوا. وبعد ذلك ظهر ليعقوب، ثم للرسل أجمعين. وآخر الكل - كأنه للسقطِ - ظهر لي أنا. لأني أصغر الرسل، أنا الذي لستُ أهلاً لأن أُدعَى رسولاً، لأني اضطهدت كنيسة الله.» (١كو ١٥: ٣-٩)

رجاء وتوعية لكل قارئ:

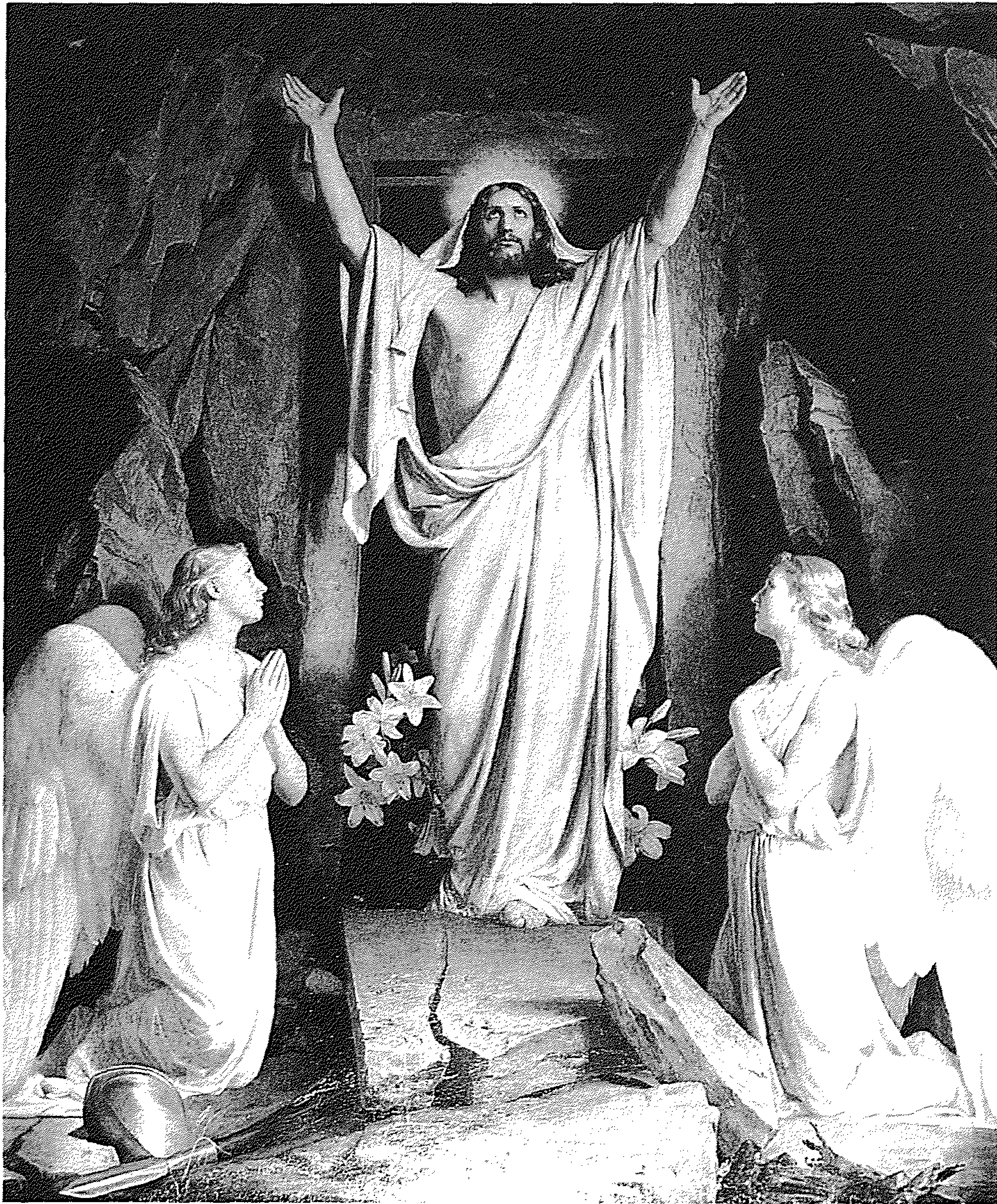
أن لا يُعثر من الاختلافات الواضحة في قصة القيامة، لأن الذي يتحدَّث عن القيامة إنما يتحدَّث عن أمور ليست تحت ضبط العقل والفكر والحواس والعين والتمييز البصري، فالقيامة بكل ظهوراتها وأقوالها وتسجيلاتها تمَّت بسبب انفتاح خاص في الوعي الروحي ليُرى ما لا يُرى، ولكل إنسان وعي خاص بإمكانيات خاصة، وكل وعي يختلف في القدرة والدقة والانفتاح والشمول عن الوعي الآخر، حتى أن القيامة نفسها يوجد من عاينها ويوجد مَنْ لم يعاينها لأنها تعتمد على قطبين: الأول إرادة المسيح في أن يُعلن أو لا يُعلن نفسه، وبوضوح كامل أو بوضوح أقل كما حصل لتلميذي عمواس. والقطب الثاني قدرة الذي يتلقَّى الاستعلان كما قلنا. لذلك يوجد مَنْ يحكي بإسهاب ومَنْ يحكي باختصار شديد، ومَنْ يقول كثيراً ومَنْ يقول قليلاً، ومَنْ يقول اثنين ومَنْ يقول بل واحداً. وهكذا فكل ما يخص القيامة لا يدخل تحت النقد أو الفحص أو التحقيق أو الإيضاح.

ولكن لمرَّة واحدة أراد المسيح حقًّا وبالفعل أن يُدخل نفسه كيسوع المسيح القائم من الأموات لتحقيق التلاميذ العقلي والحسِّي والنظري حتى باللمس: «ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم (شك)؟ **انظروا** يديَّ ورجليَّ (أثر المسامير): إني أنا هو (المصلوب). **جسُّوني وانظروا** فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي (قيامة بالجسد كما كان). وحين قال لهم هذا أراهم يديه ورجليه. وبينما هم غير مصدِّقين من الفرح، ومتعجِّبون، قال لهم: أعندكم ههنا طعام؟ فناولوه جزءًا من سمكٍ مشويٍّ وشيئاً من شهد عسل. فأخذ وأكل قدَّامهم (ولكن ليس معناه أن في القيامة يأكلون ويشربون)» (لو ٢٤: ٣٨-٤٣)، «ثم قال لتوما هات إصبعك إلى هنا وأبصر يديَّ، وهات يدك وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمنٍ بل مؤمناً.» (يو ٢٠:٢٧)

ومَنْ أراد أن يجري وراء القيامة ليستزيد من معرفتها ونورها، عليه أن يقرأ الأصحاح (١٥) من رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس!

ويقرِّر العالِم بورنكام(١) هكذا: [إن قيامة المسيح حقيقة تفوق الواقع التاريخي، ولا يستطيع

(1) Bornkamm, cited by F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 1076.



المسيح القائم من بين الأموات

التاريخ أن يفحص كيفيتها، ولكنه يتيقّن من حدوثها كحقيقة أُومن بها بواسطة التلاميذ بيقين راسخ يسجِّله التاريخ، وبدونه لا يكون إنجيل ولا خبر ولا حرف في العهد الجديد. لأنه لا إيمان ولا كنيسة ولا عبادة ولا صلاة ولا مسيحية حتى هذا اليوم بدون قيامة يسوع المسيح من الأموات. وبالرغم من ذلك فإنه مستحيل أن نصل إلى قناعة عن فحص كيف تمّت القيامة. وكل ما نعرفه أن القيامة كانت أعظم تدعيم وأعظم شهادة قدَّمها الله الآب لشخص يسوع المسيح إزاء رفض العالم له والشكوك الأُولى لتلاميذه]. ولكن قد سبق أعلاه وأن شرحنا للقارئ لماذا هو عدم اليقين العقلي والحسِّي بمنتهى الوضوح. فالأمر يتخطّى الإمكانيات البشرية ليدخل في الهبة البسيطة والعظمى التي أسكنها الله قلوب أولاده "الإيمان"!! فهو المسئول عن فتح وعي الإنسان لإدراك ما لا يُدرك: «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك!» (أع ١٦: ٣١)

وهنا يهمنا أن نوضِّح ما هي القيامة التي قامها المسيح وترك القبر فارغاً:

قيامة المسيح من بين الأموات
وقيامتنا معه

بادئ ذي بدء نقول إنه لولا الموت ما كانت القيامة، فما هو الموت؟

كيف دخل الموت طبيعة الإنسان؟

خلق الله آدم على صورته: «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله، وقال لهم: أثمروا واكثروا واملأوا الأرض» (تك ١: ٢٧و٢٨)، وعاش آدم مع الله في الفردوس ينعم بحبه ويستمد منه المعرفة والحياة. هكذا خلق الله آدم على صورته بإرادة حرَّة ومعرفة خيِّرة وحياة دائمة لا يعوزه شيء. وكانت الأرض بكل مخلوقاتها تخضع له وتطيعه وبلا جهد تخرج له أثمارها. وبدأ الله يمتحن الإنسان بإعطائه وصية في شبه أمر ليختبر حرية إرادته نحو الطاعة ليجازيه عِوَض الطاعة مزيداً من نمو ورُقيّ. فقال له الله أن يأكل من كل شجر الفردوس إلاَّ شجرة معرفة الخير والشر: «من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (تك ٢: ١٦و١٧). وواضح من هذه الوصية أنه لو خالف وأكل سيجلب على نفسه عقوبة الموت. أولاً بسبب المخالفة، وثانياً بسبب أن

نوع الأكل من هذه الشجرة سيجلب عليه معرفة الشر، وهي غريبة عن طبيعته وسينقسم بين معرفة الخير والشر وتنقسم إرادته، فإن سقط لا يستطيع أن يقوم. وقد أكّد الله عليه هو وامرأته معاً: **«فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسَّاه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة: لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفَيْن الخير والشر»** (تك ٣:٣-٥). وهكذا خالفا، وهكذا أخطأا، وهكذا وقع عليهما حكم الموت. من هذا يتبيَّن أن فعل الموت وعقوبته كحكم كان دخيلاً على طبيعة الإنسان وقد جلبه الإنسان على نفسه بالعصيان.

كيف يعمل فعل الموت في طبيعة الإنسان؟

قبل العصيان كان آدم يستمد حياته من الله وكان دوام حياته يتوقف على معرفة الخير ومحبة الله مع دوام طاعته لأوامر الله، وهكذا بعصيان آدم لله وتوقُّف طاعته توقَّفت معرفته للخير والمحبة فتوقفت الحياة و لم يَعُدْ دوامها إلى ما لا نهاية!

وبذلك بدأ فعل الموت يعمل في طبيعته منذ بدأ يعرف الشر وتنقسم إرادته ما بين الخير والشر. وبدأ الشر شيئاً فشيئاً يستوطن في طبيعته، ومن شرٍّ إلى شرٍّ بدأت حركة التناقض إلى أسوأ وأضعف، فابتدأ عامل الفناء يدب في جسده ويسوقه قسراً نحو الموت. أما الأرض من ناحيتها فبدأت تحجز خيرها عنه: يعطيها هو كل عافيته، ولا تعطيه هي إلاَّ قدر كفافه. وبعامل جذبها الشديد بدأ يتثقَّل جسده يوماً بعد يوم. وبدأت حركته تزداد صعوبة وإرهاقاً وتمَّ العقاب: **«بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك»** (تك ٣:١٧و١٨)، وكأنها تبادله الجهاد بالعداء لأنها أخذت وصية ضده: **«ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك... بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أُخِذْتَ منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود»** (تك ٣:١٧-١٩). كما أصبحت عداوة الأرض مخفية في جذبها الشديد لثقل جسده مما أضعفه وخاصة في مرضه وشيخوخته. وهكذا أحنت ظهر الإنسان بفعل جذبها الشديد لتردَّ له اللعنة التي أخذتها بسببه! وهكذا يسري فعل الموت في جسد الإنسان منذ ولادته ويزداد ويتكشَّف سنة بعد سنة حتى تهبط حركته ويتوقف قلبه ويقع ميتاً على الأرض ليُوارى بالتراب الذي أُخِذَ منه.

والآن يمكن التعبير عن الموت بأنه حركة سلبية للتغيير الدائم نحو الأقل والأردأ والأضعف بفعل الشرور التي اكتسبها الإنسان بمعرفته للشر عِوَض الخير. كما أنه حركة استنزاف تحت تأثير العوامل الطبيعية المؤثِّرة في الجسد وأصعبها الجاذبية الأرضية التي تعاشره منذ يخرج من البطن حتى يسقط على ترابها، ونختصرها في عاملين:

الأول: حركة التغيير السلبي نحو الفناء والزوال.

الثاني: حركة جذب الأرض الشديد حتى يعود التراب إلى التراب.

هذا هو عنصر الموت الذي دخل طبيعة الإنسان واستوطن فيها، والسبب فيه كانت الخطية وعصيان الله. وهكذا خرج آدم من أمام الله وفي صميم طبيعته فعل الموت وحركة الفساد، وفي يده حكم الموت المحتَّم. وهذا هو الموت الذي ملك على الإنسان من آدم إلى المسيح.

وهو بعينه الذي من أجله جاء المسيح إلى عالمنا: «**لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية**» (يو ٣:١٦). وكانت مسرَّة الابن لبذل نفسه أعظم مظهر لقهر الموت لإعطاء حياة جديدة لا سلطان للموت عليها!!

الخطوات التي اتخذها المسيح ليرفع الخطية وأثرها من الطبيعة البشرية، ويرفع حكم الموت، ويُقيم الإنسان بشريةً جديدةً مصالحةً مع الله:

(أ) كان يلزم أن يتجسَّد ابن الله - أي يأخذ جسد البشرية، ولكن بدون خطية - حتى يستطيع أن يرفعها، فلزم أن يولد من الروح القدس والعذراء القديسة مريم.

(ب) كان يلزم لكي يرفع الخطية واللعنة وحكم الموت من الطبيعة البشرية، أن يحمل جميع خطايا البشرية في جسده القدوس، حيث يحمل جسده ما هو ليس له كابن الله، على أنه له، من أجلنا! بل ويقبل بسبب هذه الخطايا جميعها حكم الموت بمحض إرادته من أجل البشرية التي يحملها ويحمل خطاياها وعارها على جسده، أي يصبح هو الإنسان الخاطئ المحكوم عليه بالموت واللعنة في شخص آدم وكل بنيه: «**الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر**» (١بط ٢:٢٤)، وأيضاً يقول إشعياء النبي: «**والرب وضع عليه إثم جميعنا.**» (إش ٥٣:٦)

(ج) ولكن إذ أن المسيح في المحاكمة وعلى الصليب كان هو القدوس الحامل جسد البشرية الخاطئة بكل خطاياها واللعنة والعار، ومات بخطايانا التي حملها، وأُنزل إلى القبر وأكمل قانون الموت إلى ثلاثة أيام؛ أصبح موته من أجلنا موت كفَّارة أبدية، لأنه لم يُمسَك في الموت فتأكَّدت الكفَّارة، وإذ قام تأكَّد لنا أنَّه القدوس ابن الله، وإذ قام بالجسد الذي مات به هو هو بجروحه في يديه ورجليه وجنبه تبرهنت قيامة البشرية معه وفيه، بشريةً جديدةً أُسقِطَ عنها حكم الموت وأُوقف منها فعل الزوال بل ونالت برَّ ابن الله لتحيا إلى الأبد.

ما هو التغيير الذي حدث لجسد المسيح في الموت؟

يلزمنا أن ندرك أنه لو لم يحمل المسيح خطايانا في جسده على الخشبة ما مات أبداً ولبقِيَ كما هو إلى الأبد. كما يلزمنا أيضاً أن نفهم أن المسيح بأخذه خطايانا في جسده على الخشبة وقبوله الموت كخاطئ من أجلنا يكون قد أكمل لنا في جسده حكم الموت واللعنة الواقع علينا أصلاً من آدم. فبموت جسد المسيح إلى ثلاثة أيام في القبر يكون قد اكتسب للبشرية في جسده البراءة الكلّية من حكم الموت واللعنة. والدليل الأعظم لذلك هو أن الموت لم يُمْسِكْ بجسد المسيح إذ لم تبقَ عليه خطية بعد، فداسه المسيح لَمَّا ألغى حكم الموت الذي كان عليه بموته المقدس وقام منتصراً: «**الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت، إذ لم يكن ممكنا أن يُمسَك منه.**» (أع ٢:٢٤)

وعلاقة الخطية بالموت معروفة، إذ مثَّلها بولس الرسول بالعقرب الذي يضرب شوكته التي في نهاية ذيله أيَّ جسدٍ فيسري فيه السمُّ ويموت. فالمسيح لَمّا حمل الخطية ومات بها بأن أخذ حكم الموت عليها، أنهى على الخطية التي في جسد بشريته وأنهى على الموت ذاته وكأنه عصفور في مخلب صقر! «**أين شوكتك يا موت؟ أي غلبتك يا هاوية. أمَّا شوكة الموت فهي الخطية (التي رفعها وألغى وجودها إلى الأبد)، وقوة الخطية هي الناموس (والناموس أبطله بدمه).**» (١كو ١٥:٥٥-٥٧)

كيف مات؟

حينما مات المسيح بالجسد لَمَّا شرب كأس خطايا البشرية على الصليب بإرادته كمشيئة الآب، انفصلت نفسه عن جسده، لأن هذه هي عقوبة الموت. فحينما انسكب الدم من الجسد على الصليب ومع شدة الآلام خرجت النفس، حيث النفس في الدم: «**لأن نفس الجسد هي في الدم، فأنا أعطيتكم إيَّاه (الدم) على المذبح للتكفير عن نفوسكم، لأن الدم يكفِّر عن النفس**» (لا ١٧:١١)، حينئذ صار انسكاب الدم من الجسد على الصليب هو الكفَّارة العُظمى. أما النفس فنزلت إلى الهاوية للكرازة في السجن (الجحيم): «**فإن المسيح أيضاً تألم مرَّة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقرِّبنا إلى الله، مُماتاً في الجسد ولكن مُحْيىً في الروح (النفس) الذي فيه (التي فيها أي في النفس) أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن**» (١بط ٣:١٨و١٩). وفي نهاية الثلاثة أيام: "أتت نفسه (من الهاوية) واتحدت بجسده (الذي في القبر)" (القسمة السريانية)، فقام من بين الأموات، على أن لاهوته لم ينفصل قط لا عن نفسه ولا عن جسده، لحظة واحدة ولا طرفة عين. علماً بأن الدم حينما انسفك من الجسد وسقط على الأرض كفَّر عن خطايا الجسد (البشرية)، وشفى لعنة الأرض التي تزلزلت عند استقباله: «انسحقت الأرض انسحاقاً، تشققت الأرض تشقُّقاً، تزعزعت الأرض تزعزعاً.» (إش ٢٤:١٩)

ولكن، كيف قام؟

سبق أن أوضحنا أن الموت بالنسبة لجسد الإنسان هو عملية تغيير سلبي للأضعف نحو الزوال، حيث يتم الموت حينما يتوقف القلب ويقع الجسد على التراب. هنا نريد أن نوضِّح أن عملية التغيير السلبي نحو الزوال مع عملية جذب الأرض لا تسري إلاَّ في المادة. فالمعروف أن المادة هي المستهدفة للتغيير نحو الزوال والمتأثِّرة بجاذبية الأرض.

لذلك حينما أكمل المسيح حكم الموت الذي كان على الجسد، رُفعت منه العوامل التي كانت تعمل للموت وهي الخطية. هذا معناه أن مادة الجسد أو جسد المسيح المادي توقفت عنه في الحال عوامل التغيير نحو الزوال. وهذا واضح جداً في عدم تسرُّب عوامل الفساد للجسد، كما توقفت قوة الجاذبية الأرضية عن تأثيرها السلبي على الجسد، التي هي أصلاً ضمن عقوبة الموت ولعنة الأرض، لذلك قيل إنه: «لم يكن ممكناً أن يُمسَك منه (أي من الموت)» (أع ٢: ٢٤). وبهذا قام جسد المسيح حيًّا، متحدِّياً الفساد ومتحدِّياً جاذبية الأرض وكل القيود الطبيعية المؤثِّرة في الجسد المادي من زمان ومكان.

هنا يلزم أن نعرف أن المسيح بالقيامة لم يفقد شيئاً مما كان له على الأرض فناسوته بَقِيَ كما هو متحداً بلاهوته إنما في وضعه الروحاني الأسمى. فكل ما حدث لجسد المسيح المادي هو أن المادة التي فيه تحوَّلت من منظورة ومحسوسة إلى غير منظورة ولا محسوسة، ومن ثقلها وخضوعها لجاذبية الأرض إلى اللاكثافة واللاوزن واللاعتامة؛ لأن الذي أورث الجسد البشري في آدم عناصر الزوال والخضوع للجاذبية الأرضية هو حكم الموت. فلما رفع المسيح هذه العوامل المادية والمتحكمة في المادة جميعاً بتكميله حكم الموت الكفَّاري، تحرَّر الجسد! على أن لاهوته بقِيَ ملازماً للجسد ومتحداً به في كل أوضاعه، فهو جسد الإله أو الجسد الإلهي محسوساً أو غير محسوس.

شكل الجسد القائم من بين الأموات:

بفقدان الخواص المادية للجسد يختفي منه تجسيد ملامحه الأولى المادية فلا يعود يُرى إطلاقاً، ولكن يظل «الجسم الروحاني» (١كو ١٥: ٤٤) محتفظاً بكل سمات وهيئة الجسد الأول إنما غير منظورة ولا تُرى إلاَّ بالروح حتى إلى ملامحه الدقيقة ومميزاته الظاهرة مثل: جمال الصورة، وشكل العين وبريقها، وهيبة الوجه، ورهبة الروح التي تشرق في الوجه إشراقاً، والوداعة، واللطف، والعطف، والمحبة المنسكبة في وضعها الروحي الفائق. لأن هذه تُعتبر أصلاً الصفات الأساسية التي للروح التي على صورة الله وليس من تراب الأرض - وكانت المادة تلبسها كقناع - فلما تحوَّلت

البشرية التي فيه من وضعها الزماني إلى وضعها الروحاني(٢)، الممجد الخالد غير المنظور - والجسد هو الجسد، إنما خلع عنه قناعه المادي المنظور، فسقطت عنه الخطية والموت واللعنة التي حملها في بشريته الأُولى في جسده على الصليب وتجلى جسد القيامة الجديد والبشرية فيه - وهكذا احتفظ الجسد الجديد بهيكله الروحي كما كان، ولكن دون أن تراه أو تمسَّه الحواس البشرية العادية.

ولكن كما رأينا في حالة جسد المسيح الروحي القائم من بين الأموات، **أنه كان قادراً - بحسب إرادته -** أن يظهر للتلاميذ والخواص بهيئته الأولى تماماً، وذلك بتكثيف الروح إلى شكلها الجسدي المادي تحت الضرورة إلى الدرجة التي أقنع بها حواسهم من رؤية ولمس والحديث أنه هو هو المسيح المصلوب بجروحه:

+ **«وفيما هم يتكلّمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم، وقال لهم: سلامٌ لكم! فجزعوا وخافوا، وظنوا أنهم نظروا روحاً. فقال لهم: ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم؟ انظروا يديَّ ورجليَّ: إني أنا هو. جسُّوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي. وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه.»** (لو ٢٤:٣٦-٤٠)

وهكذا يُعتبر إيماننا نحن الآن بالقيامة معتمداً على تحقيق مادي للرؤيا واللمس حقَّقه التلاميذ، وكذلك رؤية القبر الفارغ:

+ **«ثم جاء سمعان بطرس يتبعه، ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعة، والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان، بل ملفوفاً في موضع وحده. فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر، ورأى فآمن.»** (يو ٢٠:٦-٨)

وبهذا برهن المسيح أنه قام بنفس الجسد الذي صُلب به، ولم يحدث له أي شيء إلاَّ كونه تحوَّل من شكله المادي إلى شكله وكيانه الروحاني الذي يستطيع أن يرفع درجة شفافيته فلا يراه أحد، أو يخفّض من شفافيته ليُرى بشكله المادي كما يريد هو وبقدر انفتاح وعي الرائي إلى إدراك وتصديق الوضع الجديد للقيامة. وقد تنازل المسيح القائم من بين الأموات إلى توما لدرجة أنه قال له: **«هات**

---

(٢) هذا في حالة تحوُّل الجسد المادي إلى الروحاني في المسيح دون فقدان أي ذرة من ذرات الجسد المادي، فالقبر وُجِدَ فارغاً تماماً. أما في حالتنا نحن فالجسد المادي الترابي يعود بالموت إلى التراب الذي أُخِذَ منه ويفنى ويزول (٢كو ٥:١) لتأخذ النفس بالقيامة كمال بهاء «الجسم الروحاني» (١كو ١٥:٤٤) بشبه المسيح في المجد. وهذا هو قول قانون الإيمان الرسولي: "وننتظر قيامة الأموات (بالأجساد الروحانية) وحياة الدهر الآتي آمين". وهذا معنى قول القديس بولس: «ولا يرث الفساد عدم الفساد» (١كو ١٥:٥٠)، راجع أيضاً (١كو ١٥:٣٥-٣٨).

إصبعك إلى هنا وأبصر يديَّ، وهات يدك وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمنٍ بل مؤمناً» (يو ٢٠:٢٧)، والكلام كلُّه تسجَّل لنا:

+ **«الذي رأيناه (جسد المسيح القائم من بين الأموات) بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة (المسيح). فإن الحياة (الأبدية) أُظْهِرَتْ (في الجسد المُقام)، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظْهِرَتْ لنا (في المسيح). الذي رأيناه وسمعناه نُخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.»** (١يو ١:١-٣)

جسد القيامة في وضعه الجديد:

في اليوم الثالث أي باكتمال عقوبة الموت على البشرية التي كان الجسد المادي حاملها الذي تقبَّل العقوبة معها قد استوفى حكم اللعنة على الصليب، وآلام الموت معها أيضاً حتى النهاية، إلى كمال حالة الموت. وبهذا يكون المسيح قد استوفى التكفير اللازم للبشرية التي لبسها حتى إلى درجة الموت، وبهذا يكون قد أُبطِلَ عن جسد البشرية الذي يلبسه المسيح تأثير الموت وخضوعه لسلطان الفساد والجاذبية الأرضية وكل التأثيرات الأرضية والطبيعة المادية. بمعنى أن جسد البشرية التي يحملها المسيح قد تحرَّر نهائياً من قيود القبر والعالم المادي، وارتفع قائماً من بين الأموات. ولكن كما سبق وقلنا دون أن تكون له هيئته المادية الأولى، بل في وضعه الروحاني الجديد الذي ظهرت فيه في الحال قوة الحياة الأبدية وسلطان الروح القدس ومجد الآب، لذلك قيل إنه: **"قام بمجد الآب"** بعد أن استوفى الجسد والبشرية قائمة فيه عقوبة آدم: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت ٢٧:٤٦). بمعنى أن المسيح قام والبشرية الجديدة فيه مبرَّأةً من الخطية، مفديةً من الموت، معتوقةً من تراب الأرض والعالم، صاعداً بها إلى الآب: **«اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»** (يو ٢٠:١٧). والمسيح هنا يتكلَّم عنَّا له ولنا بآن واحد. وهكذا أصبح كل ما له لنا، وسلِّمنا مكانه من الآب: **«وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويَّات في المسيح يسوع، ليُظْهِرَ في الدهور الآتية غِنَى نعمته الفائق، باللطف علينا في المسيح يسوع.»** (أف ٢:٦و٧)

ماذا تمَّ لنا في قيامة المسيح من بين الأموات؟

١ - المسيح رفع عن الطبيعة البشرية التي فيه، والتي لنا، الخطية بموته الكفَّاري بسَفْك دمه على الصليب.

٢ - ألغى من الطبيعة البشرية، التي فيه، والتي لنا، فعل الموت الأبدي وقوَّته كحكم سابق

وعقاب ولعنة.

٣- حرَّر الطبيعة البشرية التي فيه (تمهيداً لما سيعمله فينا) من قوى الجاذبية الأرضية والفناء وكل القيود المادية.

٤- اكتسب المسيح لنا ببرِّه الشخصي - بطاعته للآب حتى الموت - وقدُّوسيته وعلاقته الأزلية بأبيه، بشريةً جديدةً فيه مفدية مقدَّسة مبرَّرة غالبةً الموت ولها روح القيامة وشركة المجد!

هذه هي قوة القيامة ومكاسبها العُظمى التي أكملها المسيح لنا في جسده، توطئة لتسليمها للإنسان بالإيمان في سرَّي المعمودية والإفخارستيا! وقد سلَّمنا منذ الآن روح قيامته وفعلها بالإيمان ليعمل فينا من الآن وعند الموت:

+ **«وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.»** (رو ٨:١١)

وهكذا بشركتنا مع المسيح في موته الذي ماته بالجسد من أجلنا، نأخذ نفس الشركة في قيامته:

+ **«لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشِبه موته، نصير أيضاً بقيامته.»** (رو ٦:٥)

وأيضاً إن كنَّا قد متنا مع المسيح بإيماننا، فسنحيا معه بنفس الإيمان:

+ **«فإن كنَّا قد متنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه.»** (رو ٦:٨)

نفهم من هذا أننا أخذنا منذ الآن عربون الأجساد الروحانية التي سنقوم بها مع المسيح غالبين الخطية والموت والهاوية. وأما أجسادنا المادية فسوف تفنى في التراب:

+ **«فأقول هذا أيها الإخوة: إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد.»** (١كو ١٥:٥٠)

بل حتماً سنلبس ثوب العُرس المجيد:

+ **«وكما لبسنا صورة الترابي (هيئة الجسد المادي كقناع بالميلاد الجسدي)، سنلبس أيضاً صورة السماوي (بالقيامة من بين الأموات).»** (١كو ١٥:٤٩)

+ **«يُزرع جسماً حيوانياً (في الرَّحم) ويُقام جسماً روحانياً (في المعمودية). يوجد جسم حيواني (مادي) ويوجد جسم روحاني (سماوي).»** (١كو ١٥:٤٤)

أما الآن:

+ «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق، حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما

فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد متّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أُظهِرَ المسيحُ حياتُنا، فحينئذ تُظْهَرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو ٣: ١-٤)

+ «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يُظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو.» (١يو ٣: ٢)

والآن عودة إلى تكملة شرح إنجيل القيامة:

«واذهبا سريعاً قولا لتلاميذه إنه قد قام من الأموات»:

هنا يظهر مركز المرأة في بشرى القيامة. ويقول ذهبي الفم:

[انظر كيف أن المسيح نفسه أرسل الأخبار السارة (الإنجيل) لتلاميذه بهاته النسوة لكي يعطي الكرامة كما أقول دائماً لهذا الجنس النسائي الذي طالما احتُقر وأُهين.][3]

ويقول القديس أغسطين:

[إن المرأة في الفردوس بشّرت زوجها بالموت، والمرأة في الكنيسة بشّرت بالخلاص والحياة للرجل. فإن كان قد أُعطي للرسل أن يكرزوا بالقيامة للأُمم، فالنسوة هنَّ اللاتي بشّرن الرسل أولاً.][4]

«ها هو يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه»:

لماذا الجليل؟ لقد سبق وأعلن المسيح، وهذا تمَّ، أنهم يتفرَّقون كل واحد إلى خاصته ويتركونه وحده. لقد عاد التلاميذ إلى قريتهم، بل وبعضهم إلى المهنة القديمة، للحسرة والأسف، إلى صيد السمك. كما يحكي ق. يوحنا: «بعد هذا أظهر أيضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية، ظهر هكذا: كان سمعان بطرس وتوما الذي يُقال له التوأم ونثنائيل الذي من قانا الجليل وابنا زبدي واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم - قال لهم سمعان بطرس أنا أذهب لأتصيَّد، قالوا له نذهب نحن أيضاً معك. فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت، وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً، ولمّا كان الصبح وقف يسوع على الشاطئ.» (يو ٢١: ١-٤)

بهذا يفهم القارئ لماذا اهتم المسيح أن يوصِّل لهم هذه الرسالة على وجه **السرعة**: «اذهبا سريعاً»!! فقد لعب اليأس بعقولهم وبلغوا حد الرجعة عن الطريق والعودة إلى صيد السمك، فلاحقهم المسيح ليردَّهم ثانية إلى صيد الناس والبشارة بالقيامة. إنها قصة مخجلة ولكن الكنيسة والإنجيل لا يخجلان من ضعف

(3) Chrysostom, *op. cit.*, Hom 89,3; p. 257.

(4) Augustine, *Sermons on New Testament Lessons*, I (51): 3; NPNF, 1st ser. vol. VI, p. 246.

الإنسان. فالروح القدس كان ينتظرهم وعلى ميعاد ليهبهم قوة النطق بالشهادة وشجاعة المجاهرة بالإيمـان. فوعد الرب لا يخيب. وكان هذا الملاك المبشِّر المبارك آخر ملاك نسمع عنه داخل الإنجيل!

٨:٢٨ «فَخَرَجَتَا سَرِيعاً مِنَ الْقَبْرِ بِخَوْفٍ وَفَرَحٍ عَظِيمٍ، رَاكِضَتَيْنِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ».

أمَّا الخوف فلأن الرعبة بجوار قبر، وظهور ملاك يتحدَّث معهن جعلهن يقشعرن من غرابة المواجهة، أمَّا الفرح فغطَّى على الخوف لأنه كان عظيماً χαρᾶς μεγάλης (واضح هنا أن "كاراس" وتعني الفرح هي أصل تسمية القديس باسم كاراس). وإليك يا صديقي قول الآية: "راكضتين"، نسوة تجري جرياً في الشوارع، هذا ما يكمِّل قولنا وقول القديسين أن الأمانة والحب والتصديق للمسيح كانت عند النسوة على أشدها في موته وقبره كما في قيامته كما كانت في حياته، هذه هي الانفعالية الصادقة للإيمان الصادق الذي يتغذى بشخص المسيح. فحب الإيمان أقوى من الموت، لا يرهبه. وعلينا أن نتذكَّر قول الملاك لهن: «اذهبا سريعاً قولا لتلاميذه» فهن يركضن ولهن من فم الملاك توصية، فمن ذا يستطيع أن يعترضهن!! بل وسوف ترى - صديقي القارئ - كيف ردَّ المسيح بنفسه على هذه الأمانة وهذه الطاعة وهذا التنفيذ الفوري وبالسرعة المطلوبة:

٩:٢٨و١٠ «وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لاَقَاهُمَا وَقَالَ: سَلاَمٌ لَكُمَا. فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَا لَهُ. فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: لاَ تَخَافَا. اِذْهَبَا قُولاَ لإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ، وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي».

هنا توقيع آخر متعدِّد الدرجات للتعرُّف على طبيعة القيامة التي قامها الرب:

أولاً: ظهور المسيح بهيئته الجسدية تماماً حتى وضح لهن بلا أي لبس أنه شخص الرب. وأول كلمة قالها بعد القيامة: **«سلام لكما»**.

ثانياً: التحية المعتادة بصوت المسيح المعتاد الذي لا يزال ماثلاً في ذاكرتهن: «سلام لكما».

ثالثاً: سمح لهن أن يمسكن قدميه مسكاً حتى شعرتا بصدق مَنْ يكلِّمهن أنه هو هو المسيح المُقام الذي صُلب.

«وسجدتا له»: προσεκύνησαν αὐτῷ

وهنا السجود بمعنى العبادة they worshipped him، وهذا خروج عن المفهوم اليهودي الخاص بالعبادة لله وحده: «الرب إلهك تتقي (تسجد) وإيَّاه (وحده) تعبد وباسمه تحلف» (تث ٦:١٣). وقد كرَّرها المسيح في ردِّه على الشيطان: «لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإيَّاه وحده تعبد» (مت ٤:١٠).

والمُلاحَظ هنا أن المسيح قَبِلَ عبادتهنَّ.

والمُلاحَظ أن ق. متى اهتم بتسجيل عشرة مواضع قُدِّم فيها السجود للمسيح بينما سجَّل ق. مرقس مرَّتين فقط في (مر ٥:٦، ١٠:١٧). والمعروف عند القدامى أن تكريم القديسين يكون بتقبيل القدمين(٥) فهنا يصر ق. متى أن يسوع المسيح المقام من الموت هو مَنْ نعبد باعتباره الله ظهر للبشر!!

رابعاً: أدرك خوفهن فأعطاهنَّ دعاءه الذي يُستجاب في الحال: «لا تخافا»، ففي قوله قوة نافذة لأن الخوف والفزع يحجز رؤيا القيامة وفرحتها من القلب.

خامساً: "إخوتي": «أخبر باسمك إخوتي» (مز ٢٢:٢٢). لا يزال المسيح يحتفظ لتلاميذه بدفء المحبة بالرغم من أنهم تركوه وحده وهربوا وقت المحاكمة بل ووقت الصليب. نفس المشاعر المتواضعة والحميمة التي يحتفظ بها الآن لنا جميعاً فكلنا أخطأنا في حبه. فيدعوهم إخوته وقد استُعلن ربًّا وإلهاً. وهكذا فالقيامة لم تغيِّر من علاقة المسيح بالبشر بل بقيت كما هي من ناحية التجسُّد، وبقي هو بكراً بين إخوة كثيرين، ولكن ارتفع فوق أعلى السموات وفوق كل اسم ليسكب مِلأه على الجميع.

سادساً: هو يسبقهم إلى الجليل وكأنه سيسير إلى هناك بلغة الجسد الأول مع أن وجوده الآن يشمل هنا وهناك بآن، وهذه قوة الجسد الروحي المُقام.

سابعاً: "يرونني" دعوة للمقابلة ووعداً بالظهور العيني لجميعهم: «والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي» (يو ١٤ :٢١) ليعطيهم دفعة إيمان!!

ولكن للحزن والأسى والأسف معاً، الأمناء في البداية ظلوا أمناء للنهاية في أشخاص النسوة، والذي تخاذل وهرب وانكسر في البداية ظلَّ يشك إلى النهاية. حيث يقول ق. متى في ختام إنجيله: «وأمَّا الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع ولمَّا رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكُّوا» (مت ٢٨: ١٦-١٨) وإليك باقي الشهادات:

+ «قلن هذا للرسل فتراءى كلامهنَّ كالهذيان و لم يصدِّقوهنَّ.» (لو ٢٤: ١٠و١١)

+ «فذهبت هذه (مريم المجدلية) وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون. فلمَّا سمع أُولئك أنه حي وقد نظرته لم يصدِّقوا.» (مر ١٦: ١٠و١١)

(5) F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 1084.

+ «وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية (تلميذي عمواس) وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدّقوا ولا هذين. أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدِّقوا الذين نظروه قد قام.» (مر ١٦: ١٢-١٤)

ولنا هنا ملاحظة، إذ لماذا النسوة جميعهن صدَّقن وفرحن فرحاً عظيماً وأمسكن به وسجدن وعبدن؟ ولماذا التلاميذ هكذا بعدت عنهم القيامة إلى هذا الحد؟ فلا الملاك ولا المسيح ظهر لهم؟ ولمّا ظهر ظنّوه روحاً؟!

الجواب هنا: **أن المحبة الشخصية للمسيح إذا كانت عنيفة وصادقة ترفع الإيمان لتصديق المستحيل! فالقيامة ونوال قوّتها تحتاج إلى محبة شخصية جدًّا للمسيح!!**

رشوة الحرَّاس الكاذبة

[٢٨: ١١-١٥]

شهادة ضد القيامة مدعَّمة بالقصة

٢٨: ١١-١٥ «وَفِيمَا هُمَا ذَاهِبَتَانِ إِذَا قَوْمٌ مِنَ الْحُرَّاسِ جَاءُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْبَرُوا رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ بِكُلِّ مَا كَانَ. فَاجْتَمَعُوا مَعَ الشُّيُوخِ، وَتَشَاوَرُوا، وَأَعْطَوُا الْعَسْكَرَ فِضَّةً كَثِيرَةً قَائِلِينَ: قُولُوا إِنَّ تَلاَمِيذَهُ أَتَوْا لَيْلاً وَسَرَقُوهُ وَنَحْنُ نِيَامٌ. وَإِذَا سُمِعَ ذلِكَ عِنْدَ الْوَالِي فَنَحْنُ نَسْتَعْطِفُهُ، وَنَجْعَلُكُمْ مُطْمَئِنِّينَ. فَأَخَذُوا الْفِضَّةَ وَفَعَلُوا كَمَا عَلَّمُوهُمْ، فَشَاعَ هذَا الْقَوْلُ عِنْدَ الْيَهُودِ إِلَى هذَا الْيَوْمِ».

عندما انكسر الشيطان في معركة الصليب، التجأ إلى رؤساء الكهنة يطلب عوناً فوجده. بالفضة وجدوا شهود زور ليصلبوه، وبالفضة أيضاً وجدوا شهود زور يشهدون أن تلاميذه سرقوه. وأخذوا هذه الشهادة وطبعوا منها نسخاً بعدد نسخ الإنجيل!! تذكاراً لهم!

ومن أجمل التعليقات التي قدَّمها نُقَّاد الإنجيل أن ق. متى أورد هذه القصة ليؤكِّد قيامة المسيح!!(٦) والذي يتعجب له كيف ظهر مقاومون للقيامة من أول ساعاتها، إلى هذا الحد كانت

(6) F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 1086.

يقظة الشيطان وقد وجد عند رؤساء الكهنة نفس هذا الحد. ولكن الرواية في جملتها جاءت لتُعطي القيامةَ فرصةً أخيرة لرؤساء الكهنة لكي يعودوا إلى صوابهم ويؤمنوا. فهؤلاء شهود عدل يقصُّون الحقيقة كما رأوها خوفاً من عقاب. ولكن أزال رؤساء الكهنة الخوف من قلوبهم بالفضة الكثيرة حتى يقولوا بغير ما حدث!! إنها تكملة للمحاكمة!!

ولكن ليست مصادفة أن تذهب النسوة في طريقهنَّ لتبشير التلاميذ بأنه قام وهنَّ شهود، وأن يذهب تلاميذه لاستقبال رسالة الخلاص العظمى، أن تبدأ في نفس الوقت ومن نفس المكان مسيرة أخرى لتبشير رؤساء الكهنة للبدء بإعداد بشارة مضادة تلازمها وتحاول إلغاءها أن القيامة أكذوبة ملفَّقة ولكن بفضة كثيرة. وبقدر ما أسرعت البشارة الأُولى: **«اذهبا سريعاً قولا لتلاميذه» وفيما هما ذاهبتان وفي نفس الوقت ونفس السكة: «قوم من الحرَّاس جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان»**. إنه حبك غير متعمَّد لإظهار المقاومة اليقظة والعنيدة لعمل الخدمة والإرسالية وافتقاد النفوس والبيوت، فالشيطان بالمرصاد ولكن الغلبة لِمَنْ يزرع الكلمة فهي قادرة أن تخنق الشوك وتبيده، وتحوِّل القلوب المحجرة إلى قلوب طيبة. اِزرعوا اِزرعوا أينما سرتم أو حللتم فالثمار والحصاد كثير.

«اجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة»:

«ها إنهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندي» (إش ٥٤: ١٥) وتشاوروا مشورة السوء وزكُّوها بالفضة الكثيرة، ويا لخطورة الأموال في الأيدي غير النظيفة ولدى القلوب الحاقدة فإنها تقدح بها النار وترسم دائرة من جهنم.

«قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام»:

من أين كانوا نياماً ومن أين رأوا تلاميذه يسرقون الجسد، وكيف تكون السرقة في ذمة الحرَّاس أو على وجه الأصح في ذمة الملفِّق لكلام لا يتوافق مع مَنْ له عقل يسمع؟ أليس هذا هو بعينه السنهدرين الذي سهر الليل كله ليصبح ويضع قيود الظلم في أيدي صانع الحق والعدل؟ وها هم تشاوروا على شهادة زور تلغي التوراة وتلغي الكهنوت وتخرِّب الهيكل والديار وتحرق الزرع والضرع وتقتل الأُم والرضيع! لقد كتبوا مصيرهم بأيديهم وسجَّلوه في مضابط اجتماعاتهم الرسمية، التي قرأها الرب من السماء وكتب أمامه سفر تذكرة وعقاب.

«وإذا سُمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين»:

فالوالي لا يزيد عنكم شيئاً، فالفضة قادرة أن تعوِّج القضاء، وعطف رؤساء الكهنة مالٌ

واستعطافهم مالٌ كثيرٌ. اطمئنوا فخزائن بيت المال في الهيكل ملآنة من فلوس الأرامل. وفلسين على فلسين يجمع كثيراً: «مَنْ هو جاهل فليمل إلى هنا والناقص الفهم تقول له المياه المسروقة حلوة وخبز الخفية لذيذ» (أم ٩: ١٦و١٧)، فاطمئنوا إلى حكماء إسرائيل فهم على كل شيء قادرون، وفي وسعهم أن يجعلوكم مطمئنين. فالذين قتلوا المسيح وطمأنوا شعباً مذبوحاً وهوَّنوا الأمر عليهم حتى جعلوا دم البريء على أبنائهم إلى جيل الأجيال، لن يعوزهم حيلة ولا وسيلة. فذهبوا مطمئنين ...

«فأخذوا الفضة وفعلوا كما علّموهم. فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم»:

لمَّا عجزوا أن يمنعوا القيامة بضبط القبر وقام المسيح من بين الأموات، لفّقوا قصة ليصدِّقها بنو جنسهم ليمنعوهم من التصديق. فأخذوا الويل ويلين. وهكذا هؤلاء هم الذين زرعوا الزوان وسط القمح، فهو مؤجَّل ليوم الدين. وبينما توزَّعت حبة الحنطة التي زُرعت وقامت بين جميع الأُمم، بقيت حبة الزوان المسمومة بين اليهود وحسب، يجترُّونها بمرارة حتى اليوم. حاولوا أن يخنقوا نور القيامة عن الدنيا كما حاول هيرودس أن يطفئ نور الميلاد عن العالم. هذا حمل دماء شهداء أطفال أبرار يصرخون الآن في وجهه؛ وأولئك تحمَّلوا دم البار وهو أصعب من أن يُحتمل. فمن سقط عليه يترضَّض وإن سقط هو على أحد يسحقه.

الوعد والمقابلة، الاستعلان العظيم، الإرسالية الكبرى

[٢٨: ١٦-٢٠] (مر ١٦: ١٤-١٨)، (لو ٢٤: ٣٦-٤٩)، (يو ٢٠: ١٩-٢٣)، (أع ١: ٦ - ٨)

٢٨: ١٦ **«وَأَمَّا الأَحَدَ عَشَرَ تِلْمِيذاً فَانْطَلَقُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى الْجَبَلِ، حَيْثُ أَمَرَهُمْ يَسُوعُ».**

لقد فقدوا كمالهم، إن ضعفهم صار سمة في عددهم، فالأحد عشر يساوي الاثني عشر فاقدين واحداً. وكأنما أرسل المسيح الكنيسة إلى العالم يعوزها دائماً واحدٌ، ولكن أعطاها إنجيلاً يكمِّل نقصهم، وهو معهم يرفع عددهم إلى ما لا نهاية. ولكن تظل الكنيسة تذكر الخيانة كعنصر يلازمها رغماً عنها، لأن الإيمان ليس للجميع: «لكي ننقذ من الناس الأردياء الأشرار، لأن الإيمان ليس للجميع. أمين هو الرب الذي سيثبِّتكم ويحفظكم من الشرير» (٢تس ٣: ٢و٣). وهكذا بدأت الكنيسة بالأحد عشر ولو أنه صارت محاولة بشرية لرأب الصدع وتكميل الاثني عشر، ليس أن

الرسل ناقصون بل النقص هو في البشرية يلازمها دائماً. فالدعوة والإرسالية كاملة بحد ذاتها وإلى جميع الأمم بلا استثناء، كأنبياء العهد القديم الذين لم يستمدوا كمالهم من عددهم بل من دعوتهم أو من الذي دعاهم.

وعلى كل حال هم "تلاميذ" ولكن أساسهم راسخ: «مبنيين على أساس الرسل» (أف ٢:٢٠) يكمِّلهم المسيح: «والمسيح نفسه حجر الزاوية». والكنيسة منظورة فيهم وبهم كرسالة كاملة لأن رأسها المسيح.

ذهب التلاميذ إلى الجليل على رجاء أن يتقابلوا بالذي تركوه وهربوا قبل الصليب. فالكنيسة مدعوة غصباً لأن تتقابل مع الذي تتركه لئلا لا تجد نفسها. إيمانها يهرب منها ولكن المسيح يلاحقها لئلاَّ تنسى محبتها الأُولى، هم تنكَّروا له وبعضهم أنكره ولكنه لا يزال يطلبهم كإخوة لأنهم منسوبون له عن ضرورة، وبدونه ليس لهم شيء في السماء وعلى الأرض. فإن كانوا قد تركوه وهربوا لكن اقتنعوا أخيراً أن «من وجهك أين أهرب» (مز ١٣٩:٧). على كل حال أطاعوا الأمر عن طريق النسوة لمن لم يروه، وبطاعة الدعوة تتم الرؤية لأن الرب شاء أن يأتيهم ويظهر لهم عن طاعة وليس إلزاماً. فإن كانوا قد تفرَّقوا كل واحد في النهاية إلى خاصته فلابد من العودة على ذي بدء لتُشعلَهم ذكرى الحب والمودَّة ورحلات الصحبة وأسفار الخدمة. حتى إن انطلقوا إلى أفق العالم البعيد يذكرون أيام الأُلفة.

وبظهور المسيح لتلاميذه كما كان أولاً بجسده المادي إنما يعطي للكنيسة عهد التواجد فيها بجسده ودمه، حتى تنعم به كبكر دائم بين إخوة كثيرين، ليس عن إيمان أو خيال وحسب بل عن تجسيد حب وعواطف الجماعة التي تلتف حول حبيب وصديق. وعن طريق معجزة الجسد والدم يحقِّق شخصه بصفته الخبز الحي النازل من السماء، الذي يأكله يجوع إليه، والذي يشربه يأتي إليه عطشاناً، فيحقِّق وجوده وفعله السرِّي كفعل الطعام وشرب الحياة.

لم يشأ أن يتقابل معهم واحداً واحداً، لئلاَّ يظهر بطرس جديد فينكشف عجز إيمانهم، ولكنه آثر ويؤثِر دائماً أن يلتقي بالجماعة وأقلها اثنين أو ثلاثة حتى يوزِّع إيمانه وحبه حسب حاجة كل واحد دون أن يؤذي مشاعر الأضعف، فيمتلئ كل واحد بملئه وتمتلئ الجماعة إلى واحد! وبهذه الدعوة السريَّة لتلاميذه للمقابلة على يد النسوة أعطى تلميحاً بديعاً لمن هو مسيح الكنيسة ومَنْ هي كنيسة المسيح. وأصبحت هذه الدعوة الأخيرة للمقابلة والإرسالية هي في واقعها طرح الإنجيل لخطة عمل بعد استيفاء دراسة المشروع ثلاث سنوات ونصف.

«إلى الجبل حيث أمرهم يسوع»:

كانت مسرَّة المسيح في الجبل لأن هكذا: «تحمل الجبال سلاماً للشعب» (مز ٧٢:٣)، «أساساته في الجبال المقدَّسة» (مز ٨٧:١). فقد أخذ نصرته الأُولى على الشيطان في جبل، وألقى عظته الأُولى على جبل، وتجلّى أمام تلاميذه على جبل، وعمل وليمة من الخبزات السبع على جبل (١٥:٢٩)، وكان يذهب دائماً إلى الجبال ويبيت هناك. وهكذا شاء أن يتقابل مع تلاميذه في الجليل وعلى جبل، وكأنه يختم على كل شرائعه هناك وقد تجلّى بالمجد. ولسنا ندري أَقَصَدَ بكلمة الجبل هنا معياراً لاهوتياً على مستوى الشريعة والتجلّي كسيناء مكان رؤية الله والتجلّي، أو كأنه رد على الشيطان حيث من فوق الجبل العالي يرسم لتلاميذه خطة الكرازة بالإنجيل وتلمذة كل العالم والسجود لله وحده؟ أو لكي تكمل الكتب: «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأُمم وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلمّ نصعد إلى جبل الرب.» (إش ٢: ٢و٣)

١٧:٢٨ «وَلَمَّا رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ شَكُّوا».

عجيب هنا أن لا يذكر أي شيء عن حال قيامته من حيث تغيير ما أو مجد أو أي تلميح عن الجسد الجديد، ولا عن اندهاش ولا عن فرح عظيم مثل النسوة اللاتي قابلنه بجوار القبر، ولا حتى مثل فرح المجوس الأغراب لمّا وجدوه طفلاً رضيعاً في حجر أُمه (مت ٢:١٠).

ولكنهم أسرعوا بالسجود له سجود العبادة ولكن ليس جميعهم، فبعضهم شكُّوا!

ولكن قول ق. متى إنهم سجدوا له سجود عبادة يعطي الانطباع أنهم أدركوه أنه ليس المعلّم بعد، بل الله ظهر في الجسد أو الله معنا كالنبوَّة، أو كرؤية لاهوتيي القرون الأُولى رأوه نوراً من نور وإلهاً من إله وإلهاً حقاً من إله حق؟ لأنه ممنوعٌ عليهم بالقطع أن يسجدوا سجود عبادة إلاَّ لله وحده (خر ٢٠:٥، تث ٩:٥). وهنا نحذّر كل الساجدين للمسيح أن يعتقدوا أن السجود للمسيح غير السجود لله، فالسجود للمسيح هو هو السجود لله، أو أن السجود للمسيح هو السجود للآب والابن والروح القدس إله واحد. والسجود لله يعني أننا نتلامس مع اللاهوت جسدياً، وندخل دائرة أو مجال الله بهياكل أجسادنا. والمسيح هو الله منظوراً وملموساً ومشاهداً ومحسوساً (١يو ١: ١-٤). المسيح تنازلٌ من الله إلينا وامتدادٌ بالروح فينا ودخولٌ إلى قلوبنا وأعماقنا بكيانه «أنا فيكم» وبحياته «نحن نحيا به» «المسيح هو الحي فيَّ». المسيح هو الملء الذي يملأ الكنيسة وهي بدورها صارت به

ملء الذي يملأ الكل في الكل: «وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف ١: ٢٢و٢٣)

«ولكن بعضهم شكُّوا»:

تقول أحدث ترجمة لهذه الآية أن الأصح: ومع أنهم كانوا قد شكُّوا (سابقاً) إلاَّ أنهم سجدوا لـه وعبدوه. وقد جنَّد هذه الترجمة القديس جيروم ومن بعده كثير من العلماء وهي الأقرب إلى الفهم والصواب(٧). على أن الذين يؤكِّدون أن بعضهم شكُّوا يرد عليهم العلماء أيضاً أن الشك تجربة قد يرفضها الإنسان، لذلك فهي ليست محسوبة خطية كاملة. كما يعطي بعض العلماء الآخرين ترجمة أجمل: أن التلاميذ الأحد عشر سجدوا وعبدوا ولكن بعضاً (غيرهم) شكُّوا. خصوصاً وأنه في بدء الآية يقول: «ولمَّا رأوه». فالذين رأوه عرفوه وسجدوا ولكن بعضهم مما لم يروه شكُّوا. وهي الترجمة الأوفق.

ولكن أغلب المتمسِّكين بحرفية الإنجيل يجيزون إمكانية الرؤية والسجود والشك معاً لعدم التأكُّد. وهذا جائز ويناسب عدم القدرة على التحقيق في الأمور غير المنظورة، كما حدث لتلميذي عمواس اللذين لم يتركهما المسيح دون توبيخ: «أيها الغبيَّان والبطيئا القلوب في الإيمان.» (لو ٢٤: ٢٥)

أمَّا العالِم الألماني الحكيم بنجل فيقول بمنتهى البساطة والحكمة: [إنهم شكُّوا لكي لا نشك نحن](٨). وكان أبدعهم جميعاً. والذي يجعلنا نؤمن ولا نشك بسبب شكهم ليس أمراً غريباً بل هو الإنجيل يسجِّل ما حدث بمنتهى الأمانة والصدق، وهذا هو الذي يجعلنا نصدِّق ولا نشك!

ثم قبل ذلك وبعد ذلك كله هل يوجد يقين لا يبدأ بالشك؟ أو يصير يقيناً بدون شك.

ثم هل شك البعض يمنع يقين القيامة من أن ينتشر ويسود كما يقولون: إن الاستثناء يثبت القاعدة. والشك لو نُظر إليه بعين الفحص غير المتحيِّز أو المندفع يُرى أنه هو يقين لم يكمل بعد. وأصدق تأكيد لذلك قول الرجل أبو الولد المريض حينما قال للمسيح: «إن كنت تستطيع شيئاً فتحنَّن علينا وأعنَّا. فقال له يسوع: إن كنت تستطيع أن تؤمن. كل شيء مستطاع للمؤمن. فللوقت صرخ أبو الولد بدموع وقال: **أؤمن يا سيِّد فأعن عدم إيماني**» (مر ٩: ٢٢-٢٤) وهي تعني تماماً: "أؤمن يا سيِّد فأعن شكِّي"

(7) F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 1022: "a view held from Jerome to Lagrange".

(8) J.A. Bengel, *op. cit.*, p. 488.

إرسالية الكنيسة

إرسالية كل الدهور

١ - إرسالية من مصدر السلطات : (١٨)

٢ ـ اذهبوا تلمذوا جميع الأُمم : (١٩ أ)

٣ ـ اذهبوا عمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس : (١٩ ب)

٤ ـ علِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به : (٢٠ أ)

٥ ـ تعهُّد بالتواجد المتواصل للعناية الإلهية : (٢٠ ب)

إرسالية الدهور كلها، مدعَّمة بسلطات سماوية فائقة لضبط الأرض وما عليها وإخضاع الإنسان لتاريخ الخلاص. فالكنيسة مغمورة بعناية من فوق وتدبير من تحت، وقوة قائدة وقوة دافعة وقوة حافظة. هي المسيحية استوطنت الزمن على الأرض لحساب السماء، لتنطلق بعد أن تكمِّل خدمتها لتستوطن السماء إلى الأبد. متغرِّبة عن الأرض ولكنها أهل بيت الله (أف ٢:١٩).

إرسالية الوصية العظمى ذات الكُلِّية التي لا تُنسى:

+ «دُفع إليَّ "**كل**" سلطان،
اذهبوا وتلمذوا "**كل**" الأمم،
علِّموهم أن يحفظوا "**كل**" ما أوصيتكم به.
وها أنا معكم "**كل**" الأيام».

لقد جمعها المسيح في نفس طويل لتملأ: "**كل قلبك**" و"**كل فكرك**" و"**كل نفسك**" و"**كل قدرتك**".

لقد بلغت هذه الخاتمة لإنجيل ق. متى فيما يخص الاستمرار في رسالة المسيح حتى إلى أقصى الأرض وعلى مدى كل الدهور، مبلغاً من الاتساع الواعي لمستقبل ما سيكون، مما أذهل العالِم الألماني الكبير هارناك فأخذ يقول:

[إن تعبئة هذا المانيفستو (المنشور الملكي) بهذه المعايير، جاءت كنقطة نادرة كتبها ق. متى وله في

أعماقه تقييمٌ وانطباعٌ عن شخص المسيح وعظمته، وما سوف يكون مستقبل عمله العظيم بوضع لا يمكن مجاراته ... فالإنسان لا يملك أن يقول أعظم من هذا وبمنطق آكبر من هذا](٩).

الكُلِّيةُ الأُولى:

١٨:٢٨ «فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ».

لم يعبأ المسيح بشكوكهم بل تقدَّم هو بالرغم من تراجعهم هم. لم يُدخل في حسابه ما ينقصهم لأن عنده ما يغطِّي حاجتهم ويزيد. فإن كانوا قد رأوه لا يملك أسباب التصديق الكامل لقيامته فهو قد ملك لهم ومن أجلهم كل السلطات في الأعالي وعلى الأرض. فلا يهم ما عجزوا عن استيعابه، إذ قد استوعب لهم كل سلطان في السماء وعلى الأرض، ليكون عوناً لهم في كل حين، ومصدر قوة وبرهان ويقين، ليثبِّتوا به قلوب الملايين ويردُّوا التائهين.

واصطلاح «تقدَّم يسوع وكلَّمهم προσελθὼν ἐλάλησεν αὐτοῖς» قيل في مرَّة سابقة في (٧:١٧) في موضوع التجلِّي إذ كُتب: «فتقدَّم يسوع ولمسهم προσῆλθεν καὶ ἁψάμενος αὐτῶν» وهنا تظهر لنا مدى السرِّيَّة المحيطة بهذا الفعل في هاتين المناسبتين. فهنا تقدُّم المسيح هو بمعنى ارتفع بهم إلى مستواه. فكما ارتفع بهم إلى مستواه وهو في حال التجلِّي: «ولمسهم وقال قوموا لا تخافوا» لأنهم كانوا قد «سقطوا على وجوههم وخافوا جدًّا» (مت ١٧: ٦و٧) حتى يزيل ما اعتراهم من عجز وقصور عن اللحاق به. هكذا حدث تماماً وبنفس الأسلوب والمعنى والمستوى في حال ظهور المسيح للأحد عشر وبعضهم في حالة شك! حتى يمدَّهم بتيار من مجاله المرتفع ليسدِّد عجز إيمانهم ورؤيتهم!

وفي الحالتين كان موات التلاميذ معطِّلاً عن بلوغهم التجلِّي أو القيامة. وهذا حال أولاد المائتين، فمن أين لابن التراب أن يقوى على التطلُّع في وجه ابن السماء أو ربِّها؟ وهل يرى الفاسد عدم فساد برؤيا كلِّيَّة أو كاملة؟؟ فإن كان موسى لم يؤتَ من القوة والنعمة ما يؤهِّله لرؤية وجه الله في مجده: «فقال (موسى) أرني مجدك» فكان الرد: «أجيز كل جودتي قدَّامك ... فتنظر ورائي وأمَّا وجهي فلا يُرى» (خر ٣٣: ١٨و١٩و٢٣). فإن عَجَزَ التلاميذ الأحد عشر عن أن يروا قيامته بالرؤية الصافية وهي قمة استعلانه، فكان عليه أن يجوز بكل جوده أمامهم: «دُفع إليَّ كل سلطان

(9) A. Harnack, Frankemöelle, 49, cited by F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 1094.

في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم». فعوض المشاهدة - للبعض - أُعطوا من لدنه سلطان الشهادة بقوة من السماء ونعمة من الأرض ليتلمذوا جميع الأُمم. فمن أعوزته المشاهدة تكفيه الشهادة لمن ملك السلطان في السموات والأرض. فالرب قد ملك ولبس القوة وتمنطق بها (مز ٩٣:١) وصارت الأرض كلها للرب ومسيحه (رؤ ١١:١٥). «فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمَّى ...» (أف ١:٢١)، «**وأمَّا عن الابن: كُرسِيُّكَ يـا الله إلى دهـر الدهـور** قضيب استقامة قضيب ملكك.» (عب ١:٨)

والابن ليس مجَّاناً قد حاز على كل مجد الآب وجلس عن يمينه، بل لأنه «أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس ... وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفَّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَنْ على الأرض.» (في ٢: ٧-١٠)

أخلى ذاته من مجد الأُلوهة ليأخذ خطايانا ويكفِّر عنها بدمه ويرتفع بنا إلى مكانه الأول. هنا المسيح يكلِّم تلاميذه من مكان مجده الذي كان له قبل إنشاء العالم، ليوقظ قلوبهم النائمة أنه ليس لنفسه يتكلَّم ولا لنفسه ينسب مجده، بل لهم الذين عسر عليهم أن يتعرَّفوا عليه مصلوباً ولا قائماً من الأموات. وهكذا تجاوز المسيح جهلهم ليجذبهم إلى نعمة حكمته لأنه - لهم وليس لنفسه - صار في المجد الذي كان له وصار لهم. وإن كان قد عسر عليهم أن يفهموا مَنْ هو الذي أقام لعازر من الموت أو ابنة يايرس وهو قائم أمامهم، فليعرفوه الآن وهو يقيم البشرية كلها من الموت الذي تملَّك علينا، ويدين الذين لا يعترفون بأن «يسوع هو رب لمجد الله الآب.» (في ٢:١١)

والآن يدرك القارئ جيداً لماذا قدَّم المسيح كُلِّيَّته الأُولى على السماء والأرض، ليسلِّم تلاميذه الشكاكين كليَّة رسالتهم الأُولى على كل الأُمم!!

الكُلِّيَّةُ الثانية:

١٩:٢٨ «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا (كل) جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ».

"الفاء" في بداية الكلام "فاذهبوا πορευθέντες οὖν" تفيد معنى: الآن وأنا قد دُفع لي كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا!! فليس ذهابهم عبثاً على أنفسهم ولا هو سخرة يدفعون أجر أتعابها، بل من المجد الذي لي يأخذون وبالسلطان الذي دُفع إليَّ في السماء والأرض يتسلَّطون

بالنعمة والروح القدس وباسم الآب، وبه يكرزون ويعمّدون. والآن تأتي "كل" الأُولى لترتاح على "كل" الثانية. فكل سلطان الابن صار هو العامل في التلاميذ لكل الأُمم. فالكل الثانية كابن للكل الأُولى ترضع من تعزيات السماء وتشبع وتغني عن جوع. فكل سلطان المسيح حطّ على كل الأُمم ليصنع منهم شعباً مبرَّراً:

+ «وأمَّا أنتم (كل الأُمم) فجنسٌ مختارٌ، وكهنوتٌ ملوكيٌّ، أُمَّةٌ مقدَّسةٌ، شعبُ اقتناء، لكي تُخبروا بفضائل الذي دعاكم مِنَ الظلمةِ (الوثنية) إلى نورهِ العجيب. الذين قبلاً لم تكونوا شعباً، وأمَّا الآن فأنتم شعبُ الله. الذين كنتم غير مرحومين، وأمَّا الآن فمرحومون.» (١بط ٢: ٩و١٠)

«فاذهبوا»:

هي قوة دفع نطق بها المسيح من مصدر سلطانه لتبقى معهم وتدوم حتى آخر لحظة من حياتهم وحياة العالم. فقد أخذها المسيح كمهمَّته الأخيرة والعظمى أن يضع العالم على ذراعي الصليب ليستمد من موته وحياته حياة الأبد عوض موت الخطية والعار. «فاذهبوا» هنا هي بمثابة نفخة من روح المسيح تبيد الشيطان وتقيم الميت، يصوِّرها ق. يوحنا هكذا: «ولمَّا قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس» (يو ٢٠:٢٢). أمَّا ق. لوقا فقد وضعها وضعاً حركياً بديعاً، إذ أمهلهم قليلاً حتى أرسل لهم هذه القوة المحسوسة بل المنظورة لتسكن قلوبهم وعقولهم وأرواحهم: «وها أنا أرسل إليكم موعد أبي فأقيموا في مدينة أُورشليم **إلى أن تُلبسوا قوة من الأعالي**» (لو ٢٤:٤٩). وهكذا بالحق والفعل سلَّمهم المسيح هذه القوة الديناميكية التي تستمد نورها ونارها من السماء، لتصنع لها تياراً من النعمة لا يكف ولا يهدأ، حتى يخرج من أفواههم وقلوبهم رجاءٌ حيٌّ يقيم ويدوم حتى آخر إنسان في العالم.

وهكذا تحوَّل **كل** سلطان المسيح لخدمة خلاص **كل** إنسان في العالم.

«وتلمذوا»: μαθητεύσατε

الملاحَظ هنا عدم استخدام أي من الاصطلاحات المعروفة للإرسالية: اخدموا اربحوا جدِّدوا عظوا علِّموا، ولكن تلمذوا؛ مع أنه أبطأ جميع أفعال الكرازة والبشارة والتعليم، فهو مَدرسيٌّ للغاية. والمعنى تربية مسيحية بالكامل كإنشاء مدارس للتعليم المدرسي البطيء لإخراج تلاميذ جدد للرب، على الأقل ثلاث سنوات ونصف كما تتلمذوا هم جالسين حول المعلِّم آكلين شاربين نائمين سائرين مسافرين برًّا وبحراً. إنها مشاركة حياة لحياة لتسليم أصول الحياة الجديدة. فهي تشمل

التبشير لكل القامات ليبلغ الجميع إلى ملء قامة المسيح. وهذا يعني أنه على أساس الرسل أنفسهم والأنبياء والمسيح حجر الزاوية تُبنى النفس وتنضج هيكلاً للرب. فهي مهمة جديدة في مفهوم التعليم لأنها كبناء روحي يحتاج إلى بنّائين حاذقين بأصول تربية الطفل والصبي والشاب والرجل والكهل. كل القامات تخضع لإعادة بناء روحي من القاعدة. هنا عمل الروح القدس أساسي، الذي يخاطب أعماق النفس ويبني الروح قبل العقل، والمشاعر قبل الجسد، والضمير الصالح الطيب الذي هو رقيب السماء في هيكل الإنسان. حيث تأتي المعمودية كختم مرور نحو السماء وقبول تبنّي بالروح للحصول على شركة أمينة وصادقة مع المسيح في جسده كعضو ملتحم بالأعضاء.

على أن أهم ما توحي إليه كلمة التلمذة عوض الكرازة والبشارة والخدمة هو التعبير عن بناء الشخصية. فالمسألة ليست معارف ومفهومات ومسلّمات بل بناء شخصية حيَّة متفاعلة بالروح مع المسيح والآب. المسيح هنا يكشف عن مفهوم حيوي جديد للكرازة وهو ميلاد حقيقي لشخصيات جديدة روحية حيَّة ونشطة وعاملة بالروح، التي يعبِّر عنها بولس الرسول بقوله: «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف (بدون برقع الناموس) كما في مرآة، نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها (من قامة إلى قامة) من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو ٣:١٨). وكحبة الحنطة التي تنمو حتى تأتي بالثمر، أو الهيكل الذي يُبنى: «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية. الذي فيه كل البناء مركَّباً معاً ينمو هيكلاً مقدَّساً في الرب. الذي فيه أنتم أيضاً مبنيُّون معاً مسكناً (هيكلاً) لله في الروح.» (أف ٢: ٢٠-٢٢)

+ «متمسِّك بالرأس الذي منه كل الجسد بمفاصل ورُبط متوازراً ومقترناً ينمو نموًّا من الله.» (كو ٢:١٩)
+ «صادقينَ في المحبة، ننمو في كل شيءٍ إلى ذاك الذي هو الرأس: المسيح، الذي منه كل الجسد مُركَّباً معاً، ومقترناً بمؤازَرةِ كُلِّ مفصَلٍ، حسب عملٍ، على قياسِ كُلِّ جُزءٍ، يُحصِّلُ نموَّ الجسد لبنيانهِ في المحبةِ.» (أف ٤: ١٥و١٦)

هذا النمو الذي يركِّز عليه ق. بولس هنا هو صنفان: نمو فردي على مستوى الاتحاد والنمو في المسيح يسوع، ونمو المؤمنين بالمسيح معاً لتكوين جسد المسيح الذي هو الكنيسة. فالتلمذة التي يقصدها المسيح تجمع هذين النموين معاً: نمو في المسيح ونمو في الكنيسة. تماماً كما كان الرسل. فالتلمذة تجمع بين النمو في الحياة الفردية الخاصة والنمو الجماعي معاً بصورة صحيَّة سليمة. فالذي يخفق في أن يبني نفسه في الرب ويلتصق به شخصياً بالحب والأمانة الذاتية يستحيل أن يصنع مع

الآخرين نمواً في جسد واحد للجماعة. لذلك التأكيد هنا على التلمذة إشارة إلى استمرارية عمل المسيح بين الأفراد لإنشاء وحدة واحدة من أفراد. وهذا منتهى قصد الإيمان المسيحي وعمل الكنيسة في العالم: «لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله – إلى إنسان كامل – إلى قياس قامة ملء المسيح ... صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس، المسيح.» (أف ٤:١٢–١٥)

فإن أردت أن تتصوَّر حقيقة حال الكنيسة في أحسن درجاتها، يمكنك أن تتذكَّر حال التلمذة في المسيح مع الرسل كما سجَّلها الإنجيل. حيث عبَّر عنها المسيح بأنها مهنة شريفة مقدَّسة هي مهنة صيد بكل فنونها، ولكن "صيد الناس" السمكات الكبيرة المقدَّسة، حيث التلاميذ أعضاء مهنة مقدَّسة واحدة يتبعون نظاماً وقانوناً واحداً لا يحيدون عنه. يقودهم الصيَّاد الأعظم الذي طرح شبكته على العالم وهو عتيد أن يسحبها وشيكاً من بحر العالم على شاطئ الأبدية ويفرز الجياد لحساب أبيه.

«كل الأمم»: πάντα τὰ ἔθνη

طموح المسيح هنا يفوق كل ما جاء في التوراة التي انطوت على **أُمة واحدة** خسرتها في النهاية وخرجت بلا شعب. هنا **كل الأُمم** مرة واحدة؟ نعم كل الأُمم وليس أقل من كل الأمم. فالشيطان أراد أن يمنح المسيح عالمه آنئذ الذي كان يعد على أصابع اليد إن هو تنازل عن ملكه السماوي وسجد له، فآل المسيح على نفسه أن يسقطه من هذا العالم، وراهن وهو مذبوح على صليبه بالعالم كله وبكل أُممه. فالدم الذي سكبه على الصليب هو كفؤ بكل قوة ومعنى وحساب أن يفدي العالم كله من كل خطاياه إن قَبِلَ العالم أن يؤمن به!! والآن هو مُرسِل تلاميذه القلائل ولكن وضع فيهم من روحه حتى تبقى الرسولية قائمة بهم وفيهم إلى آلاف السنين، إلى أن تبلغ الكلمة من أقصى السموات إلى أقصاها. فيراه كل بشر حتى وإن كان "الإيمان ليس للجميع". حيث سيتبرهن لكل قلب أن الذين آمنوا هم حقًّا كل العالم وأن "الجميع" هم "الجميع الكلي" بدون الذين ليسوا من الجميع! فاللاشيء لا يحسب شيئاً!! لأن كلمة الله ثابتة على ممر الدهور وما وعد به الله إبراهيم قائم وقد حقَّقه "نسله" ـ المسيح ـ حسب الوعد: «ويتبارك في "نسلك" (مفرد) جميع أُمم الأرض»(١٠) (تك ٢٢:١٨). والآن قد بدأ تنفيذ الوعد: «تلمذوا جميع الأُمم»!! وهكذا انتهى

(١٠) «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تك ١٢:٣)، «ويتبارك به جميع أُمم الأرض.» (تك ١٨:١٨)

الإنجيل من حيث بدأت التوراة!! وتمت نبوَّة إشعياء النبي عن المسيح في وسط السنين:

+ «أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأُمم.» (إش ٤٢:٦)

+ «فقد جعلتك نوراً للأُمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض.» (إش ٤٩:٦)

كما تمت نبوَّة دانيال النبي عن ابن الإنسان:

+ «فأُعطي سلطاناً (ابن الإنسان) ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأُمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض.» (دا ٧:١٤)

وردًا على هذه الإرسالية الأُولى لكل الأُمم لتأخذ طريقها إلى كافة بلاد العالم نقول إن الكنيسة تقاعست أخيراً عن إرساليتها العظمى، واكتفت كل كنيسة بواقعها داخل حدودها وانخمدت نار الإرسالية المسكونية التي ألهبت صدور الأجيال الأُولى والأخيرة على السواء، وحلَّت محلها حركات السياحة المسكونية وربما الجاسوسية المسكونية لاستغلال الأُمم الضعيفة وابتلاع الكنائس المحتضرة. وإن كنا نصرخ لماذا تأخَّر الرب عن مجيئه، فلأننا تراخينا عن حمل الشعلة إلى البلاد البعيدة. إذ لا يأتي الرب إن لم يصل الإنجيل إلى كافة أطراف الأرض ويصيِّر تلاميذ له ينتظرونه في كل أُمم العالم. وصوت الرب لا يزال يطالب، اطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده لأن الحصاد كثير والفعلة قليلون (مت ٩:٣٧). فإن صحَّ هذا القول على مدى إسرائيل أيام الإنجيل، فكيف الحال الآن والقيامة أُعلنت لكل العالم والحصاد أصبح بالأُمم وليس بالأفراد.

أمَّا العلماء الذين ينتقدون صحة هذه الإرسالية العظمى مع بقاء زمانها قبل سفر الأعمال، لأن في ذلك الزمان كانت الكرازة لمدن في الأُمم كأنها بدعة جديدة. فكيف يفسِّرون قول ق. بولس عن ق. بطرس الأول بين التلاميذ إنه **رسول ختان** أي لليهود فقط وانقسم التلاميذ إلى رسل ختان (١٠) ورسول أُمم واحد!! «إذ رأوا أني اؤتمنت على إنجيل الغرلة (الأمم) كما بطرس على إنجيل الختان»؟ (غل ٢:٧) - إلى هؤلاء العلماء نقول: بل اسألوا واندهشوا أن هذا الكلام قيل بحذافيره لتلاميذ "شكُّوا" (١٧:٢٨) في القيامة؟؟ أليس هذا يوضِّح أشد الوضوح أن موضوع الكلام يفترق زمناً ويفترق فكراً ويفترق قدرة وتنفيذاً عن أيام التلاميذ هذه وهم في حالة شك من القيامة؟ الذي يعني أننا قبل يوم الخمسين بخمسين يوماً والعقول عن النور معتمة وبغياب الروح غارقة في أفكار وظنون وخوف ورعدة؟ أو اسألوا سفن الصيد التي ضبطها المسيح وهي تحمل بطرس ومعه ستة تلاميذ آخرين يصطادون قيتهم من جديد!! إذن فالوصية العظمى هنا بالإرسالية لكل الأُمم سُجِّلت

قبل أوانها للكنيسة، كما سُجِّل عشاء الفصح والدم المسفوك قبل الفصح وقبل الصليب، حتى إذا كان تؤمنون يا سادة. فالروح حينما يتكلّم وحينما يعلّم لا يحدّه الزمان والمكان، فالأُمم في نظر المسيح المقام «هوذا الأُمم كنقطة من دلو وكغبار الميزان (الذي لا يحسبه الميزان) تُحسب ... كل الأُمم كلا شيء قدّامه من العدم والباطل تُحسب عنده» (إش ٤٠: ١٥و١٧). ولكنه جاء وصُلب من أجلها عن اهتمام ورضى ومسرَّة.

فإن كان إشعياء قد أحسَّ بالقيامة والإرسالية القادمة لكل الأُمم قبل موعدها بسبعمائة سنة، ألا يحسّها المسيح وهو ربها ومرسلها قبل ميعادها بخمسين يوماً!

+ «فقال لهم ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه. لكنكم ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أُورشليم وفي كل اليهودية والسامرة **وإلى أقصى الأرض**. ولمّا قال هذا ارتفع وهم ينظرون.» (أع ١: ٧-٩)

«وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»:

الفعل الأساسي في الجملة باليونانية هو: "تلمذوهم"، ومن بعده تأتي عمِّدوهم ثم علِّموهم. ولكن هذه الأفعال لا تأتي بهذا الترتيب عملياً، لأنه وإن كان بحسب الفكر الكنسي أن العماد هو المصدر الذي يستمد منه المتعمِّد الروح القدس، والروح القدس هو روح الحق وبالتالي روح التعليم الذي يستمر معه طول حياته، ولكن الفعل الكنسي من الوجهة اللاهوتية لا يعمِّد إلاَّ مَنْ تعلَّم. والسبب في وضع التعليم بعد العماد من وجهة نظر المسيح والإنجيل أنها هي عملية التلمذة في صورتها الدائمة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى أكثر إلحاحاً أن التلمذة ستبدأ بين الأُمم على مستوى كبار السن رجالاً ونساءً، كدعوة للرجوع إلى الله من عبادة الأوثان. هنا يهتم المسيح وتهتم الكنيسة بالدرجة الأُولى بإجراء العماد أولاً حتى يستطيع المعمَّد بالروح القدس أن يجحد الشيطان، ويقول إن المسيح رب لمجد الله الآب، التي لا ينطقها إنسان إلاَّ بالروح القدس (١كو ١٢: ٣).

فالكلام إذا فحصناه أيضاً على مستوى حاضر الكنيسة حيث التعميد يتم في الطفولة المبكِّرة لا يجوز أن يتأخَّر العماد حتى يكمل التعليم، إذ لابد من المعمودية أولاً، لهذا يصبح التعليم في وضعه الدائم بعد العماد.

لذلك نحن هنا أمام مفارقة ليتورجية على أساس لاهوتي، إذ كان ينبغي أن يتأخَّر العماد حتى إلى أن يكمل التعليم ليصبح العماد صحيحاً، كشركة في موت الرب، إعداداً واستعداداً للقيامة.

ولكن من جهة عملية تعليمية يلزم بحسب الواقع أن يبدأ الرسل بالعماد أولاً ثم التعليم، حتى يضمن إعداد الداخل في الإيمان لقبول نعمة الروح القدس كأعظم عامل لتكميل الخلاص. وكل ما يُطلب من المعمَّد الجديد من جهة التعليم أن يتوب عن الأعمال الميتة والخطايا التي تحرم الإنسان من الشركة مع الله والروح القدس، حتى يستحق قبول العماد والروح القدس.

«عمِّدوهم "باسم"»:

الاسم هنا هو الاسم الذي سيلتحق وراءه المعمَّد ويتتلمذ ويُبنَى على أساس طاعته والتمسُّك به والدعاء أيضاً به: «أبانا الذي في السموات، ليتقدَّس اسمك». وهو يتقدَّس لنا وفينا حينما نعتز به ونكرِّمه ونمجِّده ونسجد له ونحبه ونضعه كالأعلى والأعظم من كل اسم. فحينما يعتمد مؤمن بالاسم فهذا يعني اعتماداً عليه وحده موتاً وحياة: «إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت. فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن.» (رو ١٤:٨)

باسم أو لاسم أو في اسم أو على اسم:

باسم أو لاسم:	εἰς τὸ ὄνομα	(مت ٢٨:١٩، ١كو١:١٢و١٣، غل ٣:٢٧).
في اسم:	ἐν τῷ ὀνόματι	(١كو ٦:١١) اغتسلتم ... في اسم الرب يسوع.
على اسم:	ἐπὶ τῷ ὀνόματι	(أع ٢:٣٨).

وكلها جائزة، ولكن ق. بولس يفضِّل "يعمَّد باسم εἰς": «كل واحد منكم يقول أنا لبولس وأنا لأبولُّس وأنا لصفا وأنا للمسيح. هل انقسم المسيح، ألعلَّ بولس صُلب لأجلكم أم **باسم** (εἰς into) بولس اعتمدتم» (١كو ١: ١٢و١٣). ولكن ولو أن ق. بولس جعلها "العماد باسم" ولكن عاد ينسب المعمَّد لِمَنْ اعتمد له "أنا للمسيح ἐγὼ δὲ Χριστοῦ".

والصحيح أن معنى المسيحية يحتِّم أن المعمَّد يعتمد للمسيح كما جاءت في (١كو ١:١٣) وكذلك في (١كو ١٠: ١و٢): «جميعهم اجتازوا في البحر، وجميعهم اعتمدوا لموسى εἰς في السحابة وفي البحر».

لذلك يحبِّذ العالِم هندريكسن[١١] أي "باسم" into the name: «فقال لهم: فبماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية εἰς يوحنا ... فلمَّا سمعوا اعتمدوا باسم εἰς الرب يسوع.» (أع ١٩: ٣و٥)

(11) W. Hendriksen, *op. cit.*, p. 1001.

ولكن معروف أن الذي يعتمد يعني أنه يُدفن **مع المسيح في** المعمودية، ليموت **معه**، ليتحد **به**، ويصير **فيه** ويُحسب **له**، لذلك أصبح من المستحيل اختيار حرف دون آخر فالكل وارد!!

+ «وبه (فيه ἐν) أيضاً ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح. مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات.» (كو ٢: ١١و١٢)

على أن المعمودية هي السر الأول لدخول المؤمنين وانتمائهم للمسيح ***Initiation sacrament*** لمنح قوة الروح لتثبيت الإيمان لحساب المسيح، حيث يصبح الإنسان مملوكاً للمسيح والنعمة، لينضم كعضو حيّ في جسد المسيح أي الكنيسة، لعبادة الله الآب بالروح القدس: «الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له (بالروح والحق)» (يو ٤: ٢٣) وليصير واحداً من أهل بيت الله. والمعمودية ليست مجرَّد إجراء طقسي بل فعل روحي لتقبُّل قوة النعمة. ولذلك فإن قول ق. متى: «عمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» يعني في الحال دخول المؤمن في شركة الآب والابن والروح القدس. والمعمودية فعل تقديس وتبرير: «إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدَّسين (المعمَّدين) في المسيح يسوع المدعوِّين قديسين مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان» (١كو ١: ٢). أمَّا مفاعيل المعمودية المدعوة اغتسالاً فيقول عنها بولس الرسول: «وهكذا كان أُناس منكم (قبل المعمودية) لكن اغتسلتم (تعمَّدتم) بل تقدَّستم، بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو ٦: ١١)

إن المعمودية تُعتبر أهم أسرار المسيحية قاطبة، لأن بها يُحسب المؤمن حاصلاً على موهبة الآب والابن والروح القدس، أي معترفاً ومؤمناً وشريكاً في قداسة الثالوث الأقدس. وقد وضعها المسيح هنا كحجر أساس في عمل الإرسالية الأعظم. فهي تقدِّس أي تعطي صلة اتحاد بالقدوس وتُدخل المؤمن ليصبح من أهل بيت الله. والتعميد عملية اتحاد والتحام المؤمن بالمؤمنين. فهو سر توحيد وتجميع تحت سلطة الله الواحد والكنيسة الجامعة لعمل جسد المسيح. على أن التعميد باسم واحد (بالمفرد) للآب والابن والروح القدس يفيد إفادة قاطعة أن الثالوث الآب والابن والروح القدس هو الله الواحد. فالتعميد لا يكون باسم الآب وباسم الابن وباسم الروح القدس، بل باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

وهكذا حينما تنفتح عين الإنسان المولود جديداً لله يرى في المعمودية اعترافاً راسخاً بوحدانية الله كاختبار فعلي لعمل الآب والابن والروح القدس في ميلاده الجديد. فالمعمودية تذوُّق ماهية الله

اللاهوتية كفعل ولادة بالروح، حيث الآب يلد والابن يتمخَّض والروح القدس يُخرجنا إلى الوجود الحي في الله. ولكن المعمَّد يخرج موسوماً باسم المسيح كابن في الابن بالروح القدس لله الآب، ليأخذ من اسم المسيح بنوَّة لله الآب بالروح لحياة أبدية. وبمجرَّد ميلاد المعمَّد باسم المسيح يشهد له في الحال الروح القدس أنه ابن الله مع المسيح في الروح لميراث ملكوت السموات: «ليفتدي (المسيح) الذين تحت الناموس لننال التبني. ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً (بفمكم) يا أبا: الآب. إذاً لست بعد عبداً بل ابناً. وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح.» (غل ٤:٥-٧)

والقديس بولس يصف عمله الذي يُهيِّئ به المؤمنين لقبول فعل العماد كأنه يتمخَّض بهم ليولدوا على صورة المسيح هكذا: «يا أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم» (غل ١٩:٤). وق. بولس يكرِّر أن الروح هو الشاهد لميلادنا الجديد من الماء والروح: «بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ (منادين الله) يا أبا: الآب. الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح.» (رو ٨: ١٥-١٧)

وقول ق. متى بلسان المسيح: «عمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» هنا ذكر الابن هو اعتراف إنجيلي من فم المسيح بلاهوت المسيح في الثالوث المتساوي: الله الآب والابن والروح القدس. وهكذا من بدء قانون التعميد في إنجيل ق. متى تقرَّر في كنيسة الله لاهوت المسيح المساوي للآب في كل شيء.

«والروح القدس»:

وإليه تُنسب عملية العماد برمّتها، ومع أن التعميد هو باسم الثالوث الآب والابن والروح القدس، إلاَّ أن المعمودية تتم في الروح القدس أو بالروح القدس، كالعامل صاحب الفعل الداخلي ليعطي المعمَّد النقلة من وضعه المادي: الإنسان العتيق إلى وضعه الروحي: الإنسان الجديد، كخليقة روحانية على صورة خالقه في البر وقداسة الحق. فبالروح القدس يولد (ثانية من فوق) المعمَّد من الماء بالروح لله. فالنقلة تتم من بنوَّة لآدم بالجسد الترابي المولود به الإنسان إلى حالة البنوَّة الروحية كمولود للآب في الابن بالروح القدس. ذلك اعتماداً على أن الإنسان يشارك عند التغطيس في الماء الإيمان بأنه مات مع المسيح ودُفن، وعند الخروج من الماء يشارك في القيامة ويعتبر أنه قام مع المسيح. حيث القيامة هي قيامة بالروح لشركة في جسد القيامة الحي بالروح والحاصل على الحياة الأبدية. ولكن هذه القيامة بالروح وبالجسد الروحاني هي كالعربون ليعيشها في الحاضر الزمني كسبق تذوُّق للقيامة العتيدة المجيدة في المسيح للمشاركة فيها بالجسد الروحاني الكامل. لذلك يقول

قانون الإيمان: [وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي. آمين].

فالمعمودية هي شركة بالإيمان في موت المسيح الذي أكمله على الصليب ثم الدفن في القبر، وشركة بالإيمان في قيامته من الأموات. فالعامل في المعمودية لهذا الميلاد الجديد في الموت والقيامة هو الروح القدس في المسيح، **لأننا نولد ثانية من الروح القدس في المسيح لله الآب**: وأيضاً فإن المعمودية باسم الثالوث تعطي الروح القدس بقياس، لحاجة الميلاد الجديد في العالم إلى أن يزول الجسد بالموت المادي، وحينئذ يُستعلن هذا الميلاد الجديد في القيامة العتيدة كإنسان روحاني جديد في كامل عمله وعطية الروح القدس، لممارسة شركة الحياة الأبدية مع الله الآب وابنه الرب يسوع المسيح.

على أن المسيحي المؤمن المعمَّد والشاهد للمسيح هو مولود بالله الروح في الله الابن لله الآب. أي الله الواحد في الملء المتحصِّل بحسب الإيمان. وبالنهاية نقول: إن عمل الروح القدس ولو أنه رائد في التعميد إلاَّ أنه متساوٍ تماماً مع عمل الآب والابن على التوازي: «**لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا** إلى جسد واحد، يهوداً كنَّا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً. **وجميعنا سقينا روحاً واحداً**» (١كو ١٢:١٣). وعليه أصبحت الحياة المسيحية للمعمدين تستمد وجودها وكيانها من مصدر واحد:

+ «مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسدٌ واحِدٌ، وروحٌ واحِدٌ، كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد (أي الحياة الأبدية التي نعيشها معاً). ربٌّ واحِدٌ، إيمانٌ واحِدٌ، معموديةٌ واحِدَةٌ، إلهٌ وآبٌ واحِدٌ للكلِّ، الذي على الكل وبالكل وفي كلكم. ولكن لكل واحدٍ منَّا أُعطيت النعمة **حسب قياس هبة المسيح**.» (أف ٤: ٣-٧)

وهبة المسيح تتنوَّع حسب حاجة الكنيسة أي الجسد الواحد:

+ «فأنواع مواهب موجودةٌ، ولكن الروح واحدٌ.» (١كو ١٢:٤)
+ «وأنواع خِدَم موجودةٌ، ولكن الرب واحِدٌ.» (١كو ١٢:٥)
+ «وأنواع أعمالٍ موجودةٌ، ولكن الله واحِدٌ، الذي يعمل الكل في الكل.» (١كو ١٢:٦)
+ «ولكنه لكل واحدٍ يُعطَى إظهار الروح للمنفعة.» (١كو ١٢:٧)
+ «ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحدٍ بمفرده، كما يشاء.» (١كو ١٢:١١)

وسيظل الثالوث الأقدس يخيِّم على المعمَّدين المتحدين في الجسد الواحد والعاملين بالروح

الواحد هكذا:

+ «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم. آمين.» (٢كو ١٣: ١٤)

وتسير الكنيسة من يوم إلى يوم: «بمقتضى عِلم الله الآب السابق، في تقديس الروح للطاعة، ورشِّ دَمِ يسوع المسيح. لتكثر لكم النعمة والسلام.» (١بط ١: ٢)

أمَّا كيف يأتي ويعمل الروح القدس فقد استوفاه إنجيل القديس يوحنا هكذا:

+ «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد.» (يو ١٤: ١٦)

+ «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأمَّا أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم.» (يو ١٤: ١٧)

+ «وأمَّا المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب **باسمي** فهو يعلِّمكم كل شيء ويذكِّركم بكل ما قلته لكم.» (يو ١٤: ٢٦)

+ «وأمَّا متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلَّم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلَّم به ويخبركم بأمور آتية.» (يو ١٦: ١٣)

+ «ذاك يمجِّدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. كل ما للآب هو لي. لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم.» (يو ١٦: ١٤و١٥)

وهنا أيضاً لمحة مبدعة في إنجيل ق. مرقس إذ يبتدئ إنجيله بعماد المسيح والأقانيم الثلاثة ظاهرة ومستعلنة: الآب بالصوت في السماء يدعو لابنه وهو في الماء والروح القدس نازلاً بهيئة جسمية مثل حمامة، وشاهد يرى ويسجِّل وهو يوحنا المعمدان. وبهذا المنظر عينه ينتهي إنجيل ق. متى بإعلان المسيح عن العماد على المثال تماماً: الآب والابن والروح القدس.

وهكذا يهب المسيح معموديته الخاصة في بدء إنجيله كمثال وينهي إنجيله بالمعمودية عينها للجميع، يبدأ بها باعتبارها "نكمِّل كل بر" ويُنهي بها باعتبارها تُكمِّل كل خدمة.

الكُلِّيَّة الثالثة:

٢٨: ٢٠أ «وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا كُلَّ (جَمِيعَ) مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ».

«وعلِّموهم»: διδάσκοντες

وصحتها بحسب الأصل اليوناني: «معلِّمين إياهم teaching». وهكذا يقرن التعليم في ذهابهم

وتلمذتهم ومعموديتهم. وهكذا يجيء فعل التعليم أو وصية التعليم شاملة عاملة في كل ما يقومون به في إرساليتهم. لذلك تُعتبر وصية التعليم أكبر حقيقة في مضمون الإرسالية. ويقول العالِم برين Perrin[(١٢)] إنَّ هنا يذكر المسيح لأول مرَّة فعل التعليم διδάσκοντες في كل الإنجيل كوصية خاصة للتلاميذ. ومن هنا يعتقد هذا العالِم أن هذا الفعل "علِّموهم" هو محور إرسالية المسيح لتلاميذه وأنه يبرز الطابع التعليمي لإنجيل ق. متى[(١٣)].

وإليك أيها القارئ العزيز ملخَّص غاية في الاختصار عن ما رآه العالِم كيلباتريك[(١٤)] في إنجيل ق. متى باعتباره إنجيلاً تعليمياً ليتورجياً بالدرجة الأُولى:

[في الوقت الذي بدأ فيه ق. متى يجمع إنجيله، كان إنجيل ق. مرقس قد بدأ استخدامه في الكنيسة في الأغراض الليتورجية (أي خدمة الكنيسة في القراءات لكل المناسبات وفي إقامة الأسرار) وذلك لعدة سنوات بينما الأجزاء الخاصة بإنجيل ق. متى كان قد ابتدأ ق. متى بتسجيلها بنفسه. وفي ذلك الوقت دخل الإنجيل في الاستعمال والرؤية الكنسية باعتباره أصلاً هو لخدمة الليتورجية أي الخدمات الكنسية. وصار التزاماً عند شرح نصوص الإنجيل أن يراعى بشدة مدى الاتصال بين الشرح المقدَّم وبين نص الكلمات والأعمال في الإنجيل كمراجع أساسية. ثم بدأ مثل هذا الشرح التوثيقي بالنصوص الإنجيلية عند التكرار مراراً أن يتحوَّل إلى ما يعتبر تقليداً محدداً. والذي بدوره سُمح له أن يدخل في الخدمة الليتورجية. في هذا الوقت بدأ تقليد ق. متى الكنسي في إنجيله يُراجع باعتباره النسخة الأخيرة للإنجيل].

والذي رجَّح فكرة أن إنجيل ق. متى روجع على أساس الخدمة الليتورجية في الكنيسة دون أن يُضاف إليه أي شيء، هو تعمُّد ق. متى إلى تقسيم إنجيله إلى خمسة أجزاء واضحة المعالم، لكي تصلح لخدمة خمسة أغراض الخدمة الليتورجية في الكنيسة على أساس النصوص الإنجيلية (انظر صفحة ١٠٨ في المقدِّمة). أمَّا لماذا قسَّم ق. متى إنجيله إلى خمسة أجزاء فهذا واضح لكل فاحص وباحث أنها على نمط التوراة وخمسة أسفارها الأساسية التي كانت تقوم عليها كل التعاليم والأعمال والممارسات الليتورجية في الهيكل والمجمع، باعتبار أن الإنجيل هو التوراة الجديدة. ولكن اقتباسات

---

(12) N. Perrin, *The Resurrection*, 1977, p. 49, cited by F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 1102.

(١٣) راجع المقدِّمة صفحة ٤٤-٤٦.

(14) G.D. Kilpatrick, *The Origins of the Gospel according to St. Matthew*, 1946, cited by Krister Stendahl, *The School of St. Matthew and its Use of the Old Testament*, 1954, p. 20.

ق. متى من النصوص النبوية من العهد القديم من جميع الكتب والمزامير والأنبياء يوضِّح أن الإنجيل والتوراة وحدة واحدة متماسكة إلى أقصى حد، يستحيل الاستغناء عن الواحدة بالأخرى.

على أن العلماء مثل بولتمان، و. روبنسن يرجِّحون كفة استخدام إنجيل ق. متى للتعليم أكثر منه للخدمة الليتورجية. أي أن إنجيل ق. متى هو كاتشزم الكنيسة الأول للتعليم. ومما يرجح قولهم هذا وجود تعاليم خاصة بالمبتدئين مع تعاليم في نفس الوقت خاصة بالأساقفة والكهنة والمسئولين الكنسيين. فهو إنجيل تعليم كامل شامل، أو الكاتشزم الكامل والكلِّي للكنيسة. ورأيُنا نحن في قول الذين يقولون بأنه للخدمة الليتورجية، وفي قول الذين يقولون لا بل للتعليم العام، أنَّ أوضح ما في إنجيل ق. متى هو انفراده بتحويل جميع الحوادث والأمثال والمعجزات إلى صيغة تعليمية، الأمر الذي استرعى انتباهنا جدًّا ولاحقناه في كل فقرة من فقرات الإنجيل لننبِّه ذهن القارئ على مدى قراءة الإنجيل كله أنه إنجيل للقارئ والسامع، للتعليم والبناء. وإنجيل بهذا الوضع هو حتماً إنجيل كنسي. وهذا هو الواقع العملي في الكنيسة القبطية. فأكثر إنجيل يُقرأ في قراءات الكنيسة على مدار السنة هو إنجيل ق. متى.

وإليك الجدول الناطق بهذه الحقيقة مما يؤكِّد قولنا إنه إنجيل ليتورجي كاتشزمي بالدرجة الأُولى:

عدد القراءات من كل إنجيل في الكنيسة على مدار السنة

المناسبات الكنسية	متى	مرقس	لوقا	يوحنا
الأيام العادية في القطمارس السنوي	٤٢٥	١٦٢	٣٤١	١٧٠
الآحاد في القطمارس السنوي	٣٠	٢٢	٤٩	٢٢
الصوم الكبير	٣٠	٢٠	٥٥	١٦
أسبوع الآلام	٢٩	١٧	١٧	٢٩
الخمسين المقدَّسة	٢٤	٣٠	٢٨	٦٦
المجموع	٥٣٨	٢٥١	٤٩٠	٣٠٣

والآن رجعة إلى «علِّموهم أن يحفظوا جميع ما قلته لكم»:

بالملاحظة والفحص نجد أن أهم ثلاث كلمات جاءت في خطاب الإرسالية العظمى والأخيرة للتلاميذ هي: تلمذوا، عمِّدوهم، علِّموهم.

وهذه الأفعال الثلاثة هي في حقيقتها الإلهية ثلاث حركات بطيئة تستغرق العمر كله، وتمتد نحو الاقتراب من المسيح حتى الاتحاد بالروح. فبالتعليم يتتلمذ المؤمن أي يقترب غاية القرب الروحي والفكري بالمسيح ويتبعه من كل القلب. ثم بالمعمودية إن كانت أولاً أو أخيراً، سيَّان، يتم الاتحاد بالسر الإلهي، بمعنى يكمِّل الله بالروح ما بدأه الفكر والقلب. أمَّا الإفخارستيا فهي تقدِّم خبزنا كفافنا وتسقينا الحب مذبوحاً.

ثم انظر معي قارئي العزيز إلى هذه الأفعال الثلاثة التي أودعها المسيح قلب الكنيسة ووعيها: التلمذة والمعمودية والتعليم. وتعجَّب معي. هل بعد هذه الثلاثة فعل؟ أو إنجيل؟ مجداً لله الذي جعل لنا في إنجيله كمال الكمال!

▪ فلو تأمَّلنا في فعل "تلمذوا" = ماثيتفساتيه = μαθητεύσατε في وضعه كفعل أمر هو الفعل الأساسي الوحيد في الجملة كلها وبقية الأفعال تابعة له وملحقة به، نفهم بالتالي وبيقين أن المسيحية تلمذة!!

▪ أمَّا لو تأمَّلنا الفعلَيْن الآخرَيْن المتصلَيْن أشد الاتصال سواء في الصيغة والنطق أو في المعنى وهما: "بابتيزونتس"، "ديداسكونتس" = βαπτίζοντες, διδάσκοντες نجد أنهما معاً هدفٌ واحد للتلمذة. فالمعمودية هي هدف **الإنجيل** بل هدف المسيحية، أمَّا التعليم فهو **الإنجيل** وهو المسيحية.

«أن يحفظوا»: τηρεῖν

"أن يحفظوا" = keep تعني يخبِّئه داخل القلب. في هذا الفعل تقع المسئولية الكبرى على المعلِّم بالنسبة للتلميذ، فليس بمجرد التلاوة يمكن للتلميذ أن يحفظ في القلب، وإلاَّ لما قال بمنتهى الاختصار والوضوح: «علِّموهم أن يحفظوا». فالحفظ هو فن التعليم أو هو الكاشف لمهارة المعلِّم وحذقه، أو قُل الكاشف عن النعمة التي يُعلِّم بها!! فالمنهج واحد ولكن تلاميذ ينجحون وتلاميذ يعيدون وتلاميذ يُطردون. والعيب يتقاسمه المعلِّم والتلميذ. فالمعلِّم الموهوب لا يرسب له تلميذ. والمعلِّم الذي لا يحب العلم ولا يحب التلميذ إن نجح له تلميذ فهو الذي قد استغنى عن المعلِّم!

ولكننا نحن هنا بصدد رسول للمسيح وتلميذ للحق يعلِّم من إيمانه، من حبِّه للمسيح، من بذله كرامة للمصلوب، من خوفه على الوديعة التي سلَّمها إليه المسيح، من حبه لأبنائه في الرب كأب. فالتلميذ يرضع من روح المعلِّم ليبقى في قلبه ذخراً وذخيرة. يحفظها بروحه وقلبه ولسانه ليردِّدها مدى الحياة. فعجيب هنا المسيح غاية العجب أن يربط التعليم بالحفظ τηρεῖν διδάσκοντες.

فإن لم ينته التعليم بالحفظ فهو ليس تعليماً. إذن فالتعليم والحفظ كلمة واحدة، مفهوم واحد، وصية واحدة للمعلِّم وللتلميذ.

وهنا لا يمكن أن نتجاوز قول الرب توضيحاً وتأكيداً: «إن أردت أن تدخل الحياة **فاحفظ** الوصايا» (مت ١٩:١٧). ولكن يوضِّح المسيح أكثر أنها ليست وصايا التوراة بل «جميع ما أوصيتكم به».

«جميع ما أوصيتكم به»: πάντα ὅσα ἐνετειλάμην

المعنى الأصلي باليوناني يختلف عن الترجمة العربية إذ يفيد: **كل مهما كان** = **πάντα ὅσα** والتي تفيد معاً الكل المطلق = absolutely all[١٥]. والتي تفيد تتبُّع الوصايا بتدقيق كما أُعلنت تماماً. فهنا التدقيق في معنى الوصية بدقة وفي مجموعها بحيث لا يفلت منها شيء. حيث المطلوب من الكنيسة الطاعة المميِّزة المدقِّقة في المعنى والمقصد والغاية من الوصية. إنها مدرسة ق. متى بكل احترام!! وهذا المعنى الضخم لكلمة "كل" فات على المترجم بإسقاطه كلمة مهما ὅσα، للأسف.

والذي تتبع معنا شرحنا لآيات إنجيل ق. متى وتدقيقنا الشديد والمتعمَّد للالتزام بالنص اليوناني يُدرك الآن لماذا كان هذا التدقيق والفحص بلا هوادة، حينما يواجه الحقيقة الأخيرة بقول المسيح من جهة وصاياه: معلِّمين إياهم بكل مهما كان (بالكل المطلق) حسب قدرة المعلِّم وقدرة التلميذ وقدرة الطاعة والأمانة!!

فالإنجيل يا أحبَّه، هو متعة العالِم ومتعة التلميذ بل ومتعة المعلِّم بسبب عمق واتساع وجديَّة وصايا يسوع: «لكل كمال رأيت حدًّا، أمَّا وصيتك فواسعة جداً» (مز ١١٩:٩٦). والمعنى يتعدَّى الاتساع أو العمق بالمفهوم العقلي. ولكن وصية المسيح كلما أعدْتَ قراءتها فهمْتَ أكثر، فإذا درستها أدركت أعماقاً جديدة، فإن أنت جعلتها موضوع معرفتك ودراستك وتأملاتك ومسرتك فإنك تجد فيها - كلما زدت - علماً ومعرفة وفهماً جديداً. فهنا تعليم وصايا المسيح: "كلها مهما كان" هو علم الحياة ودراسة العمر ونعمة النظر الروحاني وشركة الروح القدس في سر المسيح.

وبهذا نفهم من الاصطلاح الفريد الذي لم يأتِ مثيلٌ له في كل دراساتنا **πάντα ὅσα**: "كل مهما كان" في وصية المسيح الأخيرة لتلاميذه من جهة تعليم الأُمم، أن الإنجيل أصلاً الذي هو: "كل

(15) F.D. Bruner, *op. cit.*, p. 1103.

وصايا المسيح مهما كان" قُدِّم لنا بالروح القدس بانتظار أو برجاء: «مَنْ يحفظ» مَنْ "يدرس ويستوعب"، مَنْ "يعيش الوصية"، مَنْ "يتغنى ويتعزَّى ويرتِّل بالوصية"، مَنْ يأكل الوصية: «فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (يو ٦:٥٧)، «وُجِدَ كلامك فأكلته.» (إر ١٥:١٦)

ألا تجد معي أيها القارئ العزيز أن بقول المسيح الوداعي أن "علِّموهم **كل على الإطلاق** ما أوصيتكم به" قد حُفظ لنا الإنجيل حفظاً كاملاً كلياً مطلقاً أيضاً. هكذا حُفظ وهكذا علينا أن نحفظه، وهكذا علينا أن نعلِّمه.

«أوصيتكم به»: ἐνετειλάμην ὑμῖν

هنا يحدِّد المسيح كل تعاليمه فيما قبل الصليب في الأقوال والأعمال الواضحة الصريحة المكرَّرة، ولم يتنح ناحية الأعمال المستيكية الكبرى فيما قبل وعلى وبعد الصليب. هذه لم يحمِّلها على أكتافهم، تلك التي شكُّوا فيها لأن فاقد الشيء لا يعطيه. فإن ظهر ق. يوحنا منفرداً في كل نواحي التعليم الروحية المستيكية فهو وبولس الرسول يُحسبان رسالة وإرسالية خاصة. وعلى وجه التحديد والخصوص بولس الرسول الذي بدأت علاقته بالمسيح فيما بعد الصليب بل وهو جالس عن يمين الله في الأعالي. وواضح غاية الوضوح هنا أن المسيح أرسل إرساليتين: الإرسالية الرسولية الأُولى حمَّلها على الرسل الأحد عشر، والإرسالية الخاصة والفائقة بجميع أسرار ما قبل الصليب من آلام وعلى الصليب من موت وما بعد الصليب من قيامة، فهذه لقَّنها لبولس الرسول تلقيناً خاصاً منفرداً لم ينله تلميذ آخر. وعلى هذا الأساس انقسمت الرسالة إلى إرسالية فيما قبل الصليب وإرسالية في الصليب والقيامة وجميع أسرارها. وعلى هذا الأساس انقسم الإنجيل للبشارة إلى الأناجيل الأربعة وهي مضمون الإنجيل، والرسائل مع الأعمال وهي لأعمال الفداء والخلاص التي برع فيها بولس الرسول وحده ومن انتحى ناحيته ولكن في انحصار ضيق. وقد خصَّ المسيح قديسه بولس العظيم بنعمة وعلم ودراية فائقة عن الرسل أجمعين في موضوع الفداء والخلاص:

+ «ولكن لمَّا سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيَّ لأبشِّر به بين الأُمم، للوقت لم استشر لحماً ودماً، ولا صعدت إلى أُورشليم إلى الرسل الذين قبلي.» (غل ١:١٥-١٧)
+ «إنما صعدت (إلى أُورشليم) بموجب إعلان (بمعرفة الرب) وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأُمم.» (غل ٢:٢)
+ «فإن هؤلاء المعتبرين (بطرس ويعقوب أخو الرب ويوحنا) لم يشيروا عليَّ بشيء، بل بالعكس

إذ رأوا أني أؤتمنت على إنجيل الغرلة (للأُمم) كما بطرس على إنجيل الختان (لليهود) فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيَّ أيضاً للأُمم، فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأُمم وأمّا هم فللختان.» (غل ٢:٦-٩)

+ «إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاةِ لي لأجلِكُم. أنه بإعلان عرَّفني بالسرِّ. كما سبقت فكتبت بالإيجاز. الذي بحسبه حينما تقرأُونه، تقدِرونَ أن تفهموا درايتي بسرِّ المسيح ... لي أنا أصغرَ جميع القديسين، أُعطِيَت هـذه النعمـةُ، أن أُبشِّرَ بين الأُمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأُنيرَ الجميعَ في ما هو شركة السرِّ المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح.» (أف ٣:٢-٩)

+ «حسب تدبير الله المعطى لي لأجلكم، لتتميم كلمة الله ـ السرِّ المكتومِ منذ الدهورِ (خلاص جميع الأُمم) ومنذُ الأجيالِ، لكنه الآن قد أُظهِرَ لقدِّيسيه، الذين أراد الله أن يعرِّفهم ما هو غنى مجد هذا السرِّ في الأممِ، الذي هو المسيحُ فيكم (الأُمم) رجاءُ المجدِ.» (كو ١:٢٥-٢٧)

+ «بولس عبدٌ ليسوع المسيح، المدعوُّ رسولاً، المفرز لإنجيل الله، الذي سبقَ فوعدَ بهِ بأنبيائه في الكتب المقدَّسة،» (رو ١:١و٢)

+ «لأن المسيح لم يرسلني لأُعمِّد بل لأُبشِّر، لا بحكمة كلام لئلاّ يتعطَّل صليب المسيح (موضوع خدمة رسولية ق. بولس) فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأمّا عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله ... ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة، وأمّا للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح (الصليب) قوة الله وحكمة الله» (١كو ١: ١٧و١٨و٢٣و٢٤)

+ «هكذا فليحسبنا (كل) الإنسان **كخدّام المسيح، ووكلاء سرائر الله**» (١كو ٤:١). ق. بولس الوحيد الذي يتكلَّم عن سرائر الله.

+ «ألست أنا رسولاً. ألست أنا حرًّا (حرَّره الابن) أمَّا رأيت المسيح يسوع ربنا.» (١كو ٩:١)

القديس بولس الوحيد الذي بشَّر بالموت وسبب الموت والدفن والقيامة والظهور بعد القيامة:

+ «وأعرِّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشَّرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه. وبه أيضاً تخلصون إن كنتم تذكرون أي كلام بشَّرتكم به إلاّ إذا كنتم قد آمنتم عبثاً. فإنني سلَّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب. وأنه دُفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب. وأنه ظهر لصفا ثم للاثني عشر. وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة

لأكثر من خمس مئة أخٍ أكثرهم باقٍ إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا. وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين. وآخر الكُل كأنه للسقط ظهر لي أنا. لأني أصغر الرسل، أنا الذي لست أهلاً لأن أدعى رسولاً لأني اضطهدت كنيسة الله. ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي.» (١كو ١٥: ١-١٠)

تعليم ق. بولس عن الموت والقيامة	(١كو ١٥:١٢-٢٣) أساس كرازة ق. بولس
تعليم ق. بولس عن كيف تُقام الأموات	(١كو ١٥:٣٥-٥٠) أساس كرازة ق. بولس
تعليم المصالحة مع الآب بموت المسيح	(٢كو ٥:١٨-٢١)
تعليم المسيح ألغى قوانين الناموس	(رسالة رومية)
تعاليم المصالحة بموت ابنه	(رو ٥:١٠)
تعاليم دخول الخطية والنعمة	(رو ٥:١٢-٢١)
شركة الموت في المعمودية والقيامة	(رو ٦:٣-١٤)
دخول الخطية بسبب الناموس الذي رفعه المسيح بذبيحة نفسه	(رو ٧)
كيف دان المسيح الخطية في الجسد	(رو ٨)

«خُدَّام سرائر الله» = القديس بولس خادم الأسرار المقدَّسة:

سر المعمودية ـ سر الإفخارستيا ـ سر الزيجة ـ سر التوبة ـ سر الشركة في المسيح والآب ـ طقس الموت. كل هذه التعاليم والوصايا اختص بها ق. بولس دون بقية التلاميذ بحسب نص الإرسالية الكبرى الأخيرة. لذلك لا نجد لهذه الأسرار في الأناجيل الأربعة وصايا أو تدبير أو طقوس ـ التي اختص بها ق. بولس وحده ـ سوى منطوق التعميد باسم الآب والابن والروح القدس الذي جاء في إنجيل ق. متى. وإرسال الباراقليط عن ق. يوحنا مع عمل الروح القدس في التعاليم والتذكير بكل ما علَّم به المسيح، وفتح ذهن التلاميذ ليفهموا الكتب عند ق. لوقا، ووصية الإيمان والمعمودية للخلاص مع الآيات والمعجزات عند ق. مرقس (١٦:١٦و١٧).

الكُلِّيَّة الرابعة:

٢٨: ٢٠ب **«وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ. آمِينَ».**

هل هذا وعد؟ لا ليس وعداً وإلاَّ فإن كنّا غير مستحقين له يوماً ما فلا يكون معنا!

«ها أنا معكم»: καὶ ἰδοὺ ἐγὼ μεθ᾽ ὑμῶν εἰμι

"ها": ἰδοὺ وتفيد انظروا تحقّقوا وعوا، حرف تنبيه لما هو آتٍ.

«أنا معكم»: ἐγὼ μεθ᾽ ὑμῶν εἰμι

الوضع يحتاج فعلاً إلى الانتباه، فهو لا يعطي وعداً، بل يعطي حقيقة قائمة، قائمة الآن وستبقى كما هي آنئذ ـ وهو معهم وهم معه يسمعون ويفهمون ـ كما الآن كذلك كل يوم وراء يوم حتى نهاية كل الدهور. إنها تستحق الانتباه غاية الانتباه. فالمسيح القائم من الأموات أعطى على نفسه وثيقة أو عهداً يظل بمقتضاه يرافق التلاميذ وتلاميذ التلاميذ، وكل عضو يلتحق بجسده في الكنيسة من يوم إلى يوم، لا يتركه يوماً واحداً. هذا عهد صدق وحق لأنه قاله وهو رب السماء والأرض وله كل السلطات على السماء وعلى الأرض. بمعنى أنه إن قال فهو يكون حتماً لأن المتكلِّم هنا هو الأزلي الذي الدهور السالفة كلها عنده كيوم أمس، والدهور القادمة كاليوم الحاضر ليس له غد. والمعنى بذلك واضح: أنا قد وهبت نفسي لكم إلى الأبد لأني وهبت نفسي لكم اليوم! فأنا قائم اليوم أمامكم ووهبتُ لكم ذاتي وسأبقى أنا هو القائم بذاتي في كل ما بقي لكم من الزمان. لا أتغيَّر ولا أتبدَّل، فلكم أن تمسكوا بي اليوم لكي تمسكوا بي كل الأيام إلى الأبد.

وإن أردتم أن تمسكوا بي إمساكاً فاحفظوا وصاياي: «إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي.» (يو ١٥: ١٠)

«كل الأيام»:

حلوها ومرّها، المشرق منها والتي انحجبت شمسها، التي آزرتها العافية والتي خانتها القوة، التي قبلنا فيها الأخبار السارة والمفرحة والتي تلقينا فيها الكسرة والهزيمة. يكفينا منها جميعاً أنه كان معنا!

كل الأيام تعني كل الزمان لأنه أخذ كل سلطان السماء وكل سلطان الأرض. سلطان السماء على الروح والروحيات، وسلطان الأرض على الزمن والزمنيات. وهو قبض على ناصية هذا وذاك. فإن قال أنا معكم كل الزمان فهذا يتحتّم لأنه حائز على كل سلطان الأرض، فاليوم كل يوم لا يولد من بطن الزمن إلاَّ بإشارة منه. فمبدع الأيام كيف لا يرعى فيها محبِّيه. والذي له كل سلطان السماء كيف لا يلحظ حركات الأرض أو يغيب عنه يوم من أيامها.

الآن ترى يا صديقي العزيز لماذا بدأ المسيح قبل أن يعطي أوامر إرساليته ليرسخ في أذهاننا أنه

صاحب كل سلطان إن في السماء أو في الأرض. لذلك فأوامره مسنودة بالسلطانَيْن، منهما تنبع وإليهما تنتهي.

فهو قبل أن يضع حمل الإرسالية على الأكتاف حملهم هم على كفّه. وقبل أن يثقّل عليهم بأوامره ثقّل بروحه على قلوبهم ورسم دائرة إرسالياتهم أمامه على خارطة الكون والدهور كلها موقّعة على السنتيمتر والساعة.

والعجب في الله أنه قبل أن يقول قوله يكون قد عمله، ثم يقارن بين عمله وما عملنا. وبقدر توافقنا معه يكون معنا!! «ها أنا معكم كل الأيام» ليس للحفظ وللعناية بالأساس بقدر أن يكون معنا لنكمّل عمله!! بشجاعة تدفعنا، وحكمة تنصرنا، لنقتحم أرض الظلمة وظلال الموت، ونثب السور الذي أقامه العدو ونحطّم الفخاخ المنصوبة ونُخلّص من القيود، ويعودون بالابتهاج حاملين أغمارهم:

+ «فقال الرب لبولس برؤيا في الليل لا تخف بل تكلّم ولا تسكت **لأني أنا معك** ولا يقع بك أحد ليؤذيك لأن لي شعباً كثيراً في هذه المدينة.» (أع ١٨: ٩و١٠)

+ «ها **أنا معك** (الرب ليعقوب في غربته) وأحفظك حيثما تذهب وأردّك إلى هذه الأرض لأني لا أتركك **حتى أفعل ما كلّمتك به**» (تك ٢٨:١٥). لاحظ هنا أيها القارئ السعيد أن الرب سيحفظه ويردّه ولا يتركه لكي «أفعل ما كلّمتك به»!!

وكان الكلام للتلاميذ وهم في بداية الأيام للكرازة. وإذ بالوعد إلى منتهى الأيام والدهور. فالكلام لنا لا محالة نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور. وبلُغَة تلميذي عمواس نقول: فقال بعضهما لبعض ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلّمنا عندما قرأنا معاً الأصحاح (مت ٢٨:١٩و٢٠) ويوضّح لنا المصير ويؤكّد لنا الوعد؟ (لو ٢٤:٣٢)

«إلى انقضاء الدهر»: ἕως τῆς συντελείας τοῦ αἰῶνος

حينما ظهر المسيح في الجليل لتلاميذه حسب الوعد ورأوه وسمعوا منه وصيته للإرسالية الأخيرة بدا لنا عملاق الدهور وإله الزمن. فقد مسك بكفّه الشمالي سنة ٣٠م وبكفّه اليمين آخر يوم في عمر العالم والإنسانية. ولمّا أعطانا أن نتحد به مَسَكْنَا ما كان يمسكه سنة ٣٠م، ومسكنا ما كان يمسكه ذاك اليوم الأخير. وكأننا بدأنا الرسالة مع الأحد عشر وأنهيناها معه. فهو ملء الزمان وهو هو ملء الخلود، الألف والياء البداية والنهاية الأول والآخِر، فطوبى لمن يعيش المسيح فهو يحيا فوق الزمن ويعيش الخلود. مع الأولين يؤمن ومع الآخِرين يشهد.

«أمَّا أنت يا دانيال فأَخف الكلام واختم السفر إلى وقت النهاية
كثيرون يتصفَّحونه والمعرفة تزداد.» (دا ١٢:٤)

كل ما جاء صحيحاً في هذه الشروحات جميعاً
هو من عمل النعمة
وكل ما بدا خاطئاً أو ركيكاً فهو من عملي

تمَّ شرح هذا الإنجيل المبارك في شهر مايو ١٩٩٦
في الخمسين المقدَّسة تحت وطأة المرض.
في الغردقة ـ الجونة

فهارس الكتاب

١ - فهرس الآيات المقتبسة من الكتاب المقدس.
٢ - فهرس الاقتباسات من أقوال الآباء والكُتّاب الكنسيين.
٣ - الفهرس الموضوعي للكتاب.

فهرس الآيات المقتبسة من الكتاب المقدس

أولاً : العهد القديم

التكوين
١ : ١ ١١٨
١ : ٢٧ ٨٥
١ : ٢٧ ٢٢١
١ : ٢٧ - ٢٨ ٣٧٠
١ : ٢٧ - ٢٨ ٨٣٣
٢ : ٤ ١١٨
٢ : ١٦ - ١٧ ٨٣٣
٢ : ٢٤ ٨٥
٣ : ١ ٣٦١
٣ : ٣ - ٥ ٨٣٤
٣ : ٧ ٥٨٣
٣ : ٩ ٣٦٨
٣ : ٩ - ١٢ ٧١٠
٣ : ١٧ ٨٢٣
٣ : ١٧ - ١٩ ٨٣٤
٤ : ٢٤ ٩٣
٥ : ١ ١١٨
٥ : ٢ ٨٥
٧ : ٧ ٨٦
٩ : ٥ - ٦ ٨٥
١٢ : ٣ ١١٩
١٢ : ٣ ٨٥٥
١٥ : ٣ - ٦ ١٣٨
١٧ : ١٧ - ١٩ ١٣٨
١٨ : ٦ ٤٣٩
١٨ : ١٤ ٨٦
١٨ : ١٨ ٨٥٥
١٩ : ١٧ ٦٥٩
٢٢ : ١٨ ١١٩
٢٢ : ١٨ ٨٥٥
٢٥ : ٢٣ ١٢٢
٢٨ : ١٥ ٨٧١
٣٠ : ١ ١٦٦
٣٨ : ٨ ٩٤
٣٨ : ٢٨ - ٣٠ ١٢٢
٤٩ : ٨ - ١١ ١٢١
٤٩ : ٢٨ ٣٥٥

الخروج
٣ : ٥ ٢٦٥
٣ : ٥ ٢٦٧
٣ : ٦ ٨٦
٤ : ١٩ ١٨
٤ : ١٩ ٩٤
٤ : ٢٢ ٣٥٥
٤ : ٢٢ ١٢١
٦ : ٢٣ ١٢٢
١٢ : ٦ ٧٤٨
١٢ : ١٤ ٥١٧
١٢ : ١٨ ٧٤٧
١٣ : ٨ - ١٠ ٦١٣
١٦ : ٢ - ٤ ٤٨٤
٢٠ : ٧ ٢٤٨
٢٠ : ١٢ ٤٧٣
٢٠ : ١٢ ٨٦
٢٠ : ١٣ ٢٤٠
٢٠ : ١٣ - ١٦ ٨٦
٢٠ : ١٧ ٢٤٣
٢٠ : ١٨ - ٢٠ ٥٠٩
٢٠ : ١٩ ٤٨٤
٢١ : ١٢ ٢٤٠
٢١ : ١٧ ٤٧٣
٢١ : ١٧ ٨٦
٢١ : ٢٣ - ٢٥ ٢٥٠
٢١ : ٢٤ ٨٦
٢١ : ٣٢ ٧٤٦
٢٢ : ٢٦ - ٢٨ ٢٥١
٢٣ : ٤ - ٥ ٢٥٢
٢٤ : ٨ ٨٦
٣٠ : ١٢ - ١٤ ٥١٧
٣٠ : ١٣ ٥٨٠
٣٢ : ٣٣ ٧٥٨
٣٣ : ١٨ - ٢٣ ٨٥١
٣٣ : ٢٠ ٢٢٤
٣٤ : ٢ - ٢٨ ٢٧٧
٣٤ : ٢٨ ١٨٨
٣٨ : ٢٦ ٥١٨

اللاويين
١ : ٣٤ ٨٢٠
٢ : ١٣ ٢٣٠
٤ : ١٣ - ٢١ ٨٢٠
١١ : ٢٢ ١٧٥
١١ : ٣٣ ٦٢٣
١٤ : ٢ ٨٦
١٥ : ١١ ٤٧٢
١٧ : ١١ ٧٦١
١٧ : ١١ ٨٣٦
١٧ : ١٤ ٧٦١
١٩ : ١٢ ٢٤٨
١٩ : ١٨ ٨٦
١٩ : ١٨ ٢٥١
٢٤ : ٢٠ ٨٧
٢٤ : ٢٠ - ٢٢ ٢٥٠
٢٧ : ٣٠ - ٣٣ ٦٢١

العدد
٢ : ١ - ٤ ١٢٢
٤ : ١٨ ١٣٥
٦ : ٢٣ - ٢٦ ١٢٠
٧ : ١٢ - ١٧ ١٢٣
١٠ : ١٤ ١٢٣
١١ : ٢١ - ٢٣ ٤٨٠
١٥ : ٣٨ - ٣٩ ٦١٣
٢٢ : ٣٥ ١٥٦
٢٢ : ٣٨ ١٥٦
٢٣ : ٧ - ٨ ١٥٩
٢٣ : ٧ - ١٠ ١٥٦
٢٤ : ١٣ ١٥٦
٢٤ : ١٥ - ١٧ ١٥٧
٢٧ : ١٧ ٩٤
٣٠ : ٢ ٨٧
٣٠ : ٢ ٢٤٨

التثنية
٥ : ١٦ ٨٧
٥ : ٢٠ - ٢١ ٢٤٣
٦ : ٤ - ٩ ٦١٣
٦ : ١٣ ٢٤٨
٦ : ١٣ ٨٤٢
٦ : ١٦ ٨٧
٦ : ١٦ ١٩١
٨ : ٣ ٤٦٢
٨ : ٣ ٨٧
٨ : ٣ - ٤ ١٨٩
٩ : ٩ - ١٨ ٢٧٧
١٠ : ٢٠ - ٢١ ٢٤٨
١١ : ١٨ - ٢١ ٦١٣
١٣ : ١ - ٣ ٨٧
١٤ : ٢٢ - ٢٩ ٦٢١
١٧ : ١٠ ٤٧٢
١٨ : ١٣ ٨٧
١٨ : ١٥ ٥٠٨
١٨ : ١٥ ٨٧
١٩ : ١٥ ٥٣٣
١٩ : ١٥ ٨٧
٢١ : ٢٣ ٨٢٥
٢٣ : ٢١ ٢٤٨
٢٣ : ٢٥ ٣٩٩

٢٤ : ١ ٨٧
٢٥ : ٥ ٩٤
٢٥ : ٥ ٦٠٢
٢٥ : ٥ - ٦ ٩٤
٣٠ : ٤ ٨٨
٣٠ : ١٩ ٣١٧
٣٠ : ١٩ ٦١٦
٣٢ : ٥ - ٦ ٨٨
٣٢ : ٥ - ٦ ٧٩٣
٣٢ : ٦ ٦٢١
٣٢ : ١٣ ١٧٤
٣٢ : ٢٨ - ٢٩ ٦٢١
٣٢ : ٢٨ - ٣٠ ٤١٢
٣٢ : ٢٨ - ٣٠ ٧٩٣
٣٢ : ٢٨ - ٣٤ ٣٣١
٣٢ : ٣٣ ٤١٢
٣٢ : ٤٥ - ٥٠ ٧٣٣
٣٢ : ٥٦ ٤١٢
٣٤ : ٥ ٥٠٦

يشوع

١٠ : ١٢ - ١٣ ٤٨٥
١٥ : ٢٥ ٣٥٣

القضاة

٥ : ٢٠ ٤٨٥
٥ : ٢١ ٧٤١
٦ : ١٩ ٤٣٩
٢٠ : ٢٦ ٢٧٧

صموئيل الأول

١ : ٢٤ ٤٣٩
٧ : ١٠ ٤٨٥
١٣ : ١٤ ١٥٨
١٤ : ٢٤ ٢٧٧
١٦ : ٤ - ١٣ ١٥٨
٢١ : ٦ ٣٩٩
٢١ : ٦ ٨٨
٣١ : ١٣ ٢٧٧

صموئيل الثاني

٥ : ١ - ٣ ١٥٨
٥ : ٢ ١٥٩
٧ : ١٢ - ١٣ ٦٢٠
٧ : ١٣ - ٢٦ ٤١
١٢ : ١ - ٧ ١٢٤
١٢ : ٥ - ٧ ٥٦٤
١٣ : ٣٧ ٣٥٢

الملوك الأول

٦ : ١ ١٢٣
٨ : ١٢ - ٥٤ ١٢٥
٨ : ١٣ ٦٢٠
١٠ : ١ ٨٨
١١ : ١ ١٢٥
١١ : ١١ - ١٣ ١٢٦
١١ : ٣١ - ٣٣ ١٢٦
١٣ : ٣ ١٢٥
١٥ : ٦ ١٢٧
١٥ : ١٧ ١٦٥
١٨ : ١٧ - ٤٠ ١٧٢
١٨ : ٣٦ - ٣٨ ٤٨٥
١٩ : ١ ٤٥٧
١٩ : ٨ ١٨٨
١٩ : ٨ ٢٧٧

الملوك الثاني

١ : ٢ ٣٦٥
١ : ٨ ٩٤
١ : ٨ ١٧٤
٢ : ١١ ٥٠٦
٢ : ١٢ ٣٨٥
٤ : ٢ - ٦ ٤٨٠
٤ : ٤٢ ٨٨
٨ : ٢٥ ١٢٦
١١ : ٢١ ١٢٦
١٤ : ١ ١٢٦
١٧ : ٥ - ٦ ١٦٥
١٧ : ٢٤ ٣٥٤
٢٤ : ٨ - ١١ ١٣٠
٢٤ : ٨ - ١٤ ١٣٠
٢٥ : ٢٧ - ٢٨ ١٣٠

أخبار الأيام الأول

٣ : ١٦ - ١٧ ١٣٠
١٧ : ١١ - ١٥ ١١٩

أخبار الأيام الثاني

١٤ : ١١ - ١٢ ١٢٧
١٥ : ١ - ٢ ١٢٧
١٥ : ٣ ١٢٧
١٦ : ١ ١٦٥
٢٠ : ٥ - ١٣ ١٢٧
٢٠ : ٢٨ ١٢٧
٢٤ : ٦ ٥١٨
٢٤ : ٩ - ١٠ ٥١٨
٢٤ : ٢٠ - ٢١ ٦٢٨
٢٧ : ١ - ٢ ١٢٧
٢٧ : ٣ - ٥ ١٢٨
٣٢ : ٢٠ - ٢١ ١٢٨
٣٣ : ١١ - ١٣ ١٢٨
٣٤ : ١ - ٢ ١٢٨
٣٥ : ٢٥ ١٢٩
٣٦ : ١٤ - ٢١ ١٦٦

عزرا

٣ : ٢ - ٨ ١٣١
٤ : ٧ - ٢٤ ٣٥٤
٥ : ١ - ٢ ١٣٢
٦ : ٣ - ٤ ١٣٢
٧ : ٥ ٤٥١

أيوب

١ : ٦ - ١٢ ٢٧٣
١ : ٢١ ٨١٦
٣١ : ١ ٥٢٩
٣١ : ١ ٢٤٤
٤٠ : ١ ٧١٢
٤٠ : ٨ ٧١١
٤٢ : ٢ ٨٨

المزامير

٢ : ٢ ١٥٨
٢ : ٢ - ٣ ٧٣٨
٢ : ٢ - ٦ ١٥٩
٢ : ٤ ٨٢٨
٢ : ٧ ٩٤
٣ : ٨ ١٣٧
٦ : ٨ ٨٨
٧ : ٩ ٢٢٤
٨ : ٢ ٥٨١
٨ : ٢ ٥٨٤
٨ : ٢ ٨٣
٨ : ٣ ٨٨
٢٠ : ١ ٢٦٨
٢٢ : ١ ٨٩
٢٢ : ٧ - ٨ ٩٤
٢٢ : ٢٢ ٨٤٣
٢٢ : ٢٦ ٢٢٢
٢٤ : ٢ - ٣ ٨٩
٢٤ : ٣ - ٤ ٢٢٣
٢٧ : ٣ ٦٤٤
٢٨ : ٩ ١٢٠
٢٩ : ٧ ٢٢٦
٣٢ : ١ ٢١٦
٣٤ : ٥ ٣٩٤
٣٤ : ٧ ٥٣١
٣٥ : ٩ - ١٠ ٢٣٢
٣٥ : ١١ ٧٨٧
٣٥ : ١٩ ٢٥٣
٣٦ : ٧ - ٩ ٢٣٢
٣٧ : ١١ ٨٩
٣٧ : ١١ ٢٢٠
٣٧ : ٢٢ ٢٢٠
٣٧ : ٢٦ ٢٥١
٣٧ : ٢٩ ٢٢٠
٣٧ : ٣٤ ٢٢٠
٤٠ : ٧ - ٨ ٢٦٩
٤٠ : ٨ ٧٧٢
٤٠ : ٨ ٧٧٩
٤١ : ٩ ٨٩
٤١ : ٩ ٧٥١
٤٢ : ١ - ٥ ٢٢١
٤٢ : ٦ ٨٩
٤٨ : ٢ ٨٩
٤٩ : ٧ ٦٩٨
٥٠ : ١٤ - ١٥ ٧٩٦

٥١: ١٠ ٢٢٣
٥١: ١١ ٢١٨
٥٥: ٢٠-٢١ ٧٨٢
٥٥: ٢١ ٣٦٢
٥٦: ٨ ٧٠١
٦٣: ١ ٢٢١
٦٣: ١١ ٢٤٨
٦٧: ١ ١٢٠
٦٩: ١٩-٢١ ٨١٦
٦٩: ٢٠ ٧٦٦
٦٩: ٢٠ ٧٧٨
٦٩: ٢١ ٩٤
٧٢: ٣ ٨٤٨
٧٢: ١٠-١٥ ١٦١
٧٨: ١-٢ ٥٥
٧٨: ١-٢ ٩٥
٧٨: ١-٣ ٧٨
٧٨: ٢ ٤٤٠
٧٨: ٦٧-٧٢ ٧٩
٨٠: ٨-١٥ ١٦٣
٨٧: ١ ٨٤٨
٨٩: ٤ ١٢٠
٨٩: ٤٩ ٢٤٩
٩١: ١١ ٥٣١
٩١: ١١-١٢ ٩٥
٩١: ١١-١٢ ١٩٠
٩٢: ١٣-١٥ ٤٧٥
٩٣: ١ ٨٥٢
٩٥: ٧-٩ ١٧٧
١٠٤: ٣ ٦٧٠
١٠٧: ١٠-١٦ ٨٢٣
١٠٩: ١٦-٢٠ ٧٢٦
١١٠: ١ ٨٤
١١٠: ١ ٨٩
١١٠: ١ ٧٩١
١١٠: ٤ ١٨٦
١١٠: ٤ ٢٤٩
١١٨: ١٩-٢٨ ٥٧٣
١١٨: ١٩-٢٨ ٥٧٧
١١٨: ١٩-٢٨ ٥٧٨
١١٨: ٢١-٢٦ ٨٤
١١٨: ٢٢ ٨٤
١١٨: ٢٢-٢٣ ٨٩
١١٨: ٢٦ ٩٠
١١٨: ٢٦ ٦٣٢
١١٩: ٩٦ ٨٦٦
١٣٠: ٨ ١٣٧
١٣٩: ٧ ٨٤٧

الأمثال

٩: ١٦-١٧ ٨٤٦
٩: ١٧ ٧٢٩
١٦: ١٨ ٦١٥
٢١: ١ ٤٥٨
٢١: ١٣ ٧٣٠
٢٨: ٢٧ ٧٣٠
٣١: ١٠ ٤٤٣
٣١: ١٠ ٧٣٠
٣١: ٢٠ ٧٣٠

الجامعة

٥: ٢ ٢٦٤

نشيد الأنشاد

٢: ١٦ ٦٩٩
٥: ٢ ٦٩٥

إشعياء

١: ٢٦ ٥٥٢
٢: ٢-٣ ٣١٤
٢: ٢-٣ ٨٤٨
٥: ١ ٥٧
٥: ١-٢ ٩٠
٦: ٣ ٢٦٣
٦: ٦ ١٧٩
٦: ٩-١٠ ٤٢٢
٦: ٩-١٠ ٧٨
٦: ٩-١٠ ٩٠
٦: ١١ ٧٩
٦: ١٣ ٧٩
٧: ٦ ١٤٣
٧: ١٠-١٤ ١٤٣
٧: ١٤ ٧٠
٧: ١٤ ٩٥
٧: ١٤ ١٢٩
٧: ١٤ ١٣٩
٧: ١٤ ١٤٥
٨: ٨ ١٢٩
٨: ١٠ ٩٥
٩: ١ ١٢٩
٩: ١-٢ ٧٣
٩: ١-٢ ٩٥
٩: ١-٢ ١٩٧
٩: ٢ ١٢٩
٩: ٣ ٧٤
٩: ٦ ٤٠
٩: ٦ ٢٢٥
٩: ٦-٧ ٧٤
٩: ٦-٧ ١١٩
٩: ٦-٧ ١٢٩
٩: ١٢-١٤ ١٩٧
١١: ١ ١٦٨
١١: ١-٢ ١١٩
١١: ١-١٠ ١٢٩
١١: ٢ ٤٠٤
١٣: ٤-١١ ٦٦٨
١٣: ٩-١١ ٩٠
١٩: ١ ١٦٨
١٩: ١ ٦٧٠
٢١: ٨ ٩١
٢٢: ٢١-٢٢ ٤٩٣
٢٣: ١ ٣٨٩
٢٤: ١٦ ٧١٨
٢٤: ١٨-١٩ ٨٢٣
٢٤: ١٩ ٨٣٦
٢٦: ٨-٩ ٣٩٤
٢٦: ٨-٩ ٢٦٣
٢٧: ١٣ ٦٦٩
٢٨: ١٦ ٤٩٣
٢٩: ٣-٦ ٨١
٢٩: ٩-١٠ ٨١
٢٩: ١٣ ٤٧٣
٢٩: ١٣ ٨٠
٢٩: ١٣ ٩٠
٢٩: ١٥ ٨٠
٢٩: ١٥-١٦ ٨١
٢٩: ١٨-١٩ ٨٢
٣٤: ٢-٤ ٦٦٨
٣٥: ٥-٦ ٣٨٢
٣٥: ٥-٦ ٧٤
٣٨: ١٠ ٤٩٣
٤٠: ١ ٢١٥
٤٠: ١-٣ ٧٢
٤٠: ١-٥ ١٧٣
٤٠: ٢ ٧٢
٤٠: ٣ ٩٥
٤٠: ٦-٨ ٧٦٦
٤٠: ٩-٢٥ ٤٨٩
٤٠: ١٥-١٧ ٨٥٧
٤١: ٣ ٨٢٢
٤٢: ١ ٧٣
٤٢: ١-٣ ٤٠٤
٤٢: ١-٤ ٧٦
٤٢: ١-٤ ٩٥
٤٢: ١-٧ ١٢٩
٤٢: ٦ ٨٥٦
٤٢: ٦-٧ ٧٧
٤٢: ٨-٩ ٧٧
٤٢: ١٨-٢٢ ٧٧
٤٣: ٩-١٢ ٦١
٤٥: ٢٢ ٣٩٤
٤٦: ٩-١١ ٧٣٨
٤٩: ١ ١٤٢
٤٩: ١-٩ ١٢٩
٤٩: ٦ ٨٥٦
٤٩: ٦-٧ ٦٥٦
٤٩: ٨-١٣ ٧٤
٤٩: ٢٤-٢٦ ٩٠
٥٠: ١ ٥٩٥
٥٠: ١ ٥٩

٥٠: ١	١٠٧
٥٠: ٤-٩	١٢٩
٥٠: ٦	٩٦
٥٠: ٦	٨١٢
٥٠: ٧-٨	٧٩٣
٥١: ١١	١٠٥
٥٢: ١٣	١٢٩
٥٣: ٣-٤	٣٢٦
٥٣: ٣-٥	٨١٩
٥٣: ٣-٦	٧٨٥
٥٣: ٤	٣١٥
٥٣: ٤	٧٤
٥٣: ٤	٩٦
٥٣: ٥	٥٣٩
٥٣: ٥	٨١٢
٥٣: ٦	٣١٥
٥٣: ٦	٧٧٣
٥٣: ٦	٨٣٥
٥٣: ٨	٨١٢
٥٣: ٩	٧٩٢
٥٣: ٩	٨١٨
٥٣: ٩	٨٢٥
٥٣: ١٠-١٢	٣٨٢
٥٣: ١٠-١٢	٨٢٠
٥٣: ١٢	١٢٩
٥٣: ١٢	٧٦١
٥٣: ١٣	٨١٨
٥٤: ١٥	٧٩٨
٥٤: ١٥	٨٤٥
٥٥: ٦-٧	١٧٧
٥٥: ١١	٧١٣
٥٥: ١١-١٢	٣٥٩
٥٦: ٧	٨٣
٥٦: ٧	٩١
٥٦: ١١-١٢	٨٣
٥٧: ١٥	٦١٥
٥٨: ٦-١٢	٢٧٧
٥٩: ٢	٢١٥
٥٩: ٢	٨٢١
٥٩: ٢٠-٢١	٦٣٢
٦٠: ٦	١٦١
٦١: ١	١٥٨
٦١: ١	١٣٤
٦١: ١	١٤٢
٦١: ١-٣	٣٨٢
٦١: ١-٣	٩١
٦١: ١-٣	١٢٩
٦١: ١-٣	٢١٩
٦١: ١٠	٥٨
٦١: ١٠	٢٨٨
٦٢: ٥	٣٣٢
٦٢: ١١	٨٢
٦٢: ١١	٩٦
٦٢: ١١	٩٧
٦٢: ١١	١٢٩
٦٥: ١	٨٢٣
٦٥: ٢	٦٣٠
٦٥: ١٧-١٩	٦٣١
٦٦: ١	٩١
٦٦: ٨-١١	٦٣١
٦٦: ٨-١٢	٣٦٥
٦٦: ٩ ١١	٣٩٤
٦٦: ١٨	٧١٨

إرميا

١: ٤	١٠٧
١: ٤-٥	١٣٩
٦: ١٦	٩١
٧: ١١	٥٨١
٧: ١١	٩١
٧: ٢٠-٢٩	٦٣٠
١٢: ٣	٢٢٤
١٢: ٧	٩١
١٥: ١٦	٢٧١
١٥: ١٦	٨٦٧
٢٣: ٥	١٢٩
٢٣: ٥-٦	١١٩
٢٥: ١١-١٢	١٣٠
٢٩: ١٠	١٣٠
٣١: ١٥	١٦٥
٣١: ١٥	٧١
٣١: ١٥	٩٦
٣١: ١٥	١٢٩
٣١: ٣١-٣٢	٨٣
٣١: ٣١-٣٢	٧٥٩
٣٣: ١٩-٢١	١٢٠
٤٦: ١٨	٥٠٣

مراثي إرميا

٣: ٢٢-٢٥	٢٨٩

حزقيال

٢٦: ١	٣٨٩
٢٦: ٣-٤	٣٨٩
٢٧: ١	٣٨٩
٣٣: ١١	٧١٤
٣٤: ١٧	٧١٩
٤٠: ١-٢	١٩١

دانيال

٦: ١٧	٨٢٨
٧: ١٣	٦٣
٧: ١٣	٦٨
٧: ١٣	٩١
٧: ١٣	٦٦٨
٧: ١٣-١٤	٧٩١
٧: ١٣-١٨	٢٦٩
٧: ١٣-١٨	٨١٧
٧: ١٤	٨٥٦
٧: ١٤-١٨	٧٦٤
٧: ١٨-٢٨	٥١٦
٧: ٢٧	٦٨
٩: ٧	٥٢٢
٩: ٢٧	٩٢
١٠: ٢-٣	٢٧٧
١٠: ١٠-١٤	٧٠٢
١١: ٣١-٣٣	٦٥٨
١١: ٤١	٩٢
١٢: ١	٩٢
١٢: ١	٦٦٢
١٢: ٢	٩٢
١٢: ٢-٣	٧٠٩
١٢: ٣	٣٧٥
١٢: ٣	٥٢١
١٢: ٣	٩٢
١٢: ٣	٦٩٥
١٢: ٣	٧١٣
١٢: ٣	٧٢٥
١٢: ٤	٨٧٢
١٢: ١١	٩٢
١٢: ١١	٦٥٨

هوشع

١: ١	٣٣٠
٢: ١٤-٢٠	٥٩٦
٢: ١٤-٢١	٥٩٥
٤: ٦	٦١٢
٤: ٦	٦٢١
٦: ١-٩	٧٥
٦: ٦	٤٠٠
٦: ٦	٩٢
٦: ٦-٩	٧٥
٧: ١٣-١٥	٧٥
٨: ٤	٢٨١
١١: ١	٣٥٥
١١: ١	١٦٢
١١: ١	١٦٣
١١: ١	١٨
١١: ١	٧١
١١: ١	٩٦
١١: ١	١٢٩

يوئيل

٢: ٢٨-٢٩	١٧٨

عاموس

٢: ٦-٨	٦٢٣
٥: ٢١-٢٣	٣٣٠
٩: ١١	٢٣

يونان

١: ١-٢	٤١٥
١: ١٧	٩٢
٣: ٤	٤١٥

ميخا
٣: ١٢ — ٦٦١
٥: ٢ — ١٥٨
٥: ٢ — ١٥٩
٥: ٢ — ٧١
٥: ٢ — ٩٦
٥: ٢ — ١٢٩
٦: ٨ — ٣٣٠
٦: ٨ — ٦٢١
٧: ٦ — ٩٣

حبقوق
١: ٥ — ٥٥
١: ١٧-١٩ — ٥٥١

صفنيا
١: ٣ — ٩٣

حجي
٢: ٦-٧ — ٦٦٨
٢: ٢٠-٢٣ — ١٣٢

زكريا
١: ١ — ٦٢٨
٢: ٦ — ٦٦٩
٣: ١-٢ — ١٨٨
٣: ٨ — ١٣١
٤: ٦ — ٨٣
٤: ٦ — ١٢٠
٦: ٩-١٣ — ١٣١
٨: ٢٣ — ٥٨٣
٩: ٩ — ٥٧١
٩: ٩ — ٥٧٦
٩: ٩ — ٨٢
٩: ٩ — ٩٦
٩: ٩ — ٩٧
٩: ٩ — ١٣١
١١: ٩-١٤ — ٥٦٩
١١: ١٠-١٣ — ٨٣
١١: ١٢ — ١٣١
١١: ١٢-١٣ — ٩٧
١١: ١٢-١٣ — ٧٤٦
١١: ١٣ — ٨٠٢
١٢: ١-١٠ — ٥٦٩
١٢: ١٠ — ١٣١
١٢: ١٠ — ٦٣١
١٢: ١٠ — ٦٦٨
١٢: ١٠-١٢ — ٦٧٠
١٣: ٦ — ٥٦٩
١٣: ٧ — ٩٣
١٣: ٧ — ٧٦٥
١٣: ٧ — ٧٦٦
١٣: ٧ — ٧٨١
١٤: ٤ — ٦٤١
١٤: ٥ — ٥٦٩
١٤: ٥ — ٣٨
١٤: ٥ — ٩٣

ملاخي
٣: ١ — ٣٨٤
٣: ١ — ٧٦
٣: ١ — ٩٣
٣: ١ — ١٧٤
٣: ٢-٣ — ٦٩٦
٤: ١-٢ — ٦٩٦
٤: ٥ — ٣٨٦
٤: ٥ — ٧٦
٤: ٥-٦ — ١٧٢
٤: ٦ — ١٧٤

يشوع بن سيراخ
٢٤: ٢٩ — ٢٢٢

المكابيين الأول
٢: ٣١-٣٨ — ٣٩٨

ثانياً: العهد الجديد

إنجيل متى
١: ١-٦ — ١٣٥
١: ١-١٧ — ٤١
١: ٧-١١ — ١٣٥
١: ١٢-١٦ — ١٣٥
١: ١٦-١٧ — ٧٠
١: ١٨ — ١٣٣
١: ١٨ — ١٤٢
١: ١٨-٢٥ — ٦٩
١: ٢٠ — ٦٢
١: ٢٠ — ١٥١
١: ٢١ — ٤٣
١: ٢١ — ١٣٧
١: ٢١ — ١٤٥
١: ٢٢ — ٤٠
١: ٢٢ — ٦٢
١: ٢٢ — ٦٢
١: ٢٣ — ٦٢
١: ٢٣ — ١٤٥
١: ٢٣ — ٣٤٧
٢: ٢ — ٤١
٢: ٢ — ٦٢
٢: ٥-٦ — ٩٦
٢: ٦ — ٧١
٢: ٨ — ١٥٨
٢: ١٠ — ٨٤٨
٢: ١١ — ١٥٥
٢: ١٣ — ٧١
٢: ١٥ — ١٨
٢: ١٥ — ٦٢
٢: ١٥ — ٩٦
٢: ١٧-١٨ — ٧١
٢: ١٧-١٨ — ٩٦
٢: ٢٠ — ١٨
٢: ٢٠ — ٩٤
٣: ١-٣ — ٧٢
٣: ٢ — ١٧٠
٣: ٢ — ١٧٢
٣: ٢ — ١٩٨
٣: ٣ — ٩٥
٣: ٤ — ٩٤
٣: ٧ — ١٧١
٣: ٧ — ٦٢٧
٣: ٨-١٠ — ١٧٢
٣: ١٠ — ١٧٢
٣: ١٠ — ٧١٣
٣: ١١ — ١٧٣
٣: ١٣ — ٢٠٦
٣: ١٣-١٧ — ١٨٦
٣: ١٥ — ٣٥
٣: ١٦ — ٤٠٤
٣: ١٦-١٧ — ٧٣
٣: ١٦-١٧ — ٩٥
٣: ١٧ — ٦٢
٣: ١٧ — ٦٩
٣: ١٧ — ٩٤
٣: ١٩-٢٠ — ٧١
٤: ٤ — ٨٧
٤: ٤ — ٤٦٢
٤: ٤ — ٦٨٧
٤: ٦ — ٦٢
٤: ٦ — ٩٥
٤: ٧ — ٨٧
٤: ١٠ — ٨٤٢
٤: ١٢ — ٣٨٠
٤: ١٢-١٤ — ٧٣
٤: ١٢-١٧ — ١٩٥
٤: ١٣ — ١٩٥
٤: ١٥-١٦ — ٩٥
٤: ١٧ — ١٨
٤: ١٧ — ٧٢
٤: ١٧ — ٧٣
٤: ١٧ — ١٧٢
٤: ١٧ — ٧٨٠
٤: ١٨-٢٢ — ١٩٦
٤: ١٨-٢٢ — ٢٠١

٤	١٨-٢٢	٢٠٦
٤	١٩	٤٤٨
٤	٢٣	٧٤
٤	٢٣	٢١٢
٤	٢٣	٣٤٠
٤	٢٤-٢٥	٢٠٦
٤	٢٥	٢١٤
٥	٣	٢١٣
٥	٣	٢١٦
٥	٣-٤	٩١
٥	٣-١١	٤٩٠
٥	٣-١٦	٢١٣
٥	٥	٨٩
٥	٦	٢٥٨
٥	٦	٢٥٩
٥	٧	٦٢٢
٥	٨	٨٩
٥	١٠	٥٣
٥	١٠	٢١٣
٥	١٠	٢٥٨
٥	١١	٣٧٨
٥	١٢	٢١٦
٥	١٣	٢٠٠
٥	١٣-١٦	٢١٣
٥	١٤	٢٠٠
٥	١٦	٢٥٩
٥	١٧	١٨
٥	١٧	١٠٠
٥	١٧-١٩	٢١٣
٥	١٧-٢٠	٩٨
٥	١٩	٢١٣
٥	٢٠	٥٣
٥	٢٠	٩٩
٥	٢٠	١٠٠
٥	٢٠	٢١٣
٥	٢٠	٢٣٥
٥	٢٠	٢٥٨
٥	٢٠	٦١٥
٥	٢١-٢٢	٩٨
٥	٢١-٤٨	٢١٣
٥	٢٢-٤٤	٤١
٥	٢٣-٢٤	٧٥٠
٥	٢٤	٣٧
٥	٢٥-٢٦	٥١
٥	٣١	٨٧
٥	٣١-٣٢	٥٤٣
٥	٣٣	٨٧
٥	٣٤-٣٥	٨٩
٥	٣٤-٣٥	٩١
٥	٣٤-٣٦	٦١٨
٥	٣٨	٨٦
٥	٣٨	٨٧
٥	٤٣-٤٤	١٨
٥	٤٤	٢٥٠
٥	٤٨	٨٧
٦	١	٢٥٨
٦	١	٦١٢
٦	١-١٨	٢١٣
٦	١-١٨	٢٥٨
٦	٢	٢٦٠
٦	٢-١٥	٣٧
٦	٥-١٦	٣٧
٦	٩-١٠	٥٣
٦	١٠	٢١٣
٦	١٢	٢٢٣
٦	١٤	٢٢٣
٦	١٤-١٥	٢٧٢
٦	١٤-١٥	٥٣٩
٦	١٩	٢٥٨
٦	١٩-٣٤	٢١٣
٦	٢٥	٢٧٠
٦	٣١-٣٢	٢٧١
٦	٣٣	٢١٣
٦	٣٣-٣٤	٢٧٠
٦	٣٤	٢٧٨
٧	١-١٢	٢١٤
٧	٢	٦٦٠
٧	٦	٣٦
٧	٧	٣٣٨
٧	١٢	٢٥٨
٧	١٣	٢١٤
٧	١٣-١٤	٩١
٧	١٥-٢٠	١٠٣
٧	١٦	٤٣٧
٧	١٩	٧١٣
٧	٢١	٨٠
٧	٢١	٩٩
٧	٢١	٢١٣
٧	٢١	٢١٤
٧	٢١	٤٤٦
٧	٢١-٢٣	٦٦٥
٧	٢٣	٨٨
٧	٢٤	٦٨٧
٧	٢٨	٢١٢
٧	٢٨	٥٤٢
٧	٢٨-٢٩	٢١٠
٨	١	٤٦
٨	١-٥	٢١٢
٨	٤	٨٦
٨	٥-١٥	١٩٦
٨	٨	٢٢
٨	١٠	٢٢
٨	١١	١٠٧
٨	١١-١٢	٢٣
٨	١٧	٣٥
٨	١٧	٤٦
٨	١٧	٦٢
٨	١٧	٧٤
٨	١٧	٩٦
٨	٢٠	٤٦
٨	٢٣-٢٧	٤٦٧
٨	٢٧	٤٦
٨	٢٩	٤٨
٩	١	١٩٦
٩	١-٩	١٩٥
٩	٢	٢٠٤
٩	٣	٤٦
٩	٥-٦	١٩
٩	٦	٤٦
٩	٦	٣٢٦
٩	٦-٧	٦٠
٩	٨	٧٤
٩	٩	٢٠
٩	٩	٢٠١
٩	١٣	٢٠
٩	١٣	٤٦
٩	١٣	٧٥
٩	١٣	٩٢
٩	١٣	١٢٤
٩	١٣	٢٢٣
٩	١٣	٢٣٠
٩	١٤	٣٨١
٩	١٥	٤٦
٩	١٥	٥٩٥
٩	١٨	١٩٦
٩	٢٢	٤٨
٩	٢٧	٢٢٢
٩	٢٧-٣١	٥٦٥
٩	٣٠	١٩٦
٩	٣٣	٧٤
٩	٣٣	١٩٦
٩	٣٣	٢٠٥
٩	٣٤	٤٦
٩	٣٤	٧٥
٩	٣٥-٣٨	٣٤٦
٩	٣٦	٩٤
٩	٣٨	٨٥٦
١٠	١	٢١١
١٠	١	٣٤٤
١٠	٢	٢٠١
١٠	٢	٣٤٩
١٠	٧-٨	١٠٤
١٠	١٠	٣٧
١٠	١٢-١٣	٢٢٥
١٠	١٦	٣٥
١٠	١٩-٢٠	٣٦١

١٠ : ١٩ - ٢٠	٧٩٥
١٠ : ٢١	٩٣
١٠ : ٢١	٣٦١
١٠ : ٢٢	٢٢٦
١٠ : ٢٢	٦٤٧
١٠ : ٢٣	٦٣
١٠ : ٢٣	٦٣٦
١٠ : ٢٥	٣٤٠
١٠ : ٢٨	٢٤٥
١٠ : ٣٣	٧٨٥
١٠ : ٣٥ - ٣٦	٩٣
١٠ : ٣٧ - ٣٨	٤٥
١٠ : ٤٠	٣٧
١٠ : ٤٠	٦٠
١٠ : ٤٠	١٠٥
١٠ : ٤٠	٦١١
١٠ : ٤٠	٦١٤
١٠ : ٤٠ - ٤٢	٧١٦
١١ : ١	٢١٠
١١ : ١	٥٤٢
١١ : ٥	٩١
١١ : ٥	٣٣٧
١١ : ٦	٤٩٠
١١ : ٨	١٧٤
١١ : ٩ - ١٤	٥١٠
١١ : ١٠	٧٦
١١ : ١٠	٩٣
١١ : ١٤ - ١٥	٧٦
١١ : ١٩	٢٠
١١ : ٢٠ - ٢١	١٧٢
١١ : ٢٣ - ٢٤	١٩٦
١١ : ٢٥ - ٢٧	٤٩١
١١ : ٢٧	٦٢
١١ : ٢٧	٢٣٢
١١ : ٢٧	٢٣٥
١١ : ٢٨	١٦٦
١١ : ٢٨	٣٣٦
١١ : ٢٨ - ٢٩	٩١
١١ : ٢٨ - ٢٩	٤٠١
١١ : ٢٨ - ٢٩	٥٤٦
١١ : ٢٨ - ٣٠	١٠٠
١١ : ٢٩	١٨١
١١ : ٢٩	١٩٩
١١ : ٢٩	٢٢٠
١١ : ٢٩	٥٢٢
١١ : ٢٩	٥٢٥
١٢ : ١	٦٠
١٢ : ٤	٨٨
١٢ : ٦	٦٤٠
١٢ : ٧	٢٠
١٢ : ٧	٢٠
١٢ : ٧	٧٥
١٢ : ٧	٧٢٨
١٢ : ٨	١٩
١٢ : ٨	١٠١
١٢ : ٩	١٩٦
١٢ : ٩	٤٥٣
١٢ : ١٤	٧٧
١٢ : ١٥	٤٥٣
١٢ : ١٨ - ٢١	٧٦
١٢ : ١٨ - ٢١	٩٥
١٢ : ٢٢	٧٧
١٢ : ٢٢	٢٠٥
١٢ : ٢٢	٣٣٩
١٢ : ٢٣	٧٧
١٢ : ٢٤	٧٧
١٢ : ٢٤	٣٤٠
١٢ : ٢٤	٣٤٠
١٢ : ٢٨	٤٨
١٢ : ٢٨	٧٧
١٢ : ٢٨	٢٠٥
١٢ : ٢٨	٤٣٧
١٢ : ٢٩	٩٠
١٢ : ٣١	٣٧
١٢ : ٣٤	٦٢٧
١٢ : ٣٩	٤٩١
١٢ : ٤٠	٩٢
١٢ : ٤٠	٨٢٧
١٢ : ٤١	١٧٢
١٢ : ٤٢	٨٨
١٣ : ١ - - ٢	٤٥٣
١٣ : ١ - ٩	٥٢
١٣ : ٣ - ٨	٥٤
١٣ : ١٠ - ١٣	٥٤
١٣ : ١١	٢٩٨
١٣ : ١١ - ١٢	٤٢١
١٣ : ١٣ - ١٥	٧٨
١٣ : ١٣ - ١٥	٤٢٢
١٣ : ١٤ - ١٥	٩٠
١٣ : ١٦	٢١٧
١٣ : ١٦	٤٩٠
١٣ : ١٦ - ١٧	٥٤
١٣ : ١٧	٣٧٥
١٣ : ١٨ - ١٩	٥٤
١٣ : ٢٠ - ٢١	٦٩٤
١٣ : ٢٤ - ٣٠	٥٣
١٣ : ٢٤ - ٣٠	٥٤
١٣ : ٣١ - ٣٢	٥٥
١٣ : ٣١ - ٤٧	٦٩٢
١٣ : ٣٣	٥٣
١٣ : ٣٣	٥٥
١٣ : ٣٤	٥٢٤
١٣ : ٣٤ - ٣٥	٩٥
١٣ : ٣٥	٥٥
١٣ : ٣٥	٧٨
١٣ : ٣٦	٤٥٣
١٣ : ٣٧ - ٣٩	٦٤
١٣ : ٣٩ - ٤٩	٦٤٢
١٣ : ٤٠ - ٤٢	٥٢٩
١٣ : ٤١	٩٣
١٣ : ٤١	٤٤٩
١٣ : ٤١ - ٤٣	٦٤
١٣ : ٤٣	٩٢
١٣ : ٤٣	١٠٧
١٣ : ٤٣	٦٩٥
١٣ : ٤٣	٧٢٥
١٣ : ٤٤ - ٤٦	٥٥
١٣ : ٤٧ - ٥٠	٥٥
١٣ : ٤٩	٥٢٩
١٣ : ٥٣	٢١٠
١٣ : ٥٣	٤٢٠
١٣ : ٥٣	٥٤٢
١٣ : ٥٤	٤٥٤
١٣ : ٥٤ - ٥٨	٧٩
١٣ : ٥٥	٢٢٨
١٤ : ١ - ٢	٤٦٠
١٤ : ٣	٣٨٠
١٤ : ١٢ - ١٥	١٩٥
١٤ : ١٣	٣٨١
١٤ : ١٦	٨٨
١٤ : ١٧	٦٣٤
١٤ : ٢٨ - ٣٠	٥٣٦
١٤ : ٢٩	٥٢٠
١٥ : ١ - ٩	٨١
١٥ : ٤	٨٦
١٥ : ٤	٨٧
١٥ : ٧ - ٩	٨٠
١٥ : ٨	٩٠
١٥ : ٩	٢٠
١٥ : ٩	٩٩
١٥ : ١٢ - ١٤	٨١
١٥ : ١٣	٣٨
١٥ : ١٥	٥٢٠
١٥ : ١٥	٥٣٦
١٥ : ١٩ - ٢٠	٢٤٤
١٥ : ٢٠	٣٤٠
١٥ : ٢١	٨٠
١٥ : ٢٢	٤١
١٥ : ٢٤	٤٠٤
١٥ : ٢٨	٤٨
١٥ : ٢٩	٨٤٨
١٥ : ٣٠ - ٣١	٨٢
١٦ : ١ - ٤	٨١
١٦ : ٤	٤٩١
١٦ : ١٣	٦٧
١٦ : ١٣ - ٢٠	٨٢٧

١٦ : ١٣ - ٢٣	٤٢
١٦ : ١٦	٢٢
١٦ : ١٦	٦٩
١٦ : ١٦	٣٥١
١٦ : ١٦	٥٦٦
١٦ : ١٦ - ١٨	٥٢٠
١٦ : ١٦ - ٢٢	٥٣٦
١٦ : ١٧	٢٢
١٦ : ١٧	٣٩٠
١٦ : ١٧	٤٩٠
١٦ : ١٧	٤٩٠
١٦ : ١٧ - ١٩	١٠٥
١٦ : ١٨	٦١
١٦ : ١٨	٢٠٣
١٦ : ١٩	٥٣٤
١٦ : ٢١	٦٧
١٦ : ٢١	٤٩١
١٦ : ٢١	٥١٦
١٦ : ٢١	٥٥٩
١٦ : ٢١	٥٦٦
١٦ : ٢٢	٧٦٧
١٦ : ٢٤	٤٩١
١٦ : ٢٥	٤٧
١٦ : ٢٦	٥٣٨
١٦ : ٢٧	٦٣
١٦ : ٢٧	٦٥
١٦ : ٢٧	٦٣٦
١٦ : ٢٧	٧١٧
١٦ : ٢٧	٧١٨
١٦ : ٢٧	٧١٨
١٦ : ٢٧ - ٢٨	٦١
١٧ : ٤	٥٢٠
١٧ : ٤ - ٢٦	٥٣٦
١٧ : ٥	٦٢
١٧ : ٥	٨٧
١٧ : ٥	٥٠٥
١٧ : ٦ - ٧	٨٥١
١٧ : ١٤ - ١٨	٥٨٣
١٧ : ١٥	٦٢

١٧ : ١٥	٢٠٥
١٧ : ١٧	٨٨
١٧ : ١٩ - ٢٠	٤٨
١٧ : ٢٠	٥١١
١٧ : ٢٢ - ٢٣	٤٩٥
١٧ : ٢٢ - ٢٣	٥٥٩
١٧ : ٢٤ - ٢٧	١٩٦
١٧ : ٢٤ - ٢٧	٥٢٠
١٧ : ٢٤ - ٢٧	٥٨٠
١٨ : ٣ - ٤	١٠٦
١٨ : ٥	٥٢٠
١٨ : ٦ - ١٤	٤٥
١٨ : ٧ - ٩	٢٤٥
١٨ : ٧ - ١٠	١٠٦
١٨ : ١٠ - ١١	٥٦
١٨ : ١١	٥٣
١٨ : ١٢ - ١٤	٥٦
١٨ : ١٤	٥٣
١٨ : ١٤	٥٢١
١٨ : ١٤	٥٣٢
١٨ : ١٥	٣٧
١٨ : ١٥	٥٣٦
١٨ : ١٥ - ١٧	٢٤٣
١٨ : ١٦	٨٧
١٨ : ١٧	٤٢
١٨ : ١٧	٦١
١٨ : ١٨	٣٥٥
١٨ : ١٩	٥٣٥
١٨ : ١٩	٥٣٥
١٨ : ٢٠	١٨
١٨ : ٢٠	٦٠
١٨ : ٢٠	١٠٢
١٨ : ٢٠	٣٤٧
١٨ : ٢٠	٧٧٩
١٨ : ٢١	٥٣٦
١٨ : ٢١ - ٢٢	٩٣
١٨ : ٢٣ - ٣٥	٥٦
١٨ : ٢٣ - ٣٥	٢٧٢
١٨ : ٢٤	٥٢

١٨ : ٢٤ - ٢٧	٥٣
١٨ : ٣٠ - ٣٥	٢٤٢
١٨ : ٣٣ - ٣٥	٢٢٣
١٩ : ١	٢١٠
١٩ : ٣ - ٨	٩٩
١٩ : ٤	٨٥
١٩ : ٥	٨٥
١٩ : ٩	٢٤٥
١٩ : ١٤	١٦٦
١٩ : ١٤	٢٦٦
١٩ : ١٧	٨٦٦
١٩ : ١٨	٨٦
١٩ : ١٩	٨٦
١٩ : ٢٦	٨٦
١٩ : ٢٦	٨٨
١٩ : ٢٧	١٩٩
١٩ : ٢٧	٥٣٦
١٩ : ٢٧	٧٤٥
١٩ : ٢٧ - ٢٨	٦٨
١٩ : ٢٨	٦٣
١٩ : ٢٨	٦٤
١٩ : ٢٨	٦٦
١٩ : ٢٨	٦٤٦
١٩ : ٢٨ - ٢٩	٥٦٢
١٩ : ٢٩	٢٨٢
٢٠ : ١	١٠٦
٢٠ : ١	٤٢٧
٢٠ : ١ - ١٦	٥٦
٢٠ : ٢	٥٣
٢٠ : ١١ - ١٦	١٠٦
٢٠ : ١٧ - ١٩	٤٩٥
٢٠ : ٢٠ - ٢٤	١٠٦
٢٠ : ٢٣	٦٩٤
٢٠ : ٢٩	٥٤٢
٢٠ : ٣٠	٤١
٢١ : ١ - ٧	٥٧٢
٢١ : ١ - ١١	٦٠
٢١ : ٤	٦٢
٢١ : ٤ - ٥	٦٢

٢١ : ٤ - ٥	٨٢
٢١ : ٥	٤١
٢١ : ٥	٦٩
٢١ : ٥	٨٢
٢١ : ٥	٩٦
٢١ : ٩	٤١
٢١ : ٩	٥٧٣
٢١ : ٩ - ١١	٨٢
٢١ : ١٠ - ١٧	٥٧٤
٢١ : ١٣	٨٣
٢١ : ١٣	٩١
٢١ : ١٣	٩١
٢١ : ١٥	٤١
٢١ : ١٦	٨٣
٢١ : ١٦	٨٨
٢١ : ٢٠	٧٣٧
٢١ : ٢٦	١٧٥
٢١ : ٢٨ - ٣٢	٥٧
٢١ : ٣١	٦١٣
٢١ : ٣٣	٩٠
٢١ : ٣٣ - ٤١	٥٧
٢١ : ٣٨ - ٣٩	٨١٤
٢١ : ٤١	١٠٧
٢١ : ٤١ - ٤٤	٨٤
٢١ : ٤٢	٨٩
٢١ : ٤٣	٥٩٧
٢١ : ٤٣	٦١٤
٢٢ : ١ - ١٠	٥٧
٢٢ : ٢ - ١٢	٥٩٥
٢٢ : ١١ - ١٤	٥٨
٢٢ : ١٢	٥٨
٢٢ : ١٣	١٠٧
٢٢ : ٢١	٥١٨
٢٢ : ٢٤	٩٤
٢٢ : ٢٤	٩٤
٢٢ : ٣٢	٨٦
٢٢ : ٣٧ - ٣٩	٢٤٢
٢٢ : ٣٩	٨٦
٢٢ : ٤٤	٨٤

٢٢ : ٤٤	٨٩
٢٣ : ٤	٣٩٢
٢٣ : ٨	٣٤٧
٢٣ : ١٣	١٠١
٢٣ : ١٣	٤٩٣
٢٣ : ١٣	٦٠٨
٢٣ : ١٦ - ٢٢	٢٤٩
٢٣ : ٢٣	٨٠٢
٢٣ : ٣٨	٩١
٢٣ : ٣٨ - ٣٩	٦٧٠
٢٣ : ٣٩	٦٧
٢٣ : ٣٩	٩٠
٢٣ : ٣٩	٦٣٥
٢٤ : ١	٣٨
٢٤ : ١ - ٢	٦٦١
٢٤ : ١ - ٣	٦٣٧
٢٤ : ٣	٦٣٦
٢٤ : ٣	٦٤٢
٢٤ : ٤ - ٥	١٠٣
٢٤ : ٤ - ١٤	٦٣٧
٢٤ : ٤ - ٣١	٦٧٣
٢٤ : ٤ - ٤٤	٦٨٢
٢٤ : ٦ - ١٤	٦٤٥
٢٤ : ٩	٢٢٧
٢٤ : ١٠	٩٢
٢٤ : ١٠ - ١٢	٣٨
٢٤ : ١٠ - ٢٤	٣٨
٢٤ : ١٣	٣٨
٢٤ : ١٥	٩٢
٢٤ : ١٥	٩٢
٢٤ : ١٥ - ٢٨	٦٣٧
٢٤ : ٢٠ - ٣١	٧١٨
٢٤ : ٢١	٣٨
٢٤ : ٢١	٩٢
٢٤ : ٢٤	٨٧
٢٤ : ٢٤	٦٤٤
٢٤ : ٢٧	٦٧
٢٤ : ٢٧ - ٣٩	٦٤٢
٢٤ : ٢٩	٦٤٥

٢٤ : ٢٩ - ٣٠	٩٠
٢٤ : ٢٩ - ٣١	٦٣٧
٢٤ : ٣٠	٣٨
٢٤ : ٣٠ - ٣١	٦٣
٢٤ : ٣٠ - ٣١	٦٤
٢٤ : ٣٠ - ٣١	٦٦
٢٤ : ٣١	٨٨
٢٤ : ٣٢ - ٣٣	٥٨٢
٢٤ : ٣٢ - ٣٦	٦٣٧
٢٤ : ٣٦	٦٢
٢٤ : ٣٧	٦٧
٢٤ : ٣٧ - ٤١	٦٣٧
٢٤ : ٣٨	٨٦
٢٤ : ٣٩	٦٧
٢٤ : ٣٩ - ٤٤	٦٨
٢٤ : ٤١	٦٩٨
٢٤ : ٤٢ - ٤٤	٣٨
٢٤ : ٤٢ - ٥١	٦٣٧
٢٤ : ٤٤	٦٩٩
٢٤ : ٤٥ - ٥١	٥٩
٢٤ : ٤٥ - ٥١	٦٨٢
٢٤ : ٤٥ - ٥١	٦٨٥
٢٤ : ٤٥ - ٥١	٧١٥
٢٤ : ٤٦	٤٩٠
٢٤ : ٤٦	٦٩٢
٢٤ : ٤٨ - ٥٠	١٠٧
٢٥ : ١	٦٩٢
٢٥ : ١ - ١٣	٤٣
٢٥ : ١ - ١٣	٥٩
٢٥ : ١ - ١٣	٥٩٥
٢٥ : ١ - ١٣	٦٣٨
٢٥ : ١ - ١٣	٦٨٥
٢٥ : ١ - ١٣	٧١٥
٢٥ : ٨	٣٨
٢٥ : ١٣	٧٧٧
٢٥ : ١٤ - ٣٠	٤٣
٢٥ : ١٤ - ٣٠	٥٩
٢٥ : ١٤ - ٣٠	٦٣٨
٢٥ : ١٤ - ٣٠	٦٨٥

٢٥ : ١٤ - ٣٠	٧١٥
٢٥ : ١٥	٥٢
٢٥ : ٢٩ - ٣١	٦٩٢
٢٥ : ٣١	٦٤
٢٥ : ٣١	٦٥
٢٥ : ٣١	٩٣
٢٥ : ٣١ - ٣٢	٦٦
٢٥ : ٣١ - ٤٦	٤٣
٢٥ : ٣١ - ٤٦	٦٣٨
٢٥ : ٣١ - ٤٦	٦٨٥
٢٥ : ٣٢	٦٤
٢٥ : ٣٤ - ٤٠	١٠٠
٢٥ : ٣٤ - ٤٠	٥٢٦
٢٥ : ٣٤ - ٤١	٦٥
٢٥ : ٤٠	٥٣١
٢٥ : ٤٦	٩٢
٢٦ : ١	٥٤٢
٢٦ : ١ - ٢	٢١٠
٢٦ : ٢	٧٣٥
٢٦ : ٤	٧٣٥
٢٦ : ١٥ - ١٦	٩٧
٢٦ : ٢١ - ٢٢	٧٥٥
٢٦ : ٢٣	٨٩
٢٦ : ٢٧ - ٢٨	١١٦
٢٦ : ٢٨	٦٢
٢٦ : ٢٨	٨٦
٢٦ : ٢٩	٦٧
٢٦ : ٣١	٩٣
٢٦ : ٣١	٧٤١
٢٦ : ٣١	٧٨٤
٢٦ : ٣٣ - ٧٠	٥٣٦
٢٦ : ٣٤	٧٦٦
٢٦ : ٣٥	٧٦٥
٢٦ : ٣٥	٧٩٤
٢٦ : ٣٨	٨٩
٢٦ : ٣٨	٧٦٥
٢٦ : ٣٨	٧٦٩
٢٦ : ٣٨	٧٧٨
٢٦ : ٣٩ - ٤٤	٤٥

٢٦ : ٤٢	٧٨٩
٢٦ : ٥٢	٨٥
٢٦ : ٥٥	٧٨١
٢٦ : ٥٦	٧٦٥
٢٦ : ٥٧ - ٦٨	٧٨٦
٢٦ : ٦٣	٦٢
٢٦ : ٦٣ - ٦٤	٦٧
٢٦ : ٦٣ - ٦٤	٢٤٩
٢٦ : ٦٤	٣٨
٢٦ : ٦٤	٩١
٢٦ : ٦٧	٩٦
٢٧ : ٥	٧٨٢
٢٧ : ٦ - ١٠	٩٧
٢٧ : ١١	٤١
٢٧ : ١١	٦٢
٢٧ : ١١ - ١٤	٨٠٤
٢٧ : ١٩	١٦١
٢٧ : ٢٥	٦٢٦
٢٧ : ٢٩	٦٢
٢٧ : ٣٧	٦٢
٢٧ : ٣٩	٩٤
٢٧ : ٤٠	٦٢
٢٧ : ٤٠ - ٤٤	٢٢٨
٢٧ : ٤٢	٦٢
٢٧ : ٤٣	٦٢
٢٧ : ٤٦	٨٩
٢٧ : ٤٦	١٤٥
٢٧ : ٤٦	٧٧١
٢٧ : ٤٦	٨٣٩
٢٧ : ٤٨	٩٤
٢٧ : ٥٢ - ٥٣	٣٣٧
٢٧ : ٥٤	٦٢
٢٧ : ٥٥ - ٥٦	٥٦٢
٢٨ : ٥ - ٧	٧٦٧
٢٨ : ٦	٣٣٧
٢٨ : ٩ - ١٠	٨٢٤
٢٨ : ١٦ - ١٧	٧٦٧
٢٨ : ١٦ - ١٨	٨٤٣
٢٨ : ١٧	٨٥٦

٢٨	١٨	٣٩٣
٢٨	١٨	٦٧١
٢٨	١٨-١٩	٤١
٢٨	١٨-١٩	٣٩١
٢٨	١٨-٢٠	٦١
٢٨	١٩	٢٣
٢٨	١٩	٣٦
٢٨	١٩	١١٩
٢٨	١٩	٣٥٤
٢٨	١٩	٨٥٨
٢٨	١٩-٢٠	٦٥٥
٢٨	١٩-٢٠	٨٧١
٢٨	٢٠	١٠٥
٢٨	٢٠	٢٠٣
٢٨	٢٠	٣٤٧
٢٨	٢٠	٣٧٦
٢٨	٢٠	٤٥١
٢٨	٢٠	٦٤٠
٢٨	٢٠	٦٤٢
٢٨	٢٠	٧٦٢
٢٨	٢٠	٧٦٣
إنجيل مرقس		
١	٢-٨	١٧٠
١	٩-١١	١٨٠
١	١٢-١٣	١٨٦
١	١٤-١٥	١٩٤
١	٢٠	٢٠٠
١	٢٤	٣١٥
١	٣٩	٢٠٢
١	٤٠-٤٥	٣١٠
٢	١-١٢	٣٢٤
٢	١٣-١٧	٣٢٨
٢	١٤	٢٠
٢	١٨-٢٢	٣٣٢
٢	٣٢	٣٩٨
٣	٤-٦	٤٠٢
٣	٦	٣٩٨
٣	١٣-١٩	٢١١
٣	١٣-١٩	٣٤٤
٣	١٣-١٩	٣٤٦
٣	١٤	٣٤٧
٣	١٦	٣٤٩
٣	٢٠-٣٠	٤٠٧
٣	٣١-٣٥	٤١٨
٤	١-٢٠	٤٢٨
٤	٣-٨	٥٤
٤	١٠-١٢	٥٤
٤	١١	٥١
٤	١٣	٥٠
٤	١٩	٢٨٥
٤	٣٠-٣٢	٥٥
٤	٣٠-٣٢	٤٣٨
٤	٣٣-٣٤	٤٤٠
٤	٣٥-٤١	٣١٧
٤	٣٨	٣١٨
٥	١-٢٠	٣١٩
٥	٦	٨٤٣
٥	١٣	٣٢١
٥	٢١-٤٣	٣٣٤
٥	٢٦	٣٣٦
٥	٣٠-٣٤	٣٣٦
٥	٣٦	٣٣٥
٥	٣٦	٤٦٩
٥	٣٧	٣٣٥
٥	٤٠-٤٢	٣٣٧
٦	١-٦	٤٥٣
٦	٦	٣٤٠
٦	٧-١٣	٣٤٤
٦	٧-١٣	٣٥٤
٦	٨	٣٥٨
٦	٩	٣٥٧
٦	١٤-٢٩	٤٥٦
٦	٢٠	٤٥٧
٦	٣٠-٤٤	٤٦٠
٦	٣٤	٣٤٠
٦	٤٥-٤٨	٤٦٦
٦	٤٥-٥٢	٤٦٥
٦	٤٨	٤٦٨
٦	٤٩-٥١	٤٦٧
٦	٥١-٥٢	٤٦٨
٦	٥٣-٥٦	٤٧٠
٧	١-٢٣	٤٧٢
٧	٢٤-٣٠	٤٧٦
٧	٢٨-٢٩	٤٧٨
٧	٣١-٣٧	٤٧٨
٧	٣٢-٣٥	٣٣٩
٨	١-١٠	٤٧٩
٨	٢	٤٧٨
٨	١١-١٢	٤٨
٨	١١-١٢	٤١٤
٨	١١-١٣	٤٨٤
٨	١٤-٢١	٤٨٧
٨	١٧-١٨	٥٦٣
٨	٢٧-٣٠	٤٨٩
٨	٣١	٦٧
٨	٣١	٤٩٥
٩	١	٤٩٥
٩	٢-١٣	٦٠
٩	٢-١٣	٥٠٢
٩	١٤-٢٩	٥١٠
٩	٢٢	٥١١
٩	٢٢-٢٤	٨٤٩
٩	٢٣	٥١١
٩	٢٤	٣٨٢
٩	٣٠-٣٢	٥١٦
٩	٣٣-٣٧	٥٢١
٩	٤٢-٤٨	٥٢٧
٩	٥٠	٢٢٨
١٠	١-١٢	٥٤٢
١٠	٢-٩	٢٤٥
١٠	١١-١٢	٢٤٥
١٠	١٣-١٦	٥٤٦
١٠	١٥	٣٧٦
١٠	١٥	٣٩٥
١٠	١٧	٨٤٣
١٠	١٧-٢٧	٥٤٨
١٠	٢٨-٣١	٥٥١
١٠	٢٩-٣٠	٢٠١
١٠	٣٠	٢٨٢
١٠	٣٠	٥٥٣
١٠	٣٢-٣٤	٥٥٩
١٠	٣٥-٤١	٥٦٢
١٠	٣٥-٤٥	٥٦١
١٠	٤٦-٥٢	٥٦٥
١١	١-٨	٥٧٢
١١	١-١١	٥٧٥
١١	٢	٥٧٦
١١	٩-١٠	٥٧٣
١١	١١-١٧	٥٧٤
١١	١٢-١٤	٥٨٢
١١	١٥-١٩	٥٨٠
١١	١٧	٥٨١
١١	٢٠-٢٤	٥٨٢
١١	٢٣	٥٣٥
١١	٢٣-٢٤	٥١١
١١	٢٤	٥١٢
١١	٢٤	٥٣٥
١١	٢٤	٥٣٥
١١	٢٥-٢٦	٥٣٥
١١	٢٧-٣٣	٥٨٤
١١	٣٠	١٨٠
١٢	١-٩	٥٧
١٢	١-١٢	٤٢٧
١٢	١-١٢	٥٨٨
١٢	١٣-١٧	٥٩٩
١٢	١٨-٢٧	٦٠١
١٢	٢٨-٣٤	٦٠٤
١٢	٣٥-٣٧	٦٠٥
١٢	٣٨-٤٠	٦١٢
١٣	٣-١٣	٦٤٣
١٣	٤	٦٣٦
١٣	٩-١٣	٣٥٤
١٣	١٣	٦٤٧
١٣	١٤-٢٣	٦٥٦
١٣	٢٣	٦٦٦
١٣	٢٤-٢٧	٦٦٧

١٣ : ٢٨-٣٢	٦٧٣
١٣ : ٣٢	٦٧٥
١٣ : ٣٣-٣٧	٦٧٧
١٣ : ٣٤	٥٩
١٣ : ٣٥-٣٧	٦٨٠
١٤ : ١-٢	٧٣٧
١٤ : ٣-٩	٧٤٠
١٤ : ١٠-١١	٧٤٤
١٤ : ١٠-١١	٧٤٥
١٤ : ١١	٧٤٦
١٤ : ١٢-١٦	٧٤٧
١٤ : ١٧-٢١	٧٤٩
١٤ : ٢١	٧٥١
١٤ : ٢١	٧٨٢
١٤ : ٢٢-٢٦	٧٥٣
١٤ : ٢٧-٣١	٧٦٥
١٤ : ٣٢-٤٢	٧٧٠
١٤ : ٣٣	٧٧٢
١٤ : ٣٧-٣٨	٧٧٧
١٤ : ٤٣-٥٠	٧٨١
١٤ : ٤٨	٧٥
١٤ : ٥٣-٦٥	٧٨٥
١٤ : ٦٦-٧٢	٧٩٣
١٥ : ١	٧٨٦
١٥ : ١	٧٩٨
١٥ : ٢-٥	٨٠٣
١٥ : ٦-١٥	٨٠٧
١٥ : ١٠	٢٢٨
١٥ : ١٦-٢٠	٨١٢
١٥ : ٢١	٨١١
١٥ : ٢١-٣٢	٨١٤
١٥ : ٢٣	٨١٥
١٥ : ٢٩	٧٨٨
١٥ : ٣١	٧٨٨
١٥ : ٣٢	٧٨٨
١٥ : ٣٣-٤١	٨٢٠
١٥ : ٣٩	٨٢٣
١٥ : ٤٠	٣٥٣
١٥ : ٤٠-٤١	٥٦٢

١٥ : ٤٢-٤٧	٨٢٥
١٥ : ٤٣-٤٥	٨٠٩
١٦ : ١-٨	٨٣٠
١٦ : ٧	٧٣
١٦ : ١٠-١١	٨٤٣
١٦ : ١٢-١٤	٨٤٤
١٦ : ١٤-١٨	٨٤٦
١٦ : ١٦-١٧	٨٦٩
١٦ : ١٧	١٠٥

إنجيل لوقا

١ : ١٣-١٧	٣٨٤
١ : ١٦-١٧	١٧٤
١ : ١٧	٤٥٧
١ : ٢٦	١٧١
١ : ٣٦	١٧١
١ : ٤٨	٢١٧
١ : ٥٢	١٧٣
١ : ٧٦-٧٧	١٧٤
١ : ٧٦-٧٧	٣٨٤
١ : ٧٧-٧٩	٢٣٢
١ : ٨٠	١٧١
٢ : ١	١٣٧
٢ : ٤	١٦٧
٢ : ١٣-١٤	٢٢٥
٢ : ٣٢	٤٧٧
٢ : ٣٤	٣٦٩
٣ : ١	١١٧
٣ : ١-١٨	١٧٠
٣ : ١٦	٣٨٧
٣ : ٢١-٢٢	١٨٠
٣ : ٢٣-٣٨	١١٨
٤ : ٦	١٩١
٤ : ١٣	١٩٣
٤ : ١٤-١٥	١٩٤
٤ : ١٦-٢١	١٨٣
٤ : ١٦-٣٠	٤٥٣
٤ : ٢١	٨٠
٤ : ٢١	٢١٩
٤ : ٢١	٢٣٦

٤ : ٢٣	٣٨٩
٤ : ٣٩	٣١٤
٤ : ٤٤	٢٠٢
٥ : ٥-٦	٧٠٢
٥ : ١٢-١٦	٣١٠
٥ : ١٧-٢٦	٣٢٤
٥ : ٢٧-٣٢	٣٢٨
٥ : ٢٨	٢٠
٥ : ٣٣-٣٩	٣٣٢
٦ : ١-١١	٣٩٨
٦ : ١٢	٢١١
٦ : ١٢-١٣	٣٤٨
٦ : ١٢-١٦	٣٤٤
٦ : ١٢-١٦	٣٤٦
٦ : ١٣-١٦	٢١١
٦ : ١٤	٣٤٩
٦ : ١٧	٢١٤
٦ : ١٧-٤٩	٢١٢
٦ : ٢٠	٢١٦
٦ : ٢٠-٢٣	٢١٥
٦ : ٢١	٨٠٢
٦ : ٢٧	٢٥٠
٦ : ٢٧-٣٦	٢٥١
٦ : ٢٩-٣٠	٢٥٠
٦ : ٣٧	٥٤٠
٦ : ٣٧-٤٢	٢٩٢
٦ : ٤٣-٤٤	٣٠١
٦ : ٤٧-٤٩	٣٠٥
٧ : ١	٢١٢
٧ : ١-١٠	٣١٢
٧ : ٥	٤٧٧
٧ : ١١-١٧	٣٣٧
٧ : ١٨-٣٥	٣٨٠
٨ : ٤-١٥	٤٢٨
٨ : ٥-٨	٥٤
٨ : ٩-١٠	٥٤
٨ : ١٩-٢١	٤١٨
٨ : ٢٢-٢٥	٣١٧
٨ : ٢٤	٣١٨

٨ : ٢٦-٣٩	٣١٩
٨ : ٤٠-٥٦	٣٣٤
٨ : ٤٣	٣٣٦
٩ : ١-٦	٣٤٤
٩ : ١-٦	٣٥٤
٩ : ٧-٩	٤٥٦
٩ : ١٠-١٧	٤٦٠
٩ : ١٨-٢١	٤٨٩
٩ : ٢٠-٢١	٤٩٠
٩ : ٢٢-٢٧	٤٩٥
٩ : ٢٨-٣٦	٥٠٢
٩ : ٢٩	٥٠٣
٩ : ٣١	٥٠٦
٩ : ٣١	٨١٤
٩ : ٣٢-٣٣	٥٠٧
٩ : ٣٧-٤٣	٥١٠
٩ : ٤٣-٤٥	٥١٦
٩ : ٤٦-٤٨	٥٢١
٩ : ٥٥	٤٨٥
٩ : ٥٧-٦٢	٣١٦
٩ : ٦٠	٢٩٩
٩ : ٦٠	٣١٧
١٠ : ١-٤	٣٤٦
١٠ : ٢	٣٤٠
١٠ : ٤-١٢	٣٥٤
١٠ : ٦	٢٢٥
١٠ : ١٣-١٥	٣٨٨
١٠ : ٢١	٣٩٠
١٠ : ٢١-٢٢	٣٩٠
١٠ : ٢٢	٣٩٣
١٠ : ٢٥-٢٨	٦٠٤
١٠ : ٤٢	٧٤٣
١١ : ٤	٢٧١
١١ : ٤-٤	٢٦٥
١١ : ٥-٨	٢٩٧
١١ : ٩-١٢	٢٩٥
١١ : ١٤-٢٣	٤٠٧
١١ : ٢٠	٣١٥
١١ : ٢١-٢٢	٤٠٩

١١	٢٤-٢٦	٤١٤
١١	٢٧	١٤٩
١١	٢٩-٣٢	٤١٤
١١	٣٤-٣٦	٢٧٨
١١	٣٧-٥٢	٦١٥
١١	٤٦	٣٤١
١١	٥٢	٤٩٣
١١	٥٢	٥٣٤
١٢	١-١٢	٣٥٤
١٢	١٠	٤٠٧
١٢	٢٢-٣٤	٢٧٨
١٢	٣٥	٣٨
١٢	٣٦	٥٩٥
١٢	٣٩-٤٠	٦٨٠
١٢	٤١-٤٨	٦٨٦
١٢	٤٢-٤٦	٥٩
١٢	٥١	٣٦٩
١٢	٥٤-٥٦	٤٨٤
١٢	٥٦-٥٩	٥٢
١٣	٦-٧	٥٨٣
١٣	٧	٧٠٨
١٣	١٨-١٩	٥٥
١٣	١٨-٢١	٤٣٨
١٣	٢٠-٢١	٥٥
١٣	٢٣-٢٤	٣٠٠
١٣	٢٤	٢٩٩
١٣	٢٥-٢٧	٣٠٣
١٣	٣٣	٦٣٠
١٣	٣٤-٣٥	٦٢٩
١٤	٨	٦١٣
١٤	١٥-٢٤	٥٧
١٤	١٥-٢٤	٥٩٢
١٤	٢٣	٧٣٠
١٤	٣٤-٣٥	٢٢٨
١٥	٣-٧	٥٦
١٥	٣-٧	٥٢٧
١٥	٥-٧	٥٣٢
١٦	١-١٣	٥١
١٦	٩	٢٧٨
١٦	١٣	٢٧٨
١٦	١٨	٢٤٥
١٧	١-٢	٥٢٧
١٧	٣	٥٣٣
١٧	٤	٥٣٦
١٧	١٩	٤٨
١٧	٢٦-٣٠	٦٧٧
١٧	٣٤	٦٨٠
١٧	٣٤-٣٦	٦٧٧
١٨	٧-٨	٢٦٤
١٨	٩-١٤	٦٢٦
١٨	١٢	٢٧٧
١٨	١٥-١٧	٥٤٦
١٨	١٨-٢٧	٥٤٨
١٨	٢٨-٣٠	٥٥١
١٨	٣١-٣٤	٥٥٩
١٨	٣٥-٤٣	٥٦٥
١٨	٤١-٤٢	٤٨
١٩	١١-٢٧	٧٠٣
١٩	١٢-٢٧	٥٩
١٩	٢٨-٣٦	٥٧٢
١٩	٢٨-٣٨	٥٧٥
١٩	٣٧-٤٤	٥٧٣
١٩	٤١-٤٢	٥٧٢
١٩	٤١-٤٤	٦٦١
١٩	٤٥-٤٧	٥٧٤
١٩	٤٥-٤٨	٥٨٠
٢٠	١-٨	٥٨٤
٢٠	٩-١٩	٥٧
٢٠	٩-١٩	٥٨٨
٢٠	٢٠-٢٦	٥٩٩
٢٠	٢٧-٤٠	٦٠١
٢٠	٣٥-٣٦	٥٥٢
٢٠	٤١-٤٤	٦٠٥
٢٠	٤٥-٤٧	٦١٢
٢١	٥-٧	٦٤٠
٢١	٧-١٩	٦٤٣
٢١	١٢-١٩	٣٥٤
٢١	١٥	٣٦٣
٢١	١٧	٦٤٧
٢١	٢٠	٦٥٨
٢١	٢٠-٢٤	٦٥٦
٢١	٢٢	٦٤٥
٢١	٢٤-٢٥	٦٤١
٢١	٢٥-٢٧	٦٦٩
٢١	٢٥-٢٨	٦٦٧
٢١	٢٩-٣٣	٦٧٣
٢١	٣١	٦٧٤
٢١	٣٦	٥٥٢
٢١	٣٦	٧٧٧
٢١	٣٧	٧٧١
٢١	٣٧-٣٨	٧٤٨
٢٢	١-٢	٧٣٧
٢٢	٣-٦	٧٣٦
٢٢	٣-٦	٧٤٤
٢٢	٧-١٣	٧٤٧
٢٢	١٤-٢٠	٧٥٣
٢٢	١٥	٣٥٣
٢٢	١٥	٥١٧
٢٢	١٥	٧٤١
٢٢	١٥	٧٤٨
٢٢	١٥	٧٦٤
٢٢	١٥	٧٦٦
٢٢	٢٠	٧٥٩
٢٢	٢١-٢٣	٧٤٩
٢٢	٢٣	٧٥٠
٢٢	٢٤	٧٥٠
٢٢	٢٨-٢٩	٦٨
٢٢	٢٨-٢٩	٥١٦
٢٢	٣١	١٧٩
٢٢	٣١	٢٧٣
٢٢	٣١	٧٧٦
٢٢	٣١-٣٢	٧٤١
٢٢	٣١-٣٤	٧٦٥
٢٢	٣٢	٢٧٤
٢٢	٣٢	٣٧٧
٢٢	٣٢	٣٨٢
٢٢	٣٢	٧٦٨
٢٢	٣٢	٧٧٩
٢٢	٣٢	٧٩٥
٢٢	٣٥	٢٨٩
٢٢	٣٥	٣٤٦
٢٢	٣٩-٤٦	٧٧٠
٢٢	٤٠	٢٧٤
٢٢	٤٣	١٩٣
٢٢	٤٤	٧٧٨
٢٢	٤٥	٧٧٩
٢٢	٤٧-٤٨	٧٨٢
٢٢	٤٧-٥٠	٧٨١
٢٢	٥١	٧٨٣
٢٢	٥٣	١٨٧
٢٢	٥٣	١٩٣
٢٢	٥٣	٤١٧
٢٢	٥٣	٧٧٠
٢٢	٥٤-٧١	٧٨٥
٢٢	٥٦-٦٢	٧٩٣
٢٢	٦١-	٧٩٦
٢٢	٦٩-٧١	٧٩١
٢٣	١-٢	٧٩٨
٢٣	٢	٢٢٦
٢٣	٢	٧٨٩
٢٣	٢	٨٠٤
٢٣	٢-٥	٨٠٣
٢٣	٥-١٥	٨٠٤
٢٣	٦-١٢	٧٨٦
٢٣	١٣-٢٥	٨٠٧
٢٣	٢٦-٤٣	٨١٤
٢٣	٢٧-٢٩	٦٦١
٢٣	٢٧-٣١	٨١٥
٢٣	٣٩-٤٣	٨١٩
٢٣	٤٤-٤٩	٨٢٠
٢٣	٥٠-٥١	٧٩٢
٢٣	٥٠-٥٦	٨٢٥
٢٤	١-١٢	٨٣٠
٢٤	١٠-١١	٨٤٣
٢٤	٢٣	٨٣١
٢٤	٢٥	٨٤٩

٢٤	٢٥ - ٢٧	٧٥
٢٤	٢٦	٥٠٣
٢٤	٢٧	٤٥٢
٢٤	٢٨ - ٢٩	٤٦٨
٢٤	٣٢	٨٧١
٢٤	٣٦ - ٤٠	٨٣٨
٢٤	٣٦ - ٤٩	٨٤٦
٢٤	٣٨ - ٣٩	٤٦٨
٢٤	٣٨ - ٤٣	٨٣٢
٢٤	٣٩ - ٤٠	٨١٦
٢٤	٤٥	٢٧٩
٢٤	٤٩	٨٥٣
إنجيل يوحنا		
١	١	١٤١
١	١	١٤٥
١	١	١٤٧
١	١ - ١٤	١٤٨
١	٦ - ٨	١٧٠
١	٩	٢٣٣
١	١٤	١٤١
١	١٤	١٤٥
١	١٤	٤٨٦
١	١٤	٥٠٣
١	١٤	٥٠٨
١	١٥ - ٢٨	١٧٠
١	١٨	١٤٨
١	١٨	٢٣٥
١	٢٠ - ٢٧	١٧٨
١	٢٢ - ٢٣	٧٢
١	٢٢ - ٢٣	١٧٣
١	٣٢ - ٣٤	١٨٠
١	٣٣ - ٣٤	١٨٢
١	٣٣ - ٣٤	١٨٣
١	٣٥	٢٠١
١	٣٥ - ٤٠	٢٠١
١	٤٠ - ٤١	٣٥١
١	٤١	٣٨٥
١	٤١ - ٤٢	٤٩٠
١	٤٢ - ٤٤	٣٥٠
١	٤٥	٣٥٨
١	٤٥ - ٤٩	٣٥٢
١	٤٦	١٦٨
١	٤٦	٣٥٢
١	٤٧	٣٥٢
٢	٢	٢٠١
٢	١١ - ١٣	١٩٤
٢	١٣ - ٢٢	٥٨٠
٢	١٣ - ٢٣	١٩٤
٢	١٧ - ٢٢	٢٠١
٢	١٨	٥٨٤
٢	١٨ - ٢١	٧٨٨
٢	١٩	٤٠٠
٢	١٩ - ٢١	٦٤٠
٢	٢١	٨١٩
٣	٣ - ٨	٥٢٤
٣	٥	١٤٤
٣	٧	١٤٤
٣	١٦	٥٣
٣	١٦	٥٠٧
٣	١٦	٧٧٠
٣	١٦	٨٣٥
٣	٢٨ - ٣٤	١٧٩
٣	٢٩	٥٩٥
٣	٢٩	٦٩٢
٣	٣٠	٤٥٦
٣	٣٦	١٧٦
٣	٣٦	٥٩٩
٣	٣٦	٧٢٧
٤	٢٢ - ٢٣	٣٥٤
٤	٢٣	٢٦٠
٤	٢٣	٢٦٣
٤	٢٣	٢٦٨
٤	٢٣	٨٥٩
٤	٢٤	٢٦٠
٤	٢٥	١٩
٤	٢٦	١٩
٤	٣٤	١٩٤
٤	٣٤	٣٨٣
٤	٤٢	٢٠٥
٤	٤٣	١٩٤
٤	٤٨	٤٨
٥	١	١٩٤
٥	٢٢	٢٤٠
٥	٢٤	٤٣١
٥	٣٥	٤٥٩
٥	٤٥ - ٤٦	٧٩٩
٦	١ - ١٤	٤٦٠
٦	٥ - ٧	٣٥١
٦	٥ - ١٠	٤٦١
٦	١٤ - ٢١	٤٦٥
٦	١٧ - ١٩	٤٦٦
٦	٢١	٤٦٨
٦	٢٤ - ٦٥	١٩٦
٦	٢٦ - ٢٧	٤٦٣
٦	٣٠ - ٣١	٤٨٤
٦	٣٢ - ٣٦	٤٨٥
٦	٣٥	٢٢١
٦	٣٧	٢٠١
٦	٤٨ - ٥١	٤٦٤
٦	٤٨ - ٥٧	٢٢١
٦	٥٠	٢٢١
٦	٥٠	٣٩٢
٦	٥٠ - ٥١	٧٥٧
٦	٥١	٤٦٨
٦	٥١ - ٥٧	٧٦٤
٦	٥٤ - ٥٥	٧٥٧
٦	٥٦	٢٢١
٦	٥٧	٢٢٠
٦	٥٧	٢٢٢
٦	٥٧	٦٢٠
٦	٥٧	٨٦٧
٧	٣٠	٧٣٦
٧	٣٧	٢٢١
٧	٣٨	٢٢٠
٧	٤٦	٢٠٦
٧	٤٦	٥٨٥
٧	٤٧ - ٤٩	١٩٩
٨	٧	٦٢٣
٨	١٠ - ١١	٢٤٧
٨	١٠ - ١١	٦٨٦
٨	١١	١٩
٨	١١	٢٩٤
٨	١٢	٢٣٢
٨	١٥	٥٨٩
٨	١٥ - ١٦	٦٨٦
٨	٣٦	١٠١
٨	٤٤	٤٥٩
٨	٤٤	٥١١
٨	٤٤	٧٢٧
٨	٤٨	٢٢٨
٩	٢٢	٧٥
٩	٢٨	٣٣١
٩	٣٩ - ٤١	٥٦٦
١٠	٩	١٤٨
١٠	١٠	٣٧١
١٠	١٠	٣٩٣
١٠	١١	١٤٨
١٠	١١	٧٣٨
١٠	١٥	٧٣٨
١٠	١٦	٤٧٩
١٠	١٦	٧١٨
١٠	١٨	٧٣٦
١٠	٢٢	١٥٧
١٠	٢٣	٥٨٤
١٠	٢٧ - ٢٨	١٤٨
١٠	٣٠	١٣٨
١٠	٣٨	٣٢٧
١١	٢٥ - ٢٦	٤٦٩
١١	٤٥ - ٥٣	٧٣٧
١١	٤٥ - ٥٣	٧٣٨
١١	٤٧ - ٥٠	٧٩٠
١١	٥١ - ٥٢	٧١٨
١٢	١	٧٤٠
١٢	١ - ٨	٧٤٠
١٢	٢ - ١٨	٥٧٢
١٢	٦	٧٤١

١٢	١٢ - ١٩	٥٧٥
١٢	١٣ - ١٧	٥٧٣
١٢	١٦ - ١٩	٥٧٤
١٢	١٩	٥٧٩
١٢	١٩	٧٣٥
١٢	٢٠	٦٠
١٢	٢٢	٣٥٠
١٢	٢٣	٦٧
١٢	٢٣ - ٢٤	٦٣
١٢	٢٧	٨٩
١٢	٢٧	٧٨٠
١٢	٢٧	٧٨٣
١٢	٢٨	٥٠٥
١٢	٣٢	٦٧
١٣	١	٢٠٠
١٣	١	٣٥٣
١٣	١	٥١٦
١٣	١	٦٥٣
١٣	١	٧٣٦
١٣	١	٧٤١
١٣	١	٧٦٦
١٣	١ - ٢٠	٧٤٩
١٣	٢	٧٤٦
١٣	١٠ - ١١	٧٤٩
١٣	١٢ - ١٣	١١٧
١٣	١٣	٢٠٣
١٣	٢١ - ٢٩	٧٤٩
١٣	٢٢ - ٢٧	٧٥٠
١٣	٢٧	٧٣٥
١٣	٣٠	٧٥٥
١٣	٣٦ - ٣٨	٧٦٥
١٣	٣٧	٧٦٩
١٤	٦	١٤٨
١٤	٦	٣٩٥
١٤	٨	٣٥١
١٤	٩	٣٥٢
١٤	١٠ - ١١	١٤٦
١٤	١٦ - ١٧	٨٦٢
١٤	١٧	١٤٦
١٤	٢٠	١٣٨
١٤	٢٠	١٥١
١٤	٢٠	٣٩٦
١٤	٢١	٢٢٤
١٤	٢١	٨٤٣
١٤	٢٧	٣٩٤
١٤	٢٩	٥٦٠
١٤	٣٠	١٩٣
١٥	٤	٢١٨
١٥	١٠	٨٧٠
١٥	١٣	٦٠٥
١٥	١٥	٢٠٣
١٥	١٥	٢٣٢
١٥	١٨ - ٢٣	٦٤٨
١٥	١٩	٢٢٧
١٥	٢٠	٢٢٦
١٥	٢٦	١٥١
١٦	٤ - ٧	٥٦٠
١٦	١٢	١١٧
١٦	١٣ - ١٤	٦١١
١٦	١٣ - ١٥	٨٦٢
١٦	١٤	١٥١
١٦	٢٠ - ٢١	٦٤٦
١٦	٢٢	٢١٩
١٦	٢٣ - ٢٤	٥١٢
١٦	٢٦ - ٢٧	٥١٣
١٦	٢٦ - ٢٧	٨٢٢
١٦	٣٢	٧٤١
١٦	٣٢	٧٦٥
١٦	٣٢	٧٦٦
١٦	٣٢	٧٨٤
١٧	٥	٥٠٥
١٧	١٢	٧٦٦
١٧	١٢ - ١٩	٣٥٣
١٧	١٤	٢٠٣
١٧	١٤ - ١٥	٢٢٩
١٧	١٦	١٠٥
١٧	١٦	٢١٨
١٧	١٩	١٨١
١٧	٢٢	١٨١
١٧	٢٢	٢٦٨
١٧	٢٣	٦٠
١٧	٢٣	١٣٨
١٧	٢٣	٣٧٤
١٧	٢٤	٢٢٥
١٧	٢٦	٢٣٢
١٧	٢٦	٢٦٨
١٧	٢٦	٣٧٤
١٧	٢٦	٧٦٣
١٨	١	٧٧١
١٨	٣ - ١٢	٧٨١
١٨	٤ - ٥	٧٨١
١٨	٤ - ٨	٧٨٢
١٨	٨ - ٩	٧٧٦
١٨	١٠ - ١٥	٧٨٣
١٨	١١	٢٦٩
١٨	١١	٤٩٧
١٨	١٢ - ١٣	٧٨٢
١٨	١٢ - ٢٣	٧٨٦
١٨	١٣ - ٢٤	٧٨٥
١٨	١٥	٧٨٧
١٨	١٥ - ١٨	٧٩٣
١٨	٢٠	٣٦١
١٨	٢٥ - ٢٧	٧٩٣
١٨	٢٨ - ٣٢	٧٩٨
١٨	٢٩	٨٠٣
١٨	٣٠	٢٢٦
١٨	٣٣ - ٣٨	٨٠٣
١٨	٣٧	٧٩٠
١٨	٣٩	٨٠٧
١٩	٢ - ٣	٨١٢
١٩	١٠	٨٠٦
١٩	١٠ - ١١	٧٩٠
١٩	١١	٧٨٠
١٩	١٢	٢٢٦
١٩	١٢	٨٠٤
١٩	١٢	٨٠٦
١٩	١٢	٨٠٧
١٩	١٥	٨٠٥
١٩	١٥	٨٠٧
١٩	١٧ - ٢٧	٨١٤
١٩	١٩ - ٢٠	٨١٧
١٩	٢٢	٨١٧
١٩	٢٥	٥٦٢
١٩	٢٥ - ٢٧	٨٢٤
١٩	٢٦ - ٢٧	١٤٩
١٩	٢٨ - ٣٠	٨٢٠
١٩	٣٨ - ٤٢	٨٢٥
١٩	٣٩ - ٤٢	٨٢٦
٢٠	١ - ١٠	٨٣٠
٢٠	٦ - ٥	٨٣٨
٢٠	١٢	٨٣١
٢٠	١٧	٨٣٩
٢٠	١٩ - ٢٣	٨٤٦
٢٠	٢٠	٨١٦
٢٠	٢٢	٨٥٣
٢٠	٢٢ - ٢٣	٥٣٤
٢٠	٢٧	٨٣٢
٢٠	٢٧ - ٢٨	٣٥٠
٢١	١	٨٤١
٢١	٢	٣٥٢
٢١	١٥	٤٩٠
٢١	١٥ - ١٧	٦٨٧
٢١	١٦	٤٩٠
٢١	١٧	٤٩٠

أعمال الرسل

١	٦ - ٧	٦٧٦
١	٦ - ٨	٨٤٦
١	٧ - ٩	٨٥٧
١	٨	١٥١
١	٨	٣٥٤
١	١٣ - ١٤	٨٢٤
١	١٣ - ٢٦	٣٤٩
١	١٨ - ١٩	٨٠١
٢	٢٢ - ٢٤	٧٣٦
٢	٢٤	٨٣٦
٢	٢٤	٨٣٧

الإصحاح	العدد	الصفحة
٢	٣٧	٣٤٧
٢	٣٩	٤٧٧
٣	١٣ - ١٥	٨٠٩
٣	١٤ - ١٥	٦٣١
٣	١٤ - ١٥	٨١٠
٣	٢٠ - ٢١	٥٥٢
٤	٧ - ١٤	٥٩٤
٤	١٢	٧٨٥
٤	٢٧	٤٠٤
٥	٤١	٢٥٣
٥	٤١	٣٦٤
٦	١	٣٤٧
٦	١٣ - ١٤	٧٨٩
٧	٥٢	٥٨٩
٧	٥٥ - ٥٦	٧٩١
٧	٥٦	١٨٢
٨	٩ - ١١	٣٠٢
٩	٤	٣٦٤
٩	٤	٣٦٨
٩	١٥	٣٧٣
٩	٢٥	٤٨٠
١٠	٣٦	٢٢٥
١٠	٣٨	٤٠٤
١٢	١ - ٢	٣٥١
١٢	٢	٥٦٣
١٢	١٢	٧٧١
١٣	٢ - ٣	٢٧٦
١٣	٦ - ١١	٣٠٢
١٣	٢٢	١٢٥
١٣	٢٢	٢٢٣
١٣	٣٩	٣٩٢
١٣	٤٥ - ٥٠	٦٢٧
١٤	٢	٦٢٧
١٤	١٩	٦٢٧
١٤	٢٢	٦٦٢
١٤	٢٢	٦٦٢
١٤	٢٣	٢٧٦
١٥	١٠	٣٩٢
١٥	١٣ - ١٨	٢٣
١٦	٣١	١٧٨
١٦	٣١	٨٣٣
١٧	٣	٤٩٥
١٧	٥	٦٢٧
١٧	١٣	٦٢٧
١٧	٢٦	٦٦٣
١٨	٩ - ١٠	٨٧١
١٨	١٢	٦٢٧
١٩	٢ - ٦	١٧٥
١٩	٣ - ٥	٨٥٨
١٩	١٣ - ١٦	٣٤٧
٢٠	٣	٦٢٧
٢٠	٢٨	٤٤٤
٢١	٢٧	٦٢٧
٢١	٢٨	٧٨٩
٢٢	٦ - ١١	٥٠٤
٢٣	١٢	٦٢٧
٢٤	١ - ٩	٦٢٧
٢٤	٥	١٦٨
٢٦	١٣	٥٠٤
٢٦	٢٦ - ٢٩	٣٦٣
رسالة رومية		
١	١ - ٢	٨٦٨
١	٢ - ٤	٨٥
١	٣	١٤١
١	٤	٥١٠
١	١٨	٥٢٨
١	٢٤ - ٢٦	٥٢٨
٢	١	٥٦٣
٢	١	٧١١
٢	١٦	٢٩٣
٣	٤	٥١٢
٣	٢٧	١٠١
٣	٢٧	٦١٥
٤	٥	٣٧٥
٤	٦ - ٩	٢١٧
٥	١٠	٨٦٩
٥	١٢	٣١١
٥	١٢ - ٢١	٨٦٩
٥	١٧	٨١٧
٦	٥	٧٦٢
٦	٥	٨٤٠
٦	٨	٧٦٢
٦	٨	٨٤٠
٦	١١	٥٣٠
٦	١٢	٥٣٠
٦	١٣	٥٣٠
٦	١٤	٢٠
٧	١٢ - ١٤	٩٩
٧	١٣	٧٧٣
٧	٢٤	٣٩٢
٨	١ - ٢	١٠٠
٨	٢	٣٩٢
٨	٣	١٤٧
٨	٣	١٨٩
٨	٦	٢٧١
٨	١١	١٥١
٨	١١	٨٤٠
٨	١٣	٥٢٩
٨	١٤	٥٢٥
٨	١٥ - ١٧	٨٦٠
٨	١٦ - ١٧	٢٦٨
٨	١٦ - ١٧	٥٢٤
٨	١٧	١٢١
٨	١٧	١٨١
٨	١٧	٣٢٦
٨	١٧	٧٦٣
٨	١٧	٧٨٠
٨	١٩ - ٢٢	٦٤٦
٨	١٩ - ٢٣	٥٠٥
٨	٢٣	٧١٨
٨	٢٨ - ٣٢	٧١٩
٨	٢٩	٦٦٨
٨	٣٢	٥١٣
٨	٣٢	٧٦٥
٨	٣٤	٦٨٥
٨	٣٦	٥٢٩
٩	٧	١٢٠
٩	١٦	١٢١
٩	٢٧	٣٦٥
٩	٢٧	٦٣١
١٠	١٥	٢٠٤
١٠	٢١	٦٣٠
١٠	٢١	٧٠١
١١	١٥	٦٧٣
١٢	٣ - ٦	٧٠٦
١٢	٦ - ١٦	٧٢٤
١٢	١٩ - ٢١	٢٥٠
١٤	٨	٨٥٨
١٦	١٧	٥٣٤
رسالة كورنثوس الأولى		
١	٢	٨٥٩
١	٩	٧٦٣
١	١٢ - ١٣	٨٥٨
١	١٧ - ٢٤	٨٦٨
١	٢٦ - ٣٠	٥٢٢
٢	١٢ - ١٣	٣٦٣
٣	٥ - ٧	٧٢٤
٣	١٣	٧٢٤
٣	١٦ - ١٧	٨١٨
٤	١	٨٦٨
٤	١ - ٢	٧٢٤
٤	٥	٥٥
٤	٩	٢٦٠
٤	١٢ - ١٣	٢٢٨
٤	١٥	٦١٤
٥	٦ - ٨	٤٨٨
٥	٧	١٦٣
٥	٧	٧٥٣
٥	٧	٧٥٨
٥	٧	٧٦١
٥	٧	٨١٥
٦	١١	٨٥٨
٦	١١	٨٥٩
٦	١٧	١٤٥
٦	١٧	٢٠٠
٦	١٧	٢٢٤

٦	١٧	٣٠٥
٦	١٧	٦٩٧
٦	٢٠	٢٤٥
٧	٧ - ٨	٥٤٥
٧	١١	٥٤٤
٧	٢٩ - ٣٢	١٠٦
٧	٣١ - ٣٢	٢٨٥
٧	٣٢ - ٣٤	٥٤٦
٩	١	٢٢٤
٩	١	٨٦٨
٩	٢٧	٢٤٥
٩	٢٧	٥٢٩
١٠	١ - ٢	٨٥٨
١٠	١٣	٦٦٣
١٠	١٦	٧٦٢
١٠	١٦ - ١٧	٧٦١
١١	١	٥٦٤
١١	٢٣ - ٢٥	٧٥٣
١١	٢٣ - ٢٦	٧٦١
١١	٢٥ - ٢٦	٧٦٠
١١	٢٨ - ٣١	٧٥١
١٢	٣	١٥١
١٢	٣	٨٥٧
١٢	٤ - ١١	٨٦١
١٢	٦ - ١١	٧٢٤
١٢	٧ - ٨	٧٠٦
١٢	١١	٧٠٦
١٢	١٣	٨٦١
١٢	٢٥ - ٢٨	٧٢٤
١٣	١٣	٥٢٢
١٣	١٣	٦٠٥
١٤	٣٢	٣٨٢
١٤	٣٢	٦٧٠
١٥	٣٥ - ٣٨	٨٣٨
١٥	١ - ١٠	٨٦٩
١٥	٣ - ٩	٨٣٢
١٥	١٢ - ٢٣	٨٦٩
١٥	٢٣	٦٧
١٥	٢٣	٦٤٢

١٥	٢٤ - ٢٨	٦٤
١٥	٢٦ - ٢٧	٤٩٣
١٥	٣٥ - ٥٠	٨٦٩
١٥	٣٦ - ٤٤	٦٠٣
١٥	٤٤	٦٠٢
١٥	٤٤	٨٣٧
١٥	٤٤	٨٣٨
١٥	٤٤	٨٤٠
١٥	٤٥	١٨٩
١٥	٤٥ - ٤٧	١٣٩
١٥	٤٩ - ٥٠	٨٤٠
١٥	٥٠	٨٣٨
١٥	٥١ - ٥٢	٦٦
١٥	٥١ - ٥٢	٦٦٩
١٥	٥٤ - ٥٦	٧٧٦
١٥	٥٥ - ٥٧	٨٣٦
١٦	١٣	٧٧٧
١٦	٢٢	٦٨

رسالة كورنثوس الثانية

٢	١١	١٨٧
٢	١٥ - ١٦	٦٧٩
٣	١٨	٢٢٤
٣	١٨	٣٩٤
٣	١٨	٦٩٧
٣	١٨	٦٩٩
٣	١٨	٨٠٤
٤	٥	٦٩٠
٤	١٠	١٤٢
٤	١٠	٥٣٠
٥	١	٨٣٨
٥	١٠	٥٥٢
٥	١٧	١٣٩
٥	١٨ - ٢٠	٣٧٤
٥	١٨ - ٢١	٨٦٩
٥	١٩	١٤٥
٥	٢١	٧٧٤
٥	٢١	٧٧٦
٦	١٦	٦٢١
٦	١٦	٨١٩

٦	١٧ - ١٨	٢٤٥
٧	١٠	٨٠١
٩	٦ - ٩	٢٦٢
١١	٢	٥٩٥
١١	٢	٦٩٢
١١	٣	٣٦١
١١	٣	٧٢٧
١٢	١ - ٤	١٨٢
١٢	٤	٦٧٢
١٢	١٦	٣٦١
١٣	١٤	٨٦٢

رسالة غلاطية

١	١٥	١٣٩
١	١٥ - ١٧	٨٦٧
٢	٢	٨٦٧
٢	٦ - ٩	٨٦٨
٢	٢٠	١٤٢
٢	٢٠	١٤٤
٢	٢٠	٢٦٦
٢	٢٠	٣٧٤
٣	٢٤	١٠٠
٣	٢٦	٥٢٤
٣	٢٧	٥٩٨
٣	٢٧	٨٥٨
٣	٢٧ - ٢٩	٦٠٢
٤	٤	١٤٧
٤	٥ - ٧	٨٦٠
٤	٦	١٤٦
٤	١٥	٢١٧
٤	١٩	١٤٠
٤	١٩	١٤٤
٤	١٩	٦١٤
٤	١٩	٨٦٠
٥	٢٠	٥٣٠
٥	٢٤	٥٣٠
٦	١٤	٥٢٩

رسالة أفسس

١	١ - ٦	٧١٩
١	٣ - ٤	١٤٨
١	٤ - ٦	١٠٧
١	٤ - ٦	٢٥٤
١	٧	١١٦
١	١٨ - ٢٣	٤٤٥
١	١٩ - ٢٢	١٩٣
١	٢١	٨٥٢
١	٢٢ - ٢٣	٨٤٩
٢	١ - ٢	١٩٢
٢	٢	٣١٩
٢	٦	٢٣٩
٢	٦	٧٦٣
٢	٦ - ٧	٨٣٩
٢	١٠	١٣٩
٢	١٤	٢٢٥
٢	١٩	٨٢٢
٢	١٩	٨٥٠
٢	٢٠	٢٠٣
٢	٢٠	٣٤٨
٢	٢٠	٤٣٧
٢	٢٠	٥٥١
٢	٢٠	٨٤٧
٢	٢٠ - ٢٢	٨٥٤
٣	٢ - ٩	٨٦٨
٣	٣ - ٥	٤٤٠
٣	١٩	٦٩٧
٣	٢٠	٢٤٤
٣	٢٠	٥١٢
٤	١ - ٤	٧٠٧
٤	٣ - ٧	٨٦١
٤	٧	٧٠٦
٤	١١	٧٢٤
٤	١١ - ١٣	٧٠٧
٤	١١ - ١٦	٧١٠
٤	١٢ - ١٣	٢٠٣
٤	١٢ - ١٣	٤٣٩
٤	١٢ - ١٣	٦٠٣
٤	١٢ - ١٥	٨٥٥
٤	١٣	٧١٩
٤	١٥ - ١٦	٨٥٤

٤ : ١٦ ٤٣٩
٤ : ١٩ ٦٢٤
٤ : ٢٤ ١٣٩
٤ : ٢٦ ٢٤٣
٤ : ٢٩ - ٣٠ ٤١١
٥ : ٢٥ - ٣٢ ٥٩٥
٥ : ٢٦ - ٢٧ ٤٤٤
٥ : ٣٠ ٧٢٢
٥ : ٣٠ - ٣٢ ٦٩٧
٦ : ١١ - ١٢ ١٨٧
٦ : ١٢ ١٩٢
٦ : ١٨ ٧٧٧
رسالة فيلبي
٢ : ١ - ١١ ٣٩٥
٢ : ٥ - ٩ ٥٢٦
٢ : ٥ - ٩ ٥٦٤
٢ : ٦ - ٨ ٧٧٨
٢ : ٧ - ١١ ٨٥٢
٢ : ١٢ - ١٣ ٧٢٥
٢ : ١٢ - ١٣ ٧٨٤
٢ : ١٥ ٢٣٣
٣ : ٧ - ٩ ٢٨٣
٣ : ٨ - ٩ ٦٩٥
٣ : ١٤ - ١٦ ٤٠٩
٣ : ١٨ ٦٥٠
٣ : ٢١ ٥٠٥
٣ : ٢١ ٦٩٦
٤ : ٤ ٢١٦
رسالة كولوسي
١ : ١٣ - ١٧ ١٤٧
١ : ١٥ ٥٠٥
١ : ١٦ - ١٧ ١١٨
١ : ٢٥ - ٢٧ ٨٦٨
٢ : ٩ ٥٠٥
٢ : ١١ - ١٢ ٨٥٩
٢ : ١٩ ٨٥٤
٣ : ١ - ٤ ٨٤١
٣ : ٥ ٥٢٩
٤ : ٢ ٧٧٧

٤ : ٦ ٢٣٠
رسالة تسالونيكي الأولى
٢ : ١٤ - ١٦ ٦٢٧
٢ : ١٩ ٦٧
٢ : ١٩ ٦٤٢
٣ : ٣ ٣٧٨
٣ : ٣ ٦٦٢
٣ : ١٣ ٦٧
٣ : ١٣ ٦٤٢
٤ : ١٥ ٦٧
٤ : ١٥ ٦٤٢
٤ : ١٦ ٦٦٩
٤ : ١٦ - ١٧ ٤٩٣
٤ : ١٦ - ١٧ ٦٧١
٤ : ١٦ - ١٧ ٦٧٩
٤ : ١٧ - ١٨ ٦٧٠
٥ : ١ - ٩ ٦٨١
٥ : ٢٣ ٦٧
٥ : ٢٣ ٦٤٢
رسالة تسالونيكي الثانية
١ : ١ - ٨ ٦٤٢
١ : ٧ - ١٠ ٦٦٩
٢ : ١ - ٣ ٦٤٦
٢ : ٢ ١٠٣
٢ : ٣ ٦٥٢
٢ : ٤ ٦٥٢
٢ : ٧ - ٨ ٦٥١
٢ : ٨ ٦٥٢
٢ : ٩ - ١٢ ٦٥٢
٢ : ٩ - ١٢ ٦٥٣
٣ : ٢ ٣١٤
٣ : ٢ - ٣ ٨٤٦
٣ : ١٠ ٧٠٨
رسالة تيموثاوس الأولى
١ : ١١ - ١٢ ٦١٤
١ : ١٥ ٨١٨
٢ : ٦ ٥٦٥
٣ : ١٦ ١٣٧
٣ : ١٦ ١٤٥

٣ : ١٦ ١٥١
٣ : ١٦ ٤٨٦
٣ : ١٦ ٥٠٥
٤ : ٣ - ٥ ٤٧٤
٥ : ٢٢ ٢٣١
٦ : ٩ - ١٠ ٢٨٢
٦ : ١٠ ٧٤٦
٦ : ١٠ - ١٢ ٢٣١
٦ : ١٢ ٥١٣
٦ : ١٣ ٧٩٠
٦ : ١٦ ٥٠٤
رسالة تيموثاوس الثانية
٢ : ١١ ١٤٢
٢ : ١٥ ٦٨٩
٢ : ١٨ ١٠٣
٣ : ١ - ٥ ٦٥٠
٣ : ١ - ٥ ٦٥١
٤ : ١ - ٢ ٦٨٩
٤ : ٥ ٦٨٩
رسالة تيطس
١ : ١٥ ٢٣٧
٣ : ٥ ٥٥٢
الرسالة إلى العبرانيين
١ : ٣ ٥٠٥
١ : ٧ - ١٤ ٥٣٠
١ : ٨ ٨٥٢
٢ : ١٨ ٣٩٦
٤ : ١٥ ١٨٧
٦ : ٤ - ٦ ٤١١
٦ : ١٧ - ١٨ ٢٤٩
٦ : ٢٠ ١٨٦
٧ : ٣ ١٤٧
٩ : ١٢ - ١٤ ٧٥٨
٩ : ١٣ ٧٥٦
٩ : ١٣ - ١٤ ٤٧٤
٩ : ١٨ - ٢٠ ١١٦
٩ : ٢٠ ٧٥٩
٩ : ٢٢ ٧٥٨
٩ : ٢٦ ٧٥٥

١٠ : ٧ ٢٦٩
١٠ : ١٠ ٧٥٦
١٠ : ١٩ - ٢٠ ٧٥٦
١٠ : ١٩ - ٢٠ ٨٢٢
١٠ : ٢٠ ٥٩٧
١٠ : ٣٠ ٢٩٣
١١ : ٢ ٤٧٢
١١ : ٢٧ ٢٢٤
١١ : ٣١ ١٢٣
١١ : ٣٧ ٢٢٨
١١ : ٣٩ - ٤٠ ٢٣٥
١٢ : ١ ٦٧١
١٢ : ٢ ٤٤٢
١٢ : ٦ ١٠٧
١٣ : ٢ ٣٥٨
١٣ : ١١ - ١٤ ٨١٤
١٣ : ٢٠ ٣٤٤
رسالة يعقوب
١ : ١٨ ٢٦٨
١ : ١٨ ٣٩٤
٢ : ٢٥ ١٢٣
٥ : ١١ ٢١٧
٥ : ١٦ ٧٥٠
رسالة بطرس الأولى
١ : ٢ ٨٦٢
١ : ٣ - ٤ ٨٣٠
١ : ١٠ - ١١ ٤٠
١ : ١١ ٥٠٣
١ : ١٣ ٦٨٠
١ : ١٨ - ١٩ ٤٤٤
١ : ١٩ ٨٣
٢ : ٩ - ١٠ ٨٥٣
٢ : ٢٤ ٣١٥
٢ : ٢٤ ٧٥٧
٢ : ٢٤ ٧٧٣
٢ : ٢٤ ٨٣٥
٢ : ٢٥ ٣٤٤
٣ : ١٥ ٧٩٤
٣ : ١٨ - ١٩ ٨٣٦

٣	٢١	١٧٥
٣	٢٣	٤٣٠
٤	١٨	٦٩٨
٥	٥ - ٦	٦١٥

رسالة بطرس الثانية

١	٤	٥٠٧
١	١٦ - ١٨	٣٣٥
١	١٦ - ١٨	٤٩٩
١	١٦ - ١٩	٥٠٨
١	١٨ - ٢١	٨٥
٢	٩	٦٥٧
٢	٩	٦٦٢
٣	١٠ - ١٤	٦٧٨
٣	١٢ - ١٣	٦٤٦
٣	١٣	٢٣٧

رسالة يوحنا الأولى

١	١ - ٣	٨٣٩
١	١ - ٤	٨٤٨
١	٣ - ٤	١٠٢
١	٣ - ٤	٦٩٧
١	٩	٥٩٩
٢	١ - ٢	٧٦٣
٢	٢٨	٦٩٥
٣	٢	٢٢٤
٣	٢	٥٠٦
٣	٢	٥٥٢
٣	٢	٦٩٦
٣	٢	٨٤١
٣	٢ - ٣	٦٩٥
٣	٢ - ٣	٦٩٩
٣	٩	٢٣٩
٣	١٣	٢٢٧
٣	١٦ - ١٨	٦٠٥
٤	١٤	٢٠٥
٥	١٦	٤١١
٥	١٨	١٨٩
٥	١٨	٢٣٩
٥	١٩	١٩٢

سفر الرؤيا

١	٥ - ٦	٨١٧
١	٧	٦٦٩
١	٧	٨١٦
١	٧ - ١٨	٦٦
١	٨	٦٧٠
١	٩	٥٦٣
٢	١٠	٢٨٦
٢	١٠	٦٥٣
٣	٢	٧٧٧
٣	٥	٥٨
٣	١٨	٥٨
٣	٢٠	٦٩٩
٤	١	١٨٢
٦	١١	٥٨
٦	١٦	٧٦٣
٧	٩ - ١٠	٥٧٨
٧	٩ - ١٤	٦٦٢
٧	١٥ - ١٧	٢٢١
٧	١٧	٢١٩
٩	١٠	٣٩
١١	٨	١٦٣
١١	٨	٥٠٧
١١	١٥	٨٥٢
١١	١٩	١٨٢
١٢	١٠	١٨٩
١٤	٤	٢٠٦
١٧	١٤	٣٤٤
١٩	٧	٥٧
١٩	٨	٦٩٨
١٩	١٠	٥٠٦
١٩	١١	١٨٢
٢١	١	٦٦٩
٢١	١٤	٢٠٠
٢١	٢١	٤٤٣
٢٢	٥	٨١٧
٢٢	١٧	٦٥٥

فهرس أقوال الآباء والكتّاب الكنسيين

إيبيفانيوس ٢٦ و٢٨ و٣١ و٦٥٨
أغسطينوس ٢٧ و٢٠٨ و٢٠٩ و٢٧٠ و٦٩٤ و٦٩٦ و٧٠١ و٨٤١
إغناطيوس ٣٤ و٣٥ و٣٦ و٣٨ و٥٢٣
أمبروسيوس ٤٥٧
أوريجانوس ٢٦ و٢٨ و٣١ و٥١٨ و٧٦٩ و٨٠٧
إيرينيئوس ٢٥ و٢٨ و٣١
إيسيذوروس من سيفيل ٢١
بابياس ٢٥ و٢٨ و٣٢ و١٩٦ و٣٢٩
بنتينوس ٢٥ و٣٢
ترتليانوس ٢٢٨ و٦٥٥
ثيئودوريت ١٤٤ و٦٥٢
ثيئوفيلاكت ٣١
جيروم ٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٦ و١٢٣ و٢٧٠ و٣٥٨ و٧٥٨ و٨٤٩
ديداخي (كتاب) ٣٤ و٣٦ و٣٧ و٣٨ و٢٧٤ و٣٧٦ و٦٨١
ديودوروس الطرسوسى ١٥٥
روفينوس (المؤرخ) ٢١
سقراط (المؤرخ) ٢١
غريغوريوس النزينزي ٢٦
فيلو ١٦٢
كليمندس الإسكندري ٢٠ و٢١ و١٥٥
كيرلس الأورشليمى ٢٦
كيرلس الإسكندري ١٥٥

لكتانتيوس ١٤٤
مراسيم رسولية (كتاب) ٣٦ و٣٥٢
نيسيفوروس ٢١ و٣١
هيراكليون ٢١
هيلاري ١٤٤
يوثيموس زيجابينوس ٣١
يوحنا ذهبي الفم ٢٧ و١٢٣ و١٤٤ و١٥٥ و١٥٦ و٢٧٠ و٤٢٧ و٦٢٤ و٦٨٧ و٦٩٤ و٦٩٦ و٧١٤ و٨٢٨ و٨٤١
يوسابيوس القيصري ٢٥ و٢٦ و٢٨ و٣١ و١٩٠ و٣٥٢ و٦٥٨ و٨٠٠
يوستين الشهيد ٦٥٥
يوسيفوس (المؤرخ) ١٣٢ و١٣٣ و١٦٤ و٢٠٢ و٣٥٣ و٣٨١ و٣٩٨ و٤٣٩ و٤٧٠ و٥١٨ و٥٣٧ و٥٩٧ و٦٥٧ و٦٥٨ و٦٦٠ و٦٦١ و٧٤٧

الفهرس الموضوعي

لكتاب شرح الإنجيل بحسب القديس متى

*****

آية:

+ المعجزة آية حضور الله وقوته المعلنة للإنسان ٤٨
+ المعجزة اختراق ملكوت الله لعالمنا ٤٩
+ مجموعة عشر معجزات ١٠٨
+ قسم المعجزات في إنجيل القديس متى ٣٠٩-٣٢١
  - تطهير الأبرص ٣١٠و٣١١
  - شفاء غلام قائد المئة ٣١٢-٣١٤
  - شفاء حماة سمعان وآخرين ٣١٤
  - أمر فهدأت العاصفة وسكت البحر ٣١٧-٣١٩
  - شفاء المجنونين بكورة الجرجسيين ٣١٩-٣٢١
  - شفاء المفلوج ٣٢٤-٣٢٨
  - إقامة ابنة يايرس ٣٣٤-٣٣٧
  - شفاء نازفة الدم ٣٣٥و٣٣٦
  - فتح أعين العميان ٣٣٨و٣٣٩
  - إبراء رجل أخرس مجنون به شيطان ٣٣٩و٣٤٠
+ معجزات المسيح لتحطيم صورة الشيطان ٤٠٧-٤١٤
+ طلب عمل الآية المرفوض ٤١٤-٤١٧ و٤٨٤-٤٨٦
+ معجزة إطعام الجموع ٤٦٠-٤٦٤ و٤٧٩
+ معجزة المشي على الماء ٤٦٥-٤٧٠ و٤٨١
+ آيات أشفية على بحيرة جنيسارت ٤٧٠
+ الفريسيُّون والصدوقيون يطلبون آية من السماء ٤٨٤-٤٨٦

أب:

+ تمجيد أبينا السماوي بأعمالنا الحسنة ٢٣٢
+ أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم ... لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات ٢٥١-٢٥٥
+ كونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل ٢٥٤و٢٥٥
+ صلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء ٢٦٢
+ أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه ٢٦٣
+ أبانا الذي في السموات ٢٦٦و٢٦٧
+ صم لأبيك الذي في الخفاء ٢٧٦و٢٧٧
+ أبوكم السماوي يهب خيرات للذين يسألونه ٢٩٨
+ مَنْ أحب أباً أو أمًّا أكثر من المسيح فلا يستحقه ٣٧٠ و٣٧١
+ المسيح يشكر الآب لاستعلان حقيقة المسيًّا ٣٩٠و٣٩١
+ كل شيء قد دُفع للمسيح من الآب ٣٩١
+ ليس أحد يعرف الابن إلاَّ الآب ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن ٣٩١
+ وصية إكرام الأب والأُم التي كسرها الفريسيُّون بتقليدهم ٤٧٣
+ لا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات ٦١٤و٦١٥
+ يا مباركي أبي ٧١٩و٧٢٠

ابن:

+ ابن الإنسان في إنجيل القديس متى ٦٣-٦٩
  - معناه الأولي: ممثِّل البشرية ٦٣
  - هو لقب المسيح المسيَّاني حسب النبوَّة ٦٣
  - تكرر في إنجيل ق. متى ٣٢ مرَّة ٦٣
  - وظائف ابن الإنسان الفائقة للطبيعة ٦٣
  - ملكوت ابن الإنسان ٦٤
  - ابن الإنسان كزارع وديَّان ٦٥-٦٧
  - ابن الإنسان المتألِّم ٦٧
  - المجيء الثاني لابن الإنسان ٦٧و٦٨
  - السهر استعداداً لمجيء ابن الإنسان ٦٨
  - لقب ابن الإنسان يعبِّر أيضاً عن المسيح بصفته الإنسان الكامل الحقيقي ٦٩
  - وهو لقب التلاقي بين الله والإنسان ٦٩
+ المسيح ابن داود ابن إبراهيم ١١٩و١٢٠ و١٣٤-١٣٦
+ ابن الله وابن الإنسان ١٤٦و١٤٧
+ أزلية الابن المتجسِّد ١٤٧و١٤٨
+ شهادة الآب عن ابنه الحبيب عند عماده من يوحنا ١٨٢-١٨٤
+ الشيطان يجرب المسيح بقوله: إن كنت ابن الله ١٨٨-١٩٠
+ طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون ٢٢٥و٢٢٦

+ الشياطين تشهد عن المسيح أنه ابن الله ٣٢٠
+ ابن الإنسان له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا ٣٢٥-٣٢٧
+ مَنْ أحب ابناً أو ابنة أكثر من المسيح فلا يستحقه ٣٧٠و٣٧١
+ قالوا عن ابن الإنسان محب للعشارين والخطاة ٣٨٧و٣٨٨
+ معرفة الآب لمن يريد الابن أن يعلن له ٣٩١
+ ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً ٤٠١
+ مَنْ جدَّف على ابن الإنسان يُغفر له ٤١٠و٤١١
+ ابن الإنسان يرسل ملائكته في نهاية العالم ٤٣٥-٤٣٧
+ اعتراف التلاميذ بالمسيح أنه ابن الله ٤٦٩و٤٧٠
+ اعتراف بطرس بالمسيح هو ابن الله الحي ٤٨٩-٤٩٤
+ ابن الإنسان سوف يأتي بمجد أبيه مع ملائكته ٤٩٨-٥٠٠
+ صوت الآب من السحابة يشهد للمسيح في التجلّي قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت ٥٠٨
+ تنبُّؤ ابن الإنسان الثاني عن آلامه وموته وقيامته ٥١٦و٥١٧
+ ابن الإنسان جاء لكي يخلِّص ما قد هلك ٥٣١
+ متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده يجلس التلاميذ على اثنى عشر كرسياً ٥٥١-٥٥٤
+ ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليخدم ٥٦٣-٥٦٥
+ مجيء ابن الإنسان كالبرق ٦٦٦و٦٦٧
+ مجيء ابن الإنسان بقوة ومجد عظيم ٦٦٨
+ ابن الإنسان يرسل ملائكته ليجمع مختاريه ٦٦٩-٦٧٢
+ ابن الإنسان يأتي في مجده مع ملائكته ويجلس على كرسي مجده ٧١٧
+ ابن الإنسان يسلَّم ليُصلب ٧٣٧و٧٣٨
+ من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء ٧٩٠
+ شهادة قائد المائة: حقًّا كان هذا ابن الله ٨٢٣

إبراهيم:

+ المسيح ابن إبراهيم ١١٩و١٢٠ و١٣٤-١٣٦
+ الانتساب لإبراهيم لا يغني عن التوبة والمعمودية ١٧٧
+ إله إبراهيم هو إله أحياء وليس إله أموات ٦٠٣

أخ:

+ من هُم إخوة المسيح ٤١٨و٤٥٤

أخرويات:

+ إنجيل متى هو إنجيل الأمور الأخروية ٤٣
+ حديث تعليمي عن الأخرويات ١٠٩
+ الأخرويات: أمور آخر الزمان ٦٣٤-٦٣٨ و٦٤٣-٦٧٢

اختيار:

+ كيف تصفّي أعمال الناس ليتم اختيار الصالحين للملكوت ٣٠٣-٣٠٦
+ فتاي الذي اخترته ٤٠٣-٤٠٦

أُردن:

+ يوحنا المعمدان ظهر عند نهر الأُردن ١٧٥
+ يسوع جاء إلى الأُردن ليعتمد من يوحنا ١٨٠-١٨٤

استعداد:

+ المستعدات دخلن مع العريس إلى العرس ٦٩٨-٧٠٢

اسم:

+ ليتقدَّس اسمك ٢٦٥-٢٦٨
+ ليس كل مَنْ يطلب اسم الرب بل مَنْ يعمل إرادته ٣٠٥و٣٠٦
+ وتكونون مبغضين من أجل اسم المسيح ٣٦٤
+ على اسم المسيح يكون رجاء الأمم ٤٠٣-٤٠٦
+ حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسم المسيح يكون في وسطهم ٥٣٤
+ مَنْ ترك شيئاً لأجل اسم المسيح يأخذ مائة ضعف ٥٥٣و٥٥٤
+ كثيرون سيأتون باسم المسيح ويضلون كثيرين ٦٤٣و٦٤٤
+ تكونون مبغضين من جميع الأُمم لأجل اسم المسيح ٦٤٧و٦٤٨

إسرائيل:

+ إسرائيل الجديد هم الذين آمنوا بالمسيح ١٠٩
+ إرسال الاثني عشر إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ٣٥٤
+ المسيح لم يُرسل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ٤٧٦-٤٧٨

إشعياء:

+ شهادة إشعياء عن الميلاد البتولي ١٧
+ نبوَّة إشعياء عن «فتاي الذي اخترته» ٤٠٣-٤٠٦

اعتراف:

+ معمودية يوحنا والاعتراف بالخطايا ١٧٥-١٧٧
+ مَنْ يعترف بالمسيح قدّام الناس يعترف به قدّام أبيه ٣٦٨
+ اعتراف بطرس بألوهية المسيح ٤٨٩-٤٩٤

إعلان/ استعلان:
+ استعلان ملكوت الله في الحياة الحاضرة بواسطة الكرازة ١٠٤و١٠٥
+ ليس مكتوم لن يستعلن ٣٦٦
+ المسيح يشكر الآب لاستعلان حقيقة المسيًّا ٣٩٠و٣٩١
+ معرفة الآب لمن يريد الابن أن يعلن له ٣٩١
+ الآب السماوي أعلن لبطرس حقيقة المسيح ٤٨٩-٤٩٤
+ المسيح يغير أسلوبه من إعلانه عن نفسه لتلاميذه سراً إلى إعلان ملوكيته رسمياً في الهيكل ٥٦٨-٥٧٠
+ الاستعلان العظيم برؤية المسيح بعد قيامته ٨٤٦-٨٤٩
إفخارستيا:
+ علاقة الإفخارستيا بمعجزة إشباع الجموع ٤٦٠-٤٦٤
+ تأسيس الإفخارستيا لتحل محل الفصح ٧٥٣-٧٦٤
+ الإفخارستيا هي قوة العهد الجديد بدم المسيح ٧٥٩
أكل/ إطعام:
+ معجزة إطعام الجموع من خمس خبزات وسمكتين ٤٦٠-٤٦٤
+ الكلاب أيضاً تأكل من الفتات الساقط من مائدة أربابها ٤٧٧و٤٧٨
+ الكتبة والفريسيُّون يأكلون بيوت الأرامل ٦١٨
+ المسيح يأكل الفصح مع تلاميذه ٧٤٩
+ المسيح يؤسِّس الإفخارستيا أثناء أكل الفصح ٧٥٥
+ خذوا كلوا هذا هو جسدي ٧٥٥-٧٥٧
ألم/ آلام:
+ رواية الآلام ١٠٩
+ المتألِّم بالجسد في المسيح أسمى من الصحيح غير المتألِّم بالجسد ٣٢٧
+ أول نبوَّة عن آلام المسيح ٤٩٥-٥٠٠
+ أسبوع الآلام ٥٧٠-٥٧٥
+ امرأة بيلاطس تألَّمت كثيراً في حلم من أجل المسيح ٨٠٨و٨٠٩
أُم:
+ مريم أُم المسيح ١٣٧
+ المجوس جاءوا حيث رأوا الصبي وأُمه ١٦٠
+ أمر الملاك ليوسف أن يأخذ الصبي وأُمه ويهرب إلى مصر ١٦٢-١٦٤
+ أمر الملاك ليوسف أن يأخذ الصبي وأُمه ويعود إلى أرض إسرائيل ١٦٦-١٦٨
+ مَنْ أحب أباً أو أُمًّا أكثر مني فلا يستحقني ٣٧٠
+ مَنْ هي أُم المسيح ٤١٨و ٤٥٣ و٤٥٤
+ ترجِّي أُم ابني زبدي في أمل بعيد المنال ٥٦١-٥٦٣
أمانة/ أمين:
+ مثل العبد الأمين الحكيم ٦٨٦-٦٩١
+ العبد الصالح والأمين، كان أميناً في القليل فأُقيم على الكثير ٧٠٨-٧١٠
إنجيل:
+ إنجيل القديس متى: تقديم ١٧-٢٠
- الأول في الترتيب والتدوين ١٧
- أصوله كُتبت بالأرامية ١٧و٢٥-٣٠و٤٣
- إنجيل الكنيسة ١٧و١٨و٤٢
- أول مَنْ أعلن سر بتولية ميلاد المسيح ١٧
- جمع كل تعاليم الرب الأخلاقية في العظة على الجبل ١٧
- حقق لنا أن المسيح هو عمانوئيل الله معنا ١٨
- وُضع للعبادة، فهو إنجيل الليتورجيا ١٨و٢٣
- فيه تحقيق الناموس والأنبياء ١٨و٣٩و٤٠و٧٠-٩٨
- إنجيل التطبيق العملي للخلاص ١٨
- يعلن أن المسيح هو المسيًّا رجاء الناموس وكماله ١٩و٢٢و٤١و٦٠-٦٢
- لاهوت إنجيل ق. متى الأكثر اعتدالاً في معاداته لليهودية ٢٠
+ إنجيل ق. متى حجة في يد المسيحي ضد تعصُّب اليهود ٢١و٢٢
+ إنجيل ق. متى انشغل باليهود ولم يغفل الأُمم ٢٢و٢٣و٤٣
+ الإنجيل المنحول هو إنجيل متى بعد حذف ما يختص بلاهوت المسيح ٢٧
+ تُرجم الإنجيل إلى اليونانية ٢٧-٣٠
+ ق. متى خدم بإنجيله أولاً في الجليل ٣٠
+ تاريخ كتابة الإنجيل ٣١-٣٣و١١٧
+ مكان كتابة الإنجيل: أنطاكية ٣٣و٣٨
+ مميزات إنجيل متى وأسلوبه ٣٩-٤٧
١- أهم المميزات:
- التخطيط السابق ٣٩و٤٠
- إنجيل المسيًّا الملك الآتي ٤١
- إنجيل ملكوت السموات ٤١
- إنجيل الكنيسة بالدرجة الأُولى ٤٢

■ إنجيل الأمور الأخروية ٤٣
■ الإنجيل الوحيد الذي جُمع وكُتب بالعبرية ٤٣
■ الإنجيل الذي حمل رسالة الأُمم ٤٣
■ إنجيل طفولة الرب يسوع ٤٣
٢ - تفوُّق في فن التعليم والتبويب والتلقين ٤٤-٤٦
٣ - أسلوبه ٤٧
+ منهج إنجيل ق. متى في تقديم المعجزات والأمثال ٤٨-٥٩
+ المفاهيم اللاهوتية الأساسية في إنجيل ق. متى ٦٠-١٠٧
+ تبويب إنجيل ق. متى إلى خمسة أقسام على مثال التوراة ٨-١١ و٧٣٢-٧٣٤

إنكار:
+ مَنْ ينكر المسيح قدَّام الناس ينكره قدَّام أبيه ٣٦٨
+ إنكار الذات وحمل الصليب شرط لاتباع الرب ٤٩٨
+ بطرس ينكر المسيح ٧٩٣و٧٩٦

أورشليم:
+ حوادث تسبق الرحلة إلى أورشليم ١٠٨
+ في اليهودية وأورشليم ١٠٩
+ مجوس من المشرق جاءوا لأورشليم ١٥٤-١٥٧
+ لابد أن يذهب المسيح إلى أورشليم لكي يتألم ويُقتل ٤٩٥-٥٠٠
+ دخول المسيح أورشليم في موكب النصرة ٥٦٨-٥٧٩
+ بكاء المسيح على أورشليم ٦٢٩-٦٣٢

إيمان:
+ إيمان قائد المائة يعلو على إيمان كل إسرائيل ٢٢
+ المعجزة دعوة للإيمان بحضور الله والمسيح ٤٨
+ المعجزة تتم حيث يوجد الإيمان بوجود الله ٤٨ و٤٩ و٣٢٤-٣٢٧ و٣٣٥و٣٣٦و٣٣٨
+ المعجزة استجابة لإيمان الإنسان وليس لاسترضاء إيمانه ٤٩
+ ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان ٣١٨و٣١٩و ٤٦٧-٤٧٠
+ بإيمان الأصدقاء شُفي المفلوج ٣٢٤-٣٢٧
+ عظيم إيمان الكنعانية ٤٧٦-٤٧٨
+ المسيح يوبِّخ التلاميذ على قلة إيمانهم ٤٨٧و٤٨٨
+ عدم الإيمان يعوق استجابة الصلاة ٥١٥
+ كل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه ٥٨٢

باب:
+ ادخلوا من الباب الضيِّق الذي يؤدِّي للملكوت ٢٩٩-٣٠١
+ وأُغلق الباب ٦٩٨-٧٠٢
+ دحرجة حجر كبير على باب قبر يسوع ٨٢٦
+ ملاك الرب دحرج الحجر عن باب القبر وجلس عليه ٨٣٠-٨٣٣

باراباس:
+ طلب اليهود إطلاق باراباس وصلب المسيح ٨٠٧-٨١٠

بحر/ بحيرة:
+ المسيح أمر فهدأت العاصفة وسكت البحر ٣١٧-٣١٩
+ غرق الخنازير التي دخلتها الشياطين في البحر ٣٢٠و٣٢١
+ مثل الشبكة التي أُلقيت في بحر ٤٤٧-٤٥٠
+ السفينة في البحر معذبة وسط الأمواج ٤٦٦-٤٧٠
+ المسيح يمشي على البحر الهائج ٤٦٧-٤٦٩

بدء/ بداية:
+ بدء الخدمة في الجليل ١٩٤
+ مبتدأ الأوجاع في نهاية العالم ٦٤٣-٦٤٦

بر/ بار:
+ يوسف البار ١٤٠
+ المسيح يقول ليوحنا: يليق بنا أن نكمِّل كل بر ١٨١
+ طوبى للجياع والعطاش إلى البر ٢٢٠-٢٢٢
+ طوبى للمطرودين من أجل البر ٢٢٦
+ بر الملكوت إزاء بر الناموس ٢٣٥-٢٣٩
+ البر الأخلاقي السلوكي ٢٥٩-٢٩٠
– من نحو الفقير ٢٥٩-٢٦١
– من نحو الله ٢٦١-٢٦٤
– من نحو النفس ٢٦٥-٢٧٥
– من نحو العالم والجسد ٢٧٦-٢٩٠
+ حياة المدعوين إلى بر الملكوت ٢٩١-٣٠٦
+ بكلامك تتبرر وبكلامك تدان ٤١٣و٤١٤
+ امرأة بيلاطس تحذره قائلة إياك وهذا البار ٨٠٨و٨٠٩

برص:
+ تطهير الأبرص ٣١٠و٣١١و٣٨٢
+ المسيح في بيت سمعان الأبرص ٧٤٠-٧٤٣

بركة/ مبارك:
+ باركوا لاعنيكم ٢٥١-٢٥٥
+ المسيح يبارك على الخبز والسمك ٤٦٠-٤٦٤
+ مبارك الآتي باسم الرب ٥٧٧-٥٧٩و٦٢٩-٦٣٢
+ بركة المسيح على الخبز في العشاء الأخير ٧١٥

+ تعالوا إليَّ يا مباركي أبي ٧١٩و٧٢٠
برية/ براري:
+ ظهور يوحنا المعمدان وخدمته في البرية ١٧٠و٣٨٣
+ أُصعد يسوع إلى البرية ليجرَّب من إبليس ١٨٦
+ إشباع الجموع في المرة الثانية في البرية ٤٧٩
+ لا تخرجوا إلى البرية لمسحاء كذبة ٦٦٦
بشارة:
+ المسيح يكرز ببشارة الملكوت ٣٤٠و٣٤١
+ البشارة للمساكين ٣٨٢
+ الكرازة ببشارة الملكوت لجميع الأُمم قبل أن يأتي المنتهى ٦٥٤-٦٥٦
بطرس:
+ دعوة بطرس وأندراوس أخيه ١٩٩-٢٠١
+ بطرس أول أسماء الاثني عشر رسولاً ٣٤٨-٣٥١
+ بطرس يمشي على الماء ٤٦٩و٤٧٠
+ اعتراف بطرس بالمسيح أنه ابن الله الحي ٤٨٩-٤٩٤
+ بحث في اسم بطرس: سمعان بن يونا ٤٩٠
+ بطرس أحد الثلاثة تلاميذ الذين عاينوا التجلي ٥٠٢-٥١٠
+ المسيح يأمر بطرس بدفع ضريبة الهيكل ٥١٧و٥١٨
+ سؤال بطرس عن عدد مرَّات الغفران للخاطئ ٥٣٦-٥٤٠
+ بطرس يقول للمسيح إنهم تركوا كل شيء وتبعوه ٥٥١-٥٥٤
+ بطرس يتحدَّى بأنه لا يمكن أن ينكر المسيح ٧٦٧-٧٦٩
+ بطرس مع يسوع في جثسيماني ٧٧١
+ إنكار بطرس ٧٩٣-٧٩٦
بعلزبول:
+ الفريسيُّون يجدِّفون على المسيح بأنه يخرج الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين ٤٠٧-٤١١
بيت:
+ (انظر أيضاً بيت داود، بيت لحم)
+ البيت المبني على الصخر والآخر المبني على الرمل ٣٠٥و٣٠٦
+ أهل بيت المسيح ٤١٨
بيت داود/ بيت لحم:
+ المجوس يأتون إلى المسيح في بيت لحم ١٥٤-١٥٩
+ بيت لحم يخرج منها مدبر يرعى شعب إسرائيل ١٥٨
+ قتل أطفال بيت لحم ١٠٨و١٦٤-١٦٦
بيلاطس:
+ تسليم المسيح لبيلاطس لصلبه ٧٩٧-٨٠٠
+ استجواب المسيح أمام بيلاطس ٨٠٣-٨٠٦
+ نطق بيلاطس بالموت للمسيح صلباً ٨٠٧-٨١١
+ يوسف الرامي طلب من بيلاطس جسد يسوع لدفنه ٨٢٥و٨٢٦
تبعية:
+ شروط تبعية المسيح ٣١٦و٣١٧
+ تبعية متى للمسيح ٣٢٨-٣٣١
+ التلاميذ تبعوا المسيح في التجديد ٥٥١-٥٥٤
تجديد:
+ التجديد كعملية مسيَّانية يقوم بها ابن الإنسان ٦٨
+ التلاميذ هم الذين تبعوا المسيح في التجديد ٥٥١-٥٥٤
تجديف:
+ اتهام الكتبة للمسيح بأنه يجدِّف لأنه يغفر الخطايا ٣٢٥-٣٢٧
+ كل تجديف يغفر للناس إلاَّ التجديف على الروح القدس ٤١٠و٤١١
+ رئيس الكهنة يتهم المسيح بالتجديف ٧٩١و٧٩٢
+ كان المجتازون بصليب المسيح يجدِّفون عليه ٨١٨و٨١٩
تجربة:
+ تجربة المسيح على الجبل ١٨٦-١٩٣
+ لا تجرِّب الرب إلهك ١٩٠و١٩١
+ لا تدخلنا في تجربة ٢٧٣و٢٧٤
+ الفريسيُّون والصدوقيُّون يجرِّبون المسيح ٤٨٤-٤٨٦
تجسُّد:
+ أزلية الابن المتجسِّد ١٤٧
+ الروح القدس والتجسُّد ١٥٠و١٥١
تجلِّي:
+ تجلِّي المسيح على الجبل ٥٠٢-٥١٠
ترك:
+ يترك الرجل أباه وأُمه ويلتصق بامرأته ٥٤٣
+ مَنْ ترك شيئاً لأجل المسيح يأخذ مائة ضعف ٥٥١-٥٥٤
+ إلهي إلهي لماذا تركتني ٨٢٠و٨٢١
تسليم:
+ ابن الإنسان يُسلَّم ليُصلب ٧٣٥-٧٣٧
+ المسيح يعلن لتلاميذه أن واحداً منهم سيسلِّمه ٧٤٩-٧٥٢
+ ابن الإنسان يُسلَّم لأيدي الخطاة ٧٧٩و٧٨٠

+ التسليم والقبض ٧٨١-٧٨٥
تعليم/ متعلِّم/ معلِّم:
+ الأحاديث التعليمية ١٠٨و١٠٩
+ تعليم التلاميذ ١٠٨
+ المسيح يعلِّم ٢٠٢-٢٠٦و٣٤٠
+ من عمل وعلَّم يُدعى عظيماً في ملكوت السموات ٢٣٨
+ الجموع بهتت من تعليم المسيح ٣٠٧ و٤٥٣ و٦٠١-٦٠٣
+ تعاليم المسيح للاثني عشر ٣٥٤-٣٧٨
+ التعلم من المسيح في وداعته وتواضع قلبه ٣٩١-٣٩٦
+ حقائق هامة في منهج المسيح التعليمي ٤٢٤-٤٢٦
+ الكاتب المتعلِّم في ملكوت السموات ٤٥١و٤٥٢
+ الخمير وتعليم الفريسيِّين ٤٨٧و٤٨٨
+ الحل والربط يخص التعليم ٥٣٤
+ تعليم من جهة الطلاق ٥٤٢-٥٤٤
+ لا تدعوْا معلمين لأن معلِّمكم واحد المسيح ٦١٤و٦١٥
+ تحذيرات من ضلالة المعلِّمين الكذبة ٦٦٤و٦٦٥
+ علِّموا المعمدين أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به ٨٦٢-٨٦٩
تقليد:
+ التقليد القديم الخاص بكتابة إنجيل ق. متى ٢٥-٣٨
- أصالته الرسولية ولغته التي كتب بها: الأرامية ٢٥-٣٠
▪ ترجم لليونانية ٢٨-٣٠
▪ مقسَّم إلى خمسة أقسام كالتوراة ٣٠
- تاريخ كتابته ٣١-٣٣
- أنطاكية المدينة التي كُتب فيها إنجيل ق. متى ٣٣-٣٨
▪ استشهادات القديس إغناطيوس أسقف أنطاكية ٣٤-٣٦
▪ شهادة الديداخي ٣٦-٣٨
+ تقليد الشيوخ في غسل الأيدي قبل الأكل ٤٧٢-٤٧٥
تكميل:
+ يليق بنا أن نكمِّل كل بر ١٨٠-١٨٤
+ تكميل رسالة الرب ٥٦٧-٥٧٠
+ تكميل الشهادة لكل الأُمم ٦٥٤-٦٥٦
+ تكميل الأوجاع ومخاض العالم الأخير ٦٦٧-٦٧٢
+ ينبغي أن تكمل الكتب ٧٨٣و٧٨٤
تلمذة/ تلاميذ:
+ دعوة الأربعة تلاميذ ١٩٩-٢٠١
+ دعوة التلاميذ وإرسالهم ٣٤٠و٣٤٥
+ ليس التلميذ أفضل من معلِّمه ٣٦٥و٣٦٦
+ مَنْ سقى أحد الصغار كأس ماء بارد باسم تلميذ لا يضيع أجره ٣٧٦
+ التلاميذ سيدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر ٥٥١-٥٥٤
+ التلاميذ مغتاظون من تصرُّف المرأة ساكبة الطيب ٧٤١-٧٤٣
+ المسيح يأكل الفصح مع تلاميذه ٧٤٩
+ محبة التلاميذ وإنكار بطرس ٧٦٥-٧٨٠
+ اتهام التلاميذ بسرقة جسد المسيح ٨٤٤-٨٤٦
+ اذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم ٨٥٢-٨٥٧
تواضع:
+ المسيح وديع ومتواضع القلب ٣٩٥
+ مَنْ يرفع نفسه يتضع، ومَنْ يضع نفسه يرتفع ٦١٥
توبة:
+ يوحنا المعمدان يكرز بالتوبة ١٧١-١٧٣
+ يوحنا بدأ خدمة التعميد على أساس التوبة ١٨٣و١٨٤
+ كرازة المسيح بالتوبة لأنه قد اقترب ملكوت السموات ١٩٨
+ المسيح جاء ليدعو الخطاة إلى التوبة ٣٣٠
توراة:
+ القديس متى قسَّم إنجيله إلى خمسة أقسام على نمط أسفار التوراة ٣٠ و١٠٨-١١١
+ المسيح يستشهد بما جاء في التوراة ٤٠٠
ثمرة:
+ من ثمارهم تعرفونهم ٣٠٢
+ شجرة التين التي بلا ثمر ٥٨٢و٥٨٣
جثسيماني:
+ صلاة جثسيماني وسر الكأس ٧٧٠-٧٨٠
جلجثة:
+ الصلب فوق الجلجثة ٨١٤-٨١٩
جزية:
+ جزية قيصر فلتُعط لقيصر ٥٩٩-٦٠١
جسد:
+ البر السلوكي والأخلاقي نحو العالم والجسد ٢٧٨-٢٨٩
- لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض ٢٧٨
- سراج الجسد هو العين ٢٧٩
- لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون ٢٨٦-٢٨٩

+ لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ٣٦٦و٣٦٧
+ مسحة الجسد بالطيب من أجل تكفينه حيًّا ٧٤٠-٧٤٣
+ خذوا كلوا هذا هو جسدي ٧٥٥-٧٥٧
+ الروح نشيط أمَّا الجسد فضعيف ٧٧٧
+ قيام أجساد القديسين الراقدين عند موت المسيح وخروجهم من قبورهم وظهورهم لكثيرين ٨٢١-٨٢٣
+ يوسف الرامي طلب جسد يسوع ليدفنه ٨٢٥
+ التغيير الذي حدث لجسد المسيح بعد الموت ٨٣٦-٨٤٠

جليل:

+ خدمة الجليل ١٩٤-٢٠٦
+ يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل ٥٧٩
+ المسيح بعد قيامته سبق التلاميذ إلى الجليل ليراه التلاميذ هناك ٨٣١-٨٤٤

جوع/ مجاعات:

+ تكون مجاعات وأوبئة وزلازل ولكن هذه مبتدأ الأوجاع ٦٤٥و٦٤٦

حب/ محبة:

+ أحبوا أعداءكم ٢٥١-٢٥٥
+ إن أحببتم الذي يحبونكم فأي فضل لكم ٢٥٤و٢٥٥
+ حياة البر الحقيقي هي في محبة الله فوق الكل ومحبة القريب كالنفس ٢٥٨
+ أعظم وصية هي تحب الرب إلهك، والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك ٦٠٤و٦٠٥
+ لكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين ٦٥٠-٦٥٣

حبة/ بذرة:

+ أهمية البذور المزروعة في مَثَل الزارع ٤٢٩-٤٣٤
+ مَثَل حبة الخردل ٤٣٨

حجر/ صخرة:

+ مطالبة الشيطان للمسيح تحويل الحجارة خبزاً ١٨٨و١٨٩
+ البيت المبني على الصخر والمبني على الرمل ٣٠٥و٣٠٦
+ الحجر الذي رفضه البنَّاؤون هو صار رأس الزاوية ٥٨٩و٥٩٠
+ الصخور تشقَّقت عند موت المسيح ٨٢١-٨٢٣
+ ختم الحجر الذي على باب قبر يسوع ٨٢٨

حديث:

+ الحديث الأول: العظة على الجبل ٢٠٧-٣٠٦
+ الحديث الثاني الكبير: تعاليم المسيح للاثني عشر ٣٥٤-٣٧٨
+ الحديث الثالث الكبير: أمثال الملكوت ٤١٩-٤٥٢
+ الحديث الرابع الكبير ٥٢٠-٥٤٠
+ الحديث الخامس الكبير: الجزء الأول ٦٠٧-٦٣٢
+ الحديث الخامس الكبير: الجزء الثاني ٦٣٣-٧٣٠
+ حديث المحاكمات ٦٨٤-٧٣٠

حروب:

+ تسمعون بحروب وأخبار حروب، ولكن ليس المنتهى بعد ٦٤٤و٦٤٥

حصاد:

+ الحصاد كثير والفعلة قليلون ٣٤١و٣٤٢
+ الحصَّادون هم الملائكة ٤٣٥-٤٣٧

حق/ حقيقة:

+ الآب اختار المسيح ليخبر الأُمم بالحق ٤٠٣-٤٠٦
+ المسيح لا يخاصم ولا يصيح حتى يُخرج الحق إلى النصرة ٤٠٥و٤٠٦

حقل:

+ مَثَل الكنز المخفى في حقل ٤٤١و٤٤٢

حُلم:

+ الملاك ظهر ليوسف في حلم ١٤٠-١٤٨و١٦٢و١٦٦و١٦٧
+ تدخل السماء بالأحلام والملائكة ١٥٠
+ أوحى للمجوس أن لا يرجعوا لهيرودس ١٦١
+ امرأة بيلاطس تألَّمت كثيراً في حلم من أجل المسيح ٨٠٨و٨٠٩

حكم/ محاكمة:

+ لو علمتم ما هو ... لما حكمتم على الأبرياء ٤٠٠و٤٠١
+ محاكمة الكرَّامين الأردياء ٥٨٨-٥٩٠
+ المحاكمات في نهاية الزمان ٦٨٣-٧٣٠
– محاكمة العبد المستهتر ٦٨٦-٦٩١
– محاكمة الخمس العذارى الجاهلات ٦٩١-٧٠٢
– محاكمة العبد الكسلان والشرير ٧٠٣-٧١٤
– محاكمة الجداء الملاعين ـ منظر الدينونة الأخير ٧١٥-٧٣٠
+ المحاكمة أمام السنهدرين ٧٨٥-٧٩٣

حكمة:

+ حكماء من المشرق يقدِّمون العبادة لله المتجسِّد ١٥٤-١٦١
+ كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام ٣٦٠و٣٦١
+ الحكمة تبرَّرت من بنيها ٣٨٧و٣٨٨

+ أسرار الله أُخفيت عن الحكماء والفهماء وأُعلنت للأطفال ٣٩٠و٣٩١
+ كتبة العهد الجديد علماء وحكماء ودارسو ملكوت ٤٥٢
+ مَثَل العبد الأمين الحكيم ٦٨٦-٦٩١
+ مَثَل العذارى الحكيمات والجاهلات ٦٩١-٧٠٢

حياة:
+ لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ٢٨٦-٢٨٩
+ مَن وجد حياته يضيِّعها، ومَنْ أضاع حياته من أجل المسيح يجدها ٣٧٢و٣٧٣
+ مَنْ ترك شيئاً لأجل المسيح يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية ٥٥٣و٥٥٤

خبز:
+ مطالبة الشيطان للمسيح أن يحوِّل الحجارة خبزاً ١٨٨و١٨٩
+ ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ١٨٩و١٩٠
+ خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ٢٦٩-٢٧١
+ داود لمَّا جاع أكل خبز التقدمة الذي لا يحل أكله إلاَّ للكهنة ٣٩٩ و٤٠٠
+ معجزة إطعام الجموع من الخبز والسمك ٤٦٠-٤٦٤ و٤٧٠و٤٨٠
+ التلاميذ يعولون همّ الخبز ٤٨٧
+ بركة المسيح على الخبز في العشاء الأخير ٧٥٥

خدمة:
+ بداية الخدمة ١٠٨
+ الخدمة في الجليل ١٠٨
+ بداية خدمة الجليل ١٩٤-١٩٩
+ الفرق بين أعمال الخدمة وأعمال العبادة ٢٥٩
+ لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ٢٨٠
+ ابن الإنسان لم يأتِ ليخدم بل ليخدم ٥٦٣-٥٦٥
+ أكبركم يكون خادماً لكم ٦١٥

خراب:
+ هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً ٦٢٩-٦٣٢
+ التنبُّؤ بخراب الهيكل ٦٤٠

خروج:
+ المسيح يعطي تلاميذه سلطان إخراج الشياطين ٣٢٠ و٣٢١
+ الفريسيُّون يتهمون المسيح بأنه يُخرج الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين ٤٠٧-٤١١
+ عودة الروح النجس بعد خروجه من الإنسان إذا وجده فارغاً ٤١٦ و٤١٧

خصي:
+ الخصيان لأجل ملكوت السموات ٥٤٥

خطية/ خاطئ:
+ سلطان المسيح لمغفرة الخطايا ٣٢٥-٣٢٨
+ الخطاة يأتون ويتكئون مع المسيح ٣٢٩-٣٣١
+ المسيح لم يأتِ ليدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة ٣٣٠
+ كل خطية وتجديف يُغفر للناس إلاّ التجديف على الروح القدس ٤١٠و٤١١

خلاص/ مخلِّص:
+ الله يخلِّص = يسوع ١٣٧ و١٣٨
+ مَنْ أراد أن يخلِّص نفسه يهلكها ٤٩٨
+ لو لم تُقصَّر تلك الأيام لم يخلص أحد ٦٦٣

خمر:
+ الخمر الجديدة توضع في زقاق جديد ٣٣٢-٣٣٤
+ ابن الإنسان أكول وشرِّيب خمر ٣٨٧و٣٣٨
+ كأس الخمر الذي شكر عليه الرب وأعطاه لتلاميذه ليشربوا منه باعتباره دمه الذي يُسفك لأجلهم ٧٥٨-٨٦٤

خمير:
+ مَثَل الخميرة ٤٣٩
+ الخمير وتعليم الفريسيِّين ٤٨٧و٤٨٨

خوف:
+ لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ٣٦٦-٣٦٨
+ خوف الرسل عند رؤيتهم المسيح ماشياً على البحر ٤٦٧-٤٧٠
+ خوف التلاميذ عند دخولهم تحت السحابة في التجلي ٥٠٩
+ خوف الحراس من الملاك الذي دحرج الحجر عن باب القبر حتى صاروا كأموات ٨٣٠و٨٣١
+ ملاك القيامة يقول للمريمتين: لا تخافا أنتما ٨٣١
+ المسيح القائم يقول للمريمتين: لا تخافا ٨٤٢

خيانة:
+ يهوذا الإسخريوطي يخون سيده ويتفق مع رؤساء الكهنة على تسليم المسيح ٧٤٤-٧٤٦
+ اتهام يسوع العلني للخائن ٧٤٩-٧٥٢

+ يهوذا الخائن يخنق نفسه ٨٠١و٨٠٢
داود:
+ المسيَّا ابن داود ابن ابراهيم ١١٩و١٢٠و١٣٤-١٣٦
+ المسيَّا وريث مملكة داود ١٥٠
+ داود حين جاع آكل خبز التقدمة الذي لا يحل آكله إلاّ للكهنة ٣٣٩و٤٠٠
+ هل المسيح هو ابن داود؟ ٤٠٧و٦٠٥و٦٠٦
+ ارحمني يا ابن داود ٤٧٦-٤٧٨ و٥٦٥و٥٦٦
+ أُوصنّا لابن داود ٥٧٧-٥٧٩و٥٨١
دعوة:
+ دعوة التلاميذ من صيد السمك إلى صيد الناس ١٩٩-٢٠١
+ دعوة القديس متى صاحب الإنجيل ٣٢٨-٣٣١
+ دعوة التلاميذ وإرسالهم ٣٣٤-٣٥٣
+ دعوة للراحة ٣٩١-٣٩٦
+ ثلاث دعوات تغطّي خدمة المسيح ٥٩٢-٥٩٩
+ دعوة الجميع أشراراً وصالحين ٥٩٧و٥٩٨
+ كثيرون يدعون وقليلون يُنتخبون ٥٩٨و٥٩٩
دفن:
+ دع الموتى يدفنون موتاهم ٣١٧
+ دفن المسيح ٨٢٥و٨٢٦
دموع/ بكاء:
+ بكاء المسيح على أُورشليم ٦٢٩-٦٣٢
دم:
+ كل دم زكي سُفك على الأرض يُطلب من هذا الجيل ٦٢٧و٦٢٨
+ هذا هو دمي الذي للعهد الجديد ٧٥٨-٧٦٤
+ أخطأت إذ سلّمت دماً بريئاً ٨٠١و٨٠٢
+ فضة يهوذا ثمن تسليم المسيح دعيت ثمن دم ٨٠٢
+ فضة يهوذا اشتروا بها حقلاً دعوه حقل الدم ٨٠٢
+ بيلاطس يقول: إنه بريء من دم هذا البار ٨١٠
+ الشعب يقول: دمه علينا وعلى أولادنا ٨١٠
دينونة:
+ لا تدينوا لكي لا تُدانوا ٢٩٢-٢٩٤
+ بكلامك تتبرَّر وبكلامك تُدان ٤١٣و٤١٤
+ التلاميذ سيدينون أسباط إسرائيل ٥٥١-٥٥٤
+ كيف تهربون من دينونة جهنم ٦٢٧
+ منظر الدينونة الأخيرة ٧١٥-٧٣٠
ذبيحة:
+ المسيح يريد رحمة لا ذبيحة ٣٣٠و٣٣١ و٤٠٠و٤٠١
ذكرى:
+ حيثما يُكرز بالإنجيل يخبر عن ساكبة الطيب تذكاراً لها ٧٤٣
رأس:
+ لا تحلف برأسك ٢٤٨
+ إذا صمت ادهن رأسك ٢٧٦
+ ابن الإنسان ليس له أين يسند رأسه ٣١٦
+ قطع رأس يوحنا المعمدان ٤٥٧-٤٥٩
+ المرأة التي سكبت الطيب على رأس المسيح ٧٤٠-٧٤٣
+ إكليل الشوك على رأس المسيح ٨١٢و٨١٣
+ ضربوا رأس المسيح بقصبة ٨١٢و٨١٣
رجاء:
+ على اسم المسيح يكون رجاء الأُمم ٤٠٦
+ ترجّي أُم ابني زبدي من أجل ابنيها ٥٦١-٥٦٣
+ ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر ٨٦٩-٨٧٢
رحمة:
+ طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون ٢٢٢و٢٢٣
+ إني أريد رحمة لا ذبيحة ٣٣٠و٣٣١و٤٠٠و٤٠١
+ ارحمني يا ابن داود ٤٧٦-٤٧٨ و٥٦٥و٥٦٦
+ مَثَل الخادم غير الرحوم ٥٣٦-٥٤٠
+ الكتبة والفريسيُّون تركوا أهم الوصايا الرحمة والحق والإيمان ٦٢١و٦٢٢
رسول/ رسولية/ إرسالية:
+ لقب رسول ٣٤٤و٣٤٥
+ المسيح أرسل رسله كحملان في وسط ذئاب ٣٦٠و٣٦١
+ إرسالية الكنيسة، إرسالية كل الدهور ٨٥٠-٨٧٢
روح:
+ المسيح الروح: الرب الروح ٦٥
+ حبل العذراء مريم من الروح القدس ١٣٨-١٤٥
+ الروح القدس وتجسُّد ابن الله ١٥٠و١٥١
+ روح الله نزل من السماء مثل حمامة واستقر على المسيح ١٨٢-١٨٤
+ مسحة الروح القدس للانطلاق للخدمة ١٨٣
+ إصعاد يسوع بالروح إلى البرية ليجرَّب من إبليس ١٨٦

+ طوبى للمساكين بالروح ٢١٧و٢١٨
+ روح الآب هو المتكلّم في الذين يسلّمون لأجل المسيح ٣٦٢و٣٦٣
+ الآب يضع روحه على فتاه الذي اختاره ٤٠٣-٤٠٦
+ المسيح بروح الله يخرج الشياطين ٤٠٨
+ من جدّف على الروح القدس لا يُغفر له ٤١٠و٤١١
+ عودة الروح النجس بعد خروجه من الإنسان إذا وجده فارغاً ٤١٦و٤١٧
+ الروح نشيط أمّا الجسد فضعيف ٧٧٧
+ صرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح ٨٢٠و٨٢١

رياء/ مرائي:
+ المراؤون يعملون كل شيء لكي يُمجّدوا من الناس ٢٦٠-٢٦٢و٢٦٣و٢٧٦
+ الصلاة بدون الإحساس بالاحتياج رياء هي ٢٦٤
+ يا مرائي أخرج أولاً الخشبة من عينك ٢٩٢-٢٩٤
+ رياء الفريسيّين في إبطال وصية الله بسبب تقليدهم ٤٧٣و٤٧٤
+ رياء الفريسيّين في عدم تمييز علامات الأزمنة ٤٨٤-٤٨٦
+ خمير الفريسيّين هو الرياء ٤٨٧و٤٨٨
+ لماذا تجرّبونني يا مراؤون ٥٩٩-٦٠١
+ الويلات السبعة للفريسيين المرائين ٦١٥-٦٢٨
+ العبد المستهتر نصيبه مع المرائين ٦٩١

زرع:
+ المسيح وتلاميذه بين الزروع في يوم السبت ٣٩٨
+ مَثَل الزارع الذي خرج ليزرع ٤٢٧-٤٣٤
+ الزارع الزرع الجيد وزارع الزوان في مَثَل الزوان ٤٣٤-٤٣٧

زنا:
+ النظر بشهوة زنا في القلب ٢٤٣-٢٤٥
+ عدم الطلاق إلاّ لعلة الزنا ٢٤٥-٢٤٨ و٥٤٢-٥٤٤

زواج:
+ لا يحل للزوج أن يطلّق امرأته إلاّ لعلة الزنا ٢٤٥-٢٤٨
+ مَنْ يتزوّج من مطلّقة يزني ٢٤٥-٢٤٨
+ الذي جمعه الله لا يفرّقه إنسان ٥٤٢-٥٤٤
+ في القيامة لا يزوّجون ولا يتزوّجون ٦٠١-٦٠٣

سبت:
+ المسيح رب السبت ١٩و٣٩٨-٤٠٢
+ صلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء أو سبت ٦٦٢
+ بعد السبت قام المسيح ٨٣٠-٨٣٣

سجود:
+ سجود المجوس ١٠٨و١٥٤-١٦١
+ للرب إلهك تسجد ١٩١-١٩٣
+ الكنعانية تسجد للمسيح ٤٧٦-٤٧٨
+ سجود النسوة للمسيح القائم ٨٤٢-٨٤٤
+ سجود التلاميذ للمسيح القائم ٨٤٦-٨٤٨

سحاب:
+ سحابة نيرة ظلّلت المسيح وموسى وإيليا في التجلّي ٥٠٨
+ في نهاية الأيام تبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء ٦٦٨و٧٩٠

سر:
+ سر الزيجة في المسيحية ٢٤٥-٢٤٨
+ أُعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات ٤٢١-٤٢٣
+ صلاة جثسيماني وسر الكأس ٧٧٠-٧٨٠

سلام:
+ طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون ٢٢٥و٢٢٦
+ البيت المستحق السلام يحل سلامكم عليه ٣٥٩
+ المسيح لم يأتِ ليلقي سلاماً على الأرض ٣٦٩و٣٧٠
+ المسيح يعطي السلام للنسوة بعد قيامته ٨٤٢

سلطان:
+ المسيح كان يعلّم بسلطان وليس كالكتبة ٣٠٧
+ سلطان المسيح على البحر والرياح ٣١٩
+ سلطان المسيح على مغفرة الخطايا ٣٢٥-٣٢٧
+ المسيح أعطى تلاميذه سلطاناً على الأرواح النجسة وعلى شفاء الأمراض ٣٤٦-٣٤٨
+ المسيح يؤكد سلطانه كرب السبت ٣٩٨-٤٠٢
+ سلطان الحل والربط لبطرس وللتلاميذ ٤٨٩-٤٩٤و٥٣٤
+ رؤساء الكهنة يسألون المسيح بأي سلطان تفعل هذا ٥٨٢-٥٨٦
+ دُفع إليّ كل سلطان ٨٥٠و٨٥١

سماء/ سموات:
+ انفتاح السموات عند خروج المسيح من ماء المعمودية ١٨٢-١٨٤
+ إنجيل القديس متى هو إنجيل ملكوت السموات ٤١

+ ملكوت السموات وتحقيقه في الحاضر والمستقبل ١٠٢-١٠٧
+ توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات ١٧١-١٧٣و١٩٨
+ ملكوت السموات يُغصب والغاصبون يختطفونه ٣٨٥و٣٨٦
+ الحمد للآب رب السماء والأرض ٣٩٠
+ أسرار ملكوت السموات للأخصاء فقط ٤٢١-٤٣٤
+ المسيح ينظر إلى السماء عند مباركة الخبز ٤٦٢
+ المراؤون يعرفون أن يميِّزوا وجه السماء أمَّا علامات الأزمنة فلا يعرفونها ٤٨٤-٤٨٦
+ قوّات السموات تتزعزع في آخر الأيام ٦٦٧و٦٦٨
+ ظهور علامة ابن الإنسان في السماء ٦٦٨
+ السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول ٦٧٤
سمع:
+ مَنْ له أذنان للسمع فليسمع ٣٨٦و٤٢٨و٤٣٥
+ أنواع السامعين للكلمة في مَثَل الزارع ٤٢٨-٤٣٤
سهر:
+ السهر استعداداً لمجيء ابن الإنسان ٦٨و٦٨٠-٦٨٢و٧٠٢
+ أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة ٧٧٦
+ اسهروا وصلُّوا لئلاّ تدخلوا في تجربة ٧٧٧
سيف:
+ المسيح لم يأتِ ليلقي سلاماً بل سيفاً ٣٦٩و٣٧٠
+ أحد التلاميذ استل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة ٧٨٢و٧٨٣
شجرة:
+ الشجرة غير المثمرة تقطع وتلقى في النار ١٧٧و٣٠٢
+ من الثمر تُعرف الشجرة ٣٠١و٣٠٢و٤١١و٤١٢
+ شجرة الخردل ٤٣٨
+ لعن شجرة التين ٥٨٢و٥٨٣
شر/ شرير:
+ لا تقاوموا الشر ٢٥٠و٢٥١
+ لا يغلبنَّك الشر بل اغلب الشر بالخير ٢٥٠و٢٥١
+ نجنا من الشرير ٢٧٣و٢٧٤
+ كيف تقدرون أن تتكلّموا بالصالحات وأنتم أشرار ٤١٢
+ جيل شرير يطلب آية ٤١٥
+ بنو الشرير هم الزوان ٤٣٥-٤٣٧
+ العبد الشرير الذي لم يرحم رفيقه كما رحمه سيده ٥٣٩و٥٤٠
+ محاكمة العبد الشرير والكسلان ٧٠٣-٧١٤
شفاء:
+ معجزات الشفاء كانت محصلة حرب ومواجهة عنيفة بين النور والظلمة ٤٩
+ حتمية الإيمان لإجراء الشفاء ٤٩
+ العهد القديم كخلفية في الأشفية في إنجيل ق. متى ٧٤و٧٥
+ المسيح يشفي ٢٠٢-٢٠٦و٤٠٣
+ شفاء غلام قائد المائة ٣١٢-٣١٤
+ شفاء حماة سمعان وآخرين ٣١٤و٣١٥
+ شفاء المجنونين في كورة الجرجسيين ٣٢٠و٣٢١
+ شفاء المفلوج ٣٢٤-٣٢٧
+ إقامة ابنة رئيس من الموت ٣٣٤-٣٣٧
+ شفاء امرأة نازفة دم ٣٣٥-٣٣٧
+ المسيح يطوف يشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب ٣٤٠و٣٤١
+ المسيح يعطي رسله سلطان شفاء الأمراض ٣٤٦و٣٥٦
+ أشفية على بحيرة جنيسارت ٤٧٠
+ شفاء الجموع ٤٧٨و٤٧٩
+ شفاء الولد المصروع ٥١٠-٥١٥
+ شفاء أعميين في أريحا ٥٦٥و٥٦٦
شكر:
+ المسيح يشكر الآب لاستعلانه لحقيقة المسيَّا ٣٩٠و٣٩١
+ الشكر والبركة على الخبز والسمك لإشباع الجموع ٤٦٠-٤٦٤و٤٧٩-٤٨١
+ شكر المسيح على الكأس في العشاء الأخير ٧٥٨-٧٦٤
شهادة/ شهود:
+ شهادة يوحنا المعمدان عن المسيح ١٨٠-١٨٤
+ شهادات عن العظة على الجبل ٢٠٨-٢١١
+ اضطهاد الرسل شهادة لأجل المسيح أمام الأُمم ٣٦١و٣٦٣
+ كل كلمة تقوم على فم شاهدين أو ثلاثة ٥٣٣
+ الكرازة ببشارة الملكوت شهادة لجميع الأُمم ٦٥٤-٦٥٦
+ شهود الزور لم تتفق شهادتهم ضد المسيح ٧٨٧-٧٩٠
+ استغناء السنهدرين عن الشهود باعتراف المسيح أنه ابن الله ٧٩١
+ شهادة ضد القيامة مدعَّمة بالرشوة ٨٤٤-٨٤٦

شيطان/ إبليس:
+ أصعد يسوع بالروح إلى البرية ليجرَّب من إبليس ١٨٦-١٩٣
+ الشياطين تعرف أن المسيح ابن الله ٣٢٠و٣٢١
+ الشياطين تطلب أن تدخل في قطيع الخنازير ٣٢٠و٣٢١
+ المسيح يعطي رسله سلطان إخراج الشياطين ٣٤٦و٣٥٦
+ قالوا عن يوحنا فيه شيطان ٣٨٧
+ المسيح يقول لبطرس: اذهب عني يا شيطان ٤٩٦و٤٩٧
+ خروج الشيطان من الولد المصروع ٥١٠-٥١٥
صبر:
+ مَنْ يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص ٣٦٤و٦٥٣
صدقة:
+ لا تصنعوا صدقتكم قدَّام الناس لكي ينظروكم ٢٥٩-٢٦٢
صلاة:
+ صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ٢٥١-٢٥٥
+ صلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء ٢٦٢-٢٦٤
+ الصلاة ثلاثة أنواع جماعية وفردية خاصة وصلاة الاثنين أو الثلاثة ٢٦٢و٢٦٣
+ الصلاة الربانية ٢٦٥-٢٧٥
+ اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفتح لكم ٢٩٥-٢٩٩
+ انفراد المسيح على الجبل للصلاة ٤٦٥و٤٦٦
+ استجابة الصلاة ٥١١-٥١٥
+ إذا اتفق اثنان في طلب بالصلاة يكون لهما ٥٣٤و٥٣٥
+ الكتبة والفريسيُّون لعلّة يطيلون الصلوات ٦١٨
+ صلاة جثسيماني وسر الكأس ٧٧٠-٧٨٠
صلب/ صليب:
+ مَنْ لا يأخذ صليبه ويتبع المسيح فلا يستحقه ٣٧١و٣٧٢
+ إنكار الذات وحمل الصليب شرط لاتباع الرب ٤٩٨
+ ابن الإنسان يُسلَّم ليُصلب في الفصح ٧٣٧و٧٣٨
+ قرار السنهدرين بتقديم المسيح للصلب وتسليمه لبيلاطس ٧٩٧-٨٠٠
+ جلد المسيح وتسليمه للصلب ٨١١
+ سخروا سمعان القيرواني ليحمل صليب المسيح ٨١٤و٨١٥
+ الصلب فوق الجلجثة ٨١٤-٨١٩
+ موت المسيح على الصليب ٨٢٠-٨٢٤
+ يسوع المصلوب ليس هو ههنا لأنه قام كما قال ٨٣١و٨٣٢

صوت:
+ صوت صارخ في البرية ١٧٣
+ صوت من السموات يشير إلى الابن الحبيب ١٨٢
+ المسيح لا يسمع أحد في الشوارع صوته ٤٠٥
+ صوت من السحابة يشهد للمسيح بأنه ابن الله الحبيب الذي به سُرَّ الآب ٥٠٨
+ المسيح صرخ بصوت عظيم وهو على الصليب ٨٢٠و٨٢١
صوم:
+ صوم المسيح أربعين يوماً في البرية ١٨٨
+ الصوم المقبول ٢٧٦و٢٧٧
+ لا يستطيع بنو العرس أن يصوموا مادام العريس معهم ٣٣٢و٣٣٤
+ المسيح يشفق على الجمع الصائم ٤٦٠-٤٦٤و٤٧٩
+ الصوم والصلاة يخرجان الشياطين ٥١٥
صدوقيون:
+ الصدوقيون يقولون ليس قيامة ٦٠١-٦٠٣
صيد/ صيَّاد:
+ من صيد السمك إلى صيد الناس ١٩٩-٢٠١
ضيق:
+ ما أضيق الباب المؤدِّي للملكوت ٢٩٩-٣٠١
+ من علامات نهاية الأزمنة يسلِّمونكم إلى ضيق ويقتلونكم ٦٤٧و٦٤٨
+ عند خراب أُورشليم سيكون ضيق عظيم لم يكن مثله ولن يكون ٦٦٢و٦٦٣
طريق:
+ أعدوا طريق الرب ١٧٣
+ ما أكرب الطريق المؤدِّي للملكوت ٢٩٩-٣٠١
+ لا تقتنوا لكم شيئاً للطريق ٣٥٧
+ المزروع على الطريق ٤٢٩-٤٣٢
+ الجمع فرشوا ثيابهم وأغصان الشجر في الطريق أمام المسيح ٥٧٧
طفل:
+ (انظر: ولد)
طلاق:
+ لا طلاق إلاَّ لعلة الزنا ٢٤٥-٢٤٨و٥٤٢و٥٤٤
+ تعليم من جهة الطلاق ٥٤٢-٥٤٤

طهارة/ تطهير:
+ تطهير الأبرص ٣١٠و٣١١
+ المسيح يعطي رسله القدرة على تطهير البرص ٣٥٦
+ الطهارة الشكلية والنجاسة ٤٧٢-٤٧٥
+ تطهير الهيكل ٥٨٠و٥٨١
+ تطهير الداخل أولاً ٦٢٣-٦٢٥
طوبى:
+ التطويبات ٢١٥-٢٢٨
- طوبى للمساكين بالروح ٢١٧و٢١٨
- طوبى للحزانى ٢١٩
- طوبى للودعاء ٢٢٠
- طوبى للجياع والعطاش إلى البر ٢٢٠و٢٢٢
- طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون ٢٢٢و٢٢٣
- طوبى لأنقياء القلب ٢٢٣و٢٢٥
- طوبى لصانعي السلام ٢٢٥و٢٢٦
- طوبى للمطرودين من أجل البر ٢٢٦-٢٢٨
- طوبى لذلك العبد الأمين ٦٦٨
طيب:
+ المرأة التي سكبت الطيب على رأس المسيح ٧٤٠-٧٤٣
ظهور:
+ ظهور النجم في المشرق للمجوس ١٥٤-١٥٧
+ هيرودس يتحقق من المجوس زمان النجم الذي ظهر ١٥٩-١٦١
+ ظهور يوحنا المعمدان وخدمته ١٧٠-١٧٣
عبادة:
+ للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ١٩٢و١٩٣
+ أعمال العبادة: صوم، صلاة، سهر، سجود ٢٥٩
+ العبادة تكون في الخفاء ٢٥٩-٢٦٢
عثرة:
+ إذا أعثرتك عينك أو يدك فاقلعها أو اقطعها ٢٤٤ و٢٤٥ و٥٢٩
+ طوبى لمن لا يعثر فيَّ ٣٨٢
+ بطرس يضع عثرة أمام المسيح ٤٩٦و٤٩٧
+ العثرات والدخول إلى الملكوت ٥٢٧-٥٣٢
+ من علامات نهاية الأزمنة عثرة الكثيرين ٦٤٨و٦٤٩
عذراء:
+ هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ١٣٧-١٥٢
+ مَثَل العذارى الحكيمات والجاهلات ٦٩١-٧٠٢
عُرس:
+ وليمة عرس ابن الملك ٥٩٢-٥٩٨
+ العذارى الحكيمات والجاهلات خرجن لاستقبال العريس ٦٩١-٧٠٢
عشاء:
+ العشاء الأخير ٧٤٨و٧٥٣-٧٦٤
عشّار:
+ العشّارون والخطاة يحبون الذين يحبونهم ٢٥٤و٢٥٥
+ المسيح يأكل مع العشّارين والخطاة ٣٢٩-٣٣١
+ لقب المسيح: محب للعشارين والخطاة ٣٨٧
+ مَنْ لا يسمع من الكنيسة فليُحسب كالوثني والعشّار ٥٣٣
+ العشّارون يسبقونكم إلى ملكوت الله ٥٨٦و٥٨٧
عطاء:
+ مَنْ سألك فأعطه ٢٥٠و٢٥١
+ اسألوا تُعطوا ٢٩٥و٢٩٦
+ مجّاناً أخذتم مجاناً أعطوا ٣٥٦
+ مَنْ له يُعطى فيزداد ٧١٣و٧١٤
عظمة:
+ مَنْ عمل وعلّم يُدعى عظيماً في ملكوت السموات ٢٣٨
+ المعمدان أعظم مواليد النساء ٣٨٤
+ الأصغر في ملكوت السموات أعظم من المعمدان ٣٨٥
+ مَنْ هو الأعظم في ملكوت السموات ٥٢١-٥٢٧
+ مَنْ أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً ٥٦٣-٥٦٥
+ أية وصية هي العظمى ٦٠٤و٦٠٥
علامة:
+ علامات الأزمنة ٤٨٤-٤٨٦
+ علامة مجيء الرب وانقضاء الدهر ٦٤١-٦٧٢
- مبتدأ الأوجاع ٦٤٣-٦٤٦
- المعاناة الخاصة من أجل اسم المسيح ٦٤٧-٦٥٣
- الكرازة بالإنجيل كعلامة انتهاء المناداة بالملكوت ٦٥٤-٦٥٦
- خراب أورشليم والهيكل كنموذج لبداية الأوجاع ٦٥٦-٦٦٤
- تحذيرات من ضلالة المعلّمين الكذبة ٦٦٤-٦٦٧

- تكميل الأوجاع ومخاض العالم الأخير ٦٦٧-٦٧٢
+ يهوذا أعطى القبلة علامة للذين يقبضون على المسيح ٧٨١و٧٨٢
عماد/ معمودية:
+ أهل أُورشليم واليهودية اعتمدوا من يوحنا ١٧٥-١٧٧
+ يوحنا يعمِّد بالماء ولكن الذي يأتي بعده يعمِّد بالروح القدس ١٧٨و١٧٩
+ عماد المسيح من يوحنا ١٨٠-١٨٤
+ سؤال المسيح لرؤساء الكهنة: معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس؟ ١٨٠-١٨٤
+ عمدوا باسم الآب والابن والروح القدس ٨٥٧-٨٦٢
عمانوئيل:
+ الله معنا ١٤٣-١٤٦
+ سر الثالوث ولقب عمانوئيل ١٤٦
عمل:
+ من عمل وعلَّم يُدعى عظيماً في ملكوت السموات ٢٣٨
+ الله سيجازي كل واحد حسب عمله ٤٩٨-٥٠٠
+ الفريسيُّون يقولون ولا يعملون ٦١٠و٦١١
+ الفريسيُّون كل أعمالهم لكي تنظرهم الناس ٦١٢-٦١٤
عمى:
+ فتح أعين العميان ٣٣٨و٣٣٩و٣٨٢
+ مجنون أعمى وأخرس شفاه المسيح ٤٠٧
+ الفريسيُّون عميان قادة عميان ٤٧٤و٤٧٥
+ شفاء أعميين في أريحا ٥٦٥و٥٦٦
+ تقدم للمسيح في الهيكل عُمي وعرج فشفاهم ٥٨١
عهد:
+ العهد القديم كخلفية لإنجيل ق. متى ٧٠-٩٨
- في الأنسال وما بعدها ٧٠-٧٢
- في تحقيق النبوات ٧٢
- في بدء الخدمة ٧٣
- في الأشفية واعتراضات الفريسيِّين ٧٤
- في المنازعة الأُولى ٧٦
- في الأمثال الأولى ٧٨و٧٩
- في المنازعة الثانية ٨٠و٨١
- في رواية الآلام ٨٢-٨٤
- الآيات التي اقتبسها ق. متى من العهد القديم ٨٥-٩٧
+ العهد الجديد: ما هو؟ ١١٦و١١٧
+ كتبة العهد الجديد علماء وحكماء ودارسو ملكوت ٤٥٢
+ دم العهد الجديد الذي يُسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا ٧٥٨-٧٦٤
عين/ يعاين:
+ طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله ٢٢٤-٢٢٦
+ إذا أعثرتك عينك فاقلعها ٢٤٤و٢٤٥
+ قيل للقدماء: عين بعين وسن بسن ٢٥٠
+ العين البسيطة والعين الشريرة ٢٧٩و٢٨٠
+ أخرج أولاً الخشبة من عينك لكي تبصر أن تخرج القذى من عين أخيك ٢٩٣
+ طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع ٤٢٨
+ المسيح لمس أعين العميان فأبصرت ٥٦٥و٥٦٦
غفران/ مغفرة:
+ اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ٢٧١-٢٧٣
+ إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي ٢٧٥
+ سلطان المسيح على مغفرة الخطايا ٣٢٥-٣٢٧
+ مَنْ يجدِّف على الروح القدس لا يُغفر له ٤١٠-٤١١
+ الغفران للمسيئين شرط لدخول الملكوت ٥٣٣-٥٣٥
+ سؤال بطرس عن عدد مرَّات الغفران للمخطئ إليه ٥٣٦-٥٤٠
+ دم العهد الجديد الذي يُسفك لأجل كثيرين لمغفرة الخطايا ٧٥٨-٧٦٤
غني:
+ الغني الحزين ٥٤٨-٥٥١
فداء:
+ ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه ٤٩٨
+ ابن الإنسان لم يأتِ ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين ٥٦٣-٥٦٥
فريسي:
+ ق. متى كان فريسيًّا ١٩
+ إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيِّين لن تدخلوا ملكوت السموات ٢٣٨و٢٣٩
+ تشاور الفريسيِّين على إهلاك المسيح ٤٠٢
+ الفريسيُّون يجدِّفون على المسيح بأنه يُخرج الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين ٤٠٧-٤١١

+ الكتبة والفريسيُّون يتربَّصون للمسيح ٤٧٢و٤٧٣و٥٩٠
+ الخمير وتعليم الفريسيِّين ٤٨٧و٤٨٨
+ الفريسيُّون يجرِّبون المسيح ٥٤٢-٥٤٤و٥٩٩-٦٠١
+ الفريسيُّون فهموا أن المسيح قال أمثاله عليهم ٥٨٩و٥٩٠
+ أحد الفريسيِّين يسأل عن أعظم وصية في الناموس ٦٠٤و٦٠٥
+ خطايا الكتبة والفريسيِّين ٦٠٧-٦٢٨

فرح:
+ افرحوا وتهلَّلوا إذا طردوكم وعيَّروكم من أجل المسيح ٢٢٧و٢٢٨
+ ادخل إلى فرح سيدك ٧٠٨-٧١٠

فصح:
+ المشورة الإلهية أن يتم تقديم المسيح في الفصح ليكون ذبيحة فصح لأجل العالم ٧٣٥و٧٣٦
+ المسيح تنبَّأ عن تسليمه للصلب في الفصح ٧٣٧و٧٣٨
+ الإعداد للفصح ٧٤٧و٧٤٨
+ تأسيس الإفخارستيا لتحل محل الفصح ٧٥٣-٧٦٤

فقر/ فقير:
+ البر الأخلاقي السلوكي من نحو الفقير ٢٥٩-٢٦٢
+ الفقراء معكم في كل حين، وأمَّا أنا فلست معكم في كل حين ٧٤٢و٧٤٣

قبر:
+ استقبال المسيح للمجنونين الخارجين من القبور ٣١٩و٣٢١
+ القبور تفتَّحت عند موت المسيح ٨٢١-٨٢٣
+ يوسف الرامي دفن جسد يسوع في قبره الجديد ٨٢٦
+ دحرجة حجر كبير على باب القبر ٨٢٦
+ مريم المجدلية والنسوة كن جالسات تجاه القبر ٨٢٦
+ الأمر بحراسة القبر ٨٢٧و٨٢٨

قبلة/ قبول:
+ مَنْ يقبل رسل المسيح فقد قبل المسيح ٣٧٣-٣٧٥
+ من يقبل نبيًّا باسم نبي فأجر نبي يأخذ ٣٧٥و٣٧٦
+ قبلة يهوذا الخائن ٧٨١و٧٨٢

قداسة/ قدوس/ قدس:
+ ليتقدَّس اسمك ٢٦٧و٢٦٨
+ لا تعطوا القدس للكلاب ٢٩٤
+ قيام أجساد القديسين عند موت المسيح وخروجهم من القبور وظهورهم لكثيرين ٨٢١-٨٢٣

قريب:
+ اصطلح أولاً مع أخيك ثمَّ قدِّم قربانك ٢٤١و٢٤٢

قَسَم/ قِسْمة/ انقسام:
+ قيل للقدماء: أوفِ للرب أقسامك ٢٤٨و٢٤٩
+ المسيح يقول: لا تحلفوا البتة ٢٤٨و٢٤٩
+ كل بيت منقسم على ذاته يخرب ٤٠٨
+ هيرودس يأمر بقتل المعمدان لتورطه في القسم ٤٥٧-٤٥٩

قضية/ قاض:
+ مراضاة الخصم لئلاَّ يسلِّمك إلى القاضي ٢٤٢و٢٤٣

قلب:
+ حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك ٢٧٩
+ من فضلة القلب يتكلَّم الفم ٤١٢
+ الأفكار الشريرة التي تصدر من القلب تنجس الإنسان ٤٧٥

قوة:
+ لايقدر أحد أن يدخل بيت القوي إن لم يربطه أولاً ٤٠٩
+ تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله ٦٠١-٦٠٣
+ ابن الإنسان يأتي على السحاب بقوة ومجد كثير ٦٦٨
+ من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة ٧٩٠

قيامة:
+ رواية القيامة ١٠٩
+ المسيح جاء ليعمِّد البشرية بموته ويهبها الروح القدس بقيامته ١٨٤
+ المسيح يعطي رسله سلطان إقامة الموتى ٣٥٦
+ نبوَّة المسيح عن موته وقيامته ٤٩٥-٥٠٠
+ أمر المسيح تلاميذه أن لا يخبروا أحداً عن التجلِّي إلاَّ بعد قيامته ٥٠٩
+ تنبُّؤ ابن الإنسان الثاني عن موته وقيامته ٥١٦و٥١٧
+ تنبُّؤ ابن الإنسان الثالث عن موته وقيامته ٥٥٩و٥٦٠
+ الصدوقيون يقولون ليس قيامة ٦٠١-٦٠٣
+ في القيامة لا يزوِّجون ولا يتزوَّجون ٦٠١-٦٠٣
+ قام كثير من أجساد القديسين عند موت المسيح وخرجوا من القبور ٨٢١-٨٢٣
+ الرب قام والحراس كالأموات ٨٣٠-٨٣٣
+ قيامة المسيح وقيامتنا معه ٨٣٣-٨٤١

كأس:
+ كأس العشاء التي شكر عليها الرب وأعطى تلاميذه ليشربوا منها باعتبارها دمه الذي للعهد الجديد ٧٥٨-٧٦٤
+ صلاة جثسيماني وسر الكأس ٧٧٠-٧٨٠
– إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ٧٧٤-٧٧٩
كتب/ كتبة/ مكتوب:
+ إنجيل متى كتب بالأرامية والعبرية ١٧و٢٥-٣٠
+ مكتوب ١٨٩و١٩٠و١٩١-١٩٣و٥٨٠
+ المسيح كان يعلّم بسلطان وليس كالكتبة ٣٠٧
+ الكاتب المتعلّم في ملكوت السموات ٤٥١
+ كتبة العهد الجديد علماء وحكماء ودارسو ملكوت ٤٥٢
+ الكتبة والفريسيُّون يتربَّصون للمسيح ٤٧٢و٤٧٣
+ الويلات للكتبة والفريسيِّين المرائين ٦١٥-٦٢٨
+ ينبغي أن تكمَّل الكتب ٧٨٣
+ جعلوا فوق رأس المسيح على الصليب مكتوب: "يسوع ملك اليهود" ٨١٧
كرازة:
+ استعلان الملكوت في الحياة الحاضرة بواسطة الكرازة ١٠٤و١٠٥
+ كرازة يوحنا المعمدان في برية اليهودية ١٧١و١٧٢
+ المسيح يكرز ببشارة الملكوت ٢٠٣و٢٠٤و٣٤٠
+ كرازة الرسل باقتراب ملكوت السموات ٣٥٥
+ الكرازة بالإنجيل كعلامة انتهاء المناداة بالملكوت ٦٥٤-٦٥٦
كرم:
+ مثل الكرَّامين الأردياء ٥٨٨-٥٩٠
كفرناحوم:
+ مجيء المسيح إلى كفرناحوم ١٩٤-١٩٨
كلمة/ كلام:
+ ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ١٨٩و١٩٠
+ لا تكرِّروا الكلام باطلاً في الصلاة ٢٦٣و٢٦٤
+ لا تهتموا كيف أو بما تتكلّمون ٣٦٢و٣٦٣
+ روح الآب يتكلّم فيكم ٣٦٣و٣٦٤
+ من فضلة القلب يتكلّم الفم ٤١٢و٤١٣
+ كل كلمة بطّالة سوف تعطون عنها حساباً يوم الدين ٤١٣و٤١٤
+ بكلامك تتبرَّر وبكلامك تدان ٤١٣و٤١٤
+ موقع الكلمة في مثل الزارع ٤٢٩-٤٣٤
كهنة/ كهنوت:
+ هيرودس جمع رؤساء الكهنة والكتبة ليسألهم عن مكان ولادة المسيح ١٥٨
+ داود لمّا جاع أكل خبز التقدمة الذي لا يحل أكله إلاَّ للكهنة ٣٩٩و٤٠٠
+ الكهنة في السبت في الهيكل يدنِّسون السبت وهم أبرياء ٤٠٠
+ نبوَّة المسيح عن رؤساء الكهنة والكتبة بقتله ٤٩٥-٥٠٠
+ رؤساء الكهنة يسألون المسيح بأي سلطان تفعل هذا ٥٨٢-٥٨٦
+ رؤساء الكهنة والفريسيُّون عرفوا أن المسيح قال أمثاله عليهم ٥٨٩و٥٩٠
+ مشورة رؤساء الكهنة أن لا يُقبض على المسيح في العيد ٧٣٥و٧٣٦
+ مؤامرة رؤساء الكهنة ٧٣٧-٧٣٩
+ اتفاق يهوذا مع رؤساء الكهنة ٧٤٤-٧٤٦
+ يسوع أمام قيافا رئيس الكهنة ٧٨٦-٧٩٣
+ رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون المسيح لدى بيلاطس ٨٠٥و٨٠٦
+ رؤساء الكهنة والفريسيُّون يطلبون من بيلاطس حراسة القبر ٨٢٧و٨٢٨
+ حراس القبر يبلغون رؤساء الكهنة بقيامة المسيح ٨٤٤-٨٤٦
كنيسة:
+ إنجيل متى إنجيل الكنيسة ١٧و١٨و٤٢
+ الكنيسة بين الملكوت والحياة الحاضرة ١٠٥و١٠٦
+ الكنيسة تعيش معجزة الخمسة والسبعة الخبزات التي أشبع بها المسيح الجموع منذ الدهر وإلى الأبد ٤٨١
+ على صخرة الإيمان بنى المسيح كنيسته ٤٩١-٤٩٤
+ إن لم يسمع منك من تعاتبه فقل للكنيسة ٥٣٣-٥٣٥
+ سلطان الحل والربط وأهميته في الكنيسة ٥٣٤
+ عقيدة الكنيسة في كيف تكون الدينونة الأخيرة ٦٨٤و٦٨٥
لاهوت:
+ لاهوت ق. متى الأكثر اعتدالاً في معاداته لليهود ٢٠
+ الإنجيل المتحول هو إنجيل ق. متى بعد حذف ما يخص لاهوت المسيح ٢٧

+ المفاهيم اللاهوتية الأساسية في إنجيل ق. متى ٦٠-١٠٧
١ - المسيَّا ٦٠-٦٢
٢ - ابن الإنسان ٦٣-٦٩
٣ - العهد القديم كخلفية لإنجيل ق. متى ٧٠-٩٨
٤ - موقف المسيح من الناموس في إنجيل ق. متى ٩٨-١٠٢
٥ - ملكوت السموات وتحقيقه في الحاضر والمستقبل ١٠٢-١٠٧
+ الرموز اللاهوتية في حيثيات الدينونة الأخيرة ٧١٦-٧١٧
لاوي:
+ ق. متى كان لاويًّا ٣٢٨
لص:
+ كأنه على لص خرجوا بسيوف وعصي ليقبضوا على المسيح ٧٨٤
+ صلبوا مع المسيح لصَّين عن يمينه وعن يساره ٨١٧و٨١٨
لوقا:
+ ق. لوقا أضاف في إنجيله ما لم يذكره ق. مرقس ١١٧
ماء:
+ اعتماد المسيح في ماء الأُردن ١٨٢
+ مَنْ سقى أحد الصغار كأس ماء بارد باسم تلميذ لا يضيع أجره ٣٧٦-٣٧٨
+ المشي على الماء ٤٦٥-٤٧٠
مؤامرة:
+ مؤامرة رؤساء الكهنة ٧٣٧-٧٣٩
مال:
+ لا تقدروا أن تخدموا الله والمال ٢٨٠-٢٨٦
+ مَثَل السيد المسافر الذي سلَّم أمواله لعبيده ٧٠٣-٧١٤
متى:
+ كاتب إنجيل متى ١٧
+ استطاع في إنجيله أن يحقِّق لنا عمانوئيل وقد صار معنا في كل مواقف الحياة ١٨
+ اسمه لاوي وكان عشَّاراً ٢٠
+ لَّما دعاه المسيح دُعِيَ: "متى" أي: "عطية الله" ٢٠
+ أكثر التلاميذ التصاقاً بالنسك اليهودي ٢٠
+ كرز في أثيوبيا ومكدونية وبلاد آسيا الصغرى ٢١
+ تنيَّح في أثيوبيا أو مكدونية ٢١
+ يرجَّح أنه استشهد ونعيِّد له في ١٢ بابه ٢١
+ كان على الأرجح رابياً سابقاً ٢١
+ لم يكن منحصراً في يهوديته بل أكَّد أن المسيح لجميع الأُمم ٢٢و٢٣
+ ق. متى خدم بإنجيله أولاً في الجليل ٣٠
+ تفوُّق ق. متى في فن التعليم والتبويب والتلقين ٤٤-٤٦
+ دعوة ق. متى صاحب الإنجيل ٣٢٨-٣٣١
مَثَل:
+ المعجزات والأمثال في إنجيل ق. متى ٤٨-٥٩
- الأمثال عند المسيح وسيلة تعليمية ٥٠
+ تقليد القديس متى في عرض الأمثال وتخصُّصها ٥٢
+ الأمثال التي تعالج الملكوت بصفة عامة ٥٤-٥٦
+ مثلان يخصان جماعة العهد الجديد ٥٦
+ الأمثال التي تعكس ذهاب المسيح لأُورشليم ٥٦-٥٩
+ العهد القديم كخلفية في أمثال المسيح ٧٨-٨٠
+ مناوشات وأمثال ١٠٨
+ أمثال الملكوت ٤٢٠-٤٥٢
- مَثَل الزارع ٤٢٨-٤٣٤
- مَثَل الزوان ٤٣٤-٤٣٧
- مَثَل حبة الخردل والخميرة ٤٣٨و٤٣٩
- النبوات تتحدَّث عن أمثال المسيح ٤٤٠
- ثلاثة أمثال قصيرة وثمينة ٤٤١-٤٥٠
▪ الكنز المُخفَى في حقل ٤٤١و٤٤٢
▪ اللؤلؤة الكثيرة الثمن ٤٤٣-٤٤٦
▪ شبكة أُلقيت في البحر ٤٤٧-٤٥٠
- مَثَل الخادم غير الرحيم ٥٣٦-٥٤٠
- مَثَل عُمَّال الكرم ٥٥٦-٥٥٩
- مَثَل وليمة عرس ابن الملك ٥٩٢-٥٩٩
- مَثَل العذارى الحكيمات والجاهلات ٦٩١-٧٠٢
+ مَثَل الكرَّامين الأردياء ٥٨٨-٥٩٠
+ مَثَل شجرة التين عن نهاية الأيام ٦٧٣-٦٧٤
+ مَثَل الطوفان كتشبيه لنهاية الأيام ٦٧٧-٦٨٠
+ مَثَل لص نصف الليل كتشبيه لنهاية الأيام ٦٨٠-٦٨٢
+ مَثَل العبد الأمين الحكيم ٦٨٦-٦٩١
+ مَثَل الوزنات ٧٠٣-٧١٤
مجد:
+ إبليس يُظهر للمسيح ممالك العالم ومجدها ١٩١
+ لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين (التمجدة) ٢٧٤و٢٧٥

+ الجموع تمجد الله بعد معجزة إبراء الرجل المفلوج ٣٢٦
+ الذين شفوا مجّدوا إله إسرائيل ٤٧٨و٤٧٩
+ ابن الإنسان سوف يأتي بمجد أبيه مع ملائكته ٤٩٨
+ متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده سيجلس معه تلاميذه ٥٥١-٥٥٤
+ ظهور مجد ابن الإنسان في نهاية الأيام ٦٦٧-٦٧٢
+ المسيح يجلس على كرسي مجده في يوم الدينونة ٧١٧-٧٣٠

مجمع:

+ المسيح يعلِّم في مجامع الجليل ٢٠٢و٢٠٣و٣٤٠و٣٤١
+ المسيح يحذِّر رسله بأنهم سيسلَّمون لمجامع اليهود ٣٦١-٣٦٣
+ المسيح يأتي إلى مجمع اليهود ٤٠١و٤٠٢و٤٥٢

مجيء:

+ المجيء الثاني لابن الإنسان ٦٧و٦٨

مرأة/ نساء:

+ اتحاد الرجل بالمرأة في سر الزيجة المسيحي ٢٤٥-٢٤٨
+ المرأة الكنعانية ٤٧٦-٤٧٨
+ المرأة التي سكبت الطيب على رأس المسيح ٧٤٠-٧٤٣
+ امرأة بيلاطس تحذِّره من ظلم المسيح ٨٠٨
+ نساء كثيرات كُنَّ ينظرن من بعيد صلب المسيح ٨٢٣و٨٢٤

مرقس:

+ ق. مرقس يوعز لنا بوجود إنجيل ق. متى قبل إنجيله ١١٧
+ ق. مرقس أضاف في إنجيله ما لم يذكره ق. متى ١١٧

مريم:

+ مريم العذراء ١٣٧-١٥١
– مخطوبة ليوسف ١٣٧
– حُبلى من الروح القدس ١٣٨-١٤٥
+ المجوس رأوا الصبي مع مريم أُمه ١٦٠
+ نساء كثيرات نظرن صلب المسيح منهن مريم المجدلية ومريم أُم يعقوب ويوسي ٨٢٣و٨٢٤
+ مريم المجدلية ومريم الأُخرى كانتا جالستين عند القبر ٨٢٦
+ مريم المجدلية ومريم الأُخرى جاءتا عند فجر أول الأسبوع لتنظرا القبر ٨٣٠

مسكين:

+ طوبى للمساكين بالروح ٢١٧و٢١٨
+ بمجيء المسيح المساكين يُبشَّرون ٣٨٢

مستحق:

+ الفاعل مستحق أجرته ٣٥٧
+ افحصوا المستحق لكي تنزلوا عنده ٣٥٨
+ البيت المستحق السلام يحل سلامكم عليه ٣٥٩
+ مَنْ أحب أبا أو أُمًّا أو ابناً أو ابنة أكثر من المسيح فلا يستحقه ٣٧٠و٣٧١
+ مَنْ لا يأخذ صليبه ويتبع المسيح لا يستحقه ٣٧١و٣٧٢

مسيًّا/ المسيح/ مسحة:

+ المسيح هو مسيًّا رجاء الناموس وقوته وكماله ١٩
+ ق. متى قدَّم المسيح في إنجيله بصفته المسيًّا ١٩و٤١
+ المسيح الروح ٦٥
+ يسوع المسيح ١٣٧و١٣٨
+ المسيًّا وريث مملكة داود ١٥٠
+ شهادة يوحنا عن بداية عصر المسيًّا ١٨٣
+ المسيح يعلِّم ويعظ ويشفي ٢٠٢-٢٠٦
+ المسيح يشكر الآب لاستعلان حقيقة المسيًّا ٣٩٠و٣٩١
+ المسيح ابن مَنْ هو ٦٠٥و٦٠٦
+ كثيرون سيأتون باسم المسيح ويضلُّون كثيرين ٦٤٣ و٦٤٤ و٦٦٤و٦٦٥
+ المسيح الديَّان في يوم الدينونة الأخير ٧١٥-٧٣٠
+ مسحة الموت المعطِّرة للجسد ٧٤٠-٧٤٣
+ رئيس الكهنة يسأل المسيح إن كان هو المسيح ابن الله؟ ٧٨٩-٧٩٣

مشيئة:

+ لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض ٢٦٩
+ مَنْ يصنع مشيئة أبي هو أخي وأختي وأُمي ٤١٨
+ لتكن مشيئتك لا مشيئتي ٧٧٤-٧٧٩

مصر:

+ هروب المسيح إلى مصر ٢٢و٧١و١٠٨و١٦٢-١٦٤
+ العودة من مصر ١٦٦-١٦٨

معجزة:

+ (انظر: آية)

معرفة:

+ ليس خفي لن يُعلن ٣٦٦
+ ليس أحد يعرف الابن إلاَّ الآب ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن ٣٩١

+ لا يعرف أحد اليوم أو ساعة نهاية الأيـام إلاّ الآب وحـده ٦٧٥و٦٧٦و٧٠٢
+ الحق إني لا أعرفكن ٧٠٠-٧٠٢
معمودية:
+ (انظر: عماد)
ملح:
+ أنتم ملح الأرض ٢٢٨-٢٣٢
ملكوت:
+ إنجيل متى هو إنجيل ملكوت السموات ٤١
+ المعجزة اختراق ملكوت الله لعالمنا ٤٩
+ أُعطي للتلاميذ أن يعرفوا أسرار ملكوت الله ٥٠
+ ملكوت السموات وتحقيقه في الحاضر والمستقبل ١٠٢-١٠٧
- ارتباط الملكوت بالحياة الحاضرة في العظة على الجبل ١٠٣و١٠٤
- استعلان الملكوت في الحياة الحاضرة بواسطة الكرازة ١٠٤و١٠٥
- الكنيسة بين الملكوت والحياة الحاضرة ١٠٥و١٠٦
- لا توجد أحقية للدخول إلى الملكوت ١٠٦و١٠٧
+ أمثال الملكوت ١٠٨
+ توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات ١٧١-١٧٣و١٩٨
+ المسيح يكرز ببشارة الملكوت ٢٠٣و٢٠٤
+ مواطنو الملكوت ٢١٥-٢٣٤
- المطوَّبون ٢١٥-٢٢٨
- علاقتهم بالعالم: ملح ونور ٢٢٨-٢٣٤
+ دخول الملكوت رهن بأن يزيد برنا على الكتبة والفريسيِّين ٢٣٨و٢٣٩
+ ليأتِ ملكوتك ٢٦٨
+ حياة المدعوين إلى بر الملكوت ٢٩٢-٣٠٦
- لا يدينوا بعضهم بعضاً ٢٩٢-٣٠٦
- لا استهانة بالمقدَّسات ٢٩٤
- يسألون ويطلبون ويقرعون بثقة الاستجابة الحاضرة ٢٩٥-٢٩٩
- يدخلون من الباب الضيق والطريق الكرب المؤدِّي إلى الملكوت ٢٩٩-٣٠١
- نصائح لبني الملكوت ٣٠١و٣٠٢
- كيفية اختيار الصالحين لدخول الملكوت ٣٠٣-٣٠٦
▪ الحكم في الملكوت ٣٠٣
▪ ليس من يقول بل مَنْ يفعل ٣٠٣و٣٠٤
- المسيح يكرز ببشارة الملكوت ٣٤٠و٣٤١
+ كرازة الرسل باقتراب ملكوت السموات ٣٥٥
+ ملكوت الله يُغصب والغاصبون يختطفونه ٣٨٥و٣٨٦
+ علامة حلول ملكوت الله هو إخراج الشياطين بروح الله ٤٠٨
+ الكاتب المتعلِّم في ملكوت السموات ٤٥١و٤٥٢
+ بطرس والتلاميذ أُعطوا مفاتيح ملكوت السموات ٤٩١و٤٩٤
+ ابن الإنسان سيأتي في ملكوته بمجد أبيه مع ملائكته ٤٤٩و٥٠٠
+ قامة الطفولة شرط للدخول إلى الملكوت ٥٢١-٥٢٧
+ الخصيان لأجل ملكوت السموات ٥٤٥
+ الأطفال لهم ملكوت السموات ٥٤٦و٥٤٧
+ العشَّارون يسبقونكم إلى ملكوت السموات ٥٨٦و٥٨٧
+ مَثَل وليمة عُرس ابن الملك وملكوت السموات ٥٩٢-٥٩٩
+ الكتبة والفريسيُّون أغلقوا ملكوت السموات قدَّام الناس، فلا دخلوا ولا جعلوا الداخلين يدخلون ٦١٧و٦١٨
+ ملكوت السموات ومَثَل العذارى ٦٩١-٧٠٢
+ الوارثون الملكوت ٧١٩-٧٢٥
ملاك/ ملائكة:
+ الملاك ظهر ليوسف في حلم ١٤٠-١٤٣
+ تدخُّل السماء بالأحلام والملائكة ١٥٠
+ ملاك الرب يأمر يوسف في الحلم أن يهرب مع مريم والصبي إلى مصر ١٦٢
+ ملاك الرب يأمر يوسف بالعودة من مصر ١٦٦-١٦٨
+ الله يوصي ملائكته لحفظ أولاده ١٩٠
+ الملائكة تخدم المسيح ١٩٣
+ المعمدان كملاك جاء ليهيِّئ الطريق قدَّام المسيح ٣٨٤
+ الحصَّادون هم الملائكة ٤٣٥-٤٣٧و٤٤٧-٤٥٠
+ ابن الإنسان سيأتي بمجد أبيه مع ملائكته ليجازي كل واحد حسب عمله ٤٩٨-٥٠٠
+ الصغار ملائكتهم في السموات ينظرون وجه الآب في السموات ٥٣٠و٥٣١
+ ابن الإنسان يرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت ٥٣٠و٥٣١
+ ابن الإنسان يأتي في مجده مع ملائكته في اليوم الأخير ٧١٧و٧١٨

+ في إمكان المسيح أن يطلب أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة ليدافعوا عنه ٧٨٣
+ ملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر عن باب القبر ٨٣٠-٨٣٣
+ ملاك يقول للمرأتين: لا تخافا أنتما ٨٣١

موت:
+ المسيح جاء ليعمِّد البشرية بموته ويهبها الروح القدس بقيامته ١٨٤
+ إقامة ابنة يايرس من الموت ٣٣٥-٣٣٧
+ المسيح يعطي رسله سلطان إقامة الموتى ٣٥٦
+ سيسلم الأخ أخاه والأب ولده إلى الموت ٣٦٤
+ من علامات مجيء المسيَّا إقامة الموتى ٣٨٢
+ رقصة الموت ومقتل يوحنا المعمدان ٤٥٥-٤٥٩
+ نبوَّة المسيح عن موته وقيامته ٤٩٥-٥٠٠
+ من القيام هنا قوم لا يذوقون الموت حتى تروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته ٤٩٩و٥٠٠
+ تنبُّؤ ابن الإنسان الثاني عن موته ٥١٦و٥١٧
+ ثالث تنبُّؤ للمسيح عن موته وقيامته ٥٩٩و٥٦٠
+ ليس الله إله أموات بل إله أحياء ٦٠١-٦٠٣
+ مسحة الموت المعطَّرة للجسد ٧٤٠-٧٤٣
+ نفسي حزينة حتى الموت ٧٧٢و٧٧٣
+ الحكم على المسيح بأنه مستوجب الموت ٧٩٢
+ قرار السنهدرين بتسليم المسيح لبيلاطس للموت ٧٩٨

موسى:
+ المسيح هو موسى الجديد ١٧
+ المسيح أكمل شريعة موسى ١٧
+ تطابق هروب المسيح وهروب موسى ١٨
+ موسى وإيليا النبيَّان يظهران مع المسيح في التجلِّي ٥٠٦و٥٠٧

ميراث:
+ الوارثون الملكوت ٧١٩-٧٢٠

ميلاد:
+ ميلاد المسيح ١٠٨و١٣٧-١٤٩
+ ميلاد المسيح في بيت لحم ١٥٤-١٥٨

نار:
+ الشجرة التي لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتُلقى في النار ٣٠٢
+ طرح الأشرار في أتون النار ٤٣٥-٤٣٧و٤٤٧-٤٥٠

ناصرة:
+ العودة من مصر والسكنى في الناصرة ١٦٦-١٦٨
+ المسيح يترك الناصرة ١٩٤
+ المسيح في دخوله أورشليم قالوا عنه: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل ٥٧٩

ناموس:
+ إنجيل ق. متى أعلن أن المسيح رجاء الناموس وكماله ١٩
+ علاقة المسيح بالناموس ١٩
+ المسيح لغى دور الناموس عندما قال: «إني أريد رحمة لا ذبيحة» ١٩
+ موقف المسيح من الناموس ٩٨-١٠١
+ مركز المسيح بالنسبة للناموس عند ق. متى ١٠١
+ المسيح لم يأتِ لينقض الناموس ٢٣٥-٢٥٦
+ المقابلات الست بين الناموس والمسيح ٢٤٠-٢٥٦
- لا تقتل يقابلها: لا تغضب باطلاً ٢٤٠-٢٤٣
- لا تزن: «لا تنظر إلى امرأة لتشتهيها» ٢٤٣-٢٤٥
- الطلاقَ يقابله: عدم الطلاق إلاَّ لعلة الزنا ٢٤٥-٢٤٨
+ لا تحنث يقابله: «لا تحلفوا البتة» ٢٤٨و٢٤٩
+ عين بعين وسن بسن يقابلها لا تقاوموا الشر ٢٥٠-٢٥١
+ تحب قريبك وتبغض عدوك يقابلها أحبوا أعداءكم ٢٥١-٢٥٥
+ الناموس والأنبياء هو أن تفعل بالناس ما تريد أن يفعلوا بك ٢٩٩
+ جميع الأنبياء إلى يوحنا تنبَّأوا ٣٨٦
+ ما هي أعظم وصية في الناموس ٦٠٤و٦٠٥

نبي/ أنبياء/ نبوَّة:
+ إنجيل متى فيه تحقيق الناموس والأنبياء ١٨و٣٩و٤٠
+ نبوَّة إشعياء عن العذراء التي تحبل عمانوئيل ١٤٣
+ النبوَّة عن المدبِّر الذي يخرج من بيت لحم ١٥٨
+ نبوَّة إرميا عن النوح والبكاء في الرامة ١٦٥و١٦٦
+ النبوَّة بدعوة يسوع ناصرياً ١٦٧
+ النبوَّة عن خدمة يوحنا المعمدان ١٧٣
+ نبوَّة إشعياء عن مسح المسيح للخدمة ١٨٣
+ المسيح لم يأتِ لينقض الناموس أو الأنبياء ٢٣٥-٢٣٩
+ الناموس والأنبياء هو أن تفعل بالناس ما تريد أن يفعلوا بك ٢٩٩

+ الأنبياء والمعلّمون الكذبة ٣٠١و٣٠٢
+ إتمام نبوّة إشعياء عن أخذ المسيح لأسقامنا وأمراضنا ٣١٥
+ شهادة المسيح عن يوحنا المعمدان أنه أفضل من نبي ٣٨٣
+ نبوّة إشعياء عن «فتاي الذي اخترته» ٤٠٣-٤٠٦
+ أنبياء وأبرار كثيرون اشتهوا أن يروا ما رآه التلاميذ ولم يروا ٤٢٨
+ النبوّات عن أمثال المسيح ٤٤٠
+ ليس نبي بلا كرامة إلاّ في وطنه ٤٥٣و٤٥٤
+ أول نبوّة عن الآلام ٤٩٥-٥٠٠
+ موسى وإيليا النبيّان يظهران مع المسيح في التجلّي ٥٠٦و٥٠٧
+ ثاني نبوّة عن الآلام ٥١٦و٥١٧
+ ثالث تنبُّؤ للمسيح عن آلامه وموته وقيامته ٥٥٩و٥٦٠
+ النبوّة عن دخول المسيح كملك راكب على جحش ٥٧٥و٥٧٦
+ الكتبة والفريسيُّون بنوا قبور الأنبياء ٦٢٥-٦٢٧
+ التنبُّؤ بخراب الهيكل ٦٤٠
+ قيام أنبياء كذبة في آخر الزمان ٦٤٩
+ نبوّة دانيال عن رجسة الخراب ٦٥٦-٦٥٨
+ ينبغي أن تكمل كتب الأنبياء ٧٨٣و٧٨٤
+ نبوّة إرميا النبي عن الثلاثين من الفضة ثمن المثمّن الذي ثمّنوه من بني إسرائيل ٨٠٢
+ إتمام النبوّة باقتسام ثيابه عند صلبه ٨١٦

نجاسة:

+ سلطان الرسل لإخراج الأرواح النجسة ٣٤٦-٣٤٨
+ خروج الروح النجس من الإنسان وعودته إليه إذا وجده فارغاً ٤١٦و٤١٧
+ الطهارة الشكلية والنجاسة ٤٧٢-٤٧٥
+ النجاسة ليست في ما يدخل الفم بل في ما يخرج من الفم ٤٧٤و٤٧٥

نسب:

+ أنساب المسيح ١٠٨و١١٨-١٣٦
- بدأ ق. متى جدول أنساب المسيح بقوله: «كتاب ميلاد» ١١٨
- فهو كتاب ميلاد لخلقة جديدة روحانية للإنسان ١١٨
- لإثبات أن المسيح هو المسيَّا ابن داود ابن ابراهيم حسب الموعد ١١٩و١٢٠
- نظرة عامة على فلسفة ق. متى في انتخاب أسماء السلسال الذي انحدر منه المسيح من إبراهيم وداود ١٣٤-١٣٦

نسل:

+ (انظر نسب)
+ سلسلة أنسال المسيح ٧٠و٧١

نور:

+ أنتم نور العالم ٢٣٢-٢٣٤
+ إن كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون ٢٧٩و٢٨٠
+ الذي أقوله في الظلمة قولوه في النور ٣٦٦
+ ثياب المسيح صارت بيضاء كالنور في التجلّي ٥٠٤و٥٠٥

هزء/ استهزاء:

+ استهزاء العسكر بالمسيح ٨١٢و٨١٣

هروب:

+ الهروب إلى مصر ٢٢و٧١و١٠٨و١٦٢-١٦٤
+ إذا طرد الرسل من مدينة فليهربوا إلى الأخرى ٣٦٤و٣٦٥
+ جميعكم تهربون وأولكم ينكرني ٧٦٥-٧٨٠و٧٨٤و٧٨٥

هيرودس:

+ ولادة المسيح في أيام هيرودس ١٥٤
+ هيرودس والمجوس ١٥٤-١٦١
+ هيرودس يطلب قتل المسيح ١٦٢
+ العائلة المقدَّسة في مصر إلى وقت وفاة هيرودس ١٦٣و١٦٤
+ هيرودس يقتل أطفال بيت لحم ١٦٤-١٦٦
+ وفاة هيرودس والأمر بالعودة من مصر ١٦٦-١٦٨
+ حفلة هيرودس ورقصة الموت ومقتل المعمدان ٤٥٦-٤٥٩

هيكل:

+ الشيطان طلب من المسيح أن يطرح نفسه من فوق جناح الهيكل ١٩٠
+ الكهنة في السبت في الهيكل يدنّسون السبت وهم أبرياء ٤٠٠
+ المسيح أعظم من الهيكل ٤٠٠
+ المسيح يأمر بطرس بدفع ضريبة الهيكل ٥١٧و٥١٨
+ تطهير الهيكل ٥٨٠و٥٨١
+ الكتبة والفريسيُّون يحللون الحلفان بالهيكل ويحرمون الحلفان بذهب الهيكل ٦١٨و٦٢١
+ التنبُّؤ بخراب الهيكل ٦٤٠
+ شهود الزور يشهدون ضد المسيح بأن قال إنه قادر أن يبني الهيكل في ثلاثة أيام إذا نقضوه ٧٨٨
+ يهوذا طرح الفضة في الهيكل ثمّ خنق نفسه ٨٠١و٨٠٢

+ انشقاق حجاب الهيكل عند موت المسيح ٨٢١-٨٢٣
وديع:
+ طوبى للودعاء ٢٢٠
+ المسيح وديع ومتواضع القلب ٣٩٥
وعد:
+ الوعد بمقابلة المسيح بعد قيامته ٨٤٦-٨٤٩
وليمة:
+ وليمة عرس ابن الملك ٥٩٢-٥٩٩
وعظ/ عظة/ وصية:
+ العظة على الجبل ١٠٨و٢٠٧-٣٠٦
– المنهج ٢١٠
– المدخل لشرح العظة ٢١٢-٢١٤
– كيفية تركيب العظة ٢١٤
+ عظة على الإرسالية ١٠٨
+ عظة للكنيسة ١٠٨
+ المسيح يعلم ويعظ ويشفي ٢٠٢-٢٠٦
+ أيّة وصية هي العظمى ٦٠٤و٦٠٥
ولد/ أولاد/ ولادة:
+ قامة الطفولة: شرط للدخول إلى الملكوت ٥٢١-٥٢٧
+ المسيح والأولاد ٥٤٦-٥٤٧
+ الأولاد يصرخون في الهيكل: أُوصنّا لابن داود ٥٨١
+ من أفواه الأطفال والرضعان هيأت تسبيحاً ٥٨١
ويل:
+ ويل للمدن التي سمعت تعاليم المسيح و لم تستجب ٣٨٨و٣٨٩
+ ويل لمن تأتي بسببه العثرات ٥٢٨-٥٣٠
+ الويلات السبعة للفريسيين المرائين ٦١٥-٦٢٨
+ ويل للحبالى والمرضعات عند خراب أُورشليم ٦٥٩-٦٦١
+ ويل لمن يسلّم ابن الإنسان ٧٥١و٧٥٢
يد:
+ إذا أعثرتك يدك فاقطعها ٢٤٤و٢٤٥
+ غسل الأيدي والطهارة الحقيقية ٤٧٢-٤٧٥
+ الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلّمني ٧٤٩-٧٥٢
يعقوب:
+ دعوة يعقوب ويوحنا أخيه ٢٠٠و٢٠١
+ يعقوب بن زبدي ٣٤٨و٣٥١
+ يعقوب أحد الثلاث تلاميذ الذين عاينوا التجلّي ٥٠٢-٥١٠
يوحنا:
+ القديس يوحنا أضاف ما لم يذكره الإنجيليون الثلاثة ١١٧
+ كرازة يوحنا المعمدان وخدمته ١٧٠-١٧٩
+ عماد المسيح من يوحنا ١٨٠-١٨٤
+ تسليم يوحنا المعمدان ١٩٤
+ دعوة يوحنا بن زبدي ويعقوب أخيه ٢٠٠و٢٠١
+ يوحنا بن زبدي ٣٤٨و٣٥١
+ شكوك يوحنا المعمدان ورد المسيح ٣٨٠-٣٨٨
+ مقتل يوحنا المعمدان ٤٥٥-٤٥٩
+ يوحنا أحد الثلاث تلاميذ الذين عاينوا التجلّي ٥٠٢-٥١٠
+ يوحنا المعمدان هو إيليا المزمع أن يأتي أولاً ٥١٠
+ معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس ٥٨٤-٥٨٦
يهود/ يهودية:
+ القديس متى يهودي عاشق لإسرائيل والتوراة والأنبياء ١٨
+ القديس متى أدرك كيهودي أن المسيح هو رجاء الناموس ومكمِّله ١٩
+ مناقضات وعداوة اليهود ١٠٨
+ في اليهودية وأُورشليم ١٠٩
+ المسيح كرز أولاً لليهود بالكلمة والفعل ولكنهم رفضوه ١٠٩
+ المولود ملك اليهود ١٥٤-١٥٧
+ كرازة يوحنا المعمدان في برية اليهودية ١٧١-١٧٣
+ كل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأُردن خرجوا ليوحنا ١٧٥و١٧٦
+ عند خراب أُورشليم فليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال ٦٥٦-٦٥٨
+ المسيح ملك اليهود ٨٠٥
يهوذا:
+ يهوذا الإسخريوطي الذي أسلم المسيح ٣٨٤-٣٥٣
+ اتفاق يهوذا مع رؤساء الكهنة ٧٤٤-٧٤٦
+ يهوذا يسأل المسيح إن كان هو مسلّمه ٧٥٢
+ يهوذا يخنق نفسه ٨٠١و٨٠٢
يوسف:
+ خطيب القديسة مريم ١٣٧
+ أراد تخليتها سرًّا لمّا وجدها حبلى ١٤٠
+ ظهور الملاك له ١٤٠-١٤٣و١٦٢و١٦٦و١٦٧
+ فعل يوسف كما أمره الملاك ١٤٨و١٤٩

+ يوسف الرامي طلب جسد يسوع لدفنه بعد تكفينه ٨٢٥و٨٢٦
يونان:
+ آية يونان النبي ٤١٥و٤٨٤-٤٨٦

+ رجال نينوى تابوا بمناداة يونان ٤١٦



كتابات الأب متى المسكين

اسم الكتاب	عدد الصفحات	الثمن قرش , جنيه
سلسلة شروحات الإنجيل:		
• القديس بولس الرسول (نفد وسيُعاد طبعه)	٧٨٤	٤٠,٠٠
• شرح رسالة رومية	٧٦٠	٤٠,٠٠
• المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا	٤٢٢	٢٥,٠٠
• شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ١	٧٦٨	٤٠,٠٠
• شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ٢	٦٦٢	٤٠,٠٠
• شرح الرسالة إلى العبرانيين	٨٣٢	٤٠,٠٠
• شرح الرسالة إلى أهل أفسس	٤٦٤	٢٠,٠٠
• شرح الرسالة إلى أهل غلاطية	٤٤٦	٢٥,٠٠
• شرح الإنجيل بحسب مرقس	٦٦٤	٣٥,٠٠
• شرح سفر أعمال الرسل	٦٨٨	٤٥,٠٠
• المسيح "حياته وأعماله"	٤٤٦	٢٥,٠٠
• شرح إنجيل القديس لوقا	٨٠٠	٤٥,٠٠
• شرح إنجيل القديس متى	٩١٦	٥٠,٠٠
مجلّدات في مواضيع متنوعة:		
• القديس أثناسيوس الرسولي (نفد وسيعاد طبعه)	٧٦٨	
• الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار	٨٨٠	٤٠,٠٠
• حياة الصلاة الأرثوذكسية	٦٧٠	٣٥,٠٠
سلسلة دراسات في التقليد الكنسي:		
• التقليد المقدس	١٨٢	٢,٥٠
• القديسة العذراء مريم (ثيئوتوكس)	١٢٠	٢,٥٠
• الصليب المقدس	٤٨	٠,٧٥
• التسبحة اليومية ومزامير السواعي	٢٢٤	٣,٥٠
• الإفخارستيا والقداس (حزء ١: الإفخارستيا) (نفد وسيعاد طبعه)	٧٦٤	
سلسلة "الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية":		
• أعياد الظهور الإلهي	٤٨٨	٧,٠٠
• الصوم الأربعيني المقدس	١٥٢	٣,٠٠
• مع المسيح في آلامه حتى الصليب	٣٠٤	٣,٥٠
• القيامة والصعود	٣٩٢	٦,٠٠
• الروح القدس الرب المحيي (في جزئين داخل كيس واحد)	٧٩٢	١٠,٠٠

• التجسد الإلهي في تعليم القديس كيرلس الكبير	٤٨	٠,٧٥
• ميلاد يسوع المسيح ابن الله	٤٠	٠,٥٠
مقالات تصلح للخدام والشباب:		
• الخــدمة (٣ أجزاء معاً)	١٦٠	٤,٠٠
• المسيحي في المجتمع	٨٨	١,٧٥
• المسيحي في الأسرة	٣٦	٠,٥٠
• كيف تقرأ الكتاب المقدس	٣٢	٠,٥٠
• في التدبير الروحى	٥٢	١,٢٥
• توجيهات فى الصلاة	٣٦	٠,٥٠
عيد القيامة المجيد:		
• القيامة والخليقة الجديدة	٣٢	٠,٤٠
• القيامة والرجاء الحى	٣٢	٠,٥٠
عيدا الصعود والعنصرة:		
• رسائل ومقالات في عيدي الصعود والعنصرة	٦٤	١,٠٠
• يوم الخمسين في التقليد الآبائي	٣٢	٠,٥٠
• الروح القدس وعمله داخل النفس	٩٦	١,٠٠
• مع الروح القدس في جهادنا اليومي	٤٠	٠,٧٥
صوم الرسل:		
• صوم الرسل ومكانته الروحية في الكنيسة، والروح القدس وصوم الرسل	٣٢	٠,٧٠
صوم العذراء وعيد صعود جسدها:		
• صوم العذراء القديسة مريم وعيد صعود جسدها إلى السماء	٣٤	٠,٥٠
عيد النيروز:		
• الشهادة والشهداء (انظر: قصص مسيحية للحياة)	٨٤	١,٧٥
مجموعة مقالات في اللاهوت (ألقاب المسيح)		
• ماهية المسيح ـ لاهوت المسيح الذي حدد مصير الإنسان	٢٤	٠,٣٥
• المسيح ابن الله	٢٠	٠,٣٥
• ابن الإنسان	٢٠	٠,٣٥
• المسيح والمسيًا	٢٤	٠,٣٥
• المسيح رب	٢٤	٠,٣٥
• المحبوب	٢٨	٠,٤٠
• الفدية والكفارة	٣٢	٠,٥٠
• الخلاص والإيمان	١٦	٠,٣٥
• عمانوئيل	١٦	٠,٣٥
• رئيس الحياة	١٦	٠,٣٥

• أنا هو نور العالم	١٦	٠,٣٥
• العريس	١٦	٠,٣٥
• أنا هو الطريق والحق والحياة	١٦	٠,٣٥
• أنا هو خبز الحياة	٢٠	٠,٣٥
• أنا هو الكرمة الحقيقية وأبي الكرّام	١٦	٠,٣٥
• حمل الله	٢٠	٠,٣٥
• أنا هو القيامة والحياة	٢٤	٠,٣٥
• مشتهى كل الأمم	١٦	٠,٣٥
• أنا هو الراعي الصالح	١٢	٠,٣٥

في الموضوعات الروحية العامة:

• التوبة	٣٢	٠,٧٠
• التوبة والنسك في الإنجيل	٧٦	١,٠٠
• العمل الروحى	١٦	٠,٣٥
• الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل	١٢٨	٢,٠٠
• رسائل القديس أنطونيوس (نفد وسيعاد طبعه)	١٤٤	
• الإيمان بالمسيح	١٩٠	٢,٥٠
• حبة الحنطة	٣٦	٠,٧٠
• أين شوكتك يا موت	٢٤	٠,٤٠
• التبرير	٣٦	٠,٥٠
• الوحدة المسيحية	٤٠	١,٠٠
• مقالات بين السياسة والدين	١٠٤	٢,٠٠
• ملكوت الله	٧٦	١,٧٥
• المرأة حقوقها وواجباتها	٩٦	٢,٥٠
• الكشف الأثرى في دير القديس أنبا مقار عن رفات القديس يوحنا المعمدان وأليشع النبي	٢٤	٠,٥٠
• لمحة سريعة عن دير القديس أنبا مقار والرهبنة في مصر	٩٦	١,٥٠
• سيرة القديس أنبا مقار	١٤٢	٣,٠٠
• رسائل روحية	١٤٠	٣,٠٠
• غاية الحياة المسيحية	١٦	٠,٢٠
• القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي	٦٤	١,٢٥
• رأي فى تحديد النسل	١٦	٠,٢٥
• الكنيسة الخالدة	١٩٦	٢,٥٠
• كلمة الله : خدمة وشهادة وحياة	١٤٨	٢,٠٠
• الوحدة الحقيقية ستكون إلهاماً للعالم	٣٢	٠,٥٠
• لقد وجدنا يسوع – دعوة تعارف	٢٤	٠,٣٥
• قصة الإنسان (حول الخطية والخلاص)	٩٦	١,٧٥

• تغيَّروا عن شكلكم	٣٦	٠,٧٠
• حاجتنا إلى المسيح	١٢	٠,٢٥
• الكتاب المقدس رسالة شخصية لك	٢٠	٠,٢٥
• النعمة في العقيدة والحياة النسكية	٥٦	٠,٧٥
• الحدود المتسعة للإيمان بالله	٦٤	١,٥٠
• فى تعليم المبتدئين	١٤٤	٢,٠٠
• ميلاد المســيح وميلاد الإنسان	١٦	٠,٣٥
• إماتة الذات بهدف الحب الإلهي - اختبار الله في حياة الراهب	٣٢	٠,٦٠
• تاريخ إسرائيل	٣٨٠	١٢,٠٠
• كيف سيدين المسيح المسكونة بالعدل	١٦	٠,٣٥
• الحكم الألفي	٢٤	٠,٣٥
• أنشودة للتجسُّد	٢٨	٠,٣٥
• رسالة توعية	٢٤	٠,٣٥
• الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي	١٦٠	٤,٠٠
• "الإنسان والخطية" رسالة سلام للنفس المتعبة	٢٠	مجاني
• رسالة حياة لمن يطلب الحياة "تسليم الحياة للمسيح"	١٦	مجاني
• الله واحد مع شرح صلاة "أبانا الذي في السموات"	٢٢	مجاني
• قصص مسيحية للحياة (في مجلد واحد)	١٥٢	٣,٠٠
(وهي تشمل ١٥ قصة طُبعت منفصلة في ٩ كتيبات صغيرة وعناوينها كالآتي):		
• سفراء من العالم الآخر	٢٤	٠,٢٥
• في زقاق المسيحيين	٢٤	٠,٢٥
• قصة استشهاد الرسولين بطرس وبولس	٢٤	٠,٢٥
• النيروز وذكرى أيام الشهداء	١٦	٠,٢٥
• أيقونة جميلة	١٦	٠,٢٥
• قصة استشهاد مؤثرة للغاية	٢٠	٠,٢٥
• قصة طهارة واستشهاد بارع، القديس فوكا البستاني، فلسفة الموت عند شهداء مصر	١٦	٠,٢٥
• أولوجيوس والمقعد الرذيل، المحارب العجوز	٢٠	٠,٢٥
• تاييس امرأة الأساطير، القديسة ميلانية العجيبة، صلاة فلاح، أتباع للمسيح وبهرجة الفلسفات	١٦	٠,٢٥

يُطلب من

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٥٠ " أ " شارع شبرا ـ تليفون رقم ٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ١٣ شارع الشهداء بالمنشية تليفون رقم ٤٨٤٠١١٠

وجميع المكتبات المسيحية